ABU ABDO ALBAGL

مذكرات أكرم الحوراني

مدونة أبو عبدو

الناشر: مكتبة مدبولي

1955 : انهيار الائتلاف بين الحزب الوطني وحزب الشعب واستقالة فارس الخوري - صبري العسلي يؤلف الوزارة وحزب البعث يشترك بالوزارة - فاضل الجمالي وزير خارجية العراق يزور فجأة دمشق .

أسباب استقالة حكومة الخوري.

كانت التناقضات بين الكتل والاحزاب التي تتشكل منها حكومة الخوري تزداد حدة شيئا فشيئا ولا سيما بين حزبي الشعب والوطني في حلب واللاذقية، وكان حقد "الوطنيين" الذين لم ينجحوا في انتخابات هاتين المدينتين يتعاظم باستمرار على حزب الشعب الذي كان يستغل الحكم ليضيق عليهم الخناق. ومنذ أن اشتدت المعارضة لسياسة فارس الخوري العربية والخارجية عقد الحزب الوطني مؤتمرا قرر فيه بالأكثرية فك التعاون مع حزب الشعب لاستغلاله الحكم على حساب الحزب الوطني، وقد اضيف إلى هذا العامل بعد عقد الاتفاقية العراقية التركية تأثير التناقض العربي بين الاطراف المشتركة في الحكم، وعندما أصبح الخلاف في ذروته بين السعودية ومصر من جهة والعراق من جهة أخرى، أعلن شكري القوتلي نزيل مصر شجبه للأحلاف الغربية والمساعدات العسكرية والاتفاقات الثنائية والحلف التركي العراقي.

وهكذا اصبحت وزارة فارس الخوري بحكم المستقيلة حتى قبل رجوعه من مؤتمر رؤساء الحكومات في القاهرة، ولا أدل على ذلك من أن ثلاثة من الأحزاب والكتل الممثلة في الوزارة قد وافقت على اقتراحي في لجنة الموازنة برد مشروع موازنة الدولة لعام 1955، ومعلوم أن مثل هذا القرار هو بمثابة حجب الثقة عن الحكومة بموافقة الاحزاب والكتل المشتركة فيها، ولذلك نشط خالد العظم رئيس الكتلة الديموقراطية في الدعوة لتأليف حكومة قومية على اساس منهاج واضح لسياسة الدولة في الحقلين الداخلي والخارجي، وقدفوض خالد العظم فعلا من قبل حزب

البعث العربي الاشـتراكي والحـزب الـوطني والكتلـة الديموقراطيـة للعمل على تشكيل هذه الحكومة. والسؤال الذي يرد الآن :

كيف يمكن للحزب الوطني الذي كان أكثر ارتباطا بـالعراق أن يوافق على تشكيل مثل هذه الحكومة؟

كانت الخلافات والمماحكات والتنافس بين الحزبين قد بلغـت أوجها مما جعل تعاونهما في الحكم أمـرا مسـتيحلا، هـذا مـا حـدا بميخائيـل اليـان القائـد الحقيقـي للحـزب الـوطني فـي حلـب أن ينحني أمام العاصفة التي هبـت سـواء مـن حزبـه أو مـن الشـعب عامة، ولم يبق أمامـه مـن مخـرج بعـد اسـتحالة تعاونـه مـع حـزب الشعب إلا أن يتعاون تكتيكيا مع خالد العظم في الوزارة الجديدة.

كنت مدركا لهذا تمام الإدراك فرأيتها فرصة سـانحة لتعميـق التناقض بـين حـزب الشـعب والحـزب الـوطني مـن جهـة وتشـتيت شـمل الحـزب الـوطني مـن جهـة أخـرى، وقـد كـان إغـراء الحـزب الوطني من قبلنا إغراء كبيرا حيث اتفقت مع خالد العظـم أن يؤلـف صـبري العسـلي الحكومـة الأمـر، الـذي كـان غايـة مـا يصـبو إليـه العسلي، وهو مستعد فـي سـبيل ذلـك أن يبيـع العـراق وصـديقه ميخائيل ليان، وفي الوقت نفسه ضمنا سلامة سياستنا الخارجية بتولي خالد العظم لوزارة الخارجية، الرجل الـذي كنـت آمـن جانبـه في هذه الناحية، وقد سبق لخالد العظم، وقبل استقالة الحكومـة وتفجر الأزمة، أن حاول التقريب بيننا وبـين الحـزب الـوطني فعقـدنا في مزرعة خالد العظم (بستان القـواص) عـدة اجتماعـات حضـرها ميخائيـل ليـان وصـلاح البيطـار ورئيـف الملقـي للاتفـاق علـى السياسـة العربية والخارجية ورغم المناقشات العديـدة لـم نـتمكن من الاتفاق مع ميخائيل اليان إلا علـى صـيغة عامـة مختصـرة غيـر ذات مدلول وهي: اننا نساير من يسايرنا ونعـادي مـن يعادينـا مـن الدول الأجنبية.

ويقول خالد العظم في مذكراته "أن شوكة شـقير نصحه منذ أوائل كانون ثاني عام 1955 بالتفاهم مع الحزب الـوطني للاطاحـة بحكومة فارس الخوري، وقد عقد خالد العظم اجتماعا فـي مزرعـة

القواص حضره شوكة شقير وصبري العسلي وميخائيل ليان، ثم توالت اجتمعات خالد العظم مع هؤلاء وكان صبري العسلي يقول لخالد العظم : إلى اين تريد أن تقودنا؟ أنحن قادرون على معاكسة امريكا؟ ثم يقول العظم:

كانت هناك عقدة في سبيل الائتلاف وهي اشتراك الحزب الوطني مع حزب البعث الاشتراكي في وزارة واحدة، إلا انني وجدت لدى ميخائيل اليان تحمسا لاخراج فكرة تأليف حكومة جديدة إلى الوجود دون اشراك حزب الشعب بها قاصدا التخلص من حكومة الخوري بأي ثمن" (ص 320 الجزء الثاني)

ولم يخبرنا خالد العظم باجتماعاته مع ميخائيل ليان وصبري العسلي والظاهر أنه قصد من كتمانه الأمر عنا تسهيلا لمهمة الائتلاف حسب رأيه.

كان الذي سهل علينا تنفيذ هذه الخطة أن التناقض العربي لم يلعب دوره فقط بالنسبة لشكري القوتلي، بل لعب دوره أيضا بالنسبة لكتلة العشائر التي تمزقت وانحل عقدها بعد عقد الاتفاقية العراقية التركية بين الشيوخ المرتبطين بالسعودية والآخرين المرتبطين بعراق نوري السعيد، وقد كان رئيسها عبد الصمد الفتيح مرتبطا بالعراق وكان يمثل هذه الكتلة في حكومة فارس الخوري فدب الخلاف بين اعضائها، وطلب الملتزمون بالسعودية وهم الأكثرية الانسحاب من الوزارة.

أما الخلاف بين الحزب الوطني وحزب الشعب فقد تفجر في جلسة البرلمان التي انعقدت في 5-2-55 حيث أدى تناقضهما حول مشروع قانون العفو العام الذي حاول كل من الحزبين استغلاله لينقذ (قبضياته) المحكومين إلى اعلان فاخر الكيالي استقالته من الوزارة وإلى انسحابه من جلسة المجلس بعد اخفاق الحزب الوطني في انقاذ قبضاياته، كما حدث صدام عنيف بين حسين الشعباني رئيس كتلة العشائر الجديد وبين رشدي الكيخيا ونواب حزب الشعب لأن الشعباني صحح للكيخيا أخطاءه

النحوية وكان ذلك تعريضا بالكيخيا الذي هجاه بدوي الجبل في السابق لجهله بقواعد اللغة.

وقد علل فاخر الكيالي (الحزب الوطني) بعد هذه الجلسة أسباب استقالته بتصريح أدلى به لوكالة الانباء السورية بتاريخ 8-2-55 بقوله :

جرت اتصالات بيننا وبين أركان حزب الشعب اثناء فترة حكم الشيشكلي لتصفية الخلافات وتوحيد الصف لمقاومة الحكم الديكتاتوري، وقد احببنا أن نبدأ هذه التصفية بتأليف القلوب بين العائلات الكبيرة الموزعة بين الحزبين فأبدى عميد حزب الشعب موافقته على تلك الفكرة، غير أن التناحر الذي جرى بين الحزبين في الانتخابات النيابية الاخيرة وأدى إلى مقتل أولاد القباني (حزب وطني) من قبل ابن سالم (حزب شعب) وانتقام أولاد القباني من أولاد سالم قد حرك مما تناسته النفوس وزادها ضراما" وأردف الكيالي :

"ان تصرف حزب الشعب على هذا الشكل معناه أنه يريد تدعيم الحزب الوطني له ليوصل فريقا من اعضاء الحزب الوطني (أولاد القباني) إلى المشنقة ولهذا أسرعت بتقديم استقالتي".

وكانت شرارة الأزمة قد بدأت عندما كان المجلس يناقش مشروع قانون العفو فقدم ليون زمريا اقتراحا يؤدي إلى تخفيف الحكم الصادر على أبناء القباني المحكوم عليهم بالإعدام فهاجم هاني السباعي بإيعاز من رشدي الكيخيا اقتراح التعديل مما سبب سقوطه. وقد كان من ثمرات هذه الجلسة أيضا تأميم مواعين (ابو هاني) التي كانت مدار خلاف طويل بين الشعبيين وأسعد هارون (من الحزب الوطني) وكان يتوقف على مشروع تأميم المواعين نتائج الانتخابات بعد فسخ نيابة اسعد هارون من قبل المحكمة العليا لثبوت تدخل (أبو هاني) في الانتخابات السابقة لمصلحته.

وكان أبو هاني قد أصبح رأسماليا متنفذا نتيجة لتملكه جميع المراكب (المواعين) التي كانت تتولى نقل البضائع من البواخر الى الشاطئ قبل انشاء مرفأ اللاذقية، وقد سبق لنا قبل سنوات أن طالبنا بتأميم مواعين أبي هانيء لإثرائه غير المشروع

واستبداده بالعمال ولتأييده أسعد هارون الذي كان من أركان الحزب الوطني ثم أصبح من انصار الشيشكلي ثم من الكتلة الديموقراطية ثم انسحب منها الخ....

□

بعد أن اعلنت الامانة العامة برئاسة الجمهورية بتاريخ 7-2-55 استقالة حكومة الخوري وتكليفها بتصريف الأمور ريثما تؤلف الوزارة الجديدة، شرع رئيس الجمهورية بإجراء المشاورات مع الكتل والاحزاب السياسية المجلسية، وقد كانت خطتنا بالنسبة للظروف الموضوعية في ذلك الوقت هي ألا نفسح المجال أمام العناصر المتواطئة على قبول سياسة الأحلاف أن تصل الى الحكم، وكانت ترجمة هذه الغاية اقصاء الشعبيين وفارس الخوري عن الوزارة الجديدة، وهذا يقتضي حسب الوضع المجلسي أن تتألف الحكومة الجديدة من الوطنيين والكتلة الديموقراطية والمسقتلين، وقد عملنا على تهيئة ذلك والاعداد له منذ عدة شهور وأقمنا من أجله الجبهة المؤتلفة بمساعدة خالد العظم، وقد كان بودنا ألا نشترك بهذه الحكومة تفاديا للاشكالات داخل الحزب حيث كان الاستاذ ميشيل غير موافق على خطتنا لأسباب عديدة منها شخصية مزاجية ومنها عدم تفهمه الواضح للأوضاع الداخلية والعربية والدولية، **كما أنه بسبب تفكيره الطوبائي بعيد عن التفريق الدقيق بين الاستراتيجية والتكتيك، لذلك كان يرى في خطتنا انحيازا للكتلة السعودية والمصرية، وكان يعتبرها اكثر شرا وخطرا على البلاد من المعسكر الآخر مما جعله اكثر ميلا لمسايرة الأتاسيين والشعبيين.**

ومن جهة ثانية فقد كان الاستاذ ميشيل يفضل من حيث الأساس عدم الدخول في المعركة الانتخابية وعدم تلوث أيدي الحزب بوحول الهيئات والكتل المجلسيلة المتصارعة على النفوذ والسلطة والمرتبطة بالمعسكرات العربية والدولية، ويؤثر أن يبقى الحزب بعيدا عن هذا المعترك، وفي الوقت نفسه كان الاستاذ ميشيل عاجزا عن إعطاء الصيغة العملية لتصوراته، لأنه كان يدرك أن

انزواء الحزب عن المعركة هو اكبر ما تتمناه وتسعى إليه الدوائر الاستعمارية والرجعية الداخلية والعربية.

وقد ساعدنا في سيرنا لجوء عبدالله الريماوي الى سورية وكان ذا تفكير عملي واقعي فاستلم جريدة البعث التي أصبحت تصدر اسبوعيا، كما حاول ان يقوم بمجهود تنظيمي على المستوى العربي، فأعد نظاما داخليا للقيادة القومية، وكان الريماوي يعطف على السياسة المصرية نتيجة لظروف الأردن الخاصة، وعلى الرغم من أن الريماوي قد كرس الاستاذ ميشيل أمينا قوميا بانتخابات شكلية أجراها بيننا نحن الأربعة في منزلي، ولكن ذلك لم يخفف من غضب الاستاذ ميشيل عليه لموافقته على خطتنا، وقد بلغت نقمة الاستاذ ميشيل عليه حدها الاقصى لأن وجوده في دمشق قد شكل عائقا عنيدا دون محاولاته فرض رأيه بواسطة التنظيم القومي -قميص عثمان- الذي كان الاستاذ ميشيل يعتمد عليه دائما لفرض آرائه ومواقفه على سياسة الحزب في سورية.

و قد كان الريماوي يعمل في دمشق يصفته أمينا لفرع الأردن وهو في الوقت ذاته عضو بالقيادة القومية، مما كان يضايق الاستاذ ميشيل آنذاك ومما جعلنا نحن الثلاثة بنظره وانظار مريديه في الأردن (منيف الرزاز) من المستعجلين للوصول إلى السلطة والحكم وهو أمر يخرب الحزب الذي يجب أن يكون بعيدا عن السلطة.

كان الاتاسيون والشعبيون يحاولون اللعب بورقة الاستاذ ميشيل، ومنذ أن بدأت الأزمة الوزارية قررنا أن نقطع الطريق على هذا اللعب والاستغلال فنشرت توجيها باسم الحزب في جريدة البعث بتاريخ 11-2-55 جاء فيه :

"بعد الانقلاب على حكم الشيشكلي أخذ الاستعمار يعمل على استبعاد حزبنا عن إدارة البلاد ويسعى لإقامة حكومة تسير في ركابه، ولكن الحزب كان يكشف كل مؤامراته، وعندما تشكلت حكومة الخوري المستقيلة لم يخف الحزب قلقه من أن تكون الحكومة التي يريدها الاستعمار، وقد

شاركه هذا الاحساس قسم كبير من النواب وأخذ الشعور بالخطر يتعاظم ليبرز في شكل ائتلاف يهدف إلى:

ا- سلامة سورية العربية والدولية وخاصة بعد افتضاح أمر حكومة الخوري التي عملت على تسهيل ربط البلاد العربية بالأحلاف وما في ذلك من طي لقضية فلسطين وتمكين للاستعمار.

ب- الوقوف امام سياسة المزرعة، سياسة حزب الشعب، في استغلال تجميع الانصار ليتمكن من تنفيذ السياسة الانكلو -اميركية- التركية وبالتالي خدمة اسرائيل، وقد بلغت الآن ضرورة الائتلاف ذروتها (اشارة الى الحلف العراقي التركي) ولما كان حزبنا الانقلابي يؤمن أن درء الخطر الخارجي يملي عليه هذا الموقف، فمصلحة العرب أجمعين هي في الوقوف أمام هذا الخطر والتكتل من أجله، ولذا يرى الائتلاف ضرورة ملحة ويعطي تأييده للوزارة المؤتلفة التي تضمن السير في اتجاه مصلحة العرب ومنع الأحلاف وهو يرى أيضا أن توكيد هذا الائتلاف ضروري في سورية التي ستبقى معرضة زمنا طويلا للضغط ولن ينجيها في هذا المرحلة إلا ائتلاف كل من يريدون لها وللأمة العربية السلامة، ولذلك سيعمل الحزب على قيام الحكومة الائتلافية دون أن يشترك فيها. حتى إذا راى سلامة الائتلاف متوقفة على اشتراكه فإنه لن يقف حجر عثرة في سبيله وسيشترك بالوزارة، ونحن نعلم سلفا ان هناك عقبات أمام الائتلاف، وستنشأ أخرى لتمنع قيام حكومة تقاوم الاستعمار ولكن اتجاه المجلس قوى في الوصول إلى حكومة تطمئن الشعب على سلامة سياسة البلاد وتعمل على استبعاد السياسة النفعية الاستعمارية".

كان خط الحزب في سورية موازيا لخط الحزب في العراق الذي كان يعمل للائتلاف مع الاحزاب العراقية الأخرى للوقوف في وجه الاتفاق العراقي التركي، فقد نشرت جريدة البعث في العدد ذاته نص المذكرة التي قدمتها الاحزاب العراقية المؤتلفة ومنها حزب البعث لنوري السعيد تشجب فيها الاتفاق.

تفادينا في البدء اشتراك الحزب في الحكومة، ولكن الكتل والاحزاب المجلسية المؤتلفة أصرت على اشتراك الحزب في الحكومة كشرط لاشتراكهم فيها، فلم نر بدا من الاستجابة

لطلبهم وقد تذاكرت مع الاستاذ صلاح حول انتقاء -الوزير الضحية- بنظر الاستاذ ميشيل، فاقترح صلاح اسم جلال السيد فلم أوافقه على اقتراحه لأنني أعلم مدى ضلوع جلال السيد مع عراق نوري السعيد، واقترحت الدكتور وهيب الغانم بدلا عنه لأنني كنت أمينا من صفائه وصدق وطنيته وصرامة اتجاهه، فلم يمانع الاستاذ صلاح وهكذا اصبح موقفي قويا في المفاوضات والاستشارات فيما بعد، بينما كان حزب الشعب وهاشم الاتاسي وعدنان الاتاسي يصرون على إعادة تكليف فارس الخوري وعودة حزب الشعب إلى الحكم وفرط الجبهة المؤتلفة.

وعلى الرغم من أننا بلغنا هاشم الأتاسي منذ اللحظة الأولى لاستقالة الوزارة وباسم المؤتلفين طموحنا لتشكيل وزارة قومية، فإن هاشم الاتاسي وحزب الشعب قد لجؤوا الى المماطلة وعلقوا موقفهم على قرار المكتب التنفيذي لحزب الشعب الذي سيجتمع ليقرر قبولهم أو رفضهم، وكان رئيس الجمهورية مقتنعا وعارفا بأن الاكثرية المجلسية هي في جانب المؤتلفين ومع أننا كنا قد أبلغناه بأنه في حال رفض حزب الشعب الاشتراك في وزارة قومية فإننا نرشح صبري العسلي لتاليف الحكومة الجديدة للائتلاف الحائز على الاكثرية البرلمانية، مع كل ذلك أقدم هاشم الأتاسي بتاريخ 9-2-55 وبشكل مفاجئ على إعادة تكليف فارس الخوري بتشكيل الوزارة مع ابلاغه الخوري بأنه لن يقبل له اعتذارا عن المضي في تشكيل الحكومة، وهكذا أصبح في الساحة مرشحان: مرشح رئيس الجمهورية ومرشح الائتلاف صبري العسلي الذي يمثل الاكثرية البرلمانية.

وعلى اثر ذلك كلفنا خالد العظم أن يتصل برئيس الجمهورية ليحدد لنا موعدا لمقابلته، وكان وفدنا مؤلفا من خالد العظم ورئيف الملقي عن الكتلة الديمقراطية، أكرم الحوراني وصلاح البيطار عن حزب البعث، ميخائيل ليان عن الحزب الوطني، وفيصل العسلي وفرزت المملوك عن المستقلين، حامد الخوجة عن نواب العشائر.

قلنا لرئيس الجمهورية : إننا نمثل الأكثرية المجلسية وإننا تسهيلا لمهمته في حل الأزمة فقد اتفقنا بالاجماع على ترشيح

صبري العسلي لتأليف الوزارة الجديدة، فكان جواب رئيس الجمهورية : انه لن يكلف صبري العسلي قبل ان يصدر قرار المكتب التنفيذي لحزب الشعب الذي يحدد موقفه من الحكومة الجديدة، وهكذا ترك رئيس الجمهورية الأمور سائبة بدون مبرر بحجة انتظار قرار حزب الشعب.

في هذا الجو كانت وسائل الاعلام الاجنبية تذيع شائعات كاذبة عن محاولة القيام بعصيان عسكري في الشمال (حلب) مما اضطر شوكت شقير رئيس الاركان العامة أن ينفي هذه الشائعات "التي تروجها مصادر مشبوهة لأغراض مشبوهة كلما قامت في البلاد أزمة وزارية لمحاولة اقحام الجيش بالأمور السياسية".

كان الذي زعزع موقف حزب الشعب ورئيس الجمهورية هو قولي للرئيس بوجود ممثلي الأحزاب والكتل المجلسية المؤتلفة :

انني أريد أن يعلم فخامة الرئيس أن ائتلافنا مع الحزب الوطني متين جدا وأن الاسس التي وضعناها لهذا الائتلاف تصلح أن تبقى حتى نهاية هذا الدور.

فلم يعترض ميخائيل ليان على قولي هذا بل كان موافقا عليه، بينما لم نكن في الحقيقة متفقين معه إلا على صيغة مختصرة وهي اننا نساير من يسايرنا ونعادي من يعادينا من الدول الأجنبية.

وقد فوجئ رئيس الجمهورية بقولي هذا وبحضور ميخائيل ليان، كما فوجئ حزب الشعب الذي حار في تعليله، وهكذا قطعت عليهم محاولة العودة الى الائتلاف مع الحزب الوطني وتشكيل حكومة جديدة برئاسة فارس الخوري تسير على نهج الحكومة السابقة فتسهل لنوري السعيد تنفيذ سياسة الأحلاف.

وعلى أثر ذلك أصدر حزب الشعب قراره الآتي :

"بعد أن علمنا أن هناك أحزابا وهيئات مجلسية اتفقت فيما بينها لاقامة حكومة، وكفلت لنفسها كثرة تؤيدها في مجلس النواب، فليس لنا ما يقال سوى أن نتمنى لها التوفيق".

وقد سهلت مصر التي تابعت حملتها على فارس الخوري وحزب الشعب مهمتنا في احباط المؤامرة المبيتة على البلاد. فقد استمرت الصحف المصرية في نشر فضائح مواقف فارس الخوري ووزير خارجيته فيضي الأتاسي الممالئة لنوري السعيد والأحلاف، كما أن فيصل العسلي الذي فك ارتباطه بعراق نوري السعيد وارتبط بسياسة مصر قد أعلن بعد عودته من مصر ، أن جمال عبد الناصر قال له:

"إن مستقبل مشروع التحالف العربي التركي رهن بموقف الحكومة السورية فإن وقفت الموقف القومي اللازم قبرته في المهد كما جرى في المشروعين السابقين اللذين عرضا للدفاع عن الشرق الأوسط، وإلا فإن حكومة واشنطن ستزداد تمسكا بهذا المشروع" "أنا واثق من أنه إذا قامت في سورية حكومة تمثل إرادة الشعب السوري حقا فإن امريكا ستعود عن مشروعها الجديد وستسلم بالنظرية العربية القائلة: لا حلف للدفاع عن العرب إلا حلف الضمان الجماعي".

لم يتوقف عدنان أتاسي وحزب الشعب عن محاولاتهم لعرقلة تأليف الحكومة من الجبهة الائتلافية، فأوعزوا لأنصارهم من المستقلين في المجلس النيابي أن يؤلفوا وفدا ويطلبوا الى رئيس الجمهورية تكليفهم بتشكيل الحكومة بالتعاون مع حزب الشعب بصفتهم يشكلون الاكثرية المجلسية، وبما أن رئيس الجمهورية كان على تفاهم مع حزب الشعب فقد حاول أن يجعل من ذلك مبررا لإطالة الأزمة. وهكذا استدعى صبري العسلي وأبلغه ادعاءات المستقلين وأنه ليس بإمكانه أن يكلفه بتشكيل الحكومة حتى يستبين من هي الفئة التي تمثل الأكثرية المجلسية.

وعلى أثر ذلك عقدنا اجتماعا اقترحت فيه على أركان الائتلاف اعداد مذكرة نضمنها وجهة نظرنا ونحمل فيها رئيس

الجمهورية مسؤولية تأزيم الموقف، ونفضح فيها الاسباب التي دعت لامتناعه عن تكليف الاكثرية المجلسية بتشكيل الحكومة. وفي اليوم الثاني قابلنا رئيس الجمهورية بوفد مؤلف من خالد العظم، أكرم الحوراني، ميخائيل اليان، رئيف الملقي، صلاح البيطار، حامد الخوجة، فيصل العسلي، فرزت المملوك.

عاد الحديث مع رئيس الجمهورية الى نقطة البداية، وكان يدور حول اثبات ان الاكثرية النيابية انما هي الى جانب المؤتلفين الذين يضمون الحزب الوطني والبعث ونواب الكتلة الديموقراطية والنواب المستقلين والعشائر وعندما تشعب الحديث في شرح الاعراف الدستورية لم يسعني إلا أن أذكر رئيس الجمهورية بوعده الذي قطعه بتكليف صبري العسلي بقطع النظر عن جواب الشعبين سواء أكان بالقبول أو بالرفض ولما طالت المناقشة قدمت اليه المذكرة الموقعة باسم الجبهة المؤتلفة والتي تشرح وجهة نظرنا كاملة.

بعد رجوعنا من هذا الاجتماع قررنا عقد مؤتمر صحافي في المجلس النيابي لسنتعرض فيه الأزمة وأسبابها وملابساتها عرضا صريحا لا يخرج عن مضمون المذكرة ليكون الشعب على بينة من حقيقة الموقف. وقد تناقلت هذا النبأ الصحف المحلية ووكالات الانباء والصحف اللبنانية التي نشرته بأحرف بارزة على صفحاتها الأولى فاضطر رئيس الجمهورية إلى استدعاء رئيس المجلس ناظم القدسي كمناسبة شكلية لأخذ رأيه بالأكثرية المجلسية - كوسيلة للتراجع عن موقفه. وكانا طبعا على تفاهم ، فأفتى له بأن الاكثرية المجلسية هي بجانب الجبهة المؤتلفة، وهكذا استدعى على الفور بتاريخ 12-2-55 صبري العسلي وأبلغه أنه يكلفه رسميا بعد أن استمع الى تقرير رئيس المجلس ناظم القدسي. وفي مساء اليوم نفسه عقد اجتماع لممثلي الجبهة المؤتلفة في دار خالد العظم وانتهى الاجتماع الى تشكيل الوزارة التي أذاعتها الامانة العامة لرئاسة الجمهورية بتاريخ 13-2-55 على النحو التالي :

صبري العسلي : لرئاسة مجلس الوزراء ووزارة الداخلية.

خالد العظم : للخارجية والدفاع الوطني بالوكالة

عبد الباقي نظام الدين : للاشغال العامة والمواصلات

رئيف الملقي : للمعارف

حامد الخجة : للزراعة

فاخر الكيالي : للاقتصاد الوطني

ليون زمريا : للمالية

مأمون الكزبرى : وزارة العدل

وهيب الغانم : للدولة والصحة والاسعاف العام.

قبل اعلان تشكيل الوزارة بساعات وصل الى دمشق - بصورة مفاجئة- فاضل الجمالي موفدا من قبل نوري السعيد فأقام له وزير العراق المفوض حفلة عشاء على شرفه لم يدع إليها من الوزارة الجديدة سوى صبري العسلي وفاخر الكيالي، أما المدعوون الآخرون فكانوا: نبيه العظمة، بدوي الجبل، نصوح الأيوبي، أسعد هارون، علي الدندشي، عزة دروزه، عبد الكريم العائدي، عبد الهادي المعصراني، ميخائيل اليان، محمود الهندي، أنور الدسوقي، عبد القادر الميداني، عفيف الصلح، فخري البارودي، أحمد قدري، حسني البرازي، نذير فنصة ولطفي الحفار. بالاضافة إلى من اصطحبهم فاضل الجمالي معه من بيروت وهم كاظم الصلح وكامل مروة وقد ذكرت أسماء من حضروا هذا العشاء لأن معظمهم من جماعة حلف بغداد في سورية ولبنان.

وبالاضافة إلى المأدبة فقد اجتمع فاضل الجمالي خلال زيارته لدمشق مع السفير البريطاني وتناول الغداء على مائدة السفير الاميركي، ثم خلا الى عدنان الاتاسي في المفوضية العراقية . كما قام بزيارة فيضي الأتاسي في داره لمدة طويلة، ومن الطبيعي أن تكون أحاديثهم قد دارت جميعها حول كيفية

الوصول إلى هدفهم المشترك بالقضاء على حركة حزب البعث العربي الاشتراكي التي تسبب لهم قلقا وإزعاجا كبيرا وتقضي على مخططاتهم وأهدافهم الاستعمارية في المنطقة العربية".

النتائج الفورية لتأليف الحكومة.

كان من نتائج تأليف هذه الحكومة انشقاق الحزب الوطني على نفسه وانسحاب كل من لطفي الحفار وبدوي الجبل وسهيل الخوري من الحزب الوطني لأنهم كانوا معارضين لائتلاف الحزب الوطني مع حزب البعث العربي الاشتراكي ويقول خالد العظم في مذكراته مستغربا مدهوشا :

"انني لا أجد تعليلا صحيحا معقولا لاختلاف لطفي الحفار وميخائيل ليان وكلاهما ضالع في مسايرة العراق إلا في الكره الشديد الذي كان يتآكل قلب اليان ضد رشدي الكيخيا وسائر افراد حزب الشعب، فهل وصل الكيد والحقد بميخائيل اليان الى حد الخروج على ارتباطاته مع العراق وعن ميوله الشخصية وعن كراهيته لأكرم الحوراني ضد رفاقه وحلفائه؟ انني حتى الساعة حائر في تفسير موقف ميخائيل ليان وأنا ما أزال أتساءل : كيف مشى معنا ونحن معروفون بمناهضتنا لسياسة العراق وأسقط الحكومة التي كانت تلتزم جانب العراق ضد مصر" ثم يقول خالد العظم :

"ولكن المضحك في الأمر أن العسلي وميخائيل اليان ما لبثا أن اختلفا ولم يمض على تأليف الحكومة سوى شهر واحد، فبينما سار العسلي في صفنا، واندمج معنا في سياسة التفاهم مع مصر ودعمها في موقفها ومقاومة حلف بغداد، سار ميخائيل اليان على عكس زميله وعارضه في سياسته وعكف على جذب بعض الاعضاء البارزين في الحزب للحصول على اكثرية تحول دون استمرار العسلي في خطته أو تحمله على الانسحاب من الوزارة، لكن فاته ان العسلي يضحي بكل شيء حرصا على البقاء في رئاسة الوزارة" والغريب ألا يدرك خالد العظم أن القضية بيني وبين ميخائيل ليان ليست مسألة كراهة شخصية، ولو كانت قضية مزاج شخصي لكنت أقرب إلى قلب ميخائيل ليان من جماعته، لأنني كنت أحظى من قبله بالاحترام الكبير، ولكن الخلاف بيني وبينه كان خلافا سياسيا وعقائديا، ومن جهة أخرى فإن ميخائيل ليان بحكم

كراهيته الشديدة لحزب الشعب جعلته يظن أن بامكانه أن يؤثر على خالد العظم ويجعله ينحاز الى اتجاهه وهو ابن طبقته، ولعل في احدى وثائق بغداد التي يوصى فيها ميخائيل ليان حكومة بغداد بالحفاوة بخالد العظم عند زيارته ما يشير إلى ذلك. (ص 1120 كتاب محكمة الشعب- 1955/3/13).

وإذا كان ميخائيل ليان قد أدرك ما ارتكبه من خطأ بعد شهر واحد من تأليف الحكومة فإن خالد العظم لم يدرك (المقلب) الذي أوقعنا به ميخائيل اليان وحزبه الوطني. ولم يكن من مصلحتنا آنذاك أن نكشف لخالد العظم سر قبولنا بهذا الائتلاف مع خصومنا الذين لا يرجى منهم أي إصلاح.

إن خطتنا كانت في تمزيق هذه الكتل الرجعية واستغلال تناقضاتها الى أبعد الحدود، وهذا ما حدث فعلا وما ساعدنا حتى قيام الوحدة على إحباط كل المؤامرات والمشاريع الاجنبية. ومن ذلك يدرك القارئ ان اسراع الجمالي بالمجيء الى سورية كان سببه الوقوف حائلا دون دخول الحزب الوطني في حكومة الائتلاف، ولكن سبق السيف العذل فقد تورط ميخائيل اليان ووقع في الشرك الذي نصبناه له، ولا شك عندي ان الموضوع الرئيسي الذي بحثه فاضل الجمالي مع اركان الحزب الوطني هو موضوع الانشقاق والاشتراك في حكومة الائتلاف. من ذلك يتبين للقارئ الطريق السياسي الشاق والمتعرج الذي سلكناه للوقوف بوجه قوى الاستعمار والرجعية مجتمعة.

تصرف بعيد عن أي مفهوم للدولة، والوثائق الرسمية لمؤتمرات القاهرة غير موجودة في وزارة الخارجية.

لم تترك الحكومة السابقة اي شيء من المحاضر الرسمية في وزارة الخارجية ورئاسة مجلس الوزراء عن مباحثات رؤساء وزارات الدول العربية ووزراء خارجيتها في مؤتمرات القاهرة، ولذلك فقد بدأ وزير الخارجية باستجلاء دقائق الموقف من القائم بأعمال السفارة المصرية، فكان اطلاعه على الوثائق والمحاضر الرسمية مهما جدا للاستناد إليه في رسم سياسة الحكومة الخارجية

والعربية، وليست هي المرة الأولى ولا الأخيرة في تاريخ البلاد التي يتصرف بها المسؤولون بمثل هذه الوثائق تصرفا شخصيا بعيدا عن أي مفهوم للدولة والمجتمع، ولا تملك الدولة حتى الآن شيئا له أهميته من الوثائق الرسمية التي تتعلق بماضيها السياسي، بل ان كثيرا من الوثائق قد ذهبت وتبددت، وقد حدث أن بعض وثائق وزارة الخارجية وجدت في دكان سمان كان يتصرف بها، كما علمت أن حريقا "شب" في وزارة الدفاع أوائل السبعينات فأتى على عدد كبير من الوثائق الهامة.

110

1955 : مـؤتمر مشـترك لحـزب البعـث العربـي الاشتراكي والحزب التقدمي الاشتراكي، وصدور بلاغ مشترك حول الحياد الايجابي ومشاريع الدفاع الغربية - حملة استعمارية كبرى على بلد صغير مطوق من جهاته الأربع ومذكرة أميركية للحكومة السورية - اسرائيل تساهم في الضغط على سورية ومصر (العدوان على غزة وعلى الجبهة السورية) انذار تركي يوجه لسوريا- وزير العراق المفوض يسلم رئيس الوزراء السوري نص الميثاق الذي عقدته تركيا مع العراق.

مؤتمر في شتورة للبعث العربي الاشتراكي والتقدمي الاشتراكي.

بعد تأليف الحكومة الجديدة عقدنا مؤتمرا مشتركا للاشتراكيين السوريين واللبنانيين في شتورة، درسنا فيه مشاكل الساعة في العالم العربي وانتهينا إلى وضع بيان شجبنا فيها سياسة الأحلاف عامة والتحالف العراقي التركي خاصة، كما أقررنا تنفيذ تدابير عدة من بينها تشكيل وفد يمثل الاشتراكيين في البلدين ليقابل رئيسي الحكومتين اللبنانية والسورية ويزور السفارات والمفوضيات العربية بالاضافة إلى لجنتي الشؤون الخارجية في البرلمانين السوري واللبناني ليطلب الوقوف بحزم ضد سياسة الأحلاف الاجنبية والحفاظ على وحدة الأمة العربية، كما قررنا الدعوة إلى مؤتمر برلماني سوري لبناني للغاية نفسها ثم وزعنا البيان الختامي الصادر عن المؤتمر وقد ورد فيه :

أيها الشعب الكريم :

" أن التحرر من الاستعمار والقضاء على اسرائيل الصهيونية، والتحرر من الرجعية والاقطاعية الاقتصادية والسياسية والاتجاه نحو الوحدة، هي الأهداف الحقيقية لقضية الاشتراكية العربية، وهي الاهداف المنبثقة من منطلق مصلحة العرب ورسالتهم."

ويتحدث البيان بالتفصيل عن الحياد الايجابي والوحدة العربية، وقضية فلسطين، والاهداف الاستعمارية من طرح المشاريع الدفاعية، كما يحدد أسلوب العمل وهو وحدة النضال الشعبي ثم ينتهي الى القول :

"لذلك نتوجه الى الحكومات العربية ولحكومات سورية ولبنان والأردن بصفة خاصة، ندعوها لاتخاذ موقف صريح سليم يعكس مصلحة الأمة ويعبر عن إرادتها" **والموقف السليم الصريح هو في تبني سياسة خارجية عربية موحدة مستقلة تقوم على اعتماد العرب على أنفسهم في الدفاع عن وطنهم وكيانهم والتعبير العملي عن هذه السياسة هو برفض حلف السعيد - مندريس رفضا صريحا قاطعا وتقوية ميثاق الضمان الجماعي بإنشاء الجيش العربي المشترك ذي القيادة الموحدة من الدول العربية التي تتبنى هذه السياسة وترفض الدخول في الاحلاف، مع السعي الجدي لتوفير الأسباب التي تكفل تحرير الجيش الأردني تحريرا تاما كشرط ضروري ليكون الجيش المشترك ذو القيادة الموحدة عربيا جوهرا وشكلا.**

ونتوجه للشعب في كل قطر عربي وفي العراق وسورية ولبنان والأردن بصفة خاصة للنضال والتعبير عن إرادته تعبيرا يفرض على الحكومات اتخاذ هذا الموقف السليم الصريح.

ويقيننا أن هذا الموقف هو السبيل الوحيد لاحباط المؤامرة الاستعمارية، وإننا أخيرا اذ نحيي المناضلين من شباب العراق الذين امتدت إليهم يد الارهاب وزجتهم في أعماق السجون لنؤكد بأن الشعب العربي في العراق لن يرضى موقفا وسياسة غير ما تمليه مصلحة القضية العربية".

حزب البعث العربي الاشتراكي

الحزب التقدمي الاشتراكي

18-2-55 الموافق 26-6 1374

الاستعمار يخطط - بعد تشكيل الحكومة - لجرائمه المقبلة.

لفت نظري في تلك الفترة، أمران لم أفهم أبعادهما آنذاك :

1- أبلـغ حـزب الشـعب لطفـي الحفـار ترشـيحهم لـه لرئاسـة الجمهورية التي ستجري في آب القادم، وتعهدوا بمنحه أصوات نوابهم وبالنشاط في صفوف النواب لصالح نجاحه في معركة الرئاسة. ولما ابلغ لطفي الحفار هذا الأمر إلى أركان الحزب الوطني، ظهر له أنهم متفاهمون مع حزب الشعب على ذلك ووعدوه بدورهم أن يبذلوا كل جهودهم لانجاحه في الوصول إلى الرئاسة الأولى، وقد ظننت آنذاك أنها مكيدة من مكائد حزب الشعب سابقة لأوانها، ولم يدر بخلدي أن الأمر جد وأن لطفي الحفار سيلعب دورا هاما في معركة الرئاسة المقبلة وأن عراق نوري السعيد هو وراء هذا الترشيح المبكر الذي تكشفت عنه فيما بعد وثائق حلف بغداد.

2- هاجم أربعون مسلحا من السوريين القوميين بتاريخ 23-2-55 الطلاب البعثيين في حمص عند خروجهم من الكلية وأطلقوا عليهم نيران مسدساتهم واعملوا فيهم طعنا بالخناجرفسقط خمسة طلاب جرحى وكان بينهم أحد أقربائي (عبد الجبار الشقفة) وقد وقع هذا الهجوم نتيجة للصدام بين طالب بعثي وآخر سوري قومي عندما كان السوريون القوميون يوزعون نشرات يهاجمون فيها البعثيين، وقد فضت إدارة المدرسة هذا النزاع، وعندما كان الطلاب ينصرفون من المدرسة فوجئوا بهجوم المسلحين القوميين فاعتقلت الشرطة وقوى الأمن عددا منهم وصادرت اسلحتهم.

وبعد أيام من هذه الحادثة، عندما كان السوريون القوميون يحتفلون بذكرى أنطون سعادة أول آذار قاموا بهجوم معد ومهيأ على حزب البعث في دير الزور وأدى الصدام الى سقوط قتيل من السوريين القوميين وثلاثين جريحا من الطرفين بعد أن استمرت المعارك أربعا وعشرين ساعة في انحاء متفرقة في المدينة فاضطر الجيش لاستلام الأمن فيها.

كان الدكتور مدحت البيطار في تلك الفترة امينا قطريا للحزب في سورية، وهو حزبي نزيه مؤمن بوحدة للحزب تتسم تصرفاته بالحكمة والوعي، فأوصاه صلاح البيطار أن يرسل منصور

الأطرش الى دير الزور للتشاور مع جلال السيد - الذي كان منزويا بالظاهر بعد دمج الحزبين - لأن الحادث قد انقلب في دير الزور من صدام حزبي الى صدام عشائري، ولا يخفى ان جلال السيد كان من وجهاء أحد افخاذ تلك العشائر، وبعد عودة منصور الأطرش اقترح الاستاذ صلاح والاستاذ ميشيل تكليف جلال السيد بإجراء المصالحة العشائرية وإعادة الأمور في المدينة الى السلام والهدوء، فترددت في الموافقة على هذا التكليف لجلال السيد ومنحه هذه السلطة بداعي الخلافات العشائرية للتصرف بشؤون الفرع، ولا سيما وقد كنت مطلعا على الخلافات بين هيئة الفرع وشبابه مع جلال السيد ونقمتهم عليه واتهامهم له بالعشائرية والاقطاعية والتواطؤ مع الرجعية، وقد كان هذا الخلاف معروفا ومشهورا في الحزب، ولكن الاستاذ صلاح أصر على هذا الاقتراح وقال: انه لا يوجد غير جلال السيد يمكن أن يخرج مدينة دير الزور من الصدامات العشائرية، ولم يخطر ببالي أن يتواطأ جلال السيد مع الحزب السوري القومي ضد حزب البعث، وما أن كلف جلال السيد من قبل القيادة لفض النزاع حتى أصدر بيانا يدين به حزب البعث بالاعتداء على القوميين ويدمغهم بجريمة القتل، ولم أصدق النبا إلا عندما قرأت بيانه، فتطوع الاستاذان عبد الفتاح زلط وحسن السراج بالدفاع أمام المحكمة عن البعثيين المتهمين، فكان بيان جلال السيد حجة بيد السوريين القوميين ودليلا سياسيا ضد الحزب وضد المتهمين من اعضائه، وقد ظهر فيما بعد في وثائق حلف بغداد أن جلال السيد كان ضالعا مع نظام نوري السعيد الداعم للسوريين القوميين ضد اتجاه البعث المناهض للأحلاف والغرب.

إن هذا الحادث لم يحرك الاستاذين صلاح وميشيل على التفكير بفصل جلال السيد من الحزب، وهذا ما يفسر انشقاق مصلح السالم وجماعته عن الحزب قبل قيام الوحدة، أما بعد الثامن من آذار فقد التفوا حول صلاح جديد ضد الاستاذين صلاح وميشيل، ولم أنج كما لم تنج البلاد من نقمتهم وحقدهم.

وفي مطلع شهر آذار نفسه شهدت حلب اضطرابات أخرى هي قضية جوزيف الخوري المعلم في مدرسة أسامة بن زيد، فقد أتهمه الأخوان المسلمون والشعبيون بتفضيل ستالين على محمد، وحاولوا أن يخلقوا جوا مرعبا من التعصب والطائفية، وكانت أجهزة مخابرات القنصلية الاميركية بحلب وراء افتعال هذه القصة لمحاربة الحكومة وتحويل الاضطرابات ضدها، وقد شرعت جريدة النذير (لأحمد قنبر) بالحملة على جوزيف خوري ، بأسلوب فيه الكثير من التهييج والاثارة الطائفية وشكل حزب الشعب والأخوان وفدا قام بزيارة المحافظ للاحتجاج، وبدأوا يعقدون الاجتماعات في الأحياء انتظارا لصلاة الجمعة، وأثار نواب حزب الشعب والكتلة الاسلامية في المجلس قضية جوزيف خوري الذي كان معلما في الستين من عمره، وكان منشأ التهمة حديثا وردت خلاله مقارنة بين رسالة الانبياء في الماضي ورسالة الزعماء في الحاضر.

هكذا بدأت المؤامرات فور تشكيل الحكومة الجديدة، ولم يخطر في البال آنذاك أن ما يحدث انما هو مقدمة لمؤامرات اكبر وأوسع مدى ستتناول البلاد بأسرها وسيذهب ضحيتها المرحوم عدنان المالكي والمرحوم أخي واصل الحوراني.

بالاضافة إلى الاضطرابات السابقة فقد بذل الاستعمار بواسطة عملائه في الاحزاب والكتل السياسية كل جهوده لمنع الحكومة من نوال الثقة في المجلس النيابي، وهكذا شرع ميخائيل ليان وانصاره في الحزب الوطني يضغطون على صبري العسلي وممثليهم الآخرين في الوزارة لكي تكون صيغة البيان الوزاري غامضة تجاه تحديد سياسة سورية العربية والخارجية فخابت مساعيهم.

أما حزب الشعب فقد استخدم وسائل اكثر فعالية وذكاء، وهكذا شرعت المحكمة العليا برئاسة وجيه الاسطواني المتواطئ مع حزب الشعب- وعضوية عبد الرؤوف الاسطواني الذي يعتبر من هذا الحزب باصدار قرارات الطعن بنيابة عدد كبير من الكتلة الديموقراطية، جماعة خالد العظم، وكان توقيت هذه القرارات بعد تشكيل الحكومة أمرا مفضوحا، ولكن حزب الشعب والمحكمة

العليا لم يحرصوا على سمعتهم ولم يكن بأيدينا مستند قانوني للاعتراض على قرارات المحكمة التي هي صاحبة الحق والاختصاص، كما لم يكن بامكننا - أدبيا وسياسيا - أن نهاجم قراراتها ونفضح انحيازها وهي أعلى محكمة في الدولة فكان الأمر بغاية الحرج، ولكن الذي فتح لنا باب الكلام هو رئيس المجلس النيابي عندما أعلن بأن النواب الذين حكمت المحكمة بفسخ نياباتهم جزئيا لا يحق لهم التصويت على الثقة بالحكومة. بينما كان المجلس النيابي في جميع دوراته السابقة يسمح لهم بحق التصويت، وقد تمكن خليل كلاس ببراعته أن يخرج جميع النصوص من الدورات التشريعية السابقة التي تبين كيف أن رشدي الكيخيا ومعروف الدواليبي قد أفتوا بحق النواب الذين فسخت نياباتهم جزئيا بممارسة حق التصويت، وقد كانت هذه القضية هامة جدا لأن عدد النواب الذين فسخت نياباتهم كان كبيرا ويؤثر فعلا على موضوع الثقة بالحكومة. وفي ردي على دفاع رشاد برمادا عن موقف حزب الشعب قلت له:

"عندما كان لا يعنيكم أمر من فسخت نيابتهم جزئيا فإنكم لم تعترضوا على دستورية وجودهم وتصويتهم في المجلس النيابي بل أفتيتم بذلك، والآن فإنك تشعر معي ولا شك أن مخالفتكم بحضور وتصويت من فسخت نياباتهم جزئيا إنما هو اعتراض سياسي لا دستوري".

"إنني استغرب أن يبلغ الغرض السياسي حدا يحرم فيه المجلس من أن ينظر للموضوع من الناحية الدستورية، وهو حق له قبل أن يكون حقا للمحكمة العليا" "لماذا لم تقيموا الدنيا وتقعدوها في الماضي عندما فسخت نيابة بعض النواب جزئيا فأحال الموضوع رئيس مجلس النواب الاستاذ معروف الدواليبي وهو من حزبكم الى اللجنة القضائية ولجنة الدستور يستفتيها في الأمر فأفتت بالايجاب ان الدواليبي يعترض الآن على الواقعة ويحاول أن يبرر الموضوع فيقول: ربما تدخل اصحاب العلاقة بالمضوع، ويقول أيضا انني لم أقرأه (اي القرار) لأن صيغته قد وضعها من كان قبلي ولذلك لم أدققه جيدا.

"إنني لا اريد الآن أن أذكر ما يقوله الناس عن التدخل بالقضايا التي عرضت أمام المحكمة العليا وحول الطعون وحول قراراتها لأنه سوف يأتي وقت قريب يمكننا من بحث هذا الأمر بكل جلاء ووضوح".

ومع ذلك، ورغم كل الأدلة الوقائع المسجلة فإن رئيس المجلس ضرب بكل ذلك عرض الحائط ومنع النواب المفسوخة نيابتهم جزئيا من حق التصويت على الثقة مما حرم الحكومة عددا كبيرا من الاصوات.

□

في جلسة 22-2-1955 تلا رئيس الحكومة بيان الوزارة وهو لا يخرج عن البيانات الوزارية الأخرى، وإن وردت فيه بعض الفقرات المتناثرة التي تتعلق بالعمال والفلاحين، وكانت أهم مقاطعه ما يتعلق بالسياسة العربية والخارجية التي كانت موضع صراع ونزاع بضغط من ميخائيل ليان - داخل الحكومة وقد كانت صيغتها مقبولة وموفقة بالنسبة لتركيب الحكومة :

"إن السياسة الخارجية لحكومتنا تستوحي دائما مصلحة الأمة العربية، وما دام في عالمنا العربي أجزاء لم تستكمل بعد أسباب تحررها، فإن من الطبيعي أن تعمل سورية دائما مع الدول العربية الشقيقة لجعل سياسة الدول العربية تتجه قبل كل شيء الى خدمة قضايانا القومية لاستكمال تحرير جميع أجزاء الوطن العربي، والسير بالدول العربية نحو الوحدة العربية المنشودة.

وان سورية اذ تعتز بأنها أول بلد عربي يحقق استقلاله وسيادته خالصين من كل شائبة، فإن من الطبيعي أن تحافظ حكومتنا دائما على هذا الاستقلال وهذه السيادة، في ظل نظامنا الجمهوري الديمقراطي، وأن تعمل دائما لتجنيب سورية وبقية الاقطار العربية أخطار بسط السيطرة الاجنبية عليها.

وأن حكومتنا إذ تتفق في سياستها الخارجية مع التوصيات التي أقرها مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في اجتماعه الأخير في شهر كانون الأول الماضي، في أن سياسة الدول العربية تستند الى ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وميثاق الدفاع المشترك العربي والتعاون الاقتصادي، إلا أنها تنظر بتحفظ الى التوصية القائلة بالتعاون مع الدول الغربية ضمن شروط معينة، لأن كلمة التعاون غير محدودة المعنى، ونحن نود أن

يكون هذا التعاون دائما مع جميع الدول التي تربطنا معها علاقات الصداقة، ضمن الحدود التي يعينها ميثاق الأمم المتحدة.

وان حكومتنا ترى أن من بديهيات واجبات الدول العربية الدفاع عن أرض العرب ضد كل عدوان، وهي ترى في الوقت نفسه ان عدونا الأول إنما هو الصهيونية الباغية التي احتلت جزءا من وطننا العربي المقدس، ولذلك فإنها ستتجه في سياستها الخارجية الى مصادقة كل دولة ترعى صداقتنا وحاجاتنا وتقف الى جانب قضايانا المشروعة ولا سيما قضية فلسطين، واضعة نصب عينيها ان صديق العرب هو كل من يقف الى جانبهم في قضاياهم الحقة.

وان حكومتنا تتفق مع توصيات مؤتمر رؤساء الحكومات العربية الذي عقد مؤخرا بالقاهرة بعدم اقرار الأحلاف وبعدم الانضمام الى الحلف العراقي التركي المزمع عقده، وهي تعلن في هذه المرحلة من جهادنا القومي ان مصلحة الأمة العربية تقتضي بذلك في الظروف الراهنة، وهي لذلك ستبذل جميع الجهود لجعل هذه الخطة طابعا أساسيا للسياسة التي تنتهجها الدول العربية جمعاء، كما أنها ترى أن تتخذ التدابير اللازمة لجعل ميثاق الدفاع العربي اكثر فعالية، لصد كل عدوان يقع على البلاد العربية، وستوثق حكومتنا علاقاتها بدول المؤتمر الآسيوي الافريقي وتأمل أن يكون من بين ثمار مؤتمر جاكارتا تحسس هذا الجزء الكبير من دول العالم بعدالة قضيتنا القومية، ولا سيما مشكلة فلسطين.

أما سياستنا بشأن قضية فلسطين، وهي قضية الأمة العربية، فتقوم على أساس اعتبار الصهيونية حركة معتدية لا يمكن الاعتراف بما ينتج من اعتداءاتها، وعلى ان الجزء المغتصب من فلسطين جزء سليب من الوطن العربي ولهذا فإن حكومتنا ترفض كل صلح مع السلطات الصهيونية، كما ترفض الدخول معها في اية علاقة مهما كان نوعها، وستجد دائما في تشديد المقاطعة الاقتصادية عليها، وتعتبرها إحدى الوسائل الفعالة بالمرحلة الحاضرة من كفاح الأمة العربية ضد الصهيونية. أما علاقاتنا مع لبنان الشقيق فتقوم على اساسين: أولهما السعي الدائم لتوثيق وحدة الاتجاه في سياسة الحكومتين السورية واللبنانية في الحقل العربي وفي الحقل الدولي، وذلك برجوع الحكومتين الى بعضهما مقدما عن طريق المشاورات والاتصالات، وثانيهما السعي المتواصل لإقامة الوحدة الاقتصادية بين البلدين.

ولا بد من أن نؤكد أن حكومتنا راغبة رغبة مخلصة في تحقيق هذه الوحدة الاقتصادية، وانها تدرك مقدما أن الوحدة الاقتصادية تعني النظر الى مصلحة الكيان الاقتصادي السوري - اللبناني كوحدة اقتصادية لا كوحدتين منفصلتين ولهذا فلا مجال للحديث عن الأرباح والخسائر لهذا الفريق أو ذلك عندما تتخذ التدابير لتحقيق الوحدة الاقتصادية للبلدين الشقيقين.

أما الاتفاق الاقتصادي القائم حاليا بين سورية ولبنان فإننا ننظر إليه دائما كمرحلة موقتة وانهاء هذه المرحلة متوقف على جهود الحكومتين السورية واللبنانية وتعاونهما المخلص في الحقلين الخارجي والاقتصادي".

□

جرت مناقشة البيان الوزاري في جلسة 24-2-55 وقد تكلم بعض نواب حزب الشعب وبعض الوطنيين والمستقلين الضالعين فتوزعوا بينهم الأدوار وحاول بعضهم اللجوء الى الاثارة كما ورد في كلمة عبد اللطيف اليونس :

" إننا نريد أن نفهم قبل كل شيء ما هي الأسباب التي آخت بين حزبين كانا إلى الأمس القريب ومع الأسف الشديد- متعاديين متباعدين وهما البعث والوطني، إن الحزب الوطني يعتبر من اليمين والبعث الاشتراكي من اليسار ولكل منهما برنامجه وهدفه وخطته، وفيما نعتقد ويعتقد معنا الرأي العام ان الحزب العربي الاشتراكي لا يهادن في عقيدته ولا يجامل في قضيته ولا يداجي في فكرته ودعوته وانما هو صاحب فكرة صحيحة مركزة يعمل بكل امكاناته وقواه لتحقيقها ضمن السبل والأصول المشروعة، فما هي اليد السحرية الخفية التي آخت بين هذين الحزبين؟"

كان الهدف واضحا من مثل هذه الأقوال، فقد أراد النواب الضالعون من حلف بغداد إثارة الاستاذ ميشل ضد الائتلاف، بطلاء أقوالهم طلاء كاذبا من المديح لحزب البعث.

وفي إشارة إلى ازدواجية الحزب الوطني، وصبري العسلي بصورة خاصة، وبعد أن ايد فرزت المملوك في كلمته بريطانيا والاحلاف ونوري السعيد، انتهى المملوك إلى القول :

"وإذا كنت سأمنح هذه الوزارة الثقة فإنني أمنحها اعتمادا على ما في الصدور لا على ما في السطور".

فضج المجلس بالضحك واستطاع المملوك بخفة ظله وسلاطة لسانه أن يسدد للحكومة طعنة نجلاء.

بعد جلسة الثقة ظهر عجز ميخائيل ليان عن قيادة صبري العسلي وممثلي الحزب الوطني في الحكومة، فشرع يحاول أن يخرب لخالد العظم كتلته الديموقراطية فكسب عددا من اعضائها الذين انضموا الى جماعته في الحزب الوطني ومنهم أسعد هارون ونوفل الياس وغيرهم ولكن هؤلاء كانوا في الوقت ذاته على صلات وثيقة بمحمود رياض فلم يستفد ميخائيل اليان شيئا من ألاعيبه.

حاول فيضي الأتاسي أثناء مناقشة البيان الوزاري أن يبرر مواقفه ويدافع عن نفسه، ولكن الاستاذ خليل الكلاس تصدى له وذكره بمواقفه في لجنة الشؤون الخارجية بعد عودته من مصر من مؤتمر وزراء الخارجية في شهر كانون الأول فقال: سألك الزميل أكرم الحوراني سؤالين: الأول : هل ذهبت الى مصر ولديك رأي واضح اتخذ في مجلس الوزراء حول جميع المواضيع التي ستبحث هناك؟ والسؤال الثاني: هل عرضت وجهة نظر الحكومة السورية في أمر المساعدات والتعاون مع الغرب وفي أمر التحالف فكان جوابك سلبا على السؤالين وبررت ذلك بقولك :

ليس لنا (كريدي) عند أحد (أي ليس لنا اعتبار عند أحد) وقبل أن نفرض عليهم وجهة نظرنا ونحاول حملهم على قبولها يجب أن يثقوا بنا في بادئ الأمر وأن يثقوا ان في سورية حكما مستقرا... إن المجلس لم يطلع على حقيقة موقفكم إلا من القاهرة.

بهذه الأقوال أعاد الكلاس القضية الى محورها الصحيح وعندما جرى التصويت نالت الحكومة الثقة بـ 66 صوتا ومخالفة 53 صوتا. **وكان الاقتراع على الثقة -في الحقيقة- اقتراعا ضد الاحلاف وسياسة نوري السعيد وضد مواقف الحكومة السابقة واتجاهها...**

اثر فشل دعاة حلف بغداد في سورية اضطر نوري السعيد للاعلان عن ابرام العراق - وحده - الحلف مع تركية، وهكذا أعلن عن توقيع الحلف بعد عدة ساعات من نيل حكومة الائتلاف ثقة المجلس السوري.

كما تحركت مصر بسرعة، فأعلن ان الصاغ صلاح سالم سيزور سورية بتاريخ 26-2-1955، وقبل هذه الزيارة بيوم واحد، زارني في بيتي شخص من السفارة المصرية هو أحد اثنين (لا أذكر الآن بالضبط أيهما) إما الصاغ جمال حماد و أو الصاغ محمد فتحي الديب وقد عرف الثاني فيما بعد بتخريبه وإساءته للحركات الثورية في العالم العربي.

قال لي ذلك الرجل :

ان الصاغ صلاح سالم سيزور دمشق وان السفارة مستعدة لدفع الأموال اللازمة لاستقباله من قبل حزب البعث، ثم عقب على ذلك بقوله :

لقد دفعت السفارة لفيصل العسلي الأموال اللازمة ليساهم بهذا الاستقال.. قلت له :

عندما يفكر حزب البعث باستقبال صلاح سالم فإنه لا يفعل ذلك مأجورا بل لأنه يستقبل وزيرا عربيا يزور بلدا شقيقا.. فخجل الرجل وحول الحديث وسأل فيما إذا كنا نفكر في استقباله ... فأجبته :

إننا لم نفكر في هذا الموضوع حتى الآن، وبعد أن انصرف حزنت كثيرا لهذه الاساليب في تخريب ذمم القيادات والمنظمات والأحزاب السياسية، وتركت زيارته أثرا سلبيا في نفسي تجاه نظام عبد الناصر وتجاه صلاح سالم بصورة خاصة، ولكني كتمت الأمر عن رفاقي تجنبا لعدم إثارتهم.

هيأ فيصل العسلي استقبالا حافلا في مطار دمشق نوهت به الصحف ووصفته بالموكب الشعبي الذي رافق صلاح سالم الى القصر الجمهوري حيث استقبله هاشم الأتاسي بحضور محمود

رياض والقائم مقام جمال حماد ولم يكن في استقباله أحد من رجال الحكومة الى جانب الرئيس. وبعد مغادرته القصر خطب بالهتافين المأجورين، فرد عليه فيصل العسلي محييا مصر ورجال ثورتها.

ثم زار صلاح سالم نادي الضباط حيث ألقى خطابا عن الوحدة العربية ورد فيه:

"تعالوا لنقتسم كل شيء ونوزع كل ما نملك بيننا وبينكم لكي ننهض بأمتنا العربية".

انني ابشركم ان مصر على استعداد لتحقيق هذا الأمل منذ اليوم وان الميثاق العربي الذي سنعقده سيكون معدا للتنفيذ منذ توقيعه" "إن سورية ومصر عازمتان على التوجه عما قريب بهذه الدعوة الى كل الحكومات العربية التي تريد أن توحد معنا جيشها وسياستها وطريقها وكفاحها واقتصادها لكي تحقق حلم العرب بالسير نحو الوحدة"

وقد قوبل خطابه من قبل ضباط الجيش بحماسة منقطعة النظير، ثم صرح خالد العظم :

"إن المباحثات تدور بين الحكومة والصاغ حول إقامة ميثاق عربي جديد يحل محل الضمان الجماعي، وان هذا الميثاق يفسح المجال لكل الدول العربية أن تنضم إليه إذا تعهدت ألا تنضم إلى ميثاق آخر قبل موافقة الدول العربية الأخرى المصدقة عليه" "إن المجال لا يزال مفتوحا أمام العراق لكي ينضم الى الميثاق الجديد إذا تحرر من الحلف مع تركيا".

قام صلاح سالم بزيارة مكاتب الأحزاب وابتدأها بزيارة مكتب الحزب الوطني حيث كشف لرجاله أسرار مباحثاته مع رئيس الجمهورية اللبنانية فقال :

إن كميل شمعون أصر على اجتماع عبد الناصر مع نوري اسعيد في بيروت فتعهدت له أن يتم هذا الاجتماع دون قيد أو شرط من جانب الرئيس جمال فأبرقنا بذلك إلى جمال عبد الناصر ونوري السعيد، فجاء جواب جماعة جمال بالموافقة في اليوم نفسه، وانتظرنا جواب نوري السعيد أياما، ثم جاء جوابه بإذاعة نبأ توقيع الحلف مع تركية.

كان صلاح سالم شديد الاهتمام باجتماعاته مع الفئات والاحزاب الرجعية، فلم يترك أحدا من دعاة الحلف إلا وقام بزيارته كما قدم له حسن الحكيم مذكرة كرر فيها أراءه المعروفة وتبريراته لإقدام حكومة العراق على الاتفاق مع تركية طالما أن مصر وقعت معاهدة الجلاء مع بريطانيا وقبلت بعودة جيوشها الى منطقة القتال في حالة العدوان عن إحدى الدول العربية أو على تركية.

كانت زيارة الصاغ لمكتب الحزب هما كبيرا لنا، فقد كان الاستاذ ميشل معاديا لنظام عبد الناصر لذلك أوعز إلى جماعاته بالمقاطعة، إلا عددا قليلا منهم ليدخلوا بمناقشات مع صلاح سالم هدفها إحراجه واخراجنا، ولم أكن أرى من المفيد في ذلك الظرف أن نصطدم معه وبتاريخ 29-2-55 توجه صلاح سالم الى مكتب الحزب تتقدمه الموتوسيكلات والسيارات العسكرية فاستقبلته والريماوي عند باب المكتب، ودام اجتماعه بنا ما يقارب الساعة.

بدأ النقاش معه حول قبول مصر المساعدات الاقتصادية الغربية ولا سيما النقطة الرابعة فانزعج الصاغ وشرع يبرر قبول هذه المساعدات بحجج واهية، فاضطررت أن افندها بهدوء ومحبة وأبين له أن امريكا لا تقصد بهذه المساعدات إلا التغلغل السياسي والفساد والتجسس على البلاد، وأردت أن ألفت نظره إلى ضرورة التفريق بين المساعدات التي يمنحها الغرب للعرب وبين المساعدات التي يمنحها للدول الأخرى في العالم، لأن الغرب في المنطقة العربية هو رسول اسرائيل ولا يمكن للولايات المتحدة أن تبذل قطرة من المساعدات إلا ووراءها خدمة لمصالح إسرائيل التوسعية ... فقال صلاح سالم : إنه إذا تيسر حكم وطني كما هو الحال في مصر فإن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تتلاعب بحجة هذه المساعدات، وأعطى أمثلة على ما يجري في مصر من أعمال النقطة الرابعة... والمهم ان بحثه ومناقشته لنا لم تتسم بالود، بل كان طابعها (الجفاصة) ولم أكن مرتاحا من مقابلته، بل ترك في نفوسنا أثرا سيئا. ترى ما الذي جعل صلاح سالم يؤجل زيارة مكتب الحزب فيجعلها آخر زياراته؟ أكان امتناعنا

عن استقباله هو السبب؟ أم كان السبب موقف ميشيل عفلق المتحفظ؟

أم أن عبد الناصر والصاغ كانا يعرفان الخلاف الذي نشأ بين عدنان المالكي والحزب اثر انتخابات دمشق؟ وهنا لا بد لي بأن أنوه بأن جميع الجهود التي بذلتها لإعادة الصفاء بين عدنان والحزب قد ذهبت سدى ولكن رابطة المودة والمحبة ظلت قائمة بيني وبين المرحوم عدنان.

في اليوم الثاني أذيع أن مجلس الوزراء السوري قد وافق على ميثاق عربي جديد يوحد قيادة الجيوش العربية ويجنب الاعضاء سياسة الاحلاف، كما ينسق العلاقات الاقتصادية بين هذه الدول لتصل إلى الوحدة الاقتصادية.. أما إذاعة الاتفاق نفسه فقد أرجئ إلى ما بعد رجوع وزير الخارجية خالد العظم والصاغ من رحلتهما إلى عمان وبيروت لدعوة الأردن ولبنان للتوقيع على هذا الاتفاق.

أطلع خالد العظم لجنة الشؤون الخارجية على نتائج المباحثات التي أجراها مع الصاغ وعلى موقف الحكومات العربية والاجنبية من الحلف العراقي التركي وعلى عزمه زيارة بقية العواصم العربية تنفيذا للعهد الذي قطعته الحكومة على نفسها في بيانها الوزاري بسعيها لدى جميع الحكومات العربية لجعلها توحد سياستها على اساس تجنيب البلاد العربية سياسة الأحلاف العسكرية وإقامة قيادة موحدة للجيوش العربية، كما اطلع خالد العظم اللجنة على مذكرة قدمتها السفارة الأميركية في دمشق للحكومة السورية خلاصتها:

إن الحكومة الاميركية ترغب الى الحكومة السورية عدم اتخاذ خطوات تعارض حلف نوري - مندريس ريثما يأتي اليوم الذي تستطيع فيه سورية الانضمام إلى هذا الحلف، كما تشير المذكرة إلى أن الحكومة الاميركية تعتبر كل منظمة أخرى كالجامعة العربية والضمان الجماعي العربي لا يمكن الاعتماد عليهما للدفاع عن الشرق الأوسط، وان امريكا لا يمكنها أن تبعثر قواها ومعداتها،

لذلك فهي ليست على استعداد لاعطاء أسلحة لغير المنظمة التي تقوم على اساس الحلف العراقي التركي كما أنها في الوقت نفسه ترى أن تسوية الأوضاع مع اسرائيل شيء أساسي بالنسبة لقيام هذا الحلف وإعداد الجهاز المرغوب به للدفاع عن الشرق الأوسط...

اقترحت على خالد العظم إذاعة هذه المذكرة على الرأي العام فلم يوافق على ذلك وكنت أرى أن إذاعتها ستعمل على المزيد من رص الصفوف الوطنية وتضع حدا لدعاة الأحلاف مع الغرب الذين استشرت مكائدهم على كل المستويات الاعلامية والسياسية والمجلسية، وكنت أرى أن نشرها يساهم في فضح نوايا الولايات المتحدة ودعمها لاطماع اسرائيل التوسعية... لذلك عملت على تسريب خلاصة عنها إلى صحيفة الرأي العام، وقدرجع خالد العظم الى رأيي بعد فترة وجيزة فأودع المجلس النيابي نص المذكرة بعد أن قدم لها بخطاب يعتبر من أهم خطبه (ص2 346 الجزء الثاني ، المذكرات) وقد روى خالد العظم في مذكراته قصة هذه المذكرة فقال :

"في 26-2-55 توجهت الى مكتب رئيس الوزراء لأبحث معه أمورا تتعلق بوزارتي ففوجئت بوجود (المستر موس) سفير الولايات المتحدة ومعه سكرتيره السيد فؤاد الغميان، فرايت السفير الاميركي ماسكا بيده ورقة مكتوبة فتوقف عن تلاوتها قائلا لي : أحببت زيارة دولة الرئيس لأطلعه على ما تلقيت من حكومتي وكنت عازما على زيارتكم لاطلعكم أيضا على محتوى المذكرة، وهكذا أراد المستر موس الاعتذار عن زيارته لرئيس الحكومة وتبليغه ما كان عليه أن يبلغني إياه قبل أي شخص آخر بصفتي وزيرا للخارجية، ويبدو أن السفراء العرب والأجانب قد اعتادوا على الاتصال برئيس الحكومة ووزير الخارجية وحتى بسائر الوزراء سعيا منهم لايجاد ثغرة بين الوزراء ينفذون منها سهامهم المسمومة ، أو لعلهم كانوا حيال كل واحد من الوزراء يتخذون الموقف الملائم لسياسته تجاهم أو سياستهم تجاهه (ص338 الجزء الثاني).

□

حملة استعمارية كبرى على بلد صغير مطوق من جهاته الأربع .

لم يتعرض بلد في العالم صغيرا كان أم كبيرا لحملات الضغوط الاعلامية والسياسية والعسكرية والتآمرية ما تعرضت له سورية بعد توقيع حلف بغداد بين العراق وتركية.

كانت هذه الحملة تتصاعد يوما بعد يوما على بلد صغير محاصر ومطوق من جهاته الأربع . وقد ذكرت شيئا عن بداية هذه الضغوط الاعلامية والسياسية ونشاط أجهزة المخابرات الاجنبية والعربية الهستيري لإثارة القلاقل والفتن الداخلية واستخدام العملاء في مجلس النواب والوزارة والكتل والاحزاب والمنظمات السياسية، فما أن شرع وزير الخارجية خالد العظم بمباحثاته مع الصاغ صلاح سالم حتى أسفر ميخائيل ليان عن وجهه فبدأ يضغط على صبري العسلي ليعرقل هذه المباحثات واصبحت اجتماعات الوزارة كما قال خالد العظم في مذكراته:

"مطبوعة بطابع التناحر وحل الخصام محل الوئام وبات ميخائيل ليان يهدد بإسقاط الوزارة، وهكذا بدأت المعركة بين صفنا والصف الآخر المؤلف من حزب الشعب والحزب الوطني الذي يمثله ليان وليون زمريا والنواب المستقلون ومشايخ العشائر ومعظم سفارات الدول الأجنبية التي نشطت أجهزتها نشاطا كبيرا ضد عقد الميثاق العربي مع مصر". (ص 388 - 389 الجزء الثاني)

قامت اسرائيل في هذه الفترة بعدوانين ، أحدهما كبير على قطاع غزة ذهب ضحيته 38 قتيلا و 31 جريحا من زهرة ضباط وجنود الجيش المصري، وبعدوان آخر على سورية بتاريخ 2-3-55 عندما أنزل الاسرائيليون جنودهم على ساحل طبريا تحت حماية الزوارق الحربية المسلحة وهاجموا قرية مسعدة ولكنهم أخفقوا في هذا الهجوم، أما المجزرة التي قاموا بها في قطاع غزة فقد كانت بليغة الأثر لأنها أدت إلى عكس ما هدف اليه الاستعمار واسرائيل، وقد شعرت بصفتي مواطنا عربيا بعد هذه المجزرة التي

تشبه مجزرة قبية بضرورة عقد الميثاق مع مصر مهما كلفنا من ثمن، وقد انتبهت جريدة التايمس الى أثر هذا العدوان في نفوس العرب فعلقت عليه بقولها: "إن رعونة اسرائيل من هجومها الأخير على قطاع غزة ستمكن حكومة مصر من عقد ميثاق عربي جديد ينافس محور بغداد - انقره - كراتشي كما أنه سيمكن جمال عبد الناصر من التشدد في مقاومة كل ضغط بريطاني أو اميركي يقصد منه الوصول إلى ايجاد تفاهم مع اسرائيل".

لم تعد مصر منذ ثورة 23 تموز 1952 تهتم بالقضية الفلسطينية، بل كانت على العكس تبدي جنوحا ملحوظا لمهادنة اسرائيل، ولكن العدوان الاسرائيلي الوحشي على غزة أيقظ بنظام عبد الناصر الشعور بالمرارة والخطر الذي أخذ أثره يبدو واضحا على السياسة المصرية، وفي أجهزة إعلامها.

وفي تلك الفترة كان الدكتور وهيب الغانم ممثل الحزب في الوزارة ينقل إلينا مراحل المباحثات المصرية السورية، ثم أطلعنا على التصريح المشترك المصري السوري الذي اقترن بموافقة مجلس الوزراء، وفيما يلي نصه :

اجتمع السادة صبري العسلي رئيس مجلس الوراء وخالد العظم وزير الخارجية ووزير الدفاع الوطني بالوكالة - عن الجانب السوري، والصاغ أركان حرب صلاح سالم وزير الإرشاد القومي - عن الجانب المصري - وذلك في دمشق ما بين 26-2-55 و 2-3-55 . ولما كان الاتفاق تاما بين الحكومتين المصرية والسورية في السياسة الخارجية، فقد تشاور الطرفان بالموقف العربي في الظروف الراهنة، وتبادلا الرأي في الوسائل المؤدية إلى تقرير الكيان العربي سياسيا وعسكريا واقتصاديا فوجدا ان الأسس التالية هي الضامنة لتحقيق هذه الاهداف :

أولا: عدم الانضمام الى الحلف التركي - العراقي أو أية أحلاف.

ثانيا: إقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادي عربي مشترك ترتكز على الامور التالية:

أ- الالتزام بالاشتراك في صد أي عدوان يقع على إحدى دول المنظمة.

ب- انشاء قيادة مشتركة دائمة، لها مقر رئيسي، تشرف على تدريب القوات العسكرية التي تضعها كل دولة تحت تصرف تلك القيادة، وعلى تسليحها وتنظيمها وتوزيعها وفقا للخطة الدفاعية المشتركة. كما تتولى هذه القيادة تنسيق الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية.

ج- عدم قيام أي دولة مشتركة في المنظمة بعقد اتفاقات دولية، عسكرية أو سياسية، بدون موافقة بقية أعضاء المنظمة.

د- دعم الاقتصاد بين دول المنظمة تمهيدا لتحقيق الوحدة الاقتصادية الجامعة وتبنى الفريقان الأمور الآتية :

1- احداث مصرف عربي يصدر نقدا عربيا، وتؤلف لجنة فنية لوضع قواعد هذا المشروع تهيئة لإقراره.

2- إعادة النظر في نظام التبادل التجاري العربي المعمول به حاليا رغبة في تعزيزه وتوطيده بإعفاء المنتجات والمصنوعات المحلية من الرسوم الجمركية أو تخفيض هذه الرسوم لأدنى حد ممكن.

3- تشجيع تأليف شركات مساهمة برؤوس أموال عربية مشتركة للقيام بمشاريع زراعية وصناعية واسعة وبأعمال الملاحة الجوية والبحرية والتأمين وغيرها ...

4- تأليف مجلس اقتصادي عربي لتوجيه هذه السياسة الاقتصادية والاشراف عليها.

ثالثا: الاتصال بالحكومات العربية لعرض الأسس والمبادئ المذكورة في هذا البيان، ودعوة الدول العربية الموافقة عليها الى عقد مؤتمر توضع فيه النصوص مع تفاصيلها لإقرارها وإنفاذها فور ابرامها، على أن يعقد هذا المؤتمر خلال شهر آذار (مارس) 1955 ، وأن يضم رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية والدفاع الوطني والمالية والاقتصاد ورؤساء الأركان.

دمشق 2-3-55

صلاح سالم　　خالد العظم　　صبري العسلي

□

كان الاتفاق ألا يذاع نص التصريح المشترك إلا بعد عرضه على الحكومات العربية لاقناعها بالتوقيع عليه فسافر خالد العظم وصلاح سالم بتاريخ 1955/3/3 إلى عمان لتحقيق هذا الغرض فأخفقا بإقناع الملك حسين بالتوقيع عليه ولكن وزير خارجية الأردن السيد وليد صلاح اقترح للمرة الأولى على سورية ومصر استبدال المعونة البريطانية بالمعونة العربية فوافقه صلاح سالم على اقتراحه، ومن عمان توجها إلى السعودية برفقة الشيخ يوسف ياسين فصدر البيان التالي موقعا من قبل وزير الخارجية الأمير فيصل وخالد العظم وصلاح سالم وهذا نصه :

عقد في الرياض اجتماع في يوم السبت 10 رجب 1374 و 5 مارس 1955، برئاسة حضرة صاحب الجلالة الملك سعود، ملك المملكة العربية السعودية، وحضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل، رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية السعودية، والسيد خالد العظم، وزير الخارجية السورية ووزير الدفاع الوطني السوري بالوكالة، والسيد الصاغ أركان حرب صلاح سالم، وزير الارشاد القومي المصري.

وقد عرض في هذا الاجتماع ما تم الاتفاق عليه بين الحكومتين السورية والمصرية في البيان المشترك، الذي وقعته سورية ومصر يوم 7 رجب 1374، أو 2 مارس 1955. ولقد وافق صاحب الجلالة الملك سعود، باسم المملكة العربية السعودية موافقة كاملة على ما جاء في ذلك البيان المشترك، بغير أي تحفظ، وأبدى جلالته رغبته الشديدة في ضرورة الاسراع الى عقد المؤتمر الذي دعا إليه البيان، تحقيقا لأماني الأمة العربية وأهدافها ، والله الموفق .

فيصل خالد العظم صلاح سالم

□

يروي خالد العظم في مذكراته (ص 393 الجزء الثاني) أنه عند وصوله الى مطار دمشق وقبيل متابعة سفره إلى لبنان هتف إلى صبري العسلي الذي وافاه الى مطار المزة ونقل إليه ما يحيكه معارضو البيان في سورية من دسائس ومؤامرات لاحباطه، وكيف انهم اتصلوا بالحكومة اللبنانية لحملها على رفض البيان

المشترك وأن ميخائيل ليان هو في مقدمة العاملين في هذا السبيل بل لعله اكثرهم حماسة واندفاعا، "وكان يرافق كلام العسلي اضطراب نفسي ناشئ عن حيرته في الموقف الذي يجدر به اتخاذه، إذ كان محشورا بين جبهتين احداهما التي كان يريد مسايرتها على ما أظن وهي جبهتنا، والثانية هي الجبهة التي تضم اكثرية حزبه وعلى رأسها ميخائيل ليان ومن ورائها جماعة العراق وكان يتحسب لانفراط كتلته في الحزب الوطني المساندة لوزارته فتهوى رئاسته وقد لا يعود إليها مرة ثانية".

وفيما يلي بعض وثائق حلف بغداد التي وردت خلال محاكمة السيد نجيب الراوي سفير العراق في سورية خلال تلك الفترة، وهي تشير إلى حيرة رئيس الوزراء صبري العسلي، وتأرجحه بين الجبهتين :

من دمشق الرقم 45

الى خارجية بغداد التاريخ 6-4-1955

قابلت رئيس الوزراء مساء أمس وسألته عن تطور الموقف بالنسبة الى الاتفاق الثلاثي المقترح. ان وفدهم عاد مؤكدا ان الحكومة المصرية ابلغتهم بانها ستترك كل تعاون عربي إذا لم يعقد الاتفاق معها وكذلك فان مجلس الوزراء السوري يدرس الموضوع الآن وقال ان هنالك ضغطا قويا من الجيش لعقد الاتفاق ومع اصرار المصريين على التوقيع الآن فانه لا يعتقد ان ذلك ممكن قبل نهاية الشهر وذكر ما قاله المصريون عن الاتفاق العراقي البريطاني وعن خطاب ايدن فكررت ما شرحته امس من أن فخامة رئيس الوزراء أوضح للوفد السوري في بغداد بصراحة ان بريطانيا سوف تنضم للاتفاق العراقي التركي وستلغى المعاهدة قال ان المصريين في وضع عصبي ومن المصلحة مسايرتهم حتى تهدأ الأمور ونحن نؤمن بأن كل الدول العربية ستدخل في الاتفاق الجديد لا سيما العراق، قلت اعتقد أنه ليس من مصلحة سوريا ان تساير مصر والعربية السعودية بهذا الأمر وهي تعرف تماما أن الذي ينجدها هو العراق وان هذه الحزازات ليست في مصلحة العرب قال سنبذل جهدنا لأن يكون الاتفاق عاما والا فلا يتأخر دخول العراق الا فترة يسيرة ولن يكون في الاتفاق أي شيء ضد الاحلاف وقال انني افهمت الوزير المفوض

التركي اننا مع الغرب واننـي آمـل أن تنضـم سـوريا وبقيـة الـدول العربيـة الـى الحلـف العراقـي التركـي فـي المسـتقبل لكـن ذلـك غيـر ممكـن الان بسـبب الظروف الحالية وقال انني أكدت له أننا ننظر الى تركيا بعين الود ونفينـا لـه مـا قيل عن حشد قوات أو طيارات في الشمال.

اجتمعت بالوزير المفوض التركي فأيد لي ذلك وقـال أن احاديـث رئـيس الوزراء كانت وديـة وصـريحة دائمـا واكثـر مـن وزيـر الخارجيـة. (ص 1698 الجـزء الرابع من كتاب محكمة الشعب)

من وزارة الخارجية الرقم 47

الى عراقية - دمشق التاريخ 7-4-1955

برقيتكم 45 حول مقابلة رئيس الوزراء .

لم نفهم القصد الحقيقي من قول دولته ان التوقيع سوف لا يكون قبـل نهاية الشهر. يرجى افهام دولته بكل صراحة وبالحرف الواحـد بـأن العـراق وقـد عمل كل ما في استطاعته لايضاح الموقف وملابساته ومـع كـل مـا يشـعر بـه من الحرص على مصالح الشعب السـوري، فإنـه لا يسـتطيع السـكوت إذا تـم هذا التوقيع في اي وقـت كـان ارضـاء للسياسـة المصـرية التـي لا تراعـى مـع الاسف غير بعض المصـالح الاقليميـة الضـيقة وتهمـل المصـالح العربيـة بصـورة عامة. والسورية بصورة خاصة ولا يتحمل العراق اي مسؤولية كانـت مـن اتبـاع سوريا للسياسة المصرية المذكورة ارضاء للسلطات الحاكمة في مصـر يرجـى كذلك اطلاع من ترون اطلاعهم من الزعماء المسؤولين علـى ذلـك. (ص 1699 - كتاب محكمة الشعب)

من - عراقية دمشق الرقم 48

الى - خارجية بغداد التاريخ 11-4-1955

برقيتكم 47

قابلت رئيس الوزراء وابلغتـه الـنص المـذكور وقـال اننـي أؤمـن بالوحـدة العربية وأرى أن اتحاد قطرين عربيين هو خطوة لهـذه الوحـدة ولا سـيما اتحـاد العراق وسوريا فأنا أؤمن به واتمنى لو أمكن قيامه اليـوم ولكـن هنالـك عقبـات دونه واننا ادرنا ظهرنا عن مشروع الاتفاق الثلاثي الذي جاءت به مصر وتقـدمنا

بأسس لمشروع اتحاد عربي جديد مفتوح لجميع الدول العربية ولست متيقنا أن مصر والسعودية ستقبلان به كما هو ونحن مضطرون الى عمل شيء ارضاء للرأي العام. قلت ان العراق أول بلد يسعى للوحدة العربية ولكن فكرة المشروع المصري ليس الا نتيجة للضجة التي أقامها حكام مصر بسبب الاتفاق العراقي التركي. (ص 1699 - كتاب محكمة الشعب)

كان من المعروف سلفا موقف رئيس الجمهورية اللبناني كميل شمعون من الميثاق العربي الذي رفض التوقيع عليه، ولكنه أراد من جديد أن ينصب نفسه حكما وسيطا بين الفريقين ليتستر على مواقفه المفضوحة بتأييد الغرب واحلافه، فرفض صلاح سالم توسطه.

عاد خالد العظم إلى دمشق بعد أن أخبر صلاح سالم بأن في نيته زيارة بغداد وعرض وجهة نظر سورية على العراق مبررا له فوائد هذه الزيارة، والحقيقة أن خالد العظم شعر بأن الوزارة قد اصبحت على كف عفريت فأراد أن يهدئ قليلا من الجو المحموم الذي أشاعته بريطانيا والولايات المتحدة وتركيا وحكومة العراق واسرائيل في سورية، ولكن ذلك لم يرجئ اعلان البيان المشترك السوري المصري السعودي بتاريخ 6-3-55 في دمشق والقاهرة والرياض في موعده المحدد.. وفي الوقت نفسه تابعت الولايات المتحدة كشف الستار عن سياستها ونواياها، فبعد تقديم مذكرتها التي اشرنا إليها سابقا القى وكيل وزارة الخارجية الأميركية المعاون والمكلف بشؤون الشرق الأدنى خطابا أمام ممثلي المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة بتاريخ 5-3-55 جاء فيه :

"أن ضم اسرائيل في وقت قريب في نظام للدفاع المشترك عن منطقة الشرق الأوسط يبدو جد منطقي إذا أخذنا بعين الاعتبار كون اسرائيل قد اعربت خلال العام المنصرم بصراحة عن رغبتها في الانضمام إلى الغرب والتعاون في الدفاع عن الشرق الأوسط ضد أي عدوان خارجي".

"إن اسرائيل تتمتع بقوة عسكرية قادرة على المساهمة بصورة ملحوظة في الدفاع عن هذه المنطقة" "إن الحالة الدولية لا تساعد على

الانتظار لأن منطقة الشرق الأوسط ما زالت هدفا لمطامع السياسة السوفياتية وإن فقدان هذه المنطقة سيكون بمثابة كارثة كبيرة للعالم الحر".

تركيا تنذر.

قبل يوم من نشر البيان المشترك السوري المصري السعودي وجهت تركيا إنذارا لسورية ومصر على لسان رئيس الوزارة التركية جاء فيه: "على الرغم من كل اهتمامنا الصادق ومن كل الود الذي نكنه نحو مصر فإن هذه الأخيرة ما زالت بكل أسف تواصل سياستها العنيفة الغضبى ضد تركيا والعراق. أما فيما يتعلق بالاتفاق المبدئي الذي تم الوصول إليه بين سورية ومصر فإذا صحت معلوماتنا فإن الفريقين قد وقعا على وثيقة تحظر عليهما عقد أي اتفاق دولي مع دولة غير عربية ويحرم كل تعاون مع تركيا والعراق.

إن الضغط الذي تحاول مصر ممارسته على بعض الدول العربية قد أصبح من الغلو بحيث يتعارض مع استقلال هذه الدول. أما نحن فإننا نضمر عاطفة أطيب في احترامنا للاستقلال الكامل لكل الدول واستقلال جارتنا سورية بوجه خاص، وكما أن من الطبيعي أن يتتبع السوريون باهتمام ما يجري في تركيا من أمور، فطبيعي أيضا أن يهتم الأتراك بكل ما يجري في سورية، ولهذا السبب نرى أمرا بالغ الخطورة في أن تكون سورية بعقدها الاتفاق المذكور قد انحازت الى الموقف غير اللائق وغير الودي في الغالب، الذي تقفه حيالنا الحكومة المصرية وليس يكفي ألا نرضى مثل هذا الموقف فحسب، بل نحن لا نستطيع أن نقبل بأن يحرم بلد ما بالقوة من حرية التصرف، ومن إمكانية متابعة السياسة التي تتلاءم مع مصالحه الخاصة، ومصر دون أن تتردد أمام اي عمل غير مشروع ولا اي وسيلة من وسائل الضغط قد أرغمت السوريين على الرضوخ لمشيئتها، فإذا ذهبت الأمور إلى أبعد من ذلك فإنه لن يمكننا إلا أن نحس بالقلق على العلاقات التركية السورية التي نرغب أن تكون على أكثر ما يمكن من الود". وقد رد صبري العسلي على هذا الانذار التركي بقوله :

"إن سورية مدفوعة بحرصها الشديد على الدفاع عن كيانها تجاه الاخطار التي تهددها والعدو الصهيوني الجاثم على مقربة منها تعمل من أجل سلامتها وسيادتها وحريتها وتتعاون مع جميع شقيقاتها الدول العربية تعاونا صادقا مثمرا لما فيه خير العرب ومصلحتهم القومية العليا، هذه المصلحة التي

لا تتناقض ولا تتنافى مع جميع المجهودات العاملة في هذا العالم لمصلحة العدالة والسلام والحق ضمن حدود ميثاق الأمم المتحدة وأهدافه التي يشير بها، وليس في مساعينا المشتركة في سبيل هذه الغاية القومية الرفيعة المنزهة عن أي غرض أو حقد أو مطمع من المطامع ما هو موجه قط ضد الجارة التركية أو أي دولة أخرى، فإن سلامة القصد وحسن النية والاهداف القومية والانسانية هي رائدنا ومبتغانا".

بعد الانذار التركي، قدم السيد نجيب الراوي وزير العراق المفوض في دمشق الى رئيس الوزراء السوري صبري العسلي نص الميثاق المعقود بين تركيا والعراق مع أسبابه الموجبة والكتابين الملحقين به، وفيما يلي نصوصها :

الأسباب الموجبة:

كان الركنان الأساسيان لسياسة العراق الخارجية منذ تأسيس كيانه هما خدمة الاهداف العربية وتأمين سلامة العراق باعتباره دولة لها - بحكم موقعها الجغرافي - ظروفها الخاصة التي ينبغي مراعاتها للمحافظة على سيادتها واستقلالها وبقائها عضوا نافعا في مجموعة الدول العربية، ولذا فقد دأب العراق على توطيد علاقاته بجاراته وبالدول الكبرى التي ارتبطت مصالحها بمصالح العراق، وقد قام منذ سنة 1926 بعقد سلسلة معاهدات مع تركيا كان آخرها معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة في سنة 1946 التي أقرت ان السلم والأمن في البلدين مندمجان في السلم والأمن لشعوب العالم وخاصة لشعوب الشرق الأوسط.

وبالنظر إلى الأحوال العالمية القائمة وضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لصيانة سلامة العراق واستتباب الأمن والسلم في المنطقة بصورة عامة، وكذلك لتنظيم علاقات العراق بالدول الغربية بعد أن اصبح التعاون مع هذه الكتلة مبدأ مقبولا اقرته الدول في مختلف المناسبات ونظرا لما ورد في الاتفاق المصري البريطاني الأخير الذي اعتبر أي هجوم يقع على احدى دول الجامعة العربية أو على تركية خطرا يهدد سلامة المنطقة بأجمعها ويوجب عودة القوات البريطانية الى قاعدة قنال السويس، فقد ارتؤى عقد ميثاق يستند إلى المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة التي اعترفت بالحق الطبيعي للدول الأعضاء فيها - فرادى وجماعات- في الدفاع عن أنفسها ضد وقوع أي

هجوم مسلح عليها، وقد ترك الباب مفتوحا في هذا الميثاق لانضمام الدول العربية والدول المجاورة، وكذلك لانضمام الدول الأخرى التي يهمها أمر السلم والأمن في هذه المنطقة، ويجوز فيما بعد عقد اتفاقات خاصة بين دولتين أو اكثر من الدول الموقعة أو المنضمة بغية تحديد التدابير التي تقتضيها طبيعة التعاون بينها، ومن شأن هذا الميثاق والحالة هذه أن يؤدي إلى تصفية علاقات العراق مع دول الغرب وتنظيمها على أسس جديدة تقتضيها مصالحها المتبادلة، وقد أخذ بعين الاعتبار عدم تعارض هذا الميثاق مع التزامات العراق بوصفه عضوا في معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية (الضمان الجماعي العربي) التي تستند هي الأخرى الى المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، كما أن هذا الميثاق لا يتعارض مع التزامات العراق الدولية بموجب ميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية، بل إنه يعززها ويخدم أهدافها.

ونظرا لحرص العراق الشديد على قضية فلسطين التي كرس لخدمتها والدفاع عنها جهودا متواصلة، فقد أرفقت بالميثاق كتب متبادلة تعهد فيها الطرفان بالتعاون الوثيق على اتخاذ الاجراءات التي تضمن تنفيذ قرارات الأمم المتحدة حول قضية فلسطين. نظرا لكل ذلك فقد وضعت هذه اللائحة.

نص ميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركيا

لما كانت علاقات الصداقة والأخوة السائدة بين العراق وتركيا في نمو مطرد، واستكمالا لما جاء في معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة بين حضرة صاحب الجلالة ملك العراق وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية الموقع عليها في انقرة في 29 آذار 1946 التي اقرت ان السلم والأمن بين البلدين جزء لا يتجزأ من السلم والأمن لشعوب العالم وخاصة شعوب الشرق الأوسط وأساس لسياستهما الخارجية.

ولما كانت المادة الحادية عشرة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية تنص على أن ليس في أحكامها ما يمس أو يقصد به أن يمس بأية حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التي قد تترتب للدول الاطراف فيها بمقتضى ميثاق هيئة الأمم المتحدة.

ونظرا لإدراكهما عظم المسؤولية الملقاة على عاتقهما بوصفهما عضوين في هيئة الأمم المتحدة التي يهمها استتباب الأمن والسلم في

منطقة الشرق الأوسط مما يوجب اتخاذ التدابير اللازمة لذلك وفقا لأحكام المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة.

فقد اقتنعنا بضرورة عقد ميثاق يحقق هذه الأهداف وعينا لهذا الغرض مندوبين مفوضين.

عن حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني: ملك العراق :

صاحب الفخامة السيد نوري السعيد رئيس الوزراء ، صاحب المعالي السيد برهان الدين باش أعيان وكيل وزير الخارجية.

عن حضرة صاحب الفخامة جلال بايار رئيس الجمهورية التركية :

صاحب الفخامة عدنان مندريس رئيس الوزراء، صاحب المعالي البروفيسور فؤاد كوبرولو وزير الخارجية ... الذين بعد أن قدم كل منهم أوراق تفويضه للآخر فوجدها صحيحة ومطابقة للاصول اتفقوا على ما يلي :

المادة الأولى : يتعاون الفريقان الساميان المتعاقدان لغرض صيانة سلامتهما والدفاع عن كيانهما وفقا لأحكام المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، ويجوز أن تثبت التدابير التي يتفقان على اتخاذها لجعل هذا التعاون نافذا باتفاقات خاصة تعقد بين احدهما والآخر.

المادة الثانية : لغرض تحقيق التعاون المنصوص عليه في المادة الأولى اعلاه والعمل على تأمينه تقوم السلطة المختصة لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين بتحديد التدابير التي ينبغي اتخاذها عند وضع هذا الميثاق حيز التنفيذ وتصبح هذه التدابير معمولا بها حال اقترانها بمصادقة حكومتي الفريقين الساميين المتعاقدين.

المادة الثالثة : يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بالامتناع عن التدخل بأي شكل من الاشكال في الشؤون الداخلية لأحدهما دون الآخر ويقومان بفض اي نزاع بينهما بالطريقة السلمية وفقا لميثاق هيئة الأمم المتحدة.

المادة الرابعة : يؤكد الفريقان الساميان المتعاقدان انه ليس في احكام هذا الميثاق ما يتناقض والالتزامات الدولية التي يرتبط بها أحدهما مع دولة ثالثة، كما أنها لا يمكن أن تخل أو تفسر بما يفهم منه الاخلال بتلك

الالتزامات الدولية، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن لا يدخلا في أي التزامات دولية تتعارض وهذا الميثاق.

المادة الخامسة: يكون هذا الميثاق مفتوحا للانضمام اليه من قبل اي دولة من دول الجامعة العربية وغيرها من الدول التي يهمها أمر السلم والأمن في هذه المنطقة بصورة فعالة والمعترف بها اعترافا كاملا من كلا من الفريقين الساميين المتعاقدين ويصبح هذا الانضمام نافذا اعتبارا من تاريخ ايداع وثائق انضمام الدولة التي يخصها الأمر لدى وزارة الخارجية العراقية.

لأية دولة منضمة الى هذا الميثاق ان تعقد اتفاقات خاصة بموجب المادة الأولى منه مع دولة أو أكثر من الدول الأطراف في هذا الميثاق. والسلطة المختصة لأية دولة منضمة أن تحدد التدابير بموجب المادة الثانية وتصبح هذه التدابير معمولا بها في حال اقترانها بمصادقة حكومات الفرقاء الذين يخصهم الأمر.

المادة السادسة : يشكل مجلس دائم من الوزراء للعمل ضمن نطاق أهداف هذا الميثاق وذلك عندما يبلغ عدد دول الأطراف في هذا الميثاق ما لا يقل عن الأربعة، ويقوم المجلس بوضع نظامه الداخلي.

المادة السابعة : يكون هذا الميثاق نافذا لمدة خمس سنوات ويعتبر مجددا لمدد أخرى كل منها خمس سنوات.

ولأي طرف متعاقد أن ينسحب من الميثاق بإبلاغ الاطراف الأخرى تحريريا برغبته في ذلك قبل ستة أشهر من انتهاء أية مدة من المدد المذكورة أعلاه، ويبقى الميثاق في هذه الحالة نافذا بالنسبة للأطراف الأخرى.

المادة الثامنة : يتم ابرام هذا الميثاق من قبل كل من الفريقين الساميين المتعاقدين ويجرى تبادل وثائق الابرام في انقرة بأسرع ما يمكن ويعتبر نافذا من تاريخ تبادل وثائق الابرام.

كتب بنسختين في بغداد في اليوم الثاني من شهر رجب سنة 1374 الهجرية والموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر شباط سنة 1952 الميلادية باللغات العربية والتركية والانكليزية ويكون النص الانكليزي هو المعمول به في حالة الاختلاف.

عدنان مندريس

عن صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية

فؤاد كوبرولو
عن صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية

نوري السعيد
عن صاحب الجلالة ملك العراق
برهان الدين باش أعيان

بغداد من 24- شباط 1995

الكتابان المتبادلان :

بغداد في 24 شباط 1955

صاحب الفخامة

عطفا على الميثاق الذي وقعنا عليه في هذا اليوم اتشرف بأن أسجل تفاهمنا على أن هذا الميثاق سيمكن بلدينا من التعاون في سبيل صد أي اعتداء موجه ضد أي منهما. وتأمينا لحفظ السلم والأمن في منطقة الشرق الأوسط قد اتفقا على العمل متعاونين تعاونا وثيقا من أجل وضع مقررات الأمم المتحدة بشأن فلسطين موضع التنفيذ.

"تفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام "

نوري السعيد

بغداد في 24 شباط 1955

صاحب الفخامة،

تشرفت بتسلم كتاب فخامتكم بتاريخ اليوم والذي ينص على ما يلي :

عطفا على الميثاق الذي وقعنا عليه في هذا اليوم أتشرف بأن أسجل تفاهمنا على أن هذا الميثاق سيمكن بلدينا من التعاون في سبيل صد أي اعتداء موجه ضد أي منهما. وتأمينا لحفظ السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط فقد اتفقنا على العمل متعاونين تعاونا وثيقا من أجل وضع مقررات

الأمم المتحدة بشـأن فلسـطين موضـع التنفيـذ. وأود أن أؤكـد مـوافقتي علـى محتويات الكتاب المذكور.

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق الاحترام

عدنان مندريس

111

1955 : مؤتمر حزب البعث العربي الاشتراكي أواخر آذار 1955- ميشيل عفلق يشعر بعد فوز الحزب الكبير في انتخابات عام 1954 بأن "ملكية" حزب البعث قد بدأت تخرج من يده- كان ميشيل عفلق- كالشيوعيين آنذاك- ينظر الى حركة الفلاحين نظرته إلى حركة غوغائية وهكذا بقيت جماهير الحزب الضخمة محرومة من الانتساب والاقتراع مما أدى إلى انفصال القاعدة الجماهيرية عن مجالس الحزب وقياداته العليا.

أوضاع حزب البعث الداخلية

كانت وحدة الحزب وتماسكه أمرا بالغ الخطورة في ذلك الظرف بالذات، فقد كان البعث القوة الوحيدة، المنظمة نسبيا، التي لها وزنها في المعركة التي كان الغرب يشنها على سورية بسبب انتهاجها سياسة عربية متحررة من الاستعمار وأحلافه والدخول في مناطق نفوذه.

لم يكن للحزب الشيوعي أي وزن حقيقي في هذه المعركة، كما كانت جماعة خالد العظم كتلة صغيرة واهية انتهازية، شكلت في كثير من الحالات عبئا علية وعلينا في هذه المعركة.

كان أكثر ما يقلقني ويخيفني هو انفراط عقد الحزب، ولقد تحدثت سابقا كيف أن الاستاذ ميشيل عفلق، بعد فوز الحزب الكبير في انتخابات عام 1954، وبعد أن أصبح الحزب وزنا سياسيا أساسيا في تقرير مصائر البلاد، أخذ يشعر بسبب ظهور بعض القيادات الجديدة، وبتحريض من جلال السيد، ان "ملكية" الحزب بدأت تخرج من يده، ولم ير الاستاذ ميشيل سبيلا أمام هذا التيار الجارف في الحزب إلا أن يتخذ من ايديولوجية الحزب وتنظيمه سلاحا في المعركة داخل الحزب.

كان عبدالله الريماوي - كما تحدثت سابقا- قد شرع بهمة ونشاط بتنظيم الحزب على المستوى القطري والقومي، وكان هذا أمرا مهما وايجابيا، وقد جرت اجتماعات عديدة لإقرار مشروع نظام الحزب الداخلي، وكانت نقطتان أساسيتان وهامتان موضع نقاش وجدل طويلين في تلك الاجتماعات :

1- المنتسبون الى الحزب.

2- الديموقراطية المركزية في الحزب.

كان الاستاذ ميشيل ما يزال مستمرا -كالشيوعيين آنذاك-0 في نظرته إلى حركة الفلاحين بأنها حركة غوغائية، ولذلك كان يصر على جعل حق الانتخاب لمجلس الحزب مقتصرا على الطلاب والموظفين والمعلمين، يؤيده في ذلك الاستاذان صلاح وعبدالله الريماوي، وهكذا حرموا الكتل الجماهيرية الضخمة في المدن والريف -عمليا- من حق الانتساب والاقتراع.

أما النقطة الثانية الأكثر أهمية فهي عدم جعل التمثيل في مجلس الحزب على أساس عدد المنتسبين في الفروع بل (كوتا) كيفية توزع على فروع الحزب، فكانت بعض الفروع التي لا يتجاوز عدد المنتسبين فيها المئات، بدمشق مثلا وأحيانا العشرات ، تمثل في مجلس الحزب بعدد مساو أو أكبر من المندوبين بالنسبة للفروع الأخرى التي يتجاوز المنتسبون فيها الألوف - كسورية الوسطى والشمالية والغربية- وكان من نتيجة ذلك ان انفصلت بالفعل القاعدة الجماهيرية عن مجالس الحزب وقياداتها العليا.

وقد جرى حول هاتين النقطتين حوار ونقاش طويلان دون التوصل إلى اي نتيجة. **كان الاستاذ ميشيل يشعر أن إقامة تنظيمات ديموقراطية تفقده سيطرته على مجلس الحزب، كما كان يعتبرها وسيلة لطغيان قواعد العربي الاشتراكي على حزب البعث العربي الذي كان حريصا على سلطته وسيطرته فيه، فكان هذا الأمر من أكبر الاخطاء والانحرافات في مسيرة الحزب ونموه لأنه أدى إلى فصل**

التنظيم عن قاعدة الحزب الجماهيرية، وهذا يفرز بطبيعته قيادات حزبية انتهازية مزيفة لم تنبثق عن القاعدة الجماهيرية، بل كانت غالبا ما تحتل مراكزها القيادية لأنها من الانصار والمريدين وكان هذا منشأ الانحراف الكبير فيما بعد عندما اعطى بعض أفراد هذا الحزب لأنفسهم حق الوصاية على الشعب في سورية بقوة الحديد والنار.

لم يكن باستطاعتي أن أقاوم هذا الاتجاه آنذاك إلا بتعريض وحدة الحزب للانفصام الذي كان أقصى ما يتمناه الأعداء دوما، وهكذا استمرت الأمور في الحزب تسير في غير مجراها الطبيعي، الأمر الذي جعل الخلافات تستفحل في معظم الفروع بين القيادات المفروضة وبين الآخرين الذين يؤهلهم نشاطهم وكفاءاتهم لقيادة جماهير الحزب، فأفسح المجال لرواسب الخلافات العشائرية والعائلية والطبقية والشخصية أن تطفو على السطح.

وهكذا انقسم فرع جبل الدروز بين القيادة التي تنتسب إلى "الطرشان" وبين التي تعتبر نفسها من الشعبين، كما أنقسم الفرع في حمص بين القيادة التي تساير سياسة آل الاتاسي وبين القيادات اليسارية، أما في اللاذقية فقد أخذ الانقسام -بتحريض من القيادة في كثير من الأحيان- شكلا طائفيا، وأخذ في دير الزور شكلا عشائريا، وفي حلب صراعا شخصيا، أما في بقية الفروع الأخرى مثل الجزيرة وغيرها فقد أخذ الخلاف الشخصي يدب بين هؤلاء المثقفين دون أن يكون للقاعدة الجماهيرية علاقة بهم أو بصراعاتهم الشخصية. ولم يكن هذا الأمر طارئا على حزب البعث بعد دمج الحزبين، وانما كان البعث في السابق وفي جميع فروعه شللا متنافرة تنخر فيها الخلافات الشخصية والطائفية والعشائرية والاقليمية ويتمثل فيه الولاء للحزب بالانتماء إلى أحد قادة البعث الثلاثة (صلاح وميشيل وجلال)، والحقيقة أن اتساع قواعد الحزب الشعبية وتعاظم حركته الجماهيرية بعد دمج الحزبين قد صان الحزب من التفسخ والانهيار،

وكانت المعارك النضالية وزخم الحركة الجماهيرية تجعل من أشلاء الحزب المتناثرة ، شيئا فشيئا، حزبا أكثر تماسكا وتنظيما.

ولا بد من الاعتراف بأن أحدا من القيادة الثلاثية للحزب حتى في حال تجردها وتماسكها لم تكن موهوبة بالفكر التنظيمي، ولكنها كانت قادرة على كل حال لو أخلصت النية وتجردت عن أهوائها ونزواتها، بالتفاهم والتساند، أن تقيم تنظيما حزبيا يقي الحزب مما حل به فيما بعد من كوارث ونكبات.

التنظيم مرتبط بالأيديولوجية .

من المسلم به أن التنظيم الحزبي لا يمكن أن ينفصل عن ايديولوجية الحزب، وقد كانت الثغرات العقائدية والغموض والضبابية في فكر الحزب مدعاة لنشوب الخلاف منذ المؤتمر الأول الذي عقده مجلس الحزب بعد انتخابات عام 1954، فقد طرحت في هذا المؤتمر خلافات عقائدية كانت بعيدة الغور، عميقة الجذور، إذ هاجم جماعة الاستاذ ميشيل ومريدوه، سياسة الحزب ومعركة الفلاحين معتبرين الصراع الطبقي أمرا خارجا عن عقيدة البعث، فتصدى لهم بردود قوية ممثلو المناطق التي كان الصراع الطبقي فيها محتدما لاهبا كحماه وأقضيتها والمناطق الشمالية والغربية من سورية ، وقد تولى النائب عبد الكريم زهور آنذاك الرد على نور الدين الأتاسي ومنصور الأطرش وسامي صوفان وغيرهم من جماعة الاستاذ ميشيل وبلغ الأمر حد الاشتباك بين منصور الأطرش وعبد الكريم زهور الذي تعرض لنظرية البعث الجامدة الساكنة (خلود الرسالة) في عالم متغير تتحكم فيه العلاقات الجدلية، وقد ظلت هذه الخلافات العقائدية مدة طويلة مهددة وحدة الحزب الذي صانته معاركه النضالية ضد الاستعمار والرجعية وكانت حركة الجماهير أقوى من أن يهدد وحدتها مثل هذا الخلاف. ولكنه كان من الطبيعي أن تستتبع هذه الخلافات العقائدية خلافات في استراتيجية الحزب وتكتيكه. وهكذا فإن اشتراك الحزب في جبهة الائتلاف ثم في الوزارة قدصعد غضب الاستاذ ميشيل وجماعته ولا شك أن جلال السيد قد لعب دوره في الاثارة ومحاولة تمزيق وحدة الحزب.

وقد حاولت في تلك الفترة، أجهزة الاعلام الغربية والسائرة في ركابها، أن تستغل هذه الخلافات العقائدية، فبدأت ضغوط الاستعمار بعد نشر الاتفاق العربي الثلاثي تركز على فصم وحدة الحزب وتتحدث عن خلافاته، فأدليت بتاريخ 16-3-55 بتصريح صحافي الى جريدة الرأي العام، حاولت فيه أن أقف في وجه شائعات الخلاف، وقد ورد فيه :

"نقل الشعبيون أمس محاولاتهم الدائبة لايقاع الشقاق في حزب البعث العربي الاشتراكي من مرحلة الاتصالات ببعض البعثيين القدامى وبعض الاشتراكيين القدامى (لم تكن هنالك اتصالات باشتراكيين قدامى ولكنني لم أشأ أن اتحدث عن البعثيين فقط) لتحريضهم على بعضهم بعضا إلى مرحلة إعطاء أخبار كاذبة لمخبر صحف معروف باتصاله بهم تقول ان خلافا قد وقع في الرأي بين أعضاء حزب البعث الاشتراكي، وان هذا الخلاف سيؤدي الى وقوع انفصال يعود معه الحزب حزبين.

إن هذه الشائعات قد اصبحت مألوفة لكثرة ترددها والغاية منها معروفة، وهي حلقة من سلسلة طويلة واهية ترويها عناصر اعتادت مثل هذه التخرصات بمناسبة وبدون مناسبة والقصد منها التشويش والدس، فقد هال الموتورين أن يسود الانسجام التام لما فيه خير الوطن والشعب بين مختلف الفرقاء في الوزارة القائمة، سواء في السياسة الخارجية أو الداخلية فلجؤوا إلى هذه الشائعات المفضوحة، ولم تكتف هذه العناصر بالزعم بوجود خلاف بين الذين تتألف منهم الوزارة بل ذهبت إلى ابعد من ذلك فزعمت أن الخلاف قائم بين قادة البعث العربي الاشتراكي نفسه، وهي نغمة ليست جديدة على كل حال، وما أريد تأكيده الآن ان البعث العربي الاشتراكي يؤلف وحدة متماسكة ولن تزيده التجارب السياسية إلا تماسكا وتضامنا، فالانسجام الكلي ينتظم اليوم ككل وقت آخر طرفي هذا الحزب العقائدي قيادة وقاعدة، وهو دائب في كثير من الثقة على متابعة رسالته القومية في سبيل مصلحة الأمة العربية وتحريرها من الاستعمار والاستثمار".

وفي الوقت نفسه، كانت محطة الشرق الأدنى البريطانية، قد دأبت على شن حملة عنيفة على سياسة سورية التحررية، زاعمة أن هذه السياسة لا يؤيدها في سورية إلا الاشتراكيون والشيوعيون محاولة بصورة واضحة أن تفصل البعث العربي

والعربي الاشتراكي، وهذا ما كانت ترددده صحف حزب الشعب والحزب الوطني وجميع أجهزة الاعلام السائرة في ركاب الغرب.

كان تصريحي هذا بعد الانتهاء من اجتماعات مجلس الحزب في شهر آذار 1955 الذي أثار فيه مريدو الاستاذ ميشيل من الطلاب كجماعة نور الدين الأتاسي وسامي صوفان حملة انشقاقية كنت فيها محور هجومهم، وقد تلوا في هذه الاجتماعات كلمات مكتوبة، قال لي نور الدين الأتاسي بعد سنوات وقبل سفره الى تونس هو وزميله ابراهيم ماخوس لمساندة الثورة الجزائرية أن الاستاذ ميشيل أملاها عليهم بنفسه.

كما أثير في هذه الاجتماعات من قبل شباب الدير (مصلح السالم وجماعته) تكليف جلال السيد أمور الفرع ثم إصداره البيان المشهور ضد الحزب في حوادث دير الزور لمصلحة السوريين القوميين، ثم اعلنوا انسحابهم، وكان الاستاذان صلاح وميشيل هما المسؤولان عن هذا التكليف غير الموفق. كما اضطررت للانسحاب من أحد الاجتماعات بعد خروج المهاجمين عن حدود المألوف في تهجمهم، وكان نصيب الدكتور وهيب الغانم من هذه الحملات الظالمة كبيرا كما نال عبدالله الريماوي نصيبه الأوفى.

أخفق الاستاذ ميشيل وجماعته في الوصول إلى غاياتهم نظرا لأن قوى الحزب الحقيقية كانت الى جانبا، وهكذا جرت، بعد مداولات واعتذارات مصالحة شكلية فأذاع الاستاذ ميشيل بيانا مقتضبا جاء فيه :

"انهى مؤتمر حزب البعث العربي المنعقد بتاريخ 1-4-55 في مقر الحزب في دمشق أعماله بعد أن استمر انعقاده ثلاثة أيام استعرض خلالها قضايا التنظيم الحزبي الداخلي والسياسة الداخلية والعربية، وانتخب قيادة قطرية لسورية وسيذيع الحزب عما قريب بيانا عاما عن وجهة نظره"

وعلى كل حال فإن البيان الموعود لم يصدر في تلك الفترة، واستمر الحزب في سياسته التحررية، وكنا نحن الثلاثة أعضاء في القيادة القطرية بالإضافة إلى كوننا اعضاء في القيادة القومية

وانضـم إلينـا فـي هيئـة القيـادة القطريـة خليـل كـلاس ، مـدحت البيطار، منصور الأطرش، شبلي العيسمي، وهكذا استلمت قيادة فرع جبل العرب جماعة منصـور الأطـرش، بحجـة الحـرص علـى أن يكـون اعضـاء القيـادة القطريـة مقيمـين فـي دمشـق، أمـا الـدكتور البيطار فقد تولى إدارة شؤون الحزب بمساعدة هذه الهيئة، وهكذا انتهت هذه الاجتماعات، كما انتهى غيرها مـن اجتماعـات مجلـس الحزب، دون حل للخلافات العقائدية والسياسـية والتنظيميـة لأنهـا كانت خلافات شخصية وطبقية وعشائرية.

112

1955 : خالد العظم يزور العراق مع وفد من الأحزاب السورية بعد عقد الاتفاق التركي العراقي- نوري السعيد يقول للوفد ان سياستنا لا تختلف عن سياسة عبد الناصر فكلنا مرتبط بالغرب، والنزاع فيما بيننا هو من سيكون منا سمسارا على سورية- هل هددت الولايات المتحدة هاشم الاتاسي وعبد الناصر؟ - انذار تركي جديد- رئيس وزراء تركيا يقول للسوريين: أي حدود هذه؟ إذا كانوا يتحدثون عن اسكندرون فنحن نتحدث عن حلب - المشروعان السوري والمصري للاتحاد العربي.

في الوقت الذي كان فيه الحزب يعاني من أزماته الداخلية، كانت البلاد تتعرض لاخطر المؤامرات الداخلية والخارجية، ثم بلغ هذا التآمر أوجه في شهر نيسان عام 1955، وهو الشهر الذي اغتيل فيه عدنان المالكي في دمشق وأخي واصل في حماه، ولكن هذا التآمر لم يمنع سورية من متابعة الجهد لعرض وجهة نظرها في اتباع سياسة متحررة من نفوذ المعسكرين وتكوين القوة الذاتية العربية، وانطلاقا من هذا الرؤية كانت رحلة خالد العظم الى بغداد ثم إلى القاهرة واشتراك سورية في مؤتمر باندونغ.

عرض خالد العظم على أطراف الائتلاف في الوزارة أمر سفره الى بغداد، المتفق عليه مع صلاح سالم، فلم نر في هذه الزيارة ما يوقع ضررا بالقضية ما دامت تهدف إلى عرض وجهة النظر السورية وتلطيف الجو بين البلدين، بل ربما كان من المصلحة زيارة وزير من حزب البعث للعراق حيث يتمكن من إجراء الاتصالات على نطاق واسع بالحزب وقوى المعارضة، ولم يراودني أي امل بتراجع الحكم في العراق عن سياسة الأحلاف، بل كانت هذه الزيارة مناسبة لعرض وجهة نظر سورية من الغرب وسياسة

الأحلاف وشرح أهداف السياسة العربية التحررية التي تقضي بأن يعتمد العرب على قواهم الذاتية في الوقوف أمام مطامع اسرائيل التوسعية، ومحاولة اقناع المسؤولين هناك بأن الخطر المائل على الأمة العربية هو اسرائيل وليس الاتحاد السوفيتي كما يزعم الاستعمار الغربي الأمر الذي يوجب على العرب انتهاج سياسة الحياد بين المعسكرين. وهكذا تألف الوفد من خالد العظم وزير الخارجية، ميخائيل ليان عن الحزب الوطني، وهيب الغانم عن حزب البعث بالاضافة إلى فاخر الكيالي وزير الاقتصاد ورئيس الأركان شوكت شقير.

وقد ذكر لنا الدكتور وهيب الغانم بعد رجوع الوفد من بغداد الوقائع التالية:

لم يكن في استقبال الوفد السوري في مطار بغداد سوى برهان الدين باش اعيان وكيل وزارة الخارجية، بينما تغيب نوري السعيد معتذرا بواسطة أحمد مختار بابان نائب رئيس مجلس الوزراء بأنه مريض، وقد فكر الوفد بالعودة الى دمشق، ولكن يظهر أن ميخائيل ليان أبلغ العراقيين بنية الوفد ونصحهم بتغيير اسلوبهم (وثائق حلف بغداد) فاستقبل نوري السعيد الوفد في منزله وتحدث إليهم طويلا عن خطورة موقع العراق الاستراتيجي والخوف من تعرضه لهجوم سوفيتي وعن الفتن الداخلية من قبل الزعيم الكردي مصطفى البرزاني، وأن العراق اضطر للحفاظ على أمنه ووحدته تجاه ما يحيط به من أخطار داخلية وخارجية أن ينتهج هذه السياسة ، وأن الحلف مع تركية لا يتعدى نطاق تبادل المعلومات وتسهيل نقل المعدات والتجهيزات العسكرية وقال لهم :

إن المعاهدة البريطانية- العراقية ستلغى وسيتحرر العراق من الانتداب، ثم شكا من أجهزة الإعلام المصرية التي تتجنى على العراق وتهاجم رجالاته ومليكه، فأقر خالد العظم والوفد المرافق له بأن وضع العراق يختلف عن وضع سورية ومصر، وأن للعراق الحق باتخاذ تدابيره الخاصة ولكن هذا لا يمنعنا أن نقر بأن الخطر الصهيوني هو الخطر المباشر على الأمة العربية التي يجب عليها أن تعد العدة لمجابهته ولا يجوز للعرب تجاهله والتلهي

بخطر الشيوعية والاتحاد السوفيتي الموهوم. ولهذا الاعتبار فإن سورية ترفض رفضا قاطعا سياسة الاحلاف والتعاقد مع أي دولة أجنبية وتلتزم بسياسة الحياد بين المعسكرين العالميين، وأن التصريح الثلاثي العربي لا يهدف لا بالظاهر ولا بالباطن إلى حمل أي فكرة عدائية للعراق بل إن سورية ترحب بانضمام العراق إليه، وأن الوفد قد أتى لسماع وجهة نظر حكومة العراق وسينقلها بأمانة الى الحكومة السورية والحكومتين المصرية والسعودية. وقد سجل الدكتور وهيب الغانم محضرا لهذا الاجتماع أطلعنا عليه كما كان الكيلاني يسجل محضرا آخر للحكومة العراقية.

لقد أراد نوري السعيد أن يستعمل مع الوفد أساليبه المعروفة، فحاول بصوت مرتفع أثناء المباحثات أن ينطلق بالتهديد والوعيد، ولما أظهر خالد العظم احتجاجه على هذا الاسلوب تراجع نوري السعيد واعتذر، وهو شبيه بما حصل معي عندما زرت بغداد بعد ذلك بعام مع وفد من مجلس النواب.

بعد انتهاء المباحثات مع الوفد السوري، عرض نوري السعيد صورة بيان مشترك يخالف تماما وقائع المباحثات كما قيل وهذا نصه :

جرت عدة اتصالات ومداولات بين الوفد السوري برئاسة السيد خالد العظم وزير الخارجية السورية وبين المسؤولين العراقيين برئاسة السيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق، استعرضت أثناءها القضايا العربية القائمة وتبودلت وجهات النظر بكل صراحة وحسن نية. وقد أسفرت هذه الاتصالات عن اتفاق تام بين الجانبين على ان الخطوة التي خطاها العراق مؤخرا في عقده ميثاق التعاون المتبادل مع تركية لا تتعارض باي شكل من الأشكال مع ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي. (الضمان الجماعي العربي)

لذلك يؤكد الجانبان ضرورة استمرار التعاون الوثيق القائم بين القطرين الشقيقين العراق وسورية مع تمسكها بميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي والعمل على تدعيمهما وجعلهما أداتين صالحتين لتحقيق المصلحة العربية العامة.

رفض الجانب السوري التوقيع على هذا البيان، ثم اتفق الطرفان بعد مداولات ومشاحنات على وضع النص الأتي :

جرت بين تاريخ 14-18 آذار 1955 اتصالات ومباحثات بين الوفد السوري برئاسة دولة السيد خالد العظم وزير الخارجية السورية، وبين المسؤولين العراقيين برئاسة فخامة السيد نوري السعيد رئيس وزراء العراق، تبودلت اثناءها وجهات النظر في جميع الشؤون العربية بصراحة وحسن نية كاملتين.

وقد اعرب الجانب السوري عن شعوره الأخوي الخالص نحو العراق ونحو سائر الدول العربية، وعن رغبته الأكيدة بأن يسود بينها الصفاء والتفاهم والوفاق فتصان بذلك المصالح العربية العليا. فأجاب الجانب العراقي معربا عن حسن تقديره لهذه المشاعر الكريمة وعما يكنه من أخوة للبلاد العربية، وخاصة لسورية التي يقوم بينها وبين العراق صلات جوار ومصالح وثيقة، وبسط سياسته الخارجية وعلاقاته مع الدول المجاورة والدول الصديقة مؤكدا أنه كان ولا يزال يضع نصب عينيه بالدرجة الأولى مصلحة البلاد العربية وسلامتها تجاه الخطرين الصهيوني والشيوعي وتمسكه التام ببنود ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك (الضمان الجماعي العربي).

وقد اطلع الجانب السوري على ما بينه الجانب العراقي، واستوفى الايضاحات التي طلبها منه، ووقف وقوفا كاملا على وجهة النظر العراقية، فوعد بعرضها على الحكومة السورية مبديا ما يرتأيه بشأن العمل على توحيد الصفوف، وقيام التفاهم المنشود بين البلاد العربية.

والجانبان يرجوان متابعة السعي في هذا السبيل، حتى تكلل الجهود المشتركة جميعا بالنجاح وتعود المجموعة العربية أقوى مما كانت عليه.

1955/3/19 خالد العظم نوري السعيد

لقد جاءت صيغة البيان الجديد ضعيفة أيضا، بل هي لمصلحة نوري السعيد وقد ارتكب خالد العظم ورفاقه خطأ كبيرا بقبولها، الأمر الذي أتاح لنوري السعيد أن يستغل هذا البيان في أجهزة إعلامه لمصلحة سياسته المنحرفة.

وفي نهاية الزيارة هيأ نوري السعيد لتوديع الوفد السوري في مطار بغداد وداعا حافلا حضره معظم رجالات العراق.

□

أجرى الدكتور وهيب الغانم في العراق بعض الاتصالات التي كانت موضع احتجاج الحكومة العراقية ولكنها بررت بأن سفيرها في دمشق عبد الجليل الراوي يجري اتصالاته في دمشق مع كثير من الفئات دون اعتراض من الحكومة السورية.

كما أخبرنا الدكتور وهيب بأن نوري السعيد قال له :

نحن لا نختلف عن سياسة عبد الناصر فكلنا مرتبط بالغرب، والنزاع فيما بيننا هو من سيكون منا سمسارا على سورية، وانني أنصحكم بألا تفسحوا مجالا لاستغلالكم وإنه من مصلحة سورية أن تتفاهموا مع الغرب مباشرة.

زيارة خالد العظم في وثائق حلف بغداد

من الملحق العسكري - بيروت الى الاستخبارات العسكرية.

في 13-3-1955

ما يلي من الجمالي

فخامة رئيس الوزراء.

وصلت بيروت مساء وكان السيد ميخائيل ليان في انتظاري، وبعد مقابلة قصيرة اجتمعت برئيس الجمهورية اللبنانية فأبدى أن هدفهم من الاجتماع هو البحث في موقف امريكا من اسرائيل. وأن كان (وإمكان؟) عقد حلف دفاعي مع اسرائيل الا أن اسرائيل لن تدخل في اي حلف دفاعي يدخله العرب. ثم موضوع الدعاية في لبنان فان السعوديين بدأوا يتعاقدون مع الشيوعيين ومع الجبهة الوطنية وان العوينى مثلا من المتعاونين. وأبدى ان وعود فرنسا في تأييد الميثاق العراقي التركي لم تتبلور ثم تحدثنا عن خالد العظم فقال أن لديه تشبثا برأيه ناتجا عن أمله بالحصول على رئاسة الجمهورية بتأييد السعوديين والمصريين واليساريين والفرنسيين والجيش، ثم وعدته على أن نجتمع بعد العشاء بحضور ميخائيل اليان. يرى ميخائيل ليان ان مجيء خالد العظم الى بغداد ضروري جدا بعد أن زار بيروت وعمان والرياض مهما كانت نتائجه لو أحسن استقباله وعومل بالصبر والاناة مع تأكيد حسن نية العراق واستعداده للدخول في الميثاق المقترح.

سيخسر خالد العظم المعركة وحين تعرف وجهة نظر العراق ينكشف المنطق المفلوج ويستطيع الحزب الوطني أن يؤلب الراي العام وانسحاب الحزب من الحكم يكون بمثابة (الـ خ ى) (هكذا وردت؟؟) وعلى كل فقد نسب رئيس الجمهورية اللبنانية أن يكون موقف الحكومة اللبنانية ايجابيا.

اقترح ميخائيل ليان سفر وزير خارجية لبنان ايضا ليقوى الجانب العراقي. سينظر رئيس الجمهورية اللبنانية في الأمر في اجتماعنا غدا. أعلن خالد العظم عدم مجيئه الى بيروت وعلمت انهم اختاروا من الصحفيين أربعة معنا وأربعة علينا.

اقترح رئيس الجمهورية اللبنانية تسفير بعض الصحفيين اللبنانيين من اصدقائنا كما نسبنا تسفير اربعة صحفيين سوريين من اصدقاء العراق على حسابنا غير قادمين مع الوفد.

أعود صباح الاثنين ما لم تكن لديكم ملحوظات خاصة. (كتاب محكمة الشعب - ص1121- ج3).

هل هددت الولايات المتحدة هاشم الأتاسي وعبد الناصر؟

كان الرئيس هاشم الأتاسي، بتحريض من ولده عدنان وحزب الشعب، لا يخفي خصومته العنيدة للسياسة العربية التحررية، فقد روى صبري العسلي مرارا، أمامي وأمام غيري، أن الرئيس هاشم الأتاسي، على الرغم من شيخوخته، هجم على صبري العسلي في إحدى الزيارات، مادا يديه إلى وجهه، صارخا به :

إلى اين تريد إيصال البلاد أنت وفرعون؟ (يقصد عبد الناصر) فأمسك العسلي بيدي الأتاسي الذي ظل يصرخ : دم دم ذبح ذبح .. ماذا تظنون؟ ان الدماء ستجري دون أن تصلوا الى أغراضكم (وهو يقصد التوقيع على الميثاق العربي) ثم أخذ يرغي ويزبد ويصرخ حتى سمع صراخه من في الطابق الأول من القصر الجمهوري، ثم ارتمى على الأرض وأخذ الزبد يخرج من فمه . فظن العسلي أنها نوبة قلبية أصابته وأنه يفارق الحياة، وخشي أن يتهم بخنقه فاستنجد بموظفي القصر الذين هرعوا إليه وحملوه

إلى غرفة نومه واستدعوا الاطباء على عجل، وظل الأتاسي بعد ذلك مريضا عدة أيام لا يستقبل فيها أحدا من الوزراء.

وقد روى لي مصطفى حمدون بعد عودته من مصر عندما أنهى دراسته في كلية الأركان المصرية، وكان يحظى هناك برعاية خاصة من الرئيس جمال عبد الناصر، أنه قد استدعي إلى منزل عبد الناصر قبيل اغتيال الشهيد عدنان المالكي، وفي هذه المقابلة قال له عبد الناصر :

إن لديه أخبارا مؤكدة عن تصميم جهاز المخابرات الاميركية على تصفية قادة البعث في سورية بالقتل والاغتيال ثم أضاف :

انه مستعد أن يقدم للحزب كل عون ومساعدة مادية سواء بالمال أو بالسلاح، فاستغرب مصطفى حمدون أقوال عبد الناصر، لأنه لم يكن مطلعا اثناء وجوده في مصر على المؤامرات التي كانت تعصف بسورية، فشكر الرئيس عبد الناصر دون أن يرد على عرضه سلبا أو ايجابا لأنه لم يكن مكلفا من قبل الحزب ببحث هذه الأمور.

ولا بد لي هنا من أن أتساءل بعد هاتين الواقعتين :

ترى هل هددت الولايات المتحدة بوسائلها هاشم الأتاسي وجمال عبد الناصر عما تنوي فعله في سورية؟

وهل كان لهذا التهديد أثره في جعل ميثاق الاتحاد العربي الثلاثي- فيما بعد- ميثاقا شكليا محوريا غير قادر على الخروج من اللعبة الدولية في المنطقة العربية؟

تركية تتابع حملتها وتهديدها

قبل يوم من سفر الوفد السوري إلى بغداد سلم القائم بالاعمال التركي وزير الخارجية خالد العظم مذكرة ثانية اطلعنا عليها في الاجتماع الذي عقدته لجنة الشؤون الخارجية بتاريخ 21-3-55 ولا يخرج مضمون المذكرة عما يلي :

1- ان الميثاق السوري المصري يهدف إلى عزل تركيا عن العالم العربي ويضع مصير سورية وسياستها بين يدي مصر، وان مصر بروحها السلبية

بصورة عامة وببغضائها لتركية بصورة خاصة قد عكرت هدوء كل منطقة الشرق الأوسط وهذا لا يمكن لتركية أن تتغاضى عنه.

2- ان اعتبار الحلف التركي العراقي وسيلة تهدف فقط إلى إعداد واستخدام العراق ضد هجوم سوفيتي أمر يعني أن تركية لم تكن حسنة النية عندما عقدت حلفها مع العراق، وان الحكومة التركية ترفض بشدة هذا الادعاء الباطل، إذ يجب ألا يغرب عن البال أنه لولا وجود التدابير أمثال الحلف العراقي التركي الذي وصل ببعضهم الجرأة على القول بأنه لن يضع كل امكانيات تركية والعراق في حالة اعتداء اسرائيل، لكان محو سورية من الخارطة الجغرافية قضية أيام.

3- أما اقتراح وزير الخارجية لإقامة تعايش بين الحلف العراقي التركي والميثاق المصري السوري السعودي، فإن الحكومة التركية ترى في هذا الاقتراح تضاربا واضحا مع الميثاق المقترح ، وتعتبر كلامه بهذا الشأن كرد سريع موات للتخلص من المأزق.

4- أمام هذه التأكيدات الواضحة فإن من رأى الحكومة التركية أن ضمانة الصداقة لتركية التي اعرب عنها وزير الخارجية السورية خلال مقابلاته مع السفير، كما أعرب عنها في تصاريحه العامة، ليست غير متلائمة فحسب مع روح الميثاق السوري المصري السعودي المقبل، بل انها تشكل سخرية من التفهم البشري تفصم حدود الصبر كلها، وان الحكومة التركية ستعيد النظر في سسياستها وفي موقفها حيال سورية المجاورة في حالة تحقيق هذا الميثاق من قبل سورية، وهذا ما يحمل تركية على اعتبار هذا العمل كعمل معاد لها".

قدم الأمير كاظم الجزائري وزير سورية المفوض في تركية بناء على تعليمات خالد العظم مذكرة جوابية بتاريخ 19-3-55 الى وزير الخارجية التركية اتسمت باللين والمسالمة، ولكن عدنان مندريس رفض قبولها، وقال غاضبا:

"إن الخطر محدق بنا بينما أنتم ماضون بالكيد لنا دون أن تتورعوا عن اظهار خصومتكم ونواياكم السيئة لنا، لقد تلقينا مذكرة شديد اللهجة من اسرائيل، لقد أعلنتم علينا انتم ومصر حربا لا هوادة فيها، ثم تدعون حرصكم على العلاقات الودية معنا" "إن

تصريح وزير خارجيتكم إلى جريدة الموند الفرنسية وانسياقكم مع الصاغ صلاح سالم كاف للتدليل على نواياكم العدوانية، إنكم لم تبدأوا بهذه الحملات المغرضة إلا بعد أن اسقطتم وزارة السيد فارس الخوري، ان وزير خارجيتكم خالد العظم ذهب إلى العراق ليؤلبه علينا، إنكم تضربون بالفأس علاقاتنا مع العراق، لقد نفد الصبر، الى متى الصبر؟ لقد أشار وزير خارجيتكم في أحد تصريحاته إلى قضية الحدود، فأية حدود هي هذه؟ هل يعني اسكندرون؟ إذا كنتم تعنون الاسكندرون فنحن نعني حلب، نعم حلب. وإذا كنتم تريدون قطع العلاقات فنحن على استعداد وليكن ذلك، ولنقفل الحدود.

وفي مساء ذلك اليوم أصدرت الحكومة التركية البلاغ الآتي :

"كانت الحكومة التركية قدمت مذكرة الى الحكومة السورية فقدم الوزير السوري إلى وزارة الخارجية التركية جوابا عليها، ولما لم يكن الجواب حائزا للقبول فقد استدعى رئيس الوزارة التركي عدنان مندريس الوزير السوري ورد إليه ذلك الجواب. وبهذه المناسبة كان الاستمرار في موقف العداء وسياسة الخصومة التي بدت ضد تركيا منذ اليوم الذي ظهرت فيه بوادر الصداقة التركية العراقية من جهة، وبناء على ان جواب سورية قد كتب من جهة ثانية بصيغة تعمدت فيها تجاهل الحقيقة وهي أن حكومة سورية الحاضرة تستهدف الحكومة التركية بعدائها بدون سبب وبغير مناسبة، فإن هذا الوضع جعل العلاقات بين الدولتين تدخل في طور بالغ الجدية هذا وقد أفهم الوزير السوري ما تقدم".

□

تابعت تركية حملتها التهديدية فقامت بتظاهرة عسكرية، إذ ارسلت بعض قواتها الى ماردين وعينتاب وكلس وأخذت تقوم بحركات وتنقلات ومناورات غير معتادة يقصد منها الضغط على سورية، علها تبدل موقفها من الميثاق الثلاثي. فادعت بتاريخ 26-3-55 بمذكرة جديدة كحلقة أخرى من حلقات التهديد: ان طائرتين عسكريتين اخترقتا حرمة سماء تركية قرب ديريك ، كما أن اربع

طائرات عسكرية سورية أخرى قد اخترقت حرمة سماء تركية فوق ماردين، وأضافت المذكرة ان الحكومة التركية تحتج على هذا الحادث، وتحمل الحكومة السورية نتائج التدابير التي يمكن أن تتخذها.

قوبل هذا الاستفزاز التركي بمظاهرات طلابية عارمة في دمشق هتفت ضد الحلف العراقي التركي ، وطالبت الحكومة بإنجاز سياستها في عقد الحلف العربي الجديد على أساس الوحدة في الشؤون الخارجية والعسكرية والاقتصادية بين دول الحلف العربي الجديد كما حيت فكرة الجيش العربي الموحد، وقد كان حزب البعث وراء هذه التظاهرات الطلابية التي شاركت فيها جميع القوى التقدمية الأخرى، وحمل المتظاهرون لافتات كتب عليها: الشعب العربي لا يخشى تهديدات الاستعمار وتركية، نطالب الحكومة باتخاذ مواقف حازمة، الشعب العربي يرفض حلف نوري - مندريس الاستعماري، لا ارتباطات ولا تحالفات مع الاستعمار، لا صلح مع اسرائيل، إلى آخر ذلك من الشعارات.

□

في هذا الجو المشتعل ، عقد المجلس النيابي بتاريخ 29-3-55 جلسة تلي فيها تقرير لجنة الشؤون الخارجية فوافق عليه المجلس بالاجماع وفيما يلي نص التقرير :

عقدت لجنة الشؤون الخارجية عدة اجتماعات كان آخرها الاجتماع الذي عقدته يوم الثلاثاء - الموافق 29-3-55 وقد حضر هذا الاجتماع بالاضافة إلى اعضاء اللجنة فريق كبير من النواب، وقد استمعت فيها الى بيان وزير الخارجية عن السياسة العربية والخارجية وخاصة فيما يتعلق بتأزم العلاقات السورية التركية، وبعد المذاكرة في الموضوع والاستماع إلى راي الحاضرين من مختلف الاحزاب والهيئات اتخذت القرار التالي :

"اتفقت جميع الاحزاب والهيئات على اختلاف مناهجها مع الحكومة على أن تقف البلاد موقفا موحدا في وجه الضغط الذي تستهدف له سورية اليوم وفي مقاومة كل تدخل اجنبي يرمي إلى الحد من سياسة سورية وحريتها في رسم سياستها.

وهم يعلنون بشدة أن سياسة سورية انما تستوحى من مصلحة سورية العليا والمصلحة العربية القومية، ولا يمكن أن تتأثر بأي ضغط خارجي.

واللجنة إذ تجمع بالاتفاق مع الحكومة على هذا القرار معبرة عن شعور الشعب توصي المجلس الكريم بالموافقة عليه.

التوقيع : رئيس لجنة الخارجية احسان الجابري

مقرر اللجنة صلاح البيطار

مباحثات الاتحاد الثلاثي في القاهرة

كان الجيش في تلك الفترة كتلة متراصة وراء عدنان المالكي في تأييده ودعمه للبيان المشترك السوري المصري السعودي. وفي جعله نواة لاتحاد ثلاثي عربي حقيقي، وكان واضحا لنا جميعا انها المحاولة الأولى لاعتماد العرب على انفسهم وعلى قوتهم الذاتية التي تتجه بقوة وتصميم الى استغلال تفوقهم المادي والانساني في صراعهم مع الصهيونية.

وفي تاريخ 21-3-1955 عاد محمود رياض الى دمشق حاملا معه صيغة المشروع المصري للاتحاد العربي استنادا الى الأسس التي تضمنها البيان الثلاثي العربي المشترك، وكان محمود رياض من أعضاء اللجنة التي شكلها عبد الناصر لوضع المشروع الذي يمكن في الحقيقة اعتباره مشروع عبد الناصر.

وقد عكف خالد العظم على وضع ملاحظاته على المشروع مستوحيا إياها من الافكار التي عرضها البعثيون الاشتراكيون والقوى التقدمية في اجتماع لجنة الشؤون الخارجية بتاريخ 1955/3/21 والافكار التي عرضتها قيادة الجيش السوري.

كان الجيش كتلة متراصة في دعمه وتأييده للسياسة العربية التحررية وفي اهتمامه بجعل البيان المشترك اتحادا عربيا ثلاثيا حقيقيا، وكان بقيادة عدنان المالكي، قد أخذ تصريحات الصاغ صلاح سالم عندما زار دمشق على محمل الجد، وهكذا وضع خالد العظم المشروع السوري للاتحاد الثلاثي بقسميه المتعلقين

بالشؤون الاقتصادية والسياسية الخارجية، واختصت قيادة الجيش بوضع القسم المتعلق بالشؤون العسكرية.

مقارنة بين المشروعين السوري والمصري

كان الخلاف بين المشروعين خلافا جذريا ، فقد كان المشرع المصري مشروعا محوريا وكان المشروع السوري مشروعا قوميا وهذا ما يدلنا عليه عنوان المشروعين: كان اسم المشروع المصري : (منظمة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي العربي) أما عنوان المشروع السوري فقد كان : (الميثاق العربي لتوحيد الشؤون الخارجية والعسكرية والاقتصادية) والفرق كبير بين العنوانين بقدر الفارق ما بين مضمون المشروعين. ولا يخرج الفرق ما بين المشروعين عما لخصه خالد العظم في مذكراته :

الفارق في الشؤون الخارجية

ينص المشروع المصري على إقامة مجلس دائم من وزراء الخارجية والدفاع والمالية لدول المنظمة تكون له السلطة العليا فيما يتعلق بتنفيذ أحكام هذه المعاهدة، كما تكون قراراته بأكثرية ثلثي اصوات الدول الأعضاء، بينما ينص المشروع السوري على إقامة مجلس دائم لوزراء الخارجية يضع الخطوط العامة للسياسة الخارجية لدول الميثاق، وهذا يعني بصريح العبارة توحيد السياسة الخارجية لدول الميثاق، بينما كان المشروع المصري يوجب عرض الاتفاقات السياسة أو العسكرية قبل إبرامها على المجلس الدائم لتقدير ما إذا كانت منافية أو غير منافية لأغراض الميثاق، وقد اعتبر المشروع السوري دول الميثاق دولة واحدة تطبق في الشؤون السياسية والعسكرية اسلوب التعاقد الجماعي ويمثلها في التفاوض أو التعاقد أو التكليف بهما المجلس الدائم لوزراء الخارجية.

الشؤون الاقتصادية.

ينص المشروع السوري على سوق واحدة لدول الميثاق تتمتع فيها منتجات كل دولة بحرية الدخول دون فرض اي رسوم جمركية أو داخلية عليها، بينما ينص المشروع المصري على قبول مبدأ تخفيف القيود الجمركية وإعفاء بعض السلع التي يتفق عليها، وكان المشروع السوري ينص على حرية انتقال النقد بين دول الميثاق، بينما ينص المشروع المصري على تسهيل

انتقال رؤوس الأموال بين الدول الأعضاء لغرض الاستثمار والقيام بمشروعات انتاجية برؤوس أموال مشتركة.

الوحدة العسكرية.

كانت أهم الخلافات بين المشروعين ما يتعلق منها بالشؤون العسكرية، فإن المشروع السوري الذي وضعه الجيش قائم على أساس جيش عربي موحد يتولى قيادته الفعلية في السلم والحرب قائد عربي عام مع هيئة أركانه في دمشق وتوضع تحت امرته جميع القوات الضاربة التي تملكها الدول الاعضاء بما فيها القوات المتمركزة على الحدود الفلسطينية، أما المشروع المصري فينص على قيادة عربية مشتركة يوضع تحت امرتها ما تضعه دول الميثاق من قطعات عسكرية، ويبقى لكل دولة جيشها الخاص، وتتحمل الدول المتعاقدة الأموال التي يحتاجها الجهاز العسكري المشترك حسبما يقرره المجلس الدائم، بينما ينص المشروع السوري على انشاء صندوق مشترك للانفاق على الجيش العربي الموحد يخصص له سنويا 10% من مجموعة موازنة كل دولة عربية داخلة في الاتحاد، ويعين مجلس التنهيج العسكري كيفية انفاق الأموال المرصدة لهذا الصندوق، وعلاوة على ذلك فقد وضع الجيش السوري مشروعا للمنشآت العسكرية الدفاعية تختلف فيها التزامات كل دولة حسب قدرتها المالية بحيث يكون نصيب مصر 45% والسعودية 40% وسورية 15%. ويقضي المشروع السوري بأن تساهم كل دولة، علاوة على ذلك، بنفقات تسليح وتجهيز الجيش الموحد بنسبة لا تقل عن 4% من موارد ميزانية كل دولة" (ص 402-404 الجزء الثاني - مذكرات العظم).

وقد نشرت جريدة الراي العام في عددها الصادر بتاريخ 3-4-55 ملخصا للمشروع السوري وفيما يلي نص التلخيص :

"إن الصفة البارزة الأساسية لمشروع الميثاق، كما تتصوره سورية، هو أن يهدف فوق كل شيء وقبل كل شيء لأن يكون خطوة عملية أولى في سبيل الوصول إلى وحدة عربية شاملة، وقد برز هذا منذ البداية في الاسم الذي اختاره خالد العظم لهذا الميثاق، حين سماه (الميثاق العربي لتوحيد الشؤون الخارجية والعسكرية والاقتصادية) وقد طغى هدف الوحدة هذا على تفكير واضعي المشروع، الذين رأوا الفرصة سانحة لتحقيق الخطوات الآيلة

إلى الوحدة التي ينشدها الرأي العام في سورية بإجماعه، حتى ارتفع بهذا المشروع عن إطار الأزمات العابرة وعن مجرد اتخاذ موقف سلبي في وجه الأحلاف الغربية، ليكون نقطة انطلاق نحو تحقيق الوطن العربي الموحد المتحرر.

ويظهر هذا الاتجاه في كل فصل من فصول المشروع السوري الذي يتناول منهاج توحيد السياسة الخارجية والاقتصادية وتوحيد الشؤون العسكرية، فسورية تعتبر أن الهدف الاصلي والثابت للميثاق العربي الجديد يجب أن يتجه الى جعل سياسة الدول العربية في الحقل الخارجي تستمد سلوكها من هدف تأمين المصالح القومية للأمة العربية، ومن هدفي استكمال تحريرها وتوحيدها وتحقيقا لهذا الهدف يقرر المشروع السوري إقامة مجلس دائم لوزراء خارجية دول الميثاق يرسم السياسة الخارجية لحكومات هذه الدول وعلى ضوء هذا الهدف المذكور وتكون قراراته التي تتخذ بأكثرية الثلثين ملزمة للجميع.

وهو يعتبر دول الميثاق في كل ما يتصل بالتفاوض والتعاقد مع الدول الأجنبية في الشؤون السياسية والعسكرية وحدة تامة ممثلة دائما لا بحكوماتها إفراديا، بل بالمجلس الدائم لوزراء الخارجية وحدهم، بحيث يمكن القول أن دول الميثاق ستؤلف تجاه الدول الأخرى دولة واحدة ولذلك فإن دول الميثاق تتعهد بألا تدخل في مفاوضات منفردة مع أي دولة أخرى لعقد أي اتفاقات سياسية أو عسكرية. ومن مهام المجلس الدائم اتخاذ التدابير الهادفة لتوحيد التمثيل الدبلوماسي والقنصلي لدول الميثاق لدى الدول الأخرى، وتعد من هذه التدابير إقامة معهد مشترك لتخرج الدبلوماسيين العرب.

ويتجلى هدف الوحدة في القسم الاقتصادي واعتبار الاسواق الداخلية لدول الميثاق سوقا واحدة في دولة واحدة، وعلى حرية انتقال الاشخاص وتمتعهم بحقوق المواطنين الاقتصادية وعلى ايجاد مصرف مشترك لدول الميثاق يكون من مهامه إصدار نقد عربي موحد يحل تدريجيا محل النقود المحلية، وتمويل المشاريع المشتركة الأخرى وإنشاء (مجلس تنهيج اقتصادي دائم) مهمته وضع سياسة اقتصادية منهاجية لدول الميثاق بحيث يجعل اقتصادها متكاملا، وتعتبر المجالس الاقتصادية الاقليمية فروعا له تضع سياستها الاقليمية في إطار سياسته القومية، وقد نص على التنسيق التدريجي للتشريعات الاقتصادية والمالية القائمة في دول الميثاق.

ويحقق القسم العسكري فكرة انشاء الجيش العربي الموحد وقيادته الموحدة وهو لذلك يقترح إنشاء صندوق موحد لهذا الجيش تموله الدول الاعضاء، ومجلس دائم للتنهيج العسكري يحدد الاعباء العسكرية لكل دولة من دول الميثاق، وينص على إنشاء كلية أركان حرب عامة واحدة لدول الميثاق، كما ينص على تنسيق البرامج الد راسية في الكليات العسكرية القائمة.

الوفد السوري في القاهرة.

كان الرئيس عبد الناصر، بعد صياغة مشروعه وتقديمه الى سورية، يلح بواسطة سفيره محمود رياض، على ضرورة الاسراع بمجيئ وفد سوري الى القاهرة، فما ان فرغ خالد العظم من وضع المشروع السوري حتى سافر الى القاهرة بتاريخ 30-3-55 وبصحبته فاخر الكيالي والزعيم شوكت شقير رئيس الأركان والسفير محمود رياض. وقد كانت النية متجهة قبل ذلك لأن يصطحب الوفد السوري معه ممثلا عن البعث العربي الاشتراكي وميخائيل ليان ممثلا عن الحزب الوطني، وخشية من تلاعب ميخائيل اليان وعرقلته للمفاوضات ونقله المعلومات عنها لحكومة نوري السعيد والدول الاجنبية فقد صرف النظر عن اصطحاب أحد من الحزبين. ولم يعرض خالد العظم المشروع السوري على الحكومة وإنما أطلع عليه صبري العسلي بصورة خاصة خوفا من أن يسلم ليون زمريا (وزير المالية) إلى قريبه ميخائيل ليان صورة عنه.

أما الخلاصة التي نشرتها جريدة الرأي العام فقد كانت بعد سفر الوفد السوري الى القاهرة وكان صاحبها أحمد عسه قد سافر مع الوفد الى القاهرة كمرافق صحفي لخالد العظم.

يقول خالد العظم في مذكراته ان استقبال الوفد كان فاترا في مطار القاهرة ومقتصرا على حضور الصاغ صلاح سالم مع موظف دائرة المراسم بخلاف الاستقبال الحافل الذي استقبل به الصاغ صلاح سالم رسميا وشعبيا في دمشق ويعلل خالد العظم هذا الفتور تعليلا خاطئا عندما يقول :

"ويبـدو لـي أن عـدم حضـور الـرئيس جمـال عبـد الناصـر أول اجتماع كان بناء على رغبته في التعـرف الـى رأينـا وموقفنـا حتـى يتخذ ما يقضي به الحال من إجراءات".

"وفي الاجتماع الأول بالوفد السوري الذي لم يحضره جمـال عبـد الناصـر بـل حضـره الصـاغ صـلاح سـالم ومحمـود ريـاض ووزيـر الخارجية محمود فوزي اعتذر الجانب المصري عن عدم حضور عبـد الناصـر لأنـه موجـود فـي قطـاع سـيناء ولا يعرفـون بالضـبط موعـد حضوره" ويقول خالد العظم أيضا :

"انه عقد النية على تسليم المشـروع السـوري الـى صـلاح سالم والعودة إلى دمشق، وقد فوجئ الوفـد السـوري فـي اليـوم الثاني بمجيء فيصل الـى القـاهرة الـذي كـان جمـال عبـد الناصـر ووزراؤه في اسـتقباله".

"وفي اليوم الثاني اجتمع الاميـر فيصـل وجمـال عبـد الناصـر بالوفـد السـوري ودار النقـاش طـويلا حـول المشـروعين وتمسـك جمال عبد الناصـر بالمشـروع المصـري سـواء بالنسـبة للسياسـة الخارجية أو الشؤون الاقتصادية ولا سيما بالقسم العسكري، وكان الوفد السوري مستعدا للتساهل في الأمور الخارجية والاقتصـادية ولكنه غير مستعد للتساهل في الأمور العسكرية (لـم يـذكر خالـد العظم السبب في ذلك أما حقيقة الأمر فلأن الجيش السوري هـو الذي وضع القسم العسكري وكـان غيـر مسـتعد ان يتزحـزح عنـه) ولكن عبد الناصر أصر أن تتحمل كل دولة نفقات جيشها وأن تقتصر القيـادة المشـتركة علـى وضـع الخطـط العسـكرية وهكـذا انتهـى الاجتماع دون اتفاق" (ص405-407 الجزء الثاني - المذكرات) .

ما هو السبب في استقبال الوفد السوري الفاتر

ممـا لا شـك فيـه أن المشـروع المصـري كـان مشـروع عبـد الناصر كما ذكرنا سابقا، وانني متأكد من أن المشروع السوري قد أرسـل الى عبد الناصر قبل وصول الوفد السوري الى القاهرة. فقـد كانت الصـلات الحميمـة قـد توثقـت بـين قيـادات الجـيش السـوري وبين السفارة المصرية بدمشق، وهذا ما يعلـل إلحـاح عبـد الناصـر

على مجيء الوفد السوري قبل وضع الصيغة النهائية للمشروع السوري كما يعلل استقبال الوفد الفاتر بل المهين بعد الاطلاع على المشروع السوري ، والذي يؤكد ذلك هو تشبث كل فريق بمشروعه والدليل الآخر ما رواه خالد العظم في مذكراته "ان حسين العوينى زاره بعد الاجتماع الأخير، (وهو من جماعة السعودية المعروفين)، وحدثه عن ضرورة تأمين جميع الوسائل لانجاحه في معركة انتخابات رئاسة الجمهورية، وقال له: أنه لا سبيل الى ذلك إلا بالاعتماد على القاهرة والرياض. وان الطريق الموصل الى ضمان تأييدهما هو الموافقة على المشروع المصري الذي يؤيده الجانب السعودي. (ص 407- الجزء الثاني).

اسباب اخفاق مباحثات القاهرة

لم يكن عبد الناصر في قرارة نفسه يعتمد على القوة العسكرية، بل كان يعتمد على براعته وعلى أجهزة إعلامه ومخابراته، والدليل على ذلك أن جمال عبد الناصر قال لرياض المالكي بحضوري عندما عينه وزيرا للاعلام في سورية بعد قيام الوحدة السورية المصرية:

"إن سلاحنا هو إعلامنا، ونحن لم ننتصر في معركة تأميم القناة بقوة الجيش، وإنما انتصرنا بقوة الإعلام" فكيف يوافق إذن جمال عبد الناصر على تمويل جيش عربي موحد تشترك فيه مصر بنسبة عالية؟

ان قضية الصراع العربي الاسرائيلي لم تكن الأولى بين اهتمامات عبد الناصر الذي كان منصرفا لمعالجة أوضاع مصر الاقتصادية. سأل أحد الصحفيين الأجانب جمال عبد الناصر في أحد مؤتمراته الصحفية عام 1968: هل تدلني على الاسباب الحقيقية لهزيمة الجيش المصري في حزيران؟ أجاب عبد الناصر بما معناه: إننا لم نكن نفكر بالحرب ولم نكن نعد أنفسنا لها.

□

كان هدف المتفاوضين حول المشروع الثلاثي مختلفا اختلافا كبيرا بقدر اختلاف نسبة ما تنفقه السعودية ومصر على

جيشها وما كانت تنفقه سورية آنذاك، فقد بلغت نسبة ما تنفقه سورية على جيشها منذ عام 1949 ما يزيد على 55 من موازنتها العامة عدا موازنات التسلح الاستثنائية، بينما كانت مصر حتى بعد قيام الوحدة -كما أعرف- لا تنفق على جيشها أكثر من نسبة 15% من موازنتها العامة. أما الجيش السعودي فقد كان آنذاك جيشا رمزيا.

وإلى كل العوامل التي ذكرناها والتي أدت إلى اخفاق المفاوضات وعدم إقرار المشروع السوري يضاف عامل حاسم هو ضغط الولايات المتحدة على مصر والسعودية لإحباط المشروع الذي تقدمت به سورية، إذ لم يكن هدف السياسة الاميركية من جميع الضغوط التي مارستها على سورية أن تنضم سورية إلى حلف بغداد، وإنما كان هدفها دفع سورية للسير في ركابها، وكان يرضي الولايات المتحدة أن تدخل سورية في ميثاق محوري مع مصر والسعودية مهما كانت صفته المناهضة للسياسة البريطانية، أما ان ينقلب هذا المحور إلى اتحاد ثلاثي يعتمد فيه العرب على قوتهم الذاتية العسكرية والاقتصادية في مواجهة اسرائيل والغرب فأمر تعتبره بمنتهى الخطورة وتقاومه بكل ما لديها من وسائل، ومن هذه النقطة بالذات التقت دولتا المعسكر الاستعماري البريطاني والاميركي في ماقومة الاتحاد الثلاثي وفي تآمرهما على تقويض الاتجاه التقدمي في سورية، فارتكبتا فيها سلسلة متصلة من المؤامرات والاغتيالات التي استمرت إلى قيام الوحدة المصرية السورية عام 1958.

1955 : السوريون القوميون يسيطرون على الشرطة العسكرية - صلاح الشيشكلي (السوري القومي) يعود إلى سورية ويصرح أن أخاه أديب سيعود ولا يستطيع أحد منعه- بريطانيا تنضم إلى الاتفاق العراقي التركي.

بوادر الفتنة والاغتيالات

كان شهر نيسان عام 1955 ، الحافل بأحداثه ومؤامراته الداخلية والعربية والدولية، من أخطر الشهور التي مرت بتاريخ سورية : وفيه توثق تحالف رئيس الجمهورية وحزب الشعب مع بعض قيادات الحزب الوطني ومعظم المستقلين والسوريين القوميين ضد جبهة الائتلاف، وقد تجلى ذلك في الانتخابات التكميلية التي جرت في أواخر شهر آذار 1955 ومع ذلك فقد سقط مرشح السوريين القوميين بديع اسماعيل وحليفه علي يونس في طرطوس، ونجح مرشحا الكتلة الديموقراطية رياض عبد الرزاق واسماعيل حسين، أما في الغوطة فقد نجح حنا الكسواني مرشح السوريين القوميين بدعم من حزب الشعب (رشاد جبري) وسقط شقيق الاستاذ خليل كلاس الضابط المتقاعد بهيج كلاس في هذه المعركة لامتناع فرع حزب البعث عن تأييده، وقد لجأ السوريون القوميون وحزب الشعب للعنف في هذه المعركة فهاجموا خمسة مراكز اقتراع ومزقوا جداول شطب الناخبين.

كان استشراء اعتداء السوريين القوميين على حزب البعث دون مبرر وتكرار هجماتهم المسلحة في جميع أنحاء سورية، كما كان دعمهم من قبل معظم القوى السياسية الرجعية في البلاد، التي كانت الى عهد قريب تناصبهم العداء، أمرا متصل الحلقات مع ما كانت تكتبه جريدتهم "البناء" وما كانت تكشفه بياناتهم من تأييد لسياسة الأحلاف.

في هذه الفترة بالذات اتصل بي سرا بعض أفراد الشرطة العسكرية في دمشق ممن لم يكن لي بهم سابق معرفة وقدموا لي أنفسهم، فعرفت أنهم من فلاحي قرى سورية الشمالية ، فأخبروني عن نشاط السوريين القوميين الذين أصبحوا مسيطرين سيطرة تامة على الشرطة العسكرية، وقد أبدوا لي حذرهم وارتيابهم من مغبة هذه السيطرة، وظهر لي من لهجتهم صدقهم ووعيهم وحرصهم، وكانوا يدعمون أقوالهم بالوقائع والتفاصيل والأسماء، ولشد ما كانت دهشتي من ذلك وأنا أعرف أن رئيس الشرطة العسكرية كان آنذاك أكرم الديري وهو من تلاميذ عدنان المالكي، قلت لهم :

كان يجدر بكم أن تنقلوا هذه المعلومات الى رئيسكم أكرم ديري فهو شاب موثوق به ومن تلاميذ عدنان المالكي المقربين ومعروف ببعده عن الحزبية بل وبكرهه لها، وأنا استغرب كيف يغفل عن تغلغل السوريين القوميين، ولم أكن لأهتم كثيرا بهذا الأمر لولا اعتداءات السوريين القوميين المتكررة، ولولا شعوري بالمؤامرات التي تحاك للبلاد من كل جانب، لذلك اجتمعت بالمقدم مصطفى رام حمداني رئيس الشعبة الثانية وأخبرته بتفاصيل ما رواه لي أفراد الشرطة العسكرية.. وقلت له :

"إن الضابط أكرم ديري رجل عسكري ولا يثق كثيرا بالسياسيين، لذلك أرجو أن تكلمه باسمك وتنبهه وتذكر له ما رويته لك من وقائع وكأنك اطلعت عليها بحكم وظيفتك " وبعد مدة اجتمعت بمصطفى رام حمداني وسألته عن نتيجة مسعاه مع أكرم ديرى فقال لي :

"انه لم يحفل بكل ما ذكرته له ونبهته إليه، واعتبره تدخلا بشؤونه وهذا ما كنت اتوقعه قبل مكاشفته بالأمر".

لم اطلع عدنان المالكي على هذا الأمر بالنظر للفتور الحاصل بينه وبين حزب البعث وخشيت أن يعزو حديثى معه إلى دوافع حزبية فلا يعير هذا الأمر أي اهتمام.

عودة صلاح الشيشكلي إلى سورية

بعد انهيار ديكتاتورية أديب الشيشكلي وهربه مع أخيه صلاح ألفت وزارة العسلي لجنة للتحقيق عما ارتكبه حكم الشيشكلي، فوضعت هذه اللجنة إشارة الحجز على ممتلكات صلاح الشيشكلي الذي أصبح ملاحقا من السلطة لاتهامات عديدة منها تهريب الحشيش. وقد فوجئت سورية في مطلع شهر نيسان بدخول صلاح الى سورية علانية وذهابه إلى حماه حيث بدأ يمارس نشاطا مشبوها، وشرعت الصحف السورية واللبنانية السائرة مع الأحلاف بنشر تصاريحه المسمومة والمشبوهة.

كان رفاقنا في حماه يحذرونني - منذ دخوله - من نشاطه المريب في المدينة وعقده الاجتماعات والاتصالات مع العائلات الاقطاعية وفلول حركة التحرير، وكنت حائرا بما أفعله بعد أن أخفقت جميع مراجعاتي للحكومة وتحذيري لها وكنت أتساءل:

هل من المجدي أن أثير هذا الموضوع في المجلس النيابي مما يمكن أن يؤدي إلى الاستفزاز وبالتالي إلى اصطدامات في حماه قد تكون دامية؟

وفي الوقت نفسه كنت أرى ان السكوت عن نشاطه أمر يمكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة، ولم يكن أمامي الا انتظار الفرصة المناسبة، وقد جاءت في جلسة 1955/4/14 فقد كانت بين البرقيات التي ترد عادة الى المجلس برقيات احتجاج على ترك صلاح الشيشكلي يصول ويجول بتصريحاته في الصحف، فطلبت من رئيس المجلس قراءة البرقيات ولكن الرئيس لم يلب الطلب.. ثم بدأ أمين السر بتلاوة اسئلة واقتراحات النواب ومنها سؤال للنائب عبد اللطيف اليونس الذي كان يكره أديب الشيشكلي لأنه كان يعتبره مسؤولا عن مقتل العقيد محمد ناصر، وجاء في سؤال اليونس ما يلي :

"نشرت بعض الصحف تصريحا لصلاح الشيشكلي العائد حديثا من عند أخيه أديب الشيشكلي الذي قال في تصريحه عنه انه يتنقل بين ايطاليا وفرانسا وسويسرا وانه يصرف على نفسه مما يتقاضاه من المملكة العربية السعودية، وقد جاء في هذا التصريح الغريب ان أخاه سيعود حينما يجد

استقلال البلاد معرضا للخطر، وانه يعرف كيف سيعود ومتى يعود ولا يستطيع أحد أن يمنعه من العودة وأنه يفكر بالعودة جديا لمنع أذناب السياسة من العبث باستقلال البلاد".

كما قال : "هل يجوز أن تتغاضى الحكومة عن رسول الشيشكلي وشقيقه وهو يلقي بهذا التصريح وهل يسوغ أن تسكت الحكومة على هذه البادرة الأولى التي هي بمثابة التمهيد لعودة الرجل الذي اضطرته البلاد للهرب منها واللجوء إلى سواها" "إن أديب الشيشكلي قد دفع أخاه للتمهيد له جس النبض وحياكة المؤامرات"

بعد تلاوة سؤال اليونس جاءت مناسبة إثارة هذا الحديث من قبلي بعد أن عرفت بأمر اجتماعاته مع الاقطاعيين وفلول حركة التحرير، كما كنت أعرف أن صلاح لا يزال من أركان السوريين القوميين الذين بدأوا يشنون الاعتداءات على حزب البعث ومؤيديه.

يضاف إلى ذلك خطورة علاقة أديب الشيشكلي بالسعودية، مما ولد في نفسي ارتيابا بأن السعودية قد لا تكون بعيدة عن الجو الذي يشيعه الغرب في البلاد بالاستعانة بتركيا ونظام نوري السعيد في العراق ضد العناصر الوطنية العربية التحررية. كان جو البلاد يوحي بأن ساعة الصفر قد اقتربت وان الالغام ستنفجر عما قريب . في تلك الجلسة علقت على سؤال اليونس بما يلي :

"بالإضافة إلى النواحي السياسية التي ذكرها الزميل اليونس في موضوع صلاح شيشكلي، فإن هناك نواح جزائية، إذ تعلمون انه على اثر الثورة على ديكتاتورية الشيشكلي ألفت الحكومة آنذاك لجنة للتحقيق في الجرائم التي ارتكبت وهي تهريب الحشيش والأفيون والمواد الأخرى، وقد أحالت لجنة التحقيق بعض القضايا إلى اللجنة الجمركية التي لها كما تعلمون صفة المحكمة، ولما بدأت هذه اللجنة بالتحقيق وتقدمت شوطا بأعمالها، اجتمع مجلس الجمارك الأعلى وطلب من اللجنة الجمركية طي التحقيق المتعلق بعصابة صلاح الشيشكلي وزبانيته من المهربين، ثم أصدر مجلس الجمارك الأعلى دون أي مسوغ قانوني قرارا جاء فيه: "ان هذه القضايا ملفقة وعلى ذلك فإنه يجب عدم متابعة التحقيق" وهكذا نجا صلاح الشيشكلي وجماعته

من المهربين من الملاحقة والإدانة.. والمعروف أن هناك مداخلات مشبوهة ووساطات أدت إلى هذه المخالفات القانونية وهي التي فسحت مجالا لصلاح الشيشكلي أن يأتي للبلاد ويدلي بهذه التصريحات، وانني مصمم على أن اتقدم باستجواب وأطالب بتأليف لجنة تحقيق في هذه القضية، هذا مع العلم بأن صلاح الشيشكلي كان يشغل وظيفة حكومية سواء في العشائر أو الجمارك وان اتهامه بالتهريب وسوء استعمال الوظيفة يشكل جرما جنائيا".

وقد أجابني ليون زمريا وزير المالية بأن الاجراءات التي أشكو منها جرت في عهد الحكومة السابقة ووعدني بالرجوع لأضابير التحقيق. وعلق خالد بكداش على هذا الموضوع مذكرا بعهد الشيشكلي وما ارتكبه من جرائم الاعتقال والتعذيب وان "النضال في سورية منذ بدايته كان نضالا في سبيل الاستقلال وفي سبيل الدستور والديموقراطية لذلك لا يمكن الفصل أبدا بين النضال الوطني والنضال الديموقراطي في نظر الشعب السوري، وغدا ستحتفل البلاد بعيد الجلاء ومعنى احتفالها بهذا العيد اعلانها تمسكها المتين الذي لا ينفصم بالحياة الديموقراطية".

ولم يخرج صلاح الشيشكلي من سورية إلى لبنان إلا بعد أن أدى دوره المطلوب منه في حبك المؤامرة الكبرى التي ذهب ضحيتها أخي واصل وعدنان المالكي.

الاتفاق العراقي التركي وانضمام بريطانيا إليه

كان الحصار العربي والغربي يزداد شدة وإحكاما على سورية، بعد أن أخفق الوفد السوري بمباحثاته في بغداد وبمفاوضاته مع مصر والسعودية للتوقيع على الميثاق العربي، مما أضعف حكومة الائتلا ف وأحرج موقفها وموقف البلاد. وفي هذا الظرف بالذات أعلن نوري السعيد في بغداد وأنطوني ايدن في لندن بتاريخ 30-3-1955 اتفاق الحكومتين العراقية والبريطانية على إنهاء المعاهدة المعقودة بينهما عام 1930 وانضمام بريطانيا إلى الحلف التركي العراقي وقيام الدولتين بتوقيع اتفاقية تحدد أسلوب التعاون بينهما بالاستناد إلى أحكام المادة الأولى من الحلف المذكور على أن يكون كل ذلك نافذا ابتداء من 6-4-55 بعد

أن يـتم ابـرام الاتفـاق فـي 4-4-55 وهـو يـوم تتـويج الملـك فيصـل الثـاني. وفيمـا يلـي نـص المـواد التسـع مـن الاتفـاق العراقـي البريطاني.

1- تقوم الحكومتان بإدامة وتنمية السلم والصداقة بين بلديهما وتتعاونان من أجل سلامتهما والدفاع عن كيانهما وفقا لميثاق التعاون المتبادل.

2- تنتهي من تاريخ ابرام هذا الاتفاق معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا مع الملاحق والكتب المتبادلة.

3- لا تتحمل الحكومة العراقية بموجب هذا الاتفاق أية مسؤوليات خارج حدود العراق.

4- تضطلع الحكومة العراقية بمسؤوليات الدفاع التامة عن العراق، كما تتولى حراسة جميع منشآت الدفاع في العراق.

5- يقوم تعاون وثيق بين السلطات المختصة في الحكومتين في الدفاع عن العراق.

6- تقوم بريطانيا بتقديم مساعدات لتأسيس وإقامة قوة جوية عراقية فعالة عن طريق إجراء التدريب والتمارين المشتركة في الشرق الأوسط وإقامة المطارات التي يتفق على ضرورتها بين وقت وآخر وتسليحها بصورة فعالة، والاشتراك مع الحكومة العراقية في تاسيس جهاز فعال للانذار عن الغارات الجوية وتأمين حفظ الأجهزة اللازمة للدفاع عن العراق في حالة استعداد داخل الأراضي العراقية وتدريب وتجهيز القوات العراقية للدفاع عن بلادها، وتقدم بريطانيا الفنيين من القوات البريطانية.

7- تتمتع الطيارات العسكرية العائدة الى كل من البلدين بتسهيلات المرور والترحيل داخل البلد الآخر.

8- في حالة هجوم مسلح أو تهديد بهجوم مسلح على العراق تعتبره الحكومتان خطرا على سلامة العراق، تقدم بريطانيا بناء على طلب العراق مساعدات تشمل عند الضرورات القوات المسلحة للمعاونة في الدفاع عن العراق. وتقدم العراق جميع المساعدات لجعل هذه المساعدات سريعة وفعالة.

9- نص الاتفاق على تنفيذه اعتبارا من تاريخ ابرام بريطانيا للميثاق ومدته خمس سنوات.

كان نوري السعيد متقنا لدوره في التمثيل عندما وقف في مجلسي النواب والشيوخ العراقي يصور للمجلس أمورا لم يرد ذكرها في بنود هذه الاتفاقية تحقق للعراق الجلاء والتحرر من ربقة الاحتلال البريطاني وفي جو من الحماسة المفتعلة وافق مجلس النواب العراقي على الغاء المعاهدة، مما يعني الموافقة - بصورة غير مباشرة على الاتفاق العراقي البريطاني الجديد.

وتكملة لفصول المسرحية تقدمت الحكومة العراقية ابتهاجا بالغاء المعاهدة البريطانية بمشروع قانون يقضي بمنح راتب شهر لجميع الموظفين والمستخدمين، وقد زعم نوري السعيد امام المجلسين العراقيين بأن تسليم قاعدتي الحبانية والشعيبه سيتم يوم ذكرى ميلاد الملك فيصل في 2-5-55 وان القوات البريطانية المسلحة ستجلو خلال 11 شهرا إلى غير ذلك من الأمور التي لم يرد ذكرها في الاتفاق العراقي البريطاني، بل جاء بيان انطوني ايدن في مجلس العموم البريطاني مكذبا لمزاعم نوري السعيد حيث قال :

"ستكون مهمة بريطانية المساهمة الفنية في انشاء وتنظيم الدفاع الجوي، وأن تضع في العراق العدد والاجهزة الحربية اللازمة لتستطيع استعمالها في حالة نشوب حرب" "إنه سيسمح لضباط بريطانيين بالبقاء في العراق للمحافظة على الطائرات البريطانية والمنشآت والمساهمة في تدريب القوات العراقية" "ان بريطانيا ستواصل السهر على الآشوريين المسيحيين في العراق" "انه يأمل أن تنضم الولايات المتحدة الى هذا الحلف، وانه لا يتوقع انضمامات أخرى في المستقبل القريب".

كان نوري السعيد يقصد من توقيعه اعلان الاتفاقية وإخراجها على الصورة التي وصفتها تشديد الحصار أكثر فأكثر على الاتجاه التحرري في سورية، بينما كان كميل شمعون يقوم بزيارة لتركيا افتتحها بقوله: "إنه متى عاد إلى بيروت سيبدأ

نشاطا واسعا مع الحكومات العربية، وهو يعتقد أن هذا النشاط بمعاونة تركية سيؤدي إلى تأييد جميع الحكومات العربية للحلف العراقي التركي أو أهدافه على الأقل بشكل من الأشكال". كان شمعون منذ البداية قد جعل من لبنان قاعدة للدعاية للحلف العراقي التركي والتآمر على سورية وعلى نظامها التحرري، هذا التآمر الذي كشفت بعض جوانبه وثائق حلف بغداد، ولذلك لم يبق أمام ما تنتهجه سورية في سياستها العربية والدولية من مخرج سوى تحقيق مشروع الاتحاد ولا أدل على شعورنا بذلك ما نشرته جريدة الرأي العام بتاريخ 5-4-55 :

"اضطر أكرم الحوراني أن يترك حماه أمس قبل انتهاء مراسم التعزية بوفاة عمه أبو الخير الحوراني وأن يأتي الى دمشق للاطلاع على نتائج المباحثات الثلاثية في القاهرة، وربما دعيت قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي الى الاجتماع غدا لدراسة نتائج هذه المباحثات لإبلاغ وزير البعثيين الاشتراكيين الخطة التي يجب أن يسير عليها في مجلس الوزراء".

كان الوفد السوري قد أنهى مباحثاته في القاهرة ورجع إلى دمشق مخفقا، ولكن الذي خفف من وطأة فشله ما أعلنته الحكومة من أن المباحثات لعقد الميثاق الثلاثي الجديد ستستمر في اندونيسيا بمناسبة مؤتمر باندونغ الذي سيعقد بتاريخ 18-4-55 وسيكون الوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية الصاغ صلاح سالم والوفد السعودي برئاسة الملك فيصل أما الوفد السوري فسيكون برئاسة خالد العظم.

كان يبدو بشكل واضح محاولة اسقاط حكومة الائتلاف بجميع الوسائل الممكنة لئلا يفتح مؤتمر باندونغ الباب المغلق أمام سورية، لتتابع بقوة أكثر اتجاهها التحرري الذي ينادي بالحياد وعدم الانحياز والمناهض لكل أشكال الاحلاف العسكرية، ولكي تتوقف المحادثات حول مشروع الاتحاد الذي يشكل حلقة متصلة مع مؤتمر باندونغ وتعبيرا فعليا - على المستوى العربي - عن الاهداف التي انعقد لأجلها المؤتمر.

وبالاضافة إلى الضغوط العربية والدولية على حكومة الائتلاف وهو ما ذكرته سابقا فقد شدد رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي حملته وقطيعته التامة لجميع مشاريع الحكومة بشكل يخرج عن الأعراف والتقاليد الدستورية، كما شدد ميخائيل ليان وجناحه في الحزب الوطني حملتهم حتى كاد الحزب يتمزق بين أنصار الميثاق العربي وأنصار سياسة الأحلاف، بالوقت الذي شدد فيه الاستاذ ميشيل وتلاميذه حملتهم على سياسة حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد تمكن صبري العسلي بالمراوغة والتذبذب من البقاء في الحكومة على مضض من معظم قيادات حزبه، وتمكنا نحن بتأييد من القوى الشعبية في الحزب من دعم الميثاق العربي الجديد والتشبث به حتى النهاية ومن الوقوف بقوة وحزم في وجه محاولات الدس والوقيعة.

□

تابع رئيس الجمهورية مقاطعته للحكومة وعرقلته لمساعيها في كل المجالات، وفيما يلي نموذج عن ذلك.

رغبت الحكومة توثيقا لعلاقتها مع مصر تعيين سفير جديد فاختارت أحمد الشقيري بدلا من نجيب الأرمنازي الذي كان يبدي معارضة للسياسة العربية التحررية التي كانت تنتهجها سورية، ولم يكن بوسع هاشم الأتاسي أن يعترض بصورة مباشرة على استبداله لأنه كان موضع اتهام عام 1949 عندما كان سفيرا في لندن من قبل هاشم الأتاسي بالذات وقد اقترح وزير الخارجية ناظم القدسي تسريحه آنذاك، وهكذا رفض الأتاسي التوقيع على مرسوم تعيين الشقيري بداعي أنه فلسطيني غير متمتع بالجنسية السورية، وكانت الحكومة قد أعدت مرسوم تعيينه استنادا الى المرسوم الاشتراعي الذي صدر باقتراح من قبلى عام 1947 والذي منح للفلسطينين جميع الحقوق الممنوحة للسوريين في وظائف الدولة، وكان هذا المرسوم قد صدر رغم المعارضة الشديدة، وفي عهد الشيشكلي صدر ملاك جديد لوزارة الخارجية لم يرد فيه استثناء الفلسطينيين من شرط الجنسية السورية وانما يعتبرهم كبقية المواطنين العرب، وبهذه الحجة

القانونية أحال رئيس الجمهورية مرسوم التعيين الى المحكمة العليا التي أفتت بإبطاله، بالوقت الذي أصدرت فيه الحكومات المتعاقبة منذ عام 1949 مئات المراسيم بتعيين الفلسطينيين في وظائف الدولة والجيش فاضطرت حكومة العسلي إلى وضع مشروع قانون جديد لتعديل ملاك وزارة الخارجية بحيث يحق لها تعيين الشقيري في ملاك وزارة الخارجية ولكن رئيس الجمهورية امتنع عن تحويل مشروع القانون الى المجلس النيابي خلافا للتقاليد الدستورية، فتبنيته وتقدمت به الى المجلس في جلسة 12-4-55 وطلبت استعجال النظر به لتعيين الشقيري وإشراكه في الوفد السوري لمؤتمر باندونغ، وقد قدمت للمشروع بقولي :

"لقد سبق للشقيري مواقف مشهورة في خدمة سورية والقضية العربية ونحن الذين نعلق اهمية كبرى على مؤتمر باندونغ يهمنا ان نرى الشقيري بين اعضاء وفدنا إليه" وقد حاول عدنان الأتاسي أن يزهد النواب في اقرار مشروع القانون الذي تقدمت به فقال "ان اشتراك الشقيرى في المؤتمر لا يستوجب تعيينه في الخارجية" فذكرته على الفور بمديحه للشقيري ونحن في سجن المزة عندما وصفه بأنه من أعظم خطباء العربية ومن بين أعاظم خطباء العالم باللغة الانكليزية" ومع ذلك فقد تمكن حزب الشعب بسيطرته على اللجان أن يدفن مشروع القانون بادراج المجلس.

كانت هذه الجلسة مظاهرة سياسية كبرى لتأييد اشتراك سورية في مؤتمر باندونغ، ومما جاء على لسان النائب الشيوعي خالد بكداش قوله :

"إن هذا المؤتمر فريد من نوعه في التاريخ وسيكون له تأثير كبير في العصر الحديث، ويسيطر عليه فيما يبدو بحث المبادئ الخمسة التي اتفق عليها نهرو وشوان لاي والتي ستؤدي، إذا اقرت إلى تخفيف حدة التوتر الدولي" "إن الأوساط الاستعمارية بذلت محاولات كثيرة لعرقلة عقد المؤتمر فلما أخفقت حاولت نسفه في الداخل عن طريق الحكومات العميلة السائرة في فلكها " "إن سورية التي تمتاز عن جميع الدول العربية والشرق الأوسط بما تنعم به من حرية وديموقراطية وحياة برلمانية صادقة التمثيل ستقف بلا ريب إلى جانب المبادئ الخمسة، وسينهج وفدها السياسة التي حددها البيان الوزاري التي تعبر عن إرادة الشعب في سورية".

وسنذكر بالتفصيل نجاح مؤتمر باندونغ بالنسبة لمضمون دعوتنا للحياد الايجابي وعدم الانحياز، وما جرى فيه من مباحثات حول الميثاق العربي الجديد في حينه، والمهم الآن أن نذكر بأن سفر الوفد السوري لحضور مؤتمر باندونغ بتاريخ 14-4-55 قد قوى وضع الحكومة أمام جميع الضربات التي كانت تكال لها.

كان الوفد السوري مؤلفا برئاسة خالد العظم وعضوية فاخر الكيالي وزير الاقتصاد الوطني ومأمون الكزبرى وزير العدل، وأحمد الشقيري، وصلاح البيطار (عن البعث العربي) وصالح عقيل (عن الكتلة الديموقراطية) أما ميخائيل ليان فقد اعتذر في آخر لحظة عن مرافقة الوفد، كما ضم الوفد عددا من المستشارين منهم أديب الداوودي رئيس مؤسسة اللاجئين والرئيس هيثم الكيلاني، وموفق القدسي رئيس المكتب الخاص لوزير الخارجية ومن رجال الصحافة السورية أحمد عسة (الرأي العام) سعيد التلاوي (الفيحاء) وديع صيداوي (النصر) منير الريس (بردى) فوزي أمين (النقاد) **وكان من المفيد في ذلك الوقت البيان الذي أصدرته وزارة الخارجية السوفيتية الذي اعلنت فيه انها تنوي أن ترفع إلى الأمم المتحدة قضية بلدان الشرقين الأدنى والأوسط إذا ما استمرت الحكومتان الاميركية والبريطانية في متابعة الضغط على هذه المنطقة لجرها إلى الاحلاف العسكرية التي هي امتداد لحلف شمالي الأطلسي، ويخص البيان بالذكر الحلف التركي الباكستاني والحلف العراقي التركي.**

بعض وثائق حلف بغداد وتاريخها أوائل عام 1955 (نيسان) وهي تتعلق بمؤتمر باندونغ.

ما يلي لفخامة الجمالي الرقم 10

التاريخ 1955/4/13

اعلمنا السفير الأمريكي بناء على تعليمات من مستر دالس أن الصين الشيوعية ستشن هجوما عنيفا على الصين الوطنية في باندونك وطلب أن يقف الوفد العراقي موقفا قويا

مساعدا للصين الوطنية. أفهمناه أن فخامتكم مطلعون على الوضع تماما ومزودون بكل ما يقتضي ولا حاجة للتأكيد عليكم في هذا الشأن.

ترجو المفوضية الصينية اعلامها عن رأي فخامتكم عن قبولكم الدعوة لزيارة فرموزا. (ص 1175 كتاب محكمة الشعب).

الرقم 12

التاريخ 1955/4/16

بامكان الوفد العراقي الحصول على المعلومات فيما يتعلق بنوايا الصين الشيوعية ومشاريعها في المؤتمر الآسيوي الافريقي من اتصالاتكم بالسفارة الامريكية. (ص 1175 - محكمة الشعب).

الرقم 16

التاريخ 1955/4/20

ما يلي الى فخامة الجمالي .

سيسافر الى باندونك الاسقف مكاريوس أحد زعماء حركة اتحاد قبرص مع اليونان للاتصال بوفود الدول وإثارة القضية في المؤتمر.

لا ترى الحكومة البريطانية اثارتها لان بحثها مرة أخرى في باندونك ستكون له آثار سيئة في قبرص من ناحية ووضع قبرص الاستراتيجي فضلا عن مخالفته لقرار الجمعية العمومية الذي لم يطرأ ما يستوجب اعادة فيه، يرجى عدم تأييد بحث القضية. (ص 1167 - محكمة الشعب).

الرقم 10

التاريخ 1955/5/5

من السفارة العراقية في واشنطن

الى الخارجية بغداد

قابلت المستر دالس وزير الخارجية اليوم بعد الظهر بناء على طلبه فقال ان الغرض من المقابلة هو تسجيل اعجاب الحكومة الامريكية بالدور الذي لعبه العراق ورئيس وفده فخامة الجمالي في مؤتمر باندونك. الذي نتج ان الوضع في الشرق الأوسط إلى الهدوء وربما الى السلام. اذ لو خرجت الصين الشيوعية بنصر في المؤتمر لكان ذلك مشجعا لها لبدء هجومها المسلح على فرموزا وغيرها لانها حشدت قوات برية وجوية كبيرة للقيام بعمل عسكري في تلك المنطقة ولكن بعض الشعوب الاسيوية الحرة وعلى رأسها العراق اثبتت نفسها في المؤتمر فخرجت الصين بنتائج غير التي توقعوها ولذا كان فخامة الجمالي يستحق كل تقدير.

شكرت المستر دالس ووعدته بتبليغ ما قاله بشأنه وابلاغ فخامة الجمالي به ايضا وقلت له انما ما قام به الدكتور الجمالي هو تعبير صادق للرأي العام العراقي. (ص 1176 محكمة الشعب).

1955 : اغتيال أخي واصل ومحاولة وضع الجريمة في إطار عائلي - اغتيال العقيد عدنان المالكي بعد أيام من اغتيال أخي واصل- كانت نقطة الالتقاء بين الاستعمارين الأميركي والبريطاني في سورية هي القضاء على الزخم الجماهيري الواسع الذي كان يتجه بوعي وثبات وبصورة ديموقراطية نحو التحرر السياسي والاجتماعي والذي كان دعامته حزب البعث العربي الاشتراكي في الشعب وعدنان المالكي والقوى الملتفة حوله في الجيش - محاكمة قتلة المالكي.

عيد الجلاء عام 1955

شعرت بجو ضاغط غير مألوف في الفترة التي سبقت السابع عشر من نيسان، وكانت الاحزاب والكتل السياسية تتسابق وتتبارى للاشتراك باحتفالات عيد الجلاء، فاقترحت قيادة البعث أن يقيم الحزب احتفالات بالمناسبة في جميع أنحاء سورية وأن يقيم فرع دمشق مهرجانا كبيرا أكون والاستاذ ميشيل خطيبين فيه.

لم أكن في قرارة نفسي موافقا على ذلك، كما لم أكن مرتاحا لاشتراك الحزب في مهرجانات الجلاء بصورة عامة لسببين :

1- كنت أخشى أن يتخذ الاستاذ ميشيل من اجتماع دمشق مناسبة للغمز واللمز من الموقف السياسي والعقائدي للحزب، وقد كنت مقدرا ان خطابه مهما كان غامضا فلا بد أن يشف عن التباين بين رأيينا، وكنت حريصا ألا يظهر خلافنا علنا لئلا يتخذه الخصوم في ذلك الظرف العصيب سلاحا للدس والوقيعة في صفوف الحزب، فقد وجه الحكم الرجعي في العراق للاستاذ ميشيل دعوة لحضور حفلة تسليم القاعدتين في الحبانية والشعيبة مع عدد كبير من أركان سياسته في

سورية أمثال حسن الحكيم وعدنان الأتاسي وعبد الرحمن الكيالي وميخائيل ليان وعفيف الصلح وبدوي الجبل، وقد اعتذر الاستاذ ميشيل عفلق، بعد استشهاد المالكي عن حضور الاحتفال.

2- كنت أشعر شعورا غامضا بأن جو البلاد ينذر بالخطر، ولكن لم تكن لدي دلائل ملموسة، فلم أكن أرى من المصلحة أن تقام المهرجانات في مثل هذا الجو، ولكن لم تكن لدي الحجة المقنعة لرفض اقتراح القيادة فوافقت على مضض.

كنت أشعر بالاختناق دون أسباب واضحة محددة فلم أتمكن من كتابة كلمة واحدة من الخطاب الذي كلفت بإلقائه في مهرجانات الحزب وأصبحت أشعر وأنا في دمشق وكأنني في إحدى زنزانات سجن المزة.

وعندما سألني الاستاذ علي عدي فيما إذا كنت قد أعددت خطابي وقد كان مهتما لأنه كان مقدرا لما سيتضمنه خطاب الاستاذ ميشيل ، وكان يريده خطابا محكما مدروسا يتلافى اي مضاعفات يمكن أن تحدث في صفوف الحزب، وقد بحت له بحقيقة مشاعري وتوجسي من هذه الاجتماعات، وانني لم أتمكن من كتابة سطر واحد، وانني غير قادر على البقاء في دمشق، بل انني اشعر وكأن حبلا يشتد على عنقي ساعة بعد ساعة، وانني اعتزم الاعتذار عن القاء الخطاب ورجوته أن ينوب عني بإلقائه، وقد حاول اقناعي بالعدول عن رأيي ولكن دون جدوى، فقد افهمته بأنني مصر على عدم حضور المهرجان، وانني أنوي السفر في فترة عيد الجلاء الى بيروت ، ثم ناقشته في جميع الافكار التي يجب أن تحويها الكلمة وطلبت منه صياغتها ليلقيها باسمي معتذرا عني للمجتمعين.

كان الاستاذ عبد الفتاح الزلط على معرفة بما أعانيه من ضيق، فسافرنا سوية إلى بيروت، وفي يوم الجلاء كنت في نزهة معه على طريق مطار بيروت الدولي نستمع إلى إذاعة دمشق التي كانت تفوح من برامجها وكلماتها وأناشيدها رائحة السوريين

القوميين بشكل مفضوح وكأن انقلابا سوريا قوميا قد حدث أو يوشك أن يحدث ، قلت لعبد الفتاح :

إن موظفي الإذاعة من السوريين القوميين مسعورون وكأن بهم مسا من جنون فما هو السر ؟ ثم أضفت قائلا : انهم تغلغلوا بالاذاعة السورية منذ عهد أديب الشيشكلي وأصبحوا شيئا فشيئا مسيطرين عليها سيطرة تامة وفي مقدمتهم المذيعة عبلة الخوري (التي اصبحت بعد فرارها من سورية مذيعة في محطة لندن). لقد حيرني جنون الإذاعة في ذلك اليوم ولم استطع أن أجد له تعليلا واضحا سوى هوس المذيعين الحزبيين، إذ انه لم يكن للسوريين القوميين أثر يذكر في الشعب أو الجيش.

أوينا إلى الفراش مساء 17-4-55 دون أن تمر في مخيلتنا أية شكوك أو ريبة حول ما جرى في احتفالات عيد الجلاء، ولكن أمرا واحدا كان يزعجني، هو عدم اقتناع المحتفلين -كما ذكرت مقدرا - باعتذاري عن حضور مهرجان دمشق. نمنا تلك الليلة نوما هادئا عميقا أيقظني منه فجأة صوت الباب وهو يفتح .. وعندما شاهدت إحسان حصنى وعلي عدي ورفاقا لنا آخرين سألتهم على الفور: هل قتل أخي واصل!

قالوا : لا إنه جرح في اصطدام وقع بين الحزب وجماعة من حركة التحرير، لقد أطلق عليه ابن اختك غالب الشيشكلي الرصاص فأصابه في خاصرته ، أما غالب فقد قتله المتظاهرون.

رجعت الى دمشق ولم أذهب في الأيام الثلاثة التالية إلى حماه أو إلى حلب، حيث نقل أخي إلى مستشفى الدكتور (فرشو) وقد طمأنني الاطباء تلفونيا عن نجاح العملية التي أجريت له.

كان بقائي في دمشق ضروريا للأسباب التالية :

1- لم يكن حادث حماه حادثا عفويا وإنما كان حادثا مدبرا حلقة من مؤامرة كبرى أعدت للبلاد وكان مجيئ صلاح الشيشكلي إلى حماه جزءا من هذه المؤامرة.

2- كان جو البلاد ينذر بشر مستطير تنم عنه تحديات العملاء في كل مكان، وشعرت أن وجودي في دمشق ضروري لرصد هذا التآمر وإحباطه إذا أمكن.

3- لم أشأ أن أذهب إلى حماه فور إصابة أخي واصل لأنني خشيت أن تؤدي الزيارة الى هياج ووقوع مصادمات دامية، وقد شددت على قادة الفرع في حماه بوجوب التزام الهدوء الكامل ومجابهة التحديات بأعصاب باردة، وقد تمكنت المدينة أن تضبط أعصابها بالرغم مما رافق تشييع جنازة ابن اختي غالب من تحديات فلول حركة التحرير وقوى الاقطاع والرجعية.

لقد حاولت جهدي أن أقنع الحكومة بضرورة الاهتمام بالحادث، لا لصلته بي بل لأنه - كما كان يبدو لي - حلقة من مؤامرة كبرى على البلاد وليس حادثا عارضا، وان تآمر الحكومة السابقة بالعفو عن صلاح الشيشكلي وسماح الحكومة الحالية له بدخول البلاد قد سبب هذه الفاجعة، وان أي إهمال سيجر البلاد إلى أمور لا تحمد عاقبتها، وقد ذهبت كل تحذيراتي وتنبيهاتي السابقة صرخات في واد.

الجريمة مدروسة

كانت تهيئة الجريمة ووضعها في إطار عائلي أمرا مدروسا بشكل دقيق، فقد كان غالب شابا ينقصه التوازن، ولكنه كان شجاعا وفي عام 1948 التحق بنا في فلسطين، وفي إحدى المرات أهاجه رفاقه بمزاحهم - وهم لا يعرفون طباعه- فكاد يطلق عليهم الرصاص وهم يضحكون.

ولم يكن غير ابن عمه صلاح الشيشكلي وصهره محمد الباكير البرازي قادرين على استثارته ودفعه في هذه الطريق، لقد جعله أديب الشيشكلي نائبا بالتزكية عن حماه لاستخدامه ضد حركتنا، وكان انهياردیکتاتورية أديب الشيشكلي فاجعة كبيرة بالنسبة له. يضاف إلى ذلك عواطف الثأر لمقتل ابن عمه فايز السالم الشيشكلي خلال مظاهرات الابتهاج عند اعلان الثورة في حلب على الحكم الديكتاتوري وقد ذكرت ذلك في حينه.

كانت أجهزة المخابرات العربية والاجنبية دقيقة وذكية باختيار الأداة القادرة على أن توجه للحزب في حماه بصورة خاصة الضربة التي يمكنها أن تحول النضال الشعبي العربي التحرري إلى معارك جانبية وثارات شخصية عائلية.

ولكن ضبط النفس، والترفع عن العصبيات الجاهلية، والايمان بالقيم الاخلاقية والدينية والانسانية فوت على الاعداء مقاصدهم المجرمة. وقد يتساءل القارئ :

هل اشترك صلاح الشيشكلي في هذه المؤامرة لحساب السوريين القوميين ومن وراءهم؟ إن الموضوع أكثر تعقيدا مما قد يبدو للقارئ، فلم يكن صلاح رغم صلته بالسوريين القوميين حرا في أن يتآمر معهم دون موافقة بعض الأنظمة العربية التي كان هو وأخوه مرتبطين بها آنذاك.

وقد كانت عودة أديب الشيشكلي بنظر أجهزة المخابرات الأميركية إلى حكم سورية مفضلة عن عودة شكري القوتلي إذا تمكنت من ذلك . كما تضافر في هذا الظرف نشاط أجهزة المخابرات الأميركية والبريطانية وما يتبعهما من المعسكرات العربية ضد حزب البعث العربي الاشتراكي ولا سيما بعد أن أخفقت مساعي السعودية بالتلويح لخالد العظم برئاسة الجمهورية لقاء تخليه عن التحالف مع الحزب، **وكانت نقطة الالتقاء بين الاستعماريين الأمريكي والبريطاني في سورية هي القضاء على الحركة الجماهيرية الواسعة التي تتجه بوعي وثبات نحو التحرر السياسي والاجتماعي والتي كان دعامتها حزب البعث في الشعب وعدنان المالكي والقوى الملتفة حوله في الجيش.**

كيف قتل أخي واصل :

قيل لي من أوثق المصادر أن الاتفاق كان بين الحكومة (وزارة الداخلية) وبين من سعوا لعودة صلاح الشيشكلي، أن يدخل إلى سورية سرا وأن يتوجه من المطار رأسا لقريته في محافظة حماه، ولكن صلاح أعلن عن وصوله إلى دمشق بسلسلة من التصريحات التي أدت إلى إثارة موضوع دخوله البلاد في المجلس النيابي، وقد أعد له الاقطاعيون والرجعيون الموتورون من إخفاقهم في انتخابات حماه عام 1954 وفلول حركة التحرير استقبالا حافلا خارج المدينة اتخذ شكل مظاهرات استفزازية، ولكن الجماهير التزمت بتعليماتي لضبط النفس ففشلت هذه المحاولة المتعمدة إثارة الفتنة، وفي صبيحة يوم الجلاء وزع (الحركيون) منشورات مثيرة رسمت عليها صورة لأديب الشيشكلي ، فلم يقابل الحزبيون توزيعها بأي رد فعل كما كانوا ينتظرون.

كان الحزب قد قرر أن تكون ساحة العاصي ملتقى الجماهير للاحتفال بعيد الجلاء، فبدأت جماهير الأحياء تتوافد بالآلاف الى مكان الاحتفال، وكان لا بد لأخي واصل وأبناء حينا من المرور في شارع المحالبة أثناء ذهابهم إلى ساحة العاصي، فتعرض لهم غالب الشيشكلي هو وأنصاره بالسباب والشتائم، ولكن أخي واصل منع رفاقه من الرد عليهم بالمثل وتابع مسيرته إلى ساحة العاصي، وفي أثناء الاحتفال هاجم آل الوتار من حركة التحرير المحتفلين وأطلقوا عليهم النار والمتفجرات ثم هربوا بعد وقوع جريحين، وتابع المجتمعون احتفالهم وعند انتهائه غادرت الجماهير متجهة إلى أحيائها فكمن غالب وأفراد عائلته وأنصاره في منازلهم. وعلى جانبي شارع المحالبة، وعندما مرت وفود الفلاحين العائدين الى قراهم أطلقوا عليهم الرصاص ولكنم تمكنوا من الافلات دون وقوع اصابات، وحينما بلغ أخي واصل مع جمهور المحتفلين من أبناء حينا هذا الشارع أمطروهم بوابل من الرصاص من المفارق ونوافذ المنازل واسطحتها ولكنهم تابعوا سيرهم وتمكنوا من اجتياز منتصف الشارع دون إصابات، عندئذ خرج غالب

وأخذ يطلق رصاص مسدسه على أخي واصل الذي كان ناهيا ومستثيرا فيه صلات الدم والخؤولة، ولكن غالبا تابع اطلاق الرصاص، فلم يشأ واصل أن يقابله بالمثل، وانما تناول كرسيا قريبا ورماه به فلم يصبه، فتلطى غالب في أحد المنعطفات حيث عبأ مسدسه من جديد، ثم عاد لإطلاق النار على واصل فأصابه في خاصرته وعندما سقط صريعا صوب الجمهور رصاصه إلى غالب فأرداه قتيلا، وحمل واصل إلى مستشفى الدكتور فيصل الركبي الذي أوصى بإرساله فورا الى مستشفى فروشو في حلب.

وهكذا تمكن العملاء والمحرضون من ارتكاب هذه الجريمة البشعة في مدينة حماه بالذات حيث لا تزال تسود التقاليد العربية الأصيلة التي تجعل الأخوال أعز من الوالدين وأغلى، وحيث لا يزال عربها الرحل ينتخون في معاركهم منادين "وين الخال يشوف ابن اخته".

كنت أفكر دوما بمصيبة أختي بولدها وأخيها فكنت أرثي لها اكثر مما أرثي لنفسي أو لأمي المفجوعة وكان عزائي الوحيد أن تكون دماء غالب وواصل في خدمة القضية التي نذرنا أنفسنا لها.

□

اثناء وجودي في دمشق وقبل سفري إلى حلب لزيارة أخي واصل بعد إجراء العملية الجراحية له، اطلعت على نص الخطاب الذي ألقاه الاستاذ ميشيل في مهرجان دمشق. لم يكن الخطاب سيئا بقدر ما تصورت، ولكنه كان متناقضا اكثر مما تصورت ، وكان فيه بعض الانحرافات الفكرية التي كلفت الحزب والبلاد غاليا.

جاء في خطاب عفلق :

"بعد مرور تسع سنوات على الجلاء نرى أن حكومات سورية لم تفعل شيئا لنجدة الشعب العربي المناضل ضد الاحتلال والطغيان، وان حكومات سورية كانت طوال هذه السنين أكبر أداة في أيدي أعداء الوحدة ومستغلي القطعية والتجزئة".

ولا يخفى ان هذا الحكم على جميع الحكومات المتعاقبة منذ الاستقلال حتى ذلك الوقت غير صحيح ففي تلك الفترة التي حققت فيها سورية استقلالها كانت تدافع تجاه ما طرحه الاستعمار عليها من مشاريع مشبوهة كانت جميعها تهدف باسم الاتحاد إلى إقامة عرش لعبد الاله في سورية وإلى إدخالها في منطقة النفوذ البريطاني ثم كيف يجوز للاستاذ ميشيل أن يقول ذلك وقد كنا وزراء في بعض هذه الحكومات نمثل فيها حزبي البعث والعربي الاشتراكي؟

إن الاستاذ ميشيل لم يطلق هذا الحكم الصارم المجافي للحقيقة والواقع إلا للتعريض بحكومة صبري العسلي التي كان البعث مشتركا فيها آنذاك بقرار من القيادة بشخص الدكتور وهيب الغانم والتي كانت مهمتها الأساسية تحقيق مشروع الاتحاد العربي الجديد ومناهضة الأحلاف الاستعمارية والصلح مع اسرائيل. وقد كان الحزب يناضل داخل الحكومة وخارجها وفي المجلس النيابي وفي صفوف الشعب للدفاع عن استقلال البلاد وعن القضايا العربية التحريرية والتقدمية والوحدوية، ومن المؤلم حقا أن يرد في مقطع آخر ما يلي :

"وفي هذه الظاهرة ما يكفي لانهاء خدعة التذرع بالاجنبي وتحميله تبعة تآمر الحكومات على الاهداف القومية وفيها ما يكفي أيضا لوضع مشكلتنا الأساسية وضعا صحيحا فنقتنع بأن السبيل الوحيد الى تحرير الوطن العربي وتوحيده هو في إيصال الجماهير الشعبية إلى حكم البلاد واستلام مقدراتها".

وجاء في مقطع آخر :

فالبعث العربي إما أن يكون قوميا أو لا يكون مطلقا لأن قوميته ضمانة لانسانيته، وإن اعتماد حركة البعث على نضال الجماهير العربية المظلومة لا يصدر **عن نظرية تؤمن بالطبقات** ، بل يعني ايماننا بأن هذه الجماعة **تمثل نتيجة لمعاناتها للظلم والاضطهاد حقيقة الأمة الصافية،** كما أن فيها تكمن معظم قوى الأمة وكفاءاتها، فاشتراكيتنا بهذا المعنى هي وسيلة امتنا والباب الذي تدخل منه الأمة العربية الى التاريخ من جديد، واتجاهنا القومي

يقي اشتراكيتنا شرور السلبية وكل ما يورثه الظلم في النفس من نقمة هدامة ومادية شرهة ليبقيها في جو الايجابية والعطاء وحمل الرسالة".

إن الاستاذ ميشيل يقول أنه لا يصدر عن نظرية تؤمن بالطبقات بل يقسم المجتمع الى ظالمين ومظلومين بينما الأمران في الحقيقة شيء واحد، وهو تارة يجعل الطبقة المظلومة تمثل حقيقة الأمة الصافية وقوى الأمة وكفاءاتها نتيجة لمعاناتها الظلم وتارة يتحدث عما يولده الظلم في النفس من شرور سلبية ونقمة هدامة ومادية شرهة، وتستطيع الدعوة القومية -كما يقول- أن تقينا هذه الشرور. ولكنه لا يبين لنا كيف يتم ذلك.

عندما قرأت هذا الخطاب تساءلت :

بأي عين يتوجه الاستاذ ميشيل إلى المظلومين الذين تكمن فيهم معظم قوى الأمة وكفاءاتها، وليس كالفلاحين فئة مظلومة في أوضاع بلادنا الاقطاعية، هذه الفئة التي لم يعترف الاستاذ ميشيل بوجودها بل كان يعتبر حركتها حركة غوغائية، فحاول باستمرار أن يحرم جماهيرها العريضة أن يكون لها أي شان في تقرير شؤون الحزب لأنه كان يعتبر المثقفين ولو كانوا من أبناء الأسر الظالمة هم الصفوة المختارة التي يجب أن يعتمد عليها الحزب بدعوته للمحافظة على نقائه وطهارته!

وقصارى القول أن تنظير الاستاذ ميشيل كان انحرافا عن مبادئ حزب تقدمي، فإنكار وجود الطبقات في مجتمع متخلف إقطاعي تنظير يتجاهل الواقع الملموس، ولا شك أن المجتمعات الاقطاعية القائمة على الاستغلال هي بطبيعتها مجتمعات ظالمة تترك آثارها السلبية وغير الانسانية على المواطنين جميعا، إذ تنسحب هذه الآثار على المستغلين والمستغلين، الظالمين والمظلومين، وإن خلاص هذه "الجماعة" التي يقول عنها الاستاذ ميشيل "انها تمثل بنتيجة معاناتها للظلم والاضطهاد حقيقة الأمة الصافية" هو بالاعتماد على الصراع الطبقي للقضاء على الوضع الاقطاعي والاستغلال الطبقي.

إن نضال المظلومين الطبقي ضد الاستغلال بكل أنواعه هو الذي يشفي الشعوب من أمراضها الموروثة ويزيل العوائق والسدود أمام تقدمها وارتقائها، والظاهر أن الاستاذ ميشيل كان يتوهم بأن الاعتراف بوجود الطبقات والصراع الطبقي أمر يخرج الحزب عن صفته القومية إلى صفة الأممية الشيوعية.

لقد كشف الاستاذ ميشيل بقوله هذا رسميا للناس الخلافات الايديولوجية التي كانت تعصف بالحزب وتعرض وحدته للتمزق، فزود الخصوم في ذلك الظرف العصيب بسلاح الدس والوقيعة مما كان يضعف موقف البلاد في تلك المعركة القاسية التي كانت تخوضها ضد الاقطاعية وضد الاستعمار ومشاريعه وأحلافه.

لم يكن موضوع جدل أو خلاف مسؤولية الطبقة الحاكمة بأخطائها وانحرافاتها وعجزها، ولكنه لأمر خطير في تلك الفترة التي بلغ فيها التآمر الاستعماري على البلاد ذروته أن يطالب أمين البعث العربي الاشتراكي بإنهاء خدعة التذرع بالاجنبي وتحميله تبعات تآمر الحكومات على الاهداف القومية، فهل كانت الحكومات تتآمر هواية وحبا وتطوعا أم ان الاستعمار كان يعمل جاهدا لاستخدامها كأداة لتحقيق أغراضه؟

□

بعد عدة أيام من هذا الخطاب، اغتيل العقيد عدنان المالكي، وكان اغتياله حلقة من سلسلة مؤامرات استعمارية تعرضت لها سورية ولكن الشعب احبطها جميعا بوعيه ونضاله الباسل العنيد.

وقد نشر الخطاب كاملا في جريدة الرأي العام تاريخ 55/4/19، ثم نشرت مقاطع منه بعد عام في جريدة البعث بتاريخ 56/4/20 ومن بين ما حذف المقطع الذي يتحدث عن خدعة التذرع بالأجنبي والاستعمار.

ولتكتمل صورة الاتجاهين في الحزب آنذاك لا بد لـي مـن أن أثبت بعض مقاطع الخطـاب الـذي وضـعت خطوطـه وحـددت أفكـاره ليلقيه الاسـتاذ على عدي في ذلك الاحتفال :

"وبالرغم من تكالب القوى الرجعية وتدخل الحكومـات العربيـة، توجهها مطامع البيـوت المالكـة والـدول الأجنبيـة فـإن بلادنـا بعـد هـذه السلسـلة مـن التجـارب القاسـية قـد صـانت اسـتقلالها وحققـت خطـوات تقدميـة فـي حقـل الاقتصـاد والتشـريع ونمـوا فـي الجـيش والقـوات المسـلحة، ووعيـا عظيمـا سياسيا واجتماعيا، **فقد رسخت في اذهـان ابنـاء الـبلاد جيشـا وشـعبا بعد الاطاحة بعهـد ديكتاتوريـة أديـب الشيشـكلي، بأنـه لا وسـيلة إلا الحرية لتحقيق أهداف الشعب الانقلابية، وأن أيـة مغـامرة عسـكرية هي خيانة بحق الشعب وإفساح لمجـال تـدخل الـدول الاجنبيـة عـن طريـق الحكومـات العربيـة الرجعيـة لتحقيـق أغراضـها ومطامعهـا الاستعمارية ، وان الحكم البرلماني الديموقراطي مهما كان أعرجا أو كسيحا فلا بد له أن يستقيم بالمزيـد مـن الحريـة، وانـه الحكـم الـذي يضـع حـدا للتـآمر الخـارجي وانـه السـبيل الوحيـد لتحقيـق مطالـب الشعب العربي بالوحدة والاشتراكية.**

وإذا كانت مطامع الدول الاجنبية بالماضي متناقضة بعـض التنـاقض، فإن هذه الدول قد وجدت أهدافها الرئيسية في المرحلـة التـي تلـت الانقلاب على العهد الـديكتاتوري عـام 1954 مسـتهدفة ربـط سـورية بالاحلاف العسكرية. فماذا تعني هذه الاحلاف؟

هل تعني أن تقدم البلاد أبناءها ومواردها طعمة لنيران الحرب القادمـة فـي سـبيل الحلفـاء الغـربيين مسـتعمري الـبلاد العربيـة ومستغلي مواردها؟ هل تعني الصـلح مـع اسـرائيل وجعلهـا حليفـة جديدة وفتح أبواب البلاد العربية أمام مطامعها التوسعية؟ هل تعنـي الاحلاف العسكرية الاطاحة باستقلال بلادنا وبسط السيطرة الأجنبية عليها أو هل تعني الاحلاف ادخال تركيا عنصـرا جديـدا يفـرض نفـوذه على سورية والبلاد العربية؟ هل تعني الاحلاف أن نجعل من روسـيا عدوا وحيدا وليس بيننا وبينها عداوة ولا مشـاكل قوميـة قائمـة؟ هـل تعني الاحلاف عزل مصر وشمال افريقيا والجزيرة العربية عن الهـلال الخطيب؟ هل تعنـي تحطـيم الجامعـة العربيـة؟ هـل تعنـي الاحـلاف

إعاقة الشعب عن التطور والتقدم لجعل سورية متماثلة بأوضاعها الرجعية مع البلاد العربية؟ أجل ان ارتباطنا بالاحلاف العسكرية يعني ذلك كله.

فهذه امريكا تنذر سورية بأنها لا تعترف على الجامعة العربية ولا على ميثاق الضمان الجماعي ولا على اية منظمة عربية اقليمية. وانها لا تعترف إلا على الحلف التركي العراقي جهازا صالحا للدفاع عن الشرق الأوسط الذي يقضي بتسوية الأوضاع بين العرب واسرائيل، وقد أكد ذلك السير انطوني ايدن بعد انضمام بريطانيا لهذا الحلف في مجلس العموم بأن اسرائيل راضية عن هذه السياسة مؤكدا دخولها في هذا الجهاز الدفاعي.

إن الخطة التي يتبعها الغربيون لادخال سورية في هذا الحلف هي تطويق سورية باشراك دول الهلال الخصيب مستخدمين حكوماتها لتكون داعية لسياسة الأحلاف، فما هي الطريقة يا ترى التي تنجي بلادنا من هذا الشر المستطير بعد أن اعتمد الحلفاء الغربيون على كل الوسائل حتى بلغت حد حشد الجيوش التركية على الحدود لإرغام سورية على الهزيمة والاستسلام؟

لا شك بأن الخطة تعتمد أولا وأخيرا على نضال الشعب العربي في سورية الذي سجل أروع تضحية بالنسبة لصغره وقلة عدده لبلوغ حريته واستقلاله فلا يمكن أن يقبل بالهزيمة والاستسلام، ان هذا الشعب يؤمن بأن اسرائيل تهدد العرب بالفناء والزوال، فلا يمكن أن يرضى بالصلح معها وفتح أبواب البلاد العربية أمامها ولذلك فإنه مصمم على مكافحة الاحلاف العسكرية حتى النهاية وذلك :

أولا : بإقصاء المتآمرين من السياسيين الذين يعملون لهذه الاحلاف عن الحكم.

ثانيا : تدعيم الحكم الديمقراطي النيابي واحباط كل مغامرة لاقامة حكم ديكتاتوري.

ثالثا : العمل على ابقاء الجامعة العربية، والسير حثيثا لتوحيد الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية مع الاقطار العربية التي تقاوم الانضمام للأحلاف الاجنبية.

ولا بد لانماء مقاومة الشعب وتفجير الطاقة الثورية فيه من تحقيق تكافؤ الفرص أمام المواطنين والإسراع بجعل الملكية وظيفة اجتماعية وتحديدها وتوزيع أملاك الدولة على الفلاحين وسن قانون للعمل يضمن حقوق العاملين ويحميهم من شر الاستغلال والمستغلين، وتحرير البلاد من احتكارات الشركات وجعل الضرائب تصاعدية ورسم خطة واضحة لتصنيع البلاد.

□

في صبيحة يوم الجمعة 22-4-55 سافرت الى حلب، وكانت صحة أخي قد ساءت، ولم أكد اصل الى المستشفى حتى قيل لي :

إن هاتفا يطلبك من دمشق، وفي دمشق كان صوت زوجتي المخنوق بالبكاء يقول لي : لقد اغتيل عدنان.

لم أسألها عن القاتل، كان الجو بكل ما فيه من تحرش وتحديات يشير إلى الجهة التي ارتكبت جريمة الاغتيال. وتابع الصوت المخنوق يقول :

لقد اغتيل بينما كان يشهد مباراة لكرة القدم في الملعب البلدي، وفي غرفة من غرف المستشفى كان أخي واصل الضحية الأخرى يعاني سكرات الموت.

وقفت صامتا أمام الموت: عدنان الذي استشهد، وواصل الذي يحتضر، وفي نفسي تتابعت الذكريات واختلطت الصور. وبعضها كان بعيدا يعود إلى الطفولة. تذكرت يوم رجوت شقيقي عبد الحليم وواصل أن يأخذاني معهما لأحارب الفرنسيين في ميسلون وكيف نهراني لأني ما أزال صغيرا، كان عبد الحليم صغيرا لا يتجاوز الثانية عشرة، وكان واصل أصغر منه بسنة واحدة، تخيلته عام 1945 عندما كانت حماه المدينة الوحيدة التي استطاعت ثورتها أن تدحر الفرنسيين، تخيلته حاملا بندقيته وذاهبا إلى الاستشهاد مع الذاهبين.

تذكرت أيام الطغيان عندما كان الشيشكلي يعتقل مناضلي الحزب في كل مكان. كان واصل دعامة من دعامات النضال في

تلك الفترة، تخيلته صابرا صامتا متحديا. كل تلك الذكريات كانت تتابع في ذهني مختلطة بصورة عدنان.

لهفي عليك يا عدنان.

لم يستطع الاسرائيليون أن ينالوا منك في تل العزيزيات وبقيت رغم جراحك، صامدا مرفوع الرأس تقاتل.

لم يستطع طغيان الشيشكلي ولا سجونه أن تنال من ايمانك بالحرية والديموقراطية وبقيت مرفوع الرأس تقاتل.

لم تستطع محاولات عملاء الاستعمار والأحلاف أن تثنيك عن ايمانك بالوحدة والتحرر وبقيت مرفوع الرأس تقاتل، وها هم العملاء يغتالونك برصاصة غدر.

لم أستطع أن أتصور عدنان ميتا، كانت صورته تلح علي مشرقة ضاحكة، وكان صوته الجهوري الواثق داويا في أذني.

□

لم أقض الليلة في حلب، كانت سورية في خطر، وكانت المؤامرة ماثلة للأعين وكان الاغتيال بداية لها.

عدت إلى دمشق التي كانت تغلي بنيران النقمة والغضب، وتجلى ذلك في موكب تشييع الشهيد عدنان، موكب الحزن الذي لم تشهد دمشق مثيلا له منذ أن شيعت شهيدها فوزي الغزي، لم أشهد الموكب، ولم أسر في جنازة عدنان ففي حماه كان شهيد آخر قد جيء به من حلب، وكان علي أن أسير في موكب آخر من مواكب الاستشهاد.

شيعت حماه أخي واصل، بعد عدنان بفارق يوم واحد، كان موكب الشهيد في حماه، كما كان موكب الشهيد الآخر في دمشق استفتاء وجوابا وتعبيرا عن رفض سورية للأحلاف وللاستعمار بأي شكل كان.

فقد تقاطرت الوفود على حماه من كل مكان، جاءت من دمشق وجبل العرب، من القلمون وحمص، من حلب وأدلب، من

اللاذقية وطرطوس وجبلة، من كل مكان أتى المناضلون ليقولوا لا للأحلاف وللاستعمار.

لقد حبست حماه أنفاسها يوم تشييع واصل وأغلقت مخازنها وحوانيتها، حتى الأحياء التي لن تمر بها الجنازة، كانت المدينة تترقب متوجسة، ولكن التعليمات أعطيت بعدم إطلاق أي هتاف أو تحد، وهكذا كانت جنازة واصل أروع جنازة شهيد رأتها مدينة حماه وأكثرها هدوء وخشوعا وسارت قيادات حزب البعث جميعها تشيع الراحل وقد وحدها شعورها بالخطر والتآمر ، وأذكر الآن بين المشيعين: ميشيل عفلق ووهيب الغانم ومدحت البيطار وعبد الرحمن المارديني ومنصور الأطرش وعبد الحليم قدور ونخله كلاس وعبد البر عيون السود، وخليل كلاس واحسان حصنى وناظم صقال وعبد الفتاح زلط ومحمد السيد ومحمد الحسن وعبد الهادي عباس.

وأمام القبر، حيث كانت رفقة النضال ودم الأخوة يقضيان أن أودع الراحل بكلمة، ودعته بنظرة، فقد خفت أن يفجر الكلام الغضب المكبوت وأن تندلع الفتنة التي يريدها المجرمون.

كان لتلك الجنازة الصامتة الحزينة، الخالية من أي تحد، مع القدرة على التحدي، أثرها البعيد في حماه، وفي من أثاروا الفتنة بالذات، فلم تشهد المدينة بعدها أي فتنة أخرى (كتب هذا الفصل من المذكرات في أواسط السبعينات).

أزمة إعلان حالة الطوارئ

بدأ الغليان في الجيش بعد أن اغتيل قائده الفعلي العقيد عدنان، وبعد أن عرف ان هذا الاغتيال ما هو إلا جزء من مؤامرة واسعة النطاق ترمي الى قلب نظام الحكم وجر البلاد الى الاحلاف، وكان الجيش بإجماعه يطالب بإعلان حالة الطوارئ للقضاء بشكل سريع على الفتنة واقتلاع جذورها.

وفي الطرف الثاني كان رئيس الجمهورية وبعض أعضاء الحكومة (ليون زمريا) وبعض النواب من اعضاء حزب الشعب والمستقلين يعارضون إعلان حالة الطوارئ ، وكان هذا الطرف

بمعظم فئاته وأشخاصه يتعمد التستر على جريمة القوميين وعرقلة كل ما يؤدي إلى إدانتهم وكشف مؤامراتهم ومن يقبع وراءها من الجهات الأجنبية، ولكن الخوف كان يسيطر على معظمهم في البداية من اعلان معارضتهم جهرا لما يريده الجيش، فقد كان من الممكن أن يؤدي هذا الغليان الشديد في صفوف الجيش إلى فوضى أو ثورة طائشة ربما كانت من أغراض المتآمرين.

كان خالد العظم في باندونغ، أما صبري العسلي فقد كان خائفا محتارا مترددا مما هدد البلاد خلال الاسبوع الاول من اغتيال المالكي بانفجار أزمة مريعة.

□

في تلك الفترة كان بقائي في حماه ضروريا لمواصلة تطويق الفتنة ولحضور مراسم الحزن، وكان من رأيي إعلان حالة الطوارئ لوقف هذه السلسلة من الجرائم والتآمر، أما الاستاذ ميشيل فقد كان موقفه حائرا من هذه القضية، إذ أنه كان موافقا على اعلان حالة الطوارئ، ولكنه خوفا من استعمالها في غير موضعها، كان يطالب بضمانات من غير الممكن توفرها سلفا، وكنت أرى أن هنالك ضمانة كبرى هي المد الشعبي الجارف، وهي قوة الحزب شعبيا ومجلسيا، وقد شجع هذا الموقف المتردد الطرف الآخر على إعلان معارضته علنا، وأنا أعتقد أنه لو كان خالد العظم في سورية خلال تلك الأزمة، لاستطعت إقناعه بضرورة إعلان حالة الطوارئ فورا، وقد كانت أكثرية النواب مستعدة للموافقة في ذلك الجو الحماسي، مما سيدفع برئيس الجمهورية الى الاستقالة فيكون إعلان حالة الطوارئ عملية ثورية تقف في وجه التحركات المضادة، وتفرز بشكل حاسم، في الجهاز السياسي العناصر المتآمرة من العناصر الوطنية، وكان خالد العظم في ذلك الظرف الرجل الذي يصلح لقيادة تلك المرحلة وستؤيد انتخابه -آنذاك- أكثرية المجلس بدلا من هاشم الاتاسي لرئاسة الجمهورية، وكانت الأكثرية الساحقة في الجيش والشعب، عن وعي وتصميم، تؤيد هذا الاتجاه الذي كان يساعد على كشف أبعاد

المؤامرة ووضع حد لها، كما يساعد على اجراء انتخابات جديدة في سورية تكون حرة ونظيفة تطهر الجهاز السياسي ومجلس النواب من العناصر المتآمرة الضالعة مع الغرب.

وانني ما زلت مقتنعا بأن البلاد لو سلكت هذا الطريق لوفرت على نفسها وعلى القضية العربية كثيرا من المصائب والمشاكل التي دفعت ثمنها غاليا والتي فتحت أمام الاستعمار وعملائه مجال التأمر المستمر والتلاعب بأهداف البلاد ولشكلت منعطفا سياسيا استبعدت فيه المساومة العربية والدولية التي جرت فيما بعد لعودة القوتلي، وكان من المقدر أن يخرج الميثاق العربي للاتحاد بين مصر وسورية للوجود بعد أن يفقد جمال عبد الناصر الأمل بالتوقيع على الميثاق المحوري، وبعودة شكري القوتلي.

إن مثل هذا الموقف آنذك كان يقتضي سرعة البت والاجراء، ولكن الذي تولى التحكم بالأزمة وتوجيهها بما يخدم مصلحة المتآمرين ومن وراءهم هو ابن رئيس الجمهورية عدنان الأتاسي الذي أصبح تأثيره على والده كبيرا بسبب التقدم في السن، أما صبري العسلي فقد كان خائفا حائرا مترددا يحاول أن يضع رجلا مع المتآمرين والأخرى مع الوطنيين ومع الزعيم شوكت شقير الذي كان ينقاد انقيادا تاما للمصريين والسعوديين الملتزمين بشكري القوتلي، فاستعمل العسلي كل ما يستطيعه من تلون لتمرير الأزمة واعتبار مؤامرة اغتيال العقيد عدنان المالكي جرما عاديا لا يقتضي اعلان حالة الطوارئ.

وهكذا ظلت الأزمة تدور خلال أربعة أيام بين رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية ورئيس الأركان العامة بمعزل عن المجلس النيابي الذي لم يجد رئيسه ناظم القدسي مبررا لدعوته الى جلسة استثنائية.

□

بتاريخ 26-4-1955 افتتح رئيس المجلس الجلسة العادية وكأن أمرا لم يقع، وبدأت الجلسة بالتلاوة المألوفة للبرقيات

والعرائض والتقارير وخلاصة الجلسة السابقة، ولكن نائب قضاء مصياف عبد الهادي عباس (حزبي) قاطع الروتين المجلسي، وطلب الكلام، ومما قاله :

"بالأمس القريب اغتالت يد مجرمة شابا مجاهدا من خيرة شباب هذا الوطن، اغتالت شابا مجاهدا ووطنيا كبيرا من قادة الجيش الباسل هو العقيد عدنان المالكي، وان ربط الحوادث التي مرت في هذه البلاد والمؤامرات التي حيكت عليها تؤكد وتوضح بجلاء ان هذه الجريمة لم تكن إلا بدافع من الاستعمار الذي هاله أن يقف الجيش مع الشعب صفا واحدا لإحباط كافة المناورات والاحلاف الاجنبية الاستعمارية". ثم اقترح في نهاية كلامه أن يقف النواب دقيقة صمت حدادا على روح الشهيد. وتلاه مظهر الشربجي نائب الغوطة وجاء في كلمته :

"إن الحادث الأليم الذي أصاب البلاد بمقتل العقيد المالكي ليس فاجعة وخسارة للجيش والبلاد فحسب ولكنه نذير بشر مستطير" "نحن شجعنا العناصر الهدامة وسمحنا للمارقين أن يسرحوا ويمرحوا، وكانت هذه الحادثة وليدة الوضع الذي وصفته" "**ان مستقبل الحرية والديموقراطية واستقلال هذه البلاد بل والبلاد العربية جمعاء هو بين أيديكم فتعالوا الى كلمة سواء بيننا على اختلاف كتلنا واحزابنا لنحمي عروبة هذه البلاد واستقلالها، ولنضرب كل مارق بيد من حديد".**

ثم تبعه نواب آخرون من مختلف أحزاب المجلس وكتله طالبوا باتخاذ جميع التدابير الكفيلة بالكشف عن المؤامرة والمتآمرين وكان ملحوظا أنه لم يكن لنواب حزب البعث موقف محدد في هذه الجلسة، ولعل سبب ذلك هو غيابي في حماه، وقد رد صبري العسلي على الخطباء بقوله :

"لقد وضع القضاء العسكري يده على هذه الجريمة متحققا ومتوسلا بشتى الأساليب التي يخوله إياها القانون، فكان من جراء ذلك أن استبانت لنا أضواء جديدة، ومن شأن هذه الاضواء أن تجعل من هذه الحادثة حادثة كبيرة وائتمارا لقلب نظام الحكم والاستيلاء عليه بالقوة لتغيير مناهج السياسة في هذه البلاد، لقد ترامى هؤلاء الناس "يقصد السوريين القوميين" على دولة أجنبية يستنجدون أكفها ويطلبون معونتها من أجل (انقلاب خلاق)

على ما يسمونه ليستولوا على الحكم وليجعلوا سياسة هذه البلاد الداخلية والخارجية ايجابا لما يريدونه لا ايجابا لأماني وغايات هذه الأمة، ونحن كحكومة نستطيع أن نطمئنكم بأننا وضعنا ايدينا على التحقيق، وهناك أربعة قضاة تحقيق يستجوبون المتهمين والأظناء والمتدخلين والمتعاونين ويستمعون إلى الشاهدين في هذه الجريمة، وهناك في التوقيف 15 مدنيا وثلاثون ضابطا ونفرا من العسكريين".

ثم تقدم صبري العسلي بطلب رفع الحصانة عن النائب السوري القومي (حنا الكسواني) فوافقت لجنة الدستور على رفع الحصانة ولم ينبر للدفاع عن حنا الكسواني سوى منير العجلاني بداعي (أنه لم يفرح بعد بالنيابة) وقد قصد العجلاني "تبويخ" جو الرهبة والحزن والخشوع الذي سيطر على المجلس.

كانت حصيلة هذه الجلسة لمصلحة رئيس الجمهورية وليون زمريا وميخائيل ليان والآخرين الذين كانوا يعارضون إعلان حالة الطوارئ، ولم يرد نواب البعث -على كلمة صبري العسلي التي أشار فيها بشكل صريح إلى التدابير العادية التي لجأت إليها الحكومة في معالجة موضوع المؤامرة، وهذا ما جرأ الفريق الآخر لأن يقف ضد إعلان حالة الطوارئ واعتبار الحادث حادثا عاديا، وإذا كان موقف المجلس النيابي لم يفد القضية بشيء فمن الانصاف أن نذكر بأن كلمة رشاد برمدا (من نواب حزب الشعب) الذي تعاقب على وزارة الدفاع في مختلف العهود كانت شهادة حق في ذلك الظرف الذي أراد فيه المتآمرون أن يسبغوا على جريمتهم ومؤامراتهم طابع الخلاف الحزبي بين البعث العربي والسوري القومي تضليلا وكذبا وتمويها على أهداف المؤامرة الحقيقية، وقد جاء في كلمة رشاد برمدا ما يلي:

"لن أحاول في كلمتي الصغيرة هذه أن القي درسا على الزملاء في الوطنية لأنهم أهلها، ولن أحاول أن استغل الحادث الاليم استغلالا حزبيا أو شخصيا، ذلك لأن عدنان قد راح فداء وطنيته، ولقد عرفت العقيد المالكي معرفة قريبة وخبرته خبرة واسعة، فعرفت فيه شابا مناضلا قوي العقيدة واسع الفكر دائبا على عمله ، عارفا

لحقوق وظيفته ومهمته، عرفت فيه شابا قوميا يعمل للوطن العربي ويعمل للوطن السوري، لا فرق عنده بين فرد وفرد أو بين حزب وحزب وهذه كلمة حق أقولها بصراحة وقد ذهب الفقيد ونحن لاحقون به" ثم أضاف: "وإذا ما قيل ان العقيد المالكي قد ذهب ضحية الحزبية فإن هذا القول هراء" "أن العقيد المالكي اذا كان قد قتل فإن له إخوانا كثرا من الضباط سيقومون بالمهمة التي كان يحاول القيام بها وهي العمل على تنظيم الجيش واعداده وتقويته ليقف في الوقت المناسب الوقفة اللازمة في وجه أعداء هذه البلاد" لقد كان العقيد المالكي يقول لي في مناسبات كثيرة إن البلاء الأعظم الذي يحل بالشعب السوري والذي قد يكون لا سمح الله سبب انهياره هو تدخل كل شخص في غير ما انتدب له، وكان يعتقد اعتقادا راسخا وهذا ما سمعته منه مرارا أن الجيش السوري يجب أن يعتمد على نفسه وأن يسعى لتقوية كيانه ورأب صدعه وأن يبتعد عن الاعمال السياسية".

وقد افحمت شهادة رشاد برمدا الذي هو من أركان حزب الشعب، أجهزة الاعلام الضالعة مع الاستعمار، ولا سيما في لبنان التي كانت تسعى لتصوير الحادث وكأنه نتيجه لخلاف حزبي وسياسي في الجيش السوري، لا بداية لمؤامرة كبرى تهدف إلى قلب أوضاع البلاد لتنفيذ المشاريع الاستعمارية في سورية والمنطقة العربية.

هز اغتيال المالكي أعماق الجماهير الشعبية، وقد تجلى ذلك في دموع عشرات الألوف من الجماهير الشعبية الباكية التي شيعت جثمانه، وفي المظاهرات الطلابية والشعبية التي عمت سورية وفي سيل البرقيات التي أرسلت إلى الحكومة، وفي القصائد التي قيلت في رثاء الشهيد ومنها قصيدة الشاعر شوقي البغدادي من رابطة الكتاب العرب وكانت بعنوان "عرس عدنان" لأن الشهيد كان قد عقد قرانه قبل أيام قليلة من اغتياله، وجاء في القصيدة :

أصحيح جف الهوى والحنـــان وأمحـى مـن عيونـك العنـفوان

أصحيحح لا ضـحكة بعد ترجـى أو حـديـث مجـلـجـل رنـــان

أصحيح وأنت بعد عـــريـــس أطفئ النـور وارتمـى الإيوان؟

فالقـنـاديـل واجـمات تدلـــــت مطفـآت والزغـردات الحـسان

وثياب العروس بيضاء كالشمع ودار الـحبـــــــيب إذ تـــــــزدان

أصـحيح هـــذا؟ أحـــق وجـــوم النـاس حـــتى لتـجـمـد الأجـــفـــان

أيـــن عـرس الشـباب لم يرتفع صـــــــــــــوت ولا أرهفـت آذان

أتـرانـا فـــي مأتـــم؟ أي صدر لـــم تـثر فـــي قراره النيران

هـــــم أرادوه مـأتـما وأردنـــــا مهرجانـــا للنصـــــر لا يستهان

وغـدا يـــــا أخـــــي تطل علينا فـــإذا الـعـهـد جـنة والمكان

وإذا أنـت مطـمئن قـــريـــــر وســـــوانـــا المفجـع الثكـلان

□

كان حزب البعث قد اشترك في جميع فروعه بالمظاهرات التي سارت احتجاجا على الاغتيال واعتبر المالكي شهيدا من أكرم شهدائه، ولكن موقف فرع دمشق البارد بتأثير من الاستاذ ميشيل قد أفسح مجالا لاستغلال الحزب الشيوعي، أما سبب

هذا الموقف فيعود إلى الحرب النفسية التي كانت أجهزة الاعلام تشنها والتي كانت تؤثر بالاستاذ ميشيل وببعض تلاميذه فتجعله حذرا من أي علاقة للحزب بالجيش لاعتقاده ان ذلك يحرف الحزب عن خطه الديموقراطي ويوقعه بالانقلابات العسكرية وهي الفرية التي كانت تلك الاجهزة توجهها لي بصورة خاصة، وكان هذا الحذر بالاضافة إلى عوامل أخرى سببا في الخطأ الكبير بإرغام رياض المالكي على الانسحاب من انتخابات دمشق عام 1954 لصالح صلاح البيطار، هذا الخطأ الذي كانت له نتائجه بالنسبة لتماسك الحزب وتوقف انطلاقه في منطقة دمشق.

لقد كان للاستاذ ميشيل بعد ذلك مواقف متناقضة تناقضا غريبا مع ما كان يدعيه من قناعات حول الديموقراطية والابتعاد بالحزب عن الجيش والانقلابات العسكرية، وسآتي في حينه على ذكر تآمره مع المشير عبد الحكيم عامر للاطاحة بعبد الناصر بالاضافة الى حركتي شباط 1963 في العراق والثامن من آذار 1963 في سورية مما دعا باتريك سيل لأن يستعير في أحد كتبه من صحيفة "لاكسيون" التونسية ما وصفت به ميشيل عفلق من أنه "الفيلسوف الذي شارك بانقلابين في شهر واحد"

وعلى الرغم من موقف الاستاذين صلاح وميشيل فإن كل بعثي اشتراكي في سورية كان يعتبر ان المالكي شهيده وشهيد قضيته، فكان الحزب مشتركا ودافعا في جميع أنحاء سورية للتظاهر وإرسال البرقيات.

كان الشعب واعيا لدوافع هذه الجريمة ومن يقف وراءها، فقد حملت مظاهرة طلابية كبرى في 24-4-55 الشعارات التالية :

"الشعب العربي يطلب محاكمة المتآمرين" "يسقط السوريون القوميون عملاء الصهيونية والاستعمار" "طهروا الدولة والجيش من عصابة السوريين القوميين" (صحيفة الرأي العام الصادرة في اليوم التالي) :

"إن تغاضي الحكومة عن أعمال السوريين القوميين طوال الحقبة الماضية قد جعل الشعب في اشفاق من عبثهم بأرواح الوطنيين المخلصين" "ليس من الديموقراطية في شيء سكوت الحكومة عن هذه العصابة المتآمرة".

ومرت بعد ذلك جلسة أخرى للمجلس (28-4-1955) لم يعر القضية فيها أي اهتمام بل قضى وقته في مناقشات دستورية حول اقتراح مشروعات القوانين المتعلقة بشؤون القضاء، هل هي من حق النواب، أم أنها من حق مجلس القضاء الأعلى وحده. وقد علقت الراي العام على تلك الجلسة :

"لم يشهد مجلس النواب منذ انتخابه حتى الآن جلسة عقدت عليها الآمال الكبيرة، ثم تضاءلت خلالها شيئا فشيئا حتى التشاؤم ، حتى الثورة. كانت الآمال معلقة بالمجلس النيابي، والشعب بأجمعه ينتظر فرجا من قلق وخلاصا من هذا الجو المشحون بهل؟ ومتى؟ وكيف الخلاص؟ ولكن سياسة الكواليس والازدواجية التي تعيش عليها هذه البلاد أبت إلا أن تخنق الأنفاس وتترك الشعب في اضطرابه وقلقه إلى جلسة السبت القادم وما بعد السبت".

□

أرسلت الحكومة برقية الى خالد العظم تستحثه على المجيء بسرعة من باندونع، ولكن السفر لم يكن سهلا آنذاك بالسرعة اللازمة ولذلك فإن وصوله جاء متأخرا. وعندما انعقد المجلس النيابي بتاريخ 30-4-55 أثار الاستاذ خليل كلاس الموضوع قائلا :

كان للجلسة التي عقدها المجلس بعد الفاجعة اثرها في جميع أوساط الشعب لأن المجلس والحكومة والشعب كانوا متفقين جميعا بشتى هيئاتهم وأحزابهم على استنكار هذه الجريمة كما أجمعوا كلهم على أنها بادرة خطرة تشكل تآمرا على الحياة الدستورية النيابية، تآمرا موحى به من قبل الاستعمار، وما تزال أسلاك البرق تحمل آلاف البرقيات من شتى فئات الأمة مستنكرة وطالبة اتخاذ التدابير السريعة، ولكننا لم نر شيئا من هذه التدابير التي أجمع الكل على طلبها، فإذا كانت الحكومة لا تنوي اتخاذ هذه

التدابير، فإن هناك فئة كبيرة من النواب الذين يشعرون بمسؤولياتهم القومية مستعدون لأن يتقدموا باقتراحات القوانين اللازمة لطمأنة الشعب بجميع فئاته.

فأجاب رئيس الحكومة :

"إن من حق الشعب أن يكون قلقا مضطربا من هذه الجناية الجانية على أمن الدولة الداخلي والخارجي. وعلى هذا نشعر بمسؤولياتنا أمام هذا الحدث الكبير والحكومة جادة بدراسة مشروع تضمن فيه ضمائن العدل مع التشريع والتعجيل باختصار المهل الزمنية كي لا يطول الأمر كثيرا ايجابا للنصوص والتشاريع القائمة النافذة".

كان لهذا الموقف المائع أثره الكبير في تشجيع السوريين القوميين لشن حملة مركزه من لبنان الذي جعلوه مركزا لنشاطهم وانطلاقهم ضد النظام في سورية يؤيدهم رئيس الجمهورية كميل شمعون والسلطات اللبنانية ومعظم أجهزة الاعلام. وكانت جريدة صدى لبنان التي يقوم على تحريرها السوريون القوميون تحمل لواء الهجوم على سورية تؤيدها الصحف الأخرى المتصلة بالدوائر الاستعمارية وحلف بغداد، وكان السوريون القوميون الفارون من سورية قد لجؤوا الى لبنان فاحتضنهم كميل شمعون والسلطات اللبنانية فاستمروا في تآمرهم مؤيدين من شتى الجهات الاجنبية.

وقد وضع خالد بكداش بخطابه في المجلس النيابي القضية في موضعها الصحيح حين قال :

"ليست القضية قضية محاكمة تتناول عددا ضئيلا من الناس وانما هي قضية سياسية كبيرة، وتريد العصابة المجرمة القاتلة الغادرة أن تصرف الأنظار عن الجريمة ودوافعها والواقفين وراءها بإثارة ضجة مصطنعة حول الوضع في سورية، وأنها أصبحت ماركسية ووراء الستار الحديدي الى آخر ما هنالك، وان خالد بكداش قد اصبح في سورية صاحب الكلمة الأولى".

وأمام هذا البحث حاول رئيس المجلس أن يبوخ كلام خالد بكداش فقاطعه قائلا :

"وأنت ما رأيك في ذلك؟ فضج المجلس الضحك... ولكن بكداش تابع قوله:

"إن اخواننا البعثيين قد اتهموهم بأنهم من الماركسيين ويقولون أن الماركسية في سورية قد أصبحت مسيطرة، إن هذا تهويش كبير يجب أن نقف في وجهه".

كيف انتهت الأزمة

رفض رئيس الجمهورية التوقيع على مشروع القانون الذي تقدمت به الحكومة إليه لرفعه إلى المجلس النيابي والذي يقضي بتعديل قانون العقوبات العسكري من حيث اختصار المهل القانونية وخاصة ما كان يتعلق بمدة التمييز، فتقدم به عدد من النواب بالاتفاق مع الحكومة الى المجلس طالبين استعجال النظر فيه فأقره المجلس بالصيغة التالية :

1- في الجرائم الداخلة في اختصاص المحاكم العسكرية والماسة بأمن الدولة الداخلي والخارجي وفي جرائم انتماء العكسريين للأحزاب السياسية والاشتراك في الاعمال السياسية وجرائم الخيانة والتجسس والتجنيد لصالح العدو، يقصر ميعاد التمييز المنصوص عليه من المادة 15 من قانون العقوبات العسكري إلى خمسة أيام، والميعاد المنصوص عليه في المادة 26 من القانون المذكور إلى ثلاثة أيام.

2- على محكمة التمييز ترجيح القضايا المذكورة المرفوعة إليها على غيرها والبت بها في ميعاد ثلاثة أيام عمل إذا كان التمييز متعلقا بقرار صادر عن قضاة التحقيق، وثمانية أيام عمل إذا كان التمييز متعلقا بحكم أو بقرار صادر عن إحدى المحاكم العسكرية. تبدأ هذه المدد من اليوم التالي لوصول إضبارة القضية الى ديوان المحكمة.

3- يعود لمجلس القضاء الأعلى تحديد مسؤولية القضاة في حالة مخالفتهم أحكام الفقرة الثانية.

وكان القصد من اصدار هذا القانون تهدئة العواطف المتأججة والمشاعر الثائرة أكثر منه مشروعا يقصد وضع حد للمؤامرات التي تحاك للبلاد في الداخل والخارج. (3/مايس/1955)

حملة افتراء على سورية في أجهزة الاعلام اللبنانية الضالعة مع الأحلاف والغرب

استفاد الحزب الشيوعي من اغتيال عدنان المالكي لتحقيق أهداف متعددة، منها التقرب إلى ضمير الجماهير ، وتعميق الحقد على الاستعمار، وتقوية الاتجاه نحو المعسكر الاشتراكي. كما استغلت ذلك أجهزة الاعلام الضالعة مع الأحلاف والغرب في سورية وخارجها ولا سيما في لبنان. فحاولت أن تصور كذبا وتزويرا بأن حملة من التصفيات على الطريقة الشيوعية تستهدف الحزب السوري القومي، وكان الواقع خلاف ذلك. الأمر الذي شجع الحزب السوري القومي على أن يتخذ موقف الهجوم فتابع بعض السوريين القوميين اعتداءاتهم عندما أغار نفر منهم في مدينة حمص على باعة الصحف ومزقوا الصحف التي تنشر أخبار المؤامرة، وعندما تصدى لهم المواطنون سقط ستة جرحى منهم وثلاثة من القوميين السوريين، كما أصبحت السلطات السورية معرضة لأقسى الحملات الاعلامية المفتراة في لبنان، وقد بلغت حملات بعض أجهزة الاعلام اللبنانية على سورية حدا لم يسبق له مثيل في علاقات البلدين الشقيقين.

وهذا ما دعا خالد بكداش لأن يتساءل في المجلس بتاريخ 21-5-55 بمناسبة انتهاء الاتفاقية الاقتصادية بين سورية ولبنان، على أي أساس ستقوم علاقتنا مع لبنان؟ معلنا أن لبنان قد أصبح مركزا للدعاية الاستعمارية ضد سورية.

ومنعا لكل استغلال عقبت على خطاب بكداش بقولي "إن المصادر الأجنبية التي تدفع إلى الفوضى والتآمر في سورية، هي ذات المصادر التي تغذي هذه الحملة الصحافية في لبنان ولكن هذه الحملة الكاذبة المفتراة لا يمكنها أن تغير من موقفنا من لبنان ولن تحولنا عن الرغبة في إقامة علاقات قومية صحيحة معه، وان سورية التي تعيش حياة ديموقراطية لا يمكن أن تجعل الشعب اللبناني مسؤولا عن هذه الحملات، بل اننا نأمل أن يضع الشعب في لبنان حدا لتآمر سلطاته الذي ينزل أفدح الضرر بالمصلحة العربية ومصلحة البلدين الشقيقين".

وتكذيبا للشائعات ألفت السلطات السورية لجنة طبية كشفت على المعتقلين وأعطت تقريرها الذي ينفي تعرضهم للتعذيب، كما سمح للصحافيين السوريين ومراسلي وكالات الانباء العالمية بزيارة السجناء القوميين واستجوابهم فصرح المسجونون بأنهم يعاملون معاملة طيبة بل أن عصام المحايري صرح بأنه يشجب تهويشات صحف القوميين ويستنكر كمسؤول في الحزب جريمة اغتيال المالكي، ويعترف أن وراء هذه الجريمة أيدي مسؤولين من السوريين القوميين، ويتهمهم بخيانة الحزب ومبادئه ودستوره ويطلب إليهم في لبنان ألا يتستروا على المسؤولين، وأن يساعدوا على تسليمهم للقضاء السوري لينالوا قصاصهم كمجرمين وكخونة للحزب وأهدافه.

وفي تاريخ 22 حزيران نشرت الصحف صورة زنكوغرافية لرسالة بخط عصام محايرى وتوقيعه موجهة إلى السوريين القوميين بلبنان جاء فيها ما يلي :

يؤسفني ما يترامى إلي من أن اقلاما قومية اجتماعية في لبنان تقوم بحملة تضليل وتنشر ترهات تصورني فيها في التحقيق الذي جرى ويجري معي، أن أظافري قد اقتلعت ويداي قد كويت بالزيت المغلي بل وأن عيني قد قلعت أو كادت إلى نحو ذلك من الأباطيل.

لقد كنت أتمنى على رفقائي في لبنان أن يمسكوا اقلامهم إلا على الواجب الذي يمليه على قومي اجتماعي سلوكه تجاه الجريمة النكراء والمأساة المفجعة التي أودت بحياة العقيد المالكي، هذه الجريمة البشعة ويؤلمني أن أصارح رفقائي، أنها ليست وليدة يونس عبد الرحم القاتل الذي انتحر أو قتل بعد الاغتيال مباشرة بل ان وراء يونس ويااللعار، أيدي بعض المسؤولين الحزبيين الذين خططوا ودبروا ودفعوا للجريمة الآثمة.

وواجب أقلام القوميين الاجتماعيين هو الاهتمام بهذه الناحية الخطيرة والاليمة جدا فلا ينساقوا وراء العاطفة الشخصية وينسوا واجبهم في تناول وضعية المجرمين.

ان حقيقة كون أن الجريمة وراءها بعض المسؤولين الحزبيين تعني، ويا للخجل أن هؤلاء خانوا الحزب وخانوا دستوره كما خانوا قسم المسؤولية الذي أدوه.

هذه الخيانة تفرض علينا أن نثور على أصحابها ونصب نقمتنا عليهم، ونعمل على محاسبتهم عليها، والمساهمة في إنزال العقاب الرادع بهم، لا أن نحصر الثورة على موضوع توقيف الرفقاء الذين أوقفوا ونسج الروايات حول هذا التوقيف، هذه الكلمة التي أسوقها لرفقائي كم أكون شاكرا للصحافة في الشام ولبنان نقلها إليهم لتتضح لكل رفيق الحقائق حول هذه الجريمة النكراء، ويعود رائد القوميين الاجتماعيين في هذه المأساة، أن ينال المجرمون، أيا كانوا عقابهم وجزاءهم الحق".

سجن المزة 21-6-55

عصام المحايري

وبتاريخ 27 حزيران زار وفد كبير من الصحافة اللبنانية سجن المزة وأجرى تحقيقا دقيقا عن حالة المعتقلين وتحدث مطولا الى كل من نصحتهم جريدة (صدى لبنان) ان يروهم ويتحدثوا اليهم، وقد خرجوا بأحاديث مسهبة مع عصام المحايرى ومعروف صعب وجولييت المير وكلها تكذب تهويشات أجهزة الأعلام في لبنان وتثبت صلة بعض كبار المسؤولين في الحزب بجريمة اغتيال عدنان المالكي.

□

كان التحقيق يجري بكتمان شديد، بحيث لم يتمكن أحد من الاطلاع على شيء من وقائعه، إلا ما كان يؤذن بنشره أو إذاعته.

وبناء على ما ورد في التحقيق أصدر وزير الداخلية قرارا بإغلاق مكاتب الحزب السوري القومي، وطلب وزير العدل الى النيابة العامة إقامة الدعوى ليبت القضاء بحله ومصادرة أمواله حسب القوانين المرعية الاجراء.

وقد صدر قرار الاتهام بعد فترة من التحقيقات، وفيما يلي خلاصة عنه اثبتها هنا لتكتمل الصورة عن قضية الاغتيال :

- اعتبر قاضي التحقيق الحزب القومي الاجتماعي جمعية سرية تخالف الدستور والقوانين النافذة والنظام العام.

- اثبت قاضي التحقيق أن الهدف الدائم للحزب كان الوصول إلى الحكم عن طريق التغلغل في الجيش والسيطرة عليه.

- دشن أنطون سعادة بنفسه سياسة التغلغل في الجيش السوري واللبناني ففشل، وفي عهد الشيشكلي قرر الحزب بمراجعه العليا أنه لم يفد من الانقلابات المتتابعة في سورية لضعفه في الجيش، ولذلك اتخذ قرارا بالتركيز على هذا الموضوع وقام بإنشاء حلقات داخل الجيش بإشراف المقدم غسان جديد على أن يكون الوكيل بديع مخلوف واسطة الاتصال مع رؤوساء الحلقات.

- كان غسان جديد عضوا في مجلس العمد تحت اسم مستعار هو (غيث المقدم) في الوقت الذي كان فيه برتبة مقدم في الجيش السوري، وكان أيضا المستشار الخاص لرئيس الحزب جورج عبد المسيح.

- أثبت قاضي التحقيق بالوثائق إتصال الحزب مرات عديدة مع حكومة العراق وعرضه الخدمات عليها لتنفيذ سياستها في سورية، وقام بهذه الاتصالات بصورة خاصة عصام المحايري في دمشق وسعيد تقي الدين في بيروت وطارق اليافي في بغداد.

- رغم ما يبدو من تناقض بين سياستي مصر والعراق فإن الحزب السوري القومي اتصل عن طريق غسان التوينى النائب اللبناني ومحمد البعلبكي صاحب جريدة صدى لبنان بالمسؤولين المصريين وعرض عليهم خدمات الحزب.

- أثبت قاضي التحقيق بالوثائق اتصال الحزب بالحكومة الاميركية لتحقيق انقلاب في سورية يثب بمساعدتها الى الحكم لتطبيق سياسة الاحلاف.

- وافق الحزب بمجلس العمد الأعلى - بالاستناد إلى الوثائق المضبوطة والاعترافات على ايفاد عصام المحايري إلى الولايات المتحدة لاجراء اتصالات علىمستوى عال لتنفيذ هذه المؤامرة بعد أن كان الحزب قد أصدر بناء على

التوجيهات التي وصلته من ممثله في امريكا بيانا سياسيا نادى فيه بقبول الاحلاف وعدد مساوئ الحكم في العهود التي تعاقبت على سورية.

- مر في هذه الوثائق اسم (وليم برور) الضابط السياسي في السفارة الاميركية في دمشق كمصدر يتصل به عصام المحايري لتسهيل سفره إلى أمريكا، كما مر ذكر (فرانكلين ألن) المسؤول عن أمور الشرق الأوسط في وزارة الخارجية كموعز لاعطاء التسهيلات لسفر المحايري الى امريكا.

- كشف قرار المحقق العسكري بالاستناد إلى الوثائق عن وجود شبكة للتجسس في الجيش السوري مهمتها الحصول على ما يقع تحت يديها من أوامر سرية وأوراق ذات أهمية تصدر عن قيادة الجيش ووزارة الدفاع لارسالها إلى فلسطين، وتشكيلات أخرى في دوائر الدولة وقد حصلت هذه التشكيلات على معلومات وتقارير سرية خطيرة.

- كان من بين الوثائق المضبوطة وثيقة تدل على أن الحزب كان اعتبارا من تاريخ 11-1-55 يمد مكتب المعلومات الاميركي بتقارير عن نشاط الشيوعيين والاخوان المسلمين في (الجمهورية الشامية) ويزوده ببعض المعلومات عن لبنان ونشاط الشيوعيين فيه لقاء تزويد الاميركيين للحزب بمعلومات تهمهم عن البلاد أو خارجها.

- ظهر في التحقيق كذب الإدعاء بأن اغتيال المالكي كان نتيجة لتسريح المقدم غسان جديد من الجيش، لأن إفادات المتهمين أثبتت أن الحزب أعد لاغتيال المالكي في وقت سابق للتسريح واستطاع التنفيذ في المرة الثالثة بعد أن فشل مرتين قبلهما (كانت المرة الثانية عندما هيأوا لاغتيال المالكي واغتيالي في المهرجان الذي أقامه حزب البعث بمناسبة الجلاء في 17-4-55 في مقهى الرشيد وفي اليوم نفسه الذي اغتيل فيه أخي واصل، وكانوا لجهلهم بحقيقة علاقة المالكي بالحزب قد قدروا ان المالكي سيكون في هذا المهرجان. فلم يجدو المالكي بالطبع، كما لم يجدوني فقد كنت قد سافرت الى بيروت كما ذكرت ذلك سابقا).

- اثبت التحقيق أن مجلس العمد كان مجتمعا في دار جولييت المير الامنية الأولى في لحظة اغتيال المالكي، وفور تثبتهم من اتمام الجريمة وسريان شائعة انكشاف علاقة الحزب بها لاذوا بالفرار.

- قرر قاضي التحقيق اتهام 31 حزبيا بجرائم تستوجب حكم الاعدام منهم جولييت المير، عصام المحايري، كامل حسان، فؤاد شواف، جورج عبد المسيح، أنعام رعد، اسكندر شاوي، سامي الخوري، غسان جديد، عبد الكريم الشيخ، عبد الله محسن، عبدالله قبرصي، أسد الأشقر، جبران صليبي، جبران جريج، سعيد تقي الدين، بديع مخلوف، محمد دبوسي، فؤاد جديد.

كما قرر اتهام 9 آخرين بتهم تستوجب عقوبة الاشغال الشاقة المؤيدة وهم هشام شرابي، طارق اليافي، جميل مخلوف، أمين رعد، زكي نظام الدين.

- وجه قرار الاتهام إلى السوريين القوميين تهمة حرق مطبعة الجيل الجديد للتخلص من الوثائق والأوراق والبيانات الموجودة فيها، وقد صدقت محكمة التمييز العليا قرار الاتهام الذي أصدره قضاة التحقيق.

□

بعد نشر قرار الاتهام توجه عصام المحايري من سجن المزة مع بعض رفاقه الموقوفين بكتاب الى الرأي العام يحمل فيه جورج عبد المسيح وبعض القادة الحزبيين مسؤولية ارتكاب جريمة اغتيال المالكي ويتهمهم بخيانة أهداف الحزب ومبادئه.

جمعني مع النائب عصام المحايري المجلس النيابي لعام 1954، فعرفت فيه انسانا معقولا ومعتدلا وبعيدا بطبعه عن الاشتراك بارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة، وأعتقد أن كتابه الذي توجه به إلى الرأي العام كان صادقا، كما دلت على ذلك التطورات التي تعاقبت داخل الحزب بعد اغتيال المالكي عندما حاكم الحزب السوري القومي جورج عبد المسيح فيما بعد وأدانه بالجريمة.

لقد عانى الحزب فيما بعد انشاقا بين الجيل الطالع الذي لم تعد تقنعه بعض افكار الحزب المحنطة وبين الجيل السابق الذي يحاول أن يجعل من أفكار أنطون سعاده وتعاليمه دينا وطقوسا لا يجوز مسها أو التفكير بإعادة النظر فيها وتطويرها مع الزمن على ضوء العقل والمنطق والتجربة.

□

تأليف المحكمة

زارني رياض المالكي قبل نشر قرار الاتهام بقليل وسألني عن رأيي بالقاضي بدر علوش كمرشح لرئاسة المحكمة التي ستتولى محاكمة المتهمين، فقلت له إن بدر علوش قاض ذكي حسن السمعة، وهو من رفاقنا مؤسسي حزب الشباب، وقد افترق عنا اثر انتخابات عام 1943، كما أنه شديد الحرص على سمعته القضائية، وهو ليس ممن يرهبه ما فعله السوريون القوميون بالقاضي شربل الذي حكم على أنطون سعادة بالإعدام، وليس ممن تستبد بهم مشاعرهم الذاتية مما يؤثر على المحاكمة والحكم، وقد جعلت هذه الاسباب بدر علوش مقبولا كرئيس محكمة من كل الأطراف.

لم يكن لدى الاستاذ رياض المالكي ولا لدى الحزب أي مقصد ثأري انتقامي، وكل ما كان يهمنا آنذاك أن تنجلي جوانب هذه الجريمة وأبعادها ليفيد منها الرأي العام في البلاد، وقد كنا نعتبر انه مهما بالغ القاضي بدر علوش بالتزام التدقيق والحياد فإن ذلك هو لصالح القضية التي ذهب ضحيتها عدنان، وقد تألفت المحكمة على الشكل التالي :

بدر الدين علوش رئيسا، المقدمان مظهر وصفي وعفيف البزرة عضوين والمقدم بشير الطباع عضوا متمما وحمدي الصالح نائبا عاما والرئيس محمد الجراح ومحمد عابدين معاونين للنائب العام، وهكذا تألفت المحكمة من عسكريين ومدنيين ليس لهم أي صلة بالفئات السياسية المعادية للسوري القومي ما عدا المقدم عفيف البزرة الذي كان معروفا بتعاطفه مع الحزب الشيوعي، وقد جرت المحاكمة في الفيلا التي اتخذها حسني الزعيم في حي ابو رمانه مقرا لسكنه قبل الإطاحة به.

وقائع المحكمة وقرار الحكم

لم تشغل الرأي العام في سورية قضية كما أشغلتها قضية اغتيال عدنان المالكي منذ استشهاده أثناء انعقاد مؤتمر باندونغ وحتى صدور قرار الحكم في منتصف شهر كانون الأول عام 1955،

رغم ما حدث خلال ذلك من تطورات سياسية هامة كانتخاب شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية واستقالة حكومة صبري العسلي الائتلافية. وتشكيل حكومة سعيد الغزي وأحداث هامة أخرى على مختلف الاصعدة السياسية، فكان الناس يقرأون في الصحف ويستمعون بالاذاعة متتبعين وقائع المحاكمة واعترافات المتهمين وعرض الوثائق والمستمسكات ومناقشتها، وكان **ذلك درسا بليغا للشعب السوري في الوعي السياسي لا يمكن أن يبلغه إلا بدماء العزيز من الشهداء.** وأكبر دليل على ذلك أن وقائع المحكمة وما عرض فيها من وثائق كانت سببا في توحيد سياسة حزب البعث وتحديد موقفه تجاه المشاكل الداخلية والعربية والدولية.

حاول السوريون القوميون قبل بدء المحاكمة وخلالها إرهاب اعضاء المحكمة فجرت محاولة لاغتيال حمدي الصالح (من حركة التحرير وجماعة أديب الشيشكلي) الذي انتدب للنيابة في مقتل الشهيد المالكي فأطلقوا عليه الرصاص فأصابوه ولكنه لم يقتل، كما ألقوا بعد ذلك متفجرة على منزل أحد أعضاء المحكمة، وفي هذه الفترة استمرت محاولات قلب الأوضاع في سورية من قبل الاستعمار الأميركي والبريطاني والرجعية العربية في سورية والعراق برعونة وجنون ليحال دون إصدار قرار المحكمة لأنه يلقي ضوءا كاشفا على أساليب الاستعمار ووسائله وعملائه وغاياته.

صدر قرار المحكمة - بعد بضعة شهور من المحاكمة- فكان وثيقة كشفت فعل أجهزة المخابرات الاستعمارية في تخريب القوى المسلحة العربية والأحزاب السياسية.

وقد أسفر حكم المحكمة عن إدانة المهتمين من السوريين القوميين بمقتل العقيد عدنان المالكي بالأحكام الآتية :

اولا : حكم بالأعدام وجاهيا على ثلاثة هم : محمد منعم الدبوسي، بديع مخلوف فؤاد جديد وحكم غيابيا على خمسة هم : جورج عبد المسيح وعبد الله محسن واسكندر شاوي وغسان جديد وسامي الخوري. وقد أدين بديع مخلوف ومنعم الدبوسي

بجناية الاشتراك والتحريض على القتل، وأدين الباقون بجناية التحريض على القتل ، كما أدين عبدالله محسن وجورج عبد المسيح بجريمة التجسس لحساب دولة أجنبية.

ثانيا: بلغ مجموع الأحكام الصادرة على عصام المحايري (18) سنة وخمس سنوات إقامة إجبارية في تدمر وأربع سنوات منع إقامة في دمشق - بالجرائم التالية: 15 سنة أشغال شاقة بجرم التجسس وسنتان ونصف أشغال شاقة لتحريض العسكريين على العصيان وخمس سنوات إقامة اجبارية في تدمر لتحريضه والتآمر على أمن الدولة الداخلي.

ثالثا : بلغ مجموع الأحكام الصادرة على جوليت المير (18) سنة سجنا و (15) سنة مع الأشغال بجرم التجسس والاستحصال على وثائق يجب أن تبقى مكتومة وسنتان حبس لتشويقها العسكريين على الانضمام لحزب سياسي وخمس سنوات إقامة اجبارية بتدمر لتآمرها على أمن الدولة الداخلي.

رابعا : كامل حسان (18) سنة حبس (15) منها مع الأشغال الشاقة بجرم التجسس وسنتان لتشويقه العسكريين للانضمام الى حزب سياسي وسنة لانضمام الى حزب غير مشروع.

خامسا : حكم على إبراهيم الصواف بالاشغال الشاقة المؤبدة لتدخله فرعيا في جرم القتل مع تجريده عسكريا.

سادسا : زهير قتلان 12 سنة حبس واشغال شاقة لتدخله فرعيا في جريمة القتل.

سابعا : عبد الكريم الشيخ: سنتان حبس لتشويقه العكسريين للانضمام الى حزب سياسي.

ثامنا : حكم (15) سنة بالاشغال الشاقة بجريمة الاستحصال على وثائق ومعلومات يجب ان تبقى مكتومة كل من : كميل جدع ، عبد الله القبرصي، إنعام رعد، محمد يوسف حمود، مصطفى عبدالساتر كامل أبو كامل، أسد الاشقر، مصطفى ارشيد، جبران جريج، سعيد تقي الدين، سعيد شهاب الدين، فؤاد شواف.

تاسعا : وحكم خمس سنوات إقامة إجبارية بجريمة التآمر على أمن الدولة الداخلي مع الأسقاط من الحقوق المدنية كل من : كامل أبو كامل، إنعام رعد، عبد الله القبرصي، محمد يوسف حمود، فؤاد الشواف، مصطفى عبد الساتر.

وقد صدر هذا القرار بالأكثرية بمخالفة رئيس المحكمة بدر الدين علوش وعضو المحكمة المقدم عفيف البزرة، وكان سبب مخالفة الرئيس بدر الدين علوش التي كتبها بيده "إن الوثيقة المصادرة من بيت سليم منصور وإن كانت في مضمونها تحتوي على تبادل أخبار ومعلومات بين (م. أ) الوسيط في فلسطين وبين (م.س) الوسيط في الشام إلا أنه وجد عليها عند مصادرتها كتابة في أعلاها وفي منتهاها تؤدي أن هذه الوثيقة حصل عليها مكلف قومي اجتماعي، وإن هذه الوثيقة نقلت طبق الأصل. إن هذه الكتابة الموجودة على الوثيقة قرينة تدل على أن من وجدت معه ليس هو الجاسوس وليس هو الذي يتبادل المعلومات مع الوسيط في فلسطين (إسرائيل) وحيث أنه لم تقم في الدعوى أدلة محسوسة بحق المتهمين الذين ثبت اطلاعهم على هذه الوثيقة أنهم كانوا يتبادلون المعلومات مع الوسيط في فلسطين مما لا يجوز معه الأخذ بمضمون الوثيقة وإهمال القرائن اللاصقة بها" أما العقيد عفيف البرزة فقد خالف قرار المحكمة باربع نقاط أولا : لأنه اعتبر الحزب جمعية سرية خلافا لرأي الأكثرية ثانيا : لأنه اعتبر مجلسي الحزب محرضين على القتل ثالثا: لأنه اعتبر أن رسائل الشرابي والاتصال بالدول الاجنبية يشكل جريمة الخيانة ودس الدسائس لدى الدول الأجنبية رابعا : لأنه طلب الحكم على فؤاد جديد بسجن الاشغال الشاقة المؤبدة.

كان بين محامي الإدعاء المحامون الحزبيون خليل كلاس، عبد الحليم قدور، عبد الرحمن المارديني، رياض المالكي عبد الفتاح زلط الذين تقاسموا المرافعات، فاختص عبد الفتاح بوقائع الجريمة ووثائقها وأدلتها الثبوتية كما اختص خليل كلاس بالتطبيق القانوني على هذه الوقائع.

1955: مؤتمر عدم الانحياز في باندونغ - المؤتمر يؤكد ان حركة التحرر العربي مرتبطة بجذورها بحركة التحرر العالمية، وكانت اولى ثمرات هذا المؤتمر مواقف دول الحياد المؤيدة للحق العربي في تأميم قناة السويس عام 1956 - اقتراح من رئيس الاركان شوكت شقير للقيام بانقلاب شبيه بما قام به رجال الثورة في مصر- التحولات في الجيش والاحزاب بعد اغتيال المالكي - خالد العظم يلقي خطابه الشهير في مجلس النواب ويذيع المذكرة الاميركية - محاولة استغلال الدين.

الاحداث التي رافقت اغتيال المالكي ومحاكمة المتهمين

رافق اغتيال عدنان المالكي ومحاكمة المتهمين - تحولات داخلية على الصعيدين العسكري والسياسي، واحداث عربية ودولية هامة - دفعت سورية وبعض البلاد العربية حثيثا للسير في الطريق الذي لا يزال قدر الامة العربية ان تسير فيه حتى تحقق اهدافها.

وقد شكل عام 1955 بصورة عامة منعطفا تاريخيا برزت فيه القوى الناهضة في المجتمع العربي - لتحل محل الرعيل الاول الذي كان يتولى قيادة العالم العربي والذي كان يعتقد بأن التعاون مع الغرب امر لا مفر منه مع انه كان يقدر بأن الغرب كان ولا يزال بحكم مطامعه الاستعمارية وتخلف الاقطار العربية حليفا طبيعيا للحركة الصهيونية وعدوا مناهضا للبلاد العربية التي يستغل ثرواتها ويجعل منها سوقا لبضائعه ويتخذ منها مواقع لاستراتيجيته العالمية... فلم يكن اذن الخطأ في المنطلقات ولا في الطريق الذي سارت به القوى التقدمية منذ عام 1955، فقد كانت هذه المنطلقات وهذا الطريق قدر الامة العربية ... اما المآسي والنكبات والالام والهزائم التي رافقت هذه المسيرة فتحمل مسؤوليتها القيادات العربية الحديثة بانحرافاتها وعجزها وقصر نظرها ومهادنتها

للاستعمار وتكالبها على الانفراد بالسلطة وعزلها للشعب وعدائها للديموقراطية....

مؤتمر باندونغ

دعت حكومات بورما وسيلان واندونيسيا وباكستان الى عقد مؤتمر اسيوي افريقي في باندونغ في اندونيسيا، وقد بدأ المؤتمر اعماله بتاريخ 18 نيسان وانتهى بتاريخ 24 نيسان عام 1955، اي اثناء اغتيال المرحوم عدنان المالكي بتاريخ 22-4-55 واشترك في هذا المؤتمر 28 دولة اسيوية وافريقية مستقلة وقد لعب وفد الصين الشعبية برئاسة شوان لاي والهند برئاسة نهرو، واحمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونسية المضيفة ومصر برئاسة جمال عبد الناصر والوفد السوري برئاسة خالد العظم دورا بارزا في انجاح اعمال هذا المؤتمر.

اسباب انعقاد مؤتمر باندونغ

لا بد لنا قبل ان نستعرض منجزات هذا المؤتمر الاول من نوعه من توضيح بعض خلفياته الحضارية والسياسية:

كانت حضارات البلاد الاسيوية والافريقية حلقات متصلة باتصال شعوبها على مر التاريخ، وقد عمق الاستعمار الاوربي الذي بسط سيطرته على هاتين القارتين التعاطف ما بين شعوبها، وبعث فيها مشاعر الود والقربى تجاه استغلاله واضطهاده واذلاله لها مما جعلها تعيش اوضاعا نفسية وفكرية متجاوبة متعاطفة طوال السيطرة الاستعمارية عليها...

وانني لا ازال اتذكر ما حفظته في طفولتي من ابيات للشاعر حافظ ابراهيم يشيد فيها بدور المرأة اليابانية في الحرب اليابانية الروسية عام 1900:

انا يابانية لا انثني عن مرادي او اذوق العطبا

وعندما هاجمت ايطاليا قبيل الحرب العالمية الثانية بلاد الحبشة كان الشعب العربي في كل أقطاره متعاطفا بشدة مع شعب الحبشة ضد الغزو البربري الايطالي.

كما لا زلت اتذكر حماستنا واهتمامنا بزعماء الهند غاندي ونهرو ومحمد علي جناح، وتتبعنا لكل الحركات الوطنية التي كانت موضع اهتمام شعبي في كل بلد اسيوي او افريقي حتى اصبح زعماء حركة التحرر في كل بلد أسيوي او افريقي زعماء في القارتين، فكان من الطبيعي اذن ان تتنادى شعوب آسيا وافريقيا التي تحررت من الاستعمار في اعقاب الحرب العالمية الثانية، وهي تشعر بالغبطة والعزة لخروجها من ربقته، الى عقد مثل هذا المؤتمر لتستكمل اسباب تحررها ولتشترك في اداء رسالتها الانسانية، وقد كان عقد هذا المؤتمر ظفرا عظيما للحركة العربية التحررية، وتجسيدا لفكرة الحياد الايجابي بين المعسكرين التي دعا اليها الحزب العربي الاشتراكي وحزب البعث العربي منذ عام 1950.

مؤتمر باندونغ في لجنة الشؤون الخارجية

عقدت لجنة الشؤون الخارجية بتاريخ 12-5-1955 اجتماعا بحضور خالد العظم للاطلاع على ابحاث مؤتمر باندونغ وعلى مفاوضات الميثاق العربي الثلاثي مع الرئيس جمال عبد الناصر والامير فيصل، وقد أخرت ازمة اغتيال المالكي وانهماك الحكومة والمجلس بالمؤامرة هذا الاجتماع الذي كان مفروضا انعقاده فور عودة خالد العظم الى دمشق.

لخص العظم وقائع المؤتمر الذي افتتحه احمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسا بكلمة حمل فيها على الاستعمار بجميع صوره وأشكاله، ووصف الاستعمار بأشكاله الجديدة بأنه شر مستطير يجب استئصاله، ثم تعاقب رؤساء الوفود على منبر الخطابة وقد تكلم جمال عبد الناصر عن قضية فلسطين فقال:

"انه لو نفذت قرارات الامم المتحدة بحذافيرها لحلت المشكلة"، ثم فضح نوايا اسرائيل العدوانية واستهتارها بقرارات هيئة الامم المتحدة، كما بحث القضايا العربية الاخرى فشجب موقف فرانسا من مطالب المغرب العربي ومن نضال اقطاره في سبيل التحرر والاستقلال.

اما كلمة العظم في المؤتمر فكانت عن قضية فلسطين وقضية المغرب العربي، ووصف العظم اسرائيل في كلمته بأنها "جيب من جيوب الاستعمار خلفه وراء انسحابه، وانها حصن امامي من حصون الاستعمار اقامه على باب خطير من ابواب آسيا حيث تلتقي القارات الثلاث ليهدد به حرية الشعوب الافريقية والاسيوية".

وقد أشاد خالد العظم وصلاح البيطار بالدور البارز الذي قام به احمد الشقيري لصالح القضية الفلسطينية والقضايا العربية عامة في هذا المؤتمر.

اما بقية وفود البلاد العربية الاخرى كلبنان برئاسة سامي الصلح والاردن برئاسة وليد صلاح، والعراق برئاسة فاضل الجمالي فقد ايدت جميعها القضايا العربية ولم يكن ذلك موضع خلاف، اما عند بحث موضوع التعاون الدولي في سبيل مقاومة الاستعمار فقد انقسمت الوفود العربية كما انقسمت الوفود الاخرى الضالعة مع الغرب.

لقد اعتبرت تركيا والباكستان والفلبين وسيام ولبنان والعراق ان الشيوعية هي الخطر الاول بينما اعتبرت الوفود الاخرى الاستعمار الغربي هو الخطر الاول على حريتها وسيادتها وثرواتها الوطنية، وقد استعرض شو ان لاي في خطابه قضية فورموزا وقضية اللاجئين الفلسطينين وكفاح الشعب المصري لاستعادة سيادته على القناة وكفاح الشعب الايراني لفرض سيادته على ثروته البترولية ومطالب الهند باستعادة جاوا من البرتغال ومطالب اندونيسيا بغرب غينيا الجديدة.

وقد تحدث لنا خالد العظم ايضا عن موقف مندوبي تركيا والباكستان والعراق ولبنان وكيف انهم كانوا يتناوبون منبر الخطابة لمهاجمة ما اسموه بالاستعمار الشيوعي طوال جلسات المؤتمر العامة وجلسات لجانه ولا سيما فاضل الجمالي وشارل مالك ومحمد علي رئيس وزراء الباكستان، بينما كان دفاع شو ان لاي

عن القضايا العربية رائعا وبليغا فكانوا دوما متحفزين للرد على شو ان لاي والتنديد بكل مقترحاته وآرائه..

اختتم مؤتمر باندونغ اعماله بتاريخ 24-4-55 واصدر بيانا بعد ان اقرته اللجنة السياسية دعا فيه الى تنفيذ قرارات الامم المتحدة لعام 1948 المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وحق تقرير المصير للمغرب العربي، وحق اليمن بعدن والمحميات، وأعلن تأييده لاندونيسيا لاستعادة غرب غينيا كما دعا لادخال عدد من الدول الاسيوية والافريقية في عضوية الامم المتحدة كالاردن وليبيا وسيلان واليابان وكمبوديا ولاوس وفيتنام. وحذر البيان من حرب عالمية ثالثة، ودعا لخفض التسلح، واستنكر التفرقة العنصرية والتمييز العنصري في اتحاد جنوب افريقية.

ثم تكلم خالد العظم عن مباحثات الوفد السوري مع جمال عبد الناصر وصلاح سالم والامير فيصل حول الميثاق العربي وكيف ان كل فريق ظل متمسكا برأيه، فالمصريون رفضوا تخصيص نسبة مئوية للجيش الموحد رغم تساهل سورية وقبولها بتخفيض تلك النسبة من 10% الى 5% وروى خالد العظم كيف تراجع صلاح سالم عن كل وعوده لعدنان مالكي والتي نثرها في نادي الضباط في دمشق مما دعا الضابط هيثم الكيلاني الذي كان عضوا في الوفد السوري ان يقول لصلاح سالم:

الم تقل لنا في نادي الضباط تعالوا نتقاسم معكم العيش (الخبز) فكيف تبخلون الان على الجيش بتخصيص نسبة معقولة.

وقد انفض مؤتمر باندونغ دون ان يؤلف لجنة تنفيذية - كما اقترح الوفد السوري - لمتابعة تنفيذ المبادىء التي قررها كما انه لم يحدد موعدا لاجتماع آخر.

ومع ذلك فان نجاح انعقاد المؤتمر والمقررات والمبادىء التي اعلنها تركت اصداءها واثرها البعيد في العالم، فقد انبثقت عنه فيما بعد رابطة الدول الاسيوية الافريقية في الامم المتحدة ومنظمة وحدة الدول الافريقية.

تفاعل مؤتمر باندونغ مع الخط العربي التحرري.

عندما دعا الحزب العربي الاشتراكي لفكرة الحياد بين المعسكرين عام 1950 كنا نواجه مشقة كبرى في اقناع الناس بهذا الموقف الذي ينسجم مع المصلحة العربية.

كان تصور الحياد امرا صعبا امام ما كان يمثل في الاذهان من ذكريات الحربين العالميتين الاولى والثانية اللتين لم تتركا خيارا لاي دولة بالحياد باستثناء سويسرا نتيجة لظروفها الخاصة، وكان من المتوجب اقتران هذه الفكرة بتكتل دولي حتى تصبح فكرة واقعية، فجعل مؤتمر باندونغ الذي اشتركت به 28 دولة اسيوية وافريقية وعربية فكرة الحياد موقفا معقولا ومنطقيا ولا سيما بعد ان تبنى المؤتمر القضية العربية فدعا للتحرر من والسيطرة الاجنبية المتجلية بالاحلاف العسكرية، ودعم العرب في مواجهة المطامع الصهيونية التوسعية، وهكذا اعطى مؤتمر باندونغ للحياد مضمونا ينسجم كل الانسجام مع المصلحة العربية واصبح ملحوظا تماما ان حجج الداعين الى الاحلاف والتعاون مع الغرب ضعيفة متهافته، لا سيما وان قرارات المؤتمر كانت مترافقة مع الامل بتوقيع الميثاق العربي الجديد، والاهم من كل هذا ان مؤتمر باندنغ اوضح اكثر واكثر ان حركة التحرر العربي مرتبطة بجذورها بحركة التحرر العالمية، وكانت اولى ثمرات هذا المؤتمر مواقف دول الحياد المؤيدة للحق العربي في تأميم قناة السويس عام 1956.

وقد تولت فروع الحزب - باهتمام بالغ - بحث ودراسة موقف الحياد الايجابي بمحاضرات وندوات عديدة توليت الكلام فيها مع الاستاذ صلاح البيطار.

عودة القوتلي:

بدأت الاوساط السياسية بعد ايام من اغتيال المالكي تثير قضية انتخاب رئاسة الجمهورية الذي سيتم في 5-9-55، وبدأت جماعة القوتلي تؤكد قرب عودته الى دمشق ليخوض معركة الرئاسة كما بدأت أجهزة الاعلام المصرية تشير الى ذلك، وقد

فسرت هذه الاخبار بأنها بالون تجربة لمعرفة صداها قبل التصميم النهائي.

كان معروفا للجميع بأن المالكي كان العقبة الكأداء دون عودة القوتلي الى رئاسة الجمهورية وكنا نظن بأن الجيش بعد اغتياله لا يمكن ان يقبل بهذه العودة.

وفي هذه الفترة بدأت علاقاتنا تزداد وثوقا مع رئيس الاركان شوكت شقير وعبد الحميد السراج رئيس المكتب الثاني نظرا لموقفهما من قضية اغتيال المالكي واهتمامهما بكشف غوامض هذه المؤامرة، وفي هذا الجو الودي دعانا الزعيم شوكت شقير نحن قادة البعث الثلاثة الى العشاء في منزله حيث كان عبد الحميد السراج.

وعلى مائدة الطعام قال شوكت شقير:

ما رأيكم اذا قمنا بسورية بما قام به رجال الثورة في مصر، فنتفق معهم ونسير معا في طريق واحدة؟

ظننا آنذاك انه اقتراح عابر عفوي، ومع ذلك فقد رأيت انه من الخطأ السكوت عنه فأجبته:

الا تكفينا تجارب الحكم العسكري في بلادنا؟ ثم من قال لك ان تجربة حكم العسكر في مصر هي تجربة ناجحة؟

كان الاستاذ ميشيل اشد تطيرا مني من حكم العسكر فثنى على كلامي، كل ذلك وشوكت شقير ساكت وكأن ما قاله فكرة عابرة، وما ظننت آنذاك ان رفضنا لهذا الاقتراح سيكون سببا في عودة القوتلي الى رئاسة الجمهورية.

التحولات التي طرأت على الجيش بعد اغتيال المالكي.

ذكرت سابقا ان ضباط الشيشكلي بدأوا يلتفون حول عدنان المالكي وكان عبد الحميد السراج احدهم، فقد استلم قبل مصرع المالكي رئاسة المكتب الثاني، ولم يكن معروفا عنهم ما يمس سمعتهم سوى التزامهم بالماضي بأديب الشيشكلي، فهم ضباط وطنيون مناهضون للرجعية وللمشاريع الاستعمارية، ولذلك استلم امين النفوري واحمد عبد الكريم ومجموعتهما من صغار الضابط

مراكز هامة في الجيش، كما التفت كتلة الضباط الشوام بطبيعة الحال حول المالكي، ولم يقطع الضابط الموالون لاتجاه البعث العربي الاشتراكي علاقتهم به بل ظلوا على محبتهم وولائهم بالرغم من توجسهم وضيقهم من التفاف ضباط الشيشكلي حوله، اما انا فقد كنت اعتبر ان سوء التفاهم بين عدنان وبين الحزب سحابة صيف لا تلبث ان تزول وان التقاءنا ومودتنا وحبنا له لا يمكن ان يؤثر عليه اي مؤثر.

ولم يكن آنذاك للضباط الكثر الموالين لاتجاه حزب البعث قائد منهم يوجههم فقد كان مصطفى حمدون آنذاك في القاهرة.

□

بدأ مركز شوكت شقير بعد مقتل عدنان يقوى في الجيش، ولم يكن ذلك ليضيرنا طالما انه ملتزم بالسياسة العربية التحررية، ولم نكن مطلعين على مدى علاقته وعلاقة السراج بالقاهرة، ولذلك لم نقدر مغزى اقتراح شوكت شقير بالعمل على اسلوب رجال الثورة في مصر والاتفاق معهم، الا بعد عودة القوتلي الى رئاسة الجمهورية التي عمل لها شوكت شقير بكل مهارة وذكاء.

والذي يبدو ان مصر بعد مصرع عدنان كانت امام حلين بالنسبة لسورية:

1- قيام حكم عسكري مماثل يسير في ركابها وهذا امر لا يمكن تحقيقه على الاقل في المرحلة الاولى الا بموافقة حزب البعث وهذا ما عرفت القاهرة تعذر تحقيقه بعد رفضنا لاقتراح شوكت شقير.

2- عودة شكري القوتلي الى رئاسة الجمهورية، وهو الحل الذي التقت على تحقيقه المعسكرات الدولية والعربية، بينما كانت قناعتي وقناعة الاستاذ صلاح البيطار ان خالد العظم هو الشخص الملائم لرئاسة الجمهورية بالنسبة للاتجاه العربي التحرري الذي كان يدعو اليه الحزب، وفي هذا الظرف الذي تضافرت فيه قوى الاستعمار الغربي وحلفائه من الحكام العرب ضد الوضع الوطني الديموقراطي في سورية، وكنا نقدر ان موقف الاستاذ ميشيل سيكون بجانب خالد العظم اذا ما

اصبح التنافس بين العظم والقوتلي من اتباع سياسة مصر والسعودية او بينه وبين لطفي الحفار من اتباع العراق.

اما خالد العظم فقد شعر بعد عودته من مؤتمر باندونغ بجو البلاد الملتهب كما شعر ببدء تصدع وانهيار انصار الغرب فشجعه هذا على ترشيح نفسه والسير في هذا الطريق مهما كان شاقا للوصول الى رئاسة الجمهورية.

التحولات في الاحزاب السياسية.

لم يفت مع عضد الشعب السوري اغتيال المالكي ولا تلكؤ مصر والسعودية بعقد الاتفاق الثلاثي، بل ازداد يقينا وحماسة بأنه سيحمل لواء السياسة العربية التحررية في سورية والمنطقة العربية، وقد لمس الشعب الدليل الحسي في ضعف مواقف انصار الغرب واحلافه وتضعضعهم وحيرتهم وتشتتهم، فبالاضافة الى الانقسام الذي حصل في الحزب الوطني بدأ الانشقاق يظهر في حزب الشعب عندما أعلن هاني السباعي في حمص معقل الاتاسيين والمعقل الثاني لحزب الشعب بعد حلب، ان خلافه مع الاتاسيين ليس خلافا على مسائل خاصة، وانما هو خلاف خطير عميق الجذور لانه يتعلق بتباين وجهات النظر في العمل السياسي وغاياته واسلوبه، وقداتهم السباعي عدنان الاتاسي باتصاله بالدوائر الاجنبية كما اتهم آل الاتاسي بالعصبية العائلية والتسلط على حزب الشعب وهكذا انفجرت الازمة في حمص بين الحركة اليسارية في حزب الشعب التي يقودها هاني السباعي وبين عصبية واقطاع عائلة الاتاسي في حمص.

وكان هذا الانقسام طعنة نجلاء لحزب الشعب لم يقتصر اثرها على حمص وحدها وانما اصبح مهددا لوحدة حزب الشعب على مستوى سورية، حيث كان عدد آخر من قياداته يؤيد هاني السباعي سرا، ولكن كانت تنقصه الجرأة للخروج على زعامة الكيخيا والاتاسيين، وهذه القيادات هي التي كنت اسميتها سابقا بالجناح التقدمي في حزب الشعب.

كما بدأ الانقسام في الحزب الوطني يزداد اتساعا عندما اعلن الدكتور عبد الرحمن كيالي وهو من اساطين الحزب الوطني عن تأييده للسياسة العربية التحررية ومبادىء مؤتمر باندونغ والميثاق العربي الجديد، وهذا ما شجع القيادات التي تشارك هاني السباعي في حزب الشعب كالدكتور عبد الوهاب حومد وعلي بوظو وشاكر العاص ومعروف الدواليبي على الاتصال بنا وابداء استعدادهم لقبول فكرة الميثاق الوطني الذي يجمع الاحزاب في سورية للسير في طريق السياسة العربية التحررية.

"اكد اكرم الحوراني امس لرجال الصحافة عن صحة اتصالات تجري بين الاشتراكين والشعبيين عن طريق عبد الوهاب حومد وايد علي بوظو هذه المساعي كما توقع معروف الدواليبي لها النجاح، وعلل الحوراني هذا التقارب مع الشعبيين بأنه يهدف الى توحيد جميع العناصر المختلفة في البلاد حول اهداف قومية واضحة لئلا يجد الاجنبي بابا من ابواب الدس والتفرقة ينفذ منه، واكد ان البعثيين الاشتراكيين على استعداد لمصافحة كل يد تمتد اليهم باخلاص على اساس المطالب القومية الصحيحة التي ينادي بها الشعب، واكد الحوراني ان المحاولات الاجنبية مهما تنوعت لن تنجح في بلادنا حتى لو سلكت طريق التآمر لاعداد انقلاب عسكري بفضل يقظة الشعب واستشهد على ذلك بمؤامرة اغتيال عدنان المالكي" (الرأي العام 5-6-55 العدد 314).

أصبح المجلس النيابي ساحة للعراك

كلما كانت الرجعية تشعر بهزائمها تجاه القوى التقدمية في المعركة المكشوفة حول الاحلاف والسير في ركاب الغرب، كانت تلجأ الى المجلس النيابي لتجعله ساحة عراك وتآمر، محاولة منها بدافع من مصالحها الطبقية أن توحد صفوفها وتزيل تناقضاتها لتحوز الاكثرية المجلسية مما يطيح بحكومة الائتلاف، وهكذا كان مشروع صيانة املاك الدولة مناسبة لحزب الشعب ان يلف حوله كتلة العشائر واقطاعيي المجلس ولا سيما نواب محافظتي الجزيرة والفرات لتعديل هذا المشروع بما يحقق لهم امتلاك ملايين الدونمات، والغريب ان يكون حزب الشعب هو الذي اقترح هذا القانون في عهد الحكومة السابقة، وقد انقلب عليه عندما

تبنتـه حكومـة الائـتلاف وتقـدمت بـه الـى المجلـس ممـا اضـطرنا للانسحاب مـن المجلـس والتهديـد بالاسـتقالة الجماعيـة... ولكـن خالد العظم قطع الطريق فألقى خطابـه الشـهير الـذي كـان وقعـه كالصاعقة على رؤوس عملاء الغرب ودعاة الاحـلاف فـي المجلـس وخارجه:

كان النواب الضالعون مع الغرب يلحـون دومـا علـى تخصـيص جلسة لمناقشة السياسة العربية والخارجية لاحراج الحكومة بعـد ان اخفقـت فـي اقنـاع مصـر والسـعودية بتوقيـع الميثـاق العربـي الثلاثي وقد خصصت جلسـة 9-6-55 لسـماع بيـان وزيـر الخارجيـة واجراء المناقشة على اساسه.

كان خالد العظم موفقا فـي اعـداد بيانـه، وكـان صـريحا جـدا في شرح الادوار والضغوط والحملات التي تعرضت لهـا سـورية، ولا بأس مـن عـرض مـوجز للنقـاط الاساسـية التـي وردت فـي البيـان والتي حدد فيها خالد العظم سياسة الحكومة.

1- المحافظة على استقلال سورية وسـيادتها فـي ظـل النظـام الجمهـوري الـديموقراطي، وان تعمـل دائمـا لتجنيـب سـورية وبقيـة الاقطـار العربيـة اخطار السيطرة الاجنبية...

2- تستوحي سورية سياستها الخارجية دائمـا مـن مصـلحة الامـة العربيـة، وما دام في عالمنا العربي اجزاء لم تسـتكمل بعـد اسـباب تحررهـا فانـه مـن الطبيعـي ان تتجـه سياسـة سـورية بالتعـاون مـع الـدول العربيـة الشـقيقة لاسـتكمال تحريـر جميـع أجـزاء الـوطن العربـي والسـير بالـدول العربية نحو الوحدة العربية المنشودة.

3- من واجبات الـدول العربيـة الـدفاع عـن ارض العـرب ضـد كـل عـدوان، وان عدونا الاول هو الصهيونية التي احتلت جزءا من وطننا العربي ولذلك فـان سياستنا الخارجية تتجه الى مصادقة كل دولة ترعى صداقتنا وتقف الى جانب قضايانا القومية ولا سيما قضـية فلسـطين، وهـي بالاسـتناد الـى ذلك تسير على سياسة عدم اقـرار الاحـلاف العسـكرية الاجنبيـة وعـدم الانضمام الى الحلف العراقي التركـي لان مصـلحة الامـة العربيـة تقضـي بذلك.

4- استعرض خالد العظم الضغوط الاجنبية على حكومة الائتلاف لجر سورية الى سياسة الاحلاف ولمنعها من توقيع الميثاق العربي الجديد مع مصر، وقد ذكر دور الولايات المتحدة بعد ابرام الحلف العراقي التركي واستشهد "بالمفكرة الاميركية" التي كشفت ان الحلف العراقي التركي منظمة دفاعية ضد روسيا وانها تشطر مشرق العالم العربي عن مغربه، وتمهد للصلح مع اسرائيل، وتناهض قيام المنظمات الدفاعية العربية، ثم شرح مراحل البيان السوري المصري وانه كان نقطة الانطلاق الى ولادة الميثاق العربي الثلاثي واستعرض مواقف الدول العربية، ثم المباحثات التي اجراها مع نوري السعيد في بغداد والضغط التركي على سورية.

5- ثم استعرض بالتفصيل الميثاق العربي الجديد وانه يستهدف توحيد التمثيل الدبلوماسي، وايجاد سوق عربية واحدة وانه يسمح بحرية انتقال الاشخاص والرساميل والفعاليات الاقتصادية، وانه ينص على التنهيج الاقتصادي العربي وتنسيق التشريعات الاقتصادية والمالية لدول الميثاق واصدار نقد عربي موحد، وان القسم العسكري من الميثاق يستهدف انشاء قيادة عربية موحدة وجيش عربي موحد ومنشآت وتسليح عربي موحد.

كما شرح العظم مواقف الحكومات العربية، وان نوري السعيد قال له بأنه لا يريد ربط مقدرات العراق بارادة العرب، وذكر ان الحكومة العراقية لا تزال مصرة على موقفها واستشهد بمجيء توفيق السويدي موفد الحكومة العراقية الى دمشق مؤخرا، واوضح خالد العظم ان سياسة سورية سياسة ايجابية انشائية ولا تهدف من رفضها للاحلاف الاجنبية واصرارها على الحلف العربي الثلاثي عزل العراق.

وقال في ختام خطابه:

سيكون لسورية شرف بذل الجهد الاكبر لدفع القضية العربية مئة عام على الاقل باخراج الميثاق العربي لتوحيد الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية والعربية الى حيز الوجود.

وبالرغم من أن معظم ما جاء في بيان خالد العظم لم يكن جديدا، ولكن اهميته كانت في الصراحة والجرأة غير المألوفة من الحكومات في فضح سياسة بريطانيا وأمريكا والدول العربية

السائرة في ركابها، بالاضافة الى الطعنة التي وجهها الى السياسة الاميريكية عندما لم يكتف بذكر خلاصة "المفكرة" الاميركية التي قدمت الى الحكومة السورية بل وضعها تحت تصرف المجلس للاطلاع عليها، وقد ابطل فضح هذه المذكرة كل ما تعبت عليه اجهزة الاعلام الغربية والعربية في تبرير سياسة الاحلاف والتعاون مع الغرب.

□

بعد ان القى خالد العظم خطابه، ارتبك دعاة الغرب وحلف بغداد في المجلس النيابي، فاسقط في يدهم، وصرفوا النظر عن مناقشة سياسة الحكومة العربية والخارجية، الامر الذي كانوا يلحون عليه سابقا.

وقد القى خالد العظم بيان الحكومة في المجلس النيابي بينما كان مزمعا على السفر الى سان فرانسيسكو، وقد ورد في مذكراته، فيما بعد، مدى حقد الولايات المتحدة وبريطانيا عليه فقد رفض دلس ان يقابله كما قابله ماكميلان وزير الخارجية البريطانية بجفاء.

ويتحدث خالد العظم عن كيفية تقديم هذه المذكرة الاميركية بما يلي:

"في 26 شباط 1955 توجهت الى مكتب رئيس الوزراء لابحث معه ما يتعلق بامور وزارتي، ولما دخلت الى بهوه في قصر الحكومة بدون موعد سابق، جريا على العادة المتبعة بين الوزراء ورئيسهم، فوجئت بوجود المستر موس، سفير الولايات المتحدة، ومعه سكرتيره السيد فؤاد غميان، فسلمت على الحاضرين وقعدت جهة السفير الذي كان ماسكا بيده ورقة مكتوبة. فقطع حديثه قائلا لي: "احببت زيارة دولة الرئيس لاطلعه على ما تلقيته من حكومتي. وكنت عازما على زيارتكم لاطلعكم ايضا على محتوى المذكرة".

هكذا اراد الاعتذار عن زيارته رئيس الحكومة وتبليغه ما كان ان يبلغني اياه قبل اي شخص آخر، بصفتي وزيرا للخارجية. وكان سواه من السفراء العرب والاجانب اعتادوا ايضا على الاتصال برئيس الحكومة وبوزير الخارجية على التوالي، بل وحتى بسائر الوزراء، سعيا منهم لايجاد ثغرة بين الحكام

ينفذون منها سهامهم المسمومة، او لعلهم كانوا، حيال كل واحد من الوزراء، يتخذون الموقف الملائم لسياسته تجاههم او سياستهم تجاهه.

ثم استأنف السفير حديثه الذي كان بدأ به قبل وصولي، متابعا قراءة الورقة التي بيده، بينما كان سكرتيره يقرأ ترجمة اقواله.

وكلما تعمق السفير في الموضوع كنت ازداد اهتماما وتقديرا لخطورة اقواله، وعندما اتى على آخر ما لديه، طلب منا ابداء رأينا، فقلت بأنه لا يسعنا، على اي وجه، الرد على النقاط الكثيرة والمهمة الواردة في اقواله، ثم طلبت اعطائي نسخة عن هذه المذكرة، فوعد السفير بارسال النص بالانكليزية مع ترجمته العربية.

وبعد ان استأذن السفير، قلت للعسلي ان هذه المذكرة على جانب عظيم من الخطورة، وهي تنذر بالمتاعب الكثيرة التي ستصادفها وزارتنا، لذلك يجب ان نتخذ لها العدة الكاملة، ثم وعدته بالاجتماع اليه مرة اخرى، بعد الاطلاع على المذكرة والتعمق في معانيها ومقاصدها. (ص338- الجزء الثاني من المذكرات).

وفيما يلي خلاصة للمذكرة الاميركية التي قدمت للحكومة السورية والتي وضعها خالد العظم تحت تصرف مجلس النواب للاطلاع عليها:

صباح يوم السبت في 26 شباط 1955 زار السفير الاميركي في سوريا، جيمس س. موسى، بناء على طلبه، دولة صبري بك العسلي، رئيس مجلس الوزراء السوري وكان يرافق السفير فؤاد بك غميان الذي قام بدور المترجم. وبعد قليل وصل دولة خالد بك العظم، وزير الخارجية السورية، وانضم الى المجتمعين.

وبعد تهنئة رئيس الوزراء ووزير الخارجية على الثقة الممنوحة الى وزارة العسلي، قال السفير الاميركي انه مكلف، بناء على تعليمات من حكومته، بأن ينقل لهم آراء حكومة الولايات المتحدة الاميركية بخصوص الاتفاق العراقي - التركي المعقود مؤخرا، وبخصوص الدفاع الاقليمي للشرق الادنى، والقضايا المتعلقة بهما.

ولقد تناول المستر موسى اولا الاتفاق التركي العراقي قائلا ما فحواه:

أ- ان الولايات المتحدة كانت دائما تسند جهود الدول الاخرى للقيام بتعاون يهدف الى الوصول الى اعلى درجة من الاستقرار والامن، وعلى الاخص، فالولايات المتحدة تحبذ التعاون بين الدول المهتمة بتحسين دفاع الشرق الاوسط ضد العدوان الشيوعي.

ب- ترحب الولايات المتحدة بالاتفاق التركي - العراقي كخطوة انشائية للاعتراف بالحاجة للدفاع الفعال عن الشرق الاوسط ضد التوسع الشيوعي.

جـ- ان الولايات المتحدة مستعدة لمساعدة الجهود التركية والعراقية الرامية الى ترتيبات مجدية للدفاع.

د- تعتقد الولايات المتحدة ان على الدول العربية ان ترحب بالاتفاق التركي-العراقي كتدبير يساهم في سلامة هذه الدول الخاصة، ومذكرا بالحديث الذي جرى بتاريخ 4 شباط 1955 بين سفير لبنان في واشنطن وموظفي وزارة الخارجية الاميركية، قال السفير الاميركي انه يود ان يسرد النقاط البارزة التي اوردها موظفو وزارة الخارجية الاميركية، ولقد لاحظ السفير ان الحديث جرى بخصوص لبنان، ولكن هذا لا يعني انه محصور بذلك البلد فقط، وفي الواقع قال السفير ما يلي:

1- ان وزارة الخارجية الاميركية رحبت علنا بالاتفاق التركي - العراقي كخطوة انشائية نحو منظمة دفاع حقيقية يمكن مع الوقت ان تضم الباكستان وايران وبعض الدول العربية.

2- وبعد تطور المنظمة على غرار الاتفاق الاخير، فالولايات المتحدة ترى سلفا احتمال ان تستطيع الدول العربية الواقعة في "خلف المنطقة" وراء الصف الشمالي لعب دور مفيد بخصوص المنظمة الدفاعية، وفي تلك الظروف اذا ارادت احدى الدول العربية في "خلف المنطقة" ان تنضم الى المنظمة الدفاعية، فالولايات المتحدة ستكون مستعدة للنظر في تقوية دفاع تلك الدولة العربية، او اية دولة عربية، بما فيها مصر، ترغب بالاشتراك في الخطط الحقيقية للدفاع عن الشرق الاوسط.

3- ان نمو الترتيبات الدفاعية وتحسين العلاقات العربية - الاسرائيلية ضروري للمساهمة الفعالة من قبل الولايات المتحدة الاميركية في الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط، فالولايات المتحدة لا تستطيع ان

تبدد مواردها في قوى غير متجانسة داخل المنطقة او في سباق على التسلح بين العرب واسرائيل.

4- ان الولايات المتحدة تعترف بقيمة الجامعة العربية في المساهمة في التقدم الاقتصادي والفني والاجتماعي للدول العربية، ولكن ميثاق الضمان الجماعي العربي لا يفي، حسب رأي حكومة الولايات المتحدة، حاجة المنطقة الى انظمة دفاع فعالة، ان من وجهة القوة الداخلية او من وجهة القدرة على الحصول على مساعدة فعالة من الدول المجاورة، ان وزارة الخارجية الاميركية لا ترى سلفا امكانية دعم ميثاق الضمان الجماعي العربي من قبل الحكومة الاميركية في اي وقت، او دعم اية منظمة تخلفه.

5- ان المساعدات الحربية الاميركية الممكنة الى مصر يمكن ان تعتبر مستثناه من الفقرة 4 اعلاه، الا انه يجب ان يلاحظ ان مصر هي الان مرتبطة مع الغرب بموجب الاتفاقية الانجليزية - المصرية على قاعدة قنال السويس، فاية مساعدة عسكرية لمصر سيكون القصد منها تقوية الدفاع عن قاعدة القنال، وستكون، طبعا، اية مساعدة عسكرية لمصر خاضعة للاتفاقيات المعتادة مع ضمانات مصرية بعدم استعمال الاسلحة للعدوان وتأكيدات بالتعاون للدفاع المشترك.

6- ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تعطي اية نصيحة عن الطرق التي تختارها الدول العربية بخصوص سياسة الدفاع العربي، فعلى كل دولة عربية ان تقرر طريقها الى ما تعتبره اضمن لمصالحها، ومع ذلك، فالولايات المتحدة تأمل ان لا تشرك سورية نفسها باي جهد يجعل موقف العراق اكثر صعوبة، وتأمل ان سورية ستتصرف بشكل يجعل الطريق مفتوحا لامكانية انضمامها في المستقبل الى منظمة الدفاع النامية.

خطاب خالد العظم في وثائق حلف بغداد

نجيب الراوي سفير العراق في سورية يتحدث عن وقع خطاب خالد العظم (وثائق حلف بغداد ص 1681 الجزء الرابع من كتاب محكمة الشعب)

برقية واردة من دمشق

الى وزارة الخارجية - بغداد

لقد قابلت اليوم زميل وزير المالية (اي ميخائيل ليان زميل وقريب وزير المالية ليون زمريا) ابدى امتعاضه الشديد من بيان وزير الخارجية. وقال ان مجلس الوزراء اتفق على رؤوس اقلام لم تتضمن ما جاء في البيان عن العراق.. وقال انه طلب عقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء للبحث في الموضوع.

قابلت فيضي الاتاسي وعدنان الاتاسي وبدوي الجبل وكثيرا من نواب حزب الشعب والحزب الوطني والمستقلين، وقالوا عن خطاب وزير الخارجية لم يكن متوقعا وكان المقرر ان يتخذ المجلس قرارا لدعوة جميع الدول العربية للاجتماع والمناقشة في المشروع السوري. لكن وزير الخارجية باغت المجلس بالفصل الذي يقتضي الدرس. واجل الموضوع يعتقد هنا ان البيان كتبه احمد عسة احد صاحبي جريدة الرأي العام ولم يطلع عليه الا بعض الضباط..

وان وزير الخارجية القاه كسبا لرأي الضباط والاشتراكيين والمملكة العربية السعودية. بعد ان اصبح واضحا انصراف النواب عنه.. في مسألة رئاسة الجمهورية حاولت مقابلة رئيس الوزراء ووزير الخارجية اليوم فلم استطيع لغيابهما.. ساقابلهما واخبركم.

يسافر العظم الى باريس الاحد. يعتقد انه يقابل الشيشكلي بناء على اتفاق مع انصاره من الضباط ... سيسافر ميخائيل ليان صباح اليوم الى بيروت بطلب من فخامة كميل شمعون. تأجل سفر المعصراني والشقير..

عبد الجليل الراوي

حلف بغداد يستمر بالتآمر على سورية

زيارة توفيق السويدي لدمشق

صعد حلف بغداد - بعد استشهاد عدنان - حملته لقلب الاوضاع في سورية بشتى الوسائل من توجيه المذكرات، واطلاق الانذارات، وارسال المبعوثين وحبك المؤامرات بواسطة أجهزته وعملائه، وكانت زيارة توفيق السويدي ضمن هذه الحملة، ولكن جميع ما كان يبذله من جهد كان يرتد عليه بنتائج عكسية فقد كشفت اتباعه في جميع الاحزاب والكتل السياسية.

قبل ان يلقي خالد العظم خطابه زار توفيق السويدي دمشق، وأجرى اتصالات واسعة ومريبة لم يعرف عنها شيء لا من قبل اجهزة المخابرات السورية ولا من محمود رياض سفير مصر في دمشق، وخلال ذلك زارني منير شيخ الارض من جماعة الدكتور الشهبندر القدامى وصاحب البرقية المشهورة الى شكري القوتلي وقال لي:

هل ترى ضررا من الاجتماع بالسويدي؟؟

ترددت في بداية الامر ثم خطرت في ذهني فكرة استدراج السويدي لمعرفة اسباب زيارته في تلك الفترة العصيبة، وقد بدا لي ان ذلك ممكن فيما اذا كنت لينا معه اثناء المناقشة... وعندما ذكرت ذلك امام محمود رياض شجعني عليه، وفي بيت منير شيخ الارض تعرفت لاول مرة على توفيق السويدي، وبدون اية مقدمات سألني: هل اطلعت على بنود الاتفاقية العراقية البريطانية فتظاهرت بأنني لم ادرسها جيدا لاتيح له حرية الحديث وليكشف ما في نفسه، فاندفع يعدد مآثر الحلف والمعاهدة وانا اصغي اليه، ثم اعترضت حديثه قائلا:

اذا كان هذا الحلف مفيدا للعراق كما تقول فهو ضار بسورية والبلاد العربية، فاتخذ وضع الاستاذ المحاضر - وهو بالمناسبة قد كان استاذا محاضرا في كلية حقوق دمشق خلال العهد الفيصلي - ثم قال:

ليس قصدنا ان تدخل سورية في الحلف، ولكننا نحن الرعيل الاول نتعجب كيف ان شبابا مثلكم يقف ضد الوحدة العربية ثم تابع حديثه:

نحن في العراق نحب سورية ولا نقصد الا تحقيق الوحدة بين البلدين، وعندها لم اتمكن من ضبط اعصابي فأجبته:

ان الوحدة بين سورية والعراق هدفنا بل هي طريق حياتنا القومية وانني لا اقول ذلك ادعاء، لقد اغلقت مكتبي للمحاماة عندما تعرض العراق للعدوان البريطاني بعد ثورة رشيد عالي الكيلاني، وقدمت الى العراق في حملة من ضباط الجيش، ومن رفاقي الشباب والمجاهدين والطلاب للمساهمة بالدفاع عن استقلال العراق عام 1941، كما قلت له:

انتم لا تعملون في سبيل قيام الاتحاد او الوحدة بين البلدين بل انكم تسعون لترسيخ الانفصال باقامة عرش لعبد الاله في سورية باسم الاتحاد، واكبر دليل على صحة ما اقول ان الاردن لا يزال منفصلا عن العراق بالرغم من تماثل اوضاع البلدين سواء من حيث نظام الحكم الملكي الهاشمي او من حيث تغلغل النفوذ البريطاني، لقد عملتم على ترسيخ هذا الانفصال بدلا من العمل للوحدة بين البلدين لئلا يقترب العراق الشقيق من خط الدفاع الاول عن الامة العربية تجاه الخطر الصهيوني، فتراجع بشكل مفاجيء وقال:

انا اعلم بأنكم تشترطون النظام الجمهوري اساسا لقيام الوحدة بين العراق وسورية، وانا من رأيك في هذا الموضوع فقلت له على الفور:

انت مخطىء في تقديرك، فنحن نرضى بوحدة عربية حقيقية بين العراق وسورية ولو في ظل تاج واحد، ولكن يؤسفني ان اقول بأن انكلترا وعملاءها لا يوافقون على الوحدة بين البلدين لانها تهدد مصالحهم ووجودهم في العراق والوحدة لا يمكن تحقيقها الا بعد تحرر العراق من نفوذهم، اما السبب في عدم قيام الوحدة بين العراق والاردن تحت ظل عرش هاشمي واحد فهو النفوذ الاستعماري البريطاني الذي يحمي اسرائيل ويدعمها، فلم المراوغة في ذكر الحقائق؟.

لـم تحقـق هـذه المقابلـة مـع السـويدي اغراضـها، كمـا ان السويدي لم يجرؤ ان يذكر فـي تقريـره مـا جـرى بيننـا مـن نقـاش بشـكل كامل ومفصل، وهذه صورة عن هذه المقابلة كما وردت في احدى وثائق حلف بغداد.

اجتماع في سرسنك يحضره جلالة الملك وسمو ولـي العهـد ويحضـره توفيق السويدي وفاضل الجمالي مساء يوم الاربعاء 1955/6/1.

الموضوع/ الوضع في سوريا (ص 2504 سويدي الجزء السادس)

ما قاله توفيق السويدي:-

قبـل سـفري تشـرفت بمقابلـة جلالـتكم وعنيـت ان مهمتـي تتعلـق بمحاولة منع التوقيع على الميثاق الثلاثي او تأخيره وفي الشام اتصلت بنحـو مئتـي شـخص ووجـدت بصـورة عامـة ان الاخـلاق متفسـخة والوضـع قلـق. ميخائيل ليان مؤمن ومندفع وجاءني ثلاث مرات وقال الرئيس ضعيف والجـيش لا يفيد وقال ان عنده ترتيب مع الدروز وعلى الحدود في دير الزور وبعض رجـال الجيش فيجعلوا حكومة قوية ولما سألته هل في امكانـه القيـام بـذلك؟ اجـاب بالايجـاب، ثـم جـاءني فـي بيـروت منيـر شـيخ الارض (وهـو لـيس لـه علاقـة بالسعوديين) وكان ضد العراق وبعد ان افهمته الحقـائق قـال انـه يتأسـف. ثـم عرض علي خدماته واقترح ان اقابـل اكـرم الحـوراني (وهـذا كـان مدرسـا فـي العراق لمدة نحو ستة اشهر قبيل اضطرابات سنة 1940) فقابلته فذكر انه ضد الحلف العراقي التركي فلما سألته عن تفاصيل الحلف وماهيته اجـاب بجهلـه. وبعد ان افهمته حقيقة الحلف وقلت انه ليس ضد سـوريا او العـرب وان العـراق يهمه سعادة واستقلال سوريا وبعد حديث طويل قال انه يريد اتحاد اندماج مـع العراق بتاج واحد وليس بتاجين كما تريدون فقلت له. اننا نوافق علـى الاتحـاد ولكن نريد ان تأتي الفكرة من عندكم فسكت. ويظهر انه اراد ان يحرجني، ثـم طلبت منه ان يذهب الى جماعتـه ليقـنعهم باننـا لسـنا ضـد سـوريا، ثـم بعـد المذاكرة مع جميل المدفعي قال جميل انه يريد الاتحـاد ولـيس دولـه موحـدة، وقد افهم السوريون ان الاتحاد يريده العراق ليبقى حاكما على سوريا، كما ان السـوريين يريـدون الانـدماج لان فيـه فوائـد اقتصـادية للسـوريين. لـم اسـتطع الاتصال برئيس اركان الجيش السوري. وكنت قبلا قد ذكـرت لصـبري العسـلي بمساعداتهم لمد العراق على طريق الاقراض وكذلك ميناء اللاذقية وغير ذلـك

من المساعدات الاقتصادية ولما كان صبري العسلي قد اخذ يشيد بذلك ووصل ذلك لعلم رئيس اركان الجيش اراد مقابلتي ولكنه بعد ذلك غير فكره ويظهر انه حاذر من مقابلتي. كل هذا يدل على التذبذب والتفكك. كميل شمعون يؤيد فكرة التحريك وميخائيل ليان يؤيد نجاحها. كلمت نوري باشا بذلك بعد عودتي وذكرت له ليس من المصلحة اتباع سياسة التذبذب فاذا كانت سوريا مهمة لنا فعلينا ان نعمل فأجاب بالتأييد. وبقيام لجنة تتولى العمل واشار بأن احضر الى سرسنك لعرض الامر على جلالة الملك وسمو ولي العهد وارى ان تؤلف لجنة من خمسة. رئيس الوزراء ووزير الخارجية وثلاثة اخرين من المؤمنين بالموضوع وبالعمل وتكون تحت اشراف سمو الامير. كما ارى ان تكون الهيئة التنفيذية في بيروت.

ان مشكلة سوريا هي ان رجال سوريا قبل الوصول الى الحكم يكونون معنا وبعد الوصول اليه يتغيرون وهذا ما نخشاه في حالة مجيء رئيس جمهورية جديد والفرصة كما يراها ميخائيل ليان هي الان طالما رئيس الجمهورية الحالي في الحكم.

كما ورد ايضا في محضر ذلك الاجتماع ما يلي:

ولما ذكر له الدكتور الجمالي الخلاف بينه وبين جميل المدفعي حول ضرورة اخبار الامريكان والانكليز واخذ موافقتهم قال السويدي ان العمل في سوريا باعتبار انه سوف لا يستدعي تدخل العراق فلا حاجة لاخذ موافقة هاتين الجهتين. ثم ان هنالك اجراءات يجب القيام بها الان في تأليف اللجنة.

ما هي الغاية هل الوحدة ام الاتحاد؟ (قول فاضل الجمالي)

قال توفيق السويدي

ان الحوراني يؤيد فكرة الملكية خاصة بعد ان بينت لهم ان جلالة الملك وسمو ولي العهد حاضرين للتخلي عن حقوقهما اذا اقتضت مصلحة البلاد ذلك. وقال السويدي انهم تحسسوا بذلك جدا وايدوا فكرة النظام الملكي الموحد.

فاضل الجمالي سأل السويدي عن امكان التعاون بين ميخائيل اليان وعدنان الاتاسي فأجاب بالايجاب. بعد سماع هذه البيانات تقرر تأليف اللجنة من الذوات التالية اسماءهم: رئيس الوزراء، وزير الخارجية، السيد توفيق

السويدي، الدكتور فاضل الجمالي، السيد جميل المدفعي، رئيس الديوان الملكي ويقوم باعمال السكرتارية ويكون حلقة الاتصال لعرض الامر على جلالته.

الدين امضى سلاح بيد المعارضين

لجأت الرجعية بعد الهزائم التي منيت بها على الصعيدين المجلسي والشعبي الى سلاح الدين في حادثتين استغلتهما أسوأ استغلال للهجوم على حكومة الائتلاف:

الاولى خلال الحفلة التي اقامتها وزارة الخارجية لوفد يوغوسلافي برلماني، وكانت العلاقات قد بدأت تزداد وثوقا بين سورية ويوغوسلافيا ولا سيما بعد مؤتمر باندونغ، فقد تناول رئيف الملقي في تلك الحفلة شيئا من البيرة وكان شديد التأثر من الكحول، وعندما بدأ يخطب مرحبا بالضيف بدأ يتلجلج امام المكروفون وينطق اسم تيتو بصورة مضحكة، فكانت هذه الحفلة موضع انتقاد شديد من قبل الاوساط الدينية والسياسية في دمشق.

اما الحادثة الثانية فهي توزيع نشرة في حلب - دون علم القيادة - بقلم الياس فرح يقارن فيها بين اشتراكية الاسلام وبين اشتراكية البعث، فاستغلت هذه النشرة كما استغلت اقوال جوزيف الخوري سابقا، وعلى اثر صدور هذه النشرة عقد رجال الدين اجتماعا كبيرا في حي الميدان بدمشق حضره الشيخ مكي الكتاني ومنير العجلاني وبعض رجال الدين حيث جرى التحريض على الاضراب والتظاهر احتجاجا على النشرة، كما بلغني ان الكتاني كان يعقد جلسات سرية لتحريض بعض السذج ودفعهم لاغتيالي، بالطريقة التي سبق له ولبعض رجال الدين اتباعها في حادث اغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، فاستدعيت الياس فرح، وانبته تأنيبا شديدا على اصدار هذه النشرة دون علم واطلاع القيادة، فادعى انه اطلع الاستاذ ميشيل عليها قبل اصدارها، ولكن ميشيل نفى ذلك، فأصدرت القيادة بيانا حول هذا الموضوع، وقد اتخذت الرجعية من حادث الملقي ونشرة الياس فرح وقصيدة لنزار قباني عنوانها "خبز وحشيش وقمر" موضوعا للهجوم على

حكومة الائتلاف واتهامها بالمروق والاستهتار باحكام الدين، فأثار حزب الشعب بالاتفاق مع بعض النواب المستقلين ونواب الكتلة الاسلامية الموضوع في جلسة 55/6/14 فاشار احمد قنبر الى حادث الملقي (وزير المعارف) سائلا الحكومة: هل ستعمد الى منع الشراب في الحفلات الرسمية كما قال: انني لا اظن ان الحكومة تنساق مع القول القائل بأن الحفلات الرسمية بدون شراب خراب... ثم تبعه محمد المبارك بمحاضرة عن الدستور والاسلام، اما الشيخ مصطفى الزرقا فقد شرع يتلو قصيدة نزار قباني التي يقول فيها:

في بلادي حيث يبكي الساذجون

ويعيشون على الضوء الذي لا يبصرون

في بلادي حيث يحيا الناس من دون عيون

حيث يبكي الساذجون

ويعيشون على الضوء الذي لا يبصرون

في بلادي حيث يحيا الناس من دون عيون

حيث يبكي الساذجون

ويصلون ويحيون اتكال

منذ ان كانوا يعيشون اتكال

أيها النبع الذي يمطر ماس .. وحشيشا ونعاس

ايها الرب الرخامي المعلق

ايها الشيء الذي ليس يصدق

دمت للشرق لنا... عنقود ماس

للملايين التي عطلت فيها الحواس

في ليالي الصيف لما يبلغ البدر تمامه

يتعرى الشرق من كل كرامة... ونضال

فالملايين التي تركض من غير نعال

والتي تؤمن في اربع زوجات وفي يوم القيامة

الملايين التي لا تلتقي بالخبز الا في الخيال

والتي تسكن في الليل بيوتا من سعال

ابدا ما عرفت شكل الدواء

تتردى جثثا تحت الضياء

بعد ذلك ذكر الشيخ الزرقا انه عندما احتج لدى خالد العظم وزير الخارجية على القصيدة (كان نزار موظفا في وزارة الخارجية) اجابه العظم ان ما حوته القصيدة يقال مثله في هذه الايام، ثم تساءل الزرقا:

هل هذه وزارة ام دعارة؟

ثم تكلم العجلاني فحمل على حزب البعث قائلا:

"انني استأذن اخواننا اعضاء حزب البعث ولن يضيرهم ان احدثهم عن موضوع اظن انهم ينكرونه كما انكره رجال الاحياء، وقد تطوعت بالنيابة عن حزب البعث (ويقصد الاجتماع الذي عقده مع رجال الدين في الميدان) وقلت لهم انني قرأت في الصحف رأي البعث بهذا الشاب المسمى الياس فرح الذي انتقد الدين الاسلامي انتقادا مرا وقارن بين ما سماه اشتراكية الاسلام الرجعية والاشتراكية الحديثة التي ينادي بها حزب البعث" ثم انتهى بعد هذا الكلام المراوغ الى القول:

انه اذا لم تصغ الحكومة الى مطالب المشايخ فانهم سيضطرون الى اعمال العنف وقال:

"لا شك ان هذا امر خطير يجب ان يعالج بقوة وعزم حتى لا يكون مصدر فتنة سواء في حلب ودمشق وحتى لا تتداعى البلاد الى

ما يشبه الحرب الصليبية" فأجبت العجلاني بعد ان اشرت الى نواياه باستغلال الدين لامور تتعلق بالسياسة الخارجية قائلا له:

"لا أنت ولا غيرك يمكنه ان يعلن حربا صليبية في هذه البلاد، ونحن مؤمنون مسلمون اكثر من المستغلين المتصلين بالدوائر الاجنبية الذين يتسترون بلباس الدين، وانني كنت مقدرا منذ صدور نشرة الياس فرح ان الموضوع سيكون مثارا للاستغلال ولا ادل على ذلك ان وكالة الانباء العربية جعلت من قضية الياس فرح قضية توجب ان ينزل الله علينا النيران من السماء" ثم خاطبت العجلاني:

"اذا كنت تتجه في سياستك الخارجية اتجاها فان لنا اتجاها آخر، وكان بامكانك دون مواربة ان تعلن رأيك عندما تلا وزير الخارجية بيانه فلا مجال لاستغلال الدين ولنتق الله في هذا الوطن".

باءت محاولة الشيخ الكتاني والعجلاني للاثارات الدينية والطائفية بالفشل الذريع فقد كان الشعب في شاغل عن ذلك بقضيته الكبرى، وقال لي احد معارفي، ولا اعرف ما في هذا القول من صحة، ان متحمسا في اجتماع حي الميدان تعهد باغتيالي للكتاني قائلا:

لتقطع يدي هذه اذا لم اقتل اكرم الحوراني، فأصيبت يده في حادث سيارة.

1955: سورية تخوض معركة التنمية - لم يكن امام سورية للبدء بمشاريع التنمية الا زيادة عائدات مرور البترول عبر اراضيها - تشكيل لجان شعبية في جميع المحافظات السورية لمتابعة موضوع تعديل اتفاقيات مرور النفط- اول دراسة علمية تقدم للمجلس النيابي عن قضايا النفط - الموازنة الاستثنائية - تأميم بنك الاصدار - يوم الغضب الشعبي على شركات البترول - خالد العظم يمهد لخوض انتخابات الرئاسة.

سورية وسياسة القروض والمعونات الخارجية

استمرت سورية بعد الجلاء بخوض نضال شاق متعثر في سبيل استكمال اسباب تحررها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، بعد قرون من التخلف في ظل الاحتلالين العثماني والفرنسي.

كانت الولايات المتحدة - بعد الحرب العالمية الثانية - الدولة الوحيدة القادرة على توزيع المعونات ومنح المساعدات الاقتصادية والعسكرية سواء للدول التي خربتها الحرب او للدول المتخلفة الحديثة العهد بالاستقلال، ولم يكن خافيا ان السياسة الاميركية كانت تعتبر دعم اسرائيل ومشاريعها التوسعية - بعد قيامها - جزءا من استراتيجيتها في المنطقة العربية، وهذا ما يفسر انفراد سورية عن سائر الدول العربية واصرارها على رفض المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي كانت بأمس الحاجة اليها، اذ اعتبرت قبولها ثمنا باهظا لمهادنة الاستعمار الجديد واسرائيل على حساب القضية العربية.

لم يبق اذن امام هذا البلد الصغير الذي خرج من غمار القرون مهدما منهوك القوى الا ان يعتمد على موارده الذاتية في معركة الاعمار والبناء، ولكن هذه الموارد التي تكاد تكون معدومة فعلا قد اصبح بناء القوى العسكرية يستنزف اكثر من نصفها بعد

هزيمة عام 1948 في فلسطين، فحصل خلل كبير بين ما يتوجب علينا لبناء قوتنا العسكرية الدفاعية وبين تقديم الخدمات العامة الضرورية للشعب، اذن ليس هناك من حل آخر سوى تنفيذ مشاريع التنمية واستغلال ثروات البلاد الطبيعية، والسؤال الذي كان يطرح نفسه:

كيف نبدأ او من اين نبدأ؟

لم يكن امامنا الا تعديل اتفاقيات مرور البترول بما يحقق زيادة في العائدات من القطع النادر، ثم انشاء مصفاة بترولية لتوفير ما ننفقه على المحروقات، ومحاولة التنقيب عن البترول والثروات المعدنية، وتأميم بنك الاصدار الذي يستثمر اموال الشعب السوري.

ان ذلك سيتيح لنا البدء بمشاريع التنمية حسب منهج ينطلق بصورة خاصة من استغلال الثروات المائية الى آخر قطرة منها، اذ لا صناعة ولا اقتصاد زراعي ثابت ولا حضارة بدون ماء في هذه المنطقة من العالم التي حولتها الحروب والفتوحات الى صحارى، فأصبح وجود الماء فيها اكثر اهمية من وجود النفط، وهذا ما حدا باسرائيل للشروع باغتصاب مياه الاردن لاحياء صحراء النقب وبناء هيكلها الاقتصادي الذاتي على اساس هذا المشروع الحيوي.

كنا نشعر دوما بالاخطار المداهمة بعد قيام اسرائيل التي كانت تنفق على جيشها مما تتلقاه من المساعدات الاميركية بما يزيد على ما تنفقه جميع الدول العربية المحيطة بها على جيوشها، اذن لا امل لنا في بناء قوتنا العسكرية الضرورية للدفاع عن بلادنا الا في الاسراع لانجاز مشاريعنا الانمائية، وتطوير اوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية، وتصنيع بلادنا لبناء القاعدة المادية الصلبة التي تجعلنا قادرين على صد الهجمات الاستعمارية والاسرائيلية، وعلى متابعة عملنا الدائب المستمر لتوحيد البلاد العربية، الذي هو محور نضالنا القومي، وقد سنحت الفرصة بعد ان اصبح حزب البعث قوة موجهة ومؤثرة في سياسة

البلاد على الصعيد الحكومي وبعد اشتراكه في حكومة الائتلاف وازدياد انصاره ومؤيديه سواء في المجلس النيابي او خارجه في جو تلك التعبئة الشعبية التي زاد اشتعالها استشهاد عدنان المالكي بالرغم مما تعرضت له البلاد من مؤامرات لم يتعرض لها اي بلد من بلدان العالم.

□

استردت حكومة الائتلاف - كما ذكرت ذلك سابقا - الموازنات التي وضعتها حكومة فارس الخوري قبل استقالتها لتعيد بها النظر على ضوء ملاحظاتنا، فلم اتوان خلال الشهور التي انقضت بين استرداد الموازنة ثم تقديمها للمجلس النيابي ثانية في جلسة الرابع من شهر حزيران عام 1955 عن متابعة قضية تعديل اتفاقيات البترول وتأميم بنك الاصدار، وقد تحملت ابتداء من شهر حزيران حتى آخر عام 1955 من الاعمال المرهقة ما لم اتحمل نظيره طيلة حياتي السياسية، ورغم ذلك فقد كنت اشعر بالسعادة لانها كانت حقبة مليئة بالانجازات الهامة، ففي كل يوم من تلك الايام كان علي - بصفتي رئيسا للجنة الموازنة - حضور اجتماعين قبل الظهيرة وبعدها لدراسة الموازنة دراسة دقيقة مرهقة، كما كنت مكلفا باعداد اقتراحات القوانين الضرورية المتعلقة بتنظيمها وحضور الجلسات العامة للمجلس النيابي، وملاحقة تأميم بنك الاصدار، وحضور جلسات لجنة البترول لجعلها وسيلة ضغط لتعديل الاتفاقيات، وقد ترافق ذلك كله مع خوضنا معركة رئاسة الجمهورية واستقالة حكومة الائتلاف، وتشكيل حكومة سعيد الغزي، بالاضافة الى متابعة دعوى المالكي، واحباط المؤامرات على الوضع الشعبي الديموقراطي في سورية التي كانت كحلقات السلسلة ما ان تنكشف احداها حتى تتبعها الاخرى، وقد كانت هذه المواضيع كلها متصلة ببعضها بعضا في الغايات والاهداف سواء بالنسبة لسورية او بالنسبة لاعدائها.

الموازنات العامة وتأميم بنك الاصدار وتعديل اتفاقيات النفط

كانت شـؤون البتـرول مـن المعـارف التـي يحتكرهـا السـادة المستعمرون المستثمرون، ولما كنت - آنـذاك - بنظـر الـرأي العـام السوري صاحب قضية زيادة عائدات مرور البترول فقد عرفني على نفسه شاب من حلب، آسف انني لـم اعـد اذكـر اسـمه، كـان قـد انهى اختصاصه حديثا مـن فرنسـا بشـؤون البتـرول فعينتـه الدولـة موظفا في دائرة المعادن فاستعنت به على اعـداد دراسـة علميـة شاملة لاتفاقيات النفط لبيان الاجحاف الذي يلحق بالبلاد من جراء هذه الاتفاقيات وبيان الوفر الحاصل من انشاء مصفاة بترولية تسـد حاجة سورية من المحروقـات، وقـد وضـعت هـذه الدراسـة بصـيغة اسئلة تقدمت بها للمجلس النيابي بتاريخ 55/6/6 باسم الزميلين عبـد الحلـيم قـدور وعبـد الهـادي عبـاس، وكانـت هـذه الجلسـة مخصصة لاستماع بيان وزير الماليـة عـن الموازنـة، وقـد اختـرت ان اقدم الاسئلة باسم الزميلين بالرغم من انهما لم يطلعا عليها قبل توقيعها لانني اردت ان اشير الى اهتمام الحزب بهذه القضايا وانها ليست موضع اهتمامي وملاحقتي فحسب، فكانت هذه الدراسـة موضع دهشة واسـتغراب نـواب المجلـس لانهـا كانـت اول دراسـة علميـة فـي سـورية لموضـوع عائـدات مـرور البتـرول فـي اراضـيها ولقضايا التوزيع والتصفية.

زارني بعد هذه الدراسة بعض الشـباب مـن حمـص - ولم يكن لي بهم سـابق معرفـة - فـاقترحوا علـي تشـكيل لجان شعبية في جميع المحافظات لمتابعة موضوع تعـديل اتفاقيات النفط، فشجعتهم ووعـدتهم بـدعم الحـزب وتبنيـه هذه الفكرة، فكان لتشـكيل هـذه اللجـان الشـعبية الفضـل الاكبـر فـي تعـديل اتفاقيـات الـنفط فيمـا بعـد، لانهـا نقلـت القضية من ايدي الحكومة والمجلس الى الشـعب الـذي لا يخيف الاستعمار وعملاءه وشركات الاحتكار سواه.

كانت شـركات الـنفط مقتنعـة بـأنني وراء كـل نشـاط يتعلـق بتعديل الاتفاقيات، وفي احد الايام زارنـي دون سـابق موعـد رجـل انكليزي قال انه موظف فـي شـركة نفـط العـراق دون ان يصـطحب معه ترجمانا، وكان عجوزا قدرت للوهلة الاولى بأنه رجل مخـابرات،

ثم شرع يسألني عن آرائي باتفاقية نفط العراق وعن تصوري لمقدار حصة سورية من العائدات، فاقترحت عليه ان يصطحب معه ترجمانا لانني ضعيف باللغة الفرنسية ولكنه اصر فأجبته قدر ما استطيع.. كان يحملق في كثيرا وقد خيل الي انه لم يقم بهذه الزيارة لاستطلاع رأيي المعروف بل لاجراء دراسة نفسية كما ظهر لي من وضعه واسئلته.

□

لقد احدث التقرير المتعلق بقضايا النفط الذي تلي في المجلس النيابي في 1955/6/6 ضجة كبرى في جميع الاوساط الحكومية والمجلسية والشعبية لانه فضح اتفاقيات مرور النفط غير الشرعية سواء مع شركة الاي بي سي التي كانت تستغل نفط العراق او مع شركة التابلاين للنفط السعودي، كما فضح الاستغلال المشين لهذه الشركات وتجاهلها حقوق سورية، وقد تضمن التقرير ثلاثة اسئلة كان اولها يتعلق باتفاقات مرور البترول وبالعائدات التي تتقاضاها سورية.

ففيما يتعلق بعدم شرعية تلك الاتفاقات سواء ما يتعلق بشركة نفط العراق او شركة التابلاين ورد في التقرير:

1- ان اتفاقية نفط العراق قد وقعتها حكومة الانتداب (اي غير شرعية).

2- ان اتفاقية التابلاين قد وقعت بشكل مماثل لاتفاقية نفط العراق (وقعتها حكومة حسني الزعيم).

وفيما يتعلق بحق سورية بزيادة عائدات مرور النفط عبر اراضيها ورد في التقرير:

1- ان نقل نفط العراق عبر الاراضي السورية قد قصر المسافة على شركة الاي بي سي بمقدار 70%.

2- ان نقل نفط المملكة العربية السعودية عبر الاراضي السورية قد قصر المسافة 80% على شركة التابلاين.

3- ينتج من هذا ان سورية مقابل الوفر الاقتصادي الهائل الذي تؤمنه للشركتين ينبغي ان تتمتع على الاقل بنصف الارباح التي يؤمنها مرور

البتـرول عبـر الاراضـي السـورية، ولا سـيما انـه اصـبح بعـرف اسـتثمار المناجم ان عامل النقل مساو لعامل الاستخراج، ويضاف الـى مـا سـبق الاخطار العسكرية المترتبة على وجود الانابيب في سورية من احتمالات قصف جوي او غيره من الاخطار التي يجـب ان تؤخـذ بعـين الاعتبـار عنـد تقدير الرسوم.

4- ان عائدات سورية من مرور بترول الشركتين لم توضع استنادا الى قاعدة علمية او اساس معين وانما قررت بشكل اختياري محض يضمن للشركة كل ارباحها على حساب هضم حقوق الدولة ويقول التقرير:

والغريب ان رسوم المرور تدفع لسورية على اساس وحدة طن البتـرول وليس على اساس وحدة الطن الكيلومتري (اي الارباح التـي توفرهـا الشـركة من نقل طن البترول مسافة كيلومتر).

وبعد اعتماد الطن الكيلومتري يصل التقرير الى النتيجة الاتية بالنسـبة لعام 1954 مثلا.

ان الربح الصافي الـذي تـوفره شـركة نفـط العـراق عبـر خطوطهـا فـي سورية وهي الخط 30 وطوله 490 كم والخطين 12 و16 وطولهمـا 420كـم هـو 258+96= 354 [1] مليون ليرة سورية، وحسب مبدأ المناصفة الـذي يجـب ان تعتمده سورية يجب ان تكون حصتها من الـوفر الحاصـل بسـبب مـرور البتـرول العراقي في اراضيها هو 177 مليون ليرة سورية بينما لا تتعدى العائدات التـي تدفعها شركة الاي بي سي لسورية الـ 1.400000 ليرة سورية في العام.

كذلك فان شـركة التـابلاين قـد دفعـت لسـورية عـام 1952 مـثلا مبلـغ 187.404.34 ليرة سورية بينما يجـب ان تتلقـى سـورية مبلـغ 33 مليـون ليـرة سورية اعتمـادا علـى حسـاب الـوفر علـى اسـاس الطـن الكيلـومتري وعلـى اساس مبدأ مناصفة الارباح.

ثم يتعرض التقرير الى تاريخ المفاوضات التي جرت مع شركة الاي بي سـي لتعديل عائدات سورية بما يلي:

---

(1) ليس ما ورد حول الوفر سوى خلاصة مبسطة لنتيجة الحسابات العلمية التي وردت في التقرير، ويمكـن للمهتمـين الرجـوع الـى التقريـر فـي محضـر جلسـة مجلـس النـواب السـوري بتـاريخ 1955/6/6.

لقد تألفت منذ ثلاثة اعوام تقريبا لجنة رسمية لمفاوضة ممثلي شركة نفط العراق المحدودة لدراسة امر تعديل الاتفاقية بين الدولة السورية وهذه الشركة الموقعة بتاريخ 1931/3/25 والمصدقة بالقرار الصادر عن المفوضية الفرنسية العليا بالقرار رقم (39/ل س تاريخ 1931/5/20) وكانت مهمة هذه اللجنة الرسمية ايضا اعادة النظر في القرارين الصادرين عن مجلس الوزراء بالرقمين (293 و294 تاريخ 1950/9/3) المتعلقين الاول باستملاك الاراضي التي لا تخص الدولة لصالح شركة نفط العراق لانشاء خط الانابيب الثالث الواسع القطر والثاني بدفع بعض المبالغ السنوية وبتقديم كمية (200000) طن من النفط الخام بسعر خاص والاشارة الى ضرورة عقد اتفاق بين الحكومة السورية والشركة بشأن رسوم تصدير النفط بشروط مماثلة لاحكام الاتفاق المعقود بتاريخ (1934/9/15) بين حكومة لبنان وشركة نفط العراق المحدودة، وقد باشرت شركة نفط العراق المذكورة بتصدير النفط من خط الانابيب الثالث الواسع القطر في ميناء بانياس دون الوصول الى اي اتفاق حول رسوم تصدير النفط وفقا لاحكام القرار (294) الانف الذكر بعد ان مضى على استثمارها خط الثلاثين انش منذ 1952/4/9 كما ان حديث مفاوضات التعديل قد استغل في اكثر الاحيان في ظروف السياسة الداخلية ومن الامثلة على ذلك البيان الذي القاه الزعيم اديب الشيشكلي بتاريخ (1953/1/20) والذي يطالب فيه الشركات بـ (49%) من الارباح الحاصلة من جراء مرور النفط عبر الاراضي السورية. وقد قامت الحكومة اللبنانية من جهتها بمفاوضات مماثلة مع شركة نفط العراق المحدودة لتعديل اتفاقيتها السابقة وتوصلت بالنتيجة الى عقد اتفاق جديد بتاريخ (1952/7/3) رفع الى المجلس النيابي اللبناني لإبرامه ولكن الحملات الشعواء ضده ادت الى رفضه واعادته الحكومة لاعادة النظر فيه ولعل اخفاق مفاوضات التعديل يعود بشكل رئيس الى ان لجان المفاوضة لم تكن تضم العناصر الاختصاصية في هندسة المناجم، ولهذا كانت الناحية الفنية التي يجب ان تستند اليها المفاوضات مهملة دوما. ومما لا ريب فيه ان الاتفاق مبدئيا مع لبنان القطر الشقيق اساسي لاجراء هذه المباحثات لانه لا يجوز ان تتبع شركات امرار النفط سياستين متناقضتين في بلدين متجاورين..

ثم يتعرض التقرير الى امتيازي شركتي نفط العراق والتابلاين بما يلي:

امتياز شركة نفط العراق: وقع رئيس مجلس وزراء دولة سورية الشيخ تاج الدين الحسني - المرسوم في اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار عام 1931 بالقرار رقم 39/ل س مكرر - الذي نشر في العدد 25 تاريخ 1931/12/31 من النشرة الرسمية للمفوضية العليا، بينما لم تنشر ابدا احكام الاتفاقية في اية جريدة رسمية.

والذي يقرأ هذا الاتفاق لا يرى فيه الا تفضيل الحقوق الممنوحة للشركة بموجب امتيازها من انشاء خط او عدة خطوط تصل العراق بشواطىء البحر المتوسط وانشاء وصيانة مرافىء ومحطات للضخ وصهاريج وجسور ومكاتب وورشات وخطوط حديدية ووسائل نقل برية وبحرية وجوية وخطوط برقية وهاتفية وتجهيزات لاسلكية ومصاف ومشاف ومراكز انتاج الطاقة الكهربائية و..

ومنح الامتياز المذكور الشركة ايضا حق استخدام طرقات الدولة وشواطئها واستملاك الاراضي الخاصة ووضع اليد على اراضي الدولة مقابل اجرة اسمية ولم تكتف الشركة بهذا كله بل منحت ايضا حق الاعفاء من رسوم الجمرك والاستيراد من الضريبة العقارية وضريبة الدخل ورسوم تسجيل السيارات ورسوم الاستهلاك والدخولية. ولم تكتف الحكومة الموقعة لهذا الاتفاق بهذا التفريط والتساهل بل تعهدت باتخاذ جميع التدابير لتسهيل تنفيذ اغراض الاتفاق وحماية مصالح الشركة، ونصت الاتفاقية على ان لا تتقاضى الحكومة شيئا مقابل هذه المنح والتسهيلات والاعفاءات كأن سورية غير موجودة بين الطرفين المتعاقدين الحكومة المنتدبة وشركة نفط العراق واوضح التقرير ان الاتفاق الانف الذكر قد اقرته الدولة المنتدبة خدمة لشركة النفط الفرنسية التي تملك (23.75%) من اسهم شركة نفط العراق المحدودة.

وظل الامر كذلك حتى عام 1948 حيث حصلت الحكومة على جزء يسير من حقوقها وفقا للارقام الواردة مقدما في فقرة تعديل اتفاقية نفط العراق.

امتياز شركة التابلاين:

في شهر أيلول عام 1947 عقدت الحكومة السورية مع شركة التابلاين اتفاقا تضمن مرور النفط السعودي الى الشاطىء اللبناني عبر الاراضي السورية وقد ابرم الاتفاق المذكور بالمرسوم التشريعي رقم (74 تاريخ 1949/5/16) في عهد حسن الزعيم وبموجبه عوملت شركة التابلاين

على قدم المساواة مع شركة نفط العراق ومع ذكر لبعض الرسوم اليسيرة التي يحق للدولة استيفاؤها (2.88 بنس عن كل طن يصدر و 1.5 استرليني عن كل الف طن مار).

ومع تسجيلنا للغبن الفاحش الذي يلحق بالدولة من جراء هذه الاتفاقية، الا انه لا بد من ذكر ان هذه الاتفاقية لا تلزم سورية الالتزامات الفنية الناتجة عن امرار خطوط شركة نفط العراق، اذ ان ما يمر بسورية من خطوط التابلاين هو بنسبة 120كم = 1260كم.

والخلاصة ان اتفاقيتي الشركتين قد اتسمتا بطابع غريب جدا يهمل بوضوح الاعتبارات الفنية ويدخل في تفصيل ممل لحقوق الشركتين وتفصيل ممل لاهمال حقوق البلاد. فضلا عن ان شركة النفط العراقية اصبحت قاعدة تهريب واسعة النطاق، تأيد ذلك بالاحكام القضائية التي تناولت اكثر من ثلاثين قضية وقد بلغ ما قامت به من تهريب خلال بضع سنوات ما يزيد عن خمسين مليون ليرة. كما ان الشركة المذكورة تشكل بؤرة تجسس خطرة وعامل هام في عدم الاستقرار من جراء تدخلها بسياسة البلاد وامنها رامية من وراء ذلك ضمان مصالحها الغير مشروعة على حساب مصلحة البلاد.

ان وضع هذه الشركة واهمال الحكومات وتقاعسها امامها دفع الشعب لتشكيل لجان للمطالبة بوضع حد لها ولتصرفات السادة والمطالبة بحقوق البلاد، خاصة وان حاجة البلاد الاقتصادية ومتطلبات تقدمها الصناعة واستقرارها السياسي متوقف الى حد كبير على تأمين هذه الحقوق.

لهذا تقدمنا بهذا التقرير السريع عن وضع الشركات البترولية في بلادنا مطالبين:

اولا: سؤال الحكومة عن سبب اهمالها في مفاوضة الشركة، وهل هي تنوي الجد في هذه المفاوضة، وما هو موقف الحكومة من الشركة في حال عدم رضوخها واستجابتها لمطالب الحكومة المشروعة في حقها من العائدات البترولية، وما هو استعداد الحكومة في هذه الحال من انذار شركة بتأميمها، وما هي المدة التي تنهي بها الحكومة هذه المهزلة الخطيرة التي ما تزال تمثل على مسرح البلاد وعلى حساب مصالحها وسيادتها وكرامتها.

ثانيا: نرجو احالة هذا التقرير الى لجنة البترول (البرلمانية) ليكون موضع دراستها وسبيلا لملاحقة الحكومة واستعجال المفاوضة مع شركات البترول وتوجيهها الوجهة التي تضمن مصلحة البلاد.

دمشق في 1955/6/4 النائب عبد الحليم قدور النائب عبد الهادي عباس

وبعد تلاوة السؤال الاول احاله رئيس المجلس النيابي الى رئاسة الوزراء - فاعترضت عليه قائلا (ان اصحاب هذا السؤأل يطلبون احالته الى لجنة البترول ايضا) وعندها قرر احالة نسخة منه الى لجنة البترول.. تلي السؤال الثاني وهذا نصه:

ان توزيع منتجات تصفية النفط تستلزم حلا سياسيا كالاتجاه لتصفية النفط في بلادنا، ولكننا قبل ان ننتظر انشاء المصفاة نحتاج الى سياسة تضع اسس نقل منتجات النفط في سورية بعد ان اصبح ما تستهلكه هذه البلاد نصف مليون طن ونيف (عام 1955) من منتجات النفط. هذا فضلا عن ان القوة المحركة في سورية تعتمد بنسبة (90%) على المصادر الحرورية (لقد بلغ استهلاك البلاد السورية من منتجات النفط في عام 1954 مقدار (481.300) طنا.

والغريب ان يحتكر توزيع مشتقات النفط في البلاد سبع شركات لا تتمتع بأي امتياز حكومي وتسلك في تعاملها سلوك الشركات ذات الامتياز اذ انها تمنع اية شركة سورية من تجارة نقل مشتقات البترول بصورة مستقلة عنها ونورد فيما يلي اسماء هذه الشركات:

سوكوني فاكوم	%45.39
شل	%28.34
الغاز الاهلية	%7.47
اسو استندر	%6.28
سلوك	%2.80
مورك دلك	%2.80
شماس	%2.35

وليس من شك في ان هذا الوضع الشاذ ينبغي ان لا يستمر وان على الدولة مسؤوليات كبيرة فيما يتعلق بتأميم النقل وانشاء مؤسسة خاصة له على غرار مؤسسات النقل البري وينتج عن ذلك:

1- توفير تكاليف نتيجة لدراسة المشروع دراسة منهجية صحيحة.

2- انتظامه.

3- وضع مقدراته في ايد وطنية.

فضلا عما تقدم فان هذه المؤسسة تستطيع ان تستعين بطرق نقل اخرى بين مركز الاستهلاك استنادا الى عامل الكلفة.

لذلك نسأل الحكومة هل تفكر بتأميم النقل وانشاء مؤسسة خاصة له، وماذا تنوي اتخاذه حيال هذا الوضع الشاذ؟

وقد احيل هذا السؤال على رئاسة مجلس الوزراء ووزارة الاشغال العامة ثم تلي السؤال الثالث وهذا نصه:

اذا كانت حاجة بلد الى مادة صناعية تقاس بما يستهلكه من هذه المادة فان خطورتها وتأثيرها على اقتصاد ذلك البلد يقاس بنسبة ما يستهلكه منها الى ما ينتجه منها.

واذا كانت صناعات تقطير النفط قد اخذت في النشوء قريبا من حقول النفط في الولايات المتحدة الاميركية او في عبدان ورأس التنورة (شرق الاردن) او في اوروبا و (كوراساو) في اميركا اللاتينية فان هذه الصناعات بدأت تظهر على نطاق واسع ضخم في بلدان معدومة او ضعيفة في انتاج النفط ولكنها كثيرة الاستهلاك من منتجاته. ففي انكلترا بدىء منذ عام (1949) بتنفيذ برنامج واسع النطاق لانشاء معامل تصفية قادرة على انتاج (20) مليون طن في العام وفي فرنسا التي لا يبلغ انتاجها من النفط الخام نصف مليون طن عام (1952) لديها من المصافي ما استطاعته تقريبا (22) مليون طن في العام ولا يفوتنا ان نذكر بلجيكا التي ليس لها انتاج يذكر في ميدان النفط الخام والتي تستطيع مصافيها ان تنتج في عام (1954) قريبا من ثمانية ملايين طن.

ان حاجة البلدان المذكورة الى مشتقات النفط قد ادت الى ازدهار صناعات التصفية فيها على الرغم من تعرضها للعوامل غير المشجعة الاتية:

1- منافسة الفحم الحجري كمصدر حروري للنفط.

2- ارتفاع اجور الايدي العاملة.

3- بعدها عن مصادر التموين العائدة لحقول النفط للشرق الاوسط يجعلها مثقلة بمصاريف اضافية اهمها: النقل والتموين.

4- ارتفاع سعر كلفة الطن المصفى بسبب وجود المصفاة في بلد غير منتج للنفط، اذ ان المحروق الذي تحتاجه المصفاة يأتي في الدرجة الثانية من حيث الاهمية بين عوامل سعر الكلفة (17%)، وليس من شك في ان البلدان الناشئة تحتاج الى تنفيذ كثير من المشاريع اللازمة لزيادة الدخل القومي وتأمين حاجة الاستهلاك الداخلي والقدرة على التصدير وليس من شك انها ايضا تحكم على افضلية مشروع ما على غيره اذا توفرت فيه العوامل الثلاثة الكلفة القليلة المردود السريع تأثير فقدانه على كيان البلاد السياسي، **فمشروع المصفاة في سورية يتمتع بالشرائط السالفة الاساسية وشرائط اضافية اخرى تحث على السرعة في تنفيذه.**

1- <u>ان سورية التي لم تقرر الظروف الدولية استثمار النفط فيها</u> تتمتع بالمادة الاولية اللازمة لتغذية مصفاتها، ذلك ان انابيب النفط التي تخترقها تجعلها مركزا رئيسيا لصناعة نقل النفط في الشرق الاوسط، وصناعة نقل النفط في الشرق الاوسط تستطيع ان تتحكم بقابلية استثمار بعض حقول النفط البعيدة عن مراكز الاستهلاك وان تتحكم ايضا بامكانيات التصفية الصناعية بالنسبة للبلدان المستهلكة، هذا بالاضافة الى ان عامل نقل النفط يؤثر تأثيرا كبيرا على استخراجه ويوازيه من حيث القيمة المطلقة، ولهذا لم تتمكن شركات امرار النفط من تجاهل هذه الناحية فاعترفت بأدنى ما يمكن الاعتراف به (في صكوك الامتياز) ورضي كل منها بتسليم مائتي الف طن باسعار موانىء البحر المتوسط او موانىء خليج المكسيك بادناهما من النفط الخام لتستعمل عند الحاجة في مصفاة سورية.

واذا فان سورية تستطيع ان تعتمد مبدئيا في تسيير مصفاتها على كمية تقارب نصف مليون طن من النفط الخام وبامكانها ان

تزيد حصتها مما تستلمه عينا استنادا الى اهمية عامل نقل النفط.

2- ان صناعة النفط بما ينتج عنها من غازات سائلة وبنزين وغاز اويل وديزل اويل في مراحل التقطير المختلفة تساهم في تقديم القدرة الحرارية اللازمة لتوفير الطاقة الميكانيكية والكهربائية لصناعات مختلفة وقد اضحى ما يستهلكه بلد من منتجات تصفية النفط مقياسا امينا ودليلا حيا لتقدم البلد العمراني والاقتصادي.

3- ان البترول ومنتجاته هو القوة الدافعة لمختلف انواع النشاط العسكري، فان جيشا لا يطمئن على حصوله على ما يحتاجه من المحروقات يعجز عن مواصلة القتال وينتهي الى كارثة كبيرة، وان معارك الحرب العالمية الثانية وقصص الانتصارات والانهزامات فيها تنسب الى كثير من الاحوال الى وجود البترول او عدمه.

ومن هذا كله نخلص الى ان المصفاة كمشروع سوري ضرورة لازمة لسد ثغرة واسعة في اقتصادنا.

وبعد ان يبين التقرير بصورة علمية الجدوى الاقتصادية لانشاء مصفاة بترول في سورية ينتهي الى هذه الخلاصة:

يتمتع مشروع انشاء مصفاة للنفط في سورية بشرائط المشاريع الاقتصادية الناجحة، ويتميز في ميدان اقتصاد النفط بسعة المجال وضمان الربح وتوفر المادة الاولية، كما يدعو التقرير الحكومة الى اتخاذ موقف حاسم حول هذا الموضوع بافساح المجال للشركات ان تتقدم بعروضها او بانشاء هذه المصفاة باموال الدولة.

□

"بيان وزير المالية على مشروع الموازنات"

وفي هذه الجلسة نفسها التي تليت بها الاسئلة عن قضايا البترول القى وزير المالية ليون زمريا بيانه المالي، وقد لخص

بادىء ذي بدء مأخذ لجنة الموازنة على الموازنة التي تقدمت بها الحكومة السابقة بما يلي:

1- ان الموازنة السابقة موازنة ادارية لا تؤدي الى الغاية التي توضع من اجلها الموازنات عادة من جهة المشاريع العمرانية.

2- انها لا تحقق العدالة الاجتماعية بتوزيع الضرائب توزيعا عادلا - يفضي الى زيادة الواردات.

ان القسم الاكبر من الواردات مستنفذ بنفقات الرواتب والادارة فليس بالمستطاع ايجاد موارد لتأمين حاجات مختلف المناطق من صحية وتعليمية وانشائية كتوفير مياه الشرب للقرى العطشى.

ان الموازنة الاستثنائية لا تسد هذا النقص لانها مقصورة على المشاريع الانشائية الكبرى التي يتطلب انجازها بضع سنوات.

3- ان الموازنة مست المال الاحتياطي للنفقات العادية في حين ان المال الاحتياطي ينفق للمشاريع الاستثنائية.

واخيرا ان الموازنة مرآة لسياسة الدولة العامة. وان السياسة الاقتصادية والجمركية المتبعة لا تتفق مع المصلحة العامة سيما اذا لاحظنا اغراق البلاد بالحاجيات الكمالية الاجنبية التي تستنزف الثروة القومية".. وقد اعترف بأن معظم هذه الملاحظات سديد ووجيه ولكن تعلل بأن الاوضاع الراهنة حصيلة السياسات السابقة وان الاصلاح المالي على اسس جديدة تقدمية يحتاج الى دراسة عميقة كاملة والى جهد تشريعي واداري متوصل... ثم استعرض الموازنات الثلاث التي تقدمت بها الحكومة

اولا: موازنة عادية، ثانيا: موازنة خاصة، ثالثا: موازنة استثنائية

وقد بلغت نفقات الموازنة العادية (261) مليون ليرة سورية... وجمعت المشاريع الحيوية الصغرى في موازنة خاصة بلغت نفقاتها (18) مليون ليرة خصصت من اموال الخزانة الجاهزة على ان تنفذ خلال عامي (1955-1956) مع فترة متممة مدتها ستة اشهر..

الموازنة الاستثنائية: كانت الموازنة الاستثنائية المحاولة الاولى لبرنامج الدولة الانمائي الذي يقتضي تنفيذه خلال سنوات محدودة وهو اسلوب (جرت عليه معظم الدول على اختلاف

اتجاهاتها الاقتصادية ونظمها السياسية واثبتت التجارب صلاحه وجدواه). وقد شملت جميع المشاريع الكبرى التي قسمت الى فئتين.

1- فئة تضم المشاريع التي استكملت الادارات العامة دراستها وأصبحت جاهزة للتنفيذ او التي شرع بتنفيذها منذ سنوات ولم يتم انجازها بعد (مشروع الغاب والروج وبانياس، توسيع شبكة ري مزيريب، اتمام مرفأ اللاذقية، اتمام مشروع حفر الابار، انجاز عمليات التحديد والتحرير)

2- فئة المشاريع التي لا تزال في مراحل الدراسة فلحظت الموازنة اعتمادا اجماليا لدراستها كالخطوط الحديدية وسد الفرات ومشروع وادي بردى ومشروع التف على نهر الخابور ومشروع النهر الكبير للري وتوليد الطاقة الكهربائية ومشروع اليرموك، ووضع برامج لتحضير البدو، وبناء ملاجىء للاغنام واماكن لخزن العلف ومراكز لتجارب زراعة الاعلاف في البادية، وفي مجال المواصلات انشاء مطار دمشق الدولي واصلاح مطارات حلب والقامشلي واللاذقية والحسكة ودير الزور وانشاء شبكة طرق تربط المحافظات السورية كما لحظت الاعتمادات لدراسة وانشاء دوائر الحكومة والمستشفيات والمستوصفات والمنشآت الجامعية وتنفيذ برنامج وزارة الدفاع وانشاء المصرف الصناعي والمصرف العقاري وقد قدرت نفقات الموازنة الاستثنائية بـ 598 مليون ليرة وذلك بالاعتماد على ما يلي:

1- تخصيص جزء من الموازنة العامة العادية قدره (15) مليون ليرة تؤخذ لحساب الموازنة الاستثنائية كل عام.

2- حصة من عائدات البترول غير الداخلة في الموازنة العادية.

3- المأخوذ من الاموال الاحتياطية المتوفرة حاليا او التي ستتوفر.

4- رصيد ريع طابع فلسطين والوفر الصافي الذي سينتج عن قطع حسابات وزارة الاعاشة والتموين ومديرية التجارة الخارجية الملغاة.

5- حاصلات القروض الداخلية

6- حاصلات القروض التي تعقد مع البنك الدولي.

وقد جاء في بيان وزير المالية ان الحكومة جادة في انشاء مصفاة البترول التي خصص لها (80) مليون ليرة في الموازنة لتأمين حاجة البلاد من المحروقات والاستغناء عن استيرادها.. كما ذكر بأن الحكومة تتابع باهتمام بالغ المفاوضات مع ممثلي مصرف سورية ولبنان لتصفية امتيازه كمؤسسة للاصدار.

ولكنه لم يأت على ذكر المفاوضات مع شركات البترول لزيادة العائدات بل ركز في بيانه على المفاوضات مع البنك الدولي كأحد مصادر تمويل الموازنة الاستثنائية.. والسبب ان صبري العسلي رئيس الحكومة كان محاميا لشركة التابلاين منذ بداية اعمالها في سورية - ثم عزلته من الوكالة - بضغط من اديب الشيشكلي عندما كنا سجناء في المزة عام 1954 ولم اشاهد صبري العسلي وشريكه ظافر القاسمي غاضبين متجهمي الوجه مثل ذلك اليوم من ايام سجن المزة... ولكن العسلي عاد محاميا للشركة بعد زوال عهد الشيشكلي - ولذلك تعمدت تقديم الاسئلة عن قضايا النفط في نفس الجلسة التي كانت موعدا لتقديم وزير المالية بيانه عن الموازنة.

"في لجنة الموازنة"

أقنعت اعضاء لجنة الموازنة منذ البدء بدراستها بعقم المفاوضات التي تجريها الحكومة مع البنك الدولي لتمويل بعض المشاريع لسيطرة اميركا على هذا البنك سيطرة تامة... وسرعان ما انكشف الامر فقد تراجع البنك الدولي عن وعوده بتمويل مشروع الغاب بداعي وجود خلاف بين سورية ولبنان وتركيا على مياه نهر العاصي... وهذا ما ساعدني على اقناع اعضاء لجنة

الموازنة بأن جميع مشاريع الموازنة ستظل حبرا على ورق ما لم نعتمد على امكانياتنا الذاتية في تمويلها وهي:

1- تعديل اتفاقيات النفط وزيادة نصيب سورية من العائدات.

2- الغاء امتياز بنك الاصدار [1]

3- الاسراع في انشاء مصفاة البترول - لتوفير ما تنفقه البلاد من القطع النادر ثمنا للمحروقات التي تتحكم بها الشركات البترولية الاجنبية.

4- توفير جميع ما يمكننا توفيره من النفقات الهالكة من جميع مواد الموازنة وفصولها.

وكان التهديد بالتأميم سلاحنا في معركتنا مع البنك السوري وشركات النفط.. وقد وجدت تجاوبا عظيما من اعضاء لجنة الموازنة - بالرغم من انتسابهم لاحزاب وكتل وفئات متعددة، فجميع النواب ملاحقون من قبل ناخبيهم لتأمين اليسير من الخدمات العامة لمنطقتهم كالطريق والمستشفى والمدرسة.

كما اخضعنا موازنة وزارة الدفاع - لخطتنا العامة بالاقتصاد والتوفير والغاء جميع النفقات غير الضرورية بالاتفاق مع الزعيم شوكت شقير وممثلي وزارة الدفاع في لجنة الموازنة فوفرنا ما امكننا توفيره من النفقات غير الملحة. وقد كان اقناع الزعيم شوكت شقير واصحابه بغاية البساطة عندما قلت لهم: ان موازنة الدفاع لا تعتبر شيئا مذكورا بالقياس لموازنة الدفاع في اسرائيل ومع ذلك فانه تستغرق عندنا بما يزيد على 45% من الموارد العامة.. فلا سبيل اذا لبناء قوتنا العسكرية التي تضاهي قوة اسرائيل الا بالاقتصاد والتوفير الآن في سبيل تنفيذ مشاريعنا الانمائية واستثمار ثرواتنا الطبيعية، وعندها يمكننا ان ننفق على شؤوننا الدفاعية ما تنفقه اسرائيل على شؤون الدفاع.

---

(1) كان البنك السوري مصرفا تجاريا ومؤسسة اصدار ذات امتياز، ومع ان رأسماله كان لا يتجاوز بضعة ملايين من الفرنكات فانه كان يوظف مئات الملايين من ودائع الافراد والدولة والمؤسسات والادارات العامة، ويهيمن على جميع شؤون البلاد المالية والاقتصادية.

وعنـدما كـان المجلـس منصـرفا - بتـاريخ 6 تمـوز 1955- لمناقشة مشروع قانون الدين العام الذي كان اقراره مع مشـروع قانون المجلس الاقتصادي الدائم - مرتبطا بالموازنة العامة اعلنت باسـم لجنـة الموازنـة "باننـا قررنـا ان نتقـدم للمجلـس النيـابي بمشـروع قـانون يقضـي بتـأميم البنـك السـوري - اذا لـم تنتـه المفاوضات الدائرة بينه وبين الحكومة - وذلك قبـل تقـديم الموازنـة الـى المجلـس النيـابي لاننـا نعتبـر مشـروع قـانون تـأميم البنـك السوري من القوانين الاساسـية التـي تقـوم عليهـا الموازنـة قبـل اقرارها".

لـم يكـن مـن السـهل فـي تلـك الظـروف ان نـؤمم البنـك السوري وانما كـان باسـتطاعتنا تـأميم مصـرف الاصـدار.. وقـد كـان البنـك السـوري وشـركة نفـط العـراق علـى علـم بمـا يجـري مـن مؤامرات لقلب الاوضـاع - ولـذلك كانـا يمـاطلان ويسـوفان وهـو مـا يفسر ملاحقتنا اليومية المستمرة للمفاوضات...

وقد نشرت الصحف بتاريخ 12 تموز مـا يلـي: "شـغلت لجنـة الموازنة - امس- بـالاطلاع علـى تفاصـيل المباحثـات التـي يجريهـا ليون زمريا مع المصرف السوري وكان الاتجاه اجماعيـا نحـو ضـرورة انجـاز هـذه المباحثـات التـي طالـت كثيـرا- قبـل ان يبـدأ المجلـس بمناقشـة مشـروع الموازنة العامـة - فـاذا تعـذر ذلـك تقـدمت لجنـة الموازنة باقتراح قانون لتأميم مصرف الاصدار (الرأي العـام 12 تمـوز 1955) وهكذا رأت الحكومة ان لا مناص مـن انهـاء المفاوضـات مـع البنك السـوري فقـررت بتـاريخ 12 تمـوز تبلغيـه بانهـا لا تقـر الفتـرة الانتقالية التي اقترحها لتسليم مصرف الاصـدار بعـد ثمانيـة عشـر شـهرا وتلح على انهاء امتياز البنك السوري الخاص بمصرف الاصدار بمدة اقصاها ستة اشـهر على ان يتولى مفوض من قبـل الحكومـة فورا مراقبة جميع العمليات خلال الفترة الانتقالية لقاء تعويض قدره مليونان واربعمائة الف ليرة عن المدة الباقيـة لامتيـازه وهـي ثمـان سـنوات..

وفي جلسة 1955/7/21 توجهت الى الحكومة بما يلي:

ان لي سؤالين، الاول يتعلق بالبنك السوري الذي بحثت امره مع وزير المالية ووزير الاقتصاد وقد اتفقنا على اتخاذ موقف نهائي حيال البنك السوري وابلاغه قرار الحكومة النهائي... وعندما لا يوافق البنك على قرار الحكومة فانها وعدتنا ان تتقدم الى المجلس النيابي بمشروع قانون لتأميمه فهل قامت الحكومة بتبليغ البنك هذا القرار وهل تعد الحكومة، قانون التأميم اذا لم ينفذ البنك السوري قرار الحكومة؟

اما السؤال الاخر فهو يتعلق باتفاقيات البترول ويمكن ان اطرحه بعد سماع الجواب على السؤال الاول"

اجاب ليون زمريا وزير المالية بأنه ابلغ البنك السوري قرار مجلس الوزراء لتصفية امتيازه، واضاف:

"لقد منحنا البنك مهلة اخيرة تنتهي في التاسع والعشرين من هذا الشهر وعلى ضوء الجواب ستقوم الحكومة باتخاذ الاجراءات اللازمة"

عندئذ تقدمت بالسؤال الاخر:

"لقد تقدم الزميلان عبد الحليم قدور وعبد الهادي عباس باسئلة الى الحكومة عن مواضيع البترول منذ اكثر من شهر والان نقرأ في بعض الصحف ان الحكومات العربية والاجنبية تعمل على تمديد خط جديد عبر الاراضي السورية، كما نسمع بأن شركة نفط العراق تريد ان تمدد خطا ثالثا الى بانياس، فما هو موقف الحكومة من هذا الموضوع؟ لا سيما ونحن متفقون جميعا ان شركات البترول تدخلت تدخلا مشينا في جميع الادوار التي مرت بهذه البلاد وان حالة القلق المصطنع والشغب والتهريب ما تزال تقوم به هذه الشركة والشركات الاخرى.

اما الشق الثاني من هذا السؤال فيتعلق بحصة سورية من عائدات البترول لان الموازنة الاستثنائية قد بنيت على ارقام تعتمد على زيادة حصة سورية من عائدات البترول فأرقامها لا تكون حقيقية وصحيحة ما لم تتمكن سورية من استيفاء حقها من البترول العربي الذي يمر عبر اراضيها، فما هو موقف الحكومة من هذا الامر؟؟ وهلا تزال تتابع المفاوضات العقيمة التي لا تنتهي؟ ام انها تفكر بتدابير عاجلة؟ اعتقد ان الامر بيدها ما دمنا نرى ان

الشعب قد استيقظ واصبح يطالب بحصة البلاد وان الامر سيأخذ شكلا جديا وخطيرا.. ان لجانا شعبية قد تشكلت في جميع المحافظات في حمص واللاذقية ودمشق وسيكون لها فروع في جميع انحاء البلاد للمطالبة بحصة سورية من البترول.. اننا نريد ان تعطينا الحكومة فكرة واضحة وان ترد على الاسئلة التي تقدم بها الزميلان منذ اكثر من شهر".

فأجاب وزير الاقتصاد فاخر الكيالي:

"بعد ان اجرينا مفاوضات مع شركات البترول وجدنا ان هناك تباينا في وجهات النظر، فالشركة تقول عاملوني كما تعامل شركات البترول في اميركا.. وتعنى بذلك ان رأس مال الشركة الموجود في سورية هو في حدود الاربعين مليون ليرة والضريبة التي يجب ان تستوفى عن هذا المبلغ هي في حدود المليونين.. اما نحن فقلت ان هذا لا يتفق مع الواقع ونريد ان نفرق بين سعر المازوت الذي يكون في الحدود العراقية السورية وهو السعر الذي تضعه الشركة نفسها وتحاسب العراق بموجبه وبين السعر الذي يكون في بانياس... والفرق بين السعرين يشكل ربحا لهذه الشركة نرى ان يكون لنا حصة فيه.. وقد تشبثت الشركة برأيها وتشبثنا برأينا ثم تقدمت لنا بمذكرة اجبنا عليها ورددنا على جميع ما جاء فيها وقد قالت: ان هذا الامر يعتبر من قبيل الترانزيت وان هناك معاهدة اسبانية تمنع ان يستوفي شيء على البنزين الدولي... وقد قلت ان وجهة النظر هذه لا تتفق مع الواقع لانك شركة تتمتع بكثير من الاعفاءات فاما ان تقبلي ان تكوني شركة تابعة للقوانين التي تطبق في البلاد واما ان يكون لك وضع خاص وذلك يقتضي ان تكون هناك معاملة خاصة وازاء هذا الجواب قالت الشركة. نحن مفاوضون عاجزون عن الجواب ولا بد لنا ان نراجع مجلس الادارة في انكلترا واننا نعدكم في القريب العاجل ثم ذهبوا ولم يعودوا ولما وجدت الامر قد طال انذرنا الشركة بأن هذه المحاولات لا يمكن ان تسكت عنها الحكومة فطار مدير الشركة الى لندن اول امس وسيأتينا بالجواب النهائي... ثم قال نحن نريد ان نحفظ حقنا فيما اذا توصلنا مع هذه الشركة الى اتفاق بعد هذا الصبر.. واذا كان الامر بالعكس فاننا نتخذ الاجراءات اللازمة حيال هذا الموضوع"

ويتبين من جواب الكيالي اسلوب تعامل شركات النفط مع الحكومات. كانت شركة نفط العراق تعتمد في مطلها وتسويفها في المفاوضات على عملائها في الحكومة والمجلس النيابي كما

كانت تتأمل بقلب نظام الحكم بالقريب العاجل ولم تسلم بتعديل اتفاقية النفط الا بعد ان اسقط في يدها، فخشيت مغبة التسويف والمماطلة.. وقد كنت برغم انشغالي الدائم باجتماعات لجنة الموازنة اتعمد حضور جميع اجتماعات لجنة البترول واستحثها على ان تقف موقفا حازما من الحكومة في مفاوضاتها مع شركة نفط العراق.. وقد كان هذا معروفا فقد نشرت الصحف آنذاك ما يلي:

(تعقد لجنة البترول اجتماعا عاما ظهر اليوم لتطلع فيه على مجرى المباحثات التي طالت كثيرا بين الحكومة وشركة نفط العراق ولتتشاور مع الحكومة بشأن السياسة التي تنتهجها مع هذه الشركة.. وقد لاحظ اكرم الحوراني في حديثه مع اقطاب الحكم امس ان امتياز شركة نفط العراق لم يعرض على مجلس النواب وان من حق المجلس ان يضعه في كل لحظة موضع البحث (الرأي العام 25 تموز، 1955).

واثر هذا الاجتماع ادليت للصحف بالتصريح التالي: (ان لجنة البترول اتخذت قرارا رفعته الى المجلس النيابي يقضي بامهال الحكومة مدة شهر واحد - لانهاء المفاوضات مع شركة نفط العراق لزيادة حصة سورية من العائدات فاذا انتهت المفاوضات خلال المدة المحدودة كان بها والا فان المجلس النيابي سيتخذ القرارات اللازمة لتأمين حق سورية من العائدات واضفت قائلا: (ان مجلس النواب سيضع الحكومة تجاه مسؤولياتها في حال عدم تنفيذ قرار المجلس فاذا لم ترضخ الشركات لمطالب سورية فلدينا كل الصلاحيات لاعتبارها شركات خاصة تخضع للانظمة والقوانين السورية فنستوفي منها جميع الحقوق المتوجبة (الرأي العام 28 تموز).

□

وفي جلسة المجلس التي انعقدت بتاريخ 1955/8/6 تساءلت:

"ما فعل الله بقضية البنك السوري؟ وماذا جرى للانذار الذي وجهته الحكومة الى هذا البنك؟

لقد قرأت في صحف هذا اليوم ان البنك قبل بالمبادىء العامة اما التفاصيل فانه لم يقبل بها، فهل انتهت مفاوضات البنك

ام انه يحاول ان يدخل بمفاوضات جديدة لا حد لها؟" فاجاب وزير المالية قائلا:

"لقد تبلغت اليوم جواب البنك السوري على مقترحات الحكومة النهائية وانا الان قائم على اعداد صيغة هذه المقترحات بشكل اتفاق للتوقيع عليه ثم يعرض بعد ذلك على المجلس لاقراره"

بعد ذلك اعلن رئيس المجلس ناظم القدسي شروع المجلس بمناقشة تقرير لجنة الموازنة، وقد علقت الصحف على تلك الجلسة بقولها:

"وهكذا بر اكرم الحوراني رئيس لجنة الموازنة بالوعد الذي قطعه على نفسه بعدم تقديم قرار اللجنة الى المجلس قبل انتهاء مفاوضات تأميم مصرف الاصدار".

وبتاريخ 55/9/1 اعلن وزير المالية انه وقع عن الحكومة والمسيو مارشال عن بنك سورية ولبنان انهاء امتياز البنك كمؤسسة للاصدار، وسيرد في حينه ما دار حول هذه الاتفاقية من مناقشات مجلسية وكيف عدلت لصالح سورية.

تعديل امتيازات شركات البترول

كان نجاح الارادة الشعبية والمجلس والحكومة بانهاء امتياز مؤسسة الاصدار عاملا مشجعا في اقناع اعضاء لجنة البترول لان تتخذ القرار الذي تلي في جلسة 55/8/8 وهذا نصه:

"بعد المداولة مع ممثل الحكومة في جلسات متعاقبة والاطلاع على الادوار التي مرت بها المفاوضات مع شركات البترول والتي لم تنته حتى الان الى نتيجة، قررت اللجنة ان يمهل المجلس الحكومة مدة شهر لانهاء المفاوضات بما يضمن حقوق سورية من عائدات البترول

الذي يمر عبر اراضيها حتى اذا انقضت هذه المهلة دون ان تصل المفاوضات الى نتيجة حاسمة فان اللجنة تقترح على المجلس الذي ما يزال يكرر تحفظاته منذ انبثاق الحياة النيابية في هذه البلاد وعدم اعترافه على امتيازات شركات البترول ان تتخذ القرارات التي تكفل ايصال سورية الى حقوقها".

بعد تلاوة هذا القرار قال رئيس المجلس

"ان مهلة شهر واحد غير كافية، وان القصد الا نضع مددا وتبقى اقوالا دون تنفيذ" فأجبته:

"لا حاجة لاطالة المدة اكثر مما ورد في تقرير لجنة البترول لان الشركة اذا ما حسنت نيتها باعطاء البلاد حقها من عائدات البترول يمكن ان تنتهي المفاوضات خلال هذه المدة، لذلك لا يمكن ان نصبر اكثر مما صبرنا".

ثم اضفت:

"ولا يمكن للشعب ان يصبر اكثر مما صبر، وهو قد الف لجانا في مختلف المحافظات التي تمر بها أنابيب البترول للوقوف موقفا حاسما تجاه هذا الموضوع علما بأننا لا نريد ان يتطور الامر الى هذا الحد وعلى المجلس ان يتحمل تبعاته ومسؤولياته لان الامر بيده اولا واخيرا".

وكان قد سبق لي بمقال نشرته في جريدة اليقظة عام 1946 ان دعوت لقطع انابيب البترول التي تمر عبر البلاد العربية - كرد فعل على دعم بريطانيا واميركا والغرب للحركة الصيهونية - ولكن التهديد هذه المرة يختلف عن المرات السابقة بعد ان استلم الشعب مقدراته.

كانت الحكومة السورية قد وضعت شركة نفط العراق امام خيارين: اما ان تحتفظ بامتياز مرور النفط على اساس المناصفة في الارباح المتحققة عن فرق اسعار النفط بين خليج البصرة وبين مرفأ بانياس على الساحل السوري، واما ان تلغي الحكومة امتيازها فتعامل كبقية الشركات الاجنبية في الاراضي السورية

وتطبق بحقها القوانين والانظمة النافذة، ولكن مجلس ادارة شركة نفط العراق ابلغ الحكومة بواسطة مديره (سليمان المدرس) رفضه للمطالب السورية لان باب المناورة والتسويف كان لا يزال مفتوحا امامه فقد كانت البلاد تخوض معركة رئاسة الجمهورية وما يترتب عليها من تشكيل حكومة جديدة واحتمال اجراء تبديل في السياسة الداخلية والخارجية.. وقد كنا نقدر ان شركة نفط العراق ستبذل قصارى جهدها لارجاء المفاوضات مع حكومة الائتلاف وانها تنتظر تشكيل حكومة جديدة بعد انتخاب الرئاسة وهذا ما حدث فعلا فيما بعد.. وكان بدء المفاوضات مع شركة نفط العراق قبل بدئها مع شركة التابلاين، لان هنالك نصا مع الثانية يوجب قبولها كل تعديل يجري على امتياز شركة نفط العراق.

التاسع من ايلول 1955: يوم الغضب الشعبي

بلغ الغضب الشعبي اقصى الحدود بعدما اطلع الناس على الارباح الفاحشة التي تجنيها هذه الشركات من استثمار النفط العربي بالوقت الذي تضن فيه ان تدفع الى سورية نصيبها العادل من الارباح من جراء مرور البترول عبر اراضيها... فهي لا تتصدق على سورية الا بمبلغ رمزي تسترد اضعاف اضعافه عن طريق التهريب والاعفاءات الجمركية والضرائبية وغيرها من المنح والتسهيلات ووضع مرافق البلاد تحت امرتها وتصرفها. وهذا ما دعا الشعب لان يجعل من يوم (9) ايلول يوما مشهودا عمت فيه المظاهرات والاجتماعات والقاء المحاضرات جميع المحافظات السورية واشتركت فيه جميع الاحزاب والهيئات السياسية دون استثناء.

"الموازنة الجديدة خرجت على الاسلوب المألوف"

هكذا قال الصحفيون والكتاب على الموازنة الجديدة بعد اقرارها وقد استمر المجلس النيابي في مناقشتها من تاريخ 5/8/9 حتى 55/8/13 وافتتحت المناقشة بعد تلاوة تقرير لجنة الموازنة الذي وضعته بالاشتراك مع المقرر هاني السباعي عالجنا فيه مشاكل البلاد الاساسية: مشكلة التعليم والفلاحين وتوزيع الاراضي الزراعية ومشاكل العمال والبطالة والصحة العامة

ومشكلة الخبراء الاجانب والبعوث ودعونا فيه لاجراء احصاء عام للسكان وتوحيد التشريع المالي والغاء بعض الضرائب وقد جاء فيه عن عوائد البترول ما يلي:

"ان عوائد البترول التي تتقاضاها الدولة من مختلف شركات النفط في هذا العام تبلغ (7) ملايين ليرة وهو مبلغ ضئيل لا يتناسب مع ما تستفيده الشركات من مرور النفط عبر الاراضي السورية، او توزيعه فيها، ولا ريب ان الاجحاف اللاحق بالدولة ناتج عن تصديق اتفاقيات البترول في عهد الانتداب او من حكومات غير شرعية لا تعترف بها البلاد، لذلك توصي اللجنة باتخاذ موقف حاسم ازاء هذه الشركات".

وفيما يتعلق بالمصرف السوري قال تقرير اللجنة:

"ان بقاء هذا المصرف مهيمنا على مؤسسة الاصدار امر نعتبره ماسا بكرامة البلاد واستقلالها فضلا عما يلحقه من اضرار بماليتها واقتصادها ولهذا نطلب من الحكومة تصفية هذا الامر خلال ايام معدودات حتى لا نلجأ الى تقديم اقتراح بقانون لتأميم هذا المصرف ووضع اليد عليه".

وقد ورد عن مصفاة البترول

"ان الضرورة التي تقضي بإنشائها لا تخفى على احد، فالشركات الاجنبية كانت وما زالت تتحكم بنا في تأمين حاجتنا من البترول (على انواعه) وفي فرض اسعارها، وهي قادرة في كل وقت على شل حركتنا الصناعية والزراعية وإلحاق الضرر والاذى بنا في شتى مرافق الحياة.. وترى اللجنة ضرورة الاسراع في تحقيق هذا المشروع الهام".

وقد بلغت نفقات الموازنة العادية (260) ملوين وخمسمائة وسبعين ليرة كما بلغت نفقات موازنة برامج الطرق والمشاريع الانشائية الصغرى لاعوام (1955-1956-1957) سبعة وعشرين مليون وسبعمائة وثمانين ليرة وقد اضفنا الى هذه الموازنة والموازنة الاستثنائية مشاريع جديدة مما اقتضى زيادة النفقات واعادة النظر بالمدة المفترضة للانجاز فأصبح مشروع الموازنة

الاستثنائية برنامج السبع سنوات بدلا من ست سنوات وبلغت نفقاته: 659.899.000 ل س.

"كان العرب مقصرين في ميدان السباق مع اسرائيل"

قرأت تقريرا اصدرته دائرة الشؤون الاقتصادية في الامم المتحدة جاء فيه ان العراق والمملكة العربية السعودية والكويت انتجت من النفط خلال عام (1954) ما يعادل 81% من مجموع انتاج الشرق الاوسط مقابل 36% عام (1946) فارتفع انتاج الشرق الاوسط من البترول عام 1954 الى (1356) مليون طن مقابل (356) مليون طن في عام 1946"

كان من الطبيعي ان تغير هذه الزيادة الهائلة في انتاج البترول وجه الدول العربية الثلاث - وان تسحب آثارها الايجابية والانشائية على المنطقة العربية، ولكننا - بالحقيقة - لم نكن لنشعر بأثارها المحسوسة الا بازدياد عدد المؤامرات على سورية وتدفق الاموال لشراء الضمائر سواء بدافع من بريطانيا او بدافع من اميركا هذا بالاضافة الى ضآلة العائدات التي كانت تتقاضاها الدول العربية بالنسبة لما تجنيه شركات البترول من الارباح - وعدم توظيف تلك العائدات في مشاريع الانتاج والتنمية او في مجالات الخدمات العامة بل كان يبدد معظمها على ترف الفئات الحاكمة واعوانها كما كان يتكدس بعضها الاخر في البنوك الاجنبية خارج المنطقة العربية..

كما اشار التقرير الى "ان معدل الحاصلات الزراعية ارتفع في سنة (1953) بمعدل خمسين بالمائة ويعود القسم الاكبر من هذه الزيادة الى تطوير زراعة الاقطان في سورية والى استعادة مركزها في مصر والسودان واشار الى ان معظم صناعة السيارات والتراكتورات والمواد الكيماوية والكهربائية هي في مصر واسرائيل وتركيا، وان الصناعة تشكل عشرين بالمائة من مجموع الدخل في اسرائيل بينما لا تشكل سوى 10% من مجموع الدخل في مصر وسورية".

كان املنا كبيرا ان يؤدي تنفيذ برنامجنا الانمائي الذي وضعناه عام 1955 الى تفوقنا على اسرائيل في الميدان الاقتصادي ومن ثم العسكري بالنظر لتفوقنا بعدد السكان ولثرواتنا غير المستثمرة، ومما ساعد على هذا التفاؤل القفزة الرائعة التي حققتها سورية في المجال الاقتصادي بعد نجاح زراعة الاقطان نجاحا كبيرا منذ عام 1950 بينما لم يكن الاقتصاد الاسرائيلي حتى عام 1955 اقتصاديا ذاتيا بل كان يقوم بمعظمه على المساعدات والقروض الخارجية.

الموازنة ومشروع جونسون

شرعت اسرائيل بتجفيف بحيرة الحولة منذ عام 1949 وهو المرحلة الاولى من مراحل تحويل نهر الاردن، وبعد حوادث الاصطدامات مع الجيش السوري منذ مطلع الخمسينات وعرض ذلك على مجلس الامن، استمر الاسرائيليون بتنفيذ المراحل الاخرى من المشروع ولكن خارج المنطقة الحرام (المنطقة المجردة)، لذلك كان هدف السياسة الاميركية، في تلك الفترة، من تآمرها على الوضع الديموقراطي في سورية هو اجبارها على القبول بمشروع جونستون الذي يرمي الى تقاسم مياه نهر الاردن مع اسرائيل، اي الدخول معها بمشروع اقتصادي مشترك كتمهيد للصلح.

كنا نقدر تماما عند دراستنا للموازنة مدى ما يعنيه مشروع تحويل الاردن واحياء صحراء النقب بالنسبة لاسرائيل سواء من حيث بناء اقتصادها الذاتي او استيعابها للمهاجرين اليهود الجدد، فرصدنا الاعتمادات اللازمة للاستفادة من مياه نهري اليرموك وبانياس (روافد الاردن)، وكان موقفنا صارما في لجنة الموازنة بالنسبة لهذا الموضوع، فقد استدعيت السيد صبحي المظلوم مدير مصلحة الري واتهمته بالاهمال المتعمد لهذه المشاريع القومية، فحاول في البداية ان يقنعنا بأن مشروع نهر بانياس هو مشروع فاشل من الناحية الاقتصادية، ثم اعترف بعد ذلك بأن الاستفادة من روافد الاردن هي موضوع سياسي لم تبت به الحكومات السابقة فبقي معلقا بالرغم من الكلام الكثير حوله.

كان تخصيص الاعتمادات في الموازنة السورية لتحويل روافد نهر الاردن رفضا عمليا لمشروع جونستون بعد ان اوقف الجيش السوري اسرائيل في السابق عن متابعة تحويل نهر الاردن من الارض الحرام، ولا اشك مطلقا بأن موقف سورية كان السبب في اعلان دالس وزير خارجية الولايات المتحدة، باسم الرئيس ايزنهاور، عن مقترحاته التي تقضي بعقد الصلح مع اسرائيل والتعويض على اللاجئين.

لقد كان معروفا في جميع الدوائر الاجنبية والعربية ان هدف السياسة الاميركية من كل مقترحاتها وضغوطها السياسية والتهديد باسم اسرائيل عن نيتها بالغاء اتفاقية الهدنة - بعد العدوان على قطاع غزة - هو اجبار سورية على التسليم والقبول بمشروع جونستون الذي كان يطوف البلاد العربية داعيا للمشروع، فزار الاردن بتاريخ 55/8/27 واجتمع باللجنة الوزارية العربية لمشروع اليرموك لتفشيل هذا المشروع والقبول بمشروعه، ثم زار مصر بعد توقف اطلاق النار، فاعلن ارتياحه لنتائج مباحثاته مع المسؤولين المصريين، ثم عرج على سورية فأعلن انه جاء لتهنئة شكري القوتلي بنجاحه برئاسة الجمهورية ولا شك انه جاء ليستد من القوتلي ثمن مساعدة الولايات المتحدة له في معركة الرئاسة.

سورية هدف لتآمر دولي وعربي متعدد الاطراف والمصالح

تابعت الولايات المتحدة بعد مقتل المالكي بالاشتراك مع اطراف حلف بغداد: بريطانيا والعراق وتركيا وبمؤازرة اساسية من الحكم في لبنان محاولاتها لقلب الاوضاع الديموقراطية في سورية بشكل حثيث وعاجل، وكان اول موعد لهذه المحاولات في اربعين المرحوم المالكي فاعتقل على اثرها مدير شرطة حلب محمد دياب واربعة ضباط اخرين، هذا بالوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة وحلف بغداد يخوضان معركة رئاسة الجمهورية لانجاح القوتلي في معركة رئاسة الجمهورية، كما كانتا تعملان على انفراط حكومة الائتلاف واسقاطها، وكان يدير دفة هذه المعركة في سورية ميخائيل ليان، سواء في الحكومة او في المجلس او

في اوساط الحزب الوطني بمساعدة الجناح اليميني في حزب الشعب وبحماية ومباركة عدنان الاتاسي وقد وضع حلف بغداد كما ظهر من وثائقه تحت تصرف ليان - الذي كان يتخذ من فندق امية في دمشق مركزا لنشاطه - الاموال الطائلة لتوجيه بعض العناصر الاعلامية في حلب ودمشق.

الوفد البرلماني للاتحاد السوفيتي

كانت استراتيجية الولايات المتحدة وحلف بغداد، السياسية والاعلامية، تقوم على اتهام الحركات التقدمية بالعمالة للشيوعية الدولية وقد استهدفني هذا الاتهام بصورة خاصة منذ بداية نضالنا التحرري، وكانت هذه الاتهامات تستهدف نشر جو من الارهاب الفكري والحرب النفسية لتعزل الحركات التقدمية عن الجماهير الشعبية، وفي الوقت نفسه كان اعلامها يقوم بالتغطية الدينية والاخلاقية والوطنية للرجعية العربية ولدعاة الغرب وعملائه، لذلك اعتذرت عن ان اكون عضوا في الوفد البرلماني الذي دعي لزيارة الاتحاد السوفيتي ورأيت من المفيد ترشيح ثلاثة نواب حزبيين عوضا عني لتكون علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي على مستوى حزبي ولانني كنت مرغما على البقاء في سورية في تلك الظروف ... وقد علقت جريدة الرأي العام بتاريخ 5 تموز سنة 1955 قائلة "اكد اكرم الحوارني انه لن يكون في عداد الوفد البرلماني الذي سيزور الاتحاد السوفيتي كما اشاعوا سابقا وان النواب البعثيين الذين وقع عليهم اختيار الحزب هم عبد الحليم قدور وفيصل ركبي وخليل كلاس.. وكانت ابواق الدعاية الاجنبية ادعت ان اكرم الحوراني ذاهب لموسكو للاتفاق مع سادة الكرميلين وان استعدادات خاصة قد اتخذتها حكومة موسكو للحفاوة به بينما تسابق اساطين الرجعية ودعاة الغرب من النواب ليكونوا في عداد اعضاء هذا الوفد".

"عودة خالد العظم من رحلته لاميركا وفرنسا وبريطانيا"

عندما احس خالد العظم بالمقاومة الضارية من قبل جميع الحكومات العربية والدول الكبرى ضد فوزه بمعركة الرئاسة، اتخذ من رحلته لسان فرانسيسكو مناسبة لتعريجه على بريطانيا وفرنسا وللاتصال المباشر باقطاب الدول الغربية الكبرى ليشرح لهم مبررات تبنيه للسياسة التي تنتهجها سورية، وقد عقدنا معه فور عودته بتاريخ 13 تموز - اجتماعا في وزارة الخارجية حضره الدكتور وهيب الغانم وصلاح البيطار كما حضرت الاجتماع ايضا الذي دعت اليه لجنة الشؤون الخارجية بتاريخ 25 تموز عام 1955 وكان خالد العظم يتظاهر بتفائله من نتائج رحلته وهذا ملخص ما جاء في اقواله عنها:

تمت صياغة بعض اجزاء من الميثاق العربي بالاتفاق مع مصر والسعودية ولا تزال اجزاءه الاخرى قيد الدرس والمذاكرة

ستلبي فرنسا مطالب مراكش وتونس بما يضمن لهما حقوقهما الطبيعية المشروعة بالاستقلال وستعيد سلطان مراكش الشرعي الى العرش ولكنها ما زالت تصر على اعتبار الجزائر جزءا منها وستستمر على سياستها في تزويد سورية بالسلاح والذخيرة.

لا زالت بريطانيا تتبنى سياسة الحلف التركي العراقي والتوسع به وتعارض في عقد الميثاق بين الدول العربية الثلاث بحجة انه يعزل العراق عن المجموعة العربية.

لم تعد الولايات المتحدة الاميركية تصر على دخول سورية في حلف بغداد - وان المستر (الن) ابلغه عدم رغبة اميركا بالدخول في هذا الحلف ولكن اميركا والباكستان اعلنتا انضمامهما لحلف بغداد - بعد ذلك بقليل.

وقد شعرت من احاديث خالد العظم بأنه كان يتستر على فشله لانه قوبل بجفاء لا مزيد عليه من بريطانيا واميركا وان المستر دلس رفض استقباله فقنع بالاجتماع بالمستر (الن) مساعد وزير الخارجية في احد المطاعم، ولم تسجل رحلته اية فائدة سوى اجتماعه بالسيد (مولوتوف) وزير خارجية الاتحاد السوفيتي - الذي أبلغه بان حكومته تتابع باهتمام سياسة

سورية الهادفة الى تحرير العالم العربي وابراز شخصيته الدولية وانها مستعدة لتوطيد علاقتها بسورية ومساعدتها في الشؤون الاقتصادية وتزويدها بالسلاح.

□

لقد خيل لخالد العظم بعد رحلته الفاشلة بأن بريطانية والعراق وحدهما سيكونان خصمه في معركة الرئاسة فرأيت من المفيد مصارحته، واكدت له بأن مصر والسعودية ايضا سيكونان بجانب العمل لانجاح القوتلي لانهما يأملان في عقد الميثاق العربي بواسطته وبالشكل الذي يحقق اهدافهما، كما قلت له ان السفير محمود رياض لا يخفي تذمره من موقفك واصرارك على توقيع الميثاق بالشكل الذي تقدمت به سورية، الامر الذي تعارضه الولايات المتحدة لانها تعتبره خطرا على اسرائيل، وان الولايات المتحدة ليست حريصة على دخول سورية في حلف بغداد لان اغراضها في المنطقة العربية تختلف عن اغراض بريطانية، انها تعتبر اسرائيل جزءا اساسيا من استراتيجيتها في المنطقة ولذلك فان همها الاكبر الان هو اخضاعنا لقبول مشروع جونستون وهي لن تكف عن محاولاتها لتقويض نظامنا الديموقراطي التقدمي واستبداله بنظام عسكري فاشستي يسير في ركاب استعمارها ذي الرأس المزدوج، كما انه لا امل لنا بمساعدة فرنسا - على ضعف نفوذها - وهي لن تمدنا بالسلاح والذخيرة كما وعدتك الا اذا تخيلنا عن مؤازرة الجزائر، وبالرغم من كل هذه المصاعب وامام كل هؤلاء الخصوم يبقى املنا بالفوز بمعركة الرئاسة قويا اذا ظل ائتلافنا قائما، ولا خوف عليه في هذه المعركة الا من تخاذل صبري العسلي في اللحظة الاخيرة، فعليك بتثبيت ارجله بما اوتيت من قوة، اما بالنسبة للاتي فليس امام سورية تجاه هذا التطويق العربي والدولي الا توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفيتي سياسيا واقتصاديا وعسكريا.. كان هذا تحليلي للموقف في معركة الرئاسة وقد اثبتت الاحداث معظم جوانبه.

1955: انتخاب شكري القوتلي والظواهر التي رافقت معركة الانتخاب - موقف صغار الضباط من انتخاب القوتلي - مرض خالد العظم بعد فشله في معركة الرئاسة - اول اتصال للقوتلي مع حزب البعث بعد انتخابه - القوتلي يستلم مهام الرئاسة من هاشم الاتاسي مما يبشر باستقرار الحياة الديموقراطية - سعيد الغزي يشكل الوزارة - كلمة حزب البعث في مجلس النواب ردا على البيان الوزاري.

معركة رئاسة الجمهورية

عندما اقترب موعد انتخاب رئيس الجمهورية الذي حدد له 18-8-55 عاد القوتلي من القاهرة الى دمشق بتاريخ 16-7-55 وكانت لجنة من انصاره قد اعدت لاستقباله سلفا، ومع ذلك فقد كان استقبالا مصطنعا باهتا على الرغم من اشتراك الحكومة برئيسها ودركها وشرطتها.

نزل القوتلي من الطائرة فجرى كل شيء كما اعد تماما: انطلقت الحمائم البيض، وقبل القوتلي المصحف الكريم الذي قدم له ووضعه على رأسه، ثم عانق رئيس الحكومة صبري العسلي وقبله ايضا، ثم انطلق موكبه من المطار الى بيته يتبعه رتل طويل من السيارات بعضها ممتلىء بالركاب وبعضها براكب واحد، وكان رجال شرطة السير قد قطعوا المواصلات عند جسر فكتوريا ليتم تجمع الناس في تلك المنطقة... وعلى الرغم من التحيات التي كان القوتلي يبذلها ذات اليمين وذات اليسار فان احدا من الناس لم تتحرك يداه بالهتافات او التصفيق.

كنت مارا بالصدفة بالقرب من جسر فيكتوريا فوقفت مع الناس... لقد ايقنت يومها ان الجماهير قد كبر وعيها ولم تعد تؤخذ بهذه الاساليب والمظاهر.

كان باستطاعة الدول الكبرى والحكومات العربية ان تعيد القوتلي الى رئاسة الجمهورية، ولكنها كانت عاجزة ان تعيده عن طريق الشعب مهما بذلت في هذا السبيل، ولو كان مقدرا آنذاك ان يجري انتخاب رئيس الجمهورية عن طريق الشعب فلا شك عندي ان اخفاقه كان امرا محتوما.

لم يكن القوتلي مرهف الاحساس، فلم يتعظ بما شاهد من اعراض دمشق واشاحة وجهها عنه، وهو ادرى بما بذل من جهد ومال في سبيل استقباله، فأصدر عشية يوم استقباله بيانا شكر فيه اخوان الجهاد والوطنية لولائهم ولم ينس ان يطري جهاده واستعداده للتضحية وحث المواطنين على التعاون والاتحاد.

كان النواب ورجال الاحزاب في البداية خجلين من تأييد القوتلي والدليل على ذلك انه لم يخرج لاستقباله سوى احد عشر نائبا، ولم يتمكن القوتلي على الرغم من مكوثه في دمشق واتصالاته الواسعة ان يأخذ وعودا قاطعة بانتخابه للرئاسة من قبل النواب ورجال السياسة والاحزاب، بل كان الامر على العكس فان الصحف لم تكن حذرة فقط في تأييده بل بدأت تعرض به وبعهده السابق الذي ادى الى انقلاب حسني الزعيم وقد جاء في جريدة حزب الشعب في دمشق:

"ان الشعب قد قابل الانقلاب على القوتلي بالارتياح لان البلاد كانت قد ملت سياسة المزرعة وتدليل الزعامات والاقطاعيات"

كما نصح كثير من المقربين القوتلي بالانسحاب من معركة الرئاسة، لذلك فان اعلان القوتلي انسحابه من معركة الرئاسة في الحفلة التي اقامها له تجار دمشق كان مخرجا له فيما اذا استمر الوضع الذي قوبل به على ما هو عليه، فقد تغيب عن هذا الحفل معظم النواب والوزراء، كما كان لطفي الحفار ما يزال مصرا على ترشيح نفسه للرئاسة "بداعي ان فريقا من النواب قد طلبوا اليه ترشيح نفسه منذ مدة طويلة".

عاد القوتلي الى مصر بعد ايام قليلة، حيث أفضى بتاريخ 1955/7/25 بالتصريح التالي:

"ان السياسة العربية التي اعلنها الرئيس جمال عبد الناصر هي السياسة العربية القويمة الواضحة التي يجب ان تسير عليها الدول العربية لتضافر الجهود وجمع شمل العروبة وتوحيد السياسة الخارجية وقيام جيش وقيادة عربية موحدة تتولى الدفاع عن سلامة المجموعة العربية وكيانها من اي عدوان خارجي، هذه السياسة التي يهدف اليها الميثاق العربي الجديد الذي آن الاوان لتوقيعه".

كما شجب سياسة الاحلاف الاستعمارية والمحاولات الهادفة الى جر سورية وغيرها من الدول العربية اليها، ولما سئل عن ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية لم يشأ ان يثبت او ينفي هذا الموضوع بل قال:

"ان الدستور السوري لا ينص على ترشيح احد للرئاسة وانما يتولى هذا الامر المجلس النيابي، فالمسألة متروكة لمشيئة المجلس واختياره"

والذي يلفت النظر ان القوتلي تجنب وهو في دمشق تحديد موقفه من السياسة العربية والخارجية وتجاهل ذلك في اقواله وخطبه تجنبا تاما، والذي يخيل الى ان القوتلي سافر الى مصر بعد الجو اليائس الذي قوبل به في دمشق ليتأكد من موقف مصر والسعودية تجاه ترشيح نفسه للرئاسة، وقد كان تصريحه هناك بتاييد السياسة العربية والخارجية المصرية عربونا لهذا التأييد، ولا شك ان الولايات المتحدة قد ضمنت تاييد بريطانيا وحلف بغداد له في معركة الرئاسة، والا كيف يمكننا تفسير شجبه الواضح لسياسة الاحلاف وتأييد سياسة ناصر العربية والخارجية بالوقت الذي كان فيه جميع انصاره في الحزب الوطني والمستقلين من دعاة حلف بغداد؟ بل كان جميع من يسعى لاقناعهم بتأييده ليضمن لنفسه النجاح من دعاة سياسة الاحلاف؟

والذي حدث فعلا ان تصريحه في القاهرة لم يثن جماعة حلف بغداد عن اصرارهم جميعا على تأييده، بل ان لطفي الحفار قد انسحب لمصلحته، وهكذا ضمن القوتلي تأييد الحزب الوطني

وحـزب الشـعب فـي معركـة الرئاسـة بالاضـافة للكتـل المجلسـية الاخرى الضالعة مع عراق نوري السعيد.

اصبح القوتلي بعد تجاهل وصـمت طويـل مـن دعـاة التوقيـع على الميثاق العربي الجديد واصبح خالد العظم وحكومـة الائـتلاف التي وضعت هذا الميثاق والتي وقفت في وجه سياسـة الاحـلاف والضغوط الدولية والعربية موقفـا باسـلا متهمـة بالتقـاعس والتـردد بتوقيـع الميثـاق العربـي الجديـد، كمـا اصـبح اسـاطين السياسـة الضـالعين مـع الغـرب وسياسـة الاحـلاف وحلـف بغـداد اكثـر رجـال السياسة والنواب تأييدا للقوتلي..

□

كان مجلس وزراء حكومة الائتلاف قـد اتخـذ بتـاريخ 13-4-55 القرار التالي:

"ان مشروع الميثاق العربي المقدم من وزير الخارجيـة (خالـد العظـم) مقبـول في اسسه وصالح لان يكون مدار نقاش على الا يرد في نصوصه ما يمكـن ان يحمل علـى محمـل اسـتبعاد العـراق لكـي يـأتي عامـا شـاملا لجميـع الـدول العربية بدون استثناء، ولا مانع بـأن تكـون المبادهـة فـي ابرامـه للـدول الـثلاث التي باشرت المفاوضة فيه: سورية ومصر والمملكة العربية السعودية، ويجـب الا يغرب عن البال ان الاسس المتحدث عنها هي الحد الادنـى الـذي ترتضـيه الحكومـة السـورية التـي تتـوق الـى المضـي فـي التعـاون لتحقيـق الاهـداف القومية الى ابعد شوط"

وقد ذيل الدكتور وهيب الغانم ممثل البعث في الوزارة هذا القرار بخط يده:

"يوافق حزب البعث العربي الاشتراكي على اسـس هـذا المشـروع ويعتبرهـا حدا ادنى، على الا يرد في نصوصه او مجمله ما يفتح بابا للتنسيق بينه وبين الحلف العراقي التركي او بينه وبين الاحلاف الاجنبية"

بعد ان يئس خالد العظم من زحزحة المصريين والسـعوديين عـن موقفهم من الميثاق، بعد اجتماعات القـاهرة وبانـدونغ، اراد ان يوقعه بالصيغة الهزيلة التي اقترحوها ولكن ميخائيل اليان كان لهذا الموضوع بالمرصـاد، فـازداد مندوبـه فـي الـوزارة ليـون زمريـا تصـلبا

وتشـددا وامتناعـا عـن توقيعـه، وكـان صـبري العسـلي واقفـا بـين ميخائيل اليان وليون زمريا وبين فاخر الكيالي الـذي كـان متحمسـا لتوقيع الميثاق، فكان موقف العسلي الشرك الذي وقـع فيـه خالـد العظم وحكومة الائتلاف، لان خالد العظـم لـم يكـن مسـتعدا بوجـه من الوجوه ان يتخذ موقفا حازما من صبري العسلي، مـع انـه كـان من الضروري بعد ان بلغت الامور حد اتهامه بالتلكؤ ان يحـزم امـره، وان يوقـع علـى الميثـاق العربـي الجديـد بالشـكل الـذي اقترحتـه مصر، مهما كانت النتائج، ولو ادى ذلـك لفـرط الائـتلاف، وكـان هـذا هو السبيل لاحباط المؤامرة التي ذهب خالد العظم ضحيتها.

كان على العظم ان يقف هذا الموقف الحازم الذي يضع فيـه النقاط على الحروف فيحرج موقف مصر والسعودية ويسقط الاقنعة عن الوجوه، ولطالما نصحته بأن يوقع على الميثاق وان يجعـل مـن معركـة رئاسـة الجمهوريـة معركـة الميثـاق العربـي الـذي اصـبح سلاحا ضده بيد مصر والسعودية والقوتلي في معركة الرئاسة.

□

كان خالد العظم ضعيفا تجـاه مكائـد الـذين يحيطـون بـه مـن ابنـاء طبقته فلـم يكتشـف مكائـد نوفـل اليـاس واسـعد هـارون وحسـن الاطـرش وفـائق منـان وغيـرهم الا بعـد انتهـاء معركـة الرئاسـة، وبالرغم من اخلاصنا له فانه كان حـذرا منـا بصـورة شـلت نشـاطنا ومنعتنا من العمـل لصـالح نجاحـه فـي معركـة الرئاسـة خوفـا مـن شكوكه وسوء ظنه، بالوقت الـذي كـان فيـه بـاب المنـاورة فسـيحا امامنا يمكننـا مـن قلـب المعركـة لصـالحه، فكـان وضـعه هـذا احـد الاسباب في اخفاقه في معركة الرئاسة.

مؤامرة لاغتيال عبد الناصر

أعلنـت الحكومـة السـعودية - ابـان معركـة الرئاسـة - انهـا كشفت مـؤامرة لاغتيـال جمـال عبـد الناصـر، والحقيقـة ان رسـالة وصلتني في مطلع شهر حزيران عام 1955 من السـفارة السـورية في جدة من موظف لم يكن لي به سابق معرفة، وقد جاء فيها ان السفير السوري عمر بهاء الاميري قد استقبل احد اقطاب الاخـوان

المسلمين وانزله ضيفا على السفارة السورية واسمه (مشعل عصام) وقد تمكن من سماع احاديثهما عن مؤامرة تهدف الى اغتيال جمال عبد الناصر عند حضوره الى الحجاز لاداء فريضة الحج والاشتراك بالمؤتمر الاسلامي، وان السفير السوري يستعين بالحقيبة الدبلوماسية لتأمين اتصالات (مشعل عصام) بأقطاب الاخوان المسلمين في الخارج، وقد رأيت من واجبي ان أسلم الرسالة الى سفير مصر محمود رياض، كما طلبت من خالد العظم تسريح عمر بهاء الاميري من منصبه لانه يعد مؤامرة وذكرت له بعض تفاصيلها، فسارعت الحكومة المصرية لاخبار الحكومة السعودية عن المؤامرة، فاعتقلت فورا اللاجىء الاخواني في دار السفارة السورية، وعندما حققت معه تبين لها ان اسمه الصحيح هو (ابو المكارم عبد الحي) وانه دخل الى جده بجواز سفر كويتي، وقد وضع عمر بهاء الاميري تحت الاقامة الاجبارية عدة اسابيع، ثم طرد بعد ذلك من المملكة العربية السعودية فلجأ الى لبنان...

احتدام معركة الرئاسة

اعلن لطفي الحفار انسحابه من معركة الرئاسة بتاريخ 13 - 8-1955 لصالح شكري القوتلي، بالوقت الذي ظل فيه الحزب الوطني على موقفه الغامض المراوغ بالنسبة لمعركة الرئاسة، مثله في ذلك مثل حزب الشعب ولم يكن مرد ذلك عجزهما عن اتخاذ موقف واضح بل كان ايضا موقفا يشوبه المكر حتى يفاجئا خالد العظم بتأييد القوتلي في اللحظة الاخيرة لتسد بوجهه الابواب ولا يعود امامه سبيل للمناورة وتدبر الامر، وهكذا جمد الحزبان المعركة حتى اللحظة الاخيرة، وقد ساعد هذا الموقف حزب الشعب على تذليل بعض متاعبه التي كان يعاني منها لان أغلبية اعضائه كانت تصر على ترشيح رئيسه رشدي الكيخيا الذي كان يرفض ذلك رفضا قاطعا كما يرفض ترشيح زميله ناظم القدسي، ولا يخفي ان الجناح اليساري في حزب الشعب كان كارها لتأييد القوتلي اكثر من كراهيته لتأييد خالد العظم، حتى ان احد اعضائه البارزين (رشاد برمدا) صرح للصحافة:

"ان بلاء سورية من شقيقاتها العربيات التي ما برحت تتدخل في شؤونها الداخلية"

كان القوتلي يحاول منذ البداية استجلاب حزب البعث العربي الاشتراكي فكان "يطري في احاديثه الخاصة موقف حزب البعث العربي الاشتراكي، ويذكر بكثير من الاعجاب والتقدير مواقف عديدة وقفها اكرم الحوراني خاصة في الدفاع عن سيادة البلاد واستقلالها، ويظهر رغبة قوية بالتفاهم مع البعثيين والاجتماع مع اكرم الحوراني، وعلى الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت في هذا السبيل فان اجتماع الحوراني والقوتلي لم يتم ولا زال البعثيون والاشتراكيون ثابتين على موقفهم من القوتلي" (الرأي العام 8-8-1955). كما قام القوتلي بحمله مركزة للتفريق بين البعث العربي الاشتراكي وبين خالد العظم ففشلت تلك الجهود.

اصبح نشاط السفير العراقي عبد الجليل الراوي في تأييد القوتلي ودعمه بارزا ظاهرا بعد انسحاب لطفي الحفار، واصبح موقفه كموقف زميليه السفيرين المصري والسعودي، كما اصبح موقف اركان كتلة خالد العظم (اسعد هارون، نوفل الياس، حسن الاطرش، عبد الباقي نظام الدين وسواهم) اكثر جرأة ووضوحا بينما استمرت ثقة خالد بهم فأصبح حزب البعث العربي الاشتراكي وحده في الميدان يبذل نشاطا صادقا في تأييده ودعمه لا حبا بشخصه بل لان تلك الظروف تجعله انسب المرشحين لرئاسة الجمهورية لقيادة سورية في تلك المرحلة، وهذا هو السبب الذي جعل الدول الكبرى الثلاث على تناقض اهدافها ومصالحها تجمع على محاربة خالد العظم، يؤيدها في ذلك المحوران العربيان.

لم تكن الدول الكبرى الثلاث تطمح من وراء تأييد القوتلي ان يحقق لها مصالحها واهدافها المتناقضة كما حاول ان يفعل قبيل انقلاب حسني الزعيم عام 1949 عندما كان يصر على رئيس وزرائه خالد العظم ان يفاوض بريطانيا سرا لارضائها بالوقت الذي دفع بجميل مردم للتوقيع على اتفاقية التابلاين لمصلحة الولايات

المتحدة والسعودية، كما سمح لشركة نفط العراق ان تمد انبوبا آخر لبانياس دون قيد او شرط، كما شجع خالد العظم على توقيع الاتفاقية المالية مع فرنسا فلم تنجه هذه السياسة الاستسلامية لمصالح الغرب من تشجيع فرنسا والولايات المتحدة لحسني الزعيم على الاطاحة به وبالوضع الديموقراطي عندما اقتضت مصلحتهما بذلك، هذا ما كان في الماضي، ولكن الماضي لا يمكن ان يعيد نفسه بعد التطورات العميقة التي حدثت في سورية.

كان ضعف القوتلي امام مطامع الدول الكبرى، وسوء ادارته واستسلامه للمملكة العربية السعودية، وكرهه وحقده على الاتجاه التقدمي التحرري الذي يقوده حزب البعث العربي الاشتراكي اسبابا كافية لتأييده من قبل الاطراف الدولية والمحاور العربية والرجعية الداخلية، بعد ان يئست من استجلاب خالد العظم لصفوفها منذ المعركة الانتخابية عام 1954، ولم تتحرج الدول العربية: مصر والسعودية والعراق عن اتباع جميع الاساليب لتحقيق اغراضها وفيما يلي بعض الادلة الواقعية:

ارسلت جميل الشماط احد اعضاء الكتلة الديموقراطية ليهيء لي اجتماعا مع تركي بن مهيد لاقناعه بانتخاب خالد العظم فقال النائب المذكور لجميل الشماط ان السعودية دفعت له مبلغ (12000) ل. س من اجل انتخاب شكري القوتلي، فاذا كان باستطاعة خالد العظم ان يدفع لي اكثر من ذلك فانني مستعد لانتخابه.

كان بعض النواب لا يتورعون عن ذكر المبالغ التي قبضوها من السعودية والعراق وحلف بغداد، وكان شوكت شقير ضالعا بل مشرفا على عمليات شراء اصوات النواب لانتخاب القوتلي.

□

بعد سنوات، وفي حديث لي مع العقيد احمد عبد الكريم عن تلك الانتخابات وعن الرشاوى التي بذلت فيها للنواب، قال لي احمد عبد الكريم:

انه قد عرض علي وعلى زميلي امين النفوري عندما كنا ضابطين في الجيش رشوة كبيرة لتأييد القوتلي في معركة الرئاسة فرفضنا قبولها.

كان المال يغدق جزافا ليس على النواب والسياسيين فحسب وانما على العسكريين ايضا بعلم شوكت شقير الذي كان يظهر لخالد العظم تأييده ودعمه، وكان يشجعه على عدم الانسحاب من المعركة حتى اللحظة الاخيرة، فقد كان شقير يخشى ان يؤدي انسحاب خالد العظم من معركة الرئاسة الى تفاهم بين حزب البعث العربي وحزب الشعب على ترشيح شخص آخر مما يعرض شكري القوتلي للفشل او الانسحاب من المعركة.

خالد العظم يظل مثابرا على خطته الفاشلة بالاعتماد على العسلي وعلى موقف الحزب الوطني

في ليلة 1955/8/15 عقدنا اجتماعا في منزل خالد العظم الصيفي في دمر استمر الى ما بعد منتصف الليل، وقد حضره عن الكتلة الديموقراطية، اسعد هارون، جورج شلهوب بدري العبود، فاعور الفاعور، كما مثل الحزب الوطني صبري العسلي وميخائيل ليان ومحمد خير الحريري، وقد مثلت مع الاستاذ صلاح البيطار حزب البعث العربي الاشتراكي وحضره من نواب الكتلة المستقلة حامد الخجة وفيصل هويدي، كما حضره عدد كبير من نواب الاحزاب والكتل المجلسية، وقد تم الاتفاق بعد مناقشات طويلة ان يتم اختيار رئيس الجمهورية من بين اعضاء هذه الاحزاب والكتل بالانتخاب، وكان هذا يعني بطبيعة الحال ان يكون لصبري العسلي حظ كبير بترشيحه لرئاسة الجمهورية، وكان هذا الاتفاق محرجا لميخائيل ليان، وقد اقترح خالد العظم ان يكون اسعد هارون ونوفل الياس اعضاء في الوفد الذي سيبلغ القوتلي عزم الجبهة المؤتلفة على خوض معركة الرئاسة بمرشح من بين اعضائها.

وفي صباح اليوم الثاني اجتمعت اللجنة لابلاغ شكري القوتلي قرارها ولتطلب اليه الانسحاب من معركة الرئاسة فلم

يحضر احد اعضائها اسعد هارون هذا الاجتماع في الموعد المقرر فقصد اعضاء اللجنة الى غرفته في الفندق فاذا بهم يفاجئون بورقة ملصقة على باب غرفته يرجو فيها الا يوقظه احد من نومه، فقصد اعضاء اللجنة الى صبري العسلي الذي فاجأهم بقوله "ان المرجع الحزبي لم يوافق على ما تم عليه الاتفاق في دمر وان الحزب الوطني مصر على ترشيح القوتلي وانه اصدر قرارا بذلك هذا نصه:

"اجتمع المرجع الحزبي للحزب الوطني يوم 14-8-1955 في بيت الامين العام للحزب وعقد اجتماعا آخر في 15-8-1955 في مكتب الحزب الوطني وبعد المناقشة تقرر بالاجماع دعم فخامة شكري القوتلي في ترشيحه لرئاسة الجمهورية".

رئيس الحزب الوطني الدكتور عبد الرحمن الكيالي

كانت هذه المفاجأة سببا في عدم قيام اللجنة بزيارة القوتلي، كما كانت سببا في انفراط الجبهة، وفي اليوم ذاته ايد منير العجلاني باسم الكتلة الدستورية ترشيح القوتلي للرئاسة وابلغ قراره لحزب الشعب الا ان حزب الشعب استمر في كتمان موقفه من انتخابات الرئاسة بالرغم من ان موقفه الحقيقي اصبح معروفا وواضحا، ولما اغلقت جميع ابواب الامل امام خالد العظم توليت وحدي في اللحظة الاخيرة قبل جلسة انتخاب الرئاسة قيادة المعركة.

ففي صباح يوم 17-8-1955 عقد ممثلو احزاب المجلس وكتله اجتماعا عرضت فيه على المجتمعين باسم البعث استبعاد جميع المرشحين للرئاسة الاولى، على ان يتفق ممثلو احزاب المجلس وكتله على اختيار مرشح من المجلس، لا يضع احد عليه الفيتو، فنال الاقتراح قبولا من معظم المجتمعين الا رشدي الكيخيا الذي رفض هذا الاقتراح فقلت له:

نحن مستعدون للبحث في ترشيح ناظم القدسي، فكان جواب الكيخيا: ان حزب الشعب قرر عدم ترشيح احد من اعضائه وهكذا انفض الاجتماع على ان يستأنف البحث عشية ذلك اليوم

ولكن نواب حزب الشعب لم يحضروا الاجتماع لانهم حضروا حفلة تكريم للقوتلي كان فيها وزير العراق المفوض وسفير مصر والسعودية على يسارالقوتلي في حين كان اعضاء الحزب الوطني وحزب الشعب على يمينه، وبالرغم من كل ذلك فان عددا من اعضاء الحزب الوطني واعضاء حزب الشعب كانوا في ازمة ضمير من الزام احزابهم معهم بانتخاب القوتلي.

والحقيقة التي يجب ان تقال والتي تشرف الحياة السياسية في سورية في تلك الفترة، هي ان اجماع الدول الكبرى الثلاث والحكومات العربية وما بذل من مال وفير في معركة الرئاسة لصالح القوتلي لم تكن وحدها كافية لانجاحه في معركة الرئاسة لولا السلاح الفتاك الذي استخدمته اجهزة المخابرات الاجنبية والعربية بخبث ضد حياة خالد العظم الخاصة، وقد لمست ذلك بنفسي عندما فاتحت احد نواب عشائر الرقة، وكان رجلا صالحا دينا، وكنت احيه واحترمه لانني كنت الحظ انه يصوت في جميع الدورات المتتابعة دوما بجانب قرارات المجلس الصحيحة بالرغم من جميع الضغوط التي كان يتعرض لها امثاله من نواب العشائر والملحقات، فشرحت له الوضع السياسي والدولي واسباب تأييدنا لخالد العظم في المعركة فقال لي مقسما:

انه يعرف جميع الاسباب التي ذكرتها، وانه ما كان يود ان يرد لي هذا الرجاء ولكنه ذكر اسبابا تتعلق بحياة خالد العظم الخاصة، وقد المح المرحوم خالد العظم الى تلك الدعايات السفيهة في مذكراته، وكان شأن هذا النائب شأن العديد من النواب الاخرين.

وفي يوم 1955/8/18 حاولت مجددا ونحن في ردهات المجلس، وقبل انعقاد جلسة انتخاب الرئاسة ان نتفق مع حزب الشعب على ترشيح بديل عن العظم وعن القوتلي، ولكن هذا الاقتراح الذي اخاف كثيرا ميخائيل ليان - لم يلق اذنا صاغية من اكثرية نواب حزب الشعب الذين كانوا يصطدمون بعناد رشدي الكيخيا.

كانت نتيجة الدورة الاولى للاقتراع ان نال القوتلي 89 صوتا ونال العظم 42 صوتا، ووجدت خمس اوراق بيضاء واعتبرت ثلاث باطلة، ولما لم يحز احد المرشحين على اكثرية الثلثين، تأجل الاجتماع نصف ساعة على امل ان ينسحب خالد العظم لينجح القوتلي بالاجماع، وكان خالد العظم مستعدا لاعلان انسحابه فأصررت عليه بالاستمرار على الرغم من معرفة النتيجة، وفي الجولة الثانية نال القوتلي 92 صوتا ونال العظم 41 صوتا فزادت اصوات القوتلي ثلاثة اصوات بينما نقصت اصوات العظم صوتا واحدا هو صوت رئيف الملقي الذي غاب عن الدورة الثانية للاقتراع فأعلن ناظم القدسي فوز القوتلي وقال ان ولايته ستبدأ في 1955-9-6.

□

احدث انتخاب القوتلي ردة فعل قوية في الجيش، ففي اليوم الثاني للانتخاب طافت احدى السيارات وفيها بعض الضباط الصغار شوارع دمشق ومرت امام منزل القوتلي وهي تهتف هتافات غير مستحبة ضده فاعتبر ذلك ردا طبيعيا على موقف شوكت شقير.

لم يكن موقفنا في الوقت نفسه يقضي بتشجيع مثل هذه البادرة التي تهدد النظام الديموقراطي، ورغم انني لم اعرف اسماء الضباط الذين قاموا بالمظاهرة، فان القوتلي اعتقد باننا نحن الذين حرضنا الضباط، بينما لم يكن لنا علاقة بذلك، ولا شك ان هذه التظاهرة اقنعت القوتلي بعدم الاستعجال بالانقضاض على حزب البعث، ولذلك حاول بعد انتخابه تحسين علاقته بالحزب، حتى تسنح له الفرصة التي يضع فيها يده على الجيش مباشرة بواسطة شوكت شقير لتحقيق هذه الغاية.

□

بعد انتخابات الرئاسة مباشرة، اصيب خالد العظم بذبحة صدرية وشارف على الموت، وعندما زرته لشد ما احزنني عناقه

لي وبكاءه وقوله: انه يترك سورية امانة في عنقي، لان معظم الساسة الاخرين متآمرون.

الظواهر التي رافقت انتخاب القوتلي:

حلف بغداد وجمال عبد الناصر يلتقيان

عبر عبد الناصر عن سروره بنجاح القوتلي ببرقية ارسلها اليه تشيد بماضيه ونضاله وتنعته بالرجل العظيم، كما اعلن ناطق رسمي باسم نوري السعيد ترحيب العراق بانتخاب السيد القوتلي، وان الرأي العام العراقي يأمل ان يخدم الرئيس الجديد الاهداف المشتركة، ثم ارسل نوري السعيد برقية موقعة من قبل اركان نظامه يطلب فيها من القوتلي ان يسدد فاتورة الحساب لتوقيف الملاحقات القضائية بحق من اسماهم بالزعماء الوطنيين وهم المتهمون باعداد انقلاب مسلح ضد قادة الجيش والقوى التقدمية.

اما الظاهرة الثانية فهي انكشاف مجيىء اديب الشيشكلي الى لبنان منذ تاريخ 11-8-1955 اي خلال احتدام معركة الرئاسة ثم اضطراره الى العودة لفرنسا بعد ان اعلن وزير الخارجية حميد فرنجية ضرورة محاكمة مدير الامن العام اللبناني فريد شهاب لكتمانه عن الحكومة نبأ دخول الشيشكلي الى لبنان، وقد قيل ان رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شمعون كان على علم بوجود الشيشكلي وعلى اتصال به، كما اكد وزير الخارجية اللبنانية ان اديب الشيشكلي قد انتقل الى دمشق عندما كان مجلس النواب السوري ينتخب رئيس الجمهورية.

والذي يظهر ان فرنسا كانت على اتفاق مع الولايات المتحدة وبريطانيا في سعيها لتفشيل وصول خالد العظم الى رئاسة الجمهورية لانزعاجها من موقف حكومة الائتلاف تجاه قضايا المغرب العربي والدفاع عنها في مؤتمر سان فرانسيسكو، وقد اعترف سفير فرنسا لخالد العظم بذلك واعتذر منه فيما بعد، كما ورد في مذكرات العظم، ولا شك ان الدول الثلاث بالاشتراك مع

كميل شمعون قد عملت على مجيىء الشيشكلي الى لبنان وسورية ليقفز الى الحكم في حال حدوث انقلاب ضد انتخاب القوتلي، حيث كانت هذه الدول تقدر خطأ بأن انتخاب القوتلي سيحدث ردة فعل في الجيش وفي حزب البعث العربي الاشتراكي مما يمكن استغلاله لعودة الشيشكلي الى حكم سورية من جديد.

ويتحدث وليم كراين ايفلاند احد عملاء المخابرات المركزية في سورية ولبنان، في كتابه حبال من رمال [1] عن عودة الشيشكلي وعن مقابلته لمدير الامن اللبناني فريد شهاب بما يلي: (ص 306-308)

"وعندما وصلت الى سهل البقاع توقفت في شتورا لاتناول الغذاء، وطلبت زجاجة صغيرة من العرق مع المازة، فلاحظت مجموعة من الرجال بقربي يتحدثون بحماس، وكان مركز انتباههم رجلا لابسا عباءة وكوفية كما في الصحراء وكان وجهه ليس غريبا علي، ولكن ذاكرتي خانتني، وفيما بعد تذكرت انه العقيد "اديب الشيشكلي" ، الدكتاتور المخلوع، الذي كان من المفروض ان يكون في اسبانيا.

ومن الواضح ان وجوده كان يعني ان هناك خطة لتغيير الحكومة السورية، ولكن السؤال كان: لمن ومع من يعمل؟ امر واحد يبدو لي اكيدا، هو ان الحكومة اللبنانية كانت تعلم بوجوده هنا، اما من المسؤول عنه فقد يكون من سوريا، او لبنان او بريطانيا او فرنسا، او العراق او تركيا، او هؤلاء جميعا، والشىء الوحيد الذي كنت متأكدا منه هو ان الـ CIA لم تكن متورطة، وهنا دفعت فاتورة الحساب وغادرت المكان بسرعة.

وكان الزغبي وهو موظف في السفارة الاميركية يهم بمغادرة مكتبه عندما دخلت، واخبرته عن وجود الشيشكلي، فاجابني بأنه سمع اشاعات عن عودته، وطلب مني مرافقته الى البيت، حيث سيجتمع "بصلة الوصل" بينه وبين الامن اللبناني، وهناك سوف اسمع التفسير اللبناني الرسمي عما شاهدت، وعندما عارضت بأن هذا سوف يتنافى مع سريتي المحلية هدأني

(1) دمشق - دار طلاس، ترجمة الدكتور سهيل زكار.

الزغبي شارحا لي انه سبق واخبر رئيس الامن عني، وقال ان الامن ليس مشكلة، ان علاقتهم مبنية على الصراحة المطلقة"

"وتكلمت عن زيارتي لحلب، وذلك لاسوغ كيف اكتشفت وجود العقيد الشيشكلي عند عودتي من سوريا، وهز شهاب رأسه وابتسم قائلا: ان اللبنانيين يعرفون بوجود الدكتاتور السابق، ولكن لا يعتبرون هذا له اهمية، انه يقوم بزيارة بعض الاصدقاء القدامى وسوف يعود الى اسبانيا، وان سلطات الامن تتابع كل حركة من حركات الشيشكلي، خشية ان يتورط ثانية في النشاط السياسي.

وعندها سألت شهاب كيف ستكون ردة فعل سوريا اذا عرفت؟

اعتبر سؤالي ليس مهما، وعلى الرغم من ان الزغبي كان قانعا بما قاله شهاب، فانني وجدت ذلك غير معقول، فلقد كان العقيد السراج رئيس الشعبة الثانية في الجيش السوري عارفا بنشاطات القوميين السوريين في لبنان، ولا بد انه الان بمساعدة المصريين، كان نفوذه كبيرا على الحكومة المحلية، وعلى هذا كل ما كان على سورية هو اغلاق الحدود مع لبنان مع مقاطعة اقتصادية مما سيبعث الجمود في الاقتصاد اللبناني ويوقف حركة المرافىء فيه، ولهذا يبدو لي ان شهاب كان مغرورا او مخدوعا."

كما يلخص كراين مواقف الدول الكبرى وموقف العراق وتركية من انتخابات الرئاسة بما يلي (ص 212-213)

"ونظرا لزيادة الاهتمام بسورية، وبالنشاط الدبلوماسي الكبير فيها فقد ارسلت بريطانيا والعراق وتركيا مبعوثين لها كبار الى دمشق، وهم (السير جون غاردنر، وعبد الجليل الراوي، وعدنان كورال) واهتم السفير موز (سفير اميركا) بهؤلاء السفراء اهتماما كبيرا، لانهم جاؤوا لتقصي قضية انحراف سورية نحو اليسار، وعندما قلت لموز باني اعرف الراوي من بغداد، شجعني لكي اذهب فاقابله، واعرف آراء العراق عن سوريا، وعرض علي ان يخبر المبعوثين الثلاثة بأني ازور دمشق كمراقب من وزارة الخارجية"

"نبهني "موز" بان مقابلة سفير فرنسا "كليراك" ستكون هدرا للوقت، وحذرني بأن كليراك هو مثل حكومته قد رأى في ازدياد نفوذ كل من امريكا وبريطانيا والعراق وتركيا في سوريا ولبنان خطرا لا يقل عن خطر الشيوعية، ولدى ملاحظة فرنسا لدورها في الطغيان السياسي والاستغلال الاقتصادي

اثناء فترة الانتداب، وان ذلك اوجد شعورا معاديا لفرنسا، سعت فرنسا الى استعادة نفوذها، وكان هذا ممكنا عن طريق ذوي الثقافة الفرنسية، انما لسوء حظها كان هؤلاء قوميين ويساريين متطرفين، كما ان فرنسا كانت غاضبة من الحركات الاستقلالية العربية في شمالي افريقيا"

"وفي رأي موز ان امكانية بقاء سورية كدولة مستقلة كان يعتمد على نتائج الانتخابات الرئاسية، التي يمكنها ان تبرهن عن آخر فرصة لاكبر حزبين سياسيين في سوريا (الوطني، والشعب) ليتحدا من اجل انتخاب رئيس قوي قادر على السيطرة على الاحزاب اليسارية والجيش معا، ولكن هذين الحزبين السياسيين الكبيرين الضامين لكبار ملاك الاراضي وكبار التجار، كانا منقسمين حسدا وتنافسا بشكل مؤسف، وكانت فرنسا تقف حاجزا، مدعية ان انتصار المحافظين سوف يسبب حدوث انقلاب عسكري يساري الميول".

وفي برقية من سفير العراق في دمشق عبد الجليل الراوي تليت خلال محاكمته ورد ما يلي عن انتخابات الرئاسة في سورية:

دمشق 1955/7/20

الى الخارجية - بغداد

لقد علمت من الاصدقاء ان التفاهم اصبح تاما بين شوكت شقير وبين بقية العسكريين على دعم ترشيح لطفي الحفار او صبري العسلي لرئاسة الجمهورية، وانهم ربما رجحوا الحفار وانهم مستعدون للتعاون مع العراق في تنفيذ النقاط التي ابلغناهم اياها.. ويرجون ان يؤيد العراق ذلك، بما لديه من وسائل. ان لطفي الحفار كان قد قدم استقالة من الحزب الوطني احتجاجا على التعاون مع البعثيين وسياستهم المناوئة للعراق، كما ان صبري العسلي ما يزال حتى الان رافضا الاتفاق الثلاثي ارضاء للعراق، اما حزب الشعب فلم يرشح احدا حتى الان... ويسعى القوتلي لكسب تأييده.

ويحاول العسكريون ان يثنوا القوتلي عن ترشيح نفسه لا ينتظر ان ينجلي الموقف قبل نهاية الشهر الحالي.. (وثائق حلف بغداد- ص 1684 - كتاب محكمة الشعب).

مقطع من رسالة ارسلها توفيق السويدي الى نوري السعيد :

"اليـوم تجـري مأسـاة الانتخابـات فـي سـوريا التعيسـة والظـاهر ان شـكري القوتلي هو الذي سيكسب. بعد الظهـر سـنطلع علـى النتيجـة، لكـن سـوريا مريضة ومرضها لا يشفى بالانتخابات بل بعلاجات كثيرة ومستمرة والـزمن هـو الـذي سـيحدد هـذا العـلاج".(وثـائق حلـف بغـداد - ص2452 - كتـاب محكمـة الشعب)

الثقة بالمستقبل تعمر صدورنا

كنت منزعجا من اخفاقنا في انتخابـات الرئاسـة ومـا سـوف يترتب على ذلك من نتائج، ولكن متانة الوضع الشعبي كانت تملأ نفوسنا ثقة بالمستقبل، لا سيما وان الائتلاف السـابق كـان يثقـل كواهلنا ويحملنا مسؤوليات كثيرة مزعجة، حيـث كانـت كتلـة خالـد العظم تجمع فـي صـفوفها عناصـر انتهازيـة، وكنـا نضـطر للسـكوت على تصرفاتها وعلى تصرفات الحزب الوطني على حساب سـمعة الحكم، اذ لا يخفى ان حكومة الائتلاف كانت سببا في نجاح نوفـل الياس واسعد هارون عن اللاذقية في الانتخابات التكميلية بعـد ان فسخت المحكمـة العليـا نيـابتهم عـن اللاذقيـة لثبـوت تـدخل (ابـو هاني) بالرشوة والضغط لحسابهما في الانتخابـات الاولـى، ولشـد ما كـان موقفنـا حرجـا فـي قضـية تـأميم مـواعين ابـو هـاني، فقـد حاولت كتلة العظم والحزب الوطني ان تحول دون التأميم لمصـلحة اسعد هارون ونوفـل اليـاس، ولـذلك كـان انفـراط الجبهـة بالشـكل الذي كانت عليه فرجا لنا وفكا لاسارنا.

ومنـذ اليـوم الاول لانتخـاب القـوتلي اجبـت علـى سـؤال صحفي وجه الي فيمـا اذا كـان الحـزب يفكـر بالاشـتراك فـي وزارة قومية فكان جوابي:

"ان الحزب قد عاد الى موقعه الطبيعي في المعارضة ولن يتزحـزح عنه لان المعارضة من ركائز الحياة الديموقراطية البرلمانية".

اول اتصال مع القوتلي بعد غياب طويل

اتصل القصر الجمهـوري بمنزلـي بتـاريخ 1955/8/29 محـددا لقيادة الحزب موعدا للاجتماع بالرئيس شكري القوتلي، فقررت مع الاستاذين ان نستعرض امام القوتلي الماضي بكل ما يحملـه مـن

اخطاء وانحرافات كلفت البلاد غاليا وادت الى مغامرة حسني الزعيم، ولكن بأسلوب غير استفزازي، وفي هذه المقابلة تعرضنا ايضا للمرحلة التي سبقت انتخابات الرئاسة، ولم اعد اذكر الان تفاصيل المناقشة، ولكن البيان الذي اصدرناه يحوي جميع النقاط التي عرضناها وفيما يلي نصه:

"في المقابلة التي تمت صباح امس بين السيد شكري القوتلي وقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي بناء على دعوة رسمية من فخامته اوضح اعضاء القيادة وجهة نظر الحزب بما يلي:

"في الوقت الذي كانت فيه سورية تجتاز الخطوة الاخيرة في طريق تحررها من الاستعمار الفرنسي، بدأ يظهر فيها كنتيجة لهذا التحرر انقسام بين قوة التقدم والمحافظة يحمل في طياته امكانات مستقبل زاهر للشعب العربي بأسره، وفي هذا الوقت نفسه اخذت الازمات الدستورية تتلاحق وتتضخم الى حد ان الحكومات واجهزتها كانت تتنصل من مسؤولياتها وتبعاتها وهي المسؤولة بحكم الدستور لتجعل من الرئاسة الاولى غير المسؤولة دستوريا مسؤولة عن كل صغيرة وكبيرة، وهذا ما اوجد السبب الرئيس لكل الاضطرابات التي اعترت البلاد، فتطبيق الاحكام الدستورية روحا ونصا هو في نظرنا العامل الاول للسير نحو الاستقرار المنشود وضمان الحريات العامة وهو العامل الاساسي الذي يفسح المجال لتطور البلاد وارتقائها والمحافظة على استقلالها وسيادتها، وبدافع من هذا الاعتقاد خاض حزبنا معارك عديدة دفاعا عن الدستور والحريات والاوضاع الديموقراطية، اذ من البديهي ان تخطي احكام الدستور لا ينتج عن مجرد الاهواء والرغبات الشخصية بقدر ما تفرضه وتدفع اليه الفئات الرجعية المستغلة لضمان مصالحها والقوى الاستعمارية لتنفيذ اغراضها.

وبعد تجارب عشر سنوات عانت فيها البلاد ما عانت من سياسة الاستغلال والكبت والحكم العسكري الارهابي، زادت قضية الشعب وضوحا وقواه التقدمية تمرسا بالنضال، فلجأ الاستعمار ومعه الفئات الرجعية في سورية وبعض الاقطار العربية الى محاولة جديدة لضرب حركة التحرر الشعبي وذلك بربط البلاد العربية باحلاف عسكرية تفقدها استقلالها وثروتها وتعطل نهضتها وتساعد اسرائيل على تحقيق مطامعها التوسعية.

هذا ما كان يتهدد البلاد العربية وخاصة سورية من عقد الحلف التركي العراقي وما تبعه من ضغط وتآمر، وهذا ما دفع بحزبنا الى تلافي الخطر بتشكيل ائتلاف من بعض الاحزاب والكتل والاتفاق مع حكومتي مصر والسعودية على عقد الميثاق الثلاثي الذي يقوم على رسم سياسة خارجية مستقلة للامة العربية، وعندما تم الاتفاق على جميع نقاطه وأعد للتوقيع أصر الحزب الوطني احد اطراف الائتلاف على عدم توقيعه ولا بد من الاشارة هنا الى مقام الرئاسة الاولى (يقصد هاشم الاتاسي) المعروف بتمسكه باهداف الدستور وعدم تخطيه لصلاحياته الدستورية كان غير مقتنع بالسياسة الخارجية التي قامت على اساسها حكومة الائتلاف وكاد ذلك يفتح باب ازمة دستورية.

في هذا الظرف الدقيق المشحون بالاخطار جرت معركة الرئاسة ورافقتها ملابسات ومفاجآت اسفرت عن تكتل جديد للعناصر المحافظة ذات المصالح الكبرى التي تقف عثرة في سبيل التقدم والاستقرار في الداخل، وتحول دون اتجاه السياسة العربية في طريق الاستقلال والتوحيد السليم والرفض الصريح للاحلاف الاستعمارية، وهذا ما يفرض سلفا على الوضع المقبل نوعا معينا من السياسة الداخلية والخارجية يوحي للشعب بالحذر الشديد ويفرض على حزبنا ان يقف من الحكم موقف المعارضة.

ان الحزب يعتبر ان قضية الشعب العربي في سورية والاقطار الاخرى اضحت قضية واضحة لا مجال فيها للالتباس والارتجال وهي قضية الملايين العديدة من افراد الشعب الذين يعانون من الاستعمار والاستثمار وتجزئة الوطن الواحد ويناضلون نضال موت او حياة ضد القوى التي تحول بينه وبين الحرية والحياة الكريمة، اي ضد الاستعمار ومشاريعه والرجعية الداخلية ذات المصالح الكبيرة الجشعة التي تلتقي في اكثر الاحيان مع مصلحة الاستعمار، وتبعا لهذه الحقيقة فان الحزب ينظر الى الاشخاص المسؤولين والسياسيين من خلال الاتجاه الذي ينحازون اليه والقوى التي تدعمهم، لا من خلال صفاتهم الشخصية ونواياهم، لان الاوضاع في مرحلتنا لها التأثير الاكبر ولا حيلة للاشخاص في التغلب عليها الا اذا انفصلوا عنها وانضموا الى القوى الشعبية التي لها مصلحة وارادة في تبديلها وخلق اوضاع جديدة سليمة هي وحدها القادرة على تحرير العرب وتوحيدهم وتحقيق نهضتهم.

وبناء على ما تقدم يرى الحزب من واجبه كطليعة الشعب العربي ان ينسجم مع نظرة الشعب الذي يقف من الظرف الحاضر وما يرافقه من ضغط خارجي وتكتل رجعي داخلي موقف التأهب للدفاع عن استقلال سورية والوطن العربي عامة تجاه حملات الدول الغربية والصهيونية وللدفاع عن الدستور والحريات والخطوات التقدمية التي انتزعها الشعب بدمائه، وهو مؤمن بأنه بتأهبه يشكل المراقبة الشعبية والبرلمانية الفعالة التي تحول دون تكرر الاخطاء السابقة وعودة الاساليب البالية وعدم التخاذل امام القوى الاستعمارية والمؤامرات الصهيونية".

استشارات تأليف الحكومة

شرع القوتلي بالسعي لتأليف الحكومة الجديدة قبل تسلمه رسميا رئاسة الجمهورية فعقد بتاريخ 3-9-1955 اجتماعا في منزله دعا اليه جميع احزاب المجلس وكتله، وقد آثرنا الا نحضر هذا الاجتماع بعد ان ابلغناه اعتذارنا عن الاشتراك في الحكومة ورجوعنا الى موقعنا الطبيعي في صفوف المعارضة، وقد عرض القوتلي للمجتمعين خلاصة ابحاثه ومذاكراته مع احزاب المجلس وكتله وتوقف بصورة خاصة عند اجتماعه بنا وذكر للمجتمعين اننا اظهرنا تمسكا شديدا بالحياة الدستورية الصحيحة التي لا تتجاوز فيها اي سلطة حدودها لتتدخل في شؤون السلطات الاخرى، واننا اكدنا له ان الطريق التي يجب ان تسلكها سورية في حقل السياسة العربية هي توقيع الميثاق العربية وسياسة الحياد والابتعاد عن الاحلاف الاجنبية في الحقل الخارجي... ثم اكد القوتلي للمجتمعين انه وطد عزمه على التقيد باحكام الدستور روحا ونصا، كما قال بأنه طمأن البعثيين الاشتراكيين بأن الجميع متفقون على عدم السير في سياسة الاحلاف، وقد اظهر القوتلي اسفه لاننا لم نحضر الاجتماع وطلب الى الدكتور القدسي ان يتصل بنا مجددا.

استمر القوتلي في مساعيه لتأليف الحكومة الجديدة فبدات الخلافات الحادة تظهر بين حزب الشعب والحزب الوطني مما حال دون الاتفاق على الشخص الذي يؤلف الحكومة حتى **تسلم القوتلي مهامه الرئاسية الرسمية بتاريخ 6-9-1955**

فـي حفـل اقامـه لـه المجلـس النيـابي فسـلم الـرئيس السابق هاشم الاتاسي الرئيس الجديـد شـكري القـوتلي مهام الرئاسة، وهي المرة الاولى منذ الاحـتلال الفرنسـي التـي يسـلم فيهـا الـرئيس القـديم الـرئيس الجديـد دفـة الرئاسة، حيث كانت المجالس النيابيـة تحـل بقـرارات مـن المفوض السامي او تنتهي باستقالة رئيس الجمهوريـة او وفاته او انقلاب عليـه، وكـان هـذا الحـدث بشـيرا باسـتقرار الحيـاة الديموقراطيـة وقـد قـدم صـبري العسـلي رئـيس مجلس النواب في اليـوم نفسـه وفقـا للتقاليـد الدسـتورية استقالة وزارته.

كلف شـكري القوتلي رئيس المجلس النيابي - كمـا تقضـي الاعـراف الدسـتورية - ان يجـري الاتصـالات مـع الاحـزاب والكتـل لتشـكيل وزارة قومية وعندما اجتمع بنا ناظم القدسـي لفتنـا نظـره بصورة خاصـة الـى الاهـداف الخطيـرة التـي يرمـي اليهـا مشـروعا دالس وجونستون وكيف ان الـدول الغربيـة تحـاول ان تفـرض علـى العرب الصلح مع اسرائيل لتمنحها بموافقة الحكومـات العربيـة كـل ما اغتصبته من فلسـطين متجاهلـة قـرارات الامـم المتحـدة وحـق اللاجئين بالعودة الى الوطن، كما تحاول الدول الغربية الثلاث انهـاء الحصـار الاقتصـادي العربـي علـى اسـرائيل بـداعي ايجـاد علاقـات طبيعية متبادلة بين العرب واليهود وما سيجر ذلك من نتائج قوميـة خطيرة، وهـذا مـا يجعلنـا نحـن البعثيـين الاشـتراكيين نتطلـع الـى حكومة تنـاهض الاحـلاف وتتمسـك بسياسـة الحيـاد اكثـر مـن اي وقت مضى، وتجعلنا نعتقد بأن الضمان لانجاح هـذه السياسـة هـو انجاز الميثاق العربي، وفـي نهايـة الاجتمـاع طلبنـا مـن القدسـي تبليـغ رئـيس الجمهوريـة ان حـزب البعـث العربـي الاشـتراكي لـن يشترك بالحكومة الجديدة ولكـن موقفـه مـن تأييـدها او معارضـتها سيكون متوقفا على خطة الحكومة وعلى قـدر الثقـة بأشخاصـها، وقد آثرنا بعد ذلك عدم حضـور الاجتماعـات التـي اسـتمرت دون ان يتمكن رئيس الجمهورية من التوفيق بين تناقضات الحـزب الـوطني وحزب الشعب والكتل المجلسية الاخرى، ثـم دعينـا بتـاريخ 12-9-

1955 مرة اخرى لمقابلة رئيس الجمهورية مقابلة خاصة بداعي انه يريد ان يسمع بنفسه وجهه نظرنا بتأليف الوزارة الجديدة، وخلال اجتماعنا به حضر ممثلو الاحزاب والكتل الى القصر الجمهوري فاصر الرئيس علينا بالبقاء ثم عاد ليقترح تشكيل حكومة قومية جديدة دون ان يشير الى الخطة التي يجب ان نسير عليها.. وهنا قلت:

ما دام الخلاف قائما بين احزاب المجلس وكتله حول موضوع السياسة العربية والخارجية، وهما امران خطيران في الظروف الراهنة ولا سيما بعد ان طرح دالس مشروعه الرامي الى عقد صلح مع اسرائيل لاقامة حلف عسكري يربط منطقة الشرق الاوسط بالغرب فان تأليف حكومة قومية امر مستحيل فنحن نتمسك بسياسة مقاومة الاحلاف الاجنبية كما نتمسك بالميثاق العربي ونرى ضرورة انجازه لانه الخطوة الاولى على طريق تحرير العالم العربي من الاستعمار وحليفته اسرائيل والبداية لتحقيق وحدة عربية شاملة تستهدف رفع مستوى الامة العربية وتضمن معها البقاء والاستقرار والعيش الكريم.

هذه وجهة نظرنا وهنالك من يخالفنا في وجهة نظرنا هذه من احزاب المجلس وكتله لانها تساند عمليا سياسة الاحلاف التي يدعو لها نوري السعيد، وان كان بعضها يتظاهر بأنه لا يوافق على ربط سورية بعجلة الاحلاف الاجنبية لادراكه ان الشعب لا يقره على هذه السياسة... عندئذ قال ناظم القدسي للمجتمعين:

ان اكرم الحوراني قد كشف عن جوهر الازمة ثم استطرد:

ان سورية لن تستطيع ان تنعم بالاستقرار ما لم تتفق الاحزاب والكتل البرلمانية على السياستين العربية والخارجية وهنا قلت للمجتمعين:

ان الحقيقة التي يشير اليها الدكتور القدسي ليست بالجديدة، ثم ذكرتهم بالاجتماعات المتوالية والساعات الطويلة التي قضيناها مع ممثلي الاحزاب والكتل البرلمانية في لجنة

الشؤون الخارجية للاتفاق على رأي موحد حول السياسة العربية والخارجية التي يجب ان تنتهجها سورية، وكيف ان حزب البعث كان متفقا كل الاتفاق مع خالد العظم على ضرورة تجنيب سورية وبقية البلاد خطر الاحلاف الاجنبية وانجاز الميثاق العربي، في حين كان المعارضون يلتزمون جانب الصمت تارة ويعارضون هذه السياسة تارة اخرى، ولفت نظر المجتمعين الى ان الصلح بين العرب واسرائيل يعني افساح المجال امام توسع اسرائيلي جديد في اول فرصة لاسرائيل.

تدخل رشدي الكيخيا في هذه المناقشة منزعجا من صراحة القدسي وانزلاقه في فضح سر الازمة التي يكمن فيها الخلاف واراد ان يلف حول الموضوع فقال:

لم يكن هنالك في الماضي فارق يذكر بين حكومة فارس الخوري وبيان الحكومة المؤتلفة في حقل السياسة الخارجية والعربية، وان حزب الشعب لم يقل بسياسة الاحلاف الاجنبية وهو يرفض الصلح مع اسرائيل كما انه لا يعارض الميثاق العربي الا لعدم اطلاعه عليه من ناحية ولانه يستبعد العراق من ناحية ثانية، فأجبته قائلا:

الحقيقة ان هنالك خلافات اساسية كثيرة ويكفي ان اذكر منها ان فارس الخوري تعهد امام المجلس باسم حكومته تجنيب سورية سياسة الاحلاف الاجنبية ثم عاد من مؤتمر القاهرة ليقول: انه اذا لم يكن هناك نفع من الحلف العراقي التركي فليس فيه ضرر، بعد ان كان يصرح قبل ذهابه الى القاهرة ان الحلف العراقي التركي يخالف ميثاق الجامعة. ثم استطردت قائلا:

ان حكومة الجبهة المؤتلفة هي التي وقفت امام الضغوط الاجنبية وانقذت سورية من المؤامرات الاستعمارية وصانت سيادة البلاد واستقلالها من العبث ثم اردفت:

ان القول بعدم دخول الاحلاف شيء ومقاومة الدخول بالاحلاف شيء آخر، كما ان رفض الصلح مع اسرائيل شيء والاستعداد لدرء خطرها عن العرب شيء آخر، وانني لاستغرب كثيرا ان يكون

زعيم معارضة الحكومة السابقة التي وضعت اسس الميثاق غير مطلع عليه على الرغم من ان جميع الصحف العربية قد نشرته، كما ان وزير الخارجية قد ادلى ببيان مسهب عنه، واختتمت الحديث بقولي:

اننا سنؤيد كل حكومة موثوقة بأعضائها واضحة في تبنيها لسياسة الميثاق العربي ومقاومة الاحلاف ورفض مشروع جونستون ودالاس، صريحة باستعدادها للمساهمة باحباط كل مؤامرة على البلاد العربية في ثوب مشاريع استعمارية، امينة على تنفيذ احكام الدستور ولا سيما ما يتعلق منها بالامور الاصلاحية الاساسية والحريات الديموقراطية. ضاق الكيخيا ذرعا بحديثي فقال:

من الصعب للغاية الاتفاق في مجلسنا النيابي الحاضر على سياسة واضحة، ولذلك من الافضل ان نتفق على حل انفسنا ما دام الدستور لا يجيز حل مجلس النواب الان..

قلت له:

انني ارحب باجراء استفتاء شعبي جديد عن طريق انتخابات شعبية حرة واذا كنتم جادين فيما تقولون فما عليكم الا ان تتقدموا باقتراح خطي بذلك الى مجلس النواب.

كان لهذه المناقشة التي نشرتها الصحف اثرها البعيد، فقد صرح هاني السباعي احد نواب حزب الشعب بأن اكرم الحوراني قد رفع مستوى البحث في الازمة الوزارية الى المستوى القومي الصحيح، وقال:

"ان اكرم الحوراني قد وضع النقاط على الحروف في حين تلهى الاخرون بالقشور ليخبئوا الاسرار الدفينة في صدروهم"

كما بدأ العديد من النواب يظهر تأييده وتعاطفه مع حزب البعث العربي الاشتراكي ما عدا المرتبطة مصالحهم بالخارج كالسيد ميخائيل ليان عميد الاحلافيين في الحزب الوطني الذي يملك في لواء اسكندرون اراض واسعة في منطقة (العلوان) وفي

منطقة (قشلة الانكليز) كما يملك اراض في منطقة (العاقطية) التابعة لانطاكية ولا شك ان هذا كان سببا من الاسباب التي جعلت ميخائيل اليان يستسلم لتركيا ويقف ضد الميثاق العربي ويساند الحلف العراقي التركي [1]

□

بعد الاجتماع المذكور اذاعت محطة الشرق الادنى البريطانية التي كانت تذاع من قبرص خبرا مختلقا فيه تهديد مبطن لي بالقتل مفاده ان قنبلة قد القيت علي عندما كنت مارا في بانياس بطريق عودتي من صلنفة واعادت اذاعته عدة مرات.

□

واخيرا تشكلت حكومة سعيد الغزي على النحو التالي بعد ازمة مستعصية لم يلتفت فيها القوتلي الى مطالب الحزب الوطني بأن يكون متساويا او مرجحا في الحقائب الوزارية مع حزب الشعب:

سعيد الغزي	للرئاسة والخارجية
منير العجلاني	لوزارة العدل
حسن الاطرش	وزيرا للدولة
عبد الباقي نظام الدين	للاشغال العامة والمواصلات
رشاد برمدا	لوزارة الدفاع
علي بوظو	لوزارة الداخلية
عبد الوهاب حومد	لوزارة المال
محمد سليمان الاحمد (بدوي الجبل)	وزيرا للدولة
رزق الله انطاكي	لوزارة الاقتصاد الوطني

(1) يشير وليم كرين ايفلاند مسؤول المخابرات الاميركية الى علاقة ميخائيل ليان بالمخابرات المركزية ويتحدث بالتفصيل عما كان يقدم له من اموال وعن دوره في مؤامرة عام 1956 على الوضع الوطني الديموقراطي خلال العدوان الثلاثي على مصر (كتاب حبال من رمال - الطبعة الاولى - دمشق 1983 - ص 351-398)
كما تشير وثائق حلف بغداد الى المبالغ التي كان يتقاضاها من المخابرات العراقية (كتاب محكمة الشعب ص 188)

مأمون الكزبري	لوزارة المعارف
اسعد هارون	وزيرا للدولة
بدري عبود	للصحة والاسعاف العام
مصطفى ميرزا	وزارة الزراعة

بيان حكومة الغزي الوزاري ومناقشته في المجلس النيابي

بتاريخ 20-9-1955 القى سعيد الغزي بيان حكومته الوزاري لينال الثقة على اساسه، وقد تأخر في القائه حتى سويت الخلافات حول صيغته في مجلس الوزراء، فجاء بيانا رخوا لم يحدد بوضوح موقف الحكومة تجاه اخطر القضايا المطروحة في الساحة العربية والدولية كمقترحات دلس ومشروع جونستون والميثاق العربي الثلاثي وقضية التسلح من الاتحاد السوفيتي ومقاومة حلف بغداد ومناهضة سياسة الاحلاف عموما وفيما يلي اهم ما ورد في البيان:

"ان حكومتنا تعمل على حفظ استقلال وسيادة سورية في ظل النظام الجمهوري الديموقراطي، وان سورية تحرص على ان تكون سياستها الخارجية مستلهمة من مصلحة الامة العربية وهي تعمل مع شقيقاتها العربيات على تحرير جميع الاقطار العربية التي لم تستكمل سيادتها بعد وهي تعلن ان لا مصلحة لها في الانضمام الى الحلف العراقي التركي او الى اي حلف من الاحلاف الاجنبية" وهي "ترفض كل فكرة صلح مع اسرائيل كما ترفض اقامة اية علاقة معها مهما كان نوعها، وتعتبر ان خطوط الهدنة جميعا هي خط واحد اذا اعتدي على جزء منها تنادت له بقية الاجزاء"

"ستستأنف حكومتنا المباحثات التي قامت بها الحكومة السابقة حول مشروع الميثاق الثلاثي على ان تكون اساسا لميثاق قومي عربي يشمل جميع الدول العربية الراغبة في الانضمام اليه شريطة الا تنقل تعهداتها والتزاماتها حيال الدول الاجنبية الى الدول العربية المشتركة فيها"

كانت مناقشة بيان حكومة الغزي مناسبة امام الحزب ليحدد بوضوح موقفه تجاه اخطر القضايا العربية والدولية السابقة

والمستجدة، ولذلك انصرفت قيادة الحزب - خلال ايام - لوضع بيان شامل لجميع القضايا المطروحة في الساحة الداخلية والعربية والدولية.

اتى البيان محيطا بدقائق وتفاصيل القضايا التي تعرضنا اليها، وفي جلسة الثقة بتاريخ 24-9-1955 **تكلم عدد كبير من اعضاء المجلس النيابي وظهر من مجمل مناقشتهم لبيان الحكومة انه قد تشكل بالفعل - ولاول مرة - رأي عام واضح مركز يؤيد وجهة نظر البعث العربي الاشتراكي في مختلف الامور الداخلية والعربية والدولية.**

وقد اتفقنا على تكليف الاستاذ خليل كلاس بالقاء البيان، وفيما يلي معظم ما جاء فيه وقد اثبته هنا لاهمية موقف الحزب من المشاريع المطروحة، هذا الموقف الذي كان معبرا عن ضمير الجماهير الشعبية في سورية والعالم العربي..

"في هذا الظرف الخطير من تاريخنا القومي الذي تحاول فيه قوى الاستعمار والصهيونية القضاء على الاتجاه التقدمي الديموقراطي في سورية تمهيدا لتنفيذ ما اعلنته من مشاريع ابتدأت في الحقبة الاخيرة بالحلف العراقي التركي البريطاني، وانتهت الان الى مشروع دالس الذي هو بحق اكثر هذه المشاريع خطرا وتهديدا للكيان القومي لما انطوى عليه من جدية وتصميم على عزم الاستعمار الاميركي التدخل مباشرة وفرض حلول قسرية من شأنها ان تنزع نهائيا زمام السيادة من يد الشعب العربي، وان تدفع العرب الى التسليم بجميع مطالب اسرائيل العدوانية، بعد توطيد دعائم الصلح معها والزام العرب باقرار مشروعية وجودها، والتمكين لهذا الوجود بما يساعدها على تهيئة الاسباب لتوسعها وبسط نفوذها على بقية اجزاء الوطن العربي.

في هذا الظرف الخطير تتقدم حكومة سعيد الغزي ببيانها الوزاري، وهي اول حكومة تأتي بعد انتخاب شكري القوتلي رئيسا للجمهورية."

"انه جدير بنا ان نلقي نظرة على هذه الحكومة التي يفترض بها انها جاءت لمواجهة هذا الظرف الخطير مزودة بتفكير جديد، ومنهاج مدروس، وعناصر متحررة منسجمة حتى تكون اهلا للاضطلاع بالعبء والمسؤولية".

"اننا امام تكتل وزاري من عناصر مختلفة متنافرة، تصطنع تبريرا جديدا لاخفاء مصالح تقليدية تحت ستار من تسميه بالسياسة القومية ووحدة الصف الوطني".

"لقد جاء بصفحات السياسة الداخلية الخمس من البيان الوزاري: ان الحكومة عازمة على مكافحة مظاهر الانحلال الخلقي بالقضاء على اسباب وجودها... ان اصل وجود هذه المظاهر موضع خلاف كبير في الرأي، فنحن مثلا نرى ان اخطر مصدر للانحلال الخلقي لا في سورية فحسب وانما في مختلف اقطار العرب، انما يعود الى تلك الحرية المطلقة التي تعيش في جوها، وفي قلب بلادنا تلك المؤسسات والشركات وشبكات التجسس التي ترتع في كل مكان بلا رقابة، وتعمل في مختلف انحاء الوطن العربي افسادا وتخريبا"

"ان نهج الحكومة المبهم الغامض في بيانها الوزاري هو نهج خطر ولا سيما في هذا الظرف الذي تجتاح فيه البلاد ازمة اقتصادية تتطلب حلولا عاجلة وقائية حازمة قبل ان يستفحل امرها ويستعصي على البلاد حلها".

"اما في السياسة الخارجية فقد نوهنا في مستهل كلمتنا هذه عن المشاريع التي اعتزم الاستعمار الغربي والصهيوني تنفيذها، فما هو موقف الحكومة منها وما هو رأيها في درء خطرها؟"

"لقد جاء في بيان الحكومة ان لا مصلحة لسورية في الانضمام الى الحلف العراقي التركي... ان هذا القول هو انعكاس لوجهة نظر حكومة نوري السعيد القائلة بان للعراق مصلحة بعقد هذا الحلف".

ثم يتعرض بيان حزب البعث بالتفصيل لتحليل الحلف العراقي التركي ومشروع دالس ثم مشروع الميثاق الثلاثي داعما هذا التحليل بنصوص من الوثائق الرسمية:

الحلف العراقي التركي

في الرابع والعشرين من شهر شباط عام 1954، وقعت حكومة بغداد مع حكومة انقرة ميثاقا للتعاون المتبادل بين العراق وتركيا، وقد قضى هذا

الحلف في مادته الاولى بأن يتعاون الطرفان المتعاقدان في سبيل ضمان سلامتهما والدفاع عن انفسهما على ان تتحدد التدابير اللازم اتخاذها لتحقيق هذا التعاون في اتفاق خاص، وقد تعهد الطرفان المتعاقدان لبعضهما في المادة الرابعة بعدم الارتباط بأية التزامات دولية لا تتفق مع قيود ميثاقهما ومع الاتفاقات الخاصة الناجمة عنه.

وقضت المادة الخامسة منه بأن يظل بابه مفتوحا امام جميع الدول المهتمة بأمر السلام والامن في هذه البقعة من العالم، وأما المادة السادسة فقد نصت على انه في حالة بلوغ الدول المنضمة الى هذه المعاهدة الاربع، يصار الى انشاء مجلس دائم على صعيد الوزراء يتولى بنفسه وسائل وطرق الاجراء التي سيتبعها، تلك هي الخطوط العريضة للحلف العراقي التركي.

وما ان تم ابرامه حتى بدأت محاولات الضغط تتوالى على سورية لارغامها على الانزلاق في مهاويه، وقد بدأت حملة الضغط الاميركية بعد يومين اثنين من ابرام الحلف حينما ابلغ السفير الاميركي رئيس الحكومة السابقة تأييد حكومته للحلف العراقي - التركي، وعبر عن امل حكومته في ان تتصرف سورية على نحو يجعل الطريق مفتوحا امام امكانية انضمامها الى منظمة الدفاع النامية على اساس الحلف العراقي التركي، ثم سارعت بريطانيا لتنفيذ اغراضها الاستعمارية من الحلف العراقي التركي الذي كانت الغاية الاولى منه بالنسبة لها ايجاد الوسيلة اللازمة لها لتعوض على نفسها ما سيفوته عليها انهاء اجل المعاهدة العراقية البريطانية التي اصبحت بحكم المنتهية، فما ان مضت ايام قليلة حتى اعلنت انضمامها الى هذا الحلف، وذلك في الخامس من نيسان 1955 وقد كشف وزير الخارجية المستر ايدن آنذاك النقاب عن غاية بريطانيا من دخول الحلف بقوله في مجلس العموم: "وأهم ما في الاتفاقية الجديدة نصها على التعاون الوثيق المتواصل بين قوات الطرفين المسلحة وستكون هناك تخطيطات وتمرينات مشتركة في ايام السلم كما سيكون بوسعنا ايداع مخزونات عسكرية وأعتدة حربية في العراق لاستخدامها في حالة وقوع حرب، وسيكون هناك مستشارون ومدربون بريطانيون للمساعدة في تدريب الجيش العراقي، وسنقدم ايضا عددا من العسكريين للمساعدة في تدريب القوة الجوية العراقية ولاسداء المشورة باستمرار فيما يتعلق بأساليب التدريب وفنونه في جميع المراحل، ونحن نحافظ الان على التسهيلات اللازمة لطياراتنا في العراق في تحليقها

وهبوطها واصلاحها، ويبقى في العراق موظفو التصليحات البريطانيون لاصلاح الطائرات البريطانية والعناية بأمورها، ويأتمر هؤلاء الموظفون بأوامر ضباط بريطانين وسيتمتع هؤلاء بالحصانة المناسبة، اما المنشآت القائمة في المطارات فستبقى ملكا لبريطانيا، وهكذا تتوفر لنا جميع التسهيلات والتدابير الضرورية لتمكيننا من القيام بدورنا في سبيل الدفاع عن الطرق في الشرق الاوسط، واستمر المستر ايدن يقول:

"وتدل الاتفاقية فيه على تحول جديد في علاقاتنا مع العراق، فقد ابتعدنا عن التدابير الثنائية التي نصت عليها اتفاقية عام 1920 التي كان من المقرر لها ان تنتهي بعد 18 شهرا ولكنها انتهت الان بفضل الاتفاقية الجديدة، واستعضنا عن ذلك بنظام يمكن ان يكون اساسيا لتدبير دفاعي عام في الشرق الاوسط، واننا لنرحب ترحيبا حارا بالدور الذي لعبه حلفاؤنا الاتراك في سبيل جعل هذا الترتيب الجديد امرا ممكنا، واملنا ان يضم هذا الترتيب اليه فيما بعد عددا آخر من دول المنطقة".

ايها السادة: لا نعتقد اننا بحاجة الى اكثر من بيان وزير الخارجية البريطانية للتدليل على خطورة الحلف العراقي البريطاني وما يهدف اليه من غايات:

فهو اولا، توطيد جديد وعلى نطاق اوسع واساس اعمق لدعائم الاستعمار البريطاني في العراق، اذ انه بعد ان شارفت المعاهدة البريطانية على الانقضاء من تلقاء نفسها بعامل الزمن عمدت حكومة نوري السعيد الى تقييد العراق الشقيق بسيطرة بريطانية دائمة زمن الحرب والسلم معا على جميع مرافقه العسكرية والاستراتيجية والدفاعية ودمج كلي لقوى الطرفين واخضاع الجهاز الدفاعي بمجموعه وبكافة قواه البرية والجوية للسيطرة البريطانية مباشرة ولمجلس الحلف الدائم في المستقبل.

وهو ثانيا (اي الحلف) محاولة خطيرة لفصم عرى وحدة الاقطار العربية، وذلك بعزل مصر والسعودية عن الصف العربي، وقد تأيد ذلك ايضا باشارة السفير الاميركي في مفكرته بتاريخ 26 شباط 1955 اذ جاء في فقرتها الاولى:

"ويمكن مع الوقت ان يضم الحلف باكستان وايران وبعض الدول العربية"

وقد لفت وزير الخارجية السورية السيد خالد العظم نظر مجلسكم الكريم الى كلمة بعض الدول العربية.

وقد رسم الاستعمار الاميركي سلفا للبلاد العربية خطا استراتيجيا قسم فيه الوطن العربي الى منطقتين: المنطقة الاولى منطقة الحلف وتشمل دول الهلال الخصيب والمنطقة الثانية وتشمل مصر والسعودية واليمن وبقية الامارات العربية الاخرى.

وهو ثالثا: تحويل اساسي لخطة العرب في الدفاع عن كيانهم القومي ضد اسرائيل ودمج هذه الخطة في التخطيطات الدفاعية للاستعمار الغربي التي تهدف اولا واخيرا الى حماية مصالحه في الشرق الاوسط.

وهو رابعا: يعني موافقة حكومة العراق على الصلح مع اسرائيل، اذ جاء في مفكرة السفير الاميركي لحكومة الائتلاف قوله: "ان نمو الترتيبات الدفاعية وكذلك تحسين العلاقات العربية الاسرائيلية امر ضروري للمساهمة الفعالة من قبل الولايات المتحدة الاميركية في الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط، وان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تبدد مواردنا على قوى غير متجانسة داخل المنطقة".

كما وان المستر ايدن لم يخف على مجلس العموم البريطاني نوايا الاستعمار في هذا الصدد حينما سأله المستر هربرت هورسيون نائب زعيم المعارضة عما اذا كانت الحكومة البريطانية قد اخذت بعين الاعتبار اثناء انضمامها للحلف موقف اسرائيل، اذ اجاب الوزير البريطاني بقوله ان الاتفاق الجديد يعتبر بالنسبة لاسرائيل تطورا مرغوبا فيه حقا، فهذه هي المرة الاولى التي تنظر فيها دولة عربية هي العراق الى قضية الدفاع عن الشرق دون ان تدخل فيها قضية محاربة اسرائيل، كما قال: "ان اهم تطور في الشرق الاوسط هو اقامة تسوية ما بين اسرائيل والدول العربية" واستطرد البيان:

في زحمة هذه الاحداث التي توالت على سورية وفي خضم حملات الضغط الاجنبي التي سلطت عليها من كل جانب من جوانب الاستعمار الغربي والاسرائيلي، وفي غمرة هذه السلسلة المتلاحقة من المؤامرات الداخلية التي تهدف الى قيام حكم داخلي يمشي مع سياسة بسط النفوذ الاجنبي ولدت فكرة الميثاق العربي، وكان ذلك عندما جاءت الشقيقة الكبرى مصر لتقول لنا على لسان موفدها الرسمي بأنها تشاطرنا الرأي في تجنب البلاد العربية سياسة الاحلاف العسكرية الاجنبية، وتشاطرنا الرأي في ان السياسة العربية يجب ان تستهدف توضيح الشخصية المستقلة للامة

العربية في الميدان الدولي، وتشاطرنا الرأي في ان من واجب الاقطار العربية ان تعمل على تقوية نفسها وتفجير مواهبها وامكاناتها وتسير في سياسة عربية موحدة، وتقيم نظاما لاقتصاد عربي موحد يستند الى سوق موحدة ونقد موحد، وتؤسس قواها الدفاعية على دعائم جيش عربي موحد بقيادة موحدة زمن السلم والحرب يستند الى سياسة موحدة في التسليح والتصنيع الحربي يدعمه صندوق مالي مشترك تتكاتف جميع امكانات العرب لتمويله.

لقد كان ذلك منفرجا لما تعانيه سورية من ازمات، وكان حقا على الحكومة السورية ان تتشبث تشبثا صحيحا بكل حرف من حروف هذا العرض الاخوي، اذ كان دور سورية القومي ان تسرع الى المبادهة منذ ان بدأت حملات الضغط على بلادنا، وخاصة خلال مؤتمر رؤساء الوزارات العربية في القاهرة، وانا لنسجل بأن حكومة الائتلاف قد سجلت فوزا قوميا كبيرا حين سارعت للاستجابة الى عرض الشقيقة مصر، وبدأت فورا مشاوراتها معها، تلك المشاورات التي انتهت بسرعة الى اذاعة البيان المشترك بين سورية ومصر في 1955/3/12، هذا البيان التاريخي القومي الذي اعلن الاسس التي نوهنا عنها في عرض مصر، والذي تلته زيارة وزير الخارجية لبقية الاقطار العربية، الاردن والسعودية ولبنان، وكانت هذه الزيارات جميعها تهدف الى غرض واحد هو دعوة حكومات جميع هذه الاقطار لتبني الاسس والمباديء التي نادى بها البيان المشترك، واعلان الاشتراك في هذا البيان، ليصار الى عقد مؤتمر تصاغ فيه نصوص لميثاق قومي يحقق هذه الاغراض ويوضع موضع التنفيذ من قبل جميع الاقطار العربية الموقعة عليه فور ابرامه، وقد اسفرت هذه الزيارات عن استجابة المملكة العربية السعودية فورا لهذا البيان، واعلانها الانضمام اليه، اما حكومة لبنان فقد آثرت التريث ونحت الاردن نحوها، الا انه لا يخلو من فائدة القول بأن الهدف الاول الذي توخاه الوفدان السوري والمصري الى الاردن كان يرمي الى مباحثة الاردن على اساس انقاذ جيشه من القيادة البريطانية التي لا تلزمه بها المعاهدة البريطانية الاردنية وانما كان لقاء المعونة البريطانية لجيش الاردن، ولدراسة جميع ما يحتاجه القطر الشقيق من مؤازرات مالية، اما حكومة العراق فلقد بذل الوفد السوري قصارى جهده لجعلها تتفهم الاسباب التي دفعت سورية ومصر والسعودية ان تبنى سياستها على اساس البيان المشترك الثلاثي الذي لا يقصد منه ابدا عزل

العراق الشقيق، وانما مساعدته على التحلل من القيود التي فرضت عليه ليقوم بدوره القومي مع المجموعة العربية.

المقاومة الضارية للميثاق العربي والعقبات التي وضعت في طريقه

ما انعقد اجماع الجهات الاستعمارية على امر، وتضافرت جهودها ومساعيها لاحباطه قدر ما انعقد على نسف الميثاق العربي، واذا لم يكن بين ايدينا، من نصوص الميثاق ومن بنوده سوى هذا الموقف الاستعماري الدولي منه، لكفانا ذلك دليلا على ان العرب - ولاول مرة في تاريخهم القومي الحديث - قد سلكوا الطريق الصحيحة نحو الحرية والوحدة.

وانما سنعمد الى عرض ما لاقته البلاد من صعوبات خلال مراحل مفاوضات الميثاق ليكون مجلسكم الكريم على بينة من وجهة النظر الاستعمارية حيال هذا الميثاق القومي.

1- **تركيا:** استهلت تركيا حملة التهويش والضغط على سورية بما تعلموه من امر المفكرات السياسية القاسية التي وجهتها الى الحكومة السورية والتي ارادت ان تعتبر فيها البيان المشترك الثلاثي، وبالتالي مشروع الميثاق العربي، الذي هو التعبير الايجابي للبيان موجها ضدها، ومع ان هذا الاتهام هو واضح ومفضوح، فان الحكومة التركية امعنت في هذا الاتجاه حتى انها عمدت الى حشد قواتها على الحدود السورية، وشرعت باجراء بعض المناورات العسكرية بغية الضغط والتهديد.

ولكن موقف الشعب والحكومة والجيش الصامد القوي من جهة، وموقف الشقيقات العربيات وبعض دول العالم من ناحية اخرى، احبط مفعول هذا التهديد وأفهم الشعب العربي انه ليس وحده في معركة الحرية.

2- **حكومة العراق:** وحينما فشلت مساعي الحكومة التركية اراد الاستعمار البريطاني التركي ان يحول هذا الضغط الرسمي الى حكومة العراق، لتقوم بتمثيل الدور من جديد، فكان ان وجه السيد نوري السعيد مفكرة الى الحكومة السورية السابقة يبلغها بأنه يعتبر ان الميثاق الثلاثي موجها ضد العراق، ولن تقبل حكومته الانضمام اليه، وتعتبره بالتالي مخالفا لميثاق الجامعة العربية والضمان الجماعي.

3- **امريكا:** وقد اسهمت امريكا رسميا في هذا الضغط حينما ابلغت الحكومة بأنها اذا كانت لا تريد احراج سورية لدخول في الحلف العراقي التركي فلا اقل من ان تطلب اليها عدم التورط في سياسة الميثاق العربي.

4- **بريطانيا:** ومن نافلة القول ان نشير الى دور بريطانيا في هذه الحملة ضد الميثاق العربي بعد ان اصبحت طرفا اصليا في الحلف فقد ابلغت وزير الخارجية السورية عند زيارته لندن بطريق عودته من سان فرنسسكو بقولها: "اننا لا نرغب الى سورية ان تساهم في اقامة الميثاق العربي المقترح لاننا نعتبره ضد سياستنا في الشرق الاوسط".

اما فيما يتعلق بمشروع وزير الخارجية الاميركي دالس الذي طرحه بتاريخ 1955/8/26 فسارع لتأييده وزيرا خارجية بريطانيا وفرنسا معا، ثم لحق بهما الامين العام للامم المتحدة، فان هذا المشروع ينهج منهجا جديدا في معالجة الاستعمار لشؤون سياسته في البلاد العربية، نهجا يختلف في اسلوبه عن جميع مشاريعه السابقة، اذ لم يسبق للاستعمار مطلقا، ان طارح العرب مباشرة وفي مشروع رسمي بالصلح مع اسرائيل، وانما كان يقدم مشاريعه تارة باسم الدفاع المشترك واخرى باسم المساعدات العسكرية وباسم مشاريع اقتصادية كمشروع جونستون واخيرا باسم التعاون المشترك في حلف العراق- تركيا.

وكان حزبنا منذ ان بدأت تتوارد هذه المشاريع المختلفة ويروج لها العملاء ويضغط من اجلها الاعداء، يقول بكل صراحة ان هذه المشاريع جميعها تنبع من معين واحد، الغاية منه احتلال بلاد العرب وفرض الصلح عليهم مع اسرائيل بعد التسليم لها لجميع مطالبها على حساب العرب وارض العرب.

وقد جاء مشروع دالاس الجديد مصداقا لما كنا نذهب اليه ودعما لوجهة نظرنا في السياسة الاستعمارية، جاء هذا المشروع يطرح بشكل وقح امام العرب مباشرة قضية الصلح مع اسرائيل على اساس ارغامهم بالتسليم المطلق بواقع اسرائيل الحالي وبجميع مطالبها، واضعا نفوذ امريكا وقواها العسكرية ضمانة لتنفيذ هذا الصلح بالقوة، وداعيا بقية الدول في هيئة الامم المتحدة للاسهام فيه.

الخلاصة ان مشروع دالاس هو الحلقة الاخيرة من سلسلة مشاريع الاستعمار الغربي الصهيوني الغاية منه:

اولا: تسوية قضية فلسطين على اساس التسليم الكامل بجميع مطامع اسرائيل وتهيئة اسباب الحياة الطبيعية لها في قلب الوطن العربي، واعطاء الفرصة لها لتنظيم شؤونها واعداد نفسها لتكون اداة لافساد الحياة العربية وبسط نفوذها وسيطرتها على العرب.

ثانيا: تحقيق مطامع الاستعمار الاميركي الرامي الى بسط نفوذه على البلاد العربية عن طريق المعاهدات الثنائية التي يدعو مشروع دالاس الدول المشتركة بحوض الاردن صراحة الى عقدها معه بحجة حمايتها واتخاذ موقف الحارس بينها وبين اسرائيل، الامر الذي يتضمن بالضرورة تمركز القوى العسكرية الاميركية في قلب الوطن العربي واسرائيل تحت ستار ردع العدوان والحفاظ على الامن في هذه المنطقة من العالم، وفي ذلك اتمام لسياسة الاحلاف التي درج على تنفيذها الاستعمار في البلاد العربية.

وهذا ما دعا حزبنا لان يقف امام مجلسكم الكريم في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخنا القومي هذا الموقف عله يستطيع ان يستنهض الضمير العام للتحسس الفعلي بالمخاطر المحيقة بالوطن العربي عامة وبسورية بوجه خاص ويوحد الجهود الصادقة لدرئها، وتجنيب البلاد ويلاتها وشرورها، ولا نعتقد ان امامنا الا احد طريقين اثنين:

الطريق الاول: هو الطريق التقليدي الذي تشكلت هذه الحكومة بالذات وأغلب الحكومات التي سبقتها، وفق منطقه، هذا المنطق الذي يقوم على اساس الشك بقدرة الشعب وامكانيته في التقدم والتحرر والانطلاق والذي يعمل على تبرير جميع سقطات وارتكابات الحكومات العربية باسم وحدة الصف المزيفة.

هذا المنطق الذي كان لسيادته في الجهاز السياسي طوال حياتنا الماضية اكبر الاثر في ضعف المناعة الشعبية، وفي اندحارها دوما امام الحملات الاستعمارية والصهيونية، وفي جعل البلاد تربة خصبة للمتآمرين والخونة والمأجورين، وافساح المجال امام كل مؤامرة اجنبية وجريمة قومية، والمسؤول طوال عشر سنوات من

الاستقلال دون اي اصلاح جذري في البلاد، واننا نعتقد جازمين بأن المضي بهذا الطريق بعد اليوم فيه تهديد جذري لحريتنا وحتى لوجودنا وبقائنا.

اما الطريق الثاني: فهو الطريق التقدمي، طريق التحرر الشعبي، الذي يستمد سلوكه من منطق الايمان بالشعب، والقناعة بأن الضمانة الاولى والاخيرة لحرية الامة العربية وسيادتها واستقرارها ووحدتها، انما هو في تحرير جمهور الشعب العربي في كل مكان، ووضع قضيته بيده.

هذا المنطق الذي يقضي في الداخل، باجراء اصلاحات جذرية اساسية ستساعد الشعب على التحرر من قيوده الكثيرة، وترفع مستوى تحسسه بقضيته، وتعده لان يكون الدرع المنيع الواقي، ضد اي خطر يراد به، ويكون هو الحصن الحصين للاستقرار الصحيح بحيث يقطع الطريق نهائيا على كل مغامر يريد ان يستغل سخطه ونقمته باسم الاستقرار الكاذب، لاشاعة الفوضى وتدبير المؤامرات واقامة حكم ديكتاتوري مستبد.

واخيرا ان هذا المنطق نفسه، منطق الايمان بالشعب والاعتماد على المستقبل والانسجام مع تيار التاريخ في هذا العصر يقضي في الحقل الدولي والسياسة الخارجية بأن تنتزع من بعض النفوس ذلك الوهم المرضي، المشوب بالكثير من النفعية، الذي يعتبر انجرار امتنا وراء الغرب قدرا محتوما، وان نعمل على السير في حقل السياسة الدولية والخارجية على اساس من مصلحتنا القومية - رضي الاستعمار الغربي الصهيوني ام سخط- وان نتحرر بالتالي من الخوف والشك في قدرتنا على التزام سياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين المتنازعين، التي نادى بها حزبنا منذ اكثر من عشر سنوات يوم كان القول بالحياد وهما وخيالا، والتي نحن الان اكثر ما نكون تمسكا بها وايمانا بجدواها خصوصا وان مئات الملايين من شعوب آسيا وبعض شعوب العالم الاخرى، قد اخذت بهذه السياسة وتألفت حولها، وما كان الشعب العربي في يوم من الايام اقل عزيمة ولا اضعف ايمانا من هذه الشعوب الناهضة الحرة، وله من ميادين نضاله الدامي للحرية، في اقطاره جميعا فيما مضى، وفي

المغرب العربي الان، اكبر دليل على قدرته وصموده واهليته للسير في طليعة شعوب العالم المتحفزة للنهوض واداء رسالة الحرية والحضارة والسلام.

□

بعد ان فرغ الاستاذ الكلاس من تلاوة البيان وقبل تصويت المجلس على الثقة رأيت من الضروري ان اتقدم من رئيس الحكومة بالاسئلة التالية:

1- ما هو رأي الحكومة بمشروع دالاس الاخير وهل تعتبره خطرا على الامة العربية؟ وما هي الطرق التي فكرت بها الحكومة لاحباط هذا المشروع ودرء اخطاره؟

2- هل الحكومة مستعدة لشراء السلاح من روسيا. اقول هذا بلا حرج لان اسرائيل اعلنت في مناسبات عديدة عن شرائها السلاح من روسيا وغيرها من الدول ولم تحتج اي دولة من دول العالم الغربي لا امريكا ولا بريطانيا التي تمدها بالسلاح، فما هو رأي الحكومة الحاضرة وهل هي مستعدة لاستكمال اسباب الدفاع عن حياة الشعب العربي، اي هل هي مستعدة لشراء السلاح من روسيا.

3- هل تعتبر الحكومة الميثاق العربي الذي لا يمكن ان نعتبره ميثاقا شخصيا كما لا يمكن دفنه بصندوق حديدي لانه ليس ملكا لوزير الخارجية السابق وبامكان الحكومة - اذا خرج وزير الخارجية خالد العظم عن الاعراف - وانا لا اعتقد ذلك - فان بامكانها ان تتلقى كل الوثائق المتعلقة بالميثاق الثلاثي من الدولتين العربيتين اللتين دخلتا بالمفاوضة مع سورية، واعتقد ان المفاوضات بشأن الميثاق السياسي والعسكري موجودة لدى الحكومة وبامكانها ان تطلع عليه بعد بلوغه المرحلة النهائية من المفاوضات، فهل تعتبر الحكومة حاليا ان الميثاق الثلاثي وسيلة فعالة مجدية في سبيل توحيد المجهود العربي ضد العدوان الاسرائيلي المنتظر تطبيقا لمشروع دالاس ولمشروعاتها التوسعية في البلاد العربية، وهل تعتبر الحكومة ان التأخير في ابرام الميثاق هو اعطاء الفرصة لاسرائيل وامريكا وبريطانيا وفرنسا لتنفيذ هذا المشروع الخطير؟

4- ما هو رأي الحكومة في مشروع جونسون؟ اقول هذا لان لجنة الموازنة قد ادخلت عن قصد وتصميم مشروع نهر بانياس في جملة مشاريع

الـري لمنـع اي قطـرة مـاء عربيـة تـذهب الـى اسـرائيل، وقـد خصصـنا الاعتمادات الكافية لتنفيذه، لان هـذا التنفيـذ يتعـارض اصـلا مـع مشـروع جونسون الذي يعطي الحق لاسرائيل بجميع الانهر العربية في الليطاني والحاصـباني وبانيـاس واليرمـوك، فمـا هـو موقـف الحكومـة مـن مشـروع جونستون ومقترحات دالس، اننا نريد جوابا صريحا واضحا، ونحـن نـرى ان مقترحات دالـس الاخيـرة تهـدف الـى تنفيـذ مشـروع جونسـتون واعطـاء اسـرائيل الحـق فـي الميـاه العربيـة اي منحهـا مكاسـب جديـدة علـى حساب الشعب العربي ومصالحه.

وكلمة اخيرة اقولها: ان اعتبار خطوط الهدنة خطا واحدا - كما جـاء فـي البيان الوزاري - واطلاق التعابير والشعارات لا يفيد شيئا فـي معركـة الحيـاة او الموت مع الاستعمار الغربي والصهيونية، فلن تكون خطوط الهدنة خطـا واحـدا بمجـرد تصـريح الحكومـة السـورية باعتبارهـا خطـا دفاعيـا واحـدا، ان هنالـك اسـاليب وطرائـق لتنفيـذ هـذه الشـعارات وتحقيقهـا، ونحـن لـم نـنس بعـد ان اسـرائيل قامـت باعتـداءات وحشـية علـى الحـدود المصـرية، فلـم تتحـرك اي حكومة عربية لنجدة الجيش المصري المشتبك بالقتال مع اسرائيل المعتديـة، ان التصاريح وحدها لا تفيد شيئا وأشد مـا اخشـى ان تركـز اسـرائيل ضـغطها على سورية لتخرجها من الساحة النضالية العربيـة وفـي ذلـك خسـارة كبـرى لحرية العرب ومستقبلهم، ان المعركة بين العرب والاستعمار الغربي واسرائيل معركة حياة او بقاء، فعندما نقـول ان الامـة العربيـة تمـر بمرحلـة خطيـرة جـدا، وعنـدما نصـرح ان الامـة العربيـة تـدخل الجولـة الثانيـة مـع اسـرائيل لا نكـون مبالغين، واننا لنرجو مـن المجلـس ومـن الشـعب ان ينظـر الـى هـذه القضـية على هذا المستوى من الخطورة والجدية.

كان جواب رئيس الحكومة على اسـئلتي مائعـا غيـر واضـح، ورجا ان اتقدم باسئلة خطية عن الامـور التـي تتعلـق بالـدفاع، ثـم نالت حكومة الغزي الثقة بـ 89 صوتا ضد 31 صوتا.

كان وقع بيـان الحـزب كبيـرا واثـره بالغـا، والاهـم مـن ذلك اننا شعرنا لاول مرة اننا قيادة واحدة لحزب واحد، فلـم يعـد هنالـك اختلافـات فـي الـراي حـول القضـايا العربيـة والدولية التي كانت تهدد وحدة الحزب باستمرار.

اما الاسباب التي دعتني الى تقديم هذه الاسئلة المحددة لرئيس الحكومة فهي:

1- اشاعت حكومة الغزي ان خالد العظم الذي كان طريح الفراش قد امتنع عن تسليم وزارة الغزي محاضر مفاوضات الميثاق العربي، وقد تعرض خالد العظم لهذا الاتهام في مذكراته، وقد اردت سلفا قطع الطريق على حكومة الغزي، لئلا تستخف بالميثاق كوسيلة لتجزئته، لان اهميته تكمن في كونه وحدة في اقسامه السياسية والاقتصادية والعسكرية.

2- ذكرت سابقا بأن سورية كانت سباقة في التعاقد على الاسلحة التشيكية، ولكنني اردت من السؤال الذي يتعلق بالاسلحة ان يكون التزود بالسلاح من المعسكر الاشتراكي سياسة سورية الرسمية المعلنة.

3- اردت ان اؤكد ان تصويت المجلس على الموازنة الاستثنائية ومشاريع الري بما فيها مشروع بانياس هو الرفض الفعلي لمشروع جونستون، كما اردت ان اوضح العلاقة الصميمية في السياسة الاميركية بين مشروع دالاس الضاغط على الحكومات العربية للقبول بمشروع جونستون..

الوضع الدولي والعربي الذي رافق تشكيل حكومة سعيد الغزي

كانت اجهزة الاعلام الغربية والدبلوماسية الاميركية تبذل مساع محمومة لمشروع جونستون وتوطين اللاجئين والصلح مع اسرائيل، وكان جونستون لا يهدأ في تطوافه على البلاد العربية، فقد قدم الى دمشق بتاريخ 13-9-1955 اي في الفترة التي صدرت فيها مراسيم تأليف حكومة الغزي فزار القوتلي وبحث معه مشروع تحويل نهر الاردن، ولكن القوتلي لم يجبه اجوبة قاطعة بحجة ان الوزارة الجديدة لم تباشر عملها ولم تطلع على التعديلات التي ادخلت على المشروع ولم تقف على رأي الحكومات العربية، وقد اعلن جونستون في بيان رسمي بأن الوقت قد حان لاتخاذ الرأي النهائي بصدد مشروعه، كما صرح وزير

الخارجية اللبنانية سليم لحود بأن لبنان قد وافق على الاقتراح بعقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب يوم 10-10-1955 للبحث في مقترحات دالاس وزير الخارجية الاميركي ومشروع جونستون لاستثمار مياه وادي الاردن، وقد صرح جونستون اثر اجتماعاته في القاهرة مع جمال عبد الناصر ووزير الخارجية المصري "بأن مباحثاته تدعو للارتياح، ونحن نبذل اقصى ما في وسعنا لتلبية مطالب العرب" وكان يشير بهذا الى مطالبة العرب بجزء اكبر من المياه التي خصصت لهم، كما كان يشير الى اعتراض العرب على استخدام طبريا التي يشرف عليها الاسرائيليون كخزان للمياه.

محمود رياض ومشروع جونستون

كانت علاقاتنا تزداد وثوقا بسفير مصر محمود رياض كلما تقاربت الاتجاهات والمواقف بين سورية ومصر حتى انعقدت اواصر الصداقة والمودة بيننا وبينه ولكن الذي كان ينغصنا موقفه الايجابي من مشروع جونستون، وقد دارت مناقشات عديدة بيننا وبينه حول هذا المشروع وقد كنا نعلل موقف مصر الايجابي من مشروع جونستون عدم إدراكها وفهمها لاهمية هذا المشروع وتأثيره على الصراع العربي الاسرائيلي، ولطالما بذلنا جهدنا لاقناع محمود رياض مقدرين بأنه ينقل وجهة نظرنا الى الرئيس جمال عبد الناصر، اذ كنا نعتبر المشروع من اهم مراحل التوسع الاسرائيلي العسكري والاقتصادي والسكاني، وهذا ما دعانا الى الزام حكومة سعيد الغزي برفضه والوقوف موقفا صلبا تجاهه في اجتماعات الجامعة العربية المقبلة وكان املنا في رفضه معقودا على صلابة موقف سورية بصورة خاصة.

□

خلال الفترة التي تألفت فيها وزارة الغزي وقبيل مناقشة بيانها الوزاري اقام حزب البعث العربي الاشتراكي مخيما لاعضائه في دمر حضره بعض اعضاء الحزب من الاقطار العربية الاخرى، وانتهى المخيم بتاريخ 8-9-1955، وقد حاضرت فيه قيادات الحزب القومية والقطرية: ميشيل عفلق، اكرم الحوراني، صلاح البيطار،

عبد الله الريماوي، عبد الله نعواس، مدحة البيطار، وعقدت القيادة بصفتها القومية - ابان ذلك - اجتماعات عديدة استعرضت فيها مشاكل فروع الحزب في سورية والاردن والعراق، ولم تكن قيادة الحزب في العراق ممثلة في تلك الاجتماعات لتعذر وصول موفديها نظرا لحملة الاعتقالات والارهاب التي شنها حكم نوري السعيد على الحزب، فقد احال على المحكمة خلال شهر آب 1955 اثنين وعشرين عضوا فقررنا الاستمرار بكل ما نملك من اساليب الاحتجاج ضد حكم نوري السعيد بالبرقيات والعرائض والبيانات، وكان المواطنون يقبلون على توقيعها بحماسة شديدة، وقد نشرت الصحف بتاريخ 27-9-1955 احدى عرائض الاحتجاج موقعة من الف ومئتي مواطن جاء فيها "ان زج المواطنين في العراق بالسجون وفصل الطلاب والاساتذة والموظفين وتعذيب وتشريد المواطنين بتهمة الانتساب لحزب البعث العربي الاشتراكي خيانة يدبرها الاستعمار وينفذها خدامه في العراق".

وقد كانت مقترحات دلس ومشروع جونستون وصفقة السلاح التي عقدتها مصر مع المعسكر الاشتراكي موضع بحثنا واهتمامنا في الاحاديث التي القيت في المخيم.

كان عبد الله الريماوي شديد الحماسة لنظام عبد الناصر، اما نحن فقد كنا لا نزال متحفظين في تقييمنا لنظامه بالرغم مما طرأ عليه من تحسن كبير بعد صفقة الاسلحة السوفيتية... فكلفنا عبد الله الريماوي ان يذهب بنفسه الى مصر ليدرس عن كثب نظام جمال عبد الناصر.

كانت قيادة الحزب في تلك الظروف اكثر ما تكون انسجاما ووحدة في الرأي، فقررنا اعادة اصدار جريدة البعث التي كانت متوقفة عن الصدور بسبب الصعوبات المالية والاختلافات التي ذكرنا بعضها سابقا.

صفقة الاسلحة التشيكية

اذاع دالس عزم الحكومة المصرية على شراء السلاح من المعسكر الاشتراكي بتاريخ 29-8-1955 فقال:

"ان حكومة الولايات المتحدة لديها اخبار غير رسمية ولكنها مستندة الى مصدر موثوق تفيد بأن الاتحاد السوفيتي قد اقترح على مصر وبعض الدول العربية الاخرى تزويدها بالسلاح"

وبعد شهر على هذا التصريح اعلن جمال عبد الناصر بتاريخ 27-9-1955 في حفلة افتتاح معرض القوات المسلحة:

"ان مصر عقدت اتفاقية مع تشيكوسلوفاكيا تزويد الجيش بالاسلحة الثقيلة مقابل القطن المصري، فحققت الثورة بذلك احد اهدافها بانشاء جيش وطني قوي يحافظ على الحرية والسلام والعروبة" وقد روى عبد الناصر "كيف كان يستجدي السلاح من فرنسا التي كانت تساومه وتطلب منه السكوت على مذابحها في افريقية الشمالية، ومن الولايات المتحدة التي كانت تطلب منه توقيع ميثاق امن متبادل، ومن بريطانية التي زودته بكميات قليلة بينما استطاعت اسرائيل اخذ السلاح من انكلترا وفرنسا وبلجيكا وكندا وايطاليا والولايات المتحدة ودول اخرى حتى اصبحت الصحف الاميركية والبريطانية والفرنسية تعلن دوما ان جيش اسرائيل يستطيع ان يهزم الجيش المصري والجيوش العربية الاخرى"

احاط جمال عبد الناصر صفقة السلاح التشيكية بهالة من الدعاية فكان احد عناوين الصحف مثلا:

"ان واشنطن ولندن تضطربان وتفزعان لقبول مصر السلاح السوفيتي" وكانت هذه الضجة الاعلامية مترافقة مع عقد اجتماعات متعاقبة بين وزير خارجية بريطانيا والولايات المتحدة لدراسة الوضع في الشرق الاوسط، وقد اعلنت وزارة خارجية الولايات المتحدة بتاريخ 28-9-195 انها اوفدت جورج الن وكيل وزارة الخارجية لزيارة القاهرة وبيروت واثينا وان "محادثات الن مع عبد الناصر ستدور حول الموقف الناشيء من شراء الاسلحة السوفيتية"

كان قلق بريطانيا من صفقة الاسلحة التشيكية جديا، اما موقف الولايات المتحدة فقد انكشف بعد عدة ايام عندما صرح الن في القاهرة بعد مقابلته لجمال عبد الناصر:

"ان البحث تناول العلاقات المصرية مع الولايات المتحدة، وان تسلح مصر هو من شؤونها الداخلية وهو حق من حقوق السيادة" ولم تمض عدة ايام اخرى حتى اصبحت الولايات المتحدة تدافع عن حق مصر بعقد هذه الصفقة فقد اعلن دالس وزير خارجيتها:

"انه من الصعب توجيه الانتقاد الى دول تبحث عن السلاح للدفاع عن نفسها بوجه اخطار تعتقد مخلصة انها تحيق بها، وان الدول العربية حكومات مستقلة وهي حرة بانتهاج ما تريده في هذا الشأن" واردف دالس:

"ان المستر الن قد عقد اجتماعين مع جمال عبد الناصر فزاد التفاهم بين البلدين عما كان قبل"

كان التناقض ظاهرا بين موقف الولايات المتحدة وبريطانيا تجاه صفقة الاسلحة السوفيتية، وقد كشف مايلز كوبلاند فيما بعد في كتابه لعبة الامم دور المخابرات المركزية الاميركية في تشجيع ناصر على عقد هذه الصفقة من وراء ظهر بريطانيا، كما كشف عن الاجتماعات التي جرت في القاهرة بين كيم روزفلت وكوبلند وعبد الناصر وجونستون، ويظهر بوضوح ان السماح لعبد الناصر بعقد هذه الصفقة لم يكن موجها بالطبع ضد اسرائيل ولكنه كان موجها ضد النفوذ البريطاني في مصر ومنطقة الشرق الاوسط، وكان مقترنا من قبل الولايات المتحدة بمساومة جمال عبد الناصر للقبول بمشروع جونستون، وقد استغل عبد الناصر دعائيا هذه الصفقة الى ابعد الحدود، فكانت البداية لاخراجه بطلا قوميا.

ومما لا ريب فيه ان عقد مصر صفقة الاسلحة السوفيتية قد شجع حكومة القوتلي الجبانة ان تعلن تحت ضغط المجلس تأييدها لهذه السياسة، وان تتعهد بتزويد سورية بالسلاح من المعسكر الاشتراكي.

القرار التاريخي

انني لا اشك في ان ارسال الـن مـن قبـل خارجيـة الولايـات المتحدة للقاهرة وسورية ولبنـان لـم يكـن لانـذار مصـر وثنيهـا عـن عزمهـا بـالتزود بالسـلاح السـوفيتي، بـل لانـذار حكومـة القـوتلي وتحذيرها من ان تحذو حذو مصر، فما ان اعلـن جمـال عبـد الناصـر عن هذه الصـفقة حتـى بـدأنا فـورا بالتعبئـة الشـعبية والمجلسـية لتأييد مصر في خطوتها ولتنهج سورية والبلاد العربية نهجها.

ففـي مطلـع شـهر تشـرين الاول عقـدت لجنـة الشـؤون الخارجية اجتماعا حضره كامل اعضائها لبحـث هـذا الموضـوع، وقـد استطعنا بعد طول عناء وجدل وخاصـة مـع عـدنان الاتاسـي الـذي كان يحاول ان يجعل قرارنا مقتصرا على تأييـد حـق مصـر بالتسـلح من اية جهة كانت دون التعرض الى اي امر اخر، اما انـا فقـد كنـت مصرا على ان يكون القـرار مشـتملا علـى رفضـنا لمشـروع دالـس وجونستون الامر الذي كانت حكومة الغـزي تـرى فيـه اسـتباقا لمـا سوف يجري من ابحاث فـي اجتماعـات مجلـس الجامعـة العربيـة، فجرى الاتفاق على صيغة قرار لجنة الخارجية بالصورة الاتية، على ان اعاود بحث مقترحاتي في مجلس النواب:

"ان مجلس النواب السوري يعلن تأييده للحكومة المصرية في السياسة التي اتخذتها في تسـليح الجـيش العربـي المصـري التـي توافـق مصـلحة الشـعب العربي ورغباته، وهو يستنكر الضجة التي اثارتهـا بعـض الحكومـات حـول هـذه القضية الداخلية البحتة ويعتبرها تدخلا في شؤون دولة عربيـة مسـتقلة حـرة في انتهاج السياسة التي تمليها عليها مصلحتها العليا.

وفي الوقت الذي يقدر فيه موقف الحكومات التي تساعد البلاد العربية في شراء السـلاح وتسـاندها فـي قضـاياها يـدعو الحكومـة السـورية الـى ان تنتهج في تسلحها سياسة عسكرية عربية متحررة من كل مساومة او تدخل وان تستمر في ممارسة حقوقها السياسية كاملة".

وقد وافق المجلس النيابي بالاجماع على هذا القرار

□

كنا نربط بصورة عضوية بين ممارسة حق السـيادة بتسـلحنا الاتحاد السوفيتي وبين تحررنا من الاستعمار وآثاره سواء ما تعلـق

منها بالقضية الفلسطينية والتوسع الاسرائيلي ودعم الكفاح في المغرب العربي وازالة الاستعمار وعقابيله في بلادنا، ففي الجلسة التي عقدها المجلس النيابي بتاريخ 4-10-1955 وبينما كان المجلس النيابي منهمكا في قضية تسلح مصر من المعسكر كقضية سياسية دفاعية فانني اردت ان اوجه انظار المجلس والشعب الى ان هذه القضية تكمن اهميتها في ارتباطها مع مجمل قضايا التحرر في سورية والوطن العربي كرفض مشروع دالس ومشروع جونستون ومساعدة المغرب العربي في صراعه مع الاستعمار الفرنسي وضرورة الاسراع في تحريرنا من امتياز المصرف السوري واستيفاء سورية لكامل حقوقها من شركات البترول وقد ورد في هذه الكلمة ما يلي:

"اننا نعتبر ان تأييد مصر في قضية تسليحها يقوم ويتعلق الى حد كبير على اساس رفض مشروع دالاس وجونستون الذي يدعو البلاد العربية للصلح مع اسرائيل والتسليم بكامل مطالبها التوسعية على حساب البلاد العربية" ان "مشروع جونستون يقوم على اساس التعامل مع اسرائيل اقتصاديا، كما يقوم من جهة ثانية على اساس اعطائها مكاسب في مساقط المياه العربية سواء في لبنان او سورية او الاردن، لذلك بحثنا هذه الامور جميعها في لجنة الشؤون الخارجية وقد رأى الاخوان قبل ذهاب دولة رئيس مجلس الوزراء الى مصر ان نعقد جلسة لتحديد موقف الحكومة السورية من مشروع دالس ومشروع جونستون، هذا من جهة ومن جهة اخرى ان نعقد ايضا بعد ايام جلسة اخرى لبحث قضية البترول والبنك السوري وقضية المغرب العربي وقضايا التسلح واثناء ذلك يمكن ان تبحث هذه الامور في اللجان، وعندما يأتي موعد الجلسات العامة يمكن للمجلس والحكومة ان يتخذا موقفا حاسما من هذه القضايا الاساسية في حياة الشعب.

ان التردد والسكوت عن معالجة هذه الامور واتخاذ موقف صريح منها امر لا يفيد منه الا اعداء البلاد، ولا اريد ان اشرح بالتفصيل قضية المصرف السوري التي اتت مع دخول الجنرال غورو دمشق واحتلال جيوشه الاراضي السورية، وقد استدامت اكثر من ربع قرن

كانت البلاد خلالها مسرحا لاستغلال الرأسمال الفرنسي استغلالا سيئا مضرا بحياة البلاد الاقتصادية والمالية والاجتماعية، وكيف ان لجنة الموازنة قد قررت في الماضي انذار هذا المصرف بناء على موافقة المجلس الكريم، وكيف ان الحكومة الماضية قد اتفقت معه، ولكن سمعنا مؤخرا بأن هذه الاتفاقية منوطة بمصادقة مجلس ادارة البنك السوري عليها، ولذلك نحن سنقطع دابر هذا التسويف والمماطلة ونريد ان يتخذ المجلس موقفا حاسما منها ويجعل لهذه المأساة نهاية.

كما ان المجلس النيابي قد قرر في الماضي انذار شركات البترول وقرر امهال الحكومة مدة شهر واحد والان يمضي الشهر والشهران على هذه المفاوضات دون ان تقترن بنتيجة، ولذلك يريد الشعب ويريد المجلس ان تقف الحكومة موقفا حاسما من هذه الناحية ايضا وكذلك قضية المغرب العربي، ولا يخفى على مقام الرئاسة بأن احد الزملاء قد طلب - واحيل طلبه الى لجنة الموازنة - اقرار مبلغ مليون ليرة سورية لمساعدة المجاهدين في المغرب العربي ويقتضي عند اقرار هذا المبلغ اتخاذ خطة جديدة للمؤازرة والمساعدة سيما بعد موقف فرنسا الاخير من القضايا العربية وموقفها الوحشي من المغرب العربي، ولا يجب ان تتكرر ايضا مأساة شراء نفايات السلاح بالقطع النادر وان تعتبر هذه القضية قضية مساومة على حساب جهاد ودماء الشعب العربي، ولهذا نريد ايضا ان يتخذ المجلس والحكومة خطة تجاه نصرة اخواننا المجاهدين الذين تهدم بيوتهم وتحرق ديارهم ويذبحون ذبح النعاج ولن يهدأ للشعب ولا للمجلس بال ما لم تتخذ موقفا حاسما من هذه القضايا ولذلك ارجو من مقام الرئاسة ان يحدد جلسة بعد الظهر لبحث المشروعين المستعجلين: مشروع دالس ومشروع جونستون لكي تكون الحكومة منسجمة مع ما يقره ويرتئيه المجلس في جامعة الدول العربية وان تتخذ الموقف الذي ينسجم مع المصلحة العربية، وارجو من مقام الرئاسة ان يعين جلسة بعد بضعة ايام تدرس خلالها هذه القضايا، ومنها قضية التسلح والدفاع السلبي وعندما يأتي موعد الجلسة العامة نكون قد حددنا موقفنا نهائيا من هذه القضية الجدية التي يتعلق عليها بقاؤنا وحياتنا" وقد اضطر رئيس الحكومة ان يرد على المواضيع التي اثرتها قائلا:

"اما فيما يتعلق بمشروع جونستون ومشروع دالس فقد ذكرت لهم (اي في لجنة الشؤون الخارجية) بالتفصيل المراحل التي مرت بها هاتان القضيتان وقلت ان الحكومة ترى ان يؤجل البحث في هذه الامور لما بعد دراسة المشروعين من قبل اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية التي سينعقد اجتماعها في 8-10-1955 فأرجو الا نكون مستعجلين في الامر طالما اننا سنذهب الى مصر لاتمام مباحثاتنا مع الدول العربية الشقيقة، ونحن قد ذكرنا في البيان الوزاري ما فيه الكفاية بشأن كل المشروعات التي تؤدي الى الصلح مع اسرائيل واننا سنبحث المشروع (مشروع جونستون) على ضوء المشاريع العربية، اما قضية التسلح فقد ذكرت ان الحكومة ترى ان من حقها ومن حق سيادتها ان تحصل على السلاح بلا قيد ولا شرط، واما من ناحية الدفاع السلبي فان الحكومة ستعنى بها عناية كاملة وستقوم بما يتوجب عليها وتقدم لكم نتائج الدراسات المتعلقة بها، اما قضايا البترول فقد قامت الحكومة السابقة بالمفاوضة مع شركة اي بي سي وقد استقالت قبل ان تتم المفاوضات، وقد باشرت هذه الحكومة بعد نيلها الثقة الاتصال مع الشركة، واننا نعطي هذه المسألة اهمية كبرى واننا سنعود الى انهاء المفاوضات وتقديم النتائج الى المجلس، اما قضية المصرف السوري فقد توفقت الحكومة السابقة الى عقد اتفاق مع المصرف تنتهي بموجبه مهمة المصرف بحق الاصدار، والاتفاقية التي وقعت لا بد ان تقترن بتصديق الجهات المختصة في البنك لنعرضها بشكلها النهائي على المجلس والحكومة جادة في هذه القضية ولن تترك فيها مجالا للمماطلة والتسويف".

□

استمر المجلس بمناقشته السياسة العربية والخارجية جلسات عديدة فعاودت الكلام مرة اخرى في جلسة 6-10-1955 وركزت بصورة خاصة على ضرورة رفض مشروع دالس وجونستون:

"ان مشروع جونستون باختزال ووضوح قد سبقه مشروع عربي دولي من قبل شرقي الاردن وسورية ولكن فجأة وبتأثير الضغط اليهودي تحول هذا المشروع الى مشروع اخر تقدم به جونستون، وهذا المشروع الاخر لا نريد ان نبحثه من الناحية الفنية ولكن نقول انه مشروع قائم على اساس اعطاء حق جديد لاسرائيل في مياه الحاصباني ومياه اليرموك.

ان اسرائيل تؤمن بأن مساقط المياه السورية اللبنانية ومياه الاردن مسألة اساسية بالنسبة لارواء مساحات كبيرة في اسرائيل ولتوطين اكبر عدد ممكن من اليهود الوافدين من اقطار العالم، ومن المؤسف ان هذا المشروع كما قال الزميل البيطار عدا عن قبول البحث فيه يعني قبول الصلح مع اسرائيل اي يعني التبادل الاقتصادي والاشتراك في مشروع حيوي معها وهذا يعني طبعا الاتصال والصلح"

"ان هذا المشروع قد قدم في عهد ديكتاتوري، وانا مؤمن بأنه لو عرض في عهد ديموقراطي لرفض من الاساس ولما تمكنت اي حكومة من بحثه"

"ان المستهدف من هذا المشروع هو لبنان والاردن وسورية اما مصر والمملكة السعودية والعراق فلا علاقة مباشرة لها في المشروع، وانني اصر على الفكرة التي اوردها الزميل الاستاذ البيطار من ان وحدة الصف العربي لا تكون بالتسليم والسكوت ووضع الاغلال في عنق الشعب العربي، هذا لبنان موقفه قوي في هذا الموضوع اكثر من سورية، وقد علمت ان المجلس النيابي اللبناني قد قرر رفض هذا المشروع، وبقيت المسؤولية على عاتق سورية بالدرجة الاولى التي عليها ان تقرر الامر الذي هو في مصلحة الشعب العربي، فلا تقبل اطلاقا اعطاء اسرائيل مكاسب جديدة واقرار الصلح معها، **ونحن تحقيقا للبيان الوزاري وانسجاما معه نطلب الى دولة الرئيس قبل ذهابه الى الجامعة العربية ان يقول بصراحة ووضوح: اننا في بياننا الوزاري رفضنا الصلح مع اسرائيل واننا كمواطنين عرب وكمسؤولين نرفض اطلاقا اعطاء اسرائيل مكاسب جديدة ونرفض مشروع جونستون، واننا سنسعى ان تكون الحكومات العربية مجمعة على هذا الرفض، ولا يخفى ان مشروع دالاس قائم ايضا فيما يتعلق بتوطين اللاجئين وتوزيع المياه.**

ان الشعب العربي يضحي بكل دمه ولا يمكن ان يضحي بقطرة ماء عربية يمكن ان تستفيد منها اسرائيل، وانه لا توجد حكومة ولا يمكن ان توجد حكومة تقر بهذا الامر لذلك نحن نرجو دولة الرئيس ما دام ذاهبا الى مصر ان يعطينا الطمأنينة بأنه يرفض هذه المشاريع سواء مشروع دالاس او مشروع جونستون القائم على انهاء مشكلة فلسطين وعلى اعطاء مكاسب جديدة لاسرائيل وعلى فتح ابواب البلاد العربية امامها في المستقبل وفي نهاية الكلمة قدمت اقتراحا هذا نصه:

"اقترح ان يتخذ المجلس قرارا برفض مشـروعي جونسـتون ودالـس وان تقوم الحكومة بالسعي لتنفيـذه فـي اجتمـاع الهيئـة السياسـية في جامعة الدول العربية...

وقد رد رئيس الحكومة سعيد الغزي قائلا:

ارجو من صديقي الاستاذ الحوراني الذي اعتبر ان الدافع لتقديمه هذا الاقتراح انما هو دافع وطني صحيح وانه دافع وجداني قدمه بما عرف عنـه مـن وطنيـة ولكنني ارجو الا يقيد الحكومة ولا الدول العربية التي تشاركه في وجهة نظـره في ان المشروعات (مشروع دالي وجونستون) المتعلقة باقرار صلح او اتفـاق يعطي لليهود اي كسب اقتصادي او عسكري لا يمكن ان يكون مدارا للبحث.

1955: الثورة الجزائرية وموقف بورقيبة من وحدة نضال المغرب العربي - موقف حزب البعث من الثورة الجزائرية - اجتماع نيابي مع السفير الفرنسي - احاديث مع عبد الحميد المهدي ويوسف الرويسي عن ابن باديس.

الثورة الجزائرية

قبل ان اتابع الوقائع المتعلقة بمشروع جونستون وعقد الاتفاقية العسكرية مع مصر وقضايا البترول ومصرف الاصدار وغيرها من القضايا الهامة الداخلية والعربية، لا بد لي من التوقف قليلا عند الثورة الجزائرية خلال عام 1955 وذلك للاسباب التالية:

1- لم يمتحن شعب في العالم، كما لم تمتحن قومية في التاريخ مثلما امتحن الشعب الجزائري والقومية العربية طيلة مئة وثلاثين عاما، حيث تعرض الشعب العربي في الجزائر لكل انواع الابادة المادية والعنوية من قبل الاستعمار الفرنسي.

2- كانت الثورة الجزائرية الوحيدة في تاريخ العالم الثالث التي استمرت معاركها دون اي مساعدة خارجية اكثر من قرن من الزمن.

3- كان الاحتلال الاستعماري الاستيطاني في الجزائر يشبه من وجوه عديدة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين.

سورية والمغرب العربي

لم نكن نحن المشارقة لنعرف عن شؤون المغرب العربي الا النزر اليسير ومعظمه من مصادر فرنسية او غربية، فقد كان الاحتلال الفرنسي يضرب ستارا حديديا حول الجزائر وتونس ومراكش من جميع الوجوه الاعلامية والفكرية والسياسية ويحول دون اي اتصال لها مع المشرق ومع العالم الخارجي، وكان هذا الاحتلال الحلقة الثانية من الحروب الصليبية الاستعمارية التي

شنها الغرب على العرب والمسلمين، اما الحلقة الثالثة من هذه الحرب التي ما يزال العرب يخوضونها حتى الان فهي احتلال فلسطين.

□

عندما كنت صغيرا رأيت الجزائريين والمراكشيين لاول مرة جنودا في الجيش الفرنسي بعد احتلال سورية عام 1920، وكان الناس يسمونهم السباهية اي (الصباحية) وكثير منهم كان يجهل اللغة العربية.

كنا نحن الصغار نتألم كثيرا ان يكون هؤلاء العرب مضطرين للخدمة في الجيش الفرنسي، وكنا نشعر بعطف عميق تجاههم، وقد عزز شعورنا هذا التحاق بعضهم بثورة عام 1925، وما كنا نسمعه من اخبار الذخائر التي كانوا يتركونها وراءهم لكي يستعملها الثوار السوريون، وبعدما كبرت واصبحت ملما قليلا باللغة الفرنسية شعرت بالاعتزاز عندما قرأت ما ذكر في قاموس (اللاروس) عن ثورة الامير عبد القادر الجزائري، ثم اصبحت اطالع كل ما يصل الى يدي عن بلاد المغرب ولا سيما ما يتعلق بثورة الامير عبد الكريم الخطابي، هذه الثورة التي كانت من الاسباب المشجعة لاندلاع الثورة السورية في جبل العرب وحماة ودمشق والغوطة والقلمون.

كانت الصورة المرتسمة في ذهني بعد هذه المطالعات وخاصة ما كتبه ماسينيون بالاشتراك مع المستشرق جيب ان الثقافة العربية في الجزائر قد آلت الى الزوال، وتمر السنوات، وتندلع الثورة في الجزائر عام 1945 فنقابلها بحماسة وعطف عميق واشفاق عظيم من القضاء عليها ولا سيما ان العرب عاجزون عن اسداء المساعدات الجدية لها، وكنا نخاف ان تكون هذه الثورة حشرجة الموت لا انتفاضة الحياة والبقاء والظفر.

في تلك الفترة التي بدأت فيها بلاد المغرب العربي تخوض نضالها الباسل ضد المستعمر ولا سيما في الجزائر، كانت بلاد المشرق العربي - لا سيما سورية- تتعرض لاقسى الضغوط من

قبل الغرب للصلح مع اسرائيل وللقبول باحلافه ومشاريعه الدفاعية.

كانت الجزائر وسورية كأنهما على موعد في صراعهما مع الاستعمار الفرنسي ففي شهر مايس من عام 1945 عندما كانت سورية تخوض معركة تحررها من الاستعمار الفرنسي. الذي قصف عاصمتها ومدنها ومجلس نوابها، كانت الجزائر ترفع علمها وتطالب باستقلالها فكان الجواب قصف مدنها قصفا وحشيا ذهب ضحيته اكثر من اربعين الف شهيد.

في صيف عام 1955 اشتدت حملات الجيش الفرنسي على الثورة الجزائرية فاضطرت المصادر الفرنسية ان تلقي بعض الاضواء على ما يجري في الجزائر من معارك ضارية، اذ صرح مصدر رسمي فرنسي: "بأن فرنسا سترسل نجدات عسكرية جديدة للجزائر لمحاربة الثوار، وان المحاربين القدماء في الهند الصينية قد ارسلوا ايضا، وان الجيش الفرنسي قد قام بعمليات كبرى في منطقة جبال الاوراس ومدينتي الجزائر وقسنطينة، واشترك في المعارك الطيران وفصائل المظليين وتنوي الحكومة الفرنسية تعزيز قواتها بعدد من طائرات الهيليكوبتر الاميركية"

كما اعلنت الولايات المتحدة:

"ان الاستقرار في الجزائر امر لا بد منه للجهد المشترك في الدفاع عن الغرب، وان سياسة الولايات المتحدة كانت ولا تزال قائمة على تأييد الوجود الفرنسي في الجزائر، وان الجزائر تؤلف من الناحية القانونية جزءا من فرنسا ذاتها"

في هذه الفترة التي كنا نتطلع فيها بتلهف الى توحيد الحركة الوطنية والثورة في اقطار المغرب العربي، وبينما كانت الدماء تسيل في مراكش والجزائر كان بورقيبة يتحدث عن الصداقة الفرنسية التونسية وكانت الجمعية الوطنية الفرنسية تقر الاتفاقية الفرنسية التونسية (1955/7/9) التي تقضي بمنح تونس حكما ذاتيا، وفي هذه الجلسة قال بول رينو:

"ان الرياح التي تزمجر الان في شمال افريقيا قد هبت من آسيا"

وشرح رئيس الوزراء ادغار فور بنود الاتفاقية وقال انها لا تخرج فرنسا من تونس، بينما ايدها الحزب الشيوعي مع ملاحظته انها لا تضمن لشعب تونس ما يجب ان يحصل عليه من حقوق وحريات.

اما الحبيب بورقيبة فقد صرح:

"انني مقتنع بأن فرنسا لن تندم على ثقتها بتونس وان الاتفاقية ستكون فاتحة عهد جديد بين فرنسا وتونس".

وفي تاريخ 1955/10/14 اعلن المكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد -بضغط من بورقيبة - فصل الامين العام للحزب صالح بن يوسف الذي كان معارضا للاتفاقية، وكان بن يوسف قد القى خطابا في جامع الزيتونة فضح فيه تآمر الاتفاقية على وحدة النضال في المغرب الغربي، وقد ارسل السيد يوسف الرويسي من دمشق برقية احتجاج على فصله جاء فيها:

"ان فصل صالح بن يوسف قد كشف النقاب عن تآمر بعض القادة مع الاستعمار على قضية تونس والمغرب العربي"

كان يوسف الرويسي الذي لجأ الى سورية في نهاية الحرب العالمية الثانية شابا عربيا تقدميا مناضلا في سبيل القضية التونسية وقضايا المغرب العربي عامة ومن أركان الحركة الوطنية التونسية وقد تولى في دمشق رعاية شؤون الشباب المغربي الذي كان يدرس في معاهدها العلمية.

□

كانت فرنسا المصدر الوحيد الذي تتزود منه سورية بالسلاح في مواجهة اسرائيل، ومع ذلك فقد حمل حزب البعث العربي الاشتراكي لواء تأييد ثورة الجزائر على المستوى الحكومي والنيابي والشعبي سياسيا واعلاميا وماديا غير عابىء بالنتائج، وفي اسبوع الجزائر اصدر البعث باسم القيادة القومية بيانا جاء فيه:

"ان الوحدة العربية هدفنا الاسمى وهي ليست خطوة تعقب الكفاح من اجل الاستقلال بل هي هذا الكفاح بالذات عندما تتوحد فيه جهود العرب جميعا"

ودعا البيان الى وحدة النضال العربي والى الشعارات التالية: ان حرية العرب لا تتجزأ، وان وحدة المصير ووحدة النضال فوق كل مساومة، وان كل استقلال لا يقترن بالنضال الجدي من اجل الوحدة هو شكل جديد من اشكال الاستعمار.

□

عندما اشتدت الحملة على فرنسا في سورية والبلاد العربية دعا المسيو بينه وزير الخارجية الفرنسي في منتصف شهر تشرين الاول 1955 لعقد مؤتمر للسفراء الفرنسيين في منطقة الشرق الاوسط لدرس النشاط المتصاعد الذي تبذله الدول والشعوب العربية نحو قضايا شمال افريقيا، وقبل ان يغادر السفير الفرنسي دمشق اجتمع الى عدد من النواب لاستطلاع رأيهم في موقف فرنسا من القضية العربية وكنا قد ضمنا آنذاك تزويد سورية من المعسكر الاشتراكي، وهذا خلاصة ما دار بيننا من حديث:

ان الشعب العربي في سورية خاصة وفي الاقطار العربية عامة يعتبر قضايا المغرب العربي قضاياه، وان فرنسا لا يمكن ان تقيم علاقات ودية وحسنة مع سورية والدول العربية ما لم تبادر الى التسليم باستقلال المغرب، وان من مصلحتها في الحاضر والمستقبل ان تضع حدا لاراقة الدماء هناك، كما ان موقف فرنسا ضد النفوذ البريطاني وحلف بغداد وتزويد جيشنا بالسلاح وتأييدها لسورية في نزاعها مع اسرائيل (موضوع تحويل نهر الاردن) هي مواقف طيبة تجاه الشعب السوري ولكن هذه المواقف لا يمكن ان تثني سورية عن تأييدها لقضايا المغرب العربي بكل ما تملك من قوة، وان العرب يأملون ان تقلب فرنسا صفحتها الاستعمارية الدامية في المغرب لانها لا تنسجم مع تقاليدها ولا مع روح العصر، وعندها سيمد العرب يدهم اليها ويفتحون قلوبهم نحوها.

كان السفير متفهما وقال انه يشاركنا آراءنا، ويأسف لان كثيرا من الفرنسيين ما زالوا يعتبرون الجزائر جزءا من فرنسا، وقال ان استقلال الجزائر امر محتوم في النهاية ولكنه يقتضي صبرا ووقتا طويلا.

اجتماعات مع عبد الحميد المهري ويوسف الرويسي

ضمني اجتماع مع السيد عبد الحميد المهري وكان مندوبا لجبهة التحرير في سورية فأظهرت له قلقي على الثورة الجزائرية وخوفي من فشلها فطمأنني قائلا:

انه لا يمكن لفرنسا ان تقضي على الثورة لسببين اثنين:

اولا: ان فرنسا خلال استعمارها الطويل للجزائر قد استولت على كل المرافق من زراعية وتجارية وصناعية فأصبح الشعب الجزائري بأغلبيته الساحقة من العمال والفلاحين البائسين الذين يفضلون الف مرة حربا ولو دامت عشرات الاعوام على الاستسلام، وهذا ما وحد الشعب الجزائري الذي لا يفرقه اي تناقض طبقي او فكري او سياسي ثم قال مازحا:

انني اخشى ان يجد الشعب الجزائري بعد انتصاره على فرنسا صعوبة في العودة الى حياة السلم.

ثانيا: ان الثورة الجزائرية تستند الى ايديولوجية فكرية وسياسية واجتماعية وروحية ساهمت فيها وهيأت لها الحركات الوطنية والسياسية ولا سيما جميعة العلماء وعلى رأسها المصلح الديني والسياسي والاجتماعي ابن باديس [1] التي تركت اثرا عميقا في المجتمع الجزائري، وقضت على عقلية المرابطين والطرائق الصوفية، وبلورت بجرأة مفاهيم الاسلام الثورية التي تنسجم مع روح العصر، فتركت أثارا قد تكون اكثر عمقا مما تركه جمال الدين

(1) ولد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة عام 1889 وتوفي عام 1940، ينتمي الى عائلة من الطبقة الوسطى ترجع الى اصل امازيغي، حصل على تعليمه الابتدائي في مدرسة قرآنية، ثم تابع التعليم في جامع الزيتونة في تونس، اسس جميعة العلماء التي كانت تهدف الى اصلاح الشعب الجزائري من الوجهة الدينية والوطنية والادبية والعلمية، وتحقيقا لذلك بدأ بتنفيذ برنامج واسع للتعليم والتثقيف في كل الجزائر، ويعتبر ابن باديس ابا للنهضة الوطنية والتعليمية في الجزائر.

الافغاني والكواكبي ومحمد عبده والشيخ رشيد رضا وتلاميذهم في المشرق العربي، لقد حولت جمعية العلماء تكايا وزوايا الجزائر الى مدارس لتعليم اللغة العربية وترسيخ المفاهيم القومية والوطنية والاسلامية.

خرجت من الاجتماع مع المهري متفائلا وقد اغراني ذلك بأن اعقد اجتماعا اخر مع السيد المهري والسيد الرويسي لاتزود منهما بمعلومات اكثر عن حركة الاصلاح الديني التي كان الاستاذ الرويسي مطلعا على نشأتها وافكارها، فقد كان جامع الزيتونة في تونس منارا تشع فيه هذه الحركات الاصلاحية وملتقى للمصلحين من مشرق الوطن العربي ومغربه، وعندما زرت الجزائر مدعوا عام 1976 كان اعز ما حملته معي من بلدة قسنطينة كتاب من اربعة اجزاء عن حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس وآثاره التي كان اهم ما فيها اجوبته الواضحة والعقلانية على تلك الاسئلة التي كانت تثار في الجزائر نتيجة استعمارها الطويل وفشل العديد من ثوراتها مما اقتضى رجوعا الى الذات فكانت الاسئلة التي يطرحها المثقفون الجزائريون على انفسهم هي:

من نحن؟ من هم العرب؟ من هم البربر؟ هل يمكن ان تعتبر الجزائر ارضا فرنسية؟ ما هو الطريق الى المستقبل؟

وجاء ابن باديس ابرز المفكرين الجزائرين ليجيب عن هذه الاسئلة بالحجة والمنطق والعمل:

يحدد ابن باديس الشخصية الجزائرية الاسلامية والعربية بما يلي:

"ان ابناء الوطن الواحد دخلوا الاسلام وتعلموا اللغة العربية طائعين، فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة وقاسموهم مجالس العلم، وشاطروهم سياسة الملك وقيادة الجيوش وكل مرافق الحياة، فأقام الجميع صرح الحضارة الاسلامية".

"ان ابناء يعرب وابناء مازيغ قد جمع بينهم الاسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج فيما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء،

وقد كتب ابناء يعرب وابناء مازيغ ايات امجادهم على صفحات هذه القرون".

ويستند عبد الحميد بن باديس في الحديث عن عروبة ابناء الجزائر جميعا الى حديث الرسول عندما نفى احد المنافقين عن سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي صفة العروبة:

"ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وانما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي".

ولم يدافع ابن باديس عن عروبة الجزائر وشخصيتها المستقلة عن فرنسا فحسب بل كان يدافع عن العرب قبل الاسلام ايضا:

"ان بعض الناس يعتقدون بأن العرب كانوا همجا لا يصلحون الى دنيا ولا دين حتى جاء الاسلام فاهتدوا به واخرجهم من الظلمات الى النور".

وهو في دفاعه عن العروبة قبل الاسلام يستند الى القرآن ويفسر آياته تفسيرا ذكيا.

كان ابن باديس اكثر جرأة من جميع المصلحين السابقين في عقلانيته واعتماده على الفكر والمحاكمه عندما قسم الاسلام الى: "اسلام وراثي لا يمكن ان ينهض بالامم لانه مبني على الجمود، فلا فكر ولا نظر، والى اسلام يقوم على فهم قواعد الاسلام ويدرك محاسنه في عقائده وأخلاقه وآدابه واحكامه واعماله ويبنى ذلك كله على الفكر والنظر، فيفرق بين ما هو الاسلام بحسنه وبرهانه وما ليس منه بقبحه وبطلانه".

وقد كتب ابن باديس معلقا على الصراع العربي الصهيوني:

"ليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها، ولا بين كل مسلم ويهودي على وجه الارض، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الانكليزي من جهة والاسلام من جهة، ويريد الاستعمار الانكليزي الغاشم ان يستغل الصهيونية الشرهة لقسم الجسم العربي".

وقـد يطـول بنـا الحـديث عـن هـذه الشخصـية الفـذة ممـا لا تتسع له هذه المذكرات ولذلك فاننا نختتمها بما كتبـه عـن الـوطن العربي:

"ان لنا وراء هذا الوطن الخاص اوطانا اخرى عزيزة علينا هـي دائمـا منا على بال، ونحن فيما نعمل لوطننا الخـاص نعتقـد انـه لا بـد ان نكون قـد خـدمناها واوصـلنا اليهـا النفـع والخيـر عـن طريـق خدمـة وطننـا الخـاص، واقـرب هـذه الاوطـان الينـا هـو المغـرب الاقصـى والمغرب الادنى اللذان ما هما والمغرب الاوسط الا وطن واحد لغـة وعقيـدة وآدابـا واخلاقـا وتاريخـا ومصـلحة، ثـم الـوطن العربـي الاسلامي، ثم وطن الانسانية العام".

1955- الاتفاقية العسكرية السورية المصرية - اسرائيل تعتدي على الحدود السورية والمصرية- افتتاح أول مؤتمر لحلف بغداد - الانتخابات الفرعية في حمص معقل شركة نفط العراق وأحد معاقل الاقطاعية في سورية - فوز كاتب في طاحون على مرشحي الاقطاعية - المهرجان الفلاحي الكبير في بلدة محردة - تجمع خيوط التآمر على الوضع التقدمي الديموقراطي في سورية.

تطور الأحداث الدولية والعربية والداخلية بعد عقد صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتي .

كانت اسرائيل - قبل عقد صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتي - تستند الى تفوقها العسكري وإلى دعم الولايات المتحدة لتحقيق هدفين اثنين من أهم اهدافها التوسعية في تلك الشركة :

1- مشروع تحويل نهر الأردن.

2- فك الحصار المصري المضروب على الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة، فأصبح لها بعد عقد صفقة الاسلحة السوفيتية هدف ثالث هو تحطيم القوة العسكرية العربية الناشئة لتحافظ على تفوقها العسكري الدائم على البلاد العربية، فقد كتب المعلق السياسي في جريدة هابوكر في أواخر تشرين ثاني 1955 ما يلي :

"إن الأمور ستتطور الى مراحل حرجة جدا في تاريخين مختلفين هما الأول من آذار عام 1956 عندما يتم مد السكة الحديدية بين البحر الميت وايلات التي تستهدف تحطيم الحصار المصري للملاحة الاسرائيلية، وفي هذه الحال ستضطر اسرائيل الى اتخاذ اعنف الخطوات ولو أدى الأمر الى نشوب حرب، والتاريخ الثاني هو مشروع اسرائيل في تحويل مجرى الأردن بعد الأول من

آذار، وفي هذه الحال ستضطر سورية الى القيام بحركات عسكرية على نطاق واسع، الأمر الذي سيزعزع أركان السلام في الشرق الأوسط".

إن فتح باب التسلح أمام العرب من المعسكر الاشتراكي، وتعاظم العداء البريطاني الفرنسي للعرب من جهة ثانية كان دافعا ومشجعا لاسرائيل في استغلال الظروف الدولية الملائمة لتهيئة عدوانها المبيت على مصر بمناسبة تأميم قناة السويس، هذا العدوان الذي جرى في أواخر عام 1956 .

التناقض الاستعماري بين الدول الثلاث الكبرى .

اخفقت كل المساعي والجهود البريطانية مع الولايات المتحدة لاحباط صفقات الاسلحة العربية مع الاتحاد السوفيتي، كانت بريطانيا تشعر بأن تسلح مصر لم يكن موجها ضد اسرائيل بقدر ما هو موجه ضد وجودها ونفوذها في المنطقة العربية، ولم يكن بوسع بريطانيا التي اصبحت في الدرجة الثانية بين الدول الكبرى والتي كانت بأمس الحاجة لمعونات الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية أن تقنع الاميركيين بدعم سياستها في الشرق الأوسط، ففي تاريخ 1955/10/8 ، قال أيدن في المؤتمر السنوي لحزبالمحافظين :

"إن الحالة في الشرق الأوسط خطيرة وحرجة للغاية، وقد تصبح مبعث خطر عظيم لأن كل فرد منا يعلم مدى التوتر القائم بين مصر واسرائيل وكيف ان كلا الطرفين يحاول الحصول على الأسلحة للتفوق على الطرف الآخر".

"لقد حاولنا الابقاء على توازن القوى بالنسبة للتسلح وأما الآن وبعد أن جاءت دولة كبرى وعرضت السلاح فلا بد أن يتفاقم الخطر" "إن المناسبة التي أوجدتها صفقة الأسلحة الشيوعية لمصر هي افضل فرصة للدول الكبرى للاتفاق للحد من التسلح، لأن هذه هي روح مؤتمر جنيف".

ولا حاجة للإشارة هنا إلى أن كل مساعي بريطانية الدبلوماسية وتوسلاتها وتحذيراتها للولايات المتحدة كانت غايتها الابقاء على نفوذها الذي يضمن لها حصتها من بترول الشرق الأوسط والذي أصبحت تعتبره مصدر حياتها ومكانتها في العالم،

فلما أخفقت مساعيها بيتت الغدر ضد مصر، ومنذ ذلك الحين بدأ التحالف بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل ضد العرب بالاستعداد لعدوان 1956. كانت فرنسا حاقدة على الدول العربية لتأييدها ثورة الجزائر وقضايا المغرب العربي، ولذلك فقد اعلنت معارضتها للميثاق الثنائي المصري السوري لأن "هذا الاتفاق قد عزز موقف السوفييت في الشرق الأوسط ولأن فرنسا لا تستطيع التخلي عن نفوذها في هذه المنطقة".

وفي الوقت نفسه أعلن ناطق رسمي باسم وزارة الخارجية البريطانية :

"إن الميثاق الثنائي مستمد من الميثاق العربي الثلاثي، وقد سبق لبريطانيا أن اعلنت بأن الميثاق الثلاثي العربي موجه ضد الحلف العراقي التركي، الذي تشترك فيه وتؤيده".

"إن عقد صفقات شراء الاسلحة من الدول الشرقية، وتوقيع ميثاق عسكري بين سورية ومصر قد يضم غيرها من الدول المتاخمة لاسرائيل، يمكن أن يدفع بتل أبيب الى خوض جولة ثانية مع الدول العربية".

كان التناقض الاستعماري يشتد بين الولايات المتحدة وبريطانيا في منطقة الشرق الأوسط، ولكنهما في الوقت نفسه كانتا تتسابقان على كسب ود اسرائيل ففي الوقت الذي كان فيه جون فوستر دالس وزير الخارجية الاميركية يطمئن شاريت رئيس وزراء اسرائيل بأن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط تتجسد في المقترحات التي قدمها باسم الرئيس ايزنهاور في شهر آب بضمان حدود اسرائيل، والمساعدة على إزالة المشاكل الكبرى كقضية توطين اللاجئين الفلسطينين، واستثمار مياه الأردن، كانت الدبلوماسية البريطانية وأجهزة الاعلام تنشر بعناوين بارزة "أن خطر الحرب يتزايد" وأن "اسرائيل تهدد وتقول اعطونا سلاحا والا فسنحارب فورا".

لقد بلغ التناقض الاستعماري بين بريطانيا والولايات المتحدة أوجه عندما أعلن ايدن في مجلس العموم بأن قوات بريطانية في مسقط قد زحفت على واحة البريمي واصطدمت مع القوات

السعودية التي انسحبت ، وادعى ايدن ان هذه الخطوة كان لا بد منها بعد فشل المفاوضات، وكان الخلاف على واحة البريمي بين بريطانيا والولايات المتحدة قد نشأ بعد ان اكتشف الخبراء البريطانيون ان البترول متوفر بكثرة في هذه الواحة.[1]

□

لم تكن اسرائيل بيدقا على رقعة شطرنج الشرق الأوسط تستخدمها الدول الكبرى، ولكنها كانت في الحقيقة الرابح الوحيد الذي يستغل تناقضات الدول الكبرى لتحقيق أقصى ما تستطيع من مكاسب على حساب البلدان العربية، فعندما كان ايدن يعلن بتاريخ 1955/10/8 بأن الحالة خطرة وحرجة في الشرق الأوسط بمناسبة الاسلحة السوفيتية، كان وزراء الخارجية العرب يهرعون الى القاهرة للموافقة على مشروع جونستون، وقد كشف رشيد كرامي رئيس الوزراء لأعضاء لجنة الشؤون الخارجية اللبنانية في مجلس النواب بأن جورج ألن مساعد وزير الخارجية قال :

"ان الولايات المتحدة لا تستطيع أن تضمن عدم قيام اسرائيل بأعمال عسكرية توسعية إذا رفضت الحكومات العربية مشروع جونستون، لأن اسرائيل المكتظة بالسكان تريد أن تفيد من مشروع جونستون لتعمير صحراء النقب كي تتسع لاستيعاب لاجئين جدد فإذا لم تعطها الدول العربية هذه الامكانيات عمدت الى التوسع الجغرافي على حساب الدول العربية، ويمكن أن يكون هذا التوسع ايضا على حساب لبنان".

وقد أخبرنا سعيد الغزي في لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب السوري اثر عودته من القاهرة بأنه واجه ضغطا كبيرا من جميع الدول العربية للموافقة على مشروع جونستون، فقال لرؤساء هذه الدول :

(1) البريمي : واحة في شرقي المملكة العربية، بين الخليج العربي وخليج عمان، مركزها بلدة البريمي. تضم الواحة ثماني قرى وبعض البساتين، تتجمع على شكل مثلث، يبلغ طوله 9 كم. وعرضه عند القاعدة 6 كم. وتتناثر في الواحة عدة قصور لها صفة تاريخية. تعتمد قرى البريمي في مياهها على مجار تنشأ عن الامطار التي تسقط على جبل الحجر الواقع الى الغرب. وتتاجر أسواق البريمي في المواد الغذائية، والأقمشة، والتمر، والاغنام، والجمال، وقد اثارت مشكلة البريمي نزاعا بين المملكة العربية السعودية، وبريطانيا بصفتها حامية لسلطنة مسقط وعمان.

"لا يمكنني أن أوافق على هذا المشروع لأن الشعب السوري سيرجمني عند عودتي بالنفايات". تجاه هذا الموقف الصامد اضطرت الدول العربية إلى ارجاء النظر بمشروع جونستون بداعي انه يحتاج للمزيد من الدراسة، كما تفادت الموافقة على مقترحات دالس باعتبارها مقترحات وليست مشروعا يمكن الدخول بمباحثات مع الولايات المتحدة لاستجلاء غوامضه.

بينما صرح جونستون المطلع على ما جرى، اثر مغادرته القاهرة، انه متفائل بقرب اتفاق العرب والاسرائيليين على مشروع استثمار مياه الأردن هذا المشروع الذي يكلف 200 مليون دولار تعهدت الولايات المتحدة بدفعها.

كانت الولايات المتحدة تتبنى بصورة مطلقة مطالب اسرائيل، وتعتبر اهدافها جزءا هاما من استراتيجيتها في الشرق الأوسط ، فمشروع تحويل الأردن الاسرائيلي اصبح مشروع جونستون ومقترحات دالس هي مقترحات اسرائيل التي تدعو لتوطين اللاجئين والصلح والغاء جميع مقررات الأمم المتحدة التي صدرت عام 1947، 1948 ولهذه الاسباب كنا نعتبر دوما ان مشروع جونستون ومقترحات دالاس لا ينفصلان عن بعضهما بعضها وأن القضية ليست اقتسام المياه العربية بين اسرائيل والدول العربية المجاورة فحسب، بل هي اسلوب في المخادعة تمثل أدواره السياسة الاميركية لتحقيق ما تطمع به اسرائيل في تلك الفترة.

وقصارى القول فإن بريطانيا والولايات المتحدة لم تكونا متفقتين على شيء في منطقة الشرق الأوسط سوى اتفاقهما على تحقيق مطامع اسرائيل في المنطقة العربية واكتساب ودها ومرضاتها والافادة منها ضد أي تطلع عربي للخلاص من النفوذ والاستغلال الاستعماري، بالوقت الذي كانت فيه تناقضاتهما الاستعمارية تلعب دورا أساسيا في تمزيق الصف العربي وكانت اسرائيل في كل الأحوال هي المستفيدة على حساب الأمة العربية.

لقد صح ما توقعته وما حذرت منه حكومة الغزي في جلسة الثقة بحكومته بتاريخ 1955/9/24 من تجزئة الميثاق الثلاثي، ففي مؤتمر وزراء الخارجية الذي انعقد في القاهرة أواخر عام 1955 وتنفيذا للسياسة التي انتهجها القوتلي منذ ترشيحه للرئاسة انقلب الميثاق الثلاثي الى اتفاقيات عسكرية ثنائية بين مصر وسورية من جهة، وبين مصر والسعودية من جهة أخرى، مع إغراء سورية بقرض سعودي، وقد أطلعنا الغزي اثر عودته لدمشق على مشروع الاتفاق العسكري بين سوريا ومصر فكانت صدمة أليمة لحزب البعث أن يمسخ الاتفاق الثلاثي الى اتفاقيات عسكرية ثنائية لا تضيف شيئا جديدا إلى ميثاق الضمان الجماعي العربي السابق، بالوقت الذي تستشري مطامع اسرائيل والاستعمار في العالم العربي، ولكننا لم نرد بدا من الموافقة على الاتفاقية العسكرية التي كانت بدورها معرضة للتآمر من جماعة حلف بغداد، وقد اعربت عن هذا الموقف لجريدة الرأي العام (1955/10/18) :

"إننا لا نستطيع في الظروف الحالية أن نعارض أي اتفاق يرمي الى تقوية دفاعنا ضد العدوان، ولكن حزب البعث العربي الاشتراكي يعتقد أن الطريق السليم لسياسة عربية متكاملة هي انجاز الميثاق العربي". (الرأي العام 1955/10/22).

كانت الاتفاقية العسكرية الثنائية مع مصر موضع انتقاد شديد من قبل اقطاب الحزب الوطني وحزب الشعب الذين كانوا يصرون على أن تنص الاتفاقية الثنائية صراحة بأنها موجهة ضد اسرائيل فقط، وكانوا يزعمون أن الجانب المصري لا يعارض ذلك، بينما كانت حجتنا أن انزعاج نوري السعيد وحكومة انقرة من مثل هذا النص المطلق لا يحتمل الا معنى واحد هو انكشاف نواياهم العدوانية ضد سورية وهذا ما يوجب علينا أن نتمسك بالنص المطلق سيما أن جميع المعاهدات الدفاعية المماثلة لا تسمي صراحة عدوا بعينه وانما تترك النص مطلقا، كما تم ذلك في ميثاق الضمان الجماعي، ولم يكن يدور بخلدنا آنذاك ان بريطانيا وفرنسا

واسرائيل ستشن حربا على مصر وإنما كنا نتوقع أن يتوجه هذا العدوان ضد سورية.

كان موقفنا واضحا محددا عندما عرض الغزي الاتفاق العسكري على لجنة الشؤون الخارجية بتاريخ 55/11/2 وهذه خلاصته :

إننا نتمسك دائما بالميثاق العربي الثلاثي ونعتبر أن الاتفاق العسكري الثنائي مع مصر يجب أن يتمم بعقد اتفاق سياسي وآخر اقتصادي، وان الاتفاقات العسكرية تأتي عادة كنتيجة طبيعية للاتفاقات السياسية، ولهذا فإن الاتفاق العسكري السوري المصري لا يمكن أن يكون ذا مفعول ما لم تنسجم السياستان السورية والمصرية تماما.

وفي جلسة 1955/11/5 طلب سعيد الغزي مناقشة مشروع اتفاقية الدفاع المشترك السورية المصرية في جلسة سرية، فعارضت سرية الجلسة لأنني كنت أرى انه من المصلحة أن يكون الشعب مطلعا على الاتفاقية وشاهدا على مواقف النواب منها، ولأنها لا تحوي اسرارا عسكرية لا يجوز أن يطلع عليها العدو ولأنها سوف تنشر بعد اقرارها في الجريدة الرسمية، فعلى من التكتم والسرية إذن؟

ولكن أكثرية المجلس وافقت على استعجال النظر وعلى سرية الجلسة، ونشرت صحيفة الرأي العام (1955/11/6) تعليقا على هذه الجلسة:

"تصدى اكرم الحوراني طيلة خمس ساعات متوالية لدحض حجج الشعبيين عند بحث الاتفاق العسكري السوري المصري ولم يستطع الشعبيون وأنصارهم في النهاية ان يقدموا حجة واحدة مقبولة، ولو أن الجلسة كانت علنية لزادت خسارة حزب الشعب في صفوف الشعب كثيرا".

نص الاتفاقية العسكرية :

المادة الأولى : تؤكد الدولتان المتعاقدتان تمسكهما بالسلام والأمن وتصميمهما على حل جميع منازعاتهما الدولية بالوسائل السلمية.

المادة الثانية : تقرر الدولتان ان كل اعتداء مسلح يقع على احداهما أو على قواتهما يعتبر موجها ضدهما معا، ولذلك ووفقا لحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي ومحافظة على سلامتهما ووحدة أراضيهما فإنهما تتعهدان بتبادل المعونة في حالة العدوان واتخاذ كافة التدابير الضرورية على الفور واستخدام جميع ما تملكانه من وسائل بما في ذلك استعمال القوة المسلحة لصد العدوان وإعادة السلام والأمن.

المادة الثالثة : تتشاور الدولتان المتعاقدتان بناء على طلب احداها كلما تعكرت العلاقات الدولية لدرجة تؤثر على أمن احدى المناطق العربية في الشرق الأوسط أو على أمن أراضي احداهما أو استقلالهما أو سلامتهما ووحدة أراضيهما.

المادة الرابعة : إذا وقع اعتداء مفاجئ على حدود احدى الدولتين المتعاقدتين أو على قواتها، تتخذ الدولتان على الفور التدابير العسكرية لصد هذا العدوان والاجراءات الضرورية لتنفيذ المعاهدة الحالية وسريان مفعولها.

المادة الخامسة : اتفق الطرفان المتعاقدان لتحقيق اهداف هذا الاتفاق على انشاء المنظمات التالية :

1- مجلس أعلى.

2- مجلس للحرب.

3- قيادة مشتركة.

المادة السادسة : يشكل المجلس الأعلى من وزراء الخارجية ووزراء الدفاع في البلدين ويمثل هذا المجلس سلطة رسمية يخضع لها قائد القيادة الموحدة.

المادة السابعة : يتكون مجلس الحرب من رؤساء أركان الحرب في جيش الدولتين المتعاقدتين ويكون هذا المجلس هيئة استشارية للمجلس الاعلى.

المادة الثامنة : تشمل القيادة المشتركة القائد العام لمجلس أركان الحرب للوحدات التي ستوضع تحت تصرف القيادة المشتركة، ويكون للقيادة المشتركة صفة الدوام وتمارس أعمالها في زمن السلم كما في زمن الحرب.

المادة التاسعة : يضع الطرفان المتعاقدان تحت تصرف القيادة المشتركة في حالتي السلم والحرب جميع قواتهما الموجودة تحت السلاح بما في ذلك القوات الموجودة على الحدود الفلسطينية.

المادة العاشرة : ينشأ صندوق مشترك يشترك فيه الطرفان المتعاقدان لتغطية النفقات اللازمة للقيادة المشتركة مناصفة بينهما، وفيما يتعلق بالمنشآت العسكرية المنصوص عليها في المادة التاسعة تكون نسبة الدفع 65 في المائة للجمهورية المصرية و 35 في المائة للجمهورية السورية.

المادة الحادية عشرة : هذه المعاهدة لا تتضمن أي شرط يؤثر أو يمكن أن يؤثر على الحقوق والالتزامات المالية أو المستقبلة للدولتين وفقا لميثاق الأمم المتحدة، وللمسؤوليات التي يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على السلم والأمن الدوليين.

المادة الثانية عشرة : مدة المعاهدة هي خمسة اعوام تجدد بالاتفاق بين الطرفين.

المادة الثالثة عشرة : يصدق على المعاهدة بالوسائل الدستورية المعمول بها في الدولتين، ويتم تبادل الوثائق الخاصة بالتصديق في وزارة الخارجية السورية في دمشق، في ميعاد أقصاه ثلاثون يوما من تاريخ التوقيع على الاتفاق الحالي الذي ينفذ فورا عقب تبادل وثائق التصديق.

وفي تاريخ 1955/10/28 عقدت اتفاقية عسكرية ثنائية بين مصر والسعودية شبيهة بالاتفاقية السورية المصرية.

اتفاقيات عسكرية مع لبنان وعمان .

كانت الحكومة السورية تسعى إلى تنفيذ ما جاء في بيانها الوزاري الذي اعتبرت فيه خطوط الهدنة مع اسرائيل خطا واحدا، لذلك حاول سعيد الغزي أن يعقد اتفاقا عسكريا مشابها للاتفاقية السورية المصرية مع لبنان، وكان رئيس الحكومة اللبنانية رشيد كرامي مخلصا في عقد مثل هذا الاتفاق، ولكنه اصطدم بعقبات كثيرة اقامها في وجهه رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شمعون الذي كان ضالعا مع حلف بغداد، وسائرا في ركاب السياسة البريطانية فأخفق الغزي في مسعاه.

ثم زار الغزي شـرق الأردن للغـرض ذاتـه وفـي نهايـة الزيـارة صدر عن الحكومتين السورية والأردنية البيان التالي :

"لما كانت سياسة كل من الدولتين السـورية والأردنيـة تقـوم علـى أن خط الهدنة إنما يشكل خطا دفاعيا عربيا واحـدا، وأن أي اعتـداء يقـع علـى أي جزء منه يعتبر اعتداء على بقية الاجزاء فقد تدارك الجانبان السـوري والأردنـي الخطوات العمليـة لتحقيـق هـذه السياسـة وكانـت وجهـات النظـر متفقـة كـل الاتفاق".

اسرائيل تعتدي على الحدود السورية والمصرية.

قامت اسرائيل بعد عقد اتفاقيـة الـدفاع المشـترك السـورية المصرية بسلسلة غارات علـى خطـوط الهدنـة هادفـة إلـى إظهـار عدم فعاليـة مثـل هـذه الاتفاقـات العسـكرية العربيـة، ففـي تـاريخ 55/10/23 قامت بهجوم على الحدود السورية، ثم اعقبتـه بهجـوم آخر بتاريخ 55/10/3 علـى الحـدود المصـرية فـي منطقـة الصـبحة، وكان اكبر هجوم قامت به على الحدود السورية بتـاريخ 55/12/12 علـى مخـافر المراقبـة القائمـة علـى سـواحل بحيـرة طبريـا، فقـد قذفت الى سـاحة المعركـة بحـوالي 1500 جنـدي وكانـت خسـائر سورية كبيـرة، ولـم تحقـق اسـرائيل هـدفها السياسـي مـن هـذا الهجوم العسكري وهـو اقنـاع السـوريين بـأن الاتفاقيـة العسـكرية المصرية قد زادت من الاخطار التي تتعرض لها بـدلا مـن أن تضـمن لهـا الـدفاع عـن نفسـها، **أمـا ردة الفعـل الشـعبية علـى هـذا العدوان فكانت مزيدا مـن الاصـرار والتصـميم علـى متابعـة الطريـق مهمـا كـان الـثمن. وهـذا مـا تبـدى بالمظـاهرات الشعبية العارمة التـي كانـت تطالـب بالسـلاح للـدفاع عـن الـبلاد، كمـا تبـدت بإقبـال الشـعب المنقطـع النظيـر علـى أسبوع تسليح الجيش، فقد صب هذا العدوان الزيـت علـى النـار فزادهـا اشـتعالا، وزاد ايمـان الشـعب واندفاعـه لبنـاء قوتـه العسـكرية الذاتيـة وتوثيـق تحالفـه مـع مصـر ضـد اسرائيل ، كما زاد حقده وغضـبه علـى الاسـتعمار الغربـي واقتناعه بضرورة توثيق العلاقات مع المعسكر الاشتراكي.**

أما على مستوى قيادة الجيش فقد كان لهذا العدوان نتائج اخرى إذ بدأت الدعاية الواسعة لجماعة حلف بغداد تشكك بالكفاءة العسكرية لرئيس الأركان شوكت شقير وتحمله مسؤولية الخسائر التي مني بها الجيش، وقد لعبت هذه الدعاية دورا هاما في تنحية شوكت شقير فيما بعد واستبداله بتوفيق نظام الدين عام 1956، وربما كان في جملة أهداف هذا الهجوم الاسرائيلي الواسع احداث البلبلة في صفوف الجيش واضعاف مركز شوكت شقير الذي كان يعتبر ملتزما بسياسة جمال عبد الناصر، وسنرى فيما بعد أن تنحية شوكت شقير عن رئاسة الأركان قد أحدثت شرخا ومضاعفات على المستوى العسكري والسياسي وسنعرضها بالتفصيل، وليس هذا من باب الاستنتاج فإنه منذ اليوم الأول لوقوع العدوان انطلقت الدعاية المنظمة في أوساط النواب المؤيدين لحلف بغداد ضد شوكت شقير، وفي اوساط كبار الضباط الذين يطمحون بهذا المنصب، وكان موقفنا بالدفاع عن شقير في غاية الحرج فلم نكن لنجد في الجيش من أصحاب الرتب الكبيرة خيرا منه أو بديلا عنه، ولم يكن الطامحون بمنصبه من كبار الضباط موضع ثقة سياسية.

هذا بالوقت الذي كنا مقتنعين فيه بأن نجاح العدوان الاسرائيلي لم يكن بسبب ضعف القيادة العسكرية، بقدر ما يعود لضعف امكانات سورية المادية بالنسبة لما تنفقه اسرائيل على جيشها، وقد استعرضنا في السابق بصورة مفصلة أوضاع سورية المالية عند بحث موازنات الدولة، **ولذلك كان رد فعلنا كحزب - وكنت آنذاك رئيسا للجنة الموازنة- وضع مخصصات الجيش في الموازنة الاستثنائية موضع التنفيذ فورا، كما كان رد الفعل زيادة اعتمادات الجيش في موازنة عام 1956 ولا سيما بعد عقد صفقات الاسلحة من المعسكر الاشتراكي، وكانت الحكومة سابقا قد أوقفت تنفيذ الموازنة الاستثنائية مدة ستة أشهر بداعي أن المجلس النيابي لم يقر بعد قانون إنشاء مجلس الانماء الاقتصادي، وكنت خلال هذه المادة اطالب بشدة بعدم اضاعة الوقت وأن يوكل**

للمؤسسات والادارات القائمة أمر تنفيذها حالا.. (جلسة المجلس النيابي 55/11/26).

وقصارى ما اعتقده بأن تنسيقا سريا كان يجري بين بريطانيا واسرائيل في هجماتها المتكررة على خطوط الهدنة السورية والمصرية الأمر الذي هدد بنشوب حرب واسعة، ولما شعر عبد الناصر بأغراض هذا الهجوم على خطوط الهدنة السورية أرسل كتابا الى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة ينذره بنشوب حرب شاملة فيما إذا استمرت اسرائيل بشن عدوانها على خطوط الهدنة السورية، والغريب حقا ألا يقترن العدوان الاسرائيلي بتنفيذ جدي وحقيقي لاتفاقية الدفاع المشترك بل اقتصر الأمر على تشكيل لجنة عليا، وهيئة لشؤون الدفاع وقيادة مشتركة رئيسها عبد الحكيم عامر، أما الأمور الأخرى الهامة التي تتعلق بشؤون التسلح والصناعات الحربية وبناء المنشآت العسكرية وغيرها والتي تعتبر بداية بناء القوة العسكرية الذاتية فقد بقيت بدون تنفيذ بالرغم من سير سورية الحثيث بتنسيق سياستها الخارجية مع مصر **لأن اهتمام عبد الناصر بعد عقد اتفاقية الدفاع المشترك بين سورية ومصر كان منصبا على توسيع دائرة نفوذه وأنصاره في الجيش السوري.**

مقترحات ايدن وافتتاح أول مؤتمر لحلف بغداد.

القى السير انطوني ايدن في التاسع من تشرين الثاني 1955 خطابا في مجلس العموم جاء فيه :

"إن بريطانيا حافظت على توازن القوى في المنطقة بين العرب واسرائيل، وان مقترحات دالس في شهر آب الماضي لم تكن مثبطة للعزائم اطلاقا، ولهذا يجب العمل من أجل تحقيقها" ثم حمل على الاتحاد السوفيتي من جراء تسليحه للعرب ووصف هذه الخطوة بأنها "خطوة ليست بريئة وأن الغاية منها كسب الشعبية" وقال "ان كثيرا من الدول المعتده بنفسها (يقصد الدول العربية المتحررة) وبعضها لم تمض مدة قصيرة على تمتعه بالاستقلال والكيان القومي سيصبح مهددا بالانصهار في الامبراطورية الشيوعية" وأعلن "أسفه لأن مشروع جونستون الاميركي لم يقبل من قبل اولئك الذين يعنيهم

الأمر والواجب يقضي بقبول هذه المشاريع" ثم اظهر استعداد بريطانيا بحكم مسؤولياتها لأن توفق بين العرب واسرائيل قائلا : "هناك طبعا فجوة واسعة ولكن أهي من الاتساع بحيث لا يوجد هناك أمل في وصل طرفيها؟ إن من الخطأ أن نتجاهل قرارات الامم المتحدة. ولكن في الوقت نفسه هل من الممكن أن ندعي أنه يمكن الآن تطبيق قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين كما هي؟" "والحقيقة الصارخة أنه إذا أرادت هذه الشعوب أن تربح السلام الذي هو في مصلحة الجانبين فعليها أن تصل الى تسوية توفيق بين هذين الموقفين".

وبعد خمسة عشر يوما أوضح ايدن مقترحاته امام مجلس العموم قائلا :

"إن على العرب أن يبدوا تنازلا كبيرا بالنسبة لقضية اللاجئين والحصار الاقتصادي على اسرائيل والاعتراف بها كدولة" ثم قال :

"لا أريد أن الزم أصدقاءنا الاميركيين بكل كلمة خرجت من فمي في التاسع من شهر تشرين الثاني الحالي ولكن الواقع اننا والولايات المتحدة على اتفاق وثيق في هذه العملية الشاقة". وتعليقا على أقوال ايدن، صرح عبد الناصر :

"إن هذه هي أول مرة يحاول فيها رئيس وزارة مسؤول في احدى الدول الغربية أن يسلك سبيل العدل ويذكر قرارات الأمم المتحدة" وأضاف : "انه يأمل في تخفيف حدة التوتر بين العرب واسرائيل" "وأن انطوني ايدن قد اتخذ موقفا انشائيا من هذه المسألة" (الراي العام 55/11/13).

وغير خاف أن تصريحات ايدن لا يفهم منها إلا المطالبة بالعودة عن قرارات التقسيم وتأييد مشروع جونستون ومقترحات دالس، وبالرغم مما لاقاه هذا التصريح من التأييد الشامل فإنه لم يسفر عن شيء سوى استغلاله على نطاق واسع للتمهيد لعقد المؤتمر الأول لحلف بغداد، ولذلك فإنني صرحت للصحف عندما سئلت عن رأيي في مقترحات ايدن بأنها ليست لها صفة المقترحات الواضحة وان اسرائيل أكدت في ردها عليه بأنها لن تتنازل عن شبر من الأراضي التي اغتصبتها في فلسطين إلا بالقوة، ولذلك وجب على العرب أن يواصلوا طريقهم في سبيل تدارك أسباب القوة لأنها وحدها اللغة الجديرة بالاحترام (الرأي العام 55/11/25).

ثـم جـاء الـدعم للمـؤتمر الأول لحلـف بغـداد مـن قبـل وزارة الخارجيـة الاميركية بتاريخ 55/11/19 التي اعلنت: "بأن اميركا ستنشئ روابط سياسـية وعسكرية مـع دول حلـف بغـداد وأنهـا سترسـل مـراقبين الـى الاجتمـاع الأول الذي سيعقده المجلس الاعلى للحلف في بغداد".

□

عقـد حلـف بغـداد مـؤتمره الأول بتـاريخ 55/11/21 برئاسـة نـوري السـعيد، وقـد كـان محـور تصـريحات اعضـائه وخطـبهم فـي الجلسات العلنية، تأييد مقترحات ايدن والدعوة للتسوية بين العرب واسرائيل[1] والحملة علـى صـفقة الأسـلحة التشـيكية التـي قـال عنها وزيـر الخارجيـة البريطانيـة مـاكميلان: "انهـا ليسـت ردا علـى حلف بغداد بل اعدت منـذ زمـن طويـل وان حلـف بغـداد جـاء بوقـت مناسب لمنع انتشار هـذه السياسـة، وان سياسـة بريطانيـة فـي فلسطين هي معالجة جذور هذه المشكلة وايجاد حـل لهـا". وقـد انهى المؤتمر أعمالـه بتـاريخ 55/11/22 بتشـكيل لجـان عسـكرية وسياسية دائمة وأكد عـزم الـدول الأعضـاء الخمـس الممثلـة فـي المجلس على العمل من أجـل السـلام والـدفاع عـن أراضـيها ضـد العدوان أو "ضد الأعمال الهدامة".

وهكـذا لـم تزدنـا تصـريحات ايـدن وخطـب مـاكميلان واعضـاء حلف بغداد وما صدر عنهم من بيانات وتصريحات الا قناعة بأن حلف بغداد ليس حلفا عسـكريا موجهـا ضـد روسـيا بقـدر مـا هـو موجـه بالدرجة الأولى من قبل بريطانيا ضد الحركة التحررية العربيـة فـي سورية خاصة، وقد كنا نقدر أن الحلف لم يهتم في اجتماعاته بـأي أمر آخر أكثر من اهتمامه بإحكام التآمر على سورية وتطويقها.

وفيما يلي بعض وثائق حلف بغداد التـي تسـاهم فـي إلقـاء بعض الضوء على هذه الفترة :

---

(1) جاء في مذكرات انطوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا آنذاك ما يلي :
"ناشد نوري السعيد في تشرين ثاني عام 1955 حلف بغداد موجها نداءه بصورة خاصة إلى المراقب الأميركي ايجاد سبيل لوقف مدفوعات الأرامكو مدة ستة أشهر على الأقل وأعلن رأيه في أن هذا لو حدث فإن الوضع كله سيتغير في سورية ولبنان والأردن وحتى في مصر نفسها وسيصبح في الامكان تحقيق الأهداف التي تبدو مستحيله الآن كايجاد تسوية عربية اسرائيلية" مذكرات ايدن - دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر- بيروت - ص123 - الجزء الثاني .

سري للغاية

القاهرة 95/10/6

سيدي فخامة نوري باشا .

بعد عرض وافر الاحترام، ارجو ان تكونوا باحسن حال. وصلت الى بيروت مساء السبت وغادرتها صباح الاثنين وقابلت رئيس الجمهورية اللبنانية في بيروت. كما قابلت جمال عبد الناصر والمستر جورج الن في القاهرة. اما بشأن الحالة الداخلية في لبنان فقد ابدى لي فخامته قلقه المتزايد من النشاط السعودي - المصري الموجه ضد شخص فخامته والذي اخذ يصبح يشكل تكتلات علنية سافرة حتى بين السياسيين الذين كانت تقوم لهم خصومات عنيفة مثل بيير اداه وحميد فرنجية، وأن السعوديين يستعملون مختلف الاساليب في هذا السبيل، حتى أنهم اخذوا يشجعون السياسيين من المسلمين على المطالبة بتولي رئاسة الجمهورية. لذلك فإن فخامته يأمل أن يلقى من العراق مساعدات مادية لمقاومة هذه الحملة. وقال لي بصراحة انه لا يملك مخصصات سرية لانفاقها في هذا السبيل لانه هو نفسه حذف المخصصات السرية في الميزانية اللبنانية منذ توليه رئاسة الجمهورية.

اجبته بان العراق مستعد لتقديم كل مساعدة ممكنة لفخامته لاننا نعتز بوجود فخامته رئيسا للجمهورية ولن نتأخر عن القيام بواجبنا تجاه فخامته .

اتفقت مع المستر الن ان يزورني في السفارة العراقية في الساعة الحادية عشر من صباح الاثنين لكي لا يقال باني جئت من العراق الى مصر خصيصا لمواجهته. فقدر هذه الملاحظة وجاء الى السفارة في الوقت المعين ودامت مقابلته لي حوالي الساعة ابلغته خلالها ان العرب يكادون يكونون مجمعين على وجوب تثبيت الحدود مع اسرائيل على الاسس التي تضمنتها قرارات الامم المتحدة.

اما تثبيت الحدود فانه وان كان يعتقد بأنه ضروري ولكنه يشك في أن اسرائيل تستطيع أن تتنازل عن النقب وان ارغامها على التنازل عن النقب ربما يضطر الولايات المتحدة الى ارسال جيش امريكي الى المنطقة، ولكنه قال يجب ان تبدر من العرب بادرة مشجعة بقبول مشروع (جونستون) قلت له قد يكون هنالك تردد لدى بعض الاوساط اللبنانية او الاردنية حول المشروع لا

سيما في الوقت الحاضر ولكن هذا المشروع اذا اقترن بعرض سياسي جديد لحل مشكلة فلسطين على الاساس المتقدم واذا شعر العرب بأن هناك تطورا ملموسا في صالحهم فيما يخص التسليح.

ثم أشار الى انه يأمل قريبا أن يتوصل الى اتفاق بين سوريا والولايات المتحدة لتزويد سوريا بالاسلحة كخطوة اولى لتسليح البلاد العربية فشكرته على هذه الخطوة؟"

"تطرقنا الى موضوع المملكة العربية السعودية والدور الذي تقوم به لعرقلة التعاون بين الدول العربية والكتلة الغربية وقال انه يعلم ذلك ولكن ماذا تستطيع الولايات المتحدة أن تفعله؟

فقلت أنها تستخدم المال الذي تستقرضه من البنوك الامريكية على حساب حصتها من النفط الذي تستخرجه شركات امريكا، لذلك فان مجال امريكا واسع للتأثير على المملكة السعودية، فابدى اقتناعه بذلك ووعد ان يعمل ما يمكن عمله في هذا السبيل.

سألني رأيي فيما لو قامت امريكا باعطاء ضمانات خاصة الى لبنان لمحافظة حدودها فقلت له أن التصريح الثلاثي لا يزال قائما.. قال نعم. ولكن اسرائيل اصبحت تعتبره غير قائم وكذلك سوريا. فقلت ان هذا الامر يعود بالدرجة الاولى الى لبنان واني على كل حال لا انصح بالاكثار من الضمانات في الوقت الحاضر.

ان الراي العام العربي اصبح الآن يتطلب اشياء ملموسة وان العراق ولبنان بوجه خاص قد اصبحا في موقف حرج تجاه الرأي العام العربي ويجب على امريكا وبريطانيا ان تساعدنا على مجابهة هذا الموقف.

وقد انتهت المقابلة بشكل ودي يبعث على الاطمئنان الا ان المستر الن قد اقتنع بوجهة نظرنا وأرى من المناسب أن يفاتح الانكليز ايضا على هذا النحو.

هذا ما أردت بسطه لفخامتكم وبانتظار امركم. أجدد لكم مزيد اخلاصي واحترامي"

التوقيع

رئيس جمهورية لبنـان كميـل شـمعون يلغـي المخصصـات السـرية لرئاسـة الجمهورية اللبنانية ليقبض بشكل سري راتبا من بغداد.

برقية

رقم المنشئ 1206

بناء على طلب السفارة العراقية بيروت :

خولـت وزارة الخارجيـة السـفير بـدفع مبلـغ (5000) دينـار الـى فخامـة رئـيس الجمهوريـة اللبنانيـة. (**0**) يرجـى تبليـغ فخامتـه بـذلك باسـلوب لبـق مناسب على ان يتم التبليغ دون علم السفير مع التأكد من وصول المبلغ الى مرجعه (**0**) بأمر معـالي الوزيرعـدم اطـلاع اي شـخص علـى محتويـات هـذه البرقية وعلى اجراءاتكم بصددها. ص 1359 الجزء الرابع - محكمة الشعب -

من الخارجية بغداد الرقم 110

الى - عراقية بيروت التاريخ 1955/7/8

ما يلي : لمعالي السفير

يرجى الاستفسـار بصـورة مناسـبة والتأكـد مـن تسـلم فخامـة رئـيس الجمهورية مبلغ 5000 دينـار بموجـب برقيتنـا 97 و 5000 دينـار أخـرى بموجـب كتابنا تسلسل 162 في 7 مايس (0) ابرقوا . (المصدر السابق ص 1359)

من وزارة الخارجية

الى : السفارة العراقية في بيروت.

اشـارة الـى كتـابكم المـرقم م ع / 88 والمـؤرخ فـي 1955/8/29 يرجـى دفـع المبلغ المتبقى لديكم وقدره (4954) دينـار مضـافا اليهـا (46) دينـارمن المبلـغ الموجود لدى الملحـق العسـكري الـى فخامـة السـيد كميـل شـمعون رئـيس

الجمهوريـــة اللبنانيـــة بالطريقـــة التـــي ترونهـــا مناســـبة واعلامنـــا. (1360، الجزء الرابع، محكمة الشعب) (المصدر السابق ص 1360)

التوقيع

برهان الدين باشا اعيان

من السفارة العراقية في بيروت :

التاريخ : 1955/8/17

اشارة الى برقيتكم المؤرخة 1955/8/8 .

لقد اجابنا فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ردا على سؤال وجهه الدكتور الجمالي انه استلم مبلغ عشرة آلاف دينار وبذلك أيد حفظه المبلغين المحولين بموجب كتاب تسلسل 162 وبرقيتكم المؤرخة في 1955/6/14 . (ص 1359 المصدر السابق)

حسني البرازي يسمسر من وراء وباسم رئيس جمهورية سورية .

زارني حسني البرازي وابلغنا رسالتين من فخامة الاتاسي وشمعون بان الجهات العراقية في بيروت ودمشق تدعى بأن ليس لديها تعليمات أو تخويل للمساعدة. سبق أن خولناكم التصرف بكل ما تقتضيه المصلحة. ابرقوا برأيكم...)

جواب باش اعيان :

ما يلي لفخامة رئيس الوزراء :

برقيتكم المؤرخة 1955/7/11.

لا صحة لما اخبركم به حسني البرازي. نحن قائمون بالعمل وفق ما تقتضيه المصلحة. (ص 1344 - المصدر السابق).

اتصالات عراقية عام 1955 مع ابراهيم الحسيني وأديب الشيشكلي ضمن خطط ومحاولات التآمر على المد الديموقراطي الشعبي التحرري في سورية.

من الخارجية بغداد في 1955/5/21

الى : روما

علمنا ان العقيد السوري ابراهيم الحسيني الموجود حاليا في روما سيسافر الى دمشق لقضاء عطلة عيد الفطر .. يرجى اتصالكم به فورا للحصول منه على اسماء الاشخاص الذين يوصى بالاتصال بهم واعلامنا.

جواب البرقية :

برقيتكم في 1955/5/21

لقد أجل سفره الى اشعار آخر (0) ان الملحق العسكري في بيروت باتصال مع اخيه الصغير بامكانه معرفة ما تريدونه منه. (ص 1342 - المصدر السابق)

من : وزارة الخارجية الرقم 23

الى : باريس التاريخ 1955/11/12

امنحوا جواز سفر عراقي لكل من أديب الشيشكلي ووديع الشيشكلي بالاسماء التي يقترحونها. ادفعوا اجور سفرهما من باريس الى بغداد بالواسطة وعلى الطريق الذي يقترحانها. ابرقوا تاريخ حركتهما وموعد وصولهما الى بغداد. (ص 1352) - المصدر السابق).

برهان الدين باش اعيان

برقيات متبادلة بين الاستخبارات في بغداد والملحق العسكري في بيروت تليت خلال محكمة رئيس الاستخبارات احمد مرعي .

من : الاستخبارات

الى : الملحق العسكري في بيروت.

برقيتكم 1363 ننتظر اشعار من روما لتحريك طيارة (0) سنرسل 400 غدارة و 1200 طلقة و 60 رمانة داخل خمسة صناديق باسم كتب ومحاضرات لمكتبة السفارة (0) سنزود الطيار بوثيقة من وزارة الخارجية (0) اتخذوا ما يقتضى من جانبكم.

من الاستخبارات رقم المنشأ 384

الى الملحق العسكري التـــــــــــاريخ
1955/8/7

سنرسل الاسلحة خلال بضعة ايام (0) هل نعمل بنفس الخطة المرسلة الينا ام هنالك تعديل وهل يتطلب ذلك حضوركم (0) انبؤنا.

من بيروت

الى الاستخبارات العسكرية

برقيتكم في 3/6 (0) 500 تحت الطلب والسلاح في مخيمات لبنان (0) 1000 في سوريا وليس هم في المخيمات وانما تدريبهم مستمر وهم مستعدون للعمل في اي وقت (0). (ص 525 المصدر السابق)

مقطع من استجواب رئيس الاستخبارات احمد مرعي خلال محاكمته.

" رئيس - من هم هؤلاء الـ 1000 في سوريا؟ كيف كان تدريبهم؟

المتهم - الظاهر من البرقية الشيء الذي يعتقده الملحق العسكري من وجود الاشخاص المختلفين في لبنان وسوريا (الرئيس مقاطعا).

الرئيس - القوميين السوريين ؟

المتهم - لا اتذكر .

الرئيس - عشائر ؟

المتهم - لا اعرف اذا كانوا قوميين أو عشائر . "

وقد تليت خلال محاكمة احمد مرعي قوائم بكميات كبيرة من الاسلحة استلمها شكيب وهاب من جبل الدروز ، هايل سرور ونوري بن مهيد ودهام الهادي من العشائر وغسان جديد من السوريين القوميين (ص522، 525 المصدر السابق).

الانتخابات الفرعية في حمص معقل شركة نفط العراق وإحدى معاقل الاقطاعية في سورية :

كانت مدينة حمص معقلا كما ذكرنا سابقا من معاقل حزب الشعب تحت سيطرة آل الاتاسي العائلية والاقطاعية.. وقد أعلن في شهر تشرين الأول 1955 عن اجراء انتخابات فيها للمقعد الذي شغر بوفاة نائبها (من الحزب الوطني) الحاج سليمان المعصراني.

كانت حمص ايضا مركزا هاما لخطوط شركة الاي بي سي البترولية، ولذلك كانت نتائج المعركة الانتخابية ذات أهمية كبرى من حيث تغييرها للقوى السياسية وتحطيمها لدعائم النفوذ البريطاني وحلف بغداد، ومن حيث تأثيرها علىنجاح المفاوضات الجارية لتعديل الاتفاقات البترولية، وكنت اعتبر أن انتصارنا في هذه المعركة ضربة نسددها للقوى الرجعية والاستعمارية واكبر ظفر يمكن ان نسجله لقوى التحرر والتقدم في البلاد.

كان الجو الشعبي والوطني مهيأ لمثل هذا الظفر شريطة أن يتخلى حزب البعث العربي الاشتراكي عن النظرة الحزبية الضيقة، وأن يتخذ من هذه المعركة بداية لقيام جبهة وطنية تقدمية على مستوى قواعد الاحزاب والجماهير، ولم يكن تحقيق هذه الخطة عسيرا إذ لم يكن الحزب الشيوعي وكتلة هاني السباعي يطمحان لترشيح أحد من صفوفهما.. ولكن الصعوبة كانت باختيار المرشح المناسب وبعد تفكير طويل قفز الى ذهني بأن أحمد الحاج يونس هو المرشح الذي ابحث عنه، وكنت قد تعرفت عليه عندما كان محررا في احدى صحف مدينة حمص، وكان يتردد احيانا على جريدة الاشتراكية ثم انقطعت أخباره عني، ولكنني كتمت الامر في نفسي، فقد قامت الخلافات الشخصية تنخر في قيادة فرع الحزب في حمص، وكان ترشيح أي واحد منها يعرض الفرع والمعركة الانتخابية للخطر.

عقدنا عدة اجتماعات جرت فيها مداولات مع البارزين في قيادة الفرع وسواهم فازددت اقتناعا بصحة ما فكرت به، لا لعدم أهلية وكفاءة قيادة الفرع بل لاختلافاتهم، وقدرت ان ترشيح أحد أصدقاء البعث كأحمد الحاج يونس ربما يؤلف بينهم ويدفعهم

لخوض المعركة الانتخابية بحماسة، فاستشرت الاستاذ عبد البر عيون السود بما عزمت عليه فوافق، وهكذا سافرت الى حمص في أوائل الشهر العاشر للاتفاق مع الاطراف الأخرى ولا سيما مع هاني السباعي الذي كان قد أعلن انفصاله عن حزب الشعب، وعندما عرضت عليه اسم أحمد الحاج يونس كمرشح للنيابة فوجئ وظن انني أمزح، وعندما بينت له ما في هذا الاقتراح من جدية أحضرنا الحاج يونس الذي كان يشغل وظيفة كاتب في إحدى المطاحن، وعندما عرضت عليه ترشيح نفسه للنيابة أظهر دهشته واستغرابه وقال :

كيف يمكن أن انجح في هذه المعركة وأنا انسان فقير لا أملك نفقات المعركة الانتخابية وغير معروف من الناس؟ قلت له :

أنت شاب تقدمي يساري ومن أعماق هذا الشعب ولا شك الشعب سيرحب بأن تكون ممثله في المجلس ولهذه الاسباب وقع اختيارنا عليك، أما نفقات المعركة فنحن نتكفل بها ومسؤولية نجاحك هي مسؤوليتنا.

وفي منتصف ليلة 55/10/16 بلغ عدد المرشحين 14 مرشحا من حزب الشعب والحزب الوطني والمستقلين، وقد قوبل ترشيح أحمد الحاج يونس بتأييد شعبي غير منتظر، ولم تمض بضعة أيام حتى بدأ بعض المرشحين بسحب ترشيحهم لمصلحته، فسافرت بتاريخ 55/10/24 ثانية الى مدينة حمص وزرت مكتب الحزب فوجدته شعلة من النشاط وهذا ما شجعني أن أكشف النقاب عن أهداف المعركة الانتخابية وأن أضع النقاط على الحروف، ولذلك أدليت للصحف بالتصريح التالي :

"يتطلع الشعب العربي في سورية الى معركة حمص الانتخابية والى سيرها ونتائجها باهتمام بالغ، ويرى فيها جزءا من مرحلة تاريخية يجتازها في توثبه وانطلاقه وتحرره، وقد بلغ هذا الاهتمام مبلغه لا لأن المعركة ستنتهي بفوز مرشح تقدمي يزداد به عدد النواب التقدميين الأحرار في المجلس نائبا واحدا، بل لأن للمعركة دلالتها العميقة وآثارها في الحاضر والمستقبل، فمعركة

حمص الانتخابية كما ينظر اليها الشعب ليست معركة ذات حدود، بل هي معركة الشعب وصورة عن صلابته في مقاومة كل ما يحول دون تحرره وانطلاقه، وصورة عن وعيه وتفهمه للأحداث المحدقة به من كل جانب، ولا يخفى أن محافظة حمص التي ظلت حتى الآن ترزح تحت النير الاقطاعي والعائلي قد اثر وضعها هذا في حياة سورية السياسية والاقتصادية والاجتماعية تأثيرا كبيرا، ذلك أن بقاء هذه الاوضاع الاقطاعية العشائرية في سورية مرتبط ارتباطا وثيقا باستمرار هذه الأوضاع الاقطاعية في مدينة خالد بن الوليد التي تعد بحق قلب سورية، وقد رأينا في الحقبة الأخيرة وبعد الثورة على عهد الشيشكلي وعندما طرحت على البلاد المشاريع الاستعمارية الغربية والصهيونية كيف حملت الاقطاعية والعائلية في حمص لواء تأييد هذه المشاريع متسترة باسم الحزب الذي تؤثر في توجيهه بالسياستين الداخلية والخارجية، مطمئنة الى تأييد مؤسسات الاستعمار ودعمها في مدينة حمص غير عابئة بالرأي العام الواعي.

إذن فإن فوز المواطنين في معركة حمص ليس فوز مرشحهم التقدمي فحسب بل انه قضاء على أكبر دعامة من دعائم الرجعية والاستعمار في البلاد وظفر للاتجاه التحرري الذي بدأت تتمخض عنه البلاد العربية، ودليل قاطع على أن هذا التمخض في محافظة حمص صورة واضحة عن جميع حركات التحرر في البلاد العربية.

ان نجاح المرشح احمد الحاج يونس الذي أجمعت على تأييده جميع فئات الشعب وشبابه الواعي هو ظفر للحرية ولخطى التوحيد في البلاد العربية وصورة عن وثبة الأمة العربية في هذه البقعة من الوطن العربي.

ان أحمد الحاج يونس ابن حمص البار، وابن الشعب الحقيقي وفرد من ابنائه العاملين المؤمنين، وصورة صادقة لاخلاصه ووعيه وثورته".

وقد اعتبر الأتاسيون تصريحي تحديا كبيرا وشعروا بأنهم يخوضون معركة فيها نهاية نفوذهم.

مهرجان محردة الكبير.

ولتحريك حماسة الفلاحين في ريف حمص أعلنت ان فرع حزب البعث العربي الاشتراكي في حماه قد قرر اقامة مؤتمر للفلاحين في قرية محرده ليقدم فيه نواب حزب البعث العربي الاشتراكي عن مدينة حماه ومصياف والمعرة حسابا للفلاحين عن أعمالهم في مجلس النواب خلال 14 شهرا، وانني سأتولى القاء بيان اشرح فيه الأمور الداخلية والعربية والخارجية، ففي الوقت الذي كانت فيه القوى التقدمية تقيم فيه مهرجاناتها الانتخابية في حمص وأريافها الواسعة ، كنا نحن نقيم مهرجانا في محردة حضره ما يزيد على 35 ألف فلاح، وقد خطب فيه عبد الهادي عباس وخليل كلاس وعبد الكريم زهور ثم أعقبتهم بالكلمة التالية :

أيها الرفاق الفلاحون عندما بدأنا حركتكم، صورتها الفئات الرجعية والاقطاعية أنها حركة تمرد وعصيان، ولا تقوم الا على اساس التناحر الطبقي، ونشر الفوضى ولا تؤدي الا لتعطيل الانتاج، ونشر البوار والدمار. أما النظريون المائعون فقالوا انها سابقة لأوانها ولا تؤدي بالتالي الا إلى هدر القوى النضالية وليست لها نهاية الا العقم والتشويش فهي حركة زائفة حسب زعمهم وليست بذات جذور حتى يكتب لها أن تثمر.

أما حزبنا فمن دواعي فخره والتدليل على اصالته أنه أول من طرح مشكلة الفلاحين في مجاليه النضالي والنظري، واعتبر حركة الفلاحين بداية انقلاب جذري وحل لأغلال وقيود الشعب الاجتماعية والاقتصادية والقومية.

إن بلادنا بلاد زراعية يعيش سوداها على الزراعة لانها لم تصنع بعد، ويشكل فلاحوها القسم الأعظم من ابنائها، يهيمن عليهم الوضع الاقطاعي الذي تكون في عصور الذل والعبودية، عصر الاستعمارين التركي والافرنسي، والذي ليس به اي معنى من معاني الفروسية ، فكان ركيزة الاستعمار وحربه موجهة الى صميم سيادة البلاد، وأسوأ قدوة وطنية واخلاقية وسياسية للناس، وكان حائلا لكل تطور وازدهار زراعي، مما استتبع تأخير تصنيع البلاد، فجعل من سواد الشعب في بلادنا شعبا متخلفا فقيرا محروما، ومريضا جاهلا، وذليلا مستعبدا. ولا حاجة بنا لذكر الأدوار المسيئة

التي لعبتها التكتلات الاقطاعية والعائلية في خدمة الاستعمار، سواء اثناء الاحتلال أو بعده، ولا تزال تلعب دورها حتى تلفظ انفاسها الاخيرة. ولذلك انصف من قال :

إذا دونت هذه الحقبة من تاريخ الشرق الأوسط فسوف تكون حركة الفلاحين اهمها شأنا وأعظمها خطرا. أيها الرفاق الفلاحون :

لم يكن حزبنا راعيا للشغب والفوضى، ولا هادرا لقوى الفلاحين النضالية وانما كان واعيا وواضحا منذ البداية للمراحل التي يمر بها جهاد الفلاحين لنيل حقوقهم وتحريرهم كمواطنين، فنحن لم نحضكم على اغتصاب أراضي المالكين، وانما وعدناكم وبقدرتكم على تحرير انفسكم من نير الاقطاعية اذا وطنتم انفسكم على الصبر في تحمل الآلام والتضحيات من انذار وتهجير واعتداء. وعدناكم بقدرتكم على تحرركم من العبودية والسخرة ودفع الأتاوة ونيل نصيبكم العادل من الانتاج وحققكم بأراضي أملاك الدولة، وعدناكم بأنكم قادرون على نيل حقوقكم السياسية لأنكم متساوون مع المواطنين بالحقوق والواجبات، فإلى أي مرحلة وصل نضالكم؟ ألا تشعرون بأن نظرة أبناء المدن قد تغيرت نحوكم عن ذي قبل؟ واصبحتم لهم اخوانا لكم ما لهم وعليكم ما عليهم؟ الم تدخلوا لأول مرة بنضالكم في حياة البلاد السياسية عنصرا جديدا، تنتخبون ممثليكم بإرادتكم واختياركم؟

هل ينكر أحد تحول المجتمع في بلادنا نحو انصافكم؟ فأقر الدستور والقانون بتحديد الملكية، وبحقكم بأراضي املاك الدولة. وقد بدئ فعلا بتوزيع بعضها عليكم.

أيها الرفاق الفلاحون :

يجاهد الحزب منذ البداية لسن قانون حماية الفلاح الأمر الذي نص عليه الدستور، ولكن الاكثرية الاقطاعية تعرقل اقراره بل تتقدم بقانون آخر لزيادة سيطرة الاقطاعيين هو الذي شرعه لهم العهد الديكتاتوري، ويجاهد الحزب لتوزيع املاك الدولة عليكم فتتألب الاقطاعية المتمثلة في الحكم والمجلس لنهبها واغتصابها بدلا من توزيعها وبوقاحة لا حد لها يقول هؤلاء الاقطاعيون :

ان الحزب لم يبر بوعوده للفلاحين بحمايتهم وتوزيع املاك الدولة عليهم، فهم المسؤولون عن اضطهادكم وحرمانكم من الأراضي ويحملون المدافعين عنكم والمناضلين معكم مسؤولية التأخير وعدم بلوغكم حقوقكم المهضومة.

ألا فاعلموا أن تحقيق مطاليبكم العادلة متوقف على مدى وعيكم ووحدة نضالكم، وما لم تعم حركة الفلاحين جميع أرجاء البلاد، وتقضي على العقلية الاقطاعية والفئات الرجعية فلا يمكن أن تتحقق جميع هذه المطالب العادلة، ولكننا واثقون بعد أن نقل الحزب قضية الفلاحين من ساحة الأقوال الى ساحة النضال والجهاد. فلا بد لقضيتكم أن تلف أرجاء الوطن ويتوحد النضال وتتحقق الأهداف، واعلموا أنه لا استقلال ولا سيادة ولا حياة كريمة، ما لم تتأزر قواكم وقوى العمال النضالية في المدن والأرياف لاجتياز هذه المرحلة في حياة الأمة العربية.

أيها الرفاق الفلاحون

تسمعون الآن من التقدميين النظريين (المقصود الشيوعيون والماركسيون) ان أهدافكم لا تحقق انقلابا ولا ثورة وانما هي مخدر وقتي، بينما كانوا يصفون حركتكم في الماضي بأنها هدر لقوى الشعب النضالية وانها سابقة لأوانها، اعلموا ايها الرفاق انه في تحملكم الآلام والتضحيات في سبيل تحقيقها كل معاني الثورة والانقلاب، فأي انقلاب اعظم من أن يصبح الفلاحون المعذبون في الأرض كرام المواطنين وأن يصبح الآلهة كسواهم لا يتمتعون بأي امتياز؟

أي ثورة اعظم من أن يرغم الاقطاعيون على الاعتراف بأنهم اذا ملكوا الأرض فلا يملكون من يعمل بها؟ فليس طريق الثورة دوما الدم والسلاح ولا معنى لها ان لم تقترن بالصبر والآلام والتضحيات.

اننا مع ذلك لا نعتبر ان تحقيق مطالبكم ومطالب العمال من هذه المرحلة هو تحقيق الاشتراكية العربية لأن اشتراكيتنا لا تتحقق الا عندما يزول الاستغلال والاستعمار وتعم الحرية وتتحقق الوحدة العربية.

ان الاشتراكية التي ننادي بها هي وليدة النضال والتجارب الحية، وان بناء المجتمع الاشتراكي في كل أمة هو وليد جهادها وتضحياتها وحاجاتها المادية وظروفها المعنوية والتاريخية.

أيها الرفاق الفلاحون :

إن امتنا تجتاز الآن مرحلة قاسية، فهي تحارب على جبهات عدة : تحارب الاستعمار الاجنبي المتكالب للرجوع الى أرض سورية العربية، ولفرض نفوذه فيها وتحارب عملاءه في الداخل الذين يحيكون المؤامرات تلو المؤامرات عسى أن يمكنوا الاجنبي من التحكم بالبلاد مرة أخرى، وبذلك يحولون دون تحرركم ووصولكم الى اهدافكم.

أيها الرفاق :

أنكم مدعوون للنضال القومي، والحفاظ على استقلال البلاد وحمايتها من خطر التوسع الصهيوني والنفوذ الاجنبي فعليكم ان تتحملوا الآلام بإيمان وصبر.

أيها الرفاق :

إن معركتكم الداخلية مرتبطة ارتباطا صحيحا مع معركتكم الخارجية، فإذا لم تقضوا نهائيا على كل مطمع اجنبي فلن تستطيعوا ان تحققوا النصر في معركتكم الداخلية.

ان الاجنبي يحرض الطامعين ويسلح الصهيونيين ويمد المتآمرين لإثارة الفتن الداخلية واحياء النعرات الطائفية وتقوية روح العشائرية، عساه أن يحقق للصهيونية الحياة والبقاء، ولنفوذه الاستمرار، فعليكم أن تحيطوا كل ذلك بتضامنكم واتحادكم ونضالكم ووعيكم وتجندوا كل قواكم لمجابهة الأحداث داخلية كانت أم خارجية.

ان مرحلتنا تتطلب اليقظة والانتباه فعليكم أن تخرسوا السنة السوء وتقطعوا دابر الخونة وتقضوا على مثيري الاشاعات والفتن فالأمة العربية في معركة الحياة أو الموت مع الاستعمارين الغربي والصهيوني".

وقد وصف صاحب جريدة الرأي العام الذي شاهده هذا المهرجان بقوله :

"لقد شاهدنا ألوف الفلاحين يزحفون الى محردة من مسافات طويلة ولما كنا نسألهم كيف وصلوا وأي وسيلة ركبوا كان جواب بعضهم أنهم مشوا الليل بطوله ليشهدوا المهرجان، إن الشيء الذي استطيع أن أؤكده أنه لم يعد مجال لنكسة تصاب بها الحركة الاشتراكية لا في محافظة حماه وحدها بل في سورية، سواء بقي حزب البعث الاشتراكي أم ذهب لأن الدعوة الاشتراكية قد تأصلت في نفوس المواطنين واصبحت قدر الريف السوري. (الرأي العام 55/10/31)

□

كان لاتصال ريف حمص بريف حماه أثر كبير على معركة حمص الانتخابية ولا سيما وأن فرع الحزب في حماه كان هو الذي تولى قيادة المعركة في ريف حمص.

وفي تاريخ 55/10/13 فاز أحمد الحاج يونس على مرشح حزب الشعب راسم الأخرس بأكثرية كبيرة (16 الفا مقابل 12 الفا).

والنتيجة الهامة الأخرى لهذه المعركة أن جميع القواعد الشعبية في الحزب الوطني وكتلة هاني السباعي والشيوعيين والبعثيين والمستقلين التقدميين أصبحت صفا متراصا في معقل الاقطاعية والعائلية وحلف بغداد، وكان نجاح أحمد الحاج يونس بشيرا بقيام الجبهة الوطنية السورية فيما بعد. وهذا ما شجعني أن أحذر حزب الشعب من استئثارهم وفرض سيطرتهم في المجلس النيابي: **"ان الاقلية قد تصبح اكثرية والاكثرية قد تصبح أقلية مجلسية، ومن الخير للحياة الديموقراطية ان تنتزع الاكثرية المجلسية من نفسها الاستئثار والاستبداد".**

تجمع خيوط التآمر على الوضع التقدمي الديموقراطي في سورية.

سلك الأتاسيون مع السوريين القوميين بعد فشلهم الذريع في الانتخابات طريق العنف ضد حزب البعث بالوقت الذي كانت قضية المالكي قيد المحاكمة، فزاد ذلك من ضعف السوريين القوميين وكشف تآمرهم، ففي ذكرى تقسيم فلسطين واغتصاب لواء اسكندرون أضربت جميع المدن السورية وتظاهر الشعب وهو يهتف بسقوط سياسة الاحلاف والصلح مع اسرائيل ومطالبا بضرورة التسلح بينما قام السوريون القوميون بمهاجمة المتظاهرين في مدينة حمص مسلحين بالمدى والعصى، كما تعرضوا مع الشعبيين وبعض الاخوان المسلمين للمتظاهرين محاولين احداث فتنة تسيل فيها الدماء فأصدر فرع حزب البعث في حمص البيان التالي بتاريخ 1955/1/30، وودر فيه :

"خرج حزب الشعب في ذكرى التقسيم، مدعيا التظاهر على غير عادته، لينفذ اعتداء وحشيا على مظاهرة حزبية كانت تشرح أهدافها للشعب، فأمام دار الحكومة اقتحمت جماعة من الرعاع المسلحين ومساعديهم من "المثقفين" صفوف الشعب والطلاب، وجرحت بعضيها وأسلحتها عددا من المتظاهرين وبينهم من كانت جراحه خطرة، وبينهم من أوشك المعتدون أن يقضوا عليه، لولا أن جوبهوا بقوة.

ان هذا الاعتداء المبيت الذي ظهرت نوايا اصحابه منذ الصباح ليدل دلالة واضحة على أن رؤساء حزب الشعب الذين خذلهم الشعب في المعركة الانتخابية الاخيرة مصممون على أداء مهمتهم التي ليست الا معاداة الحركة الشعبية ومحاولة الوقوف في وجه كل اتجاه تحرري صحيح، ففي يوم الذكرى الاليمة يجمع هذا الحزب بقاياه وبقايا السوريين القوميين قتلة المالكي ليشوه التضامن الذي يجب أن تظهر به البلاد، وليشغل المواطنين عن حماستهم لاهدافهم برد اعتداءات اولئك الذين كانوا في سياستهم المساندة للاستعمار ضد تحرير البلاد العربية وضد فلسطين نفسها في النتيجة .

لقد لعب هؤلاء المسؤولون من حزب الشعب أسوا دور وأخطره في معركة الاحلاف الاستعمارية التي شنت على الوطن العربي والتي استشهد

في سبيلها ركن عزيز ثمين من أركان جيشنا المدافع عن الحدود، ولقد انكر الشعب بكامله سياستهم هذه، وثار ضد السيطرة الاقطاعية العائلية التي يريدون أن يفرضوها عليه فخذلهم في المعركة الانتخابية ليخذل معهم الضعف تجاه الاجنبي والتواطؤ معه، وليدعم بكل قوة اتجاه الجماهير العاملة في المدينة والقرى، اتجاه التحرر من السيطرة الاجنبية وتوحيد الاقطار العربية المتحررة وتقويتها".

"لقد ابدى شبابنا من ضبط الأعصاب ومتانتها ما هم جديرون به، وقد عمل الحزب على تهدئة الأوساط التي استفزها الحادث وأثارها، الا أننا نحذر المسؤولين عن الأمن من عواقب هذا الاسلوب الجديد بالعمل السياسي الذي يلجأ إليه حزب الشعب في حمص، فإرادتنا من إرادة هذا الشعب الذي يريد القوة ولا يريد الفتنة، ونحن مع أهدافنا دائما وفي سبيل النضال من أجلها نضالا يزداد تصميما وشدة كل يوم، وذلك لأن وطننا تهدده الأخطار وشعبنا يأبى الهزيمة والموت".

تعديل اتفاقية شركة نفط العراق.

ذكرنا في السابق كيف اصبحت قضية تعديل اتفاقية شركات النفط قضية شعبية، فقد استمرت اللجان الشعبية بقيادة حزب البعث والحزب الشيوعي والأحزاب الاخرى في قيادة هذه المعركة منذ عهد حكومة صبري العسلي، ثم استمرت في عهد حكومة الغزي، ولكن شركة نفط العراق ظلت تماطل وتراوغ في مفاوضاتها ثم قطعت هذه المفاوضات بحجة الرجوع الى مركز الشركة في لندن، وبعد ظهور نتائج انتخابات حمص استأنفت الشركة مفاوضاتها من جديد بتاريخ 21-11-55 مع الجانب السوري، ولم تخف الدوائر البريطانية في لندن قلقها وخوفها من إقدام سورية على قطع مرور النفط، وكانت الصحف البريطانية تعبر عن ذلك وتصف تعطيل هذا الخط بأنه يضر كثيرا بسورية ولبنان والعراق التي تخسر مواردها، وكانت تدعي بأن لندن تأبى أن تصدق ما يقال بأن الحكومة السورية بإمكانها ان تتخذ مثل هذا التدبير.

وبعد استئناف المفاوضات قال لي وزير المالية الدكتور عبد الوهاب حومد : بأنه يخشى أن يتهم فيما إذا تم الاتفاق مع الشركة لأن كل من يضع يده بقضايا البترول يعرض نفسه للاتهام وانه يود أن يتلقى دعما لموقفه في هذه المفاوضات، فأظهرت له استعدادنا لدعمه لثقتنا بنزاهته ولأنني كنت اعتقد أن وضع سورية الداخلي والخارجي والمالي لا يسمح بتنفيذ تهديداتنا بقطع أنابيب البترول وان الواقعية تقضي علينا بأن ننال من الشركة أقصى ما يمكن أن ننال من العائدات بالضغط والتهديد، ولكنني اتفقت معه أن نعارض الاتفاقية التي سيتوصل اليها ليتاح لسورية في المستقبل حق المطالبة بتعديلها مرة أخرى على ألا تبلغ معارضتنا حد رفضها من قبل المجلس النيابي فيما إذا كان الاتفاق يحقق للبلاد فوائد كبيرة تنفقها على مشاريع الموازنة الاستثنائية وعلى تسليح الجيش، وقد كان الدكتور حومد يطلعني على مراحل المفاوضة وقد شجعته على توقيعها، ومن الجدير بالذكر أن شركة التابلاين كانت تنتظر دورها في المفاوضات لتعديل اتفاقيتها على الأسس التي عدلت بموجبها الاتفاقية مع شركة نفط العراق ... وفي تاريخ 55/11/26 فوض مجلس الوزراء وزير المالية والاقتصاد الوطني بتوقيع الاتفاقية مع شركة نفط العراق، وقد احيلت بدورها الى المجلس النيابي بتاريخ 55/12/3، وفي جلسة 55/12/5 تلي تقرير لجان الاقتصاد الوطني والقوانين والمالية والبترول وهذا نصه:

في الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد 55/12/4 عقدت لجان القوانين المالية والاقتصاد الوطني والبترول اجتماعا مشتركا للبحث في مشروع القانون المتضمن تصديق:

1- الاتفاقات الثلاث المعقودة بين الحكومة السورية وشركة نفط العراق المحدودة والكتاب الملحق بها والموقعة بتاريخ 1955./11/29

2- الاتفاق المعقود بين الحكومة السورية وشركة نفط سورية المحدودة.

وقد استمعت اللجان النيابية الثلاث الى البيانات والايضاحات التي أدلى بها صاحب المعالي وزير المالية ووزير الاقتصاد الوطني والامين العام

لوزارة الاشغال السيد كاظم الجزار والدكتور عزة الطرابلسي بوصفه عضوا في وفد المفاوضة السوري حول الاتفاقيات التي وقعت باسم الحكومة مع شركة نفط العراق المحدودة.

وقد كانت خلاصة ما أفضى به معالي وزير المالية ان الاتفاقيات تتناول موضوعات أربعة :

أ - تصفية امتياز شركة نفقط سورية المحدودة.

ب- الاتفاقية المتممة للاتفاقية المعقودة في 25 آذار 1931.

ج- اتفاقية تحميل النفط في مرفأ بانياس.

د- اتفاقية توزيع حصة سورية من منتجات المصفاة في طرابلس.

1- فالاتفاقية الأولى تتناول تسوية الخلاف القائم بين الحكومة وشركة نفط سورية المحدودة بعد أن تخلت الشركة عن امتيازها نهائيا بالتنقيب عن النفط في سورية، وقد تمت التسوية عن تنازل الشركة عن جميع موجوداتها وومتلكاتها بدون مقابل للحكومة السورية ودفعها علاوة على ذلك مبلغ 300 الف جنيه استرليني فور تصديق الاتفاق.

2- والاتفاقية الثانية التي تفيد الاتفاقية الرئيسية هي متممة للاتفاق المعقود في 25 آذار 1931 وأبرز احكامها تلك التي تتعلق بالعوائد وإعطائها مفعولا رجعيا عن المدة التي تتراوح بين انشاء خط بانياس حتى نهاية عام 1955 وبتسليم كمية 600 الف طن من النفط الخام الى المصفاة التي تنشئها الحكومة بسعر مخفض، وقد تبين من دراسة الفوائد انها حسبت على أساس ان تقسم مناصفة الارباح التي تحققها الشركة من الفرق الناشئ بين اكلاف النقل بالطريق البحري وبين اكلاف النقل عبر الأراضي السورية وجعل الفوائد نسبية تودى بنسبة كميات النفط المارة بالانابيب وبنسبة طول هذه الانابيب فيما يتعلق بالعنصر الطن - ميلي وبنسبة الكميات التي تصب في مرفأ بانياس فيما يتعلق بالعنصر المصبي.

وقد قدرت حصة سورية بـ 6.547,333 جنيه استرليني لعام 1956 ترتفع في المستقبل تبعا لزيادة الكميات المتدفقة في الأنابيب عند توسيع الخطوط الحالية او انشاء خطوط جديدة.

أما المفعول الرجعي فقد بلغ 8.500.000 جنيه استرليني تعهدت الشركة بأدائه خلال عام .1956

3- ويستهدف اتفاق تحميل النفط تنظيم حقوق الحكومة والشركة وواجباتها في مرفأ بانياس وتحديد رسم موحد مقابل لمختلف الرسوم المقررة على تحميل السفن وتفريغها في المرافئ السورية.

4- واخيرا يتناول اتفاق منتجات المصفاة تخصيص الحكومة السورية أو من تختارهم بحصة من منتجات مصفاة طرابلس بقصد توزيعها في سورية، وتبلغ هذه الحصة في المرحلة الأولى 10% من حصة سورية ثم ترتفع الى 15% ثم الى 20% وفقا لأحكام الاتفاق المذكور.

وقد أضاف معالي وزير المالية بعد تحليل الاتفاقيات ومناقشتها بأن هذا اقصى ما استطاع المفاوض السوري الحصول عليه من الشركة، وان العائدات ارتفعت في الواقع من 14 مليون ليرة سورية تقريبا الى خمسة وستين مليون ليرة سورية مع مفعول رجعي يبلغ خمسة وثمانون مليون ليرة سورية وتخفيض السعر عن المادة الخامية المتفق عليها للمصفاة السورية.

وبعد المداولة قدرت اللجان بالاجماع موقف المفاوض السوري والجهود التي بذلها في سبيل الوصول الى النتائج المذكورة غير ان بعض الاعضاء ابدوا الملاحظات التالية :

1- انه كان من الأفضل ان تحسب العائدات على أساس آخر بدلا من أن تكون النسبة قائمة على اساس الطول الحقيقي لخط الانابيب الممتدة من كركوك الى بانياس، الأمر الذي كان يؤدي الى زيادة عائدات الحكومة.

2- انه كان من الافضل ان تعامل الشركة كأي شركة عادية تؤدي الرسوم الجمركية النافذة.

3- ان اتفاق التوزيع ناقص وكان من الضروري ان تتولى الحكومة توزيع المنتجات كاملة لا نسبة منها كما جاء في الاتفاق.

وقد أجاب معالي وزير المالية على هذه الملاحظات وموقف الجانب السوري منها، وأضاف بشأن المصفاة ان الحكومة تأمل المباشرة بإنشائها سريعا وبإنشائها تحل مشكلة التوزيع إذ تقوم الحكومة بالتصفية والتوزيع معا. وفي نهاية المذاكرات تقرر بالاكثرية الموافقة على مشروع القاناون كما ورد.

واللجنة اذ ترفع تقريرها الى مقامكم ترجو عرضه على المجلس الكريم للموافقة عليه ودمتم. دمشق في 1955/12/4.

وفي جلسة 1955/12/5 التي نوقش فيها مشروع الاتفاقية تمت الموافقة عليها وبذلك أمنت البلاد زيادة في العائدات مع مفعول رجعي وموردا مهما من موارد القطع النادر.

نص الاتفاقية في محاضر مجلس النواب، الدورة العادية الثالثة، الجلسة الخامسة عشرة من الدور الاشتراكي السادس ص 709.

مجلس النواب السوري يستعيد من فرنسا حقا من حقوق السيادة .

في هذا الفصل سأثبت بالتفصيل نص التقرير الذي وضعته لجان برلمانية ثلاث، وهو تقرير يتعرض لمراحل السياسة النقدية التي مرت على سورية والتي توجت أخيرا بمرحلة استعادة هذا البلد حقا من حقوق السيادة وهو حق اصدار النقد.

إن هذه المراحل ليست الا انعكاسا للظروف السياسية المتتابعة، وكانت مرحلة تصفية امتياز اصدارالنقد الانعكاس الاقتصادي العملي للسياسة الاستقلالية التحررية التي انتهجها شعب سورية، ولا سيما في النصف الثاني من الخمسينات.

ففي الجلسة نفسها التي تم فيها تعديل الاتفاقية البترولية مع شركة نفط العراق تم عرض مشروع اتفاقية تصفية امتياز الاصدار الممنوح لمصرف سورية ولبنان، وهي الاتفاقية التي عقدتها مع المصرف حكومة صبري العسلي فأحيلت الى اللجان: الاقتصادية والمالية والموازنة لدراستها.

ومن حسن الحظ أنه حدث خلاف في وجهات النظر حول هذه الاتفاقية بين عزت الطرابلسي وعوض بركات الموظفين الخبيرين في وزارة المالية اللذين توليا باسم الحكومة المفاوضات مع المصرف وبين خبيرين آخرين كانا خارج الوظيفة والمسؤولية هما حسن جبارة وهنري رعد، وقد استعانت بهما اللجان الثلاث التي أحيلت إليها الاتفاقية بعد أن أرسل حسن جبارة برقية يحذر فيها المجلس النيابي من المصادقة على مشروع اتفاقية تصفية امتياز البنك كما عقدتها حكومة العسلي. وقد دعمنا حسن جبارة وزميله واستدعيناهما لحضور اجتماعات اللجان وطرح وجهة نظرهما..

ان هنـري رعـد وحســن جبـارة يعتبـران مـن الخبـراء الـذين ترعرعوا في ظل الانتداب وتعاونوا معه كموظفين في وزارة الماليـة والوظـائف الأخـرى، وكـان حســن جبـارة وزيـر الماليـة الـذي عقـد الاتفاقية المالية مع فرنسا في عهـد حســني الـزعيم عـام 1949، أما الآن فقد يكـون الـدافع لهمـا هـو المصـلحة العامـة والاسـتجابة لموجة التحـرر التـي تجتـاح الـبلاد، لكـي يسـتطيع حسـن جبـارة، على الأخـص، العـودة الـى الحيـاة السياسـية والـوزارة، وفـي كـلا الحالين كنا مـرحبين بموقفهمـا والاسـتعانة بخبرتهمـا، لأننـا تمكنـا بسـبب ما دار من نقاش بين اعضـاء اللجـان وبـين هـذين الخبيـرين والخبراء الـذين وضـعوا الاتفاقيـة مـن حـل ألغازهـا وفهـم نصوصـها، وفيمـا يلـي قـرار اللجـان الـثلاث : (الـدور الاشــتراكي الســادس ، الدورة الاستثنائية الثالثة، الجلسـة: المنعقـدة بتـاريخ 56/1/14 ص 249).

القسم الأول:

لمحة عن تاريخ امتياز مصرف سورية ولبنان:

أولا- ما هو المصرف وكيفية حصوله على الامتياز ؟

1- يزيد عمر مصرف سورية ولبنان في الأراضـي السـورية عـن سـبعة وثلاثـين عاما، وقد تم تأسيسه لأول مرة في سورية في الاشهر الاولى التـي أعقبـت احـتلال جيـوش الحلفـاء الأراضـي السـورية - اللبنانيـة فـي عـام 1919، وتـدل ولادته السريعة اثر الاحـتلال، علـى أن المصـالح الافرنسـية كانـت تعـد العـدة لتأسيسه قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى، مثلما كانت سلطات الحلفاء تعـد العدة لاقتسام البلدان العربية الى مناطق نفوذ سياسية فيما بينها.

واذا كانت بداية مصرف سورية ولبنان قد رافقت الاحتلال الفرنسـي فإن نهايته تأخرت عن نهاية الانتداب الذي زال منذ عـام 1945 ، غيـر ان السـلطات السورية أخذت منـذ مطلـع عـام 1944 تكسـر القيـود النقديـة التـي كبلهـا بهـا الانتداب قيدا فقيدا، حتى استعادت بعد جهاد طويل كامل حريتها في الشؤون النقدية كما سنرى ذلك.

أسـس المصرف لأول مـرة باسـم (بنـك سـورية) فـي عـام 1919 وحـل عمليا محل البنك العثماني، وهو عبارة عن شركة افرنسية مساهمة مركزهـا

الرئيسي في باريس ورأسمالها مؤلف من 51 الف سهم يملك منها البنك العثماني أحد عشر الفا والباقي يعود الى بعض المصارف الافرنسية كبنك باريس وبنك (الأراضي المنخفضة) والى الافراد الفرنسيين الذين قبلوا أن يبيعوا من أصل الأسهم ثمانية آلاف سهم الى السوريين واللبنانيين. ويبلغ رأس مال المصرف في الوقت الحاضر 300 مليون فرنك فرنسي (فرنك قديم) اي ما يعادل نحوا من ثلاثة ملايين ليرة سورية.

بقي (بنك سورية) يعمل حتى 1924/1/23 بفضل قرارات المفوض السامي التي أحدثت النقد الورقي السوري اللبناني ومنحت (بنك سورية) امتياز اصدار النقد السوري الجديد بناء على اتفاق كان قد جرى بين البنك العثماني وبين الخزينة الفرنسية.

وفي مطلع عام 1924 ورغم المعارضة الشديدة التي ابداها الشعب بصورة عامة ومجلس الاتحاد بصورة خاصة، أقر المفوض السامي اتفاقا بين حكومة صبحي بركات والبنك مؤرخا في 23 كانون الثاني 1924 أصبح بموجبه اسم المصرف (بنك سورية ولبنان الكبير) ومنح هذا المصرف امتياز اصدار النقد لمدة 15 عاما تبتدئ من أول نيسان عام 1924 كما منح القيام بوظيفة المصرف الرسمي للبلاد.

وفي عام 1938 جرت مفاوضات مع الحكومة السورية لتجديد امتياز المصرف انتهت الى عقد اتفاق مؤرخ في 25 شباط وقعه السيد جميل مردم، أصبح بموجبه اسم المصرف (بنك سورية ولبنان) ومنح امتياز الاصدار لمدة 25 سنة أخرى اعتبارا من انتهاء مدة امتياز عام 1924، ولم يعرض الاتفاق الجديد على المجلس النيابي، إلى أن جاءت حكومة المديرين فأصدرت المرسوم التشريعي ذا الرقم (28) والتاريخ 1939/9/9 القاضي بتصديق الاتفاق. وقد صادق المفوض السامي على المرسوم التشريعي المذكور بالقرار رقم 402 تاريخ 1939/9/9 أما مدة الامتياز الجديد فتنتهي في آذار 1964.

وفي خلال الحرب العالمية الثانية، اصدر المفوض السامي بضعة عشر قرارا عدل فيها بصورة وحيدة الطرف بعض نصوص اتفاق عام 1938، وقد تناولت هذه التعديلات في معظمها احكام التغطية فأحلت المصرف من بعض الشروط المفروضة عليه فيما يتعلق بعناصر التغطية وسمحت له بإدخال عناصر جديدة أملتها ظروف الحرب ومصالح جيوش الحلفاء.

وأخيرا في عهد حكومة حسني الزعيم وقع مع البنك السوري اتفاق مؤرخ في أول آب 1949 سمي بالملحق وقضى بتعديل بعض احكام الاتفاق المؤرخ في شباط 1938، وأهمها حساب الفوائد وحساب العوائد. غير أن الحكومة التي جاءت اثر الانقلاب رفضت نشر الملحق في الجريدة الرسمية كما ان الحكومات المتعاقبة رفضت الاعتراف به. نستخلص من هذا العرض التاريخي :

- ان تأسيس مصرف سورية ولبنان كان جزءا من الخطة التي رسمها الحلفاء اثناء الحرب العالمية الأولى لتقاسم البلدان العربية واحتلالها وبسط نفوذهم السياسي عليها. إن امتياز مصرف سورية ولبنان كان إحدى الركائز التي استند اليها الانتداب في بسط نفوذه وتأمين مصالحه.

- ان جميع الامتيازات التي منحت للمصرف انما صدرت عن إرادة السلطة المنتدبة وحدها وفرضت على البلاد فرضا دون أن يؤخذ أي اعتبار لإرادة ممثلي الأمة الشرعيين أو لمصالح البلاد الرئيسية".

ثانيا - في مضمون الامتياز :

1- اختلفت احكام الامتياز في نقاطها التفصيلية بين اعوام 1920 و 1924 و 1938، ولكنها بقيت واحدة في جوهرها وفي نتائجها السياسية والنقدية والاقتصادية. فمن حيث المبدأ ، حصر امتياز النقد السوري بمصرف سورية ولبنان الذي هو شركة افرنسية خاصة، مركزها الرئيسي خارج الأراضي السورية ومجلس ادارتها مؤلف من اعضاء افرنسيين بأكثريتم الساحقة، ومن البديهي أن يكون هذا المصرف الاجنبي متأثرا بمصلحته الخاصة وبمصلحة حكومته اكثر من اهتمامه بمراعاة مصالح البلاد التي يتولى اصدار نقدها.

أما حق التشريع النقدي - الذي هو مظهر هام من مظاهر السيادة - فقد قيد باتفاق مع مصرف تجاري اجنبي. وبذلك تعذر على الدولة أن تمارس حقها في التشريع النقدي ما دام هذا التشريع منصوصا عليه في اتفاق ثنائي.

أما أحكام الامتياز ذاتها، فقد جاءت بعيدة عن المصالح السورية لأنها لم توضع في الأصل إلا بقصد خدمة مصالح الحكومة الافرنسية و مصالح المستثمرين الافرنسيين.

2- ففي الفترة الأولى 1919-1924 كان الهدف الأول من الامتياز تمكين جيوش الانتداب من دفع نفقاتها بالعملة المحلية لقاء اسناد قرض على الخزينة الفرنسية توضع في التغطية.

وكان (بنك سورية) الادارة الطبيعية لوضع النقود الورقية السورية في التداول لقاء سحب الذهب والجنيهات المصرية التي استخدمتها الحكومة الفرنسية في تسديد مدفوعاتها الى الخارج.

3- واعتبارا من عام 1924 كان الامتياز يحقق الغايات التالية :

أ- تأمين نفقات دوائر وجيوش الانتداب بالعملة السورية لقاء وضع فرنكات في التغطية أو وضع اسناد على الخزينة الفرنسية.

ب- تأمين نفقات جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية لقاء وضع أسناد على الخزينة الفرنسية في التغطية.

جـ- تسهيل تجارة فرنسا مع سورية وتسهيل استثمار الرساميل الفرنسية فيها.

د- تمكين السيادة الفرنسية على البلاد عن طريق إدارة اصدار النقد السوري وربط العملة السورية بالفرنك الفرنسي.

4- بموجب نصوص الامتياز ، كانت الليرة السورية معادلة لعشرين فرنكا فرنسيا، وكان القسم الأكبر من التغطية موجودا في فرنسا ومؤلفا من فرنكات افرنسية أو من اسناد دين على الخزينة الفرنسية.

وفي ظل النظام الذي ساد من عام 1920 الى اوائل عام 1944، لم يكن للنقد السوري كيان مستقل عن الفرنك الفرنسي، اذ كانت الليرة السورية اسما مستعارا للفرنك تتبعه في جميع تقلباته. فاذا لجأت الحكومة الفرنسية الى تخفيض الفرنك لاسباب واعتبارات فرنسية اصاب هذا التخفيض الليرة السورية حكما دون إرادة أو مشيئة الحكومة السورية، وقد عانت سورية الأمرين من جراء هبوط الفرنك المتتالي، وخسرت البلاد الجزء الاعظم من ثروتها النقدية، فضلا عن الاضرار الاقتصادية الجسيمة التي أصابتها من جراء التضخم النقدي، أو من عدم الاستقرار في سعر العملة كركود تجارة البلاد الخارجية وفساد العلاقات بين الدائن والمدين وبين العامل ورب العمل ولجوء

الافراد الى ادخار الذهب وعدم توظيف الأموال وتأخر تقدم البلاد والاقتصاد .... الخ.

واخيرا، ان وجود القسم الاعظم من تغطية النقد السوري في فرنسا يعني -النتيجتين التاليتين :

أ- توظيف الرأس المال السوري الوطني في فرنسا وفي اعمال ومشاريع فرنسية في حين ان الحاجة ماسة الى توظيف هذه الاموال في مشاريع سورية منتجة .

ب- بقاء التغطية النقدية في فرنسا تحت رحمة الحكومة الفرنسية لتستعملها كوسيلة للضغط على سورية للوصول الى مآربها السياسية أو الاقتصادية، ولا حاجة لذكر الاعمال والمداخلات السياسية وغير السياسية التي قام بها بنك سورية ولبنان منذ سنة 1932.

ثالثا : في تحطيم قيود الامتياز

1- منذ أول فجر الاستقلال اخذت الحكومات المتعاقبة تعمل بدأب متواصل على تحطيم القيود التي فرضها الانتداب على حياتها النقدية بقصد استعادة حرية البلاد كاملة في إدارة نقدها وتوجيه سياستها النقدية حسبما تقتضيه المصلحة السورية الصرفة ويتلخص ما حققته الحكومات في هذا السبيل بالأمور التالية :

أ- فك ارتباط الليرة السورية بالفرنك الفرنسي 1944.

ب- فصل النقد السوري عن الفرنك الفرنسي واستقلال مكتب القطع السوري 1948.

ج- تصفية الفرنكات الفرنسية الموضوعة في التغطية 1949.

د- ممارسة الدولة حقها في التشريع النقدي 1949 و 1950.

هـ- تأسيس مكتب القطع السوري 1952 .

و- اصدار نظام النقد الاساسي .1953

2- كانت الخطوة الأولى في تحرير النقد الوطني من انتداب الفرنك الفرنسي فك ارتباط الليرة السورية بالفرنك. فقد كانت الليرة السورية بموجب صكوك امتياز مصرف سورية ولبنان تعادل عشرين فرنكا فرنسيا

مهما تبدلت قيمة هذا الفرنك، وفي 25 كانون الثاني 1944 بمناسبة توقيع الاتفاق المالي بين الحكومة البريطانية ولجنة التحرير الوطني الفرنسية، تم توقيع وثيقة مشتركة معروفة باتفاق العظم - الصلح - سبيرس- شاتنيو مثل فيها الحكومة السورية خالد العظم والحكومة اللبنانية المرحوم رياض الصلح والجنرال سبيرس عن الحكومة البريطانية وايف شاتنيو عن لجنة التحرير الفرنسية اعلن بموجبها ما يلي : ان الجنة الاسترليني يساوي 200 فرنك واصبحت الليرة السورية تساوي 25.65 فرنكا وان الجنيه يساوي 883 قرشا سوريا وان هذا التعادل لن يعدل قبل استشارة سابقة للحكومة السورية، كما أعلن الاستمرار في حرية شراء الاسترليني من قبل المقيمين السوريين. وبموجب كتاب المندوبية الفرنسية العامة تعهدت الحكومة الفرنسية بضمان سعر الفرنكات الموضوعة في تغطية النقد السوري، وتعهدت في حال تخفيض قيمة الفرنك بالنسبة الى الجنيه الاسترليني بأن تدفع الى الحكومة السورية مقدارا اضافيا من الفرنكات بحيث تبقى الفرنكات الموضوعة في التغطية على أساس الاسترليني مساوية ما كانت عليه قبل التخفيض.

وبنتيجة هذه الوثائق زال الارتباط المباشر بين الليرة السورية والفرنك الفرنسي وتعهدت فرنسا للحكومة السورية بضمان قيمة الفرنك بالنسبة الى الاسترليني بمعنى أنه إذا انخفضت قيمة الفرنك بالنسبة الى الاسترليني ارتفع سعر تعادل الليرة السورية بالفرنكات بنسبة التخفيض. وتنفيذا لهذا التعهد دفعت الحكومة الفرنسية مبلغا من الفرنكات يعادل التخفيض الذي وقع في عامي 1944 و .1945

3- غير أن الحكومة الفرنسية في آذار 1946 ابلغت الحكومة السورية عدم الاستمرار في حرية تحويل الاسترليني وعدم رغبتها الاستمرار في ضمانة الفرنكات الموضوعة في التغطية، وأنها أصبحت في حل من التعهد الذي قطعته على نفسها عام 1944، وقد احتجت الحكومة السورية على نقض هذا التعهد الدولي بصورة وحيدة الطرف وطالبت باستمرار الضمانة، وعلى أثر المذكرات التي تبودلت بين الحكومتين تقرر الدخول في مفاوضات بين الحكومتين السورية واللبنانية من جهة والحكومة الفرنسية من جهة أخرى، وقد بدأت هذه المفاوضات في باريس في أول تشرين أول عام 1947 وانتهت بانفراد لبنان بتوقيع اتفاق

مع فرنسا في 48/1/26 قبلت فرنسا بموجبه ضمان قسم من الفرنكات، في حين أن الحكومة السورية رفضت توقيع اتفاق مماثل.

وعلى أثر ذلك اعلنت الحكومة الفرنسية تجميد الفرنكات الفرنسية العائدة للحكومة السورية، وحاول رئيس مجلس إدارة مصرف سورية ولبنان آنذاك عن طريق الحكومة اللبنانية الضغط على سورية، فكان إقدام الحكومة اللبنانية على إعلان عدم بقاء قوة إبرائية للنقد السوري في لبنان، وكانت عملية تبديل الليرات السورية المتداولة في لبنان في 2 شباط سنة 1948 تلك العملية التي كان من آثارها ظهور فرق لأول مرة بين سعر النقدين السوري واللبناني، وقد ظلت هذه الأوراق المبدلة معلقة بين الحكومتين السورية واللبنانية إلى أن حلت باتفاق عام 1952.

كانت ردة الفعل لدى الحكومة السورية شديدة، إذ أعلنت للصندوق النقدي الدولي انفصال الليرة السورية نهائيا عن الفرنك الفرنسي وتثبيت سعر الليرة على أساس الذهب والدولار الاميركي، كما أقدمت على إلغاء مكتب القطع السوري - اللبناني المشترك الذي كانت يخضع لرقابة ممثل فرنسا، وأسست مكتب القطع السوري الذي استقل في إدارته وفي انظمته عن لبنان وعن الحكومة الفرنسية، وأخيرا أعلنت الحكومة السورية تطبيق نظام القطع السوري على منطقة الفرنك بعد أن كانت هذه المنطقة تتمتع بمزايا خاصة لا تستفيد منها بقية البلدان.

4- في أواخر عام 1948 استؤنفت المفاوضات مع الجانب الفرنسي لحل مشكلة الفرنكات المجمدة وحل قضية الضمانة، وفي7 شباط 1949 تم توقيع اتفاقات التصفية التي قبلت فرنسا بموجبها ضمان 7 مليارات فرنك من أصل المليارات العشر التي تعود للحكومة السورية مع مفعول رجعي اعتبارا من كانون ثاني 1948 وقبلت رفع التجميد عن فرنكات التغطية وتصفيتها بصورة تدريجية على أقساط نصف سنوية يستحق آخرها في أول تشرين الأول 1954.

وقد كان مكتب القطع كلما استحق قسط من الفرنكات يسعى في حدود امكانياته أن يحل محلها في التغطية ذهبا أو دولارات اميركية. وبموجب الكتاب المتبادل رقم (4) الملحق باتفاقات التصفية تعهدت الحكومة السورية فيما يتعلق بالشركات الافرنسية ذوات الامتياز بأن لا تطعن في صحة صكوكها

الصادرة عن السلطات السورية أو عن المفوضية العليا أو عن المندوبية العامة، على أن لا يقر هذا التعهد للشركات المذكورة بحق ما سوى الاحتجاج في حدود التشريع السوري بالاحكام المنصوص عليها في صكوك الامتياز.

كما أنه من الجدير بالذكر أن اتفاق التصفية المؤرخ في 7 شباط 1949 اشترط أن تتم التصفية بواسطة بنك سورية ولبنان، وتبع اتفاق التصفية هذا تبادل كتب تفسيرية مع مصرف سورية ولبنان.

وعلى هذا الاساس تم تبادل كتب مع بنك سورية ولبنان بتاريخ 49/4/19 وطلب بنك سورية ولبنان تنفيذا لهذا التكليف تعديل اتفاق الامتياز الموقع في سنة 1938، ودامت المباحثات مدة شهرين الى أن انتهت في أواخر شهر تموز 1949 ووقع اتفاق آب 1949 سمي بالملحق لاتفاق سنة 1938، غير أن هذا الملحق كان معلقا على صدور تشريع من الحكومة السورية بمرسومين يتناولان موضوعين مختلفين: المرسوم رقم 35 تاريخ 1949/7/31 الذي أسس مكتب التسليف والنقد، ذلك المكتب الذي يسيطر فيه ممثلو بنك سورية ولبنان.

والمرسوم رقم 36 تاريخ 49/7/31 لتحديد تغطية جديدة للنقد السوري. وهنا فكر بنك سورية ولبنان انه أمن امتيازات جديدة وسيطرة جديدة على سياستنا المالية والاقتصادية، غير أن حادث 1949/8/15[1] وظروفه أدت إلى عدم نشر الملحق المؤرخ في 49/8/1 كما أوضحنا أعلاه.

5- وفي عامي 1949 و 1950 مارست الحكومة السورية لأول مرة حقها في التشريع النقدي، فأصدرت عدة مراسيم اشتراعية تتعلق بالنقد السوري وبالتغطية النقدية وبمراقبة مؤسسة الاصدار كان آخرها المرسوم التشريعي ذو الرقم 76 والتاريخ 50/3/11 الذي وحد جميع النصوص السابقة وأقر في مادته الرابعة بحق الدولة في اصدار النقد السوري وإحداث مؤسسة اصدار النقد السوري.

6- وفي 52/4/21 صدر المرسوم التشريعي ذو الرقم 208 الذي قضى بتنظيم مكتب القطع وفق أسس جديدة وحدد أغراضه وأعماله

(1) الانقلاب على حسني الزعيم.

وصلاحياته بشكل جعله يمارس بعض الصلاحيات النقدية التي تمارسها عادة المصارف المركزية في البلاد المتقدمة.

بموجب النظام الجديد أصبح مكتب القطع مستقلا بإدارته وموظفيه ودوائرة عن مصرف سورية ولبنان الذي كان في السابق يقدم للمكتب الموظفين والدوائر والأمكنة ويقوم بتنفيذ جميع اعماله ومسك جميع قيوده وحساباته.

وقد أوكل النظام الجديد الى المكتب وحده إدارة الموجودات الرسمية من الذهب والقطع الاجنبي، وإجراء بيع وشراء القطع العائد الى مؤسسة الاصدار، والاتصال المباشر بالمصارف الداخلية وبالعملاء وبالأسواق في الخارج واختيار المصارف التي يودع لديها القطع الاجنبي العائد للتغطية.

واخيرا باشر مكتب القطع سياسة الدفاع عن قيمة العملة الوطنية وتنظيم مستوى اسعار العملات الاجنبية وتقوية عناصر التغطية من الذهب والدولار الاميركي.

7- وفي 28 آذار 1953 صدر المرسوم التشريعي ذو الرقم 87 المتضمن نظام النقد الاساسي واحداث مصرف سورية المركزي وتشكيل مجلس النقد والتسليف ومراقبة المصارف التجارية. وبعد ان تم تأليف مجلس النقد والتسليف وتنظيم دوائرة واعداد المعلومات النقدية وفق أحداث الأساليب العصرية، أصبح المجلس بالفعل، السلطة القانونية الوحيدة التي ترسم سياسة البلاد النقدية وتشرف على الاصدار وتحدد امور التسليف العامة وتدير الموجودات الحكومية من الذهب والقطع الاجنبي، وتراقب فعاليات المصارف. وهكذا انتزعت من مصرف سورية ولبنان جميع الصلاحيات النقدية التي كان يمارسها بفضل امتيازه أو بحكم عدم وجود سلطة نقدية أخرى.

8- وإذا استعرضنا تاريخ ما حققته سورية منذ عام 1944 نجد :

- ان الليرة السورية انفصلت نهائيا عن الفرنك وأصبح لها سعر ثابت بالنسبة الى الذهب والى العملات الاجنبية القوية.

- ان التغطية المؤلفة من الفرنكات الفرنسية قد حلت محلها تغطية من الذهب والعملات القوية .

- ان حق التشريع النقدي قد استعادته ومارسته الدولة السورية.

- ان رسم سياسة البلاد النقدية وسياسة التسليف العامة والدفاع عن قيمة الليرة السورية وممارسة جميع الصلاحيات النقدية أصبحت بأيد وطنية ولكن مع هذا كله:

أ- لا تزال ادارة اصدار النقد السوري بيد شركة أجنبية تقوم بوظيفة خدمة عامة هي في الاصل من صميم حقوق الدولة ومظهر من مظاهر سيادتها.

ب- ان مصرف سورية ولبنان شركة تجارية تتوخى قبل كل شيء فوائدها التجارية

ج- انه يستأثر بالتسليف الى الزبائن على مسؤوليته الخاصة ووفق مصالحه.

د- ان فوائد الدولة المادية من اعمال الاصدار ومن ودائعها تافهة تعود معظمها الى هذه المؤسسة.

هـ- ان قسما كبيرا من عناصر التغطية وأخصه ما هو بالعملة الاجنبية هو خارج سورية ويودع باسم بنك سورية ولبنان. ولذلك كان لا بد من تحطيم آخر قيد بقي من قيود الامتياز وتصفيته تصفية نهائية كاملة لكي يتم تأسيس مصرف سورية المركزي.

القسم الثاني

تحليل نصوص اتفاق التصفية.

- يمكن تلخيص الامور التي تناولها الاتفاق بثلاث نواح رئيسية :

أ- تحديد القواعد الفنية في تصفية امتياز الاصدار ونقله الى مصرف سورية المركزي.

ب- تحديد تعويض الغاء الامتياز قبل انتهاء مدته التعاقدية.

ج- حل الخلافات المعلقة بين الحكومة والمصرف.

أولا - القواعد الفنية في تصفية امتياز الاصدار ونقله الى مصرف سورية المركزي:

1- لتسهيل عمليات تصفية الامتيازات وعمليات نقل الحسابات والموجودات (الأوراق النقدية والذهب والقطع الاجنبي وبقية عناصر التغطية) من فرع

الاصدار الى مصرف سورية المركزي، لحظ الاتفاق فترة انتقالية حدد لها مهلة قصوى لاجراء هذه العملية التمهيدية.

ولتكوين فكرة صحيحة عن العمليات التمهيدية الآنفة الذكر لا بد من التذكير أن مصرف سورية ولبنان في وضعه الحاضر منقسم الى فرعين: الفرع التجاري وفرع الاصدار وهذا الفرع الاخير لا يخرج في واقع الامر عن كونه مجرد وحدة حسابية مهمتها مسك حسابات الاوراق النقدية وعناصر تغطيتها، وهو لهذا السبب لا يضم اكثر من أربعة موظفين فنيين ونحوا من 20 موظفة لعد الأوراق.

ولما كان مصرف سورية المركزي مدعوا أن يأخذ على عاتقه بالاضافة إلى حسابات فرع الاصدار بعض الحسابات والاعمال الاخرى التي يمارسها الآن الفرع التجاري لمصرف سورية ولبنان، فقد نص الاتفاق على احداث مؤسسة اصدار النقد السوري خلال الفترة الانتقالية، واشترط أن تكون إدارة المؤسسة الجديدة وحساباتها وأعمالها منفصلة تماما ومستقلة كل الاستقلال عن بقية أعمال المصرف.

2- تحدث مؤسسة اصدار النقد السوري وتنظم ادارتها خلال الفترة الانتقالية وفق المبادئ التالية :

أ- عند وضع الاتفاق موضع التنفيذ تمارس مؤسسة اصدار النقد السوري المحدثة مهامها ، وتنقل فورا حسابات فرع الاصدار الحالي وأعماله.

ب- خلال مهلة حدها الاقصى ستة اشهر اعتبارا من نفاذ الاتفاق تنقل من الفرع التجاري الى مؤسسة الاصدار.

1- ودائع الخزينة والادارات والمؤسسات العامة وحساباتها.

2- ودائع المصرف التجارية وحساباتها.

3- جميع العمليات التي تجريها الخزينة والادارات والمؤسسات العامة لحسابها الخاص، كدفع الاموال أو قبضها الأموال داخل سورية وخارجها وفتح الاعتمادات الخ... والقروض والسلف الممنوحة الى الخزينة أو الى الادارات العامة.

4- جميع العمليات التي تتم بين المصرف السوري بوصفه مؤسسة إصدار وبقية المصارف أو جميع العمليات التي يفرض نظام النقد الاساسي

على المصارف أن تجريها مع المصرف المركزي كعمليات اعادة الخصم وفتح الاعتمادات الى المصارف وايداع الاموال الاحتياطية التي يوجب القانون على المصارف ايداعها لدى المصرف المركزي الخ ...

3- خلال مدة حدها الاقصى 18 شهرا من نفاذ الاتفاق يتوجب على مصرف سورية ولبنان أن يجعل الديون التي ينقلها من الفرع التجاري الى مؤسسة الاصدار او الى مصرف سورية المركزي قابلة الوضع في التغطية وفقا لأحكام نظام النقد الأساسي.

وتفصيل ذلك أن مصرف سورية ولبنان يستعمل الآن الودائع العامة التي تودعها الخزينة والمؤسسات العامة في فرعه التجاري في اقراضها الى المصارف والافراد من تجار وزراع وصناع، وهي تبلغ الآن نحوا من 170 مليون ليرة سورية، وقد وظف الفرع التجاري هذه الأموال من أصل ودائع الدولة دون أن يراعى في أسلوب توظيف قسم منها الاحكام المنصوص عليها في قانون النقد، كأن تكون أسنادا تجارية لمدة لا تتجاوز 120 يوما أو تحمل ثلاث تواقيع مليئة الخ... وهكذا يتضح أن قسما من هذه التوظيفات غير ميسور وضعه فورا في التغطية، لأن بعض هذه الاسناد يزيد استحقاقها عن 120 يوما أو لأنها لا تحمل عدد التواقيع المنصوص عليه في قانون النقد، ولا بد من مهلة تعطى للمصرف لكي يجعل توظيفات الفرع التجاري التي ستنقل الى المصرف المركزي مستوفية الشروط التي تجعلها قابلة الوضع في التغطية.

وقد لحظ الاتفاق أن تصبح التوظيفات المنقولة من الفرع التجاري الى مؤسسة الاصدار المحدثة قابلة الوضع في التغطية في حدود 50% على الاقل خلال اثني عشر شهرا، ثم ترتفع النسبة الى 75% على الأقل خلال خمسة عشر شهرا ثم الى 100% خلال الثمانية عشر شهرا التي تلي تاريخ وضع الاتفاق موضع التنفيد.

وخلال الفترة الانتقالية المبحوث عنها يكون لمؤسسة الاصدار الجديدة -كما اسلفنا- إدارة خاصة وموظفون خاصون وحسابات وقيود خاصة في عزلة عن ادارة الفرع التجاري وموظفية وحساباته.

4- وبالاضافة الى ذلك ورغبة في تأمين استلام ادارة الاصدار من قبل الدولة، وتأمين مراقبة أعمال مؤسسة الاصدار من قبل الدولة، وتأمين مراقبة أعمال مؤسسة الاصدار مراقبة فعالة، فقد لحظ الاتفاق تأليف

لجنة ثلاثية من قبل الحكومة برئاسة رئيس مجلس النقد والتسليف تعقد خلال فترة الانتقال اجتماعات دورية مع ادارة مؤسسة الاصدار ومهمة هذه اللجنة :

أ- ان تكون همزة الوصل بين مجلس النقد ومؤسسة الاصدار.

ب- أن تشرف على مؤسسة الاصدار وتراقب تقيدها بتطبيق القوانين والانظمة النقدية وبتوجيهات مجلس النقد والتسليف.

ج- أن تعالج القضايا المبدئية العامة التي تهم مؤسسة الاصدار بدون أن تتدخل في القضايا الفردية الخاصة كعلاقة مؤسسة الاصدار مع أحد الزبائن مثلا. كذلك يعين إلى جانب اللجنة الثلاثية مفوض للحكومة يكون مركز عمله الدائم في مؤسسة الاصدار، ويتولى مراقبة حسن تطبيق أحكام الاتفاق من قبل مصرف سورية ولبنان، وحسن تنفيذ الاحكام النقدية المتعلقة بالتغطية وما إلى ذلك، ولهذا المفوض الحق الكامل المطلق بالاطلاع على جميع قيود مؤسسة الاصدار ومعاملاتها.

5- وأخيرا هنالك بعض أحكام متفرقة خاصة بالفترة الانتقالية نجملها فيما يلي :

أ- يخضع الفرع التجاري في علاقاته مع مؤسسة الاصدار الى جميع الشروط والاحكام التي تخضع لها بقية المصارف العادية.

ب- يتعهد مصرف سورية ولبنان بقبول العدد الكافي من المواطنين الذين يرشحهم مجلس النقد والتسليف للتدرب على أعمال مؤسسة الاصدار.

ج- يجري فصل مؤسسة الاصدار عن الفرع التجاري في دمشق وحلب أولا، ثم في اللاذقية أما في بقية المدن السورية فتستمر شعب المصرف على العمل لحساب مؤسسة الاصدار بدون أن يتم الفصل، ولكن توحد جميع الحسابات العائدة لمؤسسة الاصدار وتتمركز في دمشق.

د- تبقى علاقات مصرف سورية ولبنان مع الحكومة من حيث الحقوق والواجبات والفوائد والاعباء والمنافع (كاقتسام أرباح التغطية والاستفادة من الودائع العامة ونقل أموال الدولة مجانا ودفع الفوائد على ودائع الخزينة وتحمل الحكومات نفقات نقل ذهب التغطية والتأمين عليه الخ...) وان جميع هذه الأمور تظل خاضعة خلال الفترة الانتقالية لأحكام اتفاق

1938، إلا ما شذ عنها صراحة في مشروع الاتفاق هذا مع العلم بأن مصرف سورية ولبنان يصرف النظر عن المطالبة بتطبيق احكام الملحق الذي تم توقيعه عام 1949.

ثانيا تصفية الامتياز

1- يزول الامتياز في الوقت الذي تحدده الحكومة بشرط إخطار مصرف سورية ولبنان بذلك قبل ستة أشهر على الأقل، وبنهاية مهلة الإخطار هذا ينتهي مفعول اتفاق 1938، ويزول امتياز الاصدار، ويصبح مصرف سورية لبنان مصرفا عاديا شأنه شأن بقية المصارف، ويتوجب عليه في نهاية مهلة الاخطار أن ينقل جميع حسابات وأموال وموجودات وقيود ووثائق مؤسسة الاصدار الى مصرف سورية المركزي، ويبقى مصرف سورية ولبنان مسؤولا عن تسديد جميع الديون المنقولة وضامنا شخصيا تسديدها من قبل المدينين في استحقاقاتها.

2- وهنالك بعض الاحكام الخاصة بأصول نقل الحسابات من مؤسسة اصدار النقد السوري الى مصرف سورية المركزي، وبالابراء الذي يعطيه المصرف المركزي الى مصرف سورية ولبنان في خلال ثلاث أشهر، ويتعهد المصرف المركزي بتسديد قيمة المخزون من الأوراق النقدية غير الموضوعة في التداول، ويتعهد مصرف سورية ولبنان بتسديد حقوق الموظفين الذين يرغبون الانتقال الى مصرف سورية المركزي، ويجوز بأن يكون عميل المصرف المركزي في المدن السورية التي لم يؤسس فيها بعد فرع للمصرف المركزي بشروط يتم الاتفاق عليها، وأخيرا وضع نص خاص ينظم قواعد التحكيم في حالة الاختلاف على تطبيق أحكام الاتفاق أو تفسيرها.

ثالثا - الغايات التي توخاها الاتفاق من قواعد تصفية الامتياز ونقله الى المصرف المركزي.

1- ان القواعد الفنية التي نص عليها الاتفاق بشأن تصفية الامتياز ونقله الى المصرف المركزي تتوخى من حيث النتيجة الانتقال من الوضع الراهن الى الوضع المرتقب بشروط ملائمة. أما فصل مؤسسة الاصدار عن الفرع التجاري خلال الفترة الانتقالية فإنه :

- يسمح بتكوين فكرة قريبة من الواقع عن اعمال المصرف المركزي وفعاليته وأنظمته وعدد موظفيه فيتاح تأسيس المصرف المركزي بالاستناد اليها.

- يمكن معرفة العدد الجاهز حاليا من الموظفين الذين يمكن نقلهم الى المصرف المركزي فيعرف العدد الباقي الواجب تجهيزه.

- يمكن تدريب بعض الموظفين الذين يرشحهم مجلس النقد والتسليف على أعمال مؤسسة الاصدار.

2- أما المرحلة الانتقالية فتسمح بتأمين الانتقال من الوضع الراهن الى الوضع المقبل بأقل ما يمكن من المشقة والصعوبة وذلك للأسباب التالية :

- ان نقل حسابات وعمليات الخزينة والادارات والمؤسسات العامة والمصارف من الفرع التجاري الى مؤسسة الاصدار معناه ان مؤسسة الاصدار تمارس عمليا منذ بدء المرحلة الانتقالية معظم أعمال المصرف المركزي.

- ان تعامل المصارف مباشرة مع مؤسسة الاصدار يحدد في الحقيقة خلال الفترة الانتقالية نظام علاقة المصرف المركزي مع بقية المصارف، من حيث عمليات اعادة الخصم أم من حيث الأموال الجاهزة التي يتوجب على المصارف ايداعها لدى المصرف المركزي الخ...

- وأخيرا بانتهاء الفترة الانتقالية وزوال الامتياز تبدو عملية نقل موجودات مؤسسة الاصدار (ذهب وأوراق نقدية) ونقل قيودها سجلات محفوظاتها الى المصرف المركزي عملية سهلة نسبيا.

وكما يصبح في مقدور مجلس النقد والتسليف أن يمارس منذ الفترة الانتقالية صلاحياته النقدية بصورة كاملة ومجدية.

- فمن جهة اولى يبدأ مجلس النقد والتسليف بالاشراف على أعمال مؤسسة الاصدار ويحيط مباشرة بالأمور العملية والفنية.

يستطيع مجلس النقد والتسليف أن يباشر صلاحياته في مراقبة أعمال جميع المصارف وأن يفرض على هذه المصارف نسب السيولة وجاهزية

الاموال التي نص عليها القانونه، أما إذا بقيت أموال المصارف مودعة لدى الفرع التجاري فلا يستطيع المجلس ذلك.

- كما يستطيع المجلس أن يضع موضع التنفيذ انظمة اعادة الخصم ومنع القروض والسلف التي تحدد علاقة المصارف بمؤسسة الاصدار في حين أنه لا يتمكن عمليا من ذلك اذا بقيت هذه الاعمال في عهدة الفرع التجاري لمصرف سورية ولبنان.

رابعا - تعويض انهاء الاتفاق قبل أجله

1- لقاء تخليه عن امتيازه قبل انقضاء اجله (نهاية آذار 1964) أقر الاتفاق لمصرف سورية ولبنان بتعويضه عن فوات المنافع التي يجنيها من الاتفاق وفق المبادئ التالية :

- أداء تعويض سنوي اعتبارا من تاريخ تصفية الامتياز الى انقضاء أجل اتفاق عام 1938 اي نهاية آذار 1964 بمقدار 300000 ل.س معفاة من أي ضريبة أو رسم.

- الخيار للحكومة في أن تسدد كامل التعويض بصورة مسبقة دفعة واحدة لقاء خصمها فائدة 4% عن الاقساط المؤجلة.

- حق مصرف سورية ولبنان أن يطلب الوفاء المسبق دفعة واحدة لقاء خصم فائدة 4% عن الاقساط المؤجلة.

خامسا - القضايا المعلقة بين الحكومة والمصرف :

قام بين الحكومة ومصرف سورية ولبنان منذ عام 1947 عدة اختلافات حول تفسير اتفاق 1938 أو بعض النصوص الأخرى، وقد كانت القضايا المختلف عليها موضوع مراسلات ومناقشات طويلة لم تنته إلى نتيجة، إذ ظل كل من الطرفين محتفظا بموقفه وقد استعرضت هذه القضايا اثناء المباحثات، ونوقشت خلال جلسات عديدة وطويلة فأمكن التفاهم على بعضها (الجدول آ الملحق بالكتاب المتبادل) أما فيما يتعلق بالقضايا الأخرى فقد نص الاتفاق على طيها باجراء التقاص عليها بين مطاليب الحكومة ومطاليب البنك (الجدول ب الملحق بالكتاب المتبادل).

ويقول المفاوض في سورية أنه لو أقرت وجهة نظر الحكومة في جميع القضايا المتعلقة توجب على البنك أن يدفع للحكومة نحوا من 3 ملايين ليرة

سورية، أما لو اقرت وجهة نظر البنك في جميع القضايا المعلقة توجب على الحكومة ان تدفع للبنك نحوا من 5 ملايين ليرة سورية. ومن استعراض القضايا المعلقة يلاحظ أن المطلب الاكبر للمصرف يرتكز الى اعتباره ملحق عام 1949 نافذا، كما أن المطلب الاكبر للحكومة ناشيء عن اعتبارها هذا الملحق غير نافذ، وباعتبار أن معظم القضايا تدور حول تفسير نصوص اتفاق عام 1938 أو حول نفاذ الملحق أو عدمه فقد اقترح المصرف اثناء المفاوضات عرض القضايا المعلقة على التحكيم الدولي أو على تحكيم شخصية حيادية يثق بها الطرفان، وقد آثر المفاوض السوري استبعاد التحكيم واللجوء الى اسلوب التقاص.

القسم الثالث

خلاصة عن اعمال اللجان ومشروع القانون المقدم

أولا - في اعمال اللجان : هذه الخلاصة عن وضع الاتفاق المعروض للتصديق، وهي ما استنتجت من الشرح الذي اعطاه الخبراء وأخصه الخبراء الذين كانوا في جانب المفاوض السوري حتى عقد الاتفاق المؤرخ في 1 ايلول عام 1955، وعلى ضوء هذه الملاحظات وبالرجوع إلى نصوص الاتفاق تبين للجان أن هذه التفسيرات تزيل كثيرا من الالتباسات أو من الغموض من جراء نصوص الاتفاق كما ورد ان هذا الاتفاق لا يجدد امتياز بنك سورية ولبنان كما علق بالاذهان، ولا يرتب على الخزينة خسارة كبيرة، بل أن المبالغ المختلف عليها والذي جرى عليها التقاص بموجب الحساب المعطى من قبل المفاوض السوري تبين بأنه عبارة عن ثلاثة ملايين ليرة سورية كان يطالب بها الجانب السوري، بينما لو أخذ بنظرية البنك وكما يطلب أن يحاسب الحكومة عن الفوائد والعوائد فكان يترتب على الحكومة أن تدفع له مبلغ 6.69.000 ليرة سورية وعلى هذا تم التقاص بين الجانبين، وبتاريخ 19 كانون أول 1955 اتخذت اللجان الثلاث القرار التالي : بعد الاستماع إلى الملاحظات المقدمة حول مواد اتفاق تصفية امتياز مصرف سورية ولبنان المؤرخ في أول ايلول 1955.

وبعد الاستماع إلى الايضاحات التي اعطاها المفاوض السوري عن المفاوضات وعن أسباب مواد الاتفاق المذكور وعن المقصود منها. يرى المجتمعون بالاتفاق مع ممثلي الحكومة أن المصلحة تقضي بتحقيق الأمور

التالية ليتسنى عرض اتفاق التصفية المذكور على مجلس النواب وتقديم توصية بشأنه باسم اللجان النيابية الثلاث :

أولا -1- في موعد توجيه الاخطار الى البنك :

لما كانت احكام الفصل الثاني من الاتفاق ولا سيما احكام المواد 10 و 11 و 12 و 13 و 14 و 15 و 16 لا يسري مفعولها إلا اعتبارا من انتهاء مهلة الاخطار المبحوث عنه في المادة العاشرة من الاتفاق.

وكانت المادة العاشرة المذكورة لم تحدد موعد توجيه الاخطار الى البنك، وكانت الحكومة بموجب نص هذه المادة بإمكانها توجيه الاخطار المذكور اعتبارا من نفاذ الاتفاق. لذلك وحرصا على تصفية امتياز مصرف سورية ولبنان وعلى تأسيس مصرف سورية المركزي بأسرع وقت ممكن تقدم الاتفاق على إضافة مادة الى نص القانون القاضي بتصديق الاتفاق نصها كما يلي :

"توجه الحكومة الى البنك الاخطار المبحوث عنه في المادة العاشرة من الاتفاق خلال مدة لا تتجاوز اسبوعا واحدا من نشر هذا القانون في الجريدة الرسمية، شريطة أن لا تتجاوز مدة الاخطار المنصوص عليه في المادة الحادية عشرة من الاتفاق (أي مهلة الستة أشهر) تاريخ 31 تموز 1956.

ثانيا - في بعض التدابير الخاصة بالقطع الاجنبي.

لما كان من المرتقب أن تقبض الحكومة خلال الأشهر المقبلة مبالغ كبرى من العملات الاجنبية سواء من القرض السعودي، أو من عوائد شركات البترول، أم من غير ذلك من المصادر، وكانت المصلحة تقضي بأن تكون هذه العملات الاجنبية **مودعة باسم الحكومة وحدها،** فقد أخذ المجتمعون علما بأن وزير المالية وجه الى مكتب القطع تعليمات خطية تحتم عليه أن يودع باسمه جميع هذه العملات الاجنبية التي ترد لحساب الحكومة.

ثالثا في توضيح بعض نصوص الاتفاق : رغبة في استبعاد أي خلاف قد يقع مع البنك حول تطبيق نصوص الاتفاق، وتأييدا للتفسير الذي أعطاه المفاوض السوري أمام المجتمعين من جهة أولى، واجتنابا لأي تلكؤ في التنفيذ قد يقع خلال المرحلة الانتقالية أو في عمليات التسليم والاستلام من

جهة أخرى، فقد وجد أن من الضروري تبادل كتاب تفسيري مع البنك يعتبر جزءا متمما للاتفاق.

وقد عدد القرار أحد عشر بندا من الاتفاق طلب تفسيرها وخلص القرار المذكور الى ما يلي :

1- تتريث اللجان الثلاث في تقديم تقريرها الى المجلس النيابي بانتظار معرفة جواب مصرف سورية ولبنان، وتبليغ الحكومة هذا المصرف بضرورة إعطائه هذا الجواب خلال مهلة معينة.

2- في حالة قبول مصرف سورية ولبنان إعطاء الكتاب التفسيري المبحوث عنه في هذا القرار يجب أن يوقع الكتاب بناء على تفويض من مجلس إدارة المجلس المذكور.

وبناء على اخبار معالي وزير المالية بتنفيذ الحكومة قرار اللجان، عقدت اللجان اجتماعا مشتركا في العاشر من كانون الثاني 1956 وفي هذا الاجتماع أبلغ معالي وزير المالية أن الحكومة نفذت ما جاء في قرار اللجان الثلاث فيما يتعلق بالقطع الاجنبي وان مكتب القطع قد أودع باسمه فعلا لدى مراسليه في الخارج ما قبضته الحكومة من عوائد شركة بترول العراق المحدودة ومن القرض السعودي اعتبارا من 17 كانون الأول 1955، كما قدم نص بروتوكول مؤرخ في العاشر من كانون الثاني 1956 بشأن تطبيق بعض احكام الاتفاق المعقود بتاريخ 1 ايلول 1955 تنفيذا للقرار المتخذ بتاريخ 19 كانون الأول 1955 فيما يتعلق بتفسير الأحد عشر بندا المطلوب تفسيرها وقد الحق نص البروتوكول المذكور بهذا التقرير.

ثانيا - في القرار

وبعد دراسة البروتوكول المذكور ومقارنته مع النص الوارد في القرار المتخذ بتاريخ 19 كانون الأول 1955، تبين أنه لا يختلف عنه سوى في بعض القضايا الشكلية وفي نطاق طفيف لا يؤثر على جوهره ولا على الغاية التي اتخذ القرار من أجلها، وبالواقع فإن هذا البروتوكول الموقع بتاريخ العاشر من كانون الثاني 1956 انما يحقق رغبة اللجان في استبعاد الخلافات التي يمكن أن تقع مع البنك حول تطبيق نصوص الاتفاق.

غير أن اللجان الثلاث تبين لها أن مهلة الاخطار المحددة بستة أشهر قد جاءت بشكل يجعل حدها الأدنى ستة أشهر ، ولكي لا تعطي الحكومة مجالا بأن تكون هذه المهلة أكثر من ستة أشهر وتحدد كما ترغب الحكومة، رأت أن تحدد هذه المهلة في صلب القانون ولذا عادت وعدلت المادة التي تقرر اضافتها بموجب قرارها المؤرخ في 17 كانون الأول 1955 على الشكل التالي:

مادة 3 - توجه الحكومة الى البنك الاخطار المبحوث عنه في المادة العاشرة من الاتفاق خلال مهلة لا تتجاوز اسبوعا واحدا من نشر القانون في الجريدة الرسمية شرط ان لا تتجاوز مهلة الاخطار المنصوص عليها في مطلع المادة العاشرة من الاتفاق (اي مهلة ستة أشهر) تاريخ 31 تموز 1956.

ولما كان البروتوكول المؤرخ في العاشر من كانون الثاني 1956 هو جزء متمم للاتفاق فقد عدلت ايضا المادة الأولى من مشروع القانون بما يفيد ذلك ولذا أصبح مشروع القانون كما هو موضح بالنص المرفق بهذا التقرير.

وعلى هذا فإن اللجان الثلاث أقرت مشروع القانون بعد تعديله بالاكثرية ووضعت تقريرها هذا، وهي إذ ترفع الى مقامكم توصي المجلس الكريم بالموافقة على رأيها ودمتم.

دمشق في 10 كانون ثاني 1956.

رئيس لجنة الاقتصاد الوطني رئيس لجنة الموازنة رئيس لجنة القوانين المالية

معروف الدواليبي اكرم الحوراني رئيف الملقي

المقرر : عبد الحسيب رسلان المقرر أحمد قنبر المقرر رزق الله سالم

□

كان تأميم المصرف السوري بفرعيه : الاصدار والتجاري الذي كنت دائما أطالب به وأدعو الى تحقيقه هو الحل الطبيعي والوطني الصحيح بعد أن استنزف هذا المصرف ثروة البلاد وسيطر على اقتصادها خلال خمسة وثلاثين عاما.

كان المصرف خلال هذه السنوات يعمل على خدمة مصالح الطبقة الاقطاعية ورجال السياسة والحكم والاقتصاد مما جعل له أنصارا ومؤيدين في جهاز الدولة والحكم والمجالس النيابية في مختلف العهود. ولذلك لم يكن بمقدورنا أن نقنع المجلس والحكومة آنذاك بالتأميم فكانت هذه الاتفاقية هي ما يمكن تحقيقه في تلك الفترة.

ومع ذلك فإنني لم استبعد فكرة التأميم وانما تعرضت لها في الجلسة ذاتها التي جرى فيها التصديق على الاتفاقية إذ قلت :

"عند بحث الموضوع في لجنة الموازنة منذ ثمانية أشهر وقبل البدء بالمفاوضات، أصرت لجنة الموازنة على إنذار البنك السوري إما بالاتفاق مع الحكومة السورية وإما باللجوء الى التأميم ... والحكومة من حقها ان تلجأ الى التأميم في كل وقت ولا سيما وان الوضع السياسي في الوقت الحاضر يقترب شيئا فشيئا من الارادة الشعبية وينسجم معها، ولا يمكن لحكومة أن تقف موقفا مشبوها كالمواقف التي كانت تقفها الحكومات السابقة مع البنك السوري.

وعلى كل فإن السيد حسن جبارة لا يزال يعتقد "أن تأميم البنك السوري هو خير من الموافقة على هذه الاتفاقية ، لا لعدم صلاحها بعد اصلاح نصوصها، وانما يقول أن البنك السوري سيء النية وقد يلجأ الى أساليب التخريب.. فإما أن يمتنع عن التسليف ليثير بعض كبار المزارعين والتجار، وإما ان يسلف بأوسع شكل، وفي الحالتين ما يؤدي إلى عرقلة حسن تنفيذ الاتفاقية وهو ما يقوم به البنك بالفعل" كما قدمت الشكر في تلك الجلسة بصفتي رئيسا للجنة الموازنة للخبراء الذين أسهموا في ايضاح نصوص الاتفاقية وللنواب من أعضاء اللجان الثلاث ولا سيما للسيد "حسن جبارة الذي لو لم يرسل برقيته لما أعيد النظر في هذه الاتفاقية".

1956 : مؤتمر حلف بغداد وانفجار الغضبة الشعبية في الأردن ضد الحلف - الموقف السوري من احداث الأردن - الصراع بين النفوذين البريطاني والاميركي في البلاد العربية والملك حسين يطرد الجنرال غلوب - دمشق تستقبل الملك حسين استقبالا حكوميا وشعبيا رائعا- قضايا حزبية : الطائفية في حزب البعث (فرع حمص) .

مؤتمر حلف بغداد وانفجار الغضبة الشعبية في الأردن ضد حلف بغداد

كانت بريطانية تعتمد في استراتيجيتها السياسية والاعلامية على التهويل من أثر صفقة الأسلحة السوفيتية على ميزان القوى العسكري بين العرب واسرائيل، وعلى تغلغل النفوذ الروسي في المنطقة العربية كوسيلة ضغط على الولايات المتحدة لتبديل سياستها وتغيير مواقفها من جمال عبد الناصر.

وكان حلف بغداد سبيل بريطانية لدعم نفوذها وتأمين مصالحها البترولية في العراق ودول الخليج، ولكن الحلف بدأ ضعيفا مزعزعا بالرغم مما بذلته من جهود ومساع، فلم تر بدا من دعمه وتقويته عن طريق ضم الأردن اليه مما يتيح الفرصة أمام كميل شمعون للانضمام اليه.

قال ايدن في مذكراته أنه كان قانعا بوجهة نظر ماكميلان ونوري السعيد وكلوب باشا بضرورة انضمام الأردن سريعا، الى الحلف واقتناص الفرصة قبل أن تفلت الى الأبد، ولهذا السبب أرسل المرشال تمبلر القائد الأعلى للقوات المسلحة البريطانية إلى عمان مزودا بالاغراءات لضم الأردن للحلف الذكور وهي :

أولا : صفقة صغيرة من الاسلحة للجيش الأردني وبضعة طائرات[1] .

ثانيا : تعديل معاهدة عام 1948 البريطانية - الأردنية بمعاهدة مماثلة للمعاهدة البريطانية العراقية مدة خمس سنوات.

ثالثا : منح الأردن مساعدة مالية لتنفيذ مشاريعه الاقتصادية بالاضافة الى واحد وعشرين مليونا من الدولارات، وتدفعها بريطانيا سنويا لتأمين نفقات الفرقة العربية بقيادة كلوب باشا.

كان الملك حسين يحاول منذ عام 1954 تعديل المعاهدة دون أن يصل الى نتيجة ولذلك وجد المارشال تمبلر قبولا من حكومة سعيد المفتي حسب قول ايدن للصفقة البريطانية الجديدة، ولكن سعيد المفتي ما لبث أن اضطر لتقديم استقالته لمعارضة أربعة من وزرائه الانضمام الى حلف بغداد، فكلف الملك حسين هزاع المجالي نائب رئيس الحكومة السابق ووزير الداخلية بتشكيل حكومة جديدة لتنفيذ ما جرى الاتفاق عليه مع المرشال تمبلر. عندئذ انفجر الشعب في ضفتي الأردن بمظاهرات عنيفة شملت عمان والقطاع الأردني من القدس، فهاجمت جموع الطلاب القنصلية التركية في القدس بتاريخ 55/12/19 وأحرقت السيارات واصطدمت مع الجيش الأردني، واضطر هزاع المجالي رئيس الوزراء الذي ألف حكومته قبل أربعة أيام فقط على اساس انضمام الأردن لحلف بغداد، للاستقالة. بعد أن أذاع على الشعب أنه طلب من الملك حسين حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة، فتجددت المظاهرات ومزق المتظاهرون أعلام الولايات المتحدة ورشقوا القنصلية البريطانية في القدس بالحجارة، ولم يعد الهدوء للأردن إلا بعد أن تألفت حكومة موقته برئاسة ابراهيم هاشم تعهدت بأنها لن تعالج أي موضوع سياسي ولن تقيد الأردن بأي اتفاق وانها ستجري انتخابا بعد أربعة اشهر، وان الاقتراع سيجري على أساس قبول الأردن أو رفضه الانضمام الى حلف بغداد. ولكن

(1) يشير ايدن في مذكراته الى هذه الطائرات التي كانت ستقدم كهدية لاغراء الأردن على الدخول في الحلف بقوله : "انني قبل الموافقة بعثت بالملاحظة التالية : أريد أن تؤكدوا لي أن هذه الهدية لن تحدث اضطرابا في التوازن بين اسرائيل والدول العربية" (ص 122 الجزء الثاني) .

المجلس العالي للقوانين أفتى بعدم دستورية حل المجلس فتقدمت حكومة الهاشم باستقالتها مما أدى الى انفجار الوضع من جديد، وعلى نحو أشد عنفا، وشملت المظاهرات كل المدن والقرى الأردنية فأعلنت حالة الطوارئ ومنع التجول في عمان والقدس، فكلف الملك حسين سمير الرفاعي بتشكيل حكومة جديدة تعهدت بأنها سوف لن ترتبط بأي حلف أو معاهدة، وبسبب عدم تعهد هذه الحكومة بحل المجلس واجراء انتخابات جديدة على أساس انضمام الأردن أو عدم الانضمام الى حلف بغداد، استمرت المظاهرات وتعاظمت في الوقت الذي كانت فيه القوات الآلية العراقية تحتشد على الحدود الأردنية.

وقد اعترف ايدن في مذكراته بأنه طلب الى حكومة العراق ذلك، كما قرر إرسال فوجين بريطانيين من كتيبة المظلات وفوجا من فرقة المشاة بطريق الجو الى قبرص، كما صدرت الأوامر الى سلاح الجو البريطاني في قاعدة الحبانية في العراق أن تكون على أهبة الاستعداد، وطلب الى اللواء المدرع الموجود في العقبة التحرك شمالا والاقتراب من عمان.

لقد لعب الرئيس كميل شمعون في لبنان دورا خطيرا في خدمة السياسة البريطانية إبان احداث الأردن، ففي الوقت الذي كان يشجع فيه الأردن على أن ينتهج السياسة التي يسير عليها في لبنان، كان يوجه السوريين القوميين وعملاء حلف بغداد الى الحدود السورية ليعيثوا فسادا مما اضطرت معه الحكومة السورية لتوجيه مذكرة احتجاج شديدة اللهجة الى الحكومة اللبنانية.

وفي الوقت نفسه كانت القوات التركية على حدود سورية الشمالية ترتكب عشرات الحوادث ثم ترسل في الوقت ذاته احتجاجاتها وتدعي أن قوات الحدود السورية تطلق نارها على الجنود الأتراك.

كان الشعب في سورية يواكب مسيرة الأردن النضالية سواء بالاحتجاج أو بالمظاهرات المستمرة، وهذا ما جعل "اصدقاء" بريطانية يلجؤون الى وسيلتهم التقليدية باثارة الفتن الدينية

وليشغلوا الشعب في سورية عن أحداث الأردن، وهكذا فعندما انعقد المجلس النيابي بتاريخ 56/1/12 وكان الشعب كله بانتظار ما يصدر عن الحكومة والمجلس النيابي من مؤازرة للأردن - تولى الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق إلقاء خطابه المعد سلفا عن الالحاد والكفر في قصيدة نزار قباني (حشيش وقمر) التي تعرض لها سابقا، ثم انتقل الى اتهام حافظ الجمالي البعثي الاشتراكي لانه - حسب رأيه - يسوي في كتاب من تأليفه بين الاسلام والاديان الوثنية القديمة المصرية واليونانية ويطلق عليها حكما واحدا، ثم تطرق للحرب الصليبية حتى وصل الى كارل ماركس ولينين، ومنهما الى جريدة البرافدا التي اتهمت الاسلام بأنه دين غير تقدمي، ثم خلص من ذلك كله الى اتهام حزب البعث بأنه يعد مؤامرة استعمارية على الدين الاسلامي، وقد شعر الجميع بغرضه، وعلى الرغم من تقريعه وتنبيهه من قبل المجلس، فإنه استمر يخطب ويخطب حتى دب السأم في النفوس ولكننا ضبطنا أعصابنا حتى يتمكن النواب من معالجة أحداث الساعة فتساءلوا جميعا عما فعلته الحكومة لمساعدة الأردن، فأجاب رئيس الحكومة عن تساؤلهم:

"بأن الأردن جزء من الوطن العربي وهو في الوقت نفسه جزء من الوطن السوري نريد له الخير والقوة والاستقلال التام، ونعتقد أنه عندما يحقق الأردن ما يريد نكون قد خطونا خطوة أخرى للأمام نحو الهدف الأسمى الذي نص عليه دستورنا وهو الوحدة العربية، ونحن لا نتدخل في أمور الأردن الداخلية ولكن واجبنا القومي والعربي يقضي منا أن نقدم اليه المساعدة والمعونة التي تمكنه من التخلص من القيود التي تحد من سلطاته الشرعية، وقد تشاورت حكومتنا مع الحكومتين الشقيقتين مصر والسعودية في أمر تقديم المساعدة المادية للأردن وبعد المشاورات التي بدأت منذ الأحداث الأولى في الأردن قدمت الحكومات الثلاث مذكرة رسمية جاء فيها: "أن الحكومات الثلاث ترغب في ان تتشاور مع الحكومة الأردنية في الطريقة التي تقدم بها الدول العربية المساعدة والمعونة للأردن" .

وبعد تلاوته للمذكرة قال: "إننا فتحنا لأبنائنا واخواننا من أبناء الأردن أبواب بلدنا وحدودنا وقدمنا وسنقدم لهم كل المساعدات التي يفرضها علينا

الواجب والاخاء" وكان وزير الداخلية قد طلب بالفعل من لجنة الموازنة أن تساعده على تسديد نفقات اللاجئين السياسيين، فشكرته في هذه الجلسة باسم اللجنة وقلت له:

"إن لجنة الموازنة يسرها أن تخصص المبلغ الذي تقترحه الحكومة لتغطية نفقات جميع اللاجئين السياسيين تنفيذا لأحكام الدستور الذي نص على مساعدة اللاجئين السياسيين وحمايتهم"

الطائفية في حزب البعث :

في هذه الفترة التي أثار بها الشيخ أبو طوق ورجال الدين في المجلس وخارجه موضوع كتاب حافظ الجمالي وجعلوا من ذلك حجة للهجوم على الحزب، فاجأني السيد يحيى شمس الدين أمين سر فرع الحزب في مدينة حمص مركز نفوذ شركة نفط العراق البريطانية بأمر في غاية الخطورة وهو أن المحامي (منير العامودي) من قيادة فرع حمص يقوم على تنظيم سري طائفي داخل الحزب وانه اطلع بطريق الصدفة على وثائق التنظيم وأسماء أعضائه وأظهر استعداده لاثبات ذلك بمحاكمة حزبية.

صعقت لهذا النبأ وتساءلت :

ترى هل يمكن أن تكون يد المخابرات البريطانية قد امتدت لاصابة الحزب بمرض الطائفية؟ هل يمكن أن تمتد يد الطائفية الى هذا الحزب الذي أردناه حربا على الطائفية؟ أخبرت القيادة بما اسره لي أمين الفرع، وطالبت بإجراء تحقيق بهذا الموضوع، ولكن قيادة الحزب وقيادة فرع حمص نقمت أشد النقمة على يحيى شمس الدين لاتهامه منير العامودي الذي كان يتمتع بثقة كبيرة من قبل قيادة الحزب ومن قبل فرع حمص بصفته من أصل "بعثي عقائدي نقي"، وامتدت نقمة القيادة إلى إحسان الحصني الذي كان على صلة وثيقة بشمس الدين منذ أن كانا عضوين في الحزب العربي الاشتراكي.

وهكذا طويت القضية من قبل قيادة الحزب، ولكن شمس الدين تولى إذاعتها في الأوساط الحزبية، ولم يكن باستطاعتي أن

أفعل شيئا. وليت الأمر انتهى عند هذا الحد فقد فاجأني الاستاذان ميشيل وصلاح بتحريض من عبد البر عيون السود بقرار طرد احسان حصني ويحيى شمس الدين من الحزب دون أن يستندا إلى أي اتهام محدد أو أي محاكمة سوى عدم انضباطهما الحزبي، ولم أتمكن من إقناعهما بالعدول عن هذا القرار والاكتفاء بتجميد نشاطهما الحزبي، ولشد ما كان انزعاجي عندما نشر قرار الطرد في جريدة الحزب في شهر مايس 1956 ، واذا كنت نادما وخجلا حتى الآن على خطأ ارتكبته فهو ضعفي أمام مثل هذه التصرفات مهما كانت النتائج التي ستترتب على الوقوف بحزم في وجهيهما.

لقد كانت هذه التصرفات منهما التي لم يعالجها الحزب منذ بدايتها بعيدة الأثر في ما عانته البلاد والقضية من آلام وانحرافات ونكبات فيما بعد، كما أنه لا بد لي من القول :

إذا كان مرض الطائفية قد ابتلي به بعض الانتهازيين من الحزبيين، فإن القواعد الشعبية من عموم الطوائف كانت بريئة تماما من عقابيل الطائفية وأعراضها وكانت صفا واحدا متراصا يناضل في سبيل أهداف الحزب الوطنية والتقدمية.

اجتماع ايزنهاور وايدن في واشنطن.

كانت أجهزة الاعلام والمصادر الرسمية البريطانية تعلن قبل انعقاد اجتماع واشنطن بأن المملكة العربية السعودية تستخدم أموال النفط الاميركية لشن حملة واسعة النطاق ضد بريطانيا في الشرق الأوسط، وكانت تقول بأن هذا الموضوع سيثار في الاجتماع الذي سيعقد في واشنطن في نهاية كانون الثاني بين ايدن والرئيس ايزنهاور، وفي الوقت ذاته كانت وزارة خارجية الولايات المتحدة تكشف النقاب عن وجود خلاف بين بريطانيا والولايات المتحدة التي يعزى اليها فشل محاولات ضم الأردن الى حلف بغداد.

أما نحن فقد كنا نرى في التناقض الاستعماري بين الولايات المتحدة وبريطانيا فرصة سانحة لدعم الأردن وربطه عضويا بالسياسة العربية التحررية، وكانت أهدافنا واقعية ومعقولة، فقد كان الحزب يركز جهوده على الأهداف التالية:

1- تحرير الجيش العربي في الأردن من القيادة البريطانية عن طريق استبدال المساعدة البريطانية بمساعدة عربية.
2- إقامة أوضاع ديموقراطية تسمح للقوى الوطنية في الأردن أن تسير مع الدول العربية المتحررة في مقاومتها لمشاريع الأحلاف في تلك الفترة الشائكة.

□

شنت الصهيونية منذ وصول ايدن الى الولايات المتحدة حملة ضغط ودعاية لحمل ايدن وايزنهاور على تأييد اسرائيل ضد الدول العربية والمطالبة بتسليحها وعقد معاهدة ضمان لحدودها (أي اعتراف بما اغتصبته زيادة على قرار التقسيم) واشترك في هذه الحملة الرئيس السابق ترومان وأرملة روزفلت بحجة أن صفقة السلاح التشيكي التي عقدتها مصر جعلت مصير اسرائيل في خطر، وقد نفى ايدن عند وصوله الى الولايات المتحدة ما أشيع عن مقترحاته بشأن عقد محادثات للصلح بين العرب واليهود على اساس مقررات الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام 1947. كانت غاية ايدن من رحلته الى الولايات المتحدة اقناعها بالموافقة على استخدام القوة لتثبيت النفوذ البريطاني المتداعي في الشرق الأوسط بحجة حماية اسرائيل ومصالح الغرب عن طريق البيان الثلاثي الذي أصبح كما قال ايدن "بحاجة إلى تركيب أسنان له"، وأضاف بأننا لا نعني بهذا أن نكتفي بمجرد اعلان تصميمنا على منع اختراق الحدود العربية الاسرائيلية والتشاور في كيفية منع ذلك على المستوى العسكري، بل يجب أن يرانا العالم نتخذ عمليا خطوات تحضيرية تمكننا من العمل. (مذكرات ايدن ص 109 الجزء الثاني).

اخفق ايدن في تحقيق هذا الهدف كما اخفق في اقناع الولايات المتحدة بالضغط على المملكة العربية السعودية بداعي أن الأموال السعودية تستخدم ضد بريطانيا وضد العراق وحلف بغداد "وقد حذرنا الرئيس اللبناني شمعون من الآثار السيئة للأموال السعودية في جميع أنحاء الشرق الأوسط" (مذكرات ايدن ص 110 الجزء الثاني).

كما علق ايدن بمرارة في هذه المذكرات على موقف الولايات المتحدة "التي لعبت دورا بارزا في الايحاء بمشروع الحلف عند انشائه ثم تراجعت تاركة بريطانيا، الدولة الغربية الوحيدة التي انضمت اليه، والاسوأ من هذا أن الولايات المتحدة حاولت استغلال هذا الموضوع لنفسها في العواصم التي كانت معادية للحلف كالقاهرة مثلا". (ص 112 الجزء الثاني)

لم يبق الخلاف بين بريطانيا والولايات المتحدة بعد اجتماع ايدن ايزنهاور حول مشاكل الشرق الأوسط مكتوما، بل صرح ناطق بريطاني وآخر من الولايات المتحدة بان التباين في وجهات النظر حول الشرق الأوسط بين الجانبين قد أصبحت شقته أضيق من ذي قبل، وان المحادثات شملت الدول العربية وامتدت الى ميثاق بغداد، وتناولت النزاع بين العرب واسرائيل وواحة البريمي، ولم يتفق الطرفان إلا على مناشدة العرب واسرائيل على الأخذ بمقترحات الغرب لعقد الصلح بين الطرفين، ومناشدتهما منع حد لسباق التسلح.

سياسة الملك حسين بعد مؤتمر ايدن وايزنهاور

بعد هذا المؤتمر اعلن الرفاعي بكل صراحة عندما مثلت حكومته أمام المجلس الأردني لنوال الثقة انه ليس من سياسة حكومته مطلقا الانضمام إلى حلف بغداد أو الى أي حلف آخر وتطرق الى المساعدة العربية فقال :

إن حكومته لم ترفضها بل رحبت بها مبدئيا، واعلن انه قد تم الافراج عن عدد كبير من المعتقلين، كما شكلت لجنة وزارية للتحقيق في قضايا المعتقلين الآخرين، وأوفد الملك حسين سمير

الرفاعي وبهجت التلهوني الى دمشق بتاريخ 2 شباط ثم إلى بغداد وإلى مصر ليعلن عدم انضمام الأردن الى حلف بغداد، والى عدم انضمامه في الوقت ذاته الى الاتفاقات العسكرية الثنائية، وان هدف الأردن هو اقامة سياسة تعايش بين حلف بغداد والدول العربية التحررية.

كما أعلنت حكومة سمير الرفاعي إلغاء لجنة اليرموك المشتركة، وقد فهم من ذلك رفض الأردن القبول بمشروع جونستون آنذاك ومما هو جدير بالذكر أن سورية والأردن قد وقعا عام 1953 اتفاقية لاستغلال مياه نهر اليرموك عن طريق انشاء سد ارتفاعه 150 مترا وسعته 500 مليون متر مكعب يقام في محطة المقارن للري لتوزيع المياه بين سورية والأردن، وكان من المقرر أن ينفذ هذا المشروع من قبل البلدين في مدة تتراوح بين الخمس والثماني سنوات، وقد قدرت تكاليفه في ذلك الحين بـ 40 مليونا من الدولارات بتمويل أمريكي لقاء الموافقة على مشروع جونستون.

لقد أكد الأردن رفضه لمشروع جونستون على لسان وزيرالخارجية حسين فخري الخالدي بتاريخ 1-3-56 بما يلي :

1- إن كل محاولة من جانب اسرائيل لتحويل مجرى الأردن في المنطقة المجردة من السلاح تشكل خرقا لاتفاقية الهدنة وعدوانا ضد سورية.
2- ان الأردن وباقي الدول العربية الاعضاء في الجامعة ستكون ملزمة بمساعدة سورية.
3- يتوجب على بريطانيا عند حدوث هذا الاحتمال أن تمديد المساعدة للأردن في حال تعرضه للعدوان الاسرائيلي.

بعد هذه التصريحات أعلن مصدر بريطاني رسمي بأن بريطانيا غير ملزمة بالوفاء بتعهداتها في حال قيام الأردن لوحده أو بالاشتراك مع سورية بمنع تحويل مجرى نهر الأردن من قبل اسرائيل وقال : "إن بريطانيا ستساعد الأردن في حال تعرضه للعدوان بدون تحريض.

الملك حسين يفاجئ بريطانيا بطرد غلوب من الأردن.

بعد ظهر اليوم الأول من آذار 1956 استدعى رئيس وزراء الأردن سفير بريطانيا في عمان وأبلغه بأن الملك حسين سلمه أمرا يقضي بعزل الفريق غلوب باشا فورا وكبار مساعديه، وأن الملك ينتظر اشارة تدل على تنفيذ هذا الأمر، وأنه أبلغه ضرورة مغادرة غلوب للبلاد في ساعة مبكرة من صباح الغد.

كما استقبل الملك حسين في ساعة متأخرة من ذلك اليوم السفير البريطاني في عمان الذي ساله عن الاسباب التي دعته لاتخاذ هذا الاجراء المفاجئ العنيف، فأكد الملك على العلاقات الودية والطويلة التي تربط الأردن ببريطانيا، وأنه يرغب بالاحتفاظ بهذه العلاقات على المستوى نفسه، وقد عزا الملك حسين اسباب لجوئه لطرد غلوب والضباط الآخرين إلى عدم رضا الضباط العرب عن وجوده في الجيش العربي ويقول ايدن في مذكراته :

"إن السفير البريطاني أرسل اليه بعد أيام بأن مجموعة من الضباط في الجيش العربي كانت تستعد للزحف الى عمان لاخراج غلوب ورفاقه بالقوة، وأعرب السفير عن اعتقاده بأن خشية المسؤولين الأردنيين مما باستطاعة غلوب أن يفعله في مثل هذه الحال للدفاع عن نفسه هو الذي دعاهم لاتخاذ هذا الاسلوب المختصر في الخلاص منه" (ص 133 الجزء الثاني).

الملك حسين يؤكد على حسن العلاقات مع بريطانيا :

اكد الملك حسين في التصريح الذي أدلة به في 4-3-56 ارتباط الأردن بالتزاماته التي نصت عليها المعاهدة الأردنية البريطانية وقال :

"ان انهاء خدمات غلوب لن يؤثر على العلاقات التقليدية بين البلدين لأن هذه العلاقات لا ترتبط بإنهاء خدمة شخص معين في الأردن، وقال ان الظروف التي أحاطت بإنهاء خدمات غلوب لم تكن مفاجئة كما تصور البعض، وانما هي قضية مزمنة، وأنه حاول مرارا اصلاح الطريق التي يسلكها غلوب

فلم يتمكن، فوجد بالتالي بأنه لا مناص من انهاء خدماته على الشكل الذي عرفه الناس."

لم يجانب الملك حسين الحقيقة في ذكر الأسباب التي حملته على طرد الجنرال غلوب والضباط البريطانيين من الجيش الأردني، تلك العملية الجريئة التي خرج الملك حسين على أثرها متمتعا بالقوة التي مكنته فيما بعد من القيام بجميع ما قام به على الساحة الأردنية والعربية والدولية.

لقد استطاع الملك حسين، بذكائه وحكمته، استغلال التناقض الاستعماري في تلك الفترة لمصلحة الأردن، هذا البلد الصغير المواجه لاسرائيل والذي كان كيانه قائما على المعونات البريطانية والاميركية وعلى النذر اليسير من معونات الدول النفطية، وهكذا صمد لضغوط بريطانيا والولايات المتحدة، انحنى أمامها أولا، ثم ما لبث أن استقام، فحافظ بتلك السياسة على وحدة الضفتين حتى حرب حزيران 1967 التي خاضها بالاستناد إلى التغطية الجوية التي وعده بها جمال عبد الناصر ولكن ظروف تلك الحرب لم تسمح بتنفيذ الوعد.

كان لطرد غلوب أثر بعيد في سورية، فما أن انعقدت جلسة المجلس النيابي بتاريخ 56/3/3 حتى طلبت من رئيس المجلس أن يسمح للنواب بالتعبير عن آرائهم بهذا الحدث الكبير، فحيا معظم النواب باسم أحزابهم وفئاتهم وكتلهم الانتصار الذي حققه الملك حسين بتطهير الجيش العربي من قيادة غلوب الذي كان يمثل لنا أقبح وجه للاستعمار البريطاني في المشرق العربي، **ولم يخرج عن هذا الاجماع سوى النائب هايل السرور**[1] **الذي ألقى كلمة تعرض فيها للملك حسين مما اضطر رئيس المجلس أن يحذف كلمته من الضبوط ،** وقد ثنى رئيس الحكومة سعيد الغزي على خطب النواب فرحب بالحدث وتمنى للأردن أن يحطم كل ما يقيد حريته واستقلاله، بما في

(1) كان هايل السرور نائبا عن إحدى عشائر منطقة اللجاة التي تتنقل بين سورية والأردن وقد تمكن النفوذ البريطاني في سورية من ايصاله الى المجلس النيابي وظهر من وثائق حلف بغداد أنه كان ضالعا في جميع المؤامرات التي حاكتها بريطانيا ضد الوضع في سورية.

ذلك المعاهدة التي تربطه ببريطانيا، وقال أن سورية ومصر والسعودية على استعداد لدفع المعونة العربية للأردن بدلا عن المعونة البريطانية، كما اعتبر أن كل اعتداء على الأردن هو اعتداء على سورية، وبناء على الاقتراح الذي تقدمت به للمجلس النيابي قرر المجلس إرسال البرقية التالية للمجلس النيابي الأردني :

"إن مجلس النواب السوري يحيي الأردن الشقيق ملكا ومجلسا وشعبا وحكومة بمناسبة تحرير جيشه من القيادة البريطانية، وهو إذ يبارك هذه الخطوة التحررية يعلن باسم الشعب العربي في سورية استعداده الكامل للوقوف الى جانب القطر الشقيق في جميع ميادين النضال القومي".

□

مؤتمر القاهرة وخططه الشاملة !!

على أثر تحرير الجيش الاردني من القيادة البريطالانية عقد عبد الناصر وشكري القوتلي وسعود بتاريخ 56/3/6 مؤتمرا في القاهرة استمر حتى 56/3/11 صدر على أثره ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم :

في الظروف الخطيرة التي تحيط بالبلاد العربية وتهدد سلامتها رأينا أن نجتمع لبحث الأمر في جميع نواحيه ونستكمل بذلك المشاورات التي دارت من قبل بين حكوماتنا ونختمها بما نراه ضروريا من قرارات.

ولقد تم اجتماعنا في القاهرة في الفترة ما بين يوم الثلاثاء 6-3-56 وبين الأحد 11-3-56، والتقت آراؤنا عند تفاهم كامل في كل ما عرض للبحث أمامنا، واستطعنا بذلك أن نجمع إرادتنا على خطة كاملة نواجه بها كافة الاحتمالات والمفاجآت، ولقد تمت محادثاتنا في جو من الصداقة الوطيدة التي يدعمها التفاهم المتبادل بيننا، ويربطها ايماننا الواحد الراسخ بفكرة العروبة والثقة التي لا حد لها بمستقبل الأمة العربية، وشد من عزمنا وقوى من

روحنا ما لاحظناه بارتياح من زيادة الوعي الوطني في الأمة العربية، وإننا لننظر باعجاب واطمئنان الى الدرو العظيم الذي أصبح الراي العام العربي يقوم به في توجيه الحوادث ليقظة مستنيرة وشجاعة حكيمة.

ولقد بحثنا الموقف في الشرق الأوسط من جميع وجوهه ونواحيه واتفق رأينا على أن العمل للسلام وتحقيقه والمحافظة عليه انما يقوم بالتعاون الصادق بين الدول على أساس من الاستقلال والمساواة التامة بينها جميعا وعلى احترام حقوق الانسان والتزام احكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه، وإننا لنؤمن بأن السلام الحقيقي الذي تتطلع إليه شعوبنا وشعوب العالم لن يعود ما لم تصبح هذه الأسس مصدر الالهام في تصرف كل دولة إزاء غيرها من الدول، وبذلك تخف حدة التوتر الناشئ من تدخل بعضها في الشؤون الداخلية للبعض الآخر والضغط عليها بمختلف الوسائل والاساليب، واننا لنعلن عزمنا على تجنيب الأمة العربية ضرر الحرب الباردة والبعد بها عن منازعاتها والتزام سياسة عدم الانحياز تجاهها محافظة بذلك على مصالحها الأصلية.

كذلك نعلن أن الدفاع عن العالم العربي يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقي وخارج نطاق الاحلاف الاجنبية التي تحاول استخدام التنظيمات الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية لأي دولة من الدول الكبرى مضحية في سبيل ذلك بالقضايا والأماني العربية الخالصة ووحدة أمتنا .

ولقد كانت قضية فلسطين موضع اهتمامنا البالغ وإننا لنؤكد تمسكنا بحقوق عرب فلسطين كاملة وإنه ليطيب لنا في هذه المناسبة أن نؤكد تمسكنا بالمبادئ التي اعلنها مؤتمر الدول الافريقية الآسيوية في باندونغ واعتبارها الطريق الذي تسير عليه سياستنا في المحيط الدولي"

وقد أعلن المؤتمرون أنهم انتهوا الى المقررات التالية على ضوء ما أعلنوه من مبادئ :

1- تم وضع خطة شاملة لتدعيم الأمن العربي والعمل على حفظ كيان الأمة العربية والدفاع عنها ضد اخطار العدوان الصهيوني والسيطرة الاجنبية التي تحول دون استتباب السلام والاستقرار في تلك المنطقة وتخلق حالة من التهديد والتوتر.

2- تم وضع خطة شاملة لتنسيق خطط الدفاع العربي لمواجهة أي عدوان قد يقع ضد أي دولة عربية من قبل اسرائيل التي دأبت على سلوك سياسة عدوانية تنكر مبادئ الحق والقانون وتتجاهل قرارات الأمم المتحدة.

3- تم وضع خطة شاملة لمواجهة موقف بعض الدول التي تسمح بتجنيد رجالها للخدمة العسكرية في القوات الاسرائيلية (ويقصدون الولايات المتحدة والدول الغربية).

4- تم الاتفاق على مواجهة الموقف الذي يقتضيه أمن الدول العربية تجاه امداد اسرائيل بالأسلحة التي تساعدها على التمادي في العدوان.

5- تم وضع خطة شاملة لمواجهة المحاولات التي تبذل عن طريق حلف بغداد للضغط على البلاد العربية وتعريض الأمن العربي للخطر وتفرقة الصف العربي في الوقت الذي تجد فيه البلاد العربية نفسها أشد ما تكون حاجة الى وحدة متماسكة في الجهود والاتجاهات.

6- تم الاتفاق على التأييد الكامل للأردن ومساندته ضد أي ضغط اجنبي أو أي عدوان صهيوني بما يكفل للشعب الأردني الباسل تحقيق غايته، وقد اتصل المؤتمر بحضرة صاحب الجلالة الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية لابلاغه ذلك وتأييد ما سبق الإعراب عنه عن الاستعداد التام الأكيد لمعاونة الأردن والوقوف بجانبه.

7- وضع المؤتمر خطة شاملة تهدف الى توثيق روابط الكيان العربي وتنمية التعاون بين الدول العربية في أوسع نطاق من أجل تحقيق الأهداف العربية الخالصة، كما بحث المؤتمر وسائل تحقيق الوحدة العربية التي يؤمن الرؤساء الثلاثة

ايمانا لا يتزعزع بأنها السياج المنيع للبلاد العربية التي يضمن استقلالها ويكفل لها استكمال اسباب نهضتها.

8- وضع المؤتمر خطة شاملة لتنسيق السياسة السعودية السورية المصرية من النواحي الساسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية بحيث تكون نتيجة هذا التنسيق الشامل تعبئة جميع القوى وتوجيهها الوجهة التي تحقق المصلحة العليا للأمة العربية.

9- وضع المؤتمر خطة لمواجهة مشكلة الاحتلال البريطاني لواحة البريمي وامارة عمان ورسم الوسائل التي تؤدي الى انهاء هذا النزاع على نحو يحفظ لهذه المناطق عروبتها ويحول دون الانتقاص من سيادتها وحقوقها.

10- راي المؤتمر بعد بحث مستفيض للوضع الراهن في شمال افريقيا ان السياسة الفرنسية التي تمعن في انتهاك حقوق شعوب افريقيا تهدد السلم تهديدا خطيرا في تلك المنطقة، وعلى فرنسا أن تعترف بحق شعوب شمال افريقيا في الاستقلال طبقا لميثاق الأمم المتحدة ومبدأ حق تقرير المصير لكل الشعوب.

11- رأى المؤتمر بعد بحث القضايا العربية أن يعمل بكل الوسائل حتى تحل هذه القضايا حلا عادلا يحفظ للعرب سيادتهم وحقوقهم.

□

كان جديرا بالملاحظة فيما يتعلق بهذا المؤتمر ان دالس وزير خارجية الولايات المتحدة قد زار المملكة العربية السعودية فجأة قبل سفر الملك سعود الى القاهرة بساعات، والملاحظة الثانية عدم حضور الملك حسين لهذا المؤتمر وإعلانه أنه من دعاة وحدة الصف العربي، ولذلك فقد عقد مؤتمرا آخر بعد ثلاث أيام مع فيصل ملك العراق والامير عبدالاله ونوري السعيد على الحدود الأردنية العراقية ليعلن على أثره أن الاجتماع جرى في جو ودي وأخوي، ثم كشف بهجت التلهوني عن هدف الاجتماع وهو جعل

الأردن جسرا بين العراق من جهة وسورية ومصر والسعودية من جهة أخرى لايجاد تعايش بين الكتلتين، والملاحظة الثالثة هي ان البلاغ والبيان المشترك لمؤتمر القاهرة قد اتسما بالهدوء وعدم الاثارة، والذي اعتقده أن هذا الاخراج الهادئ كان يستهدف عدم استفزاز بريطانيا بعد الصفعة الاليمة التي تلقتها في الأردن والتي هزت أركانها كما تدل مناقشات مجلس العموم آنذاك.

ويروى ان رئيس بعثة ديبلوماسية (وأعتقد بأنه سوري) التقى في عمان مع السفير الاميركي، وعندما دار الحديث بينهما عن اسباب انزعاج الحكومة الاميركية من إقدام الاردن على الاستغناء عن غلوب أجابه السفير الاميريكي:

ومن قال ان الحكومة الاميركية منزعجة من ذلك؟

وقد كشف حزب العمال عن ألم بريطانيا وحقدها على الولايات المتحدة لمزاحمتها على بترول الشرق الأوسط عندما قال انوريه بيفان في مجلس العموم انه سيتكلم نيابة عن رئيس الوزارة البريطانية الذي لا يمكنه أن يتكلم بحكم منصبه فهاجم الولايات المتحدة قائلا :

"إن على الولايات المتحدة أن تفهم أن وصول بريطانيا الى بترول الشرق الأوسط أمر ضروري مثل وصول الولايات المتحدة إليه". ثم هاجم شركات البترول الاميركية التي تحاول توسيع مصالحها على حساب بريطانيا فقال :

"إن شركات البترول في الولايات المتحدة تعلم انه ليس من الأمور المأمونة استغلال مضايقات بريطانية في الشرق الأوسط لتوسيع مصالحها"، كما قال :

"إن بريطانيا ترغب في أن تكف الولايات المتحدة عن مداخلاتها في شؤون البترول كما كان من الخير للعالم الحر لو أنها كفت عن تدخلها في الصيد". وقال : "إن الاميركيين يكرهون البريطانيين وانهم مصابون بعقدة التفوق".

تأثير الأحزاب والقوى الوطنية في الأردن.

بدأ دور القوى والاحزاب الوطنية يتعاظم في الأردن بعد طرد غلوب باشا. وقد قدمت هذه الأحزاب في 10-3-56 مذكرة للملك حسين حددت فيها مطالب الشعب الأردني في تلك الحقبة وجاء فيها :

إن بلوغ الشعب الأردني لأهدافه الوطنية في التحرر والوحدة هو في تحقيق المطالب التالية :

1- التعاون الوثيق عسكريا وسياسيا واقتصاديا مع الدول العربية المتحررة والمناوئة للاستعمار واحلافه والتي تقف مخلصة معنا في وجه اسرائيل.

2- قبول المساعدات العربية المعروضة من مصر وسورية والمملكة العربية السعودية.

3- تطهير الجيش تطهيرا كاملا من الضباط البريطانيين وأعوانهم.

4- القضاء التام على كل مظاهر السياسة التي كان غلوب يتبعها في الجيش وجهاز الدولة.

5- اباحة الحريات العامة ليساهم جميع المواطنين في معركة التحرر والانشاء.

6- اطلاق سراح المعتقلين.

وجاء في ختام المذكرة :

'إننا نؤمن بأن تحقيق السياسة التحررية في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ بلادنا يستلزم تضافر جميع القوى الوطنية وقيام حكومة تؤمن بهذه السياسة وتتبناها، وتتمتع بثقة الشعب وتأييده، وتقف بوعي وحزم في وجه كل ضغط استعماري، وتعمل على تجنيب البلاد مؤامرات الاستعمار وأذنابه".

وقد وقع هذا البيان عن حزب البعث عبدالله الريماوي وعبدالله نعواس كما وقعه سليمان النابلسي وشفيق رشيدات، وحظيت هذه المذكرة بتأييد القوى الوطنية في الشعب والجيش الأردني.

الملك حسين يزور دمشق فيستقبل فيها استقبالا شعبيا رائعا:

استقبل الملك حسين في دمشق بتاريخ 56/4/9 استقبالا حكوميا وشعبيا صادقا بالنظر لما أحدثه تحرير الجيش العربي الأردني من القيادة البريطانية من أثر بالغ في نفوس السوريين، فقد كان هذا الحدث ضربة مميتة للنفوذ البريطاني أحدثت تأثيرا كبيرا في تدعيم الاتجاه العربي التحرري، وفي تعاظم القوى العربية التحررية، وقد ظهر لدمشق في زيارة الحسين الوجه الهاشمي المتحرر من الاستعمار البريطاني، ذلك الوجه الذي ما تزال دمشق تحمل، مع الحنين إليه، صورة العائلة الهاشمية مفجرة الثورة العربية، متمثلة في الشريف حسين بن علي والملك فيصل والملك غازي، ولعل الملك حسين قد تبادل هذا الشعور مع دمشق، وقد تجلى ذلك في خطابه الذي رد به على خطاب شكري القوتلي.

كنت قد عدت الى دمشق مع أعضاء الوفد البرلماني من زيارة المملكة العربية السعودية، والكويت والعراق، فرأيت من المفيد أن أعرب للحسين عن شعور السوريين تجاه خطوته في تحرير قيادة الجيش الأردني وتشجيعه على المضي في هذا الطريق، وقد كنت أبدو في ذلك الوقت، بسبب معارضتي للمشاريع الاتحادية البريطانية مع العراق، وكأنني خصم للأسرة الهاشمية، والحقيقة انني لم أكن كذلك، وهذا ما حداني أن أوصي وزير الداخلية علي بوظو بأن يرحب باسمي بالملك حسين، ويعرب له عن استعدادنا للعمل على اتحاد الأردن مع سورية على أساس إلغاء المعاهدة الأردنية البريطانية، كما أعربت له عن استعدادنا للقبول بالملك حسين رئيسا لهذا الاتحاد، وقال لي علي بوظو أنه بلغ الملك حسين هذه التحية.

عقد الملك حسين وشكري القوتلي اجتماعات عديدة في دمشق حضرها رئيسا الوزارتين السورية والأردنية، وقد عرضت سورية على الأردن عقد اتفاق عسكري ثنائي على غرار الاتفاق الثنائي العسكري السوري المصري، كما أكدت استعداد الدول

العربية المتحررة الثلاث لتقديم المساعدات المالية للأردن لمدة عشر سنوات على ضوء الأسس التي اعلنها مؤتمر الاقطاب العرب الثلاثة في القاهرة.

أما الملك حسين فقد عرض عقد اتفاقيات عسكرية شاملة بين البلدان العربية وعودة العراق الى المجموعة العربية مع احتفاظها بحلف بغداد واتفاقية الأمن المتبادل الاميركي، وقد جرى نقاش حول هذا الموضوع، وكانت حجة سورية في رفض هذا الاقتراح ان حكام العراق لم يقبلوا بتجميد حلف بغداد، وان الأمر العملي الوحيد بالنسبة لخطورة اللحظة التي تمر بها البلاد العربية من جراء عدوان اسرائيل ومطامعها التوسعية، هو عقد اتفاقات عسكرية ثنائية لكي يفيد الأردن من الامكانيات العسكرية للدول العربية المتحررة ولكي تفيد الأمة العربية بالمقابل من مواقع الأردن الاستراتيجية مع اسرائيل في أي عمل عسكري موحد ضد أي عدوان اسرائيلي.

وفي نهاية هذه المحادثات اتفق البلدان أن تتولى الجهات العسكرية تنسيق خطط الدفاع والتعاون العسكري بين الجيش السوري والأردني باعتبار خطوط الهدنة مع اسرائيل خطا واحدا، كما تعهد الجانبان بتوحيد مساعيهما لتمكين أواصر المودة والاخاء بين جميع الدول العربية لتنسيق وتوحيد الخطط الدفاعية، وأعلن الأردن أنه يعتبر الدول العربية وحدها صاحبة الحق في الدفاع عن نفسها، وأكد نهائيا عدم انضمامه الى أية احلاف أجنبية، كما اتفق على توثيق العلاقات الاقتصادية والثقافية تحقيقا للهدف المشترك في بناء الوحدة العربية الشاملة وقد صدر ذلك في بيان مشترك بتاريخ 11-4-56 :

في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شعبان المعظم عام 1375، الموافق للعاشر من نيسان 1956، عقد صاحب الجلالة الملك حسين الأول ملك المملكة الأردنية الهاشمية وصاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية سلسلة محادثات اشترك فيها دولة السيد سمير الرفاعي رئيس الوزراء الأردني ودولة السيد سعيد الغزي رئيس مجلس الوزراء السوري، وتداولوا في مختلف الشؤون والقضايا التي تهم العالم العربي

بشكل عام والمملكة الأردنية الهاشمية وسورية بوجه خاص، وقد سادت الابحاث روح الود والاخاء، لما يربط بين البلدين من أخوة صادقة، ومحبة أكيدة، وايمان لا يتزعزع بمستقبل الأمة العربية، مستمدين ذلك من الوعي القومي في دنيا العروبة، وكان الاتفاق كاملا على مختلف النقاط التي جرى بحثها وقر الراي على ما يلي :

1- لما كانت اسرائيل تسلك سياسة عدوانية صريحة غير عابئة بقرارات هيئة الامم المتحدة، عاملة على ايجاد حالة من التوتر والاخلال بالأمن والطمأنينة على خطوط الهدنة، وتأكيدا لما سبق اعلانه من الجانبين من أن هذه الخطوط المحيطة باسرائيل تعتبر خطا دفاعيا واحدا ورغبة من الطرفين في تركيز هذا البيان على أسس عملية، فقد اتفق على أن تتولى الجهات العسكرية المسؤولة تنسيق خطط الدفاع والتعاون العسكري بين الجيشين الأردني والسوري لصد ومقاومة أي اعتداء يهودي يقع على حدود الهدنة، وتوحيد الجهود وتعزيز القوى الدفاعية بين البلدين. ويؤكد الطرفان أن مسؤولية الدفاع عن بلديهما وعن الوطن العربي العام تجاه الخطر اليهودي العدواني انما هي مسؤولية مشتركة بين جميع الدول العربية، وعلى هذا الاعتبار فقد اتفق الجانبان على توحيد مساعيهما وجهودهما لتمكين أواصر المودة والاخاء بين جميع الدول العربية وتحقيق التعاون المشترك بينها لتنسيق وتوحيد الخطط العسكرية، والقوى الدفاعية، وسائر وسائل التعاون لمقاومة هذا الخطر الداهم.

2- اعتبار الدول العربية وحدها صاحبة الحق في الدفاع عن نفسها وصد العدوان عن أراضيها.

3- يؤكد الطرفان سياستهما البنية على عدم الانضمام الى أية احلاف اجنبية.

4- يعمل الفريقان على تنمية التعاون الوثيق بين البلدين في المجال الاقتصادي والثقافي تحقيقا للهدف المشترك وهو الوحدة العربية الشاملة.

1 رمضان 1375

11 نيسان 1956

□

كانت سورية آنذاك تسعى سعيا حثيثا لتكون حلقة الوصل بين مصر والأردن تجاه ما كانت تروجه مصادر الاعلام البريطانية عن مطامع عبد الناصر بالأردن وعدم جديته في عرض المعونة العربية، ولذلك اقترحت على جودة محيسن نائب رئيس مجلس النواب الأردني عندما جاء يحدثني عن تعلق الشعب الأردني بفكرة قبول المساعدة المالية العربية أن **يعقد مجلسا النواب السوري والاردني اجتماعا مشتركا لاقرار المساعدة، وبذلك نضع حدا للأراجيف التي تشاع في الأردن من أن الدول العربية المتحررة الثلاث ليست جادة في عرضها للمساعدة المالية على الأردن** لمدة عشر سنوات.. فأجابني جودة محيسن أنه سيدرس ما إذا كان النظام الداخلي للبرلمان الأردني يسمح بعقد مثل هذا الاجتماع المشترك (الرأي العام 15 نيسان 1956).

□

الاتفاقية العسكرية المصرية الاردنية.

وبعد أقل من شهر على زيارة الملك حسين لدمشق وصدور البلاغ السوري الأردني المشترك، عقد الأردن اتفاقا عسكرية ثنائيا مع مصر وهذا هو نص البلاغ المشترك.

زار وفد عسكري أردني مصر خلال الفترة الواقعة بين 28-4-56 و 5-5-56 واجتمع الى ممثلي الجيش المصري للتباحث في تنسيق جهود الجيشين الشقيقين على ضوء المصلحة العربية المشتركة فلقي من المسؤولين تجاوبا وتعاونا تامين، مما أدى إلى سرعة الوصول الى تفاهم واتفاق كاملين على جميع النقاط التي طرحت للبحث.

وبعد دراسة مستفيضة لكافة المسائل العسكرية في جو من الود والصراحة والرغبة الأكيدة في التفاهم واستعراض مختلف وجهات النظر فقد تم بعون الله وتوفيقه وضع اتفاق توحد بموجبه جهود الجيشين الشقيقين في تنسيقهما بما يضمن الدفاع عن مصالح الأمة العربية وكيانها على أسس واقعية عملية رائدها التعاون الكامل.."

كما أورد هنا أيضا المقال الذي نشرته في العدد الرابع من جريدة البعث الاسبوعية بتاريخ 11-5-56 وأشرت فيه إلى الأهمية القصوى التي كنا نقيم بها موضع الأردن استراتيجيا وسياسيا بالنسبة للقضية العربية

البعث يطلب لبحث المعونة وتسليح الحرس الوطني :

أمام العرب والسياسة العربية التحررية الآن نهجان : اما أن نجعل من الاردن صخرة النجاة ومرتكز الظفر، وإما أن نجعله ثغرة الضعف والمقتل وما نظن أن هناك مجالا للخيار. فالأردن لصق الاراضي المغتصبة، بحدود طولها اكثر من 650 كم، ويتداخل معها. ويكاد يطل على البحر من بعض مناطقها ومخنق اسرائيل ومفاصلها بين يديه.

ونفوس من عاشوا المأساة بأفجع صورها أيضا هناك: لصق مساكنهم التي فقدوا، ولصق أراضيهم التي اغتصبوا، ولصق ذكرياتهم يمضغونها الما كالدم، ليعودوا يمضغونها ثورة كالدم. هم جيش الفدائيين تشعله الحمية وتهديه خبرته بأرضه وشعابها ومسالكها، ويمكن أن يبلغ هذا الجيش، حين الحاجة ، ستين الفا. وذلك هو الحرس الوطني. ومن خلفه يشد أزره جيش عربي بقيادة عربية ذو دربة وكفاءة وذو شجاعة. لذلك يمكن أن يكون الاردن صخرة النجاة ومرتكز الظفر. لقد كان الاردن، عهد النكبة، ثغرة الخذلان لعبت فيه السياسة البريطانية وغلوب دورا ولعبت الخلافات دورا.. ومثلت المأساة.

ذلك ولم تكن له خطورته الحالية. كانت الضفتان منفصليتين فلا التصاق ولا تداخل. وكانتا خلوا من مئات آلاف بؤساء اللاجئين. ثم طرأ وجهان: ايجابي وسلبي، فالتلاصق والتداخل يمكن أن يكون خطرا مواثبا لاسرائيل، ويمكن ايضا أن يكون خطرا مواثبا للاردن. واللاجئون يمكن أن يكونوا قوة ويمكن أن يكونوا عبئا مرهقا. وغلب الوجه السلبي الوجه الايجابي، وظل الاردن ثغرة الضعف حين كان غلوب يجثم على الاردن وحين كان يحتاط برعايته التهريب والتخريب والاتصالات وترتيب الخطط مع اسرائيل.

واختلف الامر الآن .. فقد ازاح الشعب العربي غلوب، واصبح للجيش الاردني قيادته العربية، وبرز الوجه الايجابي. والسياسة البريطانية اخفقت خطتها: ارادت أن تدخل الاردن من حلف بغداد لتلتف على سوريا، فاذا بحلف بغداد يتجمد على حدود العراق، ويتخلخل في داخل العراق. ففقدت رزانتها،

وكشفت خطتها التي لم تلق تأييدا الا من فرنسا الموتورة ايضا من الشعب العربي في المغرب.

وتجمد وضع اسرائيل. فالعدوان الذي كانت تهدد به أوقفته واذا كان لصفقة السلاح المصرية نصيب في احباط خطة اسرائيل العدوانية، واذا كان للسياسة التحررية المصرية السورية نصيب، فللاردن ايضا نصيب، وليس قليلا.

تلك اول نتيجة لتحرر الاردن من القيادة البريطانية.. وتلتها ثانية : هي مد السياسة العربية بمدد جديد. لقد رد الاردن الى السياسة التحررية ما قدمت له من دعم حين التحرر، فقدم لها دعما وقوة. فعقد الاتفاق الثنائي المصري الاردني دعم للسياسة التحررية وقوة. ولذلك يمكن أن تمضي السياسة العربية التحررية، تؤمن تبادل التفاعل والدعم بين اجزاء الوطن العربي، لتزداد هي دائما قوة.

وهكذا بدأ الاردن يصبح صخرة النجاة ومرتكز الظفر.

نقول بدأ لان على السياسة العربية التحررية ان تجعله ينتهي الى هذا المنتهى، والطريق بينة:

فأولا : يجب ان تقدم سريعا المعونة المالية

لقد كانت مباحثات تجري من قبل حول هذه المعونة، ولكننا الآن لا نسمع لها حسا . اليس هذا غريبا؟ لقد كان يوضع لها شرط ابعاد القيادة البريطانية ولكنها أبعدت.. وانضاف الى ذلك ايضا هذا الاتفاق الثنائي المصري الأردني.

ثانيا : تسليح الحرس الوطني الأردني ..

انه واجب ان تدعم القدرة النفسية عند هؤلاء الفدائيين بالقدرة المادية، بالسلاح.

وإن هذين: التسليح والمعونة لا يكونان عبئا على الدول العربية الثلاث: مصر وسوريا والسعودية، بل انهما بالنسبة لبعضها - السعودية - لا يكونان الا تضحية ضئيلة جدا، وحتى لو كانا تضحية باهظة فان المردود سيكون ايضا كبيرا.

إن من متممات السياسة العربية التحررية، التي كان من ثمراتها تسليح الجيشين المصري والسوري، وتلك الاتفاقات الثنائية، وتوحيد القيادة العربية الحرة- أن تمد للأردن في القوة إلى آخر الحدود، خاصة والظرف الدولي، حتى الآن، موات، وكذلك الوضع العربي. وعندئذ يصبح الأردن حقا :

صخرة النجاة ومرتكز الظفر.

وبعد، اننا نسأل الحكومة ورئيس المجلس النيابي وأحزابه:

أليس من حقنا، وقد أقر المجلس النيابي أنه يحق لكل نائب عربي أن يشارك في جلسات ومناقشات المجلس النيابي السوري، أن نطلب دعوة المجلس النيابي الاردني للاجتماع مع زميله السوري والتباحث في : المعونة المالية وتسليح الحرس الوطني؟ اننا بذلك لا نكون ننشر في الجو العربي روح الوحدة العربية بل ونخطو فعلا نحو الوحدة العربية.

أكرم الحوراني

□

حدثت بعد تاريخ كتابة هذا المقال تطورات هامة على الساحة الأردنية وهي:

أولا : استقالة وزارة سمير الرفاعي الذي كان على خلاف مع الملك بشأن تنحية غلوب باشا وأعلن المفتي الذي ألف الحكومة الأردنية الجديدة أن حكومته ستقبل المعونة العربية غير المشروطة وتعمل على تعديل المعاهدة الأردنية البريطانية وتعلق أهمية كبيرة على زيارة الرئيس القوتلي للأردن، وقد قابلت بغداد الرسمية بقلق شديد نبا استقالة سمير الرفاعي ثم تأليف سعيد المفتي للوزارة الجديدة.

ثانيا : اعلنت حكومة المفتي بتاريخ 24 مايس استقالة اللواء راضي عناب من رئاسة أركان الجيش الأردني وتعيين علي أبو نوار بدلا عنه بعد ترفيعه الى رتبة لواء.

وقد علقت على ذلك وكالة اليونايتد بريس بما يلي :

"إن اللواء علي أبو نوار كان زعيما للضباط المنادين بتعريب الجيش الأردن وطرد الضباط البريطانيين منه، وأنه قام بدور هام في المحادثات المصرية الأردنية التي أدت إلى اتفاق على توحيد الخطط العسكرية بين مصر والأردن إزاء اسرائيل".

□

كانت الصداقة قد جمعت بين رفيقنا العقيد نبيه صباغ وبين اللواء علي ابو نوار عندما كان كل منهما ملحقا عسكريا لبلده في باريس، وكان نبيه الصباغ واثقا من وطنية علي أبو نوار ونقائه، وكذلك كان رأى قادة البعث في الأردن ولهذا كان تعيين علي أبو نوار لرئاسة أركان الجيش الأردني بشارة كبرى زفت لنا، كما كانت في الوقت ذاته موضع تشاؤم شديد من قبل السلطات الاسرائيلية التي قالت :

"إن تسمية اللواء أبي نوار رئيسا لأركان الجيش الأردني يعتبر تركيزا لميل الجيش الأردني نحو مصر وتساءلت عما إذا كانت العلاقات الأردنية الاسرائيلية ستدخل طورا دقيقا اكثر مما دخلته العلاقات الاسرائيلية المصرية على طول حدود الهدنة في منطقة غزه.

□

أصبح الجو ممهدا لزيارة القوتلي لشرق الأردن واعطائها صيغة شعبية تمثل الجبهة الوطنية العربية سواء في سورية أو الأردن، وقد رغب القوتلي أن يكون الوفد المرافق له ممثلا للحكومة والجيش أما المجلس النيابي " فكان ممثلا برئيس لجنة الشؤون الخارجية إحسان الجابري ومقررها صلاح البيطار.

كان القوتلي حريصا على اصطحاب الاستاذ صلاح معه ليساهم حزب البعث في سورية أو الأردن في الاعداد لاستقباله والحفاوة به، كما كانت قيادة الحزب في الأردن تلح على سفره وتخشى أن يحول خلافنا مع القوتلي دون سفره، وكنت مقتنعا مع قيادة الحزب في الأردن بوجوب السفر.

وقد فسرت جريدة الرأي العام بتاريخ 29-5-56 السفر بما يلي :

" فسر سفر صلاح البيطار الى الأردن مع الوفد الرسمي الذي رافق رئيس الجمهورية بأنه جاء نتيجة إلحاح قادة البعثيين الاشتراكيين في الأردن لأنهم يتوقعون أن تتناول المباحثات موضوع المساعدات العربية المالية للأردن وانسجام الأردن الكامل مع السياسة العربية التحررية، بينما كان مقدرا - قبل ذلك. ان هذه المباحثات لن تتعدى الاتفاق العسكري".

جرى للقوتلي على طول الطريق من دمشق إلى الأردن احتفالات شعبية لعب الحزب فيها دورا بارزا، وقد زار القدس ومعسكرات الجيش العربي والخطوط الامامية ومعسكرات الحرس الوطني الذي أهدته سورية كميات كبيرة من السلاح والذخيرة.

كانت ثمرة هذه الزيارة ما جاء في البيان المشترك الذي أذيع في دمشق وعمان وهذا نصه :

عقد صاحب الجلالة الملك حسين الأول ملك المملكة الأردنية الهاشمية وصاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية خلال زيارة فخامته الرسمية للأردن عدة اجتماعات اشترك فيها اصحاب الدولة رئيسا وزارتي سورية والأردن ووزيري الخارجية تداولوا فيها مختلف المسائل التي تهم العالم العربي بشكل عام والمملكة الأردنية الهاشمية بشكل خاص.

وقد جرى البحث في جو تسوده روح المودة والتفاهم والأخوة الصادقة التي تربط بين القطرين الشقيقين، وأكدوا المبادئ القومية التي تضمنها البيان المشترك الذي صدر في دمشق خلال زيارة صاحب الجلالة الملك حسين الأول المعظم لدمشق في 56/4/11 تلك المبادئ التي تتفق مع واقع الأمة العربية وتتجاوب مع آمالها وأمانيها وقد تم الاتفاق على ما يلي :

1- اتفاقية عسكرية : اقرار اتفاقية عسكرية لمواجهة الخطر الجاثم على الحدود باعتبار ان هذا الأمر أهم ما يقلق افكار المسؤولين، تتضمن التوحيد الفعلي للمجهود الحربي بين الجيشين الشقيقين عن طريق مجلس حربي وهيئة عمليات مشتركة دائمة.

2- رفع درجة التمثيل السياسي بين البلدين الى درجة سفارة.

3- إلغاء إجراءات السفر بين البلدين بالجوازات والاكتفاء بالوثائق التي تثبت الشخصية.

4- حل قضية الترانزيت ولا سيما تسهيل نقل الفوسفات على ضوء المصلحة القومية العامة دون النظر للأمور المادية.

5- البت في أمر تنفيذ قرار مجلس جامعة الدول العربية بشأن مساهمة سورية بمشروع البوتاس والتوقيع على عقد التأسيس.

6- إقرار مبدأ الوحدة الاقتصادية والوحدة الجمركية بين البلدين برفع الحواجز الجمركية بينهما والاتفاق على دراسة هذا الأمر من قبل لجنة فنية مشتركة تجتمع على الفور لإقرار هذا المبدأ.

7- إعادة لجنة نهر اليرموك الى العمل لمتابعة مهمتها.

8- التوسع في إفساح المجال أمام الطلبة الأردنيين للانتساب الى مختلف كليات الجامعة السورية.

1956 : ذهابي مع وفد نيابي سوري الى مصر والسعودية والكويت والعراق - اجتماعي وصلاح البيطار بعبد الناصر والاجتماع بخلية بعثية فيها بعض المصريين - كان تقييمنا لنظام عبد الناصر أنه نظام وطني تقدمي ولكنه نظام فردي يجب ان يتحصن بالديموقراطية - مقابلة عاصفة في السعودية مع الملك سعود بن عبد العزيز - الوفد يتابع رحلته الى العراق مارا بالكويت - مقابلة مع ضابط المخابرات البريطاني داردن في سامرا - مناقشة حادة مع نوري السعيد حول حلف بغداد.

في أوائل عام 1956 قرر مجلس النواب السوري تشكيل وفود نيابية لزيارة البلاد العربية هدفها الاطلاع وتحسين العلاقات، بدءا من مصر ثم السعودية ودول الخليج ثم العراق، فكنت والاستاذ صلاح عضوين ضمن الوفد الذي سيزور مصر. صادف اعلان الدستور المصري قبيل زيارة الوفد البرلماني للقاهرة، حيث احتشد عشرات الألوف من الشعب المصري في ساحة التحرير بتاريخ 1956/1/16 ليستمعوا ويستمع معهم الشعب العربي في كل أقطاره الى خطاب عبد الناصر، وهو يعلن في مقدمة الدستور أن "شعب مصر يشعر بوجوده متفاعلا في الكيان العربي ويقدر مسؤولياته والتزاماته حيال النضال العربي المشترك لعزة الأمة العربية ومجدها" وأن "مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة وهي جمهورية ديموقراطية وان الشعب المصري جزء من الأمة العربية" (المادة الأولى من الدستور المصري).

كان هذا الخطاب أعظم هدية يقدمها عبد الناصر لسورية بمناسبة أول زيارة يقوم بها وفد برلماني سوري لمصر، وقد كان لهذه الهدية أثرها الخاص في نفوسنا لأن حزب البعث كان أول من طالب بجملة من العرائض والبرقيات بوضع هذه المادة في الدستور المصري، وهذا ما جعل وداع الوفد البرلماني في مطار المزة وداعا

خاصا وحافلا بجمهور غفير من الحزبيين والمواطنين المتحمسين والنواب والرجال الرسميين وفي مقدمتهم رئيس الوزارة سعيد الغزي، وقد سافر برفقة الوفد سفير مصر محمود رياض.

كان الوفد برئاسة ناظم القدسي ومؤلفا من جميع أحزاب المجلس وفئاته، من أنصار حلف بغداد،الى الفئات الدينية، الى خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعي،وكان استقبال الوفد في مطار القاهرة حافلا على المستويين الشعبي والرسمي. حللنا في فندق هليوبوليس في مصر الجديدة. وكانت أول مرة أزور فيها القاهرة التي لم أشعر بها بأي وحشة، وإنما كان استئناسي بها يزيد يوما بعد يوم كما تزداد محبتي لشعبها الطيب العريق.

كنت كغيري من عرب المشرق قد رضعت منذ الطفولة الثقافة من مصر: من كتبها وكتابها وأدبائها وشعرائها وأعلامها وقادتها واحزابها. كنا نشارك شعب مصر حياته السياسية والفكرية والعلمية والفنية، كانت مصر منارتنا بالرغم من كل المحاولات العابثة التي بذلها الاستعمار لفصل مصر عن واقعها الحي العربي والاسلامي وربطها بالفرعونية المحنطة في المتاحف والمتحجرة في الأهرامات وأبي الهول.

□

شعرنا منذ الأيام الأولى لزيارتنا أن حكم الارهاب يخيم على الشعب المصري.

كان كلام الناس همسا، وحديثهم احتراسا ونظراتهم حذرة خائفة، كان هذا شأن شباب حزبنا عندما زارونا في الفندق فاختصروا أحاديثهم السياسية لأن في الفندق عيونا، فاتفقنا أن نجتمع في بيت أحدهم سرا. وهنالك جرى نقاش طويل بذلت فيه جهدي مع الاستاذ صلاح لاقناعهم بصحة اتجاه عبد الناصر العربي التقدمي. مستدلا بالدستور الذي يعتبر شعب مصر جزءا من الأمة العربية، وبانتهاجه سياسة الحياد الايجابي ومقاومته حلف بغداد، واستعداده للوقوف مع سورية تجاه اسرائيل واستعداده لذلك بصفقة السلاح المعروفة، ولكن الشباب الحزبيين لم يتزحزحوا عن

قناعتهم بأن نظام عبد الناصر نظام ديكتاتوري مباحثي لا يرجى منه خير للقضية العربية، وان الناس في مصر مجمعين على كرهه، وكانوا مصرين على عدم تورط الحزب بأي خطوة اتحادية مع مصر، بينما كان رأينا أن هذا النظام قابل للتطوير، وانه لا يجوز أن نترك عبد الناصر وحيدا أمام هجمات حلف بغداد واسرائيل والاستعمار. وكانت الخلايا الحزبية من الطلاب السوريين قد بدأت تستقطب بعض الطلاب المصريين أذكر منهم ابن الباحث والأديب العربي الكبير أحمد أمين.

□

وقد اقترح معروف الدواليبي زيارة الحاج أمين الحسيني فلم أر والاستاذ صلاح مانعا من زيارته باعتبار أن الرجل ظل أمينا على القضية الفلسطينية بالرغم من اختلافنا معه في العقلية والافكار واسلوب العمل، وكنت أتصور أن يكون منزله غاصا بالزوار والانصار، ولكننا وجدناه وحيدا منزويا تلوح على أحاديثه الكآبة والحذر، ثم علمت أن عبدالناصر يفرض على منزله رقابة مشددة وان ذهابه الى بلد عربي آخر بات وشيكا، ولم أتمكن من فهم الاسباب الحقيقية التي دعت لوضعه هذا سوى علاقته الوثيقة بالإخوان المسلمين.

□

كنا نشعر بفتور الناس تجاه نظام عبد الناصر في جميع الأوساط، وكان الاستاذ فؤاد جلال يعلل ذلك بأن المجتمع القاهري يكره أن يحكمه رجل من الصعيد، وعندما تهافت علينا محررو الصحف امتنعنا عن الادلاء بأي بيان أو تصريح يستشم منه تأييد عبد الناصر.

كنت أؤلف مع صلاح البيطار وخالد بكداش من بين أعضاء المجلس ثالوثا يساريا تولى المرحوم الاستاذ فؤاد جلال مرافقته والعناية به، وكان جلال من وزراء عبد الناصر السابقين ومن رجاله المخلصين، وقد توثقت بيننا وبينه الأواصر بعد انعقاد مؤتمر الخريجين العرب في مدينة القدس وأصبحت علاقتنا معه وثيقة،

أما اعضاء الوفد الآخرين فقد تولى رعايتهم محمود رياض الذي تجمعه مع بعضهم صلات وثيقة.

□

قضينا في مصر اسبوعين حافلين بالزيارات والاجتماعات والمشاهدات الهامة، وكان من الطبيعي أن نبدأ بزيارة مجلس الانتاج الذي يرأسه فؤاد جلال، حيث اجتمعنا الى عدد من الخبراء الذين تحدثوا عن مشاكل مصر الاقتصادية والاجتماعية المستعصية نظرا لتفجرها السكاني الذي لا يتناسب مع رقعة الأرض، وكانوا مقتنعين بأنه لا سبيل لحل مشاكل مصر إلا عن طريق الوحدة العربية، فاعتبرنا قناعاتهم نصرا للقومية العربية.

ثم زرنا برفقة الاستاذ فؤاد جلال وحدة (برنشت) المجمعة وهي تتألف من مستوصف ومستشفى وروضة أطفال ومركز للارشاد الزراعي والصناعات اليدوية وقاعة للسينما وكانت خطة مجلس الانتاج تقضي بتغطية القطر المصري بمثل هذه المجمعات التي قدرت تكاليفها 300 مليون جنيه. وفيما بعد ألغي مجلس الانتاج وتوقف المشروع لعدم نجاحه.

ثم زرنا مديرية التحرير التي لم يكن مصيرها للأسف بأفضل من مجلس الانتاج والوحدات المجمعة وكان الاعلام المصري يعتبر هذه المديرية من أهم منجزات الثورة حتى أصبحت محجة لجميع الزائرين وكان مجدي حسنين الذي يقوم على انشاء ادارة هذا المشروع من الضباط المقربين جدا إلى الرئيس عبد الناصر، وقد روى لنا فؤاد جلال انه كان من بين الضباط الذين انقذوا عبد الناصر يوم عصيان سلاح الفرسان (عصيان خالد محيى الدين ورفاقه).

قال لنا مجدي حسنين : انه يحاول أن يجعل من هذا المشروع نموذجا أفضل من مزارع اسرائيل الجماعية (الكيبوتز) وكانت الآمال معلقة على احياء مساحات كبيرة من الصحراء بمثل هذه المزارع النموذجية، ولكن هذه الآمال لم تتحقق لعدم توافر الشروط الموضوعية ولضخامة التكاليف ولسوء الادارة والتبذير مما

أدى إلى الفضيحة وإلى اتهام مجدي حسنين بسوء الاستعمال وتبديد أموال الشعب.

لقد ظل عبد الناصر يستخدم برامج التنمية إعلاميا قبل كل شيء آخر وظل هذا شأنه حتى بعد إصدار أول خطة للتنمية عام 1959.

□

قضينا نهار نزهة في القناطر الخيرية برفقة الشيخ الباقوري وزير الأوقاف وخلال سيرنا استوقف الباقوري رجلا رث الثياب قائلا لنا :

ستشاهدون الآن أعاجيب لا تشاهدون مثلها في بلادكم لأنها من اختصاصنا نحن المصريين :

أخرج الرجل من جيبه منديلا ونشره أمامنا ثم طواه ثم نشره فإذا بصيصان الدجاج تقفز من المنديل، ثم أعاد الصيصان الى المنديل وعندما نشره مرة ثانية أصبحت الصيصان ثلاث بيضات.

□

طائرات الميغ.

كانت أهم زيارة تركت في نفسي أثرا كبيرا هي زيارة قائد الطيران صدقي محمود في أحد المطارات العسكرية حيث حلق الطيارون بطائرات الميغ فأظهروا مهارة فائقة وهذا ما دعاني أن أصرح في القاهرة :

"إن طائرات الميغ وأسلحة مصر الجديدة جعلت تفوق اسرائيل العسكري خرافة وان النصر سيكون بجانب العرب ما دام الجيش المصري قد أصبح على هذا المستوى من القوة والتسلح (1956/1/26 الرأي العام السورية).

ولا بد لي في هذه المناسبة من ذكر ما حدثني به العقيد اكرم الديري بعد الخامس من حزيران فقد يكون في ذلك ما يلقي

بعض الضوء على دور قائد سلاح الطيران صدقي محمود في تلك الحرب وقد يبرئ ساحته وينقذ سمعته وشرفه بعد الحكم الذي صدر بحقه، فقد كان صدقي محمود واحدا من الذين قدموا لساحة القضاء لتهدئة للجماهير الثائرة التي طالبت بمحاكمة المسؤولين عن الهزيمة :

قال العقيد اكرم الديري :

ضمني المشير عبد الحكيم عامر إلى سكرتاريته في القيادة العامة قبل عدة أيام من حرب حزيران، وفي صبيحة الخامس منه طلب مني أن أرافقه مع قائد الطيران صدقي محمود للاشراف على المواقع العسكرية الأمامية في سيناء، وبعد قليل من الاقلاع شعرنا أن أمرا غير عادي تتعرض له الطائرة، فنهض صدقي محمود إلى غرفة القيادة ثم عاد ليقول بانفعال :

ألم أحذركم من هجوم اسرائيلي مباغت؟ لقد صح ما توقعته وان جميع مطاراتنا تتعرض للقصف الاسرائيلي الآن .. ويقول اكرم الديري :

ان صدقي محمود كان قدر حذر المشير عامر والرئيس عبد الناصر قبيل حرب حزيران من الضربة الأولى وكان يطالب باتخاذ جميع الاحتياطات والتدابير الفنية لاتقاء هجوم مفاجئ لسلاح الطيران الاسرائيلي.

□

زيارة معامل السلاح .

زرنا معامل السلاح القريبة من القاهرة بصحبة اللواء أركان حرب المهندس حسن رجب، فكان اعجابنا به وبالمعامل التي يشرف عليها كبيرا جدا، ولهذه المعامل قصة محزنة، فقد استمرت بالانتاج الحربي زمنا ثم انقلبت الى صناعة مدنية بعد أن جرت محاولات ودراسات لصنع الطائرات والاسلحة الثقيلة، وكان السبب الأول الذي حال دون نجاحها لا يتعلق بقدرة مصر ومستواها التكنولوجي وإنما يتعلق بطبيعة نظام عبد الناصر الذي لم يكن

يفكر جديا في مجابهة شاملة مع اسرائيل، وهذا ما اعترف به في خطبه وتصاريحه بعد هزيمة حزيران، أما السبب الثاني فهو عدم قدرة مصر الاقتصادية على تمويل الصناعات الحربية وهذا السبب ذاته حال دون نمو الصناعة الحربية في سورية ولو توفر الاهتمام والمال لبلغت الصناعة الحربية العربية مستوى ما بلغته عند الاسرائيليين، وانني اعتقد أن موضوع الصناعة الحربية هو موضوع الحاضر والمستقبل بالنسبة للأمة العربية، فهو أحد الأبواب التي تدخل منها إلى هذا العصر، كما تحررها من التبعية السياسية والاقتصادية والعسكرية (كتبت هذه الفقرة حول الصناعة العسكرية أوائل السبعينات).

زيارة سد اسوان.

كانت المرة الأولى التي أشاهد فيها سدا بهذه الضخامة على نهر جبار، وقد انشئ هذا السد في العهود الملكية لتنظيم الري، وكما هو الأمر بالنسبة لسد الثرثار على دجلة فقد أبقى الانكليز هذا المشروع دون استغلال لطاقاته الكهربائية التي يمكن أن تدخل مصر في عصر الصناعة، وفي عام 1956 بدأ العمل يجري في السد من قبل المهندسين المصريين لتركيب التوربينات الضخمة لتوليد الكهرباء، كما بدأ العراق يستفيد من الطاقة التي تتولد من السد ولكن بعد سنوات من إنشائه.

الاجتماعات مع عبد الناصر.

كان أول هذه الاجتماعات في مبنى رئاسة الوزراء آنذاك وقد ضم جميع اعضاء الوفد، وقد تجلى عبد الناصر قائدا سياسيا بارعا ورجل دولة قوي الحجة واضح التفكير حاضر النكته.

اسهب عبد الناصر يومذاك في شرح الخلافات الأساسية بين سياسة الحياد والتحرر وسياسة الاحلاف العسكرية الاجنبية، وقد أجاب بدقة على سؤال طرحه أحد أنصار عراق نوري السعيد، فرزت المملوك عن الاسباب التي تمنع توحيد سياسة الحكومات العربية مع تبني مصر وسورية سياسة الحياد وتبني نوري السعيد سياسة حلف بغداد، وقد شرح عبد الناصر بالتفصيل

الحوار الذي دار بينه وبين نوري السعيد أثناء مروره بالقاهرة وتعرض لنقاط الخلاف بين السياسة العربية التي نادى وينادي بها، وبين السياسة التي يدعو لها نوري السعيد والتي يعتبرها مكابرة تجاه مصلحة العراق والأمة العربية وقال :

إن الاحلاف تعني عمليا انتقاصا للسيادة والاستقلال والتمكين للاستعمار في الوطن العربي، في حين أن سياسة الحياد تعني الاستقلال والسيادة والتحرر لجميع أجزاء الوطن العربي.

وقد أثار عبد اللطيف اليونس قضية التحالف الثلاثي من جديد، وعبر عن رغبة سورية بعدم الاكتفاء بالاتفاق العسكري الثنائي الذي وقعته سورية مع مصر وعن ضرورة إقامة اتفاقات أخرى في الحقلين السياسي والاقتصادي تساعد على سير البلدين العربيين المتحررين في طريق الوحدة، فقال عبد الناصر :

إن مصر مستعدة لأن تنفذ كل ما تريده سورية فإن شاءت الاتحاد فنحن حاضرون لقبوله، وان شاءت أن تتبع الاتفاق العسكري باتفاق سياسي وآخر اقتصادي فإننا نرحب بذلك.

بعد هذا الاجتماع رغب عبد الناصر أن يجتمع بممثلي الفئات والأحزاب السياسية في مجلس النواب السوري كل على حدة، فرأيت من الضروري مكاشفته بحقيقة موقف الشعب تجاهه وضرورة معالجته بالطرق الديموقراطية التي تشكل اساسا لمبادئنا وممارساتنا السياسية في سورية، وكان فؤاد جلال قد اعترف خلال مناقشاتنا العديدة ان استمرار نظام عبد الناصر والسير به قدما رهين بتطويره ديموقراطيا.

ذهبت مع الاستاذ صلاح الى منزل جمال عبد الناصر في منشية البكري ودام اجتماعنا به اكثر من أربع ساعات. وهذا هو مجمل ما دار من أحاديث:

شكرت جمال عبد الناصر على ما لاقيناه من العناية وكرم الضيافة، وأثنيت على سياسة مصر العربية التحررية، وحدثته عما شاهدناه ولمسناه في ميدان التصنيع المدني والعسكري

والخدمات الاجتماعية واستصلاح الأراضي وتوليد الطاقة الكهربائية وتدريب الجيش على الاسلحة الحديثة مما جعلنا نؤمن بأنه في مصر تجربة عربية تقدمية ننظر إليها بعين الجد والتفاؤل وقد رد عبد الناصر على ذلك بقوله :

يجب أن تعتبروني واحدا منكم فأنا اتتبع اخبار الحزب في سورية بمنتهى الاهتمام.. قلت له وقد وجدت الجو مشجعا على المصارحة :

لقد أصبحنا حريصين جدا على نجاح تجربتكم وهذا ما يقتضينا أن نصارحكم بما أحسسناه من موقف الشعب السلبي منكم، وأعتقد أن السبب يعود الى انعدام الديموقراطية حيث لا يوجد أي سبب وجيه آخر، وقد أصبح الظرف متاحا لتطوير النظام نحو الديموقراطية بعد الاعلان عن الغاء الظروف الاستثنائية وتطبيق الدستور الجديد وأضفت الى ذلك قائلا :

انني لا ارى اي مبرر لبقاء الحكم العرفي والتدابير الاستثنائية بعد انقضاء أربع سنوات على الثورة خلفت وراءها ما يشبه القطيعة بينكم وبين الشعب، ان إلغاء الحكم العرفي وكل التدابير الاستثنائية الشاذة فعليا هو الطريق لالتفاف الشعب حولكم.

أجابني عبد الناصر بانفعال :

ولكن متى حكمت مصر حكما ديموقراطيا؟ إنها منذ أربعة آلاف سنة وهي تحكم حكما عرفيا! قلت له :

ولكن أليس من أولى مهماتكم يا سيادة الرئيس وأنت من هذا الشعب أن تفتح صفحة جديدة في تاريخ مصر تنسجم كل الانسجام مع خط الثورة التي اطلقتموها؟؟ إن مصر من أغنى البلاد العربية بكفاءاتها الوطنية والعلمية والاخلاقية وان التفاف هذه الكفاءات حولكم يمكنكم من تطبيق الديموقراطية تطبيقا سليما.. كنت أعني بهذا الحديث لفت نظره الى عدم الاعتماد على جهاز المخابرات وحده والى التعاون مع الكفاءات، ولكن جواب عبد الناصر كان بمنتهى الغرابة:

إن العمل مع هؤلاء صعب، لقد فاوضنا طه حسين أن يعمل معنا لقاء مئة جنيه شهريا فلم يرض إلا بمئة وخمسين!!

قلت له : لم يخطر ببالي أبدا طه حسين، ولكن الذي قصدته هو تحقيق الديموقراطية حتى تصبح مصر قلعة ضد ما يحيكه الاستعمار من مؤامرات. وإنا لنا يا سيادة الرئيسي، كما تعلم تجربة طويلة في سورية، وأرجو أن تثق بان محبتك والحرص عليك هو ما دفعني الى مصارحتك وأرجو ألا تكون صراحتي قد أزعجتك.

وهكذا انتهى الحوار معنا حول هذا الموضوع وصرنا نجيب على الأسئلة التي كان يطرحها حول الوضع في سورية.

□

بعد رجوعنا الى سوريا واجتماعاتنا مع قيادات الحزب كان تقييمي والاستاذ صلاح لنظام عبد الناصر انه نظام وطني تقدمي ولكنه نظام فردي ديكتاتوري يمكن أن يتعرض للانهيار بمكائد الاستعمار ما لم يتحصن بالديموقراطية، وانه لا بد من تحالفنا معه وتوثيق علاقتنا به بأمل تطويره ديموقراطيا عن طريق التفاعل معه، نظرا لأهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه بالنسبة للقضية العربية، وكان تقييمنا هذا لا يتفق في بعض نقاطه مع تقرير عبدالله الريماوي الذي أرسل إلى مصر قبل ذلك خصيصا لهذا الغرض، ومع ذلك فإن زيارتنا لمصر قربتنا من نظام عبد الناصر أكثر من قبل.

رحلة الوفد النيابي السوري إلى السعودية والكويت والعراق.

وجهت السعودية دعوة لمجلس النواب السوري لزيارة المملكة، كما تلقى المجلس دعوة مماثلة من العراق، فكان أنصار السعودية يلحون على تلبية الدعوة كما كان انصار العراق يلحون على زيارتها لئلا تظهر سورية بمظهر المنحاز الى أحد المحورين العربيين، أما نواب العشائر فقد تسابقوا ليكونوا في عداد الوفد المسافر الى السعودية، ولذلك اتخذت لجنة الشؤون الخارجية قرارا باقتصار الوفد على نواب هذه اللجنة وبذلك انتهت المشكلة.

سافرنا في صبيحة 21-3-56 على متن طائرة سعودية الى المدينة المنورة وكانت المرة الأولى التي أسافر فيها الى السعودية.. كنت أطل من نافذة الطائرة وقد تملكني الذهول من منظر الصحراء المترامية من دمشق الى المدينة المنورة.

صحراء كالبحر دون حدود إلا من تموجات بعض جبالها الجرداء الكالحة السوداء، صحراء لا أثر فيها لمعالم الحياة، إن البحر والصحراء يرقيان بالانسان الى المطلق، ولكن شتان بين امتداد البحر الذي يوحي بالحياة والتفاؤل والراحة وبين منظر الصحراء الذي يوحي بالرهبة والخشوع.

اعلن قائد الطائرة وأنا غارق في هذه المشاعر أننا اصبحنا فوق المدينة المنورة، فنظرت بلهفة.. لم أر الا خيطا ضئيلا أخضر يكاد لا يرى، منزويا على استحياء بين حنايا تلال صخرية جرداء، من هنا خرج أجدادنا العظام قبل الف وأربعمائة عام، وتجلت لي المعجزة، معجزة الاسلام، من هذا المكان المنفصل عن العالم والمنزي في عالم الغيب والنسيان خرج محمد الرسول العربي فانتشرت الرسالة بعد بضع من السنين الى حدود الاطلسي غربا ومجاهل الصين شرقا، فبنت أمة وشيدت حضارة استعصت على جميع عوامل الفناء التي تعرضت لها خلال القرون المتعاقبة، إنها معجزة، ولكنها ليست المعجزة التي تخرج عن سنن الطبيعة والحياة، بل هي معجزة واقعية خضعت لكل سنن الوجود والحياة.

إن الاجنبي لا يمكنه ان يرى من مكة والمدينة سوى واحات في قلب الصحراء توحي بالوحشة والعزلة عن العالم، أما العربي المسلم فتبعث في نفسه الذكريات والعواطف التي تستفيق دفعة واحدة ليغرق فيها حتى الغيبوبة.

في كل مكان، وفي كل وجه، وفي كل لمحة، وفي كل حفنة رمل، وحيثما اتجه يستفيق في ذاكرته حدث من أحداث التاريخ العربي والاسلامي، ولا أعتقد أن الغاية من الحج والزيارة إلا بعث هذه المشاعر في قلب المؤمنين من كل جنس لترقى بسلوكهم وأفعالهم، ولتشيع بينهم روح المحبة.

هـذه هـي المشـاعر التـي لـم تفـارقني اثنـاء زيـارتي لقبـر الرسـول في المدينة المنورة وعندما زرت الكعبة في مكة المكرمة.

□

غادرنا المدينة منذ اليوم الأول الى جده، ومنها توجهنـا إلـى مكة المكرمة لأداء العمرة، ثم زرنـا الطـائف، وهـي بحـق كمـا قيـل عنهـا : قطعـة مـن ديـار الشـام، موقعـا وخضـرة ومناخـا وبعـد ذلـك سـافرنا إلى الرياض عاصمة المملكة.

في الرياض فوجئـت بأديـب الشـيشـكلي نـزيلا فـي الفنـدق الذي نزلنا فيه! وكانت جريدة الرأي العام قد نشـرت قبـل يـوم مـن سـفر الوفد ما يلي :

" علـم المخبـر المحلـي مـن المصـادر السياسـية الموثوقـة أن لعـودة الزعيم أديب الشيشكلي إلى المملكـة العربيـة السـعودية - كمـا هـو معـروف منذ أيام قلائـل علاقـة وثيقـة بمـؤتمر الاقطـاب العـرب الثلاثـة الـذي عقـد فـي القاهرة، حيث اعتبر النشاط الذي ما زال يبديه الزعيم أديب الشيشـكلي فـي فرنسا وسواها من النشاط غير المرغوب فيه وأن جلالة الملك سـعود قـد أمـر باستدعائه ليلفت نظره الى ما يترتب على ذلك من الاضرار به لان المملكة قد تضطر للتخلي عنه وقطع الاعانة الشهرية التي تقدمها له، وهذا يختلـف تمـام الاختلاف عما أرادت بعض الاوساط المعروفة ان تفسر عودة الشيشكلي الـى الحجاز هذا الوقت بالذات".

وكان نشـر الخبر على هـذه الصـورة متعمـدا لتطمـين رئـيس الجمهورية شـكري القوتلي الذي احتج على مـا يظهـر فـي مـؤتمر الاقطاب على النشـاط الذي يقوم به الشيشـكلي ضـد الوضـع فـي سـورية.

لم اكترث لوجود الشيشكلي في الفندق، ولكن أعضاء الوفد بدأوا يزورونه الواحد بعد الآخـر، وأخيـرا جـاءني عبـد الفتـاح ياسـين الموظـف بالسـفارة السـعودية والمرافـق للوفـد يرجـوني أن أزوره، فـاعتبرت هـذا الرجـاء أمـرا بعيـدا عـن الـذوق بعـد كـل مـا ارتكبـه الشيشـكلي وأخوه صلاح من مؤامرات، وما أريق بها من دماء، كـان أخي وابن أختي ضحيتها.

□

بدا لنا جو المدن التي زرناها في الحجاز مغلفا بالأسرار عليه مسحة من الحزن والكآبة، ولكن مدينة الرياض بدت لي عكس ذلك إذ كان الجو فيها مشرقا فرحا.

بدت لنا الرياض في ذلك العام وكأنها ورشة عمل لبناء مدينة حديثة، وكانت الرياض القديمة ما تزال على حالها تجاور قصور الف ليلة وليلة الملكية وبعض المنشآت الحكومية الفخمة، وكان قصر الملك عبد العزيز القديم ما يزال قائما شبيها ببيوت الفلاحين الاغنياء في بلادنا، أما قلعة الرياض المبنية من اللبن فكانت تروي لنا اسطورة استيلاء عبد العزيز على الرياض وتقويضه لامارة آل الرشيد، وقد لفت نظري في الرياض بعض المدارس المشيدة على أحدث طراز، والتي لا تضم سوى أبناء الامراء وكبار الموظفين.. وفي الرياض دعانا الملك سعود لحضور حفلة سباق للخيول الملكية، ثم شاهدنا تمثيلية أداها الطلاب وكانت ترمز لوحدة العرب في مقارعة المطامع الاستعمارية على الثروة البترولية، وكان الخلاف على ذروته آنذاك بين بريطانيا والسعودية أو بالأحرى الولايات المتحدة على واحة البريمي، وفجأة تفجرت من عيني الدموع وأنا أشاهد التمثيلية فأخذت أكفكفها خوف أن يراها أحد ولا سيما انني كنت بجانب الملك وكانت المقصورة مزدحمة بأعضاء الوفد وبعض أفراد الحاشية.

سألني بعد ذلك بعض أفراد الوفد عن سر هذه الدموع التي انفجرت من عيني فأجبتهم :

لقد تمثل في خاطري عندما شاهدت التمثيلية ان الثورة العربية ضد المطامع الاستعمارية لا بد آتية. وأنها ستنبثق من هنا مرة ثانية، من اعماق الجزيرة العربية رغم ما يكيده الاستعمار.

أحاط الملك سعود أعضاء الوفد السوري بعناية كبيرة نظرا لوجود بعض الاعضاء من قبائل عنزة والرولة الذين تجمعهم به صلة القرابة العشائرية، ونظرا لأهمية سورية بالنسبة للسياسة السعودية في خلافها مع البيت الهاشمي، وكان السوريون هم

المقربون من الملك عبد العزيز وأولاده منذ نشوء المملكة العربية السعودية، وقد أسبغ الملك سعود بعفويته البدوية طابعا عائليا على بعض دعواته، فكان منظرا مبهجا ومثيرا أن يتعشى الملك وأعضاء الوفد مع أولاده الذين يتجاوز عددهم الأربعين، وكان فيهم الاطفال الذين لم يتجاوزوا الخامسة أو السادسة، وهم في ثيابهم العربية الموحدة يتناولون الطعام مراعين كل آدابه.

جلسة عاصفة مع الملك سعود :

عقد الملك سعود اجتماعات خاصة مع أعضاء الوفد ولست أدري ما دار في تلك الاجتماعات، أما اجتماع الملك بي وبالاستاذ صلاح فقد كانت نهايته سيئة.

حاولنا في حديثنا معه أن ننطلق مما يجمعنا معه من مشاعر عربية ضد الاستعمار وحلف بغداد والصهيونية ولكن الملك لم يصبر حتى نهاية الحديث فقاطعنا بجفاء واتهمنا بالشيوعية! قلت له:

إن هذا الاتهام غير صحيح وأنت لا تعرفنا جيدا، اننا لسنا جبناء، ونحن حزب لديه الجرأة الكافية ليعلن شيوعيته على رؤوس الاشهاد لو كان شيوعيا. قلت ذلك بانفعال وبصوت مرتفع ثم أضفت :

أرجو ألا تنطلي عليك أكاذيب الاستعمار وافتراءاته، فهذه هي أسلحته ضد الصادقين من أبناء هذه الأمة.

ثم انتهت الجلسة بما يشبه الاحتجاج.

كان الملك سعود منصرفا للبذخ والترف وبناء القصور، ولم نشاهد من المشاريع آنذاك الا توسيع الكعبة وانشاء بعض المطارات والطرق، ولم تكن الخدمات العامة متوفرة كما يجب، وكان انتشار التعليم محدودا جدا، أما مشاريع الري والزراعة والصناعة فقد كانت معدومة ما عدا مزرعة ملكية في الخرج ومعملا للذخيرة انشأه الفرنسيون.

الأمير فيصل يعالج الموضوع.

حدد الامير فيصل موعدا لاجتماع خاص نعقده معه، وكان منزله عاديا يوحي بأنه يعيش حياة عائلية طبيعية.

لم يكن الأمير فيصل يختلف عن أخيه سعود ذكاء ونباهة فحسب بل كان يختلف عنه ايضا بما اكتسب في رحلاته لدول العالم من اطلاع، فقد اقام في الولايات المتحدة مدة طويلة مندوبا لبلده في هيئة الأمم المتحدة ورسولا لوالده في مهمات كثيرة ووزيرا له في جميع الشؤون الخارجية، وهكذا اكسبته الممارسة خبرة ومعرفة بالاضافة إلى استعداده الفطري.

تحدث الامير فيصل عن مصر ودورها العربي وروى تاريخ علاقته بجمال عبد الناصر ورجال الثورة منذ بدايتها، كما تحدث عن حلف بغداد وعن نوايا المملكة الطيبة تجاه سورية وعن قضية فلسطين والحركة الصهيونية ولم أعد أذكر تماما تفاصيل ذلك الحديث الطويل.

وعلى الرغم من ذكاء الأمير فيصل ودهائه فإنني فوجئت خلال حديثه أن يستنكر الحملات التي تثيرها الصهيونية في وسائل الاعلام الغربية وفي هيئة الأمم المتحدة بشأن الرق المسموح به في السعودية وعقب على ذلك بقوله:

إن ذلك هو شأن من شؤوننا الدينية، وانه لا يجوز أن يتدخل أحد في الموضوع، وأنه أفهم الجهات المعنية ذلك مرارا.

لم ار من اللائق في مثل تلك المقابلة أن أناقش في هذا الموضوع، فالذي أعرفه أن الاسلام كان أول دعوة حضت على عتق الرقيق بكل المناسبات الدينية التي يريد بها المسلم أن يكفر عن آثامه وخطاياه وأن يتقرب بهذا العتق إلى الله، وانه كان أولى بالمسلمين أن يكونوا السباقين الى دعوة تحريم الرق.

كان الملك فيصل مقتنعا بأننا لسنا شيوعيين، ولكن السفارة الأميركية في دمشق هي التي تعتقد ذلك، ثم نصحنا بتبديل قناعاتها.. قلت للأمير فيصل:

إن السفارة الأميركية تعلم حق العلم أننا لسنا شيوعيين وأن الخلاف بيننا وبين الولايات المتحدة هو على المبادئ العربية التحررية التي نؤمن بها وننتهجها.

□

غادرنا الرياض إلى الظهران لمشاهدة المنشآت البترولية، وأول عمل قمنا به هو زيارة حاكم الدمام ابن جلوي الذي لا يتكلم حتى عند رد السلام وله وجه وقلب قدا من صخر. بت مع الاستاذ صلاح في أحد الموتيلات التي أنشأتها شركة الأرامكو للزوار، وهنالك زارنا عدد من الشباب ليلا ومكثوا حتى مطلع الفجر يحدثوننا بانفعال وهياج عن أوضاع المملكة، فرأيت من الحكمة تهدئتهم وتحذيرهم من القيام بأي عمل طائش وأوصيتهم بالصبر لأن طريق الخلاص شاق وطويل.. وخلال تجوالنا في حي الشركة وهو يشبه أحياء واشنطن ونيويورك عانقني بلهفة أحد عمال الشركة وكان شابا طويلا أسود، فرحب بي وناداني باسمي، فقلت له بصورة عفوية: يظهر أنك من السودان المصري، فاحتج الشاب وقال باعتزاز أنا من السودان. قلت له: عفوا قصدت أن أقول السودان العربي وعند ذلك انفرجت أساريره، وكان لهذه الحادثة مغزاها في نفسي.

ثم زرنا مركز الشركة وكان كل الموظفين من الاميركيين، ثم منشآت المصافي ومدارس عمال الشركة، وهنالك انتحى بي جانبا أحد الشباب وقال لي أنه بعثي وأخذ يتحدث عن تسلط الشركات الأميركية.

كان كل من زار المنطقة يشعر بأن انفجارا سيحدث. وبعد شهور قليلة كان تأميم القناة موعد انفجارها.

إلى الكويت.

في الدمام ابلغنا ان الانكليز رفضوا زيارتنا للبحرين ولأي مشيخة من مشيخات الخليج الأخرى، وكان بي شوق لزيارة هذه المشيخات ولا سيما البحرين التي كان لأستاذي وقريبي عثمان

الحوراني يد في ولادة بواكير حركتها الوطنية حيث كان مديرا للتربية والتعليم فنفاه الانكليز إلى الهند.

لم نفاجأ برفض الانكليز زيارتنا لأن مظاهرات واصدامات وقعت في العشر الأول من آذار في البحرين أسفرت عن قتل أحد عشر مواطنا عربيا فأعلن الاضراب العام، وكان الشعب في البحرين يطالب بإبعاد المستشار البريطاني.

وصلنا بالطائرة إلى الكويت فتدافع أعضاء الوفد للظهور قرب المسؤولين من الشيوخ.

ربما لم يكن الأمر مثيرا، ولكن الحر والتعب لعبا دورا في شدة إحساسي بذلك، فلم اتمكن من الغداء مع الوفد، فاستأذنت وخرجت تاركا أعضاء الوفد، وعندما علم بعض إخواننا بوجودي في الكويت هرعوا إلي وصحبوني في تجوالي بأنحاء المدينة، وقد أخبرني أحدهم (مازن الصبان) بأن الشيخ عبدالله السالم الصباح مستعد لاستقبالي في منزله في ضاحية المدينة.

كان منزلا متواضعا جدا قائما على رابية صغيرة تطل على البحر، وهنالك اجتمعت بالرجل المتواضع المتقشف الذي لم يفسده المال والترف وكان تدينه حصانة له من مفاسد المال، فاستأنست به وأذكر أنني حدثته عن ضرورة استجرار المياه العذبة من شط العرب وإحياء الصحراء بين العراق والكويت بدلا من انشاء المصافي المكلفة لمياه الشرب والاستعمالات الأخرى فقال لي :

إن نوري السعيد يشترط تعديل الحدود بين البلدين لقاء قبوله بهذا المشروع وان الكويت غير مستعدة لقبول هذا الشرط.

غادرنا الكويت بالطائرة الى البصرة وعيناي الحزينتان تطلان من نافذة الطائرة على الصحراء الجرداء ومياه شط العرب التي تذهب هدرا في الخليج.

□

كان أعضاء الوفد لا يكتمون ارتياحهم لما حملوه معهم من هدايا السعودية والكويت. لقد كثر عدد الحقائب لدرجة خشيت معها أن تهوي الطائرة بأثقالها، فيذهب من ليس معه سوى حقيبة صغيرة بجريرة الآخرين.

□

في عام 1974 أتاح لي لجوئي السياسي الى العراق أن أقوم في أوائل شهر شباط برحلة الى البصرة والكويت فوجدت أن عروس الخليج قد اتسعت وازدادت بهاء كما أن أهميتها التجارية قد ازدادت عاما بعد عام، ولم يبالغ ابن الرومي في محبة البصرة والتغني بجمالها والاشادة بأهميتها وعظمتها في رثائه لها عندما هاجمها الزنج واستباحوها قبل ألف عام.

زرت أيضا عام 1974 أم القصر وهي الميناء التجاري العراقي والقاعدة العسكرية الهامة الحديثة فشاهدت هنالك على الطبيعة الخلاف المؤسف على الحدود بين العراق والكويت.

عبرنا صفوان الى الكويت. فلم اتعرف على الكويت التي شاهدتها عام 1956، تبدلت الكويت كثيرا، ولم تحتفظ من سورها القديم إلا ببعض البقايا للذكرى، كما احتفظت ببيت الشيخ عبدالله السالم الصباح المتواضع وسط قصور وحدائق تطل على البحر.

أصبح سكان الكويت - كما قيل لي - نصف مليون نسمة بالاضافة الى مئات الألوف من الفلسطينيين والسوريين والمصريين والعرب من جنسيات أخرى. إن تقدم الكويت العمراني وازدياد عدد سكانها وأهميتها التجارية مما يبعث في النفس الفرح ولم يعد ينقص الكويت لتصبح من أهم المدن العربية الجميلة والكبيرة والهامة سوى المياه رغم أن الحكومة الكويتية لم تقصر في بذل الجهد لتحلية المياه واستخراج الماء العذب من اعماق الأرض، وعندما زرت الشيخ جابر الأحمد. وكان وليا للعهد، حدثته أيضا عن موضوع استجرار مياه شط العرب الى الكويت وذكرت له أن ذلك كان موضوع حديثي عام 1956 مع الشيخ عبدالله السالم الصباح، ولا يزال من أماني القومية أن أرى الكويت وقد تحولت الى حدائق

غناء وبساتين مزهرة بعد أن تم الاتفاق بين العراق والكويت على استجرار مياه الشط. (كتب هذا القسم من المذكرات أواخر السبعينات)

□

بعد هذا الاستطراد أعود الآن الى رحلة الوفد النيابي من الكويت الى العراق.

في أواخر شهر آذار أقلتنا الطائرة من الكويت الى البصرة وكان في استقبالنا متصرفها، وعند خروجنا من المطار مر بي أحد الشباب مرورا سريعا وهمس في أذني :

إياكم ان تصدقوا ما سوف يحدثونكم به عن أوضاع العراق فنحن في سجن استعماري رهيب يلقى به الأحرار كل ألوان العذاب، وقد عرفت فيما بعد أنه السيد القيسي أحد شباب الحزب.

وخلال حفلة العشاء التي أقامها متصرف البصرة، لم تفلح نكات فرزت المملوك ولا نوفل الياس في تبديد الجو الثقيل الذي شعرت بوطأته خلال هذه الحفلة.

كنت مترددا وحذرا من زيارة العراق، وكدت أترك الوفد وأذهب من الكويت الى دمشق مباشرة، ولكنني خشيت أن يؤول ذلك بالجبن مما جعلني استمر في الرحلة.

بعد العشاء تجولنا قليلا في البصرة ثم دخلنا مسرحا كان يغني فيه مطرب شعبي، وكان معظم الجمهور المستمع من أهل الكويت الذين يسهرون في البصرة ثم يعودون الى بلدهم صباحا. وفي اليوم الثاني شاهدنا معالم المدينة ولشد ما تألمت عندما رأيت مياه دجلة والفرات تضيع في البحر بينما يبذل الكويت جهودا كبيرة وينفق أموالا طائلة لتحلية مياه البحر، وكنت موقنا آنذاك بأن الانكليز هم وراء تعطيل وعرقلة مشروع جر مياه شط العرب الى الكويت لأنه يوثق الأواصر بين البلدين بالاضافة إلى كونه مشروعا يهيئ الاسباب الضرورية والموضوعية لتحضير الأمة العربية.

أقلتنا الطائرة من البصرة الى بغداد، وقد ذكرتني منطقة الأهوار بسهول الغاب في سورية التي كان مشروع تجفيفها قد قطع شوطا كبيرا، ولكن شتان ما بين الغاب والأهوار من حيث المساحة وضخامة الثروة الزراعية والحيوانية والسمكية.. انني لا أزال احلم باليوم الذي يتحقق فيه جر مياه شط العرب الى الكويت واستثمار منطقة الأهوار لتصبح من أغنى وأجمل المناطق السياحية في الربيع والشتاء.

وصلنا الى بغداد يوم 29 آذار 1956 وقد تأخرنا قليلا في البصرة حيث كنا في زيارة منشآت النفط في الزبير، وكان في استقبالنا في مطار بغداد رئيس مجلس الأعيان توفيق وهبة ورئيس اركان الجيش محمد رفيق عارف ومتصرف لواء بغداد والنواب وقادة الاحزاب والشباب التقدميون، بالوقت الذي وصل فيه من دمشق بطريق السيارة احسان الجابري مع بقية أعضاء الوفد الذين تخلفوا في دمشق فأصبح عدد افراد الوفد كبيرا جدا ويمثل جميع الفئات المجلسية وكنت مع الاستاذ صلاح البيطار ومنصور الأطرش نمثل حزب البعث العربي الاشتراكي.

لم يتخذ استقبالنا في المطار شكل مظاهرة شعبية فقد كانت الاحزاب السياسية التقدمية مضطهدة وملاحقة وتعمل بالخفاء، وهكذا لم يحضر من الاحزاب ورجال السياسة الا الرؤساء المعروفون وعدد قليل من الشباب ومراسلي الصحف، وخلال الاستراحة في المطار قدم إلى شخص لا أعرفه إحدى الصحف وطلب مني أن أقرأ خبرا معينا فوجدت الخبر المنشور في تلك الصحيفة يشير الى ان حالة من الحزن والقلق ستنتابني عندما سأتذكر في بغداد مقتل عدنان المالكي وأخي واصل، فشعرت بالتهديد المسبق المبطن، وإلا فما الداعي لهذه النبوءة وقد مضى على استشهاد عدنان وأخي واصل ما يقرب من العام؟

وقد أعادت جريدة الزمان العراقية هذه الملاحظة نفسها بعد يومين:

"بدأ معالي الاستاذ اكرم الحوراني متعبا تطفو على وجهه مسحة من الالم، وقد فسرت هذه الظاهرة بأنها تعود الى الآلم الذي أحدثه اغتيال صديقه عدنان المالكي ومصرع شقيقه واصل برصاص الشيشكلي، ولا يخفي معارف الاستاذ الحوراني بأن الفقيدين كانا بمثابة الجناحين له".

وهكذا لذت بالصمت واحتججت بالتعب عندما طلب الي مراسلو الصحف تصريحا بمناسبة زيارتنا للعراق.

حللنا ضيوفا في القصر الأبيض، وهو بيت متواضع، وكان نصيبي إحدى غرفة، أما بقية اعضاء الوفد فقد حلوا في فنادق بغداد أو ضيوفا عند أصدقائهم.

في مساء ذلك اليوم زارنا نوري السعيد، ولم يكن لي -رغم عدائنا الشديد سابق معرفة به، ولكنني كنت لا أزال أذكر قول وندل ولكي منافس روزفلت في انتخابات الرئاسة - قبل قيام الحرب العالمية الثانية - وكان قد سجل انطباعاته في كتاب اصدره بعد زيارته للشرق الأوسط وجاء فيه :

"إن نوري السعيد قادر على بناء أعظم الامبراطوريات لو لم تكن بلاده مستعمرة بريطانية".

بدا لي نوري السعيد وهو في السبعين من عمره كالشباب حيوية ونشاطا ومرحا، كما بدا لي كالفهد في افتراسه وبطشه، وكالثعلب في يقظته ودهائه، وقد أظهر اهتماما خاصا بي من بين سائر أعضاء الوفد البرلماني الذي يضم عددا من ابناء جيله ومعارفه في سورية.

قال لي نوري السعيد مازحا انه اشتراكي اكثر مني وانه شرع بتوزيع الأراضي على الفلاحين، وان العراق بلد يتسع بأراضيه الخصبة وثرواته لأضعاف سكانه، أما الملكيات الكبيرة فإن الإرث كفيل بالقضاء عليها، فتأكد لي أن الزمن والتطور قد تجاوزاه كثيرا.

قلت له وكان موضوع شط العرب ما يزال ماثلا في ذهني:

ان اشتراكيتك تظهر جلية بحرمان ابناء أمتك أهل الكويت من مياه شط العرب التي تذهب هدرا في الخليج ، وهنا انتفض نوري السعيد قائلا :

- من قال لك ذلك ؟ قلت له :

شيخ الكويت ، فأجابني :

ليس هذا صحيحا ، إنه هو الذي يرفض المشروع، وفي اليوم الثاني أصدرت الحكومة العراقية تكذيبا رسميا اتهمت فيه الكويت بعرقلة مشروع استجرار مياه الشط إليها وان العراق لا يشترط تعديل الحدود لقاء تنفيذ هذا المشروع.

□

فحصت قبل نومي باب غرفتي واقفاله والنافذة المطلة على الحديقة، ولكنني قلت في نفسي :

ما الفائدة وقد وقعت في الشباك.

لم أكن مبالغا في تخوفي فقد كان الوضع العربي والتناقض الاستعماري في ذروة تأزمه. كانت أحداث الأردن وطرد كلوب، والاشتباكات بين مصر واسرائيل وقصف قطاع غزة وعمليات الفدائيين المصريين في أوجها، وكانت بريطانيا تنذر علنا بالتدخل المسلح في المنطقة بعد أن شعرت بأن نفوذها يحتضر، وكانت يائسة من الدعم الاميركي، بل كانت تحمل بشدة على دالس وتتهمه بأنه يشجع عبد الناصر ويدعمه في سياسته، وكان تواطؤها مع اسرائيل وفرنسة واضحا جليا ضد الحركة العربية التحررية، وكانت تنتظر الفرصة الملائمة للتدخل المسلح كي تدعم نفوذها المنهار، لذلك لم يكن مستبعدا في مثل هذا الجو أن تقدم المخابرات البريطانية وعملاؤها في المنطقة على أخس أنواع الجرائم مهما تكن مفضوحة.

سمح نوري السعيد للناس بزيارتنا في القصر الابيض، ولكن كان معروفا أن رقابة شديدة مفروضة علينا داخل القصر وخارجه، ورغم ذلك فقد توافد علينا الناس من معارضي الحكم ومؤيديه،

وكان بعضهم يدخل في مناقشات جريئة، كما كنا نبدي آراءنا بصراحة بالنسبة لمشروع الاتحاد وحلف بغداد، ومع ذلك فقد كان الاحتراس والخوف يخيمان أحيانا على أحاديث الزائرين، ولشد ما كانت دهشتي وإعجابي عندما انطلق شاب يتحدث عما يعانيه الشعب العراقي من حكم نوري السعيد ومظالم السجون والمعتقلات، ثم ختم حديثه قائلا انه يعلم أن الاعتقال مصيره عند خروجه، فاضطررت أن أصحبه خارج القصر حيث رأيت رجال الأمن بانتظاره فمشيت معه قليلا ثم أوقفت سيارة ركب فيها وذهب، ولا أدري ما حل به بعد ذلك.

السيد حسين جميل يريني "صرايف بغداد".

قادني في اليوم الثاني السيد حسين جميل الى حي الصرايف وهو لا يبتعد اكثر من مائة متر عن القصر الأبيض، فرأيت بيوتا من القصب على مدى النظر تتخللها المياه القذرة بحيث لا يمكن المرور بها ، فوقفت على طريق ترابي عال أتأمل ما يعانيه شعبنا من مآس.

كنت قد شاهدت في سورية قبل تجفيف مستنقعات الغاب مثل هذه الصرايف، أما أن يوجد منها ما يسد الافق في قلب العاصمة بغداد فأمر لم أكن أتوقعه أبدا! شكرت حسين جميل لأنه وضع اصبعي بأيسر الطرق على نار المحنة الكامنة وراء المظاهر الخادعة كما سلمني سلاحا آخر أشهره ضد الحكم الرجعي، ومرت الأيام فشيد عبد الكريم قاسم حيا جديدا أو مدينة جديدة وهي تدعى مدينة الثورة لأهل الصرائف، كان الارتجال طابعها مثلما هو طابع كل الشوارع والساحات التي أنشأها، وهكذا ما تزال هذه المدينة محرومة حتى الآن من المجارير والشوارع المبلطة النظيفة، بالرغم مما شيد فيها من مستشفيات ومدارس حديثة، وقد باشرت حكومة الثورة باستكمال جميع الخدمات لهذا الحي الشعبي الذي يسكنه اكثر من نصف مليون نسمة (كتبت هذه الصفحات خلال السبعينات) .

□

كنا نقوم برد الزيارات لأركان المعارضة ليلا بعد انتهائنا من البرنامج اليومي الكثيف، وكانت أولى زياراتنا لصديق شنشل في منزله ولقادة حزب الاستقلال وكانت لنا سابق معرفة بهم، ثم زرنا صديقنا جابر العمر وحضر الاجتماع بعض الشباب فشرحنا لهم وجهة نظرنا في مشروع الاتحاد وحلف بغداد، وكان مجمل أحاديثا يدور حول الاتحاد الذي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال نضالنا ضد الاستعمار وتحررنا من ربقته، وأن المشاريع الاتحادية التي يطرحها الاستعمار بين حين وآخر ما هي إلا فخ لتكريس الانفصال واسلوب لبسط سيطرته ونفوذه.

كما زرنا الاستاذ كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديموقراطي، وقد كنت على اتصال معه دون أن اعرفه بواسطة المبادلة لصحيفة الأهالي مع جريدة اليقظة ثم الاشتراكية والبعث فيما بعد وقد ظهر لي كامل الجادرجي كما عرفته من خلال جريدة الاهالي انسانا تقدميا ديموقراطيا.

كان كامل الجادرجي بالنسبة لتجربته النضالية شديد الحساسية من الحكم العسكري وشديد الايمان بالديموقراطية البرلمانية، وكان أقرب في تفكيره للماركسيين العراقيين منه الى حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد كانت آراؤنا متفقة حول حلف بغداد ومشروع الاتحاد، وكان على اطلاع دقيق على أساليب الاستعمار البريطاني في العراق.

اجتمع الاستاذ صلاح سرا بقادة فرع البعث في بغداد ولم أحضر الاجتماع لئلا نلفت نظر سلطات نوري السعيد، أو هكذا برر الاستاذ صلاح اجتماعه المنفرد، وقد أخبرني أنه أجرى نقاشا مع قادة الفرع، ووجه بعض التعليمات وقدم الايضاحات حول سياسة الحزب ومواقفه العربية والدولية.

كانت اجتماعاتنا بأركان النظام في نطاق الحفلات والاجتماعات الرسمية ولم يشذ عن ذلك سوى اجتماعنا بفاضل الجمالي في منزله، وقد استمر هذا الاجتماع الى ساعة متأخرة من الليل وقد قصد أن يكون في مكتبته الكبيرة.

كـان فاضـل الجمـالي ومجموعتـه مـن المثقفـين فلاسـفة الرجعية العربية، وكانوا يتسترون عليها بشـوفينية قوميـة. وقـد أراد أن يقنعنا بسفسطائية مملة أن الوحدة يجب أن تسبق التحرر من الاستعمار ليقنعنا بضرورة قيام الاتحاد في ظل حلـف بغـداد، ولكـن عبثا حاول اقناعنا مع كل مـا أحـاط بـه نفسـه مـن أكـداس الكتـب المصفوفة من الأرض الـى السـقف، ولمـا خرجنـا مـن منزلـه قبيـل الفجر تنفست الصعداء، وأدركت كم كان الفـرق كبيـرا بـين الرعيـل الأول وتلامذتهم المحدثين.

زيارتنا للملك فيصل وعبد الإله.

كـان البيـت الـذي يسـكنه الملـك فيصـل متواضـعا بالنسـبة للقصور التي شاهدناها في جدة والريـاض والقـاهرة، وكـان الملـك شـابا طيبا متواضعا ولا شك أنه ورث هذه الصفات عن والده الملـك غازي وعن جده الملك فيصل الأول.. كان اسـتقباله لنا طبيعيا ووديا وكانت كلمته الترحيبية طيبة وذكية، وقد تاثرت بهذه المقابلـة فانـا من جيل تربى على محبة الحسين بن علي مفجـر الثـورة العربيـة وفيصل الأول وغازي باعتبارهم من آل البيت وحـاملي لـواء الوحـدة والاسـتقلال. وقـد ألقـى نوفـل اليـاس بهـذه المناسـبة أبياتـا مـن الشعر اشـاد بهـا بالبيـت الهاشـمي وبالـدور الـذي لعبـه بالنسـبة للقضية العربية.

قام أعضاء الوفد بزيـارات خاصـة للوصـي علـى العـرش عبـد الإله وكانـت زيارتنـا لـه علـى كـره، وعنـدما رأيتـه تجلـت لـي فـي قسمات وجهه كل الآثام التي يرتكبها الاسـتعمار البريطـاني بحـق العراق حتى انني لم أتمكن من التحديق في وجهه اثناء الحديث.

بدأت الحديث معـه بتـذكيره بثـورة جـده الحسـين بـن علـي وكيف حمل لواء الوحدة العربية والحريـة وذهـب ضـحية الاسـتعمار البريطـاني والصـهيوني وأن علـى جيـل الهاشـميين الشـباب أن يستمر في حمل راية الوحدة والحرية والاصـلاح الاجتمـاعي ولكـن عبد الاله قاطعني عندما ذكرت كلمة الاصلاح الاجتماعي فقال :

انني أعرف من تجربتي ان الشعب كالكلب يجب أن نحمل له الرغيف بيد والعصا باليد الأخرى، وانتهت المقابلة بهذه الحكمة البالغة فازددت كرها له، وتبدت لي بشاعة السياسة التي تسوس بها بريطانيا شعب العراق، كما ازددت ايمانا بصحة موقفي العنيد في وجه مشروع الاتحاد الذي لن تجني سورية من ثماره سوى تنصيب عبد الاله ملكا على سورية، هدية من الاستعمار البريطاني.

الاجتماع في مجلس النواب.

استقبلنا نواب المجلس النيابي العراقي بحفاوة كبيرة وحماسة بالغة، فجلسنا في شرفة الزوار، ولكن النائب توفيق المختار اقترح أن نجلس معهم جنبا إلى جنب فوافق المجلس على اقتراحه، وعندما دعاني النائب فاضل معلا للجلوس وراء كراسي الحكومة اعتذرت له قائلا انني من المعارضين وهذا المكان ليس مكاني.

ثم ألقى رئيس المجلس عبد الوهاب مرجان كلمة قال فيها:

"أنكم تزورون وطنكم الثاني"، واعرب عن سروره لرؤيته نواب دمشق والشهباء وحمص وحماه يزورون المجلس، في حين كان يجب أن يكونوا اعضاء في مجلس اتحادي واحد، ودعا الشعوب والحكومات العربية الى التكاتف وتعزيز قواتها للحيلولة دون تحقيق أطماع اسرائيل التوسعية ثم ختم خطابه بقول الشاعر بدوي الجبل:

ليس بين العراق والشام حد هدم الله ما بنوا من حدود

فطفقت أصفق بحماسة بالغة متذكرا تحطيمنا لشارات الحدود بين البلدين في عام 1941، وقد ألقى احسان الجابري جوابا على كلمة مرجان وصف فيها اجتماع النواب السوريين والعراقيين تحت قبة مجلس واحد بأنها ساعة تاريخية، وقال ان هذا الاجتماع مظهر لواقع قومي تأخر تحقيقه تحت ظروف غير مواتية لا بد أن تنجلي ويعود التاريخ إلى مجراه الطبيعي وقال :

"إن الرجال الذين نذروا أنفسهم في الوطن العربي وأراقوا دمهم في سبيل تحرير الأمة العربية من نير الاستعمار، لم يخطر ببالهم أن تكتسي العروبة ألوانا من الاقليمية أوجدها الاستعمار وغذاها بكل ما لديه من وسائل ليحول دون تحقيق الوحدة العربية" ثم قال :

"نحن اليوم أمام حقيقتين صارختين مريرتين، الأولى: ان خطر اسرائيل يهدد كيان الأمة العربية ووجودها، والثانية أن الدول

المستعمرة هي التي أوجدت هذا الخطر عندما حصنت الصهيونية وأحاطتها بالرعاية والحماية، وان مقاومة الخطر الاسرائيلي المتزايد لا تكون مضمونه إلا إذا اشتركت كل الدول العربية في الدفاع عن الكيان العربي" ثم دعا رجال العرب إلى تحقيق هذا التعاون بأسرع وقت وتنسيق الخطط للتأهب بموقف حاسم وختم كلمته قائلا :

"إننا نتطلع إلى اليوم الذي تقر فيه أعيننا بمشاهدة نواب مصر وسورية والعراق والأردن وبقية البلاد العربية يجتمعون تحت قبة مجلس واحد لدولة واحدة، وليس ذلك ببعيد ان شاء الله".

كان وقع كلمة الجابري في نفوسنا حسنا لأنه أشار بشكل واضح للتلازم الواجب بين الوحدة أو الاتحاد وبين التحرر من الاستعمار بأسلوب لبق.

لم يكن نوري السعيد ولا أساطين الرجعية في العراق يطمعون بأقناعنا بالسير في مخططاتهم ولكنهم ولا شك كانوا يرمون من وراء زيارتنا للعراق أن يظهروا مدى نفوذهم في سورية، ولكن النتيجة كانت عكس ما كانوا يأملون فاضطر نوري السعيد أن يكرر في تصاريحه العديدة تحت ضغط الرأي العام في العراق تأييد العراق لسورية ومصر في تصديهما للعدوان الاسرائيلي واستعداد حكومته لمساعدتهما.

زيارتنا لمعسكر الرشيد وكلية الهندسة وكلية الأركان.

أراد نوري السعيد من هذه الزيارات أن يبرهن عما أدت إليه سياسة الأحلاف من تقوية للجيش العراقي وتسليحه، وكانت حكومة نوري السعيد قد اعلنت آنذاك بأنه قد تم جلاء آخر دفعة من الضباط البريطانيين عن العراق، وأقامت الاحتفالات بمناسبة استلام قاعدة الحبانية والشعيبة بعد انضمام بريطانيا الى ميثاق حلف بغداد، وقد حدث اثناء زيارتنا لمعسكر الرشيد أن تبعني ضابط شاب وأنا أهم بالتوجه الى المغسلة متظاهرا بأنه جاء ليدلني عليها ثم قال بسرعة:

إن ما يدعيه نوري السعيد من جلاء القوات البريطانية هو ادعاء كاذب وإن الضباط الانكليز لا يزالون في معسكرات الجيش العراقي، وكانت هذه الظاهرة وما يشابهها من ظواهر تحدثت عنها تدل على أن سقوط الحكم الرجعي الاستعماري في العراق بات ممكنا وهو متوقف على صمود الحركة العربية التحررية.

وعلى الرغم من خصومتنا للنظام في العراق فقد غمرتنا موجة من الفرح لزيارة معسكرات الجيش وقواعده والتعرف على ضباطه وما يتحلون به من روح عربية ملتهبة، وقد كنت أخنق دموعي أمام ما نشاهده في هذه الزيارات التي كانت تزيدنا يقينا بأن يوم التحرر وتحقيق الوحدة العربية أصبح وشيكا ولم تعد أهدافا بعيدة المنال.

افتتاح مشروع وادي الثرثار.

كانت المظاهرة الثانية التي استغلها نوري السعيد لدعايته هي مناسبة افتتاح المشاريع الانمائية التي انجزها مجلس الاعمار، وقد دعى إليها وفودا غفيرة من الاقطار العربية الأخرى وكان أعظم هذه المشاريع مشروع سد الثرثار.

وفي تاريخ 3-4-56 ذهبنا بالقطار الذي أقل ايضا الملك والوصي ونوري السعيد ورجال العهد إلى سامراء، وخلال رحلة القطار الى سامراء دخلنا في نقاش طويل مع وزير الصحة الدكتور عبد المجيد القصاب الذي كان يعتقد بإمكانية تحقيق الاتحاد بين سورية والعراق قبل تحرره من النفوذ البريطاني وهكذا دخلنا كما كنا ندخل دوما مع المسؤولين العراقيين في دوامة أيهما أولا الدجاجة أم البيضة.. كان الدكتور القصاب من القوميين المتحمسين بإخلاص للاتحاد بين سورية والعراق وكنا متفقين معه على تحقيق هذا الهدف العظيم ولكننا كنا مختلفين معه على الطريق الموصل لتحقيقه.

نصب في مشارف سامراء سرادق كبير للوفد وقبل بدء الاحتفال ذهب عدد كبير من المدعوين لزيارة مرقدي الامامين

علي الهادي وحسن العسكري ولكنني لم أذهب لأنه قد سبق لي زيارتهما عام 1941 وقد اغتنم شباب الحزب خلو السرادق من المدعويين فدعونا سرا للاجتماع في أحد بيوت سامراء.

كانت تصرفات الحزب غاية في السرية والدقة بحيث اننا حضرنا الاجتماع ولم تتمكن أجهزة المخابرات من معرفة ذلك، وخرجت من الاجتماع وأنا شديد الاعجاب بوعي شبابنا ودقة تنظيمهم وتأججهم حماسة واندفاعا.

دهشت خلال زيارة سامراء عندما شاهدت النائب فرزت المملوك وبرفقته الميجر داردن ضابط المخابرات البريطاني الذي سبق أن تحدثت عنه وعن الدور الذي لعبه قبل الجلاء وبعده ولا سيما في انتخابات حماه عام 1949.

قال فرزت المملوك :

هذا هو المستر داردن الذي قدم لثورة حماه عام 1945 خدمة كبيرة ضد الفرنسيين فقلت له :

انه لم يقدم ولا أي معونه للثورة سوى تشجيعه للاقطاعيين على الاشتراك فيها كما فعل اقرانه ضباط المخابرات في كل انحاء سورية، وقد وافق داردن على كلامي.

تأكدت لي وساوسي ومخاوفي وأدركت آنذاك ان التهديد المبطن الذي كتبته بعض الصحف منذ وصولي الى مطار بغداد هو من وحي رجال المخابرات البريطانية .. لا سيما وأن داردن عاد في اليوم الثاني واتصل بي تلفونيا راغبا في زيارتي فاعتذرت محتجا بكثافة برنامج الزيارة.

تكلم في حفلة الافتتاح وزير الإعمار ضياء جعفر ثم القى أحد المهندسين الانكليز باسم شركة (بلفورتي) المتعهدة معرفا بهذا المشروع فقال انه ينقسم الى قسمين الأول يتعلق بدرء الفيضان عن بغداد، والثاني ذو أهداف إروائية، وقد انجز حتى الآن القسم الأول من المشروع.

كان نوري السعيد بادي الاعتزاز ببناء سد الثرثار، ولعله كان يرى أنه قد انتصر على مصر التي كانت تتكلم كثيرا عن السد العالي وتبحث عمن يموله.

قلت لنوري السعيد :

انني فهمت بأن هذا السد العظيم هو لدرء الفيضان عن بغداد بينما يمكن ان يولد الطاقة الكهربائية، وكنت أتمنى أن ترجأ حفلة افتتاحه الى ما بعد الاستفادة من طاقته، فلم يخف نوري السعيد امتعاضه من هذه الملاحظة.

ملاحظات ومفارقات ونكات.

لم يخل يوم من أيام الزيارة من المآدب التي كان يقيمها لنا أركان العهد بالاضافة الى الاحتفالات بمشاريع الاعمار وزيارة الاماكن الاثرية الهامة في مختلف أنحاء العراق، وخلال هذه المآدب كان رجال العهد يتحلقون حولنا أو ينفردون بنا، وقد لاحظت من أحاديث بعضهم أنهم يظهرون معارضتهم لسياسة نوري السعيد ويثنون على السياسة التي ننتهجها كالبصام والباججي وصالح جبر وغيرهم ممن لا أتذكر أسماءهم.

وعلى الرغم من شعورنا المعادي لنظام الحكم فقد كنا نشعر بقرابة فكرية ونفسية بالاختلاط معهم اكثر مما نشعر به عند حلفائنا في مصر والسعودية لأن القضية العربية كانت هاجس الجميع على مختلف المستويات شعبا وأحزابا وحكاما.

ولم تخل هذه الحفلات والرحلات والاجتماعات من نكات ومفارقات فقد توجه الي نوري السعيد في الحفلة التي اقامها جميل المدفعي يسرد ذكرياته خلال الثورة العربية عن مرابع حوران الخضراء ممتدحا كرم وشجاعة أهلها ظانا أنني من حوران، وعندما انتهى من حديثه قلت له انني من حماه وقد جاء أجدادي إليها من حوران منذ مئات السنين، وهنا قال السعيد:

هسه فهمت فضحك الجميع وعلمت أن سبب الضحك هو ما يروى عن أهل حماه من شجاعة ودهاء حتى ان اليهود لم يسكنوا أبدا في حماه وأن الحموي قد غلب الشيطان.

□

كانت أجهزة الاستعمار تشن حربا نفسية وفكرية مضللة لتثبت بعض الاكاذيب وتجعلها بحكم التكرار من المسلمات، وقد عانيت كما عانى سواي من آثار هذه الحملات الكاذبة، فمثلا كانوا يبالغون وبشكل مستمر بأنني داهية بل ومن أكبر الدهاة، كما كانوا يصمونني بالانتهازية والتقلب، ولكنني لم أكن لا داهية ولا انتهازيا، اذ من المعروف أن الداهية الحقيقي هو الذي لا يعرف عنه أنه داهية، وأظن أن السبب في شيوع هذه الفكرة انني كنت كتوما كما كنت مسيطرا على نفسي، فلم أكن لأطلق فكرة أو اتخذ موقفا الا عندما أعرف ان الوقت والوسائل تسمح بتقبل هذا الموقف أو الفكرة التي اعتبر انها الحقيقة.

أما تبدل المواقف تجاه بعض الاشخاص أو الأوضاع والذي كان يحلو لبعض الأشخاص ان يصمه بالانتهازية فسببه ثبات المبدأ، لأن المبدأ هو الذي كان يحدد خلال عملي السياسي، مواقفي تجاه الأوضاع وعلاقاتي مع الاشخاص.

□

كان ايضا من جملة المفارقات الاحتجاج الشديد الذي أبداه الاتاسيان عدنان وفيضي، وهما من جماعة حلف بغداد لأنني كنت موضع رعاية خاصة من الملك الشاب فيصل الثاني في الحفلين اللذين أقامهما للوفد في قصر الرحاب وفي قاعدة الحبانية، وقد حدثني بذلك سفير العراق في سورية عبد الجيل الراوي.

ومن الطريف أن أذكر أن احدى طالبات مدينة الحلة كانت تحمل باقة من الزهر أعدت لتقدمها الى نوري السعيد فلما رأته تسمرت الفتاة في مكانها ورفضت تقديمها مما دلني على عمق الكراهية التي يحملها الشعب العراقي في قرارة نفسه لنوري السعيد.

ومرة حاول نوري السعيد أن أركب معه في طائرة هيليكوبتر وعندما اعتذرت قال فرزت المملوك:

أرجو أن تذهب معه، فلعل الطائرة تسقط فتتخلص أنت من نوري السعيد ونتخلص نحن منكما انتما الاثنين.

وفي أحد المعسكرات حاول نوري السعيد أن يأخذ صورة معي على ظهر صاروخ كبير فقال له أحد رفاقه :

إياك أن تفعل ذلك يا نوري، إن أكرم الحوراني سيفجر هذا الصاروخ فنقتل جميعا.

الاجتماع الاخير مع نوري السعيد.

دعانا نوري السعيد في نهاية الزيارة الى اجتماع مشترك في وزارة الخارجية، وقد حضر هذا الاجتماع عن الجانب العراقي نوري السعيد وبعض الوزراء ورؤساء الوزارات السابقين ، وعن الجانب السوري احسان الجابري وفيضي الاتاسي وعدنان الاتاسي ومعروف الدواليبي وصلاح البيطار ومحمد العايش وجهاد الهواش ونوفل الياس. ابتدأ نوري السعيد الاجتماع بالحديث عن حلف بغداد قائلا :

إن الضرورات الدفاعية قضت على العراق بحكم موقعه وقرب حدوده من الاتحاد السوفيتي أن ينتهج سياسة الأحلاف، وعدد الفوائد التي يمكن أن يجنيها العراق والأمة العربية سياسيا وعسكريا ضد اسرائيل، قلت له :

إن المبررات التي توردها لدخول العراق في الحلف غير مقنعة لأن العرب ليسوا مهددين من قبل الاتحاد السوفيتي، وليس الاتحاد السوفيتي بأسوأ الأحوال عدوا للعرب، وأنه من المسلم به أن عدوا العرب هما بريطانيا والولايات المتحدة الدولتان اللتان تستغلان ثروات العرب البترولية وتعرقلان تقدمهم واستكمال سيادتهم واستقلالهم، وهما بالوقت ذاته الدولتان المسؤولتان عن قيام اسرائيل وامدادها بكل اسباب القوة حتى أصبحت السرطان المهدد للأمة العربية، فكيف يعقل أن نحالف الاعداء الحقيقيين

ونخاصم عدوا وهميا هو الاتحاد السوفيتي؟؟ وهل يعقل أن تستفيد الأمة العربية سياسيا وعسكريا من التحالف مع اعدائها أم ان محاربتهما ومحاربة وجودهما في المنطقة هو السبيل الوحيد لخلاصنا من الخطر الصهيوني، وهو الطريق الوحيد الذي يمكن سلوكه لتحقيق الوحدة العربية. وإن ما أقوله ليس من قبل الاستنتاجات والمحاكمات الذهنية المجردة بل هو الواقع الملوس في الماضي والحاضر، وهنا التفت توفيق السويدي إلي قائلا :

هل هذا رأيك أم راي سورية؟ قلت :

بل هذا هو رأي الشعب في سورية، وهنا عقب فرزت المملوك على قولي:

إذا أردت أن أصارحك يا باشا فإن الذين يقودون الشعب في سورية هم البعثيون الاشتراكيون، وإن ممثلهم أكرم الحوراني يجر الشعبيين جرا وراء سياسة حزبه، ومضى فرزت المملوك متابعا: انني أصارحك بهذه الحقيثقة بحضور عدنان أتاسي ورفاقه من الشعبيين، وأتحداهم بحضورهم أن يقولوا غير ذلك، لأن هذا هو واقع الحال في سورية.

عندها انفجر توفيق السويدي في وجه عدنان أتاسي ورفاقه قائلا :

أنكم اذن تخدعوننا وتكذبون علينا عندما تدعون بأن الشعب السوري يؤيد سياستكم، فلاذ الأتاسيان ورفاقهما بالصمت وقد امتقعت وجوههم.

وعاد نوري السعيد للقول : أن حلف بغداد يقي العراق من خطر انتشار الشيوعية فقلت له :

إن اكبر حافز لانتشار الشيوعية هو دخول العراق في هذا الحلف. قال :

إذن ما العمل ؟ قلت :

الانسحاب فورا من حلف بغداد والعمل على تحرير العراق من النفوذ البريطاني، فغضب نوري السعيد وقال بصوت عال جدا ...

يقولون بأنك رجل ذكي وأنك رجل دولة فكيف تقول هـذا؟ ألا تعلم بأننا لو فعلنا ذلك لأصبح العراق الواحد عراقين؟

كـان نـوري السـعيد - كمـا هـو معـروف عنـه - يلجـأ للصـياح عندما تعوزه الحجة، فصرخت أنا بدوري في وجهه قائلا :

انني احتج على صياحك ورفـع صـوتك، فهـدأ نـوري السـعيد واعتذر قائلا:

إن أذني اليمنى مصابة بالصمم، ولذلك أرفع صوتي ولا أقصد بـذلك الاساءة، فأجبته:

أرجو في المرة القادمة أن توجه لي اذنك اليسرى.

وقد عقب على اقوالي عضـو مـن الجانـب العراقـي لـم أعـد أذكر اسمه فأيد سياسة الحياد التي تنتهجها سورية.

□

كانـت بريطانيـا تعتبـر معركـة حلـف بغـداد علـى السـاحة السورية معركة فاصلة بالنسـبة لنفوذهـا، ولـذلك أشـهرت كـل مـا بحوزتها من اسلحة فعالة امتكلتها خلال خمسين عاما من خبرتها الاسـتعمارية فـي المنطقـة العربيـة، بالاضـافة إلـى رصـيد العـراق القومي والسياسي والاقتصادي.

لـم يخفـف كثيـرا مـن حـدة هـذه المعركـة وقسـوتها تحـالف سورية مع السعودية ومصر ضد هـذا الحلـف لأن الولايـات المتحـدة كانت بجانب بريطانيـا فـي صـراعها مـع الحركـة الوطنيـة التقدميـة التـي يقودهـا حـزب البعـث العربـي الاشـتراكي، وهـذا مـا جعـل الاستاذ صلاح البيطار يرى في تجميد حلف بغداد حـلا مقبـولا، لأن اقنـاع العـراق بالانسـحاب منـه أمـر مسـتحيل، وقـد وافـق نـوري السعيد على اقتراحه كمخرج للحوار والمناقشة التي دخلت طريقا مسـدودا، مع قناعة جميع الحاضرين في قرارة نفوسـهم بـأن نـوري السعيد كان عاجزا عن الوفاء بتنفيذ تعهده حتـى ولـو كـان مقتنعـا به.

كانت مصر قد اعلنت بتاريخ 11 آذار تكذيبها لنجاح وساطة سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية واقناعه جمال عبد الناصر بالدخول مع العراق في ميثاق عربي جديد، وقد أوضحت مصر بهذه المناسبة وجهة نظرها من أنها تعتبر الحلف التركي العراقي تهديدا لمصر ولباقي الدول العربية، وانه إذا اعلن بأن الحلف قد جمد وأنه لم يمتد إلى أي دولة عربية أخرى فإن مصر توقف دعايتها ضده، فيعود التعاون العربي بين العراق ومصر، ومن هذا يظهر بأن اقتراح تجميد حلف بغداد من قبل الاستاذ صلاح البيطار كان انسجاما مع موقف مصر السياسي.

كان هدف نوري السعيد من هذا الاجتماع أن ينتزع بيانا مشتركا يؤيد سياسته فباءت محاولته بالفشل، وفي نهاية الاجتماع صرح للصحفيين :

"إن العراق يقف دوما بجانب سورية تجاه أي اعتداء، وان كل اعتداء اسرائيلي يقع على سورية أو اي بلد آخر انما هو اعتداء على العراق نفسه".

ثم غادرنا بغداد بعد زيارة دامت اثنى عشر يوما، وأدليت بمجرد وصولي إلى دمشق بالتصريح التالي لجريدة الرأي العام (العدد 568 تاريخ 11 نيسان 1956) :

إن الظروف الدقيقة التي تمر بها القضية العربية، ولا سيما بعد سلسلة العدوان الاسرائيلي الأخيرة تجعلنا نعتقد أن العرب يواجهون الآن خطر الحرب مع اسرائيل ولذلك فإنني أريد أن اقصر تصريحي على قول ما يلي :

لا شك أن القطر العراقي الشقيق من أكثر الاقطار العربية ايمانا بوحدة العرب وحريتهم، وقد أسبغ علينا هذا الشعب العربي الأصيل من خالص محبته ما نعجز عن تبيانه، والحقيقة التي يجب أن نعلنها بوضوح ان من مقاصد حلف بغداد كما اعترف انطوني ايدن في مجلس العموم البريطاني، إقصاء العراق الشقيق عن معركة فلسطين القادمة، ولذلك فإن عزلة العراق عن القيام بدوره القومي أمر لا يد فيه للدول العربية وإنما هو محاولة استعمارية، وعلى هذا فقد كانت رحلتنا مفيدة إذ أتاحت لنا الفرصة للبحث مع المسؤولين في

العراق بما يجب أن يقوم به في هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها القضية العربية وأن يأخذ المسؤولون في العراق بعين الاعتبار بصورة خاصة الأمور الآتية :

- تعهد الحكومة العراقية بعدم القيام بأي عمل أو محاولة لإدخال أي بلد عربي آخر حلف بغداد مما يؤدي إلى نقاء الجو العربي.
- أن يقف المسؤولون في العراق من الغرب موقفا حاسما فإما أن يسلح الغرب الجيش العراقي تسليحا جديا ويبدل من موقفه تجاه اسرائيل والقضية العربية، وإما أن يمزق حلف بغداد ويلقى به في سلة المهملات.
- يجب أن يقتنع المسؤولون العراقيون قناعة لا لبس فيها بأن المواثيق العربية هي مواثيق قومية موجهة للدفاع عن حياة العرب وسلامتهم وحريتهم ضد كل عدوان اسرائيلي، ولا يقصد منها بحال من الأحوال عزل العراق الشقيق عن الأقطار العربية.
- اعادة النظر في ميثاق الضمان الجماعي لوضعه موضع التنفيد.

ولا نشك مطلقا أن الجيش والشعب العربي في العراق لا يمكن أن يقفا مكتوفي الأيدي أمام العدوان الاسرائيلي على البلاد العربية، وسيعلم أعداء العروبة كيف أن أطواقهم الفولاذية ستتكسر على صرخة ايمان العرب بحقهم بالحياة والحرية والوحدة ... "

1956: تزايد التناقض الاستعماري بين الولايات المتحدة وبريطانيا - اسرائيل تستغل الموقف البريطاني للقيام باعتداءات على مصر وسورية وتستعد للحرب الشاملة، وشبح الحرب يخيم على المنطقة - انعكاسات ذلك على الوضع العربي والداخلي - رئيس الجمهورية شكري القوتلي يدعو لميثاق قومي والبعث يؤيد رئيس الجمهورية في هذه الدعوة التي كان قد وجهها سابقا- كيف توصلت الاحزاب السورية الى الميثاق القومي - كنت ممثل البعث في لجنة الميثاق فنشرت نصه قبل اقراره مع المناقشات التي دارت.

الميثاق القومي بين القوى السياسية السورية.

تمخضت الحرب العالمية الثانية في جملة ما تمخضت عنه خروج الولايات المتحدة من عزلتها وتسرب نفوذها الى العالم الثالث عامة والى منطقة الشرق الاوسط بصورة خاصة، ومن هنا بدأ النزاع بين الاستعمارين البريطاني والاميركي في هذه المنطقة الحساسة من العالم فقد ادت الارباح الضخمة التي تدرها صناعة البترول الى اثارة رجال الصناعة الغربيين الذين اخذوا يسعون بكل الوسائل للحصول على حقول الزيت، وقد بلغ انتاج البترول في الشرق الاوسط عام 1955 (160) مليون طن وكان الجزء الاكبر منه من نصيب الشركات الاميركية والبريطانية، وقد كانت بريطانيا تسيطر في الماضي على ثمانين بالمئة من انتاجه فأصبحت الولايات المتحدة تسيطر الان على الجزء الاكبر منه.

اصبحت بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية دولة من الدرجة الثانية، وقد جردت من معظم مستعمراتها، فأصبح البترول العربي دعامة مركزها المالي والاقتصادي والسياسي، ولكنها كانت تواجه مصاعب كبيرة في صراعها مع الحركة العربية التحررية، بينما كانت الولايات المتحدة تحاول ان تستغل هذا الصراع لتحل محلها في

المنطقة، وقد خرج هذا التناقض الى العلن في مقالات الصحف العربية والاجنبية، فقد كتبت جريدة النيويورك تايمس صراحة في هذه الفترة "ان على بريطانيا التي كانت تسيطر على الشرقين الادنى والاوسط ان تتخلى عن مكانها لتحل محلها الولايات المتحدة".

وعلى الرغم من ان بريطانيا كانت تشارك الولايات المتحدة في استراتيجيتها العالمية باقامة الاحلاف العسكرية ضد الاتحاد السوفيتي، ولكن مصالحهما كانت مختلفة في منطقة الشرق الاوسط، فبينما كانت بريطانيا تستهدف بالدرجة الاولى من اقامة الاحلاف العسكرية تثبيت وجودها ودعم نفوذها، كانت الولايات المتحدة تسعى لتقويض الاستعمار البريطاني لتحل محله بثوب جديد وقد بلغ هذا التناقض اوجه ولا سيما عندما حاولت بريطانيا الضغط على الاردن للانضمام الى حلف بغداد لتقوية سيطرتها وتوسيع دائرة نفوذها ومدها الى سورية.

في هذا الظرف انعقد مؤتمر ايزنهاور - ايدن في واشنطن لازالة هذا التناقض الذي لم يعد من الممكن اخفاؤه، وكان من الطبيعي ان يخفق امام تصميم الولايات المتحدة على تثبيت اقدامها في المنطقة، وان يعجز ايدن عن اقناع ايزنهاور "بتركيب اسنان للبيان الثلاثي" بحجة المحافظة على مصالح الغرب تجاه الخطر الشيوعي والمحافظة على امن اسرائيل تجاه خطر التسلح العربي بالاسلحة السوفيتية كعامل ضغط على الولايات المتحدة التي تعتبر اسرائيل جزءا من استراتيجيتها الخاصة في المنطقة.

ان هذا الموقف البريطاني شجع اسرائيل فأخذت تطلق تهديداتها منذ مطلع عام 1956 فيما اذا منعتها سورية من تحويل مجرى نهر الاردن الذي حددت هذا العام موعدا للبدء بتحويله.

ومع استمرار العدوان الاسرائيلي وتصاعده على سورية ومصر واقتراب فصل الربيع والاعلان عن قيام اسرائيل بتعبئة قواتها العسكرية اخذ شبح الحرب يخيم اكثر فأكثر على المنطقة ويؤثر على مجرى الاحداث فيها، ولا شك ان هذه الظروف كانت عاملا

في تأجيج احداث الاردن، وفي دفع الملك حسين لعقد الاتفاقات العسكرية الثنائية مع سورية ومصر، وفي تمركز بعض قطاعات الجيش السوري في الاردن - كما سيرد بالتفصيل -.

اما في سورية التي حملت لواء منع تحويل مجرى نهر الاردن فان التهديدات الاسرائيلية احدثت تأثيرات كبيرة على مختلف المستويات ولا سيما الداخلية، فكانت عاملا في ولادة الميثاق القومي بين مختلف الاتجاهات السياسية فيها.

□

منذ مطلع شهر شباط 1956 بدأت التقارير تنهال على وزارة الخارجية السورية من سفاراتها في العواصم الغربية الكبرى تحذر من الاستعدادات التي تقوم بها اسرائيل لشن حرب تدعي انها "وقائية" ضد الدول العربية، وتجاه ما اعلنه الاسرائيليون من ان الطائرات النفاثة ستقوم بتجربة الغارات الجوية في تل ابيب، وان حكومة بن غوريون عازمة على اعلان التعبئة العامة، وانشاء ملاجىء اضافية في المدن الكبرى وزيادة المستشفيات العسكرية، فقد رأت قيادة الحزب ان تعقد عدة اجتماعات متوالية، وكان ذلك في النصف الاول من شباط 1956، لدرس الموقف الخطير على ضوء الانباء الواردة عن استعداد اسرائيل للحرب وعزمها على تحويل نهر الاردن بالقوة، وقد قررنا في هذه الاجتماعات ضرورة اعلان التعبئة العامة العسكرية والشعبية تعبئة تتناسب مع الخطر التي تواجهه سورية، والعمل على تشكيل حكومة حرب، لذلك شرعنا باتصالاتنا مع الحكومة والاحزاب والكتل البرلمانية، فعقدنا اول اجتماع لهذا الغرض مع وزراء حزب الشعب في مكتب وزير الدفاع الوطني رشاد برمدا، وقد رحب الوزراء الشعبيون بهذه الاقتراحات وقالوا ان حزب الشعب لا يعارض اقامة حكومة تعبىء كل امكانات البلاد، على ان تكون حكومة قومية تشترك بها كل الاحزاب والكتل المجلسية، وكان هذا ما دعاني في الجلسة التي عقدت بتاريخ 1956/2/13 ان أطلب عقد جلسة خاصة فقلت:

"ارجو من الرئاسة تخصيص جلسة غدا او بعد غد للبحث في امور هامة تتعلق بموضوع الاعتداء المحتمل من قبل اسرائيل على بلادنا، وهذا يقضي بضرورة اعلان التعبئة العامة لدرء الاخطار عن البلاد، واننا لنرجو ان تتيح لنا الرئاسة مجال البحث في هذا الموضوع، لانه يتعلق بحياة الشعب العربي ومصيره" وأصررت ان تلغى عطلة المجلس وان نستمر بعقد الجلسات.

أيدني في هذا الطلب عدد من النواب ولكن رئيس المجلس ارتأى ان يترك أمر معالجة هذا الموضوع للحكومة وللجنة الشؤون الخارجية بينما اصررت على عقد هذه الجلسة لان "هنالك حقائق يجب ان يطلع عليها الشعب حول الاعتداء الذي قد يقع على بلادنا وربما كان الموقف حاسما بيننا وبين اسرائيل بالنسبة لمستقبل الامة العربية ولذلك يجب علينا ان نطلع الشعب، اننا لا ننتظر فقط بيانات الحكومة بل يجب ان يتحمل النواب مسؤولياتهم في هذا الموضوع".

طلب وزير الاشغال فرصة يوم واحد للادلاء ببعض البيانات واقترح ان تكون الجلسة بتاريخ 1956/2/15، وفي موعد انعقادها وجه رئيس الجمهورية شكري القوتلي رسالة للمجلس يدعو فيها الاحزاب لوضع ميثاق قومي تلتف حوله وتسترشد به وفيما يلي مقاطع منه:

حضرات النواب المحترمين:

"عندما شرفني مجلسكم الكريم بانتخابي رئيسا للجمهورية ودعاني في جلسة السادس من ايلول عام 1955 الى اداء القسم الدستوري، كان اول ما وجهته يومئذ الى الشعب عن طريق مجلسكم اعلان رغبتي في ان تتجه الاحزاب والهيئات نحو اتحاد قومي في هذه الازمات الصعاب التي نواجهها نحن ويواجهها العالم العربي بأسره، فيشد بعضنا ازر بعض في العمل على اسعاد وطننا ورفع مستوى شعبنا وادراك المثل العليا التي تستهوي افئدتنا".

"واذ اعود اليوم مستوحيا واجبي ونداء ضميري لاخاطبكم ثانية - انتم يا رجال هذا الوطن وممثلي شعبه الحر الابي - الذين وضعتم في عنقي امانة اغلى

مـن دم القلـب، فلكـي اذكـركم بمـا دعـوت اليـه وقبالـة عينـي ذاك القسـم الدستوري المقدس الذي تلوت صيغته امامكم، وفيـه عهـد علـي عظـيم: بـأن أبذل جهدي وكل ما لدي من قوة للمحافظة على استقلال الوطن والدفاع عن سلامة ارضه"

"وها انا معكم مرة جديدة في رحاب هذه الـدعوة التـي افتتحـت بهـا مباشـرة السلطات الدستورية منذ اليوم الاول، وما تزال الحاجة اليها تتضاعف يومـا بعـد يوم خلال خمسة اشهر مضت".

لقـد اراد رئـيس الجمهوريـة ان يكـون سـباقا الـى الوحـدة الوطنية على اساس ميثاق قومي ففاجأ المجلـس بهـذه الرسـالة التي لم تخل من تقريع لجميـع الاحـزاب علـى حـد سـواء فأدليـت للصحافة في اليوم نفسه بالتصريح التالي:

"انني اعتقد بأن رسالة رئـيس الجمهوريـة ليسـت موجهـة الـى حـزب البعـث العربي الاشتراكي، لان حزبنا كان اول من دعا الـى وضـع ميثـاق قـومي منـذ اول اجتماع عقد في القصر الجمهوري لتأليف وزارة سعيد الغزي، فرفض غيرنـا فكرة وضع ميثاق يحدد سياستنا الداخلية والعربية والدولية، ونحن نريد بشكل حازم تأليف وزارة قومية تستطيع تجنيد جميـع القـوى الماديـة والمعنويـة فـي البلاد، ان البعثيين الاشـتراكيين لا يسـعون للحصـول علـى مناصـب وزاريـة ولا مصالح شخصية، واذا كان غيرنا جادا بالوصول الى الهدف الذي ندعو اليـه فمـا عليه الا ان يترفع عن الاهواء والمصالح الخاصة لانقـاذ الـبلاد فـي هـذا الظـرف العصيب"

الجلسة العلنية تنقلب الى جلسة سرية

بعد تـلاوة رسـالة رئـيس الجمهوريـة، تلـي اقتـراح تقـدم بـه عشرة نـواب طلبـوا فيـه عقـد جلسـة سـرية، وبـدون مناقشـة ولا تصويت قلب رئيس المجلـس الجلسـة العلنيـة الـى سـرية، وكـان هذا الاقتراح قد رتب من قبل حـزب الشـعب فاعترضـت علـى ذلـك قائلا:

"انني اقترح ان يبحث النواب الشؤون العسكرية بصورة سرية، ثم يترك للنواب ان يبدوا آراءهم بصورة علنية فيما يجب ان نفعل لتعبئة الشعب ضد الخطر الداهم".

كان الشعب متلهفا جدا لمعرفة حقيقة ما تواجهه البلاد من اخطار سواء عن طريق بيانات الحكومة او عن طريق اقوال النواب في هذه الجلسة، لذلك انسحب نواب حزب البعث ونواب المعارضة الاخرون من الجلسة احتجاجا على عقدها بصورة سرية، وفي الليلة نفسها ارسلنا الى الصحف البيان الذي كنا قد اعددناه لالقائه في هذه الجلسة (الرأي العام 1956/2/16).

وبعد انتهاء الجلسة السرية وجه رئيس المجلس النيابي كتبا مستعجلة لجميع الاحزاب والكتل البرلمانية دعا فيها الى ايفاد ثلاثة عن كل حزب او كتلة برلمانية لحضور الاجتماع الذي سيعقد في وزارة الخارجية للبحث والمذاكرة في رسالة رئيس الجمهورية، وللاتفاق على وضع صيغة ميثاق قومي يحدد السياسة الداخلية والعربية والخارجية لتقوم على اسسه وزاره قومية جديدة.

□

عقد الاجتماع الاول في وزارة الخارجية برئاسة ناظم القدسي وقد كنت مع السيدين صلاح البيطار وخليل الكلاس ممثلين لحزب البعث العربي الاشتراكي، وقد طلبت في اول اجتماع تسجيل مناقشاتنا في محاضر رسمية او تسجيلها بالوسائل السمعية، ولكن سهيل الخوري اعترض على ذلك بقوله:

"انك تريد ان تجعل من اقوالنا مستمسكات تنشرها على الناس" واخيرا تم الاتفاق على عدم التسجيل مع التعهد بالمحافظة على سرية ما يدور من مناقشات، كما تم التفاهم على ان يقتصر تمثيل كل حزب وكتلة بمفوض واحد ورديف يحضر عنه في حال غيابه، كما تعهد كل حزب ان يتقدم بمشروع ميثاق مكتوب يعرب فيه عن وجهة نظره وفي نهاية الاجتماع اعلن ناظم القدسي رئيس المجلس البلاغ التالي:

"اجتمع في الساعة الثانية عشرة من يوم الخميس المصادف في 16 شباط 1956 في وزارة الخارجية السادة النواب الاتية اسماؤهم: محمد مبارك، هايل السرور، سهيل الخوري (عن الجبهة الدستورية) شاهين شاهين، جميل الشماط عن الكتلة الديموقراطية) محمد العايش، متعب الشعلان (عن الكتلة الحرة) احسان الجابري عبد المجيد رستم، هاني السباعي، نوفل الياس، غالب العياشي (عن المستقلين) فاخر الكيالي، مجد الدين الجابري (عن الحزب الوطني) فيضي الاتاسي، رشاد برمدا، علي بوظو (عن حزب الشعب) اكرم الحوراني، صلاح البيطار، خليل الكلاس (عن حزب البعث العربي الاشتراكي) فيصل العسلي (عن الحزب التعاوني) مأمون الكزبري (عن حركة التحرير العربي) وتذاكر المجتمعون في امر وضع ميثاق قومي بين الكتل والاحزاب والاتفاق على تنفيذ هذا الميثاق وقرروا:

1- ان تنتدب كل هيئة وحزب ممثلا ورديفا مفوضا تفويضا مطلقا خطيا من هيئته تعطيه حق البت والابرام في الامور التي يتفق عليها، وبأن تكون ملزمة لحزبه او هيئته.

2- ان يعقد اجتماع في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت الواقع في 18-2-56 في وزارة الخارجية.

3- ان تنجز هذه اللجنة اعمالها في مدة اقصاها مساء يوم الخميس الواقع في 23 شباط 1956 وان يكون اجتماع هذه اللجنة برئاسة مجلس النواب (الرأي العام 1956/2/17).

ومنذ الاجتماع الثاني الذي انعقد بتاريخ 18-2-56 اصبح اعضاء لجنة الميثاق كما يلي:

ناظم القدسي وقد ترأس الجلسات الاولى، اكرم الحوراني عن البعث، فيضي الاتاسي ثم احمد قنبر عن حزب الشعب، ميخائيل اليان عن الحزب الوطني، محمد العايش، اسعد هارون عن المستقلين، بدري عبود عن الكتلة الديموقراطية، فيصل العسلي عن الحزب التعاوني، مصطفى الزرقا عن الكتلة الدستورية، مأمون الكزبري عن حركة التحرير، وفيما يلي مشاريع الميثاق التي تقدم بها حزب البعث وحزب الشعب والحزب الوطني.

مشروع الميثاق الذي قدمه حزب البعث

السياسة العربية والخارجية

ان الصهيونية والاستعمار يجسدان اليوم اعظم خطر قومي يهدد العرب بالمحن والفناء، وهما اذ يعملان مجتمعين ومنفردين، انما يلتقيان في اهدافهما ومصالحهما الظالمة، وفي اغراضهما واساليبهما العدوانية.

فالاستعمار الغربي الذي اعتدى على وحدة الارض العربية واستقلالها هو الذي خلق اسرائيل لتكرس هذا العدوان الاثيم، والصهيونية التي اغتصبت قلب الوطن العربي بعون الاستعمار واخرجت اهله العرب من ديارهم هي التي تستدعي اليوم الاستعمار الغربي وترسم الخطط ليضمن لها بقاء اسرائيل، والصهيونية والاستعمار، بما احتلا من ارضنا العربية، واقاما فيها من مواقع استراتيجية، واستثمرا من خيرات ومرافق، وبما انفردا بالتالي من نفوذ وسيطرة، انما يعملان معا على محو القومية العربية وتحطيم الكيان العربي، وابقاء الشعب العربي والاقطار العربية في حالة من التأخر والتخلف والتجزئة يسهل معها تنفيذ اغراضهما الاثيمة.. ونحن في سوريا نؤمن بأن الشعب كله يلتقي في تقديره لهذا الخطر ويوحد نضاله تجاهه. كما نؤمن بأن اممًا وشعوبًا بأسرها في آسيا وافريقيا تلتقي مع العرب في نظرتهم وتقديرهم، وتكون معهم جبهة قوية مترامية الاطراف لمكافحة كل اعتداء على وحدة الارض وعلى السيادة والاستقلال وكل تدخل اجنبي، ولجعل المبادىء التي قامت عليها هيئة الامم المتحدة تطبق لمصلحة البشرية كلها.

وعلى هذا فان هدفنا القومي الاول يتلخص في نقطتين:

1- مقاومة الاستعمار الغربي والصهيونية واسرائيل.

2- تحرير البلاد العربية وتوحيدها.

اما النقطة الاولى فتحدد موقفنا السياسي الخارجي فيما يلي:

أ- مقاومة الصلح مع اسرائيل ومقاومة مشاريعها التوسعية وكل سياسة تؤدي لذلك.

ب- مناهضة الاحلاف العسكرية الاجنبية وكل سياسة تتجه في هذا السبيل (باعتبارها تربط مصير العرب بعجلة الاستعمار، وتفرض في الوطن العربي السيطرة الاجنبية، وتساعد على استمرار التجزئة واحكامها).

ج- انتهاج سياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين الغربي والشرقي ودعم مقررات بندونغ وتقوية جبهتها، باعتبارها السياسة الناجعة التي تحفظ للوطن استقلاله ووحدته وسيادته، وتمنع الاعتداء والتدخل وتضمن السلم العالمي على اسس عادلة.

واما النقطة الثانية فتحدد موقفنا السياسي العربي فيما يلي:

أ- اعلان الاتحاد بين القطرين السوري والمصري مع السعي لجعل الاقطار العربية قادرة على الانضمام اليه باعتبار هذا الاتحاد نواة للوحدة العربية الشاملة وطريقا عمليا لتحقيقها.

ب- تحقيق الوحدة الثقافية والاقتصادية والتشريعية بين جميع الاقطارالعربية بوصفها عاملا من العوامل المساعدة لتحريرها وتوحيدها.

ج- تحرير الجيش الاردني من القيادة البريطانية بتقديم المساعدة المالية له.

د- دعم نضال المغرب العربي في سبيل تحرير هذا الشطر الخطير من وطننا العربي تحريرا كاملا وانضمامه الى الوحدة العربية الشاملة، ان مقاومة الاستعمار والصهيونية واسرائيل وتحرير الاقطار العربية وتوحيدها هي امور تبقى في نطاق الاقوال والتمنيات اذا لم تنطلق من النقاط الاتية:

أ- انتهاج سياسة عربية خارجية استقلالية مستمدة من ايمان الشعب العربي بوحدته وحريته وسيادته، ومتجهة نحو تدعيم علاقاتنا السياسية والدبلوماسية مع الدول التي تدعم قضايانا القومية.

ب- ممارسة سيادتنا الكاملة في الدفاع عن انفسنا وكياننا ووحدتنا، بتسلحنا تسلحا حرا (من الدول المحايدة ودول الكتلة الشرقية).

ج- ممارسة سيادتنا الكاملة في تصنيع بلادنا، والتخلص من تخلفنا، عن طريق اخذ المساعدات الفنية والمالية والاقتصادية الاجنبية بدون التزامات سياسية، وعن طريق المقايضة بين منتجاتنا الزراعية، وبتجهيزنا الصناعي والدفاعي، وتدعيم علاقاتنا التجارية مع البلدان التي نجد فيها دعما لاستقلالنا الاقتصادي والمالي.

السياسة الداخلية

نحن نؤمن بأن مناعة بلادنا ودفاعها الضاري ضد كل عدوان، وانتصار قضايانا في المجال الخارجي الدولي، انما يستند الى الشعب والى مشاركته الكاملة في ممارسة حقوقه وحمل مسؤولياته.

فالدولة اذن مسؤولة كل المسؤولية عن توفير اسباب هذه المشاركة، وبقدر ما تؤدي واجبها نحو الافراد تملك الحق في مطالبتهم باداء واجباتهم.

ومن هنا نرى ان ثمة علاقة صميمة مباشرة بين السياسة الداخلية من جهة، والسياسة الخارجية والدفاعية من جهة اخرى، هذه السياسة تبقى مجرد اقوال اذا لم تستند على اصلاحات اساسية في المجالات الداخلية المختلفة. واذا لم يكن شعار هذه السياسة الداخلية، تعبئة الرجال والنساء والجهود والمرافق والاقتصاد للدفاع ضد الخطرين، الاستعمار والصهيونية، عن استقلال بلادنا ووحدتها وحريتها. وهذه الامور تستلزم تنفيذ النقاط الاتية:

اولا: الخروج بجهاز الحكم من فساده وعقمه وتخريبه، بتأليف لجنة حزبية تعالج الامور التالية:

أ- ابعاد النفوذ السياسي عن الموظفين، ضمان حيادهم، تحصينهم ضد الضغط والاستغلال والرشوة والخوف، اقرار مبدأ الصلاحية والمسؤولية.

ب- وضع قانون وملاك مدروسين على اساس علمي يكفل تكافؤ الفرص والمساواة والعدالة في التعيين والتسريح والنقل والترفيع.

ج- انشاء "ديوان المحافظين" الذي يكون المجلس الاعلى المستقل والذي يحرر الجهاز الاداري من التدخل السياسي والعائق الروتيني، والذي يحقق الاغراض المذكورة سابقا.

ثانيا: تطهير الجو الداخلي من جميع انواع الدعاية الاجنبية والصهيونية والانهزامية، ومن جميع اجهزة التجسس التي تعشش في البلاد، باقامة جهاز وطني مقتدر للمكافحة الجدية، منع النشرات الاجنبية ومكاتب الدعاية والمعلومات والانباء، استقالة النواب وقطع علاقاتهم مع الشركات الاجنبية، فرض الرقابة الجدية على السفارات الاجنبية.

ثالثا: خلق جو داخلي وطني عن طريق لجنة حزبية تهتم اهتماما جديا بوضع تشريع ونهج لشؤون الدعاية والاذاعة والسينما والصحافة فيكون توجيهها نحو اعداد الشعب ومشاركته في تنفيذ اغراض هذا الميثاق، وتطبيق قوانين المطبوعات فيما يتعلق بالتفتيش المالي على الصحف والاحزاب.

رابعا: اعداد الشبيبة بصورة عامة والشبيبة المتعلمة بصورة خاصة للعيش عيشة الخطر عن طريق التطوع في الخدمات المدنية العامة، مع المساهمة في اقامة الدفاعات على الحدود وداخل المدن والقرى، الى المساهمة في شق الطرق واعمار المنشآت، الى المشاركة في رفع المستوى الروحي والمعنوي والصحي والثقافي والاجتماعي للشعب وسن قانون يفرض الخدمة على المواطنين.

خامسا: اتباع سياسة تقنين وتدبير تقوم على اساس المنع القطعي لاستيراد الادوات الاستهلاكية الكمالية والمنتوجات الحيوانية والزراعية والصناعية.

سادسا: اتباع سياسة اقتصاد موجه تهدف الى تنشيط استثمار الرأسمال القومي في المشاريع الانتاجية وفي الصناعات التي تحررنا من ان نعيش عالة على البلاد الاجنبية والتي تشغل اليد العاملة في البلاد وترفع من مستواها المعاشي والفني والاجتماعي، كما تهدف الى المقايضة بين منتجاتنا وانشاء المصانع ليتم الاستقلال السياسي والاقتصادي بجعل مجلس الانماء الاقتصادي معدا للمهمة التي انشىء من اجلها وذلك بحسن انتقاء اعضائه واخراجه من الاطار الروتيني.

سابعا: تشكيل لجنة حزبية لفرض ضريبة الدفاع ولوضع سياسة ضرائب تصاعدية موزعة توزيعا عادلا حسب دخل الافراد، ولوضع جهاز تنفيذي يجمع هذه الضرائب ويكافح الاثراء غير المشروع، وبصورة خاصة لوضع اساس صحيح لموازنة الدولة التي اضحت بطريقة وضعها الارتجالية مجالا لتبذير عشرات الملايين من الليرات السورية.

ثامنا: تشكيل لجنة حزبية لتحقيق العدالة الاجتماعية للعمال والفلاحين والطبقات الفقيرة وسن تشريعات تمنع الفصل التعسفي في المعامل وتهجير الفلاحين من الاراضي التي يفلحونها.

تاسعا: توزع اراضي املاك الدولة على الفلاحين غير المالكين مع ايجاد التعاونيات التي تضمن لهم توفير الالات والبذار والقروض وادوية المكافحة والبيع وكل ما يرفع من مستوى الانتاج والدخل، وبصورة خاصة تشكيل لجنة للاشراف على هذا التوزيع ولمعالجة اوضاع محافظتي الجزيرة والفرات.

سياسة الدفاع

اعداد الشعب بأكمله، رجالا ونساء، مدنيين وعسكريين، في الجبهة والداخل للدفاع القومي، وذلك كما يلي:

أ- توفير السلاح والمعدات وفرض "ضريبة الدفاع" لتشكيل الفرق العسكرية اللازمة بعددها وعددها، وذلك بانتهاج سياسة تسلح حر بصورة مستعجلة، وسياسة تصنيع حربي يتناول انشاء مصفاة لتكرير النفط ومصانع لصنع الاسلحة الخفيفة والذخيرة والنقل وتجهيزات الجيش الاخرى من ملابس واغذية.

ب- توفير المنشآت العسكرية التي يتطلبها الجيش من ثكنات وطرقات ومطارات وغيرها تباشرها وزارة الدفاع نفسها بمعونة وزارة الاشغال العامة والمصالح الحكومية المختصة.

ج- تنفيذ مشروع القرى الامامية على الحدود باعتبارها من وسائل الدفاع الاساسية.

د- الاهتمام بتدريب الجيش في مختلف قطاعاته وعلى جميع انواع الاسلحة وصنوف القتال وجعل المناورات الحربية اساسا لهذا التدريب.

هـ- الاهتمام بتثقيف افراد الجيش ثقافة عسكرية وقومية بتخصيص اذاعات منظمة ومجلات ونشرات ومحاضرات وحفلات ومهرجانات متنوعة.

و- اعتبار جيش سوريا ومصر جيشا واحدا يدافعان عن وحدة الارض العربية وتنسيق الاعمال التي ذكرت سابقا وفق هذه النظرة، وبصورة خاصة الافادة من السبق المتوفر لمصر في جميع المجالات الفنية بالسير نحو توحيد السلاح والتسلح والتصنيع والتدريب.

ز- تدريب الشبيبة بأكملها على حمل السلاح واعدادها روحيا وجسميا لمهمة الدفاع وبصورة خاصة تشكيل الحرس الوطني على نمط ما هو جار في مصر.

ح- تدريب الشعب بأجمعه للدفاع المدني بحيث يستطيع ان ينظم نفسه في كل حي وقرية لاعمال الدفاع السلبي وما يتطلبه ذلك من نجدة

واغاثة واسعاف ونقل وامن وتمريض وملاجىء ومستشفيات ومطاعم ومهاجع والبسة واجهزة واعمال رفع الانقاض واطفاء الحريق.

ط- اعلان حالة الطوارىء في المناطق العسكرية الواقعة على الحدود.

(البعث العدد الثالث من عام 1956 ص 3)

مشروع الحزب الوطني

1- المحافظة على استقلال سورية، ومحاربة الاستعمار والصهيونية.

2- العمل على تحقيق العالم العربي الموحد.

3- تجنيد قوى البلاد بكاملها لمحاربة الصهيونية.

أ- التسلح من اي جهة كانت.

ب- اعادة النظر في الضرائب.

جـ- توجيه السياسة المالية والاقتصادية الى الحرمان والتقشف.

مشروع حزب الشعب.

إن سياسة سورية في المرحلة التي تجتازها، وعلاقاتها مع الدول الاخرى تتركز في الموقف الذي تقفه الامة العربية من اسرائيل، وتعتبر وجود اسرائيل بأهدافها العدوانية التوسعية هو الخطر الوحيد الداهم الذي يهدد كيان الامة العربية ووجودها.

وعلى هذا فكل دولة تناصر العرب وتساعدهم وتشد ازرهم ضد الخطر الاسرائيلي تعتبر صديقة للعرب، وكل مساعدة تقدم الى اسرائيل من اي نوع كان ومن اي دولة كانت تعتبر عملا عدوانيا موجها ضد العرب.

من اجل ذلك فان سورية تتقبل كل عون ومساعدة، مادية او معنوية، عسكرية او اقتصادية، من شأنها ان توفر لها اسباب القوة، وهي لا تتردد في قبولها، شريطة ان لا تمس سيادتها واستقلالها او تحد من حريتها.

□

قبلت لجنة الميثاق مشروع حزب البعث العربي الاشتراكي مشروعا للبحث والمناقشة، وقد استمرت اجتماعات اللجنة بصورة

متصلة اكثر من شهر، وكانت اللجنة تقر بنود الميثاق بندا بندا بعد نقاش وحوار طويلين، وهذا ما شجعني على الصبر والاستمرار في هذه المحاولة.

كان تأخر صدور الميثاق، وسرية الجلسات، قد سمحت للخصوم ان يحملوا حزب البعث مسؤولية تأخير تشكيل الحكومة القومية، لذلك اضطررت بتاريخ 27-2-56 للادلاء للصحف بالتصريح التالي:

"ان موضوع تشكيل الوزارة القومية الجديدة لم يبحث بعد في لجنة الاحزاب والكتل البرلمانية فلا صحة اذا لجميع الشائعات التي تتعرض لموقف البعثيين الاشتراكيين من تأليف الوزارة القومية، ان اللجنة تتابع اجتماعاتها، وقد اقرت امس احداث مجلس للتوظيف يعهد اليه بمهمة اختيار الموظفين عن طريق المسابقة لجميع دوائر الدولة لانقاذ جهازنا الاداري من المحسوبية، وهي الان تبحث موضوع اصدار تشريع لحماية الفلاحين".

كان جميع اعضاء اللجنة بلا استثناء صفا واحدا متماسكا ضد مشروع الميثاق الذي تقدم به حزب البعث العربي الاشتراكي بالرغم من قبوله مشروعا للمناقشة، وكنت وحيدا امامهم في ساحة الحوار والمناقشة التي استغرقت وقتا طويلا حتى الارهاق والسأم واليأس، ثم جاء اعلان اسرائيل ارجاء تحويل الاردن مما يعني ابتعاد خطر الحرب فكان ذلك سببا في تصلبهم وعنادهم، ولكنهم اقروا بعد ذلك بالصبر والاناة والمرونة مشروع الميثاق مع تعديلات طفيفة، وجعلوا الاتفاق على تشكيل حكومة قومية شرطا لاعلان الميثاق والاتفاق عليه على امل ان يتنصلوا من اقرارهم له عن طريق عرقلة تأليف الحكومة القومية.

وما علموا ان مجرد اقرارهم له سيجعله دستورا للشعب وملزما للدولة ولجميع الحكومات القادمة، وانه كان اكبر نصر سياسي سجله حزب البعث العربي الاشتراكي، وانه سيعكس آثاره الهامة والخطيرة على جميع المستويات الشعبية والحزبية والداخلية والعربية والدولية.

كانت الدعوة لقيام الجبهة الوطنية مع الاحزاب الاخرى موضع خلاف كبير مع الاستاذ ميشيل عفلق كاد يفصم وحدة الحزب، ولكنها اصبحت بعد اقرار الميثاق استراتيجية للحزب ومنطلقا لانتشاره واكتساحه وقوة زخمه مما ادى فيما بعد، بالاضافة الى العوامل الداخلية والعربية والدولية المساعدة الى قيام الوحدة السورية المصرية وسقوط حلف بغداد.

توقفت مباحثات تشكيل الحكومة القومية عندما رشح حزب الشعب السيد احمد قنبر لرئاسة الوزارة، وهو الشخص الذي ترفضه جميع الاحزاب والتكتلات السياسية المجلسية فكان ترشيحه سببا لجعل تشكيل الوزارة القومية امرا غير قابل للتحقيق، وبالتالي تنصل حزب الشعب من الميثاق الذي تم عليه الاتفاق، وقد رافق ذلك رحلة الوفد البرلماني للسعودية والكويت والعراق فتوقفت اعمال لجنة الميثاق.

□

بعد عودتنا الى دمشق في 10-4-56 بدأ الجو العربي والدولي يتجهم من جديد، وبدأت الاشتباكات بين مصر واسرائيل واشتد نشاط الفدائيين المصريين مما دعى الامين العام للامم المتحدة هامرشولد ان يسارع بزيارة مصر وسورية واسرائيل لتوقيف الاشتباكات والمحافظة على تطبيق اتفاقية الهدنة، وقد ادى ضغط هذه الاحداث الى جعل رئيس الجمهورية شكري القوتلي يفكر بمجابهة الموقف الذي تكتنفه الاخطار بوزارة قومية فدعا بتاريخ 19-4-56 اعضاء لجنة الميثاق بحضور رئيس المجلس ناظم القدسي، واستفسر عن خلاصة مناقشات اللجنة والمرحلة التي توقفت عندها فكان الجواب:

انه بعد مناقشات طويلة اتفقت اللجنة على بنود الميثاق ولكن الغالبية قررت تعليق الموافقة النهائية على تشكيل حكومة قومية لم يتفق عليها حتى الان.

وفـي الاجتمـاع الثـاني فـي القصـر الجمهـوري الفـت لجنـة رباعية من لجنة الميثاق ممثلة للاحزاب والكتل المجلسية وهـي: اكرم حوراني، ميخائيل ليـان، احمـد قنبـر، محمـد العـايش، وبـدأت هـذه اللجنـة اعمالهـا ببحـث الاقتـراح الـذي قدمتـه باسـم الحـزب وخلاصته: اننا نؤيد ونشترك بكل حكومة تتبنى مشروع اتحاد مصر وسورية فلم يرفض اعضاء اللجنـة مبـدأ البحـث فـي هـذا الاقتـراح وتحقيقه في الظرف المناسـب، وتـرك تحديـد هـذا الظـرف الـى مـا بعـد تقـديم مشـروع واضـح للاتحـاد، وحـين بـدأ البحـث بتشـكيل الحكومة القومية ظهر الخلاف من جديد بين حزب الشعب والحـزب الـوطني واصـر كـل منهمـا علـى رئاسـة الحكومـة، فبلـغ رئـيس الجمهورية ذلك ليعالج الموضوع حسب صلاحياته الدستورية.

حزب البعث يتفق مع رئيس الجمهورية على ضرورة اعـلان الميثاق وفصل هذا الموضوع عن تشكيل الوزارة القومية.

اجتمع اعضاء لجنة الميثاق بالقصـر الجمهـوري فأكـد رئـيس الجمهورية من جديد على ضرورة تـأليف حكومـة قوميـة، واذا تعـذر ذلك فينبغي فصل الميثـاق عـن تـأليف الحكومـة وتوقيعـه ونشـره، ولكن اعضاء اللجنة رفضوا هذه الفكرة فأكدت عندئذ على المخـاطر التي تحيط بالبلاد واحتمال تعرضها لعدوان اسـرائيلي عنـد تحويـل نهر الاردن.

وفي اجتماع آخر حضره امـين القصـر الجمهـوري موفـدا مـن قبـل الـرئيس ابلـغ المجتمعـين ثانيـة رأي الـرئيس بضـرورة تـأليف الوزارة او فصل الميثاق وتوقيعه ونشره، ولكن المباحثات اصطدمت بالقضية السابقة نفسها وهي: من يؤلف الوزارة؟ وقد علقـت فـي جريدة البعث بتاريخ 27-4-56 على ذلك بما يلي:

""كان رأي الحزب منذ ان اقر الميثاق ان يفصل عن تشكيل الحكومة وان يوقـع وينشر، وقد اصـر منـدوب الحـزب علـى ذلـك، ولكـن منـدوبي الاحـزاب والكتـل الاخرى لم يوافقوا.

واذا اردنـا ان نعلـل فشـل لجنـة الميثـاق نجـد ان مـن جملـة العوائـق والاسباب وربما كانت اخطرها ما يلي:

اولا: عدم الاقتناع الواضح بالميثاق.

ثانيا: عدم الشعور الصميمي باحتمال عدوان اسرائيلي.

ثالثا: التكتلات المجلسية التي تجمعها المصالح فتسخر الحكم لتنفيذ اغراضها.

رابعا: لا يكفي لتأليف حكومة قومية ان تحشر فيها الاحزاب والكتل المجلسية.

ان الحكم القومي الحق هو الحكم الذي يستطيع ان يتحرر من المصالح الحزبية والعشائرية والشخصية، والا فان التناقض والتناحر سيستمر بشكل اكثر سوءا ضمن ما يدعى بالحكومة القومية، وان من مقومات الحكم القومي ان تتحرر بعض الاحزاب من هذه المصالح التي تسخر جهاز الحكم فتجعله مائعا هزيلا.

خامسا: ان هذه المصالح هي التي تحول دون التهادن الحزبي الذي لا يمكننا ان نفهمه الا على اساس انسجام الجهاز السياسي في داخله وانسجامه مع المصلحة القومية.

ان هذه الاسباب هي بعض ما يحول دون قيام الحكم القادر على ان يكون في مستوى مجابهة الاخطار والذي ينبغي ان يتسم:

1- بالترفع عن الاغراض والمصالح التحزبية والعشائرية والشخصية والتقيد باحكام الدستور وتنفيذ القوانين فمثل هذا الحكم ينال احترام الشعب.

2- الاهتمام بتعبئة قوى الشعب المادية والمعنوية لمجابهة ما يمكن ان يقع من عدوان عند اقدام اسرائيل على تحويل مجرى نهر الاردن.

3- بالعمل الجدي على توحيد مصر وسورية.

ان ما سبق يقتضي ان يستند الحكم المقبل على تأييد العناصر الواعية في المجلس تجاه ما يحيط بالبلاد داخليا وخارجيا ليتمكن من ان يحوز على ثقة الشعب ومجابهة الاحداث، ولا بد لنا ان ننبه اخيرا لتلك المحاولات الخفية التي تستغل ميوعة الحكم لتنفيذ انحرافها، ويكفي ان نذكر بهذا الصدد ما جاء في افتتاحية التايمس اخيرا:

"ان العلاقة بين مصر وسورية لا يمكن ان تدوم لان الوضع في سورية القائم على المساومات والتسويات لا يمكن ان يدوم".

صحيفة البعث تنفرد بنشر الميثاق وبما دار حوله من مناقشات.

قررت لجنة الميثاق، ما عداي كما اسلفت عدم اعلان الميثاق ونشره الا بعد تأليف الحكومة القومية، فكان تسرعي باعلانه خروجا عن رأي الاكثرية، التي كانت ستتخذ من تعثر تأليف الحكومة ذريعة للتنصل منه ودفنه بالمهد.

ولكن الرئيس شكري القوتلي الذي كان معرضا لضغوط خارجية شديدة ومن جهات متعددة ولم يكن باستطاعته مسايرة هذه الضغوط، اراد ان يتخذ من الميثاق القومي درعا يقي به نفسه في الداخل والخارج، لان الميثاق كان تعبيرا صادقا عن ضمير الشعب في سورية، بالاضافة الى اقتناع القوتلي بضرورة قيام حكم قومي يوحد الصف الوطني في تلك الظروف الخطيرة، ولا بد من الاعتراف بأن تدخله قد جعل الميثاق يرى النور ويصبح دستورا للشعب والحكم والدولة.

وقد اتخذت من التصريح الذي ادلى به مرجع في القصر الجمهوري سببا في اعلان الميثاق، وفيما يلي تصريح المرجع في القصر الجمهوري (الرأي العام 28-4-56) وبنود الميثاق ومجمل ما جرى حول بنوده من مناقشات (البعث 4-5-56).

تصريح خطير للقصر الجمهوري بعد فشل لجنة الميثاق في مهمتها

قالت مديرية الدعاية والانباء ان مرجعا في القصر الجمهوري افضى بالتصريح الاتي حول اجتماع ممثلي الاحزاب:

اثر ارفضاض اجتماعات ممثلي الاحزاب ليلة امس الخميس في 26-4-56 صرح مرجع في القصر الجمهوري موضحا ان فخامة الرئيس شكري القوتلي عندما وجه رسالته الى مجلس النواب داعيا الى تهادن حزبي لاجل ما، والى الالتفاف حول ميثاق قومي ينظم وجهات النظر ومناهج العمل، ويؤهل الرجال للوقوف امام تبعاتهم الجسام، وعندما كرر فخامة الرئيس هذه الدعوى في خطاب يوم الجلاء مذكرا ان الحياة الديموقراطية وفي قاعدتها

الاحزاب، يجب ان لا تعجز في ايام الشدة والمحنة ان تضع هذه القاعـدة مبـدأ للسـلامة الوطنية، قد ادى فخامة الرئيس الامانة القومية والدسـتورية المنوطـة في عنقه واعرب عن ارادة الشعب اقوى اعراب في ان تكون العقيدة النضـالية المشتركة هـي اول مـا يهتـدى بـه رجـال السياسـة فـي ادارة شـؤون الـبلاد داخليا وخارجيا.

وخلال اجتماعات ممثلي الاحزاب الى فخامة الـرئيس مـرات متواليـات للبحث معهم في امر الميثاق القومي، ما برح الرئيس يصرح بأن الظروف التي يجتازها الوطن السوري والامة العربية قاطبة ليسـت ظروفـا عاديـة يتـرك فيهـا الحبل على الغارب، وان الاخطار التي تواجهها ليست اخطارا عـابرة، بـل هـي حالـة مـن الخطـر مسـتمرة لا بـد ان تعـالج معالجـة علـى مسـتواها، حازمـة منظمـة مسـتمرة، وانـه يكـل الامـر الـى ضـمائرهم ووطنيـتهم وبعـد نظـرهم للانتظام حول مبادىء عهد قومي تسترشد به كل حكومـة ويكـون لهـا برنـامج تفكير وتدبير.

واليوم اذ تبتعد مشاورات الاحزاب عن الهدف المنشـود، ويطـول الاخـذ والرد بين ممثليها، ويصبح الخلاف دائرا حول اداة تنفيذ الميثـاق القـومي، قبـل ان يعلن هذا الميثاق على الوجه الذي كان يرتقبه الشـعب بلهفـة وحماسـة، فان فخامة الرئيس وقد قام بها يترتـب عليـه مـن النصـح والارشـاد، انمـا يضـع الهيئات الحزبية في البلاد امـام مسـؤولياتها الجسـام وجهـا لوجـه، وفاقـا لمـا اشار اليه في رسالته الى مجلس النواب.

ولا شك في ان الشعور بعظم المسؤولية امام الوطن وتـاريخ الاجيـال، هذا الشعور وحده كفيل بـأن يوجـه رجـالات الـبلاد وقـادة الـرأي فيهـا التوجيـه السوي، فيتدبروا امرهم ويتداركوا ما ضـاع مـن وقـت وجهـد وسـيظل الـرئيس الاول كأب وكرئيس جمهورية ثابتا على هذه الدعوة الجليلة حتى تتحقق ارادة الوطن العليا في ان يرى ابناءه في الشدائد صفا واحدا يـذودون عـن السـلامة الوطنية ويضعونها في المقام الاول من الاعتبار".

نشر الميثاق - دون انتظار تأليف الحكومة القومية

محادثات لجنة الميثـاق كمـا نشـرتها جريـدة البعـث بتـاريخ 1956/5/4

أما وقد اعلن اخفاق لجنة الميثاق بالتوقيع عليه واعلانه، بعد عشرات الساعات التي انقضت في المباحثة والمناقشة، واخفاقها في تأليف الحكومة القومية اداة تنفيذ الميثاق، نرى ان من حق الشعب ان يعرف علل هذا الاخفاق في توقيع الميثاق واعلانه وفي تأليف الحكومة القومية، وفي الحقيقة ان الحجج التي تذرع بها بعض اعضاء لجنة الميثاق فعلقوا توقيعه واعلانه على تأليف الحكومة القومية هي علل الاخفاق، وهي: المصالح الشخصية والعشائرية والطبقية وما يكمن خلفها.

ان الكتمانية في السياسة دوما، انما هي اسلوب الفئات الرجعية، ومن يحتاطها ويوجهها، اما المصارحة فهي الاسلوب الصحيح الذي ينمي ثقافة الشعب السياسية ويبصره ويدله على الطريق، ويزيد نضاله قوة لانه يزيد تكتله ويحقق الانسجام بين قواه ويدله على قيادته الحقيقية.

دواعي دخولنا في مناقشات الميثاق.

وعلينا الان ان نجيب عن اسئلة طالما وجهت الينا من الشعب، من مثقفيه ومن عماله وفلاحيه، ما الذي دفعكم الى هذه المناقشات العقيمة حول ميثاق قومي وحكومة قومية، وقد بلوتم وبلا الشعب المر من المساومات والتسويات والمناورات والمناقشات الطويلة المملة التي لا تنتهي الى شيئ؟

لم يكن لنا خيار، لقد كان الوضع الذي يحيط بالامة خطيرا ولا يزال، فكان واجبنا اذن ان نستثير روح المقاومة في الشعب، وان نضع المسؤولين تجاه مسؤولياتهم وامامنا احد افتراضين:

اما ان تكون بعض الاحزاب والهيئات قد شعرت بخطورة الوضع وبنقمة الشعب الخطيرة عليها وعلى مصالحها فأرادت حقا ان تجد الخطط والترتيبات الكفيلة بمواجهة الاخطار، وان كان لا يجدي كثيرا ان تواجه الاخطار في حينها، بل لا بد دائما من استباقها لاستباق التهيؤ لها، خاصة وان في داخل هذه الاحزاب والهيئات بعض رجال لا تتناقض مصلحتهم مع مصلحة الشعب ولكن لا نفوذ لهم في احزابهم وهيئاتهم، فعندما يزداد ضغط الشعب على الجهاز السياسي، يتأثر هؤلاء بهذا الضغط ويحاولون بدورهم ان يمارسوه في داخل

احزابهم وهكذا يمكن احيانا الاستفادة منهم لجر الاحزاب والهيئات للاتجاه الذي قد ينسجم نوعا مع مصلحة الشعب.

واما ان لا تكون جادة فيكون الشعب قد اخذ عليها موقفا، فان ناقضت موقفها او نكصت، تكشفت له حقيقة نواياها ومقاصدها فتفقد نفوذها عليه. وعل كل حال ان مستوى الشعب الثوري يرتفع في الازمات والاخطار، ولذلك فكل محاولة لحشد قواه ستكون كسبا للحركة الثورية، لا للطبقات الرجعية وان كانت لها بعض المشاركة.

وقبل ان نستعرض المناقشات والملابسات التي احاطت بالميثاق القومي لا بد لنا من ان نعرض رأينا في ان السياسة القومية وحدة، فالسياسة الخارجية والسياسة الداخلية انما هما وجهان لهذه السياسة القومية الواحدة ولا يصح الفصل بينهما، فكل تقدم اقتصادي او اجتماعي في الداخل يكون له اثره في معركة التحرر والوحدة، وكذلك كل تقدم نحو التحرر والوحدة يؤثر تأثيرا عميقا على الوضع الداخلي، اي يسمح على نحو اوسع بالنماء الاقتصادي والعدالة الاجتماعية.

قانون العشائر: ولا نريد ان نضرب على ذلك الان الا مثل قانون العشائر الذي مر في المجلس النيابي مؤخرا، فليس لهذا القانون اثره على الوضع الداخلي فقط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، بل له أثره على السياسة الخارجية وله صلته المتينة بالسياسة الاستعمارية، فالاستعمار منذ ان حل في بلادنا حافظ على الوضع العشائري وثبته، لكي يستفيد من هذا الوضع المتخلف للوصول الى اغراضه، فمن لورنس الى غلوب، الى مصلحة العشائر الفرنسية، الى محاصرة بغداد بالعشائر عندما قامت ثورة العراق اثناء الحرب العالمية الثانية (وعلينا الا نغفل ايضا ان طهران كانت محاصرة ايضا بالعشائر حين اسقط مصدق).

كان الاستعمار يتخذ من هذا الوضع المتخلف اداة له، بل ان تسلط الطبقة الحاكمة في العراق على الشعب العربي وفرضها احلافها وسياستها الاستعمارية، انما هو نتجة الوضع العشائري والتشريع العشائري، وما ينطبق على قانون العشائر ينطبق على كل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية، كلها ترتد آثارها على معركتنا في التحرر والوحدة.

مناقشات الميثاق: ونعرض الان لبعض المناقشات حول مواد الميثاق ليطلع المواطنون على الاسباب الحقيقية التي ادت الى اخفاق لجنة الميثاق.

بدأ حزب البعث بأن قدم مشروعا كاملا لميثاق قومي يتلاءم مع المرحلة التي تمر بها الامة العربية، فرأى اعضاء لجنة الميثاق ان المشروع يصح ان يعتبر اساسا للمناقشة في السياستين الخارجية والعربية.

بدأت المناقشات بعدم موافقة اكثرية اعضاء اللجنة على مقدمة مشروع البعث مع ان هذه المقدمة تنطوي على جوهر الميثاق ففيها:

1- ربط الاستعمار بالصهيونية واسرائيل.

2- ربط التحرر والوحدة.

3- ربط القضية العربية بمعركة الحرية التي تخوضها شعوب آسيا وافريقيا والذي يتجلى من رفضهم المقدمة انهم يعتقدون بامكان فصل الصهيونية عن الاستعمار الغربي وامكان محاربتها مع اغفال محاربته، بل قد يصلون الى فكرة امكان الاستعانة بالاستعمار الغربي لمحاربة الصهيونية واسرائيل، وهذا ما يعلنه ايضا ساسة حلف بغداد، وبامكان فصل معركة الحرية عن معركة الوحدة، بل كأنهم يقولون بامكان الوحدة مع الاستعمار مع ان الاستعمار هو الذي يحارب ويثبت التجزئة، وكان هذا هو المنطق عندما عرضت مشروعات سورية الكبرى والهلال الخصيب، كما انهم برفضهم فكرة ربط معركة الحرية العربية بمعركة الحرية في آسيا وافريقيا الى جانب رفضهم كل صلة بالكتلة الشرقية كأنما يدعون العرب الى البقاء تحت ظل الدول الغربية وبالتالي الاستعمار الغربي.

الاستعمار الغربي والشرقي.

ونبدأ بالمادة الاولى التي تنص "في مشروع البعث على مقاومة الاستعمار الغربي والصهيونية واسرائيل، فقد اقترح بعض الاعضاء ان يضاف الى هذه المادة مقاومة الاستعمار الشرقي، وعندما بين مندوب البعث ان ليس بيننا وبين الكتلة الشرقية اية مشاكل قومية، واننا غير خاضعين لا لاحتلال شرقي ولا لاستعمار او نفوذ شرقيين ابوا واصروا، وانتهت المناقشة الى حذف لفظة الغربي واطلقت لفظة الاستعمار اطلاقا.

ومما يلاحظ انه حين بحث مواد الميثاق كانت تبرز دائما محاولات تهدف الى تصوير ان الاستعمار السوفيتي كالاستعمار الغربي سواء بسواء، وكذلك تحاول الدعاية الغربية دائما لتصنع سدا بيننا وبين الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية كيلا نتعامل معها فنظل محاصرين في الدائرة التي ضربها علينا الاستعمار الغربي، وترمي من وراء ذلك الى اعاقة تحرر العرب وتسلحهم وتصنيع بلادهم.

التحالف ضد الشيوعية: وكذلك كانت المناقشات توجه صوب الحزب الشيوعي في سورية، وكأنه كانت هنالك محاولة لاقامة تحالف ضد هذا الحزب، فكان جواب مندوب البعث دائما:

1- لا يوجد حزب او سياسي وضح ببياناته واتجاهه الفرق بين مبادئه وسياسته وبين مبادىء الحزب الشيوعي وسياسته الا حزبنا.

2- ان لجنة الميثاق لم تجتمع لكي تنشر بيانا تسيء فيه الى الاتحاد السوفيتي ويكون تبريرا للاستعمار الغربي، واننا قد اعلنا الحياد بين المعسكرين الشرقي والغربي، وان علينا ان نميز بين الاتحاد السوفياتي كدولة وبين النظرية الشيوعية والحزب الشيوعي.

3- نحن لم ننشىء حزبنا لكي تكون وظيفته مكافحة الشيوعية كما تفعل احزاب اخرى خلقها الاستعمار لتقوم بهذا الدور، وان لحزبنا نظريته وسياسته، هو يبشر بنظريته ويعمل على تنفيذ سياسته ويترك للشعب بعد ذلك ان يحكم عليه وعلى غيره.

4- ان الرجعية ومحاربة كل عمل جذري لازالة الاوضاع والانظمة السيئة هي التي تقوم، سلبيا، بالدعاية للشيوعية.

مناهضة الاحلاف ام عدم الانضمام لها

ثم دار نقاش طويل حول الفقرة (ب) من المادة الاولى التي تنص على "مناهضة الاحلاف العسكرية الاجنبية وكل سياسة تتجه في هذا السبيل، باعتبارها تربط مصير العرب بعجلة الاستعمار وتفرض في الوطن العربي السيطرة الاجنبية وتساعد على استمرار التجزئة واحكامها" وكان الاعتراض ينصب خاصة على لفظة (مناهضة) وطلب بعض الاعضاء ان يستبدل بها لفظة (عدم الانضمام).

وقد قال مندوب حزب الشعب: "ان حزبه يختلف عن البعث في هذه النقطة ويعتبر ان سورية غير قادرة على مناهضة الاحلاف" وهناك طبعا فرق كبير بين مناهضة الاحلاف وبين عدم الانضمام اليها، وفي الحقيقة ان حلف بغداد قد توقف ولكن موقتا الى ان تحين الفرصة فاما ان نناهضه الى ان يتخلص العراق منه، واما ان ينتهي الى الامتداد الينا وربطنا مع العراق بقيوده، واصر عدد من الاعضاء على حذف عبارة "باعتبارها تربط العرب.. الخ الفقرة" لانهم لا يريدون ان يعترفوا بأن حلف بغداد يثبت التجزئة القائمة في الوطن العربي، واتفق اخيرا على ان تصبح الفقرة "مناهضة الاحلاف العسكرية الاجنبية وكل سياسة تتجه في هذا السبيل"

الحياد الايجابي ومؤتمر باندونغ: واعترض اعتراض شديد على الفقرة من المادة الاولى التي تنص على "انتهاج سياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين الغربي والشرقي ودعم مقررات مؤتمر باندونع الخ الفقرة " وكانت الحجة التي اعتمدها معارضو هذه الفقرة انهم لم يطلعوا على مقررات مؤتمر باندونغ وان لا بد لهم من الرجوع الى هذه المقررات، هذا مع العلم ان الحكومة السورية كانت اشتركت في هذا المؤتمر وكان لها موقف، وان مقررات هذا المؤتمر اذيعت في العالم كله بمختلف وسائل النشر والاذاعة..

واخيرا اقر النص الاتي "انتهاج سياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين الغربي والشرقي ودعم مقررات مؤتمر باندونغ"

اتحاد مصر وسورية: اما الفقرة (1) من المادة الثانية التي تنص على "اعلان الاتحاد بين القطرين السوري والمصري ..الخ الفقرة " فلم يوافق عليها الا رئيس المجلس بصفته الشخصية وبعض الاعضاء، وقد كانت حجة ممثل حزب الشعب "ان اتحادنا مع مصر يخضعنا للتبعية، وان صفة التبعية لا تزول الا بانضمام دول عربية اخرى للوحدة" وكان جواب مندوب البعث:

ان من يقسم على توحيد الاقطار العربية كما ينص الدستور لا ترد الى ذهنه فكرة التبعية، لانه لا تبعية بين اجزاء الامة العربية بعضها لبعض، اما الاخرون فكانت حجتهم ان الاتحاد لا يتم الا بموافقة الطرفين وانهم يخشون ان ترفض مصر اذا اعلنت سورية الاتحاد فكان جواب مندوب الحزب:

1- ان جمال عبد الناصر صرح للوفد البرلماني السوري اثناء زيارته لمصر، ان مصر تذهب في قضية الوحدة الى الحد الذي تذهب اليه سورية.

2- لو افترض نكوص حكومة مصر عن هذا الوعد فمن واجب سورية ان تعمل كل وسعها لاقناع مصر، وعندما استحال الاتفاق واصر معظم الاعضاء على الرفض، قبل مندوب الحزب بالنص الاتي "توسيع الاتفاق الثنائي مع مصر الخ الفقرة".

قيادة اجنبية ام بريطانية: جرت مناقشات حول الفقرة (و) من المادة الثانية "تحرير الجيش الاردني من القيادة البريطانية بتقديم المساعدات المالية له" وانصبت المناقشات على امرين"

الاول: انه لا ينبغي ذكر القيادة والبريطانية تحديدا بل يكتفى بذكر القيادة "الاجنبية" كأنه يمكن ان توجد قيادة لجيش الاردن اجنبية غير بريطانية، ولا ندري ما الحكمة من تجنب ذكر لفظة "البريطانية" الا اذا كان يراد ان تتجنب بريطانيا اي نص عن استعمارها لاجزاء كثيرة من الوطن العربي، والطريف انه بعد ان اتفق على ذكر القيادة الاجنبية بالتعميم، ولم ينتظر الشعب العربي في الاردن فلسفات لجنة الميثاق بل اعلن تخلصه من غلوب.

ثانيا: انه لا بد من ذكر معونة كافة الدول العربية، وكأنما اراد القائلون بهذه الفكرة استبعاد المعونة كما لاحظ رئيس المجلس ذاته، واتفق اخيرا على النص الذي قدمه الحزب مع استبدال لفظة الاجنبية بلفظة بريطانية.

السلاح من الاستعمار: وجرى نقاش ايضا حول الفقرة ب من المادة الثالثة "ممارسة سيادتنا الكاملة في الدفاع الخ الفقرة" فقد رفض معظم الاعضاء ذكر دول الكتلة الشرقية والدول المحايدة بحجة اننا يمكن ان نأخذ السلاح من اي جانب وعندما اجابهم مندوب الحزب:

ان الدول الغربية لا تقدم السلاح الذي ينبغي وفي الحدود التي نريد بدون شروط، وان تجاربنا وتجارب مصر اثبتت وتثبت ذلك لان استيراد السلاح يناقض مصلحة الدول الغربية، وانه اذا ارتضت هذه الدول ان تبيعنا السلاح، فلن يكون في مستوى الحرب، وستعطي اسرائيل اكثر مما تبيعنا، لان الدول الغربية متمسكة بخطتها في توازن القوى، ولكنهم اصروا على موقفهم فأقرت الفقرة على الشكل الاتي:

"ممارسة سيادتنا الكاملة في الدفاع عن انفسنا وكياننا ووحدتنا بتسلحنا تسلحا حرا"

دعم علاقاتنا بالامم الاسلامية: وعندما اقترحت هذه المادة توطيد علاقات الامة العربية مع الامم الاسلامية ودعم قضاياها، وافق مندوب البعث على ذلك وقال:

ان الاسلام جعل من العرب مهوى افئدة الامم الاسلامية، فكيف يمكن لهم ان يقطعوا بأيديهم علاقاتهم بهذه الامم، ولكن اعترض على كلمة "دعم قضاياها" لان هنالك قضايا ما زالت معلقة بيننا وبين بعض الامم الاسلامية، وحق العرب فيها صريح كمشكلة اسكندرون بين العرب والاتراك، ومشكلة البحرين بين العرب والفرس، واصبحت المادة بناء على اقتراح مندوب البعث توطيد علاقات الامة العربية مع الامم الاسلامية، بما لا يمس قضايانا القومية ومساعدة كل امة اسلامية على التحرر.

الدعوات المخالفة للقومية العربية: وعندما اقترح "مكافحة الاتحاد والميوعة والانحلال الخلقي" اتفق عليها واقترح مندوب البعث ان يضاف اليها "والدعوات المخالفة للقومية العربية" وجرت مناقشات طويلة وحادة حول هذه الفقرة، كادت تؤدي الى قطع مباحثات لجنة الميثاق، واخيرا اقرت الفقرة، بينما لا مجال للنقاش فيها، كما قال مندوب البعث، لان الدستور السوري ينص على ذلك ولا مجال للنقاش فيما نص عليه الدستور، كما ان الشعب مجمع على هذا المبدأ.

تسريح العمال وتهجير الفلاحين: وكانت المناقشات الاخطر والتي دامت جلسات هي التي دارت حول المادة الثامنة من السياسة الداخلية "من تشريعات تمنع الفصل التعسفي في المعامل وتهجير الفلاحين من الاراضي التي يفلحونها" وكانت الحجة التي احتج بها أعضاء اللجنة هي انه لا علاقة لهذا الموضوع بميثاق قومي وحكومة قومية تقوم على اساس مقاومة عدوان اسرائيل، وكانت حجة مندوب البعث ان منع التهجير والتسريح التعسفيين يدخل في صميم المشكلة، لانه كيف يمكن لجندي من عائلة فلاحية ان يحارب اذا كان يسمع كل يوم انباء تشريد عائلته من الارض التي تزرعها؟ وكيف يمكن للعامل الذي لا يطمئن لغده ان يكون جنديا محاربا مستبسلا في سبيل الوطن الذي يجب ان يحمي له شرفه ولقمته؟

وقبل مندوب البعث اقتراحا لمندوب الحزب الوطني هو "ان يدفع للفلاحين المهجرين تعويض يعادل حصة الفلاح من الانتاج لعام واحد" ولكن

معظم اعضاء اللجنة رفضوا حتى هذا الاقتراح وبعد مناقشات عنيفة اكتفي بالنص الغامض الاتي:

تحقيق العدالة الاجتماعية بتنفيذ الضمان الاجتماعي، وبسن تشريع يحمي حقوق العمال والفلاحين وفق نصوص الدستور.

التجسس ومكاتب المعلومات: وحين نوقشت المادة الثانية من السياسة الداخلية "تطهير الجو الداخلي من جميع انواع الدعاية الاجنبية" اقترح مندوب البعث ايضا "منع الطلاب والطالبات وافراد الشعب من ارتياد مكاتب المعلومات الاجنبية" فلم يوافق معظم اعضاء اللجنة لا على المادة ولا على الاقتراح، بحجة ان هذه القضية قضية تنفيذية، وان النص عليها لا يتلاءم مع الاساليب السياسية، وكان جواب مندوب البعث:

ان اللجنة انما ترسم خطة عمل وبرنامجا للتنفيذ ولا تسن دستورا، ولذلك فمن الضروري ان تذكر مثل هذه الامور التنفيذية في الميثاق، وبعد جدل اتفق على النص الاتي "مكافحة شبكات التجسس والدعاية والنشرات"

الطلاب والاحزاب: واقترح مندوب حزب الشعب وايده بقية المندوبين ان يوضع نص بمنع الطلاب من الانتماء للاحزاب السياسية، فكان جواب مندوب البعث:

انه ينبغي التقيد باحكام الدستور والقانون، فيمنع كل طالب لم يبلغ الثامنة عشرة من الانتساب الى الاحزاب والهيئات باعتبار انه لم يستكمل حق ممارسة الاهلية الحقوقية السياسية، اما ان يمنع الطالب اذا تجاوز هذه السن فذلك ما يخالف الدستور.

والموظفون ايضا: وجرت محاولة لمنع الموظفين من الانتماء الى الاحزاب السياسية، فبين مندوب البعث: انه ينبغي التمييز بين الموظف الحزبي الامين وبين الموظف الذي يستزلم للحزب الذي يؤمن له مصلحته، فالاول بانتمائه لحزب عقائدي لا يسمح لنفسه باستغلال وظيفته او اساءة الاستعمال ولا ينظر الا من زاوية المصلحة القومية، اما الاخر المستزلم فهو الذي يضحي بالمصلحة القومية خوفا او طمعا، ثم انه لا حق للحكومة ان تمنع مواطنا من المشاركة بمصير وطنه ومن العمل حسب فكرته على خدمة امته، انما يمنع الموظف اذا كان منتميا لحزب او لم يكن منتميا من تسخير وظيفته لمصلحة شخصية او عائلية او حزبية او سواها، تحت طائلة العقاب والطرد.

تسوية لا قناعة: وانتهت المناقشات الى وضع الميثاق في صيغته النهائية، ولكن تبين مع الاسف ان بعض الاحزاب والكتل لم تكن مقتنعة بالميثاق وانها اعتبرته مجرد تسوية، ولذلك صرح مندوب حزب الشعب "ان حزبه غير مقتنع بهذا الميثاق وان سياسة حزبه غير ذلك، ولكن الظروف املته عليه" ولذلك علقت بعض هذه الاحزاب والكتل توقيع الميثاق على تأليف الحكومة ولم تنفع حجة مندوب البعث في ان هذا الميثاق انما هو جزء من صلب الدستور، فمن اقسم على الدستور يكون قد وطد نفسه على قبول مثل هذا الميثاق، كما انه لا يعدو ان يكون نهجا سياسيا لمرحلة معينة، فيمكن اذن ان يكون برنامجا لاي حكومة تتألف سواء اكانت قومية او ائتلافية او حتى حزبية.

كيف فهمت الحكومة القومية: وعند بحث امر تأليف الحكومة تبين الفهم الخاطىء لمعنى الحكومة القومية، اذ فهمت على اساس انها تجميع لممثلين عن الاحزاب والكتل، مع ان الحكم القومي انما هو الحكم المنسجم في داخله، والذي يكون في مستوى المسؤوليات الضخمة التي يواجهها في ظرف خطير، والا فان الحكومة الحاضرة يمكن ان تصبح قومية اذا اضيف اليها ممثلان عن حزب البعث والحزب الوطني، رغم تسخيرها في احيان غير قليلة لمصلحة بعض الكتل والاحزاب والاشخاص، كما تبين فهم آخر خاطىء للحكم القومي، وهو ان يكون مجالا لاقتسام النفوذ والمنافع ولذلك اختلف على من يؤلف الوزارة.

ضغط الشعب هو الضمانة: والنتيجة هي انه يظهر مع الاسف، انه لا يمكن ان يقوم في هذه البلاد حكم قومي بالمعنى الحقيقي لان معظم الاحزاب والكتل والهيئات لا تقوم على اساس عقائدي، ولذلك كان الحكم في هذا الوضع الديموقراطي غير السليم يقارب المصلحة القومية او يبتعد عنها بمقدار ما يمارس الشعب من ضغط على الحكومات، فما اتجهت الحكومة بارادتها الحرة، نحو السياسة العربية التحررية، وما اقرت بعزمها الخاص فكرة تصنيع البلاد وانشاء المصفاة وتسليح الجيش عن طريق الدول المحايدة ودول الكتلة الشرقية ونقول: اقرت هذه الفكرة ولكنها تتلكأ في تنفيذها.

وهكذا كانت الحكومات عندنا دائما يسوقها الشعب وتمانع بدل ان تكون ابعد تبصرا فترسم له طريق مستقبله وتقوده اليه.

ويظهر ايضا انه لا بد ان يقوم الشعب ولامد غير قصير بوظيفته هذه تجاه الحكومات والجهاز السياسي حتى يمكن ان يقوم حكم ديموقراطي سليم، والنصح والارشاد اللذان قد يظن من يحسن النية انهما كافيان لازالة الخلاف بين الاحزاب وترجيح المصلحة القومية على المصالح الشخصية والعائلية والطبقية وتأمين التهادن الحزبي، ان النصح والارشاد غير كافيين البتة، بل لا بد من ضغط الشعب دائما حتى تظل الحكومات والجهاز السياسي تتابع السير في الاتجاه الجديد للسياسة العربية التحررية.

الميثاق القومي في صيغته النهائية.

بناء على الكتاب الموجه من فخامة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي الى مجلس النواب والمتضمن نداءه الى الاحزاب والكتل النيابية لجمع الشمل وتوحيد الكلمة في هذا الظرف الذي تجتازه البلاد، فقد اجتمع ممثلو الاحزاب والكتل النيابية واتفقوا فيما بينهم على توحيد الكلمة وفقا للميثاق الاتي:

1- في السياسة الخارجية والعربية

اولا: مقاومة الاستعمار والصهيونية واسرائيل وذلك:

أ- بمقاومة الصلح مع اسرائيل ومقاومة مشاريعها التوسعية وكل سياسة تؤدي لذلك.

ب- بمناهضة الاحلاف العسكرية الاجنبية وكل سياسة تتجه في هذا السبيل.

جـ- بانتهاج سياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين الغربي والشرقي ودعم مقررات باندونغ.

ثانيا:

أ- بتوسيع الاتفاق الثنائي مع مصر بحيث يشمل مختلف النواحي التي يمكن توحيدها او تنسيقها بين الطرفين في الشؤون الاقتصادية والسياسية والثقافية بحيث يصبح هذا الاتفاق نواة للوحدة العربية الشاملة.

ب- بالسعي لتقوية ميثاق الجامعة العربية، وتحقيق الوحدة الثقافية والاقتصادية بين جميع الاقطار العربية بوصفها عاملا يساعد على تحريرها وتوحيدها.

ج- بتحرير الجيش الاردني من القيادة الاجنبية عن طريق تقديم المساعدة المالية له.

د- بدعم نضال المغرب في سبيل تحرير هذا الشطر الخطير من وطننا العربي وانضمامه الى الوحدة العربية الشاملة.

ثالثا: توطيد علاقات الامة العربية مع الامم الاسلامية بما لا يمس قضايانا القومية ومساعدة كل امة اسلامية على التحرر

رابعا: انتهاج سياسة عربية خارجية استقلالية مستمدة من ايمان الشعب العربي بوحدته وحريته وسيادته ومتجهة نحو تدعيم علاقاتنا السياسية والدبلوماسية مع الدول التي تدعم قضايانا القومية.

خامسا: ممارسة سيادتنا الكاملة:

أ- في الدفاع عن انفسنا وكياننا ووحدتنا بتسليحنا تسلحا حرا.

ب- في تصنيع بلادنا والتخلص من تخلفنا عن طريق اخذ المساعدات العسكرية والفنية والمالية والاقتصادية الاجنبية بدون التزامات سياسية، وعن طريق المقايضة بين منتجاتنا الزراعية وما نحتاجه من تجهيزات صناعية ودفاعية، وتدعيم علاقاتنا التجارية مع البلدان التي نجد فيها دعما لاستقلالنا الاقتصادي والمالي.

2- **في سياسة الدفاع**: تعبئة كامل قوى الامة وامكانياتها المادية والمعنوية في سبيل الدفاع عن كيانها القومي وذلك:

أ- بتنفيذ مشروع انشاء القرى الدفاعية في مناطق الحدود

ب- بالاسراع بانجاز مشروع مصفاة للبترول وانشاء مستودعات لتخزين المحروقات، والمباشرة فورا بخزن البترول بجميع الوسائل الممكنة.

ج- باستكمال التسليح والتصنيع والتجهيز واشادة المنشآت العسكرية للجيش.

د- بتدريب الشعب على الدفاع المدني بحيث يستطيع ان ينظم نفسه في كل حي وقرية لاعمال الدفاع السلبي وما يتطلبه ذلك من اسعاف وامن ونقل وتمريض وملاجىء ومستشفيات ومطاعم ومهاجع والبسة واجهزة واعمال رفع الانقاض واطفاء الحريق.

هـ- بتدريب الشبيبة على حمل السلاح واعدادها اعدادا روحيا وجسميا لمهمة الدفاع وبصورة خاصة بتشكيل الحرس الوطني.

و- بتوجيه افراد الجيش توجيها روحيا يعزز الايمان بالله في نفوسهم وتثقيفهم ثقافة عسكرية وقومية بتخصيص اذاعات منظمة ومجلات ونشرات وحفلات ومهرجانات متنوعة.

ز- بالسعي لوضع سياسة تسلح موحدة مع مصر وذلك بوحدة السلاح والتصنيع الحربي والتدريب باعتبار ان جيش سورية وجيش مصر يؤلفان نواة الجيش الموحد للدفاع عن الوطن العربي.

ح- بالاخذ بمبدأ فرض الخدمة المدنية واتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذه.

3- في السياسة الداخلية.

اولا: في الناحية المالية

أ- فرض ضريبة استثنائية فورا ولمرة واحدة لسد حاجات الدفاع.

ب- اعادة النظر في نظام الضرائب بحيث يبنى على أسس حديثة عادلة.

ج- اعادة النظر في اسس موازنة الدولة لوضعها على قواعد سليمة.

ثانيا: في الناحية الاقتصادية

أ- اتباع سياسة تقنين وتدبير تقوم على اساس الحد او المنع من استيراد المواد الاستهلاكية والكمالية والمنتوجات الحيوانية والزراعية والصناعية.

ب- اتباع سياسة اقتصاد موجهة تهدف الى تنشيط استثمار رأس المال القومي في المشاريع الانتاجية وفي الصناعات التي تحررنا من ان نعيش عالة على البلاد الاجنبية، كما تهدف الى المقايضة بين منتجاتنا وانشاء المصانع ليتم الاستقلال الاقتصادي والسياسي بجعل مجلس الانماء الاقتصادي معدا للمهمة التي انشىء من اجلها.

ج- سن تشريع لمنع الاحتكار ومكافحة الاثراء غير المشروع.

ثالثا: في الناحية الاجتماعية

أ- مكافحة الالحاد والميوعة والانحلال الخلقي والدعوات المخالفة للقومية العربية.

ب- تحقيق العدالة الاجتماعية بتنفيذ الضمان الاجتماعي وبسن تشريع يحمي حقوق العمال والفلاحين وفق نصوص الدستور.

ج- توزيع اراضي املاك الدولة على الفلاحين غير المالكين وخريجي المدارس الزراعية والمواطنين العاطلين عن العمل، مع ايجاد تعاونيات تضمن لهم توفير الالات والبذار والقروض وادوية المكافحة وبيع المحاصيل، وتشكيل مجلس خاص يسمى مجلس الانتاج الزراعي لتنفيذ هذه الاغراض.

د- وضع تشريع لحفظ كرامة الصحافة ورفع مستواها المادي والمعنوي وتطبيق الرقابة المالية على مواردها وصيانة المجتمع افرادا وجماعات من جرائم المطبوعات.

هـ- مكافحة شبكات التجسس والدعايات والنشرات.

و- سن قانون لتحديد الاعمال التي لا يجوز الجمع بينها وبين النيابة تنفيذا للمادة 48 من الدستور.

رابعا: جهاز الادارة: الخروج بهذا الجهازمن فساده بإنشاء ديوان للموظفين تحدد اختصاصاته وصلاحياته بقانون.

1956: استراتيجية حزب البعث تجتاز بسبب العوامل الداخلية والعربية والدولية مرحلة الاتفاقات الثنائية مع مصر والسعودية والاردن الى مرحلة الاتحاد مع مصر- فؤاد جلال في دمشق وميشيل عفلق يكتب عن الوحدة بعد ان تم الاتفاق في القيادة على الاتحاد - ازدياد اهتمام عبد الناصر بسورية واهتمام اجهزة اعلامه (مقال احمد بهاء) - رأي العربي الاشتراكي بشعار الامة الواحدة ذات الرسالة الخالدة.

كان استجرار جميع احزاب البلاد وتكتلاتها الى الموافقة على الميثاق القومي امرا مهما جدا في تلك الفترة، وكان نشر بنوده ومجمل ما دار حوله من مناقشات، وصدوره بموافقة رئيس الجمهورية دستورا للشعب وللدولة ظفرا كبيرا زاد من ثقة الرأي العام بالحزب والتفاف الشعب حوله، كما زاد في الوقت نفسه من تشبث الدول الكبرى الثلاث: الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بكل الوسائل للقضاء على الوضع الديموقراطي التقدمي في سورية الذي اصبح مهددا لمصالحها ونفوذها في المنطقة العربية، ولم يكن في هذه المعركة مجال للمناورة والتكتيك.. لم يكن امامنا من خيار الا خوضها بالرغم من كل ما تملكه الدول الكبرى والصهيونية من اجهزة وقوة ووسائل وامكانات تجاه بلد صغير بامكانات تكاد تكون معدومة ما عدا صمود شعبه الشجاع.

لم يكن خافيا ضلوع الولايات المتحدة في دفع الاحداث العربية وتوجيه تطوراتها لتقويض النفوذ البريطاني والفرنسي والحلول محله بالرغم من سياستها ذات الوجهين: وجه لحليفتيها بريطانيا وفرنسا ووجه آخر للعرب.

اما بالنسبة للوضع في سورية فقد كانت الولايات المتحدة متفقة مع حليفتيها في محاربة الحركة العربية التحررية التي يقودها الحزب لانها كانت خطرة على مصالح الدول الكبرى الثلاث،

وهذا ما جعل عام 1956 وما تلاه حتى قيام الوحدة من اغنى ما حفل به تاريخ سورية من احداث وما خلفه من اثر عميق على الحركة العربية في هذه المنطقة من العالم، وان ما كتبته في جريدة البعث بالاضافة الى مواقفي في مجلس النواب يكاد يكون تسجيلا يوميا لهذه الاحداث.

لقد كان تلاحق الاحداث وتطورها المتسارع يزيد من وضوح الرؤية للاوضاع الداخلية والخارجية، وكان هذا الوضوح يرشدنا - بطبيعة الحال - الى سلوك النهج السياسي الصحيح. وفي المقال الذي نشرته في جريدة البعث بتاريخ 56/2/27 تقييم شامل لاهداف السياسة البريطانية وكانت مقاطعه تحت العناوين التالية:

"النفط هو الهدف الاول من اهداف السياسة البريطانية - عزل مصر وتجزئة عرب المشرق - ايجاد بؤر للاضطراب في المنطقة العربية- خلق اسرائيل لتكون سدا بين المشرق والمغرب - مشروعات الاتحاد البريطانية تستهدف التجزئة والانقسام- البيان الثلاثي يكرس التجزئة - بريطانيا تشن حربا صليبية على العرب - تشجيع اسرائيل على العدوان - السياسة البريطانية تفقد تأثيرها ومرونتها - الاتفاقات الثنائية العربية هي للدفاع عن النفس."

استراتيجية الحزب تتجاوز مرحلة الاتفاقات الثنائية مع مصر والسعودية والاردن الى الاتحاد مع مصر.

ان تأثرنا بزيارة مصر وتطور الاحداث العربية والدولية قد زادا من قناعتنا بضرورة الاتحاد مع مصر، بينما ظل الاستاذ ميشيل اقلنا - نحن الثلاثة - حماسة لهذا الموضوع، وكان من نتائج زيارة مصر ازدياد اهتمام عبد الناصر بسورية وايفاده السيد فؤاد جلال الذي توثقت صلتنا به ليكون مندوبا لمصر غير رسمي الى جانب السفير المصري.

كان فؤاد جلال مختصا بالشؤون العربية وعلى صلات واسعة مع الاحزاب العربية والسياسيين العرب، وكان رحمه الله عربيا مؤمنا ويساريا حقا، فقام في سورية بدور لا يستطيع ان يقوم به

غيره اذ اصبح صديقا لقيادة الحزب كما كان دائم الاتصالات مع الاحزاب الاخرى:

"كان حديث الوحدة بين سورية ومصر الحديث الاول الذي دار على مائدة ناظم القدسي بحضور اكرم الحوراني وميشيل عفلق وصلاح البيطار واحسان الجابري واكد فؤاد جلال ان ايمان رجال الثورة بالوحدة العربية وعملهم لتحقيقها تفرضه طبيعة حاجات الشعب المصري بالاضافة الى العوامل القومية الاخرى، فأمن ناظم القدسي على هذا القول واكد ان جميع الدراسات التي قام بها في مصر مع جميع اعضاء الوفد البرلماني تؤكد ان مصر قد اتجهت بخطوات قوية بطريق الوحدة العربية". (الرأي العام تاريخ 28-5-1956).

ولست اشك بأن تطور الاحداث وتوثق الصلات بين ميشيل عفلق وفؤاد جلال هو الذي دفعه الى كتابة مقال بعنوان "حول وحدة مصر وسورية" (البعث 56/4/27) وهو مقال فوجئت به لسببين:

1- لان الاتفاق في قيادة الحزب قد تم في تلك الفترة على الدعوة للاتحاد بين سورية ومصر.
2- لان ميشيل عفلق لا يتهم فقط في مقاله هذا جميع الحكام والسياسيين والنواب بالتآمر على الوحدة وتزييفها بل جميع الاحزاب دون ان يستثني حزب البعث من هذا التآمر والتزييف فقد جاء في المقال:

"والمخرج الوحيد من اخطار هذا التآمر وذلك التزييف هو في اخراج مطلب الوحدة من نطاق الجدل العقيم والمفاوضات والمساومات بين الحكام والسياسيين والنواب وحتى الاحزاب وتسليمها الى جماهير الشعب"

وكان هذا خلاف ما اعتقده بأن الجماهير بدون تنظيمات حزبية تنقلب الى قوة غوغائية عمياء عقلها في اذنيها كما قال الشاعر احمد شوقي، او تصبح جماعات معطلة لا حول لها ولا قوة.

وفـي هـذه الفتـرة ازداد اهتمـام اجهـزة الاعـلام المصـرية باوضاع سـورية وبأحزابهـا السياسـية وفـي مقـدمتها حـزب البعـث العربي الاشـتراكي، وقد اوفـد جمـال عبـد الناصـر الصـحافي احمـد بهاء لاجراء تحقيق صحفي لمجلة صـباح الخيـر (تـاريخ 1956/4/8) حول الاحزاب السورية اثبته هنا برمته كمثال على هذا الاهتمام:

"بدأت الحديث عن سورية في الاسبوع الماضي من اليسار، واول حزب تقابله في الطريق من اليسار، وبعد خالد بكداش والحزب الشيوعي هو حزب البعث، واسمه بالكامل حزب البعث العربي الاشتراكي، وفي مقر الحزب دخلت حجرة مكتوبا عليها: القيادة - ممنوع الدخول، حجرة بسيطة فيها ثلاثة مكاتب وثلاثة رجال، واكداس من الملفات والاوراق.

ان الرجال الثلاثة هم اكرم الحوراني وميشيل عفلق وصلاح البيطار.

الاول عيونـه حـادة، وصـوته اجـش، واسـارير وجهـه عصـبية.. والثـاني نظراتـه حالمة، وصوته ناعم، وعندما يسـرح متفكـرا تلمـع عينـاه كأنهمـا تنظـران الـى شـىء غير منظور والثالث بين الاثنين في الوسط.

ان الاول - اكـرم الحـوراني- هـو الـزعيم الفعلـي للحـزب، والثـاني - ميشيل عفلق - هو فيلسوف الحزب والثالـث - صـلاح البيطـار - هـو السـكرتير العام..

الاول هـو الـذي يخـوض معـارك الانتخابـات وينشـط فـي كـواليس السياسـة ومناورتهـا، والثـاني يكتـب النشـرات والمؤلفـات ويلقـي الـدرس الاسـبوعي للشباب.

البعث سيلعب دورا هاما.

وقد جلسـت مع الثلاثة طويلا في حجرة القيـادة، وزرت اكـرم الحـوراني بمفرده في بيته، وسهرت ليلة كاملة مع ميشـيل عفلق نتحاور، ووقفت ساعة فـي مقـر الحـزب امـام مئـات مـن شـباب الحـزب اجيـب علـى الاسـئلة التـي امطروني بها، ومن خلاصة احاديثي مع الزعمـاء والشـباب اسـتطعت ان افهـم الكثير عن هذا الحزب الذي يلعب وسيلعب دورا خطيرا في حياة البلاد العربيـة كلها.

اين قوة البعث.

ان حزب البعث هو اقوى الاحزاب التقدمية الموجودة في البلاد العربية على الإطلاق، ولا ترجع قوته الى ان له في البرلمان السوري سبعة عشر مقعدا وهو اكبر رقم حققه حزب تقدمي عربي فقط ولا الى انه يقوم بأدوار حاسمة في السياسة الداخلية السورية، ولكن لانه ايضا الحزب الوحيد الذي تمتد فروعه في مختلف البلاد العربية، في شبكة واحدة محكمة التنسيق.

في مقر القيادة العامة للحزب رأيت زعماء الحزب في الاردن يأتون ويتناقشون وينسقون السياسة، وفي بيروت رأيت شبانا لبنانيين متحمسين للحزب، وفي بغداد قمت بمغامرة بوليسية لاقابل قيادة الحزب في العراق التي تعمل في حركة سرية، بعد ان حل نوري السعيد الاحزاب واعتقل اعضاءها، والسبب في اهتمام حزب البعث بنشر دعوته في البلاد العربية كلها يرجع الى ان "فكرة الوطن العربي الواحد هي حجر الزاوية في عقيدة الحزب.

امة عربية واحدة.

ان الحزب يؤمن بوجود امة عربية واحدة تسكن المنطقة الممتدة من العراق والخليج العربي شرقا الى آخر المغرب العربي عند المحيط الاطلسي غربا، وان هذه الامة العربية الواحدة ذات القومية الواحدة، لا بد ان تتوحد في دولة عربية واحدة.

والشعار الاساسي للحزب الذي تصدر به مطبوعاته، وتختم بالهتاف به اجتماعاته هو: "امة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة"

حركة قومية:

فالحزب يقوم بحركة وحدة قومية اشبه بحركات الوحدة القومية التي عرفتها المانيا وايطاليا في القرن الماضي عندما كانت ولايات منفصلة مضافا اليها التجارب الجديدة السياسية، فهو الى كونه حركة قومية، حركة اشتراكية ديموقراطية.

ولادة الحزب.

وقد ولدت فكرة هذا الحزب منذ اكثر من عشرين سنة في رأس هذا الرجل الوديع الناعم ميشيل عفلق، كان هو وصلاح البيطار مدرسين في

المدارس الثانوية، وبدأ الاثنان يبشران بفكرة القومية العربية الواحدة حتى تركا الوظيفة وتفرغا للسياسة واسسا حزبا اسمه حزب البعث.

ومن طريق آخر جاء اكرم الحوراني... كان بدوره مؤمنا بوحدة الوطن العربي، فلما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق تطوع فيها، ولما قامت حرب فلسطين تطوع فيها، واسس حزبا اسمه الحزب العربي الاشتراكي، ثم اندمج الحزبان في الحزب الحالي تحت اسم: حزب البعث العربي الاشتراكي.

نضال الحزب ضد الديكتاتورية.

وقام الحزب بقيادة هؤلاء الثلاثة بدور رئيسي خلال الفترة منذ نهاية حرب فلسطين حتى اليوم، وفي خلال حكم الشيشكلي تميز الحزب بمقاومة عنيفة للحكم الديكتاتوري، وعندما حل الشيشكلي الحزب وامر باعتقالهم هربوا الى لبنان، وطلب الشيشكلي اخراجهم من لبنان او إلزامهم بالكف عن العمل السياسي فذهبوا الى ايطاليا، ولما اعاد الشيشكلي حريات نسبية عادوا الى دمشق واشتركوا في تزعم حركة المقاومة فألقي القبض عليهم.. وبعد ايام من القبض عليهم انفجرت الثورة على الشيشكلي وذهب.

وكان اكرم الحوراني والشيشكلي صديقي طفولة، طالما لعبا معا في شوارع حماة.

اليسار المعتدل.

والحزب - كما قلت - اشتراكي ديموقراطي فهو يقف في اليسار المعتدل يطالب بالغاء الاقطاع وتحديد الملكية وتنمية الصناعة الوطنية والوقوف على الحياد في السياسة الدولية.

خلاف البعث مع الشيوعية.

وهذا الجانب من سياسة الحزب واضح لا يحتاج الى مزيد بيان، ولكني في مناقشة نظرية طويلة هادئة وميشيل عفلق، اردت ان استوضح نقطتين:

النقطة الاولى هي موقف الحزب بوصفه من احزاب اليسار، من الحزب الشيوعي وعلاقته به

وإن الحزب الشيوعي لا يطلب في هذه اللحظة اكثر مما ينادي به حزب البعث فما هو الفرق؟

ان فيلسوف حزب البعث يلخص الفرق في الاتي:

ان نقطة البدء في سياسة الشيوعيين تبدأ من الخارج، فهم على ضوء السياسة العالمية يحددون سياستهم الداخلية، أما حزب البعث فانه على العكس من ذلك، نقطة البدء والانطلاق عنده هي السياسة الداخلية للوطن العربي وعلى ضوء السياسة الداخلية للوطن العربي يرسمون سياستهم الخارجية.

ان الشيوعيين يضعون في المقدمة شعارات عالمية مثل السلام والتعايش السلمي ونزع السلاح، ويركزون نشاطهم في ارسال البرقيات وكتابة العرائض حول هذه الاهداف، وحزب البعث لا يقلل من اهمية هذه الاهداف ولكنه يعتقد انها ليست اشد حاجات الوطن العربي ضغطا والحاحا، ان اشد حاجات الوطن العربي الحاحا في رأي البعث هي: التخلص من الاستعمار والقضاء على اسرائيل وتوحيد الوطن العربي.

ان الشيوعين في ايمانهم بالثورة العالمية يقدمون مصلحة التحرر العالمي على مصلحة التحرر العربي القومي.

ان الاحزاب الشيوعية تهتم بأن تتناسق سياستها مع سياسة الاتحاد السوفيتي بسبب هذه النظرة العالمية لا القومية، ومع ان روسيا - في رأي حزب البعث - دولة تقدمية اشتراكية الا انها كدولة تضطر الى اتخاذ خطوات سياسية تراعي فيها مصلحتها كقاعدة للمعسكر الشيوعي قبل مصلحة القضايا المباشرة للشعوب التي تريد التحرر، والاحزاب الشيوعية تجاري هذه السياسة، اما حزب البعث فهو لا يتقيد بسياسة الاتحاد السوفيتي، لانه يستلهم سياسته من المصلحة المباشرة للوطن العربي اولا وقبل كل شيء.

وحزب البعث يرحب بالتعاون مع روسيا من اجل تحرير الوطن العربي وانعاش اقتصادياته ولكنه يعتقد ان اتجاه روسيا الاخير نحو مساعدة البلاد العربية جاء نتيجة نمو قوة الحركة القومية في هذه البلاد لا نتيجة لنشاط الاحزاب الشيوعية.

فحزب البعث يعتقد ان بينه وبين الحزب الشيوعي خلافات اساسية، ولكنه لا يسلك طريقا مصطنعا في مقاومتها ولا يجعل مقاومة الشيوعية حجر الاساس في سياسته كما تفعل الاحزاب الرجعية انما هو يتنافس معها تنافسا ايجابيا.

وما بين الحزبين الان من تقارب لا يوصف بأنه "تعاون" انما هو "التقاء" بين السياستين في مرحلة معينة، وحزب البعث يتجنب الخصومة مع الشيوعيين حرصا على مقاومة الخطر الاكبر وهو الاستعمار.

الخوف من العنصرية: النقطة الثانية التي اردت ان استوضحها هي فكرة العروبة والى اي مدى تصل هذه الفكرة؟

انا شخصيا اومن بأن الشعوب العربية تسير بالفعل الى الاتحاد، وان هناك اسبابا كثيرة تدفعها الى هذا المستقبل، ولكن الاسلوب الذي يدعو به حزب البعث الى "العروبة" الا يخشى ان تنصب في نفوس الشباب فاذا بها دعوة عنصرية؟

الا يخشى ان تنزرع في نفوس الشباب فكرة حكم عليها الزمن بالاعدام وهي فكرة تفوق عنصر على سائر العناصر؟

الا يقول شعار حزب البعث ان الامة العربية الواحدة ذات رسالة خالدة؟ ما هي هذه الرسالة الخالدة؟

قال لي ميشيل عفلق ان الامة العربية عليها ان تقيم حضارة عربية جديدة. فلم اوافقه على هذا الرأي، انني اعتقد ان الزمن الذي كانت تبزغ فيه حضارة واحدة تفرض سلطاتها على سائر العالم، هذا الزمن قد مضى، وانا اعتقد اننا مقبلون على عصر حضارة عالمية واحدة، قد تختلف ملامحها وشخصيتها من مكان الى آخر ولكنها تلتقي في جوهرها، وإن التقدم العالمي الحديث ربط بين اجزاء العالم حتى اصبح الحادث الذي يقع في نيويورك نعرفه بعد دقائق في دمشق، وموضة الازياء التي تظهر في باريس تتبختر بعد عدة ايام في القاهرة، فما بالك بالافكار والاحداث الكبرى التي تصنع الحضارة؟

ان العالم يسير نحو مساواة تامة بين الافراد والشعوب، نحو حضارة واحدة شاملة، نجد فيها شخصية عربية وشخصية هندية مثلا ولكننا لا نجد فيها حضارات منفصلة، فيها السيد وفيها المسود.

لقاء بين البعث والشيوعيين.

اذا فبين حزب البعث والحزب الشيوعي في سورية لقاء لا اكثر، وهما ليس الحزبين الوحيدين اللذين يلتقيان في جبهة اليسار، انما هناك جماعات اخرى وشخصيات اخرى ابرز اسم فيها هو خالد العظم.

دور خالد العظم.

ان خالد العظم من اغنى اغنياء سورية ولكن ثقافته العصرية، وربما عدم وجود اي أبناء له، جعله يختلف في فهمه السياسي عمن هم في مثل ظروفه.

ان خالد العظم يمثل في سورية اليوم الصناعة الوطنية التي تريد ان تنمو، والرأسمالية الصناعية الوطنية في الشعوب الصغيرة تجد مصلحتها اليوم لا في الارتباط برأس المال الاجنبي، انما في الاستقلال عنه فهي بذلك تضمن السوق المحلي لنفسها وتغدو مطلقة اليد في ان تستورد الاتها من اي معسكر تشاء، وخالد العظم على ذلك يعارض الاحلاف بشدة، ويهاجم كل نفوذ اجنبي، ويدعو الى سياسة الحياد الايجابي، ولا يقف في جانب الاقطاع الزراعي، وبذلك كان خالد العظم هو مرشح جبهة اليسار في انتخابات رئاسة الجمهورية، وما زال الاسم الكبير الذي يحترمونه ويدخرونه للايام المقبلة..

احزاب اليمين.

هذا عن اليسار في سورية فماذا عن اليمين؟

ان ابرز ما في اليمين حزبان: الحزب الوطني وحزب الشعب.

واليمين في سورية وفي الشرق العربي كله مرتبط بالاقطاع، بالمجتمع الزراعي. بالعصبيات الشخصية والعائلية، في اليمين لا تجد برامج واضحة ولا اهدافا محددة، انما تجد سياسات شخصية اذا تعمقتها وجدت خلفها انواعا من المصالح تنتهي كلها بالمجتمع الزراعي الاقطاعي. وإذا قلت ان فلانا من الحزب الوطني مثلا فهذا لا يعني شيئا، لان اعضاء الحزب الوطني لا يلتزمون جميعا خطا سياسيا واحدا، انما يتفقون في اشياء ويختلفون في اشياء.

صبري العسلي وفاخر الكيالي مثلا من اعضاء الحزب الوطني، شخصيات لهما تأييد وطني وشعبي وهما يعارضان الانضمام الى الاحلاف الاجنبية، وميخائيل ليان العضو البارز معهما في الحزب نفسه يؤيد حلف بغداد ويطالب بالانضمام اليه.

وفي حزب الشعب الشيء نفسه هنالك اعضاء بارزون مثل عبد الوهاب حومد ورشاد برمدا وعلي بوظو يعارضون الاحلاف، واعضاء بارزون مثل رشدي الكيخيا وفيضي الاتاسي يريدون التحالف مع تركيا والعراق.

على ان حزب الشعب هو نموذج حزب اليمين، وهو في واقع الامر قلعة الرجعية الحصينة في سورية، فهو اكثر احزاب سورية ارتباطا بالاقطاع، الاقطاع الذي يتركز في حماة وحلب والعلويين والمعرة، وهو شديد الاعجاب والارتباط بالدولة العربية النموذجية في الاقطاع التي يسود فيها نظام العشائر، اي العراق وفي تاريخ الحزب محاولات كثيرة للاتحاد مع العراق، وهو يدرك جيدا الحماية التي يمكن ان تسبغها الاحلاف الاجنبية على اوضاع الاقطاع، فيذهب في الدعوة اليها الى آخر الحدود، اما مستقبل الصناعة الوطنية وحاجتها الى الاستقلال فلا يعنيه في شيء [1]، وهو بكثرته العددية في البرلمان عرقل حتى الان تنفيذ اي تحديد للملكية الزراعية واستطاع ان يصدر منذ ايام قانونا رجعيا للعشائر، يحتفظ لها بكل نظام البداوة ويعرقل اندماجها في المجتمع الديموقراطي المتحضر الجديد، وهو كأحزاب الاقطاع يهتم بالعصبية ويعمل على تنمية نعراتها بدلا من اضعافها، فهو يتعصب لمدينة حلب - مركز نفوذه الاكبر - ويشعل المنافسة بينها وبين العاصمة دمشق.

واخيرا فان حزب الشعب يتوسل باسلوب قديم من التمكين لانصاره ومحاسبيه في مناصب الجهاز الاداري كلما امكن ذلك.

كل هذه ... ملامح مشتركة بين كل حزب يميني اقطاعي وهي مجسمة في حزب الشعب.

□

لقد جاء مقال احمد بهاء فيما يتعلق بالرسالة الخالدة وبالحضارة الجديدة التي يتحدث عنها الاستاذ ميشيل متوافقا مع رأي الحزب العربي الاشتراكي..

(1) هذا القول حول موقف حزب الشعب من الصناعة والتصنيع غير صحيح فقد كان من جملة اهداف الشعبيين ولا سيما في حلب المدينة الصناعية الاولى في سورية ان الاتحاد مع العراق يؤمن سوقا جيده للصناعة السورية.

كـان هنالـك اتفـاق قبـل الـدمج بـين الحـزبين علـى هـدف الوحـدة والحريـة والاشـتراكية امـا شـعار: امـة عربيـة واحـدة ذات رسالة خالدة فقد كان العربي الاشتراكي يرى فيه شوفينية مؤذية عدا عن كونه يجافي حركـة التـاريخ، فالعـالم مقبـل كمـا جـاء فـي مقـال احمـد بهـاء علـى حضـارة عالميـة واحـدة تختلـف ملامحهـا وشخصيتها من امة الى اخرى.

ان التقدم العلمي العظيم مترافقا مع رسوخ وشمول القيم الحضـارية كالديموقراطيـة والحريـة والعدالـة الاجتماعيـة وحقـوق الانسـان وغيرهـا مـن قـيم الانسـانية سـتكون الرسالة التي ستساهم فيها جميـع الامـم والشـعوب فـي المستقبل.

لقـد كـان الاسـتاذ ميشـيل وبعـض مريديـه متشـبثين بالمحافظـة علـى هـذا الشـعار وبترديـده بمناسـبة وبغيـر مناسـبة وعند الاجتماعات الحزبية واختتامها... ولقد اصبح - فيما بعد - امـرا مضحكا ان ترى هذا الشعار يردد بصورة ببغائية قسـرية حتـى فـي رياض الاطفال.

لقد تعرض طرح هذا الشعار للانتقاد من المثقفين والاحـزاب الاخرى، ولم يكن بمقدورنا اقناع المعترضين بصحته، فكنا نشرح له ما يعبر عن وجهة نظرنا في هذا الموضوع وهو ان الامة العربية بعد نهوضها ستساهم مع الامم الاخـرى فـي بنـاء الحضـارة الانسـانية كما فعلت في ماضيها الزاهر.

1956: الولايات المتحدة تقترح ارسال همرشولد الامين العام للامم المتحدة، بينما بريطانيا تسلح اسرائيل من حلف الاطلسي - سورية تلاحق قضايا التنمية رغم الجو المتوتر في المنطقة - وزارة الغزي تستقيل بسبب سماح وزير الاقتصاد رزق الله انطاكي تصدير القمح الى الجيش الفرنسي في الجزائر - تأليف الوزارة القومية على أساس الميثاق القومي - مجلس النواب يقر مبدأ الاتحاد مع مصر - شكري القوتلي يستدعي خالد بكداش لاول مرة للتشاور - ازاحة رئيس اركان الجيش السوري شوكت شقير- بعض وثائق حلف بغداد لعام 1956 فيما يتعلق بتآمر بريطانيا على الوضع الديموقراطي في سورية.

التطورات الدولية في النصف الاول من عام 1956

رافقت التطورات العربية التي اتيت على ذكرها ولا سيما في دول المواجهة مصر وسورية والاردن تطورات هامة على الصعيد الدولي، وكنت قد ذكرت سابقا ان اسرائيل بدأت بتصعيد عدوانها منذ مطلع عام 1956 على مصر وسورية بتحريض من بريطانيا وفرنسا وقد بلغ العدوان اوجه في ذلك العام.

كانت بريطانيا تنوي من تصعيد العدوان الاسرائيلي اتخاذه ذريعة للتدخل المسلح لاستعادة هيبتها ونفوذها، فالتقت سياستها مع سياسة فرنسا الحاقدة على سورية ومصر لدعمهما قضية تحرير الجزائر، اما اسرائيل التي اظهرت الايام فيما بعد انها الرابح الوحيد من العدوان فقد كانت ترمي لتحقيق هدفين اثنين هما دعامتا بناء كيانها سكانيا واقتصادية وعسكريا:

1- تحويل نهر الاردن لارواء صحراء النقب.

2- تأمين حرية الملاحة في خليج العقبة للاتصال بآسيا وافريقيا.

وكـان تحويـل نهـر الاردن فيمـا مضـى موضـع صـراع مكشـوف مـع سورية منذ مطلع الخمسينات، اما سـعيها لتـأمين حريـة الملاحـة في خليج العقبة فلم يكن هدفا مكشوفا.

دعت الولايات المتحدة مجلس الامن لدراسة الوضع علـى خطـوط الهدنة والحالة المتوترة في الشرق الاوسط، وكان هدفها من هـذا الاقتراح منع بريطانيا من استغلال حالة التوتر هذه، فـاقر المجلـس بتاريخ 26-4-56 الاقتراح الاميركي بتوجـه الامـين العـام همرشـولد الى المنطقة ليجري اتصالاته مع اسرائيل والدول العربية.

طـرح همرشـولد مـن جديـد وبايعـاز مـن الولايـات المتحـدة مشروع جونستون على الدول العربية وهذا ما كنـا نتوقعـه منـذ ان وافـق مجلـس الامـن علـى الاقتـراح الاميركـي، فتوليـت ملاحقـة الموضوع مع رئيس الحكومـة سـعيد الغـزي كمـا كتبـت حـول هـذا الموضـوع مقـالين فـي جريـدة البعـث بتـاريخ 4-11-5-1956 عبـرت فيهما عن خشيتي من ان تتضمن مهمة همرشـولد امـورا خطيـرة كمشروع جونستون فتنال اسرائيل كسبا جديدا، وحذرت الحكومـة من التورط بارتباطات او تعهدات خطيرة بما يتعلق بمياه نهر الاردن.

وقـد وقـف رئـيس الـوزراء سـعيد الغـزي فـي مباحثاتـه مـع همرشولد موقفـا صـلبا كتبـت عنـه جريـدة البعـث فـي 4-5-56 مـا يلي:

"لقد امتنعت سورية ان تتعهد بوقف اطـلاق النـار اذا لـم يتعهـد اليهـود بامتناعهم عن تحويل نهر الاردن واحترام قرار مجلس الامن الذي اوقفهـم عـن الاستمرار باعمال التحويل، ولكن همرشولد لـم يـأت علـى حـد علمنـا بجـواب مكتوب من السلطات اليهودية يحمل هذا التعهـد، ولـم تكتنـف وزارة الخارجيـة السورية بجواب همرشولد، الامر الذي اضطره للعودة الـى فلسـطين المحتلـة والاجتماع مجددا بسلطاتها".

وقد كان موقف حكومتي لبنان والاردن منسـجما مـع موقـف الحكومة السورية اذ رفضتا ما عرضه عليهما هامرشولد.

وفـي اواخـر شـهر مـايس عـام 1956 عقـد مجلـس الامـن جلستين متتابعتين لمناقشة تقرير همرشولد عن رحلتـه للشـرق

الاوسط ومساعيه في تنفيذ وقف اطلاق النار، وقد اعلن احمد الشقيري مندوب سورية بأن وزير خارجية سورية اوضح لهمرشولد بأن شرعية الامم المتحدة تحتم على الاعضاء تنفيذ قراراتها ومنها قرار مجلس الامن بدعوة اسرائيل لوقف تحويل مجرى نهر الاردن في المنطقة المجردة المجاورة لسورية وقال: "ان خرق المنطقة المجردة خرق لوقف اطلاق النار" بينما حاول المندوب البريطاني في الامم المتحدة ان يجعل من مهمة همرشولد وساطة للصلح بين العرب واسرائيل، احراجا للعرب وخدمة لاسرائيل وتأجيجا لحدة التوتر على خطوط الهدنة، وقد ايد مندوب مصر عمر لطفي موقف سورية قائلا: "ان مصر تعتبر تحويل مجرى نهر الاردن مرتبطا بوقف اطلاق النار وان تحويل الاردن سيؤدي الى تفاقم سوء الحالة في الشرق الاوسط" كما هاجم المشروع البريطاني قائلا:

"ان اي قرار يجب ان ينحصر في حدود تنفيذ اتفاقيات الهدنة" وأيد مندوب الاتحاد السوفيتي وجهة النظر العربية.

□

الغاء تحويل مشروع السد العالي والاعتراف بالصين الشعبية.

بتاريخ 17- 5-56 اتخذت لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الامريكي قرارا برد طلب الرئيس ازنهاور في منحه صلاحية تحويل القروض الطويلة الاجل كمشروع السد العالي، وقد جاء جواب القاهرة على القرار الامريكي بلسان قائد الجناح حسن ابراهيم وزير الانتاج "ان العرض السوفيتي لتمويل انشاء وتجهيز السد العالي ما يزال قائما وان الحكومة تحتفظ به وبامكانها قبوله في اي وقت تشاء"

كان هذا القرار ثمرة لتضافر النفوذين الصهيوني والبريطاني في الادارة الاميركية وقد تبين مدى حقد بريطانيا ودسائسها على الامة العربية من الحملة التي قام بها مجلس العموم على مشروع السد العالي والتي يمكن تلخيص اهم نقاطها بما يلي:

1- ان المشروع يسبب تشريد 50 الفا من سكان السودان.

2- ان المشروع لا يهم مصر والسودان فقد بل يهم ايضا شعوب افريقيا الشرقية - البريطانية - حسب تعبير احد نواب حزب المحافظين.

3- ان المشروع يتطلب 300 مليون دولار مما يحول دون تمويل مشروعات اخرى على النيل.

4- انه سيتسبب بمنازعات بين مصر وشعوب وادي النيل.

5- يجب انشاء لجنة عليا تشرف على المشروعات التي يمكن ان تقوم على نهر النيل.

6- على بريطانيا ان تمتنع عن المساهمة في تمويل هذا المشروع وان تبذل نفوذها لدى الولايات المتحدة الاميركية لكي تقف نفس موقف بريطانيا.

7- ان البحوث للاستفادة من الطاقة الذرية تجعل هذا المشروع متخلفا عن مستوى الاستفادة من الطاقة الذرية في الظروف العالمية والصناعة الحالية والمقبلة.

وفي الوقت نفسه قررت دول حلف الاطلسي تزويد اسرائيل بالسلاح بحجة ان عبد الناصر يتبع سياسة صريحة معادية للغرب ومهددة لمصالحه في الشرق الاوسط.

كان جواب عبد الناصر على موقف الغرب من تسليح اسرائيل والامتناع عن تمويل السد انه قرر الاعتراف بالصين الشعبية، وقد علقت على هذا القرار:

"ان اعتراف مصر بالصين الشعبية جاء في الوقت المناسب، وان من واجب الحكومة السورية ان تستجيب للطلب الذي اشتركت في تقديمه مع نواب عديدين منذ عدة اشهر بشأن الاعتراف بالصين الشعبية وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها" (الرأي العام 56/5/18) ثم اعلن رئيس الحكومة سعيد الغزي بأن قضية الاعتراف بالصين الشعبية ستكون في اول جلسة تعقدها الحكومة.

وفي هذه الفترة تابعت استعراض الوضع العربي والدولي والداخلي في مقال كتبته في جريدة البعث (1956/5/20) تحت

عنوان: الى اي مرحلة وصلت المعركة بين العرب وبين الاستعمار الغربي واسرائيل، وقد ورد فيه:

"ان الجديد الذي طرأ على سير معركة العرب مع الاستعمار الغربي والصهيونية واسرائيل هو اولا تقرير همرشولد الى مجلس الامن عن نتائج مساعيه لتنفيذ اتفاقيات الهدنة وتخفيف حدة التوتر وثانيا تسليح اسرائيل بسلاح حلف الاطلسي.

ولا بد لفهم هذه المرحلة، كي نهيء الخطة لمجابهة المعركة في حينها والتهيؤ لما يمكن ان يطرأ عليها من تطورات جديدة، من ان نرتد الى الماضي لنلقي نظرة خاطفة على المراحل السابقة:

خطة بريطانيا من قبل تنفيذ البيان الثلاثي الصادر 1950 ارسال قوات عسكرية الى المنطقة - خارج هيئة الامم المتحدة - في حال نشوب حرب، ولكنها اخفقت في حمل الولايات المتحدة وحلفائها على انتهاج هذه السياسة فقامت بمحاولة جديدة مع الاتحاد السوفيتي اثناء مباحثات لندن بين بولغانين وخروشوف وبين المسؤولين البريطانيين، وطلبت منع تصدير السلاح الشرقي الى العرب، واخفقت ايضا في هذه المحاولة. لان الاتحاد السوفياتي ابدى استعداده لمنع ارسال السلاح الى العرب اذا كان الحظر عاما، اي بتعبير اوضح: لا يجوز حظر السلاح عن الشعوب التي تدافع عن نفسها وتطالب بحقها في الاستقلال في حين يصدر السلاح الى اسرائيل الاستعمارية والدول الاخرى السائرة مع الاستعمار الغربي.

وإذن انتهت المحاولتان بالاخفاق، وتراجعت بريطانيا عن خطتها في ارسال قوات الى الشرق الاوسط وفرض حلول لمشكلة فلسطين من خارج هيئة الامم المتحدة ومن خارج المنطقة.

تسليح اسرائيل بسلاح الاطلسي

والجديد الذي طرأ، والذي يعد كسبا للسياسة البريطانية، هو اقناعها حلفاءها بتسليح اسرائيل بسلاح حلف الاطلسي، اي الرجوع الى قاعدة "توازن القوى" التي تعني تفوق اسرائيل على الدول العربية كافة.

وفي الحقيقة ان هذه الخطوة انما هي جواب على تقرير همرشولد، الذي استبعد من جهة فرض حلول من خارج المنطقة، والذي من جهة اخرى لم يجد مكانا لايجاد حل سريع لمشكلة فلسطين، والذي اقتصر على ترتيبات واجراءات مؤقتة تخفف حدة التوتر، ان تقرير همرشولد انما كان محاولة لمنع التدخل الخارجي وتثبيت الوضع الراهن مع تهيئة الجو لمنع هذا التدخل الخارجي، اي انه نظر الى القضية من خلال السلم العالمي. ولكن هذه الخطة لا تتفق من جهة مع سياسة بريطانيا التي هي سياسة تدخل، وتدخل عسكري، باسم السلم لتثبيت قواعد استعمارها في هذه المنطقة التي تعدها حيوية بالنسبة اليها، ولذلك واجهت هذه الخطة بعملية اخرى، عملية تسليح اسرائيل، اي تهيئة الجو لنقض السلم، الذي بدأ يتوطد بعد ان بدأ العرب يتسلحون.

احتمال عدوان اسرائيل

ان اسرائيل، كما لا يخفى، تفتح الابواب العريضة للمهاجرين الجدد، الذين يكتظون ويتكاثرون يوما بعد يوم، ومنطق هذه الخطة يقوم على التوسع، فمشروع جونستون او مشروع تحويل الاردن انما هما مشروعات يهدفان من جملة ما يهدفان الى استيعاب المهاجرين، ويؤيد هذا المنطق منطق وجود اسرائيل عامة، فاسرائيل، كما بينا، معسكر انقضاض وليست دولة لها مقومات البقاء.

فاذا كان السلاح الشرقي لمصر وسوريا وتحرير جيش الاردن من القيادة البريطانية قد ارجأ الحرب الوقائية التي كانت تهدد بها اسرائيل وارجأ تحويل مجرى الاردن، فتسلح اسرائيل الان بواسطة الاستعمار الغربي قد زاد في احتمال عدوان اسرائيل على البلاد العربية سيما وان اعمال مشروع تحويل الاردن لم تتوقف، كما ان اسرائيل رفضت ان تتعهد لهمرشولد بتنفيذ قرارات مجلس الامن، ومنها القرار الذي صدر سنة 1953، ويقضي بتوقيف اعمال تحويل مجرى الاردن.

ان خطة الصهيونية هي كما قرر المؤتمر الصهيوني الاخير مما يدل على اصرار الصهيونية على خطتها القديمة - اقامة دولة اسرائيل التي تمتد من النيل الى الفرات، وخطة بريطانيا هي تثبيت استعمارها في الوطن العربي لانها تعده والشرق الاوسط منطقة حيوية لها، فخسران نفط الشرق

الاوسط سيوقع خمسة ملايين عامل بريطاني في البطالة، وسيوقف كل معامل اوروبا، والسياسة البريطانية لا تريد ان تتطور حسب تطور العلاقات في العالم بان تقبل بالمبادلة الحرة بينها وبين شعوب العالم والشعب العربي، بحيث تلتقي مصالحها مع مصالح الشعوب الاخرى والشعب العربي."

"واخيرا تجاه هذا الحادث الجديد حادث تسليح اسرائيل بسلاح حلف الاطلسي الذي يعني عمليا وسياسيا دفع اسرائيل من قبل الاستعمار الغربي للعدوان على البلاد العربية وتنفيذ مشروعاتها التوسعية - تجاه هذا الحادث الجديد ما هي الخطة الصحيحة التي على الامة العربية ان تتبناها وتعمل من خلالها؟"

ثم اقترحت في آخر المقال الخطة التي اراها لمواجهة هذا الموقف وهي تتلخص بما يلي:

قبول معركة زيادة التسلح التي يفرضها الاستعمار الغربي مهما كانت التضحيات، زيادة عدد الفدائيين، تثقيف الجيش الى جانب تسليحه وتدريبه، ربط الجيش بالشعب كي يؤمن الشعب للجيش الجو السياسي الذي تنمو فيه قواه، دعم جبهة الحدود بجبهة داخلية متراصة.

اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية

كنا كنواب لحزب البعث العربي الاشتراكي قد تقدمنا في الجلسة التي عقدها مجلس النواب بتاريخ 22-4-56 باقتراح يقضي بمقاطعة فرنسا اقتصاديا وثقافيا وسياسيا نظرا لحملة الابادة التي تمارسها في الجزائر. كان هذا الشعار مرفوعا من قبل الحزب عندما عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بتاريخ 18-5-56 اجتماعاتها في دمشق التي انتهت بالبلاغ التالي:

"استعرضت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في اجتماعاتها هذا اليوم قضية الجزائر واستمعت الى مندوبي جبهة التحرير الجزائرية وقررت ما يلي:

1- ارسال التعليمات الى الوفود العربية لدى الامم المتحدة لطلب عرض قضية الجزائر على مجلس الامن.

2- متابعة السعي لدى الحكومة الفرنسية لوقف الاجراءات العسكرية والاعتراف بحق الجزائر بالاستقلال، وكذلك متابعة المساعي لدى سائر الدول للغاية نفسها"

دمشق -18-5-56

وقد صرح الامين العام لجامعة الدول العربية بأن الاختلاف كان حاصلا بشأن مقاطعة فرنسا التي يعارضها لبنان.

وقد علقت في جريدة البعث بتاريخ 25-5-56 على مقررات اللجنة السياسية بما يلي:

عندما قام الوفد البرلماني بزيارته للعراق كان جماعة نوري السعيد يقولون لنا مفاخرين: ان لدينا (120) مليون دينار مجمدة لا نعرف كيف ننفقها وبعد ايام، اشرفت على حي لا يبعد عن قصر الضيافة الا عشرات الامتار، يسد الافق، يسكن فيه خلق هم اموات ولا يحسبون احياء يأوون الى اكواخ، هي مقابر او اكثر سوءا من المقابر، وسألت عن هؤلاء الخلق، فقيل لي: انهم هجروا الريف العراقي لما لقوا من ظلم واضطهاد وارهاق، واتوا بغداد يعيشون في هذه القبور ويفخر مع ذلك جماعة نوري السعيد بانهم لا يجدون سبيلا الى انفاق المائة والعشرين مليون دينار!

وتذكرت ان الطائرة مرت بنا، في طريقها من البصرة الى بغداد، على مستنقعات الاهوار واستغرق الطيران فوقها اكثر من ثلث ساعة، ولا بد انه يعيش فيها قوم هم ابأس حالا من اولئك الذين يسكنون في الحي القريب من قصر الضيافة. تساءلت :

لو ان هذه المائة والعشرين مليونا، التي جمدتها بريطانيا لتستثمرها في مصارفها، انفقت على مصلحة الشعب العربي في العراق، اما كانت تساهم مساهمة كبيرة في انقاذ الشعب من الفقر والجهل والمرض؟ وتساءلت ايضا:

اما تكفي حصة العراق فقط من النفط لانقاذ العروبة في فلسطين والمغرب العربي؟

وفي هذه المناسبة، قرأت مؤخرا في صحيفة بريطانية: ان الحكومة البريطانية اقنعت شيخ الكويت بان يستثمر امواله في بريطانيا، وكذلك الامر في البحرين والامارات العربية الاخرى، كما حاولت بريطانيا اقناع امريكا بأن

تتفق معها على الامتناع عن اعطاء الدول والامارات العربية حصصها من النفط العربي نقدا، وان تستعيض عن ذلك باعطائها سلفا من منتجاتها، ولكن امريكا رفضت بحجة انها غير قادرة امام الرأي العام الدولي على خرق اتفاقاتها مع السعودية، وان مثل هذا الامر لا مبرر له حقوقيا ولا دوليا، كما انه قد يعرض مصالحها للخطر ان لم يكن عاجلا فآجلا.

تلك مقدمة عرضنا فيها لبعض ما يرتكبه الكيد البريطاني في حق العرب، لنبحث على ضوئها مقررات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، التي انعقدت في دمشق مؤخرا، لبحث مشكلة تسليح اسرائيل بسلاح حلف الاطلسي، ومشكلة المغرب العربي فانتهت اللجنة الى هاتين النتيجتنين الباهرتين: اولا - الاحتجاج على تسليح اسرائيل بسلاح الاطلسي، وثانيا - عرض مشكلة الجزائر على مجلس الامن.

ان هذا يعطي برهانا جديدا على ان الجامعة العربية، التي اوعزت بريطانيا بأنشائها، لا تزال اداة بيد بريطانيا برغم تحرر مصر وسوريا وانتفاضة الاردن وانها لا تزال تلك الستارة التي اضاعت المسؤولية في ذهاب فلسطين، والتي مثل على مسرحها جميع ما حل بالعرب من مآس منذ انشائها حتى الان.

وانني لاستغرب كيف ان مندوبي سوريا ومصر في اللجنة السياسية لم يثيرا المشاكل العربية في نطاقها العربي وما كان اجدرهما بأن يطلبا من حكومة العراق التخلص من حلف بغداد كأحد الردود على تسليح اسرائيل بسلاح حلف الاطلسي.

ان العراق لم يمنح، حتى الان من سلاح الدول الغربية الا القليل القليل، رغم ما احيط به هذا القدر التافه من الدعايات الطويلة العريضة، فالاثنتا عشرة دبابة سنتوريون التي أعطيت للعراق، ظلت ابواق الدعاية البريطانية والغربية تتحدث عنها في كل الصحف والاذاعات العالمية خلال سنة كاملة، وكذلك الاربعون مدفعا ما زالت الدعاية الغربية تطلق لها مدافع التحية حتى الان فاذا كانت حكومة العراق تعتبر نفسها قد خرجت من المجموعة العربية، واصبحت حليفة لحلفاء اسرائيل، فلا اقل من ان تثأر لكرامتها وتطلب مساواتها باسرائيل.

لقد سمعت من جميع من رأيت من ساسة العراق ان نوري السعيد منى جماعته وساسة العراق عندما عرض حلف بغداد، بأنه هذا الحلف سيساعد العراق على التسلح من جهة، وسيكون اداة ضغط على الدول الغربية لتغيير موقفها من اسرائيل من جهة اخرى ولكن ساسة العراق اقروا معي بأنه بعد سنة ونصف السنة لم يتسلح العراق، ولم يكن الحلف اداة ضغط على الدول الغربية لتغيير موقفها من اسرائيل، وان تسليح اسرائيل بسلاح حلف الاطلسي، وارسال فرق حلف الاطلسي لمقاتلة المناضلين العرب وابادة الشعب العربي في الجزائر لدليل على ذلك.

فما هو اذا المبرر لبقاء هذا الحلف، حسب المنطق الذي غرر به نوري السعيد بالعراق القطر الشقيق؟ هل مبرر هذا الحلف انه جعل بريطانيا مهيمنة على شؤون العراق هيمنة تمنعه من القيام بدوره القومي في معركة تحرير العرب من الاستعمار الغربي والصهيوني؟ اليس تمزيق حلف بغداد هو الجواب العربي على هذا الموقف الغربي؟

وكذلك اليس امتناع السعودية عن تجديد اتفاقية الظهران هو الجواب العربي على تسليح اسرائيل؟ نعم هذا هو الجواب العربي. اما الاكتفاء بالاحتجاج فهو الجواب الغربي.

ان قرار اللجنة السياسية بتمزيق حلف بغداد وتحرير العراق منه وعدم تجديد اتفاقية الظهران هو القرار العربي الذي لم تقرره اللجنة السياسية، ولم تثره مع الاسف اية دولة عربية في اللجنة السياسية ولم يطرح على بساط البحث، اليست اذا جامعة الدول العربية لا تزال بعيدة عن العرب.

وكذلك قرار اللجنة السياسية بعرض مشكلة الجزائر على مجلس الامن، بينما القرار العربي الواجب في مشكلة الجزائر ليس عرضها على مجلس الامن، بل هو مقاطعة فرانسا، وما ينبغي ان تكون مقاطعة سياسية واقتصادية وثقافية فقط، بل ينبغي ان تكون ايضا وخاصة نفطية، فاذا كانت فرانسا قد لا تهتم كثيرا للمقاطعة السياسية والاقتصادية، فلا شك انها ستهتم كثيرا للمقاطعة النفطية، وتجميد حصتها من النفط، التي تبلغ في شركة نفط العراق 23.75 بالمئة.

والقرار الثاني العربي بشأن مشكلة الجزائر، كان يجب ان يكون مد عرب الجزائر بالسلاح وبالمال الذي جمدته اليد البريطانية في العراق والمال الاتي

من حصص الدول العربية من النفط، الذي يصرف في غير مصلحة الشعب العربي، افليس جزء يسير ويسير جدا من حصص الدول العربية من النفط يكفي لانقاذ المغرب العربي من الدمار؟

والذي يدعو الى الأسف أن يرتفع، وفي هذا الوقت، صوت من مسؤول في العراق الشقيق، هو صوت فاضل الجمالي، يقول بضرورة ربط حلف بغداد بحلف الاطلسي، ان حلف بغداد في الاصل حلقة من حلقات حلف الاطلسي، فاعضاؤه يساهمون اذا بافناء عرب الجزائر وفي مد اسرائيل بالسلاح، ولكن الجمالي على ما يظهر رجل صريح فاراد ان تكون هذه المساهمة اكثر وضوحا، ولذلك اراد ان يربط الحلفين بشكل واضح، وليس هذا بغريب على عقلية حاكمي العراق في محنته الحاضرة.

استقالة حكومة الغزي وتأليف الحكومة القومية

ذكرت في فصول سابقة مراحل وضع الميثاق واعلانه، كما ذكرت اخفاق لجنة الميثاق بتأليف حكومة قومية بالرغم من ضغط رئيس الجمهورية وخطبه ورسائله مما ادى الى بقاء حكومة الغزي في الحكم خلال شهري نيسان ومايس حتى اوائل حزيران.

ولكن احتلال طلاب الجامعة السورية مكتب وزير الاقتصاد الوطني رزق الله انطاكي بتاريخ 2-6-56 احتجاجا على تصدير القمح السوري الى فرانسا اضطر سعيد الغزي ان يقدم استقالته في اليوم ذاته الى رئيس الجمهورية، وبعد ازمة استمرت ثلاثة عشر يوما تمكن صبري العسلي ان يؤلف بتاريخ 15-6-56 وزارة قومية اشترك بها حزب البعث بوزيرين هما صلاح البيطار وخليل الكلاس، واستكمالا للصورة سأتحدث الان عن التطورات والاحداث الداخلية التي تفاقمت فأدت الى سقوط حكومة الغزي وتأليف العسلي للوزارة القومية.

التطورات والاحداث التي سبقت تأليف الحكومة القومية.

بعد ان اعلنا الميثاق في جريدة البعث ودعونا لتشكيل حكومة قومية لتفيذ الاتحاد مع مصر، استمات حزب الشعب

والكتل المجلسية الرجعية على بقاء حكومة الغزي لا حبا به ولكن استبعادا لتنفيذ الميثاق القومي الذي ينص على هذا الاتحاد.

كان حزب الشعب وانصاره في المجلس يعتبرون ان نجاحنا في تأليف الحكومة القومية - بعد اعلان الميثاق - ضربة مسددة لصميم سياستهم، كما كان يعتبرها كذلك حلف بغداد والدول الكبرى الثلاث، ولم يكن هذا التصور بعيدا عن الحقيقة.

كيف تمت المعجزة اذن وتألفت الحكومة القومية بعد انقضاء شهرين على اعلان الميثاق؟

لا شك ان وعي الجماهير والتفافها حول الحزب كان العامل الاول، اما العامل الثاني فهو ان الحزب لم يعد وحيدا في ساحة المعركة - كما كان في السابق - بل اصبحت مصر بقيادة عبد الناصر حليفته، كما اصبح الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي والاحزاب الشيوعية في سورية والبلاد العربية تؤيده وتناصره.

لم نكن نحن البادئين بفتح المعركة، بل انصرفنا في تلك الفترة الى النشاط البرلماني والتنظيم الحزبي والتوجيه الشعبي والدعوة في جريدة البعث، وكنت مع صلاح البيطار وميشيل عفلق نتعاون على كتابة الافتتاحيات، كما كنت اكتب كثيرا من المقالات والتعليقات والاخبار بدون توقيع.

كان سعيد الغزي يطلعنا باستمرار على مجريات الامور العربية والدولية ويشاركنا في الكثير من آرائنا، كما كنت الاحق الوزراء يوميا بصفتي رئيسا للجنة الموازنة - لتنفيذ ما رصد في الموازنات فكانوا كثيرا ما يستجيبون.

ولو قلبنا صفحات جريدة البعث التي صدرت في تلك الحقبة لرأينا تسجيلا يوميا يتناول بالاضافة الى الاحداث العربية والدولية، النشاط الحزبي، وقضايا العمال والفلاحين، ويكاد يكون تسجيلا يوميا مسلسلا لمراحل تنفيذ المشاريع الانشائية الهامة منها... وهكذا فاننا نرى في العدد الاول من جريدة البعث العناوين التالية:

قرى الحدود الدفاعية - لم نجن من القرض الامريكي الا المشاكل - دعوة الحكومة لتدريب الفدائيين - المصفاة هل ستنشأ حقا؟

كما نرى في العدد الثاني العناوين الاتية: مجلس الانماء الاقتصادي لم ينشأ لخلافات حزبية - المصفاة والسرعة في انشائها - وفي عدد يليهما: المصفاة - توزيع النفط - خزانات النفط، وهكذا كان شأن كل عدد يصدر من اعداد جريدة البعث.

ولا بأس بأن اضرب مثلا تفصيليا على تعثر المشاريع الانشائية بمصفاة البترول لانه يعطي صورة حقيقية لبيروقراطية الدولة، كما يعطي دليلا على محاولة الاستعمار عرقلة مشاريع التنمية، ولا سيما تلك التي تمس مصالحه، واستخدامه الفئات الرجعية لهذه العرقلة.

كان موضوع انشاء مصفاة البترول موضوعا دائما من مواضيعنا في المجلس النيابي وهو احد المشاريع التي اثارت معركة سياسية كبرى بعد تأليف الوزارة القومية سأورد تفاصيلها فيما بعد.

وكان وزير الاشغال العامة في البداية قد اظهر عجزه عن تنفيذ مشروع المصفاة لعدم توفر مهندسين مختصين قادرين على وضع دفتر الشروط الخاصة بالمصفاة، فاتصلت بمحمود رياض وبفؤاد جلال فساعدتنا مصر بايفاد خبراء مصريين لهذا الغرض، كما اتصلت بالسفارة السوفيتية وطلبت منها ايفاد لجنة لمساعدتنا في دراسة الموضوع ومن هنا بدأ المشروع طريقه الى التنفيذ.

وثابرت في جريدة البعث على ملاحقة هذا الموضوع فكتبت في عددها الاول:

"في تقرير الخبراء المصريين الذين درسوا مشروع المصفاة انه يمكنه انشاؤها بطرائق ثلاث...

1- طريقة المناقصة الدولية

2- طريقة المناقصة المحدودة اي ان يكون لمن يعرض المناقصة حق اختيار من يشاء من المتقدمين على الشروط التي يعرضها.

3- طريقة التعاقد المباشر..

وقد منحت الحكومة لوزارة الاشغال العامة صلاحية الاخذ باحدى طريقتين، طريقة التعاقد المباشر، وطريقة المناقصة المحدودة، ويقول وزير الاشغال انه قدم للوفد السوفيتي اثناء زيارته لسورية دفتر الشروط وطنين من البترول الخام لاجراء التحليل، فطلب الوفد السوفيتي مهلة شهرين وقد مضى شهر واحد على الموعد، ويقول الوزير ايضا انه قدم دفتر الشروط للحكومة فطلبت مهلة اسابيع وقد مضى عشرة ايام، ان اي تأخير بانشاء هذا المشروع يعتبر بالنسبة لمصلحة الوطن ضربا في الاساس".

ثم ثابرت على متابعة الموضوع في جريدة البعث فكتبت في العدد الثاني الصادر بتاريخ 27-4-56 ما يلي:

"لم يرد حتى الان جواب السوفيت الذين استمهلوا حوالي شهرين، ولا جواب الحكومة التشيكية التي استمهلت ثلاثة اسابيع بشأن المصفاة، وقد اعلنت وزارة الاشغال العامة تحديد عشرين مايس موعدا للبت بالعروض، مع العلم بأن الخبراء المصريين تقدموا بتقريرهم عن المصفاة بتاريخ 3 آذار، والذي يهم الشعب كثيرا ان يبت بهذا المشروع بالسرعة الكافية ودون اي تأخير لان خسارة سورية 60 الف ليرة يوميا من عدم وجود مصفاة، هذا عدا عن الريع الذي يفوت يوميا ايضا، وعدا عن ان الة الحرب والزراعة والاقتصاد في بلادنا ستظل بيد الشركات الاجنبية، ان مشروع المصفاة مشروع اساسي في بناء استقلالنا السياسي والاقتصادي..."

مثل آخر في هذا المجال كتبته تحت عنوان مشاريع حيوية تهم الشعب (البعث عدد 56/5/25).

اجتمع يوم الاثنين اكرم الحوراني بوزير الاشغال العامة في مكتبه وحضر الاجتماع الامين العام لوزارة الاشغال...

وقد حضر ايضا قسما من الاجتماع رئيس مجلس الوزراء، وجرى البحث حول المشروعات الحيوية بالنسبة الى البلاد، ومنها:

مشروع سد بردى.

فهذا المشروع قد اصبح ضروريا بالنسبة الى حياة دمشق، عاصمة البلاد، خاصة وان العمران بدأ ياكل من بساتينها، فهذا المشروع يضاعف

مساحة الغوطة، وينظم مجرى بردى بحيث يدرأ عن دمشق فيضانات بعض السنين، الى جانب ما يتولد عنه من كهرباء... وقد انتهت الدراسة المبدئية لهذا المشروع، وستلزم قريبا دراسته النهائية.

مشروع درء الفيضانات عن حماة.

وهذا المشروع الاخر الحيوي بالنسبة الى مدينة حماة لان السيول كثيرا ما تذهب بملايين الليرات، قد انتهت دراسته النهائية، وسيلزم خلال هذا الشهر.

انشاء السجن المركزي.

وكذلك هذا مشروع هام، وقد رصد له في الموازنة الاستثنائية مبلغ (3) ملايين ليرة، وقد قرر ان ينشأ في منطقة الغاب، لان هذه المنطقة متوسطة بالنسبة الى البلاد، وخارجة عن المدن، كما ينبغي ان يكون موضع السجن المركزي، وتتوفر فيها الاراضي الزراعية من املاك الدولة، مما يسمح للسجناء بالعمل في الزراعية او الصناعة، وذلك ضروري كما هو معلوم لتربية السجناء وتهيئتهم للدخول في المجتمع كاعضاء اسوياء منتجين.

وقد اتفق قائد الدرك العام ومدير مشروع الغاب على الذهاب الى منطقة الغاب لاختيار المكان المناسب للبناء.

مؤسسة المصفاة.

وقد بينا بتفصيل ضرورة انشاء هذه المؤسسة، لانها وحدها التي يحق لها تمويل المصفاة، وتوزيع النفط، وانشاء الخزانات. وقد بحث امر تعيين جهاز هذه المؤسسة وعرضت الاسماء ووعدت الحكومة بتعيين هذا الجهاز.

مجلس الانماء الاقتصادي.

وكذلك هذا المجلس الاقتصادي لتنفيذ مشروعات الموازنة الاستثنائية وذلك لان جهاز وزارة الاشغال العامة غير قادر - بوضعه الحالي وقلة عدد المهندسين فيه وفقره للخبرة - على ان يقوم بغير عمليات الاصلاح والترميم اما المشروعات الكبرى فتقتضي تشكيل مجلس الانماء الاقتصادي.

المطار الدولي.

وقد تبين من الدراسة الاولية لمشروع المطار الدولي ان يكلف مبلغ (80) مليون ليرة لا (23) مليونا، كما قدر في الموازنة الاستثنائية. ولذلك اصبح هذا المشروع يعتبر بالدرجة الثانية بالنسبة للمشروعات الكبرى: كمشروعات الري وتنظيم مجاري الانهار والكهرباء والمصفاة، سيما وان وزارة الدفاع قد قررت انشاء مطار عسكري وترك مطار المزة كمطار مدني، ولهذا اصبحت السرعة في انشاء هذا المطار الدولي غير واردة، ما دامت هناك مشروعات اخرى اكبر خطورة تقتضي التنفيذ العاجل.

دسائس الاستعمار والرجعية.

هذا ما كان يشغلنا عندما كان رئيس الجمهورية يلح على ضرورة تأليف الحكومة القومية ولكن الرجعية كانت ساهرة على زرع المكائد لتعطيل تشكيل حكومة الميثاق وتمزيق الوحدة الوطنية، كانت الاسلحة التي تحتويها جعبتها عديدة وفعالة وجاهزة للاستعمال كالعشائرية والطائفية والاقليمية والرجعية العربية وكل ما خلفه الماضي من امراضنا المستعصية، وكانت العشائرية هي السلاح الذي اختارته الرجعية لتشهره في وجه الحزب في ذلك الظرف.

"استبعدت الاوساط البرلمانية ليلة امس احتمال تأليف وزارة قومية جديدة في الاجتماع الذي يرأسه غدا رئيس الجمهورية ويحضره اعضاء لجنة الاحزاب والكتل البرلمانية لان موقف حزب الشعب في البرلمان ليلة امس بتأييد المشروع الذي تقدمت به كتلة العشائر رغم مخالفته الدستورية الصارخة قد اعتبر بمثابة طعنة موجهة الى صميم الميثاق واشعار من حزب الشعب لحزب البعث خاصة بأن من الصعب ان يرتفع كثرة الشعبين الى مستوى الحكم القومي.

وكان الجو المسيطر في القصر الجمهوري يوم امس عدم الارتياح الى فكرة تقديم سعيد الغزي استقالة حكومته لتوضع الاحزاب والكتل البرلمانية امام مسؤولئاتها لان وجود همرشولد في الشرق الاوسط والمباحثات السوفيتية البريطانية الجارية الان لا تساعد على فتح ازمة وزارية يمكن ان تطول (الرأي العام 21-4-56).

تقدمت كتلة العشائر بايعاز من حزب الشعب باقتراح مشروع قانون للعشائر، وقعه عدد من النواب، فاعترضنا على دستوريته، ولكن لجنة الدستور بدعم ودفع من حزب الشعب اقرت دستوريته فدارت حول هذا المشروع معركة حامية بين الفئات اليمينية بكامل احزابها وفصائلها بزعامة رشدي الكيخيا وبين حزب البعث وحلفائه فلم ار بدا بالنظر لخطورة هذا الموضوع الا ان نقف منه موقفا حازما ولو ادى الامر الى استقالتنا من المجلس النيابي فشعر النواب بأن هنالك شيئا هاما سأقوله فهرعوا من الكواليس الى داخل القاعة فقلت ما ملخصه:

"نحن نرفض ان نقر مشاريع تناقض المبادىء العامة التي تقوم عليها الدولة والاسس التي يرتكز عليها المجتمع.. اننا نرفض ان نقر مثل هذه المشاريع التي تخالف الدستور وتطعن النظام الديموقراطي الذي نؤمن به طعنه نجلاء.

ان المشروع الذي بين ايدينا مخالف للدستور ولابسط القواعد التي تقوم عليها المجتمعات الراقية والمبادىء التي تقوم عليها الدول المتمدنة لانه في حقيقته مشروع يرمي "لتبدي" المتحضرين لا تحضير "المتبدين" ونحن مع زملائنا لا نريد ان تكون المساومات السياسية الرخيصة سبيلا للطعن في المجلس والحياة الديموقراطية، وأنا اعلن بصفتي ممثلا لحزب البعث العربي الاشتراكي بأن الحزب سيحدد موقفه من هذا المجلس وسنحتكم للشعب فيما اذا فرض علينا هذا المشروع.

انني ارجو ان يقر المجلس اقتراح زميلي عبد الحليم قدور وان تؤلف لجنة من كافة هيئات المجلس لتضع مشروعا جديدا لتحضير البدو منسجما مع ما يتطلبه وضعنا ونحن في قلب المعركة مع اسرائيل ويؤمن اتصالنا بمدينة القرن العشرين"

كان اقتراح مشروع قانون العشائر يهدف الى اعادة النظر بأمر العشائر البدوية التي تحضرت فعليا وقانونيا واعادتها الى حالة البداوة بحجة ان هذه العشائر قد حضرت ظلما وافتئاتا بموجب مرسوم صدر في عهد اديب الشيشكلي، لكن اللجنة النيابية التي تألفت لدراسة مشروع العشائر مجددا لم تجر عليه اية تعديلات جذرية فطرحت مواده للمناقشة بتاريخ 28-4-56 فاضطررنا الى الانسحاب من الجلسة بعد معركة حامية مع نواب العشائر والاقطاع بقيادة رشدي الكيخيا، وكان لانسحابنا من الجلسة وتهديدنا بالاستقالة اثره الكبير فادخلت على القانون تعديلات هامة، وقد كتبت في جريدة البعث بتاريخ 11-5-56 تحت عنوان:

"قانون العشائر مقدمة لتعديل قانون الانتخابات العامة" ما يلي:

بالرغم من المعركة الجديدة التي خاضها نواب حزب البعث العربي ضد مشروع تعديل قانون العشائر وبالرغم من استنفاذهم جميع الحجج بخطورة اقرار مثل هذا الاقتراح، وتأثيره على حياة البلاد القومية والسياسية والاقتصادية، ومخالفته للدستور وللنظام العام، فان هذا الاقتراح اقر بسبب تأييد الاحزاب والكتل المجلسية.

وبالرغم من ان انسحاب نواب "البعث" اثر على تعديل واضافة بعض مواده وخاصة ما يتعلق منها بخضوع العشائر للجندية الاجبارية، ومثولهم امام المحاكم العادية، فان هذا القانون ظل يطعن بالحياة القومية والسياسية والاقتصادية لانه حكم بارجاع العشائر المتحضرة بموجب المرسوم (124) الذي تسجلت بموجبه عشرات الالوف من افراد العشائر في بادية الشام وحمص وحماة وحلب والفرات والجزيرة، ومارسوا حقهم الانتخابي، فساد القانون والنظام في مناطقهم، وأصبحوا يمارسون الحياة الزراعية، حكم بارجاعها الى البداوة وترك لمكتب تفتيش الدولة ان يقوم بالتحقيق وعلى افتراض ان التحقيق كان صحيحا، وحكم بارجاع من يجب ارجاعه للحضارة وابقاء من ينبغي ابقاؤه في حالة البداوة، مع العلم انه لا يمكن ان تعد العشيرة حضرية حتى يثبت ان 66% منها متحضرون، فان هذا القانون يعتبر طعنا للدستور، لانه حسب قانون نافذ متفق مع احكام الدستور كان ينبغي ان تعد هذه العشائر حضرية حتى يثبت العكس.

معركة مقبلة لقانون الانتخاب.

ومع ذلك فان قانون العشائر لم تنته معركته، لان الاحزاب والكتل المجلسية الرجعية، بدافع مصلحتها وبدوافع مشبوهة، سوف تخوض معركة اخرى، معركة تعديل قانون الانتخابات العام المرتبط بهذه المشكلة فمن المعلوم ان المجلس الماضي، اثر انهيار العهد الديكتاتوري، اعاد النظر بموضوع القبائل المتحضرة بحكم القانون والواقع، واعطاها الحق ولمرة واحدة ان ترسل نوابا عنها باعتبار انها عشائر، اي على غير الاسس التي يقتضيها قانون الانتخابات العام.

نيابة مطعونة دستوريا.

وقد نشأ نتيجة ذلك مشكلة دستورية في الانتخابات الماضية، لان هذه العشائر المتحضرة حقوقيا وواقعيا والتي سجل افرادها بسجلات الاحوال المدنية وخاضت الانتخابات مع اخوانها من المتحضرين، فاخرجت نوابا عنها في محافظات حمص وحماة وحلب وغيرها، قد اخرجت نوابا اخرين بالاعتبار العشائري، ولم تجد هذه المخالفة الدستورية حلا، وهي تطعن في الواقع بنيابة نواب هذه العشائر المتحضرة الموجودين حاليا في المجلس النيابي، وفي الحقيقة لا يمكن اعتبارهم نوابا لان افراد عشائرها صوتوا لنواب اخرين.

والان ستتكرر المخالفة الدستورية، وسوف تلجأ الاحزاب الرجعية الى محاولة تعديل قانون الانتخاب، واعطاء هذه العشائر الحق بأن تنتخب دورا تشريعيا اخر، وسينتج عن ذلك الى جانب الطعن باحكام الدستور والحياة الديموقراطية والنظام العام، تحطيم للحياة السياسية عامة.

فمن المعلوم انه اذا طبق الدستور وقانون الانتخابات العام فلن يكون للعشائر الا اربعة نواب - بينما هم تسعة في هذا المجلس - فاذا عدل فسيظل عددهم كبيرا ومن المعلوم ان من جملة اسباب ازمة الحكم كتلة العشائر التي استقطبت الى جانب نواب العشائر، مجموعة من النواب الطامعين بالحكم والوزارة والمنافع، بل استقطبت الاحزاب الطامعة اما بالبقاء بالحكم او بالوصول اليه، وهذا الاستقطاب لم يجعل الحكم مسخرا لمصلحة نواب العشائر الوالغين باملاك الدولة غصبا واستلابا، والمنشئين لدولة في داخل الدولة، بل ايضا اصبحوا سلما لتسخير الحكم للمصالح الشخصية والطبقية والحزبية لاحزاب المجلس وكتله.

ان ازمة الحكم الرئيسية ان الحكم اصبح لنواب العشائر ومن يدور في فلكهم. ولذلك يهزل الحكم الان والبلاد في خطر وامكان عدوان من قبل اسرائيل. وقد بينا في العدد الماضي اثر مثل هذا الوضع لا في السياسة الداخلية بل وفي السياسة الخارجية، وضربنا الامثال بالوضع في العراق وفي ايران، ولذلك فنحن ننبه الشعب منذ الان الى ان الخطوة القادمة بعد قانون العشائر هي تعديل قانون الانتخابات العام.

وننبه الشعب ايضا الى صلة كل ذلك بمصلحة الاستعمار ومصلحة الفئات الرجعية الاستعمارية التي لا تنفك عن النفوذ الاجنبي، وتتبادل معه الدعم والمعونة.

للصبر حدود.

قدم منير العجلاني استقالته من الحكومة لانه اصر على استلام وزارة الخارجية، ولم يكن سعيد الغزي يأمن جانبه، كما ان ذلك يسبب له القطعية مع الميثاقيين في المجلس النيابي... ثم تبعه اسعد هارون فقدم استقالته، ولكن حكومة الغزي ظلت قائمة بفضل تمكن حزب الشعب من تعطيل اية محاولة لتشكيل حكومة قومية، وهذا ما جرأ الشعبين على التمادي في استهتارهم، ففي الوقت الذي كان فيه الحزب والشعب بمختلف فئاته واتجاهاته يدعم ثورة الجزائر ويطالب بقطع العلاقات مع فرانسا كان وزير الاقتصاد الوطني رزق الله انطاكي يمنح تجار الحبوب في حلب ودمشق رخص تصدير القمح السوري الى الفرنسيين في الجزائر.

"وقد كشفت هذه الفضيحة عندما عرف امس ان وزارة الاقتصاد الوطني سمحت باعطاء ثلاث اجازات بتصدير ثلاث كميات من القمح السوري من حلب الى الجزائر مقدار كل واحدة منها الف طن كما صدرت كمية اخرى مقدارها ثلاثة الاف طن قمح باجازة واحدة لفرنسا ثم بدلت في جمرك اللاذقية الى الجزائر كما سمحت وزارة الاقتصاد بتصدير كمية ثالثة مقدارها ثلاثة الاف طن قمح من الشام الى فرنسا واستبدل المرفأ المشحون اليه في جمرك اللاذقية ايضا بالجزائر". (الرأي العام 28-5-1956)

وكانت فرنسا اثناء ذلك قد بدأت حملتها العسكرية الشاملة لتحطيم الشعب الجزائري، فقد نشرت وكالات الانباء الفرنسية "ان ستة الاف جندي والف شرطي قد داهمت الحي العربي في مدينة الجزائر فقتلت بعض الثوار واعتقلت الفين ومئتين من المواطنين بتهمة مساعدة الثوار وحيازة الاسلحة، كما قام الالوف من الجيش الفرنسي بهجوم على مراكز جيش التحرير الجزائري".

وقد كتبت في جريدة البعث اثر انكشاف فضيحة تصدير القمح السوري لفرنسا بتاريخ 1956/6/1 مقالا جاء فيه:

ان سورية تزود الجيش الفرنسي في الجزائر بالحبوب، فهل يمكن لمواطن ان يصدق ذلك؟ الاستعمار الفرنسي الذي يشن حرب ابادة على الشعب العربي في الجزائر، تغذيه سورية ذلك من فوق العجب، بل ومن الخيانة.

ولكن الذي لا يصدق واقع، والذي من فوق الخيانة واقع، ورخص تصدير الحبوب يستبدل فيها بلفظة فرنسا "لفظة الجزائر" في ميناء اللاذقية.

ولو شاء الاستعمار الفرنسي والغربي ان يسخر من سورية ومن الشعب العربي، هل يمكن ان يجد طريقة خيرا من هذه الطريقة، ويتنصل مع ذلك وزير الاقتصاد من المسؤولية.

ان مثل هذا الحادث الخطير يقتضي محاكمة المسؤول، فهل خطر للحكومة ان تقيل وزير اقتصادها، وهو اقل ما يتطلبه الشرف القومي؟ لقد تعود شعبنا ان يسيء اليه حكامه، ولكن مثل هذه الإساءة ما كان يمكن ان ينتظرها، ولذلك لن يغتفر للحكومة ان لا يكون لها موقف تجاه وزير اقتصادها.

وهذه مرة اخرى يثبت فيها رأينا: ان السياسة الداخلية والسياسة العربية والخارجية وحدة، وان الرجعية الداخلية قرينة الاستخذاء للاستعمار، كلاهما يتوالدان من بعضهما، ان من يماطل في البت في عروض المصفاة، ومن لا يهتم بتنفيذ مشروعات الموازنة الاستثنائية ومن يماطل في قانون حماية الفلاح، ومن يوافق على قانون العشائر [1] هو ذاته المؤهل لان لا

(1) كان تسريب الاسلحة الى رؤساء العشائر والسورين القوميين من جماعة حلف بغداد في العراق يتم ايضا بحجة ارسال الاسلحة للجزائر عبر سورية (ص 521-525 من كتاب محكمة الشعب- محاكمة احمد مرعي رئيس المخابرات العسكرية العراقية)

يمضي في سياسة التسلح الحر وفي السياسة العربية التحررية، وهو الكفء لان يصدر حبوب سورية الى الجيش الفرنسي في الجزائر.."

لم يعد امامنا من وسيلة بعد فضيحة تصدير القمح السوري الى الجيش الفرنسي في الجزائر سوى العنف مع الرجعية المستهترة باقدس قضايانا القومية ولا سيما عندما "اصدر وزير الاقتصاد قرارا جديدا سمح بموجبه بشحن القمح السوري للجزائر، وبلغ هذا القرار برقيا الى دوائر الوزارة في مختلف المحافظات وكان كبار تجار الحبوب وفيهم تاجر شعبي كبير من حزب الشعب قد بذلوا خلال اليومين الماضين مساع حتى توصلوا الى بغيتهم" (الراي العام 1-6-56).

عند ذلك بادر طلابنا البعثيون، بالوقت الذي كانوا غارقين فيه بالفحوص فقادوا مظاهرة من طلاب الجامعة احتلت مكتب وزير الاقتصاد الوطني وهم يهتفون بسقوطه ومطالبين بمنع تصدير القمح الى الفرنسيين ولم تجد محاولات الشرطة اخلاء وزارة الاقتصاد من الاحتلال الطلابي فاستنجد وزير الاقتصاد الوطني بزميله وزير الدفاع "الشعبي" رشاد برمدا، الذي ارسل قوة من الشرطة العسكرية ولكنها امتنعت عن اخراجهم، وبدأت بدلا عن ذلك تحاور الطلاب وهي بقراره نفسها مؤيدة لهم، فاضطر سعيد الغزي ان يقدم لرئيس الجمهورية استقالة حكومته.

□

كنت قد توجهت في اليوم الذي احتل فيه الطلاب وزارة الاقتصاد الوطني الى القلمون وحمص وحماة وحلب في رحلة لتهيئة قوائم موحدة للانتخابات البلدية تضم جميع الاحزاب السياسية والقوى الوطنية في قائمة واحدة تجاه حزب الشعب، وقد لمست تجاوبا منها جميعا وقبولا من قواعد وقيادات الحزب الوطني في حمص وحلب وهما المحافظتان الحساستان بالنسبة لحزب الشعب والحزب الوطني، وهكذا اصبحت الجبهة الوطنية والميثاق حقيقة ملموسة مما اثار الخوف في نفوس حزب الشعب واشعرهم بالخذلان، وشكل ذلك عامل ضغط شديد على ميخائيل ليان "الوطني" المرتبط بسياسة حلف بغداد.

كان حزب الشعب يشكل الاغلبية المجلسية لانه كان يلف حوله التكتلات الرجعية في المجلس: كتلة العشائر والكتلة الدستورية والكتلة الاسلامية، ولكن هذه الاكثرية البرلمانية كانت مهددة فيما اذا انضم الحزب الوطني الى الجبهة الوطنية التي ينادي بها حزب البعث العربي الاشتراكي، وهكذا كان محور نشاطي:

1- كسب الحزب الوطني.

2- فرط التكتلات الرجعية الملتفة حول حزب الشعب.

وكان النجاح الاول لهذه الخطة تشكيل القوائم الموحدة للانتخابات البلدية.

اما الثاني فكان تشكيل قائمة موحدة بمناسبة انتخابات مجلس الاوقاف في حلب: "مني حزب الشعب ليلة امس بهزيمة ساحقة في وسط من الاوساط التي كان يعتد بقوته فيها وتأثيره عليها، فقد اتحد الشعبيون والاخوان المسلمون ورابطة العلماء في قائمة واحدة يرأسها الشيخ محمد النبهاني، واتحد المعارضون في قائمة يرأسها الشيخ محمد بلنكو والاستاذ عمر المكناس ففازت القائمة المعارضة فوزا ساحقا" (الرأي العام 8-6-56).

□

في تلك الفترة واثناء وجودي في حلب كان رئيس الجمهورية يجري مشاوراته في دمشق لتشكيل حكومة جديدة فعقدت مؤتمرا صحفيا في حلب ادليت فيه بالتصريح التالي:

"اوضح اكرم الحوراني موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من الازمة الوزارية القائمة والاسس التي يجب ان تؤلف الوزارة الجديدة عليها، وعرض لبيان الاسباب التي ادت الى استقالة حكومة الغزي او اقالتها من قبل الشعب كما اوضح موقف البعثيين الاشتراكيين من معركة الانتخابات البلدية عندما اجاب رجال الصحافة على سلسلة من الاسئلة نوردها فيما يلي:

ما هو في رأيكم الاساس الذي يجب ان تقوم عليه الوزارة القادمة؟

ان الاساس الذي يراه حزبنا هو ان تكون الوزارة قبل كل شيء قومية، وان تتبنى الميثاق القومي في سياسته الخارجية والداخلية، وتتبنى كذلك الاتحاد بين سورية ومصر لان هذا الاتحاد اصبح في هذه المرحلة الخطيرة امنية الشعب، ونحن نعتقد انه موضوع هام لا بالنسبة للقطرين العربيين فحسب، بل بالنسبة لمستقبل العرب كلهم ايضا.

ما هو موقفكم من تكليف رشدي كيخيا بتأليف الوزارة؟ هل يوافق حزبكم على الاشتراك بها اذا ترأسها؟

- ان حزبنا يوافق على ان يرأس كيخيا الوزارة القومية، او ان يشترك حزبه بها شريطة ان تكون سياستها قائمة على اساس تنفيذ الميثاق القومي وتحقيق الاتحاد بين سورية ومصر.

جمعتها المصالح وفرقتها المصالح.

- ما هي اسباب استقالة الوزارة في رأيكم؟

- الوزارة تحمل منذ تأليفها اسباب انحلالها، اي انها تكونت من خليط من الكتل والاحزاب المجلسية تجمعها المصلحة، وتفرقها المصلحة، والدليل على ذلك ان وزيرا يستقيل من كتلته، ووزيرا اخر من الكتلة نفسها يبقى في الحكم ويؤيد استمرار الحكومة، وكذلك فان وزيرا يؤيد مشروعا وآخر من الحزب نفسه او الكتلة نفسها يعارض كما جرى خلال مناقشة قانون العشائر مثلا.

اقالة لا استقالة.

لذلك لم يكن للحكومة بحكم هذا الخليط موقف موحد، وآخر تناقضاتها ان وزير الاقتصاد سمح بتصدير الحبوب الى الجيوش الفرنسية الغازية في الجزائر، مما اثار الرأي العام، وكانت المظاهرات التي طوحت بالحكومة، فكان هذا بمثابة اقالة من الشعب للحكومة، اكثر منه استقالة من الحكومة نفسها.

- هل هناك جهود تبذل لاعادة الائتلاف الذي قام على اساس الميثاق الثلاثي.

- ليس هناك بعد محاولات من هذا النوع والمحاولات التي سبق ان بذلت كانت تستهدف اقامة حكم قومي على اساس الميثاق الذي وضعته لجنة الاحزاب والكتل البرلمانية وقد اخفقت هذه المحاولات...

- ما هو رأيكم في الانتخابات البلدية، هل ستكون نتائجها ذات مدلول سياسي بالنسبة لاوضاع سورية، وهل هناك مفاوضات جدية مع الحزب الوطني لاقامة ائتلاف في معركة الانتخابات البلدية، وما هي شروطكم التي تعتبرونها اساسا لهذا الائتلاف.

- ان اتجاهنا بالاساس في الانتخابات البلدية لا يستهدف اي كسب حزبي ونحن لا نريدها معركة سياسية، لاننا نعتقد ان التجربة الاولى لانتخابات المجالس البلدية يجب ان تستهدف تشكيل هذه المجالس المنتخبة من اشخاص ذوي كفاءة وقدرة معروفين بالتجرد والنزاهة، ولكن هذا الاتجاه وهذه الرغبة الاكيدة منا قوبلت بتكتل رجعي سياسي يستهدف استثمار معركة الانتخابات البلدية في سورية، ومع ذلك فان هذا التكتل الرجعي لم يؤثر باتجاهنا، ونحن بالتعاون مع الحزب الوطني والاحزاب الاخرى والمستقلين سنعمل على اخراج مجالس بلدية تتمتع بالمزايا التي ألمحنا اليها..

- هل تعتقدون ان من غير الممكن الائتلاف مع حزب الشعب ولماذا؟

- ان حزب الشعب هو الذي بدأ بتكتيل العناصر الرجعية لمقاومة اتجاهنا في انتخابات المجالس البلدية، لذلك اصبح البحث في الائتلاف معه في هذه المعركة غير وارد، حتى ينفرط التكتل الرجعي الذي يدعو اليه حزب الشعب"
(الرأي العام 6-6-56)

□

كلف رئيس الجمهورية رشدي الكيخيا بتأليف الحكومة بناء على موافقتنا وموافقة الحزب الوطني ولكنه اعتذر دون ان يبرر اسباب اعتذاره، وبشكل مفاجىء كلف رئيس الجمهورية من خارج المجلس النيابي السيد لطفي الحفار من قادة الحزب الوطني لتشكيل الحكومة، فكان تكليفه صدمة قاسية لحزب البعث وللشعب فأصدرت قيادة الحزب فورا البيان التالي:

"ان اللجوء الى السيد لطفي الحفار لتأليف الوزارة يدل على ان تجارب الحكم الماضية الفاشلة لم تكن كافية لتبديل العقلية المسيطرة عليه، وعلى ان الخطوات التي تمت لتحرير السياسية الخارجية والعربية من النفوذ الاجنبي يهيأ للتراجع عنها، ولذلك

رأت قيادة البعث العربي الاشتراكي ان لا مجال إذن للمشاركة في استشارات تأليف الوزارة ما دامت هذه وجهتها"

وقد كتبت في جريدة البعث الصادرة بتاريخ 8-6-56 رأينا في لطفي الحفار تحت عنوان "الحفار يكلف بتأليف الحكومة" ما يلي:

كلف لطفي الحفار بتأليف الحكومة فجاء هذا التكليف مؤكدا لتشاؤم من يسيء الظن بالجهاز السياسي، فسياسة لطفي الحفار الخارجية والعربية معروفة، فقد انفصل الحفار عن الحزب الوطني يوم ارتضى هذا الحزب الائتلاف مع بعض الاحزاب والسياسيين على اساس سياسة خارجية وعربية مستقلة عن النفوذ الاجنبي، وكانت تلك الوزارة واضعة لحجر الاساس في السياسة التحررية السائرة نحو وحدة مصر وسورية.

ولا يخفى ان هذا النوع من الحكم هو حلقة من حلقات حكم الفئات الرجعية، التي تتستر عادة وراء اشخاص حياديين مزعومين، محتفظة لنفسها في الحكم بالقوة الكافية لتنفيذ ساستها الخارجية والعربية ودوام استثمارها واستغلالها لحساب المصالح الشخصية والطبقية والحزبية.

ومن مواقف لطفي الحفار الماضية المشهورة، اعطاؤه الامر في عام 1945 عندما كان وزيرا للداخلية باقامة معالم الزينات والافراح في جميع انحاء البلاد ابتهاجا باعلان اتفاقية (بيفن بيدو) تلك الاتفاقية المسماة باتفاقية تقاسم النفوذ بين البريطانيين والفرنسيين، وبها تصبح سورية منطقة نفوذ بريطاني ولبنان منطقة نفوذ فرنسي، وقد اعلن لطفي الحفار للمجلس النيابي آنذاك انه اعطى امره ذاك ابتهاجا بهذه الاتفاقية، وقد ثار في وجهه النواب، وثار في وجهه الشعب، فاضطرت الحكومة آنذاك للتراجع، وقرر المجلس رفض اتفاقية بيفن بيدو وعرض قضية جلاء الجيوش البريطانية والفرنسية عن سورية الى مجلس الامن، وقد تحقق للشعب بجهاده ونضاله جلاء الجيوش الاجنبية بقرار من مجلس الامن ومزق اتفاقية بيفن بيدو واصبح يوم الجلاء يوم عيد قومي شعبي.

□

كما كتبت في العدد نفسه من جريدة البعث رأينا في الوضع الوزاري، وقد ورد هذا المقال في كتاب نضال البعث ص 197

- الجـزء الثالـث - القطـر السـوري 1954-1958 لانـه غيـر مـذيل بامضائي [2] ، وفيما يلي عناوين بعض فقراته:

الوزراة القومية - الارتفاع الى مسـتوى خطـورة الوضـع مفتـاح حـل الازمــة، التغلــب علــى المصــالح الطبقــة والشخصــية - تحقيــق المشـروعات الانشـائية وتنفيـذ الميثـاق القـومي - انتهـاج سـياسـة تعاون قومي لتحقيق اتحاد مصر وسورية.

وجاء في المقال:

"ويتساءل المواطن الشريف باخلاص عـن المخـرج مـن ازمـة الحكـم التي تتردى بها البلاد، بالرغم من الانتصـارات العظيمـة التـي حققهـا الشعب في الحقلين الخارجي والعربي، هذه الانتصارات التي تبقى معرضة للنكوص اذا لم يقم على الحكم من يؤمن بها.

والجواب هو ان الخروج من ازمة الحكم لم يعد له الا طريق واحد، هو ان يتحرر المخلصون من جميع الاحزاب من السياسـة التـي تفرضـها عليها احزابهم فيأتلفون حول السياسة التي رسمها الشعب خارجيـا وعربيا وداخليا، لينقذوا البلاد من التـردي فـي مهـاو اكثـر خطـرا، والا فـان ازمـة الحكـم، ستسـتمر وتتفـاقم، وهـي ازمـة لا تنحـل بتـأليف حكومة على نمط الحكومات الماضية التي الفهـا حـزب الشـعب، بـل هي ازمة تغيير في نوعيـة الحكـم، بـأن تتـالف حكومـة قوميـة حقـا، ترتفع الى مستوى خطورة القضية العربية، تنبذ المصلحة الشخصية والطبقيــة، وتعمــل جــديا علــى تنفيــذ الميثــاق القــومي، وتحقيــق المشروعات الانشـائية الكبـرى، وخلـق جـو مـن الانسـجام القـومي الايجابي الذي يمهد ليحقـق الاتحـاد بـين مصـر وسـورية، والا فعلـى حزب الشعب ان يتحمل المسؤولية وهي مسؤولية خطيرة..."

(2) في النصف الاول من الستينات صدر عن دار الطليعة لصاحبها بشير الداعوق سلسلة من المطبوعات تحت اسم نضال البعث تارة بتكليف من النظام السوري وتارة من النظام العراقي ومن اللافت للنظر ان الطبعات الأولى من هذه الكتب قد تعمدت اغفال كل ما كتبته في جريدة البعث باسمي الصريح، بينما نشرت المقالات التي كنت اكتبها بدون امضاء ومنها المقالات الاتية: ضرورات هذا الحكم القومي (56/6/15) - الضرورة القومية فرضت على حزبنا الاشتراك في الحكم (56/6/22) - المطروح الان خطوات الى الامام (1957/3/5)- فلنبدأ بالاتحاد اولا (1958/1/17)- نصر جديد للحياد الايجابي في سورية (1957/8/9) وغير ذلك من الامثلة.

كان تكليف القوتلي للحفار تشكيل الحكومة موضع دهشة واستغراب في جميع الاوساط نظرا لعلاقته الوثيقة والمعروفة بنوري السعيد ورجال حلف بغداد، بينما كان القوتلي صديقا للسعودية ومصر وكان قد وافق على الميثاق ودعا لاعلانه بصورة رسمية.

وكان اساطين الرجعية يعللون سرا في مجالسهم تكليف الحفار بأنه كان نتيجة ضغط خارجي امريكي بريطاني على القوتلي، يضاف اليه ان القوتلي اراد ان يفي بوعده للطفي الحفار عندما تنازل له عن ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية، وان القوتلي هدف من تكليفه ايضا اعادة الوحدة للحزب الوطني وربطه بحزب الشعب لاضعاف حزب البعث الذي بدأت انتصاراته تتوالى، وشعبيته تزداد وتتغلغل في جميع الاوساط، حتى ان القوتلي اوعز للاذاعة بحذف جميع هتافات البعثيين وشعاراتهم التي رددتها الجماهير اثناء الاحتفال بزيارته للاردن بالرغم من موقف البعثيين الايجابي من رحلته وذهاب الاستاذ صلاح البيطار الى الاردن في معيته.

وكان من هؤلاء الاساطين من يقول سرا ايضا ان مصر والسعودية كانت موافقة على ترشيح الحفار لرئاسة الحكومة وان القوتلي لم يكن ليجرؤ على تكليفه لو لم يكن على اتفاق معهما وكانوا يضربون على ذلك مثلا بأن بغداد كانت ملتقية مع مصر والسعودية في ايصال القوتلي لرئاسة الجمهورية، فكيف يستغرب اتفاق العواصم العربية الثلاث في ايصال الحفار لرئاسة الوزارة اذا كان ذلك موضع اتفاق اميركي بريطاني فرنسي؟

والذي لفت نظري آنذاك ان جريدة اخبار اليوم المصرية المعروفة بعلاقة صاحبيها علي امين ومصطفى امين بالمخابرات الاميركية افترت علينا بخبر كاذب لمصلحة تكليف لطفي الحفار فاضطررت لتكذيبه في جريدة الرأي العام الصادرة في 20-6-56 "قال اكرم

الحوراني ان احدا من قيادة البعث العربي الاشتراكي لم يقابل رئيس الجمهورية لا بحضور لطفي الحفار ولا بغير حضورة منذ ان كلف لطفي الحفار بتأليف الوزارة الجديدة لان حزب البعث العربي الاشتراكي قال كلمته النهائية في البيان الذي اذاعه عقب وقوع هذا التكليف.. واضاف اكرم الحوراني بأنه يود ان يوضح هذه النقطة لاهميتها بعد ان ذكرت اخبار اليوم المصرية ان رئيس الجمهورية استقبل يوم الجمعة الماضي في القصر الجمهوري اكرم الحوراني وصلاح البيطار وحضر هذا الاجتماع لطفي الحفار لاقناعهما بتغيير موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من تكليفه بتأليف الوزارة".

كان لموقفنا الحازم اثره في اخفاق لطفي الحفار بتشكيل الحكومة بالرغم من جميع الجهود التي بذلت لجمع كل فصائل الرجعى في وزارته العتيدة فاضطر رئيس الجمهورية ان يعلن اعتذار الحفار بتاريخ 1956/6/11.

صبري العسلي يؤلف الوزارة القومية.

كنت والاستاذ صلاح البيطار مندوبي حزب البعث العربي الاشتراكي في مفاوضات تشكيل الحكومة بعد اعتذار لطفي الحفار، وكان الاستاذ صلاح يطمح إلى الاشتراك بالوزارة، فترك لي مهمة المفاوضات والوقوف في وجه المناورات التي كان يدبرها دهاة الرجعية بمهارة وذكاء ليصبح تشكيل الحكومة اصعب من ادخال الجمل في سم الخياط.

كانت المفاوضات تلف وتدور لتوجد عقدة مستجدة كلما حللنا عقدة موجودة، ولكننا لم نكن اقل مهارة منهم بعد ان خبرنا اساليبهم وعرفنا "تخاريمهم" واصبحنا فيها اكثر قدرة وادق حنكة منهم، فكنا نوافق اذا طالب حزب الشعب بترشيح شخصية حيادية لرئاسة الحكومة - وهم يضمرون شخصا اخر كلطفي الحفار - ولكننا كنا نشترط ان يكون هذا الحيادي من المجلس النيابي كخالد العظم مثلا، وان اشترطوا ترشيح حزبي لرئاسة الحكومة ثنينا على اقتراحهم على شرط ان يكون هذا الشخص رئيسا لاحد الحزبين الشعبي والوطني، وبعد ان اعتذر الكيخيا لم يبق امامنا سوى ترشيح صبري العسلي.

كـان الحـزب الـوطني قـد جـرب حظـه بالماضـي مـع حـزب الشـعب فلـم يجـن مـن تحالفـه معـه بـالحكم الا الخسـران فـي مؤسـساته وقواعده في مدينة حلب، وما تمكنت القـوى الخارجيـة مرة من لم شملهما وجمع شعثهما الا واسرعت خلافاتهما تنفجـر من جديد، ولم يبق امام الحزب الوطني الـذي يعـاني مـن الضـعف والانهيار امام ضغط حزب الشعب واطماعه في السلطة والحكم الا التحالف مع حزب البعـث العربـي الاشـتراكي الـذي لا ينازعـه فـي السلطة ولا يتـآمر عليـه، ولكـن تـآمر ميخائيـل ليـان وجـبن صـبري العسـلي وانتهازيته كان مما يحول دون هذا التحالف.

في تلك الفترة تصاعد نجم فاخر الكيالي السياسي وتوثقت صلاته بمصر، واصبح يعتقـد ان مسـتقبله السياسـي اصـبح رهينـا بنجاح السياسة العربية التحررية التي يقودها حزب البعث العربـي الاشـتراكي "لعب فـاخر الكيـالي دورا فـي تفشـيل لطفـي الحفـار بتشـكيل وزارته لانه ذكر المرجع الحزبي (الوطني) كيف انتهى الى الندم فـي كـل مـرة تعاون فيها الحكم مع الشعبيين في حين كان مرتاحا داخل المجلـس النيـابي وخارجه يوم حكم مع البعثيين الاشتراكيين. وذكر فاخر الكيالي اقطـاب الحـزب الوطني ان قاعدته الشعبية في حلـب خاصـة لا ترتـاح مطلقـا لحكـم ائتلافـي يتعاون فيه الوطنيون مع الشعبيين" (الرأي العام 12-8-56)

كان صبري العسلي متـرددا بـين فـاخر الكيـالي ومـن يناصـره فـي سياسـته، وبين ميخائيل ومن يناصـره فـي الحـزب الـوطني، وكـان ناقما ومنزعجا مـن حـزب الشـعب الـذي يحـول بينـه وبـين رئاسـة الحكومة بما يفرضه من شروط تعجيزية لتعطيـل تشـكيل الحكومـة القومية فلم ار سبيلا لحل الازمة الا بترشيح فاخر الكيالي لرئاسة الحكومة القومية مقابل ترشيح حزب الشعب لاحمد قنبر، وقد اخذ المجتمعون اقتراحي بمعرض الجـد، وهـذا الاقتـراح الهـب حماسـة الكيالي، الذي لم يكن يحلم بمثـل هـذا الاقتـراح وزاد مـن اندفاعـه ضد موقف ميخائيل اليان الى درجة التهديد بشق الحزب الـوطني، وهكذا اوجس العسلي خيفة من منافسة الكيالي له فـي رئاسـة الحكومة، كما كان تهديـدا خطيـرا لحـزب الشـعب الـذي كـان يكـره

الكيالي ويمقته ويفضل عليه اي شخص اخر من الحزب الوطني لهذا المنصب.

والذي جعل كل الاطراف الاخرى تأخذ اقتراحي على محمل الجد هو تعاظم قوة الحزب وتعزيز مكانته وقدرته وشعور الاحزاب الاخرى بالضعف والعجز "جرت اتصالات سرية امس من الشعبيين بالبعثيين الاشتراكيين ومن الوطنيين بالبعثيين الاشتراكيين، وكان كل من الحزبين التقليديين يحاول جس نبض الاشتراكيين واقناعهم بالتعاون معه وترك الحزب الاخر خارج الحكم فكان الجواب الذي اعطاه البعثيون الاشتراكيون ان قيادة حزبهم اقرت الاشتراك بوزارة قومية وعندما يصبح الاتجاه صوب وزارة ائتلافية فلا بد من العودة الى قيادة الحزب مجددا لدراسة ذلك... عندها شعر الشعبيون والوطنيون ان العودة الى فكرة الوزارة القومية افضل فدبت الحياة من جديد في مشروع الوزارة القومية التي يؤلفها العسلي واستطاعت الاحزاب الثلاثة ان تتفق ليلة امس" (الرأي العام 14-6-56)

وهكذا انتهت الازمة الوزارية في يومها الثالث عشر وصدرت قبيل منتصف ليلة 14-6-56 مراسيم تأليف اول وزارة قومية على اساس الميثاق الوطني في سورية على النحو التالي:

صبري العسلي	لرئاسة الوزارة والمالية
محمد العايش	وزيرا للدولة
مجد الدين الجابري	للاشغال العامة والمواصلات
عبد الباقي نظام الدين	للصحة
احمد قنبر	للداخلية
عبد الوهاب حومد	للتربية
رشاد جبري	للزراعة
مصطفى الزرقا	للعدل
صلاح الدين البيطار	للخارجية
خليل الكلاس	للاقتصاد الوطني
عبد الحسيب رسلان	للدفاع الوطني

فتح تأليف الحكومة القومية الميثاقية صفحة جديدة في تاريخ سورية والمنطقة العربية، فكانت تجربة رائدة لم يكتب لها ان

تتابع مسيرتها وان تحقق اهدافها، ولهذا كان حزني كبيرا عندما اطاح الاستعمار الجديد عام 1973 بتجربة رئيس جمهورية شيلي (الندي) بانقلاب عسكري فذهب شهيدا لها.

لقد كانت كلا التجربتين تهدفان الى تحقيق الديموقراطية الاجتماعية والديموقراطية السياسية جنبا الى جنب.

□

الاتحاد مع مصر.

بعد تأليف الحكومة القومية بتاريخ 14-6-56 نشأت ازمة وزارية امتدت ثلاثة عشر يوما، فقد اصر حزبنا على ان ينص البيان الوزاري صراحة على تحقيق الاتحاد بين مصر وسورية، ومرد ذلك ان الاستاذ ميشيل لم يكن راضيا عن اشتراك الحزب بالحكومة القومية، ولكنه لم يجد مبررا منطقيا للرفض، حيث كان الحزب مجمعا على ضرورة الاشتراك ومتحمسا له بصورة عامة، وفرع الاردن بصورة خاصة وكان هذا معروفا "كشف النقاب امس عن اتصال جرى بين فرع حزب البعث العربي الاشتراكي في الاردن ومقر الحزب في دمشق صبيحة استقالة حكومة الغزي حول ضرورة اشتراك البعثيين الاشتراكيين في الاردن، وانه لو تم ذلك لكان له اثر قوي على تدعيم اسس السياسة العربية التحررية في الاردن ولامكن تحقيق اشياء كثيرة في موضوع سير القطرين نحو الوحدة الاقتصادية كخطوة في طريق الوحدة العربية المتحررة" (الرأي العام 17-6-56)

كان الاستاذ ميشيل يعتقد بأن فرض الاتحاد مع مصر على حكومة العسلي كفيل باسقاطها، اما كيف عرفت ذلك؟ فلان الاستاذ ميشيل لم يكن من الرجال القادرين على كتمان عواطفهم، فقد قابل تشكيل الحكومة القومية واشتراك الاستاذ صلاح البيطار بكآبة والم ظاهرين، وهكذا كان شأنه عندما اشترك وهيب الغانم في الماضي بالوزارة الائتلافية، وكان من المحتمل ان يكون حدسي خاطئا، لو لم يرو ميشيل عفلق لقادة الفرع في لبنان عند لجوئه اليه خلال عهد الوحدة عام 1959 انه لم يكن راضيا عن اشتراك الحزب بالحكومة القومية، وانه اصر على اشتراط

الاتحاد مع مصر املا باسـقاطها، هـذا مـا قالـه لـي غسـان شـرارة وعبد الرحمن منيف وغالـب يـاغي بمعـرض ذكريـاتهم مـع الاسـتاذ ميشـيل خلال لجوئه الى لبنان.

لم اكن مختلفا مع الاستاذ ميشـيل علـى الاتحـاد مـع مصـر فقد قرره الحزب ودعونا اليه وعملنا في سبيله ولكن الخـلاف كـان يدور حول الاسلوب، اذ لـم اكـن مقتنعـا بانـه يجـوز اسـتخدام هـذا الشعار لفرط الحكومة القومية التي كان تأليفها اكبر انتصار للحـزب والقضية، ولم يكن شعار الاتحاد هدفا عاجلا، بل كان هدفا مرحليـا يقتضـي وقتـا وعمـلا ومفاوضـات بـين الطـرفين المعنيـين مصـر وسورية، وان نجاحنا بتأليف الحكومة القومية على اساس الميثاق القومي هو الطريق لتحقيق هذا الهدف.

في هذا الوقت بالذات كان عبـد الناصـر يخطـب بالمصـريين، ويدعوهم للاستفتاء على الدستور وانتخابه رئيسـا للجمهوريـة "ان مصر لم تعرف في الماضي من الديموقراطية الا اسمها، اما اليـوم وقـد انتهـت فترة الانتقال فاننا نترك الماضي بمآسيه خلف الظهور ونتجه للمسـتقبل، لقـد اطلقنـا سـراح 2900 معـتقلا" "لقـد الغينـا الاحكـام العرفيـة وسـنحكم باسـم الدستور والقانون وسـتنعم الصحافة بالحريـة للمحافظـة علـى اهـداف الثـورة وسيادة الشعب" "كل ما نرجوه للعروبة من مراكش الى بغداد ان تتمتع بالقوة وان نمد لها يدنا فنتلقاها بيد الاخوة ولا بد ان نقوى لتحرير العروبة كلها، حتـى لا تعـود مأسـاة فلسـطين وحتـى نعيـد لشـعب فلسـطين حقـه فـي الحريـة والحياة"

لقد شعرت وكأن هذا الخطاب كان تعهـدا موجهـا الـي امـام الشـعب ليمحو من نفسـي اثر حديثـه معـي عنـد زيارتنـا مصـر حـول الحريـات والاحكام العرفية...

□

واعود الان الى البيان الوزاري:

ما العمـل والاطـراف الاخـرى فـي الحكومـة والمجلـس تصـر على رفض هذا الشرط؟

لـم ار مخرجـا للازمـة الا التهديـد بـاقتراح حـل المجلـس واسـتفتاء الشعب من جديد.

لم يكن تنفيذ هذا التهديد بيدنا مـن الناحيـة الدسـتورية بـل بيد رئيس الجمهورية الذي لا يمكن ان يوافق عليه، ومع ذلـك فقـد كان ناجحا بالنسبة لرئيس الجمهورية والمجلس النيـابي معـا، لان استقالة سبعة عشر نائبا من نـواب حـزب البعـث ستضـطر رئـيس الجمهورية لاجراء انتخابات جديدة ستكون على اساس الاتحاد مـع مصـر، وسـيفوز فيهـا الحـزب فـوزا مبينـا تكـون فيـه نهايـة الاحـزاب والتكتلات السياسية الاخرى.

شكري القوتلي يستدعي لاول مرة خالد بكداش.

"استدعى رئيس الجمهورية امس لاول مرة خالد بكداش ودام الحديث بينهما زهاء ساعة وقال خالـد بكـداش عنـد انتهـاء هـذه الزيـارة انـه فهـم مـن رئيس الجمهورية انه من القـائلين بالاتحـاد بـين سـورية ومصـر وانـه اسـتعمل حقه بالنصح مع وزارة العسلي عندما استقبلها اول مرة وناشـدهم ان يعملـوا للاتحاد بين سورية ومصر، ولكنه لا يحب ان يخطو ابعد مـن ذلـك لانـه يريـد ان يلتزم بحدوده الدستورية) (الرأي العام 20-6-56).

لم يكن الحزب الشيوعي متحمسا لاجراء انتخابات جديدة لا يقدر سلفا نتائجها فأصدر بيانا جاء فيه:

"ان تباين وجهات النظر فـي صـياغة البيـان الـوزاري حـول قضـية العلاقـات مـع الشـقيقة مصـر لا يمكـن ان يكـون حجـر عثـرة فـي وجـه الاتفـاق، وان يـؤدي بالتالي الى ما تنشده الرجعية والاستعمار من وقوع ازمـة وزاريـة جديـدة فـي سورية وتشويه سمعة نظامها الديموقراطي البرلماني والاساءة الى سمعتها الدولية" "ولا ريب ان هؤلاء المستعمرين انفسهم يصفقون لبقاء سـورية اليـوم بدون حكومة حائزة على ثقة المجلس بحرمانها من الفوائد الكبيرة التي يمكن ان تجنيها من التباحث الجدي مع الضيفين الكبيـرين اللـذين سـيزورانها اواخـر هذا الاسبوع جواهر لال نهرو زعـيم الهنـد الدولـة الصـديقة الكبـرى وشـبيلوف وزيـر خارجيـة الاتحـاد السـوفيتي هـذا البلـد الاشـتراكي العظـيم الـذي تـزداد علاقات العرب وثوقا به وتتوطد روابط الصداقة معه يوما بعد يوم"

اخفقت مساعي جميع الوسطاء من مختلف الشخصيات الحزبية والمستقلة التي تنادت لحل الازمة سواء عن طريق النص المباشر على الاتحاد في البيان الوزاري او عن طريق سؤال يقدم للحكومة فتجيب عليه بالموافقة، وهكذا اضطرت الحكومة قبل حصولها على الثقة ان تستقبل جواهر لال نهرو.

كان نهرو متأثرا من الاستقبال الجماهيري الحار الذي استقبلته به الجماهير في سورية كبطل من ابطال استقلال الهند، وكان متأثرا بشكل خاص من زيارته لدمشق، وخلال الاحاديث التي جرت بينه وبين المسؤولين كان موقفه من قضية الجزائر وفلسطين كما يلي:

"بالنسبة الى القضية الفلسطينية، اذا اردنا الا نقول كلاما لارضاء الجماهير فأنا اعتقد ان هذه القضية لا يمكن ان تحل الا باتفاق بين الدول الكبرى"

اما بالنسبة للجزائر فكان يرى انه لا فائدة من عرض قضيتها على هيئة الامم لان اكثرية الاصوات ستكون مع فرنسا وانه من الاجدى ان تتم مفاوضات بين الطرفين توقيفا للمجازر التي تجري في الجزائر، ولعل ذلك كان بتأثير نظرة اللاعنف.

زيارة وزير خارجية الاتحاد السوفيتي شبيلوف.

زار شبيلوف مصر اولا، ثم زار سورية بتاريخ 56/6/25/22 بينما كانت الازمة الوزارية على اشدها، ثم زار لبنان، وكانت زيارة شبيلوف موضع اهتمام الغرب، فقد صرح جون فوستر دالاس وزير الخارجية الاميركي:

"انه لا يعتقد بأن شبيلوف قد حصل على ما كان يتوخاه من زيارة القاهرة وان الاتحاد السوفيتي لم يحرز اي نجاح في الشرق الاوسط، ولم يستطع جر قدم اي بلد من بلدانه الى المعسكر الاشتراكي، ولكنه اصاب بعض النجاح في مضمار الاقتصاد".

ويجدر الاشارة هنا الى ان زيارة شبيلوف لسورية رافقتها اصطدامات عنيفة على الحدود السورية التركية، كما اجتازت الطائرات التركية المجال الجوي السوري.

فتحت زيارة شبيلوف باب العلاقات السياسية والاقتصادية الذي كان موصدا بين سورية والاتحاد السوفيتي واحدثت تأثيرا اعلاميا ونفسيا وسياسيا كبيرا، ولم تجد الحملات التي قامت بها الرجعية - بهذه المناسبة - ضد الشيوعية والاتحاد السوفيتي، بل ان تلك الزيارة كانت بداية الطريق للعلاقات التي توطدت فيما بعد بين العرب والاتحاد السوفيتي، وقد حضرت زيارة شبيلوف لرئيس المجلس النيابي ناظم القدسي واستمعت الى اجوبته حول موقف الاتحاد السوفيتي من اسرائيل والقضية الفلسطينية وكانت اجوبة غائمة تخلص فيها شبيلوف ببراعة من الاجابة بوضوح وتحديد.

كانت زيارة شبيلوف لسورية بداية موفقة لنمو العلاقات التجارية والاقتصادية وعقد الاتفاقات لتنفيذ مشاريع سورية الانمائية، فقد استعرض الجانب السوري المؤلف من وزير الخارجية صلاح البيطار ووزير الاقتصاد الوطني خليل الكلاس ووزير الاشغال العامة مجد الدين الجابري والخبراء السوريين الاقتصاديين والماليين مع الجانب السوفيتي شبيلوف ونمتشينا سفير الاتحاد السوفيتي، في الاجتماع الذي عقد بتاريخ 24-6-56 في مقر وزارة الخارجية جميع مشاريع سورية الانمائية والانشائية "الواردة في الموازنة الاستثنائية كمشاريع الخطوط الحديدية التي تربط اللاذقية بحلب والجزيرة، وسد يوسف باشا (سد الفرات) للري وتوليد الطاقة ومستودعات الحبوب ومرفأ طرطوس ومشروع استثمار الغازات الطبيعية واستثمار المعادن ومصفاة البترول ومطار دمشق الجديد ومطار النيرب وسد النهر الكبير وتنمية التصنيع وتوسيع الرقعة الزراعية وغير ذلك من المشاريع" "وقد اوضح حاكم البنك المركزي للجانب السوفيتي وضع سورية المالي وميزانها التجاري السليمين، كما اوضح وزير الاقتصاد الوطني امكانيات الانتاج الزراعي، والصناعي السوري، وعرض بشكل عام اوضاع التجارة السورية مع الخارج خلال الاعوام الخمسة الماضية، واعرب عن امل سورية في ان تلقى

الصادرات السورية تصريفا في اسواق بلدان العالم الاشتراكي".
(الرأي العام 24-6-56)

وكان هذا الاجتماع مقدمة لعقد اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بين سورية والاتحاد السوفيتي فيما بعد.

الاتفاق وجلسة الثقة بالوزارة القومية.

بدأت مئات البرقيات تنهال يوميا من جميع انحاء سورية على ادارت الصحف والمجلس النيابي والحكومة تطالب بتحقيق الاتحاد مع مصر، وفي هذا الجو دعا احسان الجابري رئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي ممثلي الاحزاب والمستقلين الى اجتماع عقد في فندق الشرق حضرته ممثلا لحزب البعث العربي الاشتراكي اما ممثلوا الاحزاب الاخرى فهم:

عادل الكيخيا ممثلا لحزب الشعب

صبري العسلي رئيس الحكومة ممثلا للحزب الوطني

محمد العايش وحامد الخوجة ممثلين للكتلة الديموقراطية.

عبد العزيز المسلط ممثلا للكتلة الدستورية

خالد بكداش ممثلا للحزب الشيوعي.

كما حضر الاجتماع عدد كبير من المستقلين منهم خالد العظم وسعيد الغزي ورئيف الملقي وجورج شلهوب وحسين مريود واحمد الحاج يونس ونافع رجب وغيرهم من النواب وقد ترأس الاجتماع الدكتور ناظم القدسي.

دل الجو الحماسي الذي ساد الاجتماع على ان انصار الاتحاد اصبحوا اكثرية في المجلس النيابي، واصبح الشعبيون يقولون انهم لا يعارضون مشروع الاتحاد من حيث المبدأ، وانما يريدون ما سموه حلا لانقاذ كرامتهم حتى لا يقال بأن حزب البعث العربي الاشتراكي هو الذي يقود السياسة العربية التحررية ويجرهم وراءه جرا، ولذلك اتجه البحث لتفتيش عن حل يصون كرامتهم فاتفقت مع خالد العظم على ان نتقدم بالاقتراح التالي:

"بعد سماع بيان الحكومة يقرر مجلس النواب ان تشرع الحكومة بالدخول فورا بالمفاوضات مع الجمهورية المصرية لتحقيق الاتحاد بين القطرين، على ان يكون هذا الاتحاد مفتوحا امام الدول العربية المتحررة المستوفية للشروط التي نص عليها الميثاق القومي" وقد وافق على هذا الاقتراح جميع ممثلي الاحزاب والكتل المجلسية والمستقلين، في حين قال عادل الكيخيا ممثل حزب الشعب انه يقر هذا الاقتراح ولكنه مضطر قبل توقيعه ان يعود للمكتب التنفيذي لحزب الشعب.

□

كنت اشعر ان موقف الجناح اليميني في حزبي الشعب والوطني بقيادة رشدي الكيخيا وميخائيل ليان هو موقف مخاتل بالرغم من تراجعهم الظاهري وليونة موقفهم وتظاهرهم بتأييد السياسة العربية التحررية والاتحاد مع مصر، وفي الوقت نفسه كنت اشعر ان جو البلاد ينذر بمؤامرة على سورية يعدها حلف بغداد، وقد تجلى ذلك في المقال الذي كتبته في جريدة البعث تحت عنوان: "تنفيذ مقررات مؤتمر طهران السرية" وقد ورد فيه ضمن خطة الحزب لاحباط كل تآمر: "يجب الاعتماد على الشعب، بازالة اللعب في الخفاء، وتوضيح كل الملابسات التي احاطت وتحيط بمختلف العمليات السياسية، لان الشعب هو القوة الهائلة التي تدمر كل تآمر.

واخيرا نقول للشعب: ان كاشف العملاء في هذه الفترة انهم سيحاولون استعمال طريقة الاثارة والاستفزاز، لاظهار الوضع بصورة غير المستقر، كما سيحاولون تكتيل القوى وتاليب الرجعية على المنادين بالسياسة العربية التحررية... ذلك هو كاشف المؤامرة والمتآمرين"

وبتاريخ 56/9/6 كتبت مقالا اخر في البعث تحت عنوان "بوادر مؤامرة خطيرة" وذلك بسبب قلقي الشديد من تطور الاحداث العربية والدولية التي رافقت شروع سورية ومصر باقرار الاتحاد وفيما يلي مقاطع من هذا المقال الذي كتب قبل ثلاثة شهور من العدوان الثلاثي على مصر:

"ان قيام اسرائيل بهجوم على الاردن وعلى سوريا اصبح اكثر احتمالا من الماضي، سيما وان ايدن صرح في مؤتمر حزبي بان بريطانيا ستحارب اذا هددت مصالحها النفطية في الشرق الاوسط، واننا لنعلم ان القناعة البريطانية هي ان احتفاظها بالنفط العربي مقترن بضرب النهضة العربية ومنع العرب من تحقيق امانيهم في الحرية والوحدة، فليس بعيدا اذن ان تعتبر بريطانيا ان اتحاد سورية ومصر يهدد مصالحها النفطية، فتلتقي مع مصلحة اسرائيل، التي تعتبر هذا الاتحاد مانعا لمطامعها التوسيعية وقضاء جديا على احلامها باقامة مملكة اسرائيل".

"ونحن واثقون من ان الشعب سيتلقى باعصاب متينة هذه المؤامرة البريطانية الاسرائيلية، سواء اكان القصد منها تحقيق بعض الاغراض بحرب الاعصاب، او كانت تقصد فعلا الى العدوان الحقيقي لان له من ايمانه واستعداده الحربي والمعنوي ما يجعله يدخل المعركة المفروضة عليه، ويخرج منها ظافرا، سيما وان القضية العربية لم تعد مجهولة في العالم، وانها تلقى تأييدا من شعوب آسيا وافريقيا ومن كل الاحرار في العالم".

جلسة الثقة بالحكومة القومية.

تظاهر الجميع اخيرا بالموافقة على حل الازمة، وقررت الحكومة القومية ان تجعل الميثاق القومي بيانها الوزاري، وبعد ان تنال الثقة تعلن للمجلس النيابي في جلسة لاحقة انها شكلت لجنة وزارية للشروع في مفاوضات الاتحاد مع مصر.

وعلى هذا الاساس عقد المجلس النيابي اول جلسة في دورته الاستثنائية بتاريخ 56/6/27 وفي هذه الجلسة خطب رئيس الوزراء متبنيا الميثاق القومي كبرنامج وزاري للحكومة القومية، وعند مناقشة الميثاق كان منير العجلاني اكثر النواب عنفا بالهجوم عليه والهزء به، وقد رد العسلي على النواب بخطاب جاء فيه:

"اما بعد الاستقلال فلم يكن رأينا بالنسبة للسياسة الخارجية واحدا، لان رواسب اربعين سنة تقريبا جعلت سياستنا التقليدية مع الدول الغربية، وفي ان مصلحتنا مع الغربيين، وان قضايانا يجب ان تحل بالتفاوض والمذاكرة معهم، ولكننا منذ ثلاث سنوات وقع في صفوفنا، حاكمين ومحكومين، جذب ودفع

واخذ ورد حول مصالحنا القومية حتى قيض الله لنا زمنا مباركا حيث اجتمع اخيرا ممثلو الاحزاب والكتل في هذا المجلس الخ.."

"وانا بوصفي رئيسا لهذه الحكومة القومية اقول ان هذا الميثاق الذي اراد بعض زملائنا الاكارم ان ينالوا منه هو حدث هام وكبير في هذه البلاد، فلقد استطاع ان يجمع البلاد على سياسة داخلية وعربية واجنبية حرة مستقلة اجمع الفرقاء والاحزاب والكتل النيابية في هذا المجلس على اقرارها، وعلى تحرير تلك الرواسب التي بقيت زمنا طويلا في نفوسنا وهذا شيء هام جدا في حياتنا نستطيع ان نفخر به"

"واستطيع التأكيد بأن هذا الميثاق الذي انبثق عنه بياننا الوزاري لن يكون منهاجا لهذه الحكومة فحسب، بل سيكون منهاجا لكل حكومة اتية، لاننا اتفقنا على ان ما فيه يرضينا وينفعنا وانه خير وحق وصدق لتحقيق امانينا في سياستنا العربية وفي سياستنا القومية، وفي بقائنا متمتعين بسيادتنا واستقلالنا احرار طلقاء في هذه البلاد..." " هذه كلمة مجتزأة ما احب ان أطيلها ولكني اجيب على سؤال آخر وجه الي عن رايي في البيان المشترك الصادر عن الجانبين السوري والسوفيتي، وانا شخصيا احب ان ادلي امام هذا المجلس الكريم بأني حضرت شخصيا هذه المباحثات وكنت ممتنا من نتائجها لانه ما من قيد يقيد سياستنا سواء اكان في الامر السياسي ام في الامر الاقتصادي، وكل ما نتقبله هو العون والمساعدة غير المشروطة بأي شرط يقيدنا اصلا وعلى ذلك اقول: انني لا استطيع ان ازيد شيئا على البيان المشترك وانه ليس فيه ابهام ولا ايهام ولا غموض..."

نالت الحكومة القومية من المجلس ثقة اجماعية، وقد كتبت بجريدة (البعث 29-6-56) اثر ذلك مقالا عن المهام السياسية للوزارة القومية:

ربما كان معنى السياسة العربية التحررية لا يزال غامضا واخذا صفة التجريد عند كثير من المواطنين، فما هو المعنى الواقعي الحي لهذه السياسة.

ليست السياسة العربية التحررية موقفا سلبيا من الاستعمار الغربي فقط، تقصد الى التحرر فقط، بل هي سياسة اقتصادية انشائية، ان التحرر من الاستعمار وان كان هدفا بذاته الا انه وسيلة ايضا للنماء الاقتصادي، وهو يظل

معرضا للانتقاص ما دام لم يدعم بوضع اقتصادي متطور، فما هي اذن ثمرات هذه السياسة قوميا واجتماعيا واقتصاديا؟ وماذا يمكن للحكومة القومية ان تقدم للبلاد من نتاج هذه السياسة في هذه المجالات؟

قبل ان تنتهج سورية سياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين الشرقي والغربي، اي قبل ان تمارس سيادتها واستقلالها، اضاعت زمنا طويلا وهي تستجدي السلاح من الغرب، والغرب موصد ابوابه امامها، بينما كان يسلح اسرائيل ويمدها بجميع المعونات المادية والمعنوية، حتى اصبحت اسرائيل، التي لا تتجاوز الارض التي اغتصبتها مساحة احدى المحافظات، ولا يتجاوز سكانها المليون والنصف ذات امكانيات عسكرية ومادية تتفوق على اقطار عربية تتجاوزها كثيرا في المساحة والسكان، اما الان فممارسة سورية سيادتها واستقلالها، وتحررها من النفوذ الغربي، فتح امامها باب التسلح الذي كان موصدا، وهذه هي احدى ثمرات السياسة العربية التحررية وعليها في الحقيقة يقوم البقاء والوجود العربي، في هذا الصراع بين الاستعمار الغربي والصهيوني من جانب وبين العرب من الجانب الثاني، واذا كانت سياسة التحرر قد شرعتها الحكومة الائتلافية، وخطت من بعدها الحكومة الماضية، وكان من نتائجها وصول السلاح الضخم الى سورية، فلا شك ان الحكومة القومية، التي هي اكثر الحكومات السابقة وضوحا وقوة بانتهاج السياسة العربة التحررية، سوف تفيد البلاد عسكريا باستكمال تسليحها وتصنيعها العسكري، وهذه هي اهم واجبات الحكومة القومية، وهي قادرة على الاضطلاع بها وتحقيقها، وكل توقف او تردد في هذا المجال يجعل البلاد معرضة لخطر عدوان اسرائيل، الذي لا يزال محتمل الوقوع في كل وقت.

وهذا يستتبع بالضرورة الاهتمام بالدفاع المدني وتعبئة قوى الامة المادية والمعنوية لان الاردن لا يزال شرارة الحرب التي يمكن دائما ان تطلقها اسرائيل ويجب ان لا يخدعنا الهدوء الحالي على خطوط الهدنة، فيقلل من حماسنا واندفاعنا لاستكمال اسباب القوة.

ومع ذلك فان استكمال بلادنا اسباب القوة بالتسلح والتصنيع الحربي يظل غير كاف امام عدوان الاستعمارين الغربي والصهيوني، اذا نحن لم نجن من السياسة التحررية اهم ثمراتها وهي الاتحاد مع مصر، وكما انه من المؤكد ان تحقيق اي خطوة اتحادية لا يمكن ان يتم الا عندما ينحسر النفوذ الاستعماري لان الاستعمار انما يقوم على التجزئة والسياسة التحررية لا

تقوم الا على الوحدة، فمن الادلة القاطعة على ان سورية ومصر تنتهجان سياسة مستقلة وتمارسان سيادتهما، سعيهما المشترك لاتحادهما واي حكم اقدر من الحكم القومي على تحقيق هذه الخطوة التي تصون للعرب حريتهم بل وبقائهم هذا عدا ما يحققه الاتحاد للشعب العربي عامة وللقطرين خاصة من نتائج في مجال التقدم والازدهار.

هذا في المجال القومي والسياسي، اما في المجال الانشائي والاقتصادي، فان السياسة العربية التحريرية هي التي فتحت الباب امام سورية للعمل على انشاء مصفاة للنفط تحررها من نفوذ الشركات الاستعمارية عسكريا واقتصاديا وسياسيا، وامام الحكومة القومية مهمة البت العاجل بهذا المشروع الخطير، وهي الحكومة التي يمكن ان تكون اكثر الحكومات تحررا من التأثير الاجنبي.

ولا يخفى ان تصنيع البلاد هو دعامة الاستقلال والحرية والازدهار واذا كان يقوم في وجهه في الماضي عقبات وصعاب يضعها الاستعمار، لانه لا مكان للاستعمار في بلاد متصنعة، فقد اصبح تصنيع البلاد احدى المهمات الرئيسية للحكومة القومية، اليس من الغريب ان تستورد بلادنا الاسمدة وهي لا تزال بلدا زراعيا، وما هي قيمة صناعتنا الناشئة، اذا لم نقم الى جانبها معامل المواد الكيميائية والورق؟

وان من اليسير على سورية بعد الان ان تقوم بدراسات صادقة لجميع ثرواتها مما هو في باطن الارض وظاهرها واذا لم يكن من الممكن لحكومتنا السابقة ان تتعامل حرة في الحقل الدولي، فما هو عذر الحكومة القومية الحالية، وهي القادرة على ممارسة حق السيادة كاملا؟ واذا ما انتهيا من دراسة ما ينطوي عليه باطن ارضنا وظاهرها من ثروات، امكننا عندئذ ان نقيم ايضا الصناعات المعدنية والثقيلة.

واذا كانت سورية قادرة على ان تمول اكثر مشاريعها الانشائية، سيما وان ارقام موازنتها في صمود يدعو للتفاؤل، فهي لا تزال غير قادرة على تمويل بعض مشاريعها الكبرى، التي تجمع بين صفتي انها زراعية وصناعية في ان واحد فاذا كان مشروع السد العالي في مصر مشروعا ضخما صناعيا وزراعيا، فان مشروع سد يوسف باشا (سد الفرات) لا يقل خطورة عن ذات المشروع صناعيا

وزراعيا بالنسبة الى سورية. فهذا المشروع الذي يكلف (600) مليون ليرة سورية، يروي اكثر من ثلاثة ملايين دونم عدا انه يكهرب سوريا بأجمعها باسعار رخيصة جدا، فهو اذا مشروع ضخم يحدث انقلابا في الاوضاع الزراعية والصناعية وبالتالي الاجتماعية ولكن سورية لا تستطيع تمويله، وقد اصبح الان تمويله قابلا للتنفيذ بعد ان انتهجت سورية سياسة مستقلة في الحقل الدولي، ولم يعد حلما يدغدغنا به الغرب، كلما طاب له، بان يميننا بقروض من المصرف الدولي او بمساعدات مادية. وقد طالما عزف لنا على هذا الوتر منذ عشر سنوات، ولكننا لم ننل شيئا- بينما تمول مشاريع اسرائيل بالمساعدات الضخمة وقد انتهت المعزوفة عندما وافق المصرف الدولي على اقراضنا (24) مليون دولار بفائدة فاحشة وبشروط تمس استقلالنا وسيادتنا، فهلا يمكن الان وقد اصبحت الحكومة القومية تنتهج صراحة وبقوة السياسة العربية التحريرية، ان تمول باسرع وقت هذا المشروع دون فوائد باهظة ومن غير شروط تمس السيادة والاستقلال؟

ان السياسة العربية التحررية هي طريق خلاص العرب وتقدمهم، اذا مضت بتنفيذها الطليعة العربية بتصميم وعزم ووعي وكسب للزمن..

التوقيع على الميثاق

اثر نوال الحكومة القومية الثقة الاجماعية، عقدت لجنة الشؤون الخارجية جلسة خاصة لاقرار مشروع الغاء الجوازات بين الاردن وسورية والاكتفاء بالهوية الشخصية، وللتوقيع على الميثاق من قبل مفوضي جميع الاحزاب والتكتلات، وقد عارض دعاة حلف بغداد المشروع الاول بحجة انه لا يشمل جميع البلاد العربية ثم اقر المشروع مع تعديله على اساس المعاملة بالمثل بالنسبة للبلاد العربية الاخرى، وكانت حجتهم في هذا المعارضة ان حرية التنقل تسهل امور التبادل التجاري بين البلاد العربية، بينما كان النواب الذين يريدون حصر موضوع التنقل حاليا بين سورية والاردن

يعتبرون ان اطلاق حرية التنقل بين سورية والعراق بدون تأشيرة مسبقة سيفتح ابواب سورية لعملاء حلف بغداد.

اما بالنسبة للميثاق فقد وقع عليه الجميع - دون استثناء - ولكن احمد قنبر وزير الداخلية صرح وهو يوقع عليه بأنه غير قانع به وانما هو ينفذ قرارا حزبيا.

جلسة البرلمان الاتحادية

اعلن رئيس الحكومة صبري العسلي في الجلسة التي عقدها مجلس النواب بتاريخ 5-7-56 ان "مجلس الوزراء قد اتخذ قرارا بالاجماع بتفويض لجنة وزارية لاجراء التفاوض بين سورية ومصر توصلا لاتحاد فيدرالي" ثم اردف قائلا:

"ارجو الله ان يوفقنا بهذه الخطوة المباركة حتى اذا تمت امكن ان اتقدم الى مجلسكم الكريم بالمشروع اللازم لاقراره من قبلكم، واحب ان اعلن ان هذا الاتحاد سيبقى مفتوحا لجميع الدول العربية المتحررة".

قابل المجلس تصريح العسلي بالتصفيق والترحيب والموافقة، ولم يعارضه احد من النواب ولكن بعضهم حاول ان يجعل مشروع الاتحاد عاما مطلقا حتى يشمل الدول المرتبطة بحلف بغداد، والذي لفت نظري آنذاك ان بعض المرتبطين بالسعودية حاولوا التشكيك بالمشروع وبامكان تنفيذه.

اما بالنسبة لحزب البعث فقد القى الكلمة التي هيأها الحزب النائب عبد الحليم قدور التي ورد فيها: "ايها السادة اذا كنا جادين في تقدير عظم الاخطار المحيطة بنا، فهذا الاتحاد خير سبيل للوقاية والدفاع، واذا كنا واثقين بأمكانيات شعبنا، مؤمنين بنزوعه الصادق للحرية والعدالة والوحدة فهذا الاتحاد سيكون المحرك الفعال لتلك الامكانيات سيضاعف الثقة بالنفس وينسق النضال ويختصر الزمن لخير العرب ولخير الانسانية"

وبعد ان فرغ النواب من القاء كلماتهم حول مشروع الاتحاد مع مصر، وافق المجلس النيابي بالاجماع على القرار التالي:

"ان مجلس النواب السوري تنفيذا للفقرة الثالثة من المادة الاولى من الدستور التي تنص ان الشعب السوري جزء من الامة العربية يؤيد قرار الحكومة الذي اعلنه رئيس مجلس الوزراء في هذه الجلسة والذي نصه:

انني اعلن للمجلس الموقر ان الحكومة اتخذت قرارا باجماع آرائها بتفويض لجنة وزارية لمباشرة المفاوضات مع الشقيقة مصر توصلا لتحقيق اتحاد فيدرالي بين قطرينا على يكون هذا الاتحاد مفتوحا للدول العربية المتحررة الاخرى حتى اذا تم الاتفاق على هذا الاتحاد تقدمنا بمشروعه الى مجلسكم الموقر لاقراره"

وقد رد الرئيس جمال عبد الناصر على قرار المجلس بالتصريح التالي:

"تلقيت بترحيب بالغ القرار الذي اتخذه مجلس النواب السوري مساء اليوم باقامة اتحاد بين جمهورية مصر وسورية، وان تحقيق هذا الاتحاد امنية يخفق لها قلب كل عربي مؤمن بالقومية العربية، وهو تحقيق للمادة الاولى من الدستور المصري والتي تنص على ان مصر دولة عربية مستقلة وان الشعب المصري جزء من الامة العربية، وقد وافق الشعب المصري بالاجماع على هذا الدستور، ولا شك ان هذا الاتحاد خطوة اساسية على طريق اقامة وحدة عربية شاملة تعزز القومية العربية وتمكنها من ان تقوم بدورها الفعال في مجالها الدولي".

اما الرئيس شكري القوتلي فقد باده الحكومة القومية بمشروع كونفدرالي للدول العربية المستقلة او المتحررة سربه للصحافة السورية، وهو يخالف تعهد الحكومة وقرار المجلس النيابي الذي نص على قيام اتحاد فدرالي بين مصر وسورية على ان يكون مفتوحا امام الدول المتحررة لا امام جميع الدول المستقلة او المتحررة،

وقد اعتبر مشروع القوتلي متطابقا ومنسجما مع السياسة السعودية.

احداث يومية هامة منذ مطلع شهر تموز 1956 :

سورية تتابع سيرها في طريق البناء والتحرر :

1- قررت سورية رفض قروض المصرف الدولي فقد استدعى صبري العسلي رئيس الوزراء السيد ستيفنسون ممثل المصرف الدولي المقيم في بيروت وابلغه قرار مجلس الوزراء بعدم توقيع اتفاقيات القروض مع المصرف الدولي.

وكنت قد توليت فيما سبق، في اجتماعات لجنتي الموازنة والشؤون الخارجية، معارضة القروض من المصرف الدولي، وبينت اسباب ذلك في العدد الاول من جريدة البعث في مقال تحت عنوان لم نجن من البحث في القرض الدولي الا المشاكل.

2- سورية تدعم لبنان بموقفه ضد شركة النفط العراقية..

"صرح صائب سلام وزير الدولة اللبناني بعد عودته من دمشق "بأن رئيس الوزارة ووزير الخارجية في سورية قد اكدا له ان سورية لن تقبل بحال من الاحوال بنقل انابيب شركة نفط العراق من لبنان الى سورية".

3- اقرت لجنة الشؤون الخارجية قبل زيارة شبيلوف دعوة وفد برلماني سوفياتي الى سورية ردا للدعوة التي وجهها البرلمان السوفيتي الى مجلس النواب السوري، وقد تم الاتفاق خلال زيارة شبيلوف للمجلس النيابي على ان تكون زيارة الوفد البرلماني السوفيتي الى سورية في شهر ايلول بمناسبة افتتاح معرض دمشق الدولي.

4- رد مجلس الدفاع القائم محل لجنة العفو لاحكام القضاء العسكري التماس العفو الذي قدمه المحكمون باغتيال عدنان المالكي وهم بديع مخلوف والرقيب منعم الدبوسي وفؤاد

جديد واحال اوراق القضية الى القصر الجمهوري مع مراسيم تنفيذ احكام الاعدام الصادرة بحقهم.

5- اعترفت الحكومة السورية اعترافا كاملا بالصين الشعبية، وقد ابرق وزير الخارجية صلاح البيطار الى شو ان لاي يبلغه هذا الاعتراف وتوجهت بعثة صينية الى دمشق لشراء كميات كبيرة من القمح السوري.

6- اقر مجلس النواب السوري بالاجماع في جلسة تاريخية الاتحاد مع مصر.

7- اعلن وزير الدفاع السوري ان العرب سيشعلون النار على طول الجبهة اذا تعرض الاردن للعدوان.

8- ستقيم الحكومتان السورية والاردنية في يوم الاثنين 16-7-56 احتفالا رسميا بمناسبة الغاء جوازات الحدود بين البلدين، كما تم الاتفاق على ان تبدأ مفاوضات الوحدة الاقتصادية بتاريخ 29-7-56.

9- قرر مجلس الوزراء فض عروض مصفاة البترول دون تأخير، كما استعرض اسماء المرشحين لادارة هذه المؤسسة، وقد اصبح امام الهيئة الفنية السورية مع الخبير المصري (رمزي الليثي) ستة عروض مقدمة من الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا وبريطانيا واليابان والولايات المتحدة وايطاليا

10- الدعوة لانشاء سد يوسف باشا اي سد الفرات وقد كتبت حول هذا الموضوع في جريدة البعث بتاريخ 6-7-56 مؤكدا على اهمية هذا المشروع وكنت اول المؤكدين على ضرورة تنفيذه.

□

ان سير سورية الحثيث في ميادين التسلح والانشاء والتعمير والتحرر السياسي الداخلي والخارجي الاقتصادي والاجتماعي والاتجاه في خطوات جادة نحو تحقيق الوحدة العربية والوقوف بحزم امام مطامع اسرائيل التوسعية كان مهددا بقلب

ميزان القوى لمصلحة العرب الامر الذي جعل الغرب عامة والدول الكبرى واسرائيل خاصة تنسق جهودها على كل المستويات للاطاحة بالنظام السوري بالرغم مما بينها من تناقضات استعمارية.

مؤامرة جديدة.

لم يكن شكري القوتلي موضع ثقتنا وقد ذكرت معارضتنا له فيما سبق من فصول هذه المذكرات، وكان آخر مواقفنا المعارضة له، عندما كلف لطفي الحفار بتشكيل الوزارة، وقد ادت هذه المعارضة الى فشله في مسعاه.

والحقيقة انه لم يخطر ببالي ان يعود القوتلي الى مواقفه المعادية للحزب لسبب بسيط وهو عجزه المطلق على الصعيدين السياسي والعسكري، فكان همنا منصرفا لتتبع تحركات عملاء حلف بغداد من السوريين القوميين والعشائر والطائفيين والضباط المسرحين وبعض رجالات الاحزاب والتكتلات السياسية المعروفين، وكنا قد الحقنا بهؤلاء جميعا هزيمة ساحقة لم يعودوا بعدها موضع خطر داهم على النظام وان كانوا موضع تهديد وازعاج دائمين، وقد ذكرت سابقا كيف ان مؤامرات حلف بغداد المستمرة كانت تزيد من التفاف الشعب والجيش حول الحزب والحركة العربية التحررية، ولم يكن خافيا ايضا ان بريطانيا والولايات المتحدة ستمارسان ضغطا كبيرا على رئيس الجمهورية لانقاذ السوريين القوميين الثلاثة المحكوم عليهم بالاعدام، فقد كانت انباء لبنان تفيد ان السوريين القوميين عقدوا اجتماعا في ضهور الشوير وقرروا خلالها القيام بحملة ارهاب واسعة النطاق في سورية اذا نفذت احكام الاعدام الصادرة بحق قتلة العقيد الشهيد عدنان المالكي، واعتبرت هذه الانباء وسيلة لجعل رئيس الجمهورية يمتنع عن توقيع قرار الاعدام الذي اقرته محكمة التمييز العليا.

□

لم يخطر في بالنا ابدا ان يكون اداة المؤامرة تاجر محترف ونائب من انصار الحزب الوطني ليس له اي ماض سياسي يدعى عبد

الحسيب رسلان وقد رشحه ميخائيل ليان للوزارة القومية فعين وزيرا للدفاع الوطني.

كان رئيس الاركان يدبر شؤون وزارة الدفاع اما الوزير فلم يكن سوى مجرد حلقة للاتصال بين الحكومة والوزارة، وقد ظهر للناس ان هذا التعيين كان بناء على رغبة رئيس الاركان ليكون اكثر حرية في تصريف شؤون الجيش.

كيف بدأت المسرحية وكيف انتهت.

بعد ايام من تشكيل الحكومة القومية وبتاريخ 3-8-56 نشرت الصحف انه سيدخل تعديل على الوزارة القومية فيتنحى صبري العسلي عن وزارة المالية ويستلم وزارة الدفاع الوطني بالاضافة الى رئاسة الوزارة، في حين يعهد الى عبد الوهاب حومد بوزارة المالية بدلا من وزارة المعارف، ويتخلى عبد الحسيب رسلان عن وزارة الدفاع ليصبح وزيرا للمعارف.

هذا التعديل كان تلبية لرغبة الجيش الذي اعتبر تعيين تاجر محترف وزيرا للدفاع امتهانا لكرامته، فكان طلبا طبيعيا ومشروعا لان تعيين عبد الحسيب رسلان عند تشكيل الحكومة وزيرا للدفاع كان موضع استغراب واستخفاف ولكن رسلان اصر على عدم التنازل عن وزارة الدفاع وهدد باستقالته من الحكومة اذا اجبر على ترك الوزارة.

كان استئساد رسلان موضع دهشة واستغراب، ثم خرجت الازمة سريعا من وراء الكواليس الى صحف حلف بغداد في دمشق التي شرعت تظهر رسلان بمظهر الرجل الحديدي على خلاف ما يعرفه الناس عن الرجل التاجر المسالم، وانه الرجل المرتجى الذي سيضع حدا لتدخل الجيش في السياسة.

كان تصورنا في بداية الازمة، ان الحل ممكن، وان من الاصوب عدم تعريض الحكومة القومية لازمة وزارية لا سيما وان اسبابها ليست هامة وخطيرة، فبذل رفيقانا الوزيران كل جهودهما

للتوفيق بين عبد الحسيب رسلان وشوكة شقير وتصفية جو العلاقات المتعكرة.

وفي الجلسة التي عقدها مجلس الوزراء بتاريخ 5-7-56 ابلغ حسيب رسلان الوزراء انه لن يستبدل وزارته بوزارة ثانية، وانه لن يستقيل من وزارة الدفاع، كما انه لا يستطيع التعاون مع رئيس الاركان شوكت شقير وهو يصر على استبداله بغيره، فوقف الى جانبه من الوزراء رشاد جبري وزير الزراعة ومجد الدين الجابري وزير الاشغال العامة والشيخ مصطفى الزرقا وزير العدل وقالوا بأنهم سيتضامنون معه وانهم سيتقدمون باستقالاتهم احتجاجا على عدم تلبية طلب زميلهم وزير الدفاع، وقد عارض وزير البعث بشدة اقالة رئيس الاركان شوكت شقير واحالته الى التقاعد وقد يرد هذا التساؤل:

لماذا وقفنا في هذه الازمة ضد تبديل رئيس الاركان شوكت شقير باحد رفاقه من الضباط الكبار في الجيش رغم ان موقف شقير في انتخابات رئاسة الجمهورية كان لصالح شكري القوتلي؟

لم يكن شوكت شقير مواليا للبعث، وانما كان انتماؤه شخصيا لجمال عبد الناصر في وقت بدأ فيه التقارب بين اتجاه الحزب وبين سياسة عبد الناصر، وقد ذكرت سابقا ان موقف شوكت شقير في تأييده لانتخابات شكري القوتلي انما كان يؤيد السياسة المصرية السعودية.

كان هذا التبديل الذي يريده شكري القوتلي الان، موجها مباشرة لحزب البعث وللسياسة التحررية التي يقودها الحزب، وللرأي العام بين صغار الضباط الذي يؤيد تأييدا تاما اتجاه حزب البعث، ولا شك ان الهدف من هذا التغيير هو محاولة السيطرة على الجيش مما سيؤدي بالتالي الى انعطاف البلاد نحو اليمين والى حلف بغداد.

فشل مجلس الوزراء في التوصل الى حل للازمة فأرجأ بحثها الى اجتماع آخر يعقد بتاريخ 7-7-56 وانصرفت الحكومة الى

اقرار الصيغة التي ستتقدم بها الى المجلس النيابي بشأن الاتحاد بين سورية ومصر.

وبتاريخ 6-7-56 اجتمعت بالزعيم شوكت شقير في بيته بحضور عبد الحميد السراج واستعرضنا الوضع، قال شقير:

ان عددا من رؤساء الشعب في الاركان وعلى رأسهم توفيق نظام الدين وعزيز عبد الكريم وعمر القباني وبتحريض من رئيس الجمهورية ووزير الدفاع عبد الحسيب رسلان يطالبون باقالته وتعيين توفيق نظام الدين بدلا عنه، وقد اشرت على الزعيم شقير الا يفكر بالاستقالة وقلت له اننا مستعدون للتعاون معه ودعمه.

كانت علاقة رئيس الجمهورية بالقضية قد خرجت عن حدود السرية والكتمان ولم تنقطع اجتماعاته العلنية مع وزير الدفاع وكبار الضباط في القصر الجمهوري وقد حضر بعضها صبري العسلي.

وبتاريخ 7-7-56 قدم شوكت شقير - دون ان يخبرنا الى وزير الدفاع طلب احالته الى التقاعد، فارسل بصورة مستعجلة مع تنسيب الموافقة عليه الى رئيس مجلس الوزراء صبري العسلي.

دعاني صبري العسلي مساء ذلك اليوم الى منزله فوجدته مجتمعا مع احمد قنبر وصلاح البيطار فاخبرني باستقالة شوكت شقير، وكنت قد علمت بها صباحا من بعض رفاقنا في الجيش، وقال لي انه اتفق مع رئيس الجمهورية على تعيين توفيق نظام الدين رئيسا للاركان العامة، ثم تحدث عن اجتماعاته مع كبار الضباط بحضور رئيس الجمهورية وقال انهم كانوا جميعا مجمعين على اقالة شوكت شقير.

قلت له:

لو كان تعيين رئيس الاركان يجري بطريقة استفتاء الجيش فان شكري القوتلي وضباطه لا شك خاسرون، لان غالبية الجيش السوري تعتبر ان اقالة شقير في الوقت الحالي مؤامرة على اتجاه سورية نحو الاتحاد مع مصر، كما ان الجيش قد اعتبر منذ

البداية ان تعيين عبد الحسيب رسلان وزيرا للدفاع هو امتهان لكرامته بل لقد حملوا شوكت شقير جزءا من المسؤولية، كما قلت:

نحن لا نفضل شوكت شقير شخصيا على توفيق نظام الدين، فالقضية تخرج عن حدود التفاضل بينهما لانها ذات غايات واهداف سياسية معينة، وانه لغريب حقا الا يتعظ شكري القوتلي من تدخله في الجيش هذا التدخل الذي ادى الى اول انقلاب عسكري عام 1949، ونحن نعلم ان الرئيس القوتلي يريد ان يصل بواسطة الجيش الى ما عجز عن تحقيقه بتكليف لطفي الحفار.

وهكذا اصبحنا امام الامر الواقع فوافق مجلس الوزراء بعد هذا الاجتماع الصغير على التبديل في رئاسة الاركان العامة، وصدر عن رئاسة مجلس الوزراء البلاغ التالي:

عقد مجلس الوزراء جلسة في دار الحكومة في الساعة الثامنة عشرة من يوم السبت الموافق 7-7-56 وقد اقر في هذه الجلسة احالة الزعيم الركن شوكت شقير رئيس الاركان العامة على التقاعد بناء على طلبه وتعيين الزعيم توفيق نظام الدين رئيسا للاركان العامة خلفا له.

غادر الزعيم شوكت شقير هو وعائلته دمشق في تلك الليلة الى قريته (ارصون) في لبنان:

والذي خيل الي آنذاك ان سبب استقالة شوكت شقير السريعة والمفاجئة يعود للاسباب التالية:

1- الايعاز المصري بضرورة الاستقالة دون اي معارضة لان الرئيس عبد الناصر كان شديد الحرص على مرضاة شكري القوتلي الذي كان وراء الاقالة.
2- موقف عبد الحميد السراج الانتهازي وكان شوكت شقير يغالي في الاعتماد عليه.

عين توفيق نظام الدين الزعيم عزيز عبد الكريم معاونا له، وكنت قد اجتمعت بالاخير قبل شهر من اقالة شقير في منزله بناء

على رغبته بعد انقطاع طويل، وقد شكا من الزعيم شوكت شقير واتهمه بالتقصير والانتهازية والاثراء غير المشروع من صفقات الاسلحة التي عقدتها وزارة الدفاع مع فرنسا وغيرها، كما حملنا مسؤولية دعمه وبقائه في رئاسة الاركان العامة، ولكنني تنصلت من المسؤولية وقلت له ان الزعيم اديب الشيشكلي هو الذي عينه رئيسا للاركان وتحدثت عن خلافاتنا معه ولا سيما بموضوع عودة شكري القوتلي وانتخابه رئيسا للجمهورية، وقلت له:

نحن لا نريد ان نتدخل بشؤون الجيش الا عندما تتعرض القضية الوطنية للخطر، والخلافات التي حدثت بيننا وبين الزعيم شوكت شقير لم تصل الى هذه الحدود..

من ذلك يتبين ان اقالة الزعيم شوكت شقير لم تكن وليدة خلاف طارىء بينه وبين عبد الحسيب رسلان وانما هيىء لها من قبل.

احدثت اقالة شقير دويا كبيرا في الصحف العربية والاجنبة واقترنت بشتى التعليقات، وكان معظمها يعزو اسباب الاقالة الى الخلاف بين مجلس الوزراء والجيش حول موضوع الاتحاد بين سورية ومصر. فسارع القوتلي الى الادلاء بتصريح اعلن فيه دعمه وتاييده للاتحاد بين القطرين، كما اكد الزعيم توفيق نظام الدين في مؤتمر صحفي، بأن رأي الجيش هو دوما من رأي الشعب وانه لا خلاف بينهما حول الاتحاد مع مصر وان هذه الانباء والاراجيف مختلفة ولا اساس لها من الصحة.

اقنعت هذه التطمينات جمال عبد الناصر فارسل المشير عبد الحكيم برقية تهنئة للزعيم توفيق نظام الدين الذي سافر فورا الى مصر لتوكيد الولاء وهكذا تخلى المصريون عن رجلهم بهذه السهولة.

كنا نحس ان هذه اللطمة لم تكن موجهة الى جمال عبد الناصر وانما كانت موجهة الى حزب البعث العربي مباشرة، بقطع النظر عن رأينا بالزعيم شوكت شقير، وقد تدارست قيادة الحزب هذا الحدث على الصعيدين الفكري والسياسي ولم يكن في

القيـادة اي خـلاف حـول اسـبابه ونتائجـه "تواصـل قيـادة حـزب البعـث العربي الاشتراكي اجتماعاتها منذ عدة ايام ويصر رجال القيادة علـى الصـمت التام في هذه المرحلة ويكتفون بالقول انهم يدرسون الوضع العام من مختلـف نواحيه، وعندما تنتهي هذه الدراسة سيتكلمون بصراحة، اذا احتاج الامـر الـى الكلام... لان من واجبات القيـادة ابقـاء القاعـدة الشـعبية مطلعـة دائمـا علـى مجرى الاحداث في الوطن" (الراي العام 10-7-56)

دولة عجيبة لا نعرف كيف نسوسها.

ولتوضيح اهمية الحـدث والقـوى المعاديـة التـي كانـت وراءه رأيت ان نثبت فـي جريـدة البعـث تعليقـات مـن الصـحف الامريكيـة والبريطانية حول الحدث ومراميه ونتائجه وقد جاء فيها:

ذكرت صحيفة المانشسـتر غارديـان "بـأن الصـراع العنيـف بـين اليمـين واليسار اخذ بالتبلور في سورية، وبعد ان كان النجـاح حليـف اليسـار فـي كـل المعـارك التـي خاضـها، فـان النجـاح سـيكون فـي كفـة اليمـين ولا سـيما وان الشبح الذي يخيف هذا اليمين قد شجب وليس من المستبعد ان يختفي"

وجاء في صحيفة (الديلي ميرور) ان نوري السعيد اكد للسير انتـوني ايـدن ان حلف بغداد سيوسع بالرغم من كل جهـود عبـد الناصـر" وقالـت "اذا علمنـا ان 20% من الموازنة العراقية تستنفذ الان فـي سـبيل ادخـال اقطـار اخـرى فـي حلف بغداد، واذا علمنا ان فاضل الجمالي يسـتطيع ان يتصـرف بـرقم قياسـي من المال بغية تنفيذ حلم نوري السعيد، وهو الان رئيس لمكتب دعاية اسس مؤخرا في بيـروت، ادركنـا الضـغط الـذي تعانيـه الـدويلات الصـغيرة" وقالـت "ان جميع الدلائل تشير حتى مدة وجيزة الى ان سورية تعمل علـى تفتيـت آمـال نوري السعيد ولا سـيما الجـيش فيهـا الـذي يتبنـى وجهـة نظـر متطرفـة فـي القضايا القومية والدولية، الا ان اعجوبة حدثت في المدة الاخيـرة قلبـت ميـزان القوة في سـورية بشـكل يضـمن مصـالح الاعضـاء البـارزين فـي حلـف بغـداد" وقالـت "اننـا لا نريـد ان نتفـاءل اكثـر مـن الـلازم **لان القاعـدة فـي الـبلاد المـذكورة تلعـب الـدور الرئيسـي فـي تخطـيط السياسـات الداخليـة والخارجية"**

وعلقت جريدة النيويورك تايمس على الحدث الاخير فقالت:

"اذا كانت اسرائيل هي الضمانة الاولى للمصالح الغربية في الشرق الاوسط، فان الضمانة الثانية هي حلف بغداد، ولا بد من ربط الضمانتين للاطمئنان على الشرق الاوسط، ومن هنا لا بد من الاعتماد مجددا على الضمانتين للضغط على سورية وهذا ما حدث في الاسبوع الماضي، فقد حشدت اسرائيل جيشها وحشد نوري السعيد اعوانه" وقالت "ان الانباء تشير الى ان المعركة يمكن ان تكون في صالح الضمانتين، **ولكن لا مجال للوثوق بسورية، ان هذه الدولة عجيبة ولا نعرف كيف نسوسها".**

والى جانب هذه التعليقات، كتبت في جريدة البعث 13-7-56 مقالا عنوانه "المقاصد الحقيقية للحدث الاخير" وقد احدث هذا المقال دويا كبيرا في الجيش والشعب وكان تأثيره عظيما جدا لصالح الحزب والقضية، وقد تداوله الناس وتناقلوه، سئل اكرم الحوراني عن ذوي النوايا الحسنة الذي عناهم في مقاله الاخير في جريدة البعث فقال:

"قصدت في ذلك العناصر التي استجرت في غفلة منها الى مختلف المؤامرات واحيل بعضها الى القضاء مثل مؤامرة العقيد صفا، والمؤامرة التي ذهب ضحيتها العقيد عدنان المالكي وقد حكم القضاء ببعضها في حين ان البعض الاخر اما طوى في لجان التحقيق او نام في الاستنطاق"

وفيما يلي نص المقال:

المقاصد الحقيقية للحدث الاخير

ان نتائج خطأ من يعمل في الحقل العام لا تعود عليه وحده، بل تعود على المجموع، فلا يحاسب اذن على نواياه بل يحاسب على النتائج الواقعية، لان هذه النتائج انما تصيب المجتمع بخيرها او شرها بقطع النظر عن حسن النوايا وسوئها ولذلك يمكن ان يقال بحق لامثال هؤلاء: **ان جهنم مليئة بذوي النوايا الحسنة، وجهنم هذه انما هي محاسبة الشعب، والشعب لا ينظر الا الى الوقائع، ولا يقيم وزنا للنوايا، لان ما يصيبه عل حالي حسنها وسوئها هو الذي يبقى، اما النوايا فتظل ملك اصحابها.**

ولذلك كان البحث في تنحية رئيس الاركان العامة، اثر اعلان الامة مباشرتها بالسعي لتحقيق الاتحاد مع مصر، وفي الظرف الذي تقيم به

اسرائيل التحصينات على الحدود السورية وتهدد بتحويل مجرى الاردن، وتنذر باحتلال ممر هداسا.. ثم عودة همرشولد لاثارة موضوعات- كمشروع جونستون - يقتضي كثيرا من الحذر وبعدا كل البعد عن اي تشويش اوتشويه او مغالطة، لان اي خطأ في بحث هذا الموضوع، عن حسن نية او سوئها، قد يؤدي الى نتائج خطيرة واحدة، وكل كشف للامور دون حذر شديد قد يفيد منه الاعداء ولذلك سنجهد للبحث في الموضوع بالاستناد على الوقائع المعروفة مع ربطها ببعضها والقاء بعض الانوار عليها.

ان الاستعمار يفيد دوما من اخطاء ذوي النوايا الحسنة اكثر مما يفيد من اجهزته وعملائه، ويحاول ان يوجه كل امر يقع في البلاد الوجهة التي تخدم اغراضه وغاياته.

وفعلا، عندما عزمت الامة على التخلص من الوضع الديكتاتوري الشيشكلي، حاول الاستعمار ان يفيد من هذا العزم وان يوجهه الوجهة التي يريد، وان يصل الى تثبيت نفوذه وتحقيق مقاصده.

ولا نذيع سرا حين نقول: انه بذلت مساع وصرفت اموال لجعل الثورة على الديكتاتورية في قبضة بعض الجهات الاستعمارية، ولو لم تنجح الثورة، واجريت محاكمة بعض السياسيين، لثبت انهم قبضوا اموالا وتصرفوا بها لمصلحة تلك الجهات الاستعمارية، ولكن الامة استطاعت ان تصل الى الخلاص من العهد الديكتاتوري، وان تحبط المؤامرة الاستعمارية، وان تحفظ سلامتها وسيادتها واستقلالها.

ولكن الاستعمار لا يرده الفشل، ولا يثنيه الاخفاق، ومن يعتقد غير ذلك يكن طفلا في نضال الاستعمار ومعالجة القضايا السياسية، فما كادت البلاد تخرج ظافرة من معركة الديكتاتورية ومحبطة مؤامرة الاستعمار حتى تعرضت لمؤامرة اخرى بقيادة العقيد صفا، تهدف لتقويض النظام الديمراطي وتسليم البلاد عن طريق الحكم الديكتاتوري الى الاستعمار. وقد تكشف هذه المؤامرة عن اشتراك عدد من السياسيين والعسكريين فيها.

وتبعت هذه المؤامرة الفاشلة مؤامرة اخرى قام بها الحزب السوري القومي من عسكريين ومدنيين وانتهت باغتيال الشهيد عدنان المالكي، وقد ثبت انها كانت لمصلحة الاستعمار الغربي والصهيوني وتكشفت عن شبكة للتجسس والتخريب اشتركت فيها مع الاسف بعض الحكومات العربية

لمصلحة الاحلاف الاجنبية، واحبطت المؤامرة ولكن بعد مأساة استشهاد العقيد الركن عدنان المالكي.

ولكن الاستعمار لا ييأس فبعد هذه الفضيحة الكبرى قام ايضا بمحاولة جديدة اشترك فيها بعض السياسين. الذي اغروا بعض العسكريين للقيام بانقلاب ولمصلحة الاحلاف الاجنبية.

ولو كتب لهذه القضية ان تخرج من الاستنطاق الى المحكمة، لعرف الشعب ان بعضا من العسكرين وكثيرا من السياسين الذين اشتركوا في هذه المؤامرة من قريب او بعيد هم انفسهم الذين اشتركوا في مؤامرتي صفا ومحاولة توجيه الثورة على الديكتاتورية الوجهة الاستعمارية وان بعضهم من الذين عملوا ايضا على تنحية رئيس الاركان العامة.

ولا بد لنا ان نؤكد، آسفين ان المساومة السياسية التي اجراها الزعيم شوكت شقير لطمس هذه المؤامرة، هي التي ادت الى تنحيته، ولا نريد ان نبحث الان عن القصد الذي دفعه الى هذه المساومة السياسية في قضية لا تخصه وانما تخص الامة وليست ملكا له وانما هي ملك للامة.

ولسنا الان بصدد الدفاع عن الزعيم شوكت شقير ولا بصدد الهجوم عليه، فهو شخص قد اخطأ، ولكن علينا ان نلاحظ ان اتجاهه كان سليما - وانما نحن بهذا الاستعراض في صدد تقرير الحقيقة التالية:

ان الاستعمار منذ بدء الثورة على العهد الديكتاتوري حتى الان لم يتوقف عن التآمر على سلامة البلاد وسيادتها، وانه كما كان يستغل شبكات التجسس والدعاية، كان يستغل اخطاء ذوي النوايا الحسنة، وانه كان بارعا في الاستفادة من اخطاء هؤلاء، وان كل المحن والتجارب القاسية التي تعرض لها الحكم الديموقراطي كان الاستعمار من ورائها، وانه ما زال يقوم بمحاولاته ولم يتراجع امام الفشل ولن يتراجع، وان القصد دائما هو تنفيذ ما عبرت عنه مقررات طهران السرية الاخيرة في القضاء على استقلال سورية وجرها الى حلف بغداد واقرار الصلح مع اسرائيل وعزل مصر عن القضية العربية.

ولو استعرضنا كافة المؤامرات منذ العهد الديكتاتوري، بل من قبله، الى الان، واسماء الاشخاص الذي اشتركوا فيها، لعرفنا الباكي على النظام الديموقراطي من المتباكي، ومن المدافع عنه باخلاص ومن الذي يتآمر عليه، ولعرفنا ايضا ان السياسيين العملاء هم الذين كانوا يستجرون الجيش

للسياسة، اذ لم تعرض قضية واحدة اثبتت ان العسكريين كانوا هم المبادهين، ولتقرر لدينا: ان اخطاء ذوي النية الحسنة كانت مجال استغلال من الاستعمار، وانها اكثر فائدة له من عمل عملائه واجهزته.

ونظن انه من المفيد ان نذكر ان انقلاب عام 1949 كان نتيجة محاولة بعض السياسين تمزيق وحدة الجيش واقحامه في تزوير انتخابات عام 1947 الى جانب فساد الحكم وكارثة فلسطين، وان اضبارة لجنة التحقيق البرلمانية التي قرر برلمان عام 1947 تأليفها للتحقيق بأسباب كارثة فلسطين، لتثبت بوضوح ان ما جرى من محاولات بعض السياسيين منذ عام 1945 -1949 هي التي انتهت بكارثة فلسطين وانقلاب 1949 الذي حرضه الاستعمار واستغله اسوأ الاستغلال.

افبعد تلك التجارب القاسية يحق لنا ان نتفاءل بما حدث، خاصة وكل الدعاية الاجنبية في بلادنا وخارجها، وكل الصحف العربية المأجورة والصحف الانكليزية والاجنبية قد ابدت حماسها واستبشارها، ووصفت الحادث بانه ظفر حققه الاتجاه نحو حلف بغداد في سورية؟

اننا نهيب بالمخلصين وبذوي النوايا الطيبة من عسكريين ومدنيين الى اليقظة والحذر الشديد، والى معالجة امور البلاد بروح قومية، والوقوف صفا واحدا امام الاستعمار وعملائه حتى لا يجدوا منفذا الى الجيش، الذي غذته الامة بدمائها وآلامها، واعتبرته حامي اعراضها ومقدساتها بل ووجودها.

وسيعلم الاستعمار وعملاؤه ان كل محاولة ومؤامرة ستخرج منها البلاد اشد تماسكا واعمق وعيا وفهما لقضيتها.

وسيعلم الاستعمار وعملاؤه انه مهما حصل من تبديل في الجيش فسيظل مؤمنا باتجاهه القومي ووحدته المتماسكة امام ما يهدد البلاد من اخطار منصرفا الى استعداده وتدريبه وسيعلم الاستعمار وعملاؤه ان المخلصين من السياسيين، على مختلف احزابهم وهيئاتهم، سيكونون اكثر وعيا وفهما لقضايا الامة ومعالجتها وترابطا وتماسكا في مواجهة الاخطار التي تتهدد البلاد من الداخل والخارج على السواء.

لم يكن بمقدورنا ان نفعل اكثر من هذا كما لم يكن في مصلحتنا ان نذهب بالعداء بعيدا لضباط اليمين الكبار في الجيش، وان نستمر في القطيعة في تلك الظروف الحرجة لحساب بقاء شوكت شقير في الاركان العامة ذلك الشخص الذي اصبحت اخطاؤه وتصرفاته تحسب علينا، في الوقت الذي زاد فيه خصومه واعداؤه في الجيش.

وهكذا انتهت القضية صلحا بيننا وبين قادة الجيش الجدد الذين جمعتنا بهم بالماضي معرفة وثيقة، ولم يدر بخلدنا ان ذلك كان المرحلة الاولى من محاولة السيطرة على الجيش وانه ستتبعها محاولة ثانية هي المحاولة التي ادت الى عصيان معسكرات "منطقة قطنا" عام 1957 والتي ستمر تفاصيلها فيما بعد...

من وثائق حلف بغداد لمنتصف عام 1956

من الملحق الساعة - 6.30
الى الاستخبارات التاريخ - 1956/6/28
الرقم - 101

اتصل اديب الشيكلي امس بمحمد معروف وطلب منه حضور اللواء غازي الداغستاني وبغسان طويل (شديد) تدارسا الموقف وخرجا بما يلي:-

1- وضع خطة العمل بعد وصول اللواء غازي الداغستاني
2- تصنيف الضباط الى موال ومناوىء وحيادي
3- نجاح الحركة يتوقف لحد كبير على ما سيقدمه العراق من مساعدة وعلى الكتمان
4- يتطلب تنفيذ الحركة شهرا تقريبا
5- ارسال صلاح لباريس ونشر خبر سفره للتمويه.

ثم اجتمع بجورج عبد المسيح وغسان ليلا حتى الساعة 130 لدراسة الموقف والتأكد على ما مر (0) بعد ذلك اوصل غسان اديب الى دار وديع الشيشكلي لينام بناء على طلبه (0) شدد اديب على كتمان المساعدة العراقية لان كشفها يضر بالحركة.

من الملحق الساعة - 700
الى الاستخبارات التاريخ- 1956/6/30
يستعجل اديب تشريف اللواء الركن غازي
ص 291 الجزء الاول محكمة الشعب

الى الاستخبارت التاريخ 1956/7/4
الرقم 105 مكررة
من اللواء غازي الداغستاني الى رئيس اركان الجيش (0)

واجهت غسان اليوم (0) لخصت رأينا في اسلوب العمل وطلبت اليه بيان خطته (0) سنلتقي غدا 7/5 للدراسة (0) اقابل اديب [3] مساء اليوم (0)

---

(3) تتقاطع هذه الوثيقة مع ما ذكره موشى شاريت (شرتوك) وزير خارجية اسرائيل ورئيس وزرائها سابقا عن اديب الشيشكلي.
ففي منتصف عام 1956 اي في تاريخ هذه الوثيقة الذي كانت بريطانيا تعد فيه انقلابا في سورية يشير شاريت في مذكراته الى تقرير تلقاه من جوش بالمون مستشاره للشؤون العربية

انوي مبدئيا إعطاءه غدا ثلث المبلغ فقط وترك الثلثين لدى صالح ليسحبها اديب بواسطة معتمدنا لنطلع على مقدار ووجهة الصرف ان امكن (0) رأيي سرعة ارسال الوجبة الاولى من الغدارات وعدد من الرمانات.
(ص 292 الجزء الاول كتاب محكمة الشعب)

من الملحق الساعة 1530
الى الاستخبارات التاريخ 1956/7/7
الرقم 110
من اللواء الركن غازي الى رئيس اركان الجيش (0)

لم اواجه اديب البارحة (0) انتظر الخطة المتفق عليها بيننا والقوميين من قبله ليعرضها بدوره على فاوافق (0) فهمت من القوميين انه ايد الخطة في اجتماعهم الاخير لكنهم لم يبحثوا الاسماء (0) اطلعت برأي القوميين بضرورة اعطائهم بعض البندقيات لتسليح الموالين الدروز والعلويين وفلاحي الغوطة لشل حركة الاشتراكيين والشيوعيين ان هؤلاء منظمون ومسلحون ويؤلفون خطرا يقتضي التهيؤ له (0) يرجو القوميون التشبث لتوسيط الملك حسين لدى القوتلي لحمله على تبديل حكم الاعدام بحق الموقوفين في مقتل المالكي في دمشق (0) يخشى في حالة تصديق الحكم ان يقوم انصارهم في دمشق بحركة لانقاذ المحكومين مما سيؤدي الى يقظة الحكومة والتشدد في مراقبة الحدود والضغط على لبنان للتنكيل بالحزب (0) بما ان ذلك يعرض حركتنا للخطر ارى ضرورة العمل على اسعاف طلبهم (0) آمل انجاز اتصالاتي غدا والعودة الاثنين. (ص 294 الجزء الاول، المصدر السابق)

من الملحق
الى الاستخبارات الساعة 1400
الرقم - 123 التاريخ 20-7-1956

بما يلي: "قمنا بتكثيف اتصالاتنا باديب الشيشكلي رئيس جمهورية سورية المنفي بعد الاطاحة به، "لقد وضعنا الخطوط العريضة لما يتوجب عمله بعد عودة الشيشكلي للسلطة، ونحن على اتصال بالولايات المتحدة فيما يتعلق بهذه القضية، (قراءة في مذكرات موشى شاريت تأليف ليفيا روكاخ - دار ابن خلدون - بيروت ص 45).

من اللواء الركن غازي الى رئيس اركان الجيش (0)

اتفق في اجتماع الاربعاء على ضرورة ايجاد رئيس للحركة يحل محل اديب فقر الرأي على العقيد فيصل الاتاسي(0) تقرر الاتصال به للوقوف على ميوله ورأيه في الحركة بصورة غير مباشرة (0) اتخذت الاجراءات لتأمين الاتصال عن طريق عدنان الاتاسي (0) لتطمين القوميين والاحرار ورغبتنا استمرار الحركة وعدم تأثير سفر اديب في موقفنا نحن. ارى وجوب اعطاء حوالي خمسة الاف دينار للقوميين والف للاحرار للاستمرار في اتصالاتهم وتهيئة اعوانهم للعمل (0) يخشون انسحاب العراق لذا ارى ضرورة اعطاء هذا المبلغ لتقوية معنوياتهم انبؤونا.

(ص 299 الجزء الاول - كتاب محكمة الشعب)

من الملحق الساعة - 1600

الى الاستخبارات التاريخ - 1956/7/20

الرقم -124

من اللواء الركن غازي الداغستاني الى رئيس اركان الجيش (0)

اجتمعنا مساء 7/19 بالجهتين (اي البريطانيين والاميركيين) (0) بحثنا موضوع الاس الجديد (0) كون فيصل الاتاسي شخصية عسكرية بحتة يؤدي الى انتقاد الحركة على انها انقلاب عسكري جديد رؤى من المفيد البحث عن شخصية سياسية تقبل بترأس الحركة على ان يقوم فيصل بقيادة الجزء العسكري منها (0) الشخصية السياسية الوحيدة التي اظهرت شجاعة مؤخرا وتردد اسمها عبد الحسيب رسلان (0) حصل الاتفاق على الاتصال به بصورة غير مباشرة للوقوف على ميوله والاتصال بنفس الوقت بالسياسيين الموالين لمعرفة ما اذا كان مستعدين على تبديل الوضع (0) اتفق على أنه من المناسب الايعاز الى الصحف الموالية في سوريا وخارجها بترديد اسم رسلان لتفكير الشعب به واذا ثبت انه مستعد للعمل القيام بحملة واسعة لابرازه كزعيم (0) الانكليز والامريكان مستعدون للمساهمة في هذه الحملة ومدها بالمال على ان يصرف عن طريقنا (0) لازال الطرفان متفقين معنا بوجوب الاستمرار في تنفيذ خطتنا الاساسية.

(ص 291 الجزء الاول من كتاب محكمة الشعب وقد تليت هذه الوثائق خلال محاكمة العقيد غازي الداغستاني معاون رئيس اركان الجيش العراقي)

جزء من وثيقة تليت خلال محاكمة العقيد غازي الداغستاني، وقد اعترف خلال المحاكمة انها مكتوبة بخطه وانها تليت في اجتماع وزاري في بغداد - ص 292 من كتاب محكمة الشعب.

نقاط يقترح بحثها في الاجتماع المقبل :

1- تخصيص المبالغ للدعاية ولاسناد الحركة، يجب تخصيص المبالغ المقررة بصورة نهائية في هذا الاجتماع وعدم ترك القرار حولها الى موعد اخر، اذ ان ذلك سيؤثر في سرعة انجاز الحركة كما ويؤثر في معنويات العاملين معنا اذ انه يحملهم على الاعتقاد باننا نشك في نزاهتهم ثم ان هناك خطر في افشاء سر الحركة في حالة وقوع تبدل في الحركة مما يضطرنا او قد يضطرنا الى مفاتحة رئيس وزراء او وزير مالية جديد بغية الحصول على المبلغ.

2- دعوة الوزير المفوض العراقي في دمشق الى بغداد لتبليغه بما يلي:-

أ- الاستمرار باتصالاته بالزعماء السياسيين بنفس الصورة والاوقات التي كانت تجري بها حتى الان دون تغيير على ان يصرف لهم منح مالية لمساندتهم وحملهم على تكتيل جماعاتهم وحثها على الدعاية للعراق وضد الدعايات التي يبثها رجال الحكم القائم في سوريا وتبثها القاهرة واحداث روح التذمر وعدم الرضا بين افراد وطبقات الشعب في الحالة الراهنة في سوريا.

ب- صرف المبالغ الى الصحف الموالية بشكل اوسع للدعاية للعراق والكتابة ضد الاوضاع في سوريا بقدر الامكان بصورة لا تثير الشكوك وتؤدي الى الاعتقاد بان هنالك حركة تنويها العراق في سوريا.

ج- العمل على ايصال جميع الاخبار التي تصل عن التكتلات وخطط العمل للاشتراكيين وضباط الجيش والشيوعيين باقصى سرعة الى ممثلنا في

لبنان واذا لم تتيسر واسطة امينة لايصال الخبر ففي الامكان الاستفادة من وسائط المخابرة المتيسرة لدى السفارة البريطانية في دمشق.

3- تعيين قائد عراقي لادارة الحركات يكون مقره في بيروت ويشتغل بمعيته ممثلون عن كل من بريطانيا والولايات المتحدة.

4- تكون المبالغ المخصصة للحركة بعهدة الملحق العسكري العراقي في بيروت، ويجري صرفها بامر من القائد اذا كان المبلغ المصروف لا يتجاوز الخمسة الاف دينار في كل مرة ولجهة معينة، اما اذا تجاوز المبلغ هذا المقدار فتطلب الموافقة من الهيئة العليا في بغداد برقيا ويقتضى عند ذاك ان تقوم الهيئة بتبليغ موافقتها برقيا ايضا.

5- تتألف هيئة عليا في بغداد لادارة الحركات سياسيا وعسكريا لوضع الخطوط الاساسية لها وتبليغ هذه الى القائد على ان يترك له حرية التصرف في تفرعات الحركة ضمن الخطوط العامة المقررة من قبل الهيئة وتتألف الهيئة هذه من جزءين وهما:

أ- الهيئة العليا المشتركة وتتألف من ممثلين عن كل من العراق وبريطانيا والولايات المتحدة تمثل اعلى الجهات الحكومية في البلدان الثلاثة.

ب- الهيئة العليا العراقية وتتألف من رجال الدولة الذين لهم اطلاع في الموضوع وتقوم برسم السياسة العراقية الخاصة فيما يخص سوريا وادارة الحركات فيها وما يعقب الحركات من تنظيم داخلي للامور.

6- يقترح ان يجري العمل في الهيئتين على اساس تأليف لجان فرعية تتفرع كل منها الى ناحية خاصة كاللجنة العسكرية واللجنة السياسية ولجنة الدعاية ولجنة المعونة الاقتصادية الخ."

احدى قوائم الاسلحة التي كانت ترسل من العراق الى المتآمرين على الوضع الديموقراطي في سورية من سوريين قوميين ورؤساء للعشائر (ص 524- كتاب محكمة الشعب)

(سري للغاية وشخصي)

من الاستخبارات العسكرية الرقم ش 01 ت 213/20/1
الى المحلق العسكري في بيروت التاريخ 1956/8/17

الموضوع ارسال اسلحة

ارسلنا لكم الاسلحة والاعتدة والاجهزة اللاسلكية المدرجة انواعها ادناه اضافة الى السلاح والعتاد المرسل في الوجبة الاولى وهو اربعون غدارة واثنى عشر الف طلقة نرجو ارسال وصلا بمجموعها اعترافا بالاستلام.

المواد	المحتويات
16 كونية كبيرة	في كل كونية اربعة صناديق يحتوي كل صندوق على اربعة غدارات المجموع 256 غدارة
31 صندوق خشب صغير	في كل صندوق 2500 طلقة عدا صندوق واحد فيه 1800 طلقة المجموع 76800 اطلاقة للغدارات.

الوجبة الثانية - استلمها غسان: (جديد)

200 بندقية جيكوسلوفاكية

19/968 طلقة عيار 303

4 اجهزة لاسلكية ارسلت مع هذه الوجبة.

256 غدارة

76/800 اطلاقة للغدارات.

الوجبة الثالثة - استلمها غسان (جديد)

500 بندقية جيكوسلوفاكية

50/000 اطلاقة عيار 303

60 رمانة يدوية كاملة

6 اجهزة لاسلكية

الوجبة الرابعة (أ) جبل الدروز وشكيب وهاب

500 بندقية (موزر) المانية

4 رشاشات لويس

4 بندقية ماوزر

2 قاذفات فيات

4000 طلقة عتاد عيار 303.

75/000 طلقة عتاد موزر

60 طلقة عتاد هويزر

قاذفة فيات 20.

الوجبة الرابعة (ب) المسلمة الى هايل السرور
300 بندقية موزر المانية

رشاشتين لويس

2000 طلقة عتاد

45 طلقة عتاد موزر

الوجبة الخامسة - الطيار
24 رشاشة لويس

6 قاذفات فيات

24/000 طلقة عتاد 303

60 قذيفة فيات.

الوجبة السادسة - نوري: (ابن مهيد)
800 بندقية موزر

4 رشاشات لويس

قاذفة فيات واحدة

20/000 طلقة عتاد 303

120/000 عتاد موزر

6 قاذفات فيات.

قنبلة هاون 3 عقدة عدد (20).

الوجبة السابعة- (دهام): (دهام الهادي)
400 بندقية جيكوسلوفاكية

100بندقية موزر

40/000 طلقة عتاد 303

15/000 طلقة عتاد موزر

الوجبة الثامنة - المدير:
500 بندقية جيكوسلوفاكية

65/000 طلقة عتاد 303

المجموع المرسل
1600 بندقية جيكوسلوفاكية
1700 بندقية موزر

34 رشاشة لويس

22 بندقية موزر

9 قاذفة فيات

224/968 طلقة عتاد 303

255/000 طلقة عتاد موزر

3 قنابل هاون

86 قاذفة فيات

120 رمانة يدوية

10 اجهزة لاسلكية.

تـأميم قنـاة السـويس ودور سـورية فـي دعـم عبـد الناصر وافشال العدوان الثلاثي على مصر - الدعوة في سورية لاستخدام سلاح النفط - الهيئة العربيـة السـورية لنصـرة مصـر - يـوم مشـهود فـي وحـدة النضـال العربـي- دعـوتي لتشـكيل فـرق المقاومـة الشـعبية - لجنـة الاتصـال للمـؤتمر الشـعبي تـزور الاردن ثم مصر.

لم يكن احد يتوقع كلما اقتربنـا مـن شـهر تمـوز 1956، فـي فترة تصاعد الحملة الهستيرية على سورية وتطويقها والتـآمر علـى وضعها الـديموقراطي ان معركـة اخـرى تنتظـر العـرب هـي معركـة تأميم قنـاة السـويس التـي سـتنتهي بـأفول الاسـتعمار الاوروبـي القـديم وتصـاعد نفـوذ الاسـتعمار الجديـد فـي منطقـة الشـرق الاوسط، والتي ستقترن بنهايـة الحيـاة السياسـية لرئيسـي وزراء فرانسـا وبريطانيا، موليه وايدن، وصعود نجم عبد الناصر حتى يصبح قائدا للامة العربية بدون منازع.

لقد كتب الكثير من المؤلفـات والمـذكرات ونشـر الكثيـر مـن الوثـائق حـول تـأميم قنـاة السـويس تناولـت اسـبابها الخفيـة وملابساتها الدولية وانعكاساتها المصرية والعربية والعالمية، والذي يهمنا تدوينـه فـي هـذه المـذكرات هـو النضـال الـذي خاضـه حـزب البعث العربي الاشتراكي، والدور الجرىء الذي لعبته سورية قوميا وسياسـيا واعلاميـا واسـتراتيجيا فـي معركـة التـأميم، وسنضـطر لتلخيص الجوانب الاخرى لمعركـة التـأميم مـن مصـادرها المعروفـة حتى يأخذ نضال الشعب في سورية مكانه الطبيعـي فـي الصـورة ضمن الاطار العام لتسلسل الاحداث التـي رافقـت واعقبـت تـأميم القناة.

الازمات الداخلية في سورية التي رافقت معركة التأميم

كانت هموم سورية منذ مطلع شهر تموز عام 1956 تتلخص فيما يلي:

1- وضع اسس الاتحاد مع مصر وتشكيل وفد وزاري للتفاوض مع عبد الناصر.

2- القلق الشديد من نتائج التبديل الذي حدث في رئاسة الاركان والخوف من انعكاساته على الجيش والحكم القومي والسياسة العربية التحررية.

3- افتعال تركية لحوادث الحدود واغلاقها مع سورية.

4- تهديدات اسرائيل بتحويل مجرى نهر الاردن واعتداءاتها المستمرة على خطوط الهدنة الاردنية.

5- نشاط الرجعية السورية وعملاء حلف بغداد من السوريين القوميين واشعال نار الفتنة الدموية في حمص وحماة وحارم:

"قاد رشاد برمدا في حارم بمسدسه هجوما مسلحا مع بعض افراد عائلته اشترك فيه اثني عشر شابا ضد البعثيين الاشتراكيين، مما ادى الى اصابة ثلاثة من البعثيين الاشتراكيين بالرصاص وقد نقلوا الى مستشفيات حلب لانقاذ حياتهم".. "يتحدثون في حمص عن مفرقعات القاها بعض السوريين القوميين، وعن نشرات عديدة وزعوها، ويقال ان عشرة ممن اشتركوا في هذه الاعمال قد القي عليهم القبض بالجرم المشهود، وبدأ التحقيق معهم من قبل الدوائر المختصة باستثناء واحد اطلق سراحه هو معن رسلان ابن شقيق وزير الدفاع الوطني" (الرأي العام 24 تموز 1956) وفي اليوم ذاته نشرت الجريدة ما يلي:

"كان حصاد استقبال عبد الرحمن العظم يوم جاء الى حماة لتمضية عطلة العيد ثلاثة جرحى والوف العيارات النارية التي اطلقت من المسدسات والاسلحة الاوتوماتيكية التي كان يشهرها من حشدهم الاقطاعيون في حماة لاستقبال سفير سورية في القاهرة عبد الرحمن العظم".

وكان عبد الرحمن العظم ممثل الاقطاعية في حماة قد قدم استقالته احتجاجا على تسلم البعث العربي الاشتراكي وزارة الخارجية، فقبل وزيرها الاستاذ صلاح البيطار استقالته، وكأن كل شيء كان معدا من قبل، فذهب العظم فور وصوله من القاهرة الى حماة في مظاهرة لاستعراض العضلات، ولولا انضباط افراد

الحزب والشعب لوقعت فتنة دامية، ولم يقف الامر عند هذا الحد منذ رفض القوتلي ان يوقع مرسوم تسريحه بداعي ان السفراء هم ممثلوه في الخارج وان تعيينهم وتسريحهم يعود اليه وحده، وكاد رئيس الجمهورية ان يحدث ازمة دستورية جديدة عندما قدم استقالته لرئيس المجلس النيابي لاصراره على بقاء عبد الرحمن العظم في منصبه وقد انتهت الازمة الجديدة بعد ازمة تبديل رئيس الاركان ببقاء العظم في منصبه وقد نشرت الصحف حول هذا الموضوع ما يلي:

"اجتازت الحكومة القومية امس ازمة كان يمكن ان تؤدي الى استقالتها بخروج الوزيرين البعثيين الاشتراكيين منها، وقد انتهت الازمة بعد اجتماع صلاح البيطار وخليل الكلاس الى رئيس الجمهورية.. وقد التزم الجميع الصمت في ايضاح الاسباب التي ادت الى ذلك"

وظل عبد الرحمن العظم سفيرا لسورية في القاهرة حتى قيام الوحدة بين البلدين..

سحب عرض تمويل مشروع السد العالي

لفت نظرنا كثيرا الزيارة التي اعلن ان الملك فيصل الثاني والوصي عبد الاله ونوري السعيد سيقومون بها الى لندن بتاريخ 1956/7/16 وتوقعنا ان تكون هذه الزيارة مقدمة لاحداث هامة، ولم يطل انتظارنا لهذه الاحداث اذ صدر اعلان من وزارة الخارجية الاميركية ووزارة الخارجية البريطانية والبنك الدولي بسحب تمويل مشروع السد العالي في مصر.

البيان الاميركي: بناء على طلب حكومة مصر اشتركت الولايات المتحدة مع بريطانيا والبنك الدولي في شهر كانون الاول عام 1955 في تقديم عرض لمساعدة مصر على انشاء السد العالي على النيل عند اسوان، والمشروع من المشاريع الضخمة جدا ويتطلب حسب تقدير الخبراء من 12-16 سنة لانجازه وتقدر تكاليفه بـ 1300 مليون جنيه تتضمن اكثر مما قيمته 900.000.000 دولار من النقد المحلي ولا ينطوي المشروع على مجرد حقوق ومصالح تخص مصر بل تتعداها الى دول اخرى تنساب مياهها في نهر النيل، ومن هذه الدول السودان والحبشة واوغندة.

وقد تضمن العرض الذي قدم في شهر كانون اول الماضي استعداد الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لتقديم مساعدات مالية للمساعدة على تمويل بعض الاطوار الاولى للعمل في المشروع والتي ستعود بالفوائد على مصر لوحدها، مع العلم بأن انجاز المشروع يتطلب حلا مرضيا لمشكلة الحقوق في مياه النيل، وكان من جملة الاعتبارات الاخرى الهامة التي تؤثر في امكانية انجاز المشروع ومن ثم على امكانية الحصول على مساعدة اميركية، استعداد مصر ومقدرتها على توجيه مواردها الاقتصادية الى المشروع الانشائي الضخم، الا ان التطورات التي طرأت خلال السبعة اشهر التي تلت العرض لم تكن في مصلحة نجاح المشروع، ولذلك وجدت الحكومة الاميركية انه ليس من الامور العملية في الظروف الحاضرة المساهمة في المشروع، خصوصا ان الدول التي تنساب عبرها مياه النهر لم تتوصل بعد الى اتفاق كما ان مقدرة مصر على تخصيص موارد كافية لضمان نجاح المشروع اصبحت من الامور المشكوك فيها اكثر من الوقت الذي قدم فيه العرض.

ان هذا القرار لا يعكس ابدا صورة اي تغيير في العلاقات الودية بين حكومة وشعب الولايات المتحدة وبين حكومة وشعب مصر كما انه لا يؤثر عليها.

فالولايات المتحدة ما تزال تهتم اهتماما عميقا برفاهية الشعب المصري وفي تطوير النيل، وهي مستعدة للنظر في الوقت المناسب وبناء على طلب الدول الواقعة على ضفاف النيل في الخطوات التي يمكن اتخاذها للاستفادة من موارد مياه النيل لمنفعة شعوب المنطقة، وفوق ذلك كله فان الولايات المتحدة ما تزال مستعدة لمساعدة مصر في مساعيها لتحسين احوال شعبها الاقتصادية ومستعدة عن طريق الوكالات المختصة للبحث في هذه المسائل ضمن اطار الأموال التي رصدها الكونغرس لهذه الغايات.

الانسحاب البريطاني: "صرح سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم ان مشروع السد العالي في اسوان لا يتطلب مساعدة اجنبية ضخمة فحسب، بل وايضا مراقبة شديدة من قبل مصر على اقتصادها الداخلي، ومضى يقول ان الاحداث الاخيرة التي حصلت في مصر قد حملتنا على الشك بامكانية اخراج هذا المشروع الى حيز الوجود في الوقت الحاضر، ثم استطرد يقول: ان المشروع اذا ما طبق سيغير مستوى المعيشة لدى سكان وادي النيل شريطة ان توزع الارباح بالتساوي، واعترف لويد بأن حصول

مصر على الاسلحة من الكتلة الشرقية مقابل القطن كان من الدوافع التي حملت بريطانيا على سحب عرضها للمساهمة في تمويل مشروع السد العالي، مع ان ناطقا بلسان وزارة الخارجية البريطانية قد كان قبل ذلك بأيام قلائل ينفي ان يكون لصفقة السلاح علاقة بسحب العرض.

وقال وزير الخارجية:

"اننا نود ان نقيم علاقات ودية مع مصر وان التطور نحو اقامة علاقات ودية في المستقبل منوط بالحقائق والاجراء الذي ستبرهن بواسطته مصر بأنها لا تريد ان تنسف المصالح المشروعة لبريطانيا في الشرق الاوسط".

كما ان متحدثا بلسان المصرف الدولي للانشاء والتعمير في واشنطن صرح بأن اشتراك المصرف في تمويل مشروع السد العالي كان مرهونا بتقديم الولايات المتحدة وبريطانية المعونة لهذا القرض ولكن تراجعهما عن عرضهما الغى عرض البنك.

كان سحب الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي تمويل مشروع السد العالي امرا منتظرا، ولم يقابله الرأي العام بالاهتمام الكبير طالما ان الاتحاد السوفيتي كان مستعدا لتمويل هذا المشروع.

عبد الناصر يعلن تأميم قناة السويس.

بعد ستة ايام من سحب التمويل الغربي لمشروع السد العالي خطب عبد الناصر بمناسبة الذكرى الخامسة لثورة 23 يوليو فأعلن تأميم شركة قناة السويس وتجميد اموالها في الداخل والخارج لاستخدام ارباحها في تمويل مشروع السد العالي، كما اعلن ترحيب مصر بالاتحاد مع سورية قائلا:

"اننا نعرف من هم اعداؤنا ومن هم اصدقاؤنا، وانا اتجه اليوم الى اخوان لكم في سورية العزيزة، سورية الشقيقة، وقد قرروا ان يتحدوا معكم لندعم معا مبادىء القوة والكرامة ولنرسي الوحدة العربية... اقول لاخوانكم في سورية باسمكم:

اننا نرحب بكم وسنسير معكم يدا واحدة وقلبا واحدا، ورجلا واحدا، لنقيم بين ربوع الوطن العربي، استقلالا سياسيا واقتصاديا حقيقيا"

كما نادى بالزحف المقدس لتحرير البلاد العربية وتوحيدها من سواحل الاطلنطي الى الخليج العربي، وندد بالمؤامرات الاميركية والبريطانية المتوالية لاذلال مصر واخضاعها، والقضاء على القومية العربية، كما ندد باغداق الولايات المتحدة ملايين الدولارات على اسرائيل بدون اي قيد او شرط، وروى ان وزير الخارجية الاميركية حمل مساعده (ألن) رسالة تهديد بعد عقد صفقة الاسلحة التشيكية، فرفض عبد الناصر استلامها فتراجعت الحكومة الاميركية عن تهديدها، وقد اعلن عبد الناصر في الجماهير المحتشدة نص القانون التاريخي في تأميم شركة قناة السويس وهذا نصه (56/7/26).

"قرار من رئيس الجمهورية لتأميم الشركة العالمية لقناة السويس:

باسم الامة:

مادة اولى: تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وتحول الى شركة مساهمة مصرية وتنتقل للدولة بجميع ما عليها من اموال وحقوق وما لها من التزامات وتحل جميع اللجان العليا واللجان القائمة على ادارتها، ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكون من اسهم وحصص بقيمتها المقدرة عند صدور هذا القانون ويتم التعويض بعد استلام الدولة لجميع مهمات الشركة.

مادة ثانية: يتولى ادارة مرفق المرور بقناة السويس هيئة مستقلة تكون لها الشخصية الاعتبارية وتلحق بوزارة التجارة ويصدر بتشكيلها قرار من رئيس الجمهورية، ومع عدم الاخلال برقابة ديوان المحاسبة يكون للهيئة ميزانية مستقلة، تبدأ في اول يوليو وتنتهي في آخر يوليو كل عام، وتبدأ ميزانيتها من تاريخ العمل بهذا القانون.

مادة ثالثة: تجمد اموال الشركة المؤممة في جمهورية مصر والخارج، ويحظر على البنوك والهيئات والافراد التصرف في تلك الاموال بأي وجه من الوجوه.

مادة رابعة: تحتفظ الهيئة بجميع موظفي الشركة المؤممة، ولا يجوز لاي منهم ترك عمله الا باذن من الهيئة المنصوص عليها في المادة الثانية.

ونص القانون على عقوبات السجن والغرامة على مخالفي الاحكام الواردة في المادتين 3،4"

□

كنت يوم القى عبد الناصر خطابه هذا طريح الفراش، ومع ذلك فقد كنت شديد الاهتمام بالاستماع اليه.. ولما اعلن عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس انهمرت الدموع من عيني ولم استطع ان امسك نفسي عن البكاء وكنت اردد بصوت مرتفع جواب محكم عظيم من زعيم عربي عظيم.

كان مقدرا ان يجتمع المجلس النيابي السوري في ذلك اليوم، ولكن قاعة المجلس فرغت كما قيل لي من النواب الذين تركوها الى الغرف الجانبية والى المقاهي المجاورة للمجلس يستمعون مع الشعب الى خطاب التأميم، واقول بكلمة مختصرة:

ان تأميم القناة جعل الشعب العربي صفا ثوريا موحدا بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر، وبالمقابل فقد كشف انطوني ايدن بمذكراته فيما بعد عن مدى الذعر الذي اصاب الاستعمار والاوساط الرجعية الحاكمة آنذاك.

يقول ايدن:

"كان ملك العراق وخاله عبد الاله الوصي على العرش ونوري السعيد الذي كان صديقا شخصيا لي طيلة ثلاثين عاما يقومون في شهر تموز بزيارة رسمية للندن، كانوا يتناولون العشاء معي في داونينغ ستريت، وكان معنا سلوين لويد واللورد سالسبوري، وكنا على المائدة عندما جاء احد امناء سري الخصوصيين يحمل الي نبأ تأميم عبد الناصر لقناة السويس... فأبلغت ضيوفي النبأ، فرأوا بوضوح ان هناك حدثا قد غير كل المرئيات، وادركوا فورا بأن كل شيء يتوقف على العزيمة التي سنقابل بها هذا التحدي، وانتقلت فورا الى قاعة مجلس الوزراء لندرس ما يجب ان نفعله (ص 234 من مذكرات انطوني ايدن، الجزء الثاني)

قرار تاريخي يتخذه مجلس النواب السوري

اصدرت الحكومة القومية بيانا بتأييد مصر في تأميم القناة، فقرر المجلس النيابي تأييد الحكومة في بيانها ووضع كل امكانيات سورية في معركة التأميم التي تخوضها مصر بقيادة عبد الناصر، وفيما يلي البيان الذي اصدرته الحكومة والقاه في مجلس النواب رئيسها صبري العسلي.

حضرات النواب المحترمين

بالامس اتخذت الحكومة المصرية قرارا اذاعه رئيس الجمهورية، بتأميم شركة قناة السويس العالمية، وانه ليسر الحكومة التي اتشرف برئاستها ان تعلن تأييدها القوي المطلق وتأييد الشعب العربي في سورية لهذا التدبير الحكيم، الذي جاء في وقته المناسب، يحرر الشقيقة العزيزة مصر من ربقه اعظم غل من اغلال الاستعمار الاقتصادي.

وحكومتي مقتنعة تمام الاقتناع، بأن ما فعلته الحكومة المصرية هو حق من حقوقها المشروعة التي تنبع من مفهوم السيادة القومية، وتدبير من التدابير التي تقر الشرائع الدولية والسابقات العملية اتخاذها، وليس لاحد ان ينازعها هذا الحق المشروع.

ونحن الذين نرى ان سلامتنا وسلامة مصر قائمة على اتحادنا العربي الذي نعمل له جادين، نريد ان يعلم كل انسان في هذه الدنيا، اننا سنقف الى جانب شقيقتنا الكبرى في سرائها وضرائها، وسنضع جميع امكانياتنا في سبيل رد الاذى عنها.

ولقد ان للدول المستعمرة ان تبدل عقليتها وطراز تفكيرها، وتقيم علاقاتها مع الامة العربية على اساس الحق الدولي والمساواة بين الامم، والبعد عن التحكم والاستثمار، والاعتراف لكل شعب عربي بحقه الصريح في السيادة وتقرير المصير، وبدون ذلك ستظل روح النقمة والحقد تغلي في صدر كل عربي.

ان العرب يخوضون معركة حريتهم وحقهم في الحياة، وان الله سيأخذ بيدنا لتحقيق ما تصبو اليه اجيالنا الصاعدة، ولنحتل مكاننا الطبيعي تحت الشمس،

كعضو نافع في الاسرة الدولية ولن يجعل الله خاتمة هذه المعركة الا ظفرا مشرفا ونصرا مؤزرا.

الدعوة لاستخدام سلاح النفط

وقد رأيت ان الفرصة قد سنحت لتنفيذ ما اقترحته عام 1946 في سبيل انقاذ فلسطين، وهو استخدام سلاح البترول في معركة تأميم قناة السويس لاعتقادي ان ذلك هو الطريق العملي الذي يمكن فيه لسورية ان تساهم في المعركة مساهمة جدية، وانني اقول بفخر واعتزاز وللمرة الثانية، ان صوتي كان اول صوت عربي دعا لاستخدام سلاح البترول في معارك العرب الكبرى معركة فلسطين ومعركة قناة السويس، فمنذ اليوم الاول لتأميم القناة اقترحت على قيادة الحزب استخدام البترول سلاحا في المعركة فأقرت الفكرة فورا وهكذا صرحت للصحافة بما يلي:

"ان قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي تتدارس الان التدابير الرسمية والشعبية التي يجب اتخاذها اذا ما اقدمت الدول الغربية على اتخاذ اية اجراءات عنيفة ضد مصر.." ثم فصلت ذلك بتصريح لجريدة الرأي العام 31-7-56:

"يجب ان يحرم الغرب من البترول العربي حالا اذا ما اقدم على اتخاذ اية تدابير عنيفة ضد مصر العربية، وان الوزراء البعثيين سيطلبون من الحكومة ان تقر عملية قطع البترول العربي الذي يمر في الاراضي السورية عن الغرب، ونحن نعتقد ان الحكومة القومية ستوافق على ذلك، كما اننا سنطلب من منظمات حزبنا ومن اصدقائه في سورية ولبنان والاردن والعراق والمملكة العربية السعودية والامارات العربية ان يقوموا بواجبهم القومي فيدمروا منشآت البترول لئلا يستعمل الغرب بترول العرب ضد مصر الشقيقة.

كان الرأي العام في سورية مجمعا على الوقوف بجانب مصر في معركة التأميم مهما بلغت التضحيات حتى ان الصحف السورية التي تلوذ بحلف بغداد غيرت لهجتها فجأة واضطرت ان تراعي الشعور القومي الجارف الذي رافق تأميم القناة في سورية وخارجها، فقد كانت الانباء تحمل تهليل بعض الصحف العراقية لتأميم قناة السويس، كما تحمل التصريحات الطيبة التي ادلى بها

بعض نواب العراق، بالاضافة الى بيانات الاحزاب الوطنية والقوى التقدمية، اما حكومة نوري السعيد فقد التزمت الصمت المطبق.

ولم يشذ عن هذا الاجماع في سورية الا صوت جلال السيد حيث كتب في جريدة الحضارة التي كانت تمول من قبل حلف بغداد ويقوم على تحريرها ناجي مشوح مقالا عن اهمية هذا التأميم واعتبر ان الموضوع لا يتعدى بحجمه تأميم سورية للسكك الحديدية، فلم أشأ ان ارد عليه لان ما كتبه كان اكبر كاشف لحقيقة سياسته ومواقفه بالاضافة الى ان صلاح وميشيل كانا يكرهان كثيرا ان اتعرض لجلال السيد، ولكن جلال لم يقف عند هذا الحد فقد اردف مقاله الاول بمقال ثان، هزأ فيه من دعوتي لاستخدام سلاح البترول ضد الغرب فيما اذا اقدم على مهاجمة مصر واعتبرها دعوة تخريبية خطرة بالاضافة الى عدم قدرتنا على تنفيذها، فأذكت مقالاته في نفسي ثورة عارمة تجلت في المقال الذي كتبته ردا عليه في جريدة البعث (العدد 14 عام 1956) تحت عنوان: صغار وتافهون الذين يرتجفون امام دوي الثورة، فيما يلي نص المقال:

بالثورة نفسها تفرض امة من الامم نفسها كأمة مبدعة، لان الثورة انما هي عملية ابداع كلية يشترك بها كل الشعب، فهي لذلك خروج من الواقع بعنف يغير هذا الواقع الفاسد الذي تراكم خلال قرون مما لا يمكن ان تصلحه عمليات جزئية، بل لا بد من تهديمه مرة واحدة لغرض واقع جديد كل الجدة، حي ومتطور، والثورة خروج بالشعب، بكل افراد الشعب، من تفاهة الحياة اليومية، ومن صغار المصالح الفردية، وتأجيج للحياة في كل نفس، ولذلك كانت نارها المقدسة وحدها هي القادرة على ان تصهر كل الافراد في وحدة، وان تذيب كل الجزئيات في مثل اعلى.

والثورة لا تفتعل افتعالا، وانما هي لحظة، لحظة في حياة شعب تمرد على واقعه، وبدأ يناضل، والطاقة الثورية فيه تتزايد الى ان تبلغ درجة من النضج تنتظر معها اللحظة المناسبة لتنفجر قوة مهدمة بانية، وهذه اللحظة الثورية في الحد الاقصى، لا يدركها العقل، لانها فوق العقل، وان كان يقدم لها مقدماتها، ويحاول ان يجد

لها مبرراتها، ولكن القادة الشعبيين يستطيعون بتوحدهم مع الشعب وتوغلهم في نفسه ان يحددوها بلمح المكتوب في المستقبل الذي سيصبح واقعا في المستقبل.

ولحظة ثورة العرب حانت، لقد سبقتها انتفاضات وثورات جزئية ولكنها لم تكن الثورة الكلية، كانت إرهاصات بها ومقدمة لها ، والان اشرفت على قمتها، وكادت الثورة العربية الكلية التي تصهر كل العرب في وحدة ان تشب في كل اقطار العرب، في كل وطنهم الموحد.

واذا تساءلنا عن الاسباب التي تجعل لحظة الثورة الكلية الكبرى حانت، نجدها في ذلك الضيق الشعبي الثائر من الاصلاحات الجزئية الكاذبة، ومن الاساليب السياسية المتربصة الحذرة الجبانة فالطاقة المتدافعة تجد في هذه السياسة الاصلاحية سدودا امامها، ولذلك تغلي محتدمة لتحطيمها.

اننا نجد هذه الطاقة في سعة افق النضال العربي الذي لم يقتصر ويحدد في المشاكل القطرية، بل بدأ يطرح كشعار له الاهداف العربية الكلية، اي بدأ يواجه قضية العرب بكل اتساعها وبكل تعقيدها وبكل ثقلها وبكل المسؤولية المترتبة عليها.

ان الثورة لا تعلن رسميا، وانما ينفجر بها الشعب دفعة واحدة، وفجأة، ولذلك لا يعلم بها الطغاة ولا تعلم بها الفئات الحاكمة وانما تعلنها باسم الشعب قيادة الثورة، تعلنها هذه القيادة بثقة جريئة، خارجة عن حدود المعتاد ويتلقاها الشعب بفرحة رغم انها تعرض عليه التضحيات الكبرى، لان ما كان في النفس قد انبثق ليصبح واقعا.

ولذلك عندما اعلن الرئيس عبد الناصر تأميم قناة السويس، هذه القناة التي شقت بحياة مائة وعشرين الفا من العرب، والتي ظلت اكثر من ثمانين عاما حقل استثمار من قبل المستعمرين، بل وسبب استعمار ايضا، وعندما بدأت الدول الغربية تهدد بالحرب واحتلال مصر استبشرت وقلت:

ان لحظة الثورة حانت، وايد تفاؤلي ذلك الجنون الذي ميز لهجة الدول الغربية الاستعمارية، فكأن الشرق بالنسبة اليهم قد توقف وكأنهم ما زالوا في عهد عرابي.

وان ما يميز لحظات الثورات الكبرى ان القوى التي تقاومها الثورة تكون في حالة تخلف عن فهم تطور الزمن، بينما تكون القوى الثورية على قمم تموجه.

ان الحرب والاحتلال شيء خطير وشيء مخيف ايضا، ولذلك خشيت ان اكون قد استبقت اللحظة الثورية بفرحتي وتفاؤلي، فرجعت الى الشعب، واذا فرحته هي نفس فرحتي وتفاؤله نفس تفاؤلي.

كلمات عبد الناصر تتلقفها كل الانفس بثورة مطمئنة، كل الاعين كانت تشع بالحماسة والاقدام والتفاؤل.

لم يكن عبد الناصر ثوريا فقط وانما قائدا لثورة.

انه لم يعلنها على المستوى الرسمي، لم يستدع السفراء، بل استدعى الشعب العربي واعلنها للشعب العربي.

انه لم يطرحها كمشكلة مصرية، بل طرحها كقضية عربية، ولم يناد من في مصر، بل نادى كل الشعب العربي من الاطلسي الى خليج البصرة، وقد استجاب له كل الشعب العربي من الاطلسي الى البصرة، وحين تحدى فرنسا بالشعب العربي في الجزائر، استجاب له مناضلو الجزائر وابطال الجزائر مباشرة.. كذلك من يقود ثورة امة.

انه لم يتحد دولة واحدة، ولا عدوا واحدا، بل كل الدول الاستعمارية وكل الاعداء دفعة واحدة، تحدى نظاما كاملا، وكذلك اندفاعه الثورة لا تجتزىء المعركة بل تدخلها في كل جبهاتها.

انه فوق ذلك اشعلها بفعل، لقد انتهى دور الكلمة التي تربي النفوس وتهيؤها للثورة، لقد اشرفت النفوس على الثورة، ولذلك فالكلمة انما هي فعل نافذ في الواقع، وإلا لا تكون الثورة ثورة

صادقة، بل تكون كاذبة لان الثورة الصادقة انما هي خلق واقع، ولذلك تمتاز بالروح الواقعية.

صغار وتافهون اولئك الذين يرتجفون امام دوي الثورة، وصغار وتافهون اولئك الذين يسخرون باسم العقل من نداءات الثورة.

وصغار وتافهون اولئك الذين استقبلوا الدعوة الى استخدام السلاح النفط وتحطيم كل المصالح الاستعمارية بالهزء والاستخفاف.. انهم ليسوا على شرف لكي يفهموا شرف الثورة.

ان معركة العرب مع الاستعمار الغربي، التي بدأت منذ اكثر من ثمانية قرون اشرفت على ختامها، ان الاستعمار الغربي يبدو في عنفوان جوره وطغيانه، ولكن هذا العنفوان ينطوي على بقايا القوى التي تنتفض للحظة قبل الزوال.

ان الشعب العربي قد بلغ القمة في طاقته الثورية، وقادته الحقيقيون كانوا ينتظرون اللحظة التي تنفجر فيها هذه الطاقة فتعمد العرب بنار الثورة المقدسة، وقد حانت وحان توحد العرب ايضا، وان الشعب العربي ينتظر بتلهف ان يتزايد جنون الدول الغربية الاستعمارية وسيرى العالم ماذا سيفعل في جزيرته واماراته وفي عراقه ومغربه، وسيرى الغرب كيف ستدمر مصالحه وقواعده، وسترى الانسانية ميلاد الحضارة العربية"

ثم عقدت مؤتمرا صحفيا اثر ذلك اعلنت فيه:

"ان سورية ستدعم خطوة عبد الناصر بتأميم القنال بكل ما اوتيت من قوة وان كل محاولة من الدول الاستعمارية للتعرض الى مصر ستقابل في جميع الاقطار العربية من الحكومات والشعب برد قاس لا رحمة فيه والاهوادة، وان لدى العرب من الامكانيات للاضرار بمصالح الغرب اكثر بكثير مما لدى الغرب من امكانيات للاضرار بمصالح العرب".

وقد جاءت الاستجابة لندائي سريعة من مدينة دير الزور، بلدة جلال السيد، فقد اذاع السيد سوادي العلي رئيس نقابة عمال شركة النفط في دير الزور:

"ان اي عمل تقوم به الدول المستعمرة ضد شقيقتنا مصر ستقابله نقابة عمال شركة النفط في دير الزور بايقاف سير النفط حالا".

بريطانيا تقرر العدوان على مصر

اصدرت وزارة الحرب البريطانية اوامرها الى قواتها البرية بمنطقة الشرق الاوسط باتخاذ اجراءات عسكرية "وقائية" في شرق البحر المتوسط، كما اعلنت قيادة البحرية البريطانية انها اجرت تحركات معينة للاسطول البريطاني في المتوسط بدافع من الموقف في الشرق الاوسط وأمرت السفن البريطانية بتجنب المرور في قناة السويس، كما امرت قواتها في مالطة وعدن ان تكون بحالة تأهب لتلبية اي امر يصدر اليها.

وقد كشف ايدن فيما بعد في مذكراته انه بعث للرئيس ازنهاور برقية جاء فيها:

"اننا اذا تقاعسنا (يقصد بموضوع القناة) فنحن واثقون بأن نفوذنا ونفوذكم في الشرق الاوسط سينهار دفعة واحدة" ثم يقول:

"ان التهديد المباشر يتناول تموينات الزيت الى اوروبا الغربية التي يمر جانب كبير منها عبر القناة، واذا ما اغلقت القناة فسيتحتم علينا ان نطلب اليكم مساعدتنا عن طريق خفض الكمية التي تحصلون عليها من مصاب انابيب النفط في شرق المتوسط، وكذلك عن طريق ارسال كميات اضافية الينا بصورة مؤقته" ثم يقول:

"قدرنا ان ما لدينا من احتياطي البترول يكفي لحاجات استهلاكنا مدة ستة اسابيع، وان ما في حوزة الدول الاوربية الاخرى كميات اقل من هذا نسبيا" (ص238-239مذكرات ايدن)

وقد تأكد فيما بعد بأن من اهم اسباب اخفاق العدوان الثلاثي على مصر كان نسف انابيب البترول التي تمر عبر سورية وسآتي على نتائج ذلك في حينه، ولكنني اردت هنا ان اجلي للقارىء كم كان تهديد بريطانيا بنسف أنابيب البترول صائبا ومفيدا وضروريا، وقد كتبت جريدة البعث بتاريخ 10-8-56 ما يلي:

"ومن بين هذه التصريحات جميعها التي ادلى بها رجال السياسة، برزت الكلمة التي ادلى بها اكرم الحوراني باسم حزب البعث العربي الاشتراكي لتدل الشعب على السبل والتدابير الفعلية لتأييد الشقيقة مصر، وفي طليعة ذلك التهديد بتفجير انابيب البترول وتجميد الاموال الاميركية والبريطانية والفرنسية في البلاد العربية، وبهذا وضع حدا لسيطرة الكلمة التي تبقى معلقة في الهواء، ومهما قلنا لا نكون مبالغين في اثر هذه الكلمة في الجماهير العربية"

الاجتماع الثلاثي وخطاب ايدن

عقد في لندن بتاريخ 1-8-56 اجتماع وزير الخارجية الاميركي دالس والفرنسي بينو ورئيس الوزارة البريطانية ايدن لمعالجة موضوع تأميم قناة السويس بينما كان يذاع على العالم تصريح الرئيس الاميركي ازنهاور:

"انه لا يستطيع ان يرى كيف يمكن ان تؤدي القوة العسكرية الى ايجاد حل مناسب لمشكلة القناة، وقال انه يامل ان تحل المشكلة حول مائدة المفاوضات بدلا عن ميدان الحرب مع احتفاظ كل دولة بمساعيها للمحافظة على حقوقها".

وفي نهاية اجتماعاتهم اصدر وزراء الخارجية الثلاثة بيانا مشتركا تضمن ما يلي:

اتفقت حكومات فرانسا وبريطانية واميركا على اصدار البيان المشترك التالي:

اولا: احيطت الدول الثلاث علما بالإجراء الذي اتخذته مصر اخيرا والذي حاولت بمقتضاه تأميم شركة قناة السويس وتسلم ممتلكاتها، وتولي مسؤوليات هذه الشركة العالمية، وهذه الشركة قد اسسست في مصر عام 1856 بمقتضى تصريح ببناء قناة السويس وادارتها حتى عام 1968 وكان لهذه الشركة العالمية دائما صفة دولية بالنسبة لمساهميها والممولين والمتولين ادارتها وموظفيها وبالنسبة لمسؤولياتها في ضمان الادارة السلمية بوصفها طريقا بحريا ودوليا.

وفـي عـام 1888 اشـتركت فـي معاهـدة القسـطنطينة جميـع الـدول الكبرى التي يهمها بصفة رئيسية المحافظة على صفة القنـاة الدوليـة وحريـة الملاحة فيها، وضمان استخدامها دون تفرقة بين مختلف الدول.

وقد نصت هذه الاتفاقية علـى المحافظـة علـى الصـفة الدوليـة لصـالح دول العـالم بغـض النظـر عـن انتهـاء مـدة امتيـاز شـركة قنـاة السـويس، وقـد اعترفت مصر اخيـرا وفـي اوكتـوبر 1954 بـأن قنـاة السـويس طريـق دولـي لـه اهميته الدولية من الوجهـة الاقتصـادية والتجاريـة والاسـتراتيجية، كمـا جـددت مصر عزمها على التمسك بمعاهدة 1888.

ثانيا: لا تناقش الدول الثلاث حق مصـر فـي ان تتمتـع بجميـع سـلطات الدولـة المستقلة ذات السيادة، وتمارس هذه السلطات بما فيها الحـق المعتـرف بـه بصفة عامة في ظل الظروف المناسبة في تأميم الممتلكـات التـي لا تشـوبها مصلحة دولية والداخلة في نطاق سلطتها السياسـية، ولكـن الاجـراء الحـالي يتضمن اكثر من مجرد تأميم بسيط، اذ يتضمن اسـتيلاء حكوميا من جانب دولة واحدة على وكالة دولية تتحمل مسؤولية صيانة قناة السويس وادارتهـا حتـى تسـتطيع جميـع الـدول الموقعـة علـى اتفاقيـة 1888 المنتفعـة بهـا ان تتمتـع باستخدام الممر المـائي الـدولي الـذي يعتمـد عليـه اقتصـاد جانـب كبيـر مـن العالم وتجارته وامنه، وفيما ينطوي عليه هذا الاسـتيلاء مـا يزيـد مـن خطورتـه لانه اتخذ لتمكين حكومـة مصـر مـن اسـتخدام القنـاة لاغـراض وطنيـة خالصـة للحكومة المصرية اكثر من خدمـة الغـرض الـدولي الـذي قصـدت اليـه معاهـدة 1888.

وبالاضافة الى ذلك ان الدول الثلاث تأسف لان الحكومـة المصـرية فـي استيلائها على القناة قد لجأت الى مـا يصـل الـى حـد انكـار حقـوق الانسـان الاساسية وذلك بارغامها موظفي الشركة علـى مواصـلة العمـل تحـت طائـل التهديد بالسجن.

ثالثا: تعتبر الدول الثلاث ان الاجراء الذي ضمنته اتفاقية عـام 1888 نافـذا، وقـد وضعت الدول الثلاث في اعتبارها جميع الظروف المحيطة بالموقف، وقـد حـتم ذلك اتخاذ خطوات للتأكد مـن ان الاطـراف المشـتركة فـي اتفاقيـة عـام 1888 والدول الاخرى ينبغي ان تتمتع بهذه المصالح.

رابعا: تعتبر الدول الثلاث انه ينبغي ان تتخذ خطوات لايجاد تدابير فعالة في نطاق نظام دولي، يوضع لضمان استمرار ادارة القناة، كما ضمنته اتفاقية 29 تشرين الاول عام 1898 بما يتفق والمصالح المشروعة لمصر

خامسا: في سبيل هذا الغرض تقترح الدول الثلاث عقد مؤتمر عاجل لدول الاتفاقية والدول الاخرى التي يهمها استخدام القناة بصفة رئيسية، وستقوم بريطانيا بتوجيه الدعوة لعقد هذا المؤتمر الى الحكومات المدرجة في الملحق المرفق بهذا البيان، على ان يعقد المؤتمر في لندن في 16 آب 1956، وان حكومتي فرانسا والولايات المتحدة على استعداد للمساهمة في هذا المؤتمر".

ان دول اتفاقية 1888، مصر، فرانسا، ايطاليا، اسبانيا، تركية، روسيا، بريطانيا، هولندا.

اما الدول التي يهمها استخدام القناة بصفة رئيسية، وذلك اما عن طريق امتلاك السفن ذات الحمولة الكبيرة او نوع تجارتها فهي كما وردت في البيان:

استراليا، سيلان، الدانمارك، اثيوبيا، المانيا الغربية، اليونان، الهند، اندونيسيا، ايران، اليابان، نيوزيلاندة، النرويج، باكستان، البرتغال، السويد، الولايات المتحدة.

كان يستشم من تصريح ازنهاور والبيان المشترك ان معالجة موضوع تأميم القناة ستتم بالطرق السلمية، ولكن ايدن فضح نوايا بريطانية العدوانية بالخطاب الذي القاه في مجلس العموم وهذا بعض ما جاء فيه:

"انه لا يجب ان يدهش احد بأن يكون استيلاء الرئيس عبد الناصر على قناة السويس قد خلق وضعا خطيرا جدا" "ان تأميم قناة السويس هو قضية حياة او موت بالنسبة لبريطانيا والغرب"

"ان الرئيس عبد الناصر قد استولى على شركة دولية دون استشارة احد بينما حقوق الشركة مضمونة باتفاق دولي مكرر، وكانت الحكومة المصرية قد وافقت عليه".

"ان بعض الاشخاص قد اخذوا يتساءلون عن السبب الذي من اجله لا يمكن الاعتماد على وعد عبد الناصر، في قضية عدم عرقلة الملاحة عبر القناة، والجواب على ذلك بسيط: انه يتلخص ببضع كلمات: عودوا الى سجله.. ان خلافنا ليس مع مصر وانما هو مع عبد الناصر..

ان عبد الناصر قاد حملة من الدعاوة الخبيثة ضد بريطانيا ودلل بذلك على انه ليس بالشخص الذي يحافظ على الاتفاقات الخ..."

وقد كتبت في جريدة البعث 56/8/10 مقالا تحت عنوان: حول خطاب ايدن تحدثت فيه عن حتمية انهيار الامبراطورية البريطانية ورد فيه:

"انا لم اؤمن مرة بقرب انهيار هذه الدولة الاستعمارية بقدر ايماني بذلك عندما قرأت خطاب المستر ايدن، هذا الخطاب الذي ضرب به الرقم القياسي باحتقاره واستخفافه للعالم عندما حاول ان يجعل من قضية تأميم قناة السويس قضية شخصية بين بريطانيا وبين الرئيس جمال عبد الناصر فقال "ليس خلافنا مع مصر او مع العالم العربي وانما هو ما عبد الناصر".

فكأن قضية تأميم قناة السويس قضية شخصية لا علاقة لمصر والبلاد العربية بها، فهل نسي المستر ايدن نفسه وظن انه يخاطب العالم قبل ثلاثمائة عام ام انه قصد من قوله هذا ان يعلن بأن بريطانيا مصممة على الخلاص من جمال عبد الناصر بأساليبها المعروفة؟

فاذا كان هذا ما يعنيه فان ثمانين مليون عربي (ما عدا العملاء والمأجورين) يقفون صفا واحدا وراء جمال عبد الناصر بل ان جميع الدول الحرة في العالم تقف بجانبه كما يقف احرار فرنسا وبريطانيا نفسها.

انني لا اشك مطلقا بأن خطاب ايدن هو بداية فتح صفحة جديدة في تاريخ العرب لانه الخاتمة لسجل الاستعمار، وآثام الاستعمار في البلاد العربية".

□

كان الجو الدولي كما اسلفنا ينذر بالعدوان على مصر، وكان الحزب قد صمم على خوض المعركة مهما كلف الامر، وهذا

يقتضي ان تصبح الجبهة الوطنية القائدة الفعلية في هذه المعركة سواء على المستوى القطري او المستوى العربي..

وبدأت سورية المعركة، وتوالى اطراف الجبهة يعلنون موقفهم (الصحف السورية اول آب 1956)

"دعا خالد العظم وأكرم الحوراني الى تجميد اموال الفرنسيين والبريطانيين والاميركيين ومنع البترول عن اوروبا الغربية كلها وتدمير المصالح والمنشآت العائدة للدول الغربية في البلاد العربية، ومنع الطائرات الغربية من التحليق في الاجواء العربية والقتال بكل الامكانيات ردا على اي عدوان تتعرض له الشقيقة مصر"

وقال علي بوظو الامين العام لحزب الشعب:

"ان مصر ليست وحدها في الميدان واننا سنخوضها حرب حياة او موت ولن نستسلم للمستعمرين" ثم اعلن ناطق بلسان الاركان العامة :

ان الجيش السوري شأنه شأن الحكومة والشعب يعتبر ان مصير سورية هو مصير مصر، وان حياتنا وبقاءنا ومستقبلنا مرتبط بحياة مصر وبقائها ومستقبلها"

وعلق الرئيس العسلي على المؤتمر الذي دعت الدول الغربية الثلاث لعقده في لندن لبحث قضية قناة السويس فقال:

"ان سورية لم تدع الى هذا المؤتمر وهي اذا دعيت فلن تحضره لانها طرف في النزاع بعد ان قرر البلدان اقامة اتحاد فيدرالي بينهما".

كما صرحت لجريدة الرأي العام بتاريخ 8 آب 1956 ما يلي:

"ان سلوك الحكومات العربية يجب ان يسمو الى مستوى تفهم فيه الحكومات البريطانية والاميركية والفرنسية فهما لا يخامره اي شك ان اي عدوان على مصر معناه ان تصبح سورية وبقية الدول العربية في حالة حرب مع الدول الغربية المعتدية، عندها فقط يمكن ان يتردد الاستعمار في خوض المعركة مع الامة العربية، لان حكومات الاستعمار تدرك ان باستطاعة العرب ان ينزلوا اضرارا بمصالح الغرب اكثر مما يستطيع الغرب ان ينزل اضرارا بمصالح الامة العربية".

الهيئة العربية السورية لنصرة مصر

اقترحت على فؤاد جلال مندوب عبد الناصر الدائم في دمشق ان نؤلف لجنة من مختلف الاحزاب السورية نطلق عليها اسم "الهيئة العربية لنصرة مصر" فحبذ الفكرة وباشرنا فورا بانتقاء اعضائها من النافذين في هذه الاحزاب: خالد العظم، معروف الدواليبي، علي بوظو، محمد المبارك، خالد بكداش، ظافر القاسمي، اكرم الحوراني.

كانت المرة الاولى التي استطعت فيها ان يتمثل الحزب الشيوعي وان يعترف به كبقية الاحزاب الاخرى، ولم اجد صعوبة في اقناع فؤاد جلال، كما أنني لم اجد صعوبة في اقناع قيادة الحزب، وقد اصبحت في هذه الفترة مفوضا فيها بحرية المبادرة والتصريح باسم الحزب ولم يعد هذا الامر موضع اعتراض او حساسية من قبل احد.

وقد دهش فؤاد جلال عندما اقترحت اسم خالد العظم لرئاسة اللجنة، ومعروف الدواليبي لامانة السر، فقلت له:

نحن بوقت نحتاج فيه لتأليف القلوب واذكاء الحماسة في جميع النفوس.

ومنذ الاجتماع الاول وافق المدعون بحماسة على تأليف اللجنة وتم الاتفاق على ورقة العمل واذاعة هذا البيان:

"بمناسبة المؤتمر الدولي الذي تقرر عقده في 16 آب بلندن للمذاكرة في وضع قناة السويس اجتمع عدد من مختلف الاحزاب والهيئات السياسية في سورية للمشاورة فيما يقتضيه وضع مصر الحاضر من واجبات على الشعوب العربية فتقرر ما يلي:

1- اقامة اجتماعات شعبية في جميع الاقطار العربية، وذلك في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء الواقع في 14 آب الجاري، واعتبار هذا اليوم يوم مصر لاعلان الشعوب العربية تأييدها في خطوتها القومية المباركة.

2- تأليف لجنة مركزية في دمشق لنصرة مصر، يطلق عليها اسم "الهيئة العربية السورية لنصر مصر" وقد وضع على عاتقها تنظيم يوم مصر في

سورية في التاريخ المشار اليه والاتصال ببقية العواصم العربية لاحياء هذا اليوم لديها.

3- تكوين اللجنة المركزية في دمشق من السادة:

خالد العظم، معروف الدواليبي، اكرم الحوراني، علي بوظو، محمد مبارك، خالد بكداش، ظافر القاسمي، وقد انتخبت اللجنة امينا عاما لها الدكتور معروف الدواليبي.

4- دعوة الصحفيين في دمشق الى مؤتمر صحفي يعقد في الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس المقبل، وفي ندوة المجلس النيابي، للاستماع الى بيان اللجنة المركزية عن الموضوع.

وسوف تكون اللجنة المركزية على اتصال دائم مع الشعوب العربية عن طريق الصحافة والاذاعة في كل يوم لتخبرها عن مراحل العمل، وستعطي اللجنة المركزية المزيد من الايضاح في مؤتمرها الصحفي يوم الخميس المقبل.

مهرجانات شعبية كبرى

كانت الاستجابة لنداء اللجنة سريعة في جميع الميادين وقد نشطت فروع الحزب لتلبية هذا النداء، كما نشطت الحركة العمالية في سورية حيث اصبح الحزب مسيطرا عليها، كما كان مسيطرا على حركة الفلاحين، واصبح للحزب في الاتحادات العمالية قادة نقابيون واعوان، وهذا ما هيأ للاتحاد العام لنقابات العمال اصدار القرارات التالية:

1- دعوة نقابات عمال النفط للاجتماع لبحث التدابير التي يجب اتخاذها في حالة العدوان على مصر.

2- مقاطعة الدول المعتدية

3- تجميد اموال الاعداء.

4- مقاطعة سفن وطائرات الدول المعتدية.

5- الاتصال بالاتحادات العمالية العالمية.

6- اعلان الاضراب العام يوم 16-8-56.

7- دعوة العمال للتطوع للدفاع عن مصر.

8- اقتراح عقد مؤتمر عمالي عالمي.

9- امداد ثورة الجزائر.

وقد تقرر عرض هذه القرارات والمقترحات على المجلس التنفيذي لاتحاد نقابات العمال العربي بواسطة وفد نقابي سوري مؤلف من رئيس الاتحاد صبحي الخطيب وصلاح زنزول (بعثي) وعلي تلجبيني (بعثي) ويوسف الصمادي (شيوعي) وخالد الحكيم (بعثي) وجوزيف شاهين وقد اقر المجلس التنفيذي لاتحاد نقابات العمال العرب الذي انعقد بالقاهرة هذه المقترحات.

السفير الاميركي يسأل

جاء السفير الاميركي الى دار الحكومة ليسأل صبري العسلي عن موقف سورية من البترول المار بأراضيها في حالة تطور مشكلة القناة، فنصح رئيس الوزارة السفير الاميركي ان تتفهم حكومته حقيقة مشاعر الشعب العربي، وان تتأكد ان كل مواطن عربي يعتبر قضية قناة السويس قضية قومية فوعد السفير الاميركي بابلاغ هذا الجواب الى حكومته.

والسفير البريطاني يسأل

كما صرح وزير الدولة محمد العايش للصحافة السورية ان سفير بريطانيا قد زار منزله واستوضح منه عن موقف الحكومة السورية من تصريحات اكرم الحوراني الخاصة بقطع البترول عن الغرب، فأجابه بأن هذا الامر لم يبحث بعد في مجلس الوزراء ولكنه قال للسفير:

انه في حالة وقوع اعتداء على مصر فان الشعوب العربية ستهب لنصرتها وستكون الحكومات مجبرة في هذه الحالة على التجاوب مع شعوبها..

وعلى اثر ذلك نصح مكتب ممثل المدير العام لشركة نفط العراق العائلات البريطانية في المحطات الصحراوية ان يسافروا الى لبنان او اي بلد خارج سورية.

اللجنة تعقد مؤتمرا صحفيا

وفي 9-8-56 عقدنا مؤتمرا صحافيا في المجلس النيابي حضره معنا الدكتور فؤاد جلال بصفته رئيسا لمؤتمر الخريجين العرب مع بعض اعضاء مكتب المؤتمر، وقد تلى الدكتور الدواليبي الامين العام للجنة بيانا اعلن فيه تأليف لجنة مركزية في سورية لتنظيم يوم مصر وهو يوم 14-8-56 ودعا باسم اللجنة المواطنين لحضور الاجتماع الشعبي العام في ساحة الملعب البلدي. ثم قال:

ان اللجنة العربية السورية تدعو جميع المواطنين في سورية وسائر الاقطار العربية الى اعلان الاضراب الشامل يوم الخميس 16 آب وهو اليوم الذي ينعقد فيه مؤتمر لندن.. وبعد تلاوة بيان اللجنة، اجبت على اسئلة الصحافيين بقولي:

"ان الشعب العربي يعتبر اي عدوان على مصر عدوانا على الامة العربية وسيكون في حالة حرب مع اي دولة تعتدي على مصر وسيتخذ جميع التدابير وسيستخدم جميع الوسائل التي تقتضيها حالة الحرب".

مؤتمر لندن وتدويل قناة السويس

كنت اقدر ان الدعوة الى مؤتمر لندن وتصريحات ازنهاور التي تدعو لحل مشكلة تأميم قناة السويس بالمفاوضات لن تغير من نوايا بريطانية العدوانية وكنت اقول في نفسي: فلنفترض ان الولايات المتحدة صادقة في نواياها السلمية فهل هي قادرة على منع بريطانيا من العدوان على مصر؟

ان بريطانيا كانت تعلق بوضوح وتؤكد تصريحات مسؤوليها وتوجيه اعلامها تصميمها على شن العدوان، وقد ازددت يقينا بذلك عندما اعلن الناطق الرسمي المصري بتاريخ 9-8-56 بالاستناد الى مصادر دبلوماسية بأن المقترحات التي ستعرض على مؤتمر لندن في 16-8-56 تتضمن اقامة سلطة دولية لقناة السويس مهمتها:

اولا: ادارة القنال

ثانيا: ضمان سير العمل على الوجه الاكمل

ثالثا: ان يبقى هذا الممر الدولي مفتوحا امام الجميع تنفيذا لاتفاقية قناة السويس المعقودة عام 1888.

رابعا: ان تنظم دفع تعويض عادل لشركة قناة السويس.

خامسا: ان تضمن لمصر دخلا عادلا على اساس حقوق مصر المشروعة.

سادسا: واذا لم يتحقق الاتفاق مع مصر والشركة بشأن التعويض العادل الذي سيدفع للشركة وضمان دخل عادل لمصر، يحال امر الخلاف الى لجنة تحكيم من ثلاثة اعضاء تختارهم محكمة العدل الدولية..

اما هذه السلطة الدولية فتتألف من:

1- مجلس ادارة يختار اعضاؤه من الدول التي لها مصلحة في الملاحة والتجارة عبر القناة.

2- الهيئة الفنية والعلمية والادارية.

وهي تقوم بتنفيذ جميع اشغال القناة الضرورية وتحديد رسوم العبور والعوائد والمسائل المالية والادارية والاشراف.

وقد اكد لي فؤاد جلال صحة هذا النبأ وعزاه الى مهارة المخابرات المصرية، ولا شك عندي الان بعد ان كشفت الايام كثيرا من الحقائق ان الولايات المتحدة كانت وراء تبليغه الى الحكومة المصرية، والدليل على ذلك ان دلس نفسه كان صاحب هذه المقترحات في مؤتمر لندن.

وقبل ان يعلن عبد الناصر موقفه من هذه المقترحات صرحت بقولي:

"انه اذا صح ان الانكليز والفرنسيين يريدون فرض مثل هذا المشروع فمعنى ذلك ان مصر لم يعد لها علاقة بقناة السويس، وان هذه القناة ستصبح للدول الاجنبية" وقلت: "ان بريطانيا وفرنسا ستعجزان في النهاية من فرض هذه المشروع او غيره من مشاريع التدويل على مصر، لان معركة القناة معركة الامة العربية كلها، وان وعي امتنا بلغ حدا يؤثر معه خوض المعركة على عودة الاستعمار للقناة باسم التدويل، (الرأي العام 10-8-56).

وبتاريخ 13-8-56 رفض عبد الناصر في حديث اذاعي حضور مؤتمر لندن واكد ان مصر حريصة على حرية الملاحة، ولكنها لن تتنازل عن القناة وستدافع عنها بقوة وتصميم، وقد سئل من قبل الصحافيين الاجانب عما اذا كان يوافق على الخطة الموضوعة لاعلان الاضراب العام يوم 16 آب فأجاب متسائلا:

ما هو معنى الخطة الموضوعة؟ وتابع يقول:

"انها القومية العربية هي التي تتحرك" وسئل عن تدمير انابيب النفط في البلاد العربية فقال:

ان القومية العربية هي التي ترسم الخطط وتعدها.

اللجنة العربية السورية توالي اجتماعاتها

لم تكن نتائج اجتماعاتنا مقتصرة على الاعداد ليوم مصر الذي حددنا موعده بتاريخ 14-8-56 وللاضراب الشامل الذي حددنا موعده بتاريخ 16-8-56 في جميع البلدان العربية، بل كان الهدف ان تقترن هذه التعبئة الجماهيرية بالاستعداد الفعلي للمعركة المنتظرة، وكان اهم ما يشغلني ان اضمن موافقة جميع ممثلي الاحزاب في اللجنة باسم احزابهم على منع البترول العربي عن دول الغرب بجميع الوسائل الرسمية والشعبية، وقد ساعدني خالد العظم على ذلك:

"وصلت الهيئة العربية لنصرة مصر عند اجتماعها في منزل خالد العظم الى اتخاذ قرارات خطيرة ستذاع يوم الثلاثاء القادم، وقد تبنى خالد العظم خلال الاجتماع شرح اهمية ما اعلنه اكرم الحوراني بشأن الوسائل الرسمية والشعبية التي يمكن ان تتبع لمنع البترول العربي عن دول الغرب، وقد اقر علي بوظو باسم حزب الشعب ضرورة اللجوء الى استخدام سلاح البترول في حالة مهاجمة مصر، بعد ان كان بعض اقطاب الشعبين يعارضون اللجوء الى استخدام هذا السلاح"

"اجمع اعضاء الهيئة العربية السورية لنصرة مصر على القول بأن معروف الدواليبي قد اقر بحماسة وقوة قطع البترول العربي عن الغرب اذا تعرضت

مصر الى اية اعمال عدوانية، وعندما سئل من قبل اعضاء اللجنة عما اذا كان يقطع ذلك باسم حزب الشعب اجاب بالموافقة وقال بأنه يعطي هذا الجواب النهائي باسم حزبه" (الرأي العام 56/8/12).

كان يوم 14 آب يوما مشهودا بتاريخ سورية

بتاريخ 14 آب خرج الشعب العربي في سورية بمدنها واريافها ليشترك في مهرجانات يوم مصر، وكنا قد شكلنا لجانا في كل المحافظات السورية تضم جميع الاحزاب والهيئات السياسية لوضع البرامج وتنظيم هذه الاجتماعات الجماهيرية، وهكذا قدر عدد المحتشدين في ساحة الملعب البلدي بدمشق بأكثر من مئاة وخمسين الف مواطن كما احتشدت جموع غفيرة من المواطنين في المدن السورية الاخرى.

بعد تلاوة القرآن الكريم، افتتح الاجتماع خالد العظم فألقى خطابا باسم اللجنة، ثم تلاه عبد الوهاب حومد فألقى كلمة الحكومة السورية ثم القى الدكتور فؤاد جلال كلمة الشعب المصري واختتم الحفلة فتحي رضوان القائم بأعمال السفارة المصرية في دمشق، ثم خرجت الجماهير المحتشدة من الملعب البلدي تحمل اللافتات التي تؤكد تصميم سورية على القتال ورد العدوان فطافت الشوارع الرئيسية دون حادث، وجرى نظير هذا الانضباط والنظام في مهرجانات المدن السورية الاخرى.

دسائس استعمارية سخيفة

اخبرت السفارتان البريطانية والاميركية في دمشق الحكومة السورية بأنهما تلقتا تقارير تؤكد بأن الجماهير التي ستحضر هذا المهرجان ستهاجم الجناحين الاميركي والبريطاني في معرض دمشق وتشعل النار فيهما، وطالبت بمنع المهرجان او تحويله من الملعب البلدي المجاور لمدينة المعرض الى مكان آخر، فطلبت من الحكومة ان تبلغ السفارتين انها ترغب في الاطلاع على مصدر هذا النبأ لتحقق فيه حالا، والا فان السفارتين ستكونان مسؤولتين عن اي حادث يقع، كما توالت التهديدات التلفونية على خالد العظم لتثنيه عن القاء كلمة الهيئة العربية السورية فقابل

هـذه التهـديات بـالهزء والسـخرية، وقـد ارسـلت برقيتـان، احـداها موجهة لجمال عبد الناصر والثانية الى مؤتمر لنـدن وهـذا هـو نـص البرقيتين.

"باسم المؤتمر الشعبي العربي العام لنصرة مصر المنعقد بمدينة دمشق يوم 14-8-56 والذي ضم عشـرات الالـوف مـن المـواطنين اتشـرف بـأن ارفـع الـى سيادتكم نص المقررات التي اتخذها المؤتمر بالاجماع والتي تعبر عـن انـدفاع اخوانكم في العروبة في نصرة الشقيقة الكبرى مصـر والتضـامن معهـا تضـامنا شـاملا، كتب الله النصر للحق والفشـل للباطل وايدكم بروح من عنده".

وابرق الى مؤتمر لندن البرقية التالية:

باسم المؤتمر الشعبي العربي العام لنصرة مصر المنعقد فـي مدينـة دمشـق يوم 14-8-56 اتشـرف بـأن ابعـث الـيكم نـص المقـررات التـي اتخـذها المـؤتمر بالاجمـاع آمـلا ان يعيرهـا مـؤتمر لنـدن مـا تسـتحق مـن العنايـة والاهتمـام لاستنادها الى الحقوق الدولية العامة والى مبادىء العدالة.

وابرق الى الامين العام لهيئة الامم يقول:

باسم المؤتمر الشعبي العربي العام لنصرة مصر المنعقد فـي مدينـة دمشـق يوم 14-8-56 اتشـرف بـأن ابعـث الـيكم نـص المقـررات التـي اتخـذها المـؤتمر بالاجماع آملا ان تعيروها ما تسـتحقه مـن العنايـة والاهتمـام ولا سـيما وانهـا مستمدة مـن روح ميثـاق الامـم المتحـدة والاسـس التـي قامـت عليهـا هـذه المنظمة الدولية.

وفيما يلي نص المقررات وقد طرحها خالد العظم فـي نهايـة كلمته على المجتمعين:

1- البلاد العربية وحـدة، وكـل تعـد علـى جـزء منهـا هـو تعـد عليهـا جميعـا، ويستوجب هذا التعدي ان تقوم البلاد العربية قيام الرجل الواحـد بالـدفاع عن كيانها بجميع الوسائل التي تملكها.

2- تأميم شركة قناة السـويس حـق لمصـر لا ريـب فيـه وعمـل مـن اعمـال السيادة.

3- حرية الملاحة في القناة تضمنها مصر وحدها.

4- ان العمل على فرض تدويل قناة السويس، او وضع اشراف اجنبي عليها هو مخالفة صارمة للحقوق الدولية ولميثاق منظمة الامم المتحدة وخرق لسيادة احدى الدول المنتسبة لهذه المنظمة.

5- ان الدعوة لعقد مؤتمر لندن تعتبر خروجا على اسس ميثاق الامم المتحدة وان السعي لتنفيذ اي قرار بالقوة يتخذ في لندن هو تهديد مباشر للسلام العالمي.

6- في حالة الاعتداء المسلح على مصر تعتبر سورية نفسها في حالة حرب دفاعية مشروعة مع الدول المعتدية، وتتخذ جميع التدابير التي تقتضيها هذه الحالة، ولا سيما منع البترول عن الدول المعتدية.

7- دعوة جميع البلاد العربية الشقيقة لتبني هذه المقررات وتنفيذها.

8- الاهابة بالشعوب الاسلامية وسائر الدول الصديقة لدعم مصر ونصرتها.

كان يوم الاضراب في 16 آب يوما مشهودا في وحدة النضال العربي

خشيت الا ينجح الاضراب الشامل في كل البلاد العربية فاقترحت على اللجنة ان تدعو المواطنين العرب علاوة على الاضراب الى الوقوف خمس دقائق حدادا على مأتم الحرية فتبنته اللجنة واصدرت القرار التالي:

"ايها المواطن العربي: في الساعة الثانية عشرة من ظهر الخميس 16-8-56 حسب توقيتنا المحلي يفتتح مؤتمر لندن اجتماعه الاول في محاولة يائسة للسيطرة على قناة السويس.. في هذا الوقت بالذات اي في الساعة الثانية عشرة من ظهر الخميس تقف الشعوب العربية في كل مكان من ارض الوطن العربي كله صامته خمس دقائق حدادا على مأتم الحرية ويشارك مصر في حدادها هذا الاحرار في الشعوب الاسيوية والافريقية، ان الهيئة العربية السورية لنصرة مصر تدعو كل مواطن ان يقف اينما كان، في المدن والارياف خمس دقائق في الساعة الثانية عشرة مساهمة بالتعبير عن سخط الشعوب الحرة على محاولات الاستعمار".

ولاعطاء المثل بالتقيد بالنظام والالتزام صرحت للصحف بما يلي:

"ان اعضاء الهيئة القومية السورية لنصرة مصر سيقفون ظهر الخميس، خمس دقائق امام مجلس النواب حدادا على مأتم الحرية في لحظة افتتاح مؤتمر لندن، واذا لم يدرك الاستعمار المعنى الرمزي لهذا الحدث الذي سيشمل الوطن العربي كله، فان الوقوف سينقلب الى حركة دائمة لا تهدأ ولا تفتر... ثم صرحت:

ان بيان وزير الخارجية البريطانية يدل على ان الاستعمار مصمم على العدوان ولذلك فان حرب **"التحرير الشعبية" يجب ان تكتمل مستلزماتها حالا لان دور المقاومة الشعبية اساسي كدور مقاومة الجيوش.**

وفي يوم 16-8-56 اضربت سورية اضرابا عاما شاملا مع خروج مظاهرات ضخمة، وقد وقفنا نحن اعضاء اللجنة القومية لنصرة مصر في الوقت المحدد خمس دقائق صمت امام مبنى مجلس النواب حيث شاركت بالوقوف عشرات الالوف من المواطنين، وكان منظرا رائعا وفريدا ان يقف الشعب السوري كله خمس دقائق صمت في الوقت المحدد، ولعل ذلك اعلى مراتب الالتزام والنظام بالنسبة لاي شعب من شعوب العالم المتقدم.

كانت انظارنا متجهة للعراق الشقيقة حيث يشكل نجاح الاضراب فيه تحديا مباشرا لبريطانيا وحلف بغداد، وبدأت اسلاك البرق تنقل الينا اخبار البلاد العربية: الاضراب العربي امتد من الاطلنطي الى الخليج العربي.

ففي لبنان كان الاضراب عاما شاملا، وانطلقت في بيروت وطرابلس والمدن اللبنانية الاخرى المظاهرات العارمة.

وفي العراق اضربت بغداد والمدن العراقية اضرابا شاملا، وابرقت الاحزاب والهيئات الوطنية والنقابات الى الرئيس جمال عبد الناصر مؤيدة قرار تأميم قناة السويس.

وقد نجح الاضراب مع المظاهرات الضخمة في الاردن ومصر والسودان وليبيا وتونس ومراكش والبحرين وعدن والكويت التي جرت فيها مظاهرات دامية.

اما الجزائر فقد اضربت على طريقتها الخاصة فشن الثوار الجزائريون سبع هجمات واسعة على القوات الفرنسية.

وقد اعربت للصحف عن اغتباطي العظيم "بمشاركة الشعب العربي في العراق بالاضراب الشامل الذي عم الوطن العربي امس من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي" وقلت:

"انني لم افقد ايماني لخطة واحدة بأن العراق لن يتخلف عن معركة النضال الثوري التي يخوض غمارها شعبنا العربي، وان الايام القادمة ستبرهن على ان الشعب العربي في العراق سيسير في طليعة القافلة العربية، وعندها ينكشف تماما العاملون في خدمة الاستعمار الذين يتسترون الان وراء مساندة العراق الشقيق ويتظاهرون بالحرص على بقائه ضمن القافلة العربية، مع ان غرضهم الحقيقي ليس خدمة العراق وانما خدمة اغراض الاستعمار في الوطن العربي. (الرأي العام 18-8-56)

وقد قام حزب البعث العربي في العراق بدور باسل بانجاح الاضراب فأصدر في ظل حكم الارهاب بيانا بتاريخ 14-8-56 هذا نصه:

ان دول الاستعمار (انكلترا وفرنسا وامريكا) تبيت لنا عدوانا اثيما يهدد حياتنا ومستقبلنا، ويهدد تحرير العرب واستقلالهم في قضية هي ليست قضية مصر وحدها، وانما هي قضية الشعب العربي في كل مكان.

نواجه اليوم عدوا مشتركا يريد ان يهدد قضيتنا الواحدة، ونضالنا من اجل التحرر والاستقلال والوحدة، فلنكن على استعداد لمواجهة كل الاحتمالات ولنكن على استعداد للرد على الاعتداء باقوى منه.

يا جماهير شعبنا:

تعبيرا عن استعدادنا لكل التضحيات الغالية، واعلانا عن تصميمنا الأكيد على مواجهة العدوان الاستعماري مواجهة شعبية صارمة، وبمناسبة انعقاد مؤتمر لندن الذي تريد له دول الاستعمار ان يكون وسيلة للتدخل واعادة السيطرة والنفوذ ندعوكم لاعلان الاضراب العام يوم الخميس المصادف 16-8-56 من طلوع الشمس الى الساعة الثانية عشرة ظهرا.

بغداد 14-8-56

توقف ضخ البترول

لعل اهم ما رافق هذا الاضراب في سورية واروع ما سجله حزب البعث العربي الاشتراكي من نجاح هو توقيف ضخ البترول، حيث اوقف العمال السوريون وصول البترول الى مرفأ طرابلس على الساحل اللبناني والى مرفأ بانياس على الساحل السوري ودام توقف ضخ البترول لاول مرة في استثمار الغرب لبترول العرب ثلاثة عشرة ساعة ونصف الساعة، وقد قوى توقف ضخ البترول ثقة العرب بأنفسهم، ولعل ابلغ شاهد على ذلك ما رواه فارس الخوري بحضور الرئيس القوتلي والحكومة القومية والملك حسين اثناء زيارته لدمشق بتاريخ 17-8-56 قائلا:

ان الغرب لم يعد يجرؤ بحال من الاحوال على استخدام القوة ضد مصر لانه تيقن بأن شعار قطع البترول العربي وتدمير منشآته سينفذه الشعب في حالة العدوان، وقال:

لو سبق للعرب ان اثبتوا وجودهم في ميدان البترول ايام بحث قضية فلسطين عام 1948 لاضطر الغرب ان ينتهج سياسة اخرى، وقال: انه تقدم بمذكرة للمندوب الاميركي في الامم المتحدة عام 1948 لوح فيها بقطع البترول العربي فاستولى عليه الذعر، ثم عاد اليه بعد يومين وسأله باسم من تتكلم؟ ان الاتصالات التي اجرتها حكومتي مع الدول العربية نفت لجوء العرب الى قطع البترول عن الغرب.

المقاومة الشعبية في سورية

كنت موقنا بحتمية العدوان على مصر، فقد كانت الامور تتأزم بما لا يدع مجالا للشك، لذلك رأيت من الضروري الا نترك الفرصة تفلت من ايدينا بعد ان نجحنا نجاحا منقطع النظير بتعبئة الشعب في سورية، فأصبح لزاما علينا ان ننقل هذه التعبئة الى ساحة الاستعداد العملي، ليس الى مستوى الحرب النظامية فحسب بل على مستوى حرب التحرير الشعبية، فقدمت برنامجا كاملا ليكون نموذجا للعمل العربي في مقال كتبته في جريدة البعث بتاريخ 1956/8/17 تحت عنوان

اعداد الشعب للمعركة الفاصلة: وفيما يلي بعض ما ورد فيه:

"ليس من المستبعد ان تقوم بريطانيا بمجازفة عسكرية، وان وجود هذا الاحتمال مهما يكن ضعيفا، يلزم العرب بالاستعداد له استعدادا تاما، والا فقد تباغتهم الظروف بما لم يكن في الحسبان.

ولئن كان صحيحا ان الشعب العربي يدرك هذه الحقائق كل الادراك، وانه معبأ روحيا ونفسيا لخوض المعركة، وان كل فرد عربي من الاطلسي الى الخليج، مستعد الان لبذل دمه في سبيل حرية بلاده، فان هذه التعبئة الروحية وهذا الاستعداد النفسي لا يمكن ان يعطيا ثمراتهما اذا لم يكن هناك خطة محكمة وتنظيم دقيق لتوجيه القوى العربية واعدادها للنصر في المعركة الفاصلة.

ونحن مع تقديرنا للقوى النظامية في بعض البلاد العربية، ومع ادراكنا للدور الكبير الذي يمكن ان تلعبه في المعركة، نعتقد ان القوة التي لا حد لها، والتي يمكن ان تحطم قوة الاستعمار هي قوة الشعب متى اتيح لها التنظيم والتسليح والتوجيه، وان القوى النظامية هي المدعوة الان لتولي هذا التنظيم والتسليح والتوجيه، ومعنى هذا بالنسبة الى سورية الان هو:

1- **ان تتولى الحكومة السورية تهيئة السلاح الكافي للقيام بحرب مقاومة يخوضها كل فرد من افراد الشعب العربي القادرين على حمل السلاح، بحيث لا يحرم بيت عربي مما يحتاج اليه من سلاح للاشتراك في هذه الحرب المقدسة ضد المحتل، ويجب على الحكومة السورية ايضا ان تهىء مثل ذلك لشعب الاردن العربي، بحيث لا يحرم احد من شرف حمل السلاح والاسهام في الحرب، ومما يجعل للاردن قيمة خاصة في هذه الدول انه يملك منذ الان 70 الفا من رجال الحرس الوطني المدربين الذين لا ينقصهم سوى السلاح اللازم.**

2- يجب المبادرة فورا الى تشكيل منظمات حرب المقاومة وتدريبها التدريب الفني الحديث بحيث تكون مهيأة لبدء العمل متى وقع العدوان.

ومن الواضح ان الطبيعة الجغرافية في سورية والاردن صالحة كل الصلاح للقيام بحرب مقاومة طويلة الامد، ينتهي فيها العرب الى النصر، وينتهي فيها المستعمر الى الاندحار حتما، ولا شك ان اندلاع النار في سورية، والاردن سيسري الى العراق وجنوب الجزيرة العربية لان تسلل المناضلين الى هذه الاقطار العربية سيلهب هذه الاقطار فتنضم الى الحرب العربية الشاملة.

ان سورية والاردن من المراكز الاساسية في حركة المقاومة، وفيها يجب ان تبدأ حرب المقاومة.

3- يجب ان تنظم الحكومة قوائم بأسماء المشبوهين والعملاء المأجورين، فمتى بدأ الاستعمار عملية الاعتداء وضع هؤلاء تحت الحجز، حتى لا يسيئوا الى حرب المقاومة وحتى يحال بينهم وبين التخريب والايذاء، لقد اشار سلوين لويد في خطابه الاخير الى ان اصدقاء بريطانيا في الشرق الاوسط ينتظرون ان تطلب اليهم بريطانيا القيام بعمل من الاعمال، فينبغي ان تبادر الحكومة الى احتجاز هؤلاء العملاء عند بدء العدوان.

هذا ما ينبغي ان تقوم به الحكومة حالا، وكل تلكؤ او ابطاء خطر، ان للدقائق قيمتها في الاعداد لهذه المعركة ان اعلان التطوع لا يكفي وحده ويجب ان يطمئن الشعب الى ان لدى الحكومة من السلاح ما يكفي لتزويد جميع افراده، ويجب ان يدرب افراد الشعب منذ الان على حرب المقاومة، ويجب ان يطمئن الشعب الى ان العملاء والمأجورين لن يستطيعوا ان يضربوه في الظهر."

وبتاريخ 20-8-56 اجتمعت مع رئيس الحكومة صبري العسلي وبحثت معه ضرورة المباشرة بتسليح الشعب وتدريبه واعداده للمقاومة الشعبية الجماعية في سورية والاردن. **ولاجل حث الحكومة وتحميلها مسؤولية اي تقاعس او اهمال اعلنت بأن اجتماعي الى رئيس الوزارة كان هدفه البحث بضرورة تدريب الشعب تدريبا عسكريا وتأمين تسليحة، كما بحثت معه سبل تأمين السلاح للحرس الوطني في الاردن، وقلت بأن الواجب يقضي بأن يتسلح الشعب ليكون مستعدا للمعركة دائما للرد على كل احتمال للعدوان** سواء اكان ناجما عن تطور

مشكلة قناة السويس او غيرها لان المرحلة التي تمر بها الامة العربية ووجود اسرائيل في قلب الوطن العربي يقتضي ذلك.

كما قلت "ان قيادة حزب البعث العربي الاشتركي قد بحثت هذا الموضوع واقرته وستشرع فورا بالقيام بدعوة واسعة في المدن والارياف على السواء تحث فيها المواطنين على التطوع في منظمات المقاومة الشعبية، لان الاستعداد لدرء الخطر كثيرا ما يكون انجع وسيلة لاستبعاد وقوعه" (الرأي العام 21-8-56).

نتائج مؤتمر لندن

لعبت وحدة النضال العربي وقد تجلت بالمظاهرات والاضرابات التي شملت الوطن العربي من اقصاه الى اقصاه دورا كبيرا في مناقشات مؤتمر لندن، فمن جهة شجعت الدول الصديقة كالاتحاد السوفيتي ودول عدم الانحياز كالهند التي دعيت الى حضور مؤتمر لندن على مناصرة مصر، ومن جهة اخرى اضعفت من مناصرة بعض العملاء لبريطانيا فاضطرت حكومة نوري السعيد وهي عضو في حلف بغداد ان تؤيد التأميم وتؤكد سياسة مصر على القناة.

وفي 23-8-56 انتهى مؤتمر لندن بتوقع 18 دولة على قرارات اتفقت عليها الدول الثلاث: الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهي لا تخرج عن مقترحات جون فوستر دلس في هذا المؤتمر وهي:

1- فصل مسألة ادارة قناة السويس عن السيادة.
2- منح مصر حصة عادلة من ايراد الملاحة بالقناة.
3- ادارة قناة السويس ادارة جيدة كممر مائي دولي مفتوح امام جميع الدول في السلم والحرب.
4- منح شركة القناة المؤممة وحملة الاسهم تعويضا حسنا.
5- احترام حق سيادة مصر على القناة.

6- انشاء مجلس دولي لادارة القناة تشترك فيه الامم المتحدة وتمثل فيه مصر.

7- توقع مصر ودول مؤتمر لندن معاهدة تحل محل معاهدة القسطنطينية عام 1888 لضمان حرية الملاحة واعتبار المجلس الدولي مسؤولا امام الامم المتحدة.

8- فرض عقوبات فعالة لمواجهة اي خرق لاحكام المعاهدة واعتبار اي تدخل في اعمال الملاحة في القناة خطرا على السلامة وخرقا لميثاق الامم المتحدة.

وقد قرر مؤتمر لندن ابلاغ الحكومة المصرية بالنص الكامل لمحضر الاجتماعات، كما ان "حكومة جلالتها قد قررت في غضون ذلك ما ستقوم به من عمل تال وهو ارسال لجنة مصغرة تقوم بتقديم بيان المؤتمر الى الحكومة المصرية فاذا قبله عبد الناصر كأساس بدأت المفاوضات اما اذا لم يقبله فعلينا ان نحتفظ بموقفنا" (ص 272 مذكرات ايدن، الجزء الثاني)

وقد عارض شبيلوف مندوب الاتحاد السوفيتي المشروع الغربي الذي يقضي بارسال وفد باسم مؤتمر لندن لمباحثة الحكومة المصرية لانه سيكون من شأنه زيادة الموقف سوءا ولن يكون الا سببا في حدوث النزاع.

وقد علقت على نتائج مؤتمر لندن بمقال في جريدة البعث بتاريخ 24-8-56 عنوانه "ما زال الموقف بيد الشعب العربي" وقد ورد فيه:

اليوم انتهى مؤتمر لندن بقرار جماعي يقضي بتبليغ مصر محاضر جلسات المؤتمر، كما ان الدول السبع عشرة التي اقرت مشروع دالاس سترسل وفدا خماسيا الى مصر لتعرض عليها المشروع.

فما هي نتائج هذا المؤتمر دوليا وقوميا؟

لا شك ان المؤتمر قد تكشف عن فضيحة كبرى، واظهر، كما كنا نقدر المؤامرة الغربية على القومية العربية، ومنذ ما القى ايدن خطابه قبيل المؤتمر

عرفنا ان الدول الغربية مصممة على العدوان على الوطن العربي، وان مؤتمر لندن انما هو محاولة لتبرير هذا العدوان امام الرأي العام الدولي.

فكانت النتيجة ان اطلع العالم على هذه الفضيحة الكبرى وعلى تآمر الاستعمار الغربي، وكان الرأي العام الدولي في جانب القضية العربية بل ان المؤتمر اخفق حتى في الوصول الى النتيجة الشكلية التي توختها الدول الغربية وهي اتخاذ قرار بالاكثرية يكون مبررا للعدوان، وهكذا اذا انتهى مؤتمر لندن بطرح القضية العربية على الصعيد الدولي، وكسب الرأي العام العالمي الى جانبها، وكشف نوايا الاستعمار الغربي تجاه الامة العربية، ولكن ذلك كله لا يمنع ان يقدم المستعمرون الغربيون على العدوان بحجة تنفيذ مشروع دالاس المؤيد من سبع عشرة دولة.

اما نتائج مشكلة قناة السويس ومؤتمر لندن في الوطن العربي فهي:

ان العرب لاول مرة منذ آماد طويلة في تاريخهم يقفون صفا واحدا من الاطلسي الى الخليج العربي، بشعور واحد وتصميم واحد لرد العدوان الاستعماري عن بلادهم. ان القومية العربية بعثت في جميع دنيا العرب.

وتبين ان وحدة النضال العربي اصبحت حقيقة واقعة، كما تبين ان الوحدة العربية فكرة ثورية لا يمكن تحقيقها الا بنضال موحد ضد الاستعمار، وان فكرة الحرية لا يمكن ان تنفصل عن فكرة الوحدة العربية.

ذلك بالاضافة الى ان القومية العربية، بعد ثورة الجزائر ومشكلة القناة ومؤتمر لندن، قد برزت على نحو، جعل بينو يقول: "ان القومية العربية اخطر علينا من الشيوعية".

وقد تبين في مؤتمر لندن ايضا عمق الرابطة القومية، فقد وقفت، مع الاسف، الباكستان وتركيا وايران، الدول الشرقية الاسلامية، تحت ضغط ارتباطها بحلف بغداد الاستعماري، الى جانب المستعمرين الغربيين، بينما ارغمت حكومة العراق المشتركة في نفس الحلف، تحت ضغط الرأي العام العربي، على الوقوف بجانب مصر، ولم تجرؤ على الخروج الظاهر عن ارادة الشعب العربي.

تلك هي نتائج مؤتمر لندن على الصعيدين الدولي والقومي، والان ان كل عربي مضطر في هذه اللحظات التاريخية لان يطرح على نفسه دوما هذا السؤال:

ماذا يجب على العرب ان يفعلوا امام تصميم الاستعمار الغربي والصهيوني على القضاء على القومية العربية؟

لقد اجابت حكومة مصر على هذا السؤال، لقد هيأت الشعب العربي لثورة عربية شاملة، وقدمت له الاسباب المادية القادرة على جعل ما هو واقع في نفسه واقعا في العالم الخارجي، وانه لمصمم على القتال الى اخر ابن عزيز من ابنائه.

اما في المشرق العربي، فبعد ان صمم الشعب العربي في سورية والاردن ولبنان والعراق والامارات على الوقوف في وجه الاستعمار، اصبح واجب سورية ان تعرف كيف تهيء هذه القوى للكفاح في المعركة الكبرى، لقد قلنا، في مقالات سابقة، ان واجب الحكومة السورية ان تسلح الشعب العربي في سورية والاردن، وان القوى الشعبية في سورية ولبنان والاردن، اذا هي نظمت وسلحت، قادرة على الهاب الشعب في العراق والامارات العربية.

ان الجيوش النظامية في الاقطار العربية يجب ان تكون نواة تنظيم وتدريب وتسليح لقوى الشعب وان بيد هذه القوى جميعا سلاح آخر، سلاح حاسم في هذه المعركة، هو تدمير القناة والمنشآت النفطية والمؤسسات والقواعد الاستعمارية. واننا بعد ذلك لمطمئنون ان الاستعمار سيمنى بشر هزيمة، اذ نفذت هذه الخطة بحزم وجرأة، ان ثمانين مليونا من العرب وقد صمموا على التضحية بالنفس والمال واصبحوا قوة هائلة تتحطم على صخرة مقاومتها جميع قوى الاستعمار، وان من واجب الحكومة ايضا ان تضع حدا للخونة والجواسيس وعملاء الاستعمار المتصلين بمكاتب حلف بغداد هؤلاء الذين يدعون مرة بأن مشكلة القناة مشكلة تافهة، ويقولون تارة ان العرب مجانين اذ يقفون امام الاستعمار، ويرون تارة اخرى ان تصميم الشعب العربي على تدمير منشآت الاستعمار وقواعده والمنشآت النفطية خاصة، ضرب من الجنون، ويصفون حركة التحرر العربي ومقاومة الاستعمار بالشيوعية، ان هؤلاء قد انكشفوا للشعب، وعرفهم باسمائهم وصحفهم وشبكاتهم التي

تعمل في سوريا ولبنان والاقطار العربية الاخرى طابورا خامسا مسخرا للاستعمار الغربي واغراضه.

ان الشعب قد ضبط اعصابه طويلا تجاه هؤلاء العملاء الذين يحيكون المؤامرات للقيام بالفتن والانقلابات فما على الحكومة الا ان تقف منهم الموقف الحاسم النهائي.

واننا نقول للحكومة بصراحة، بعد ان اجمعت الاحزاب السياسية المشتركة في اللجنة العربية لنصرة مصر على القتال الى آخر قطرة من دم لرد العدوان الاستعماري، وبعد ان بدأ تنتظم كتائب الانصار من الشعب، نقول: ان الشعب عندما لا يرى الحكومة تستجيب لما تقتضيه الظروف من استعداد وقضاء على عملاء الاستعمار، قد يمسك قضيته، ويواجه الموقف بنفسه.

لجنة منزيس (رئيس وزراء اوستراليا) تفشل في مهمتها

بالرغم من موافقة جمال عبد الناصر على الاجتماع باللجنة الخماسية المؤلفة من ممثلي استراليا والسويد واثيوبيا وايران والولايات المتحدة، بالنيابة عن الثماني عشرة دولة لعرض وجهة نظرها بشأن قناة السويس، كان جو العدوان والتهديد يسيطر على العالم، فقد دعت الدول الغربية مجلس حلف الاطلسي للانعقاد لبحث قضية القناة، كما اجتمع الرئيس ايزنهاور بلجنة الامن القومي للغرض نفسه، اما محادثات منزيس مع الرئيس جمال عبد الناصر فقد انتهت الى الفشل. وقدمت مصر مذكرة لجميع الدول وللامين العام للامم المتحدة داغ هرشولد تقترح ايجاد حل سلمي للمفاوضات على الاسس التالية:

1- حرية الملاحة في القناة.

2- توسيع القناة لمواجهة مقتضيات الملاحة في المستقبل.

3- وضع رسوم عادلة.

ولكن بريطانيا وفرنسا رفضتا هذه الاسس وعقدتا مؤتمرا مشتركا حضره رئيس وزراء فرانسا غي موليه ووزير خارجيتها بينو ومنزيس وايدن وسلوين لويد، ثم اصدرت الدولتان بيانا في لندن اعلنتا فيه ان الموقف خطير جدا في الشرق الاوسط بعد ان رفض

جمال عبد الناصر قبول مشروع اقامة ادارة دولية تشرف على القناة، وان الدولتين اتفقتا على التدابير الواجب اتخاذها دون ان تذكرا ماهية هذه التدابير، ولكن حزب العمال فضح نوايا المحافظين، فقد جاء في صحيفة "نيوستيت مان آند نيشن" "ان الخطة التي تحلم بها حكومة المحافظين تقوم على احتلال المظليين للسويس وبورسعيد وبعض المواقع الاستراتيجية، واحتلال القاهرة خلال اربع وعشرين ساعة واستبدال جمال عبد الناصر بحكومة ديموقراطية من العناصر التي كانت مقبولة من الشعب قبل الثورة..

وقد صرح ازنهاور بتاريخ 11-9-56 قائلا:

انه واثق بأن مسألة القنال ستحال الى الامم المتحدة قبل اتخاذ اي اجراء تستعمل فيه القوة، واكد ان الولايات المتحدة تتمسك بايجاد حل سلمي للقضية، ولكنه اعطى بريطانيا وفرانسا الحق في استخدام القوة لابقاء قناة السويس مفتوحة للملاحة اذا استنفذت جميع الوسائل السلمية.

وفي تاريخ 12-9-56 افتتح ايدن في مجلس العموم المناقشة حول قناة السويس بخطاب طويل قال فيه "ان بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة قرروا انشاء هيئة للمنتفعين بالقناة تتولى مسؤولية الملاحة عبر قناة السويس، ولوح كثيرا باستخدام القوة ضد مصر "فاذا تدخلت حكومة مصر في عمل الجمعية فان الحكومات المعنية تجد نفسها حرة في اتباع اي خطة سواء بواسطة الامم المتحدة او اية واسطة اخرى للمحافظة على حقوقها" فتحدته المعارضة العمالية بقوة وسخرت منه واحرجته بأسئلتها ودعته للاستقالة وسمت مشروعه مشروعا استفزازيا.

وقد اظهرت هذه المناقشة تصميم حكومة المحافظين على استخدام القوة العسكرية ضد مصر من جهة، وانقسام الرأي العام في بريطانيا حول هذا الموضوع من جهة اخرى.

ولا بد لنا خلال عرضنا السريع لتطور مشكلة قناة السويس على الصعيد الدولي والمصري من العودة قليلا الى الوراء، الى

اواخر شهر آب وحتى الخامس عشر من شهر ايلول لنستعرض انعكاسات تطور المشكلة على تصوراتنا كقيادة لحزب ثوري مشترك بالحكم وواجباتنا في بحث الاستعداد لمجابهة كل الاجتماعات على الصعيدين الحكومي والشعبي، وما كنا نتعرض له من هجمات مركزة من مختلف اوكار الاعداء والشبكات العميلة ومن مؤامرات ومكائد تدبر لنا في الخفاء.

وهذا كله كانت تسجله مقالاتنا في جريدة البعث كل اسبوع وتكتبه الصحف الاخرى في كل يوم، انها معركة ضارية كنا نعيش فيها على اعصابنا باستمرار، وفيما يلي بعض هذه المقالات:

"هل قامت الحكومة القومية بمهامها القومية؟" (البعث 31 آب)

منذ اكثر من عام والبحث يدور حول انشاء مصفاة للنفط، في المجلس النيابي وفي الصحف وفي قاعات الوزراء والمسؤولين، ويسن المجلس النيابي قانونا يحرر الحكومة من شكليات المناقصات ويبيح لها ان تؤمن المصفاة بالتعاقد المباشر، وتؤلف اللجان لوضع دفتر الشروط وفض العروض... والشعب ينتظر ان يرى مصفاته التي تؤمن لالته الحربية دمها في الازمات - وما اكثر احتمالاتها ما دامت هناك اسرائيل والاستعمار الغربي - وتقدم لاقتصاده ضمانه الازدهار بل الاستمرار.. ولكن عبثا ينتظر الشعب.

لا بل ان خزانات النفط التي انشئت في اللاذقية ما زالت دون نفع او فائدة ما دام ينقصها الخرطوم الذي يصلها بالبحر، رغم ان الموازنة الاستثنائية لحظت الاعتمادات اللازمة لذلك، لقد تقرر انشاء هذه الخزانات في عام 1950 بعد التجربة التي مرت بها سورية في ازمة فلسطين، عندما توقفت شركات النفط عن مد سورية بما يلزمها منه، لتفادي تحكم هذه الشركات في اللحظات الحرجة بمصير البلاد، وتحكمها ايضا باسعار النفط، بفتح باب استيراده عند الضرورة من خارج نطاق هذه الاحتكارات الاستعمارية وقد لقي هذا المشروع مقاومة شديدة من شركات النفط .. ولكن الخزانات انشئت بيد انها ظلت بدون خرطوم يصلها بالبحر، فضاع الهدف من انشائها، هذا الى جانب عدم وجود خزانات للنفط، يحفظ فيها الى وقت الحاجة اليه، وكان من واجب هذه الحكومة القومية خاصة، وكل حكومة، ان تعمل لانشائها.

بل ان الامر تجاوز ذلك، فمديرية النفط التي من مهامها تمويل مشروع المصفاة وانشاء خزانات النفط، وتولي استيراد النفط وتوزيعه وخاصة توزيع حصتنا من نفط مصفاة طرابلس التي تبلغ عشرين بالمائة من حاجة البلاد والتي تذهب حاليا هدرا - ان مديرية النفط هذه لم تشكل حتى الان..

ان مشكلة النفط هي مشكلة العالم، وان بريطانيا والدول الغربية الاستعمارية لا تجد حجة لتبرير عدوانها على الوطن العربي وعلى غيره في منطقة الشرق الاوسط الا لأن هذه المنطقة من العالم تمون الغرب باكثر ما يلزم صناعته والته الحربية بالنفط.. ومع ذلك نجد الحكومة القومية تعالج مشكلة تأمين النفط للبلاد بهذه الدرجة - وهل يكفي ان نقول - من الفتور والامبالاة، مع ان كل آلة الحرب والاقتصاد تتوقف وتفقد فائدتها وفعاليتها اذا لم تتأمن لها حاجتها من المحروقات، سيما وان ذلك لا يستدعيه هذا الظرف العصيب الطارىء وانما تستدعيه كل الظروف ما دام عدوان اسرائيل محتملا في كل آن.

لقد بدأ البحث في الوزراة القومية في ظروف دقيقة بالنسبة لسورية ولحياة الامة العربية، حين كانت تهدد اسرائيل بتحويل مجرى الاردن، فطرح في مقابل التهديدات الجدية لوجود الامة العربية شعار الاتحاد مع مصر، وقدر حينذاك ان هذه المشكلات والمشروعات الكبرى يجب ان تعالجها حكومة قومية. وبعد مخاض طويل ولدت هذه الحكومة على اساس تنفيذ الميثاق القومي وتحقيق الاتحاد مع مصر.

ولقد جدت على الامة العربية بعد ذلك احداث كبيرة الخطورة: كرفض امريكا وبريطانيا ثم المصرف الدولي تمويل مشروع السد العالي، وتأميم حكومة الشقيقة مصر شركة قناة السويس، وتحشيد بريطانيا وفرنسا قواتها العسكرية لتهديد مصر والامة العربية بالعدوان وتجميد ارصدة الاسترليني المصرية وفرض شبه حصار اقتصادي على مصر.. ثم ما تبع ذلك من اجتماع مؤتمر لندن وما انتهى اليه، وتشكيل الدول التي وافقت على المشروع الغربي لجنة خماسية للاتصال بحكومة مصر.

اي انه انضافت الى الظروف الخطيرة التي كانت السبب في تشكيل الوزارة القومية ظروف اشد خطورة، اي انه اذا كان تنفيذ المهمات التي القيت على عاتق الوزارة القومية ضروريا من قبل فهو اشد ضرورة الان .. فماذا كان؟

ان توفير السلاح الخفيف للشعب، وتدريبه وتنظيمه واعداده لمعركة، هو الوسيلة الاساسية، وربما الوحيدة، لمقاومة اطماع الاستعمار الغربي وعدوانه، هذا الاستعمار الذي يقوم الان بردة عنيفة على الامة العربية - ان كل ذلك لم تواجهه الحكومة القومية بكل الجدية الواجبة له، مع انها لو تفرغت له وحده ما كان ذلك منها غمطا لواجباتها الاخرى.

ان التحشيدات العسكرية ما زالت تتابعها دولتا الاستعمار - بريطانيا وفرنسا - في قبرص وغيرها من قواعد الاستعمار في الشرق الاوسط وان الاساطيل والطائرات تهدد سواحلنا وأجواءنا، وان مؤتمر لندن قد كشف عن الاغراض التي ابتغاها الاستعمار من ورائه، ومنها ايجاد المبررات للعدوان، وقد يكون منها توفير الوقت الكافي لاكمال التحشيدات وان كل ذلك يحدث والحكومة القومية لم تتجه بجهودها بعد لا الى تسليح الشعب واعداده لحرب الانصار، ولا للاهداف القومية الاخرى الاساسية.

بل ان هناك في الجو العربي تحركات سياسية نستطيع ان نقول انها اكثر من مشبوهة فمراكز التحريك فيها معروفة، انها مكاتب الحلف في بغداد وبيروت ودمشق ويرافق هذه التحركات التي تجري في المستوى العالي، تحركات اخرى في مستويات ادنى - واحط - في داخل لبنان والاردن، وفي داخل سورية، تعمل تخريبا وتجسسا وتآمرا وان البلاد لتشهد نشاطا للعملاء ربما تجاوز نشاطها في اي وقت مضى. ومع ذلك فالحكومة القومية لا تعير انتباهها الى هذا النشاط الهدام، مع ان من واجب الحكومة اي حكومة في اي بلد في العالم، عندما يكون خطر العدوان على سيادتها وكيانها يتهددها وعندما تكون في حالة اقرب الى التعبئة العامة، ان تجتث من الجذور هذا الطابور الخامس من المخربين والعملاء والجواسيس ومع ذلك فان هذا الواجب القومي قد نص عليه في الميثاق القومي.

لقد اكتشفت الحكومة المصرية شبكات للتجسس والتأمر والتخريب يديرها بريطانيون رسميون مسؤولون. ذلك في مصر، والحكومة هناك تتناول الامر بالجد والحزم، فما بالنافي سورية، وهي مفتحة الابواب لكل واغل ومتآمر؟

ان بريطانيا تعتمد على "اصدقائها" - على حد تعبير ايدن - والعملاء الخونة - على حد تعبير الشعب العربي - في تآمرها على استقلال البلاد

وسيادتها وبالتالي على حريتها وحياتها، ان عمدت للحرب ام لم تعمد، فما بال الحكومة القومية لا تواجه هذه المشكلة الاساسية الخطيرة في حياة البلاد، وخاصة في مثل هذه الظروف؟

هل اكتفت الحكومة القومية بما قامت به من ترفيعات استثنائية وتنقلات ذات مرام، وحل لمجلس بلدي وتعيين لاخر حزبي وتأهب للكسب في انتخابات البلدية والمخاتير، وتجريد حملات انتقام على الفلاحين في حارم وجرجناز كيدا لحزب مشترك في الحكم القومي؟

واكتفت بالاغضاء عن اعمال الاستفزاز لا المشبوهة فقط وانما المعروفة المصدر في صافيتا وجبل العرب والبادية؟ هل اكتفت بذلك واعتبرته مهمتها القومية؟

ان الشعب يتساءل: اذا لم تقم الحكومة القومية بالمهام القومية التي يفرضها عليها الظرف الخطير الذي تجتازه الامة العربية، واذا لم تنفذ على الاقل بنود الميثاق القومي الذي هو برنامجها، واذا خاصة لم تسلم الشعب قضيته وتهيئه للمعركة بالتدريب والتنظيم وتأمين السلاح الخفيف، ولم تؤمن النفط الذي هو دم الة الحرب، ولم تكافح التجسس والتخريب، فما الحكمة اذا من وجودها؟

اكرم الحوراني

وبتاريخ 1956/9/7 كتبت مقالا في جريدة البعث تحت عنوان: "نحن على فوهة بركان"

خلصت فيه الى النتائج التالية:

"ان الانكليز والفرنسيين مصممون على الشر والعدوان، وسيأخذ عدوانهم الصورة التي تسمح بها الظروف الدولية، ولا نريد ان نوغل الان في الاستنتاج والتخمين، بل نكتفي بتقرير هذه الحقيقة البسيطة الواضحة:

ان التحشيدات البريطانية الفرنسية في قبرص وقواعد الاستعمار الاخرى لا يحتمل الا ان يكون لها الا احد الاهداف الاتية او بعضها مجتمعة:

اولا: ان تكون استعدادا للهجوم على مصر والوطن العربي.

ثانيا: ان تكون تشجيعا لاسرائيل كي تقوم هي بالعدوان.

ثالثا: ان تكون نوعا من حرب الاعصاب وتشجيعا للطابور الخامس للقيام بعمليات انقلابات او فتن لمصلحة الاستعمار الغربي..

وايا كان الهدف لهذه التحشدات فالخطة السليمة لمواجهة اي صورة من صور العدوان هي كما ذكرنا مرارا تدريب الشعب وتهيئة السلاح له، الدفاع المدني، تخزين النفط لتأمين حركة آلة الحرب والاقتصاد، القضاء على الدعاية الاستعمارية واحباط المؤامرات التي تهيأ في الخفاء، وتحقيق كل ذلك ليس ضروريا في هذا الظرف بل هو ضروري دائما ما دام عدوان اسرائيل والاستعمار الغربي محتملا كل وقت..."

اثارة الفتن والحملات الاعلامية وعرقلة استعداد سورية للمعركة وتدبير الانقلابات

كان الغرب يمتلك جهازا اعلاميا وسياسيا قويا في مختلف الاحزاب اليمينية في سوريا، وكانت جريدة الاتحاد تحت الاشراف المباشر لميخائيل ليان الذي اتخذ من فندق امية مركزا لنشاطه السياسي والاعلامي، كما اتخذ جلال السيد من جريدة الحضارة مركزا لنشاطه السياسي والاعلامي، وكانت جريدة النذير في حلب لصاحبها الوزير احمد قنبر من اجهزة الغرب، وهي في الوقت نفسه الناطقة باسم حزب الشعب، بالاضافة الى جريدة السوري الجديد لصاحبها فيضي الاتاسي في حمص وجريدة العاصي في حماة التي يشرف عليها الاقطاعيون وآل العظم، الى عدد آخر من الصحف في مختلف المدن السورية.

كان رشدي الكيخيا عميد حزب الشعب - الذي سافر الى اوروبا منذ تأميم قناة السويس ولم يعد الا في شهر آب - يشكل مع جلال السيد القائد السابق في حزب البعث وميخائيل ليان ركن الحزب الوطني واحمد قنبر ورشاد جبري من اعضاء حزب الشعب والحكومة القومية وعبد الحسيب رسلان من الحزب الوطني حزبا فوق الاحزاب.

اما جلال السيد فكان يلتف حوله ثلاثة من اعضاء الحزب المغمورين وهم غالب عابدين (اصبح وزيرا للاوقاف بعد الثامن من

آذار) وانـور حبـاب ونـاجي مشـوح، وامعانـا فـي التفاهـة ومرضـاة الاسياد فان هؤلاء تجاهلوا انسحابهم السابق مـن الحـزب فـأعلنوا انسـحابهم مـن جديـد احتجاجـا علـى السياسـة التـي ينتهجهـا الحـزب، وعنـدها اقتنـع ميشـيل وصـلاح بضـرورة طـردهم، فأعلنـا طردهم من الحزب بتاريخ سابق لاعلان الاستقالة الثانية.

كـان اليمـين منقسـما علـى نفسـه تجـاه الميثـاق وتـأميم القناة، ولكن القوى الرئيسية كانت ما تزال تسير مـع حلـف بغـداد، فقد كانت بريطانيا بحكم تغلغلها القديم في المنطقة تمتلك جهـازا قويا بالرغم من كل الضربات التي وجهـت لنفوذهـا، ولـم يكـن هـذا النفوذ مقتصرا على بعض السياسيين والنـواب فحسـب بـل كانـت تدعمه فصائل الاقطـاع والطائفيـة والعشـائرية فـي الـبلاد، وهـؤلاء كانوا يقومون بـالادوار المرسـومة لهـم بـالرغم مـا كـان بينهم مـن خلافات وتناقضات مصلحية وفيما يلي بعض الامثلة عما ارتكبه هذا الجهاز الضخم في فترة قصيرة تبتدىء مـن اواخـر آب الـى منتصـف ايلول 1956:

كانت قرية (جرجناز) مـن اعمـال قضـاء المعـرة هـدف حملـة تأديبية قادها قائد فصيل الـدرك فـي المعـرة عبـد الوهـاب الملقـي الذي كان يجاهر بانتمائه لحزب الشعب بحجة وجود اخباريـة تقـول ان في القرية 52 قطعة سلاح، وكانـت الحملـة مؤلفـة مـن ثلاثـين دركيا وفي بيت مختار القرية المنتسـب لحـزب الشـعب اسـتدعي المختار الثاني المنتسب لحـزب البعـث العربـي الاشـتراكي حيـث جلد اكثر من مائة جلدة ولمـا لـم يعثـر علـى السـلاح فـرض علـى السكان شراء الاسلحة من بعض العشائر.

شـنت جريـدة احمـد قنبـر فـي حلـب حملـة عنيفـة علـى البعثيين الاشتراكيين ودافعت بحرارة عن سياسة حلف بغداد، وقد اصـطنعت لهـذا الهجـوم اسـلوبا ملتويـا اذ صـاغته بشـكل (كتـاب مغلق) موجه من اكرم الحوراني الى جمال عبد الناصر ثـم نشـرت في اليوم الثاني ما سمته ايضا جوابا مغلقـا مـن عبـد الناصـر الـى اكـرم الحـوراني وقـد وزع هـذا الكتـاب فيمـا بعـد اثنـاء المعركـة الانتخابية التي كان يخوضها حزب البعث في الاردن.

نشرت جريدة البعث بتاريخ 31 آب ان العناصر الرجعية في جبل العرب اخذت تتكتل وتنشط بشكل يسترعي الانتباه ويدعو الى المزيد من الحذر، ففي المأتم الذي اقيم للمرحوم طلال عامر تعمدت هذه العناصر وعلى رأسها زيد الاطرش ان تصطدم مع حزب البعث دون مبرر، وبعد يومين من هذا الحادث اقدمت فلول القوميين السوريين مدفوعة من رئيسها زيد الاطرش على التحرش باعضاء حزب البعث في قرية عرى مما ادى للاصطدام ووقوع الجرحى والقبض على سبعة اشخاص من السوريين القوميين.

اما جلال السيد فقد تمادى كثيرا في مهاجمة السياسة العربية التحررية وتأميم القنال ومواقف الحزب وسياسته، ثم بدأت جريدة الحضارة حملة افتراء على بعض قيادات الحزب ففضحنا سر هذه الحملة التي يقوم بها جلال السيد واشرنا الى وثيقة موجودة لدى القضاء العسكري في دعوى مقتل عدنان المالكي وهي عبارة عن الكتاب (رقم 32 في ملفات الدعوى) الموجه من طارق اليافي في بغداد الى سعيد تقي الدين في بيروت وموضوعها مباحثات جرت بين ممثل الحزب السوري القومي في بغداد وبين نوري السعيد وسعيد القزاز وزير الداخلية آنذاك تثبت ان جلال السيد كان معتمد نوري السعيد في سورية، وانه كان يرئس مكتبا من المكاتب التي تعتمدها السلطات العراقية وتتعامل معها، ولما تحدى جلال السيد ان تكون مثل هذه الوثيقة موجودة، نشرنا الوثيقة بنصها الحرفي.

سقط في حارم ثمانية جرحى من البعثيين الاشتراكيين برصاص رشاشات آل برمدا المنصوبة فوق شرفات مكتب حزب الشعب وبعض بيوتهم عندما كان البعثيون الاشتراكيون عائدين من حفلة تأبين لشهيدهم الذي قتله آل برمدا.

فيما بعد كشفت وثائق حلف بغداد سر هذه الحملة المسعورة على السياسة العربية التحررية التي كان يقودها في

سورية حزب البعث العربي الاشـتراكي وفيمـا يلـي نموذجـان مـن هذه الوثائق (كتاب محكمة الشعب)

من وزارة الخارجية التاريخ 1956/6/6
الى - عراقية دمشق
نرجو الاتصال بالسيدين ميخائيل اليان وجـلال السـيد لمعرفـة اقـل مـا يمكن ان يقبله كل منهما كمساعدة شهرية واعلامنا
التوقيع
وزير الخارجية
برهان الدين باش اعيان، (ص 1369، الجزء الرابع - كتابة محكمة الشعب)
من الملحق
الى الاستخبارات الساعة 1800
الرقم - 160 التاريخ 20-9-1956
ما يلي من اللواء الركن غازي الداغستاني (0)
ايد ممثلا بريطانيا وامريكا دفـع عشـرة الاف دينـار الـى ميخائيـل اليـان وخمسة الاف دينار الى جلال السيد وخمسـة الاف دينـار شـهريا الـى صـحف سورية (0) سيبلغاني برأي جهاتهما العليا هذا المساء (0) في حالـة موافقـة تلـك الجهـات سـأقوم بتسـديد حصـتنا الـى ميخائيـل والجرائـد غـدا امـا جـلال فننتظر اقرار ايصال المبلغ اليه وقد يجري الدفع في سفرة قادمة الى هنـا (0) ساقابل ميخائيل غدا الجمعة واعطيه المبلغ اذا وجدت الفرصة سانحة او ابعثه اليه بيد وزيرنـا المفـوض فـي دمشـق (0) امـا تخصيصـات الجرائـد فسـيوزعها الـوزير المفـوض بموجـب قائمـة نتفـق عليهـا. (ص300 الجـزء الاول - المصـدر السابق)

من الخارجية
الى - عراقية بيروت
لاحقا لبرقيتنا 1956/1/22
ادفعوا شهريا 240 دينار للسيد حسني البرازي اعتبارا من شهر كانون الثاني الجاري.
التوقيع
برهان الدين باش اعيان (ص 1364، الجزء الرابع - المصدر السابق)

المؤامرات تطبخ في لبنان، ومحطة الشرق الادنى في قبرص تهاجم الاوضاع في سورية

لم تكن التحركات البريطانية والاميركية خافية على الاوساط السياسية والاعلامية السورية، وكانت بعض الصحف تشير الى نشاطات رجال السفارة البريطانية في بيروت وتعاونها مع السفارة الاميركية على اثارة الفتن في سورية، وقد خرجت محاولات الاثارة هذه من الخفاء الى العلن اذ دأبت محطة اذاعة الشرق الادنى البريطانية التي كانت تبث من قبرص على مهاجمة الوضع في سورية واثارة الاشاعات.

في غمرة هذه التحرشات ترامت انباء من قبرص تقول ان الجزيرة قد اصبحت مسرحا لنشاط عسكري فرنسي واضح ولذلك صرحت بما يلي:

"ان حشد فرنسا لثلاثة الاف من قواتها في قبرص مع عدد من قدامى الضباط والعسكريين السوريين (الذين آثروا مغادرة البلاد والذهاب مع الجيش الفرنسي والاستيطان في فرنسا) الخونة امر لا يخيفنا، وان ما يماثل هذا العدد قدمني بشر هزيمة في معارك حماة عام 1945 ولم يكن الشعب يمتلك من الاسلحة سوى البنادق القديمة ومع ذلك فقد اسقط طائرتين واستولى على عدد من المصفحات وعلى كميات كبيرة من الذخائر.

ولكن الذي يجب ان تنتبه اليه الحكومة والجيش والشعب هو ما اصبح معروفا امره واعني به تسرب الاسلحة الانكليزية عن طريق لبنان الى بعض انحاء سورية، واعداد مراكز تدريب في شمال لبنان لاشعال الفتنة وتحقيق اغراض الغرب الاستعمارية، لذلك كان من واجب الجميع مكافحة الطابور الخامس لانه لا يجوز مطلقا ترك هذه الجيوب التي زرعها الاستعمار في انحاء سورية حرة للتخريب في اللحظة التي يحددها الاعداء."

وقد كنت الح دائما في تصريحاتي الصحفية على الاستعداد الجدي بشكل ملح ودائم، "صرح اكرم الحوراني في معرض شرحه لخطورة الوضع الذي يواجهة العرب واهمال الحكومة القومية الخطة السليمة لمواجهة اي صورة من صور العدوان وهي تدريب الشعب وتسليحه واعداد وسائل الدفاع المدني وتخزين النفط لتأمين آلتي الحرب والاقتصاد والقضاء على الدعايات

الاستعمارية واحباط المؤامرات التي تبيت في الخفاء، ولكن الحكومة القومية، مع الاسف لم تقم بشيء من هذه الاستعدادات حتى الان، فمصفاة البترول لم يبت في عروض انشائها، ومديرية النفط لم يتم انشاء جهازها وخزانات النفط لم يشرع بانشائها، كما لم توصل مستودعات اللاذقية بالخراطيم، بل صدر قرار غريب من مجلس الوزراء يكلف شركات توزيع النفط الاستعمارية ببناء الخزانات، ولم تبدأ الحكومة بتدريب الشعب وتسليحه، كما لم تأخذ قضية الدفاع المدني مأخذ الجد" (الرأي العام 9-9-56)

□

كان موقف الحكومة القومية من مشروع مصفاة البترول موضعا لحملة شديدة اذ ان لجنة المصفاة الفنية بخبرائها السوريين والعرب والاجانب قد قررت ان العرض التشيكي هو افضل العروض من النواحي المالية والفنية والسياسية، وكانت النتيجة الطبيعية ان يوقع العقد ويشرع في التنفيذ، ولكن شيئا من ذلك لم يتم لان وزير الاشغال ارسل الخبير المصري الى تشيكوسلوفاكيا لكي يتأكد من كفاءة الصناعة التشيكية مع ان صناعات تشيكوسلوفاكيا من الصناعات الراقية.

كان وزيرا حزب البعث يتحملان نصيبهما من المسؤولية بسبب طراوة مواقفهما مع وزراء حزب الشعب والوطني، وكان ذلك موضع تململ وانتقاد في اوساط الحزب، فلم يظهر الاستاذ صلاح البيطار المعية في تجربة الحكم برغم التزامه السياسي والاخلاقي وكان يعطي الامور الروتينية والصغيرة جزءا كبيرا من اهتمامه، ولم يكن يتصرف بعقلية القائد في تلك الظروف المعقدة بل كانت تغلب عليه عقلية الموظف، اما خليل كلاس فالبرغم مما كان يظهره من المعية وذكاء كبرلماني ووزير، فقد كانت تغلب على مواقفه مع زملائه الوزراء الكياسة والدبلوماسية.

جبهة عربية لتوحيد النضال العربي ولقاء عاصف مع صبري العسلي

كنت افكر بأن نجعل من معركة تأميم القناة مناسبة فذة لتوحيد النضال العربي، وكان نجاحنا في يوم نصرة مصر مشجعا

للمباشرة باقامة جبهة عربية من الاحزاب والقوى الوطنية، وبتاريخ 1956/8/24 نشرت جريدة الرأي العام ما يلي:

"قام اكرم الحوارني امس باتصالات واسعة مع اعضاء الهيئة العربية السورية لنصرة مصر لتعاود هذه الهيئة نشاطاتها واجتماعاتها الدورية، بعدا ان اتفقت الاراء على ان تصبح سورية الجبهة الثانية فيما اذا اعتدى على مصر، وجرت ليلة امس اتصالات تمهيدية تهدف الى توسيع اعمال الهيئة العربية السورية بحيث تصبح هيئة عربية شاملة تدعو الى عقد مؤتمر شعبي عربي يضم ممثلي الاحزاب والهيئات السياسية في جميع اجزاء الوطن العربي وتكون الغاية من هذا المؤتمر الذي يعتبر الاول من نوعه رسم طرق تشكيل المقاومة الشعبية التي تهدف الى تدمير مصالح الغرب في البلاد العربية اذا ما فكر الغرب بفرض تدويل قناة السويس عن طريق استخدام القوة"

سورية بؤرة الاشعاع العربي

لقد لقيت تجاوبا وحماسة عندما اقترحت على اعضاء اللجنة تطوير نضالنا وجعله عربيا شاملا ومستمرا عن طريق عقد مؤتمر شعبي عربي في دمشق تنبثق عنه لجنة عربية دائمة هدفها توحيد النضال العربي، كما قررنا اختيار خالد العظم - اكرم الحوراني - ظافر القاسمي، خالد بكداش، لمقابلة رئيس الحكومة القومية ورئيس الجمهورية واطلاعهما على ذلك واعداد البلاد للمعركة.

كان هذا غرضنا من الزيارة التي قمنا بها لرئيس الحكومة صبري العسلي، ولكن هذه الزيارة انقلبت الى زيارة عاصفة لم اكن اقصدها، فقد كانت التصرفات التي يرتكبها وزراء الحزبين الشعب والوطني في كل يوم من النوع الذي يفقد الانسان صبره واتزانه ولا سيما وانها تحدث في هذه الفترة التي يبيت فيها العدوان على العالم العربي وهذه امثلة عن بعض تلك التصرفات:

- انفرد احمد قنبر بتعيين مجلس بلدي جديد لمدينة حلب من الشعبيين وانصارهم كما رفع بعض الموظفين استثنائيا واجرى بعض التنقلات بين ضباط الدرك دون موافقة قياداتهم.

- المطالبة بالغاء انتخاب مكتب اتحاد نقابات دمشق، بزعم انها لم تدفع اشتراكاتها لصندوق الاتحاد العام وذلك لتضمن الرأسمالية فوز مرشحها صبحي الخطيب في رئاسة الاتحاد.

- اقصى وزير الزراعة رشاد جبري المهندس ميشيل عبد الله من رئاسة مصلحة الزراعة في دير الزور لانه من انصار حزب البعث.

- اظهر صبري العسلي امام بعض النواب اسفه لانه وقع مرسوم ترفيع مدير شرطة حلب استثنائيا بناء على اقتراح والحاح وزير الداخلية.

- انسحب حي المقامات في حلب من حزب الشعب فنزل غضب الشعبين على عائلة فخرو لانها تحولت عن ولائها العتيق لهم، وانصب هذا الغضب على احد الموظفين من افراد هذه العائلة فأصبح ينقل من محافظة الى اخرى حتى نفذ صبره واستقال.

- ارسل اقطاعيو المعرة آل الحراكي اتباعهم لتهنئة رشدي الكيخيا بسلامة الوصول بعد انتهاء اصطيافه في اوروبا، فكدسوهم بالسيارات التي طافت حلب ومرت بمكاتب البعث وهي تهتف هتافات عدائية منها: رشدي بك لعينك والبعث تحت رجليك.

هذه عينات من التصرفات الحقيرة لاطراف الحكومة القومية بينما كانت سورية ومصر على فوهة بركان، لذلك كان لقائي العاصف مع صبري العسلي حول هذه التصرفات الشاذة للوزراء الشعبيين والوطنيين.

لقد ركزت يومذاك على ما يجب ان تهتم به الحكومة القومية من امور جوهرية تقتضيها طبيعة الظروف التي يمر بها الشعب العربي وكتبت الصحف بأن صوتي كان يسمع خارج مكتب رئاسة الوزراء، ولم يغضب صبري العسلي بل كان يثني على كلامي ويصادق عليه.

كان صبري العسلي مخلصا يومذاك بالسير في السياسة العربية التحررية وتنفيذ الميثاق مهما كلفه الامر محاولا ان يغسل كل اخطائه الماضية، ولم يكن في ذلك

مفتقرا الى الشجاعة، فقد بدأ حياته السياسية ثائرا عندما اشترك في ثورة عام 1925، وهو من اسرة قدمت عددا من زهرة الشهداء في سبيل القضية العربية وقد احسن خالد العظم عندما صرح اثر هذا الاجتماع بأننا نعتمد على الرئيس العسلي فهو رجل مجاهد وطني خاض المعارك ضد المستعمرين، وقال: ان اللجنة ستقوم بالاتصالات مع باقي الهيئات في البلدان العربية لتوحيد النضال والسير به وفق خطة موحدة.

بمثل هذا الدرك انحدر اليه منطق هؤلاء الذين استنفرتهم بريطانيا في جميع البلدان العربية، ولكن منطقهم عراهم واظهرهم على حقيقتهم امام جماهير الشعب، كانوا جميعا يشربون من كأس واحدة قذرة، حتى ان غلاة انصارهم قد تطوعوا لتفنيذ أقوالهم والرد عليهم، فقد كتب جلال السيد في جريدة الحضارة مقالا جاء فيه:

"تخرج اصوات من بعض السياسيين العرب لا يستطيع مخلص حكيم ان يقول عنها الا انها اصوات صبية يلعبون، هناك سياسي يهدد بنسف القناة وتخريبها، وهنا سياسي يهدد بنسف منشآت البترول، اولاد جميعا يهرفون بما لا يعرفون ولا يحسبون لنتائج تصريحاتهم اي حساب إلا حسابا واحدا هو الاعجاب من جانب الجمهور، وحظوتهم بالتصفيق من جانب المهووسين ولو كان هذا على حساب القضية العربية"

وقد رد عليه بتوقيع بعثي قديم من انصاره في احدى الصحف:

(لعل الاستاذ السيد يقصد اكرم الحوراني الذي لا يجهل بأنه احد قادة حزب له اضخم قاعدة شعبية في الوطن العربي، وعندما يقول الحوراني ان الشعب سيدمر انابيب البترول ومنشآته لدى اول اعتداء على مصر، ومن ثم تؤكده لجنة نصرة مصر ويوافق عليه الشعب كله فمعنى ذلك ان هذا الكلام سيصبح أفعالا في الوقت المناسب، ولعل الاستاذ السيد المقيم حاليا في بحمدون لم ير التأييد الهائل لمقررات الهيئة العربية لنصرة مصر ولم يسمع باضراب 16 آب الذي اوقف فيه مواطنون في دير الزور ضخ البترول الى البحر.... فلو سمع بذلك لرد على ما يكتبه غسان تويني في جريدة النهار وكامل مروة في

جريدة الحياة، وبطرس الجميل في جريـدة العمـل، وحسـني البـرازي وحسـن الحكيم في جريدة الانباء، ولوجه الـيهم اتهامـه ولمـا اسـتعار مـنهم تعـابيرهم التي تدلل على خوفهم من الشعب... تصفيق المهووسـين، اعجـاب الغوغـاء، الشعب القطيع، كلمات يسترون وراءها تخوفهم من نهضة الشعب.

المؤتمر الشعبي العربي والانذار السوفيتي

اصدرت الحكومة السوفيتية في منتصف الشهر التاسع بيانا رسميا اعلنت فيه تأييدها لمصر تأييدا كاملا في دعوتها لعقد مؤتمر لحل مشكلة قناة السويس، وقال البيان ان مقررات مؤتمر لندن هدفها اخراج قناة السويس من تحت اشراف مصر وسيادتها وان هذه المحاولات ستبوء بالفشل وان ارسال اللجنة الخماسية الى القاهرة هدفها الضغط على مصر، كما ان التحشيدات العسكرية البريطانية والفرنسية في جزيرة قبرص هي عدوان صريح على مصر وانتهاك لميثاق الامم المتحدة، وان الاتحاد السوفيتي لا يمكن ان يقف في معزل عن قضية السويس لان اي خرق للسلام في المنطقة لا يمكن الا ان يمس امن الدولة السوفيتية.

كان لهذا البيان اثر بعيد في الاوساط السياسية العربية وقد صادف صدوره قبيل انعقاد المؤتمر الشعبي في دمشق بتاريخ 1956/9/18 الذي كان الاول من نوعه في تاريخ العرب الحديث حيث ضم عددا كبيرا من الممثلين للاحزاب والهيئات السياسية في البلاد العربية لتأسيس جبهة عربية توحد النضال ضد الاستعمار والصهيونية.

وقد مثل سورية في هذا المؤتمر: اكرم الحوراني، ميشيل عفلق، عبد الكريم زهور مدحت البيطار عن حزب البعث، رشدي الكيخيا، ناظم القدسي، معروف الدواليبي، علي بوظو، رشاد برمدا، شاكر العاص عن حزب الشعب، يوسف فيصل ومصطفى امين عن الحزب الشيوعي، خالد العظم، احسان الجابري، محمد مبارك عن المستقلين، فاخر الكيالي، ظافر القاسمي، ومظهر الشربجي عن الحزب الوطني، عصام العطار عن الاخوان المسلمين.

ومثل لبنان حميد فرنجية ورشيد كرامة، حسين العويني، كمال جنبلاط، تقي الدين الصلح، جورج هنا، انور الخطيب، انطون ثابت، محمد علي البزي، عدنان حكيم، داود سليمان، محمد

حيدر، حبيب ريز، كلوفيس مقصود، عبد الوهاب الرفاعي، حسن البحصلي، وتألف الوفد العراقي من: محمد مهدي كبة، كامل الجادرجي صديق شنشل، عبد الجبار جومرد، محمد محمود الصواف، امجد الزهاوي، جميل كبة.

وتألف الوفد الاردني من: عبد القادر الصالح، عبد الله الريماوي، رشدي شاهين، عبد المجيد ابو حجلة، مصطفى خليفة، امين شقير، احمد الطراونة، جورج حبش، علي منكو، حكمت المصري، سليمان النابلسي، محمد ربيع، محمد الشريقي، عبد الله نعواس، عيسى الماتان، بهجة ابو غربية، شفيق رشيدات.

وتألف وفد مصر من: محمد فؤاد جلال، حمادة الناحل، محمد الحناوي.

ومثل الجزائر: احمد توفيق المدني، عبد الحميد المهري، الدكتور محمد الامين.

ومثل تونس يوسف الرويسي والبحرين عبد الله الباكر والكويت احمد الخطيب، ومثل عدن محمد علي الجعفري وشيخان عبد الله الحبش ومثل امارة عمان ابراهيم طفيش ومثل فلسطين عزة دروزة.

هيأ انعقاد المؤتمر الشعبي المناسبة للتعرف على عدد من اعضائه الذين كنا نعرفهم بالسماع ومنهم على الاخص حميد فرنجية وفد توثقت صلاتنا به منذ الاجتماع الاول فاقترحت انتخابه رئيسا للمؤتمر ولقي هذا الاقتراح موافقة وقبولا اجماعيا.

اختتم المؤتمر اعماله بعد اجتماعات متتالية تمت خلال يومي 18-1956/9/19 بنشر نداء ومقررات على الامة العربية كما انبثقت عنه لجنة اتصال دائمة تتألف من: حميد فرنجية، اكرم الحوراني، معروف الدواليبي، فؤاد جلال، صديق شنشل، ظافر القاسمي وفيما يلي نص النداء والمقررات (الرأي العام 56/9/20)، وقد اثبتها لما لها من اهمية فلقد كان هذا المؤتمر الشعبي في تأثيره

الكبير، الاول والاخير في تاريخ المؤتمرات الشعبية في العالم العربي.

نداء الى الامة العربية المناضلة

ان المؤتمر العربي المنعقد في دار المجلس النيابي في دمشق، الذي يمثل مختلف الهيئات الشعبية والاتجاهات السياسية، قد اصدر قراراته بعد درس الموقف الدولي الراهن، ورأى من واجبه ان يوجه هذا البيان الى الامة العربية الكريمة:

لقد اعلنت الحكومات العربية في اجتماع اللجنة السياسية المنعقد بتاريخ 12-8-56 وذلك اثر ازمة قناة السويس بأن كل اعتداء على مصر او اي بلد عربي يعتبر اعتداء على الدول العربية كافة، ومن متطلبات تنفيذ هذا القرار اتخاذ التدابير التي اشار اليها المؤتمر في مقرراته.

ان هذه المعركة التي يريد الاستعمار فرضها انما هي معركة الشعب العربي كله فيجب ان يكون موقف الحكومات منسجما مع الشعب في هذه المرحلة التاريخية من حياة الامة، وان المؤتمر لواثق من ان الشعب العربي لن يدخر وسعا في حمل الحكومات على اداء واجبها كاملا حتى يكون العرب صفا واحدا في النضال.

ان مما يدعو للاعتزاز ان الشعب العربي قد قابل تصميم دول الاستعمار على اصطناع قضية قناة السويس واتخاذها ذريعة لتوجيه ضربات قاسية الى القومية العربية، برد فعل سريع وشامل دل على مدى نمو الوعي القومي، وعلى تصميم الشعب تصميما صادقا على الكفاح حتى اخر نقطة من دم ابنائه، وكان من مظاهر هذا التصميم الاضراب الشامل للبلاد العربية، كما دل عليه انعقاد هذا المؤتمر الذي عبر المجتمعون فيه عن ارادة المواطنين في ارجاء الوطن العربي.

ويهيب المؤتمر بالشعب ان يتهيأ لاحباط ما يدبره الاستعمار والصهيونية من مكائد، ويدعو المؤتمر كل فرد من افراد الشعب لان يعتبر نفسه مجندا للدفاع عن القومية العربية ووجود الامة العربية فيضع جميع مواهبه وجهوده في خدمتها.

ولم يغب عن المؤتمر مدى قوى الاستعمار ولكنه مؤمن بأن القوى الكامنة في هذه الامة كفيلة بصد العدوان وهي مسلحة بالايمان وبعدالة القضية التي يدافع عنها العرب، وقد وجد المؤتمر في كفاح الشعب العربي في الجزائر اروع مثل لقوة الايمان وقدرته على الصمود امام القوى المادية التي يعتمد عليها الاستعمار، كما اكد المؤتمر روح الكفاح النامي في البلاد العربية التي ما زالت ترزح تحت عبء الاستعمار المباشر، والمؤتمر يوجه تحية الى الاحرار المناضلين في كل بلد وقطر ويناشد المؤتمر الاحزاب والهيئات والمنظمات الشعبية والمواطنين جميعا على تحقيق فكرة المؤتمر وتنفيذ مقرراته ومساندة لجنة الاتصال في مجهودها لتهيئة اسباب وحدة النضال العربي...

اما المقررات التي اتخذها المؤتمر فهذا نصها:

ان المؤتمر العربي المنعقد في دار المجلس النيابي في دمشق، الذي يمثل مختلف الهيئات الشعبية والاتجاهات السياسية في البلاد العربية درس الموقف الدولي الراهن وتأثيره المباشر على الامة العربية، فتأكد ان مؤامرة الاستعمار ضد الوطن العربي قد دخلت مرحلة جديدة، فقد تكتلت قوى الاستعمار ضد العرب، واخذ الانكليز والفرنسيون يحشدون قواهم العسكرية على مقربة من البلاد العربية استعدادا للاعتداء عليها، وقد فضح الاستعمار نواياه في هذه المرحلة فاعتبر قضية قناة السويس ذات صلة وثقى بما يلي:

أ- بمصير معركة التحرير الدائرة بين العرب والاستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب العربي عامة.

ب- ببقاء القوات الغاصبة لفلسطين في وضع تستطيع معه مواصلة اعتداءاتها على البلاد العربية.

جـ- بمصير الوعي القومي العربي واثره على مطامع الاستعمار في البلاد العربية كافة.

ويتضح مما تقدم ان الاستعمار قد اتخذ من قضية قناة السويس مجرد ذريعة للعدوان، اذ ان مصر قد امنت فعلا حرية مرور السفن في القناة وابدت استعدادها للتفاوض وحتى لتعديل معاهدة 1888 وبرغم ذلك بقيت دول الاستعمار مصرة على فرض المعركة بينها وبين الامة العربية مما يضع الشعب العربي في حالة دفاع مشروع عن النفس.

وعليه فقد اصبح من المحتوم ان يأخذ النضال العربي صورته المكتملة في كل مكان وان يأخذ هذا الكفاح الصفات التالية:

اولا: صفة الدوام والاستمرار

ثانيا: صفة الشمول والوحدة، حتى يتأكد الاستعمار ان النضال العربي يلحق به من الاضرار ما يفوق جميع المكاسب التي يحلم بها.

ولتنفيذ خطة العمل على الاسس المتقدمة يرى المؤتمر تحقيق ما يلي:

1- على الحكومات العربية ان تعد نفسها للدفاع ضد عدوان الاستعمار بتهيئة الجيوش العربية تهيئة كاملة وتوفير السلاح الكافي حتى تكون القوة العسكرية العربية ممثلة لكامل امكانيات الشعب العربي.

2- على الحكومات ان تعمد فورا الى وضع التعبئة العامة عسكريا واقتصاديا وتموينيا موضع التنفيذ.

3- ان تبدأ الحكومات العربية فورا بتدريب الشعب على وسائل المقاومة الشعبية المسلحة حتى يكون الشعب كله قادرا على الدفاع.

4- على الحكومات العربية ان تكون مستعدة لاحباط الحصار الاقتصادي المتوقع وذلك بفتح باب التعامل مع الدول الصديقة ودفع الموارد والصناعات المحلية الى الاكتفاء الذاتي بقدر الامكان.

5- وعلى الحكومات العربية ان تتخذ اساسا لسياستها في تأمين الدفاع المشروع لمقاومة العدوان وذلك بجميع الوسائل الادبية والمادية واهم هذه الوسائل اعداد نفسها لتحقيق المقاطعة الاقتصادية ومنع تموين العدو بأية مادة استراتيجية ولا سيما البترول ومنعه كذلك من استخدام القواعد والمطارات والموانىء والمرافق العامة.

فعلى الشعب العربي الذي يريد الاستعمار فرض المعركة عليه ان يعمل على حمل حكوماته بجميع الوسائل النضالية على تنفيذ المقررات المذكورة اعلاه حتى لا تتعرض مصالحه بل سلامته للخطر.

هذا وقد قرر المؤتمر تأليف لجنة اتصال تكون مهمتها ابلاغ قرارات المؤتمر الى المسؤولين من رسميين وشعبين في البلاد العربية ونشرها باوسع نطاق على الشعب العربي ومتابعة الخطوات التي تتخذ لتنفيذها في

مختلف الاقطار العربية، وتعتبر اللجنة في حالة انعقاد دائم حتى يتم تنفيذ قرارات المؤتمر.

وضمانا لاستمرار تنسيق النضال وتوحيد الجهود فان على اللجنة ان تتابع الاحداث وان تدعو الى مؤتمر مقبل يكون من بين مهامه النظر في المشروع الذي تكون اللجنة قد اعدته لاقامة منظمة عربية شعبية دائمة..

وحدة النضال الشعبي العربي مقابل فرق تسد

لا شك ان هاجس الاستعمار دوما هو تمزيق القوى الوطنية، وان شعار القوى الوطنية دوما هو وحدة النضال.

كان من المدهش حقا ان يشترك اساطين الحزبين: الشعب والوطني في المؤتمر ثم تصدر عن صحفهم حملات بلغت حدا من السفه حتى ان جريدة وزير الداخلية [1] احمد قنبر الناطقة الرسمية بلسان حزب الشعب قد نشرت رسالة مزورة تزعم انني وجهتها للملك سعود تبدأ بالحملة الاتية:

"بعد لثم يديكم الكريمتين وتقديم واجبات الطاعة والخضوع لحارس الحرمين الشريفين، انكم تعرفون يا صاحب الجلالة الشيء الكثير، بل لعلكم تعرفون كل شيء عن الركائز التي قامت عليها سياستي وسياسة جماعتي في سورية، هذه الركائز التي لا انكر انكم احطتموها بعنايتكم ورعيتموها باحسانكم وافضتم عليها الكثير من خيركم وافضالكم".

اما جريدة الاتحاد فقد وصفت المؤتمر الشعبي بأنه مؤتمر شعوبي، وقد وجهت محطة الشرق الادنى التي كانت بريطانيا توجهها في جزيرة قبرص في تعليقها على المؤتمر، نداء طلبت

---

(1) من الاستخبارات
الى بيروت
التاريخ 11-4
الرقم 347 (0)
ما هو المبلغ المطلوب من الكرخي (السفير البريطاني لان السفارة البريطانية في بغداد كانت في صفة دجلة التي تسمى الكرخ) عن قسط مارت لنوعز لهم بالدفع (0) النواب الذين يركن اليهم من حزب الشعب الاستاذ احمد قنبر، الاستاذ رشاد جبري (0) من الحزب الوطني الاستاذ ليون زمريا، عبد الله فركوح، مجد الدين الجابري (0) من حزب المستقلين الاستاذ سهيل الخوري (0) الكتلة الدستورية بأجمعها وبصورة خاصة الشيخ راكان المرشد، الشيخ ثامر الملحم، الشيخ دحام الهادي. الشيخ عوينان المدلول، الشيخ حميدي العبد الكريم، السيد عبد الصمد الفتيح، الشيخ عبد العزيز المسلط (0) (ص 302 الجزء الاول - كتاب محكمة الشعب).

فيه من رجال الدين الاسلامي في البلاد العربية ان يتنبهوا للخطر الشيوعي الذي يتسرب الى بلادهم ويعملوا على مكافحته حالا، وبعد يومين نشرت جريدة الاتحاد التي يشرف على توجيهها ميخائيل ليان حديثا للشيخ حسن حبنكة حول هذا الموضوع نفسه.

كانت اجهزة حلف بغداد في البداية تحاول ان تدغدغ عواطف الاستاذ ميشيل ممتدحة صفاءه ونقاءه العقائدي وتنعتني في الوقت نفسه بالانتهازية وتحملني "تبعة الانحراف عن عقيدة الحزب" وبعدما صدرت جريدة البعث الاسبوعية حيث كنا نكتب نحن القادة الثلاثة مقالاتها الافتتاحية بأسمائنا الصريحة ثابرت هذه الاجهزة على تركيز هجماتها علي دون ان تتعرض للاستاذين بسوء، وكأنها بذلك تريد ان توحي بأنني افرض على الحزب مواقفه بالارهاب الفكري والسياسي، ولعل السبب هو عنف لهجتي والتركيز على مهاجمة حلف بغداد وعملائه، بالاضافة الى المودة السابقة التي تربط الاستاذين بجلال السيد احد رؤوس الاجهزة التي كانت تحمل بعنف وشراسة على الاتجاه العربي التحرري.

وكوسيلة لازالة ما يمكن ان تتركه تلك الاجهزة من ظلال حول موقف الحزب من حلف بغداد كتبت مقالا تحت عنوان "حلف بغداد في المعركة" (البعث 1956/9/28)

واقترحت ان ينشر باسم البعث لازالة اي التباس او غموض ثم عادت الافتتاحيات تنشر بعد ذلك بأسمائنا الصريحة وتحت عنوان رأي البعث.

بعد ذلك المقال هاجمت جريدة الحضارة ميشيل عفلق هجوما مقذعا وتناست ما كتبته عنه سابقا: "عندما يتكلم ميشيل عفلق فليخرس الجميع" كما اتهمت صلاح البيطار بأنه اصبح في خدمة اسرائيل بعد ان كانت تصفه بأنه قائد البعث.

وقد هزأ الناس من تناقض جريدة الحضارة وقال احد انصار جلال السيد السابقين:

"لقد صدرت جريدة الحضارة لتحل محل جريدة الناس التي كان يصدرها "الطيب الذكر" حسني البرازي".

بريطانيا تسعى لمصالحة الاسر المالكة وتوحيد سياستها

خلال انعقاد المؤتمر الشعبي في دمشق اجتمع الملك حسين بالملك فيصل الثاني فجأة في قاعدة الحبانية، وقد قيل انهما بحثا في اجتماعهما الغاء الانتخابات النيابية في الاردن واقامة حكومة عسكرية وتنحية اللواء علي ابو نوار واعتقال العناصر المتطرفة لقاء نجدة الجيش العراقي للاردن في وجه الاعتداءات الاسرائيلية.

ثم تبع ذلك اعتزام الملك فيصل الثاني زيارة السعودية بعدما اشير الى ان اجتماعا مماثلا قد تم قبل 26 سنة بين الملك فيصل الاول والملك عبد العزيز آل سعود على ظهر الدارعة الانكليزية (لوبين) حيث عقد الملكان اول معاهدة لحسن الجوار بين العراق ونجد.

ثم اعلنت الرياض ان الملكين فيصل الثاني والملك سعود قد اجتمعا في الدمام وان الغاية من هذا الاجتماع توطيد الصلات بين الاسرتين المالكتين لصالح العرب والمسلمين.

كانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بحالة انعقاد في تلك الفترة، فأصدرت بتاريخ 18-9-56 قرارا يعلن رفض مشاريع الغرب والوقوف بجانب مصر.

وقد قال لنا الاستاذ البيطار اثر عودته من مصر:

انه لولا ليونه مصر لما امكن التوصل حتى لاصدار مثل هذا القرار، فقد اظهر مندوب السعودية تخوفه من النفوذ الشيوعي، واعترض العراق ودول عربية اخرى على عدم اطلاعها على تأميم القناة قبل الاقدام عليه.

كان الرئيس عبد الناصر حريصا جدا في ذلك الحين على مرضاة الملك سعود بسبب علاقته الوثقى بالولايات المتحدة، فاستعان بالقوتلي لتهيئة اجتماع مشترك هدفه اقناع الملك بأن

السلاح الشرقي والمعونات الاقتصادية لا يمكن ان تؤدي الى الشيوعية، وان مشكلة تأميم القناة لا يمكن ان تصل الى حد القطيعة مع الغرب بل مع بريطانيا الطامعة بواحة البريمي والتي تعد العدة للعدوان على مصر.

الغضب الشعبي يتفجر في السعودية

فجر وصول ناصر والقوتلي الى مطار الظهران في الدمام بتاريخ 1956/9/23 طوفانا شعبيا لم تشاهد له الجزيرة العربية مثيلا منذ سنوات الفتح الاولى، فقد احتشد في المطار اكثر من مائة الف عربي في استقبال الوفد تعبيرا عن تأييدهم للحركة العربية التحررية، وكانت حماسة الجماهير، كما قال لنا الاستاذ صلاح البيطار الذي رافق الوفد، حماسة منقطعة النظير، وقد اصدر المؤتمرون بيانا لا يخرج في مضمونه عن بيان اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بتاريخ 1956/9/24.

ماذا جرى في الساحة الاردنية بعد انعقاد المؤتمر الشعبي

صحب عبد الله الريماوي معه بمناسبة حضوره المؤتمر الشعبي اعضاء قيادة الحزب لفرع الاردن لنبحث سوية في دمشق الخطة الواجب اتباعها لضمان نجاحهم في معركة الانتخابات التي تجري في الاردن، وكان كمال رفعت (أحد رجال عبد الناصر) قبل ذلك قد شكا في طريق عودته الى القاهرة بعد زيارته للاردن من عناد عبد الله الريماوي وامتناعه عن خوض المعركة الانتخابية بقوائم موحدة، وقد شرح لي بحضور فؤاد جلال شرحا مفصلا الموقف الانتخابي في الاردن، فكنت متفقا معه بأن الحزب سيخسر المعركة اذا خاضها بقائمة مستقلة، وكنت متأكدا من ذلك نظرا لخبرتي الطويلة بشؤون الانتخابات النيابية، وكان الاستاذان صلاح وميشيل متفقين معي في هذا الرأي ولا سيما ان ذلك ينسجم مع استراتيجية الحزب العامة بالتعاون مع الاحزاب

الاخرى ولكن عبثا حاولنا اقناع الريماوي، وكان رفاقه الاخرون متفقين معه بالرأي الا عبد الله نعواس، ولكنه لم يكن يجرؤ على مخالفته علنا والوقوف في وجهه.

رفض عبد الله الريماوي اقتراح الاحزاب والهيئات السياسية الاخرى بتخصيص خمسة مقاعد لحزب البعث العربي الاشتراكي لانه كان يأمل بأن يفوز بعدد اكبر، ولما عجزنا عن اقناعه اشهدت المجتمعين بأنه لن ينجح من مرشحي الحزب الا اثنان هما عبد الله الريماوي وعبد الله النعواس، وقد خاض فرع الاردن الانتخابات بقوائم مستقلة، فاضطر الحزب لتأييدها والدعوة لها في جريدة البعث في دمشق وفيما يلي اسماء المرشحين عن الحزب:

منطقة عمان: سليمان الحديدي، ابراهيم العابد

منطقة رام الله: عبد الله الريماوي، كمال ناصر، الدكتور حمدي التاجي

منطقة القدس: عبد الله نعواس، بهجت ابو غربية

منطقة نابلس: حمدي عبد الحميد، حسني الخفش، مصطفى عودة.

منطقة جنين: فريد حافظ غنام.

منطقة اربد: فرح اسحق، مصطفى خصاونة.

وقد صح تقديري فلم يفز من مرشحي الحزب في هذه الانتخابات التي جرت في 20-11-56 الا الريماوي والنعواس، اما كمال ناصر فقد انتسب للحزب بعد ترشيحه للنيابة، وبقطع النظر عما اسفرت عنه الانتخابات من نتيجة مؤسفة، فان تصلب الريماوي قد اضعف الحركة الوطنية بالرغم من ان الاوضاع السياسية في الاردن كانت اكبر مساعد للحزب لان يلعب دورا اكبر من الدور الذي لعبه في الاحداث التي تعاقبت على الاردن فيما بعد، حيث كان المد الشعبي قد وصل الى اقصى مداه، وحيث كان قائد الجيش الاردني وعدد كبير من خيرة الضباط انصارا للحزب، كما كان اللواء السوري المجهز بأحسن المعدات بقيادة العقيد نبيه الصباغ

متمركزا في الاردن، وقد اشرت فيما سبق لعلاقة العقيد الصباغ الوثقى بالحزب وبقائد الجيش الاردني اللواء علي ابو نوار، وكان من الغريب حقا ان تسفر انتخابات الاردن عن تلك النتائج الهزيلة بالنسبة للحزب.

العدوان الاسرائيلي المحتمل على الاردن

توالت الاعتداءات الاسرائيلية على الاردن وكان اكبرها هجوم الجيش الاسرائيلي بتاريخ 25-9-56 على قرية حوسان فاشتبك بمعركة حامية مع الحرس الوطني والجيش الاردني اسفرت عن خسائر كبيرة مني بها الطرفان.

كان استمرار الهجمات الاسرائيلية يوحي بأن الاردن سيكون هدفا للاحتلال الاسرائيلي، وكانت قناعتنا منبثقة عن الاهمية التي يتمتع بها الاردن بالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي.

ولم يكن تقديرنا خاطئا تماما فقد ذكر ايدن في مذكراته فيما بعد "بأن بريطانيا وفرانسا هما اللتان وجهتا العدوان الاسرائيلي نحو مصر، لانه اذا تحتم على اسرائيل ان تقوم بهجوم على احدى الدول المعادية فسيقع اختيارها اما على مصر واما على الاردن، اما اذا هاجمت اسرائيل مصر لا الاردن فلن يصيب موقفنا اي حرج ولهذا كان من الافضل من وجهة نظرنا ان يكون الهجوم على مصر". (ص355 - مذكرات ايدن - الجزء الثاني)

حاول الملك حسين ان يستعين بالجيش العراقي لانه لم يكن مطمئنا لتمركز القوات السورية وحدها في الاردن، فارسل وزير خارجيته عوني عبد الهادي الى بغداد ليطلب من السلطات العراقية ارسال فرقة عسكرية، وقد صدر بتاريخ 4-10-56 البيان المشترك التالي من نتائج المباحثات وهذا نصه:

جرت في بغداد بين 26 ايلول و 1 تشرين الاول مداولات ودية وصريحة بين المسؤولين العراقيين ومعالي وزير خارجية الاردن تبودلت خلالها وجهات النظر بين الطرفين حول مساعدة العراق العسكرية للاردن، فأكدت الحكومة العراقية ما سبق ان

اعربت عنه من عزمها على الدفاع عن الاردن بموجب معاهدة التحالف العراقية التي ضمنت بنودها ذلك.

وان المباحثات الفنية جارية الان في الاردن بشأن ذلك من قبل ممثلي الحكومتين العسكريين، وقد اعرب معالي وزير الخارجية الاردنية عن استعداد حكومته لتسهيل قيام العراق بالتزاماته.."

وقد اشارت الصحف الاردنية الى اخفاق المحادثات والى امتناع الحكومة العراقية عن تقديم المساعدة العسكرية للاردن فكتبت بجريدة البعث 5-10-56 تعليقا حول هذا الموضوع تحت عنوان الجيش لا يدخل لان اسرائيل لا ترضى، وهذا نص مقطعه الاخير:

"ان الجانب العراقي قد اعلم الجانب الاردني، بشكل رسمي و.. بلهجة دبلوماسية، انه لا يستطيع السماح بدخول الجيش العراقي للاردن لان اسرائيل لا يمكن ان تقبل ذلك. وشفع الجانب العراقي هذا القول بتأكيده ان اسرائيل لن تهاجم الاردن! وهنا لا بد من السؤال: كيف سمح ساسة العراق لانفسهم ان يؤكدوا مثل هذا التأكيد؟ هل هم مشارون بالخطط الغربية والاسرائيلية؟ وما بال دعايتهم تنصب على ان عدو العرب الاول هو اسرائيل والشيوعية اذا كانوا متأكدين من نوايا اسرائيل السلمية؟ ولكن لا بد ان يتخبط المجرم، ولا بد من ان يكشف بتخبطه جريمته.

ولو ان هؤلاء الساسة احتفظوا ببقايا من اخلاص لامتهم العربية، لوجدوا طريق الدعم الصحيح للشعب العربي في الاردن، ان ما ينقص شعبنا في الاردن هو السلاح، ان الحرس الوطني الذي يمكن ان يبلغ اكثر من سبعين الفا قادر على ان يكون سدا وحصنا امام العدوان الاسرائيلي المحتمل، اذا هو سلح بالسلاح الحديث، وان قسما فقط من واردات العراق من النفط، والاموال المجمدة في البنوك البريطانية، التي يقول ساسة الحلف انهم لا يعرفون كيف يتصرفون بها، كافية لتسليح الاردن والانتهاء نهائيا من خطر اسرائيل.

ان هؤلاء الساسة انما يقصدون، من وراء هذه المباحثات والمفاوضات، او المناورات، الى الدعاية والتمويه، والى تضليل الشعب العربي وخلق البلبلة

فيه، ويقصدون خاصة الى توليد الخلافات في المستوى الرسمي وتغذيتها وانشاء المعسكرات في الوطن العربي، انهم دائما يشترطون شروطا خاصة بالنسبة الى هذه الدولة العربية او تلك ليس لها من معنى الا اذا كانت تهدف الى تمزيق التضامن العربي. لو ان الاخلاص كان لهم رائدا ما وضعوا شروطا، بل عراقيل، وانما اندفعوا الى المساعدة والتأييد والدعم لان القضية عربية، والقضية العربية لا تتجزأ.

وبعد لقد اصبح من واجب الشعب العربي في كل الاقطار وفي العراق خاصة ان يناضل دون هوادة ليحطم هذا الحلف، للقضاء على هذه القاعدة التي توجه وتمد معظم العملاء الخونة في الوطن العربي، ان العدو الصريح يسهل التحرز منه والاحتراس والتهيؤ له والاستعداد ولكن يصعب على الشعب ان يتوقى شرور من يأتيه من كل جانب، فيسد أمامه المنافذ، ويحدثه بلسان هو لسانه ووجه هو وجهه ويستعمل اللسان اداة للتخريب والوجه قناعا للخيانة."

لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي العربي تزور الاردن

نتائج المباحثات الاردنية العراقية

قررت لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي العربي زيارة بعض البلدان العربية لاطلاع حكوماتها على مقررات المؤتمر، وتنظيم التعاون بين هذه الحكومات وبين الشعب، تحقيقا لوحدة النضال العربي، المهمة التي اوكلها الينا المؤتمر اثناء انعقاده بدمشق.

وصلنا الى عمان بتاريخ 6-10-1956 وفي اليوم الثاني قمنا بزيارة الملك حسين فشرحنا له قرارات المؤتمر وبلغناه عزم سورية حكومة وشعبا على نجدة الاردن مهما بلغت التضحيات، ثم زرنا رئيس الحكومة ووزير الخارجية عوني عبد الهادي فتحدث معنا عن تفاصيل مباحثاته مع المسؤولين العراقين فقال:

ان نوري السعيد استدعى السفير البريطاني الى اجتماع حضره الملك فيصل وجرى البحث حول موقف بريطانيا من تزويد الجيش العراقي بالذخيرة فيما اذا دخل الاردن الحرب، فقال السفير البريطاني:

ان حكومته ستمتنع عن تزويده بالذخيرة لان اسرائيل ستعتبر دخوله للاردن عدوانا عليها، ولكن الامر يختلف في حال نجدة الجيش العراقي للاردن عندما تجتاحه اسرائيل بقصد احتلاله.

وقال عوني عبد الهادي بأن النقاش قد احتدم بينه وبين نوري السعيد بحضور الملك فيصل عندما سأل نوري السعيد قائلا:

ومن يضمن حتى في حال اجتياح اسرائيل للاردن ان تزود بريطانيا الجيش العراقي بالذخائر؟ فاستغرب نوري السعيد ان يشك وزير خارجية الاردن بالوعد البريطاني.. فقال عوني عبد الهادي:

لو جئت يا باشا الى الضفة الغربية وشاهدت اللاجئين الفلسطينين لشككت معي بجميع الوعود البريطانية، وقال ايضا ان مباحثاته في بغداد انتهت بالنتائج الاتية:

لا تستطيع الحكومة العراقية ارسال قواتها الى الاردن الا اذا وافقت بريطانيا وامريكا على ذلك لانها تعتقد بأن اية حرب مع اسرائيل في حالة دخول جيشها للاردن - هي حرب خاسرة ما لم يضمن العراق امداد جيشه بالذخيرة اللازمة من قبل بريطانيا، والذخيرة المتوفرة لدى الجيش لا تكفيه في حالة الحرب الا اياما معدودات، وبرر نوري السعيد ذلك بأن هذا شأن جميع الدول كبيرة كانت ام صغيرة لا شأن العراق وحده... فالذخيرة لا تؤمن عادة الا عند الحاجة اليها وبالنسبة لمستوى هذه الحاجة وظروفها.

وقد حاول عوني عبد الهادي ان يأخذ وعدا بارسال القوات العراقية الى حدود الاردن عندما تسمح الظروف، فادعى نوري السعيد بأن مثل هذا الامر يحتاج الى اعدادات فنية كثيرة، وان الفرقة العسكرية التي يريد الاردن ارسالها الى حدوده تحتاج الى اماكن لاقامتها، والى طرق لمواصلاتها، والى عمليات تمويل واسعة لامدادها، وهذا كله يحتاج الى اموال لا يمكن انفاقها قبل دعوة البرلمان العراقي واخذ موافقته.

لقد اتاحت لنا زيارتنا لعمان التعرف على الوضع السياسي هناك فتأكد لي مجددا خطأ سياسة الريماوي لامتناعه عن دخول

الانتخابات بقوائم موحدة، ولتشدده بشروط التعاون الوثيق مع الاحزاب الوطنية الاخرى، ولا سيما الحزب الوطني الاشتراكي الذي تعرفت على عدد من قادته.

بعد عودتنا الى دمشق جاء عوني عبد الهادي اليها ايضا فأبلغ الحكومة السورية نتائج مباحثاته مع نوري السعيد، فأحدث نشرها دويا كثيرا واثرا بليغا في سورية والاردن، ولا سيما وانها نشرت مع دعوة نوري السعيد بجريدة التايمز الى ما اسماه باتفاق عربي اسرائيلي دائم.

وقد كتبت بجريدة البعث بتاريخ 15-10-56 عرضا للوضع في الاردن وتحليلا لموقف نوري السعيد ودعوته للصلح مع اسرائيل مقالا بعنوان "قد تنتقل معركة السويس الى الاردن" وفيما يلي بعض ما جاء في هذا المقال:

وأيا كانت خطة الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية، فان واجب الحذر القومي يقتضي مصر وسورية ان تعملا حقا على اساس ان الجبهات المصرية والاردنية والسورية جبهة واحدة فاذا كانت مصر وسورية قد تسلحتا تسلحا جيدا، فيجب ان يكون تسلح الاردن في نفس المستوى، ان لم يكن متفوقا فوضع الاردن وضع خاص، ان مواقعه تتسلط على اسرائيل، والعكس صحيح، فهو لذلك معرض اكثر من كل الاقطار للعدوان الاسرائيلي كما انه يمكن ان تستخدم مواقعه استخداما رائعا في كل معركة مع اسرائيل ولذلك فجبهة الاردن هي جبهة العرب الاصلية، وقوات الاردن هي قوات المعركة الاساسية، اما القوات السورية والمصرية في الجبهتين السورية والمصرية فهي قوات مساندة ودعم.

هذه هي الصورة الحقيقية لميدان المعركة وللمعركة المحتملة، وعلى هذا النحو يجب ان يفهم الوضع من قبل حكومتي مصر وسورية، ومن قبل القيادة المشتركة.

ان الاردن يعادل في سكانه عدد المغتصبين في الارض المحتلة، فيمكن اذا قامت حكومتا مصر وسورية بواجبهما تجاهه وتجاه الشعب العربي وقضيته ان تجعلاه قوة تعادل قوة اسرائيل على الاقل، وعندئذ سيحتاط اسرائيل جدار من قوة، فتصبح حقا خرافة.

ان الاردن قد قام بواجبه وبأكثر من واجبه في تحذير الحكومات العربية، وانه قدم، ويقدم، من ضيقه ومن دم الشعب العربي هناك طاقته وفوق طاقته، والموقف الان بيد حكومتي مصر وسورية خاصة، بعد ان نكلت حكومة العراق، فعليهما ان تتحملا مسؤوليتهما تجاه الشعب العربي، فتعملا بسرعة على تسليح الجيش والحرس في الاردن، لان المعركة اذا وقعت فستقع قريبا.

واخيرا مهما يكن من امر ومهما تكن خطة الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية، فان الشعب العربي لن يشعر بالاطمئنان الا اذا تأكد ان القوات الاردنية قد اصبحت في التسلح بمستوى مواجهة كل معركة... والمعارك المقبلة بيننا وبين الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية كثيرة، ويمكن ان تقع في كل آن.

اسطورة المساعدة العراقية للاردن

منذ منتصف شهر تشرين الاول 1956 تحددت بوضوح سياسة اسرائيل وبريطانيا وحكام العراق تجاه الاردن، فقد زار الوصي على عرش العراق عمان وترافقت هذه الزيارة مع صدور بيان لوزارة الخارجية الاسرائيلية اعلنت فيه ان دخول القوات العراقية الى الاردن سيعرض الوضع الراهن في الشرق الاوسط الى الخطر وسينسف اتفاقية الهدنة الاسرائيلية الاردنية، ثم عقب بين غوريون في الكنيست بتاريخ 56/10/19 على هذا البيان بقوله:

ان اسرائيل تحتفظ بحرية العمل اذا دخلت قوات عراقية الى الاردن ولكن الجيش لن يقاتل الا اذا هوجمت بلاده!

وفي اليوم نفسه اعلن ناطق بلسان الخارجية البريطانية ان بريطانيا ابلغت اسرائيل احتمال دخول قوة عسكرية قليلة العدد الى الضفة الشرقية بغية تأمين الاستقرار في المنطقة ولن تنتقل الى الضفة الغربية وان ارسال هذه القوة لن يعتبر خرقا لاتفاقية الهدنة الاسرائيلية كما ان مسؤول بريطاني آخر صرح بأن ملك الاردن طلب من السفير البريطاني اثناء هجوم اسرائيل على قلقيلية مساعدة القوات البريطانية للقوات العسكرية الاردنية ولكن

هذا الطلب بقي بدون جواب وهكذا فضحت لندن واسرائيل الخطة المتفق عليها، فكان من الطبيعي ان تنتهي مباحثات الوصي على عرش العراق الى الفشل لان الاردن اصر بالاستناد الى المعاهدة المعقودة بينهما على ارسال ما لا يقل عن فرقة عسكرية ترابط على حدود الاردن وتوضع تحت تصرف القيادة الاردنية لتنفيذ ما يصدر اليها من اوامر فلم يوافق العراق على ذلك لانه يخالف الاتفاق البريطاني الاسرائيلي.

وفي الوقت الذي كان فيه الوفد العراقي يغادر عمان، كان السفير السوري يعلن عن وصول المساعدات السورية من الاسلحة للاردن وهي اربعون دبابة سنتوريون ومعدات حربية اخرى هدية للجيش الاردني، تلك المساعدات المتواضعة التي كنا اول من طالب بتقديمها للجيش الاردني.

اما فيما يتعلق بالموقف الاميركي فقد كان التناقض ظاهرا فيه مع الموقف البريطاني اذ صرح المستر فوستر وزير الخارجية الاميركي **"ان الولايات المتحدة لا تزال متمسكة بتعهدها الذي اعلنته في التاسع من نيسان الماضي بمساعدة اي دولة في الشرق الاوسط تصبح ضحية للعدوان**، ثم اظهر اسفه للهجمات الانتقامية الاسرائيلية على الاردن، وقال انها لا تتفق والتأكيدات التي قدمتها اسرائيل لداغ هامرشولد في الربيع الماضي، وقال بصدد الاسلحة التي قدمتها سورية الى الاردن:

ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تشكو من المساعدة التي تمد بها الدول الاخرى الاردن اذا كان الهدف منها دفاعيا محضا لان الولايات المتحدة نفسها قد ساعدت دولا كثيرة من الناحية العسكرية طبقا لمواثيق الامن المتبادلة.

□

هذا التصريح الذي ادلى به وزير خارجية الولايات المتحدة هو جزء من الاحداث الطافية على السطح، ولكن كما يتبين من كتاب "حبال من رمل" الذي قرأته بعد 15 عاما من كتابة هذه المذكرات لمؤلفه وليم كراين ايفلاند من المخابرات المركزية، انه

كان لهذا التصريح هدف اخر له علاقة بالمؤامرة على الاوضاع الديموقراطية في سورية التي كانت المخابرات الاميركية طرفا فيها بالاضافة الى عراق نوري السعيد وبريطانيا واسرائيل، يقول كراين المكلف الرئيسي بهذه المؤامرة:

"عدت الى بيروت من واشنطن وقد قررت دعم ميخائيل ليان بأن ينهي برنامجه في 25 تشرين اول (قبل العدوان الثلاثي بأيام معدودة) ولم تكن هذه الرسالة من ادارة المخابرات المركزية طلبا بل كانت امرا". (ص 375).

وكان "ميخائيل بك" لا يزال ممتنعا عن تسمية الاشخاص الذين يتعامل معهم، فالححت بأن المنظمة التي تجهز المال لا ترغب في اعطائه الا اذا عرفت كيف سيستعمل، ومع من، وفكرت بيني وبين نفسي، ماذا لو رفض، كان علي ان اعيد المال الى لبنان، حيث المراقبة على الحدود شديدة وصارمة.

وقبل ليان اخيرا اعطائي الاسماء ولكن شفهيا من دون اي كتابة، او اي اوراق، كان يجب ان احفظ الذي سيقوله لي وارسله الى واشنطن". (ص280)

"وقابلت ليان في الساعة الخامسة، وتحادثنا بعض الشيء حول مشكلة السويس في مجلس الامن ولندن، وقال ان هذا الحديث تغطية ومقدمة للموضوع الاساسي، ثم قدم لي الاسماء التي كانت كلها من كبار الضباط برتبة عقيد في الجيش، وقال انهم سيستعملون فرقهم للسيطرة على دمشق وحلب وحمص، وحماة، وسوف تطوق مراكز الحدود مع الاردن والعراق ولبنان، الى ان تعلن محطات الاذاعة بأن حكومة جديدة قد استولت على الحكم برئاسة العقيد قباني، وعندما يتم انجاز كل ذلك سيعلم "ليان" المدنيين الذين اختارهم لتأليف حكومة جديدة، ولكن قبل الانقلاب باسبوع فقط، تجنبا لتسرب المعلومات.

وقال ليان: بالنسبة لهؤلاء الرجال، ان الاعتبارات هي اهم بكثير من المال، ولضمان اشتراكهم معنا انهم يطلبون ضمانة دعم الولايات المتحدة للانقلاب، واعطاء الاعتراف الفوري للحكومة

الجديدة، فاحتججت بأن هذه هي شروط جديدة، ولا استطيع الاجابة عليها الان، وكان ليان قد جاء ومعه حل جاهز لمثل هذه القضايا، حيث قال: ان الرئيس ايزنهاور قد اوضح في نيسان في تصريح له بأن الولايات المتحدة لن ترسل قواتها الى الشرق الاوسط ما لم تنل موافقة مسبقة من الكونغرس، والان على ضوء ازمة السويس هل يمكن للرئيس اعادة تأكيد تصريحاته، فهذا سيقنع رفاق "ليان" ويؤكد لهم ان امريكا ستؤيد وتضمن عملية التغيير وستعترف بالحكومة السورية الجديدة ساعة تأليفها.

ولم استطع الاجابة، وكان افضل شيء يمكنني عمله هو الموافقة على طلب ليان بارسال برقية حول الموضوع الى واشنطن". (ص381)

"ولدهشتي وصل الجواب بالموافقة من واشنطن في اليوم التالي، وقرأت انه يجب اعطاء الفرصة المناسبة للوضع المطلوب، ويمكن ان يكون وزير الخارجية "دالاس" هو الوحيد الذي يعرف استعمال الكلمات المناسبة في مؤتمر صحفي، ففي تلك الايام كان الرئيس يحاول ان يبقى خارج الاضواء في قضايا الشرق الاوسط، ومع ذلك اذا قبل "ليان" "فوستر دالاس" كبديل للرئيس، فسيعاد نشر تصريح "نيسان" الذي ادلى به ايزنهاور حول استعمال القوات الاميركية، في الصحف بين 16 تشرين و18 تشرين الاول". (ص 382).

"ولم يعد هناك من حاجة الى المؤتمر الصحفي الذي وعد به ليان، فالاعتداء الاسرائيلي زاد من حدة التوتر في المنطقة وخلق اوضاعا جديدة، وبعد يومين من الهجوم الاسرائيلي الثاني وصف وزير الخارجية (دالاس) الهجمات بانها تساهم في تدهور الوضع في الشرق الاوسط، وتعهد بأن تساعد الولايات المتحدة اي ضحية للعدوان في المنطقة، هذا - وتابع يقول -: مع المحافظة على تصريح الرئيس في 9 نيسان 1956، وكان هذا الحل النهائي يجسد كلمات "ليان" التي قالها ليؤكد لمساعديه المدنيين ان الولايات المتحدة سوف توافق على حكومة سورية جديدة غير شيوعية". (ص 388)

وهـذه الحكومـة الشـيوعية بـرأي الولايـات المتحـدة هـي حكومة صبري العسلي!!

تطور مشكلة القناة على الصعيد الدولي منذ التاسع عشر من ايلول الى الثالث والعشرين من تشرين الاول

اعود الان الى الوراء قليلا لاستعرض تطور مشكلة القنال على الصعيد الدولي، فقد عقد في لندن بتاريخ 56/9/19 المؤتمر الثاني للدول الثماني عشرة بناء على اقتراح وزير خارجية الولايات المتحدة دالس بينما كانت مصر تعالج مشكلة المرشدين بقناة السويس بمساعدة روسيا ويوغسلافيا واستدعاء المرشدين من جميع انحاء العالم.

كان اقتراح دالس يهدف في ظاهره الى حل مشكلة قناة السويس بدعوة اكبر عدد من الدول الى هيئة تدعى هيئة المنتفعين بالقناة تتولى ادارتها وتأمين حرية المرور فيها، واذا رفض عبد الناصر التعاون مع هذه الهيئة تبدأ عندئذ المرحلة الثانية بمقاطعة قناة السويس واستخدام طريق الرجاء الصالح وتتولى الولايات المتحدة تموين اوروبا بما قد ينقصها من النفط، وهكذا انتهى مؤتمر لندن بمشروع هيئة المنتفعين فسجل فشلا للسياسة البريطانية والفرنسية.

بعد هذا المؤتمر اصبح الرأي العام في المنطقة العربية يعتقد ان العدوان اصبح مستبعدا ويقول ايدن في مذكراته:

"ان المعلومات التي وردتنا من الشرق الاوسط تفيد بأن الرأي العام في القاهرة بات يعتقد بأن عبد الناصر قد نجح، وان تهديد الدول الغربية بالعقوبات لم يعد قائما، وان عددا من الزعماء العرب بات يعتقد انه اذا لم يكن بالامكان ارغام عبد الناصر على قبول نوع من الاشراف الدولي فانه سيكون قد كسب اللعبة". (ص327 الجزء الثاني).

وفي الثالث والعشرين من ايلول طلبت فرنسا وبريطانيا وضع مشكلة قناة السويس على جدول اعمال مجلس الامن الدولي لستر الفشل الذي منيتا به في مؤتمر لندن الثاني ويقول ايدن:

"ان ردود الفعل في الشرق الاوسط اظهرت لنا اننا اذا انتظرنا مدة اطول فان مركزنا سينهار، وهكذا على الرغم من استمرار الولايات المتحدة في تحبيذ تأخير عرض المشكلة على مجلس الامن فقد شعرنا بعجزنا عن الاستمرار فيه" (ص 329، الجزء الثاني).

شبح الحرب يخيم من جديد

دعت بريطانيا وفرنسا على لساني منزيس رئيس وزراء استراليا وبينو وزير الخارجية الفرنسية الى الحرب لغرض تدويل القناة، عشية اجتماع مجلس الامن وصرح بينو في لجنة الشؤون الخارجية الفرنسية:

"ان حكومته تعلن على رؤوس الاشهاد بانها ستتخذ اجراءات تكفل وضع القناة تحت اشراف دولي اذا لم يتوصل مجلس الامن الى ذلك بسبب الفيتو السوفيتي، وقال ان القوات الجوية والبحرية الفرنسية والبريطانية ما زالت على قدم الاستعداد وان فرنسا وبريطانيا تفكران بانشاء خطوط انابيب بترول جديدة في الشرق لا تمر عبر سورية ولبنان، وانما ستمر عبر تركيا واسرائيل لان لكل منهما امكانيات واسعة للعمل، وهاجم بينو امريكا لضعفها وترددها كما ان منزيس دعا في البرلمان الاسترالي الى محاربة الرئيس جمال عبد الناصر وفرض العقوبات الاقتصادية عليه.

وقد اقر مجلس الامن درج الشكوى البريطانية الفرنسية والشكوى المصرية بالمقابل في جدول الاعمال...

وبتاريخ 56/10/1 عقدت الدول المنتفعة بالقناة اجتماعا في لندن سيطر عليه جو من اليأس والكآبة من جراء تصريح دالس الذي جاء فيه:

"يقولون ان اسنان المشروع قد اقتلعت ولكن حسب علمي لم تكن له اي اسنان" ثم استطرد في حديثه فحدد سياسة الولايات المتحدة تجاه الاستعمار الاوربي وحلف شمالي الاطلسي خلال الخمسين عاما المقبلة ونظرا لاهميته فاننا نثبت نصه:

"لا يمكن للولايات المتحدة ان تقف مائة في المائة، لا الى جانب الدول الاستعمارية، ولا الى جانب تلك الدول التي تجعل شاغلها الشاغل الحصول على استقلالها كاملا بأسرع وقت ممكن، وانا اعترف، بأن هناك خلافات في طريقة معالجة الدول الثلاث لمشكلة السويس، وهذه الخلافات راجعة الى تباين اساسي في المفاهيم اذ بينما نقف ثلاثتنا صفا واحدا، وارجو ان يستمر هذا الوقوف دائما، في علاقاتنا التعاهدية المتعلقة بشمال الاطلنطي، فان اية منطقة تعاني بشكل او بآخر من المشكلة التي يسمونها "بالاستعمار" نعرف ان الولايات المتحدة مضطرة الى القيام تجاهها بدور مستقل، فيستمر الانتقال من الاستعمار الى الاستقلال، خلال الخمسين سنة القادمة، واعتقد ان من وظائف الامم المتحدة، ان تحاول رؤية هذه العملية تتقدم في طريق بناء متطور، وان تتحقق من انها لن تتوقف فجأة، او تستمر في التقدم بأساليب ثورية، عنيفة، قد تؤدي الى الدمار الذي لا ينفع احدا".

فشل بريطاني فرنسي في مجلس الامن

صوت مجلس الامن في 13-10-56 على مشروع قرار مؤلف من قسمين، فتمت الموافقة على قسمه الاول المؤلف من المبادىء الستة الاتية:

1- يسمح بالمرور الحر عبر القناة بدون تمييز صريح او خفي.
2- احترام سيادة مصر.
3- عزل ادارة القناة عن الشؤون السياسية لاية دولة.
4- تقرر طريقة تحديد العوائد بناء على اتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة.
5- تخصص نسبة معقولة من العائدات لتطوير القناة.
6- تسوى الخلافات بين شركة قناة السويس والحكومة المصرية عن طريق التحكيم.

واما القسم الثاني من مشروع القرار الذي ينص على مطابقة مقترحات الدول الثماني عشرة مع المبادىء الستة، وعلى وجوب تسليم منظمة المنتفعين الرسوم التي تدفعها سفن الدول الاعضاء، وعلى تعاون المنظمة مع السلطة المصرية المؤممة للتحقق من ادارة القناة بوجه مرض وعلى العبور الحر لجميع البواخر... فقد حال حق الفيتو السوفيتي دون اقراره...

ويقول ايدن تعليقا على هذه النتيجة:

"لقد خرجنا من مجلس الامن بستة مبادىء لا تجدي نفعا"

وفي المقال الذي كتبته في جريدة البعث بدون توقيع بتاريخ 56/10/19 عرض شامل لمراحل قضية قناة السويس، وتخوف من الغدر البريطاني اذ انتهى المقال بهذه الجملة:

"علينا نحن العرب ان نكون في مستوى الحذر اللازم تجاه كل مؤامرة ممكنة ومستوى الاستعداد لكل عدوان محتمل" وقد نشر هذا المقال بدون توقيع لان العدد نفسه كان يحوي مقالا آخر باسمي الصريح هو "لا يصح فصل السياسة الداخلية عن الخارجية".

المجلس النيابي يوالي اجتماعاته

كان حزب الشعب والوطني يفشلان فشلا ذريعا في كل مناسبة يجري فيها استفتاء شعبي، فقد مني حزب الشعب بهزيمة منكرة في انتخابات اتحاد نقابات العمال في حمص، كما هزم قبلها في حلب ودمشق وفاز مرشحو الجبهة التقدمية بجميع مقاعد الاتحاد وهكذا ضاعت جميع الجهود التي بذلها عدنان اتاسي واقطاب حزب الشعب خلال الشهرين المنصرمين.

كان الشعب بجميع فئاته يظهر استنكاره ويعلن اتهامه ويعرب عن نقمته في كل مناسبة على القيادات السائرة في ركاب حلف بغداد، مما افقدهم سلطتهم على المجلس النيابي

الذي يسيطيرون على الاكثرية العددية فيه، فعندما عاد المجلس النيابي للانعقاد في دورته العادية التي تبدأ في 15-10-56 خاض حزب الشعب ومن يناصره من اساطين الرجعية معركة تولى قيادتها رشدي الكيخيا بنفسه لانتخاب فيضي الاتاسي رئيسا للجنة الشؤون الخارجية وفرزت المملوك نائبا للرئيس ومنير العجلاني مقررا لها ففشل فشلا ذريعا واصبح احسان الجابري بنتيجة الانتخاب رئيسا لتلك اللجنة وفاخر الكيالي مقررا لها، كما فشل حزب الشعب باقصائي عن لجنة الموازنة عندما رشح رشدي الكيخيا علي بوظو منافسا لي على رئاستها، وكان حزب الشعب ومن يناصره قد وضع خطة على اساس الاستئثار بمكتب لجنة الشؤون الخارجية ومكتب لجنة الموازنة ففشل في المعركتين... كان الشعبيون يقولون صراحة في كواليس المجلس انهم يعتبرون معركة انتخابات مكتب لجنتي الشؤون الخارجية والميزانية معركة تقرر السياسة التي تنتهجها سورية.

وكان اخطر ما اقاموه من عراقيل وما نفذوا اليه من ثغرات اشتراكهم بالحكومة القومية الذي كان في تلك الظروف الحرجة شرا لا بد منه، فقد عرقلوا المباشرة ببناء المصفاة وخزانات البترول وكل استعداد جدي لخوض المعركة بالرغم من الحماسة الشعبية المنقطعة النظير واصبح البت بعروض انشاء المصفاة كأغنية الشيطان امر ليس له من نهاية بالرغم مما تلقوه من هجمات وحملات وضغط سواء من قبل الشعب او من قبل المجلس النيابي او من قبل زملائهم الوزراء الاخرين، وكانوا يعلنون مواقفهم المريبة وينشرون آراءهم الغريبة بكل جرأة فأعلن رشاد جبري للصحف بأن تشيكوسلوفاكيا والدول الشرقية لم تقم حتى الان بانشاء مصفاة كاملة للبترول، وان الغربيين خبراء بشؤون المصافي وقد جهزوا حتى الان حوالي 80 مصفاة في العالم بينما لم تقم الدول الشرقية بتجهيز مصفاة واحدة... لذلك كان موضوع شركات البترول والتأخر في انشاء المصفاة الموضوع الرئيسي في جلسة 1956/10/15 وقد القيت في هذه الجلسة كلمة حول هذا

الموضوع استعرضت فيها مراحله وعراقيله وقد نشرتها جريدة البعث في العدد 1956/10/19 وفيما يلي نصها:

ان الزملاء قد بحثوا الموضوع من وجوه متعددة، ولكن النقطة التي اريد ان الح عليها وابرزها جيدا هي ان هذا الموضوع هو صورة من صور الصراع المحتدم بين الامة وبين الاستعمار وقد يستغرب كثير من الزملاء وكثير من الناس عندما نذكر ونشير دائما الى هذا الصراع، الذي لا يزال قائما، وربما الى امد غير قصير، الى ان تتحرر الامة نهائيا من شرور الاستعمار وآثامه ومكائده، ان القضية ليست قضية فنية وليست قضية اهمال، وانها ليست قضية مصالح شخصية فقط، وانما هي ايضا قضية صراع بين الشعب والاستعمار.

عندما بحث في امر انشاء مستودعات للبترول استهدف من هذا المشروع امران: الامر الاول هو ان شركات البترول كانت تمنع عنا البترول عندما تريد، فتوقع البلاد في كوارث عسكرية واقتصادية، كما جرى عام 1948 فكانت الفكرة ان تمنع هذه الشركات من ان تستعمل المحروقات وان تستغلها كأداة لتدمير الاقتصاد والقوة العسكرية وان تتحكم بالتالي بسياسة البلاد.

والامر الثاني هو ان هذه الشركات تتحكم بأسعار المحروقات، فأريد ايضا تحرير البلاد من احتكارها، وفرضها الاسعار التي تشاء. فتوجه بالتالي الاقتصاد الوجهة التي تريد.

ولذلك قرر مجلس الوزراء سنة 1950 انشاء هذه المستودعات، لتصبح سورية حرة في استيراد البترول من خارج نطاق هذه الشركات الاستعمارية.

وقامت صعوبات هائلة دون تنفيذ هذا المشروع، ولا شك ان الاستعمار وعملاءه هم الذين خلقوا هذا الصعوبات، ولم تتمكن الحكومة حينذاك من انجاز هذا المشروع على الرغم انها ارادت والحت على انجازه واستقالت الحكومة ونام المشروع.

وجاءت حكومة بعدها ولاحقت المشروع، وعندما اصبح قيد التنفيذ، تدخلت الشركات الاستعمارية مع الحكم العسكري، وبحجة ان هذه المستودعات تشكل اهدافا عسكرية مكشوفة، وانه من الواجب ان تكون في منطقة اخرى، توقف المشروع وتأجل العمل. وانشئت اخيرا هذه المستودعات في العهد العسكري.

ومن دواعي الدهشة العظيمة ان هذه المستودعات انشئت دون ان توصل بالبحر، فبقيت اعواما طوالا قائمة، بعد ان كلفت الدولة اموالا طائلة، دون اي فائدة ان الشركات الاستعمارية والنفوذ الاستعماري هما اللذان حالا، وقد انشئت المستودعات، دون ان تفي بالغرض.

والان نسمع من احد الزملاء بأن منطقة المستودعات اصبحت منطقة عمران، وهي ايضا صعوبات جديدة خلقت، كيلا تفيد الامة من هذه المستودعات. وهكذا نجح الاستعمار في تبديد اموال الامة في اقامة مشروعات تظل عقيمة لان خرطوما يصلها بالبحر لم يمكن تداركه، فالقضية ليست لغزا يستعصي علينا فهمه، مهما كانت مداركنا بسيطة وساذجة.

ان امر انشاء مستودعات ووصلها بالبحر لتتلقى البترول من البواخر لا يحتاج الى فن وخبرة عظيمين تنوء عنهما الحكومة، او تضيق بهما خبرة خبراء العالم ففي امكان الحكومة، اذا لم يتوفر لديها المهندسون الاخصائيون، ان تقوم بوضع دفتر شروط بالمواصفات معتمدة على خبراء ومهندسين اجانب، كما تعمل في المشروعات الاخرى، والواقع انه قد وضع دفتر الشروط، فقد ذكر وزير الاشغال العامة الان، بأن شركة المانية - ولا ادري اذا كانت هي التي قدمت هذه المستودعات ووضعت مخططاتها تعتذر الان عن ايصال هذه المستودعات بالبحر، فهل يصح ذلك دون دفتر شروط موجود؟

لقد وضعنا في العام الماضي مخصصات في الموازنة الاستثنائية لاتمام هذا المشروع. ولم نكتف بوضع هذه المخصصات بل لقد لاحقت هذا المشروع شخصيا، كما لاحقه بعض الزملاء، ولكن دون جدوى وظل المشروع نائما، ولكن الاخطار التي احاطت بالامة مؤخرا، والعدوان الذي شعرت انه مبيت لها، والاعتداءات الاسرائيلية، والحاجة الى مستودعات للبترول تحرر آلة الحرب والاقتصاد، دفعت دفعا الى بحث هذا المشروع جديا.

ليست القضية اذا قضية اخطاء فنية او مصالح شخصية، ان هناك الايادي الاستعمارية التي ما تزال، مع الاسف، تلعب لا في مستودعات للبترول، بل وفي كل مشروع يطور حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية.

ان الايادي الاستعمارية تريد ان تبقى البلاد متخلفة وان يبقى عنق البلاد بيد الاستعمار، هذا هو الواقع في كل مشاريع البلاد الاساسية ومن جملتها مشاريع البترول، لذلك ارجو ان يضع وزير الاشغال العامة يده على هذه القضية، وان يعمل على كشف المؤامرة وفي امكانه ان يدرس تاريخ انشاء

هذه المستودعات، وان يبحث عن الاسباب التي دست الاخطاء في انشائها، والتي دعت الى توقف اتمامها، اننا نريد ان نعرف الاسباب، ونعرف المسؤولين، والدول الاستعمارية التي تعبث في البلاد لنقبض بأيدينا على صنائع الاستعمار، ونعرف عملاءه في اجهزة الدولة، لتتخلص البلاد من شرورهم.

ان الوقت قد مضى والمال قد صرف وبقيت البلاد كل هذه المدة في نطاق الاحتكار البترولي ولم تحرر منه، ولكن علينا ان نستفيد من الخطيئة، لنكشف عملاء الاستعمار ليطردهم الشعب وتلعنهم الامة ويلقوا العقوبة التي يجب ان تحل بالخونة المارقين.

لقد كان ارتباط تحرر البلاد السياسي بتحررها الاقتصادي والاجتماعي واضحا في وعي الشعب حيث كان ثمرة من ثمار تجاربه النضالية والثورية خلال ربع قرن من الانتداب الفرنسي، ولكن الامر لم يعد واضحا بعد الاستقلال كما في السابق لان الصراع مع الاستعمار لم يعد صراعا واضحا ملموسا كما كان في الماضي، بل اصبح صراعا خفيا تآمريا مرتبطا باستراتيجية شاملة للمنطقة قائمة على التفوق العسكري الاسرائيلي.

وكان يستهدف بالدرجة الاولى اضعاف اقتصاد البلاد وتعطيل مشاريعها الانمائية واعاقة تسلحها وبناء قوتها العسكرية، لذلك عدت لمعالجة موضوع الربط بين التحرر من التبعية والقدرة على تحقيق برامج التنمية وبناء القوة الذاتية الاقتصادية والعسكرية مستشهدا بادلة محسوسة كانت حصيلة التجربة والمعاناة، فكتبت في جريدة البعث تعقيبا على كلمتي في المجلس مقالا في العدد نفسه تحت عنوان "لا يصح فصل السياسة الداخلية عن الخارجية".

لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي العربي تزور القاهرة.

قررت لجنة الاتصال متابعة زياراتها للاقطار العربية الاخرى، وكانت رحلتنا هذه المرة تستهدف زيارة مصر ثم زيارة مراكش لنكون على مقربة واتصال مع ثورة الجزائر، وقد وصلنا القاهرة

بتاريخ 56/10/18 وكان الوفد مؤلفا على ما اذكر من سورية: اكرم الحوراني، معروف الدواليبي، فاخر الكيالي، ظافر القاسمي، وعن لبنان حميد فرنجية، تقي الدين الصلح، وعن العراق كامل الجادرجي، صديق شنشل، وعن الجزائر احمد توفيق المدني واحمد فؤاد جلال عن مصر.

اجتماعنا بالرئيس جمال عبد الناصر

كان الرئيس جمال عبد الناصر شديد الاهتمام بلجنة الاتصال الشعبي لان نشاطها كان يشكل عاملا مؤثرا في نجاح سياسته العربية والدولية لانجاح معركة قناة السويس هذا **بالاضافة الى ما يتمتع به اعضاؤها من شهرة ومكانة مرموقة كانت سببا في التفاف جميع الاحزاب والعناصر النضالية حول قيادته فيما بعد للعالم العربي.**

وفي عشية يوم 20-10-56 اجتمعنا بعبد الناصر في مكتبه ودام اجتماعنا به اكثر من ثلاث ساعات وانني لا ازال اذكر بأن جمال عبد الناصر عندما استعرض تطور الاحداث كان مستبعدا لاحتمال العدوان على مصر بعد الاخفاق الذي منيت به بريطانيا وفرنسا في مجلس الامن الدولي وكان يتصور بأنهما ستلجآن الى المؤامرات والانقلابات وعلى الخصوص في سورية، وقد كنت اكثر تشاؤما منه لانني كنت اعتقد ان العدوان واقع لا محالة إن لم يكن على مصر من قبل بريطانية وفرنسا فعلى الاردن من قبل اسرائيل.. وقد قلت للرئيس جمال عبد الناصر بأن كل الدلائل والامارات تؤكد "استكلاب" الاستعمار الغربي على البلاد العربية فاذا لم تقم بريطانية وفرنسا بالعدوان المباشر فلا شك انهما ستدفعان اسرائيل للعدوان على الاردن... وقد فوجئت بضحكة عالية من جمال عبد الناصر وهو يسألني: ودي استكلاب يعني ايه؟ فقلت له ضاحكا:

انها اشتقاق من كلمة كلب وقد نشرتها الصحف المصرية كاحدى النكات التي دارت في هذا الاجتماع.

وقد رد عبد الناصر على مطالعاتي قائلا:

اذا وقع العدوان فلن يستهدف الا مصر لانها القوة الرئيسية في المنطقة العربية.

كنت قلقا، وكان جمال عبد الناصر مطمئنا، وقد رجوت منه ان نساعد على تسليح الاردن بعد ان اظهرت خشيتي على الضفة الغربية فقال:

اننا ارسلنا وسنرسل السلاح اللازم للاردن.

جو من الاطمئنان والتفاؤل كان مخيما على مصر فانتشرت عدواه الى نفوسنا.

كان مقررا ان نقابل عبد الناصر مرة اخرى قبل ان نغادر القاهرة بناء على طلبه، وكان فؤاد جلال مكلفا بتهيئة جميع الوسائل والاتصالات اللازمة لاعداد سفرنا الى الدار البيضاء الذي تقرر ان يكون بتاريخ 24-10-56، وكان ظاهرا وملموسا في زيارتنا هذه للقاهرة ان جمال عبد الناصر اصبح بعد تأميم القناة الزعيم الحق بلا منازع، وكانت حماسة الشعب لتأميم القناة حماسة تخرج عن الوصف، وقد زرنا احد مراكز التدريب على المقاومة الشعبية، ولاحظنا ان احد الامراء السعوديين كان في عداد المتدربين، وكان كل هذا من دواعي استبشارنا وتفاؤلنا وقد ادليت للصحف مدفوعا بهذا التفاؤل بالتصريح التالي:

"ان مهمة لجنة الاتصال الشعبي هي تنسيق الخطط لتوحيد النضال العربي الذي هو طريق الحرية والوحدة العربية، وانه لاول مرة في تاريخ العرب الحديث يجتمع ممثلون لكافة الفئات الشعبية ومن مختلف الاقطار العربية، من سورية ولبنان ومصر وعدن والكويت والبحرين وتونس والجزائر والسودان ومراكش لوضع خطة واحدة لمقاومة الاستعمار.

ان قضية تحرير الشعب من الاستعمار لا تنفصل عن تحريره من الاستغلال اي من الاقطاع وسيطرة رأس المال.

اننا مؤمنون بالدور الذي نقوم به وبالطريق الذي نسلكه وان مهمة لجنة الاتصال الشعبي تستهدف وحدة البلاد العربية وازالة

الحـواجز التـي اصـطنعها الاسـتعمار، وسـنبلغ الحكومـات العربيـة مقررات المؤتمر الشعبي.

وسئلت عن اثر مقررات المؤتمر في العراق فقلت:

"كان لها ابعد الاثر فـي عراقنـا الحبيـب الـذي يحكمـه نـوري السـعيد بالنـار الحديـد، وان شـعب العـراق شـعب واع مناضـل يعـرف طريقـه للوحدة والحرية".

□

قبـل ان نسـافر الـى مـراكش بـدأت تتـوالى علينـا النـذر المشـؤومة وكـان اولهـا مصـادرة السـلطات الفرنسـية شـحنة الاسلحة التي كان يحملها اليخت "اتوس" الى ثوار الجزائر.

وقبل يوم واحد من سفرنا لمـراكش اذاعـت وكالـة الصحافة الفرنسية بتاريخ 1956/10/23.

ان الطـائرة التـي تحمـل زعمـاء حركـة التحريـر الـوطني الجزائرية قد ارغمت على الهبوط في الجزائر وهي في طريقها من الربـاط الـى تـونس فاعتقلـت السـلطات الفرنسـية احمـد بـن بـلا ومحمـد خيضـر وحسـين آيـة احمـد ومحمـد بوضـياف ومصـطفى الاشـرف ونقلـوا الـى فرنسـة، فاضـطررنا ان نرجـىء سـفرنا الـى مراكش لنبحث فيما يمكن عمله تجاه اعتقالهم.

ولاجل ان ابين درجة توترنا العـاطفي فـي تلـك الفتـرة لا بـد لي اذكـر دمـوعي فـي الحفلـة التـي اقامهـا الطـلاب العـرب قبيـل اعتقال القادة الجزائريين لدعم وتأييـد ثـورة الجزائـر، فعنـدما القـى الشاعر عبد المعطـي حجـازي قصـيدته انهمـرت دمـوعي فخجلـت وحاولت ان اكفكفها ولكنها غلبتني.

لم يكن بوسعنا ان نفعل في سـبيل القادة المعتقلين الا ان نقرر الاضراب الشـامل في البلاد العربية مـن مـراكش الـى الخلـيج تأييدا لثورة الجزائـر واحتجاجـا علـى اعتقـال قادتهـا غـدرا وخسـة، وفيما يلي تفصيل لعمل اللجنة مستمد مما كتبته الصحف:

عقدت لجنة الاتصال التابعة للمؤتمر الشعبي العربي الموجودة في القاهرة مؤتمرا صحفيا تحدث فيه رئيسها حميد فرنجية فأعلن ان اللجنة قررت اعلان الاضراب العام الشامل في جميع البلاد العربية من مراكش الى الخليج العربي يوم الاحد 28 تشرين الاول الحالي للتعبير عن ارادة المواطنين العرب في مساندة شعب الجزائر والمغرب العربي وسخطهم على سياسة فرنسا الاستعمارية، وقد وجهت اللجنة نداء الى الشعب العربي والحكومات العربية والى الاحرار في جميع انحاء العالم نددت فيه بحرب الابادة التي يشنها الاستعمار الفرنسي على الشعب العربي في الجزائر، واهابت بهم ان يقوموا بنجدة احرار الجزائر في كفاحهم العادل وقالت ان العرب لا يجدون امامهم الا ان يخوضوا معركة شاملة ضد الاستعمار الفرنسي حتى يفوتوا عليه اغراضه في الجزائر ويصونوا لتونس ومراكش الاستقلال الذي يطمح اليه شعبها.

كما طالبت اللجنة الحكومات العربية بأن تعقد اجتماعا على مستوى اعلى للنظر في جميع الوسائل الرسمية والشعبية لتدعيم نضال الشعب العربي في معركة الجزائر، وان تعيد النظر في علاقاتها مع فرنسا على ضوء ما تبيته هذه الدول للقومية العربية، وذكرت اللجنة في ندائها انها تعد برنامجا لمواصلة جمع التبرعات الشعبية عونا للجزائر في نضالها ضد الاستعمار الغاشم".

وفي اليوم نفسه اعلن الحبيب بورقيبه في الجمعية التأسيسية ان القتال بين القوات الفرنسية والتونسية بدأ يدور على طول الحدود التونسية الجزائرية وقال ان الجانبين تكبدا الخسائر واشار الى ان المعركة قد نشبت عندما حاولت القوات الفرنسية العبور الى الاراضي التونسية.

اجتماع مع قادة الثورة الجزائرية

كان بعض قادة الثورة الجزائرية في القاهرة فاتفقت مع فؤاد جلال ان نجتمع اليهم لنبحث معهم وضع الثورة واثر اعتقال القادة الخمسة على مستقبلها وعما يقترحون علينا ان نقوم به لدعمها ومساندتها، واقتصر هذا الاجتماع على يوسف الرويسي وفؤاد جلال ولم اعد الان اذكر من اسماء القادة الجزائرين غير السيد محمد يزيد، وكان يلوح على سيماء هؤلاء القادة ما يوحي بالمحبة

والاحترام والثقة، وقد اكدوا لنا حتمية انتصار الثورة بالرغم من اعتقال قادتها، ولكن انتصارها ليس مرهونا بشجاعة الشعب الجزائري وحده فحسب، بل هو مرهون ايضا بما ستقدمه الدول العربية من مساعدات، وقالوا ان فرنسا تنفق مليون جنيه يوميا على حرب الجزائر، بينما لم تصل المساعدات العربية الهزيلة الى نصف هذا المبلغ، فخجلنا كثيرا من انفسنا امام هذه الحقائق وعندما عدت الى غرفتي في فندق السمير اميس لم استطع ان انام وبقيت غارقا في حوار مع نفسي:

ان اية دولة عربية نفطية يمكنها ان تحرر الجزائر وتعيدها عربية، ولكن مالي الوم دول النفط ولا الوم الدول العربية الاكثر تقدما كالعراق وسورية ومصر؟؟ ماذا لو تقدمت باقتراح بصفتي رئيسا للجنة الموازنة يقضي بارجاء جميع المشاريع وتخصيص اعتمادها لثورة الجزائر؟ هل يمكن ان يقبل اقتراحي هذا حتى من قبل اشد المتحمسين لثورة الجزائر؟ نعم انا اقدر ان سورية لا تزال بلدا فقيرا، ولا يزال شعبها محروما من الخدمات الضرورية كالتعليم والصحة وحتى ماء الشرب، كما اقدر نفقات الدفاع التي تستنزف اكثر من مصف موازنتها.. ولكن اليس من الممكن ان تقوم مصر وسورية بأعباء ثورة الجزائر دون ان يؤثر ذلك تأثيرا خطيرا على قواهما العسكرية والاقتصادية؟ يجب ان نعترف بأن وعينا القومي لا يزال اضعف مما يفرضه الاستعمار من تحديات وان موقفنا من قضية فلسطين اكثر خزيا وعارا من موقفنا من قضية الجزائر، ولم اعد الوم نفسي عندما بكيت في حفلة الامس... ان واقعنا يستحق البكاء.. ولكن بكاء الاقوياء لا الجبناء.. بكاء من يحاول ان يتجاوز ضعفه وعجزه.

سورية تقدم نسبيا اقصى ما استطاع العرب تقديمه.

وفي يوم الاحد 28-10-56 عمت الاضرابات جميع البلاد العربية من الاطلسي حتى الخليج العربي وقد القيت القنابل على دار السفارة الفرنسية في دمشق وعلى دار القنصلية في حلب وهاجم الشعب الهائج المؤسسات الثقافية الفرنسية واشعل النار فيها، وقد حاول عملاء الاستعمار اثارة الفتنة الطائفية

فأحبطت المؤامرة التي حذر منها الحزب قبل وقوعها بسبب وعي الشعب ووطنيته ومساعي الحزب وجهوده، وكانت نتيجة الدعم ليوم الجزائر ذلك القرار الذي اتخذه المجلس النيابي السوري وهذا نصه:

لما كانت الجزائر ركنا اساسيا في تحرير العرب في مختلف اقطارهم وضرورة مبرمة للسير قدما في طريق اتحادهم، ولما كانت نصرة هذه القضية تستوجب اتخاذ خطوات ايجابية فعالة تساعد الجزائريين على تحقيق امانيهم المدعومة بلائحة حقوق الانسان المعلنة من قبل الامم المتحدة.

فان لجنة الشؤون الخارجية بالاجماع توصي المجلس الكريم بالموافقة على القرارات الاتية:

1- استنكار مجلس النواب اختطاف الزعماء الجزائريين.

2- تكليف الحكومة ان تبادر فورا الى دعوة الحكومات العربية لتخصيص مبلغ لا يقل عن خمسين مليون ليرة سورية لنصرة اخواننا العرب في المغرب العربي ومدهم بما يحتاجونه لممارسة حقهم في تقرير المصير.

3- تكليف الحكومة الاتصال فورا بالحكومات العربية لاقرار مقاطعة فرنسا سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

4- تكليف الحكومة الاتصال فورا لتهيئة اجتماع على مستوى عال من المسؤولين العرب بما فيهم المسؤولون في تونس ومراكش وممثلي الجزائر لاقرار الخطط الواجب اتباعها لمساعدة الجزائر في بلوغ اهدافها في الحرية والاستقلال.

5- ابلاغ حكومتي تونس ومراكش تأييد سورية لموقفهما السليم من الاحداث الاخيرة.

1956: العدوان الثلاثي على مصر - قبل خمسة ايام من العدوان انتهت المحادثات العسكرية السورية المصرية الاردنية - الجمعية العامة للامم المتحدة تصدر قرارا بوقف اطلاق النار - من نسف خطوط البترول العراقي المارة في سورية والعائدة لشركة الاي بي سي البريطانية - كنت موجودا في القاهرة خلال العدوان الثلاثي على مصر مع اعضاء من لجنة الاتصال الشعبي - المؤامرة على الوضع الديموقراطي التحرري في سورية كانت متزامنة مع العدوان على مصر.

توحيد الجبهات العربية والعدوان على مصر

قبل خمسة ايام من العدوان على مصر انتهت المحادثات العسكرية المصرية السورية الاردنية وصدر البيان المشترك التالي:

"وقع في عمان بتاريخ 24-10-56 عام 1956 اتفاقية ثلاثية بين الاردن ومصر وسورية تهدف الى توحيد جبهات الدول المتعاقدة الثلاث والى تركيز جهودها العسكرية وتنسيق خططها وتبادل المعونة فيما بينها، وتدعيم امكانياتها للدفاع المشترك عن الجبهة العربية تحت قيادة موحدة لرد اي اعتداء يقع على اي من الدول الثلاث باعتباره اعتداء عليها جميعا، ولتحقيق الامن والسلامة لشعوب هذه الدول، وضعت الاتفاقية موضع التنفيذ بمجرد توقيعها".

وبتاريخ 27-10-56 اعلنت اسرائيل التعبئة العامة، وفي ليل 29-10-56 بدأت القوات الاسرائيلية هجومها على مصر.. ولجنة الاتصال الشعبي لا تزال في القاهرة قبل مغادرتها للمغرب.

يقول ايدن في مذكراته:

"كان الخطر الرئيسي الذي يهددنا لا يكمن في النزاع المصري الاسرائيلي، لان اسرائيل هي التي ستربح برأي مستشارينا العسكريين، وانما في احتمال اتساعه بتدخل دول عربية اخرى". (ص 371 مذكرات ايدن، الجزء الثاني)

تلقينا انباء الهجوم كسائر المواطنين بأمل واطمئنان لثقتنا بكفاءة الجندي المصري وحسن تسلحه واعداده، ولحتمية تآزر الدول العربية الثلاث: مصر وسورية والاردن في خوض المعركة بعد ان اصبحت الجبهات الثلاث بموجب الاتفاقية العسكرية الثلاثية جهة واحدة، ولا سيما وان الوضع في الاردن اصبح متينا بعد ان شكل السيد النابلسي بتاريخ 29-10-56 الوزارة من عناصر وطنية موثوقة كالريماوي والرشيدات والاخرين.

ولكن سرعان ما بدأ جو الثقة والاطمئنان ينقلب الى قلق ووجل ثم الى خيبة امل، فلم تتحرك الجبهتان السورية والاردنية لا قبل الانذار البريطاني ولا بعده، وكانت الاحداث تتطور بسرعة رهيبة.

فبعد يوم واحد من بدء الهجوم الاسرائيلي وجهت بريطانيا وفرنسا انذارا الى مصر بوقف اطلاق النار والسماح لقواتهما بالنزول في بورسعيد والاسماعيلية والسويس والا فانهما ستحتلان هذه المدن بعد اثنتي عشر ساعة - في حال رفض الانذار - بحجة الفصل بين قوات مصر واسرائيل المتحاربة لتأمين حرية الملاحة بالقناة، وقد كشف ايدن في مجلس العموم في اليوم نفسه الاسباب الحقيقية للعدوان كما كشف تواطؤ بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل عندما قال:

"ان ازدياد قوة مصر العسكرية قد جدد المخاوف على حدود فلسطين، كما ان الاعمال التي قامت بها الحكومة المصرية (اي تأميم القناة) قد زادت الموقف سوء، وقال: "انه لا يمكن ادانة اسرائيل بالعدوان لان سياسة مصر العدوانية هي التي عقدت الامور".

وفي مساء يوم الحادي والثلاثين اعلنت وزارة الدفاع الفرنسية ان عمليات الغزو قد بدأت لمنطقة قناة السويس وان الطائرات البريطانية قد شرعت بقصف المراكز الاستراتيجية تمهيدا لعملية الانزال على ضفة القناة.

كان قصف الطائرات البريطانية للمطارات والمراكز العسكرية في منطقة القاهرة شديدا جدا، وكانت اصوات المدافع والانفجارات تصم الاذان والسنة اللهب تتصاعد الى عنان السماء... ولكن الشعب المصري واجه هذه الغارات برباطة جأش واصرار فكانت تجمعاته تشاهد في الشوارع اثناء القصف، وفي الفندق قال لي احد الخدم:

انني افضل الموت على رؤية الانكليز يعودون الى مصر.

كان هذا شأن جميع المواطنين المصريين، الذين لا حول لهم ولا قوة غير التحلق حول اجهزة الراديو، وقد كشفت تلك الايان ان النظام لم يكن جادا في اعداد الشعب للمقاومة وانما كان ذلك استهلاكا اعلاميا قبل العدوان.

انه يمكن للقارىء ان يقدر قلقنا واضطرابنا ووضعنا بعد ان بدأت بريطانيا وفرنسا العدوان لاحتلال القناة، ونحن في القاهرة محصورون في الفندق، لا حول لنا ولا طول، نرى بأم اعيننا انهيار جميع آمالنا، فلا الجبهة السورية الاردنية تحركت ولا اي من الانظمة العربية نهض لنجدة مصر، وظل البترول العربي ينساب بأمان لبريطانيا وفرنسا دولتي العدوان.

كنا نقضي معظم الوقت في فندق السميراميس او في مكتب الاستاذ فؤاد جلال متحلقين حول المذياع..

كنت أسأل الاستاذ فؤاد جلال كلما اجتمعت به: هل لديك نبأ عن نسف انابيب البترول في سورية؟ فكان يجيبني بالنفي بألم وامتعاض، ولم تكن لدينا وسيلة اتصال بسورية والعالم العربي الا توجيه النداء والبرقيات بواسطة اذاعة صوت العرب، التي اخفق الطيران البريطاني في قصفها واسكات صوتها، وهكذا توالت بياناتنا ونداءاتنا وكان اولها بتاريخ 31-10-56:

"اذاعت لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي العربي نداء اشترك في توقيعه بعض اعضائها السوريين الموجودين في القاهرة وهم: اكرم الحوراني، فاخر الكيالي، معروف الدواليبي، ناشدوا فيه الامة العربية ان تنفذ مقررات المؤتمر

الشعبي، وطلبوا من البلاد العربية السيطرة على البترول وان تمنع وصوله للذين يهاجمون قلب البلاد العربية ويغيرون عليه" (الرأي العام 1-11-56).

وبعد يومين وصلنا الجواب من محطة اذاعة دمشق على الشكل التالي:

"اصدر صبري العسلي بوصفه الحاكم العسكري امرا عسكريا فرض فيه على قوى الجيش والامن حراسة خطوط البترول ومنشآته والمحافظة عليها، وان كل اعتداء على هذه الخطوط والمنشآت يعاقب عليه بالحد الاعلى للعقوبات، كما يعاقب كل موظف يقصر بتنفيذ ذلك باحدى العقوبات الشديدة دون حاجة لصدور قرار من مجلس التأديب"

□

كانت مشاعر الساسة العرب سواء من كان منهم في الحكم او خارجه تغاير تماما مشاعر الشعب تجاه العدوان الثلاثي، كان الشعب العربي يعتبر هذا العدوان الذي كان متصلا بثورة الجزائر والعدوان الصهيوني الحرب الصليبية الثانية التي يشنها الغرب على العالم العربي، وهذا ما كانت تفهمه الجماهير من تصاريح وخطب ايدن وغير موليه وابن غوريون ومن اقوال كل من شد ازرهم ووقف جانبهم من خلال تبريرهم للعدوان واستعدائهم العالم ضد الامة العربية.

كانت مشاعر الجماهير طاقة لا حدود لها، ولكنها بقيت طاقة معطلة لم يستفد منها الحكام والقادة في صد العدوان والانتصار عليه.

جلس معي في صالة الفندق صالح جبر في اليوم الاول للهجوم الاسرائيلي وهو في طريق عودته من لندن الى بغداد - كما قال - فتحدث عن المعارك الدائرة في سيناء كما لو ان الامر يكاد ينهى لمصلحة اسرائيل فامتعضت من حديثه وفندت الاكاذيب التي ترويها اذاعة لندن فقال: ارجو ان يكون الامر كما تقول.

وفي اليوم التالي اجتمعنا مع احمد الشـقيري فتحـدث عـن نهاية المعركة وعن قرب انهيار نظام عبد الناصر ببرود اعصاب لهـذه النهاية المشؤومة.

عبد الناصر يرقى الى مستوى القادة المحررين

عندما اصـبح الموقـف، فـي اليـوم الاول مـن تشـرين الثـاني ميؤوسا منه بنظـر الكثيـرين، حتـى بالنسـبة لاقـرب المقـربين مـن النظام، اعلن عبد الناصر في اروع موقف من مواقفه اطلاقا:

ان شعارنا هو القتـال بضـراوة مـن قريـة الـى قريـة، فشـحذ بخطابه الذي أذاعـه مـن محطـة القـاهرة العـزائم، وزاد مـن محبـة الشعب له، وثقته به والتفافه حول قيادته، ونظرا لبساطة الخطـاب وصدقة وشجاعته وحضه على القتال ورفضه للاستسلام اثبت هنا نصه الكامل، بالاضافة الى ان هذا الخطاب يشرح المراحل التي مر بها العدوان في الايام الثلاثة الاولى:

"في هذه الاوقات الحاسمة من تاريخ وطننا، اتحدث الى كل فرد مـنكم، وفـي هذا الوقت يتجه تفكيرنا جميعا الى الوطن، سـلامته وشـرفه وكرامتـه، امـا ان نحيا حياة حرة كريمة او نحيا حياة ذليلة، وانا اشعر واحـس ان كـل فـرد مـنكم يريد ان يعيش حياة يتمتع فيها بالحريـة والشـرف والكرامـة، ان الحيـاة الذليلـة هي العبودية وان الموت خير من العبودية.

ايها الاخوة لنفكر جميعا اليوم في وطننـا، فـي مصـر ولـيكن هـدف كـل منـا ان نحيا حياة شريفة حرة، هذه سياستنا التي اعلناها وهذه هـي اهـدافنا التـي آمنا بها: حياة حرة شريفة كريمة.

ان مصر اعلنت سياستها الحرة المسـتقلة التـي تنبـع منهـا وصـممت على ان تسير في هذه السياسة وكان كل هذا من اجل هدف اكبر هو اقامـة حياة تسودها الرفاهية ولكن هل تركنا الاستعمار نعمل من اجـل هـذا الهـدف الكبير؟

ان الاستعمار كان لنا بالمرصاد ويريدنا ان نكون اذلاء تابعين خـالين مـن الشرف والكرامة، كنا ننادي بالسلام ونقول اننا نعمل مـن اجـل رفاهيـة مصـر،

ولكن الاستعمار يريد منا ان نعمل من اجل اهدافه ومن اجل سياسته، وكنا نقول اننا نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا وكانت هذه هي اهدافنا ولكن هل تخلت انجلترا عن مكرها؟

لقد كانت انكلترا تقف دائما لمصر بالمرصاد، فوقفت لنا في ايام محمد علي حينما وجدت ان قوات مصر المسلحة اصبحت عاملا في القضاء على النفوذ البريطاني، فتآمرت على مصر واستطاعت ان تنزل بها ضربة قوية وقضت على الاسطول المصري. (في نفارين)

وفي سنة 1882 لم تقبل انكلترا ان تنهض مصر وتخلق لنفسها شخصية قوية واستطاعت بالخديعة ان تثبت اقدامها، هذا هو التاريخ تاريخنا الماضي، واليوم، بعد ان اصبحت مصر كتلة واحدة متحدة متآخية متماسكة متساندة فهل سيعيد التاريخ نفسه؟ ان الذي حصل في الماضي كان بسبب التفرقة والتخاذل والانقسام، اما اليوم فنحن نقابل هذه المؤامرات كتلة واحدة وقلبا واحدا ورجلا واحدا.

لقد بدأت هذه المؤامرات بمؤامرة انكلترا واسرائيل وفرنسا فبدأت بالهجوم الاسرائيلي الفجائي في يوم الاثنين 21-10-56 بدون اي سبب الا التآمر وحقد بريطانيا، وقامت قواتنا المسلحة بتأدية واجبها ببسالة كريمة وقام سلاحنا الجوي بتأدية واجبه ببسالة خالدة في تاريخ الوطن.

ان بريطانيا حينما هجمت اسرائيل اعلنت انها لن تستغل الفرصة ولكن حينما ظهر ان مصر استطاعت ان تسيطر على ارض المعركة، وحينما وضح لها ان سلاحنا الجوي استطاع ان يسيطر على سماء المعركة بدأت في اظهار نواياها، ففي يوم 30-10-56 قدم الينا انذار بريطاني فرنسي يطلب ايقاف القتال والقوات الاسرائيلية لا تزال داخل الاراضي المصرية ويطلب من مصر واسرائيل الانسحاب عشرة اميال من القناة ويطلب ايضا قبول احتلال بورسعيد والاسماعيلية والسويس بواسطة القوات المسلحة البريطانية والفرنسية من اجل حماية الملاحة في القناة وحدث ذلك في وقت كانت الملاحة فيه مستمرة لم تهدد اطلاقا وفي وقت كانت القوات المصرية تحتشد لمقابلة القوات الاسرائيلية المعتدية.

وقالت بريطانيا في انذارها: اذا لم يصل الرد في 12 ساعة فانها ستعمل على تنفيذ ذلك. هل نقبل احتلال بريطانيا وفرنسا لقطعة من ارض

مصر؟ هل نقبل راضين هذا الاحتلال؟ ام نقاتل في سبيل حرية وطننا وفي سبيل سلامة اراضينا وفي سبيل الشرف وفي سبيل الكرامة؟

لقد اعلنت مصر بعد هذا الانذار موقفها:

انها لا يمكن ان تسمح ولا يمكن ان تقبل ولا يمكن ان توافق على احتلال بورسعيد والاسماعيلية والسويس بقوات اجنبية بريطانية وفرنسية وأعلنت ان هذا انتهاك لحريتها، لحرية الشعب المصري وسيادته وكرامته، واعلنت اسرائيل حليفة بريطانيا وحليفة فرنسا انها وافقت على الشروط، وطبعا اسرائيل توافق عشرة ميل من القناة او عشرة كيلو متر عن القناة فهي بعيدة جدا عن القناة وهكذا ينصب على مصر ايقاف القتال، وكانت قواتنا منتصرة وترغمها على الارتداد وعن احتلال بورسعيد والاسماعيلية والسويس طبعا اسرائيل توافق لان اسرائيل كانت هي الدولة الوحيدة التي عارضت في جلاء بريطانيا عن المنطقة، منطقة السويس.

ثم عقد مجلس الامن جلسته ولكن بريطانيا وفرنسا استهانتا بجميع القوانين الدولية واستهانتا بميثاق الامم المتحدة وبالرأي العام العالمي واعترضت على قرار ايقاف القتال، وقال ايدن ان بريطانيا لا تعترف بقرارات مجلس الامن وستعمل ما في وسعها كي لا تعتبر اسرائيل معتدية، وبهذا لم يستطع مجلس الامن ان يصل الى قرار...

وامس 31-10-56 كانت قواتنا متفوقة تفوقا ساحقا، كان سلاحنا الجوي متفوقا على السلاح الجوي الاسرائيلي تفوقا ساحقا والبلاغات التي صدرت كلها انا متأكد انها بلاغات سليمة، كانت سياستنا ان نبين الحقائق جميعا.. ان هذه المعركة معركتكم خسائر اسرائيل في الجو كانت حتى امس 18 طائرة وخسائرنا طائرتين، قواتنا التي كانت موزعة وحشدت لتقابل العدوان الاسرائيلي استطاعت بسرعة فائقة ان تتجمع لمقابلة هذا العدوان، وامس ظهرت طائرات فرنسية تساند طائرات اسرائيل ورغم هذا فان قواتنا ابلت بلاء حسنا، ان قواتنا الجوية سيطرت على جو المعركة، والساعة السابعة امس بعد هذا النجاح لقواتنا الجوية وقواتنا البرية اصدرت وزارة الدفاع البريطانية بلاغا بأنها ستضرب المطارات المصرية نتيجة لرفض مصر الانذار البريطاني الفرنسي الموجه اليها والى اسرائيل لسحب قواتهما. على بعد عشرة اميال من القناة. طبعا هذا الكلام يظهر فيه الخداع.. لقد رفضنا احتلال بلادنا فان قول

وزارة الدفاع البريطانية بأنها ستضرب المطارات المصرية لان مصر رفضت سحب قواتها هذا لكلام ينطوي على الكذب الصريح والكذب الواضح.

امس في الساعة السابعة بدأت بريطانيا وفرنسا غاراتها الجوية على القاهرة وعلى منطقة القناة وعلى الاسكندرية وكان الغرض من هذا واضحا، كانت غاراتهم مركزة على المطارات، كان غرضهم ان يدمروا سلاح الطيران المصري الذي اظهر تفوقا ساحقا في اليومين الماضيين والذي سيطر على المعركة والذي اصاب السلاح الجوي الاسرائيلي بالعجز وبهذا اتضحت خطة العدو المتحالف الانكليزي الفرنسي الاسرائيلي.

اتضحت الخطة، ووضح انهم يقصدون تدمير طائراتنا، وسحب قواتنا الى سيناء وعزلها وتدميرها ثم احتلال مصر بدون اي مقاومة، وكان لا بد من اتخاذ قرار خطير ... هل نترك قواتنا على الحدود بدون حماية جوية لان السلاح الفرنسي والانكليزي والاسرائيلي يعملون جميعا ضد السلاح الجوي المصري؟؟

بحث الامر وبحث الموقف العسكري وكان لا بد من اتخاذ قرار حاسم حتى يمكن احباط خطة بريطانيا وفرنسا واسرائيل، وحتى يمكن المحافظة على قواتنا الرئيسية وحتى يمكن ان تكون القوات المسلحة دائما مساندة للشعب، كلف القائد العام للقوات المسلحة اللواء عبد الحليم عامر بحماية قواته المسلحة والعمل على ان ينضم اكبر جزء منها الى الشعب والعمل على احباط محاولات بريطانيا وفرنسا واسرائيل في عزل وتدمير قواتنا الرئيسية في صحراء سيناء وبدأت امس هذه الخطة في التنفيذ.

والان ايها المواطنون ونحن نواجه هذا الموقف، هل نقاتل ام نسلم؟ ان تاريخ الشعوب في الكفاح هو الذي يكتب لها المستقبل، ان الايام العصيبة تحتاج الى مزيد من الصبر والثقة والايمان والثبات حتى يتحقق النصر. لقد اعلنت مصر دائما انها ستقاتل دفاعا عن سيادتها وعن حريتها وعن كرامتها سنقاتل ايها المواطنون قوى الظلم التي تريد انتهاك حريتنا، سنقاتل ايها الاخوة في سبيل حرية مصر وفي سبيل حرية الشعب المصري، سنقاتل كما قلنا دائما في حرب شاملة جنودها الشعب، الشعب المصري جنبا الى جنب مع قواته المسلحة، لقد قابلت شعوب من قبل ضد قوى الظلم التي تفوقها عددا وعدة وانتصرت، قاتلت يوغوسلافيا بأسلحتها الصغيرة الفرق المدرعة

الالمانيــة والســـلاح الجــوي الالمــاني وانتهــت المانيــا المعتديــة وانتصــرت يوغوســلافيا وقاتلــت اليونــان قــوات تفوقهــا عــددا وعــدة، وانتصــرت اندونيســيا وانتهت القوات المعتدية.

ايها المواطنون، ان لكم اخوة في الجزائر يقاتلون قتالا مريـرا ضـد نصـف مليـون فرنســي فــي ســبيل حــريتهم، وفــي ســبيل كــرامتهم والان يوجــد مجاهــدون فــي قبــرص يجاهــدون ويقــاتلون ضــد الجــيش الانكليــزي والجــيش الفرنسي الموجود الان هناك من اجل حريتهم ومن اجل استقلالهم.

ان قوات منكم فـي الفالوجـة فـي حـرب فلسـطين قـد حوصـرت اربعـة شـهور ودافعت عـن كيانها ضد القوات الاسـرائيلية المعتدية وكنت موجودا ضمن قوات الفالوجة وطلب منا ان نسـلم وكان ردي علـى الضـابط اليهـودي اننـا الان نقاتل دفاعا عن شرف مصر وعن شرف القوات المسلحة المصرية.

ايها المصريون: اننا نقاتل قتالا مريرا، لن نسلم دفاعا عـن شـرف مصـر ودفاعا عن حرية مصـر، ودفاعـا عـن كرامـة مصـر، كـل فـرد مـنكم ايهـا الاخـوة جندي في جيش التحرير الوطني.

لقد صدرت الاوامر بتوزيع السـلاح، وعنـدنا الكثيـر منـه، وسـنقاتل فـي معركة مريرة من قرية الى قرية، ليكن كل فرد منكم ايها المواطنون جنديا فـي القوات المسلحة حتى ندافع عن شرفنا وعن كرامتنا وحتى ندافع عن حريتنا وليكن شعارنا اننا سنقاتل ولن نسلم، سنقاتل، سنقاتل سنقاتل ولن نسلم.

□

تعالــت مــن القــاهرة صــيحات طلــب المســاعدة مــن عمــان ودمشق، بالرموز حينا، وبجلاء ووضوح حينا آخر، وقد حاولـت ايجـاد طريقة لعودتي الى سورية، وقال لي الاسـتاذ فـؤاد جـلال ان عبـد الناصر فكر ايضا بارسـالي الى سـورية في طائرة خاصة ولكـن ذلـك اصـبح مسـتحيلا بعـد تـدخل الطيـران البريطـاني والفرنسـي وبعـد تخريب جميع المطارات المصرية.

كانــت الانــوار مطفــأة، والقصــف مســتمرا عنــدما وزع فــؤاد جــلال ثلاثمائة جنيه بالقطع النادر على كل واحد من اعضاء اللجنة سلفة تساعدنا اذا اضطررنا لمغادرة مصر او الاختفاء فيهـا، فاعتـذرت عـن

تناولها لانه كان بحوزتي ما يكفيني لمثل هذه المفاجآت.. وقد استعادها الاستاذ فؤاد جلال من اعضاء اللجنة بعد وقف اطلاق النار.

كان تصوري للوضع في سورية صحيحا عندما ألححت على ارسالي على جناح السرعة فقد اخبرني الاستاذ عبد الكريم زهور بعد عودتي، بان زمام المبادرة قد خرج من يد الحزب اثناء العدوان وانهم كانوا يشعرون بفراغ كبير، وان ذلك قد فوت الفرصة التاريخية لاشتراك سورية بالمعركة الى جانب مصر، وكان البعض يعتقد اننا وقعنا في شرك باسم لجنة الاتصال وهو ما ادى الى غيابي عن دمشق اثناء العدوان.

وعندما يئست من امكانية عودتي الى سورية رجوت الرئيس عبد الناصر ان يسمح لي بالانضمام الى المقاومة الشعبية، فاعتذر قائلا: بأن دورا آخر ينتظرني اكبر من هذا الدور.

ثم اخبرني عبد اللطيف البغدادي فيما بعد بأن الرئيس عبد الناصر نفسه قد عزم على ان يقاتل لينهي حياته شهيدا بدلا من ان ينتهي سجينا او طريدا وانهم اقنعوه بالعودة الى القاهرة عندما كان في طريقه الى بورسعيد.

وهكذا لم يبق بيدنا من سلاح الا الاستنجاد بالبرقيات والبيانات، وفيما يلي نص لاحدى البرقيات التي ارسلنا نسخة منها الى الاستاذ ميشيل عفلق بصفته الامين العام لحزب البعث المشارك في الحكومة القومية:

"اتضحت اخطر مؤامرة استعمارية على الامة العربية حبكتها فرنسا وانكلترا بالتآمر مع اسرائيل للقيام بالعدوان الغادر لتحقيق مطامعها التوسعية في البلاد العربية من جهة ولتنفذ هاتان الدولتان اغراضهما الاستعمارية باحتلال قناة السويس والقضاء على القومية العربية... ان المؤتمر الشعبي العربي يستنفر الوجدان العربي لدى الحكومات والبرلمانات والهيئات الشعبية ليهبوا جميعا لمواجهة كل عدوان بما يستحقه حق الدفاع عن النفس والحرية من تضحية واستبسال في كل ارجاء الوطن العربي.

ان الامـة العربيـة تواجـه فـي هـذا الظـرف العصـيب اخطـر موقـف فـي تاريخها الحديث، فعلى الامة العربية ان تعبىء قواها لرد العدوان وان تلغي كل ما بينها وبين دول العدوان من اتفاقات واحلاف ومعاهدات.

ان الشعب العربي مدعو للدفاع عن بقائه في حاضره ومستقبله بكـل ما لديه من قوة، وكان الله في عون العرب في هذه المعركة المصيرية".

الموقف العربي والدولي - الجمعية العامة للامـم المتحـدة تصدر قرارا بوقف اطلاق النار.

ازداد التناقض بين موقفي بريطانيا والولايـات المتحـدة حـدة، واتســع مـدى التأييـد العـالمي لمصـر واشــتدت لهجــة البيانــات والتصريحات السوفيتية، ومع ذلك فان الناس لم يكونوا يتوقعـون ان يتمكن الرأي العام العالمي في النهاية من انقاذ مصر مـن مخالـب دول العدوان الثلاثي.. في الوقت الذي كانت فيه الحكومات العربية ساكنة كالاموات لا تبدي حراكا.

كان الوضع العربي كما قال ايدن:

"بينما كانت غالبية الامم المتحدة مسـتعجلة امرهـا لـتحكم علـى فرنسا وبريطانيا واسرائيل، لم يحرك (جرذ) واحد في البلاد العربية ساكنا، وبينما كانت الارتال الاسرائيلية تشـق طريقهـا فـي سـيناء وكانــت القــوات البريطانيــة والفرنســية تمخـر عبـاب البحـر الابـيض المتوسط، كان الهدوء سائدا من مراكش الى الخلـيج "الفارســي" (ص399 - مذكرات ايدن، الجزء الثاني)

اصدرت الجمعيـة العموميـة بتـاريخ 2-11-56 وبـدعم واقتـراح من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قرارا يقضي بوقف اطـلاق النار وانسـحاب القـوات المعتديـة مـن الاراضـي المصـرية، فرفضـت بريطانية وفرنسا في بيـان مشـترك الانصـياع لهـذا القـرار فأصـدرت الجمعية العمومية للامـم المتحـدة بتـاريخ 4-11-56 قـرارين آخـرين احدهما قدمته كندا يؤيد القـرار الصـادر فـي 2-11-56 ويطلـب مـن الامين العام للامم المتحدة ان يعد خطة خلال ثمان واربعين ساعة لتشكيل قوة دولية تشرف على وقـف القتـال فـي منطقـة القنـاة، وقرارا ثانيا قدمته الهند باسم مجموعة الدول الافريقيـة والاسـيوية

يقضي بتكليف الامين العام باجراءات وقف اطلاق النار خلال اثني عشر ساعة، ولكن وزير الدفاع البريطاني اعلن بعد ظهر الخامس من تشرين الثاني هجوم المظليين على بورسعيد... وبدأت البلاغات الرسمية تصدر عن انباء القتال مع المظليين البريطانين في مطار ابو سمبل في بور سعيد ومع قوات المظليين الفرنسيين في بورفؤاد.

□

في ليلة الرابع من تشرين الثاني سافرنا بالقطار الى الاقصر، كانت المحطة تعج بالجنود، وكان القصف شديدا ولكن معنويات المسافرين كانت عالية جدا، وكان هدفنا من السفر ان نعود الى سورية عن طريق السودان والسعودية، وكان هذا اقتراح الحكومة المصرية بعد ان تعذر السفر عن طريق الجو والبحر.

وعندما وصلنا الى الاقصر كان القصف شديدا للمطار الواقع بالقرب من الفندق، وكان بعض الطيارين المصريين يشغلون بعض غرف الفندق، فطلبوا مني - لثقتهم بي كما قالوا - ان اجتمع بهم على انفراد لانهم يريدون مشورتي في موضوع خطير، فاجتمعت بهم وكانوا شبابا يتقدون حماسة وغيرة.. وقد اعربوا لي عن اشتباهم بأمر القيادة التي منعتهم عن الطيران بعد تدخل سلاح الجو البريطاني والفرنسي وحدثوني عن معاركهم الجوية مع الطيران الاسرائيلي، فهدأت من خواطرهم وقلت لهم بأن امر قيادتهم صائب وصحيح لانها تضن بهم وبطائراتهم عن خوض معركة انتحارية لا يستفيد منها الا العدو الذي اصبحت معركتنا معه حرب تحرير شعبية من بيت الى بيت ومن قرية الى قرية كما قال الرئيس عبد الناصر.

وعندما تابعنا طريقنا الى اسوان كانت تعج بعدد كبير من الاجانب وبخاصة الخبراء السوفيت واسرهم، وكان برنامجنا ان نسافر بالزوارق الى السودان، وكان همنا كبيرا من ركوب هذه المغامرة.

كـان الجـدل منـذ رحيلنـا مـن القـاهرة محتـدما مـع كامـل الجادرجي حول تدخل السوفيت، اما مباشرة او بارسال متطوعين، فكـان يـرى ان السـوفيت لا يمكـن ان يغـامروا بمجابهـة مـع الغـرب وكنت ارى العكس فدخلت معه برهان حول هذا الموضوع.

وقـد جـرت بينـي وبينـه احاديـث صـريحة شـكا فيهـا صـعوبة التعاون مع قيادة حزب البعث في العراق، ردا على الحـاحي عليـه بضرورة التعاون مع الحزب وتجاوز كل العقبات التي تحول دون ذلك.

كنـت اظـن انـه كـان قريبـا مـن الحـزب الشـيوعي ولكننـي اكتشفت بأنه كان يشكو منهم الشكوى نفسها.

كان الجاردجي مؤمنا بالديموقراطية، وكان مثله حزب العمال في بريطانيـا، وكـان يـدعو بـاخلاص لحـل المشـكلة الكرديـة ومـنح الاكراد حكما ذاتيا، ولم يكن متحمسا للوحدة العربية بل للاتحادات الفدرالية وكـان يشـترط ان تكـون الديموقراطيـة السياسـية قاعـدة لبنائها.

كان شعوري بالحزن والاسى وخيبـة الامـل يـزداد يومـا بعـد يوم ولطالما بكيت وانا استمع الى اذاعـة صـوت العـرب ونحـن فـي الاقصر، كنت اشعر بالغيظ والخجل في آن واحد مـن موقـف الحـزب في سورية، وقد غاب كالاموات بينما كانت مظاهرت الاحتجاج تعـم ارجاء العالم وبينما كان حزب العمال فـي بريطانيـا نفسـها يتظـاهر ضد حكومة حزب المحافظين المعتدية.

ولكن ما عسانا نفعل ونحن بعيدين في الاقصـر غيـر ارسـال برقيات التقريع والاستنجاد!! وقد ارسلنا الـى سـورية وغيرهـا مـن الـدول العربيـة، والـى الهيئـات والاحـزاب، البرقيـة التاليـة بأسـماء الموجودين من اعضـاء لجنـة الاتصـال وبأسـماء الغـائبين كالاسـتاذ سليمان النابلسي وتوفيق المـدني، حيـث كنـا مفوضـين بـالتوقيع عنهما.

"ان المعركـة التـي تخوضـها مصـر ضـد المـؤامرة الغـادرة التـي دبرتهـا فرانسا وبريطانيا مع اسرائيل ليست معركة مصر وحدها بل هي معركـة الامـة العربية بأسرها، وان لجنة الاتصـال للمـؤتمر الشـعبي العربـي لتعتقـد اعتقـادا

جازما بأن اي تلكؤ من قبل اية دولة عربية في خوض هذه المعركة الدفاعية الحاسمة بقوة السلاح جنبا الى جنب مع مصر تحمل الحكومات والهيئات والاحزاب السياسية العربية مسؤوليات عظمى لا يمكن ان تتغاضى عنها الامة العربية، وخاصة في الوقت الذي يثور فيه العالم الحر ضد هذه البربرية، وهو لا تجمعه بالامة العربية غير الروابط الانسانية... واللجنة تعتقد جازمة ايضا بأن القيام بهذا الواجب المقدس لا يمكن ان يكون ذا قيمة الا اذا وضع موضع التنفيذ فورا، واللجنة تهيب بالشعب العربي ان يهب للدفاع ضد الاعداء في كل مكان وبكل وسيلة هبة رجل واحد.

لقد قرر المؤتمر العربي المنعقد في دمشق في 18-9-56 توحيد شمل العرب ضد الاستعمار في كل ارجاء الوطن العربي وعلى كل فرد من افراد الشعب العربي ان يقوم بدوره في النضال ضد القوى التي بدأت اليوم تعمل على افنائه، ان هذا العدوان المبيت الغادر انما يستهدف استعباد العروبة واستعباد العرب في كل مكان واخضاعهم رغم انوفهم لنفوذ الامبراطورية الجديدة اليهودية الفرنسية البريطانية، ولن يرحم لا كبيرا ولا صغيرا، واذا كان هؤلاء الجناة قد ارادوا القضاء علينا فلقد حان الوقت للقضاء عليهم.

ان مستقبل العرب يكتب في هذه الايام، بل في هذه الساعات فهبوا لخوض المعركة فورا، انفروا خفافا وثقالا ولا تتخلفوا تكتب لكم الحياة والحرية والنصر على مجرمي الحرب، ايدن وموليه وبن غوريون الذين دمغهم العالم كله بالعدوان المبيت الغادر... كافحوا بجميع الوسائل.

لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي: حميد فرنجية، تقي الدين الصلح عن لبنان، اكرم الحوراني، معروف الدواليبي، فاخر الكيالي، ظافر القاسمي عن سورية، كامل الجادرجي، صديق شنشل عن العراق سليمان النابلسي عن الاردن، احمد توفيق المدني عن الجزائر.

□

كان جو اسوان في شهر تشرين الثاني ساحرا مفرحا وكأنه على علم بالانباء السارة التي سينتهي اليها العدوان، وكان برنامجنا ان نسافر في اليوم الثاني في زورق نيلي الى السودان، ومن جهاز

الراديو الذي لم يفارق الاستاذ كامل الجاردجي استمعنا في غرفته عشية يومنا الاول في اسوان الى انذارات بولغانين لبريطانيا وفرنسا واسرائيل والى الكتاب الموجه الى الرئيس ايزنهاور.

كان ارتياحي شديدا لهذه الانذارات وكنت ارى انها ستحد من العدوان بينما ردد الاستاذ كامل الجاردجي عدة مرات:

انها كبر بلفة في التاريخ.

كان لموقف الدولتين العظميين الاثر الاكبر في ارغام الدول المعتدية على وقف العدوان، وقد ترافق اعلان بريطانيا وفرنسا واسرائيل وقف اطلاق النار في ليلة 56/11/7 مع نجاح ايزنهاور على خصمه ستيفنسون مرشح الحزب الديموقراطي في انتخابات الرئاسة الاميركية.

مع اعلان وقف اطلاق النار عدنا الى القاهرة وكان الجدل بيني وبين الجاردجي ما يزال دائرا حول انذارات بولغانين هل كانت "بلفة" ام حقيقة.

لم تكن الصورة واضحة تمام الوضوح لذا كان كل منا متمسكا برأيه ثم ما لبثت ان اتضحت الحقائق التالية حول موقف كل من الدولتين:

اولا: ليس بوسع الاتحاد السوفيتي ولا من مصلحته ان يتدخل عسكريا لايقاف العدوان ما لم يضمن على الاقل الحياد الاميركي تجاه هذا التدخل.

ثانيا: اتخذت اميركا موقفا واضحا وحازما تجاه العدوان واستعملت كل الاساليب للضغط على بريطانيا وارغامها على الانسحاب ووقف اطلاق النار، وكان الرئيس ايزنهاور قد اعلن قبل العدوان بأن الولايات المتحدة لن تشترك بحرب ما لم تتعرض لعدوان مباشر، وما لم يقرر الكونغرس ذلك طالما هو في سدة الرئاسة.

ثالثا: لم يعد بوسع ايدن وحكومة المحافظين الاستمرار بالعدوان امام الضغط الاميركي والروسي وقرارات الامم المتحدة وانقسام الرأي العام البريطاني.

رابعا: لم يعد بقدرة بريطانيا حاليا الاستمرار بالحرب بعد نسف انابيب البترول عبر سورية وانقطاع تموينها من بترول الشرق الاوسط وبعد اغلاق قناة السويس، وكان هذا هو الوضع الدولي عندما وجه الاتحاد السوفيتي الانذارات الثلاثة لدول العدوان فكان لها المفعول الحاسم في وقف اطلاق النار وانسحاب المعتدين.

□

لقد تمت خلال فترة العدوان الثلاثي الزيارة التي قام بها رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي للاتحاد السوفيتي، وكان السيد القوتلي مترددا في بادىء الامر بتلبية الدعوة حذرا من اغضاب الولايات المتحدة ولكن في تاريخ 1956/10/30 وقبل ساعات من العدوان على مصر سافر القوتلي الى موسكو معلنا رفضه صرف النظر عن تلبية الدعوة رغم حراجة الظروف.

كانت الولايات المتحدة توعز احيانا لبعض زعماء الدول باقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي اذا كانت هذه العلاقات بتوجيهها وتنسجم مع سياستها العالمية، ولما كان للاتحاد السوفيتي وزن ضاغط في منع العدوان الثلاثي على مصر او احباطه، مما كان منسجما مع سياستها، فانها شجعت القوتلي على زيارة الاتحاد السوفيتي آنذاك وقد روى احسان الجابري:

ان الرئيس القوتلي عندما استقبل السفير الاميركي ليستلم كتابا من الرئيس ايزنهاور، دار بينهما حديث حول الدعوة التي وجهت اليه من الاتحاد السوفيتي، فأبان القوتلي بأن غرضه من هذه الزيارة تزويد سورية بالسلاح لرد العدوان الاسرائيلي الذي تحرض عليه بعض الدول الغربية، مما دعا اسرائيل لاعلان التعبئة، فقال السفير الاميركي:

ان سبب التعبئة الاسرائيلية هو قيام المنظمة الدفاعية الثلاثية التي تضم سورية ومصر والاردن، فقال له القوتلي:

ان هذه المنظمة هي دفاعية، فأجاب السفير:

انني اعترف بأن لكم الحق بما تعملون، وانا مقتنع بوجهة نظركم، وانني اتمنى لكم سفرا سعيدا.

ومن الامور التي تلقي ضوءا على موقف الاتحاد السوفيتي ما رواه لي الاستاذ صلاح البيطار بعد عودته مع الوفد:

ان الرئيس القوتلي الح كثيرا على الزعماء السوفييت ليتدخلوا عسكريا لايقاف العدوان على مصر، فكانوا يعتذرون بعدم وجود حدود مشتركة بين البلدين يمكن منها ارسال قواتهم العسكرية، وكان القوتلي يفتش امام الزعماء السوفييت على الخارطة علـه يجد طريقا يمكن منه ارسال الطائرات الى مصر ثم قال:

اليس بامكانكم ارسال طائراتكم من الحد الفاصل بين ايران وتركيا الى سورية؟؟

ولعل هذا يشير الى ان الاتحاد السوفيتي لم يكن يفكر بأن توجيه الانذارات الثلاثة لدول العدوان سوف يؤدي الى التدخل العسكري في مصر.

من نسف خطوط البترول المارة في سورية والعائدة الى شركة الاي بي سي البريطانية؟

كان سروري كبيرا عندما اذيع نبأ نسف انابيب البترول المارة في سورية في ثلاث محطات للضخ وقد سارع نوري السعيد الى تقديم مذكرة الى سورية طلب فيها اصلاح المنشآت المدمرة على نفقة الحكومة العراقية.

وعندما قلت لفؤاد جلال باعتزاز ان سورية قد وفت بوعودها، كانت صدمتي كبيرة عندما اجابني:

ان اولادنا (ويعني المخابرات المصرية) هم الذين نسفوا انابيب البترول، وقد عرفت بعد عودتي لسورية بان جهاز عبد الحميد السراج قد نفذ هذه العملية بدفع وتشجيع من ضباط الجيش، وتساءلت ماذا يعني ادعاء المصريين؟ هل هم يعتبرون عبد الحميد السراج عميلا لهم، واذا كان الامر كذلك فهل يجرؤ عبد الحميد السراج على تنفيذ هذه العملية لو لم يكن مؤيدا ومدعوما من الضباط الوطنيين في الجيش؟[1]

□

كانت الايام التي قضيناها في القاهرة بعد وقف العدوان اياما رائعة شاركنا فيها الشعب المصري افراحه بالظفر على العدوان، وقد هيأت لنا الحكومة المصرية زيارة للسويس بناء على رغبتنا، وكان صلاح سالم يتولى الدفاع عنها اثناء العدوان، وقد فوجئنا بعد خروجنا من القاهرة باعداد كبيرة جدا من آليات الجيش ومعداته مدمرة محترقة مرمية على جانبي الطريق، والذي يظهر بأن عبد الناصر كان يسعى في البداية لتجميع قوات الجيش المنسحبة من سيناء في القاهرة للدفاع عنها، وهذا ما جعل طريق القاهرة القناة عرضة لغارات الطائرات البريطانية ومصيدة لمعدات الجيش وألياته.

وجدنا صلاح سالم عندما استقبلنا في السويس كسيرا حزينا، وكان يبدو على مدينة السويس كل علائم الهزيمة والانهيار، وقد قيل لي فيما بعد ان صلاح سالم اشار على عبد الناصر ان يستقيل اثر الانذار البريطاني الفرنسي، لاعتقاده ان ذلك قد يكون سبيلا الى انقاذ البلاد، فغضب عليه عبد الناصر وارسله الى السويس للدفاع عنها.

وعندما قمنا بزيارة الاسماعيلية كان الوضع فيها مختلفا تماما عن مدينة السويس، حيث استقبلنا الشعب بحماسة كبيرة، وكان على رأس المستقبلين كمال الدين حسين المكلف

(1) يشير الفريق عبد الكريم زهر الدين قائد الجيش السوري بعد انفصال سورية عن مصر في مذكراته ص 225 ان احد الضباط الاربعة الذين قتلوا خلال احداث حلب في آذار عام 1962 هو الذي قام بتفجير انابيب البترول خلال العدوان الثلاثي على مصر عام 1956.

بالدفاع عنها، وقد ادينا صلاة الجمعة مع جماهير الشعب التي كانت تغلي كالمرجل، وهنالك القى الباقوري خطابا هادئا، اما معروف الدواليبي فقد حاول ان يستثير حماسة الجماهير فبدأ خطابه بصراخ غير مألوف وفجأة اختنق صوته وانقطع، مما جعل الجاردجي ينفجر بالضحك وسط المصلين.

عند خروجنا من المسجد لم اعثر على حذائي فتحلق حولي عدد كبير من الناس حاولت ان اشق بينهم طريقي حافيا الى السيارة، ولكن الجمهور كان يمنعني ويطالب الخطيب الذي كان يخطب بحماسة امام باب المسجد طالبا منه ان يدعو من مكبر الصوت للتفتيش عن حذائي الضائع، فكان الخطيب يضطر للتوقف عن متابعة خطابه الحماسي ليدعو الناس للتفتيش عن "جزمة الحوراني"

كان الوضع محرجا ومخجلا ومضحكا في آن واحد، واخيرا حمل الى الجمهور فردتي حذاء متماثلتين، وبعد أن وصلنا الى مقر القيادة تعرف الشيخ معروف على احداها فضحك الباقوري وقال:

الظاهر ان الحوراني لا يكتفي بفردة حذاء يسارية واحدة، فقلت له:

لماذا لا تقول ان الدواليبي لا يكتفي بفردة حذاء يمينية واحدة؟

وهكذا كان اصطياد النكتة والروح المرحة لا يفارقان الشعب المصري في كل الظروف.

شاهدنا في الاسماعيلية بعض قطع الجيش ومعداته، ولكننا لم نشاهد اثرا للمقاومة الشعبية، والحقيقة المؤسفة انه لم يكن تنظيم سابق للمقاومة الشعبية حتى في بورسعيد نفسها التي حاول الاعلام المصري ان يرفع من شأنها الى مراتب البطولة، وهذا لا يعني ان افراد الشعب لم يساهموا مع الجيش في صد العدوان، هذا الامر اكده لي عبد اللطيف البغدادي الذي كلفه عبد الناصر فيما بعد باعمار ما خربه الغزاة في بورسعيد، ولكن مساهمة الشعب كانت محدودة لان السلاح لم يوزع الا عندما شرع الانكليز والفرنسيون بمهاجمة المدينة!

كنت اعتقد آنذاك ان تجربة العدوان الثلاثي على مصر ستجعل من عبد الناصر اكثر ثقة بالشعب واكثر معرفة بتفجير قدراته وطاقاته التي لا حدود لها، وان مصر لن تهزم ثانية، وانها لن تعتمد في المستقبل على الاقدار الدولية لانقاذها مرة اخرى ولكن المستقبل خيب هذه الامال.

نوري السعيد يضخ البترول الى حيفا

اذاعت الحكومة الاردنية بتاريخ 1956/11/12 ما يلي:

"نسف اليوم مجهولون انابيب البترول العراقي المارة من كركوك الى حيفا عبر الاردن في موقعين يبعدان الى الجنوب عن مدينة اربد حوالي 12 كيلومترا واندلعت منها السنة النيران" وكانت الحكومة العراقية قد اعلنت منذ حرب فلسطين عام 1948 توقف ضخ البترول بهذه الانابيب الى حيفا، وكان هذا هو الاعتقاد العربي السائد طيلة تلك السنوات التي انقضت على قيام اسرائيل، ولكن اكتشف بطريق الصدفة ان البترول العراقي لا يزال يضخ عبر هذه الانابيب الى اسرائيل عندما شاهد الاهلون البترول يتدفق من انابيب الشركة نتيجة تلف عادي اصابها في موقع يبعد 4 كيلومتر الى الغرب من تقاطع طريق جرش الرمثا فأقدم الشعب عند ذلك على تفجير هذه الانابيب.

اهتممت بهذا الحادث كثيرا لانه لم يكن يخطر ببال احد احتمال تدفق النفط العراقي الى اسرائيل، ولا شك ان المسؤولين في الاردن لم يكونوا يعلمون بهذا الموضوع فقد كان النابلسي رئيسا للحكومة كما ان الملك حسين كان ما يزال مرتبطا بالاتفاق الثلاثي مع سورية ومصر، وقد علقت على هذا الموضوع بما يلي:

"ان نسف انابيب شركة النفط العراقية في الاردن يكشف عن مؤامرة جديدة خطيرة يقصد منها ضخ بترول العراق الى ميناء حيفا.

عندما وقعت كارثة فلسطين عام 1948 قطع البترول عن هذا الخط وبقي البترول مقطوعا حتى وقع حادث النسف امس فكشف عن تدفق البترول في هذا الخط بعد ان نسفت الخطوط الاخرى الممتدة عبر سورية اثر العدوان الثلاثي على مصر ان اعادة استعمال خط حيفا هو محاولة لايصال البترول

العراقي الى دول العدوان وهو يكشف عن مؤامرة خطيرة تستهدف مد اعداء العرب بالبترول العربي" (وكالة انباء الشرق الاوسط 13-11-1956)

لقد حاول حكام العراق تكذيب النبأ وأكدوا ان البترول قد توقف ضخه منذ عام 1948 وبينوا استحالة وصول البترول عمليا الى حيفا لان الانابيب منسوفة في نقاط متعددة منذ حوادث 1948 وان الانفجار الذي لوحظ لا بد ان يكون بقايا بترول موجودة في الانابيب منذ ذلك التاريخ. وقد نشط دعاة الحلف في تكذيب النبأ وزعموا ان الغرض منه تشويه سمعة حكام العراق الا ان البيان الذي نشرته شركة نفط العراق فضح حكام العراق من حيث لا تريد، فقد جاء في هذا البيان ان الشركة لاعتبارات فنية، ومنعا من ان يأكل الصدأ الانابيب كانت مضطرة الى ابقاء كميات من النفط فيها (تحت ضغط عال) وان هذا يفسر - بنظر الشركة - سبب وجود البترول في الانابيب واشتعاله، اما انفجاره وارتفاع السنة اللهب فمبعثه هذا الضغط العالي الموجود في الانابيب!

ان التناقض واضح لا يحتاج الى بيان.

مؤتمر الملوك والرؤساء

كان كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية هو المكلف من الغرب بتدبير عقد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب اثر العدوان وكان (طعم الصنارة) لاشراك سورية ومصر في هذا المؤتمر التأكيدات التي اطلقها بأن لبنان مستعد لقطع علاقاته مع بريطانيا وفرنسا اذا ما اتخذ الملوك والرؤساء العرب قرارا اجماعيا بذلك، وغير خاف ان الملوك والرؤساء العرب لا يمكن ان يجمعوا على اتخاذ مثل هذا القرار.

انعقد مؤتمر الرؤساء والملوك في بيروت بتاريخ 13و14-11-56 وكانت سورية ممثلة بشخص رئيس الجمهورية شكري القوتلي الذي اصطحب معه ناظم القدسي رئيس المجلس النيابي وصلاح الدين البيطار وزير الخارجية، وناب عبد الناصر عنه عبد الحميد غالب سفير مصر في بيروت لحضور هذا المؤتمر فاستغل "صديق" الولايات المتحدة المعروف مصطفى امين هذا الوضع وقام بنشاط

واسع في دمشق وبيروت فعقد المؤتمرات الصحافية وادلى بالتصريحات قبل واثناء انعقاد هذا المؤتمر.

كانت لجنة الاتصال الشعبي ما تزال في القاهرة وكنت اتولى فيها اقتراح وكتابة ما صدر عنها من برقيات وبيانات ونداءات، وكنت لا اجد من اعضاء اللجنة الاخرين اعتراضات لا يمكن حلها، فحيث يكون الامر محرجا لاحدهم نستغني عن توقيعه وهكذا وجهنا رسالة الى مؤتمر الملوك والرؤساء المنعقد في بيروت دون ان يوقعها ممثلا لبنان حميد فرنجية وتقي الدين الصلح واكتفينا ببقية اسماء الاعضاء.

وزيادة في كشف لعبة الغرب واغراضه من انعقاد مؤتمر الملوك والرؤساء في بيروت ومن القرار الذي اصدره نوري السعيد بادانة اسرائيل، اقترحت على اعضاء لجنة الاتصال صيغة برقية لارسالها الى نوري السعيد فتردد كامل الجادرجي في توقيعها ولما الححت عليه قال:

ان توقيع هذه البرقية يضعني امام احد خيارين، اما الا اعود الى العراق، واما ان اعود الى سجن نوري السعيد، وانني لسوء صحتي لا اتحمل السجن، ولكنني اصررت عليه فوقع البرقية، وقد ندمت فيما بعد على هذا الاحراج اذ ان نوري السعيد قد سجنه بمجرد عودته الى العراق، وفيما يلي نص البرقية:

"لكي تكون منطقيا مع قرارك الاخير بشأن اسرائيل فان عليك ان تقطع علاقاتك فورا مع بريطانية حليفة اسرائيل وشريكتها في العدوان وان تنسحب من حلف بغداد الذي يجعلك حليفا لاسرائيل، وان اي تقاعس منك في اتخاذ هذه الاجراءات يجعل العرب يتشككون في ان قرارك الاخير ليس الا خدعة لكسب الوقت" (الرأي العام 16-11-56)

ولم يسفر مؤتمر الملوك والرؤساء، كما كان منتظرا الا عن بيان مشترك ادان فيه بريطانية وفرنسا واسرائيل بالعدوان، وايد قرارات هيئة الامم المتحدة بضرورة انسحاب القوات، واوصى في حال عدم تنفيذ قرارات الامم المتحدة ان تتخذ الحكومات العربية اقصى ما تسمح به امكانياتها من تنفيذ المادة الثانية من معاهدة

الـدفاع المشــترك العربــي وايـد حـق مصـر وسـيادتها علـى قنـاة السويس.

مقارنة لا بد منها بين فعل الحكومات وفعل الشعوب

مقاومة الشعب في بورسعيد ونسف انابيـب البتـرول فـي سورية

لـم يكـن خافيـا علـى العـالم آنـذاك ان مصـر منيـت بهزيمـة عسكرية، فقد حطمت اسرائيل بمساعدة بريطانيا وفرنسـا معظـم سلاح الجيش المصري ومعداتـه واسـرت الالـوف مـن افـراده، ولـم يحفظ للعرب ماء وجههم الا المقاومة الشعبية في بورسعيد التـي كان اثرها محدودا لان التفكير بها جاء متأخرا بدون اعداد ولا تنظـيم سابق والفعـل الثـاني الشـعبي كـان اعظـم اثـرا فـي العـالم وهـو نسف انابيب البترول في سورية اولا وفي الاردن ثانيـا وكـان لـذلك آثاره الكبيرة التالية:

1- أمرت الحكومة البريطانية شـركات البتـرول بتخفـيض توزيعاتهـا على الجمهور وفرضت نظام البطاقات في توزيع البترول.
2- ارتفعت الاسعار في بريطانيا بنسبة كبيرة.
3- بـدأت صـناعة السـيارات فـي بريطانيـا بـالتوقف وقالـت شـركة فوكسهول ان الشحن الى الشرق الاوسط قد توقف تماما وان هنالك صعوبات في الشحن الى المناطق الاخرى.
4- قال النائب العمالي ولسن: ان العدوان على مصر عرض رصيد الذهب والاحتياطي من الدولارات في بريطانيا الى الخطر.

ولم يقتصر اثر انقطاع بتـرول الشـرق الاوسـط علـى اقتصـاد بريطانيـا وحـدها بـل شـمل اوروبـا بأجمعهـا فقـد اضـطرت معظـم حكومـات لفـرض التقنـين علـى اسـتهلاك المنتجـات البتروليـة للحاجـات الصـناعية واليوميـة، فايطاليـا كانـت علـى سـبيل المثـل تستورد من بتـرول الشـرق الاوسـط نسـبة 96% مـن اسـتهلاكها والمانيـا الغربيـة 85% وبريطانيـا 75% وسـويسـرا 60% ولاعطـاء صورة اكثر وضوحا يكفي ان اشير الى رواية احـد الصـحافيين الـذي

شاهد وجوه وزراء الحكومة الفرنسية شاحبة وهم يصطكون من البرد من جراء تقنين المحروقات.

ومما هو جدير بالذكر ان الناقلات الضخمة القادرة على نقل الكميات الكبيرة من بترول الشرق الاوسط عن طريق رأس الرجاء الصالح لم تكن متوفرة آنذاك، وقد عانت اسرائيل ايضا ما عانته اوروبا من جراء انقطاع البترول فقد اوقف الاتحاد السوفيتي بيعه لها وكانت تحصل منه على 20% من استهلاكها.

انها هي المرة الاولى التي نبهت العرب الى اهمية وفعالية السلاح الذي يمتلكونه ضد الاستعمار الغربي واسرائيل، وقد استخدم العرب هذا السلاح للمرة الثانية في حرب تشرين 1973.

العودة الى سورية

مكثنا في القاهرة اكثر من اثني عشر يوما بعد وقف اطلاق النار حتى تيسر لنا ان نعود الى الوطن الصغير بواسطة باخرة يونانية متواضعة ابحرنا بها من ميناء الاسكندرية، فكانت رحلة شاقة دامت 32 ساعة وصلنا بعدها الى بيروت مع اعضاء لجنة الاتصال ثم ذهبنا الى بيت السيد حميد فرنجية بصحبة السيد سليمان فرنجية وتحت حراسة مسلحة تحسبا من اعتداءات السوريين القوميين وعملاء حلف بغداد، ومن هناك تابعنا سفرنا الى دمشق.

كانت دمشق عشية ذلك اليوم 19-11-56 مظلمة مطفأة الانوار واكياس الرمل مكدسة في الشوارع، فذهبت فورا الى المجلس النيابي حيث كانت الجلسة منعقدة، ولكن وعثاء السفر وبعدي عن الجو خلال فترة شهر منعاني من المشاركة في النقاش الدائر، وكانت دهشتي كبيرة من وقاحة منير العجلاني الذي كان يردد في خطابه الدعايات التي كانت تروجها اذاعات الاعداء في لندن وقبرص والامكنة الاخرى والتي كانت تصور الدول العربية المتحررة وكأنها اصبحت تابعا يدور في فلك الاتحاد السوفيتي:

"لقد رأيت قوما ينكرون علينا ان نحيي امريكا، لا يا سيدي، فانا اريد ان احيي امريكا، اريد ان احييها لاسباب كثيرة، لان تحيتها تنفي عنا على الاقل اننا متشيعون تشيعا كاملا لروسيا" "انا رجل احس في اعماق نفسي بشي من الضعف بالنسبة للعراق ومهما اختلفت الامور اظل احمل له حبا قد يحجب عني اشياء، وبهذه المناسبة ايضا احب ان اقول للحكومة الكريمة، يجب علينا ان نجلب العراق الى صفنا مهما كانت التضحية كبيرة" "لقد اذيع وكتب اكثر من مرة ان العراق اوصل البترول الى حيفا، بواسطة الانابيب وان هذه الانابيب قد هدمت واشتعلت فيها النيران بشكل هائل، ولقد سمع الخبر كثيرون فلعنوا الذين اوصلوا البترول وانهالوا بالتهم يكيلونها لهم، واما الحكومة فينبغي ان تتحقق وان تعمل بقوله تعالى: يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين".

كما طالب العجلاني يومذاك في خطابه بالتسامح مع العناصر التي يتهمها الشعب في وطنيتها وبدا لي هذا الطلب غريبا في صيغته:

"ارجوك (يعني خالد بكداش) الا تجعل للارهاب مجالا لان يغمر هذه الحكومة، وان نكون متفاهمين يسودنا روح الاخاء ويغفر بعضنا لبعض الزلة، ويدعو احدنا الاخر بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا تتخوف ابدا من ان يكون في هذه البلاد خونة، فان هؤلاء الخونة لا يمكن ان يكونوا من السوريين، لا يمكن ان يكونوا من الوطنيين"

وقد رد عليه عبد الكريم زهور قائلا:

"ان غفران الخطيئات واجب في اوقات المحن ولكن الواجب ايضا ان يلقى الخونة جزاءهم فهم اعدى الاعداء لانهم في قلب البلاد يخربون ويتآمرون فلا غفران لمن يريد ان يحطم الامة اثناء تعرضها للعدوان الخارجي" كما طالب عبد الكريم زهور في خطابه بفضح موقف العراق الرسمي في مؤتمر الملوك والروساء في بيروت وامتناعه عن قطع علاقاته مع المعتدين ورفضه الانسحاب من حلف بغداد، ثم انتقد بيان الملوك والرؤساء وقال ان ممثلي دول غير عربية في الامم المتحدة قد قالوا في تأييد مصر اكثر مما قاله بيان الملوك والرؤساء.

كان الرأي العام بعد وصولنا الى سورية متشوقا جدا لاحاديثنا عن مصر ومنذ صبيحة اليوم الاول بدأت الصحف تلح

وتطلب تصريحا عما شاهدناه فيها اثناء العدوان فصرحت لجريدة الرأي العام 20-11-56 بما يلي:

"اني واثق الان بعد ان عشت المعركة مع الشعب العربي في مصر ان هذا الشعب لن يستطيع الاستعمار ان يقهره مهما بغى وتجبر، لقد قدرت الطائرات المعادية التي اشتركت بالغارات الوحشية على المدن المصرية بحوالي 1500 طائرة معادية، ومع ذلك فقد كان الشعب يهزأ بالعدو الذي اراد ان يحطم اعصابه، انه كان يمارس اعماله المعتادة وكأن طائرات العدو لا تلقي عليه القنابل والحمم، وقد لمست عند اتصالي برجال الجيش والشعب في الاسماعيلية والسويس بل في كل مدينة مصرية زرتها ان عقلية الشعب ازدادت صفاء وتفتحا، وان روح عبد الناصر قد تقمصت في كل مواطن على نحو يجعلني على مثل اليقين ان اي شعب في العالم لا يستطيع ان يتيه على الشعب المصري بقوة روحه المعنوية وتصميمه الصادق وان البلاغات المصرية دقيقة وصادقة وان سلاح الجو المصري سليم بجملته شأنه شأن بقية اسلحة الجيش المصري وان الغزاة اذا لم يخرجوا من مصر فان الموت ينتظرهم في كل مكان".

لم يكن من المصلحة آنذاك والعدو جاثم على ارض الكنانة ان نتعرض للجوانب السلبية التي شاهدناها، وضمن هذا الخط كان حديثنا في الحزب والمجلس ولجنة الشؤون الخارجية، فأكدنا على اهمية المقاومة الشعبية وعلى الوحدة الوطنية وعلى ضرورة الاعداد للمعركة وكأنها منتظرة في كل لحظة. كما اعطيت لوكالة الشرق الاوسط التصريح التالي:

"ان مصر قد بدلت تبديلا وان شعبها البطل قد بعث بعثا جديدا، ان كل ما كنا نسمعه عن مصر قد تغير، لقد صقلته الحرب وابرزت حقيقته، ان حقيقة الانطباع الذي حملته عن مصر هو ان الشعب مستعد كامل الاستعداد، عظيم الامكانيات، وهو يشترك مع الجيش بقوة وتنظيم وتلهف للمعركة لانه مدرك ببساطة ووضوح انها معركة مصير، والظاهرة التي تلفت النظر هي اطمئنان الشعب الى هذا المصير واطمئنانه الى قيادته وثقته بها والتفافه حولها في اروع ما شهده تاريخ العرب من وحدة وطنية" وقلت بشأن تأخر تسليح الشعب في سورية:

"ان دور سورية خلال فترة توقف اطلاق النار هو الحذر والاستعداد التام حتى وان جلا المعتدون عن ارض مصر، لان معركة الامة العربية مستمرة فيجب ان يستمر الاستعداد لها ما بقيت اسرائيل وخطر الاستعمار ماثلا في قواعده وركائزه ومصالحه وعملائه حتى تقتلع جذورهم، وقد رأينا كيف ان العدوان على مصر كان مفاجئا للكثيرين ولقد يقع عدوان مماثل في اي يوم مقبل على اي بلد عربي متحرر، على سورية او الاردن، لهذا يجب تسليح الشعب واعداده وتعبئة قواه في الارياف والمدن على اساس انها معركة طويلة الامد.

عبد الناصر يطمئن الولايات المتحدة فتوافق بريطانيا وفرانسا على الانسحاب

هذا هو العنوان الذي كتبته بعض الصحف لحديث عبد الناصر مع مراسل وكالة الاسوشيتدبرس، وكان تصريحه بصورة عهد مقطوع للرأي العام الاميركي:

"انني انذر نفسي للتقيد بجميع القوانين الدولية القائمة حاليا بدقة" ثم نفى ما يشاع عن انشاء دولة عربية واسعة قائلا:

"ان الدول العربية تعمل في سبيل التعاون المستمر وان كل دولة عربية تتعلق بوحدتها كما تتعلق بها مصر"

وقال بصدد عزم مصر على تحسين اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ما يلي:

"ان هذه المهمة قد اصبحت عرضة للتأجيل بانتظار حل عدد وافر من القضايا التي لا يمكن تأجيلها" وقال:

"انني ادعو جميع حكومات العالم وجميع الرجال والنساء المحبين للخير ان يبذلوا جهودهم الحثيثة لايجاد الحلول الشريفة لهذه القضايا"

ثم اعلن انه لن يصبح جرما يدور في فلك احد، كما اعلن عن عزمه على البقاء حرا تجاه جميع العقائد الاجنبية كالماركسية والفاشية والعرقية والاستعمار والالحاد وهي جميعا في الاصل اوروبية المنشأ، وقال ايضا:

انه ينذر نفسه للمثل العليا: المساواة بين جميع الرجال وكل الدول، الحرية الفردية والشخصية، ولتحقيق هذه المثل فان مصر الجديدة ستعمل بموجب تعاليمها الدينية الخاصة وتراثها الثقافي".

وقد بدا واضحا للمراقبين ان هذا التصريح موجه بصورة مباشرة الى الرأي العام الاميركي.

ضغط عسكري وسياسي واعلامي ضد سورية

المؤامرة الكبرى على الوضع الديموقراطي في سورية

بتاريخ 25-11-56 اصدرت الجمعية العمومية للامم المتحدة قرارا يقضي بالانسحاب من الاراضي المصرية ورجوع اسرائيل الى خطوط هدنة 1948، وألحت الجمعية للمرة الثالثة على اسرائيل ان تنسحب حالا من اراضي مصر وقطاع غزة ووافقت الامين العام على مهمات تولي البوليس الدولي التي اتفق على تحديدها مع جمال عبد الناصر وعلى الترتيبات لاعادة الملاحة في قناة السويس، وقد اعلنت بريطانيا وفرنسا واسرائيل استجابتها لهذا القرار، وفي هذا الوقت بالذات كانت اسرائيل تحشد قواتها على الحدود السورية، ويخرق طيرانها حرمة الاجواء السورية مما اضطر الحكومة ان تقدم لهيئة الامم المتحدة مذكرة احتجاج على نوايا اسرائيل العدوانية.

كان امرا مفاجئا وملفتا للنظر استلام الولايات المتحدة زمام المبادرة بشن حملة سياسية واعلامية ضد سورية بحجة انها اصبحت جرما يدرو في فلك الاتحاد السوفيتي، والحقيقة ان الولايات المتحدة لم تتوان في وقت من الاوقات عن التعاون مع حلف بغداد لتدبير المؤامرات والانقلابات واثارة الفتن لتقويض الوضع الديموقراطي التقدمي في سورية، كان هذا معروفا وملموسا في

جميع المؤامرات التي كشفتها سورية، لكن الولايات المتحدة قد هادنت سورية - ظاهريا - قبيل تأميم قناة السويس عندما بلغ التناقض الاميركي البريطاني ذورته في المنطقة، لذلك كان امرا مستجدا ان تتولى الولايات المتحدة زمام المبادرة من حلف بغداد لدعم الضغوط العسكرية والسياسية والاعلامية ضد سورية.

وفي تاريخ 1956/11/24 اعلن ناطق عسكري ان السلطة وضعت يدها على مؤامرة اعدها حلف بغداد لتقويض الوضع في سورية اثناء العدوان الثلاثي على مصر وفيما يلي نص البيان:

"في الوقت الذي كانت فيه قوى الاثم والعدوان البريطانية والفرنسية واليهودية تنقض بوحشية لم يشهد لها تاريخ الانسانية مثيلا على الشقيقة العربية الكبرى مصر الباسلة، وفي اللحظات الرهيبة التي كانت فيها جميع وحدات الجيش السوري تتحرك متأهبة للاسهام في دورها القومي في خوض المعركة، معركة البقاء والشرف جنبا الى جنب مع وحدات الجيشين المصري والاردني، الامر الذي تحتمه اولى اواصر الاخوة وتستلزمه وحدة القضية ويفرضه المصير المشترك.

في هذا الوقت بالذات وفي هذه اللحظات الرهيبة وضعت السلطات العسكرية يدها على شحنات من الاسلحة الحربية الخطيرة اثناء محاولة نقلها من بلد عربي مجاور الى سورية، فوضعت اليد عليها وباشرت فورا بالتحقيق ومطاردة الجناة الذين كانوا يعدون العدة لطعن امتهم ووطنهم وجيشهم من الخلف عندما تكون الامة والوطن والجيش في خضم المعركة، وان التحقيق الاولي كشف الستار عن الجهة التي يتعامل معها هؤلاء الجناة والتي نقول والالم يحز في نفوسنا ويدمي قلوبنا بأنها حكومة كنا نعتقد الى امد قريب بأنها مهما ضلت الطريق ومهما غررت بها سياسة الاحلاف والمستعمرين، فانها لا بد وان تكون الى جانبنا في الصف يوم المعركة.

وانا لنؤكد تأكيدا جازما لجميع المواطنين من ابناء هذا الشعب العربي في سورية بأن المسؤولين من ابنائه الذين يضعون ايديهم على التحقيق سوف يعملون بكل همة وعزيمة ومضاء ليضعوا اليد على من اشترك وساهم لاحالته الى القضاء ومحاكمته على جنايته القذرة لينال جزاءه الحق العادل على ما سولت له نفسه المجرمة بحق امته ووطنه وشعبه وجيشه.

اما تلك الحكومة، حكومة نوري السعيد [2] في العراق التي تدفع اولئك الجناة للتآمر علينا لحساب العدو واسرائل فلا ريب انها ملاقية حسابها على يد شعبها العربي الابي الباسل الذي ما لانت له قناة ولا وهنت فيه عزيمة والذي كان ابدا سليل البطولات والامجاد من عهد الوليد والرشيد... حتى يوم المعركة القومية الرهيبة المعركة التي آذن يومها وبدت طلائعها"

الشعب والحكومة والمجلس والاحزاب امام اكتشاف المؤامرة

بدأ الغليان الشعبي بعد اعلان المؤامرة، وبدأت البرقيات والعرائض تنهال على الحكومة والمجلس ورئاسة الجمهورية من جميع انحاء البلاد تطالب بمحاكمة الخونة واعدامهم، اما اعوان المتآمرين المبثوثين في اجهزة السلطة التنفيذية والتشريعية والاحزاب فقد صعقوا لهذه المفاجأة ولم يجدوا سبيلا لانقاذ المتآمرين. وتهدئة للاجواء المتوترة فقد توصل ناظم القدسي لاقناع اكثرية النواب بضرورة تأجيل جلسة المجلس النيابي التي كان مقررا عقدها مساء ذلك اليوم اي في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني.

---

(2) يشير ولبر كراين ايفلاند مسؤول المخابرات المركزية في كتابه حبال من رمل (ص 296) الى هذه المؤامرة على الاتجاه التحرري في سورية خلال حديثه مع مسؤول للمخابرات البريطانية اسمه جورج يانغ:
"واضاف (اي العميل البريطاني) بأن موقف انكلترا في ايران اصبح اقوى من اي وقت مضى منذ 50 عاما، ثم قال: واما بالنسبة لمصر فانتم قد جعلتم من ناصر تنينا للرعب، ووصف اعمال الـ CIA في مصر بأنها مجرد شيء تافه، وادعى ان علينا اما قبول ما ستقوم به المخابرات البريطانية للتخلص من الطاغية المصري، او تعالوا واطلبوا مساعدة بريطانيا.
"ولانني كنت في دمشق، كان في استطاعتي ارهاق "يانغ" الى ان يفصح عن خططه في عملية انقلاب سوريا، وقال "يانغ" سوف تخلق تركيا حوادث للحدود، وسوف يحرض العراقيون قبائل الصحراء، وسوف يتسرب اعضاء الحزب القومي السوري في لبنان عبر الحدود الى سوريا لاحداث الفوضى لكي يسوغ غزو الجيوش العراقية، واضاف "يانغ" بأننا سوف نبحث بكل هذه المسائل مع شركائنا المرتقبين".
"وفي آخر لقاء لنا، "سألني يانغ" عن مشاعري التي كونتها نحو سياسة بريطانيا وخططها، فأجبته يبدو واضحا بأن بريطانيا تعتمد على العراقيين لينهوا اعمالهم في سوريا والسعودية، اما بالنسبة لمصر فكنت اشك في ان يكون لدى العراق قدرات هناك اكثر مما لدى بريطانيا، وهز جورج رأسه وقال بأني قد نسيت شيئا: السنيبكوك".
لم افهم ماذا يعني بذلك فهمس "ايشلبرجر" قائلا بأنها عبارة يانغ للدلالة على الاسرائيليين، ويرجع تاريخ هذه العبارة الى العراك البريطاني مع الارهابيين خلال عهد الانتداب الفلسطيني".

جاءت المفاجأة الثانية عندما اصدرت الحكومة الاردنية بلاغا رسميا اعلنت فيه مصادرة بعض الاسلحة والقاء القبض على بعض رجال العشائر الذين كانوا يتولون تهريبها من العراق الى سورية، فلم يعد بوسع احد ان يشكك بحقيقة المؤامرة، فلجأ اعوان المتآمرين المبثوثين في صفوف النواب والاحزاب ورجال الحكومة الى التظاهر باستدرار العطف على هاشم الاتاسي بعد ان عرف ان ابنه عدنان متهم باشتراكه في هذه الجريمة، وقد تأثرت الى الاعماق على هاشم الاتاسي نظرا لكبر سنه وماضيه، وكان بودي الا يتعرض لهذه المحنة، وكان من المؤلم حقا ان يضطر هاشم الاتاسي برغم شيخوخته ان يزور شكري القوتلي ليرجوه انقاذ ابنه عدنان المتهم بجريمة الخيانة العظمى.

كنت اقول لهؤلاء المتظاهرين بالعطف على هاشم الاتاسي وللصادقين بعطفهم عليه:

ماذا تريدون مني ان افعل؟ لقد حذرنا المتآمرين كثيرا قبل كشف المؤامرة كما تعلمون، ان مؤامرتهم كانت تستهدف قتلنا والقضاء علينا وعلى كل ما هو شريف ونبيل في هذه البلاد، ثم هل ترون انه يجوز لنا ان نتدخل لمصلحة عدنان وهو متهم بقضية الخيانة العظمى، ثقوا انه ليس لي اي اطلاع على وقائع التحقيق لانني كنت غائبا في مصر طيلة تلك الفترة.

وبالرغم من كل مبررات النقمة على بعض المهتمين امثال منير العجلاني وعدنان الاتاسي وفيضي الاتاسي وميخائيل ليان وحسن الاطرش وهايل سرور نظرا لما ارتكبوه في حق البلاد فانني كنت ارى ان يتخذ كشف هذه المؤامرة وسيلة لفضح واسقاط حلف بغداد واثارة الرأي العام في العراق وخارجه ضد نوري السعيد اذ ان الاوضاع بين الحكم الوطني الديموقراطي في سورية وبين حلف بغداد قد اخذت ابعادا جديدة بعد العدوان الثلاثي على مصر مما تجلى في اجابتي عن الاسئلة التي وجهتها لي جريدة الرأي العام بتاريخ 25-11-56.

"اصبح الغرب اكثر اقتناعا بعد العدوان الثلاثي على مصر ان قضية الصراع بين حلف بغداد والنظام الوطني في سورية هو صراع بقاء او موت وهذا ما يتجلى بوضوح من استقراء البند الرابع من مقررات الحلف الذي اجتمع ببغداد بتاريخ 19-11-56، اذ جاء فيه:

لقد نظرت الدول الاربع (يعني العراق وتركيا وباكستان وايران) بقلق بالغ الى التيار المتزايد للاتجاه النازع الى اعمال التخريب في الشرق الاوسط (وهم يعنون سورية) فقررت استخدام كل ما اوتيت من وسائل للقضاء على هذا الاتجاه وفقا لاحكام ميثاق الامم المتحدة"

وكان سفير العراق قد قدم مذكرة احتجاج غاية في الوقاحة بصدد اكتشاف المؤامرة ضد سورية، كما قطع السفير الاميركي عطلته ليجتمع مع رئيس الحكومة ووزير الخارجية محاولا ان يمارس على الحكومة السورية ضغوطا اميريكية بشأن المؤامرة، وهذا ما دعاني للتشدد كثيرا في المشاورات التي اجراها رئيس الجمهورية حول المؤامرة فقلت له:

"اننا نعتبر ان الاستمرار في اجراء التحقيق ومحاكمة المتآمرين والحكم عليهم قضية حياة او موت بالنسبة لمستقبل الحكم الوطني في سورية".

حضرت عشية وصولي الى دمشق الجلسة التي عقدها المجلس النيابي بتاريخ 19-11-56 كما ذكرت سابقا، ثم رفعت هذه الجلسة الى تاريخ 22-11-56 وخلال ذلك علمت بأن القضاء العسكري وضع يده على مؤامرة كبرى، وانه يستجوب عددا من النواب، وكان انصار حلف بغداد في المجلس وخارجه يثيرون الشائعات حول اختلاف فريق من اعضاء الحكومة مع الجيش حول موضوع رفع الحصانة النيابية عن بعض النواب المشتركين بالمؤامرة، وقد استغل اعلام حلف بغداد هذه الشائعات لدرجة القول بأن رئيس الجمهورية لم يعد يتمتع بحريته وانه اسير تسلط الجيش على البلاد لذلك حاولت في جلسة 22-11-56 ان اضع حدا لهذه الشائعات، بشكل عملي، فقررت ان أسأل الحكومة عن قضية المؤامرة وعن التحقيق الذي يجريه القضاء العسكري، وكان

هـذا السـؤال وجـواب الحكومـة عليـه يضـعان بطبيعـة الحـال حـدا للأراجيف التي تذيعها مصادر حلف بغداد.

وعندما طلبت مـن رئـيس المجلـس "افسـاح المجـال لالقـاء بعض الاسئلة التي تتعلق بأوضاعنا الحاضرة وهي بطبيعتها هامـة جدا وخطيرة، وبحثها مـرجح علـى كافـة المشـاريع والتقـارير التـي يدرسـها المجلـس" كـان المجلـس يعـرف اننـي سـأثير موضـوع المؤامرة فقال رئيس المجلس:

"ان مصلحة البلاد العليا تتطلب بحـث هـذه الامـور بهـوادة وحكمـة لان الذي يقال في السر يمكن ان يعلن" ولكننـي طلبـت ان يكـون البحث علنيا، فقال صبري العسلي: انه لا فرق لدى الحكومة فـي ان تكون الجلسـة سرية او علنية، ولكن المجلس وافق على اقتراح رئيس المجلس وسرية الجلسة.

ماذا جرى في الجلسة السرية

كنت اول المتكلمـين فسـألت الحكومـة عـن المـؤامرة وعـن موقفها مـن التحقيـق فكـان رد صـبري العسـلي واضـحا اذ قـال ان المـؤامرة حقيقيـة واقعـة وان القضـاء العسـكري وضـع يـده علـى الادوات الجرميـة مـن اسـلحة، وان التحقيـق يجـري بسـرعة تامـة حسـب الاصـول القانونيـة مـع المتهمـين، وانـه لا صـحة لمـا يـذاع ويشاع من افتراءات تثـار داخـل الـبلاد وخارجهـا... ثـم خطـب عـدد كبير من النواب، من كل الاتجاهات، مستنكرين المؤامرة ومطـالبين بسرعة التحقيق ومحاكمة المتهمين.

كـان مـن الطبيعـي ان يتطـرق المجلـس اثنـاء بحثـه فـي المؤامرة، الى العدوان الثلاثي على مصر ونتائجه وانعكاساته على سورية، ولكن الذي لم اجده طبيعيـا ان يطالـب خالـد العظـم بعقـد معاهدة امن متبادل مع الاتحـاد السـوفيتي بحجـة حمايـة سـورية من مكائد الاستعمار واسرائيل، فلم ار بدا من الرد عليه فقلت:

"ان سورية انتهجـت سياسـة الحيـاد الايجـابي عـن اقتنـاع وانه (اي خالد العظم) احد اقطاب مؤتمر باندونغ الـذي اقـر

هـذا الـنهج وان الخـروج عليـه مضـر بسـورية والقضـية العربية"

منذ ذلك اليوم شعرت ان خالد العظم وضع كـل آمالـه برئاسة الجمهورية على مسـاعدة الاتحـاد السـوفيتي لـه، ولذلك لم افاجأ بتبدل موقفه شيئا فشـيئا وانحيـازه للحـزب الشيوعي، مما اوقع بالقضية اضـرارا سـتظهر آثارهـا فيمـا بعد.

واثر انفضاض الجلسة تحدث الناطق العسكري عن المؤامرة في البيان الذي اشـرنا اليـه آنفـا، وعـرض الاسـلحة الكثيـرة التـي ارسلها نوري السعيد الى عملائه في سورية.

استمرت وسائل اعلام حلف بغداد في نسج الافتـراءات، ولـم يفـد بيان الحكومة الذي القته على النواب في الجلسة السـرية، فظـل طي الكتمان ولم يطلـع عليـه الـرأي العـام داخـل الـبلاد وخارجهـا، ولـذلك طلـب النـواب مـن الحكومـة فـي جلسـة 27-11-56 ان تـرد علـى الـدعايات الاسـتعمارية، وان تعلـن رسـميا ان بيـان النـاطق العسكري يمثـل وجهـة نظرهـا، كمـا هـو الامـر فـي الواقـع، فقـال رئيس الحكومـة بأنـه لـيس لـدى حكومتـه اي مـانع فـي ان تـدلي ببيانها جهرة وعلنـا وانهـا سـتكون علـى اسـتعداد لـلادلاء بـه يـوم الخميس القادم، ثـم قـال لقـد اسـتمعتم الـى بيـان الحكومـة فـي الجلسـة السـرية السـابقة وهـو تكـذيب قـاطع لكـل مـا صـدر مـن دعايات اجنبية، فتوليت ايضاح الامر قائلا"

ان الحكومة قد القت في الجلسة السـرية بيانـا اضـافيا عـن المـؤامرة، وان النـاطق العسـكري قـد اذاع بيانـه بعـد الجلسـة السرية، مما يكذب جميع الـدعايات الاسـتعمارية ويؤكـد ان تصـريح الناطق العسكري منسجم مع بيان الحكومة.

ثـم تعاقـب معظـم نـواب المجلـس علـى المنبـر معلنـين تضامنهم مـع الحكومـة والجـيش ومسـتنكرين المـؤامرة السـعيدية الاستعمارية، ومطالبين بالضرب من حديـد علـى ايـدي المتـأمرين، وقد عدت للكلام مرة اخرى والقيت الكلمة التالية:

"انا لا اريد ان ابحث في قضية البيان فالواقع ان الحكومة قد ادلت ببيان واف في الجلسة السرية عن المؤامرة التي قام بها حلف بغداد مستخدما بعض العملاء لمصلحة الدول الاستعمارية وحلف بغداد واسرائيل، ولكن الذي اريد توضيحه هو ان اليد العربية التي تحدث عنها بعض الزملاء والتي امدت المتآمرين قد كشفتها الحكومة في بيانها امام المجلس، وفي بيان الناطق العسكري وفي الاذاعة، فقالت انها حكومة نوري السعيد، وان حلف بغداد هو الذي تآمر وارسل السلاح لطعن البلاد والجيش، اي ان حكومة الاحلاف هي التي كانت تعمل لخدمة الاستعمار البريطاني والفرنسي واسرائيل وهذا امر اكدته البيانات الرسمية.

اما الناحية الاخرى التي اويد اثارتها فهي الدور الخطير المجرم الذي قامت به حكومة السعيد حكومة الاحلاف في مؤتمر الملوك والرؤساء وانا ارجو الحكومة ان تفضح هذا الموقف لان حكومة بغداد تذيع الاراجيف بما يجعل زمام المبادهة الكاذبة في يدها، ولذلك فان على الحكومة ان توضح الحقيقة وان تكشف الدور المخرب الذي قامت به حكومة الاحلاف في مؤتمر الملوك ليحدد الشعب العربي في العراق موقفه منها" كما اثرت قضية حوادث حلب بتوجيهي الملاحظة الاتية:

"ان الموضوع خطير ولا يجوز المرور به مر الكرام دون الوصول الى الايدي الاجنبية التي ارادت استغلال الظرف للقيام بأعمال تخريبية وقلب الاعمال الوطنية الى فتنة طائفية".

وبتاريخ 56/12/7 عالجت بشيء من التفصيل في جريدة البعث الاوضاع والمعطيات الجديدة التي طرحها العدوان الثلاثي على مصر وانكشاف المؤامرة على الوضع الديموقراطي في سورية بمقال عنوانه "انكشاف المؤامرة تحرير للبلاد من عقابيل الاستعمار" ورد فيه:

لكل معركة قومية مع الاستعمار، نتائجها الباهرة البعيدة المدى، في حياة الشعوب المجاهدة في سبيل تحررها ووحدتها، وقد كان للمعركة الاخيرة التي خاضتها مصر والعرب، ضد الاستعمار الانكليزي الفرنسي الاسرائيلي، نتائج عظيمة رائعة، ولسنا الان

بصدد بحث هذه النتائج جميعها، ولكننا نستعرض بعضها على سبيل المثال:

ان النتيجة المباشرة لهذه المعركة في حياة الشعب العربي في مصر، هي ان بعث بعثا جديدا قويا من الناحية المعنوية، نهض به لان يحقق في شهر واحد، ما يعجز عن تحقيقه جهد عشرات السنين وجهد مجموعة كبيرة من القادة المصلحين، وتجلى لنا هذا البعث في حدته ابان المعركة، شأن كل بعث قومي يصفو جوهره كما يصفو المعدن من الصدأ بالنار، فأبدى الشعب من البسالة والتضحية والانسجام والثقة بالنفس ما حقق به المعجزات.

كانت هذه المعركة تجربة قاسية للشعب العربي في مصر، خرج منها ظافرا وشأنها شأن كل تجربة قاسية يخرج منها الشعب ظافرا، ان تعود عليه بالخير العميم، سواء من الناحية العسكرية او من النواحي الاقتصادية والسياسية، وسواء بالنسبة لارتفاعها بوعيه القومي ووضوح المثل العليا التي يجاهد في سبيلها او بتوحيدها لصفوف هذا الشعب وتنظيمها لنضاله.

ولنضرب مثلا واقعيا على الثمرات التي جناها الشعب العربي في مصر من هذه المعركة الظافرة وهي الناحية الاقتصادية. ان الذي يبدو لاول وهلة. ان الشعب العربي في مصر قد خرج من معركته هذه ظافرا في كل شيء الا من الناحية الاقتصادية، ولكن هل كان يتاح لمصر ان تتخلص بسرعة من الاستعمار الاقتصادي في بلادها ومن الاستثمار الاجنبي لها لولا هذه المعركة؟ هناك في مصر الوف والوف من الاجانب المستوطنين، وكان هؤلاء يسيطرون على الحياة الاقتصادية فيها ويستثمرون خيراتها، وقد كان كل حكم، مهما بلغت قوته ورسوخه، عاجزا عن الخلاص من استعمار الاجانب المقيمين في مصر. ولكن هذه المعركة الظافرة كانت كفيلة بان تخرج مصر منها وهي مالكة كل زمام امرها وحتى الاقتصادي وان تقضي على استثمار المستوطنين الاجانب.

لا نريد التوقف طويلا في بحث هذه النتائج ولكن ما نستطيع قوله بكل تأكيد هو ان هذه المعركة، لم يقتصر تأثيرها على مصر ولا

على البلاد العربية، بل كانت في كل معانيها، انتصارا لحرية الشعوب في جميع انحاء العالم. وهي وان قامت على ارض مصر وان كانت معركة القومية العربية، فهي ايضا لا تخرج عن كونها معركة من معارك تحرر الشعوب ومعركة من معارك الكرامة والانسانية، وهذا ما جعلها تثير ضمير الرأي العام العالمي وما حدا بالاحرار كل انحاء العالم للانتصار للعرب في قضيتهم العادلة.

ومن اخطر النتائج لهذه المعركة القومية الظافرة في سورية، اكتشاف تلك المؤامرة التي بيتها الاستعمار لنا ابان المعركة، ولم يعد اليوم خافيا على احد، ان خطة الاستعمار التي اعدها للاعتداء على البلاد العربية، قامت على مهاجمة مصر بالاشتراك مع اسرائيل واثارة فتن واضطرابات داخلية بواسطة عملائه في سورية، اثناء اشتباكها بالقتال مع اسرائيل، لطعن الجيش السوري من الخلف، ولاقامة مذابح داخلية تحت ستار من النعرات الطائفية والحزبية، وبذلك تنفذ خطة الاستعمار بتدمير الجيش المصري باستجراره الى سيناء وتطويقه فيها وتدمير الجيش السوري والبلاد بهذه الفتن الداخلية.

يحاول الاستعمار الان محاولة المستميت، انقاذ عملائه بعد ان القي القبض على بعضهم، وستبذل الاموال وستصرف الجهود وستخلق المبررات لتخليص اعناقهم، لانهم ركيزة الاستعمار في هذه البلاد والاداة التي يملكها للتخريب والتسلط. واذا ما قضي عليهم، فهذا لا يعني تحرر سورية من جهاز استعماري مجرم فحسب، بل ويعني ايضا ان الاستعمار قد مني بضربة قاصمة له في العراق وفي الاقطار العربية الاخرى.

ان رعاية هذه القضية، وحماية التحقيق فيها لكشف كل خيوطها وارتباطاتها، وضمان تنفيذ العقوبة العادلة بحق المتآمرين، هو في اعناق جميع المواطنين كما وان جميع الاحزاب والكتل والهيئات مسؤولة عن ذلك.

وان كل شخص وكل هيئة او حزب او حكم يحاول بصورة مباشرة او غير مباشرة حماية هؤلاء المتآمرين، فانما يدين نفسه

امام الشعب بالتآمر مع الخائنين. ولذلك اضحى شعار المواطنين والمخلصين في كل حزب او هيئة او كتلة سياسية، بل اصبح شعار كل مواطن، كشف هذه المؤامرة وحماية التحقيق فيها وضمان تنفيذ العقوبة بمرتكبيها وليس من الغلو في شيء، ان نقول بكل تأكيد انها اليوم في طليعة قضايا الساعة، بالنسبة لاهميتها وخطورتها وتأثيرها على حاضر البلاد ومستقبلها.

واليوم اذ تنشط كل دوائر الاستعمار في بريطانيا وفرنسا واسرائيل وجماعات حلف بغداد، واذ تسلط كل وسائل دعايتها وكل صحفها ومحطات اذاعتها، للتشويش والتهويش على سورية، فان نشاطها يرتكز بالدرجة الاولى في الوقت الحاضر على حماية العملاء والمتآمرين وعلى طمس التحقيق في هذه المؤامرة.

ومما لا يخفى ان معركتنا مع الاستعمار الغربي واسرائيل لا تزال قائمة ولن يسلم الاستعمار ولن يتراجع قبل ان يستنفذ كل وسائله وجهوده وخططه ولذلك كان كل تهاون في هذه القضية ضربة موجهة لنضال الشعب وكرامته، وخدمة مباشرة للاستعمار واسرائيل ونحن ما زلنا في ابان المعركة، وان كل تهاون في تنظيف الجبهة الداخلية، وكل تساهل مع الخونة ومع سياسة العملاء لا يسمح بأي حال من الاحوال بتوحيد الصف الوطني، هذه الوحدة التي اصبحت اليوم ممكنة، بعد اجماع الشعب على تلك الشعارات القومية التحررية، والتي تصبح وحدة حقيقية وواقعية بالقضاء على جهاز الاستعمار وعملائه، ومن المؤكد بأن ظفر العرب في هذه المعركة لا يتم الا بوحدة الصف الوطني في كل قطر، هذه الوحدة التي كان الجهاز العميل عائقا لها فيما مضى عندما كان ناشطا وعاملا لتفرقة الصفوف واشاعة روح الانهزام والتآمر، وان التصميم على اتباع هذه الخطوات بكل جرأة وصراحة وتجرد هو الذي يجعل من الميثاق القومي شيئا قابلا للتنفيذ، لا شيئا لفظيا للتضليل والتمويه.

لقد اثر كشف المؤامرة في الرأي العام تأثيرا عميقا، اضطر رجلا مثل رشدي الكيخيا ان يتنازل عن كبريائه، وان يحاول انتزاع تصريح من صبري العسلي يبرىء فيه احمد قنبر من مسؤوليته في حوادث حلب، فلم يحقق العسلي بغيته تماما اذ قال: انه يستطيع ان يصرح بأن وزير الداخلية لم يكن مسؤولا عن "جميع ما نسب اليه" وكان مثل هذا الجواب لرشدي الكيخيا، في غير ذلك الظرف، سببا كافيا لاسقاط حكومة ولأزمة وزارية تستمر طويلا، وقد ادى هذا التأثير العميق في الرأي العام الى موقفين متناقضين لرشدي الكيخيا وناظم القدسي، فبينما كان رشدي الكيخيا كرجل يخشى الرأي العام، يقول في المجلس:

"على الحكومة ان تكشف بأقصى ما يمكن من السرعة الحقائق، لكي يعلم الناس جميعا من هو المجرم ومن هو المشترك في هذه المؤامرة، فلا يجوز ان تحوم الشبهات حول رؤوس الناس" كان ناظم القدسي يستخدم كل ما لديه من نفوذ وبراعة اكسبته اياها اللعبة البرلمانية لقلب جلسات المجلس العلنية الى جلسات سرية، وتأجيل اجتماعات المجلس ليتفادى بحث موضوع المؤامرة وما يترتب على ذلك من موقف صريح تجاهها من قبل السلطتين التنفيذية والتشريعية.

الاعلام السوري يتحرك، والحرب الاعلامية مع حلف بغداد تبلغ ذروتها.

كانت الاذاعة السورية قبل العدوان على مصر اذاعة محايدة لا لون لها ولا طعم ولولا اعلان المذيع انها تبث من دمشق، ولولا اذاعة خطب القوتلي وتمجيده في بعض المناسبات، لما عرف احد من المستمعين انها الاذاعة السورية، وفي اليوم التالي الذي اذاع فيه الناطق العسكري بيانه، قال لي عبد الفتاح زلط ان السيد برمدا مدير الاذاعة آنذاك رجاه ان يذيع بحرية جميع التعليقات السياسية ضد حلف بغداد فقلت له:

انها فرصة نادرة لاشعال ثورة في العراق، تطيح بالحلف، وبالحكم العميل.

كنت مقدرا ان المنطقة التي انطلقت منها ثورة عام 1920 على الانكليز هي المنطقة التي يجب ان نتوجه اليها في نداءاتها وبياناتها من محطة دمشق، فليكن التركيز على الاستنجاد بأبناء الجنوب، ابناء النجف الاشرف وتذكيرهم بثورتهم عام 1920 على الاحتلال البريطاني، كان هذا تصوري بالرغم ما قام به السعيد من استرضاء للمشاعر الدينية بكل الطرق والاساليب ومنها تخصيص 8 ملايين دينار لتزيين مقام سيدنا علي بالكريستال، ولكنني لم اكن من الذين يخدعون بظواهر الامور لان التراث العربي الاصيل كان دليل عملي السياسي ولان الضمير العربي المعذب كان مصدر الهامي وآلامي واشواقي وآمالي.

وهكذا رسمت الخط الاعلامي الذي يجب ان تنتهجه البيانات: كانت معلوماتنا عن ثورة عام 1920 محدودة مع الاسف، ولكني تذكرت ما روي لي من ان المجاهدين في الجنوب كانوا يربطون انفسهم بجذوع النخيل حتى لا يضعفوا ولا تفوتهم الشهادة، كما تذكرت فتاوى علماء النجف الاشرف في ثورة عام 1941، ولم يخيب ابناء الجنوب تقديرنا فقد وردت الانباء عن قيام مظاهرات عنيفة في النجف ادت الى سقوط عدد من القتلى والجرحى ثم اخذت هذه الاضطرابات تعم جميع انحاء العراق.

وقد تولت الاذاعة السورية نشر المذكرات السرية التي قدمها نوري السعيد الى سورية والاردن مبديا فيها شروطه لدخول قوات العراق الى الاردن حينما استنجدت به خلال العدوان الثلاثي على مصر والتي اشترط فيها تعهد القوات السورية الاردنية المرابطة في الاردن بعدم التحرش باسرائيل مهما الت اليه المعركة بينها وبين مصر، وكان الشرط الثاني تعهد هذه القوات بألا تتدخل في اية معركة تقع بين اسرائيل وسورية حتى ولو كانت اسرائيل هي المعتدية.

ونتيجة لهذه الحملة الاعلامية فقد تلقى الحزب في سورية كتابا من قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق جاء فيه:

"ان النضال ضد حلف بغداد ونوري السعيد قد دخل مرحلة جديدة ذلك ان ثقل النضال كان يقع الى ما قبل اسبوع واحد على عاتق الطلاب والشباب، اما الان فقد دخلت جماهير الشعب المعركة في الوية كثيرة في العراق."

بلغت الحرب الاعلامية بين سورية وبين دول العدوان وحلف بغداد والولايات المتحدة ذروتها، ولم يكن غير حزب البعث العربي الاشتراكي قادرا على مواجهته، لان جهاز الدولة الاعلامي لم يكن موجودا وكانت الاحزاب الوطنية الاخرى عاجزة عن القيام بمثل هذه المهمة.

احس القوتلي والاحزاب الرجعية بالنتائج التي تترتب على قيام حزب البعث وحده بالتوجيه الاعلامي، ولا سيما من الاذاعة، ففرض عددا من انصار الغرب وبعض رجال الدين للمشاركة في التوجيه من اذاعة دمشق بحجة ان الديموقراطية تقضي بمساهمة الاخرين اسوة بوسائل الاعلام البريطانية الرسمية التي هي تحت تصرف الدولة والمعارضة على قدم المساواة! وهكذا شكلت قائمة باسماء: اكرم حوراني (البعث) لطفي الحفار (حزب وطني ومن انصار نوري السعيد) رشاد جبري (حزب الشعب ومن انصار حلف بغداد) الشيخ على الطنطاوي (من الفئات الدينية) لالقاء الاحاديث التوجيهية من محطة الاذاعة، على التوالي في يوم واحد، ولم يكن القصد خافيا من حشر اسمي بين هذه الاسماء، ولكني لم اعتذر وانما ارجأت القاء كلمتي بحجة ان تعاقب هذا العدد من الخطباء مدعاة للسأم.

كان قصد القوتلي اعادة الاعتبار امام الجماهير لهذه الفئات السياسية التي اشترك بعض افرادها بالمؤامرة، فألقى الحفار كلمة أكد فيها تكاتف الشعب والجيش في مكافحة الاستعمار واسرائيل ونفى الدعايات الاستعمارية التي تقول ان سورية اصبحت قاعدة عسكرية سوفيتية، كما شجب العدوان الثلاثي.

اما رشاد جبري فقال انه ليس في سورية الان فرق بين حزب وحزب، وان الحكومة والجيش والشعب صف واحد في الدفاع

عن الوطن واكد ان الشعب كان سيفرض الاحكام العرفية على نفسه لو لم تبادر الحكومة الى اعلانها بسبب الظروف الراهنة!.

وكان الوحيد من بين هؤلاء الذي تعرض لمؤامرة حلف بغداد على سورية هو الشيخ علي الطنطاوي فهاجم نوري السعيد وفضح جرائمه وماضيه، واتهمه بتدبير مؤامرة قتل الملك غازي، وقال ان جميع العراقيين يعرفون ان السعيد عميل للانكليز وصنيعة لهم.

بعد يومين القيت من الاذاعة السورية كلمة تعمدت فيها تذكير الجماهير بالماضي القريب فاستعرضت الاحداث العربية وتطورها ونتائج انتخابات عام 1954 في سورية وتحدثت عن تآمر نوري السعيد وحلف بغداد على سورية والقضية العربية وانهيت الكلمة بنداءات عديدة موجهة الى الشعب العراقي وفيما يلي بعضها:

يا اخواننا في العراق:

ان نوري السعيد لم يكبل القطر العراقي الحبيب فقط بالاغلال وانما عمل ولا يزال يعمل جاهدا على تكبيل سورية وبقية البلاد العربية، وفوق هذا فهو يعمل للقضاء على كيان سورية.

نحن نعلم وانتم تعلمون ما هو الدور الحاسم الذي كان يمكن للعراق ان يقوم به في معركة العروبة والتحرر ضد الاستعمار واسرائيل.. ان نوري السعيد لم يخرج قطركم العربي الاصيل من معركة التحرر فحسب بل اراد ان يجعل من العراق اداة لتحقيق المطامع الاستعمارية في البلاد العربية...

يا اخواننا في العراق:

اذا كان اخوانكم في بورسعيد قد صمدوا امام الاستعمار البريطاني الفرنسي الاسرائيلي واحبطوا مخططاته وغيروا وجه المعركة فلا شك ان استبسالكم في العراق وصمودكم في وجه الطاغية وتطويحكم به وسحقكم لقيود حلف بغداد وتحريركم العراق الحبيب، سينهي معركة الامة العربية للظفر المحقق.

ايها المجاهدون في العراق: في بغداد والموصل والنجف الاشرف وكربلاء والحلة والبصرة والعمارة والديوانية وفي كل بلد وقرية وبيت، ان اخوانكم هنا في سورية، في دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية وجبل

العرب وفي كل بلد وقرية وبيت انما يرسلون لكم تحية الاخوة والمحبة والاعجاب هاتفين من اعماق قلوبهم:

ليس بين العراق والشام حد هدم الله ما بنوا من حدود

(الرأي العام 56/12/5)

لجنة الاتصال الشعبي تزور سفارتي

الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي

بعد ايام من العودة الى دمشق قررت لجنة الاتصال الشعبي ان تقوم بزيارة سفارتي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في دمشق للاعراب عن شكر العرب لموقف الدولتين الكبريين من العدوان الثلاثي.

كانت مقابلة السفير الاميركي موس لنا مقابلة طبيعية وكان اعضاء اللجنة قد اوكلوا الي التحدث باسمهم، ولم اعد الان اذكر تفاصيل الحديث ولكنه كان يدور حول الافكار التالية:

ان نهضة العرب لا تشكل نقيضا للغرب وان تحقيقهم لاهدافهم قوة كبرى تضاف لقوى السلام والتقدم والعدل في العالم، وان العواطف الطيبة كانت تجمع بين الولايات المتحدة والشعب العربي بعد الحرب العالمية الاولى، عندما اعلنت الولايات المتحدة على لسان رئيسها ولسن مبادئها لما يجب ان تكون عليه العلاقات بين الشعوب، ولكن العرب فجعوا بموقف الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية عندما دعمت الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين الامر الذي يتنافى مع المباديء السامية التي نادت بها الولايات المتحدة والتي هي وليدة ثورة تحررية دفعت ثمنها غاليا، كما قلت انه ليس من المصلحة ان تراهن الولايات المتحدة على اسرائيل المغتصبة لتعادي القومية العربية ذات القضية العادلة، وانه ليس من حق الولايات المتحدة ان تلوم العرب اذا اتجهوا للمعسكر الاشتراكي، واننى لا اعتقد ان السياسة التي انتهجتها الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية كانت بوحي

مـن مصـلحتها او مبادئهـا ولكنهـا كانـت نتيجـة ضـغط الصـهيونية العالمية على الادارة الاميركية فما لم تتحرر الولايات المتحـدة مـن نفـوذ الحركـة الصـهيونية فـي توجيـه سياسـتها فانـه مـن العبـث التفكير باقامة علاقات الصداقة بين العرب والولايات المتحـدة التـي هي في مصلحة الطرفين كما ان تكون قوة العرب الذاتية المتجلي في القوميـة العربيـة والوحـدة والحريـة والحيـاد الايجـابي هـو فـي مصلحة كل الشعوب التي تعمل في سبيل العدل والسلام.

ثم انهيت حديثي بشكر الولايات المتحدة على موقفهـا مـن العدوان الثلاثي على مصر وقلت: اننا نعتبرها بادرة طيبة مـن قبـل الولايات المتحدة لاعادة النظر في مواقفها من القضية العربية.

ثم قمنا بالزيارة الثانيـة لسـفارة الاتحـاد السـوفيتي لشـكره على موقفه الصلب الذي وضـع حـدا للعـدوان الثلاثـي علـى مصـر والذي سيؤدي بالتالي لانسحاب المعتدين خاسرين مـن الاراضـي العربية، وقد شعرت بأن السـفير لـم يقابلنـا كمـا هـو مفتـرض مـن المودة وعللت ذلك بأنه كان ممتعضـا مـن زيارتنـا لسـفارة الولايـات المتحدة.

بعـد اشـتداد حملـة بغـداد علـى سـورية اقتـرح معـروف الدواليبي تقديم مذكرة الى السفارات باسـم لجنـة الاتصـال، وقـد قدمت هذه المذكرة بالفعل بعد ان عرضت على حميد فرنجية في لبنان (الرأي العام 3 كانون اول 1956).

كان لحميد فرنجية موقفه العربي الشجاع في لبنان وتجلى ذلـك فـي الخطـاب الـذي القـاه فـي مجلـس النـواب اللبنـاني واسـتعرض فيـه كيـف ان المسـؤولين فـي لبنـان كـانوا يفسـحون المجال دوما للتآمر على سورية، وان السلطات في لبنان لا تعمـل فـي خدمـة المصـلحة اللبنانيـة وان الاخطـار التـي احـدقت بمصـر تحدق اليوم بسورية ثم قال:

"الم يكن وجود سورية مـن القضـايا الاساسـية اللبنانيـة منـذ فجـر الاستقلال؟

ان وجود سورية من الضرورات كضرورة وجود لبنان"

الولايات المتحدة تنهي خلافاتها مع حليفتها بريطانيا وفرنسا تسفر عن سياستها العدوانية في الشرق الاوسط

مع بداية انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية من بورسعيد في شهر كانون الاول، اصدرت وزارة الخارجية الاميركية بيانا رسميا اعلنت فيه تأييدها الكامل لحلف بغداد وجاء في البيان ان الولايات المتحدة منذ بداية الحلف قد أيدت الميثاق ومبادىء واهداف الامن الجماعي التي يقوم عليها، وقد اظهرت باتفاقياتها الثنائية مع اعضاء الحلف في منطقة الشرق الاوسط وبعضويتها الناشطة في بعض لجان الحلف استعدادا للمساعدة في الاجراءات الايلة الى تقوية سلامة هذه الامم، وان الولايات المتحدة تعيد تأكيد دعمها للمساعي المشتركة لهذه الامم للحفاظ على استقلالها كما انها تنظر الى اي تهديد لوحدة اراضي اي من الدول الاعضاء او استقلالها السياسي نظرة ملؤها الجد، (الرأي العام 2-12-56).

وقد عقبت على هذا البيان بما يلي:

اذا كان المقصود من هذا البيان حماية الولايات المتحدة لنظام نوري السعيد في العراق فان الولايات المتحدة ستضيع من سمعتها التي ربحتها مؤخرا في البلاد العربية، ولن تستطيع بأي حال ان تقنع الامة العربية ولا الشعب في العراق بأن نظام نوري السعيد صالح للبقاء ما دام شعب العراق يخوض كما يرى العالم معارك دامية للتخلص منه.

ان العرب في كل مكان ينظرون الى نوري السعيد بأنه الركيزة الاستعمارية التي تستخدمها بريطانيا للابقاء على سيطرتها في البلاد العربية ولإثارة الفوضى والاضطرابات والفتن في الاقطار العربية التي استطاعت ان تتحرر من الاستعمار ولا سيما سورية.. ان اثارة الاضطرابات والفتن في المنطقة العربية كانت ولا تزال في خدمة النفوذ البريطاني وتلتقي مع مطامع اسرائيل التوسعية على حساب البلاد العربية"

وكانت الولايات المتحدة قد اعلنت ان دول حلف بغداد قد تقدمت بطلب لامدادها بالاسلحة الحديثة فعلقت على ذلك بالتصريح التالي:

"اعلن البيت الابيض رسميا ان حكومة حلف بغداد في العراق تطلب اسلحة اميركية للقضاء على الشيوعية وهي الحجة نفسها التي تذرع بها المعتدون على مصر، وها هو نوري السعيد يتقدم اليوم مستعديا الولايات المتحدة على سورية ومحاولا دمغها بالشيوعية، ان نوري السعيد عندما اخفقت مؤامراته بواسطة عملاء الاستعمار لضرب الجيش والشعب في ظهرهما من الداخل خلال العدوان، اتجه الان لضرب سورية من الخارج باستعداء الدول الاجنبية عليها ولا شك ان الاستعمار البريطاني بعد ان وضعت سورية يدها على اجهزته وعملائه الذين تعب عليهم وغذاهم زمنا طويلا فقد صوابه فقام علانية بواسطة نوري السعيد محاولا تحطيم سورية لانقاذ اجهزته وعملائه ومن حظ سورية ان يكشف البيت الابيض عن طلب السعيد السلاح لطعن سورية فلم يبق امام نوري السعيد مجال للتكذيب والافتراء." (الرأي العام 1956/11/30)

كانت الولايات المتحدة تسعى سعيا حثيثا لانهاء خلافاتها مع حليفتيها بعد بدء انسحابهما من مصر لترميم حلف شمالي الاطلسي وتثبيت نفوذها الجديد في منطقة الشرق الاوسط، وكنا نقدر ان مثل هذا الاتفاق لن يكون الا على حساب سورية وتقويض الوضع الديموقراطي فيها.

عودة الروح

خرجت سورية شعبا وقيادات بعد العدوان الثلاثي على مصر وانكشاف المؤامرة اكثر وضوحا في الرؤية وتحديدا للاهداف واعظم تماسكا واشد ثقة بقدرات العرب الذاتية وقد عبرت عن ذلك كما يلي في الرأي العام 5-12-56.

"ان الحركات العربية التقدمية كانت تعرف دائما الامكانيات الهائلة التي تزخر بها المنطقة العربية والتي هي في متناول الشعب العربي والتي يستطيع ان يستخدمها في معركة التحرر والوحدة، في حين كانت العناصر الرجعية تخدع الشعب وتخفي عليه امكانياته وقدراته ولا تصور له الا اسباب عجزه وضعفه وهزائمه... وها هي معركة مصر مع الاستعمار واسرائيل تؤكد لنا امكانيات شعبنا وقدراته وتدلنا على نواح جديدة منها... فما على عناصر الرجعى والانهزام الا ان تصمت وتتوارى".

ان روحا جديدة قد بعثت في المنطقة العربية بصورة عامة وفي سورية بشكل خاص ولا ادل على ذلك من الخطاب الذي القاه شكري القوتلي تاريخ 6-12-56 في حفل اقيم في مدرج الجامعة تحدث فيه لاول مرة عن مواقف حاسمة وسياسة واضحة محددة كانت تفتقر اليها خطبه وبياناته السابقة وفيما يلي بعض مقاطع هذا الخطاب الهام.

"انني احذر من اراجيف الباطل، ومكائد العدو، وشائعات السوء، انني احذر واعلن ان وطنكم هذا كان موضوع حملة مركزة مدبرة قبل العدوان على مصر، وخلال العدوان ومن بعده ولا يزال، وكان من اهداف الحملة المضللة زعزعة الكيان السوري حتى يذل ويستكين، وعزل الجبهة السورية عن الجبهة المصرية، وتوهين اسباب الاخوة والقومية والنضال المشترك بين شعبين عربيين متحررين وضعا مصيرهما في ميدان واحد، في سبيل مصير قومي واحد.

وكان من اهداف الحملة المركزة اضعاف الجبهة الداخلية في سورية باثارة الاضاليل والاباطيل بين الشعب والجيش والحكم وكانت الفتنة الرعناء في حلب مظهرا من مظاهر محاولاتهم الاخيرة، وهي ليست آخر محاولاتهم، ليزعزعوا الثقة في النفوس، ويبذروا الشكوك في الضمائر، وكان من اهداف هذه الحملة الرجيفة، ان يطلقوا الشرارة الطائفية في سورية، ليضرموا حرائقها في لبنان، حيث يتوهمون ان لهم فيه انصارا واوكارا، وكانوا من وراء حجب الدخان، يصورون لاخواننا بالعروبة في لبنان العزيز الشقيق، اننا على وشك ان ننقض على ربوعهم، لنقلب اكثريتهم اقلية، ونخضع شطآنهم للستراتيجية السوفياتية... واننا لواثقون ان رجالات لبنان وطوائفه وشعبه العزيز علينا لن يؤخذوا بأباطيل المحرضين لان اخوة البلدين العربيين فوق العصبية والطائفية والمطامع، ولقد ربحنا معا معركة الاستقلال، وسنقابل معا مصيرا مشتركا في نضالنا الكبير ضد خطر الصهيونية ومكائد المستعمرين.

كذلك كان من اهداف الحملة الاستعمارية المركزة ضد بلادكم ان تعزلها ليس عن العالم العربي بدياره البعيدة او المجاورة فحسب، بل ان تعزلها عن العالم كله. لذلك عندما عقدنا العزم على القيام بزيارة ودية للاتحاد السوفياتي تلبية لدعوة رسمية وجهت الينا ثارت ثائرتهم، وانتشرت لاغيتهم وراحوا يقرعون طبول الخطر الشيوعي، وادعوا الغيرة على قوميتنا ودينا كأنما يعنيهم من امر قوميتنا ودينا شيء، وكانوا يخشون بالواقع ان نخرج من وراء الستار الاستعماري الذي ضربوه حولنا اعواما طوالا فلا نأكل الا من فتات موائدهم ولا نشرب الا من اكفهم، ولتصبح اوطاننا لديهم رزقا مشاعا وارزاقنا في بلادنا علينا حراما."

"وانها لمناسبة اغتنمها لاشيد بمظاهر الوعي القومي الاخذة بالاشراق والتدفق لدى الشعب العراقي الشقيق، وآية ذلك ما اعرب عنه هذا الشعب العريق من حماسة بالغة في الانتصار لمصر واستنكاره وحشية العدوان عليها، وشعوره الاليم بابتعاده عن ساحة النضال المشترك حيث اخوانه في العروبة يناضلون، وحيث يجب ان يكون في المقدمة بذلا وتضحية وفداء وما عرفنا في تاريخ العراق الحديث سوى مواقع للجهاد غراء طالما ابلى فيها البلاء الكبير في مقاومة الاحتلال والاستعمار والطغيان، واننا لنرجو الله ان يأخذ بيد هذا القطر العربي، فيتمكن في وقت قريب جدا من زحزحة كابوس الحلف الاستعماري الذي فرض عليه فرضا، فعزله عن اخوانه وباعد بينه وبين اقرانه.

وسوف يساهم معنا فيما بدأناه مع شقيقتنا الكبرى مصر، منذ شهور لتحقيق اتحاد عربي صحيح شامل يفتح لنا جميعا آفاق وحدة العرب الكبرى".

"ولقد شعروا ايها الاخوان والابناء بأن المكيدة قد فشلت، والمؤامرة لتصديع الجبهة الداخلية في بلادنا قد احبطت فعمدوا الى السلاح الاسود، يهربونه خلسة فوق الرمال في اكناف الظلام، ليضعوه في ايدي بعض المرتزقة والمأجورين، وهدفهم هذه المرة نظام الحكم وسلامة الوطن وجبهة الجيش.

ولقد وضعت السلطات المسؤولة يدها على المكيدة المسلحة في الوقت المناسب، وسيلقى كل من ثبتت ادانته الجزاء الحق امام قضاء عادل، في جلسات مشهودة.

وانني لا اريد ان اعتقد ان بيننا من يقبل ان يعيش على هذه الارض ويقبل او تطاوعه نفسه ان يكون اجيرا لهذه المكيدة السوداء، واذا وجد من يقبل ذلك لنفسه ووطنه فانني اعلن بكل ثقة ان ليس في سورية من هؤلاء طوابير ولا شراذم ولا جماعات، ان هم الا افراد قلائل مخدوعون أو مأجورون اعمتهم انانياتهم فانقادوا للايدي المجرمة، وفي ابان الشدائد والمكاره يكثر امثال هؤلاء في كل بلد من بلدان العالم، وانهم عندنا لاضعف الضعفاء واقل الاقلين ولو سلحوا بالسلاح الاسود يأتيهم من اوكار الشر القريبة والبعيدة فالجيش لا يمكن ان يؤخذ غيلة، وهو امنع عليهم مما يتوهمون والحكم لن يبدله او يأخذه الا الذي ثبته واعطاه، وهو الشعب، والشعب وحده مصدره ومرده وروح استقراره وقوته وعبثا يكيد الكائدون.

بين يدي القضاء النزيه العادل نضع قضية السلاح الاسود، واننا على ثقة تامة بأن القضاء لن يتهم بريئا، ولن يظلم ظنينا، ولن يأخذ احدا بجريرة سواه، وسيكون ناصعا، قويا، وانني احذر الشعب الواعي من دعاة السوء والتفرقة ومن توزيع الاتهامات الباطلة في شؤون واشخاص يتوفر لهم القضاء نفسه، فالحكومة القومية مقدرة واجباتها حق التقدير، والقضاء يعمل بوجدانه وقناعته وما بين يديه من وقائع ووثائق".

العهد والميثاق - محاولة لرص الصفوف ليكون نواب المجلس السوري من "الذين يوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق"

بتاريخ 56/11/30 تعرضت بمقال لاسباب ودواعي الحملة الاعلامية القاسية التي كانت تتعرض لها سورية من الجهات الاستعمارية وعملائها، والتي كانت تتهددها بالعدوان المسلح في

مقال عنوانه "اكاذيب الاستعمار تبرير مفضوح للعدوان" وقد ورد فيه:

قال بطلر رئيس الوزارة البريطانية بأنه يخطىء من يظن بأن القوات البريطانية ستنسحب بكاملها من مصر، متحديا بذلك مقررات هيئة الامم المتحدة، التي قضت بجلاء القوات البريطانية الفرنسية عن مصر فورا، ورجوع قوات اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة ايضا.

وقد ارفق تصريح بطلر هذا بحملة مركزة من الدعاية ضد سوريا، عملت على ترويجها واشاعتها في العالم محطات الاذاعة في لندن واسرائيل وبغداد وباريس وجميع الصحف الاستعمارية الخاضعة لتوجيه وسيطرة هذه الحكومات وقوام هذه الحملة الايهام ان سورية قد اصبحت شيوعية وانقلبت الى قاعدة للاتحاد السوفياتي.

وبذلك يعيد بطلر نفس الذريعة التي تسلح بها ايدن في تبرير عدوانه مع حليفتيه فرنسا واسرائيل على مصر، بعد ان اندحر الغزاة في عدوانهم، وهزمهم صمود العرب في مصر شر هزيمة، لان ايدن وغي موليه لم يعد بمقدورهما الثبات في حجتهما الاولى التي حاولا تفسير عدوانهما بها امام الرأي العام العالمي في بدء حملتهما على مصر، والتي قالا فيها انهما انما غزوا مصر ذلك الغزو البربري الوحشي الغادر بقصد الفصل بين القوات المتحاربة (مصر واسرائيل) لان هذه الحجة قد قذفتها في وجههما تلك الموجة العارمة من الهزؤ والسخرية والسخط التي تلقاها بها العالم، حتى ان احد نواب حزب العمال البريطاني راح يتفنن في السخرية من حجة ايدن وغي موليه هذه قائلا لهما لكأنكما ذلك الشرطي الذي دخل المنزل لاحقا باللص فاذا به يمسك بتلابيب صاحب المنزل متيحا الفرصة لتسلل اللص من الباب الخلفي.

وعلى هذا فان حملة التضليل والتهويش التي تثيرها انكلترا وفرنسا واسرائيل وحكومة بغداد، تشير سلفا الى ان العدوان المبيت الجديد، سوف تكون ذريعته هذه المرة هي الذريعة المبتكرة

مؤخرا بعد الفشل والاندحار في مصر، ذريعة انتشار الشيوعية ورسوخ النفوذ السوفيتي في سوريا.

ولعل الذي عجل على الاستعمار البريطاني الفرنسي الاسرائيلي وحلف بغداد خطته هذه هو افتضاح مؤامرة حلف بغداد في سوريا، تلك المؤامرة التي اعدها نوري السعيد بالتعاون مع العملاء والخونة في سوريا لضرب الجيش والشعب من خلف.. عندما تباشر اسرائيل عدوانها المبيت على سوريا، والعمل على اثارة فتنة داخلية.. لان افتضاح هذه المؤامرة الرهيبة قد عرى وبشكل مفاجىء وسريع، جميع العملاء والخونة الذين انهك الاستعمار نفسه في تربيتهم والانفاق عليهم واعدادهم منذ عهد لورانس الى الان في سوريا وبقية الاقطار العربية.. واصبح الاستعمار يشعر من اعماقه بأن التحقيق في المؤامرة اذا اخذ مداه فمعنى ذلك انه قد تجرد من كل سلاح واداة في سوريا وبالتالي في الشرق العربي كله.. هذا ما اطاح بعقل الاستعمار وصوابه، وراح بشكل جنوني يفتري على سوريا العربية، بأنها وبين عشية وضحاها - قد اصبحت شيوعية وقاعدة للنفوذ السوفيتي.

ولا شك ان اول ما تستهدفه هذه الدعاية "الهستيرية" من بريطانيا واسرائيل وفرنسا وحلف بغداد، هو اثارة حفيظة اميركا بغية وقوفها في جانبهم.

كما وان الهدف الذي يرافق ما سبق، هو استخدام هذه الحملة من الدعاية المضللة، في التمهيد لدول العدوان المثلث لشن حملة بربرية جديدة على مصر وسورية والاردن، سيما وان حلف بغداد، اداة هذا الاستعمار المثلث، قد فشل فشلا ذريعا فيما ندب لتحقيقه في الاقطار العربية، واسقط السهم الاخير في يديه ولاقى كيده في نحره، حينما كشفت السلطات المختصة في سورية والاردن مؤامرته الاجرامية الاخيرة، ووضعت يدها على المؤامرة وصادرت الكميات الكثيرة من الاسلحة الحربية الخطيرة المرسلة اليهم من نوري السعيد.

وعلى كل حال ترى بريطانيا واسرائيل وفرنسا وحلف بغداد، بان هذه الحملة من التضليل ان لم تظفر باستجرار اميركا الى الصف، ولم تقو على شق الطريق امامها على العدوان، فانها ستفيد على الاقل وبنظر الاستعمار المثلث وحلف بغداد طبعا، في الضغط الهائل على سورية، هذا الضغط الذي يرتجون ان يفعل فعله في حماية الخونة والعملاء واقصاء يد العدالة عنهم، وطمس معالم المؤامرة من اساسها ان امكن.

على ان هناك ما هو اهم من ذلك كله في اهداف الحملة، فهذا العراق الشقيق، قد ثار على الحلف والاستعمار، وها هو كالبركان يقذف الحمم، فلقد امتدت فيه السنة الثورة الى كل بقعة من بقاعه الحبيبة، وهب الشعب العربي فيه يلبي نداء العروبة والحرية والوحدة ببسالة خارقة وتضحيات جبارة، فلقد استشهد من ابنائه في الاسبوع الاخير العشرات وزج في السجون والمعتقلات الالاف..

وبوادر العصيان في الجيش بين الضباط والجنود قد بدأت تظهر في كل مكان في الشوارع والمعسكرات والثكنات... والعراق الشقيق في ثورته الجبارة ماض الى الامام، لا تثنيه عنها ديكتاتورية نوري السعيد، ولا اغلال حلف بغداد، ولن يبخل بالمزيد من دماء ابنائه الشهداء يريقها على مذبح الحرية حتى يقضي على الحلف المجرم حلف بغداد وعلى اخر مخلفات وركائز الاستعار في القطر الشقيق، ليمضي العراق بعد هذا في طليعة الركب العربي، حيث موضعه الطبيعي، ليقوم مع اخوته واهله وبني امته بمهماته القومية في المعركة الفاصلة بين العرب وبين الاستعمار واسرائيل.

□

هذه الحملة السياسية والاعلامية التي كانت تتعرض لها سورية وتتهددها بالعدوان المسلح كانت تذكي في نفس الشعب السوري روح الحماسة والمقاومة، ولم يوهن عزمه الاعتقاد بأن المعركة يمكن ان تنتقل الى بلاده، رغم ان الولايات المتحدة ستقودها هذه المرة خلافا لما كان عليه الامر في العدوان الثلاثي

على مصر، وهذا ما عبرت عنه بقولي "ان العالم سيشهد ان الاربعة ملايين نسمة (سكان سورية آنذاك) يمكن ان يشكلوا اعظم قوة تقف في وجه المطامع الاستعمارية في منطقة الشرق الاوسط" (الرأي العام 1956/12/6)

كان الاعتقاد العام بأن صمودنا في المعركة المقبلة يتوقف على تمتين اواصر وحدتنا الوطنية وترسيخ جبهتنا الداخلية، ولا سيما بعد ان تغيرت الظروف العربية والدولية والداخلية، فعزل انكشاف المؤامرة عددا نافذا من اركان التآمر عن احزابهم وعن مراكز التأثير في السلطتين التشريعية والتنفيذية.

وهذا ما دعاني للتفكير بوضع صيغة "عهد جديد" يدعم الميثاق فتلتف حوله جميع الجهات على ضوء المعطيات الجديدة.

واستجاب معظم النواب بحماسة عظيمة من مستقلين ومن مختلف الاحزاب والتكتلات لهذه الدعوة، خلافا لما كان عليه الحال عند وضع الميثاق القومي الذي امتد نقاشه شهورا، فقامت للحيلولة دون اقراره مصاعب ومتاعب ومؤامرات بذلت في سبيل تذليلها والتغلب عليها جهودا مضنية، على ان الصفوف لم تكن نظيفة تماما من خصوم السياسة العربية التحررية في حزبي الشعب والوطني الذين عارضوا في انضمام احزابهم "للعهد الجديد" ولكن باسلوب ملتو دون ان يكون لديهم اي حجة مقنعة. لقد انتهت الاجتماعات والاتصالات الى توقيع ستين نائبا على العهد، وهو تعهد منهم بالعمل على تنفيذ مواد الميثاق الوطني ضمن تكتل جديد اطلق عليه اسم التجمع القومي فقدمته للصحافة السورية بما يلي:

"ان هذا التكتل هدفه ايجاد جبهة قومية من جميع الهيئات والاحزاب السياسية والمستقلين العاملين في حقل القضية الوطنية، ويرسم عهده الذي وقعه حتى الان ستون نائبا اهداف هذه الجبهة لهذه المرحلة من تاريخ سورية والقضية العربية، وهو عهد يستند الى الميثاق القومي، ولا سيما البنود المتعلقة

بشؤون الدفاع، ويزيد عليه ما جد من تطورات الحياة العربية بعد المعركة بين العرب والاستعمار الغربي واحلافه واسرائيل.

ويتعهد النائب الذي يوقع العهد بأن يكون متحررا من جميع ارتباطاته الاخرى الحزبية والتكتلية والشخصية والمصلحية، عاملا على تنفيذ اتجاه الميثاق القومي الذي حالت دون تنفيذه حتى الان العناصر المشبوهة والمتآمرة التي كان لها تأثيرها البعيد في الحياة السياسية في سورية والتي حالت فيما مضى دون وحدة الصف الوطني، وترمي الجبهة الى جعل الامر في يد العناصر الوطنية المؤمنة بالميثاق وبالسياسة المتحررة والمخلصة لقضية التحرر العربي والوحدة العربية وستساعد على ايجاد حكم قوي منسجم في سورية يقضي على كل بلبلة واضطراب ويمضي بالبلاد في الاتجاه الصحيح. وعندما سئلت عما اقصده من ان النائب عندما يوقع العهد بأن يتخلى عن ارتباطاته الحزبية والتكتلية والمصلحية والشخصية، اجبت: اقصد كل ارتباط يحول دون تنفيذ الميثاق والعهد"

ثم عالجت هذا الموضوع مرة اخرى في جريدة البعث 56/12/14 فذكرت مبررات قيام التكتل الجديد واهدافه ودوافعه في مقال تحت عنوان "التجمع القومي هو القاعدة البرلمانية لحكم منسجم" وقد ورد فيه:

ربما كان الحكم القومي الذي افترض به ان يكون اداة التنفيذ للميثاق القومي، والصورة التي انطبعت في نفس كل مواطن عنه، يجعل المواطن الطيب الذي يحمل جديا هموم الوطن يتساءل: وما جدوى العهد والتجمع القوميين؟ افليسا صورة جديدة عن الميثاق والحكم القوميين؟ ولا بد للجواب على هذا التساؤل من الرجوع الى عهد الاتفاق بين الاحزاب والكتل البرلمانية على نصوص الميثاق القومي وعلى تأليف الحكومة القومية.

لقد اريد للميثاق ان يكون منهاجا مشتركا تلتقي عليه الاحزاب والكتل البرلمانية في مرحلة من حياة البلاد قدر حينذاك انها ستكون خطيرة، واتت الاحداث فأثبتت ما كان قدر، وان ينبثق من الاتفاق عليه حكم قومي يخلص

في تطبيقه وتنفيذه ولكن بدت، منذ البدء، بوادر توحي بعدم العزم على تنفيذه، حين اعلن مندوب حزب الشعب في "لجنة الميثاق" وهو يوقع عليه: انهم غير مقتنعين به، ولكن الظروف تجعلهم يوقعون عليه، وحين رفض مندوب الحزب الوطني التوقيع وعلقه على تأليف الحكومة القومية، وقلنا حينذاك: اذا كانت الظروف هي التي هيأت لولادة هذا الميثاق، فقد توجه ايضا الى تطبيقه وتنفيذه.

ولكن التجارب المتتالية اخذت تؤكد في كل يوم: انه من العبث محاولة تطبيق الميثاق، ما دام بعض من يشترك في الحكم غير قانع به، بل ربما كانت قناعته بنقيضه - وان اقره، في الظاهر، منهاجا للوزارة، والوقائع الاتية، التي نأتي بها للتمثيل لا للحصر، تؤيد ذلك.

فالمصفاة، التي كانت في مرحلة من حياة البلاد شغلها الشاغل، مرت الشهور ومجلس الوزراء يتناقش حول مصدرها وهويتها ان كان للالة هوية، واخر ما جد بشأنها تهديد وزيرين من هذه الوزارة القومية بالاستقالة اذا اقر مجلس الوزراء بالتصويت قرارا بهذا الشأن.

ومستودعات النفط في اللاذقية بحجة ما في انشائها من اخطاء فنية وبحجة الاتصال بشركة في المانيا الغربية، لما تجهز بالخرطوم والات الضخ التي تتيح لسوريا استيراد النفط، حين الحاجة، حيثما تجده، ومستودعات النفط، التي تفيد في اختزانه للاوقات الحرجة، ظل متوقفا انشاؤها بين تلزيمها لشركات توزيع النفط الاستعمارية وبين اسلوب اخر اقرب الى المعقول حتى وقت متأخر. ذلك كان الحال فيما يخص النفط، حتى جاءت اللحظات الحرجة.

وسورية التي اصبحت مستودعا يغص بالطائرات والاسلحة السوفياتية الثقيلة، كما يحاول المسؤولون في بريطانيا وفرنسا واسرائيل ودول حلف بغداد والصحافة ومحطات الاذاعة التي يوجهونها ان يوهموا الرأي العام العالمي به، ما زالت بحاجة الى السلاح الخفيف الذي يواجه به الشعب معركة حياة او موت، قد تفرض عليه في كل لحظة، والفضل في ذلك يعود الى التناقض الداخلي القائم في الحكم، والى عدم قناعة "بعضهم" بالمقاومة الشعبية وتسليح الشعب (وقد يكونون ما زالوا عند قناعتهم حتى بعد تجربة مصر)

وفتنة لا شك انها كانت مهيأة من اجهزة الاستعمار الخفية انفجرت في حلب، وقد هيئت لتنفجر في كل مكان في سورية (والاردن ولبنان)، ولولا الوعي القومي لاخذت شكلا حاد الخطورة، وقد ذهبت "لجنة وزارية" للتحقيق فيها واطفائها وعادت ليتفق في مجلس الوزراء على محاسبة المسؤولين عن الامن في حلب على تهاونهم، مهما تكن دواعيه، ولكن الحساب ما زال معلقا.

والموازنة لما تتقدم بها الحكومة الى المجلس النيابي، لانها لن تستقيم، بسبب الظروف الطارئة، ما لم تفرض ضريبة الدفاع وقد نص عليها الميثاق القومي، والحكومة حتى الان لم تتفق على طرح هذه الضريبة، ولا ندري الى متى سيدوم الخلاف وتأخير الموازنة.

تلك امثلة قليلة من اشباه لها كثيرة على ما ادى اليه "عدم الانسجام" في قلب الحكم من ارتباك وشلل وتوقف، وكانت الظروف الخطيرة التي احاطت بالامة العربية، وخاصة منها ما كان مقدمة للعدوان على مصر، والعدوان ذاته وما لحق به، وما رافقه وتلاه من حملات منظمة على سورية ومؤامرات تدب في داخلها وتساورها من خارجها - لا تسمح بأي ازمة وزارية، ولهذه الاسباب وحدها يعود بقاء الحكومة القومية في الحكم حتى الان.

ولكن هذه الظروف الخطيرة ذاتها، وما تكشفت عنه من امكانية مجازفة الاستعمار الغربي بالعدوان على اي قطر عربي، معتمدا على قواعده الاستعمارية في الشرق الاوسط ومحركا لها، ومن صحة ما كان يؤكده الثوريون العرب وما حققته التجارب الدامية من ان القوة العربية اذا احسن تسليحها وتداخل الشعب والجيش فيها، وما تسيطر عليه من وسائل الضغط على الاقتصاد الغربي، قادرة على ايقاف العدوان الاستعماري واحباطه، واتاحة الفرصة لدعم الانسانية التقدمية لقضية العرب العادلة، وما تكشفت عنه خاصة من مؤامرات داخلية مظلمة - ان هذه الظروف وما تكشفت عنه استوجبت ايضا توجيه الانتباه والاصرار على بعض بنود الميثاق القومي وتوضيحها، لخطورتها الخاصة في هذه الظروف التي جدت واضافة بنود اخرى ضرورية ايضا لمواجهة الموقف، فكان العهد القومي المستوحى من الميثاق القومي والمكمل له.

واريد الى جانب ذلك تفادي الصعاب والتناقضات التي حالت بين الحكم القومي الحالي وبين الوصول الى المقاصد التي استهدفت منه، فكان التجمع القومي، فقد وجد ان القاعدة البرلمانية التي يمكن ان ينبثق عنها حكم منسجم تزول فيه التناقضات او يضيق نطاقها الى اخر الحدود، فيستطيع بالتالي تنفيذ برنامجه المحدد بالميثاق والعهد القوميين، هي مجموعة من النواب تريد جديا ان ينفذ الميثاق والعهد وما يترتب عليهما من سياسات في الحقول الداخلية والعربية والدولية او تنبثق عنها، عن هذه القاعدة البرلمانية، معارضة تستلهم تخطيطا موحدا للسياسة في المرحلة الراهنة، وسواء ادى التجمع القومي الى حكم منسجم او معارضة منسجمة، فعلى الحالين سينتظم الحكم في البلاد وسينتج اكثر مما هو منتظم ومنتج الان.

□

وفيما يلي نص العهد الذي تم عليه التعاهد والاتفاق بين نواب التجمع القومي لتنفيذ بنود الميثاق الوطني:

تجتاز القضية العربية اليوم في صراعها مع الاستعمار والصهيونية مرحلة حاسمة وخطيرة، لا سيما بعد العدوان على مصر الشقيقة الذي اشتركت فيه دول الاستعمار مع صنيعتها اسرائيل محاولة القضاء على قوميتنا العربية وحريتنا واستقلالنا، وبعد كشف المؤامرات الاستعمارية الداخلية ضد سلامة البلاد وامنها الداخلي والخارجي والتي تهدف الى تمزيق وحدة الامة وتصديع كيانها.

لذلك ولما كانت هذه الاخطار تستدعي التعاون الجدي الوثيق الصادق بين كافة العاملين المخلصين لمجابهتهما وتعبئة كافة القوى المادية والمعنوية وحشد جميع امكانيات الامة وجعلها في مستوى هذه الاخطار، فقد اتفقت الكلمة على تشكيل جبهة قومية تضم مختلف العناصر المنسجمة من كل الاحزاب والكتل، وتعمل متضامنة مخلصة لانقاذ البلاد دون اي قيد او اعتبار حزبي متعاهدة امام الله والوطن على تنفيذ بنود الميثاق القومي، تنفيذا صادقا جديا مبتدئة ببنوده التي يستدعيها الوضع الحاضر.

وهي اذ تعلن هذا العهد تؤكد النقاط التالية:

1- اتخاذ جميع التدابير والوسائل للدفاع عن استقلال البلاد وضمان سيادتها وتقوية وسائل الدفاع العسكري والشعبي وتعبئة كافة الامكانيات المادية والمعنوية لمواجهة الاحداث بما تقتضيه مصلحة الوطن العليا.

2- قمع المؤامرات والدسائس التي تحاك ضد سلامة البلاد وامنها الداخلي والخارجي او التي تهدف الى اضعاف معنويات الشعب وبث روح الانهزامية بين صفوفه بشدة وحزم، مع ضمان سلامة التحقيق وحمايته من الفوضى وتأمين سير العدالة في قضية التآمر الاخيرة.

3- السير بالبلاد نحو حياة التقشف والجد وجعلها في مستوى الاخطار المحيطة بها.

4- مقاومة حلف بغداد باعتباره يهدف الى تمزيق وحدة العرب وربطهم بعجلة الاستعمار.

5- العمل على تحرير البلاد العربية الخاضعة للاستعمار مباشرة او عن طريق عملائه وبصورة خاصة الوقوف الى جانب الشعب العراقي في نضاله ضد حكم الاستعمار.

6- صرف الاهتمام البالغ لاحباط المؤامرات التي يحيكها الاستعمار في بعض البلاد العربية ضد سلامة سورية والقومية العربية.

7- العمل على تحقيق هذه الاهداف بكل الوسائل المجدية بما فيها اقامة حكم سليم منسجم يضمن تنفيذ بنود الميثاق القومي وهذا العهد باخلاص وحزم.

اعلن الحزب الوطني موافقته على العهد وانضمامه الى التجمع القومي بخلاف حزب الشعب الذي وافق على بنود العهد ولكنه رفض الانضمام الى التجمع.

كنت ارغب بالحقيقة رغبة صادقة باشتراك حزب الشعب بعناصره الوطنية التقدمية في الحكم وهذا ما صرحت به للصحف اثر اجتماعي بوزارة الخارجية مع اركان حزبي الشعب والوطني **"نحن لا نريد ان نتسبب في ازمة وزارية سواء بقيت الوزارة القومية**

في الحكم او تشكلت وزارة جديدة، وارجو ان يكون جميع الاطراف الاخرى متفاهيمن ومتفقين لان الظروف الراهنة والاوضاع الدولية تستوجب التفاهم وتستدعي توحيد الكلمة" (الرأي العام 14-12-56)

كانت المشاورات لتشكيل الحكومة الجديدة تجري بالتفاهم مع الحكومة القومية وفي ظلها لان الاوضاع الخارجية كانت تتجهم حول سورية يوما بعد يوم، ففي الوقت الذي كان فيه بن غوريون يعلن رفض عودة قطاع غزة الى مصر، ويصر على استخدام البوليس الدولي كقوة عازلة لمصر عن القضية الفلسطينية، كان نوري السعيد يهاجم مصر وسورية والاتحاد السوفيتي هجوما مقذعا...

وقد عالجت هذه الاوضاع وانعكاساتها وتأثيرها على وضعنا الداخلي في المقال الذي نشرته (جريدة البعث 21-12-56) تحت عنوان خطوتان متكاملتان من حلف بغداد واسرائيل".

في نفس الوقت الذي صرح فيه المجرم بن غوريون بأنه لن يقبل ان تعود منطقة غزة الى الادارة المصرية اصدرت محاكم الخائن نوري السعيد احكامها على زعماء المعارضة في العراق، هكذا كتب على حلف بغداد ان تكون خطواته متوافقة مع خطوات اسرائيل، هذا هو القدر البريطاني، وفي الحقيقة ان هدف الخطوتين واحد:

فالمجرم بن غوريون حين يصرح مثل هذا التصريح انما ينفذ ما اتفق عليه كما نفذ من قبل عدوانه على مصر بالاتفاق مع بريطانيا وفرنسا، ولقد سبق تصريحه هذا تصريحات من قبل ساسة بريطانيا وفرنسا ومحاولات لتثبيت قوة الطوارىء الدولية في منطقتي القناة وغزة، ولكن قرارات هيئة الامم المتحدة، التي حددت بوضوح مهمة قوة الطوارىء هذه، وصلابة مصر، وضغط الرأي العام العالمي، وحاجة اوروبا الى النفط العربي وبالتالي حاجتها الملحة الى تطهير القناة واسالة النفط في الانابيب المارة في سورية اكرهت بريطانيا وفرنسا على التراجع عن النقطة الاولى، غير انهما ما زالتا تحثان اسرائيل على الاصرار على النقطة الثانية.

وستكون الحجة ان منطقة غزة تصلح لان تكون منطقة تعسكر فيها وتديرها قوة دولية تفصل ما بين قوات مصر واسرائيل، فتمنع الاحتكاك ويزول الاضطراب ولكن عامل الاضطراب في هذه المنطقة هو اسرائيل بشهادة قرارات مجلس الامن الكثيرة التي تدينها. ثم ان مصر كما قال علي صبري لا تشعر بالحاجة الى حمايتها من اسرائيل، فاذا كانت هذه تشعر بهذه الحاجة فعليها هي ان تتحمل وجود القوات الدولية.

والهدف الحقيقي من وراء هذا المطلب هو تجميد الجيش المصري وسد هذه الجبهة بالنسبة الى اسرائيل، لقد هدفت اسرائيل، كما هدفت بريطانيا وفرنسا، الى تحطيم قوة مصر العسكرية الفتية النامية والاطاحة بحكم الثورة الذي يرعاها ويهيء لها دعامتها الشعبية، فكانت المؤامرة البارعة المحكمة وكان العدوان، وعندما انكشفت المؤامرة للبصيرة الثورية النافذة فأخفق العدوان، تحاول اسرائيل الان، ومن خلفها يحثها ويدعمها الاستعمار الغربي، ان تحجب قوى مصر، والهدف الابعد هو ان تتفرغ اسرائيل للاردن وسورية، وهما القطران اللذان اعدهما الاستعمار البريطاني ليكونا ميدانا لتوسع اسرائيل ومجالا ومعهما العراق، حيويا لها، لصناعتها ولاقتصادها، ويفيد الاستعمار البريطاني من ذلك بقاء الوضع المتخلف اقتصاديا واجتماعيا في هذه المنطقة وبقاء التفكك والاختلاف، فيطمئن نهائيا على مصالحه فيها ومصالحه النفطية خاصة.

فاذا عرفنا مقاصد هذه المناورة واهدافها نعرف مدى الاخطار التي تحيط بنا اذا هي نجحت، وتتشخص الاخطار اذا نحن تذكرنا انه من قبل العدوان ارتبطت اسرائيل بمعاهدة عسكرية سرية، واخذت تصل اليها الاسلحة والطائرات الفرنسية، وانها قبيل العدوان اصبحت مركزا لحشد الطائرات والطيارين والخبراء والعسكريين الفرنسيين، وان امدادها لم ينقطع منذ العدوان، من قبل بريطانيا وفرنسا كلتيهما.

ويرتسم بالتالي واجبنا امامنا: انه اذا لم تنفذ قرارات هيئة الامم المتحدة فعلينا ان ننفذها بقوتنا العربية الخاصة، ومهما يكن من امر فسيزداد اعتماد الاستعمارين البريطاني والفرنسي على اسرائيل، وبالتالي سيظلان يمدانها بالقوة ما دامت تتحمل كقاعدة ذات استيعاب معين، وسنظل تحت اخطار عدوان اسرائيلي - استعماري علينا. وهكذا يتبين لنا اننا مكرهون دائما على تأمين المزيد من السلاح والتدريب لجيشنا، والمزيد من السلاح

والتدريب والتنظيم لشعبنا، والمزيد من تأمين الصناعات والمواد ذات القيمة الاستراتيجية، والمزيد خاصة من تدعيم الانسجام والتوحيد ما بين الجيوش العربية المتحررة، جيوش مصر وسورية والاردن ويوجب ذلك كله حكما قويا متينا حازما واعيا ومستقرا الاستقرار الحقيقي المنتج الذي يتيح لقوى الشعب والجيش ان تتمازج وان تنمو بتوثب وباستمرار فاذا كنا ننادي بحكم منسجم، لا تشله ولا تعطله التناقضات والاختلافات في داخله، فالى هذه الاخطار ننظر والى هذه الاهداف نهدف، وكل محاولة للحيلولة دون قيام مثل هذا الحكم او عرقلته، اذا لم تكن نتيجة سوء النية، فهي لا بد نتيجة ضعف البصيرة.

غير ان الانسجام لا يفيد اذا كان مصطنعا كاذبا، وكان ينشر غطاء متهافتا تحت ضغط الحوادث، بل ربما كان ضرره اعمق واشمل من الخلاف، ولقد دلتنا تجارب الحكم حتى الان ان الخونة والمتآمرين لا يسمحون بقيام حكم منسجم انسجاما صادقا، الا حين يكون منسجما مع مصلحة الاستعمار، ولكنهم قد يحاولون ايجاد حكم ظاهر الانسجام والاتفاق ليجعلوا منه ستارا لمؤامراتهم، مستفيدين من الطمأنينة التي قد يولدها في الانفس.

فالمؤامرة الاخيرة التي كانت اقوى ما نسج من مؤامرات حتى الان، والتي تساندت فيها كل قوى الاستعمار واجهزته، انما استفادت من ستار الحكم القومي.

لقد انشكف هؤلاء المتآمرون الخونة، من سياستهم للشعب حتى عدهم باسمائهم ففقدوا كل نفوذ لهم عليه، وكل تجاوب معه، وكل قدرة لهم الا على تحريك من يشترى بواسطتهم فردا فردا - فهم غير قادرين بقواهم الذاتية على انفاذ الخطط الاستعمارية. ولذلك اذا كان من الضروري القضاء عليهم للخلاص من هذه الجيوب المتعفنة المستقرة في جسم الامة فمن الضروري ايضا وخاصة ان نعرف ينبوع التآمر والامداد والتوجيه لهؤلاء الخونة، وانه لمعروف، فهو حلف بغداد.

لقد زلزل حلف بغداد بحكوماته وساسته واجهزته تحت ضغط التضامن العربي والاستجابة الشعبية الرهيبة لمعركة الحياة او الموت وتحت ثقل مؤامراته وخياناته التي انفضحت وانكشفت حتى الى اخر عربي في الوطن العربي، وتحت وطأة ثورة الشعب العربي في العراق، ويحاول الاستعمار

البريطاني مستميتا الان تثبيت هذه القاعدة، فيدعم حكم نوري السعيد ويشجعه ويمد له في عملية اغراق الثورة العربية في الدماء والسجون والمحاكمات السرية والاحكام التي لا مثيل لها في جورها ووقاحتها.

ولذلك قلنا: انهما خطوتان متوافقتان متكاملتان من الحلف واسرائيل، لان الاستعمار البريطاني هو الدافع لهما وهو المغذي والحامي، وانه ليقصد الى ترسيخ قاعدتيه، وشحذ شقي المقص هذين ليطبق بهما على سورية والاردن، وبالتالي على الامة العربية.

ولذلك نقول ايضا: انه لا بد في المقابل من دعم نضال الشعب العربي في العراق وتأييده على نحو منظم وقوي يكفل له الاطاحة بنوري السعيد وجهازه وحلفه، لانه لا طمأنينة للامة العربية ما دام هذا الحلف موجودا ونقول: لا بد من الاستعداد لتحرير قطاع غزة اذا اقتضى الامر بالقوة العربية الخاصة، والتهيؤ في كل المستويات عسكريا وشعبيا واقتصاديا وقوميا لكل عدوان ممكن ووسيلة ذلك برأينا حكم منسجم متماسك صلب في مستوى المسؤوليات التاريخية وعيا وتنفيذا، يجعل كافة الاجهزة تعمل متناسقة ومتجهة الى هذا الهدف، ويسعى لصهر القوى العربية في مصر وسورية والاردن ببعضها حتى تصبح كتلة واحدة حقا وبالتالي سدا منيعا امام كل عدوان.

انها خطوط خطة اعلناها منذ زمن بعيد، واصررنا عليها وابرزناها خاصة منذ ما تكرر العدوان الاسرائيلي على جبهات مصر والاردن وسورية، وظهرت فكرة تحويل الاردن، ولو انها نفذت منذ ذلك الحين، اذا لكان موقفنا في مواجهة العدوان اقوى وابقى اثرا في معركة تحرير الامة العربية وتوحيدها.

□

كان زعيم حزب الشعب رشدي الكيخيا يحاول بأساليب مختلفة عدم اشتراك حزبه بالوزارة الجديدة، وكانت ابواق الدعاية الاستعمارية تحاول تزوير الصورة الحقيقية لمعركتنا الداخلية فتعتبرها قضية صراع بين اليمين واليسار بينما كانت في الحقيقة معركة وطنية تحررية، كنا ندرك تماما ان بلادنا تمر بمرحلة التحرر الوطني ولذلك حاولت ان احدد المرحلة التي نجتازها لنضع الامور في نصابها الحقيقي ونسد الطريق على الدعايات المشبوهة

التي كانت تحاول تمزيق وحدتنا الوطنية وتفتيت جبهتنا الداخلية، فكتبت في جريدة (البعث 51/12/28) مقالا بعنوان "المعركة قومية وليست بين يمين ويسار" حددت فيه المرحلة وطبيعة المعركة وبنية الاحزاب والتكتلات السياسية والحزبية وما نهدف إلى تحقيقة من التجمع القومي والحكومة الجديدة وفيما يلي نص المقال:

ان اقل ما يقال عن الظرف الذي تجتازه البلاد اليوم، انه ظرف دقيق وحاسم وان هناك مسائل داخلية وعربية وخارجية تتطلب مواقف سريعة وحلولا قوية جريئة، فما يتطلبه هذا الظرف إذن هو قيام حكم منسجم في اهدافه وسياسة اشخاصه، ويكون في مستوى المهام التي عليه ان يضطلع بها والمشاكل المطروحة على امتنا.

ولقد انصرف جهد حزبنا، وجهد عدد كبير من العناصر والفئات السياسية مدعومة بارادة الشعب ووعيه، الى تذليل كل العقبات التي يمكن ان تقوم في وجه قيام مثل هذا الحكم، واعين مسؤوليات هذا الظرف، وضرورة عدم تعريض البلاد لازمة حكم في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى البت في عدد من القضايا الداخلية الاساسية الهامة والى التقرير السريع في عدد من المواقف الدولية والعربية الخطيرة.

ولقد اصبحت صورة الحكم المنسجم، وما يجب ان يكون عليه في تكوينه واعضائه وسياسته ومناهجه، ماثلة للجميع واضحة في اذهان الاكثرية الكبيرة من ابناء الشعب ومن السياسيين ونواب المجلس، وجاء التجمع البرلماني ليمثل ارادة الشعب اليوم وليعبر عن هذا الاتجاه نحو الحكم المنسجم السليم وليهيء الجو اللازم والوسائل الضرورية لاقامة هذا الحكم.

ولقد توافرت كل الجهود، على ان لا تقوم ازمة حكم في البلاد، وتوجهت الارادة الطيبة من مختلف العناصر الشعبية والسياسية الوطنية، كما توفرت كل الامكانيات لاقامة حكم يمثل هذه المرحلة ويرتفع الى مستواها.

وكنا نعلم ونقول بأن معركة شعبنا اليوم ليست معركة تصفية اوضاع اجتماعية واقتصادية قائمة في البلاد، وليست بين حكم يميني وحكم يساري كما يحاول تصويرها الاستعمار وعملاؤه، بل هي معركة وطنية لتصفية اوضاع سياسية معينة، وللوقوف في وجه الاستعمار ومؤامراته، ولمجابهة مجموع القضايا المطروحة على العرب اليوم بعد عدوان الاستعمار على مصر.

فهي سياسة استقلالية ترمي الى توحيد القوى الوطنية كلها وتمثيلها في هذا الحكم، والى الافادة من كل قوى شعبنا المنتجة ومن كل امكانيات الدفاع والمقاومة في بلادنا فنحن مؤمنون بان القضايا المطروحة على البلاد اليوم هي قضايا وطنية عامة ليس لها مساس مباشر بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية كالقضاء على المؤامرات واعمال التخريب، ومناهضة سياسة الاستعمار وحلف بغداد واعشاش التآمر في لبنان، والبت في قضايا المصفاة والمستودعات وكل ما يتعلق بقضايا الدفاع، من اعداد وتسليح وتنظيم للمقاومة الشعبية، الى غير ما هنالك من مسائل حيوية اساسية تفرضها طبيعة المرحلة التي تجتازها بلادنا اليوم.

وكنا نميل للاعتقاد، بعد معركة مصر وافتضاح سياسة الاستعمار ومراميه، وبعد الكشف عن عناصر المؤامرة التي اعدها الاستعمار وعملاؤه لسوريا، وبعد افتضاح المنطق الخائن والسياسة المضللة، التي سارت بها بعض الاحزاب والكتل السياسية التي خرجت منها المؤامرة والمتآمرون، ان هذه الفئات ستضطر الى الرجوع عن سياستها وخططها والى التسليم بخطأ سياسة التلاعب والمناورات التي درجت عليها في الماضي، وسيدفع بها لان تخطو خطوات اكثر انسجاما مع ارادة الشعب وضرورات المصلحة القومية في هذا الظرف الدقيق، ولكنها وبعد ان اعطت الكثير من التعهدات بعدم خلق العقبات في طريق اقامة هذا الحكم الجديد، ما لبثت ان نكصت وعادت تمثل دورها التقليدي في التعقيد والتطويل لتفيد من تعقيد الازمة، ومن شعور الجميع بضرورة الحل السريع، فتكره الاخرين على التراجع والتسليم لها بعدد من الشروط لا تقصد منها الا خلق الالتباس والتشويش والتناقض في الحكم، ولتسجل كسبا

على حساب قضية البلاد، ولتيسر لنفسها العودة الى سيرتها الاولى وسياستها التقليدية.

واذا اردنا ان ندرك طبيعة هذه الازمة، ازمة تشكيل الحكومة اليوم، فلا بد ان نردها الى مصادرها، اي الى طبيعة تشكل الاحزاب والكتل المجلسية القائمة في البرلمان، وان ننفذ الى ما يكمن وراء اسمائها المتعددة والوانها المختلفة من مقاصد واهداف سياسية قريبة او بعيدة واذا قصرنا بحثنا هنا على النظر الى هذه الكتل والاحزاب من الناحية التي يصح ان تعتبر اساس مشاكلنا وازماتنا السياسية، وجدنا ان في امكاننا تصنيف نواب هذا المجلس في اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الاول: اتجاه صريح واضح، هو اتجاه الفئات التي تنادي بسياسة استقلالية متحررة، هذه السياسة التي اخذت اليوم كل تعبيرها الشعبي وكل معناها القومي، والتي تقوم على سياسة الحياد الايجابي في الحقل الدولي، وعلى سياسة عربية تحررية مناهضة للاستعمار واحلافه، ويشتمل هذا الاتجاه على اكثرية النواب والسياسيين.

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه الفئات التي لا تجرؤ على التصريح والمجاهرة بسياسة التحالف مع الاستعمار والسير في ركابه، ولكنها تعمل ضمن الخط السياسي لنوري السعيد وحلف بغداد.

والاتجاه الثالث: ولا يصح ان ندعوه اتجاها بل انها مجموعة مسخرة مباشرة لخدمة الاستعمار وتأمين مصالحه ويدخل فيها الفئات المتآمرة التي باعت نفسها - ولكن هذه الفئات قليلة العدد ضعيفة النفوذ.

واذا نظرنا الى حزبي المجلس التقليديين، على ضوء هذا التصنيف، نجد انهما منقسمان في داخلهما حسب هذه الاتجاهات الثلاثة وان في قلبهما تناقضا، واختلافا في سياسة اعضائهما وارتباطاتهم فالاستعمار قد استطاع الاندساس فيهما منذ زمن طويل عن طريق عملائه المباشرين، ليضربهما من الداخل، وليعمل على توجيههما في وجهته، التي هي عكس وجهة اكثرية اعضائهما.

اما الكتل المجلسية، فهي لم تأت نتيجة لعمل شعبي موحد او لبرنامج سياسي منظم، بل لم تأت حتى نتيجة تكتل انتخابي، وانما قامت في المجلس كتجمع مصلحي، ولذلك فهي لا تحمل في مجموعها وجهة سياسية معينة، وان كان يغلب عليها الاتجاه الوطني، الا كتلة واحدة هي الكتلة الدستورية فهي اذا صح عليها ما يصح على غيرها من الكتل من حيث التكوين والتشكل، فانها تمتاز، وان كانت تنقسم الى نفس الاتجاهات الثلاثة التي تنقسم اليها الاحزاب بأن الاتجاه الثالث ذو اثر كبير في توجيهها.

وعلى ضوء هذه النظرة، نستطيع ان نحكم على طبيعة الازمة المطروحة اليوم على المجلس والبلاد، والتي تحاول تلك الفئات المتآمرة تصويرها على انها معركة حكم يميني او يساري، لتعطي للاستعمار مبررات التدخل والتآمر من جديد بحجة ان البلاد تسير في وجهة يسارية متطرفة، محاولة بذلك تشويه حقيقة المعركة، التي هي بالنسبة لمن ينادون بالسياسة الاستقلالية، معركة وطنية، لانهم يعتبرون سياسة الاحلاف وسياسة نوري السعيد في خدمة الاستعمار وضد استقلال البلاد سواء كان السائرون بهذه السياسة من المتآمرين او الانهزاميين او المخدوعين، او من الجبناء المنقادين.

ان السياسة الداخلية التي نسير بها اليوم تقوم ايضا على اعتبار قضيتنا اليوم هي قضية استقلالية، والقضايا المطروحة على بلادنا اليوم ليست ذات طابع اجتماعي واقتصادي في اساسها اي انها لا تمس مصالح الافراد والطبقات مسا مباشرا، وحتى القضايا الداخلية التي لها مساس بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية لم يكن ينظر اليها الا من هذه النافذة، فقانون العشائر وقانون املاك الدولة وقضايا الفلاحين الى غير ذلك من القضايا انما عولجت بهذه الروح، روح اعداد اغلبية الشعب لكفاح الاستعمار والمحافظة على الاستقلال.

وجاء اعتداء انكلترا وفرنسا واسرائيل على مصر، وجاء كشف المؤامرة في سورية، ليوضح كل التباس، وليفضح ارتباطات السياسة الرجعية والصلات المباشرة التي تربط سياسة نوري السعيد بسياسة الاستعمار واسرائيل، وليفضح حقيقة السياسة

التي تقول بالتحالف مع الاستعمار ولتقنع اغلبية المجلس النيابي بأن معركة البلاد معركة تحرر قومي، ولنصل من كل ذلك الى هذا التجمع القومي النيابي، الذي ضم بعض الاحزاب وعددا من المستقلين ومن افراد الكتل المجلسية، والذي يدعم اتجاهه الاكثرية الساحقة من اعضاء المجلس وكثير من اعضاء الهيئات التي لم تنضم اليه.

فسياسة البلاد اذا، اصبحت على درجة كبيرة من الوضوح، وطبيعة الحكم الذي يجب ان يمثلها اصبح ايضا بينا واضحا، ومع ذلك فقد تعقدت المشاورات ونشبت الازمة من جديد لتدور في الحلقة التي اعتادت ان تدور فيها، وكأنه لم يطرأ اي تطور وتبدل على اساليب تلك الاحزاب والكتل، وما علة ذلك الا وجود اشخاص متنفذين في تلك الاحزاب والكتل، ما زالوا عند مواقفهم السابقة غير مستعدين للسير بسياسة البلاد الاستقلالية ولا لمقارعة الاستعمار، بل ان سياسة نوري السعيد واحلافه ما زالت تعشش في قلوبهم، وهذه العناصر بعد ان عجزت عن مجابهة الوضع وعن الجهر بسياستها واغراضها راحت تتبع اساليب الاحتيال والمناورة لعرقلة تشكيل وزارة قومية منسجمة، في وقت اجمع فيه الشعب والغالبية العظمى من النواب في مختلف احزاب المجلس وكتله على قيام هذا الحكم.

واذا ما استطاعت سياسة المناورات هذه، ان تعيق تشكل الحكومات القوية المنسجمة في الماضي، فلا يعقل ان يفسح امامها اليوم اي مجال للتدخل او لفرض شروط او حلول عرجاء واذا كان اتجاه الشعب واتجاه الكتل والاحزاب قد توضح واذا كان وضع البلاد وطبيعة القضايا المطروحة يتطلب حلا سريعا للازمة فان هذا لا يعني السماح بأن يأتي حلا مصطنعا ومشوها، فاذا استطاع المجلس الحالي ان يقدم للبلاد حكومة منسجمة فهذا ما تتطلبه البلاد والمصلحة، اما اذا طالت الازمة وداخلها الالتباس والتعقيد فان الحل الطبيعي يكون بحل المجلس والرجوع الى الشعب لاستفتائه في نوابه وممثليه من جديد.

والخلاصة، فاننا نلح على ان كل الشروط معدة لقيام حكم منسجم من عناصر وطنية نظيفة، وان حزبنا قد بذل كل جهوده لعدم اقامة ازمة حكم كما يساعد في تهيئة كل الوسائل والاسباب لاقامة حكومة منسجمة في سياستها واشخاصها، ولم يكن يرمي الى احراز اي كسب حزبي، بل الى تفادى كل ازمة وتفادي هزة انتخابات جديدة. ولكن اذا ما ظلت تلك العناصر تلعب في الكتل والاتجاهات السياسية لتأزيم الوضع، واذا ما استمرت في موقفها تعيق تشكيل الحكومة التي يريدها الشعب فلا يبقى هناك مجال الا للعودة للشعب واستفتائه.

بعض وثائق حلف بغداد وهي تتعلق بأحداث النصف الثاني من عام 1956

من الملحق

الى الاستخبارات الساعة: 1400

الرقم - 159 التاريخ 20-9-1956

ما يلي من اللواء الركن غازي الداغستاني (0)

اجتمعت بممثلي بريطانيا وامريكا مساء يوم 19-9 اجتماعا تمهيديا وتباحثنا في اسلوب العمل والمساعدات وسأجتمع بهما في يوم 20-9 بعد وصول مستر روزفلت (كيم روزفلت عضو المخابرات المركزية وخبير الانقلابات الذي نفذ في ايران انقلابا على حكم مصدق الوطني وارجع الشاه الى الحكم) اتصلت بممثلي الحزب القومي ايضا سأجتمع بممثلي الضباط الاحرار يوم 20-9.

من الملحق

الى الاستخبارات الساعة 1800

الرقم - 160 التاريخ 20-9-1956

ما يلي من اللواء الركن غازي الداغستاني

ايد ممثلا بريطانيا وامريكا دفع عشرة الاف دينار الى ميخائيل اليان وخمسة الاف دينار الى جلال السيد وخمسة الاف دينار شهريا الى صحف

سورية (0) سيبلغاني برأي جهاتهما العليا هذا المساء. في حالة موافقة تلك الجهات سأقوم بتسديد حصتنا الى ميخائيل والجرائد غدا اما جلال فننتظر اقرار طريقة ايصال المبلغ اليه وقد يجري الدفع في سفره قادمة الى هنا. ساقابل ميخائيل غدا الجمعة واعطيه المبلغ اذا وجدت الفرصة سانحة او ابعثه اليه بيد وزيرنا المفوض في دمشق اما تخصيصات الجرائد فسيوزعها الوزير المفوض بموجب قائمة نتفق عليها. (ص300 الجزء الاول - كتاب محكمة الشعب)

وقد تليت هاتان الوثيقتان خلال محاكمة العقيد غازي الداغستاني الملحق العسكري العراقي في سورية ولبنان.

كما ان الجزء الاول من كتاب محكمة الشعب قد اثبت بالتفصيل وثائق مقدمة من العقيد محمد صفا ومن غسان جديد وهي عبارة عن خطط لاحداث اضطرابات وانقلابات في سورية (ص 311-340 الجزء الاول من كتاب محكمة الشعب).

من الملحق الرقم 207

الى الاستخبارات التاريخ 1956/11/2

ما يلي من اللواء غازي الداغستاني الى رئيس اركان الجيش.

بين رئيس الوزراء في بغداد ضرورة بقائي هنا لانتظار التطورات (0) سافر الرصافي ثم الكرخي [1] الى بلديهما للمذاكرة على ان يعودا بعد ايام او فورا اذا دعت الحاجة (0) اخبرت جماعتنا بالتهيؤ للاستفادة من الفرص او لمجابهة ما قد يحدث في الداخل (0) اخبرتهم بالاتصال عن طريق الملحق العسكري في حالة سفري (0) هل اسافر ام ابقى انبؤنا. (ص 437 تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة رفيق عارف).

من عراقية دمشق الرقم 161

الى خارجية بغداد التاريخ 19-11-1956

دعاني وزير الخارجية لمقابلته وتحدث عن توقيف الشيخ هايل السرور وقال ان السلطات السورية عثرت على (400) بندقية وبعض مدافع الهاون

(1) (الرصافي هو السفير الاميركي لان سفارة الولايات المتحدة تقع في الرصافة بينما تقع السفارة البريطانية في الكرخ وهما ضفتا نهر دجلة في بغداد)

ومدفعين ضد الدبابات ولديها معلومات عن قيام مصادر عراقية بتسليح جبل الدروز والقوميين السوريين في سبيل قلب نظام الحكم في سوريا ومتى تمت التحقيقات فسوف نقدمها للحكومة العراقية بواسطة مفوضيتنا في بغداد قلنا له ان العراق بعيد عن التفكير في مثل هذه الامور فضلا عن القيام بها واما الاسلحة التي يقال انها ضبطت فربما كانت من الاسلحة المسروقة التي ارسلها العراق الى ثوار الجزائر وقال ننتظر نتيجة التحقيق قلنا له نرجو الا يكون بواسطة الضغط والتهديد كما يشاع. (ص 1702 - الجزء الرابع- كتاب محكمة الشعب - تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة عبد الجليل الراوي سفير العراق في سورية)

من الخارجية الرقم 154

الى عراقية عمان التاريخ 25-11-1956

علمنا ان السلطات السورية بعثت بصندوق عتاد عراقي الى الاردن للتبرير على الاتهامات الموجهة للعراق لمساعدة العناصر المناوأة للحكومة الحاضرة في سوريا ولعرضه على المقامات الرسمية.

ان العراق بعث بكميات كبيرة من الاعتدة العراقية الى الاردن للمساعدة وقد وزعت على جهات عديدة منها الحرس الوطني ومن الجائز التقاط صناديق منها لغرض التدليل على الاتهامات فهل يحسن ارسال العتاد دون السلاح فعلى المسؤولين في الاردن ان يسألوا السوريين عن السلاح الذي سيستخدم فيه العتاد العراقي، الادعاء غير صحيح من اساسه وهو دسيسة مفضوحة يراد بها زعزعة الثقة بين العراق والاردن يرجى تحذير الاردنيين من الانصات الى هذه الدسائس والاساليب الرخيصة. (ص1387 - الجزء الرابع- كتاب محكمة الشعب - تليت خلال محاكمة وزير الخارجية باش اعيان)

من - وزارة الخارجية الرقم 49

الى - عراقية - واشنطن التـــــــــــاريخ 1956/11/27

برقيتكم 47

ترى الحكومة العراقية بأن انضمام الولايات المتحدة الى ميثاق بغداد من شأنه ضمان الاستقرار في الشرق الاوسط وابعاد النفوذ الروسي عنها وكلما تأخر انضمامها الى الميثاق كلما تغلغل النفوذ الروسي في الاقطار العربية وعلى الاخص في سوريا والاردن وقد يفقد الغرب الشرق الاوسط برمته من جراء ذلك (ص 1389- الجزء الرابع من كتاب محكمة الشعب وقد تليت خلال محاكمة باش اعيان) **وقد قال باش اعيان لرئيس المحكمة تعليقا على هذه الوثيقة:**

هذه الطريقة التي كنا نغري بها الاميركان حتى ينضموا الينا وكنا نخوفهم دائما بالخطر الروسي.

سري للغاية

من محاضر اجتماعات رؤساء وزراء العراق وباكستان وتركيا ووزير خارجية ايران، الدول الاسلامية الاربعة في بغداد

الاجتماع الاول في قصر الزهور 18 تشرين الثاني 1956

ما قاله فخامة رئيس وزراء باكستان

اني اعلم بكل هذه الصعوبات وما بينته في نقاطي الاربع في اعلاه هي ما نصبوا اليه وما نتوخاه ونرجو تحقيقه، اني اقدر ان سوريا تتمشى مع السياسة ضد العراق، فمثلا قطعها انابيب النفط هو امر خطير وفي بعض الحالات قد يسبب حربا بين اي بلدين وان من رأيي ان سوريا والاردن لا يمكن جلبهما الى صفوفنا الا بالقوة 0(ص 1399 - الجزء الرابع - كتاب محكمة الشعب - تليت خلال محاكمة باش اعيان)

من خارجية بغداد الرقم 173

الى: السفارة العراقية في دمشق التاريخ 1956/12/26

يرجى اصدار البيان التالي:-

1- عن طريق وزارة الخارجية السورية بمذكرة رسمية.

2- ارساله الى الصحف مباشرة.

اطلعت المفوضية على قرار الاتهام الصادر من قاضي التحقيق العسكري في دمشق والمذاع في الاذاعة السورية والمنشور في الصحف المحلية الصادرة بتاريخ 4 تشرين الجاري المتعلق بمؤامرة مزعومة.

ان المفوضية العراقية مخولة بتكذيب ما جاء بالقرار المذكور فيما يخص الحكومة العراقية وكل من ورد اسمه فيه من العراقيين المسؤولين جملة وتفصيلا والمفوضية اذ تستنكر باسم العراق وحكومته ورجالاته المسؤولين مثل هذه التهمة يؤسفها ان تجد قرار الاتهام وهو قرار قضائي رسمي ينبغي ان يتحلى بالدقة في التعبير والتقييد بالنصوص القانونية قد تضمن فيما يخص العراق ورجاله عبارات جزافية نابية لا تستعمل الا في المهاترات الصحفية.

انه ليؤلم كل عربي حقا ان يرى الخطة المدبرة التي يجري تنفيذها منذ اكثر من سنتين للاساءة لسمعة العراق قد بلغت الان مرحلة خطيرة من السباب والاتهام والامعان في التفرقة بين الصفوف في هذه الاونة الحرجة من تاريخ الامة العربية التي تتطلب اول ما تتطلب نبذ الخلافات وجمع الكلمة وتأليف القلوب، واننا لواثقون انه مهما كان الغرض الداخلي المراد تحقيقه من وراء هذه الحملة الظالمة الموجهة ضد العراق فان النفع الوهمي المؤقت لا يعادل عشر معشار الاضرار التي عادت وتعود على الامة العربية من استمرار هذا التنابذ والتفاقم (ص1397- الجزء الرابع- كتاب محكمة الشعب - تليت خلال محاكمة باش اعيان)

من محضر اجتماع في قصر الرحاب يوم الاثنين الموافق 1956/12/23 عقد برئاسة جلالة الملك وحضره كل من سمو ولي العهد ونوري باشا وجميل المدفعي وعلي جودت الايوبي وتوفيق السويدي ومصطفى العمري وأرشد العمري وعبد الوهاب مرجان وبرهان الدين باش اعيان وعبد الله بكر.

اقوال توفيق السويدي: المفهوم من بيانات رئيس الوزراء هو معالجة الدعايات التي تمس كيان العراق. الواقع ان روسيا اشتغلت بشكل واسع وايجابي والانكليز والامريكان لم يشتغلوا بهذا الشكل، الامريكان شجعوا المصريين ولسوء الحظ ان مقدرات مصر الان بيد رجال دجالين كذابين.

وثم قال ما يخص سوريا الآن الوضع في سوريا اصبح مهددا للامن بين العراق وسوريا ويمكن عرض الموضوع على مجلس الامن، اني فهمت ان المطلوب هو الاتصال بجمال عبد الناصر ومعرفة استعداده للتفاهم فاذا جرى

ذلك على يد عراقي فلا بد ان يشيع ذلك ولكن لو تم ذلك عن اي يد اجنبي يكون احسن فلماذا لا يكون التوسط على يد الامريكان. (ص2487- الجزء السادس - محكمة الشعب تليت خلال محاكمة توفيق السويدي)

بيروت 1957/1/8

برقيتكم وبرقية دمشق في 7 الجاري (0)

اننا نعتقد ان توكيل محامين عراقيين او تقديم طلب للتوكل ليس من مصلحة المتهمين ولا من مصلحتنا لما يثيره من تقولات ستستغلها الدعاية المغرضة وستكون سابقة للمحامين السوريين للتوكل لبعض المتهمين العراقيين في المستقبل نؤيد توكيل محامين لبنانيين.

حميد فرنجية سبق ان عرض عليه التوكل فاعتذر لقرب سفره للبرازيل.

تعليقة الوزير:

نحن مستعدون للمساعدة في دفع اجور من يوكلهم المتهمون من المحامين اذا اقتضى الامر ذلك.

برقية اخرى:

من الخارجية الى سفارة بيروت ودمشق

برقيتكم في 12 الجاري

نوافق على دفع اجور المحامين او جزء منها حسب مقدرة المتهمين على دفع تلك الاجور. (ص 1348 - الجزء الرابع كتاب محكمة الشعب) وقد تليت هذه الوثيقة خلال ماكمة وزير الخارجية برهان الدين باش أعيان وهي موقعه منه).

الى: سفارة "الرباط"

ما يلي: الى حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم:

من رئيس الوزراء:

اصدرت المحكمة العسكرية السورية الحكم بالاعدام حضوريا على هايل السرور وسامي كبارة وعدنان الاتاسي وحسين الحكيم وصبحي العمري وغيابيا على محمد معروف ومحمد صفا وصلاح الشيشكلي وسعيد تقي الدين وميخائيل اليان وحسن الاطرش وشكيب وهاب، اقترح ان تبحثوا سموكم مع جلالة سلطان مراكش للتوسط لدى جلالة الملك سعود لاستعمال نفوذه مع الحكومة السورية لتخفيف الاحكام المذكورة، نحن قائمون بمساع مماثلة مع الدول العربية الاخرى الصديقة وكذلك مع

الباكستان والولايات المتحدة. (ص 1351-الجزء الرابع- محكمة الشعب - تليت خلال محاكمة برهان الدين باش اعيان وهي موقعة منه).

من وزارة الخارجية:

الى: عراقية بيروت

يرجى الاتصال بالهيئات الشعبية والدينية والاحزاب السياسية وما شاكلها بالطريقة التي تنسبونها لحثها على المبادرة الى ارسال البرقات الى ملوك العرب ورؤساء دولهم وحكوماتهم لتخفيف الاحكام عن السياسيين السوريين المحكومين بالاعدام.

كذلك يرجى الاتصال بالصحف للغرض نفسه.

من وزارة الخارجية:

الى: دمشق

يرجى ان تقدموا احتجاجا تحريريا حول كل قضية تعرض للمحكمة سواء من ناحية توكل المحامين العراقيين كعزيز شريف او من ناحية المس بالعراق من قبل القضاء او الادعاء يرجى الاتصال فورا بجلالة الملك حسين لحمله على التوسط لتخفيف احكام الاعدام الصادرة بحق المتهمين السوريين.

من وزارة الخارجية:

الى: عراقية بيروت، طرابلس، تونس، الخرطوم، كراجي:

نرجو الاتصال فورا برئيس الدولة لحمله على التوسط لتخفيف احكام الاعدام الصادرة بحق المتهمين السوريين.

من وزارة الخارجية:

الى: عراقية واشنطن

يرجى الاتصال بوزير الخارجية الامريكية فورا واذا امكن بالرئيس الامريكي لحمله على التوسط لتخفيف احكام الاعدام الصادرة بحق المتهمين السوريين. (ص1350- الجزء الرابع من كتاب محكمة الشعب - وقد صدرت جميع هذه البرقيات عن وزير الخارجية برهان الدين باش اعيان)

واشنطن 1957/2/27

الى وزارة الخارجية

لاحقا لبرقيتنا في 1957/2/27

لقد عقدنا في وزارة الخارجية اجتماعا حضره المستر راونتري ومساعده، ابلغنا عن لسان وزير الخارجية المشغول باجتماعاته مع رئيس الوزارة الفرنسية بأن الحكومة الامريكية مهتمة جدا بالموضوع ولكن بعد درس الامر مليا رأت من صالح المحكوم عليهم عدم المداخلة رسميا اذ ربما يؤدي ذلك الى عكس المقصود.

تقرر ارسال تعليمات للسفير الامريكي في القاهرة ليقابل فورا شخصيا الملك سعود ويبلغه اهتمام الحكومة الامريكية وقلقها راجيا اليه المداخلة والتوسط لدى شكري القوتلي لتبديل احكام الاعدام (0) لم يحبذ الفكرة ويعتقدون ان الملك سعود هوالشخص الوحيد الذي يستطيع التأثير على الحكومة السورية (0) اكتفينا بذلك حفظا للوقت (0) سيتكلم المستر راونتري مجددا هذه الليلة مع دالس اثناء المذاكرات الفرنسية - الامريكية ويخبرونا بما يجد (0) سنتعرف على ضوء ما نسمعه منكم ونخبركم (0) ترجو وزارة الخارجية الامريكية الكتمان التام كي لا يتسرب الى حاشية الملك سعود في القاهرة او الى اية جهة اخرى. (ص 1349- الجزء الرابع من كتاب محكمة الشعب وقد تليت خلال محاكمة برهان الدين باش اعيان).

1957- حملة اعلامية شديدة قائمة على الادعاء والتهويل بتسرب الشيوعية الى منطقة الشرق الأوسط ولا سيما الى سورية تمهيدا لاعلان مبدأ ايزنهاور - الولايات المتحدة تطرح مبدأ ايزنهاور أو ما أسمته مبدأ سد الفراغ بعد فشل فرنسا وانكلترا في العدوان على مصر - النص الحرفي لمبدأ ايزنهاور وللرد السوفيتي.

الأحداث العربية والدولية التي رافقت تشكيل حكومة التجمع القومي.

شهد عام 1957 أحداثا وتطورات سياسية هامة على الصعيدين العربي والدولي وكان محركها وموجهها (مبدأ ايزنهاور) فقد استغلت الولايات المتحدة الاميركية إخفاق العدوان الثلاثي على مصر لتفرض تفردها بقيادة المعسكر الغربي ولتبسط سيطرتها ونفوذها على منطقة الشرق الأوسط - مستودع البترول في العالم باسم نظرية "ملء الفراغ" الذي حدث بعد انهيار النفوذين البريطاني والفرنسي، وقد بذلت الولايات المتحدة مساع سياسية مكثفة، ومارست ضغطا شديدا على حليفتيها لتنال موافقتهما على سياستها الجديدة.

وفي شهر كانون الثاني 1956 أصدر حلف الاطلسي بيانا اكد فيه تدعيم الحلف وشموله منطقة الشرق الأوسط، وقد سبق هذا البيان وتبعه مداولات ومساومات واجتماعات في باريس ولندن اقترنت بتخلي بريطانيا وفرنسا مرغمتين عن نفوذهما في منطقة الشرق الأوسط لقاء دعم حلف بغداد، وتأمين مصالح بريطانيا البترولية ونفوذها في العراق وامارات ومشيخات الخليج ومساندة امريكا وحلف الاطلسي لفرنسة في حربها بالجزائر.

لقد رافق السياسة الامريكية الجديدة حملة اعلامية لا مثيل لها قائمة على محاربة الشيوعية والوقوف في وجه تسربها الى منطقة الشرق الأوسط ولا سيما الى سورية، والتهويل

بالتهديد الروسي لمصالح الغرب الحيوية في هذه المنطقة الحساسة من العالم، مما يستدعي منح الرئيس ايزنهاور صلاحيات عسكرية استثنائية للقضاء على العدوان المحتمل، والتهديد بالاسطول السادس وما يحمله من أسلحة نووية.

كما بذلت هذه الحملة الاعلامية الاغراءات السخية برفع مستوى شعب المنطقة المعاشي والاقتصادي، محاولة بذلك ان تسبغ صفة انسانية اخلاقية على المطامع الاستعمارية للولايات المتحدة وعلى نزوعها للانفراد باستغلال بترول الشرق الأوسط ودعمها للاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

كل ذلك صاغته الولايات المتحدة ضمن مشروع عرف باسم مشروع ايزنهاور، وقد قدمه الرئيس الامريكي الى الكونغرس للموافقة عليه في مطلع كانون ثاني عام 1957 وفيما يلي نص هذا المشروع :

اسمحوا لي أن أعرب عن عظيم امتناني لمجاملتكم وتحملكم بعض المشاق باتاحة المجال لي للتحدث اليكم عن مسألة اعتبرها ذات أهمية خطيرة بالنسبة لبلادنا.

سأستعرض في كلمتي الآتية عن الولايات المتحدة، الوضع الدولي من ناحية عامة لأن هنالك آمالا واسعة النطاق شاملة للعالم يمكن أن ترد الى الذهن دون أن تتخطى حد المعقول، كما أن هنالك مسؤوليات واسعة النطاق شاملة للعالم علينا أن نتحمل أعباءها للتأكد من أن الحرية - ومن جملتها حريتنا- مضمونة أكيدة، إلا أنه يوجد وضع خاص في الشرق الأوسط، وهو وضع أشعر أن من واجبي أن أعرضه عليكم الآن.

وقبل أن أفعل ذلك يجدر بنا أن نذكر انفسنا أن هدفنا الأساسي القومي في الشؤون الدولية سيظل السلام، سلام عالمي مقام على العدالة، يجب أن يشمل جميع المناطق وجميع شعوب العالم إذا أردنا له أن يكون دائما.

ليس هنالك من أمة كبيرة أو صغيرة سنرفض التفاوض معها، بايمان طيب متبادل وبصبر وعزم على تفاهم أفضل بيننا وبينها، ان مثل هذا التفاهم

سينمي مع مرور الزمن الثقة والوثوق، وهي عناصر لا بد منها في برنامج للسلام ومشاريع نافعة.

ولخدمة هذه الأهداف تعمل حكومتنا بشكل حثيث يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة، ولكن حتى تتكلل مساعينا بالنجاح وتصل الى درجة من شأنها أن تضمن لجميع الأمم حياة يسودها السلام، يجب علينا خدمة لمصالح السلام ذاته أن نبقى مفتوحي الاعين حذرين أقوياء.

أولا: لقد بلغ الشرق الأوسط فجأة مرحلة جديدة دقيقة من تاريخه الطويل الهام، ففي الحقبة الأخيرة الماضية كان في تلك المنطقة دول كثيرة لا تنعم بالحكم الذاتي الكامل، وكان ثمة دول أخرى تنعم بسلطة عظيمة في تلك المنطقة التي كان أمنها يرتكز الى حد بعيد على تلك الدول الكبرى، ولكن منذ الحرب العالمية الأولى هنالك تطور مستمر نحو الحكم الذاتي والاستقلال، وقد رحبت الولايات المتحدة بهذا التطور وشجعت عليه. إن بلادنا تدعم دون أي تحفظ السيادة الكاملة والاستقلال الناجز لكل امة في الشرق الأوسط.

ان التطور نحو الاستقلال كان من ناحية عامة عملية سليمة، ولكن منطقة الشرق الاوسط كانت غالبا مسرحا للاضطرابات. فالتيارات المتعاكسة المستمرة من عدم الثقة والخوف، المشفوعة بالغزوات عبر الحدود القومية، قد أدت الى درجة عالية من عدم الاستقرار في جزء كبير من الشرق الأوسط.

وفي الآونة الأخيرة نشب قتال وأعمال عدائية قامت بها بعض أمم أوروبا الغربية التي كانت فيما مضى تتمتع بنفوذ كبير في منطقة الشرق الأوسط، وان الهجوم الواسع النطاق الذي شنته اسرائيل في شهر تشرين الأول الماضي قد وسع كثيرا شقة الخلاف بين تلك "الأمة" وجيرانها العرب، كما أن عدم الاستقرار هذا تعاظمت موجته، وفي بعض الأحيان، بفعل الشيوعية الدولية.

ثانيا : لقد حاول حكام روسيا منذ أمد بعيد أن يسيطروا على الشرق الأوسط، وهذه الحقيقة كانت تنطبق على القياصرة كما أنها تنطبق الآن على البولشفيك. اما الاسباب فليس من العسير ان نجدها. فهي لا تتعلق بأمن روسيا، لأنه لا أحد يعتزم أن يستخدم الشرق الأوسط كقاعدة للهجوم على روسيا. ولم تكن الولايات المتحدة قط لتفكر في ذلك على الاطلاق.

وليس للاتحاد السوفيتي مطلقا ما يخشاه من الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، أو المناطق الأخرى من العالم، ما دام حكامه لا يبادرون هم أولا باللجوء الى العدوان، وهذه الحقيقة يمكنني أن أصرح بها رسميا على الملأ، كما أن رغبة روسيا في السيطرة على الشرق الأوسط لا تنبثق من مصالحها الاقتصادية الخاصة في هذه المنطقة، فروسيا لا تستخدم قناة السويس كثيرا. كما أنها لا تعتمد عليها، ففي عام 1955 كانت حركة مرور روسيا عبر قناة السويس لا تشكل سوى ثلاثة أرباع من واحد في المئة من المجموع، والسوفييت لا يحتاجون الى موارد النفط التي تشكل الثروة الطبيعية للمنطقة، كما أنهم لا يستطيعون أن يقدموا سوقا لها، لأن الاتحاد السوفيتي في الواقع هو من الدول المصدرة للنفط بكميات كبيرة. إن روسيا تريد السيطرة السياسية فقط. فالسبب الذي يحدو بروسيا الى الاهتمام بالشرق الأوسط انما هو بسط نفوذها السياسي عليها، واذا أخذنا بعين الاعتبار هدفها العلني ببسط الشيوعية على العالم، فإنه يصبح من السهل علينا أن نفهم آمالها بالسيطرة على الشرق الأوسط.

لقد كانت هذه المنطقة دوما ملتقى بالنسبة الى قارات النصف الشرقي من العالم، وقناة السويس تمكن أمم آسيا وأوروبا من تسيير تجارتها فهي لا غنى عنها إذا كانت هذه الدول تريد أن تحافظ على الازدهار الاقتصادي، فالشرق الأوسط إذن هو بمثابة باب بين أوروبا وآسيا وافريقيا، وهو يحتوي على ثلثي دفائق البترول المعروفة حتى الآن في العالم، كما انه يوفر النفط لسد حاجات كثير من أمم أوروبا وآسيا وافريقيا، وان أمم اوربا تعتمد بنوع خاص على هذا البترول، وهذا الاعتماد ليس فقط من حيث النقل بل ايضا من حيث الانتاج، وهذه حقيقة قد ثبتت بجلاء بعد اعلان قناة السويس وبعد نسف أنابيب البترول.. نعم يمكن ايجاد وسائل نقل أخرى، كما يمكن توفير مصادر طاقة أخرى إذا ما اقتضى الأمر، غير ان ذلك لا يمكن ان يؤخذ بعين الاعتبار في القريب العاجل.

إن هذه الأمور تؤكد الأهمية القصوى للشرق الأوسط، فإذا قدر لأمم تلك المنطقة أن تفقد استقلالها، واذا قدر لها أن ترزح تحت سيطرة قوات أجنبية معادية للحرية، فإن هذا سيكون مأساة وكارثة للمنطقة ولعدد كبير من الأمم الحرة التي تصبح حياتها الاقتصادية خاضعة لما يقرب من الاختناق، وعندها تحدق الاخطار بأوروبا الغربية كأنه لم يكن هنالك مشروع مارشال،

ولم تكن هنالك منظمة حلف الأطلسي، كما أن الأمم الحرة في آسيا وافريقيا تتعرض أيضا لأخطار جسيمة، يضاف الى ذلك أن بلدان الشرق الأوسط ستخسر أسواقها التي تعتمد عليها اقتصادياتها، وكل هذا سيكون له أسوأ العواقب على الحياة الاقتصاية لأمتنا وأمانيها السياسية إن لم تصب بكارثة.

كما أن هنالك عوامل أخرى أبعد مدى من الناحية الاقتصادية: إن الشرق الأوسط هو مهد الديانات الكبرى الثلاث الاسلام والمسيحية واليهودية... إن مكة والقدس اكثر من مجرد أمكنة على الخارطة، انهما ترمزان الى ديانات تبشر بأن الروح هي فوق المادة، وان الفرد له كرامته وحقوقه التي لا تستطيع اي حكومة طاغية أن تحرمه منها بطريقة مشروعة، وإذا قدر للأمكنة المقدسة أن تخضع لحكم يمجد المادية واللادينية فان هذا سيكون أمرا لا يحتمله العالم.

وطبعا تحاول الشيوعية الدولية أن تستر اغراض سيطرتها بتعبيرات وعبارات تنم على نوايا طيبة جذابة براقة سطحية لمساعدات سياسية أو اقتصادية وعسكرية، ولكن يجدر بأية أمة حرة معرضة للاغراء اذا ما أرادت أن تمارس حكمة أولية أن تنظر الى ما وراء الستار.

تذكروا مصير استونيا ولاتيفيا وليتوانيا، في عام 1939 دخل الاتحاد السوفيتي طرفا في مواثيق مساعدة مشتركة مع هذه البلاد التي كانت مستقلة، وقال وزير خارجية السوفييت مخاطبا الدورة الخامسة الاستثنائية لمجلس السوفييت الاعلى في شهر تشرين أول عام 1939معلنا برزانة وعلى رؤوس الأشهاد "أن الاتحاد السوفيتي يقف مستعدا لتنفيذ المواثيق بدقة، ودون هوادة، على اساس المعاملة المتبادلة التامة، واننا نعلن أن جميع الكلام السخيف حول صبغ بلدان البلطيك بالصبغة السوفيتية لا يخدم إلا أغراض اعدائنا المشتركين وجميع مروجي الدعايات المناوئة للسوفييت" ومع هذا كله فإن الاتحاد السوفيتي قام في عام 1940 بدمج استونيا ولاتيقيا ولتوانيا بالقوة ملحقا هذه البلدان بالاتحاد السوفيتي.

كما أن الاتحاد السوفيتي قد احتفظ بالقوة بسيطرته على الدويلات السائرة في فلكه في أوربا الشرقية، على الرغم من وعوده الجدية بأنه ينوي عكس ما فعل، تلك الوعود والعهود التي قطعها على نفسه خلال الحرب العالمية الثانية.

وبعد موت ستالين أمل العالم أن يتغير هذا النسق عندما تعهد حلف وارسو في عام 1955 "بأن الاتحاد السوفيتي سيتبع في البلدان السائرة في فلكه مباديء الاحترام المتبادل لاستقلال هذه البلدان وسيادتها، كما أنه لن يتدخل في شؤونها الداخلية" ولكننا رأينا مؤخرا كيف اخضعت المجر بالقوة المسلحة الغاشمة، وبعد هذه المأساة المجرية هبط احترام العالم وايمان العالم بالوعود السوفيتية الى أغوار بعيدة، وأضحت الشيوعية الدولية تحتاج بل وتسعى الى نجاح ملموس. وهكذا نجد أمامنا هذه الحقائق البسيطة التي لا يتطرق اليها الشك ولا تقبل الجدل:

1- ان الشرق الأوسط الذي طالما طمعت به روسيا هو الآن محط أنظار الشيوعية الدولية أكثر من أي وقت مضى.

2- ان الحكام السوفييت ما زالوا يظهرون أنهم لا يترددون أبدا في استخدام أي وسيلة للوصول الى غاياتهم.

3- ان الامم الحرة في الشرق الأوسط تحتاج وفي اكثر الحالات تفتقر الى تعزيز قوتها لضمان استقلالها.

ثالثا : ان افكارنا بصورة طبيعية تتجه الى الأمم المتحدة بصفتها حامية للامم الصغيرة. فميثاقها يعطيها المسؤولية الأولى في صيانة السلام الدولي والأمن.

إن بلادنا قد منحت الأمم المتحدة تأييدها الشامل بصدد الأعمال العدائية التي نشبت في كل من المجر ومصر، وقد استطاعت الأمم المتحدة أن تصل الى وقف اطلاق النار وانسحاب القوات المعادية من مصر، لأنها كانت تتعامل مع حكومات وشعوب تحترم بشكل لائق آراء بني البشر كما صورتها الجمعية العمومية للأمم المتحدة.. ولكن في حالة المجر كان الوضع مختلفا كما وصفنا، فقد استخدم السوفيت حق الفيتو فحال دون اتخاذ مجلس الأمن اجراءات تتطلب سحب القوات المسلحة السوفيتية من المجر، كما ان الاتحاد السوفيتي أظهر عدم مبالاة عظيمة بتوصيات وحتى لانتقاد الجمعية العمومية لمسلكه.

إن الامم المتحدة تستطيع دائما أن تكون مفيدة ولكن لا يمكن أن تكون حاميا للحرية يصح الاعتماد عليه كليا عندما تكون مطامع ومطامح السوفيت هناك.

رابعا : وبسبب هذه الأوضاع التي بسطتها لكم، فإن مسؤولية عظمى تقع على كاهل الولايات المتحدة.

لقد اظهرنا بصورة لا تدع المجال لأحد للشك، ايماننا بالمبدأ القائل ان القوة يجب ألا تستخدم دوليا لأية غاية عدوانية، وان استقلال دول الشرق الأوسط ووحدة أراضيها يجب أن يبقيا موضع الصيانة والاحترام، ونادرا ما حصل في التاريخ أن يتعرض ايمان دولة بمبادئها للامتحان الشديد كما حدث لنا في الأيام القليلة الماضية؟

ان ثمة اعتقادا شاملا، في الشرق الأوسط والمناطق الأخرى من العالم، بأن الولايات المتحدة لا تحاول بسط سيادة سياسية أو اقتصادية على أي شعب. بل جل رغبتنا هي في توفير بيئة من الحرية -لا من العبودية- في العالم، ومن ناحية أخرى فان كثيرا من امم الشرق الأوسط، ان لم يكن كلها، تدرك الخطر الكامن في الشيوعية العالمية، وترحب بتعاون أوثق مع الولايات المتحدة لكي تحقق لنفسها أهداف الأمم المتحدة من استقلال ورفاه اقتصادي ونمو روحي.

واذا كان الشرق الأوسط يرغب في أن يواصل القيام بدوره الجغرافي لجمع الشرق والغرب بدلا من تفريقهما، وإن كان عليه أن يستخدم موارده الاقتصادية العظيمة لرفاه شعوبه ورفاه الشعوب الأخرى: وإن كان يريد أن يحافظ على ثقافاته وأديانه و"هياكله" للنهوض بأرواح الشعوب، فإن على الولايات المتحدة أن تفصح عن استعدادها لتأييد استقلال الامم المحبة للحرية في تلك المنطقة.

خامسا : وفي ظل هذه الظروف اعتبر أنه من الضروري السعي وراء تعاون مجلس الكونغرس، وما لم يتسن لنا مثل هذا التعاون فإنه لن يكون في وسعنا اعطاء تأكيد جديد يتطلبه أمر الحيلولة دون حدوث عدوان، وتشجيع وتقوية ثقة اولئك الذين نذروا أنفسهم للعمل في سبيل الحرية، وبذلك نحول دون وقوع سلسلة من الحوادث من شأنها أن تحيط بأخطار جسيمة جميع أرجاء العالم الحر..

وقد سبق للولايات المتحدة وأصدرت عدة تصريحات تنفيذية تتعلق بالشرق الأوسط ومنها التصريح في 25-5-1950 وقد تلاه تأكيد من رئيس الولايات المتحدة صدر في 31-10-1950 لجلالة ملك المملكة العربية

السعودية، ومنها أيضا التصريح الرئاسي في 9 نيسان عام 1956 والذي يقول بأن الولايات المتحدة ستعارض ضمن اطار وسائل دستورية أي عدوان في منطقة الشرق الأوسط، ومنها ايضا تصريحنا في 29-11-1956 الذي قلنا فيه أن أي تهديد لحرمة أراضي ايران والعراق والباكستان وتركيا أو لاستقلال هذه البلدان السياسي ستنظر اليه الولايات المتحدة نظرة ملؤها الخطورة.

ومع هذا كله فإن الضعف الذي ينطوي عليه الوضع الحالي والخطر المتزايد من الشيوعية الدولية، قد جعلني مقتنعا بأنه يجب على السياسة الاميركية الأساسية أن تجد لنفسها تعبيرا في إجراء مشترك من قبل الكونغرس والسلطة التنفيذية. أضف الى ذلك أن تصريحنا المشترك عن عزمنا يجب أن يوضع في قالب وصيغة تتجلى فيها حقيقة اننا مستعدون لدعم كلامنا بالعمل اذا تطلب الأمر ذلك.

انه ليس بجديد أن يشترك الرئيس مع مجلس الكونغرس في إدراك ان حرمة اراضي أية أمة حرة تتصل اتصالا مباشرة بأمننا وسلامنا.

لقد اشتركنا مع غيرنا من الأمم في خلق ودعم نظام الأمن للأمم المتحدة بسلسلة من ترتيبات الدفاع المشترك. وها نحن اليوم نرتبط بمعاهدات أمن مع 42 أمة أخرى تدرك أن سلامتها وأمنها وسلامتنا وأمننا هي أمور متشابكة بعضها مع بعض، لقد اشتركنا لاتخاذ اجراء حكم يتعلق باليونان وتركيا وآخر يتعلق بجزيرة فورموزة.

وهكذا فان الولايات المتحدة قامت -عن طريق العمل المشترك بين الرئيس والكونغرس- أو عن طريق مجلس الشيوخ في حالة عقد المعاهدات، قامت في كثير من المناطق المهددة، بإظهار رغبتها في تأييد الحكومات الحرة المستقلة، والذود عن السلام ضد كل تهديد خارجي، ولا سيما تهديد الشيوعية العالمية ومن ثم فقد ساهمنا في المحافظة على السلام والأمن خلال فترة خطر عظيم، وانه لمن الأمور الأساسية الآن، ان تعرب الولايات المتحدة بواسطة قرار مشترك بين الرئيس والكونغرس، عن عزمها في مساعدة من يرغب في المساعدة من أمم منطقة الشرق الأوسط.

أما القرار الذي اقترحه فإنه يحتوي على القضايا التالية :

انه أولا يخول الولايات المتحدة بأن تتعاون وتساعد أي أمة أو مجموعة أمم في منطقة الشرق الأوسط على وجه العموم، بغية تعزيز طاقتها الاقتصادية التي تهدف الى المحافظة على استقلالها الوطني.

وهو ثانيا يسمح للسلطة التنفيذية ان تتولى في تلك المنظمة تنفيذ برامج للمساعدة العسكرية والتعاون مع أي دولة أو مجموعة دول ترغب في تلك المساعدة.

وهو ثالثا يسمح بأن تنطوي هذه المساعدة وهذا التعاون على استخدام القوات المسلحة الاميركية لضمان وحدة الأراضي والذود عن الاستقلال السياسي للدول التي تطلب مثل تلك المساعدة لمقاومة كل عدوان علني مسلح تقوم به أية دولة تخضع للشيوعية الدولية.

وعلى هذه الاجراءات أن تكون منسجمة مع التزامات الولايات المتحدة بموجب معاهداتها، بما في ذلك ميثاق الأمم المتحدة، كما ان هذه الاجراءات تخضع في حالة وقوع عدوان مسلح للسلطة العليا المعترف بها لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بموجب الميثاق المذكور.

ورابعا : فان هذا الاقتراح يخول الرئيس سلطة الانفاق في سبيل الغايات الاقتصادية والدفاع العسكري من الأموال المتوفرة لدينا بموجب قانون الأمن المتبادل المبرم عام 1954 مع التعديلات التي أدخلت عليه، دونما التقيد بالحدود الحاضرة.

ان التشريع الذي أطلبه الآن يجب ألا ينقض أمر تحويل أو تخصيص أموال، لأنني اعتقد أنه في الظروف التي اقترحها فإن الأموال المخصصة حاليا تكفي لما تبقى من السنة المالية الحالية التي تنتهي في 30 حزيران، وعلى كل فإنني سأسعى في تشريع لاحق وراء تخويلي صلاحية انفاق 200.000.000 دولار توضع تحت التصرف خلال كل من السنوات المالية 1958، 1959 لتستخدم حسب الظروف وحسبما أرى في المنطقة بالاضافة الى برامج الامن المتبادل للمنطقة التي سيوفرها مجلس الكونغرس فيما بعد.

سابعا : ان هذا البرنامج لن يحل جميع مشاكل الشرق الأوسط، كما انه لا يعرض صورة لسياساتنا في المنطقة، فهنالك مشكلة فلسطين والعلاقات بين اسرائيل والدول العربية، ومستقبل اللاجئين العرب، وثمة مشكلة مستقبل وضع قناة السويس، ان هذه المصاعب تزيدها خطورة الشيوعية الدولية،

ولكنها توجد حتى ولو لم يكن الخطر الشيوعي هناك، ولن يكون غرض التشريع الذي اقترح معالجة هذه المشاكل مباشرة، فالأمم المتحدة ناشطة وعاملة بصدد جميع المسائل ومعنية أشد العناية بها، ونحن نؤيد الأمم المتحدة في مساعيها، وقد أوضحت الولايات المتحدة وعلى الأخص بخطاب وزير الخارجية دالس في 26-8-55 اننا مستعدون ان نفعل الشيء الكثير لمساعدة الأمم المتحدة على حل المشاكل الأساسية لفلسطين.

ويهدف التشريع المقترح من ناحية رئيسية نحو معالجة امكانية عدوان شيوعي مباشر أو غير مباشر، وهنالك حاجة ملحة الى سد أي افتقار الى القوة في المنطقة، ليس بقوة خارجية أو أجنبية بل بزيادة عنفوان وقوى وأمن الأمم المستقلة في المنطقة.

وقد علمتنا التجارب أن التعاون غير المباشر نادرا ما يصيب نجاحا، - إذا كان يصيب اي نجاح- عندما يكون ثمة أمن معقول يقف في وجه عدوان مباشر، وحيث يوجد تحت تصرف الحكومة قوات أمن مخلصة، وحيث تكون الأحوال الاقتصادية في وضع لا يجعل الشيوعية تبدو أنها الطريق الوحيد الجذاب.

والبرنامج الذي اقترحه يعالج جميع هذه النواحي لهذه المسألة وبذلك يعالج مشكلة العدوان غير المباشر.

وان أملي واعتقادي هو أنه اذا ما تم اقرار هدفنا الذي نقترحه في هذا القانون، فان من شأن ذلك ان يحول دون تحقيق أي عدوان مرتقب. كما نكون قد بعثنا الأمل في قلوب الوطنيين الذين وقفوا حياتهم لخدمة استقلال بلادهم، إذ أنهم لن يشعروا أنهم يجابهون وحدهم تهديد دولة كبرى، ويجب ان اضيف ان الوطنية هي في تلك المنطقة عاطفة قوية، ومن الصحيح ان الخوف يفسد في بعض الاحيان الوطنية الصحيحة ويحولها الى تعصب والى قبول اغراءات خطيرة من الخارج، ولكن اذا ما اقصي ذلك الخوف، فإن الجو يصبح حينئذ اكثر ملاءمة لتحقيق مطامع الوطن النبيلة.

وكما سبق لي أن قلت، سيصبح من الضروري لنا أن نساهم اقتصاديا في تعزيز تلك الدول، أو مجموعة الدول التي تملك حكومات قطعت على نفسها عهدا بأن تحافظ على استقلالها وتقاوم الحركات الهدامة، وان من

شأن هذه الاجراءات أن توفر أكبر ضمانة ضد الأساليب الشيوعية الملتوية، إذ أن الكلام وحده لا يكفي.

ثامنا: واسمحوا لي أن أشير مجددا الى سلطة استخدام القوات المسلحة الاميركية للمساهمة في الدفاع عن وحدة الاراضي والاستقلال السياسي لأي دولة من دول المنطقة، بغية مقاومة كل عدوان شيوعي مسلح. ان هذه السلطة لن تستخدم الا بإرادة الدولة المهاجمة، وفي غير ذلك فإني آمل أملا صادقا بأ، مثل هذه السلطة لن تستخدم أبدا.

ولا شيء اكثر ضرورة لتأكيد ذلك من أن نعلن سياستنا للدفاع عن تلك المنطقة بسرعة ووضوح وعزيمة. وهكذا تتمكن الامم المتحدة وجميع الحكومات- الصديقة منها وغير الصديقة- أن تعرف بجلاء موقفنا.

واذا ما خاب أملي وتوقعي ونشأت أوضاع تدعو الى تطبيق الناحية العسكرية من هذه السياسة التي اطلب من الكونغرس أن يوافق عليها، فإني و لاشك سأكون على اتصال وثيق بالكونغرس، الساعة تلو الساعة إذا ما كان في حالة الانعقاد، وان لم يكن الكونغرس في حالة انعقاد، وان انطوت الاوضاع على ملابسان خطيرة، فلا شك أنني سأدعو الكونغرس فورا الى عقد دورة خاصة.

وفي الوضع الحالي فإن الخطر الاعظم كما هي الحالة غالبا يكمن في سوء حسبان من جانب الطغاة الطامحين. فاذا قدر للشيوعيين المتعطشين الى السيطرة أن يحسبوا خطأ أو صوابا أن الشرق الأوسط يفتقر الى أسباب الدفاع الكافية عنه فلربما وسوس لهم الشيطان لاستخدام الاجراءات المكشوفة لعدوان مسلح. واذا حدث هذا فانه يكون بداية لسلسلة من الظروف التي من المؤكد ان تورط الولايات المتحدة باجراء عسكري. انني مقتنع ان افضل ضمان ضد طاريء خطر هو أن نوضح الآن استعدادنا للتعاون تعاونا شاملا وبحرية مع اصدقائنا في الشرق الأوسط بطرق تنسجم وتتلاءم مع أغراض ومبادئ الأمم المتحدة.. وانني انوي إرسال بعثة خاصة للشرق الأوسط بسرعة لشرح التعاون الذي نحن على استعداد لتقديمة.

تاسعا : ان السياسة التي لخصتها تنطوي على بعض أعباء وبعض اخطار ومجازفات للولايات المتحدة. إن اولئك الذين يطمعون بالمنطقة لن يعجبهم ما اقترحته. الا انه قبل هذا رأى الاميركيون مصالح الأمة الحيوية والحرية

الانسانية تحيط بها الاخطار ولكن منعتهم وعزمهم كانا قادرين على مجابهة الأزمة على الرغم من التشوية العدائي لكلماتنا ودوافعنا وإجراءاتنا.

وحقا فإن تضحيات الشعب الاميركي في سبيل قضية الحرية ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية قد قيست بعدد عديد من بلايين الدولارات وبآلاف من الأرواح الزكية لشبابنا، ان هذه التضحيات التي صانت حرية مناطق واسعة في العالم يجب ألا تهدر وألا تذهب سدى.

وفي تلك الفترات الحرجة المليئة بالحوادث في الماضي اتحدت كلمة الرئيس وكلمة مجلس الكونغرس دون روح حزبية لخدمة المصالح الحيوية للولايات المتحدة والعالم الحر.

وقد اتيح لنا المجال مرة ثانية لنظهر من جديد وحدتنا القومية في دعم الحرية، ولندلل على احترامنا الكامل لحقوق واستقلال كل أمة، مهما كانت عظيمة ومهما كانت صغيرة، إننا لا نسعى وراء العنف بل وراء السلام، ولهذا الفرض يجب علينا الآن أن ننذر انفسنا وتكرس نشاطنا وعزمنا ...

داويت ايزنهاور

البيت الابيض

ردود الفعل على مبدأ ايزنهاور - بيان لجنة الاتصال

ما ان أعلن مبدا ايزنهاور حتى بادرت لجنة الاتصال الشعبي لاصدار بيان تفضح فيه أغراض المبدأ الاستعمارية وخطره على الأمة العربية، وقد ندب الاستاذ فؤاد جلال نفسه لوضع صيغة البيان، فاعتبر ذلك علامة على موقف الرئيس جمال عبد الناصر غير المباشر من هذا المبدأ.

لم يكن البيان الذي أقررناه شاملا، ولكنه كان يفي بالغرض، وهو الاستباق الى تحديد الموقف العربي من السياسة الاميركية، وقد صدر بتاريخ 75/1/11، وفيما يلي نصه :

اننا ندهش ان نرى الولايات المتحدة تبدأ سياسة جديدة بالنسبة للبلاد العربية ولما تنته آثار العدوان الثلاثي على مصر، **ويكون طابع هذه السياسية هو تجاهل للبلاد العربية يكاد يكون تاما، ووضعها في اطار استراتيجي اطلق عليه اسم الشرق الأوسط .**

ان بيان الرئيس الاميركي الى الكونغرس لم يذكر البلاد العربية الا عندما تحدث عن النزاع بينها وبين اسرائيل، وعندما تحدث عن بلدان الشرق الأوسط لم يعترف البيان بأي كيان خاص للبلدان العربية، لذلك فالعرب معذورون ان يعتبروا هذا البيان تجاهلا لحقيقة قائمة في هذا العصر، هي حقيقة الكيان العربي الذي أثبت وجوده في مختلف المناسبات، وفرض على العالم كله الاعتراف به، فكان المنتظر ألا يتجاهل الرئيس الاميركي هذا الكيان.. وقد ظهرت خطوط السياسة التي يقررها هذا البيان بالنسبة لبلدان الشرق الأوسط، وهي تشمل بطبيعة الحال سائر البلدان العربية، فقد قرر بيان الرئيس الاميركي أمورا ثلاثة:

الأولى : ان لبلدان الشرق الأوسط وضعا خاصا يختلف عن وضع جميع البلاد الاخرى.

والثانية : ان موارد هذه البلدان لازمة كل اللزوم لحياة ورفاه غرب أوروبا.

والثالثة: أن أمن هذه المنطقة كان محافظا عليه من قبل الاستعمار، وانه أصبح مهددا فجأة يعد زوال النفوذ الاستعماري، وان أمن هذه المنطقة يؤثر على أمن الولايات المتحدة.

هذه هي الحقائق الثلاث التي رتب عليها البيان الاميركي نتائج خطيرة، وهي أن يكون علاج مشاكل هذه المنطقة منوطا بسياسة خاصة للولايات المتحدة، لا يكفي فيه الخضوع لميثاق الامم المتحدة شأنها شأن غيرها من اجزاء العالم، وبذلك تكون الولايات المتحدة قد ارتكبت خطيئة كبيرة في حق هذه المنطقة، فقد رددت بصورة جديدة ما سبق للاستعمار أن ردده من لزوم هذه المنطقة لرفاهيته وضروة اخضاعها لسيطرته حتى يحقق أغراضه بها، ولا نجد فارقا بين ما أعلنه الرئيس الاميركي، وما سبق أن اعلنه غلاة المستعمرين بالنسبة لهذه المنطقة، اذ أن الرئيس الاميركي كشف القناع وأعلن للعالم أجمع أن ما تحويه هذه المنطقة من موارد لازمة لغرب أوروبا، وكأنه يريد أن يقول أن غرب أوربا قد أظهر عجزه عن السيطرة على هذه المنطقة بعد أن هزم هزيمته الشنعاء في معركة مصر، فأصبح واجبا على الولايات المتحدة أن تؤمن له مطالبه من هذه المنطقة. وانها تعلن على الملأ ان هذه المنطقة هي منطقة نفوذ اميركية لمصلحة الولايات المتحدة وغرب أوربا، وأن ما تضمنه البيان من حماية هذه المنطقة من العدوان

الشيوعي ليس الا تغطيه للهدف الحقيقي الذي يتبين بكل وضوح فلو فرض ان الشيوعية زالت من العالم لبقيت الحقيقة التي يقررها بيان الرئيس الاميركي وهي أن موارد هذه المنطقة لازمة للغرب وللولايات المتحدة.

لذلك فانه من المستغرب ان يعلن الرئيس الاميركي في بيانه في الكونغرس أنه سوف يستخدم القوات الاميركية مباشرة لحماية الشرق الأوسط من العدوان الشيوعي، وانه سوف يستخدم الدولارات الاميركية للمعونة الاقتصادية والمعونات والمساعدات العسكرية لدول المنطقة التي تتقدم بطلب هذه المعونات، ولا شك ان الرئيس الاميركي يعلم تمام العلم أن الشعب العربي وان الحكومات العربية المتجاوبة معه قد أعلنت أنها لن تقبل المعونة من أي جهة كانت إلا إذا كانت بلا قيد ولا شرط، فهو إذن يوجه المعونة الاميركية العسكرية والاقتصادية فعليا الى دول حلف بغداد واسرائيل.

ان في هذا تهديدا خطيرا للاستقرار في هذه المنطقة وتحديا لشعور أبناء الشعب العربي بما فيهم ابناء العراق العربي، والرئيس الاميركي يعلم حق العلم ان الشعب العربي في العراق في ثورة دائمة ضد هذا الحلف بالذات، وضد حكامه الذين خرجوا على ارادته، ولو أجري في العراق استفتاء حرا لكانت الاغلبية الساحقة ضد هذا الحلف والى جانب السياسة العربية المتحررة، وعلى ذلك فان لنا أن نتساءل لمصلحة من يعمل الرئيس الأميركي على تدعيم هذا الحلف في نفس الوقت الذي يعمل فيه على تدعيم اسرائيل لانه لن يتقدم بطلب المعونة الا هذان الجانبان.

لقد أعلن العرب في جميع اقطارهم مرارا وتكرارا انهم مؤمنون بسياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين المتنازعين، وبرهنوا على استعدادهم للتعاون على قدم المساواة مع الجميع، بل انهم قد استطاعوا أن يحتفظوا بحيادهم هذا في احرج الظروف، وقد برهنت على ذلك التضحيات الجسيمة التي تكبدتها مصر في سبيل الاحتفاظ بحيادها أثناء العدوان الغادر عليها، مما جنب العالم خطر حرب عالمية ثالثة.. واذا قدر للسياسة الاميركية الجديدة ان تنفذ لمصلحة حلف بغداد واسرائيل فإنها سوف تأتي بعكس ما اعلن الرئيس الاميركي انه قصد اليه، فبدلا من ان يستقر السلام في هذه المنطقة سوف تصبح مسرحا للقلق والتوتر مما يهدد سلامها وبالتالي سلام العالم.

وعلى ذلك فان لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي تدعو الحكومات العربية الى التشاور لدراسة هذا البيان دراسة تحليلية على ضوء اهداف الأمة العربية، وعلى ضوء المعركة التحررية الكبرى التي تخوضها الأمة العربية ضد المستعمرين، حتى يكون قرارهم بالنسبة لهذا البيان ممثلا لحقيقة الوضع العربي، ولآمال الأمة العربية في مستقبل زاهر سعيد.

وتناشد اللجنة الشعب العربي في جميع اقطاره أن يقف حذرا متنبها لما يراد له من المقاصد المعلنة والخفية التي تكمن وراء هذا البيان، وان يقاوم بكل ما أوتي من قوة جميع المحاولات التي سوف تبذل، باستخدام حلف بغداد واسرائيل وعملاء الاستعمار في كل الاقطار العربية للقضاء على وثبة العرب وطعن القومية العربية.

□

لقد خضنا منذ البداية معارك مريرة مع الاستعمار الاميركي الجديد ولذلك كان الرأي العام واعيا وفاهما لأغراض مبدأ ايزنهاور الاستعمارية ومخاطره في دعم الحركة الصهيونية على حساب الوجود العربي، فكانت سورية مجمعة على رفضه ومقاومته شعبا وحكومة ومجلسا.. وهكذا اصدر وزير الخارجية صلاح البيطار في اليوم الثاني بيانا باسم الحكومة يرفض مبدأ ايزنهاور ويفضح اغراضه الاستعمارية :

اطلعت الحكومة السورية على بيان الرئيس الاميركي ايزنهاور الموجه الى الكونغرس يوم 1957/1/5 وهي اذ ترحب بما ورد فيه من دعم الولايات المتحدة الاميركية بدون تحفظ للسيادة الكاملة والاستقلال لامم الشرق الاوسط، ترى من الواجب تبيان ما يلي :

أولا - ترفض الحكومة السورية النظرية القائلة بان وجود مصالح اقتصادية لدول او لمجموعة من الدول في احدى مناطق العالم يبيح لها الحق في التدخل بشؤون هذه المنطقة للحفاظ على تلك المصالح اذ ان هذه النظرية تخالف بصراحة مبدأ احترام السيادة، هذا المبدا الذي يجب اتخاذه اساسا لعلاقات الدول فيما بينها والذي قام عليه ميثاق الامم المتحدة.

ثانيا - ترى الحكومة السورية ان نظرية الفراغ هي نظرية مصطنعة يتذرع بها الاستعمار لتبرير تدخله وسيطرته. وان الحكومة لترفض هذه النظرية

رفضا قاطعا اذ لا فراغ في منطقة الشرق الأوسط بعد أن حصلت دوله على حريتها واستقلالها كما ان الدول العربية هي وحدها صاحبة الحق الطبيعي في الدفاع عن استقلالها ووحدة اراضيها وفي ممارسة سيادتها الكاملة دون اية سيطرة او نفوذ اجنبي.

ثالثا- ان الوقائع التاريخية البعيدة والقريبة الحدوث والتي مازالت ماثلة في اذهان العالم باسره تثبت بشكل قاطع بانه لا اثر لوجود خطر الشيوعية الدولية في بلادنا يهدد سلامتها واستقلالها وحريتها، بل ان الوقائع الثابتة لتؤكد جزما ان الاضطراب في الوطن العربي واحتمال العدوان عليه ليس لهما من سبب ولا يتأتيان الا من الاستعمار والصهيونية، ولعل متتبع هذه الحوادث يرد مبدأها الى تاريخ طويل حيث ينتهي الى انشاء اسرائيل في قلب الوطن العربي وقد تأيدت مطامع الاستعمار والصهيونية بشكل سافر في تضافر هذين الخطرين بالعدوان الاخير على مصر.

ومن المؤسف ان يغفل الرئيس ايزنهاور الاشارة الى هذا الحادث الدولي الهام والذي وقفت منه اميركا نفسها ورئيسها موقفا يدعو الى التقدير وان توصف الدول المعتدية بانها حكومات وشعوب تحترم بشكل لائق آراء بني البشر.

ان الحكومة السورية اذ تشير الى خطورة بيان الرئيس ايزنهاور لتعلن عن اعتقادها الراسخ بان مهمة الحفاظ على الامن والسلام في الشرق الأوسط منوطة باهل هذه المنطقة الذين لهم وحدهم الحق بالدفاع عن انفسهم تجاه كل خطر يهددهم ايا كان مصدره.

كان جواب الحكومة السورية يعني أيضا أن سورية ما تزال على موقفها من المساعدات الاميركية التي رفضتها في مختلف العهود لأنها كانت تقترن دائما بشروط تمس استقلالها وسيادتها ومصالحها القومية ولا سيما بعد أن لوح وزير الخارجية الاميركية دالس محاولا شراء النظامين السوري والمصري بقوله :

"إن الولايات المتحدة مستعدة لمساعدة كل من سورية ومصر اذا ادت تلك المعونة الى إثارة النضال ضد الشيوعية الدولية، ولكننا لا نرغب بتقديم المعونة لحكومات تعطف على الشيوعية الدولية، وانه ليس هنالك ما يستلزم ان تحصل مصر على مساعدات اميركية اذا ما وافقت على تسوية مسألة قناة

السويس لأنها ستحصل على تلك المساعدات بعد دراسة جميع تصرفاتها لا دراسة تصرف واحد فقط".

ولقد تابعت الحملة على مبدأ ايزنهاور وموقفه من القضية الفلسطينية فنشرت في جريدة البعث (1957/1/11) مقالا تحت عنوان : "السياسة الاميركية توجهها المطامع الاستعمارية" وهذا نصه :

اذا كان مسلما لكل امة حقها في تحديد موقفها تجاه الامم الاخرى على ضوء مصلحتها، فمن حقنا إذن أن نناقش بيان الرئيس الاميركي في الكونغرس من زاوية اتفاقه مع مصلحة الامة العربية ومخالفته لها :

أولا - يتناول بيان ايزنهاور الشرق الأوسط ويحاول ان يضع سياسة عامة واحدة لهذه المنطقة دون تمييز بين الامم التي تنطوي عليها. والحقيقة ان في هذه المنطقة اممـا اسلامية شتى، لكل منها اوضاعها الخاصة وبالتالي امانيها الخاصة، وللامة العربية من بينها اوضاعها ايضا وامانيها الخاصة. فمشكلة فلسطين مثلا هي مشكلة الامة العربية خاصة، وبيان ايزنهاور حين حدد سياسة اميركا تجاه هذه المشكلة لم يأت بجديد بل رجع الى تصريح دالاس في 26 آب سنة 1955، ذلك التصريح المخالف لحق العرب، لانه : 1 - رجوع عن قرار الامم المتحدة في عام 1947 وقرارها عام 1948 بعودة اللاجئين العرب، 2 يعطي اسرائيل مكاسب جديدة على حساب المياه العربية لإرواء النقب واعداده لاستيعاب اكبر عدد من اللاجئين، واقامة حاجز بشري كثيف بين عرب آسيا وعرب افريقيا.

ثانيا - يفترض هذا البيان ان التهديد بالعدوان المسلح المباشر انما يصدر عن الاتحاد السوفياتي، أو الدول التي تهيمن عليها الشيوعية الدولية. اما ان عدوانا من الاستعمار الغربي او من حكومات الشرق الأوسط السائرة بركابه وبتشجيع منه فهو غير محتمل الوقوع، واذا كان محتملا فالامم المتحدة كفيلة برده، لأن مثل هذه الحكومات "تكن قدرا كافيا من الاحترام لآراء بني البشر".

مع ان الوقائع اثبتت، وما زالت تثبت، عكس ذلك. فاسرائيل اغتصبت ارض العرب والامم المتحدة موجودة، وما زالت تمتنع عن تنفيذ قرارات الامم المتحدة منذ سنة 1947. ذلك بينما لم يقع اي عدوان شيوعي حتى الآن.

نحن لا ننكر على الولايات المتحدة، كما لا ننكر على الاتحاد السوفياتي أو أي دولة احرى، ان تقمع العدوان المسلح على استقلال اي دولة في العالم، بل نعتبر هذا العمل حافظا للشعوب المستضعفة، وحافظا بالتالي للسلام العالمي، ما دام تنفيذا لميثاق الامم المتحدة وتنفيذا خاصة لقراراتها.

ولكننا نرى ان مما يكشف عن نوايا استعمارية ان يكون موضوع البيان عدوانا شيوعيا مسلحا مزعوما، ويغفل عن عدوان اسرائيلي واقع، ولا يلتفت صوب أي احتمال لعدوان من قبل الاستعمار الغربي أو من قبل حكومات في هذه المنطقة يسيطر عليها أو يحرضها. مع ان مثل هذا العدوان الاخير ليس محتملا فقط بل هو واقع الآن، فهذه بريطانيا تعتدي على اليمن، وهذه فرنسا تقوم بعدوان مسلح في الجزائر وتستهدف ابادة شعب "من بني البشر". والغريب حقا ان لا يتعرض البيان لمماطلة اسرائيل في الانسحاب من غزة وسيناء. ان العرب لم يشعروا حتى الآن بعدوان صادر عن الاتحاد السوفياتي، بل ولا بآثار لمحاولات من هذا النوع، ان ما يشعرون به هو معركتهم الدامية مع الاستعمار الغربي واسرائيل. وموقف العرب دائما تجاه العدوان واحد، فهم سيقاومون عدوان الاستعمار واسرائيل.

ثالثا - ان هذا البيان يعتبر الشرق الأوسط منطقة نفوذ لاميركا وللاستعمار الغربي، ويقوم على منطق ان الاستعمار كان موكولا اليه في الماضي حفظ الامن في هذه المنطقة، ولكن "بلغ الشرق الاوسط فجأة مرحلة جديدة دقيقة" ، حين حصل "تطور نحو الحكم الذاتي والاستقلال"، فاصبح مسرحا للتوتر والقلق.

ان الاستعمار ما زال محتلا للجنوب العربي، رابطا العراق والاردن باتفاقات ومعاهدات ثنائية، جاثما على المغرب العربي، وما زالت اسرائيل منطقة عدوان ، فهل يعتبر البيان نضال العرب للتحرر من الاستعمار اخلالا بأمن المنطقة، ومهددا بالتالي لسلام العالم؟

ان اميركا، تعطي نفسها بهذا البيان الحق بان تحل محل الاستعمار الغربي لحفظ الامن في هذه المنطقة، وحفظ المصالح الاستعمارية خاصة، وتعتبر ذلك ضروريا، والا اضاعت آثار مشروع مارشال وحلف الاطلسي. وكأن على العرب ان يغذوا هذا الحلف ويتحملوا مسؤوليته مع انه لم يتجه عمليا حتى الآن بقواته واسلحته الا ضد العرب وحريتهم، في معركة الجزائر وفي معركة العدوان الثلاثي على مصر.

ان هذا الادعاء من اميركا يخالف ميثاق الامم المتحدة، لانها تتدخل في سياسة هذه المنطقة وشؤون دولها الداخلية. فالعرب قد نهجوا سياسة الحياد الايجابي، وهي في هذا البيان تحاول، معتمدة على السلاح والدولار، ان تستلب منهم حقهم في انتهاج هذه السياسة. ولا ندري اذا كانت اميركا ترى ان لها الحق ايضا في التدخل بسياسة دول مؤتمر بانونغ، وأن ترغم دولة كالهند على ان تكون منطقة نفوذ لها بحجة المعونات العسكرية والاقتصادية؟

رابعا - واذا اردنا ان نتبين نتائج هذا البيان العملية، نجد :

1- لقد اعلن الشعب العربي رفضه لكل مساعدة عسكرية او اقتصادية تحد من سيادته وتنتهك استقلاله. بينما تتلقى اسرائيل ودول حلف بغداد هذه المعونات من قبل، وستتلقاها من بعد، وعلى نحو أوسع، لا للوقوف في وجه عدوان شيوعي، بل للاعتداء على الدول العربية المجاورة. وفي ذلك تشجيع للعدوان واخلال بسلام هذه المنطقة والسلام العالمي، على عكس ما يعلن البيان.

2- ان السياسة التي يعلن عنها البيان تشجيع للحكومات العربية الخارجة على ارادة الشعب العربي والسائرة في ركاب الاستعمار وتحريض لها، فهي بالتالي تشجيع للانقسام، ستؤدي ايضا الى زيادة في التوتر واخلال بأمن المنطقة والسلام العالمي، بدل ان تكون وسيلة تعاون واتفاق ووحدة واستقرار كما يدعي البيان.

3- يتبين لنا من روح هذا البيان ان عمليات التخريب الداخلي ستحظى بمزيد من التشجيع، فمبلغ الـ (200) مليون دولار الذي يطلب البيان وضعه تحت تصرف الرئيس الاميركي، سيحول قسم كبير منه الى عمليات التخريب، لا الى حفظ الامن والاستقرار وتحقيق الازدهار والنماء كما هو معلن.

والخلاصة : ان العرب الذين تأملوا بعد بادرة الولايات المتحدة ضد العدوان الثلاثي على مصر ان تنهج سياسة مستقلة عن المطامع الاستعمارية ومطامع اسرائيل ، قد خيب هذا البيان أملهم وأكد لهم من جديد ان سياسة الولايات المتحدة لا تزال تتوجه بالمطامع الاستعمارية الخاصة ومطامع الاستعمار الغربي واسرائيل، وانها تعتبر منطقة الشرق الاوسط منطقة فراغ، ولا تعترف بالشعب العربي ولا بالقومية العربية، بل انها تعلن مناهضتها لاماني العرب بالحرية والوحدة.

ان هذا السياسة ليست جديدة، وان اميركا قد تبنتها في مناطق اخرى في العالم، فكان خسرانها كبيرا، وانها ترتكب الاخطاء نفسها، وستجني ما جنت من قبل، وما جنته ايضا السياسات العربية نتيجة مطامعها وقصر نظرها.

□

لم تمض بضعة ايام على موقف سورية الرافض لمشروع ايزنهاور، حكومة وشعبا، ولا سيما بما يتعلق فيه بالقضية الفلسطينية، حتى تكشف للعالم تواطؤ اميركي اسرائيلي جديد يهدف الى فتح خليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية، وقد ظهرت بوادر هذا التواطؤ عندما انعقدت الجمعية العمومية بتاريخ 1957/1/17 للنظر باقتراح الكتلة الاسيوية الافريقية الذي يدعو اسرائيل الى سحب قواتها فورا وبصورة كاملة من قطاع غزة وخليج العقبة فصرح الامين العام للأمم المتحدة هامرشولد كاشفا عن هذا التواطؤ :

"وطبقا للبيان الذي اصدرته اسرائيل في 8-12-56 فان اسرائيل اعلنت عن استعدادها لسحب قواتها من الأراضي المصرية، أما الأهمية الدولية لخليج العقبة فيمكن بحثها لضمان حرية الملاحة في مضائق تيران والعقبة حسب قواعد القانون الدولي المقترن بها".

ثم المح مندوب سيلان الى المباحثات التي يجريها همرشولد مع اسرائيل وقال: "ان شرم الشيخ قطعة من الارض

المصرية كما ان جزيرتي خليج العقبة هما ايضا جزء من مصر". وقد ردت غولدا مائير قائلة :

"ان حكومتها قد عقدت العزم في عناد واصرار على وقف اغلاق خليج العقبة ومضايق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية، فأيدها كابوت لودج مندوب الولايات المتحدة بشكل غير مباشر عندما اقترح على الجمعية العمومية ان تحتل قوات الطواريء الدولية المناطق التي تحتلها القوات الاسرائيلية في قطاع غزة ومنطقة خليج العقبة لان لاحتلالهما من قبل قوة الطواريء الدولية اهمية خاصة".

اجتماع في القاهرة بين رؤساء وملوك ومصر وسورية والسعودية والأردن.

أذيع في واوشنطن ان حكومة الولايات المتحدة ستوجه سلسلة من الدعوات الى زعماء البلدان العربية والشرق الأوسط كجزء من سياسة عامه لمكافحة الشيوعية واقامة محور معاد للسوفييت في الشرق الأوسط، كما تهدف الولايات المتحدة من وراء هذه المحادثات الوصول الى اجماع في الأفكار حول القضايا الهامة.

وفي محاولة للتخفيف من وقع مشروع ايزنهاور اكد مصدر مسؤول ان الولايات المتحدة لم تنظر في وقت من الأوقات الى مبدا ايزنهاور كسياسة شاملة لواشنطن في الشرق الأوسط، بل انه جزء فقط من كيفية معالجتها لقضايا المنطقة، ثم أردف بأنه لا أحد في واشنطن يفكر بعقد اجتماعات على مستوى عال مع الزعماء المصريين الآن، وهكذا كان الملك سعود أول المدعويين الى واشنطن.

وقبل سفر سعود الى الولايات المتحدة اعلن في القاهرة ان اجتماعا سيعقد بينه وبين جمال عبد الناصر يحضره المسؤولون السوريون والاردنيون، ولا شك ان عبدالناصر قد رأى انه من المفيد ان تكون المفاوضات التي سيجريها الملك سعود في واشنطن مدعومة بتكتل عربي كبير، كما ان نقل موقف سورية الرافض

لمبدا ايزنهاور لن يضير هذه المفاوضات بل ربما كان داعما لها. وكانت قضية الانسحاب الاسرائيلي من غزة ومن شرم الشيخ اهم نقطة في هذه المفاوضات.

وهكذا دعا عبد الناصر لاجتماع يعقد في القاهرة بتاريخ 57/1/18 ويحضره الملك سعود والملك حسين ورئيس وزراء سورية صبري العسلي، حيث كان القوتلي غائبا في زيارة للهند وباكستان. ولم يصدر عن هذا الاجتماع بيان مشترك، وانما صرح صبري العسلي اثر رجوعه الى سورية "ان الابحاث مع الملك سعود تناولت مبدا ايزنهاور وقد اعلنت سورية رأيها فيه. وحمل العاهل السعودية وجهة نظر الدول العربية الأربع حول قضايا الشرق الأوسط ليبحثها مع الرئيس ايزنهاور" وقال ايضا "انه لم توضع قضية إصدار بيان عربي مشترك حول مبدا ايزنهاور على بساط البحث" (الرأي العام 22-1-57).

كان انعقاد هذا المؤتمر مناسبة لتوقيع مصر وسورية والسعودية على اتفاقية المعونة العربية الى المملكة الاردنية، فكان توقيعها مبررا للمطالبة بالغاء المعاهدة الاردنية البريطانية التي الغيت اثر ذلك، كما ألغيت قبلها المعاهدة المصرية البريطانية بموافقة بريطانيا نفسها. وقد كان الغاء هاتين المعاهدتين لمصلحة الولايات المتحدة وتمكين نفوذها في المنطقة العربية.

□

الولايات المتحدة توفق بين دول حلف بغداد وبين السعودية والأردن ولبنان لاسقاط الوضع الديموقراطي في سورية وضرب الحركة التحررية في البلدان العربية.

لحق عبد الاله الوصي على عرش العراق بالملك سعود الى واشنطن وصرح بعد اجتماعه بالرئيس ايزنهاور "بأن مبدا ايزنهاور لوقف الخطر الشيوعي في الشرق الأوسط يلقى تقديرا من العراق الذي لا يستطيع الا ان يبدي اغتباطه به" فكان التفاهم بين الولايات المتحدة وحلف بغداد للاطاحة بالوضع الديموقراطي التقدمي في سورية موضوع المقال الذي كتبته في جريدة البعث

بتاريخ 15-2-1957 تحت عنوان "آخر مؤامرات حلف بغداد على سورية :

عندما ربطت حكومة نوري السعيد العراق الشقيق بحلف بغداد، كان يظن بعض الناس - عندما كنا نقول ان هذا الحلف هو بخدمة الاستعمار واسرائيل- ان في قولنا هذا شيئا من المبالغة، وكانوا يقولون ان هذا الحلف يخدم الاستعمار البريطاني في البلاد العربية، بالرغم مما ظهر في مناقشة حلف بغداد في مجلس العموم البريطاني من أنه حلف قائم على خدمة الاستعمار، وعلى خدمة اسرائيل.

وقد بلغت الوقاحة، وقاحة حكومة نوري السعيد وعملاء الاستعمار حدا زعموا فيه ان حلف بغداد موجه ضد اسرائيل، بزعم ان هذا الحلف يستهدف تسليح العراق وانه يوجهه مع الدول الاسلامية ضدها، وأنه قادر أيضا على اجتذاب بريطانيا الى الجانب العربي ضد اسرائيل. وقد انفقت اموال الشعب العربي الطائلة في العراق على شبكات التجسس وإكساء هذه الاباطيل ثوب الحقيقة.

وبدأت هذه الدعايات المضللة تنهار شيئا فشيئا بعد تأميم قناة السويس، وبدأت تظهر مهمة حلف بغداد الحقيقية بخدمة الاستعمار البريطاني الذي لا ينفك عن الاستعمار الصهيوني. وكشف حلف بغداد، والحكومات السائرة في ركابه القناع عن وجوههم، فأصبحت محطة اسرائيل ومحطة بغداد ومحطة صوت بريطانيا، وكأنها محطة واحدة قبيل وبعيد العدوان على مصر.. وقد انكشفت المؤامرة الخطيرة التي كان يعدها حلف بغداد بالتعاون مع الاستعمار واسرائيل، لطعن الجيش السوري من الخلف عند اشتباكه بالمعتدين، واصبحت شبكات التجسس والدعاية لحلف بغداد والاستعمار واسرائيل تعمل علانية ضد القومية العربية، ولم يقتصر ذلك على الدعايات وحبك المؤامرات، بل تخطى هذه الحدود الى النطاق الدولي.

لم يخجل فاضل الجمالي مندوب حكومة نوري السعيد في الأمم المتحدة، ان يطالب الامم المتحدة في كانون الثاني المنصرم، بتوفير قوات دولية لحماية اسرائيل ريثما تتم تسوية القضية الفلسطينية، وذلك اثناء مناقشة اللجنة السياسية للامم المتحدة مسألة نزع السلاح.. اذ قال

الجمالي: "ريثما يتم الوصول الى تسوية نهائية لقضية فلسطين يمكن ان تفرض على اسرائيل حماية القوات المسلحة التابعة للامم المتحدة".

وفعلا فقد ظهر الآن ان فاضل الجمالي كان في حديثه هذا، يمهد في الامم المتحدة، للمشروع الاسرائيلي الرامي لبقاء قوات الامم المتحدة في غزة بحجة حماية اسرائيل من اعمال الفدائيين العرب، وضمان حرية الملاحة في خليج العقبة. وقد اذاعت وكالات الانباء في اليومين الاخيرين، بان اميركا على اتفاق مع اسرائيل ببقاء قوات الامم المتحدة في قطاع غزة، وضمان حرية الملاحة لاسرائيل في خليج العقبة.. مما يظهر ان اميركا لا تزال بجانب مطامع اسرائيل التوسعية في البلاد العربية، وان اميركا لا تقيم وزنا لقرارات هيئة الامم المتحدة الست، بوجوب الجلاء عن قطاع غزة، وشرم الشيخ، الى ما وراء خطوط الهدنة بلا قيد ولا شرط، وان حلف بغداد كان مع اميركا واسرائيل في هذه القضية.

ولا يخفى ان الجمالي قد رحب بمبدأ ايزنهاور في هيئة الامم المتحدة، كما رحب بحماية قوات الامم المتحدة لاسرائيل، قبل ان يقر مبدأ ايزنهاور من قبل الكونغرس ومجلس الشيوخ الاميركي، وقبل ان تتكشف نوايا اسرائيل بمطالبتها ببقاء قوات الامم المتحدة في قطاع غزة، وبحرية الملاحة في خليج العقبة، كشرطين لانسحاب قواتها من الاراضي المصرية. ولا بد من الاشارة هنا الى ان حلف بغداد الخادم لمطامع الاستعمار واسرائيل يرى ان استقلال سورية العقبة الكؤود امام غاياته واغراضه.

لذلك كانت موافقة نوري السعيد مع اسرائيل مساومة من قبل حكومة الحلف لامريكا لتطلق يد الحلف بشن العدوان على سورية. لهذا سافر الوصي على عرش العراق عبد الاله الى اميركا يحمل في شماله موافقته على مشروع اسرائيل، وفي يمينه موافقته على مبدأ ايزنهاور، يقدمهما لأميركا، لتوافق له بالمقابل على شن عدوان سافر على سورية، واقامة عرش له فيها، بعد أن أخفقت المؤامرة الموقوته مع العدوان الاسرائيلي البريطاني الفرنسي على مصر.

لذلك فقد أعلن نوري السعيد مؤخرا، في مجلس النواب العراقي قائلا : "بأن الوضع في سوريا سيتبدل بعد مجيء جلالة الملك سعود، والوصي على عرش العراق من واشنطن" مشيرا بذلك الى مساعي عبد الاله في

وشنطن لأخذ موافقة اميركا على شن العدوان على سورية، ناسيا نوري السعيد ان جلالة الملك سعود، لا يمكن ان يرتكب هذه الخيانة بحق القضية العربية. كما أن اميركا لا تتمكن من الموافقة على هذه الحماقة، وهي تعلم حقيقة الوضع في سوريا، وان اقتحام سورية دونه استبسال شعب قدم على مذبح الحرية في ثوراته المتعاقبة ضد الاستعمار اكثر من مئة الف شهيد. عدا أن مثل هذا العدوان يمكن ان تنطلق منه شرارة حرب عالمية ثالثة.

ومن العجيب ان يقول نوري السعيد هذا في مجلس النواب العراقي برطانته البريطانية وهو يعلم ان ثورة لاهبة ستشب في العراق عندما يخرج الجيش العراقي من عرينه متوجها الى سورية. اما اذا كان نوري السعيد يأمل بأن يحقق اغراضه في سورية بواسطة الجيش الاسرائيلي فيكون قد ضل ظلالا بعيدا. ومما لا يخفى ان المسؤولين في لبنان الذين احتموا وراء ستار الحياد بين ما أسموه بالمعسكرين العربيين عند عقد حلف بغداد، ان هؤلاء المسؤولين جعلوا من لبنان قاعدة للتآمر والتجسس ونشر الدعايات الضارة ضد القضية العربية لمصلحة الاستعمار واسرائيل، لأن هؤلاء المسؤولين شبكة من شبكات حلف بغداد، وما الحياد الذي يزعمونه، الا ستارا لتغطية اغراضهم الحقيقية.

نشرت المصادر المسؤولية في لبنان اثر مجيء عبد الاله الى بيروت واجتماعه بالرئيس شمعون في طريقه الى لندن وواشنطن. ان سورية قضى عليها بالتقسيم وان للبنان نصيب وافر من اشلائها! هذا ما يفسر حملة الافتراءات والاباطيل التي تحملها وكالات الانباء اللبنانية، وتنشرها الصحف في لبنان، مع أن هذه الوكالات والصحف كلها لا زالت تحت الرقابة الحكومية. فتزعم هذه الوكالات والصحف بكل وقاحة ان هناك مظاهرات دامية في حلب وحمص وتدعي ان المخابرات بينها وبين دمشق مقطوعة وتزعم ايضا بأن الجيش يحتلهما وتحصي عدد القتلى والجرحى، بكل وقاحة وبدون خجل او استحياء. تماما كما تلفق محطة اسرائيل وبغداد وصوت بريطانيا، غير عابئة بان في لبنان شعبا واقعا في قلب سورية ولا يمكن ان تنطلي عليه هذه الاكاذيب والاباطيل. وهذا ما يؤكد ان هذه الدعوات الكاذبة ما هي الا للتصدير للخارج لدعم الدسائس التي يقوم بها المسؤولون في لبنان ضد سوريا والقومية العربية.

وهذا مما يدعو الحكومة السورية لاتخاذ موقف من المسؤولين في لبنان على ان يقترن هذا الموقت بشرح جميع الادوار التي قاموا بها ضد سورية للشعب العربي في لبنان. لئلا يعتبر هذا الموقف تدبيرا انتقاميا منها، لأن سورية حريصة على استقلال لبنان وعلى تقدمه وازدهاره وأمنه واستقراره كما هي حريصة تماما على مصلحتها وتقدمها وازدهار امنها واستقرارها.

الملك سعود في الولايات المتحدة .

كان في راس الاهتمام الاميركي آنذاك تنسيق سياسة السعودية مع حلف بغداد ضد الحركة العربية التحررية، فعقد الوصي عبد الاله مع الملك سعود اجتماعا صرح بعده بأن اجتماعه بالملك السعودي لن يكون الأول والأخير، وانه أبلغ وزير الخارجية دلس موافقته على مبدا ايزنهاور وانه حصل للعراق على مساعدات عسكرية وفنية.

وقد تحدثت وسائل الاعلام عن الاهداف العلنية لزيارة الملك سعود وهي :

تجديد عقد الايجار للقاعدة الجوية في الظهران ومستقبل قناة السويس وحرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة، وهي مسؤولية مشتركة ما بين مصر والسعودية، وقضية مكامن البترول المتنازع عليها بين بريطانيا والولايات المتحدة، وبتاريخ 1957/2/10 صدر البيان المشترك السعودي الاميركي الذي كشف جانبا مهما من محادثات سعود ايزنهاور وهو موضوع قاعدة الظهران وفيما يلي نص البيان:

"اختتم اليوم جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية والرئيس ايزنهاور سلسلة المباحثات التي اجرياها اثناء زيارة جلالة الملك سعود الرسمية، وكان جلالته والرئيس قد اجتمعا قبل ذلك في الثلاثين من كانون الثاني والأول من شباط، وقد رفدت مباحثاتهما اجتماعات اخرى عقدت خلال الاسبوع الماضي بين جلالته ومستشاريه من جهة وبين وزير الخارجية وبعض المسؤولين الاميركيين الآخرين من جهة أخرى. وقد اتاحت هذه الاجتماعات الفرصة لتأكيد الصداقة الوثيقة القائمة منذ زمن طويل

بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة. وفي جو ودي تبادل الملك والرئيس وجهات النظر حول الكيفية التي يستطيع بها البلدان ان يعملا معا لدعم السلام في الشرق الأوسط وقد توصل رئيسا الدولتين الى اتفاق تام حول ما يلي :

أولا - ان المملكة العربية السعودية بما لها من مركز روحي وجغرافي واقتصادي ومن أهمية حيوية في الشرق الأوسط، ولمصلحة السلام العالمي يجب ان تقوى هذه المملكة للمحافظة على استقرارها، صيانة للتطور المطرد للنظم في هذه المنطقة.

ثانيا - ان الحكومتين سوف تبذلان الجهود لتسوية مشكلات منطقة الشرق الأوسط بصورة عادلة بالوسائل السلمية والمشروعة، في نطاق ميثاق الامم المتحدة، وهما تؤكدان معارضتهما الحازمة لاستخدام العنف من اي مصدر كوسيلة لتسوية المنازعات الدولية.

ثالثا - ان هدف شعوب المنطقة هو صون استقلالها التام، وأن تعيش في سلام، وتتمتع بالرخاء والحرية الاقتصادية، وأي اعتداء على استقلال هذه الدول السياسي أو سلامتها الاقليمية، وكل تدخل من أي جهة في شؤون دول المنطقة، سوف يعرضان السلام والاستقرار للخطر، ويجب معارضة مثل هذا العمل طبقا لاغراض الامم المتحدة ومبادئها.

رابعا - وقد اعرب جلالته عن غايته في استمرار التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة، كما حمل رغبات زعماء عرب آخرين في تحسين علاقاتهم مع الولايات المتحدة. وقد شرح الرئيس ايزنهاور أهداف مقترحاته المعروضة على الكونغرس فيما يتعلق بالشرق الأوسط، مشيرا الى انها تهدف الى اكمال مبدا عدم الاعتداء المعبر عنه في ميثاق الامم المتحدة، والى تعزيز استقلال الشعوب العربية، وتحقيق امانيها الصحيحة، وقد تلقى جلالة الملك سعود هذا التفسير بالارتياح وأكد للرئيس ايزنهاور انه يرحب بكل خطوة تدعم مبادئ الأمم المتحدة وتحترم استقلال الدول وسيادتها وتقرير مصير الشعوب.

وفيما يتعلق بالدفاع العسكري للمملكة العربية السعودية، بما في ذلك مطار الظهران، اكد الرئيس ايزنهاور لجلالة الملك سعود استعداد الولايات المتحدة لتقديم المساعدة لتعزيز القوات المسلحة السعودية داخل نطاق الاجراءات الدستورية للولايات المتحدة، ولتحقيق هذه الغاية يضع ممثلا

البلـدين الآن الخطـط لتقـديم العتـاد والخـدمات والتـدريبات العسـكرية لاغـراض الدفاع، وصون الأمـن الـداخلي فـي المملكـة، وبـنفس هـذه الـروح أكـد جلالـة الملك سعود للرئيس ايزنهاور عـزم جلالتـه علـى أن تواصـل الولايـات المتحـدة استخدام التسـهيلات التي منحت لها في مطار الظهران مـدة خمـس سـنوات اخـرى طبقـا للشـروط التـي تضـمنها الاتفـاق الـذي وصـل اليـه البلـدان فـي 8 حزيران سنة 1951، وقد وافقت الولايات المتحدة على بحث تقديم التسهيلات الاقتصادية التي تؤدي الى تأكيد الاهداف المشتركة للدولتين ومصالحهما.

سادسا - كمـا تبـادل رئيسـا الـدولتين الـرأي فـي عـدد مـن المسـائل الأخرى ذات المصلحة المشتركة.

□

وفي محاولة لتكذيب الحجة التي تـدعيها الولايـات المتحـدة للقضـاء علـى النظـام الـديموقراطي والاتجـاه الشـعبي القـومي التقدمي في سـورية أدليـت لوكالـة انبـاء الشـرق الأوسـط بتـاريخ 1957/2/10 بالتصريح التالي :

ان اتهام سورية بالشـيوعية والحـديث عـن تغلغـل سـيوفياتي مزعوم، تهويش وتضليل لا يجد أي رصـيد مـن الحقيقـة القائمـة فـي سورية اليوم. واذا كان الاستعمار يتخذ من اتجاه سـورية السياسـي دليلا على التغلغل السوفيتي فان ما يفضح هذه الدعوى الكاذبـة ان اتجاه سورية ليس حديثا، ولا هو وليد ارادة فئة من شعبها، انه اتجـاه قديم يعبر عن ارادة شعبها العربي الذي ناضل ضد الاسـتعمار طـوال ربع قرن حتى حقق استقلاله. ان سورية قاومت التكتلات العسـكرية منذ نشأت هذه التكتلات، وإنها كانت البلد العربي الوحيد، من قبل ان يتهموهـا اليـوم بالشـيوعية أو بالتغلغـل السـوفياتي، الـذي رفـض النقطـة الرابعـة والـدفاع المشـترك والمسـاعدات المشـروطة العسكرية والاقتصادية، ولم يكن رفضـها لهـا لأنهـا صـدرت مـن دولـة معينة، أو معسكر معين، وانما لأنها احتوت شـروطا معينـة والتزامـات تمس سيادتها، بل هـي قاومـت التكـتلات وشـروط المسـاعدات مـن قبـل أن تعلـن سياسـة الحيـاد فـي العـالم وأن تجـد طريقهـا الـى العلاقات الدولية.

وما كان لسورية أن تصبح ميدانا لأي نفوذ أجنبي، وهي التي ناضلت الاستعمار بشتى اشكاله وصوره وقاومته بكل حبها للحرية والاستقلال، حتى لم يبق في أرضها شبر لم يجبل- ترابه بدم شهداء حريتها واستقلالها. وكل اتهام لها بانها اصبحت قاعدة أو تسرب اليها نفوذ جديد هو نوع من التضليل والخداع لا يمكن ان يؤخذ به الرأي العام العالمي ولا أن يؤخذ به العرب فيضعف مقاومتهم للاستعمار وحرصهم على تحقيق تحررهم ووحدتهم في ظل الحياد واتجاه القومية العربية التي تملأ كل فراغ وتوجه سياسة المنطقة وتقيم صلاتها بوحي مصالحها الوطنية المشروعة مع العالم الخارجي.

من هذا يتضح ان التهمة التي يلصقونها بسورية لا ظل لها من الحقيقة، والمستعمرون يعرفون أن دعوى الشيوعية والتغلغل السوفيتي دعوى كاذبة، ولكنهم ينشرونها ليبرروا بها سياسة الضغط والعدوان.

ويجب ان لا ننسى ان الصهيونية العالمية تلعب دورها الواسع في نشر هذه الدعاية والترويج لها وايهام الراي العام العالمي.

ان العدوان لم يعد سهلا بسبب الواقع الدولي، ويقظة الرأي العام العالمي، وكل عدوان جديد أصبح يحمل في تضاعيفه خطر توسع رقعة الحرب فورا حتى تشمل العالم.

وليس من السهل على الاستعمار بالنسبة لقواه وامكانياته ان يقرر خوض مثل هذه الحرب، كما انه ليس من السهل استخدام بعض دول المنطقة في عدوان قد يودي بها ويطيح بكيانها.

ان حلف بغداد قد انتهى، وقد سدد له نضال الشعب العربي في العراق ضربات مميتة، وفي رأيي ان الاستعمار قد نفض يده منه وان مبدأ ايزنهاور جاء ليقوم على انقاضه.

ومن المؤكد ان الاخطار التي تحيق بالعرب كثيرة، فاسرائيل خطر وسياسة الاحلاف التي تهدف الى تمزيق وحدة الامة العربية خطر، ولكنها لا تعد اخطارا اذا بقي الشعب العربي صامدا في وجهها، فالخطر الحقيقي انما هو في غفلة الشعب العربي عنها، ومما يطمئن ان الشعب العربي متيقظ لها مفتوح العينين عليها،

مستعد لأن يقف في وجهها دائما، وهو بالتأكيد سيحقق تحرره ووحدته ولن يجعل من أرضه مرتعا لأي نفوذ اجنبي وهو في حرصه على سيادته واستقلاله ودفاعه عن حريته حريص ايضا على اقامة أوثق الصلات بكل الشعوب والدول على أساس مباديء باندونغ ونصوص ميثاق هيئة الأمم المتحدة.

□

لبنان ومبدأ ايزنهاور

أصبح لبنان في ظل حكم رئيس الجمهورية كميل شمعون ورئيس الوزراء سامي الصلح منطلقا لكل الحملات السياسية والاعلامية والتآمرية ضد سورية، واتخذ العداء شكلا حادا سافرا لم يعرفه البلدان من قبل، وكان ذلك بدفع وتشجيع من الولايات المتحدة وحلف بغداد معا، ولم يكن كميل شمعون ليقدم على هذا العداء السافر الهستيري ضد سورية الا لاعتقاده بقرب انهيار النظام السوري، بعد أن تولت الولايات المتحدة تفريق الصف العربي المناهض لحلف بغداد تحت ستار مكافحة الشيوعية الدولية، وهكذا شن شارل مالك وزير خارجية لبنان حملة شعواء على الوضع في سورية واتهمه بالشيوعية، وهو في طريقه للولايات المتحدة للترحيب والمباركة والقبول بمبدا ايزنهاور الذي اعتزم شن حملة صليبية ضد اليسار العربي، وقد كتبت حول هذا الموضوع في جريدة البعث بتاريخ 1957/1/18 مقالا تحت عنوان :

"لا معكسرات في الوطن العربي بل الشعب العربي في مقابل الاستعمار وعملائه"

في نفس الوقت الذي يلقى فيه شارل مالك، وزير خارجية لبنان، وهو في طريقه الى موطنه الروحي، تصريحاته في باريس ولندن ونيويورك، وما كان ينقصه الا ان يجود بها في تل ابيب، واذا كنا نقول ذلك فلسنا مبالغين، ألم تثبت وقائع دعوى اغتيال الشهيد العقيد عدنان المالكي ان شارل مالك هذا كان وسيطا بين الحكومة الاميركية وبين القتلة من القوميين السوريين للاتفاق على اسس الانقلاب في سورية؟ أو لم تضبط الوثائق التي تدين هؤلاء بالتجسس لمصلحة اسرائيل؟ في نفس الوقت الذي يلقي فيه

تصريحاته عن ان "التسرب الشيوعي في الشرق الاوسط قد ازداد سوءا في الاشهر الاخيرة" حتى "قد اثر على سياسة بعض الحكومات العربية" وحتى "ليستطيع المرء ان يتوقع تسلم الشيوعيين الحكم في بعض الدول العربية" ويلمح الى سورية خاصة، فيؤكد بذلك الدعايت الاستعمارية الكاذبة حول الامة العربية وحول سورية.

في هذا الوقت تقدم الحكومة اللبنانية مذكرة للحكومة السورية تحتج فيها على ما ورد في قرار الاتهام الصادر بحق المتآمرين، في المؤامرة الاخيرة، من اتهام للسلطات اللبنانية. مع أن سعيد تقي الدين، المحكوم من قبل المحاكم السورية والمتهم امامها الآن والمطلوب الى الحكومة اللبنانية تسليمه مرارا، يؤكد جهارا ان المؤامرة صحيحة وانها "ثورة فشلت" وان التصميم على ازالة الوضع في سورية ما زال والاستعداد والتدريب ما زالا مستمرين، ثم يحظى برعاية وحماية المسؤولين الكبار في لبنان.

لقد جعل لبنان كثير من المسؤولين فيه وكرا لمؤامرات الانجليز والفرنسيين واسرائيل ضد البلاد العربية عامة وضد سورية خاصة. ففيه جرت كل المؤامرات على سورية وكل الاعدادات للانقلابات فيها، وكانت دائما، لا بعلم المسؤولين فقط ، بل وتحت رعايتهم، ففيه كان يأتمر المتآمرون، وينقل بعضهم بالبواخر الانجليزية وبعلم السلطات وحمايتها ينزلون على شطئانه، وتبلغ مواثيق الخيانة الى مرجعها في السفارات الاجنبية بواسطة رجاله الرسميين، ويتسلح القوميون ويتدربون بدعم رجاله الاعلين وتشجعيهم.

وتتمة لأعمالهم، هؤلاء الرسميين فهم يشاركون، وعلى المستوى الدولي، في حملة الدعاية ضد الامة العربية عامة وضد سورية خاصة. فيصرح وزير خارجيتهم تصريحاته تلك التي ذكرناها فيؤكد ويؤيد الدعاية الاستعمارية ويبرر خطط المستعمرين ومؤامراتهم وعدوانهم. كما يحاول أن يوهمهم بأن سورية تفكر بالاعتداء على لبنان، مع ان الشعب العربي في سورية لا يريد لشقيقه الا المحافظة على استقلاله وحريته وازدهاره وتقدمه، وسورية لا تريد من لبنان الا ان لا يكون للاستعمار مستقرا ولا ممرا للمستعمرين.

ان هؤلاء المسؤولين لا ينظرون في شيء الى مصلحة لبنان، بل همهم السمسرة وقبض الاموال وجعل لبنان وسيلة للكيد للبلاد العربية عامة

ولسورية خاصة، وتقييدها بحلف بغداد، اما ما يدعونه كأمثالهم في سورية، من حياد كاذب بين المعسكرين العربيين فهو ستار متهافت ممزق، لانه لا يوجد في الوطن العربي معسكرات بل هناك الشعب العربي في كل اقطاره في جانب والاستعمار وعملاؤه في جانب آخر، وهناك معركة ضارية ضد الاستعمار ومشاريعه واحلافه.

فواجب الحكومة السورية ان تضع سياسة مدروسة لمنع استمرار هذا التآمر على سورية واستقلالها، فان لم تفعل فسوف تستمر هذه المؤامرات، في لبنان، وتكون قد فرطت في حق سورية ولبنان والامة العربية، وعليها ان تفهم الشعب العربي في لبنان حقيقة ما تآمر الرسميين عنده على سورية ونتيجة هذه المؤامرات، وستجد من الشعب العربي في لبنان التأييد نفسه الذي تجده من الشعب العربي في سورية، لان هذا الشعب العربي، وهو شعب طيب كريم، لا يرتضي ان يكون بلده وكرا للمؤامرات على اشقائه وعلى سورية خاصة ، ولانه يعلم ان وجوده ووجودهم واحد وحريته وحريتهم واحدة، وان مصلحته من مصلحتهم التي تقضي بان يعيش بوئام وسلام معهم ومع سورية خاصة.

كانت حملة النظام اللبناني ضد سورية تتصاعد باستمرار مع تصاعد الحملة السياسية والاعلامية الغربية ضد سورية فعالجت هذا الموضوع أيضا في جريدة البعث بتاريخ 1957/1/25 بمقال عنوانه "المأساة التي تمثل على مسرح لبنان الرسمي".

الى ان دخلت الجيوش الانجليزية وجيش ديغول سورية ولبنان سنة 1941 كان النفوذ الاستعماري الفرنسي هو المهيمن وحده على لبنان. ومنذ ذلك التاريخ بدأ الصراع بين النفوذين الاستعماريين الانجليزي والفرنسي.

وكانت الحركة الوطنية في لبنان، التي كان يتزعمها المغفور له رياض الصلح، في نضال وجهاد مريرين مع الاستعمار الفرنسي. وكانت تهدف الى استقلال لبنان وتحريره من هذا الاستعمار وابراز وجهه الحقيقي العربي وارجاعه الى وضعه الطبيعي في المنظومة العربية، فواجهت جوا كثيفا من الدعوات الاستعمارية الشعوبية، التي وجدت لها دعاة في بعض الاوساط الرسمية السياسية ذات العلاقات العريقة الوثيقة بالاستعمار الفرنسي،

والتي كانت تجهد للتخييل بان لبنان جزء من فرنسا، وتعمل بالتالي على الحاقه بها مباشرة.

وكان ان التقت الحركة الوطنية بالسياسة الانجليزية، التي كانت تسعى حينذاك الى ازاحة النفوذ الفرنسي نهائيا عن سورية ولبنان.

وتجلى الصراع العنيف في انتخابات سنة 1943، ففازت الحركة الوطنية الاستقلالية العربية بزعامة رياض الصلح، وأخفقت السياسة الاستعمارية الشعوبية اخفاقا ذريعا بشخص اميل اده وجماعته وسياسته.

وتطور النضال بعد ذلك تطورا سريعا حتى بلغ قمة العنف في ثورة بشامون سنة 1945، واعتقال رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري والمغفور له رياض الصلح، ثم اندحار الاستعمار الفرنسي. واتخذت الحركة الوطنية الاستقلالية في تلك الثورة طابعا جماهيريا منزها عن النعرات الطائفية والدعوات الشعوبية، ووضع لها الذكي الاريب رياض الصلح دستورها وشعارها "لن يكون لبنان للاستعمار مقرا ولا للمستعمرين ممرا". فلقد ادرك بنظره الثاقب حقيقة الدور الذي كرس الاستعمار له لبنان، وهو ان يجعله قاعدة هجوم على القومية العربية والقضية العربية، مستغلا وضعه الطائفي الخاص، ذلك الوضع الذي استغله ايضا الاستعمار الفرنسي وكاد به ان يودي بلبنان وان يجعل منه مقاطعة فرنسية ليحل به ما حل بالجزائر، تلك التي يعتبرها الاستعمار الفرنسي ايضا قطعة من فرنسا.

وبالفعل، منذ سنة 1943 برز وجه لبنان العربي، ولم يستطع الاستعمار الى ان استشهد المرحوم رياض الصلح، وبتخصيص اكثر الى ان ازيح الشيخ بشارة الخوري عن رئاسة الجمهورية سنة 1951، ان يجعل من لبنان مستقرا له ولا ممرا.

ولكي تتضح هذه الفترة الخطيرة من حياة لبنان وسورية والامة العربية، يجدر بنا أن نذكر بعض احداثها الهامة :

أولا - لقد حاول الاستعماران الفرنسي والانجليزي أن يسويا خلافاتهما وتناقضاتهما باتفاقية بيفن بيدو سنة 1945 التي تجعل من سورية منطقة نفوذ انجليزي ومن لبنان منطقة نفوذ فرنسي، ولقد اعطيت هذه الاتفاقية فعلا عنوان "اتفاقية تماثل الاهداف واقتسام النفوذ بين بريطانيا وفرنسا". ولكن جهاد الشعب العربي في سورية ولبنان قضى على هذه الاتفاقية، حين

استطاع ان يوصل قضية القطرين الى مجلس الامن فأقر هذا سنة 1945 مبدأ الجلاء، وجلت من بعد ذلك الجيوش الفرنسية والانجليزية عنهما.

ثانيا - ولكن منذ ذلك الحين بدأ الصراع الجدي بين الاستعمار الانجليزي وبين الشعب العربي في سورية ولبنان. ففي سورية بدأت المشاريع البريطانية ترد مشفوعة بكل اساليب الضغط والتآمر. وهذه المشاريع، اذا اغفلنا مشروع الدفاع المشترك باعتباره يستهدف كثيرا من الاقطار العربية لا سورية خاصة، هي :

1- سورية الكبرى، 2- ما يدعى بمشروع الهلال الخصيب. وهدف المشروعين واحد هو وضع يد بريطانيا على سورية.

واما في لبنان فقد اتخذ الاستعمار الانجليزي اسلوبا دقيقا جدا ومضللا. فقد عمد :

1- الى استغلال الحكم الفاسد في لبنان واثاره لطعن الحركة الوطنية الاستقلالية

2- الى محاولة القضاء على زعماء هذه الحركة، وهذا ما تم بالفعل باغتيال المرحوم رياض الصلح اثناء زيارته للملك عبدالله في الاردن. وكان هذا الاغتيال سبيل الانقلاب الذي تم في لبنان سنة 1951 واقصاء الشيخ بشارة الخوري عن رئاسة الجمهورية، وتسليم الحكم في لبنان الى عملاء الاستعمار الانجليزي واتباعه.

ثالثا - ومنذ هذا التاريخ اصبح لبنان قاعدة للهجوم الاستعماري الانجليزي على سورية واصبح عملاء هذا الاستعمار في سورية امتدادا للبنان الرسمي، واخذت تطبخ المؤامرة تلو المؤامرة على سورية في القاعات الرسمية او في الفنادق الفخمة تحت الرعاية الرسمية. واذا كان لا مجال الآن لذكر كل المؤامرات على سورية التي شارك فيها لبنان الرسمي، فنلكتف بذكر تلك جرت منذ تحرر سورية من الحكم الديكتاتوري. ان "الاضابير" الرسمية المحفوظة لدى القضاء العسكري تثبت ان سورية تعرضت في هذه الفترة الى اربع مؤامرات، مؤامرة محمد صفا، مؤامرة اغتيال الشهيد العقيد عدنان المالكي، مؤامرة عدنان الاتاسي، المؤامرة الاخيرة التي جمعت كافة اجهزة الاستعمار وشبكات التجسس الاستعماري لطعن الجيش والشعب من الخلف خلال العدوان الثلاثي. ولقد دل التحقيق على ان هذه المؤامرات

جميعا حيكت في لبنان وتحت رعاية المسؤولين اللبنانيين واشترك بها الاستعمار الانجليزي الاميركي الاسرائيلي، واضيف في المؤامرة الاخيرة الاستعمار الفرنسي.

رابعا - لقد كانت هذه الفترة التي اعقبت الانتفاضة على الحكم الديكتاتوري في سنة 1954، هي الفترة التي طرح فيها مشروع حلف بغداد عمليا، هذا الحلف الانجليزي المؤيد من قبل اميركا. ولقد كانت المؤامرات كافة تهدف الى ادخال سورية في هذا الحلف. ولقد قام لبنان الرسمي بهذه المهمة في جميع المستويات الظاهرة والخفية السياسية والعنيفة، واذا كان لبنان الرسمي مع ذلك لم يتمكن، وربما لم يسع الى ادخال لبنان في حلف بغداد، فلأن الاستعمار الفرنسي كان يقاومه والتناقض كان ما يزال قائما بين الاستعمارين الانجليزي والفرنسي.

خامسا - ولكن بعد ان توضح تأييد الدول العربية المتحررة للثورة في الجزائر ودعمها ماديا ومعنويا وبعد تأميم القناة اصطلح هذان الاستعماران وزال التناقض، ولذلك أسفر لبنان الرسمي عن وجهة واعلن تآمره ، واخذ مظهر الذي يصر بعناد على تحطيم استقلال سورية والسياسة العربية التحررية، وهذا هو السر الذي جمع المتناقضات في الفئات السياسة اللبنانية على صعيد واحد، هذا هو السر الذي جمع الكتائب اللبناية الى القوميين السوريين الى مدعي القومية العربية من بعض الندائيين ومدعي الاشتراكية، انه اتفاق الاستعمارين الانجليزي والفرنسي على سياستهما في الشرق الأوسط.

ذلك ما شجع لبنان الرسمي على ان يعمل في العلن ما كان يفعله في الخفاء وباساليب ملتوية. فبينما كانت الطائرات الانجليزية والفرنسية تقصف مصر، وتهاجم ارضها من قبل اسرائيل وكان الاستعمار الانجليزي والفرنسي واسرائيل يرتقبان استسلام مصر بين ساعة وساعة دعا رئيس جمهورية لبنان الى عقد مؤتمر الملوك والرؤساء في بيروت ليحتفل بانتصار الاستعمار الغربي واسرائيل على القومية العربية، وليخرج في جنازة مصر. ولكن الاستعمار ورئيس جمهورية لبنان قدرا وضحكت منهما الاقدار، فكان هذا المؤتمر، الذي تأخر عقده فضيحة لحكومتي لبنان والعراق وكشفا عن تآمرهما مع الاستعمار البريطاني الفرنسي الاسرائيل، اذ امتنعتا عن قطع علاقاتهما مع دولتي العدوان وخرج ذلك البيان الضعيف بعد مماحكات ومشادات و .. توسلات.

سادسا - وثبت لبنان الرسمي على موقفه، حتى بعد هزيمة الاستعمار الانجليزي الفرنسي واسرائيل في معركة مصر، لان امريكا اطلت على الشرق الاوسط بعنفوان لتشارك وترث الاستعمارين المنهارين، ولم يكن على لبنان الرسمي الا ان يحسن التلاؤم مع الظرف الجديد، ولذلك اعفيت بعد مؤتمر الملوك والرؤساء، بل اثناءه، حكومة عبدالله اليافي، وشكلت حكومة جديدة يؤمن فيها للنفوذ الامريكي النصيب الاوفى، وقدمت وزارة الخارجية الى شارل مالك دليلا على التطور الجديد في "سمسرة" لبنان الرسمي و.. نذيرا بتدخل اكبر من جانب السياسة الامريكية في شؤون الشرق الأوسط. شارل مالك.. ذلك الذي اثبتت مؤامرة اغتيال الشهيد العقيد عدنان المالكي انه كان الوسيط بين القوميين السوريين وامريكا لتنفيذ تلك الجريمة، وتحقيق انقلاب في سورية لا لمصلحة الاستعمار الانجليزي الامريكي فقط، بل ولمصلحة اسرائيل، فلقد اثبتت الوثائق الخطية، والتي نشرت اثناء النظر في الدعوى، أن "عصابة شارل مالك" كانت تتجسس لاسرائيل على الجيش السوري.

فهل من عجب بعد ذلك، اذا قام شارل مالك يجوب باريس ولندن وواشنطن بعد العدوان على مصر واثناء طرح "مبدأ ايزنهاور" على الشرق الاوسط والعالم حتى لكأنه معه على ميعاد، وينثر التصريحات في طعن القضية العربية فيقول في باريس "لا شيء يؤثر على العلاقات الممتازة بين لبنان وفرنسا حتى ولا الخلافات التي يمكن ان تنشب بينهما او بين فرنسا وبين جيران لبنان من العرب، وهذه العلاقات بين لبنان وفرنسا ستنمو اكثر في المستقبل"، فيخرج لبنان من حرم العروبة ويجعل منه جارا لا اكثر للامة العربية، ولو سمح العرف الدبلوماسي لقال : انه يريد ان يجعل من لبنان مكتب سمسرة على البلاد العربية لحساب الاستعمار؟

وهل من عجب ان يصرح ايضا بأنه ذاهب لاميركا ليؤمن التعاون الكفيل بازالة السيطرة الشيوعية والروسية عن بعض البلدان العربية، حتى ليقنع من لا يعرف واقع بلادنا، ان سورية ومصر اصبحتا حقا تحت سيطرة الروس، وانه شارل مالك، المخلص "للحرية الاميركية" ذهب يسعى في اميركا لاجلاء الروس عن هذين القطرين؟ لا عجب ان يستعدي شارل مالك الاستعمار في فرنسا وبريطانيا واميركا على "جيران" لبنان من العرب، وان يعلن شكره

لايزنهاور وامتنانه من مبدئه الذي يعتبر الوطن العربي منطقة فراغ بعد انهيار الاستعمار الانجليزي الفرنسي يجب ملؤها بقوة الذرة والدولار.

ان واجب الحكومة السورية تجاه هذه السلاسل من المؤامرات التي لا تنتهي والتي جعل المسؤولون فيه من لبنان وكرا لتنظيمها واطلاقها ومكانا امينا للمتآمرين ينطلقون منه ويؤوون اليه وفيه يمولون ويسلحون ويدربون، وبعد ان وحد الاستعمار الاميركي الانجليزي الفرنسي الاسرائيلي صفوفه وسفر لبنان الرسمي عن وجه "السمسرة" لهذا الاستعمار الرباعي فاصبح الوضع خطيرا ان واجب الحكومة السورية :

1- ان تتخذ موقفا حازما وان تطبق سياسة مرسومة للمحافظة على استقلال سورية وحمايته من المؤامرات الاستعمارية.

2- ان تسعى لدى الحكومات العربية الاخرى لتتخذ الموقف نفسه وتتبنى السياسة نفسها لان الوضع في لبنان لم يعد خطرا بالنسبة الى سورية فقط بل وبالنسبة الى كل الاقطار العربية.

3- ان توصل صوت السياسة العربية المتحررة الى ضمير الشعب العربي في لبنان وان تطلعه على كل الادوار السيئة التي تؤذي بنفس الدرجة مصلحته ومصلحة الشعب العربي في الاقطار الاخرى، ليتبين ان المسؤولين في لبنان لم يعودوا مسؤولين عن الشعب العربي هناك، بل عن الاستعمار الغربي والاسرائيلي وانهم اصبحوا عبيدا "للسمسمرة" على حسابه وحساب اشقائه، وان تفهمه ان هذه "السمسرة" ليست في مصلحة مستوى حياته كما يريدون أن يوهموه بل أنها "تجارة" رابحة لهم "وحدهم" وعلى حساب اقتصاده ومستوى حياته وكرامته. وان تكشف حقيقة المعركة وانها ليست معركة طائفية بل هي معركة الامة العربية مع الاستعمار الغربي واسرائيل وعلى نتائجها تتوقف سلامة لبنان ومصلحته وحياته الحرة المزدهرة كما تتوقف سلامة الاقطار العربية الاخرى ومصلحتها وحياتها الحرة المزدهرة، وان تبسط له اماني اشقائه تجاهه وهي انهم لا يريدون من لبنان الا ان "لا يكون للاستعمار مقرا ولا للمستعمرين ممرا" ولا يريدون له الا المحافظة على استقلاله والمساهمة في تقدمه وازدهاره، ليكون مبعث نور للعروبة، لا كما يريده المسؤولون فيه مبعث شرور ومؤامرات.

عندئذ يواجه الشعب العربي في لبنان مسؤولياته، ونحن متأكدون ان هذا الشعب الطيب الاعراق لا يرضى ان يكون بلده وكرا للمؤامرات الاستعمارية، وسيضع حدا لهذه المأساة التي تمثل في بلده والتي تهدف الى التضحية به وبأشقائه بالتساوي، لان مصيره لا يمكن ان ينفك عن مصير هؤلاء الاشقاء.

نتائج زيارة الملك سعود لواشنطن .

أولا: بدء انهيار وحدة الصف العربي الذي كان يضم سورية ومصر والسعودية.

ثانيا : التواطؤ الاميركي الاسرائيلي في خليج العقبة .

وقد وجه اليهود الى الملك السعودي عند استقباله في نيويورك اهانة شخصية، عندما رفض حاكم نيويورك ورئيس بلديتها أن ينوب عن ايزنهاور في استقبال العاهل السعودي، وأعد اليهود مظاهرات عدائية كبيرة فأرسل ايزنهاور بعض السفن الحربية لتحيط بالباخرة التي تقله، كما أوعز ان ترسو السفينة في ميناء نيويورك الحربي.

وكانت الولايات المتحدة قبل رحلة الملك متحفظة في اظهار تواطئها مع اسرائيل بالنسبة لخليج العقبة، فأصبحت بعد رحلته تؤيد اسرائيل علنا بل وتدفعها للتصلب بموقفها وعدم الانسحاب من قطاع غزة وشرم الشيخ حتى تتحقق حرية الملاحة الاسرائيلية في المياه الاقليمية العربية في خليج العقبة، بالوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة بأمس الحاجة الى استرضاء الملك السعودي لتحقيق امور تتعلق بصميم مصالحها الجوهرية، فقد أعلن دلس بتاريخ 1957/2/21 تأييد اسرائيل في مطالبتها بحرية الملاحة في قناة السويس وخليج العقبة.

وقال الرئيس ايزنهور في خطاب وجهه للشعب الاميركي في أواخر شباط 1957 انه يؤيد مطالب اسرائيل بحرية الملاحة في قناة السويس وخليج العقبة واقترح تدويل قطاع غزة :

" لقد سلم دالس بناء على توجيهاتي بيانا عن السياسة الاميركية الى حكومة اسرائيل في 11 شباط، وقد أذيع نص هذا البيان، وأشار البيان انه لا تتمتع اي من الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة بصلاحية فرض تعديل ملموس لاتفاقية الهدنة التي وقعتها بحرية كل من اسرائيل ومصر على اي من الفريقين، وقال البيان أنه على الرغم من ذلك فان الولايات المتحدة كعضو في الامم المتحدة ستسعى وراء توزيع قوة الطوارئ الدولية بشكل من شأنه الضمان ان قطاع غزة لن يكون بعد الآن مصدر تسرب مسلح وغارات ثارية.

كما أبلغ وزير الخارجية سفير اسرائيل شفهيا بأنه يسر الولايات المتحدة أن تحث وتؤيد مساهمة الأمم المتحدة بعض المساهمة بموافقة مصر في إدارة قطاع غزة الذي يؤلف ما يقرب من 200 الف لاجيء الجزء الرئيسي من سكانه والذين يعيشون الى حد عظيم على تبرعات الأمم المتحدة وأعضائها، وأما فيما يتعلق بالعبور من وإلى خليج العقبة فقد أعربنا عن اعتقادنا بأن الخليج يؤلف مياها دولية وانه لا يحق لأية أمة أن تمنع عبورا حرا وبريئا، وان الولايات المتحدة ستؤيد هذا الحق بنفسها وتشترك مع الآخرين لضمان اعتراف عام بهذا الحق".

وقد علقت على هذا البيان بمقال في جريدة البعث بتاريخ 23-2-57 عنوانه: "في بيان الرئيس ايزنهاور" ، وهو مقال يستعرض المراحل الهامة للقضية الفلسطينية، ثم يتعرض لمبدأ ايزنهاور بما يلي :

بعد تثبيت هذه الحقائق، لا بد لنا الآن ان نستعرض خطاب الرئيس الاميركي لنضع اصبعنا على ما جاء فيه ومن نقاط منصفة من نقاط ظالمة :

قال الرئيس الاميركي : "ان مستقبل الامم ومستقبل السلام في الشرق الاوسط معرضان للخطر، لان القوات الاسرائيلية لا تزال خارج خطوط الهدنة، وعلى الاخص عند خليج العقبة الذي يبعد مائة ميل عن اقرب ارض اسرائيلية، وفي قطاع غزة الذي هو بموجب اتفاقية الهدنة يجب ان يكون تحت احتلال مصر. وان هذه الحقيقة هي التي تخلق الازمة الحالية".

ويستطرد الرئيس الاميركي الى القول: اننا نقترب من لحظة حاسمة مليئة بالمقدرات عندما يتوجب علينا اما ان نعترف بان الامم المتحدة عاجزة عن اعادة السلام في هذه المنطقة، او انها يجب ان تجدد مساعيها بشكل اقوى للوصول الى انسحاب اسرائيل، وهذا ما يثير مسألة اساسية تتعلق

بالمبادئ وهي هل يجب أن نسمح لأمة تهاجم أراض اجنبية وتحتلها متحدية عدم موافقة الامم المتحدة ان تفرض شروطها قبل انسحابها".

ثم يقول الرئيس الاميركي: "لو أقدمت على اعارة الفكرة القائلة بان كل دولة تجتاح غيرها يجب ان تسمح لها بان تفرض شروطا لانسحابها، لكان شعوري انني اخون المثل العليا المنوطه بهذا المنصب الرفيع الذي انتخبتموني له".

ان كل هذه النقاط التي سجلها الرئيس الاميركي في خطابه هي نقاط منصفة، ولكن هناك نقطة اخرى كان يجب ألا يغفل الرئيس الاميركي عن ذكرها في خطابه، وهي ان اسرائيل مدينة بوجودها المصطنع للاستعمار البريطاني وللنفوذ الاميركي المتمثل في التدخلات التي قام بها ترومان وجعلته يدوس كل المثل العليا ويخونها. واذا كان العرب لا ينسون ابدا ما قام به الرئيس الاميركي السابق لتأييد باطل اسرائيل والتمكين له، فانه لما يسر العرب ان يحاول الرئيس الاميركي الحالي ان يقف في وجه محاولة الصهيونية العالمية لتسخيره وتسخير حكومته وبلاده لتأييد باطل اسرائيل في دعم شروطها قبل الانسحاب من الاراضي التي اعتدت عليها.

هنا نقطة اخرى وردت في خطاب الرئيس الاميركي نحب ان نسجلها، وهي قوله "انه ليس للولايات المتحدة اية مطامع أو رغبات في الشرق الأوسط الا ان ترى كل بلد فيه يحافظ على استقلاله ويعيش بسلام في داخله ومع جيرانه، وبالتعاون السلمي مع الآخرين، لتطوير موارده الروحية والمادية، لأن هذا أمر حيوي بالنسبة للسلام والرفاهية اللذين نتطلع اليهما جيمعا".

ان الرئيس الاميركي اذا كان يعني حقا مضمون جملته هذه، فان النتيجة الطبيعية لذلك يجب أن تكون اعادته النظر في مشروعه للشرق الأوسط من اساسه، لان هذا المشروع بني- كما قال الرئيس الاميركي نفسه عند تقديمه له- على اساس ان جلاء النفوذين البريطاني والفرنسي عن منطقة الشرق الأوسط يخلق فراغا، وان على الولايات المتحدة ان تسد هذا الفراغ.

وهنالك نقطة اخرى منصفة في خطاب الرئيس الاميركي، وهي مطالبته الامم المتحدة ان تضغط على اسرائيل للانسحاب من المناطق التي لا تزال تحتلها.

هذه هي بعض النقاط الايجابية خطاب الرئيس الاميركي، ولنعرض الان فيما يلي النقاط الظالمة التي تغاير الحقائق والوقائع :

اولا- يقول الرئيس الاميركي "ان الاجراء العسكري ضد مصر كان نتيجة استفزازات خطيرة ومتكررة" ان هذا القول ظالم من اساسه، ذلك ان اسرائيل هي التي طبعت اعمالها بروح استفزاز العرب منذ ان قام كيانها الباطل، وان منبر الامم المتحدة نفسه يشهد على تعدد اعتداءات اسرائيل من كثرة ما عرض العرب من فوقه الشكاوى على الضمير العالمي ضد اعتداءات اسرائيل واعمالها الاجرامية التي تستهدف ابادة الجنس العربي في الاراضي التي احتلتها من فلسطين.

وان العدوان الاسرائيلي الاخير على مصر بالتعاون مع الاستعمارين البريطاني والفرنسي لم يكن نتيجة استفزازات اقدمت عليها مصر ضد اسرائيل، وانما كان نتيجة لتآمر اسرائيل مع دولتي الاستعمار لتحقيق التوسع لاسرائيل وتأمين السيطرة الاستعمارية البريطانية والفرنسية على البلاد العربية.

وليس أدل على ذلك من أن بن غوريون نفسه ما زال يجيب بوقاحة متناهية على قرارات الامم المتحدة بانسحاب اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة بان اسرائيل "لن تجلو قواتها العسكرية عن قطاع غزة ما لم تحتفظ بالادارة المدنية وبادارة قوات الشرطة كما انها لن تنسحب من خليج العقبة ما لم نضمن لها حرية المرور عبر هذا الخليج.

ثانيا - ان تأييد الرئيس الاميركي لمطالب اسرائيل بشأن مستقبل قطاع غزة ومستقبل الملاحة في خليج العقبة ومستقبل الملاحة في قناة السويس لا تعتبر الا مكافأة للمعتدي على عدوانه وتحريضا له على عدوان جديد للفوز بمغانم جديدة، وهذا ما يعتبر بحد ذاته مناقضا لروح ميثاق الامم المتحدة الذي لا يجيز للمهاجم ان يملي الشروط على البلد المعتدى عليه.

ثالثا - من الواضح الجلي ان قضية فلسطين لا تخص حكومة مصر وحدها ولا اي حكومة عربية اخرى، لانها قضية العرب، وقد آن للولايات

المتحدة الاميركية ان تدرك هذه الحقيقة. فكيف يمكن اذن لحكومة مصر ان توافق على ان تهدر حقوق عرب فلسطين بل ان تهدر حقوق العرب اجمعين، لتأمين مكاسب جديدة لاسرائيل المغتصبة عن طريق السماح لسفنها بالمرور من مياهها، لان هذا لو تم فانه يعني فعلا الصلح مع اسرائيل، والاعتراف باغتصابها، والتسليم بمكاسب جديدة لها.

لقد ظلم الرئيس الاميركي مصر عندما نعتها بانها "قد تجاهلت الامم المتحدة فيما يتعلق بممارستها لحقوق الدول المحاربة يتعلق فيما بالملاحة الاسرائيلية بقناة السويس وخليج العقبة".

وخلاصة القول : ان خطاب الرئيس الاميركي قد صور وضع اسرائيل امام العالم بخلاف حقيقته، لانه تجاهل عمدا القضية الفلسطينية، كما اعتبر ما تطلبه اسرائيل من حرية الملاحة في قناة السويس وخليج العقبة حقوقا مشروعة مع أن وجود اسرائيل كان لا يزال قائما على الغزو والعدوان والتوسع.

وانني لاتساءل كيف يمكن لامريكا ان تصدق مخاوف اسرائيل فتعلن موافقتها على وضع قوات الطواريء الدولية على خطوط الهدنة ضمانة لأمن اسرائيل، مع ان اسرائيل هي التي تعتدي، وهي التي غزت مصر ولا تزال تحتل قسما من الاراضي التي غزتها بالرغم من القرارات الست التي اصدرتها هيئة الامم المتحدة والقاضية بجلائها دون قيد او شرط، هذا مع العلم بان امريكا نفسها ومعها بريطانيا وفرنسا هي التي نادت بمبدأ توازن القوى بين اسرائيل من جهة وجميع الدول العربية من جهة أخرى وكانت تستهدف من هذا التوازن ان تصبح قوة اسرائيل العسكرية اكبر من جميع قوى البلاد العربية العسكرية، مما دفع بالبلاد العربية لأن تشتري السلاح من الدول الصديقة لتدافع به عن نفسها ولتحافظ على وجودها وكيانها امام مطامع اسرائيل التوسعية.

ومن ذلك يظهر ان خطاب الرئيس الاميركي ينطوي على مخاطر جمة يجدر بالحكومات العربية التي سيجتمع رؤساؤها وملوكها في 26 الجاري في القاهرة ان تضع الخطط لتجابه اخطار الحاضر والمستقبل، وان بيد الحكومات العربية عدا عن قواها العسكرية سلاح البترول وقناة السويس ومساندة الراي العام العالمي الذي اقتنع بان قضية العرب قضية حق وعدل..

الملك سعود يعود من واشنطن :

أصبح سعود يشيد بالسياسة الأميركية تجاه القضايا العربية في كل بلد يزوره في طريق عودته من واشنطن فقد جاء في البلاغ السعودي المراكشي ان البحث "تناول المباحثات التي جرت بين سعود والرئيس وايزنهاور ورجال حكومته وان الملك ابدى ارتياحا لما شعره من تفهم الرئيس ايزنهاور وحكومته لقضايا العرب، وقد تمنى سلطان مراكش للملك النجاح في مهمته.. (1957/2/24).

كما كشفت نشرة لمكتب المعلومات الأميركي بأن ناطقا باسم السفارة السعودية اكد بانه سلم كتابا أرسله الملك سعود وهو في مدريد الى الملك حسين امتدح فيه رسالة الملك حسين الى رئيس وزرائه وقال سعود ان هذه الرسالة -يجب ان تعتبر فاتحة مباركة للسياسة التي يجب على جميع الدول العربية ان تنتهجها.

وكان الملك حسين قد وجه رسالة لرئيس وزراء الاردن سليمان النابلسي، أذاعها بنفسه من عمان أعلن فيها انحيازه الكامل للحملة التي تشنها الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي، ويشير اللواء علي أبو نوار في مذكراته الى جهود الملك سعود في جر الأردن للقبول بمبدأ ايزنهاور بما يلي :

"يوم 1957/2/11 زارني سفير المملكة السعودية ليوصل الي رسالة من جلالة الملك سعود الذي كان في زيارة لواشنطن مفادها ان السعودية والولايات المتحدة مستعدتان لمساعدة الأردن في توفير موازنة الجيش والحرس الوطني شريطة أن أسجن كل الشيوعيين، فرجوت ان يبلغ جلالته بأني كنت سأقبل مساعدة السعودية لوحدها، أما موضوع الشيوعيين فهو أمر يعود الى السلطات الاردنية وليس لاحد أن يتدخل فيه، كذلك رجوته أن ينقل اية رسائل في المستقبل الى الملك حسين أو الحكومة الأردنية. ثم يعلق اللواء أبو نواء على ذلك بقوله :

ولست ادري ماذا كانت تتصور اميركا والملك سعود من امر الشيوعيين الأردنيين والذين لم يكونوا قوة سياسية ذات شأن كبير،

إلا إذا اعتبروا كل الاحزاب الأردنية شيوعية لاجماعها على رفض مبدأ ايزنهاور. (ص 311 الطبعة الأولى - لندن).

كما صدر بلاغ مشترك سعودي ليبي جاء فيه :

" ان الملك سعود أبدى ارتياحه لتفهم الرئيس ايزنهاور القضايا العربية، وان العاهلين وجدا انفسهما متجاوبين في تقدير الرئيس ايزنهاور لقضايا العالم العربي" (25 شباط 1957) وهكذا اصبح الملك سعود بعد عودته من الولايات المتحدة داعية جوالة للسياسة الاميركية في العالم العربي.

مؤتمر الدول العربية الأربع في القاهرة :

بعد عودة الملك سعود من الولايات المتحدة وعودة القوتلي من رحلته للهند وباكستان، عقد في القاهرة مؤتمر ملوك ورؤساء الدول الأربعة، جمال عبد الناصر، القوتلي، الملك سعود، الملك حسين، بتاريخ 26 شباط، وقد ألفت لجنة من أعضاء الوفود : صبري العسلي، صلاح البيطار، سليمان النابلسي، حكمة المصري، الشيخ يوسف ياسين، ومحمد علي صبري لوضع تقرير عن مبدا ايزنهاور وامتناع اسرائيل عن الانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة.

أصدر المؤتمرون بعد اختتام اجتماعاتهم بيانا مشتركا يدعو لانسحاب اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة والتمسك بحقوق عرب فلسطين، وبسيادة العرب على اراضيهم ومياههم الاقليمية ورفض جميع المحاولات الرامية للانتقاص من سيادة مصر وحقوقها في قناة السويس، والتمسك بالحياد الايجابي، ورفض الاحلاف الاجنبية ، والاصرار على ان ينبثق الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط من داخلها لا من خارجها، كما يعلن البيان التضامن مع اليمن في مقاومته للعدوان البريطاني ومع شعب الجزائر في نضاله من أجل الحرية والاستقلال :

"عقد في القاهرة في الفترة ما بين الخامس والعشرين من رجب عام 1376 هجرية الموافق 25 من فبراير عام 1957 ميلادية اجتماع بين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وجلالة

الملـك حسـين ملـك المملكـة العربيـة الاردنيـة الهاشـمية، وفخامـة الـرئيس شـكري القوتلي رئيس الجمهوري السورية والسـيد جمـال عبـد الناصـر رئـيس جمهورية مصر ورجال حكوماتهم، وهو الاجتماع الرابع من سلسلة الاجتماعات التي يعقدونها بين آونة وأخرى لدراسة الموقف الدولي والتباحث فـي القضـايا التي تمس الأمة العربية وتؤثر في مجرى حياتها ونهوضها وحفظ كيانها.

وقد استعرض المجتمعون الجهود المشكورة التي بذلها صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز خلال زيارته للولايات المتحدة الاميركية وما أوضحه جلالتـه للمسـؤولين فيهـا مـن وجهـات النظـر العربيـة حـول مشـاكل الشـرق الأوسـط ومـا تناولـه البحـث مـن أمـور كمـا أوضـح جلالتـه مـا افهمـه للـرئيس الاميركي بصـورة خاصـة عـن حقـوق العـرب وقضـاياهم بمـا فـي ذلـك العـدوان الاخيـر علـى مصـر ونتائجـه وحـق مصـر فـي سـيادتها علـى قنـاة السـويس، وخطورة ما ينتج من تمـرد اسـرائيل علـى قـرارات الأمـم المتحـدة التـي تـنص على الانسحاب بدون قيد أو شرط من قطـاع غـزة وخلـيج العقبـة الـى مـا وراء خطـوط الهدنـة وذلـك دون تحقيـق أيـة مكاسـب لاسـرائيل بنتيجـة العـدوان الثلاثي.

ويؤكد المجتمعون أن دولهم حريصة على أن تقوم بدورها في المجتمع الدولي وأن تساهم بنصيبها في ارساء العلاقات الدولية على اسس تنحو بهـا نحو السلام والعدالة والرفاء بما يكفل احترام سيادتها ومصالحها.

ان الـدول العربيـة المجتمعـة وقـد ازدادت قـوة بـوعي شـعوبها وازدادت ايمانا بسلامة اهدافها ورسوخ فكرتها لتؤكـد مـا سـبق أن أعلنتـه عـن عزمهـا على تجنيب الأمة العربية مضار الحرب الباردة والبعد بها عن منازعاتها، والتزام سياسة الحياد الايجابي محافظة بذلك على مصالحها القومية.

كذلك تؤكد ان الدفاع عن العالم العربي يجب ان ينبثق من داخل الأمـة العربيـة علـى هـدي أمنهـا الحقيقـي وخـارج نطـاق الاحـلاف الاجنبيـة. ويـرى المجتمعون انه رغم قرارات الامم المتحدة واجماع الراي العام العالمي بضرورة انسحاب اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة، فإن العدوان الثلاثي ضـد مصـر لا زال قائما بجميع آثاره ومظاهره طالما لم تنفذ اسرائيل قـرارات الامـم المتحـدة بالانسحاب دون قيد ولا شرط.

كما يرى المجتمعون انه مما يهدد الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط ما يعانيه أهالي قطاع غزة على يد اسرائيل من أشد الوان التنكيل والتعذيب لذلك قرر المجتمعون ما يلي :

اولا- العمل على انسحاب اسرائيل فورا الى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد أو شرط.

ثانيا- التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة وبسيادة العرب على أراضيهم ومياههم الاقليمية.

ثالثا- رفض جميع المحاولات التي تبذل للانتقاص من سيادة مصر وحقوقها في قناة السويس، اذ أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من مصر، وسيادتها عليها كاملة، وحرية الملاحة فيها مكفولة طبقا لاحكام اتفاقية القسطنطينية سنة 1888.

خامسا- استنكار العدوان البريطاني على أراضي اليمن والتضامن معها في صد هذا العدوان.

سادسا- التأييد المطلق لحق عرب الجزائر في الحرية والاستقلال وتمجيد نضالهم الجبار ضد قوى الاستعمار.

ويرى المجتمعون ان سياستهم التحررية المنبعثة عن ايمانهم بحق امتهم في أن تحيا حرة مستقلة مستندة الى قوميتهم العربية التي برهنت للعالم أنها حقيقة قائمة لتزيدهم تضامنا فيما بينهم لبلوغ أهداف الأمة العربية في الحرية وفي الوحدة وفي التقدم." (الرأي العام 57/3/1).

ويلاحظ من بيان الرؤساء والملوك عدم تعرضه لمبدا ايزنهاور بشكل مباشر ومع ذلك فقد اعتبر صدور هذا البيان على هذا الشكل نجاحا كبيرا لوحدة الصف العربي الذي أوشك على الانهيار، ولا بد ان يتساءل القاريء الآن، لماذا هذا الحرص على وحدة صف الدول العربية بالرغم من اختلاف المواقف الحقيقية من مبدا ايزنهاور؟

ان هذا الحرص على وحدة الصف كان يتبدى بعد المؤتمر في تصريحات وزير الخارجية صلاح البيطار ورئيس الجمهورية شكري القوتلي والملك حسين الذي حاول أن يصحح آثار بيانه

السابق، وفيما نشرته بعض الصحف عن وقائع المؤتمر الذي عقد في القاهرة:

"أطلع الملك سعود اعضاء مؤتمر الاقطاب العرب على محاضر مباحثاته مع الرئيس الاميركي حول الوضع القائم في سورية الذي هو وضع قومي عربي، بعيد كل البعد عن الأراجيف التي يوجهها ضده حلف بغداد واسرائيل، بالاضافة للاوساط الاستعمارية البريطانية والفرنسية، وحذر الملك سعود الرئيس الاميركي من التأثر بالأراجيف التي تطلق ضد سورية والنظام القائم بها، كما دافع دفاعا قويا عن السياسة العربية التي ينتهجها جمال عبد الناصر".

كان الوضع العربي حرجا جدا بعد العدوان الثلاثي، وتمرد اسرائيل على قرارات الأمم المتحدة وامتناعها عن الانسحاب من قطاع غزة وخليج العقبة، وانكشاف التواطؤ الاسرائيلي الاميركي، وسعي الولايات المتحدة بالدبلوماسية السرية لتمزيق وحدة الصف العربي، فلم يكن من الحكمة ان يمنح الاعداء اي فرصة لتحقيق اغراضهم بالدخول في معارك جانبية، وبهذا المنطق كتبت في جريدة البعث تعقيبا على مؤتمر الملوك والرؤساء مقالا تحت عنوان "صفعة أليمة لدعاية حلف بغداد (البعث 57/3/2).

أرادت مصادر الدعاية الاستعمارية والصهيونية ان تتخذ- بالاشتراك مع السلطات العراقية واللبنانية- من سفر الملك سعود للولايات المتحدة الاميركية ورسالة الملك حسين الى حكومته، موضوعا جديدا لها في التآمر على القومية العربية، وفي الدس على وحدة الصف بين الدول العربية المتحررة، فراحت تصور الوضع وكأن عقد الصف العربي المتحرر قد انفرط، وان السعودية والاردن قد حادتا عن الجادة، ولحقتا بركب السياسة التي رسمها الاستعماريون واتباعهم من ساسة البلدين الشقيقين العراق ولبنان.

وقد اندفعت هذه المصادر الاستعمارية والصهيونية، ترافقها دعاية حلف بغداد وأنصار هذا الحلف من حكام لبنان، في حملتها هذه الى حد كبير حتى ان لبنان الرسمي قد سمح لنفسه بان يستبق الحوادث ويعلن بانه يوافق على ما سيحمله الملك سعود من حلول الى العرب بعد عودته من رحلته الى اميركا كائنا ما كانت هذه الحلول.. وغرضه من ذلك طبعا. لا للانسجام

فعلا في الموقف مع الملك سعود، وانما لتفكيك العرب جميعا بهذا الموقف، وايهامهم سلفا بان الملك سعود قد نزل عند المطامع الاستعمارية، وخذل السياسة العربية التحررية في منتصف الطريق. وان الاردن قد اتجه ايضا في هذا السبيل ولم يبق امام سوريا ومصر الا الاستسلام والركوع.

ولكن ما عتم ان جاء مؤتمر الاقطاب العرب ليؤكد من جديد. حرص الشعب العربي في مصر والسعودية والاردن وسوريا على التمسك بسياسة الحياد الايجابي، والاصرار على تجنيب الامة العربية مضار الحرب الباردة لارتباط ذلك ارتباطا وثيقا مع الحفاظ على المصالح القومية للامة العربية، وعلى ان الدفاع عن الوطن العربي لا بد وأن ينبثق من داخل الامة العربية على هدى امنها الحقيقي وخارج نطاق الاحلاف العسكرية.

وقد أعلن المؤتمرون بكل جلاء وصراحة وجهة نظر العرب بان العدوان على مصر لا زال قائما بجميع اثاره ومظاهره طالما ان اسرائيل لم تنفذ قرارات الامم المتحدة بالانسحاب من الشواطيء المصرية في سيناء وقطاع غزة بدون قيد أو شرط، مؤكدين من جديد تصميم الشعب العربي على وجوب انسحاب اسرائيل فورا، ومعلنين تمسك الامة العربية بحق عرب فلسطين تمسكا كاملا وبأن سيادة العرب على اراضيهم ومياههم الاقليمية لا يمكن ان تكون موضع بحث أو مساومة.

ولم يغفل المؤتمرون عن الرد على الدعايات الاستعمارية الرامية الى تمزيق وحدة الحركة النضالية العربية حين اعلنوا تضامن العرب مع اخوانهم في اليمن ضد العدوان البريطاني، واصرارهم على الوقوف بجانب الكفاح العربي للجزائر الباسلة. صحيح ان بيان الاقطاب العرب هذا، لم يحمل الى العرب اشياء جديدة، ولكنه دون ريب كان دحضا قاطعا للدعايات الاستعمارية والصهيونية التي كانت تحاول الايهام بتصدع جبهة التحرر العربي.. وقد جاء البيان ليؤكد بان السياسة التي التزمتها هذه الجبهة لم تكن سياسة مصطنعة ولا مرتجلة، وانما هي السياسة الوحيدة المعبرة عن ارادة الشعب العربي في مختلف ارجائه وبلاده بما في ذلك العراق ولبنان حيث يتآمر الحكام فيها على هذه السياسة لمصلحة الاستعمار واسرائيل، بينما الشعب هو الذي يحمي هذه السياسة ويدعمها، مهما تكلف في سبيل ذلك من مشقة ومصاعب وتضحيات.

وعلى كل حال، فإننا نعتقد، بان صمود العرب واستبسالهم في الدفاع عن حقوقهم الشرعية، هو وحده الكفيل باحباط جميع المؤامرات التي تحيكها قوى الشر والعدوان ضد القومية العربية مهما تألبت هذه القوى واستفرست.. وليس أدل على ذلك من اضطرار "غولدا ماير" وزيرة خارجية اسرائيل للاعلان في منتصف ليل الامس عن اعتزام اسرائيل الانسحاب من قطاع غزة وشرم الشيخ ولا قيمة بنظرنا مطلقا للضمانات التي قالت غولدا ماير انها اخذتها من اميركا ودول بحرية اخرى بضمان حرية الملاحة لاسرائيل في خليج العقبة. .. لان اميركا وتلك الدول البحرية الملمع اليها في كلام وزيرة خارجية اسرائيل، لا تملك اصلا حق اعطاء مثل هذه الضمانات في شان حق طبيعي من حقوق مصر والمملكة العربية السعودية لانه متصل بصميم سيادتهما المطلقة على مياههما الاقليمية ولا يحق حتى للجمعية العمومية للامم المتحدة التدخل فيه. ولا نعتقد انه يمكن ان يكون لهذا الا معنى واحد هو تغطية الهزيمة المنكرة التي منيت بها اسرائيل ودول العدوان امام الراي العام العالمي من جهة، وامام الراي العام في اسرائيل نفسها.

كما وان اشتراط اسرائيل وجوب ممارسة قوات الطواريء الدولية لجميع الصلاحيات المدنية والعسكرية في قطاع غزة بعد جلاء القوات الاسرائيلية عن هذا القطاع، وترحيب المندوب الاميركي في الجمعية العمومية بها الاشتراط انما هو ايضا ضرب من ضروب المحاولات اليائسة من قبل اسرائيل، لا يمكن بحال من الاحوال ان يقبل به العرب، او تستجر اليه الجمعية العمومية للامم المتحدة، لان ذلك معناه ان تدوس هذه الجمعية العمومية مقرراتها المتتالية التي اصدرتها بوجوب انسحاب اسرائيل من الاراضي المصرية وقطاع غزة فورا وبدون قيد او شرط.. هذا عدا عن ان فيه خرقا فاضحا لاتفاقية الهدنة التي لا تملك الجمعية العمومية حق تعديلها ولأن مهمة قوة الطواريء الدولية نفسها تخرج عن ذلك، ولأن هذه المهمة كانت منحصرة في تأمين انسحاب قوات العدوان الفرنسية- البريطانية فورا من مصر، وتأمين انسحاب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة فورا ايضا، وكل تطوير لهذا القرار لمصلحة اسرائيل المعتدية لا يمكن ان يقبل من العرب اصلا، لأن معناه محاباة المعتدين ومكافأتهم على حساب اصحاب الحق الشرعيين المعتدى عليهم. وكائنا ما كانت نوايا الاستعمار واسرائيل ومن يواكبهم في باطلهم ضد الحقوق العربية، فان تماسك جبهة التحرر العربي، وصمود الشعب

في كفاحه لحريته وسيادته، يبقيان كفة العرب دوما هي الراجحة، ويجعلان الظفر ابدا يجانب القومية العربية. لأن الاسلحة الكثيرة التي يملكها العرب، والتي يستطيعون استخدامها دائما في سبيل الدفاع عن كيانهم ووجودهم كثيرة وحاسمة اذا استحسن استخدامها.

كل ذلك يجعلنا نؤكد من جديد ان العدوان الاسرائيلي البريطاني الفرنسي لا يمكن ان يعود على المعتدين الا بالخذلان والفشل الذريعين وكان بالنسبة للعرب انتفاضة جبارة جديدة دعمت نضالهم وزادتهم ايمانا بعد ايمان بعدالة قضيتهم وقناعة الراي العام بها.

□

الالتقاء العربي السوفيتي بعد اعلان مبدا ايزنهاور

انهت امريكا الهدنة بينها وبين الاتحاد السوفيتي بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر، وبعدما شرعت بملء الفراغ - على حد زعمها- في منطقة الشرق الأوسط، اذ لم يبق امام نفوذها من عائق يحول دون سيطرتها على هذه المنطقة الا فك الارتباط والتضامن بين العرب والمعسكر الاشتراكي وعلى راسه الاتحاد السوفيتي، ولهذا قام مبدا ايزنهاور على اساس عزل القضية العربية عن هذا المعسكر، حتى يضع العالم العربي فريسة لمطامعها الاستعمارية ومطامع اسرائيل التوسعية، ومن هنا كانت ردة الفعل العربية على مبدا ايزنهاور تمتين اواصر الصداقة وتوطيد العلاقة مع الاتحاد السوفيتي.

وكان من حسن حظ العرب ان امريكا فضحت مطامعها وكشفت عن اغراضها عن طريق مبدا ايزنهاور، اذ لولا اعلانه لكان باستطاعتها ان تخفيها الى حين بعد موقفها المخادع من معركة السويس.

لم يحقق مبدأ ايزنهاور أغراضه بتهديد الاتحاد السوفيتي وارهاب شعوب المنطقة وتضليلها وتخديرها بالمساعدات، بل كان تأثيره عكس ما هدف اليه واضعوه سواء بالنسبة للعرب او للاتحاد

السوفيتي أو للعالم الثالث.. والذي أوقع الاميركيين بخطا التقدير هو صلفهم وغرورهم واحتقارهم للشعوب الاخرى، فجاء مبدأ ايزنهاور في بعض فقراته كموعظة قسيس بروتستانتي، ولكنها كانت متناقضة تماما مع المطامع والاغراض التي أعرب عنها بصورة فجة مما أوقعه بتناقضات سخيفة لم يكن مضطرا لها.

كان رد فعل الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي على مبدأ ايزنهاور شديدا وحازما وصريحا، مما رفع سمعته ومكانته في العالم العربي وزاد من قناعتنا بجدوى صداقته.

اعلن مبدأ ايزنهاور في 5-1-57 فأذاع الاتحاد السوفيتي وألمانيا الديموقراطية بيانا نددا فيه بمبدا ايزنهاور، وفضحا اغراضه الاستعمارية واعتبراه مهددا للامن والسلام في العالم.

وشن البنديت نهرو حملة مركزة على مبدأ ايزنهاور وفضح اغراضه واهدافه وعدوانه على الدول المستقلة في العالم الثالث.

عندما اشتدت الحملة السياسية والاعلامية على سورية، وتوالى تهديدها بالعدوان المسلح (الحشود التركية في الشمال والاسرائيلية في الجنوب، تحركات الاسطول السادس قرب السواحل السورية، المؤامرات المتلاحقة على المد الشعبي التحرري في سورية) طلبت من السيد نيدوسيكين السكرتير الاول في السفارة السوفيتية نقل الرسالة الشفوية التالية للسيد خروشوف:

اولا - ان سورية قادرة على الصمود وعلى احباط ما يحيكه الغرب ضدها من مؤامرات.

ثانيا- ان سورية مستعدة للقتال ضد كل هجوم خارجي، ولكنها بلد صغير ولا قدرة له على مقاومة هجوم تركي محتمل مدعوم من الولايات المتحدة وحلف بغداد.

ثالثا- أرجو أن نعلم بوضوح وبشرف حقيقة موقف الاتحاد السوفيتي امام مثل هذا العدوان حتى نتدبر أمرنا لعلنا نستطيع ان نجنب بلادنا الدمار.

رابعا- اذا كان الاتحاد السوفيتي مستعدا لنجدتنا أرجو أن يصدر ذلك في بيان واضح صريح، فنقل الى الرسول جواب خروشوف القائل بأن الاتحاد السوفيتي على استعداد لنجدة سورية في حال تعرضها لأي عدوان مسلح من قبل تركيا أو غيرها من الدول، ثم اصدر الاتحاد السوفيتي البيان الرسمي التالي بتاريخ 1957/1/14 (وكالة تاس) :

"في الخامس من كانون الثاني وجه رئيس الولايات المتحدة ايزنهاور رسالة خاصة الى الكونغرس حول سياسة الولايات المتحدة في بلدان الشرقين الادنى والاوسط، وفي رسالته المحشوة بالحمله على الاتحاد السوفيتي وصف الرئيس ايزنهاور الوضع الحالي في الشرقين الادنى والاوسط بانه حرج ، وطالب بالسماح له باستخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة في الشرقين الأدنى والأوسط كلما رأى ذلك ضروريا بدون استئذان الكونغرس كما ينص على ذلك دستور البلاد، كما طالب رئيس الولايات المتحدة بتخويله صلاحية تقديم مساعدة عسكرية واقتصادية الى بلدان المنطقة المذكورة، والمقصود بوجه خاص انفاق 200 مليون دولار على المساعدة الاقتصادية لبلدان هذه المنطقة.

ان رسالة الرئيس ايزنهاور هذه تتعارض ومبادئ واهداف هيئة الامم المتحدة، وتنطوي على تهديد السلام والامن في منطقة الشرقين الادنى والاوسط.

لقد حدثت في هذه المنطقة في الآونة الاخيرة تبدلات هامة، فقد انتشر فيها نضال بطولي تخوضه الشعوب في سبيل حريتها واستقلالها الوطني وفي سبيل انعتاقها الكلي من النير الاستعماري، وهكذا فان مصالح اضخم الاحتكارات الاميركية والبريطانية التي تستثمر الثروات الطبيعية لبلدان الشرقين الادنى والاوسط والتي تجنى أرباحا فاحشة هائلة، قد وجدت نفسها مهددة الامر الذي أثار بجلاء اضطراب سادة الاحتكارات.

وقد جهدت حكومتا انكلترا وفرنسة بالعدوان الذي شنتاه على مصر لاعادة مواقع المستعمرين في هذه المنطقة من الكرة الارضية، فقد كانتا تأملان بسحق مصر وتثبيط عزائم الدول العربية الاخرى بذلك، وتمهيد السبيل للقضاء على استقلالها الوطني ولاعادة السيطرة الاستعمارية في الشرقين

الادنى والاوسط بكاملها. وكانت مصر الضحية الاولى للعدوان لانها قد اعطت بأعمالها الحازمة، مثالا طيبا في الدفاع عن حقوقها الوطنية وسيادتها.

يشير رئيس الولايات المتحدة في رسالته الى الكونغرس الى مشاعر العطف التي يقول ان الولايات المتحدة تكنها للبلدان العربية، بيد ان الواقع يبين ان الدوائر الحاكمة الاميركية تستهدف عمليا في هذه المنطقة اغراضا نفعية جلية.

ومعلوم انه حين كانت مصر، اثر عدوان انكلترا وفرنسا واسرائيل العسكري مهددة بفقدان استقلالها الوطني رفضت الولايات المتحدة ضم جهودها الى جهود الاتحاد السوفيتي في هيئة الامم المتحدة من أجل القيام بتدابير حازمة بغية وقف العدوان، وقد كان الهم الرئيسي للولايات المتحدة لا الدفاع عن السلام والاستقلال الوطني للبلدان العربية بل النزوع الى الافادة من ضعف انكلترا وفرنسا في الشرق الأدنى من أجل الاستيلاء على مواقعهما.

وفي الوقت الحاضر اذ تكون جو مؤات في الشرق الادنى، واذ نشأت امكانيات لتوطيد السلام وتسوية المسائل المعلقة في هذه المنطقة، قدمت حكومة الولايات المتحدة الاميركية برنامجا يقضي بتدخل فظ من جانب الولايات المتحدة في الشؤون الداخلية للبلدان العربية بما في ذلك التدخل العسكري، والاتجاه العدواني لهذا البرنامج وطابعه الاستعماري حيال البلدان العربية، هما من الجلاء بحيث لا يمكن تغطيتهما بأي عبارة غامضة من الحب للسلام وعن انشغال البال الذي يقال ان الولايات المتحدة تبرهن عليه حيال بلدان الشرقين الادنى والاوسط.

ومن حق المرء ان يتساءل عن أي حب للسلام يتكلم واضعوا "مبدا ايزنهاور" في الوقت الذي يصدر فيه التهديد لا من بلدان الشرقين الادنى والاوسط بل عن الدول الاعضاء في الحلف الاطلسي على وجه الضبط، هذا الحلف الذي تدير الولايات المتحدة جوقته، وأي انشغال بال حيال البلدان المذكورة يقصدون في حين ان الولايات المتحدة وشركاءها في الحلف الاطلسي هم بالذات الذين لا ينظرون الى هذه البلدان الا على انها مصدر للمواد الاولية ومجالات لتشغيل راس المال من أجل ان يقتنص منها اقصى الارباح؟ اليس من الواضع ان "المدافعين" اللجوجين عن بلدان الشرقين الانى

والاوسـط يحـاولون ان يفرضـوا علـى هـذه المنطقـة لا أكثـر ولا أقـل مـن نظـام محمية عسكرية وان يدفعوا بتطور هذه البلدان عشرات السنين الى الوراء؟

ان التصـريحات الفارغـة الصـادرة عـن الولايـات المتحـدة والقائلـة أن الولايـات المتحـدة تؤيـد سـيادة واسـتقلال بلـدان الشـرقين الأدنـى والأوسـط تتعارض مع قرار برنامج عدواني يقضي باسـتخدام القـوات المسـلحة للولايـات المتحدة في الشرق الادنى يذهب ابعد كثيرا مما يـذهب اليـه البيـان الثلاثـي الذائع الصيب الصادر 1950 عن انكلترا وفرنسا والولايـات المتحـدة، وأبعـد كثيـرا مما يذهب اليه مشروع انشاء ما يسمى بقيادة الشرق الاوسـط الصـادر عـام 1951، هـذان المشـروعان اللـذان رفضـتهما البلـدان العربيـة رفضـا قاطعـا واعتبرتهما خطرا حقيقيا على استقلالها الوطني.

ان شـعوب بلـدان الشـرقين الادنـى والاوسـط التـي عانـت اضـطهادا استعماريا طويل الأمد، تعرف جيدا مكائـد المسـتعمرين وكـل أضـاليلهم ، وقـد اختارت طريق التطور المستقل، وهي تسير بلا وهن على المبادئ الاساسية للعلاقات بين الدول على قدم المساواة التي صيغت في قرارات مؤتمر باندونغ التي يؤيدها الاتحاد السوفيتي من جهته كل التأييد.

ان الانطـلاق الجبـار فـي حركـة التحـرر الـوطني فـي بلـدان الشـرق العربي، وهزيمة المعتدين في الحرب على مصر يبينان ان العزم على الخلاص من الاستعمار وعواقبه يتعاظم يومـا بعـد يـوم لـدى شـعوب الشـرقين الأدنـى والأوسط.. وان هذه البلدان لواثقة من قواها ومن عدالـة قضـيتها، وهـي تـدرك انها ليست وحدها في هذا النضال وان لها أصدقاء نزهاء.

ان وهن مواقع المستعمرين الفرنسيين والانكليز فـي الشـرق الأدنـى والاوسـط ونجاحـات البلـدان العربيـة فـي توطيـد اسـتقلالها تعتبرهـا الـدوائر الحاكمـة فـي الولايـات المتحـدة "فراغـا" تـود ان تمـلأه بتـدخلها العسـكري والاقتصادي في الشؤون الداخلية لهذه البلدان، ولكن علـى اي "فـراغ" يمكـن ان يـدور الحـديث؟ ومنـذ متـى اصـبحت البلـدان التـي تحـررت مـن الاضـطهاد الاستعماري والتي سارت في طريق التطور الوطني المستقل تؤلف "فراغا"؟

من الواضح ان تعزيـز الاسـتقلال الـوطني للشـعوب العربيـة، واشـتداد نضالها ضد النير الاستعماري لا يخلفان البتة فراغا، بل هما استرجاع للحقـوق

الوطنيـة لشـعوب الشـرقين الادنـى والاوسـط، وهمـا عامـل تقـدمي للتطـور الاجتماعي.

ان الولايـات المتحـدة تسـعى جاهـدة لاظهـار سياسـتها بانهـا معاديـة للاستعمار، ولكن من غير الصعب البتة على المرء ان يرى بطلان الاقاويل التي تقصد بجلاء الى تخدير يقظة شعوب الشـرقين الادنـى والاوسـط. فـان برنـامج الولايات المتحـدة يشـدد بعنـاد علـى ان الشـرقين الادنـى والاوسـط يجـب ان تعترف "بتبعيتها المتبادلة" مع البلدان الغربية، أي مـع المسـتعمرين، وبخاصـة فيما يتعلق بالبترول وقنـاة السـويس الـخ.. وبتعبيـر آخـر، ان الولايـات المتحـدة تسعى السعي الحثيث لان تفرض وصـاية المسـتعمرين علـى شـعوب بلـدان الشرقين الادنى والاوسط.

ان "التبعيـة المتبادلـة" لبلـدان الشـرقين الادنـى والاوسـط مـع الـدول الاستعمارية انما تعنـي عمليـا ان علـى بلـدان الشـرقين الادنـى والاوسـط ان تضع مواردها الطبيعية وثرونتها الطبيعية تحت تصرف الاحتكـارات الاجنبيـة، وان الولايات المتحـدة تسـعى جاهـدة لان تقـيم النظـام الاسـتعماري القـديم فـي بلـدان الشـرقين الادنـى والاوسـط فـي صـورة جديـدة، فتسـتولي فـي هـذه المنطقة على منـاطق ذات سـيادة، ويحـاول واضـعوا البرنـامج الاسـتعماري ان يرشـوا عليـه سـكر الوعـد "بمسـاعدة" اقتصـادية لبلـدان الشـرقين الادنـى والاوسط، بيد ان كل انسان على جانب من المعرفة يدرك ان الولايات المتحدة انما تعرض في الواقـع علـى شـعوب البلـدان العربيـة، بصـفة مسـاعدة قائمـة على الاحسان، جزءا ضئيلا مما تتناوله وتناولته الاحتكارات الاميركية من نهـب واستثمار الثروات الطبيعية التي هي ملك لهذه البلدان، فالولايات المتحدة تعد بلدان الشـرقين الادنـى والاوسـط فـي عـامي 1958-1959 بمبلـغ 200 مليـون دولار، في حين أن احتكارات البترول الاميركية والبريطانيـة قـد اسـتخرجت مـن الشرق الادنى والاوسط في عام 1955 وحده 150 مليون طن مـن البتـرول لـم تكلفها غير 240 مليون دولار بينما قد جنت ربحا صـافيا مـن هـذا البتـرول قـدره مليار و 900 مليون دولار ذلك هو عمليا هو الاحسان الاميركي.

ويزعم بيان الرئيس ايزنهاور ان الولايات المتحدة مهتمة بمصـير الاديـان في هذه المنطقة، وفي عدادها الاسلام الذي تدين به أكثرية شعوب الشـرق العربي ولكن لا يمكن اخذ هذه الحجة مأخذ الجد، فالاسلام كاتجاه ديني، قـد ظهر قبل اكتشـاف اميركا بقرون عديدة، وصمد في وجه أربعـة حـروب صـليبية،

ولذلك فان مما هو قليل الاعتماد جدا ان يكون مسلمو الشرق العربي في الوقت الحاضر في حاجة لحماية الاسلام من قبل الولايات المتحدة أو من قبل أحد سواها، والحجج الزاعمة بأن مصالح الدين في الشرق العربي تتطلب أن ترسل إلى هذه البلاد قوات مسلحة اميركية انما هي حجج لا تقوم على اساس، فليست مصالح الدين في الشرقين الأدنى والأوسط، بل مصالح اضخم احتكارات البترول الاميركية هي التي ترغم حكومة الولايات المتحدة على الاهتمام بارسال قواتها الى هذه المنطقة، ومشاريع تدخل الولايات المتحدة في الشؤون الدينية للبلدان الاسلامية انما ينظر اليها بحق على انها اهانة للمشاعر الدينية لشعوب هذه البلدان.

وليس يمكن عدم الاشارة الى ملابسة مؤداها ان تدخل الولايات المتحدة في الشؤون الداخلية للبلدان العربية والتهديد الفظ باستخدام القوة حيال هذه البلدان، لا يمكن ان يؤديا الا الى تقوية الميول العدوانية لدى الدوائر الحاكمة في اسرائيل حيال البلدان العربية، فإن هذه الاوساط المتطرفة الوثيقة الارتباط بالاحتكارات الاميركية تجهد بالاستناد الى الولايات المتحدة لتحقيق مشاريعها التوسعية، الأمر الذي يمكن بدوره أن يؤدي الى تفاقم الوضع في الشرقين الأدنى والأوسط، تفاقما أكثر شدة والى اشتداد التهديد للسلام في هذه المنطقة اشتدادا خطيرا.

وسعيا لتغطية تدخلها الفظ في الشؤون الداخلية لبلدان الشرقين الأدنى والأوسط، وسياستها العدوانية حيال بلدان هذه المنطقة، لجأت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الى اختلاقات تزعم فيها ان ثمة خطرا على البلدان العربية من جانب الاتحاد السوفيتي، ان هذه التخرصات الافترائية لن تخدع أحدا، فإن شعوب الشرقين الادنى والاوسط لم تنس ان الاتحاد السوفيتي ايد وما يزال يؤيد حرية الشعوب في تقرير مصيرها، وحصول هذه الشعوب على استقلالها الوطني وتوطيده، وقد اقتنعت بالتجربة بان الاتحاد السوفيتي يتمسك بثبات، في علاقاته مع جميع البلدان بسياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وهي تعرف جيدا ان الاتحاد السوفيتي يساند بنشاط حق كل شعب في أن يتصرف بثرواته الطبيعية وأن يستخدمها على هواه، وليس الاتحاد السوفيتي بل انكلترا وفرنسا- شريكتا الولايات المتحدة الرئيسيتان في كتلة شمالي الاطلسي- هما اللتان اقترحتا عدوانا على مصر، عدوانا الحق بالشعب المصري العديد من الضحايا والآلام. وتشهد على

ذلك الخرائب التي ما يزال يتصاعد منها الدخان في بورسعيد وغيرها من المدن المصرية، وكذلك المشاريع الجديدة للتوسع الاقتصادي والعسكري والسياسي للولايات المتحدة في الشرقين الادنى والاوسط التي اعلنها الرئيس الاميركي، فان مشاريع الاستعماريين الاميركيين العدوانية هذه تعرب عن نزوعهم الى السيطرة العالمية، الامر الذي يعلنونه الآن من غير حرج معللين هذا النزوع بضرورة "قيادة حازمة" للعالم تتولاها الولايات المتحدة.

ان الاتحاد السوفيتي، ولا احد سواه، هو الذي أظهر في ايام المحن العصيبة التي اجتازتها الشعوب العربية أنه صديق مخلص، والذي قام مع القوى الشغوفة بالسلام، في العالم بأسره، بمساع ترمي الى وقف العدوان على مصر وهذا كله معروف جيدا.

وينطوي بيان رئيس الولايات المتحدة على مطالبة البلدان العربية بأن تتخلى عن جميع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وسائر بلدان المعسكر الاشتراكي التي تقيم علاقاتها مع الدول العربية على مبادئ المساواة والصداقة، على مبادئ مؤتمر باندونغ، وان مطلب الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة هذا المطلب بليغ الدلالة وهو يكشف اضطرارا، عن اكثر الخطط خفاء لدى الذين يريدون التوصل الى عزل الدول المستقلة الفتية في الشرقين الأدنى والاوسط لكي يغدو من الأسهل للمستعمرين تحطيم مقاومتها ولتحقيق المشاريع التوسعية الرامية الى سيطرة الاستعمار الاميركي العالمية.

ان سياسة اثارة بعض البلدان على بعضها الآخر هي سياسة غريبة عن الاتحاد السوفيتي، وغريب عنه ايضا كل نزوع الى بذر الريبة بين الشعوب، فان سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية، تقوم في أساسها على مبدأ التعايش السلمي بين الدول بصرف النظر عن اختلاف نظمها السياسية والاجتماعية، وعلى اقامة تعاون جدي بين الدول، ومعلوم جيدا أن الاتحاد السوفيتي إذ يعزز علاقاته الودية مع مصر وسائر البلديان العربية، لا يسعى وراء تسميم علاقات هذه البلدان مع الولايات المتحدة، بل بالعكس فقد نوه بضرورة ضمان سلام دائم، وإقامة جو من الثقة في هذه المنطقة وفي سائر مناطق الكرة الأرضية.

ومعلـوم ان الاتحـاد السـوفيتي، خلافـا للولايـات المتحـدة لـيس لـه ولا يسعى لأن تكون له قواعد عسكرية أو امتيازات في الشرقين الادنى والاوسط بغية جني الأرباح، ولا يسعى للحصول على امتيـازات مـا فـي هـذه المنطقـة، وذلك لأن هذا كله يتعارض ومبادئ السياسة الخارجية السوفياتية.

ان للاتحاد السوفيتي مصلحة حيوية في أن يقوم السلام فـي منطقـة الشرقين الادنى والاوسط الواقعة على مقربة مباشرة من حدوده، وهو مهـتم صادق الاهتمام بتعزيز الاستقلال الوطني لهذه البلدان وبازدهارهـا الاقتصـادي الذي يعتبره ضمانة يركن اليها للسلام والامن في هذه المنطقة.

ان حركة التحرر الـوطني للشـعوب فـي عصـرنا قـوة تاريخيـة لا تقـاوم، والاتحـاد السـوفيتي الامـين للمبـاديء اللينيـة القائمـة علـى الاعتـراف بحـق الشعوب كبيرها وصغيرها بالتطور المستقل، وعلى احترام هذا الحق، يعتبر ان مهماته الاساسية تقديم اقصى العون والمساندة للبلدان المناضلة في سبيل توطيـد اسـتقلالها الـوطني وسـيادتها، ولـذلك فهـو يحيـى الوحـدة المتعاظمـة لشعوب البلدان العربية في نضالها من أجـل السـلام والأمـن والحريـة الوطنيـة والاستقلال.

ان الاتحاد السوفيتي يناهض بحـزم كـل مظهـر للاسـتعمار، وكـل مبـدأ يـدافع عـن الاسـتعمار ويموهـه، وهـو الخصـم للمعاهـدات والاتفاقـات غيـر المتكافئة، ولاقامة القواعد العسكرية الاجنبية في اراضي الآخرين التي تمليها اعتبارات استراتيجية ومشاريع لاقامة سيطرة الاستعمار العالمية، وهو ينطلق عن المبدا القائل بأن الثروات الطبيعية للبلدان المتخلفة في تطورها هي ملك قوي ثابت لشـعوب هـذه البلـدان التـي لهـا مـلء الحـق فـي أن تتصـرف بهـذه الثروات وأن تستخدمها لصالح ازدهارها الاقتصادي ولصالح التقدم،

ان ضـرورة توطيـد السـلام والأمـن تتطلـب تنميـة واسـعة للعلاقـات السياسية والاقتصادية والثقافية بين بلدان العالم، ونمـو هـذه العلاقـات شـرط هام لاستخدام منجزات العلم والتكنيك الحديثين لخير البشرية.

ان سياسة تكوين الكتل العسـكرية العدوانيـة الضـيقة مـن طـراز حلـف شمالي الاطلسي، وحلف جنوبي شرقي آسيا وحلـف بغـداد واقامـة الحـواجز الاقتصادية المصطنعة التي تعيـق العلاقـات الطبيعيـة بـين الـدول، تضـر بقضـية السلام ضررا جسيما.

والاتحاد السوفيتي في سعيه الجاهد لمساعدة الشعوب المناضلة في سبيل توطيد استقلالها الوطني، وفي سبيل القضاء بأسرع وقت على عواقب الاضطهاد الاستعماري يعلن استعداده لأن ينمي معها تعاونا متعدد الاشكال قائما على مبادئ المساواة التامة في الحقوق والمنفعة المتبادلة.

ان برنامج الاستعمار الامبريالي المقدم من قبل الولايات المتحدة يشهد على ان الدوائر الحاكمة الاميركية لم تستخلص من اخفاق العدوان على مصر الاستنتاجات التي تفرض نفسها، فهي تسعى جهدها بجلاء لاعادة سياسة "مواقف القوة" المفلسة، وهذا كله لا يسهم في تخفيف التوتر في المنطقة، بل بالعكس يؤدي الى تفاقم الوضع والى اشتداد الخطر على السلام في الشرقين الأدنى والأوسط، ويدوس المباديء السلمية لهيئة الامم المتحدة، هذه المباديء التي بموجبها أدانت الجمعية العمومية العدوان الاخير على مصر، وليس صوت السلام بل صوت الحرب هو الذي يسمع في رسالة الرئيس السيد ايزنهاور.

وترى الأوساط السوفياتية ذات الصلاحية ان التدابير التي تعتزمها حكومة الولايات المتحدة حيال منطقة الشرقين الأدنى والأوسط، والتي تنص على امكانية استخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة الاميركية في هذه المنطقة، قد تؤدي الى عواقب خطرة ستقع مسؤوليتها على حكومة الولايات المتحدة.

بعد ذلك اصدر الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية بيانا مشتركا اعلنتا فيه استعدادهما لمساعدة شعوب الشرق الأدنى والاوسط في تقديم المساندة اللازمة لدرء العدوان ومنع التعرض لشؤون بلدان المنطقة.

□

كانت الولايات المتحدة مدركة لجدية وخطورة تحذير الاتحاد السوفيتي في بياناته المتعاقبة، فقد أدلى دلس بحديث أمام لجنتي الشؤون الخارجية والقوات المسلحة في مجلس الشيوخ جاء فيه :

"ان القوات البرية والجوية والبحرية السوفيتية معسكرة حاليا في مناطق ملاصقة للشرق الأوسط، في بلغاريا واوكرانيا والقوقاز وآسيا الوسطى والبحر الأسود.. ان هذه القوات يؤهلها عددها ومناطق تمركزها لان تكون في

اي وقت وعند أول اشارة أداة للهجوم السريع وهذه الحقيقة ليست بجديدة علينا وانما لها اليوم معنى خاص.

وان القوات العسكرية في الاراضي الروسية وخصوصا تلك المتاخمة لا يران وتركية يمكنها التحرك عند أول اشارة".

□

كان الاتحاد السوفيتي قبل ظهور خلافه مع الصين في الستينات اكثر شجاعة واقداما في مجابهة الولايات المتحدة ودعم الحركة العربية التحررية، ولعل الانقسام في المعسكر الاشتراكي لم يعد بالأذى على قضايا أمة مثلما عاد على الأمة العربية. كما أن الاعتراف بالجميل لذكرى الرجل العظيم خروشوف يقتضينا ان نشيد بحماسته واندفاعه في دعم وتأييد القضايا العربية.

129

1957: تشكيل حكومة التجمع برئاسة صبري العسلي - صدور قرار الاتهام بقضية التآمر على الوضع الديموقراطي التحرري في سورية خلال العدوان الثلاثي على مصر- النتائج السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تلت محاكمة المتآمرين- صدور قانون يمنع تهجير الفلاحين والبدء بانشاء مصفاة البترول. نجاح مرشحي الاتجاه الوطني التقدمي بدلا من المتآمرين من النواب الذين فسخت نياباتهم.

كنا نسعى -كما قلت- لتشكيل حكومة قومية يشترك بها حزب الشعب لدعم الوحدة الوطنية والوضع الديموقراطي في البلاد، فحاولنا أن نضع حلولا معقولة لشروط حزب الشعب التعجيزية التي كان يقترحها رشدي الكيخيا ليحول دون اشتراك حزبه بالحكم، وكان أخطرها اشتراطه استلام حزبه وزارة الداخلية بعد أن أدين باشتراك بعض أعضائه بمؤامرة عام 1956 ومع ذلك فقد بلغت رشدي الكيخيا بواسطة عادل الكيخيا أن التجمع لا يمانع بذلك على شرط أن يكون اختيار المرشح لوزارة الداخلية بالاتفاق مع التجمع القومي للمحافظة على انسجام الوزارة وسلامة اتجاهها، فكان جواب الكيخيا على هذا العرض وضع شرط جديد وهو عدم اشتراك فاخر الكيالي مرشح الحزب الوطني بالحكومة الجديدة، وبعد أن بلغ الأمر هذا الحد من العبث اضطر صبري العسلي قبل يوم واحد من نشر قرار قاضي التحقيق بقضية المؤامرة أي بتاريخ 1956/12/22 أن يرفع استقالته لرئيس الجمهورية كي يشرع بتأليف الحكومة الجديدة من أعضاء التجمع القومي..

□

لم يطالب حزب البعث منذ بداية المداولات لتشكيل الحكومة الجديدة بأكثر من مقعدين وزاريين كان يشغلهما في

السابق هما وزارة الخارجية والاقتصاد الوطني، وعقدت القيادة اجتماعا في منزل الأمين القطري مدحت البيطار لبحث هذا الموضوع، فقرأ الدكتور مدحت عددا من العرائض المقدمة من بعض الحزبيين تطالب بأن يسمى صلاح البيطار وزيرا للخارجية، وقد لاحظت أن كل الموقعين من جماعة الاستاذ صلاح البيطار، فأدركت بأن النغمة القديمة قد عادت للظهور من جديد وهي أن حزب البعث لا يمكن أن يعتبر ممثلا الا بشخص ميشيل عفلق أو صلاح البيطار، وبما أن الاستاذ ميشيل غير وارد فيكون تمثيل البعث بشخص صلاح البيطار وهي المقولة ذاتها التي طرحها صلاح البيطار في انتخابات عام 1954.

كان عبد الكريم زهور متحمسا لاستبدال خليل كلاس بمرشح آخر لأنه كان يطمح بأن يكون بديلا له، وقد شكل هذا الطموح لديه عقدة نفسية تحكمت في كل تصرفاته ومواقفه وآرائه السياسية فيما بعد، بينما كنت مقتنعا في قرارة نفسي قبل هذا الاجتماع بضرورة استبدال البيطار وخليل الكلاس بمرشحين آخرين ولم يكن لدي مانع أن يكون آنذاك عبد الكريم زهور أحدهما، وكان الموقف محرجا للغاية، إن ليس من المصلحة ولا من الإنصاف أن يرشح صلاح الدين البيطار للوزارة ثانية ويقصى عنها خليل الكلاس، بالوقت الذي سلك فيه صلاح البيطار طريقا غير مشروعة حزبيا، كما أنها تتنافى مع تقاليدنا التي تقول: "طالب الولاية لا يولى" ولكنني كنت في الوقت نفسه مدركا أن إقصاءه عن الحكم سيخلق متاعب في الحزب نحن في غنى عنها، فاخترت بقاء ما كان على ما كان، وهكذا قررنا ترشيح صلاح وخليل للوزارة الجديدة.

لم يكن هذا القرار مزعجا لعبد الكريم زهور فحسب بل أزعج أيضا عبد الحليم قدور الذي كان يطمح للوزارة، فأظهر نشاطا نيابيا غير معهود بالنسبة له منذ بدأت المداولات لتشكيل الحكومة الجديدة.

إن تفشي مرض الاستيزار في قيادات الحزب، الذي استفحل أمره فيما بعد، وأصبح تعطشا للحكم والسلطة،

واكتسى أثوابا من النظريات والفلسفات قد شـرذم الحـزب وعرض القضية لأفدح الكوارث والنكبات.

□

ألف صبري العسلي وزارة التجمع القومي بتـاريخ 56/12/31 على الشكل التالي:

صـبري العسـلي رئيسـا للـوزارة ووزيـرا للداخليـة بالوكالـة (الحـزب الوطني)

صلاح البيطار وزيرا للخارجية (البعث).

خليل كلاس وزيرا للاقتصاد الوطني (البعث).

خالـد العظـم وزيـرا للدولـة ووزيـرا للـدفاع بالوكالـة (الكتلـة الديموقراطية).

حامد الخوجة وزيرا للزراعة (الكتلة الديموقراطية).

صالح عقيل وزيرا للدولة (الكتلة الديموقراطية).

فاخر الكيالي وزيرا للاشغال العامة (الحزب الوطني).

أسعد هارون وزيرا للصحة والاسعاف العام (الحزب الوطني).

هاني السباعي وزيرا للمعارف (مستقل) (شعبي سابق).

أسعد محاسن وزيرا للمالية (مستقل).

مأمون كزبري وزيرا للعدل (حركة التحرير العربي).

وفـي جلسـة اسـتثنائية عقـدت يـوم 1957/1/3 تقـدمت الحكومة الى المجلس النيابي ببيانها الوزاري **الـذي أعلنـت فيـه تبنيها للميثاق القومي وعهد التجمـع، وتنفيـذ قـرار الاتحـاد الفدرالي مع مصر، وأعلنت اصـرارها علـى جـلاء المعتـدين عن سيناء وغـزة بـدون قيـد أو شـرط، والوقـوف بحـزم فـي وجـه المـؤامرات الاسـتعمارية.** كمـا تعهـدت بـإجراء محاكمـة المتآمرين محاكمة علنية مشـهودة، تفسـح فيهـا جميـع الاسـباب القانونية ليدافع كل متهم عن نفسه أمام القضاء العـادل، بـل أمـام

الشـعب بأسـره، وأن تكـون وقـائع المحاكمـة عونـا لاظهـار الحـق وإنصاف حقـوق الـوطن والمـواطن علـى السـواء، وأن يكـون الـذين يدينهم القضاء النزيه آخر حلقه من حلقات التآمر في هذه البلاد.

فازت حكومة التجمع بثقة المجلس النيابي، ولكـن الحكومـة والمجلس معـا خسـرا بالوقـت نفسـه كثيـرا مـن ثقـة الـرأي العـام فيهما عندما حمل النواب المسـتقلون علـى حـزب الشـعب حملـة شعواء لأنه لم يحدد موقفه من أعضـائه الـذين اشـتركوا بـالمؤامرة فرد عليهم علي بوظو (شعبي) قائلا :

"اشترك في هذه المؤامرة أفراد ينتمون الى اكثـر مـن حـزب وهيئة في هذا المجلس، ولا يمكـن أن يسـأل حـزب عـن فـرد مـن أفراده ضل السبيل والا لقلنا لرئيس الوزارة (صبري العسلي) كيـف تؤلف الوزارة وقطب من حزبك ورجل من كبار رجالك متهم في هذه المـؤامرة؟ ان مثـل حـزب الشـعب فـي هـذا الموضـوع مثـل بقيـة الاحزاب والكتل فكيف توجه اليه وحده مثل هذه التهمة؟".

ويتساءل القارئ :

لماذا لم يفصل حـزب الشـعب والـوطني الأعضـاء المتـآمرين حرصا على سمعة حزبيهما وسمعة الحياة البرلمانية؟

السبب في ذلك أن بعض القادة النافذين من الحزبين كان لا يزال يشارك المتآمرين آراءهم ومواقعهم السياسية.

وفيما يتعلق بي، لـم أكـن حريصـا فـي حقيقـة الأمـر على بقـاء هـذين الحـزبين، ولكننـي كنـت حريصـا علـى أن يكـــون اضـــعافهما وزوالهمـــا لحســـاب تصـــحيح الحيـــاة الديموقراطية.

□

كان أهم حدثين واجها البلاد منذ مطلع عام 1957، فأثرا في حيـاة سـورية السياسـية والاجتماعيـة، ووجهـا مواقفهـا العربيـة والدولية، هما محاكمة المتآمرين ومبدأ ايزنهاور.

لقد أحدث انكشاف المؤامرة، ثم محاكمة المتآمرين أثرا عميقا لدى الرأي العام فبدل كثيرا من المفاهيم السياسية والاجتماعية مما لا يمكن أن يحدث في غير الظروف الثورية، هذا التبدل جعل الناس يؤمنون بأمور لا يمكن أن يسلموا بها بسهولة في الأحوال العادية، ويتخذون مواقف تخالف ما ألفوه من تقاليد وأعراف بالية، ولا أدل على ذلك من عشرات ألوف البرقيات التي استمرت تنهال من جميع انحاء البلاد تطالب بإنزال أقسى العقوبات بحق المتآمرين ومنها تصريح بشجب المؤامرة للقائد العام لثورة سورية عام 1925 سلطان باشا الأطرش الذي تجمعه بالمتهم حسن الأطرش امير جبل الدروز أواصر القربي، كما تجمعه بفضل الله جربوع أواصر عشائرية واقليمية ومذهبية فكان تصريحه معبرا عن هذا الانقلاب الفذ في نفوس المواطنين. وفيما يلي نص التصريح :

في هذه الظروف الخطيرة من تاريخ امتنا العربية، وعندما أصبح الشعب العربي يسجعل انتصارات باهرة في سبيل التحرر من الاستعمار والاستثمار، وفي سبيل تحقيق الوحدة العربية المنشودة، طار صواب الاستعمار الغاشم، فأخذ يحيك المؤامرات الدنيئة المجرمة كي يبقى هذا الوطن العربي ضعيفا ذليلا مستعبدا، ولكن هذه المؤامرات جميعها قد تحطمت على شاطيء وحدة النضال العربي، وأمام البطولات الخارقة التي ابدتها القومية العربية ممثلة في مصر العظيمة.

في هذا الوقت بالذات تظهر المؤامرات الدنيئة القذرة التي قام بها نفر مأجور للقضاء على استقلال سورية، وعلى السياسة العربية التي تنتهجها، ولطعن الجيش المرابط على الحدود، ولاحداث مجازر أهلية دامية لقلب نظام الحكم.

إن هذه القلة الخائبة التي جعلت من نفسها أداة للتخريب والهدم في هذا الوطن يجب أن تنال ما تستحقه من عقاب صارم حازم سريع فهذا الاستقلال الوطني وهذه السياسة التحررية العربية التي تنتهجها سورية هي ثمرة كفاح طويل وتضحيات جسام لا يحق لمثل هذه الفئة الخائنة المأجورة أن تتلاعب بها، ولن نسمح لأيديها المخربة أن تهدمها.

هذا ما يتعلق بالمتآمرين بشكل عام في سورية العربية، وأما ما يتعلق بشكل خاص بجبل العرب فيجب أن يكون واضحا أمام الشعب العربي في كل مكان بأن هؤلاء الافراد القلائل الذين اشتركوا في هذه المؤامرة القذرة لا يمثلون الا أشخاصهم فقط، وانهم لا يمثلون الجبل، ولا قسما منه، حتى ولا عائلاتهم، وان جبل العرب بمجموعه ثائر على هذه القلة التي انتابها الغرور والطيش وتبعت الخونة المتآمرين وكانت عونا للأجنبي على عروبتها.

ان جبل العرب الذي ضحى كثيرا من أجل الاستقلال والحرية، والذي يؤمن ساكنوه باهداف امتنا العربية في التحرير والوحدة، لن يرضى بأن يشاهد على الأرض العربية خونة مأجورين يعملون على تحطيم استقلال سورية، وطعن القومية العربية المنطلقة.

يجب أن يعلم العالم بأجمعه بأننا نكافح جميعا جيشا وشعبا ونساء ورجالا حتى تحرر الأرض العربية بمجموعها من الاستعمار الغاشم والصهيونية المجرمة الباغية، وان كل مؤامرة سواء كانت داخلية أو خارجية سوف تتحطم أمام الوعي المتعاظم الذي يشمل ربوع الوطن العربي.

ان كل شبر من أرض العرب في سيناء وغزة والقناة والجزائر وفي فلسطين المحتلة وفي جنوب الجزيرة العربية وفي كل مكان من أرض العرب لن يكون الا ضمن السيادة العربية بفضل يقظة القومية العربية وكفاحها البطولي الجبار. (الرأي العام 57/12/5).

□

كان انكشاف المؤامرة لصالح القوى الديموقراطية في البلاد كما كان بالوقت نفسه لصالح الجيش الذي كشف المؤامرة وضبط المتآمرين وصان استقلال البلاد من عبث الاحزاب الرجعية التي كانت تصطنع من الديموقراطية غطاء لتآمرها، ولكن الجيش لم يكن صافيا من تكتلات غير ديموقراطية محدودة الوعي السياسي كجماعة أديب الشيشكلي التي انفصلت عنه بعد فراره من سورية، وكان ملاحظا بعد كشف المؤامرة أن أسهم عبد الحميد السراج السياسية بدأت ترتفع ولكن كان اعتقاد الجميع بأنه لا يمكن أن يصبح خطرا على الحكم الديموقراطي طالما أنه محروم

من المواهب والامكانات والأسباب التي تؤهله للقيام بمثل هذا الدور.

قرار قاضي التحقيق بقضية المؤامرة

بتاريخ 1956/12/23 نشر قاضي التحقيق العرفي المقدم يوسف شقرا قرار الاتهام بالمؤامرة، وفيما يلي خلاصة عنه كما وردت في جريدة الرأي العام:

- نظمت المؤامرة من قبل بريطانيا وفرنسا والعراق، وقامت خطتها على اثارة حركات العصيان في جبل الدروز والعلويين وأماكن أخرى، بإشارة تعطى من (صوت بريطانيا) واحتلال القوميين السوريين بقيادة غسان جديد للمنطقة الوسطى عن طريق منطقة الهرمل ، واشغال الجيش السوري بواسطة اسرائيل، وتدخل الجيش العراقي بناء على طلب حكومة يشكلها العصاة، ونزول القوات الانكليزية والفرنسية على الساحل السوري واللبناني دعما لهم.. والاعتراف السريع من دول الاستعمار بحكومة الخيانة.

- عهد بتنفيذ الخطة الى الجنرالين العراقيين غازي الداغستاني معاون رئيس الاركان وأحمد مرعي رئيس الشعبة الثانية، وقد حضرا الى بيروت وأقاما فيها، واجتمعا والملحق العراقي السامرائي مع المتآمرين.

- كلف بالتنفيذ السوريون القوميون ممثلين بغسان جديد وسعيد تقي الدين والضباط المطرودين، محمد صفا، محمد معروف، وحسين حكيم واقترح القوميون تكليف أديب الشيشكلي تقديرا لشهادته لصالحهم في دعوى اغتيال عدنان المالكي واتصلوا به، ثم قابله في جنيف برهان باش أعيان ونقله الانكليز بباخرة انكليزية الى بيروت، حيث استضافه القوميون، واجرى اتصالاته وقبض (15) الف دينار عراقي ثم فر بها[1] الى فرنسا، وتابع العمل من بعده أخوه صلاح الشيشكلي وأوكل قيادة المؤامرة لمحمد صفا.

- نظم القوميون معسكرا للتدريب على السلاح في لبنان بعلم الحكومة اللبنانية التي كانت تحمي المتآمرين، وكان صرف الأموال يجري عن

(1) يبدو مما كتبه ولبر كراين مسؤول المخابرات المركزية في سورية ومؤلف كتاب حبال من رمال أن مغادرة أديب الشيشكلي لبنان التي تشير اليها ايضا وثائق حلف بغداد كانت بطلب من الولايات المتحدة بسائق التنافس بين بريطانيا والولايات المتحدة، يقول كراين: كانت مهمتي هي التأكيد لرئيس الجمهورية (شمعون) بأن الرغبة في مغادرة الشيشكلي البلد تمثل الموقف الأميركي على أعلى مستوى (ص 344) .

طريقهم مما أثار حفيظة محمد صفا فاحتج عليه، وأخذ فريد شهاب مدير الأمن العام اللبناني الوثيقة التي وقعها المتآمرون من صلاح الشيشكلي وسلمها الى الملحق العسكري البريطاني في بيروت.

- كان عدنان الأتاسي المتهم بمؤامرة 1955 الفاشلة التي نظمها نوري السعيد يتصل بالقوميين ويتعاون معهم، وكان ينصاع لأوامرهم كلما استدعوه، وقال عن ميخائيل اليان انه كان يتصل بمن هم أعلى بكثير من السامرائي أي بنوري السعيد.

- كان ميخائيل ليان[2] متهما باجراء الانقلاب الذي وصفه بأنه (مصابح مماسي) وغضب لتأخر وصول السلاح مما أدى لتأخير الحركة قبل سفر القوتلي إلى موسكو، وكان في النية منعه من السفر اليها بقيام العصيان، وكان على صلة وثيقة بعدنان الاتاسي بشأن الانقلاب.

- لعب عدنان العائدي دوره في الاتصال بمنير العجلاني، وحضر عددا كبيرا من الاجتماعات، وحضر العجلاني الميثاق السياسي للحركة بخط يده واجتمع مرارا الى القوميين، وذعر حين شاهد احد الضباط السوريين يدخل الاجتماع، وقبل رئاسة الحكومة بعد الانقلاب على أساس ديكتاتوري.

- وقع سامي كبارة الميثاق وسافر الى روما ليقنع العقيد الحسيني بالاشتراك بها اثناء العدوان على مصر.

- تولى حسن الاطرش وهايل سرور عملية نقل الاسلحة وتنظيم العصيان في جبل الدروز، ولعب عادل العجلاني وفضل الله جربوع وغيرهما دورهم الجزئي في المؤامرة.

- كانت الاجتماعات تجري في بيوت السوريين القوميين في بيروت وفي مراكزهم قرب بيت مري (العرعار) (وظهور الشوير)، وفي ضاحية عالية.

- غرر المتآمرون بعدد قليل من ضباط الجيش السوري منهم ضابط في سلاح الطيران كلف باستعمال المدافع ضد الدبابات وعرض غسان جديد دفع 250 ل. س لكل ضابط مسرح كراتب شهري.

---

(2) يفصل المصدر السابق دور ميخائيل ليان في المؤامرة (ص 351 - 384) .

- كان أعضاء اللجنة السياسية المقترحون هم منير العجلاني، عدنان الأتاسي ميخائيل اليان، حسن الأطرش، محمد الفاضل، وأصر القوميون على أن يكون جلال السيد بينهم، على اعتباره موثوقا من نوري السعيد، ولأن بغداد تريد من وجوده ضمان عدم افلات الانقلاب من يدها.

- كان اعضاء اللجنة العسكرية هم : غسان جديد، محمد صفا، محمد معروف، وهم في نفس الوقت لجنة مالية تتولى الاشراف على الصرف.

- كان من أهداف الميثاق السياسي الذي حرره العجلاني وعدل بموافقته حل مجلس النواب، وإلغاء الشعبة الثانية، والشرطة العسكرية، وتكليف صبحي العمري بوزارة الدفاع، واجراء انتخابات مزورة يبعد فيها الاشتراكيون والشيوعيون عن مقاعد النيابة والتعاقد مع نوري السعيد.

- كان من أهداف الحركة اغتيال الرئيس القوتلي وعدد من السياسيين بينهم أكرم الحوراني وخالد بكداش وعدد من الضباط بينهم، المقدمون سراج، وطعمه العودة الله، وأحمد حنيدي، والمقدم جراح، والرؤساء مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وباقي رؤساء الشعب في الأركان.

- وزعت الأموال بكثرة وكانت التسعيرة الرسمية 20 الف ليره لكل وجبة سلاح و 250 ليرة لكل مسلح، واشتري 25 نائبا من المجلس النيابي لصالح المؤامرة.

تشكيل المحكمة العرفية ومحاكمة المتآمرين .

سمي اعضاء المحكمة العرفية دون معرفة الحزب واطلاعه، فعين العقيد عفيف البزرة رئيسا للمحكمة مما أبرز اسمه للمسرح السياسي والعسكري، كما عين المقدم الركن أمين النفوري عضوا فيها والرئيس صلاح يوسف آغا عضوا آخر، ومحمد الجراح نائبا عاما وبذلك تولى جماعة الشيشكلي السابقون بالاتفاق مع عبد الحميد السراج وخالد العظم وزير الدفاع أمر القضاء في موضوع المؤامرة.

لم أكن مرتاحا الى تشكيل المحكمة العرفية على هذا النحو فقد كانت بداية الصلة بين عفيف البزرة وجماعة الشيشكلي تلك الصلة التي انتهت بتحالف الشيوعيين وخالد

العظم وعفيف البزرة وجماعة الشيشكلي السابقين ضد حزب البعث كما سيرد فيما بعد، واستغرقت محاكمة المتآمرين حتى صدور الحكم شهري شباط وكانون الثاني من عام 1957، وقد أدانت هذه المحاكمة الطبقة الاقطاعية جميعها، ولم يقتصر أثرها على حزبي الشعب والوطني.

زارني بعد بدء المحاكمة جمال الأتاسي وعبد الكريم زهور وقالا بأن القضاء على الطبقة الاقطاعية بهذه السرعة وبهذا الشكل سيكون لمصلحة الحزب الشيوعي فقلت لهما :

هل يجوز ان نتدخل لمصلحة هذه الطبقة التي ناضلنا ضدها نضالا مريرا بكل الوسائل الوطنية المشروعة وقدمنا تضحيات جسيمة للخلاص منها بينما لم تتورع هي عن التآمر مع الاستعمار لقتلنا واغتيالنا وتدمير جميع المؤسسات الديموقراطية التي تدعي الحرص عليها والقضاء على حرية البلاد واستقلالها وطعن القضية العربية من خلف؟

ربما كان الدكتور جمال الاتاسي مأخوذا بعواطفه من جراء الاهانة التي لحقت بأسرته، ولكن الأمر كان مختلفا بالنسبة لعبد الكريم زهور، ولا شك أن الذي وحد موقفهما هو اشمئزازهما المشترك من استغلال الشيوعين لمحاكمة المتآمرين وكنت أشعر بأن شعبنا لا يستسيغ مثل هذه الاساليب، وان ترفعنا عنها يقربنا من ضميره وقناعته.

قلت لهما بأننا سنبتعد مع ذلك ما أمكننا عن كل أساليب الاستغلال، ولذلك رفضت التقدم بالادعاء الشخصي في هذه القضية ولم يكن عبد الفتاح الزلط ورياض المالكي وعبد الحليم قدور وعدد آخر من محامي حزب البعث وكلاء لي في دعوى المؤامرة، ولكنهم كانوا وكلاء الضابطين مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت، وقد حاولت اقناع عبد الفتاح ان يخفف من غلوائه والا يسيء الى حزبي الشعب والوطني اثناء المحاكمة لانه لا مصلحة لنا من التمثيل بهما ولكن عبد التفاح فعل عكس ما أوصيته تماما منذ بداية المحاكمة، فكلمته حول الموضوع مرة أخرى وقلت له،

ان الدموع كادت تطفر من عيني عندما سمعت من الاذاعة اعترافات عدنان الاتاسي، فلقد تخيلت الشيخ الجليل هاشم الاتاسي وكان على حافة قبره يستمع الى اعترافات ابنه، ولم يكن بمقدوري أن اقنع أحدا بأن موقف عبد الفتاح في المحاكمة لم يكن بتحريض وتشجيع مني، ولم أتمكن من اقناع عبد الفتاح بأن الجو الديموقراطي البعيد عن كل مظاهر الارهاب النفسي والفكري أدعى لثقة الناس وقناعتهم واحترامهم للأحكام التي ستصدرها المحكمة.

جرت المحكمة - كما وعد الرئيس شكري القوتلي في كلمته- في جو من الحرية والعلنية وضمان حق الدفاع والاصول القانونية، بالرغم من جو البلاد الملتهب، على نحو لا يجري نظيره في أعرق البلاد ديموقراطية، فقضى ذلك على جميع ما كانت تذيعه وتنشره أجهزة الاستعمار من التشكيك بحقيقة المؤامرة وأنها افتراءات لفقها المكتب الثاني على المتهمين الأبرياء لأغراض سياسية، وقد اعترف المتهمون جميعهم أمام المحكمة بمعاملتهم الطبيعية اثناء التحقيق وفي السجن وانهم أدلوا بإفاداتهم امام قاضي التحقيق بمحض إرادتهم، فطلبت منهم المحكمة تنفيذا لأحكام القانون أن يوكلوا من يختارون للدفاع عنهم، وهكذا جمعت محاكمتهم أساطين المحامين العرب فكانت مرافعاتهم أمام المحكمة مبارزة حقوقية وسياسية وعقائدية ووطنية تابعها الرأي العام باهتمام لا مزيد عليه مما اكسبه وعيا وخبرة وتجربة لم يكن متيسرا له أن يكتسبها في عشرات السنين من النضال ولم يعد يأبه لكل ما كانت تنشره أبواق الرجعية والاستعمار من تشكيك بصحة وقائع المؤامرة، ثم جاءت بعد ذلك ثورة 14 تموز عام 1958 فكشفت وثائق الخارجية العراقية ووثائق المخابرات جوانب أخرى من المؤامرة لم يتوصل اليها القضاء في سورية.

وهكذا لم تكن أية قضية سياسية نظرت فيها محكمة استثنائية لمصلحة الثورة العربية كهذه القضية، لأنها عرت بشكل واقعي ملموس أغراض الاستعمار وكل ما يستخدمه من أساليب

ووسائل ودعايات وأجهزة وعملاء ضد القضية العربية، ولا يعود الفضل في ذلك لقوة الأدلة التي توفرت فحسب، بل للجو الديموقراطي الذي جرت فيه المحاكمة **وكان لقناعة الناس الحرة غير المفروضة أهمية كبيرة في بناء الوطن والانسان.**

كان يبدو على وجوه المتهمين اثناء المحكمة الندم وتوبيخ الضمير ولا سيما عدنان الاتاسي الذي كانت افادته امام المحكمة كالاعتراف السري امام الكاهن، ولكن اعترافات منير العجلاني كانت مبطنة ومتضاربة ومراوغة بشكل مفضوح، وكأنه كان موعزا له أن يتخذ امام المحكمة دورا مثيرا ومستفزا فقد رفع اصبعيه مشيرا بحرف (7) علامة النصر عندما تقدم منه مصورة مجلة لايف الاميركية وهو في قفص الاتهام.

□

بلغ الحقد الاستعماري على العهد الوطني الديموقراطي في سورية مداه بعد القبض على المتآمرين فألقى متسللون من العملاء بعض المتفجرات على مكتب حزب البعث العربي الاشتراكي، وعلى بعض الاحياء الشعبية لنشر الذعر والخوف، كما وزعوا بعض المنشورات التي تردد الاباطيل التي كانت تذيعها اسرائيل عن الأوضاع المتردية في سورية، وقد تكرر إلقاء القنابل والمتفجرات وتوزيع النشرات، فكتبت في جريدة البعث بتاريخ 57/2/8 مقالا بعنوان "المتفجرات في حلب حلقة من حلقات المؤامرة"

مفاجآت خلال سير المحاكمة.

استدعت المحكمة أحمد قنبر وزير الداخلية السابق للاستماع الى شهادته عن علاقة حوادث حلب التي وقعت قبيل العدوان على مصر مع قضية المؤامرة، وكان اسمه قد ورد في عداد أعضاء اللجنة السياسية التي كانت ستستلم الحكم بعد نجاح الانقلاب، فاعترف بأن حوادث حلب كانت مفتعله وان قوى الامن قصرت بواجبها، ولكنه لم يبرر لماذا لم تتخذ الاحتياطات. وهو

وزير الداخلية المسؤول ولماذا لم يعاقب الذين قصروا في قمع الفتنة قبل تدخل الجيش وهكذا دخل المحكمة شاهدا وخرج منها متهما، والاسوأ من ذلك أن المحكمة استدعت رئيس الوزراء للادلاء بشهادته في هذا الموضوع عما اذا كان صلاح البيطار قد حذر مقدما من حوادث حلب قبل وقوعها (بناء على طلب فرع حزب البعث في حلب) فقال صبري العسلي:

"الواقع ان وزير الخارجية اتصل بي قبل حوادث حلب بيومين وأبلغني أن في جو حلب اشياء مريبة ومشبوهة ويخشى من وقوع فتنة مصطنعة بمناسبة يوم الجزائر، فجمعت على الأثر مجلس الوزراء وأحطته علما بالأمر وطلبت من كل وزير اتخاذ التدابير اللازمة" وكان أحمد قنبر قد نفى في شهادته أمام المحكمة أن يكون صلاح البيطار أو صبري العسلي قد نبهه أو نبه مجلس الوزراء الى احتمال وقوع حوادث في حلب قبل يوم الجزائر.

□

كنت أخشى من استغلال الاساءة الى سمعة حزبي الشعب والوطني في تلك الظروف الحرجة للأسباب التي ذكرتها، ولذلك أوصيت عبد التفاح زلط ألا يحرج أحمد قنبر أو صبري العسلي عند أداء شهادتهما في المحكمة لأن اتصالات كانت تجري بيني وبين معروف الدواليبي وعبد الوهاب حومد وعلي بوظو لاحداث انقلاب في حزب الشعب واقصاء العناصر المشبوهة عن مركز القيادة، واصدار بيان واضح بدعم الوضع الديموقراطي التقدمي والسياسة العربية التحررية، وبالفعل فقد عقد حزب الشعب اجتماعا عاما في دمشق حضره مندوبو مكاتب الفروع وأعضاء المكتب التنفيذي ومكتب الهيئة السياسية النيابية، فأقروا تعديلات على النظام الداخلي، وعلى منهاج الحزب الأساسي، وأصدر الحزب بيانا استعرض فيه تحالف الاستعمار مع الحركة الصهيونية والعدوان الثلاثي على مصر وأعلن إصرار الحزب على اخلاء غزة والعقبة من الاحتلال الاسرائيلي واستنكار المؤامرات الاستعمارية على سورية، وحدد الحزب أهدافه وهي تحقيق الديموقراطية السياسية والديموقراطية الاجتماعية، وأعلن موقفه

الايجابي البناء من الحكومة وتأييده للميثاق القومي وتمسكه ببنوده نصا وروحا. وشجب حلف بغداد ونادى بتوحيد جيوش الدول العربية المتحررة الخ.. (الرأي العام 1957/1/3).

ولم يسع رشدي الحيخيا رئيس الحزب الذي لم يحضر هذا الاجتماع الا ان ينصاع لما قرره الحزب، وبدأ يعلن منذ ذلك الحين انه اعتزل العمل السياسي وبدأ بتظاهر بالانزواء، ولم يرق بالطبع لأحمد قنبر ورشاد جبري ورفاقهم من الضالعين- في حزب الشعب- اصدار هذا البيان وتشكيلات الحزب الجديدة، مما دعا جريدة النذير في حلب (جريدة حزب الشعب) لتكذيب حدوث اي تطور جديد في حزب الشعب، ولم يجد صدور البيان في محو الآثار السيئة التي تركها لدى الرأي العام تورط بعض قيادات حزب الشعب في المؤامرة.

وهكذا اتخذ جماعة الشيشكلي من محاكمة المتهمين وسيلة لتبييض صفحتهم لدى الراي العام على حساب الاحزاب الرجعية التي اشترك بالمؤامرة بعض اعضائها وساعدهم على ذلك تهجم محامي حزب البعث العربي الاشتراكي: عبد الفتاح زلط وأديب نحوي وناظم صقال وغيرهم على حزب الشعب اثناء المرافعة، فقد اتهم المحامي عبد الحميد الخليل وهو من جماعة الشيشكلي معروف الدواليبي وصبري العسلي وعدنان الأتاسي بقبض مبلغ كبير من مصرف الرافدين للاطاحة بعهد الشيشكلي مما أثار معروف الدواليبي فأرسل الى المحكمة العسكرية كتابا أعلن فيه "أنه كان المسؤول الوحيد عن رسم الخطط وتهيئة النفقات اللازمة لادارة العمل وأن تلك النفقات التي دبرها وضعت في حينها تحت تصرف لجنة مالية من ستة أشخاص ولم يحتفظ منها بقرش واحد" ولكنه لم يذكر في كتابه الجهة التي استلم منها هذه الأموال ولا مقدارها ولم يكشف النقاب عن أسماء شركائه الستة الذين وضع هذه الاموال تحت تصرفهم ولا كيفية انفاقها.

لم يكن معروف الدواليبي موفقا في إرساله هذا الكتاب للمحكمة العسكرية لأن الرأي العام في سورية لم يقتنع بقبضه

الأموال من العراق للاطاحة بأديب الشيشكلي فعلقت معظم الصحف السورية آنذاك بما معناه :

إن هذا الانقلاب الذي دبرته الاحزاب الرجعية بالاتفاق مع نوري السعيد وبأموال الشعب العراقي لم يخرج الى حيز التنفيذ أصلا. وإنما الذي أطاح بعهد الشيشكلي ثورة قادها المقدم مصطفى حمدون مع رفاقه قطعت الطريق على الاحزاب الرجعية وخلصت سورية من نتائج ذلك الانقلاب وأغراضه ولم توصل جماعة نوري السعيد الى التحكم بسورية.

كان أهم حدث خلال محاكمة المتآمرين اغتيال الضابط المسرح غسان جديد على بعد عدة أمتار من مدخل وكالة الصحافة اللبنانية في بيروت التي يشرف عليها السوريون القوميون، وقد عثر في سيارته على 4000 ليرة مع دفتر ايصالات تبين من أروماته ان غسان قبض نصف مليون ليرة تبرعات للحزب من اشخاص موهت اسماؤهم، كما عثر على تقرير عن السياسة العربية والخارجية، وعن استبدال شبيلوف بغروميكو في منصب وزارة خارجية الاتحاد السوفيتي واثره على الشرق الأوسط.

وتفصيل الحادث أنه بتاريخ 19-2-57 تصدى الفلسطيني (عزة شعث) لسيارة غسان جديد في منطقة رأس بيروت وأطلق عليها عدة عيارة نارية من رشاش كان يخفيه في حقيبة جلدية مما أدى الى مقتل غسان الذي كان يقود السيارة، وقد فر عزت شعث واعتصم بأحد الأبنية، وبعد تبادل اطلاق النار مع رجال الأمن أصيب برصاصة أدت إلى مصرعه، ثم أفرغ عزيز ديوب مرافق غسان جديد مسدسه في جسم عزة شعث.

□

وبتاريخ 57/2/26 صدرت أحكام المحكمة على المتهمين بالمؤامرة وكانت كالتالي:

براءة فيضي الاتاسي من تهمة كتم المعلومات لعدم الثبوت، عدم مسؤولية عادل العجلاني ومحمد الكزبرى والرئيس

في الجيش منير سلطان من جرم كتم المعلومات نظرا لاخبارهم السلطات.

الأشغال الشاقة المؤبدة لأديب الشيشكلي بتهمة دس الدسائس لدى دولة أجنبية لدفعها الى مباشرة العدوان على سورية (حكم غيابي) عقوبة الاعدام لسعيد تقي الدين بجناية الاعتداء الذي يهدف لاثارة الحرب الاهلية وهي عقوبة مشددة باعتباره من منظمي هذا الاعتداء و(غيابي) عقوبة الاعدام للعسكريين السابقين محمد صفا ومحمد معروف وصلاح الشيشكلي بتهمة دس الدسائس لدى دولة أجنبية لدفعها الى مباشرة العدوان على سورية وهي عقوبة مشددة باعتبارهم قد نظموا أمر هذا الاعتداء (حكم غيابي). عقوبة الاعدام لميخائيل ليان (نائب في المجلس) وحسن الأطرش وشكيب وهاب بجناية الاعتداء الذي يهدف الى إثارة الحرب الأهلية وهي عقوبة مشددة لأنهم من منظمي هذا الاعتداء (حكم غيابي).

الحكم بالاعدام على عدنان الاتاسي (نائب في المجلس) وسامي كباره وصبحي العمري وحسين الحكيم بجناية دس الدسائس لدى دولة أجنبية بقصد دفعها الى مباشرة العدوان على سورية ومباشرته فعلا.

الحكم بالاعدام على هايل السرور (نائب في المجلس) بجناية الاعتداء الذي يهدف الى إثارة الحرب الأهلية بتسليح السوريين وهي عقوبة مشددة لأنه من منظمي هذا الاعتداء.

الحكم على فضل الله جربوع ومنير العجلاني (نائبان في المجلس) وزيد بن حسن الاطرش وعدنان العائدي وفائق الشيشكلي وعدد آخر من المتهمين بجناية المؤامرة التي تستهدف الاعتداء بقصد إثارة الحرب الاهلية بتسليح السوريين ضد بعضهم البعض بأحكام مختلفة.

□

كان للمحاكمة والأحكام التي أصدرتها المحكمة العرفية بحق المتآمرين وهم من رؤوس الاحزاب الرجعية، ثم استمرار حبك

المـؤامرات الاسـتعمارية والقـاء المتفجـرات علـى الاحيـاء والمنـازل تـأثير كبيـر لـدى الـرأي العـام علـى مختلـف الأصـعدة القوميـة والسياسية والأجتماعيـة انعكسـت آثـاره علـى المجلـس النيـابي الذي أدان رؤوسا أخرى من نواب حزبي الشعب والوطني الذين لم يشـتركوا بالمؤامرة ولكنهم تسببوا في تـأخير انشـاء مصـفاة الـنفط سنة كاملة. كما أصدر مجلـس النـواب قانونـا بمـادة واحـدة منعـت تهجير الفلاحين من بيوتهم وقراهم لأي سبب كان.

أما نتائج الانتخابات التي جرت لملء المقاعـد الشـاغرة فـي المجلس بدلا عن النواب المحكومين الذين سقطت نيابتهم (فضـل الله جربوع، حسـن الاطرش، منير العجلاني، عدنان الاتاسـي) فقـد أسفرت عن نجاح مرشحي الاتجاه الوطني التقدمي وسأذكر فـي حينه وقائعها بالتفصيل ولا سيما معركة دمشق الفاصلة بين حزب البعث والطبقة الرجعيـة التـي انتهـت بنجـاح ريـاض المـالكي تجـاه رئيس الاخوان المسلمين الشيخ مصطفى السباعي.

□

انشاء مصفاة البترول.

تحدثت فـي الماضـي بشـكل مفصـل عـن الاهميـة الكبيـرة التي علقتها الحركـة العربيـة التحرريـة علـى قضـايا تحريـر البتـرول العربي والمعارك التي خاضعها الشعب في سـبيل ذلك طوال فتـرة مـا بعـد الاسـتقلال، وقـد يتعجـب القـارئ مـن هـذا الجيـل لهـذه الأهميـة التـي أعطيهـا لانشـاء مصـفاة البتـرول فـي سـورية. إن الأحوال قد تغيرت بنمو الوعي وتعاظم القـدرات العربيـة ومـا يمكـن انجازه الآن كان يعتبر في الماضي إعجازا لا يمكن تحقيقـه الا بعـد نضال مرير وزمن طويل، وهكذا كان شأن بناء مصفاة البتـرول التـي لم يتم انشـاؤها الا بعـد وقـوف الشـعب فـي وجـه الحـرب الخفيـة التي كان الاستعمار يشنها ضـد مشـاريع سـورية الانشـائية وبعـد القضاء على العديد من مؤامراته.

ففـي الجلسـة التـي عقـدها المجلـس النيـابي بتـاريخ 57/2/25 أثرنا قضية عرقلة انشاء المصفاة، ومن خلال المناقشـات

التي جرت بين أحمد قنبر وخليل كلاس ظهرت مسؤولية بعض الوزراء (قنبر، رشاد جبري)، وقد كان للكلمة التي ألقيتها في تلك الجلسة أثر كبير في تشكيل لجنة برلمانية للتحقيق في موضوع العرقلة، وهي تهمة يمكن في حال ثبوتها إحالة الوزراء السابقين المتهمين الى المحكمة العليا، وقد استعرضت في هذه الكلمة قضية انشاء المصفاة والمراحل التي مرت بها والعراقيل التي حالت دون انشائها، ولم نكن نهدف في تلك الظروف محاكمة الوزراء المتهمين بالعرقلة بل كان الهدف هو جعل قضية البت بإنشاء المصفاة من المعسكر الاشتراكي أمرا مبرما، وهكذا تم انجاز المصفاة بقبول العرض التشيكي.[1]

قانون بمادة واحدة يمنع تهجير الفلاحين.

في هذا الجو الملائم مجلسيا وشعبيا كانت الفرصة سانحه لتحقيق أمر في غاية الأهمية والخطورة هو منع تهجير الفلاحين، ولا بد من مقدمة بسيطة قبل الدخول في الموضوع:

كان تهجير الفلاحين السيف المسلط بيد الاقطاعيين فوق رؤوس الفلاحين، كان ذلك في العهدين العثماني والفرنسي، وكان أمرا يقره التعامل والقانون، وظل الحال كذلك إلى ما بعد اقتباس القانون المدني المصري الذي وضعه الفقيه القانوني الكبير السنهوري.

كان عقد الايجار بحكم هذا القانون يتجدد بين المالك والفلاح عاما بعد عام، فكان باستطاعة المالك أن يهجر الفلاح بحكم من المحكمة إذا أنذره قبل ثلاثة أشهر قبل انقضاء عقد الايجار، ولا بد لي من الإشارة هنا إلى أن الفلاحين في سورية لم يكونوا مستأجرين بالمعنى المعروف. فهم ليسوا طارئين على الأرض- مسقط رأسهم- وإنما هم أصحابها قبل أن يتملكها الاقطاعي.

(1) يتحدث ولبر كراين ايفلاند مسؤول المخابرات المركزية في سورية بالتفصيل في كتابه حبال من رمل (ص 374) عن الاغراءات والضغوط التي مارسها على مجد الدين الجابري وزير الاشغال العامة لرفض العرض التشيكي.

لا شك أن عبد الرزاق السنهوري خدم البلاد العربية بما وضعه من تشريعات حلت محل مجلة الاحكام العدلية والقوانين العثمانية، ولذلك اعتبر أقرار القانون المدني بدلا من مجلة الاحكام العدلية في سورية عام 1949 خطوة الى الأمام في ميدان التشريع، ولكن هذا القانون كان قانونا رجعيا بالنسبة لقضايا البلاد الاجتماعية وكان أخطرها ما يتعلق بشؤون الفلاحين.

بعد هذه المقدمة البسيطة يمكننا أن ندخل في صميم الموضوع :

ألقى أحد زملائنا من نواب الحزب في حماه كلمة تحدث فيها عن مأساة تهجير الفلاحين ومخالفة ذلك لأحكام الدستور، وأنهى كلمته بالسؤالين الآتيين:

هل تعلم الحكومة بتهجير الفلاحين الجماعي؟ وهل في نيتها معالجة هذا الموضوع بشكل سريع وحاسم؟

ما هي التدابير التي تنوي الحكومة أن تتخذها لحماية الفلاحين من التشرد وإبقائهم في الأرض التي يفلحونها؟

كانت خلاصة جواب وزير الداخلية ومحافظ حماه الذي تلي في جلسة 57/3/4 ان السبيل الوحيد لمنع التهجير هو وضع تشريع بإلغائه، إلا في حدود ضيقة ومعينة تصون حق كل من الفلاحين والمالكين فعلقت على جواب وزير الداخلية بكلمة ورد فيها :

"إن ابناء الفلاحين يقاتلون ويقفون أمام اسرائيل، فلو كان أحدكم مجندا في الجبهة وأتت إليه رسالة من أهله تقول بأن الحكومة قد هجرتنا من قريتنا وقذفت بنا الى العراء فماذا سيكون موقفه؟" "إذا أردتم أن تقفوا في وجه اسرائيل فعلينا أن نعترف بحقوق المواطنة لهؤلاء المواطنين الفلاحين المنتجين، وإذا لم نفعل ذلك لا يجدينا سلاح".

"إن القضية هي قضية اتصال العرب بمدنية القرن العشرين، وإن نظاما اقطاعيا همجيا لا يستطيع الوقوف امام نظام يتصل بمدنية العصر وحضارته، وان الدستور الذي بين أيدينا قد وضع بعد القانون المدني، هذا القانون الذي يحكم على الفلاحين بالتهجير والذي وضع في ظل فاروق وحكم الاقطاع وكان من جملة أسباب الثورة".

"أن الدستور لاحظ هذه الناحية ونص في مواده على وجوب سن تشريع لحماية الفلاح، ومنذ أن أصبح الدستور ساري المفعول فإن المجالس النيابية المتعاقبة لم تخرج القانون الذي يحمي الفلاحين من التهجير".

"إن الميثاق القومي الذي وافقت عليه جميع الاحزاب والكتل النيابية قد عالج هذه الناحية وأوجب بالنص إخراج قانون حماية الفلاح الى حيز الوجود".

"لقد وصلني اليوم أكثر من 20 برقية من مختلف المحافظات يشكو موقعوها الفلاحون من عمليات التهجير التي هي على قسمين : قسم تقوم به الادارة بواسطة الدرك الذين يهجرون الفلاحين بدون حكم صادر عن المحاكم والقسم الثاني وهو قليل يهجر الفلاحون فيه بالاستناد الى حكم صادر عن القضاء.. إن الاقطاعيين يهجرون الفلاحين حتى من أملاك الدولة وهذا الأمر يجب ألا يدوم لأنه يقوض استقلالنا وكياننا ويقضي بايجاد حرب طبقية، ان الحرب الطبقية يشنها حاليا الاقطاع على الفلاحين، ولكن اذا استمر الامر فإن الفلاحين مرغمون ان يقفوا صفا واحدا أمام هذه المظالم وأمام هذه البربرية، فتفاديا لهذه الحرب الطبقية المنتظرة على مجلس النواب أن يخرج القانون الذي نص عليه الدستور أي قانون حماية الفلاح، وأن يمنع تهجير المواطنين من ديارهم وبيوتهم من دون حق، وأن قانون حماية الفلاح هو خير وأهم ما يعرض على المجلس من قوانين أخرى..."

وعندما رأيت ان الفرصة سانحة وان الجو النيابي مساعد تقدمت مع رفاقي النواب: عبد الهادي عباس، عبد الكريم زهور، حسين مريود باقتراح القانون الذي يمنع تهجير الفلاحين وفيما يلي نصه :

"الاسباب الموجبة: إن الدستور في مادته الثانية والعشرين، والميثاق القومي المتفق عليه من كافة أحزاب هذا المجلس وأعضائه، وأقوال النواب في جلسة 57/3/4، كلها اعتبرت ان تهجير الفلاحين غير جائز دستوريا ولا قوميا لذلك نقترح القانون التالي :

مادة1: **ريثما يصدر تشريع ينظم علاقة الفلاحين بالمالكين وفق أحكام المادة 28 من الدستور يمنع اخلاء الفلاحين بيوتهم ويوقف تنفيذ كل حكم أو قرار بهذا الخصوص.**

مادة 2 : **وزراء الدولة مكلفون بتنفيذ أحكام هذا القانون.**

وقد وافق المجلس بأغلبيته على اقتراح القانون بالرغم من محاولة النواب الاقطاعيين العرقلة واستماتتهم في سبيل إرجاء إقراره.

وكان لصدور هذا القانون أثرا بعيد في جميع أنحاء الريف السوري ويمكن اعتباره بحق المسمار الأخير في نعش الاقطاع والنصر الحاسم للحزب والحركة الثورية على الاقطاعية في سورية.

وقد كتبت في جريدة البعث بتاريخ 57/3/8 مقالا شرحت فيه أبعاد هذا القانون تحت عنوان "قانون بمادة واحدة" اثبته هنا بنصه الكامل نظرا لأهمية الموضوع:

"ريثما يصدر تشريع يحمي الفلاحين من التهجير وفق المادة (22) من الدستور، يمنع اخلاء الفلاحين بيوت سكنهم". هذا القانون الذي اقره المجلس النيابي يوم الاثنين في 57/3/4، المؤلف من مادة واحدة، الموجز في لفظه كحكمة القدماء، عميق وخطير

كحكمة القدماء ايضا، لانه يمثل موقفا من المجتمع، فيعترف بأوسع طبقات المجتمع وأكثرها انتاجا وهي طبقة الفلاحين.

لقد كان المفروض ان يصدر لا هذا القانون المؤلف من مادة واحدة والذي انسل، بل استل ، استلالا من المجلس النيابي، في غمرة من الاندفاع والتحدي والاحراج، بل قانون كامل "لحماية الفلاح" ومن قبل سنين. فلقد نص الدستور الذي صدر سنة 1950 في البند الرابع من المادة الثانية والعشرين على وجوب سن "قانون يكفل حماية الفلاح ورفع مستواه". ولكن العقلية التي كانت مسيطرة، وما زالت لها سيطرة، على جهاز الحكم والمجالس النيابية، أي على الجهاز السياسي، هي التي حالت حتى الآن دون صدور مثل هذا القانون الخطير. واذا كان الدستور قد تعرض لاوقات عطلت فيها احكامه، فان المدة التي كان فيها نافذا كانت كافية لاصدار مثل هذا القانون.

لقد تقدم حزبنا في أواخر العهد البرلماني السابق باقتراح قانون لحماية الفلاح، ثم أعاد تقديمه في أوائل هذا العهد البرلماني، أي منذ أكثر من سنتين وثلاثة أشهر، ومع ذلك فانه لقي من الاهمال المتعمد ومن العرقلة، بحجة الدراسة، ما منع من اخراجه من ظلمات اللجان البرلمانية وطرحه على الهيئة العامة لمناقشته واقراره، وهكذا ظل الفلاحون تتحكم بهم احكام القانون المدني، الذي ينص على ان للمالك ان يقدم انذارا للفلاح باخلاء الارض التي يعمل فيها ويعيش فيها والبيت الذي يؤويه، فاذا لم ينفذ الانذار خلال ثلاثة اشهر، يرجع المالك الى القضاء، الذي عليه ان يقضي باخلاء الفلاح سكنه ومصدر رزقه وحياته، بينما نظم قانونا العمل والايجار علاقات العامل بارباب العمل والمستأجرين بمالكي العقارات، فأمن في حياة ابناء المدن نوعا من الاستقرار وقليلا من الاطمئنان الى المستقبل. أي ان التشريع كان يواجه المجتمع بموقفين مختلفين تاركا الفلاحين لتحكم الاقطاعيين وكبار الملاك والمستثمرين، والريف للعادات والاعراف لتنظم حياته، ان كانت قابلة للتنظيم في هذا الطور الاجتماعي الذي بلغه شعبنا. وكأن الريف ينبغي أن يظل مبعدا غارقا في نفس الظروف المترسبة من العصور الوسطى، ولذلك كانت

مآس مريعة تمثل في الريف، واذا لم نشأ، ولا نستطيع، في هذا المجال ان نتحدث عن مآسي الفقر والعوز والمرض والجهل والذل والمهانة التي تعايش الفلاحين، فلا أقل من نماذج عن مآسي التهجير. فلقد طالما سمعنا عن عائلات يخرجها المالك من سكنها ويرميها في الاشداق المصطكة للشتاء فتزدرد الاطفال الذين لا قبل لهم بمقاومتها.

وطالما سمعنا عن عشرات العائلات ومئاتها احيانا يطردها الاقطاعي لتتجول تحت السماء وكأنما لا يحق لها ان يعلوها سقف . واذا بحثنا عن الاسباب لا نجدها في معظم الاحوال تتعلق بالانتاج والاختلاف والتحكم والاستهتار التي تسيطر على عقلية الاقطاعيين، فقد تكون لأن أهل القرية لم ينتخبوا ما يشاؤه الاقطاعي وانتخبوا من يشاؤون. وقد تكون لأن الفلاح صمد في الدفاع عن كرامته، وعن شرفه، على نحو من العزة لا يراه الاقطاعي يليق بفلاح أغبر تجاه سيده. وقد تكون لأن ذلك الفلاح ، برأي السيد، قبيح الصورة او ثقيل الظل أو صادفه السيد في ساعات نقمته من سكر منهك أو مزاج عكر.

ان هؤلاء الفلاحين الذين يشكلون 70% من السكان، والذين لا يمتلك العدد الكبير منهم ارضا، او يمتلكون من الارض مالا يكفيهم، هؤلاء في وضعهم القلق وفي حياتهم المشردة هم الاكثرون في من يستنجد بهم الوطن للدفاع عن حدوده. فكيف يمكن ان يكون من يحيط بهم ومن خلفوهم وراءهم هل يجدون العمل والقوت؟ كيف تكون حالتهم النفسية اذا كانت تساورهم وقد تواثبهم صورهم وهم هائمون مشردون؟ ان معظم شجاعة المحارب تأتي من طمأنينته على أهله الذين أودعهم الوطن وثقته بشعبه وحكومته المؤتمنة عليهم، ومن صور حياته ومراتعها ومرابعها التي ابتعد عنها ويحلم بها وبانه اليها سيعود.

تلك بعض آثار وضع الفلاحين على المعركة القاسية التي تخوضها امتنا ضد الاستعمار واسرائيل، والتي من سماتها المميزة انها معركة بين المدنية والتخلف. وهناك آثار اخرى اشد خطورة هي الصراع الطبقي وتفكك المجتمع وانعكاسات ذلك كله على المعركة.

ان مثل وضع الفلاحين هذا هو الذي يؤرث الصراع الطبقي. فالفلاح لم يعد مختزنا داخل قريته. فالآلة والاذاعة والانتخابات والمدرسة والمستوصف التي تنفلت من رقابة حاكميه من "السادة" كل ذلك يلاحقه الى قريته مهما ابتعد عن المدينة، وتوقظه ايقاظا عنيفا وتواجهه بحقوقه المغتصبة وكرامته ومواطنيته وانسانيته التي تنبعث الصبوة اليها من اعماق نفسه. ثم ان المدينة اصبحت قريبة منه جدا، ففي دقائق او سويعات يمكن ان ينتقل اليها. وهو حين يقارن لن يرضي ان يشط البعد في المستوى بين حياته في القرية وحياة المدينة. فهو يريد النظافة والصحة والعلم والكهرباء والماء النقي، ويريد كرامته وحياة لائقة، ولن يستطيع الاقطاعي ان يضرب على الفلاحين سورا وان يبقيهم في ظروفهم الماضية، فيتحكم على هواه ويشبع روح الطغيان المرضي كما يحلو له. وكلما ازداد في هذه المحاولة ازدادت النقمة.

واذا احتدم الصراع فسيجد الاقطاعيون انفسهم هم الأقلون والاضعفون، ولن يغني عنهم نفوذهم في أجهزة الحكم، ولا عقليتهم المتخلفة عن عصور سابقة التي لا تعترف ان هناك مجتمعا يجب ان يخضع للقوانين وللأنظمة، وان الفلاحين مواطنون لهم حقوقهم وليسوا عبيدا خلقوا للخضوع والمهانة والخدمة الذليلة. ولقد وجد بعض الاقطاعيين في بعض المناطق مثل هذا المصير، فقد انتصب امامهم الفلاح، ولم يعد يرضى بأقل من حقوقه كمواطن، واصبح منيعا ايضا على التهجير، رغم القوانين "سارية المفعول" ، ورغم الاجهزة الحكومية التي ما زالت ترزح تحت ثقل النفوذ.

ان نضال فلاحي هذا الوطن، الذي يختلف في مستوياته وفي درجات تضامنه من منطقة الى منطقة، وتنظيمه والتعبير عنه، هو الذي ادى الى اصدار هذا القانون "ذي المادة الواحدة".

ان هذا القانون ليس كافيا طبعا، وانه مجرد بدء، ولكن له دورا آخر. انه المقابل لنصوص القانون المدني التي تبيح التهجير الافرادي والجماعي، وانه ايضا الدافع الشديد البأس الذي سيكره المتعنتين من الاقطاعيين واشباههم من الرجعيين على اصدار قانون "حماية الفلاح".

ان العلاقات بين مالك الارض والفلاح معقدة وكثيرة، فليس اخلاء البيت والطرد من الارض المشكلة الوحيدة بل هناك مشكلات اخرى كمشكلات السخرة والاتاوات والحصة، ومشكلات تنظيم الفلاحين وتكوين نقابات او جمعيات لهم، هذه وأمثالها يجب أن تعالج في قانون جامع، ولقد كان اقتراح القانون الذي تقدم به حزب البعث مرتين الى السلطة التشريعية وطالب بدراسته عشرات المرات. محاولة اولى لمعالجة هذه المشكلات.

ولكن هذا القانون المختزل القاصر يعد مع ذلك منعطفا في تاريخ هذه الطبقة الاوفر عددا والاكثر انتاجا، وبالتالي في تاريخ الوطن، فاذا كان سينتج عنه، كما يجب أن نتوقع، قانون حماية الفلاح. واذا كانت الحكمة ستتحكم في تنظيم توزيع املاك الدولة بعدل، لا كما تنهب الان، عندئذ يمكن ان نأمل باستصلاح اراض كثيرة من هذا الوطن الخير، واقامة تعاونيات ونأمل خاصة بازدهار وتقدم يشملان المواطنين جميعا.. وعندئذ ايضا تكون اهبتنا واستعدادنا للمعركة مع الاستعمار واسرائيل اكبر، ويكون النصر اقرب منالا.

الولايات المتحدة تحاول البدء بتنفيذ مبدأ ايزنهاور- كان من أهداف هذا المبدأ إسقاط الوضع الشعبي التقدمي الديموقراطي في سورية الذي يقوده حزب البعث العربي الاشتراكي - تنقلات في الجيش معادية للبعث وعصيان الضباط الموالين للبعث في معسكرات قطنا - عبد الناصر ينصح بتحويل العصيان الى انقلاب عسكري - حزت لقب شيخ العقل في أوساط الضباط بعد رفضي تحويل العصيان الى انقلاب.

تمت موافقة الكونغرس الاميركي على مبدأ ايزنهاور بتعديلات طفيفة، وكانت الادارة الاميركية قد شرعت بتنفيذ المشروع قبل المصادقة عليه من الكونغرس أثناء الزيارات التي قام بها الملك سعود وعبد الاله الوصي على عرش العراق وكميل شمعون رئيس جمهورية لبنان لواشنطن، كما كانت المفاوضات والاتصالات جارية بين الولايات المتحدة وحليفتها في حلف الاطلسي بريطانيا وفرنسا لهذا الغرض.

كان مبدأ ايزنهاور في حقيقته يهدف الى تأمين مصلحة اسرائيل والمصالح الاميركية في المنطقة العربية بعد العدوان الثلاثي على مصر، فكانت المشاكل المطروحة أمام الادارة الاميركية هي :

1- تأمين حرية الملاحة في خليج العقبة وفتح أبواب افريقية وآسيا أمام الملاحة الاسرائيلية وتشغيل خط عسقلان البترولي الذي يمتد من ايلات.
2- تشكيل تكتل عربي لاسقاط الوضع الديموقراطي الشعبي التقدمي في سورية.

□

أصدر بن غوريون في الرابع من آذار أمرا بصفته رئيسا للوزارة الاسرائيلية ووزيرا للدفاع إلى موشى ديان رئيس الأركان بأن يدعو الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارئ الدولية الى تنفيذ انسحاب القوات الاسرائيلية وفقا للبيان الذي ألقته وزيرة خارجية اسرائيل غولدا مائير أمام الهيئة العامة للأمم المتحدة، وتمت عملية الانسحاب وتسليم قطاع غزة وشرم الشيخ الى قوات الطوارئ الدولية بتاريخ 8-3-57، وقد طرح بن غوريون الثقة بوزارته في الكنيست الاسرائيلي على اساس الانسحاب من غزة وشرم الشيخ ففاز بثقة كبيرة، بينما كانت المظاهرات المعدة من قبل الحكومة قائمة ضد الانسحاب الاسرائيلي، وقد كشف بن غوريون في الخطاب الذي نال الثقة على أساسه أهداف اسرائيل من حرب السويس عندما قال :

"لقد كنت أنا الشخص الذي اقترح على الحكومة القيام بالعمليات العسكرية في قطاع غزة وسيناء، وأشار الى صفقة الأسلحة التشيكية، ووصفها بأنها صفقة تسلح هائل امتدت إلى جميع قوى الجيش المصري، ووصف الحلف العسكري الثلاثي بين مصر وسورية والأردن بأنه أوجد حالة خطر لا تملك اسرائيل وسيلة لدفعها، كما كشف النقاب عما قاله سابقا في الجلسة التي عقدتها حكومته في صباح 8-10-1956 (أي قبل العدوان) عن أهداف العدوان على مصر:

"أنه بالاضافة الى تحقيق أمننا وسلامتنا، فإنه يهمنا أمر شاطئ ايلات ومضائق البحر الأحمر، وأهم شيء نصبو إليه هو حرية الملاحة، إذ ان لنا علاقات عاطفية بجزيرة تيران، ولكن ليس هذا هو الأصل ، بل الأصل أن تكون لنا حرية ملاحة حتى ولو لم نقم بها، أما قطاع غزة فهو قطاع مربك".

ثم تحدث بن غوريون عن مذكرة دالس لأبا ايبان التي جاء فيها:

"أن الولايات المتحدة ترى أن مضيق العقبة هو ممر مائي دولي، وان الولايات المتحدة تلقت عام 1950 وعدا من الحكومة

المصرية بأن المرور في الخليج سيبقى حرا وأن امريكا ترى انه يحق لاسرائيل ان تتمتع بحق الملاحة هذا فقط بعد انسحابها إلى ما وراء خطوط الهدنة" "وانها مستعدة لارسال السفن عبر المضائق الى الخليج بالاشتراك مع دول أخرى لتضمن الاعتراف العام بحرية الملاحة" وقال :

"انه خلال تبادل الرسائل بينه وبين ايزنهاور أشارت اسرائيل الى أن الاعتراف بحرية الملاحة وحده لا يضمن هذه الحرية لاسرائيل كما هو الحال في قناة السويس، وان الأمر يتطلب وضع قوات دولية ريثما تتم التسوية الصلحية مع العرب" ثم تحدث عن التطورات في الأمم المتحدة وإصرار الدول الافريقية والآسيوية والدول الشيوعية على فرض العقوبات على اسرائيل إذا لم تنسحب بدون قيد أو شرط من الأرض المصرية... وذكر انه زود ابا ايبان عند مجيئه لاسرائيل للمشاورة، بأوامر تستهدف محاولة التفريق بين قضية خليج العقبة وقطاع غزة، وقال ان اسرائيل حددت موقفها من منطقة شرم الشيخ".

وهكذا كشف بن غوريون عن أهداف اسرائيل من الاشتراك بالعدوان على مصر، وتواطؤ الولايات المتحدة في تحقيق اهداف اسرائيل بعد العدوان بكل ما تملك من ضغوط وتهديد واغراء، فقد أعلن دالس في 6-3-57 "أن الولايات المتحدة تعتبر خليج العقبة ممرا دوليا وان الشركات الاميركية سترسل سفنها عبر الخليج الى ميناء ايلات الاسرائيلي" كما صرح ايزنهاور في مؤتمر صحافي:

"ان الولايات المتحدة تعلن ان مضائق تيران الواقعة في خليج العقبة والتي تربط اسرائيل بخليج العقبة ممر دولي وانه يحق لاسرائيل ان تستخدم هذه المضائق بهذا الاعتبار"

وقال منذرا ومهددا الدول العربية :

"إن عليها أن تعلم بأن اسرائيل باقية، وان عليها ان تتعلم كيف تعيش جنبا الى جنب مع اسرائيل".

وعندما سئل عما إذا قال للملك سعود بأن اسـرائيل وجـدت لتبقى، قال " انه لم يتحدث منذ عام 1948 الى أحد الا وأخبره بأن اسرائيل يجب أن يعترف بها على أنها حقيقة تاريخية".

وكنتيجة طبيعية لانصياع الحكومات العربية لمواقـف الولايـات المتحدة من الصراع العربي الصهيوني المؤيدة لاسرائيل فقد جـرت المسـاومة علـى تسـوية مشـكلة قنـاة السـويس لحسـاب حريـة الملاحة لاسرائيل في خلـيج العقبـة وكـان الوسـيط المسـاوم هـو الامين العام لهيئة الأمم المتحدة داغ هامر شولد الذي أعلن :

"بأن عبد الناصر أبدى استعداده لمواصلة التعـاون مـع قـوات الطوارئ الدولية، ولكنه رفض التوقيع على أية وعـود رسـمية حـول مستقبل قوة الطوارئ الدولية، وان الاتفاق الذي تم بينه وبين عبد الناصر سيبقى سريا"[1] .

وبتاريخ 7-4-57 اصدرت السفارة الاسـرائيلية فـي واشـنطن بيانا رحبت فيه بوصول حاملة نفط امريكية الى ايلات، ووصفت ذلك بأنه مرحلة هامة في تاريخ "خليج ايلات" وخطـوة مباشـرة منبثقـة عـن المـذكرة الاميركيـة الـى اسـرائيل التـي تؤيـد عـزم الولايـات المتحـدة علـى اسـتخدام حقـوق الملاحـة الحـرة فـي هـذا الممـر المـائي الـدولي، وانتهـت هـذه القضـية الخطيـرة بتقـديم سـورية مذكرة احتجاج الى الولايات المتحدة لخرقها حرمة المياه الاقليميـة العربية.

ولم يقتصر نجاح اسـرائيل بواسـطة الولايـات المتحـدة علـى فتح خليج العقبة امام ملاحتها وتأمين اتصالها بآسـيا وافريقيـا، بـل باشرت فورا بمد أنابيب النفط مـن ايـلات علـى خلـيج العقبـة الـى عسقلان على البحر الابيض المتوسط، بقرض فرنسي مقـداره 30 مليون دولار، وقد امنت الولايات المتحدة لاسرائيل إمداد هذا الخـط

(1) يشير باتريك سيل في كتابه عن حـافظ الاسـد، الصـادر عـام 1990 (ص 217) الـى هـذا الاتفـاق السري بما يلي : منذ عام 1957 كانت السفن الاسرائيلية المارة بمضائق تيران في طريقها الى ايلات تقوم لدى اقترابها من المضائق بانزال علمها الاسرائيلي ورفع علم اي دولة أخـرى مكانـه، وذلك بمثابة لفتـة شـكلية حيـال الحساسـية الوطنيـة المصـرية، وكانـت هـذه الحركـة الشـكلية تستند الى ترتيب سري شفهي ظل مكتوما لمدة عشر سنوات.

بـالبترول الايرانـي والعربـي فأصـبح مينـاء ايـلات منافسـا لقنـاة السويس باعتباره ممرا للبترول الى دول أوربا.

حاولت سورية آنذاك - تجاه الأمر الواقـع - مـع لبنـان والـدول العربية الأخرى أن تقنع ايران باعتباره بلـدا اسـلاميا أن يمتنـع عـن إمـداد الخـط الاسـرائيلي بـالبترول الايرانـي، فأكـد الـوزير المفـوض الايراني في دمشـق للـدكتور صـلاح الطـرزي الأمـين العـام لـوزارة الخارجية السورية "ان حكومته تؤيد المسعى السـوري تأييـدا تامـا ولا توافـق علـى تصـدير الـنفط الايرانـي الـى ايـلات" (الـرأي العـام 57/4/28) ولكن الشركات الاميركية والغربية اسـتمرت فـي تغذيـة اسرائيل وخط ايلات بالبترول الايراني حتى حرب تشرين 1973.

لقد تولى الملك سعود آنذاك الضغط علـى الإدارة الاميركيـة لمنـع اسـرائيل مـن الملاحـة فـي خلـيج العقبـة باعتبـاره طريقـا اسلاميا للحج، ويذكر حسـنين هيكـل فـي كتابـه سـنوات الغليـان (ص 213) ان ايزنهـاور فـي مراسـلاته الداخليـة مـع وزيـر خارجيتـه دالـس يقـول انـه لـم يعـد مسـتعدا لتلقـي إشـارات الملـك سـعود بشأن الملاحة في خليج العقبة، وانه قد حان الوقت ليركـز سـعود جهده على خطر الشيوعية الدولية.

وكان مـن الواجـب القـومي اشـتراك جمـال عبـد الناصـر مـع الملـك سـعود بالضـغط علـى الادارة الاميركيـة فـي سـبيل منـع اسرائيل من الملاحة في خليج العقبة، ولكن عبـد الناصـر تغاضـى عن إثارة ذلك بعد حرب 1956، ثم عاد هذا الموضوع ليصبح السبب الرئيسـي لحـرب حزيـران عـام 1967، وسـيرد فـي البيانـات التـي أصدرتها عام 1962 مزيـد مـن التفاصـيل حـول حريـة الملاحـة فـي خليج العقبة وتحويل مياه نهر الأردن الذي كان الخطوة الثانيـة مـن مراحل التوسع الاسرائيلي.

مؤتمر برمودة وبعثة ايزنهاور الى الشرق الأوسط.

خلال المفاوضات السرية التي كان همرشولد يجريها مع الرئيس جمال عبد الناصر حول وضع البوليس الدولي وحرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة، كان الرئيس الاميركي ايزنهاور ورئيس وزراء بريطانيا هارولد مكميلان يعقدان مؤتمرا في جزيرة برموده. وبتاريخ 1957/3/27 عقد دالس وزير خارجية الولايات المتحدة مؤتمرا صحفيا قال فيه :

"ان تبادل وجهات النظر بين الرئيس ايزنهاور وهارولد ماكميلان في مؤتمر برمودا قد زاد من احتمال اتباع سياسة مشتركة في المستقبل تجاه التطورات في المنطقة العربية". وللتأكيد على ما تم عليه الاتفاق حول حرية الملاحة في خليج العقبة قال :

"أن بلدا ما كمصر أعطى موافقته على وضع قوات الأمم المتحدة على أراضيه، لا يستطيع ان يسحب موافقته بصورة اعتباطية قبل أن تتحقق الغاية التي اتخذ الاجراء من أجلها".

وقد كشف هارولد ماكميلان في مجلس العموم بعض ما تم عليه الاتفاق بين بريطانيا وامريكا في مؤتمر برمودا وسط معارضة شديدة لتخلي بريطانيا لأميركا عن زعامتها في الشرق الأوسط فقال :

"ان الولايات المتحدة وعدت بدعم وتقوية حلف بغداد بكل الوسائل، وعدم التقليل من النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط والعمل على تقويته، وذكر ان امريكا وبريطانيا اتفقتا على وجوب بقاء قوات الطوارئ الدولية في قطاع غزة، وعلى السماح لاسرائيل بحرية الملاحة في خليج العقبة، كما اتفقتا على أنه لا أمل- في الوقت الحاضر - في ايجاد حل نهائي لقضية فلسطين.

وكشف ماكميلان النقاب عن اقتسام مناطق النفوذ البترولية عندما قال :

" ان البلـدين متفقـان علـى أهميـة بتـرول الشـرق الأوسـط لأوربـا وان امريكـا تقـدر دور بريطانيـا فـي الخلـيج "الفارسـي" وان بريطانيا تقدر صداقة امريكا للسعودية".

كان الهدف من عقد مؤتمر برمودة فـي الحقيقـة وضـع ورقـة عمل لتنفيذ مبدأ ايزنهاور، فقد صرح الناطق بلسـان ايزنهـاور: "بـأن الرئيسين لم يحضرا إلى برمودا للبحث عمن تقع عليه المسـؤولية في أحداث الشرق الأوسط، بل ليؤكدا اتفاقهما- قبـل كـل شـيء- على السياسة التي يجب ان تتبعها حكومتاهما ابتداء من الآن".

ولقد كانـت شـؤون سـورية بنـدا رئيسـيا فـي جـدول أعمـال المـؤتمر الـذي انتهـى بتـاريخ 57/3/25 بـبلاغ مشـترك يتكـون مـن مقدمة وملاحق علنية وأخرى سرية[2] وقد عقـب مـاكميلان علـى المؤتمر بعد انتهائه:

"إن المؤتمر بحث الاضطرابات المحتملة في الشرق الأوسط كمـا بحـث فـي وسـائل قمعهـا" "ان المـؤتمر رأى ان ضـمان أمـن اسرائيل هو في ايجاد حل نهائي للنزاع العربي الاسـرائيلي، وانـه تقرر اتخاذ اجراءات فورية قصيرة الأمد تؤدي الى فترة هدوء تعقبهـا تسوية دائمة".

ولـم تنتظـر الولايـات المتحـدة نتـائج مباحثـات برمـودة حتـى تجهض المـد الثـوري فـي المنطقـة فقـد هيـا لهـا تخـاذل الانظمـة العربية لأن تشرع حالا بوضـع مبـدأ ايزنهـاور موضـع التطبيـق، فقـد أرسـل ايزنهاور بتاريخ 57/3/13 مستشاره لشؤون الشرق الأوسـط جـيمس رتشـاردز فـي رحلـة يـزور خلالهـا عـددا كبيـرا مـن بلـدان المنقطة، كما أرسـل نائبه نيكسون للغرض نفسه.

ولم تكن اغراض بعثة ايزنهاور للشرق الأوسـط خافيـة علينـا فقد كتبت قبـل ان تظهـر آثارهـا العمليـة مقـالا فـي جريـدة البعـث

(2) كتبت جريدة الديلي اكسبرس اثر انتهاء المؤتمر ان الولايات المتحدة وانكلترا عقدتا عـدة اتفاقـات سرية بملاحق تتناول حلقة واسـعة مـن الأوضـاع الخطـرة المهـددة للأمـن فـي مختلـف منـاطق العالم، وقد علم ان اثنين من هذه الاتفاقات يتعلقان بالأردن وسورية.

بتاريخ 57/3/15 تحدثت فيه عما يبيت العرب تحت عنوان "خطوات الى الأمام لا الى الوراء".

المطروح الآن: خطوات الى الامام لا الى الوراء، مبعوثوا امريكا يجوبون العالم الآن. فبينما يهم جيمس ريتشارد، مبعوث ايزنهاور الخاص، بتخطي ابواب الشرق الأوسط ليجري محادثاته في ثماني عشرة دولة. يوشك ريتشارد نيكسون، نائب الرئيس الامريكي، ان يختتم رحلته في افريقيا بعد ان اخترقها من مراكش الى الحبشة، وخلال ذلك يجمع دالاس من حوله في كانبيرا ممثلي حلف جنوب شرق آسيا.

ان اميركا على ما يبدو وجدت فرصتها ولذلك فهي تحاول ان تستثمرها الى النهاية، فحالة الانهاك، الاقتصادي والنفسي، التي أوصل اليها الصراع الدامي والسياسي بين الاستعمارين الانجليزي والفرنسي من جانب وشعوب آسيا وافريقيا من جانب آخر، هي خير ظرف يتيح لاميركا ان تتدخل لتمسك بالشعوب المكافحة قبل ان تتمالك نفسها وتسترد قواها. فتدرك اميركا غايتها في التفرد بالسيطرة على العالم "الحر" .

ولكن هناك امر غاب، ويظهر انه لا بد ان يغيب، عن فكر مدبري السياسة الاميركية، وهو ان الصراع اذا كان ينهك قوى الاستعمار ويهدها، لانها قوى لا تحركها قضية، فهو يضاعف قوى الشعوب المكافحة من اجل حريتها، اذ يكسبها الثقة والصلابة والتجربة.

وعلى كل حال ان السياسة الاميركية، كما بدا حتى الآن تعد الوطن العربي أضعف حلقة في السدود التي تقيمها من حول دول الكتلة الشرقية، اذ ان معظم الدول العربية امتنعت على كل الاحلاف العسكرية التي طرحت عليها لسد الثغرة بين حلفي الأطلسي وجنوب شرق آسيا، كما تعدها أضعف حلقة في كتلة الحياد. وعندما بلغ الصراع بين الشعب العربي والاستعمار البريطاني الفرنسي الصهيوني أوجه، في أزمة السويس والعدوان الثلاثي على مصر، طرحت مشروع ايزنهاور، والجيوش المعتدية بعد في مصر .

واذا كان لاميركا ان تطرح من جانبها ما تشاء من مشروعات، وللشعب العربي بعد ذلك ان يتخذ من هذه المشروعات الموقف الذي تفرضه عليه مصلحته، فان من الضروري ان يتبين الشعب العربي الخطة العملية التي يمكن ان تنتهجها اميركا لتنفيذ مشروعاتها، كي ينبسط امامه ميدان نضاله

وتتوضح غاياته. ان كل الدلائل تدل على ان الخطة الاميركية تقوم على الاسس التالية :

1- تحطيم القومية العربية التي انبعثت قوة تاريخية هائلة في المدة الأخيرة، واذا كانت اميركا لم تعلن ذلك، كما فعلت بريطانيا وفرنسا، فان خطتها العملية لم تتزحزح عن هذا الهدف. وليس هذا مستغربا، فكل سياسة استعمارية خصم طبيعي لكل بعث قومي، وإلى جانب ذلك فإن الكتل الكبرى، كشعوب الصين والهند والعرب، هي العدو الطبيعي للتوسع الاستعماري في هذا العصر.

2- والخطوة الاولى لتحطيم القومية العربية هي الاستفادة من النضال القاسي القائم بين الاستعمار الفرنسي والشعب العربي في المغرب، لفصل مغرب العرب عن مشرقهم. ولقد تبين ذلك عندما حدد دالاس منطقة الشرق الأوسط التي استهدفها مشروع ايزنهاور فأخرج منها المغرب العربي. كما لم يعد خافيا ما يبذل من محاولات لربط اقطار المغرب العربي بحلف، يمكن ان تدخله اسبانيا.

3- والخطوة الثانية هي محاولة تفكيك الجبهة العربية التحررية بالاعتماد على القواعد الاميركية العسكرية والاقتصادية، واثارة تخوف مصطنع من امتداد الشيوعية، وزرع الشكوك فيما بين قادة السياسة التحررية، ومحاولة رسم سياسة عامة تجمع دول النفط الى بعضها.

ولقد أمل عملاء الاستعمار خيرا من زيارة الملك سعود لواشنطن، فأعلن شمعون قبوله لمبدأ ايزنهاور وشجبه لسياسة الحياد الايجابي، وفي نفس الوقت استعداده للسير بركاب الملك سعود. واذا كان البيان الذي صدر بعد مؤتمر القاهرة الاخير قد خيب آمالهم، كما خيب آمال الدوائر الاميركية، فانهم لم ييأسوا بعد، وما زالوا يحاولون انقاذ الخطة. ولذلك يلح كميل شمعون في طلب زيارة الملك سعود، ولا يتراجع امام الاعتذار، ويلح ايضا ساسة بغداد في الدعاية للزيارة التي يقال ان الملك سعود سيقوم بها ردا على زيارة الملك فيصل.

ومحاولات اخرى شبيهة بهذه المحاولات تجري ايضا في الأردن ولها نفس الاهداف، واهداف اخرى هي توليد الخلاف في الجبهة السياسية

المؤلفة من الملك والحكومة والبرلمان والجيش والشعب، التي أوصلت وحدتها وتماسكها الى تحرير الأردن وتدعيم اقتصاده وتسليح جيشه.

اما في سورية فالأمر اكثر دقة وأخفى اسلوبا، فقد بدأت تظهر في الفترة الاخيرة حملة اشاعات تقذفها بعض الجهات لتتلقفها وتعلق عليها وكأنها حقائق، جهات اخرى ليست غريبة عن الأولى بل تستقى جميعا من نفس الينبوع، والهدف اثارة البلبلة وتقسيم الرأي العام وتشكيكه، اذا أمكن، بقادة السياسة العربية التحررية.

4- هذه الخطوات المتكاملة يجري تنفيذها معا وشيئا فشيئا، في داخل جو من الضغط بل الحصار، الاقتصادي، وحرب الاعصاب، والتلويح بالقوة العسكرية.

وبعد لقد كان للنضال العربي الموحد وتضامن الدول العربية المتحررة نتائج عظيمة حقا: لقد أوقف الهجوم الاستعماري المتمثل بحلف بغداد، وحرر الأردن، ودعم ثورة الجزائر، واقام في مصر دولة بكل معنى الكلمة، قد تبينت لها أهدافها وكذلك الطريق، وكشف معنى اسرائيل للرأي العام العالمي وطرح القضية العربية على العالم... وعندما جهد الاستعمار الاوروبي والصهيوني فشن عدوانه أحبط العدوان وأوشك أن يصفي هذين النوعين من الاستعمار وأن يحرر العرب كافة. فأولى لنا أن نشتد في التمسك بخط سيرنا اذا كانت السياسة الاميركية قد أمسكت بزمام الاستعمار بعد ان تراخت عزائم انجلترا وفرنسا، وان نمضي في خطونا الى الامام.. لا الى الوراء تحت ضغط حرب اعصاب ودعاية واغراء وتهديد مهما بلغت من القوة والاتقان، فهي اعجز من ان تقف امام القوى التاريخية.

ان قوى الأمة العربية قد بعثت، ووحدة النضال العربي اصبحت حقيقة واقعة، والسياسة العربية المتحررة ليست الا التعبير عن اتجاه النضال العربي وقوة اندفاعه، وان الشعب العربي حين اختار طريقه بحرية كان يعلم مدى ما فيه من مشقات وتضحيات. وان كل ما يمكن ان يبرز من عقبات لن توقفه، قد تشتت بعض قواه وقد تؤخر زحفه قليلا، ولكنه بالغ أهدافه، وان كان الصراع سيزداد عنفا وكذلك نتائجه.

النتائج العملية للبعثة الاميركية

بدأ نيكسون زيارته للخرطوم كما بدأ ريتشارد زيارته لليبيا ثم لبنان ثم بغداد بتاريخ 9-4-57ن وقد صدر بلاغ مشترك أثنى فيه ريتشارد على نوري السعيد الذي رحب بقرار الولايات المتحدة في المساهمة باللجنة العسكرية بحلف بغداد، وأعلنا اتفاقهما على مقاومة النشاط الهدام وأعلن العراق قبوله رسميا لمبدا ايزنهاور.

وحوالي منتصف شهر آذار على ما أذكر - اي اثناء زيارة ريتشادر للشرق الأوسط زارني مصطفى حمدون في منزلي وأخبرني بأن الملازم الأول نعسان زكار - وكان يعمل آنذاك مع عبد الحميد السراج بالشعبة الثانية- أخبره بأن تنقلات خطيرة في الجيش صدرت ولم تعمم بعد على القطعات تقضي :

1- بنقل المقدم عبد الحميد السراج من الشعبة الثانية وتعيينه ملحقا عسكريا في الهند.

2- نقل العقيد أمين النفوري من الأركان العامة (رئيس الشعبة الثالثة) إلى معسكرات قطنا آمرا لجميع سلاح المدرعات في الجيش السوري.

3- تعيين المقدم أحمد عبد الكريم بدلا عن العقيد النفوري رئيسا للشعبة الثالثة.

4- تعيين المقدم أكرم الديري بدلا من عبد الحميد السراج رئيسا للشعبة الثانية.. كما تتناول هذه التنقلات بعض الضباط الآخرين في مناصب أقل خطورة وحساسية من هذه المناصب. وهي كلها تنقلات تستهدف تركيز القوى في الجيش لصالح أمين النفوري وأحمد عبد الكريم ورفاقهم الآخرين طعمة العودة الله وأحمد حنيدي وهو التكتل الذي كان داعما لأديب الشيشكلي وكان ما يزال معاديا لحركة البعث، وقد علق المقدم مصطفى حمدون على هذه التنقلات بأنها مقدمة مفضوحة لتصفية حركة البعث العربي الاشتراكي، وقد قدرت فور انتهائه من حديثه ان العمل قد بدأ فعلا لقلب الأوضاع في سورية، وان ما يحدث الآن هو أخطر بكثير مما حدث عندما أقصي شوكة شقير رئيسا للأركان وعين بدلا

عنه توفيق نظام الدين عام 1956، بل ربما كان ذلك مقدمة لما يحدث الآن، وأن الولايات المتحدة والسعودية وراء الايعاز بهذه التنقلات، وان القوتلي استدرج جماعة النفوري وغيرهم من الضباط مستغلا نوازع المنافسة ليستخدمهم مطرقة لضرب الحزب.

كانت علاقتنا مع الجيش، كما ذكرت سابقا في مناسبات عديدة لا تستهدف سوى منع الرجعية والاستعمار من استخدامه وسيلة لتصفية حركتنا، ولم يدر بخلدنا يوما استخدامه للقيام بانقلاب عسكري والوصول للحكم، اذ لو كان هذا غرضنا لتمكنا من ذلك قبل أن يقوم حسني الزعيم بانقلابه، وفي مختلف مراحل الانقلابات العسكرية الأخرى، وقد يبدو مستغربا أن أقول أن قوتنا في الجيش قبل انقلاب حسني الزعيم وبعده كانت كبيرة جدا.

كنت أمام خيارين للدفاع عن أنفسنا: فإما القيام بانقلاب عسكري، وإما اعلان العصيان في الجيش في سبيل الغاء هذه التشكيلات وكان العصيان في اعتقادي كافيا لالغائها.

وهكذا خرج المقدم مصطفى حمدون من منزلي وهو يكرر:

اتفقنا إذن على العصيان المسلح؟ فأجبته:

بدون تردد ولا تأخير فقال :

ساجتمع برفاقي وأخبرهم بما اتفقنا عليه. وقد وافق الاستاذان صلاح وميشيل على ذلك بدون تردد عندما اطلعتهما على الموقف.

عقد المقدم مصطفى حمدون اجتماعا في منزل عبد الغني قنوت ضم عددا من رفاقه منهم عبد الغني عياش، مزيد الهنيدي، نعسان زكار، عدنان حمدون، ممدوح شاغوري، محمد عمران، بشير صادق وغيرهم، وقد استعرض المجتمعون التنقلات الجديدة التي صدرت بإيعاز من رئيس الجمهورية وأثرها على ميزان القوى

في الجيش، وبعد أن شرح مصطفى حمدون للضباط رأينا في الموضوع، وافقوا عليه وندبوه لاقناع المقدم عبد الحميد السراج بعدم الانفكاك من الشعبة الثانية ووعدوه بالدعم والتأييد، ثم انصرفوا الى قطعاتهم العسكرية وخاصة القريبة من دمشق وحددوا على ما أذكر يوم 57/3/17 موعدا لتنفيذ العصيان.

قابل مصطفى حمدون عبد الحميد السراج واستفسر منه عن صحة أنباء التنقلات الجديدة فأكدها له وأخبره أنه مشغول الآن بجمع أوراقه الخاصة تمهيدا لانفكاكه عن الشعبة الثانية وتسليمها الى المقدم اكرم الديري، وقد حاول مصطفى اقناعه بعدم الانصياع للأمر الصادر لما في ذلك من مخاطر على أمن الجيش ووعده بالدعم **بمختلف الوسائل التي يراها، إلا أن السراج رفض ذلك وحاول اقناعه بضرورة الاتفاق مع كتلة النفوري والقيام بعمل عسكري مشترك واستلام السلطة والحكم في البلاد مدعيا ان الأجواء السياسية والشعبية أصبحت مستعدة لقبول ذلك، فانصرف مصطفى دون أن يبلغه ما ينوون القيام به غدا.**

العصيان.

يقول مصطفى حمدون : كانت معظم قطعات الجيش مواليه لنا فلم نوعز بتحريكها بل بلغنا بعض قادة هذه القطعات بالحدث[3] ، ومنها القوات الجوية وقوات الجبهة، واقتصر الأمر على استنفارها وأن تكون على أهبة الاستعداد. أما قوات معسكر قطنا فكانت كالتالي:

1- اللواء الأول (مشاة) وكنت رئيسا لأركانه.
2- كتيبة الدبابات الثانية (برئاسة المقدم عبد الغني قنوت).
3- كتيبة الدبابات الثانية (برئاسة المقدم أحمد حنيدي).
4- كتيبة قانصات (برئاسة المقدم غالب شقفه).

(3) ومن الضباط الرفاق الذين اطلعوا على عملية العصيان قبل تنفيذها والذين هم خارج معسكرات قطنا: أمين الحافظ وابراهيم فرهود وبهاء النقار وغيرهم من الضباط.

5- عدة سرايا مدرعه محمولة برئاسة عدنان حمدون وممدوح شاغوري ومحمد عمران ومزيد هنيدي.

6- فوج المغاوير وكان يرأسه أحد الضباط الموالين.

ويتابع مصطفى :

نفذنا العصيان في الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم المحدد واتخذنا مقر كتيبة الدبابات الثانية مركزا لقيادتنا.

سارت الأمور بالشكل المرسوم، وتمركزت القطعات على الهضاب المطلة على معسكر قطنا، وشكلنا مفارز متحركة أمام الأبواب الرئيسية لمعسكر قطنا الكبير، ثم وصلتنا أول مخابرة تلفونية من اللواء توفيق نظام الدين رئيس أركان الجيش يستفسر فيها عن أسباب العصيان ويطلب إرسال أحد رفاقنا للتفاوض معه، فذهب المقدم عبد الغني قنوت الى دمشق، واجتمع في بيت حنيدي بعفيف البزرة وطعمة العودة الله وأحمد حنيدي وأمين نفوري وتوفيق نظام الدين وغيرهم.. ثم عاد الى قطنا ونقل إلينا صورة عن الذعر الذي دب في صفوف هؤلاء وعن المشاعر الودية التي أظهروها وعن استعدادهم لحل المشكلة بالتفاهم والتسامح.

وفي الساعة السابعة والنصف أبلغنا قائد مدخل المعسكر السيد ممدوح شاغوري أن عفيف البرزة وعبد الحميد السراج يطلبان مقابلتنا، فأذنا لهما وأوضحنا لهما وجهة نظرنا وطلبنا إليهما أن ينضما إلى صفوفنا لإلغاء التنقلات، فعادا الى دمشق على أمل معاودة الاتصال بنا للخروج من هذه المشكلة.

أما أنا فقد اجتمعت عصر يوم العصيان بوزير الدفاع خالد العظم في منزله وانبأته بالأمر، وشرحت له وجهة نظرنا من التنقلات الجديدة في الجيش وأغراضها وموقفنا منها، فكان متفقا معي تمام الاتفاق.

بعد ذلك ذهبت الى السفارة المصرية وكان السفير محمود رياض عالما بخبر العصيان ومتشائما من امكان نجاحه، فأطلعته

على الوضع وطلبت منه أن يبلغ عبد الناصر وجهة نظرنا الكاملة. فقد كان علينا بعد أن بدأت سورية خطوتها الأولى نحو الاتحاد أن نتبادل وجهات النظر مع عبد الناصر الذي كان رأيه أن نكمل حركة العصيان بانقلاب عسكري والاستيلاء على الحكم، وكان خالد العظم في الوقت نفسه يعقد اجتماعا مع أركان الحكومة وضباط الجيش لحل المشكلة.

ويتابع مصطفى حمدون :

انتدبني رفاقي الضباط ممثلا عنهم في هذا الاجتماع، وعندما دخلت منزل السيد وزير الدفاع فوجئت بوجود أركان الوزارة وهم صبري العسلي وخالد العظم وصلاح البيطار، وخليل كلاس، ومن ضباط الجيش: رئيس الأركان العامة توفيق نظام الدين عفيف البزرة رئيس الشعبة الأولى، عبد الحميد السراج رئيس الشعبة الثانية، أمين النفوري رئيس الشعبة الثالثة، أحمد حنيدي آمر كتيبة الدبابات الأولى، والزعماء : سهيل العشي، توفيق شاتيلا، عمر قباني، حسن العابد وآخرون لم أعد أذكر أسماءهم.

كان يخيم على الاجتماع جو من التوتر، وبعد أن رحب صبري العسلي بالمجتمعين قال العقيد أمين النفوري:

إن عقوبة العصيان الذي قمنا به توجب الاعدام حسب القانون العسكري، وانه يطالب بانزال اقصى العقوبات بحق المتمردين فأجبته ببرودة أعصاب :

اذا كان بمقدورك ان تفعل ذلك فتفضل ..... وإنه لامر معيب ان يتبجح انسان - امام السادة الوزراء - وهو لا يستطيع ان يحرك جنديا واحدا، وقد بدت علائم الارتياح بعد التجهم، على وجه صبري العسلي (الذي كان يكره جماعة الشيشكلي) وعلى وجوه الوزراء والموالين لنا في هذا الاجتماع،وأيقن الجميع أن كافة قطعات الجيش بأيدينا.

كان معظم حديث الآخرين يدور حول حل المشكلة حبيا، الا بعض الضباط الكبار من الدمشقيين فقد أنحوا باللائمة على الفريقين بحجة توريط الجيش في الأمور السياسية وطرحوا

انفسهم بديلا عن الجانبين المتصارعين ... وعندها ثارت ثائرة عفيف البزره الذي كان يخشى منهم على منصبه وطموحه باعتبارهم القوة الثالثة في الجيش فصاح بأعلى صوته :

إننا موافقون يا مصطفى حمدون على جميع طلباتكم وهز قبضته بوجه الضباط الدمشقيين متهما اياهم بالرجعية.

وهنا توجه نحوي صبري العسلي وخالد العظم فقبلاني، وهنآني بانتهاء المشكلة، طالبين الي الحضور في الغد إلى مكتب أركان الجيش للتأكد من الغاء الأمر والاتفاق على تشكيلات جديدة أخرى تشمل معظم قطعات الجيش... "

□

كنت انتظر في منزلي مع العقيد نبيه الصباغ المقدم مصطفى حمدون لنطلع منه على نتائج الاجتماع الذي عقد في منزل خالد العظم، فوافانا بعد منتصف الليل بتفصيل ما جرى فتلقيت ذلك كأمر واقع حقق هدفنا من العصيان، وطلبت منه أن يتجه حالا الى معسكرات قطنا للسيطرة على الوضع حتى يتم تنفيذ الاتفاق، أما العقيد الصباغ فلم يكن راضيا عما جرى وكان يفضل أن نفرض بعض الضباط الموالين من الدمشقيين لمراكز قيادة الجيش.

وقبل الاستطراد في ذكر الوقائع الأخرى أرى من المفيد أن أتوقف قليلا هنا:

كنت مقدرا كل التقدير رأي العقيد نبيه الصباغ ولا سيما في حرصه على أصدقائه من الضباط الدمشقيين، حيث شارك الصغار منهم - بحماسة - رفاقنا في حركة العصيان اما الضباط الكبار وأكثرهم برتبة زعيم من الذين حضروا الاجتماع فقد كانت تربطهم بشكري القوتلي روابط عاطفية اقليمية، ولم يكونوا متمتعين بالوعي السياسي رغم كفاءتهم العسكرية.

كـان الشـهيد عـدنان المـالكي يجـذبهم اليـه بقـوة شخصيته واخلاصه ووعيه السياسي، ولم يتمكن احد بعد استشهاده من سد فراغه في الجيش، وهنا يكمن سر اغتياله من قبل المخابرات المركزية الاميركية.

والحقيقة انني لم أقبل ما اسفر عنه الاجتماع في منزل خالد العظم الا مكرها، ولو قدر لي أن أحضر الاجتماع لعالجت الموضوع على شكل آخر، إذ كان من الممكن ان تجري المصالحة وحل المشكل باشتراك الفرقاء الثلاثة، ولكن صلاح البيطار وخليل الكلاس ممثلي البعث في الوزارة اللذين حضرا الاجتماع لم ينتبها الى أهمية مثل هذا الحل كما لم يكونا قادرين على اقناع الحاضرين به.

□

ويتابع مصطفى حمدون :

توجهت من منزل الاستاذ اكرم في تلك الليلة الى معسكر قطنا فوصلت اليه حوالي الثانية ليلا وأبلغت رفاقي بنتائج ما تم عليه الاتفاق في منزل وزير الدفاع وبموافقة الاستاذ أكرم على تلك النتائج، ولكنني فوجئت بمعارضة عبد الغني قنوت ومحمد عمران، وانقسم المجتمعون ففريق يقول ان العصيان قد حقق أهدافه والفريق الآخر يشك بإمكان تنفيذ الاتفاق ويرى فرضه بالقوة وبالتحرك العسكري نحو دمشق، وكان هذا رأي محمد عمران واستمر النقاش حتى الصباح دون اتفاق فغادر عبد الغني قنوت وبعض الضباط الآخرين قطنا الى منازلهم في دمشق.

وكان الوضع في اليوم الثاني للعصيان في معسكر قطنا على النحو التالي:

بعض قطعاتنا ما زالت متمركزة في الاماكن الحساسة في المعسكر بينما أخذ يتدافق على المعسكر الضباط والجنود متوجهين الى قطعاتهم، وكان الوضع حرجا جدا:

هل نسمح لهم بالدخول الى قطعاتهم ومنهم - من غير الموالين لنا- ام نمنعهم فنمزق بذلك الاتفاق الذي جرى في بيت وزير الدفاع؟

كادت تقع الحوادث بين عناصرنا والعناصر التي تصرعلى دخول المعسكر، فعالجت الاشكال بمنتهى الحذروأبقيت على قطعات رمزية في بعض نواحي المعسكر مع الاستعداد للرد على كل محاولة محتملة.

قصدت الأركان العامة في الساعة الحادية عشرة، ودخلت الاجتماع الذي كان منعقدا في مكتب امين النفوري ففوجئت بعدد كبير من الضباط المناوئين لنا منهم :

جودة الأتاسي ، هشام العظم، اكرم الديري، عدنان مراد، بالاضافة الى عبد الحميد السراج وطعمة العودة الله الذي عاد لتوه من الأردن وأمين النفوري وأحمد حنيدي وجادو عز الدين وعفيف البزره وغيرهم ولم يحضر هذا الاجتماع رئيس الأركان العامة، وبدأ الحديث عفيف البزرة فدعا الى تنفيذ اتفاقية الأمس وأشاد بنا كشباب وطنيين تقدميين، فتوجه جودة الأتاسي الي بصوت عال وبلهجة مثيرة :

هل لك أن تفهمنا أسباب عصيانكم البارحة؟

عند ذلك وضعت عمرتي على رأسي بهدوء وقلت له إلحق بي، إن كنت رجلا لتقف على الاسباب ثم توجهت الى الباب، وهنا تدخل عبد الحميد سراج وعفيف البزره فقالوا ان جودة الأتاسي لا علم له بتفاصيل الموضوع وان الاتفاق سينفذ بحذافيره، ثم ارجيء الاجتماع الى اليوم التالي، فتوجهت الى منزلي لأنام بعد أن قضيت 36 ساعة بدون راحة ولا نوم.

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما استفقت على دخول الملازم محمد عمران إلى غرفة نومي، وكان قد نزل لتوه من معسكرات قطنا، وكان يتكلم بانفعال عن الاتفاقية ويصفها بأنها هزيمة لنا، وانه لا بد لنا من احتلال دمشق، فذكرته بأن رايي كان منذ البداية وقبل الدخول

بالمفاوضات إرسال بعض قطعاتنا الى دمشق لنكون بموقف اقوى، وكانت دمشق خالية آنذاك من أية قوة فلم يقبل هو وعبد الغني قنوت بهذا الرأي، قلت لهم :

كيف تريدون بعد الاتفاق الذي تم فرض ما نريد بالقوة؟ لقد تحقق ما أردناه وهو الغاء التنقلات السابقة وتمتين وضعنا في الجيش في التنقلات القادمة.

لم يقتنع محمد عمران فتوجهت معه الى معسكرات قطنا وكانت الساعة قد قاربت الرابعة والنصف فاستنفرنا قواتنا من جديد، وسيطرت قطعاتنا على المراكز الحساسة وبدأنا نتذاكر باحتلال دمشق.

اتصل رئيس الأركان العامة مستفسرا عن تحركنا الجديد، فادعيت أن أخبارا وصلتنا من درعا عن تحرك اللواء المدرع الذي يقوده المقدم طعمة العودة الله نحو دمشق، فوعدنا بحسم الموضوع والقيام فورا بتنفيذ الاتفاقية ورجاني عدم توجيه قواتنا الى درعا.

توجهت الى منزل الاستاذ اكرم وتركت رفاقي يضعون خطط السيطرة على الوضع عسكريا، فوجدت في منزله نبيه الصباغ وعبد الحميد السراج وغيرهم.

أصر الاستاذ اكرم على عدم التحرك نحو دمشق والالتزام بالاتفاقية يؤيده بهذا الراي عبد الحميد السراج وبعد نقاش طويل عدت الى قطنا فوجدت الرفاق ما زالوا مختلفين وعندما نقلت لهم حديث الاستاذ أكرم قبلوا به ما عدا الملازم محمد عمران الذي ظل على اصراره وعناده، وكان هوسه باحداث انقلاب يسيطر فيه العسكريون هوسا قديما منذ الاطاحة بعهد الشيشكلي (انتهى حديث مصطفى حمدون)

□

هكذا انتهى العصيان بتحقيق اغراضه دون أن نأخذ بوجهة نظر عبد الناصر، ولكن لا بد لنا أن نتساءل عن الاسباب التي جعلت ناصر ينصحنا بإكمال العصيان الى انقلاب عسكري على الوضع القائم في سورية :

لم يعد الدور الجديد للمملكة العربية السعودية خافيا على أحد بعد طرح مبدأ ايزنهاور وبعد زيارة الملك سعود لواشنطن بالرغم من البيان الذي أصدره مؤتمر القمة العربي في القاهرة، ولم يكن عبد الناصر - ولا أحد - يجهل ضعف شكري القوتلي تجاه السياسة السعودية وسيره الدائم في اتجاهها لذلك نصحنا بحسم المشكل وهو غير عارف تماما وضع الحزب والجيش اللذين لم يكونا يحتملان مثل هذه الخطوة، وقد تجلى ذلك اثناء العصيان في انهيار اعصاب عبد الغني قنوت، وهوس محمد عمران، كما لم يكن ناصر مقدرا- بصفته عسكريا- ان الوضع الديموقراطي كان سبيلنا الوحيد لتحقيق الوحدة الوطنية التي مكنتنا من احباط كل ما يحيكه الاستعمار من مؤامرات، وان الانقلاب العسكري سيوقعنا في شرك الديكتاتورية- مهما كانت النوايا طيبة- وسيمزق الوحدة الوطنية حتى في قلب الحزب والجيش.

□

فيما بعد كشفت احدى وثائق حلف بغداد انه منذ عام 1956 - وخلال الاعداد للمؤامرة التي كان مفروضا ان تواكب في سورية العدوان الثلاثي على مصر- كان احراجنا خطة مرسومة لاستجرار الحزب الى انقلاب عسكري يقضي فيه على الحياة الديموقراطية ليسهل التخلص من حركتنا التي كانت تقود المد الشعبي الديموقراطي القومي التقدمي في سورية.

ولعل ما جرى بعد ذلك من انحراف وتمزق في الحزب والجيش والشعب بعد الثامن من آذار دليلا على صحة الموقف الذي اتخذناه عام 1957.

وفيما يلي نص الوثيقة :

من الملحق

الى الاستخبارات الساعة 8.30

الرقم - 168 التاريخ 30-9-1956

ما يلي عن اللواء الركن غازي الناغستاني الى اللواء الركن رفيق عارف (.)

واجهت ممثلي الدولتين (0) عدد الامريكي بيان وجهة نظر حكومته بوجوب الشروع في الحركة باحداث توتر سياسي يحرج موقف الحكومة فاما ان يؤدي ذلك الى استقالة الوزارة واستبدالها بواحدة ترضينا او ان يؤدي التوتر الى قيام الطرف المقابل لنا باحداث انقلاب فنقوم نحن بانقلاب مقابل بقواتنا الداخلية المهيئة. تبينت خطورة هذا العمل لانه ينذر الطرف المقابل بما ننوي عمله وكما ذكرت اننا نشك باقدام السياسيين بمثل هذا العمل (0) ذكرت ان الخطة التي يقترحها الامريكان حتى في حالة نجاحها لا تؤمن الا نصرا موقتا اذ انها ستؤدي الى استمرار الجهات بمشاغباتها والتشبث باستعادة السلطة (0) اعتقد ان تخوف الامريكان من الحركة التي قررناها يعرقل سير خطتنا. اعتقد انهم يخشون زيادة نفوذ العراق في حالة تطبيق خطتنا. بين الامريكي انهم حاضرون حتى على قبول اشتراك وزراء بعثيين امثال صلاح البيطار في الوزارة الجديدة اذا اعطوا مناصب غير حيوية كوزارة اشغال او صحة او ما شاكلها(0) موقف الامريكان هذا لا يعجبني (0) ساستمر في اجتماعنا القادم غدا على التشبث باقناعهم بالعدول عن رأيهم.

(ص300 الجزء الأول - محكمة الشعب) وقد تليت هذه الوثيقة خلال محاكمة اللواء الركن غازي الداغستاني).

□

اثر انتهاء العصيان كتبت في جريدة البعث بتاريخ 57/3/23 مقالا تحدثت فيه عن أغراض بعثة ريتشاردز الى المنطقة العربية

وتركيز مؤتمر برمـوده علـى سـورية، ثـم اسـتنهضـت الهمـم وأثـرت الحمية العربية ودعوت الى توثيـق وتمتـين أواصـر الوحـدة الوطنيـة تحت عنوان "قد تكون آخر معاركنا مع الاستعمار" وفيمـا يلـي نـص المقال :

ما كان جمس ريتشاردز مبعوث الرئيس الاميركي حكيمـا لـو انـه اختـار دمشق أو القاهرة هدفا اوليـا لبعثتـه التبشـيرية بمبـدأ ايزنهـاور، اذ لـيس مـن الحكمة ان يستفتح الرسول الاخفاق. ولذلك عمد الى الابـواب المفتوحـة فـي لبنان وليبيا يدفعها، ومن بعدها قـد يتجـه الـى بغـداد، يعلـل نفسـه بانتصـارات هينة يمكن ان تستخدم كوسيلة جديدة، الـى جانـب الوسـائل القديمـة، فـي حـرب الاعصـاب والدعايـة التـي يشـنها الاسـتعمار الغربـي والصـهيونية علـى الشعب العربي لارهاقه وانهاكه. ولقد حصل بالفعل على توقيعين على مبدئـه حتى الان، وقد يجمع توقيعات اخرى. ولكن هذه التوقيعات ليست مفاجئـة بـل ولا جديدة بالنسـبة للشعب العربي، فلقد اعلنت حكومتا بغداد وبيروت قبولهما لمبدأ ايزنهاور، حتى قبل ان يوافق عليه الكونغرس، ولـم تكـن موافقـة حكومـة ابن حليم غير متوقعة، فلن يفيد إذن بلاغـا بيـروت وطـرابلس، ولا مـا يمكـن أن يصدر من بلاغات مشابهة في حرب الدعاية شيئا.

وما نظن انه يخفـى علـى ريتشـاردز والسياسـة الاميركيـة انـه اذا لـم يتجاوز هذه الحدود يكون لـم يتجـاوز حـدود الاسـتعمار البريطـاني الـذي اعلـن اخفاقه للعالم. ولذلك فهو في طريقه الدائرة المتعرجة المـارة بـبعض العواصـم العربية وعواصم الشرق الأوسط، انما يبحـث ويحتـال ليجـد طريقـه الـى بعـض العواصم العربية ودمشق خاصة قصده.

فدمشق هي مفتـاح الشـرق الأوسـط الآن وسـقوطها بيـد الاسـتعمار سيؤدي الى تساقط مواقع القومية العربية الواحـدة بعـد الأخـرى، واذا صـمدت القـاهرة فسـتكون مطوقـة معزولـة مكفوفـة الخطـر، لأن دمشـق اول عاصـمة عربية تحررت بعد الحـرب العالميـة الثانيـة، وظلـت صـامدة امـام كـل الهجمـات الاستعمارية، واسـتطاعت بمرونة بارعة ان تتملص من كل مؤامرات الاسـتعمار وأحابيلـه، واصـبحت فـي المـدة الاخيـرة احـدى القاعـدتين الراسـيتين للتحـرر العربي والوحدة العربية.

يؤكد ذلك انباء مؤتمر برمودا التي تقول: ان مشكلة سورية الى جانب مشكلات السويس والعقبة وغزة، موضوعة في جدول اعمال المؤتمر. فاذا كان الاستعمار واسرائيل قد استطاعا ان يصنعا اشكالا، حيث لا اشكال، في السويس والعقبة وغزة، فما نعلم انهما استطاعا ان يختلقا مثل هذا الاشكال في سورية. فما الداعي إذن الى وضع "مشكلة سورية!" في جدول اعمال المؤتمر الا انها ظلت متمنعة على كل الهجمات الاستعمارية؟

ولذلك أرسلت "بعثة مساعدة" لبعثة ريتشارد برئاسة كميل شمعون الى الرياض لاكتشاف الطريق الى دمشق. لأن الجبهة العربية المتحررة وتماسكها احبطت من قبل المشروعات الاستعمارية كحلف بغداد، وكانت عاملا خطيرا في رد العدوان الثلاثي على مصر.

فلكي ينجح مشروع ايزنهاور - ذلك المشروع القائم على نظرية ملء الفراغ في الشرق الأوسط، أي القضاء على القومية العربية، واحلال الاستعمار الاميركي محل الاستعمارين البريطاني والفرنسي المنهزمين في معركة مصر لا بد من تفكيك هذه الجبهة. وهذا يفسر لنا الرحلات التي قام بها بعض المسؤولين من العرب الى واشنطن، واستماتة كميل شمعون في طلب زيارة المملكة السعودية الى ان استجيب اخيرا لطلبه، والسعي المستمر من قبل حكومة بغداد لدى الملك سعود كي يرد الزيارة للملك فيصل.

انها محاولات على الصعيد العربي لتحطيم جبهة الدول العربية المتحررة، ولكن يرافقها محاولات أخرى في داخل كل قطر عربي وخاصة في سورية لتحطيم الاتحاد القومي فيها، لأن التفاعل وتبادل التأثير بين الشعب العربي في اقطاره المختلفة أمر واقع، وهو الضامن للاتجاهات الرسمية السليمة أو المهدد لها اذا كانت منحرفة او ضالة.

فاضعاف النضال في اي قطر بتقسيمه وبعثرته يسهل ويهيء لنجاح محاولات الاستعمار في تفكيك الجبهة العربية المتحررة. ولكي تتوضح مثل هذه المحاولات، في المستوى الداخلي، لنحاول من جانبنا أن نكشف طرفا من الغطاء عن اساليب الاستعمار في نشاطه الخفي الماكرفي سورية:

لقد اختلف تكتيك الاستعمار بعد العدوان على مصر عنه قبله. فقبل العدوان عمل الاستعمار على تجميع مختلف الهيئات والاشخاص من عملائه المباشرين او ممن يتأثرون بوحيه، وتوحيدهم في صف واحد، هو صف الخيانة.

ولكيلا يستثير التناقض بين شتى الاهواء والمطامع، حدد الهدف واغفل ما يمكن ان ينتج عن ادراكه: وجههم كافة الى القضاء على الوضع بالبلاد ولم يطرح فكرة نوعية الوضع الذي يخلفه. لقد جمعهم ودفعهم الى ذبح الذبيحة دون أن يشغلهم باقتسامها، لأنه هاهنا تكمن التناقضات فينفرط الصف الذي عمل لتوحيده طويلا.

ولقد أراق كشف المؤامرة كثيرا من النور على هذا الصف الخائن الذي لملمه الاستعمار من مختلف الزعامات الرجعية والاقطاعية والعشائرية والطائفية المبثوثة في الجهاز السياسي. وتبين للشعب شبكة التجسس والتخريب والدعاية الاستعمارية البريطانية الفرنسية الاميركية، وادرك النظام الذي ينتظمها رغم تناقضاتها. ولذلك فقدت هذه القوى الخائنة قدرتها على الهجوم، لا بل كان من أثر انكشافها توحيد الصف الوطني والتفافه بعضه على بعض، فأكره الاستعمار على تغيير تكتيكه.

فهو الآن يعمل على تفكيك الصف الوطني. انه يتلمس الثغرات ليتسرب منها. يمر بحديده المحمى على مواضع الالتحام، فيداعب الاهواء ويحرك المطامع ويضرب على الاختلافات في الآراء والنظريات، ويستثير الشكوك، كل ذلك لبث البلبلة وتمزيق الصف الوطني، لأنه بذلك وحده يستطيع الآن ان ينفذ خططه ويحقق اغراضه، ويرافق عمله هذا جو من الدعاية وفيض من المال يريد بهما ان يغرق البلاد، على اسلوبه الامريكي، لتحطيم الاعصاب، واشاعة الشكوك والاتهامات والتخوف، وشل المقاومة، ولقد قلنا من قبل عندما حللنا مبدأ ايزنهاور؛ ان المبالغ التي طلب رصدها باسم مساعدة دول الشرق الاوسط، ليست للانماء الاقتصادي ولا لانشاء المشروعات الانتاجية، بل لاثارة معارك داخلية في الاقطار العربية، تمهد لاستسلام الشعب العربي لمبدأ ايزنهاور والاستعمار الامريكي. ولقد بدأت طلائع المعركة منذ ما طرح المبدأ، والمعركة ما زالت في صعود.

فكل من يعمل إذن، في هذه المرحلة، ومهما يكن دافعه أكان مطمحا شخصيا أم رأيا، ويؤدي عمله الى تمزيق وحدة الصف القومي، انما يؤيد الاستعمار في عمله، ولو كان بريء النية والقصد.

يجب ان يكون شعارنا في هذه المرحلة "مزيدا من المحبة والاتحاد". لنهمل كل ما يؤدي الى الخلاف، فلربما كانت هذه المعركة آخر معركة للعرب مع الاستعمار واقساها، وبعد النصر يمكن ان نتفق او نختلف حول خير الطرق والخطط للنهوض بالشعب العربي واعداده لتأدية رسالته الانسانية.

انها معركة قاسية ضارية، والعدو قوي، فاذا استطاع الاستعمار تمزيق الصف الوطني، فان فلول هذا الصف وشراذمه المتفرقة لن تطيق ان تقف امام هجومه. فاما تسحق واما تستسلم وتسيربركابه. فلنبعد الغرور ولنتحمل مسؤولياتنا كرجال، ولنقدر المعركة قدرها، وعندئذ ننسى خلافاتنا ونرص صفوفنا الوطنية ونعزل الخونة والمخربين، ونواجه موجة الاستعمار كالصخرة الراسية.

وانها معركة دقيقة، وكل خطأ يرتكبه المناضلون الوطنيون يمكن ان يكون من اسباب نجاح الاستعمار في مؤامراته. ولم يمر ظرف كان يجب فيه ان نحاسب كهذا الظرف، واعمالنا مطرح الحساب لا نوايانا.

□

زار كميل شمعون ما بين 1957/26/22 الملك سعود فصدر اثر الزيارة بلاغ مشترك يدعو الى توحيد الصف العربي والتعاون على مكافحة الشيوعية الخ. وكان ذلك اعلانا عن خروج الملك سعود عن سياسة الحياد الايجابي وتنفيذا للموافقة على مبدا ايزنهاور التي تمت اثناء زيارة سعود وعبد الاله وشارل مالك لواشنطن ولما اتفق عليه في مؤتمر برموده.

وفي العشر الأول من شهر نيسان أذيع رسميا ان المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة وقعتا اتفاقية دفاعية مدتها خمس سنوات وان القوات الأميركية ستواصل استخدامها لقاعدة الظهران الجوية، ثم صدر في الرياض بلاغ رسمي عن نتيجة زيارة المبعوث الاميركي ريتشارد مؤكدا على الاتفاق الذي تم بينه وبين الملك سعود والرئيس ايزنهاور، كما اعلن ان الطرفين أكدا

على ضرورة سياسة التعاون ومقاومة كل نشاط شيوعي وكل خطر استعماري!

وفي هذا الوقت تحرك أعوان الغرب بالداخل لتقويض الوضع في سورية فوحدوا صفوفهم وقاموا بهجوم مكشوف ضد حكومة التجمع القومي وكانت ذريعتهم في ذلك المطالبة بالغاء الأحكام العرفية التي فرضت على البلاد منذ العدوان الثلاثي على مصر واستمرت بعد انكشاف المؤامرة، ولم يكن من أهداف التنقلات العسكرية في الجيش احراجنا للقيام بانقلاب عسكري فحسب بل استهدفت ايضا - في حال سكوتنا عنها اقصاء عبد الحميد السراج واستبداله بأكرم الديري في التنقلات المزمعة.

كان الديري من كتلة الضباط الشوام. ومثل السراج كان ضد نفوذ حزب البعث في الجيش، ولم يكن استبعادنا له شكا بكفاءته العسكرية أو وطنيته وهو التلميذ المخلص لاستاذه عدنان المالكي، ولكن لأن السراج أصبح متمرسا بشؤون المخابرات ومخيفا للمتآمرين.

وبعد أن ألغت حركة عصيان قطنا التنقلات العسكرية حاول القوتلي اقناع رئيس الحكومة صبري العسلي ووزير الدفاع خالد العظم بإلغاء الأحكام العرفية متذرعا باجراء الانتخابات الفرعية للكراسي التي شغرت بسبب الاحكام الصادرة بحق النواب، وكاد صبري العسلي أن يستجيب لهذا الطلب اذ وعد في جلسة 57/3/27 ببحث هذا الموضوع، ولكننا نبهنا العسلي الى خطورة الغائها في هذا الظرف الذي تكتلت فيه كل قوى الاستعمار ضد الوضع في سورية فقرر مجلس الوزراء الغاءها فقط من المحافظات التي ستجري بها الانتخابات النيابية للكراسي الشاغرة كما حدد موعد اجرائها في الخامس من شهر أيار عام 1957.

ولكي أضع القاريء في الصورة الحقيقية لما كان يقوم به عملاء الغرب والنظم الرجعية العربية من تخريب بمؤازرة الاحزاب السياسية الرجعية، أذكر بعضا من نماذج التأمر :

ارسلت مخابرات نوري السعيد عبدالله الجنابي بجواز سفر عراقي باسم (عبد عيد عيدان) الى دمشق فاندس بين صفوف العراقيين الأحرار اللاجئين الى سورية لاكتشاف الاماكن التي أتردد عليها وتفاصيل تنقلاتي وتكليف اثنين من المدربين للقيام بمهمة اغتيالي، وقد اعترف عبدالله الجنابي في التحقيق بأمور تفصيلية دقيقة عن أسماء مرسليه ومهمته وأعماله واتصالاته والأموال التي قبضها (الرأي العام 57/3/8 والصحف السورية الأخرى).

ثم وصلني كتاب تهديد بالقتل اشارت اليه جريدة الراي العام بتاريخ 1-4-57 "أصبحت بطاقات مجلس الاعمار ووزارة الاعمار التي تحمل اسم الحكومة العراقية تستخدم لارسال التهديدات لقادة السياسة العربية التحررية وتفصيل ذلك ان اكرم الحوراني تلقى أمس كتابا يحمل طابع لبنان وختم بيروت، فلما فضه وجد فيه بطاقة تحمل اسم الحكومة العراقية - مجلس الاعمار وفيه تحذير من المضي في السياسة التي ينتهجها بحجة أنها تخدم الشيوعيين وتطلب اليه التراجع عنها لئلا يكون مصيره "الضياع".

وكان الأمر الذي حسم موضوع بقاء الاحكام العرفية، هو الانباء التي تواردت من جبل الدروز والتي تفيد بأن طائرة مجهولة الهوية قد حلقت فوق قرى الجبل وألقت منشورات تدعو المواطنين الى القيام باضطرابات وأعمال عنف ضد "حكومة دمشق" وتكيل الثناء على حسن الاطرش أحد أركان المؤامرة على الوطن والجيش وتقرن اسمه تضليلا باسم سلطان باشا الأطرش.

مؤامرة مشتركة للمخابرات المركزية وحلف بغداد بقيادة المقدم هشام العظم.

لا شك أن طلبنا ابقاء الاحكام العرفية لفترة من الزمن كان محقا لمراقبة حمى التآمر الاستعماري على الوضع في سورية، اذ لم تمض فترة شهر على افشال التنقلات التي ترمي الى

القضاء على نفوذ الضباط الموالين للسياسة العربية التحررية حتى كشفت مؤامرة كان من المفروض أن تتم بقيادة المقدم هشام العظم بدعم من حلف بغداد والولايات المتحدة في آن واحد :

حدد موعد تنفيذ هذه المؤامرة بتاريخ 1957/4/17 الذي يصادف عيد الجلاء في سورية بقيادة هشام العظم والضباط أحمد حنيدي وطعمة العودة الله ووفيق اسماعيل والسوريين القوميين، ولكن هشام العظم شعر بالعجز والخوف فأرجأ هذا الموعد الى عيد الفطر في 4/30 ولكن المخابرات السورية وضعت يدها على هذه المؤامرة. ونظرا للروابط العائلية بين خالد العظم وأقربائه آل العظم في حماه فانه اكتفى مع شكري القوتلي ورئيس الأركان توفيق نظام الدين بإيفاد هشام العظم والمقدم وفيق اسماعيل الى الخارج، وقد ساهم عبد الحميد السراج في التغطية على هذه المؤامرة لأن ذلك كان يوجه ضربة مميتة لتكتل أمين النفوري وأحمد عبد الكريم ووفيق اسماعيل وأحمد حنيدي وطعمة العودة الله ورفاقهم لصالح حزب البعث العربي الاشتراكي في الجيش والشعب.

فيما بعد كشفت إحدى وثائق حلف بغداد عن تفاصيل أخرى بما يتعلق بهذه المؤامرة وهي تقرير من الملحق العسكري في بيروت صالح السامرائي الى رئيس المخابرات العراقية أحمد مرعي وفيما يلي النص الكامل للوثيقة :

تطورات الموقف الاخير في سوريا

1957/5/20

أولا - تمهيد - على اثر فشل الرصافي[4] في تحقيق خطة التنقلات[5] الواسعة التي اجرتها رئاسة اركان الجيش السوري في 957/3/18 والتي كان يستهدف من ورائها تغيير الاوضاع في سوريا أخذ يفتش عن عناصر جديدة ذات قوة يمكنهم بواسطتها القيام بخطة جديدة تمزج بين طياتها بعض العنف

(4) الرصافي هو السفير الاميركي لأن السفارة الاميركية كانت في الرصافة وهي ضفة دجلة الشرقية، اما الكرخي فهو السفير البريطاني في الصفة الثانية التي تسمى الكرخ.

(5) التنقلات في الجيش التي اقترحها توفيق نظام الدين بموافقة القوتلي والتي أحبطها عصيان الضباط الموالين للبعث في معسكرات قطنا.

لتغيير الوضع في سوريا وفي ما يلي موجز تلك الفعاليات والنتيجة التي توصل اليها.

أ- اتصل الرصافي بالحزب القومي الاجتماعي وطلب تعيين جماعة ثانية لتأمين الاتصالات والمذاكرات كما سبق ان اخبرتكم في حينه. وكان في مقدمة تلك المشاورات هو كيف يمكن ربط حلقة كل من الطرفين التي كونها كل منهما داخل الجيش وكما لا يخفى أن للرصافي كتلة لا يستهان بها من الضباط ولكن مما يؤسف له ان الرصافي كان مخدوعا لحد ما في معظمهم وفي مقدمتهم المقدم امين نفوري الذي كان الرصافي يعول عليه كل التعويل واصبح الان يسب ويشتم الرصافي، بمناسبة وبدون مناسبة فاضطر الى تركه واخذ يفتش عن الشخص الذي سيربط الحلقتين حتى عثروا عليه مؤخرا في شخصية المقدم هشام العظم (مدير شرطة الجيش) وعندما طلب الرصافي من ممثل الحزب القومي انتداب من يتولى من ضباطه الاتصال بالعظم وتم لهم ذلك. واضطر ممثل الحزب المذكور اطلاع الرصافي على عدد لا يستهان به من ضباطهم خلال سير المذكرات فربطوا بذلك كيانهم ومصيرهم بكيان الرصافي وكتلته وهنا لا بد من تبيان حقيقة واقعة وقعت داخل الحزب اختلف فيها اقطابه البارزون فيما بينهم فمنهم من كان يرى عدم اطلاع الرصافي على بعض اسماء ضباطهم وعدم التعاون معهم كي لا يربطوا مصير الحزب بالرصافي ومنهم فريق ثاني كان لا يرى بأسا من العمل مع الرصافي، وعندما رجع الفريقان لرئيس الحزب يستطلعان رأيه ايد فكرة التعاون مع الرصافي وذلك بعد اتصاله بي بعد عودتي واستطلاعه رأيي وتحبيذ فكرة التعاون له من جانبنا.

ب- اتصل الرصافي بالضباط الاحرار عن طريق صلاح الشيشكلي وكان قد طلب الاتصال بالمقدم محمد معروف ايضا. كان الحديث بين الرصافي وصلاح منحصرا في "من انتم ما قوتكم في الجيش وخارج الجيش. ما علاقتكم بالقوميين وهل تتعاونون معهم ماذا تنوون عمله؟ اسئلة كل اجوبتها كما اعتقد ليس غريبة عن الرصافي ومع ذلك فقد طلب من صلاح امهاله لثلاثة ايام كي يتصل بواشنطن ثم يعطيه الجواب وبعد ثلاثة ايام كان جوابه لصلاح ان يجمدوا فعالياتهم بينما ينجلى الموقف الناجم

عن التنقلات في الشام. كما طلب الرصافي من صلاح اخبار المقدم معروف بعدم ضرورة الاجتماع بعد.

ثانيا - الخطة العامة للعمل .

وهكذا يكون قد اقتصرت اتصالات الرصافي فيما بعد بالقوميين السوريين فقط بعد ان جمدت فعالياتهم بينما كانوا شديدو اللحاح على الحزب بوجوب التمسك بالخطة التي اتفقوا عليها وهي :

أ- القيام باعتقال 14 ضابط ومدني بالتعاون بين القوميين ومدير شرطة الجيش دون اغتيالات.

ب- المجيء بحكومة اعضائها حياديون لا حزبيون برئاسة مجد الدين الجابري بصورة موقتة لتهدئة الاوضاع لمدة ستة أشهر وبالرغم من عدم رضاء واطمئنان القوميين الى الخطة آنفة الذكر فانهم بعد استشارتي ونصحي لهم بعدم التمسك كثيرا مع الرصافي كي لا يعتقد ان الحزب يريد عرقلة العملية رضوا بها مع اعتقادهم انهم سوف لا يستفيدون من العملية كلها حزبيا سوى تغيير الوضع بدمشق، حيث قد ينجم عن ذلك وجود ظرف قد يساعدهم فيما بعد على مزاولة نشاطهم الحزبي فقط. وهنا نقطة مهمة لا بد لي من التطرق الى ذكرها وهي ان رئيس الحزب اعلمني انه سوف يستغل ظرف تغيير الخطة المذكورة لتعريف الشخصيتين البارزتين بطريقة لا يتحسس بها الرصافي وذلك في حالة حدوث ملابسات آنية تعرقل الخطة.

ثالثا - التنفيذ.

أ- وضع الحزب كل امكانياته تحت تصرف الرصافي وأخبره انهم جاهزون للعمل في دمشق ولا ينتظرون الا اشارة البدء فأخذ الرصافي يسعى وراء كتلته يحثهم وتم الاتفاق على استغلال يوم عيد الجلاء أو الذي يليه حيث يكون معظم العسكريين في اجازة.

ب- اعلمني رئيس الحزب مساء يوم الجلاء 1957/4/17 يتوقع تنفيذ الخطة تلك الليلة ولذلك طلب من المحطات اللاسلكية تأمين الاتصال طوال الليل وبقينا ننتظر وصول الرسول من دمشق يخبرنا ببدء التنفيذ أو اشارة تنبئ بذلك لكن انتهى الليل وقسم من النهار ولم يصلنا شيء. فقطعنا

الامل وباشرت اتحرى عن الاسباب، تبين فيما بعد ان السبب هو احجام المقدم هشام العظم مدير شرطة الجيش نفسه، فقد تراجع عن تنفيذ الاعتقالات بمساعدة القوميين واتضح ان المومى اليه كان يطمع ببعض المال فافهمت رئيس الحزب بضرورة الالحاح على الرصافي لدفع ما يغرى المومى اليه وبعد ايام اخبرني رئيس الحزب بانه تم تسليم المبلغ كما ادعى الرصافي ولذا فانهم يأملون ان يبدأ بالعملية قريبا.

ج- بعد ذلك بيومين اخبرني رئيس الحزب بانه برز لهم المقدم خطار حمزة يرغب التعاون معه ولوح بالمال وسألني عنه فاعلمته بانه عنصر لا بأس به ويمكن كسبه ولا مانع من اقناع الرصافي لمنحه بعض المال. ثم عاد واخبرني بعد مدة بان الرصافي يدعى بانه دفع له.

د- وبات امر التنفيذ وشيكا كما يدعون، وتنسب ان يكون في عيد الفطر. الا أنه بوغتنا بحدوث بعض التنقلاب والايفادات التي تناولت اهم عناصر العملية واهم ما فيها هو ايفاد المقدم هشام العظم مدير شرطة الجيش والمقدم احمد حنيدي آمر كتيبة الدبابات والمقدم رفيق اسماعيل آمر فوج المغوير الى روسيا واخبرت رئيس الحزب في حينه بضرورة افهام الرصافي بانه اذا كانوا جادين فلا بد ان يستغلوا الظرف قبل سفر الجماعة لانهم هم المعول عليهم ولكن لم يحدث شيء من جانبهم وعندما تحريت الاسباب تبين لي مع الاسف الشديد ان المقدم هشام العظم هو نفسه الذي طلب ايفاده للخارج فتم له ما تم وقد ابلغت ذلك لرئيس الحزب كي يخبر الرصافي.

وهنا نقطة جديرة بالاهتمام تتعلق بهشام العظم تسترعي النظر وهي ان المومى اليه منذ ما يقرب الشهرين مستمر مع شخص لبناني يدعى انطون شويري، وقد بلغتني هذه المعلومات بطرق خاصة ولا علم للحزب القومي ولا الرصافي بذلك، وانطوان شويلي باتصال مستمر مع فريد شهاب وهو موظف في السفارة البريطانية. وقد بلغني أن انطوان شويرى كان قد حاول اقناع العظم بالمجيء الى بغداد برفقته ولما اتصلت بفريد شهاب عن سفر انطوان لم يبد شهاب ممانعة ان لم أقل انه كان راغبا بذلك.

و- اتصلت في يوم 1957/5/19 اي قبل مغادرتي بيروت مؤخرا برئيس الحزب وأحد المنتدبين من الحزب لمفاوضة الرصافي وهو الدكتور صليبه لاستجلاء حقيقة الموقف الاخير فكان لا يزال الدكتور صليبه متفائلا ويقول ان الرصافي لا يزال مندفعا لاحداث التغيير في اوضاع الشام ودلل على ذلك بانه الرصافي لم يرغب في تسريح الحشود وأظهر استعداده للمشاركة في دفع ما يترتب عليه من النفقات اي الثلث وقد دفع مائة الف ليرة في نهاية مارت. بينما يرى رئيس الحزب بان الدكتور صليبه متفائل كثيرا ولا يزال يحسن الظن بالرصافي اما هو (اي رئيس الحزب) فيعتقد أن الرصافي كان همه من الاتصال بهم هو تجميدهم ولذلك فان مركزه كرئيس للحزب بات حرجا بالنسبة لاصحاب هذه الفكرة من اقطاب الحزب. ورجاني أن أجد له مخرجا من هذا المأزق وذلك بكشف النوايا الصحيحة للرصافي الذي لولاه لما تعاون معهم، واضاف الدكتور صليبه ان الرصافي بعد ان فقد الثقة بهشام العظم اخذ يبحث عن شخص ثاني يربط الحلقتين وكان من المقرر ان يصلهم ليلة 19-1957/5/20 رسول من دمشق جالبا معه الموقف الاخير لمحلات الضباط القادة خاصة، كي يضعوا خطة جديدة للعمل وانتظرنا الليلة ولم يرد شيء. واتصلت قبل سفري بساعة مستوضحا من الدكتور صليبه عن مجيء الرسول واجاب بانه لم يأت بعد وأنهم والرصافي لا يزالون ينتظرون وصوله.

رابعا - استنتاجاتي مما مر ذكره اعلاه يمكن استنتاج ما يلي :

ان الرصافي عجز لحد هذا التاريخ عن ايجاد الضابط الجريء الذي يقود او يتولى تنفيذ الخطة التي رسموها، وذلك في حالة كونه جادا في احداث تغيير ما في وضع الشام، ولكنه نجح في تجميد العناصر المناوئة للوضع في الشام وفي مقدمتهم الحزب القومي للقيام بأي عمل ينطوي على العنف خلال شهرين منصرمين كما استطاع ان يطلع على بعض قوى الحزب في الجيش السوري. وهذا مما يضر في صالح الحزب اذا اراد الرصافي في معاكسة الحزب في المستقبل أو تم التفاهم بين الرصافي والحوراني واخشى ان يكون الحزب موضع مساومة في حالة التفاهم مع الحوراني والجدير بالاهتمام ان اتصالات السفير الامريكي في دمشق مع أكرم الحوراني

لم تعد خافية على أحد[6] . ويمكن القول ان الرصافي نجح في تجميد ناحية مهمة جدا كان الحزب ينوي القيام بها بعد اغتيال غسان وهي ناحية تعريف الشخصيتين المعلومتين، حيث رأى الحزب ان من الافضل ادماج هذه العملية في الخطة المتفق عليها مع الرصافي دون علمه. قرر رئيس الحزب مؤخرا الاهتمام في هذه الناحية في حالة توقف الرصافي على التعاون معهم ولذا فقد اتصل بالسيد عزيز عباد ممثل بيت المرشد قبل ثلاثة ايام واجرى معه تمهيدات للخوض في الموضوع وقد ابدى السيد عزيز عباد رغبة ملحةفي تعريفهما خاصة بعد الحادث الاخير في منطقة العلويين حيث قتل احد عملاء المكتب الثاني، فاتهم بيت المرشد ونكل ببعض شخصياتهم. حاول الرصافي استقصاء اكثر ما يمكن من المعلومات عن مقدار الحشود ونفقاتهم منذ شهر آب حتى نهاية نيسان وقد اخبر الرصافي ممثل الحزب بأنه كان موافقا منذ البدء على دفع ثلث نفقات الحشود فقط وانه سبق ان دفع المبالغ 80 الف ليرة، 80 الف ليرة، 95 الف ليرة، 95 الف ليرة، منذ شهر آب عن طريق العراق ثم دفع لهم في نهاية مارت مائة الف وهو المبلغ الاول والاخير الذي دفعه مباشرة فيكون المجموع 450 الف ليرة وطلب منهم بيان المتبقى عليه مفصلا. بعد مذاكرة الرئيس معي تبين ان الحساب المتبقى عليهم باعتبار الحشد باقي حتى نهاية نيسان بناء على طلب الرصافي هو (151/133) ليرة وهذا يتضمن (90) الف وهو القسم المتبقى من شهر مارت ومن ثم سيبقى 61/000/133 ليرة وهو ما يترتب عليهم لقسط نيسان فاذا تم دفع ذلك فاني ساحفظ ذلك مما سندفعه لهم من قسطنا وقسط الكرخى وعلى هذا فانهم سيقدمون حسابهم هذا للرصافي في يوم 1957/5/21.

الاعمال التي يمكن القيام بها في حالة انسحاب الرصافي وتراجعه عن تنفيذ خطته يمكن القيام بما يلي :

أ- لا يزال الحزب القومي مستعدا للقيام بضربة ناجحة لدمشق لوقت محدود وعليه ان نفكر في كيفية ادامة هذا النجاح واستغلاله بعناصرنا الاخرى الموالية لنا.

ب- لا يزال الضباط الاحرار قادرين على القيام باعمال تخريبية فصلاح يستطيع العمل في منطقة البادية وحما ودير الزور ومهاجمة مخافر

(6) نشرت هذا الخبر المختلق جريدة الاخوان المسلمين (المنار) فتلقفه الملحق العسكري العراقي وقد صدر تكذيب رسمي حكومي لهذا الخبر وسأعرض للموضوع في حينه.

الشـرطة ومعـروف يسـتطيع اثـارة العلـويين فـي جبـل العلـويين كمـا ان حسـن الاطرش اظهر اسـتعداده اكثر من مرة على ان لا يبدأ هو أولا.

ج- في حالة عدم مساعدة الظروف الدولية للقيام بهذه الضـربة فـان الحـزب يسـتطيع القيـام بـبعض عمليـات الازعـاج فـي منـاطق العلـويين وحلـب وحمص بالرغم من اعتقاد رئيس الحزب ان هذه العمليات سـتثقل كاهـل الحزب وتزيد الاعباء التي يـئن تحتهـا وضـرب مـثلا لـذلك حـوادث الشـغب التي اجراها بعض منتسبي الحزب في حلب والتي ادت الى سجن عدد لا يستهان به من القوميين هناك ونزوح عوائلهم الى لبنان لطلـب العـون من الحزب وفي وقت هو احوج ما يكون الى المـال لمسـاعدة المنكـوبين بنتيجة محاكمة المتهمين بالمؤامرة المزعومة.

د- يمكن اناطة بعض اعمال التشويش الى الاخوان المسلمين في دمشـق وحمص وذلك عن طريق السـيد راغـب علـى شـرط ان نـؤمن لهـم بعـض متطلباتهم.

اعمـال الكتـل اليمينيـة - امـا مـن الناحيـة السياسـية فقـد تـم تـأليف الجبهـة الائتلافيـة التـي تضـم 60 نائـب مـن حـزب الشـعب والتحريـر والكتلـة الدستورية وبعض المستقلين وعدد من اعضاء التجميع البرلماني نفسـه. واول مطاليب هذه الجبهة هو الغاء الاحكام العرفية وقد هدد الدكتور مأمون الكزبرى بالاستقالة في حالة عدم الغائها.

- الانشـقاق في الحزب الوطني ودعوة فروعه في حلب وحمص ودمشق الـى عقد اجتماع يضم هذه الفروع لانتخاب رئيس جديـد للحـزب او امـين سـر عـام للحزب وذلك بعد اقصاء السيد صبري العسـلي ومـن يواليـه، هـذا هـو خلاصـة الموقف الاخير في سوريا اضعه بين يـدي سـعادتكم يرجـى التفضـل بـالاطلاع والامر بما تنسبون.(ص526 من كتاب محكمة الشعب تليت هـذه الوثيقـة فـي محاكمة احمـد مرعـي رئـيس الاسـتخبارات العسـكرية فـي الجـيش العراقـي وهي عبارة عن تقرير مقدم له من الملحق العسكري للعراق في بيروت).

1957: الغضبة الشعبية في الاردن ضد مشروع ايزنهاور - علي ابو نوار وعلي الحياري قائدا الجيش الاردني يصبحان لاجئين في سورية - الانتخابات الفرعية السورية لملء المقاعد النيابية التي شغرت بالحكم على النواب المتهمين بمؤامرة 1956 المتزامنة مع العدوان الثلاثي على مصر - مرشح البعث رياض المالكي (عربي اشتراكي سابقا) ضد رئيس الاخوان المسلمين الشيخ مصطفى السباعي- التهديد بالاعتداءات الاسرائيلية والحشود التركية العراقية على الحدود السورية.

الضغوط الاميركية الاقتصادية على الاردن

كان الملك حسين قد وجه بنفسه من اذاعة عمان - كما ذكرنا سابقا - رسالة الى رئيس وزرائه سليمان النابلسي ينذره فيها من "النشاط الهدام" في الاردن، وقد ظهر ان توجيه هذه الرسالة كان بالاتفاق مع الملك سعود الذي ايدها بتصريحاته، ولكن بعد اجتماع الملوك والرؤساء في القاهرة ظن الكثيرون ان العاصفة قد مرت وانها لن تعود ثانية.

مر على الاردن بعد ذلك ما يقارب الشهرين احتفل خلالها بعيد استقلاله، كما صادق مجلس النواب السوري على المعونة العربية للاردن بدلا من المعونة البريطانية، وعقدت سورية ومصر والاردن اتفاقية تقضي بتوحيد مناهج التربية والتعليم في الاقطار الثلاثة، ولكن مجيء بعثة رشاردز الاميركية لبحث مشروع ايزنهاور مع دول المنطقة كان بداية مرحلة من الضغوط [1] على الاردن

---

(1) لقد اشار علي ابو نوار رئيس اركان الجيش الاردني في مذكراته التي نشرها في جريدة القبس الكويتية ثم جمعها في كتاب صدر عام 1990 تحت عنوان: عندما تلاشت العرب الى هذه الضغوط بما يلي:
في يوم 1957/4/7 زارني سفير امريكا المستر مالوري يصحبه الملحق العسكري الكولونيل سويني، رفع السفير يده ملوحا باوراق قائلا: هذا مشروع ايزنهاور وقد قدمته للحكومة وهي عاجزة عن قبوله فهل اطلعت عليه؟ اجبته بأني لم اقرأه ولكني اعرف تفاصيل مضمونه.

اضطرت الملك حسين لاقالة وزارة سليمان النابلسي، فقد اعلنت الخارجية الاميركية امتناعها عن الاستمرار في بذل المعونات الاقتصادية للاردن حتى يعلن انفصاله عن سياسة سورية ومصر التحررية، فأوقفت المشروعات التي تنفذها النقطة الرابعة ووكالة غوث اللاجئين، وجمدت الستة ملايين دولار المتبقية في ميزانية النقطة الرابعة، وتجاه هذا الضغط الاميركي على حكومة الاردن اعلن النابلسي تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفيتي بدرجة سفارة كما اعلن رفضه للضغوط الاقتصادية والسياسية الاميركية.

وقد كتبت في جريدة البعث بمناسبة رفض سورية المساعدات الاقتصادية الاميركية المقال التالي:

كثيرا ما يتساءل الاجانب عن موقف سورية من قبول المساعدات العسكرية والاقتصادية، باعتبار ان البلاد العربية تحتاج الى المال لتنفيذ مشاريعها الانشائية واستثمار مرافقها وتفجير ينابيع ثرواتها ورفع مستوى شعبها، ويدللون على ذلك بقبول الهند وغيرها لهذه المساعدات. ان هذا القول صحيح بالنسبة للامم الاخرى، اما بالنسبة للعرب فهو قول يحتاج الى توضيح.

ان الشعب العربي قد تبنى سياسة الحياد الايجابي باعتبار ان هذه السياسة منبثقة عن ماضيه ومصلحته، فكان بالامكان للشعب العربي ان ينال هذه المساعدات دون شروط او التزامات تخرجه عن سياسة الحياد وتجعله تابعا لاحد المعسكرين، وكان بالامكان ان تقدم هذه المساعدات كما قدمت الى الهند وشعوب اخرى كيوغسلافيا دون ان تخرجها عن سياسة الحياد الايجابي، ولكن شأن العرب يختلف كثيرا عن شأن الشعوب الاخرى

قال السفير: انتم تحاولون عبثا الحصول على معونة عربية، وانا اعلم انك شخصيا ثاني اقوى رجل في الاردن، ونحن الامريكان نفضل التعامل مع العسكريين في العالم الثالث لسهولة التفاهم معهم، انا اعرض عليك المشروع كما هو في هذه الوثيقة، فاذا قبلته واعلنت عن قبولك فان حكومة الولايات المتحدة الامريكية ستضمن لك حاجات الجيش المالية والسلاح اللازم للدفاع فضلا عن مساعدات مالية وفنية لتنمية اقتصاد الاردن.
فضلا عن ذلك فاننا نقبل بالنظام الذي تختاره للاردن ملكيا او جمهوريا، وسوف نساندك بكل الوسائل الممكنة (ص 309) الطبعة الاولى.
كما اشار ابو نوار في موضع آخر (ص304) الى ان المخابرات الاميركية حاولت كسب الملحق العسكري الاردني في بيروت ودمشق واقناعه بمزايا مشروع ايزنهاور.

في العالم. فهذه المساعدات التي تلوح بها اميركا للعرب دائما، لن تقدم للعرب حتى ولو ارتبط العرب بالغرب كما ارتبط العراق بحلف بغداد وتنازلوا عن سيادتهم واستقلالهم وقدموا بلادهم وشعبهم طعمة لنيران حرب عالمية لا ناقة لهم فيها ولا جمل، اما سبب ذلك فواضح لا يحتاج للتوضيح، فليس من مصلحة الاستعمار الغربي والصهيوني ان ينهض العرب وهو الذي يترف على حساب دم الشعب العربي وخيراته.

ان الاستعمار الغربي اقام اسرائيل قاعدة عدوان وانهاك وابادة للشعب العربي، للاستيلاء على موارد البلاد العربية وخيراتها، فلا عجب اذن ان يتألب الغرب ضد العرب؟ فتؤيد اميركا وبريطانيا وفرنسا مطالب اسرائيل بالملاحة بخليج العقبة بالرغم من انها مياه اقليمية مصرية - سعودية، وهو امر لا تقره الحقوق الدولية عدا عن انه افتئات على سيادة مصر والمملكة العربية السعودية وطعن للمشاعر الدينية والقومية، كما لا تزال اميركا وفرنسا وبريطانيا تؤيد مرور السفن الاسرائيلية بقناة السويس وتذهب الوقاحة بالفرنسيين الى حد تقديم المساعدات المالية لاسرائيل لتمد انابيب البترول من ايلات الى ساحل البحر الابيض المتوسط واي بترول هذا الذي تساعد فرنسا اسرائيل على مروره؟ انه البترول العربي والايراني.

ان ارتباط العراق الشقيق بحلف بغداد هو الذي يحول دون ارجاع فرنسا الى صوابها فتحرم من 23 بالمئة من البترول العربي في العراق الذي اغتصبته دون اي حق او مبرر قانوني فتتلقى بذلك درسا عن مذابحها البربرية في الجزائر، وعلى هجومها الغادر على مصر العربية ودعمها اسرائيل بالقوى العسكرية التي لا تزال معسكرة فيها للانقضاض على البلاد العربية، وانني لاتساءل كيف لا تخجل السياسة الاميركية من طرح اسطورة المساعدات، وهي لا تزال تدعم وجهة النظر الاستعمارية البريطانية والفرنسية بقضية قناة السويس التي هي مرفق من مرافق مصر ستستخدم مواردها لانشاء السد العالي، مع العلم بان مصر اكثر بلاد الله كثافة بالسكان واقلها مستوى معيشة، فكيف تنسجم قضية المساعدات الاميركية مع العمل على حرمان مصر مرفقا من اهم مرافقها؟

ان العرب اذن قبل ان يطمحوا بمساعدة اميركا فانهم يطمحون ان تكف عن الاشتراك مع الاستعمار الغربي البريطاني الفرنسي والاستعمار الصهيوني بنهب موارد البلاد العربية وابادة الشعب العربي.

ان العراق الشقيق من اخصب بلاد العالم واكثرها امكانيات مادية ومع ذلك لا يزال الشعب في العراق متخلفا ولا تزال المستنقعات تشمل اخصب اراضيه واكثرها انتاجا ولا يزال الشعب يعيش في هذه المستنقعات، اما حصة العراق من البترول فقد قررها الانكليز 50 بالمئة نظريا، اما ما يدفعونه للعراق فهو متروك لذمة بريطانيا، وبالرغم من ذلك فان ما يدفع للعراق ينفق معظمه على شبكات التجسس والدعاية والتآمر ضد القضية العربية ويحرم منها ابناء العراق الشقيق اللهم الا كبار الساسة المحترفين والاقطاعيين السائرين في ركاب الاستعمار. ومع ذلك فان اميركا تدعم الاستعمار البريطاني في العراق وتدخل في حلف بغداد بعد اجتماع برمودا بين الرئيس ايزنهاور وماكميلان رئيس الوزارة البريطانية، فأين ما تدعيه اميركا من مساعدة عسكرية واقتصادية للعراق واي تهريج هذا الذي يبديه ساسة العراق من قبول لهذه المساعدات. ان المساعدة الحقيقية هي ان يتناول العراق حقه من البترول وان تنفق موارده في انعاش الشعب وفي رفع مستواه لا ان تدعم اميركا الاستعمار البريطاني الذي جعل من شعب العراق شعبا فقيرا ذليلا.

ان موارد العراق كفيلة - فيما لو كان العراق حرا في انفاقها - ان تجعله في مقدمة شعوب العالم نماء وازدهارا وبالرغم من ان اميركا تدعي تقديم المساعدات العسكرية للعراق فان الجيش العراقي باعتراف ساسة العراق لا يزال محروما من السلاح والذخيرة، وعلى ذلك يصح ان نقول ان اكبر مساعدة عسكرية واقتصادية تقدمها اميركا للبلاد العربية هي ان تكف عن دعمها لمطامع اسرائيل التوسعية وعن تأييدها ومساندتها للاستعمار الفرنسي والبريطاني في البلاد العربية، ومن الخطأ الفادح ان نعتبر سياسة اميركا تجاه البلاد العربية كسياستها تجاه الشعوب الاخرى في العالم. ان اميركا لا تزال مسيرة بتأثير الصهيونية العالمية والاستعمار الفرنسي البريطاني وشريكة لهم في البلاد العربية.

ولذلك فان الصيغة الفعلية للمساعدات العسكرية والاقتصادية الاميركية للبلاد العربية هي تأييد بريطانيا وفرنسا من قضية قناة السويس وتأييد اسرائيل من مطالبها التوسعية في قطاع غزة وخليج العقبة وهدر حقوق عرب فلسطين ودعم فرنسا بمذابحها في الجزائر وتأييد حلف بغداد لنهب واذلال الشعب العربي في العراق وان مساعدتها الفعلية هي بعدم الاعتراف بالقومية العربية وتمزيق وحدة الصف العربي وحبك الدسائس

والمـؤامرات واعاقـة تقـدم العـرب ونهوضـهم واسـتغلال مـواردهم. ان الصـيغة العملية للمسـاعدات كمـا تفهمهـا السياسـة الاميركيـة هـي التـدخل بجميـع شـؤون العرب ما عظم منها وما صغر، فيعيقون مثلا اقامة مصفاة للبتـرول وبنـاء خزانات في سورية حتى تصبح من القضايا الشاغلة للرأي العام، مفهوم هـذه المساعدات ان تنزعج الساسة الاميركية فيما اذا لزمـت مسـتودعات الحبـوب في اللاذقية بأقل مـن مليـون ليـرة لغيـر الشـركات التابعـة لهـا او الـدائرة فـي فلكهـا، مفهـوم هـذه المسـاعدات ان تقـيم اميركـا الـدنيا وتقعـدها بالـدعايات المضللة فيما اذا اقدمت مصر وسورية على شراء السلاح للدفاع عـن نفسـها بعد امتناعها هي عن بيع هذا السلاح.

غبي جدا من يفصل بين قضية السياسة العربية الخارجيـة المسـتقلة وبين نهوض العرب الاقتصـادي والاجتمـاعي والفكـري، ان كـل خطـوة يخطوهـا العرب في تحررهم السياسـي هي خطوة الى الامام في تقدمهم الاقتصـادي والاجتمـاعي، ان ابسـط المشـاريع الانسـانية فـي الـبلاد العربيـة، لا يمكـن تنفيذها الا بعد نضال مرير مع الاسـتعمار. وان اي تقـدم عسـكري لا يمكـن ان يسجله العرب الا بمآس ودموع فـي معـركتهم مـع الاسـتعمار. ان سـورية قـد انفقت مئات الملايين في شراء السـلاح الفرنسـي الفاسـد لانـه فـرض علـى سورية فيما مضى ان تشتري هذا السلاح باثمان باهظـة مـن فرنسـا مرفوقـة بمنة كبرى من الفرنسـيين، كمـا كـان مفروضـا نظيـر هـذا علـى جميـع الـبلاد العربية، اما اسرائيل فان اميركا لا ترى حرجا في ان تقدم لهـا مئـات الملايـين من الدولارات وان تسهل لها عملية شراء السلاح الحديث.

ان خطط الاستعمار الغربي والصهيوني لا تـزال هـي هـي منـذ ثلاثـين عامـا فـي الـبلاد العربيـة وهـي لـم تختلـف باهـدافها ومراميهـا وان اختلفـت بمظاهرها واشكالها وعلى العرب أن يجابهوا الحقيقة بما تقتضيه من شـجاعة وجد وايمان بالظفر.

□

لقـد شـرح الملـك حسـين وجهـة نظـره التـي دعتـه لإقالـة حكومة سـليمان النابلسـي بالكتب التي ارسـلها الى الملك سـعود وجمال عبد الناصر وشـكري القوتلي وهذا نصها:

"ابعث الى الاخ بأطيب التحية واصدق التمنيات، وبعد فانكم تقدرون الظروف الدقيقة التي تجتازها امتنا العربية في هذه المرحلة من حياتها والاخطار الجسيمة التي ما زالت تهدد قوميتنا وسلامة اوطاننا، وحيث ان الفترة التي نعيش فيها سيكون لها اعظم الاثر في مستقبل امتنا، فانه يجب علينا الحيطة الدائمة والاستعداد الكامل لمجابهة كل مفاجىء واحباط كل مكيدة، ونرى ان الاستعمار رغم هزيمته التي مني بها في الوطن العربي ما زال يتربص بنا الدوائر مستغلا كل وثبة لتشتيت وتفريق صفوفنا متخذا من بلادنا وامكانياتنا وموقعنا الاستراتيجي ميدانا لحرب باردة لا نجني من ورائها الا الفزع والضرر.

اننا في الوقت الذي نصارع فيه الاستعمار الغربي يتوجب علينا ان نحارب كل دعاية او اية مبادىء تتعارض مع عقائدنا وتتنكر لمعتقداتنا وديننا، وبالتالي تكون حربا على قوميتنا ووحدة امتنا، ونرى ان وحدتنا في النضال والكفاح واخوتنا في الجهاد والسلاح تضعنا وجها لوجه امام الخطر الصهيوني المباشر الذي غزانا في قلب ديارنا تدعمه اليهودية العالمية".

وبعد ان يتحدث الملك حسين في هذه الرسالة عن السطحية والارتجال فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ووجوب الدرس والاتفاق على رأي واحد في الخطة والمعالجة وتحمل المسؤولية، وعن مؤامرات الاستعمار التي تهدف الى جعل كل قطر عربي منشغلا بنفسه، ينتهي الى القول:

"كل هذه الامور تستوجب الدرس والمعالجة ورسم الخطط، وارى ان الواجب يدعونا الى طرح هذه الامور وبحثها في الجو القومي الاخوي والواقعي، متحملين المسؤولية، ومواجهة النتائج، مستهدفين خير امتنا في رسم المستقبل الذي يتلاءم وآمالها واهدافها، مقدرين الامانة المقدسة التي في اعناقنا امام الله والتاريخ" (الرأي العام 1957/4/10)

كان جواب الملك سعود مؤيدا للملك حسين في وجوب محاربة الشيوعية والمبادىء الهدامة، بينما كان جواب القوتلي وجمال عبد الناصر غامضا، وقد اذاع الملك حسين نص رسالته والاجوبة التي تلقاها.

بعد فترة من نشر هذه الرسائل زار رئيس الاركان الاردني علي ابو نوار دمشق (مطلع نيسان عام 1957) وكان العقيد نبيه الصباغ قائد اللواء السوري المتمركز في الاردن تنفيذا للاتفاقية العسكرية الثلاثية بين مصر وسورية والاردن، قد عرفني به من قبل، وقد اوصيت علي ابو نوار يومها بالتحفظ والحذر وبتجنب اي ضغط على الملك حسين، وكنت سابقا قد ارسلت الى الاردن مصطفى حمدون وعبد الفتاح الزلط للاجتماع بعبد الله الريماوي وبغيره من قيادات البعث لتحذيرهم من التشجيع على اي عملية انقلابية ضد الملك حسين، الامر الذي سيتيح لاسرائيل ولحلف بغداد مجالا للتدخل.

بتاريخ 1957/4/11، بعد ايام من زيارة اللواء علي ابو نوار لدمشق التي كان غرضها الاجتماع مع السفير الروسي للاتفاق على شراء صفقة من الاسلحة للاردن، منعت السلطات الاردنية اي اتصال مع سورية، وفي اليوم التالي اعلن الملك حسين اقالة حكومة النابلسي فانطلقت في مدينة نابلس مظاهرة ضمت الالوف تندد بمبدأ ايزنهاور وتعلن غضبها واستنكارها لهذا الضغط الاستعماري.

وفي يوم الثالث عشر من نيسان 1957 اعلنت عمان ان السيد عبد الحليم النمر المكلف بتشكيل الوزارة قد ذهب للقصر الملكي ليعرض على الملك حسين اسماء وزرائه من الاحزاب الثلاثة التي كانت تتشكل منها حكومة النابلسي السابقة وهم: عبد الحليم النمر، سليمان النابلسي، منيف الرزاز (بعثي اشتراكي) سمعان داوود (مستقل) انور النشاشيبي، انور الخطيب، نعيم عبد الهادي، صلاح طوقان (وطني اشتراكي) عبد القادر صالح (جبهة وطنية) سابا العكشة (الحزب العربي الدستوري).

وقد تفاءلنا كثيرا بنبأ تكليف السيد عبد الحليم النمر الذي كان يتمتع بسمعة طيبة وأملنا كثيرا ان تنتهي الازمة.

وفي ليل 1957/4/14 وصل اللواء علي ابو نوار فجأة الى دمشق بعد ان ابعده الملك حسين من الاردن وكانت الاخبار الاتية من عمان تقول ان الملك حسين سافر الى الزرقاء لاعادة الحالة الى هدوئها الطبيعي، وان حكومة نوري السعيد حشدت قوات عسكرية على حدود الاردن، وان السفارة الاميركية وزعت على الصحفيين في عمان خبرا زعمت فيه ان قوات سورية مدرعة دخلت الاراضي الاردنية لتبرر تهديدات وزيرة خارجية اسرائيل التي اعلنت بأن اسرائيل ستتدخل في مسألة الاردن اذا دخلت اليه قوات من خارج حدوده.

وبتاريخ 1957/4/16 صدر مرسوم ملكي بتشكيل وزارة اردنية برئاسة حسين فخري الخالدي على النحو التالي:

الدكتور حسين الخالدي	رئيسا ووزيرا للدفاع
سليمان النابلسي	للخارجية
فوزي الملقي	للاشغال والتعليم والمواصلات
سعيد المفتي	نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية
ماجد عبد الهادي	وزيرا للعدلية
سليمان سكر	وزيرا للمالية والاقتصاد الوطني
امين مجج	وزيرا للصحة والشؤون الاجتماعية والانشاء والتعمير

وجاء في بيانها الوزاري:

ان منهاجها للعمل هو ما سبق وارتبط به الاردن مع شقيقاته المتحررات وتبني سياسة الحياد الايجابي مع الدول العربية كما جاء "اننا نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا ضمن المصلحة القومية لامتنا المجيدة وسنعتمد في سياستنا الخارجية على ميثاق الامم المتحدة والتعاون المتكاتف مع الدول لخير بلادنا وخير الانسانية جمعاء"

استمرت المظاهرات الشعبية تعم الاردن ولا سيما الضفة الغربية، في نابلس ورام الله والخليل والقدس، وكان المتظاهرون يطالبون بحكومة منبثقة عن مجلس النواب، وعودة اللواء علي ابو نوار لقيادة الجيش الاردني ورفض مبدأ ايزنهاور.

وعندما تأزمت الاوضاع واتسع نطاق المظاهرات اعلن البلاط ان القوات السعودية في الاردن قد وضعت تحت تصرف الملك حسين، وان الملك سعود ابلغ الملك حسين بالاتصال الهاتفي الذي جرى بينهما بتاريخ 16-4-57 تأييده المطلق لموقفه.

عين الملك حسين اللواء علي الحياري رئيسا للاركان بدلا من اللواء علي ابو نوار، وبعد يومين من تعيينه وصل اللواء علي الحياري ايضا الى دمشق لاجئا سياسيا بتاريخ 57/4/19 فعقد مؤتمرا صحفيا جاء فيه:

"لقد ملأت الشائعات عمان بأن ثمة خطة لاحداث انقلاب على الملك من قبل الجيش، وقد بدأت الاحداث تتلاحق في مساء 57/4/13 عندما قامت وحدات عسكرية في منطقة الزرقاء لمنع المحاولة، وكان السيد عبد الحليم النمر المكلف بتأليف الوزارة قد جاء الى القصر يحمل قائمة وزارته.

كان كل شيء في القصر يبدو هادئا، ولم يكن عبد الحليم النمر يعلم شيئا عما يجري في الخارج عندما تحركت سرية من المدرعات الى القصر فأحاطت به وهي تهتف بحياة الملك وسقوط رئيس الاركان علي ابو نوار الذي كان قد استدعي للقصر حيث كان عبد الحليم النمر الرئيس الملكف، وهنا ابلغ جنود المدرعات رئيس الاركان انه محجوز وان مهمته قد انتهت بواسطة مكبرات الصوت، كما ابلغ الرئيس النمر ان مهمته قد انتهت ايضا وانه ستؤلف حكومة اخرى.

وفي يوم 1957/4/14 اصبح البلد فريسة للاشاعات من ان الجيش احبط انقلابا ضد الملك، وفي الساعة الثانية عشرة ليلا عقد اجتماع في منطقة اريحا للضباط المرابطين في الضفة الغربية بطلب من الملك وفي هذه الاجتماع وعد الملك ان يؤلف حكومة يرضى عنها الشعب، وكان هذا الوعد على مسمع من جميع اخواني المجتمعين هنالك، اذ قال الملك انه سيدعو ممثلي الهيئات الوطنية لعقد مؤتمر ظهر الغد.

كنت في القصر في اليوم الثاني، عندما جاءت الوفود، ويربو عددها على الـ400شخص وكان اكثر من نصفها من رؤساء العشائر، وبعد ساعتين من الانتظار اعلن الملك تأليف الوزارة، وخلال اليومين التاليين من استقالة اللواء علي ابو نوار تم تعييني بدلا عنه رئيسا للاركان ولاواجه مباشرة بطلب اجراء تنقلات بين ضباط الجيش وفتح تحقيقات... لهذا غادرت الاردن لأوجه هذا البيان من عسكري مخلص لجيشه ووطنه ومليكه".

□

استقالت حكومة الخالدي يوم 1957/4/24 امام المظاهرات التي استمرت فشملت جميع مدن الاردن، على الضفتين، فتألفت حكومة جديدة برئاسة ابراهيم هاشم في ظل تهديد اميركي واسرائيلي:

فقد صرح الرئيس ايزنهاور: "ان هنالك تصريحين يمكن تطبيقهما اذا طلب الاردن مساعدة الولايات المتحدة، احدهما التصريح الذي اصدرته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا عام 1950 (التصريح الثلاثي) والتصريح الثاني هو المعروف بمبدأ ايزنهاور والذي يخول الكونغرس الاميركي بمقتضاه ان تقدم المساعدة الى اي بلد في الشرق الاوسط يتعرض لهجوم الشيوعيين ويطلب المعونة الاميركية" ثم اصدر الرئيس ايزنهاور امره الى الاسطول الاميركي السادس بالتوجه حالا الى البحر الابيض المتوسط.

ومع اشهار سلاح الحرب والاحتلال اشهرت الولايات المتحدة ايضا سلاح المساعدات الاقتصادية فقد اعلن لنكولن هوايت الناطق بلسان الخارجية الاميركية ان الاردن يستطيع ان يتوسع في انفاق المعونة التي منحت له وقدرها عشرة ملايين دولار وقال: "ان الولايات المتحدة مستعدة لتقديم مساعدات اخرى للملك حسين، وانها قررت هذه المساعدة لان الملك احبط مؤامرة تهدف الى سيطرة الشيوعيين على الاردن".

□

وفي هـذه الفتـرة غـادر القـوتلي دمشـق بشـكل مفـاجىء يصحبه صلاح البيطار وزيـر الخارجيـة وفـاخر الكيـالي وزيـر الاشـغال وتوفيـق نظـام الـدين رئـيس الاركـان، الـى القـاهرة ومنهـا الـى السعودية بتاريخ 1957/4/25 وبعد عودة الوفد اصدرت سورية بلاغا رسميا عن هذه الرحلة جاء فيه:

"تناولت ابحاث الوفد السوري مع الحكومتين المصرية والسعودية طائفة من القضايا العربية، وجرى تبادل المعلومات والاراء عن الوضع في الاردن الشقيق الذي ارتبطت معه الدول الثلاث بسياسة عربية قومية اكد اهدافها مؤتمر القاهرة الاخير".

وقد اعلن القوتلي ان زيارته لمصر والسعودية تهدف لرأب الصدع الذي اصاب الصف العربي نتيجة احداث الاردن الدامية وانه سيعمل على اعادة الملك سعود الى حظيرة السياسة العربية التحررية.

وبعد زيارة القوتلي للسعودية ببضعة ايام زار الملك حسين السعودية فصدر اثر زيارته بلاغ مشترك بتاريخ 57/4/29 في الرياض وعمان يعتبر ما جرى في الاردن احداثا داخلية لا تخرجه عن مضمون السياسة العربية التحررية.

وهكذا فان الملك حسين قد استطاع بمرونته المعروفة تخطي الاحداث فنجحت المحاولة، ولم يكن في نية الوطنيين العرب الواعين والمقدرين لظروف الاردن الاطاحة بعرشه.

فقد كان الخوف العربي من التهديد الاسرائيلي الاميركي باحتلال الاردن ومرونة الملك حسين سبيلين في صمود العرش الهاشمي في وجه كل المصاعب التي تعرض لها حتى الان.

□

اصبحت دمشق في هذه الفترة ملجأ للقيادات الحزبية الاردنية، فبالاضافة الى علي ابو نوار وعلي الحياري فقد لجأ اليها من القيادات البعثية عبد الله الريماوي وعبد الله نعواس، وشفيق رشيدات من الحزب الوطني الاشتراكي، وجورج حبش من قادة

القوميين العرب والدكتور عبد الرحمن شقير من اليساريين العرب وعدد من ضباط الجيش الاردني، وبعد الاتفاق مع رئيس الحكومة صبري العسلي قدمنا للمجلس النيابي تقريرا يقضي بتسليف رئاسة مجلس الوزراء اعتمادا لنفقات اللاجئين، وعند تلاوة التقرير في المجلس تظاهر سهيل الخوري بأنه يريد سماع رأي المعارضين من اعضاء لجنة الموازنة بينما لم يعارضه احد من اعضائها فقلت له: "ان المشروع يتعلق باعانات للاجئين العرب، وانه لامر محزن جدا ان يوجد في دمشق لاجئون عرب وهم في ضيق واملاق".

□

بعد هذه الاحداث اصبحت سورية ومصر موضعا لحملات الافتراء التي كانت بتوجيه السفير الاميركي مالوري في عمان فقد اذاعت محطة القدس بتاريخ 57/7/19 تعليقا جاء فيه:

"ان مؤتمر السفراء المصريين في البلاد العربية قرر التطويح بالعروش في الاردن والعراق والسعودية بدعم وتأييد من السوفييت والشيوعية الدولية، وان لجنة سوفيتية مصرية سورية تألفت في عام 1956 لتقويض تلك الانظمة، وان السوفيت وضعوا وحدات جاهزة للتدخل في الاردن، تساندها اعداد من طائرات الميغ الروسية، وهكذا كان وجه التضامن الذي تباهت به مصر وسورية يخفي للمملكة الاردنية مخلب الذئب في قفاز حرير!"

اما في دمشق فقد دافعت جريدة الاخوان المسلمين (المنار) عما حدث بالاردن، واتهمت الحكومة السورية بأنها تسلك سياسة هوجاء، وانها هي وحدها التي خرجت عما تم عليه الاتفاق في القاهرة، بينما لا تزال مصر متربصة، وقالت ان ما قام به الحسين جاء منسجما مع ما اتخذه الاقطاب العرب من مقررات ثم انهت مقالها بهذا التحريض متوجهة به الى الرئيس شكري القوتلي: "لا تقل شيئا بل افعل" (المنار 1957/5/19)

معركة الانتخابات الفرعية في دمشق وحمص والسويداء وبادية جبل الدروز

اعلنت الحكومة ان موعد الانتخابات للمقاعد الاربعة التي شغرت بسقوط النيابة عن منير العجلاني وعدنان الاتاسي وفضل الله جربوع وهايل سرور المحكومين وجاهيا بجريمة التآمر على الوضع الديموقراطي هو في 4-5-57 كما حددت 2-4-57 موعدا لتقديم طلبات الترشيح في كل من محافظات دمشق وحمص والسويداء، وهكذا افتتحت المعركة الانتخابية في سورية مع احداث الاردن الدامية.

كان الوضع في سورية شديد التشابك والتعقيد بالنسبة للمعركة الانتخابية المزمع اجراؤها، ويمكن للقارىء ان يستشف من قراءة تقرير الملحق العسكري العراقي الذي اثبت نصه كاملا في الفصل السابق كم كانت القوى الرجعية كبيرة ومتشعبة عندما استعرض الملحق اسماء قادتها واحزابها وكتلها داخل اجهزة الدولة وخارجها.

فبالإضافة الى الجهاز العسكري فقد تمكنت الولايات المتحدة بعد اتفاقها مع بريطانيا ان تقيم في سورية جبهة قوية عريضة تضم عددا كبيرا من السياسيين في المجلس النيابي وجهاز الدولة وفي الاحزاب السياسية، وقد تمكنت دعاياتهم من تخويف المحافظين من الشيوعية فاندفعوا للتكتل والتماسك يدعمهم ويساندهم معظم رجال الدين، ويجب الاعتراف بأن نفوذ السعودية لعب دورا كبيرا في المعركة الانتخابية، وفي تأليب رجال الدين والاخوان المسلمين ومعظم الاحزاب والقوى السياسية ضد القوى التقدمية بمساعدة ودعم اجهزة الاعلام والمخابرات لحلف بغداد ولبنان، وبتوجيه اجهزة الاعلام والمخابرات البريطانية والاميركية في المنطقة العربية.

وهكذا شنت حملة اعلامية لئيمة في بعض الصحف، وفيما يلي نموذج عنها كما وردت في جريدة المنار الناطقة بلسان الاخوان المسلمين بتاريخ 11-4-57 "اختلى اكرم الحوراني في دار ميشيل عفلق بالسفير الاميركي مدة ساعة" مع العلم ان ميشيل عفلق كان في ذلك التاريخ موجودا في القاهرة منذ اكثر من شهر، وقد نشرت في الرأي العام تكذيبا لهذا الخبر (الرأي

العام 12-4-57) ثم جاء التكذيب من المديرية العامة للشرطة والامن اذ اكدت انه لا صحة لما ذكرته جريدة المنار من انها سرحت احد مخبريها السريين لانه قدم تقريرا عن هذا الاجتماع، بدليل ان مديرية الشرطة لم تسرح احدا من موظفيها.

كان الشعب يمر بهذه الحملة الاعلامية مستهزئا ساخرا دون ان تترك في اوساطه ردود فعل معاكسة.

وقد ترافقت المعركة الانتخابية مع اثارة النعرات الطائفية في جبل الدروز فأصدر سلطان باشا الاطرش مع حزب البعث العربي الاشتراكي والوطنيين المستقلين بيانا استنكر فيه من سموا انفسهم منظمة الدروز الاحرار وبياناتهم التي كانت توزع سرا.

وفي جبال العلويين اثيرت بعض الفتن بواسطة اتباع "الرب" سليما المرشد وكان على رأسها النائب عزيز عباد احد عملاء السعودية في محافظة اللاذقية.

ورغم كل ذلك فقد كانت طلائع المعركة الانتخابية في سورية تشير الى انتصار الفئات التقدمية، فقد خسر الشعبيون والاخوان المسلمون في حلب معركة انتخابات الافتاء عندما فاز الشيخ محمد بلنكو المؤيد من قبل الفئات التقدمية بأكثرية 138 صوتا مقابل 71 صوتا نالها عبد الفتاح ابو غدة مرشح الاخوان و52 صوتا نالها عمر مكناس مرشح الشعبيين، **ولقد كان مظهرا رائعا من مظاهر الديموقراطية التي كانت تعم القطر السوري في تلك الفترة ان مركز الافتاء اصبح يتم بالانتخاب.**

□

كنت في بداية المعركة الانتخابية غارقا في مناقشات لجنة الموازنة التي كنت رئيسا لها فاضطررت ان اتحمل بالاضافة الى ذلك المشاركة في قيادة المعركة الانتخابية.

لم يكن ترشيح رياض المالكي موضع خلاف كبير بين اطراف الجبهة القومية، فقد تمكنت من اقناع الحزب الوطني بسحب مرشحهم عن دمشق ظافر القاسمي، اما الحزب الشيوعي فقد

كان لا يأمل بطبيعة الحال ان ينجح مرشحه عن دمشق مصطفى امين، وهكذا اصبح ترشيح المالكي عن دمشق موضع اتفاق جميع الاطراف، كما تم الاتفاق على ترشيح صياح ابو عسلي من اصدقاء الحزب عن مدينة السويداء، وزعار هلال الجمعة عن بادية السويداء، ولكن الخلاف كان يدور حول مرشح الجبهة في مدينة حمص حيث قرر الحزب ترشيح سامي الدروبي فعارض الحزب الشيوعي ترشيحه واتفق خالد بكداش مع هاني السباعي على دعم مرشحه كمال كلاليب، وقد استفحل هذا الخلاف وكاد يؤدي الى شق الجبهة القومية: "دام اجتماع اللجنة المنبثقة عن الجبهة القومية البرلمانية للنظر في قضية اختيار مرشح واحد لكل مقعد من المقاعد الانتخابية الاربعة في منزل فاخر الكيالي الى ساعة متأخرة من الليل وبقيت قضية مرشح حمص هي القضية التي جعلت هذا الاجتماع ينتهي دون الوصول الى نتيجة نهائية لان خالد بكداش ممثل الحزب الشيوعي بقي مصرا على معارضته بأن يكون احد من حزب البعث الاشتراكي المرشح الذي يقدم للانتخابات باسم الجبهة الوطنية [1] (الرأي العام 7-10-57) وقد اضطررت الى تهديد اطراف الجبهة القومية بانفراد الحزب تجاه هذا الموضوع فأوعزت لجريدة الرأي العام ان تكتب:

"يؤثر الحوراني الا يقول شيئا الان عن الاسباب التي حالت دون اتفاق الجبهة القومية على مرشحها في حمص، لانه اذا ما تكلم بصراحة ووضع النقاط على الحروف يخشى ان يقضى على كل امل باتفاق الجبهة على هذا الموضوع، لئلا يعرض بقاء الجبهة للخطر في هذه الظروف الخطيرة التي تواجهها سورية، ومع ذلك فان اكرم الحوراني سينتظر بضعة ايام اخرى يأمل بعدها ان يعيد الشيوعيون وهاني السباعي النظر في موقفهم من قضية مرشح الجبهة الوطنية عن حمص، فان لم يؤد هذا الانتظار الى نتيجة فان اكرم الحوراني يفكر بالذهاب الى حمص ليقود بنفسه معركة الانتخابات الفرعية لصالح سامي الدروبي مرشح البعثيين الاشتراكيين" (الرأي العام 9-4-57)

وقد كنت اشير بهذا التصريح الى الاتصالات التي كانت تجري في الخفاء ومن جهة اخرى فقد اردت ان انذر واذكر الحزب

(1) كان يطلق على التجمع اسم الجبهة الوطنية التقدمية واحيانا اسم الجبهة القومية التقدمية.

الشيوعي وهاني السباعي بقيادتي الناجحة لمعركة احمد الحاج يونس التي كانت سببا في نجاحه عن مدينة حمص وهذا ما يعرفه ويقر به الجميع.

اخيرا انتهت هذه المعضلة حرصا على وحدة الجبهة بتحكيم رئيف الملقي فحكم لصالح كمال كلاليب فقبلنا بهذا التحكيم خشية من انفراط الجبهة التقدمية، فقد اتصل الشيوعيون بهاني السباعي على انفراد وشجعوه على التمسك بمرشحه، فأجرى هاني اتصالات مع الشعبين والاخوان في حمص فأظهروا له استعدادهم لتأييد مرشح الشيوعيين طمعا في تمزيق وحدة الجبهة التقدمية.

القانون يمنع الشيخ مصطفى السباعي من ترشيح نفسه عن دمشق.

اعتذر موظفوا امانة العاصمة في دمشق عن تسليم الشيخ مصطفى السباعي الايصال النهائي لقبول ترشيحه، واتصلوا برؤسائهم لان ترشيح السباعي غير قانوني، فهو يشغل وظيفة ادارية في الجامعة السورية (عميد كلية الشريعة) ولذلك اضطر مصطفى السباعي ان يطرح قضية قبول ترشيحه امام المحكمة العليا فأصدرت حكمها لصالحه، ومما هو جدير بالذكر ان المحكمة ذاتها، بعد نجاح رياض المالكي عن دمشق، ردت طعنا تقدم به مصطفى السباعي على انتخاب المالكي بداعي انه لا يحق للسباعي قانونا ان يرشح نفسه، لانه يشغل وظيفة ادارية في جامعة دمشق.

افتتح الشيخ مصطفى السباعي حملته الانتخابية بوصفه مراقبا عاما للاخوان المسلمين، فهاجم الاحزاب في الاردن واتهمها بأنها دأبت على الكيد للملك وانها المسؤولة عن الاحداث الدامية التي جرت فيه، ثم اصدر الشيخ ابو الخير الميداني بوصفه رئيسا لرابطة العلماء بيانا اعلن فيه انسحاب كمال الخطيب وصبحي دك الباب من المعركة ونادى بالسباعي مرشحا وحيدا لرابطة العلماء، وقد استغل رجال الدين منابر المساجد للدعوة

للشيخ مصطفى السباعي والتهجم على الاستاذ رياض المالكي وحزب البعث العربي الاشتراكي واتهامهما بالالحاد والشيوعية والمروق عن الدين الحنيف.

كان الشيخ احمد كفتارو يطمح الى مركز الافتاء للجمهورية السورية وكان يأمل ان يصل في المستقبل الى هذا المركز، فقمت بزيارته وبحثنا معا الوضع الانتخابي في دمشق وضرورة تأييد المالكي ضد مرشح الاخوان المسلمين فأبدى استعداده للمساهمة في المعركة لانه لم يكن على وفاق مع الاخوان المسلمين وقد بر الشيخ كفتارو بوعده.

كان الشيخ مصطفى السباعي يتلقى الدعم من العناصر المؤيدة له والمبثوثة في جهاز الدولة، بالاضافة الى الحشد الكبير في دمشق من شباب الاخوان المسلمين من سورية والاردن، حتى ان السيارات الخاصة التي تحمل اللوحات الاردنية كانت تحمل هؤلاء الشباب بشكل سافر الى مراكز الاقتراع للهيمنة عليها، وكان مدير الشرطة والامن العام يوسف مزاحم يقابل كل هذه الاعمال بالتغاضي رغم مراجعاتي المتكررة ظنا منه ان نجاح السباعي امر مفروغ منه، وقد اطمع هذا الموقف الشيخ مصطفى ورفاقه فقاموا بحملة ضغط وتهديد لرئيس الحكومة عندما زاره الشيخ السباعي ومعروف الدواليبي ورشاد جبري والشيخ عبد الرؤوف ابو طوق وشكوا اليه تحيز بعض الموظفين وحملوه مسؤولية ذلك، وحدث اثناء اجتماعهم به ان وصلت لمقابلة رئيس الوزراء للاحتجاج على موقف بعض المسؤولين كمأمون الكزبري الوزير في الوزارة الحالية ويوسف مزاحم ورجال الامن تجاه اعتداءات الاخوان المسلمين المتكررة التي كان آخرها الاعتداء على الاهلين في حي باب السريجة حيث سقط بعض الجرحى.

تشعب الحديث بيني وبين الشيخ مصطفى السباعي في هذا الاجتماع الذي تم صدفة فقلت له:

انني احترمك رغم ما بيننا من خلاف سياسي اكثر من رفاقك هؤلاء، وانني باخلاص انصحك واقول له بمواجهتهم انهم يسخرونك

لاغراضهم السياسية وسوف تكشف لك الايام ما اقول وسوف تكون الخاسر الوحيد في هذه المعركة. وبشكل عفوي قال الشيخ مصطفى:

والله ما كنت افكر ابدا في خوض هذه المعركة فقد كنت منصرفا لشؤون التدريس شاعرا ان صحتي لا تسمح لي بخوضها ولكن الاخوان اصروا علي فنزلت عند ارادتهم، قلت له:

انك ستخسر هذه المعركة وستخسر صحتك ايضا، وقد اصيب المرحوم السباعي بعد هذه المعركة بالجلطة التي كانت سببا في وفاته فيما بعد.

اراد معروف الدواليبي في تلك المقابلة ان يبرر خوضهم المعركة الى جانب السباعي بسبب انتشار الشيوعية في سورية، والحقيقة ان الحزب الشيوعي قد استغل معركة رياض المالكي نظرا لما يتمتع به واخوه الشهيد عدنان من سمعة حسنة لدى الرأي العام، فحاول مؤيدوا السباعي بالمقابل ان يظهروا المعركة الانتخابية وكأنها معركة بين الالحاد الشيوعي والايمان، ولا شك ان ذلك كان سببا من الاسباب التي جعلت المملكة السعودية تدخل المعركة لصالح الشيخ مصطفى.

قلت للشيخ معروف الدواليبي يومذاك:

اين كان خوفك على الدين وعلى مستقبل سورية يوم اتفقت مع الشيوعيين في حلب في الانتخابات السابقة؟ الا تذكر انهم ايدوك فعلا وبحماسة كبيرة؟

ثم الا تذكر انك قلت لي وللكثيرين انك فزت بأصوات الشيوعيين والاخوان المسلمين واخيرا بأصوات الشعبيين فحزت السبق على جميع مرشحي حزب الشعب في حلب؟

□

ان بذل المال لشراء الناخبين يمكن ان يصبح سلاحا فتاكا عندما لا تكون القضية صريحة واضحة، ولكن عندما تتضح يصبح بذل الاموال سلاحا مفلولا.

لقد فات موجهي المعركة ان مرشحهم الشيخ مصطفى انما يستمد قوته امام الجماهير الطيبة لا لكونه اقطاعيا او رأسماليا وانما يستمدها من صفته الدينية الاخلاقية والعلمية والوطنية، وان بذل المال لشراء الناخبين لصالحه يضعف بشكل محسوس ثقة الجماهير به وبما افترضته فيه من قيم اخلاقية وقد ضبطت بالفعل عمليات لشراء الاصوات في المركز الانتخابي لنساء دمشق، اذ كان من المقدر في اذهان مخططي معركة السباعي ان احتمال فوز الاستاذ رياض المالكي لا يمكن ان يحدث الا بالفرق الكبير الذي سيناله من اصوات الناخبات لان معظم اصوات النساء كانت منذ منح المرأة حق الانتخاب من نصيب مرشحينا في الانتخابات النيابية السابقة، لذلك فانهم عمدوا الى التلاعب في قوائم النساء الانتخابية بمساعدة امين العاصمة بشير القضماني وذلك باغفال اعداد كبيرة جدا من اسماء النساء في القوائم الانتخابية، ولم تنفضح هذه اللعبة الا يوم الاقتراع، وكان من الصعوبة بمكان معرفة اسماء من اغفلت اسماؤهن في حينه حتى يمكن الاعتراض عليها ضمن المدة القانونية، وكانت مراجعة القوائم الانتخابية التي تنشر قبل الانتخابات بفترة زمنية محددة عملية صعبة ليس من السهل ان يقدم عليها المواطنون او يتعودوا عليها ولا سيما النساء، وكنا نعاني باستمرار في جميع معاركنا الانتخابية من تآمر اجهزة الادارة والاحوال المدنية على القوائم الانتخابية كما كنا نعاني من العرقلة والبطء المقصود في اخراج هويات الناخبين.

على كل حال فان الذي حدث هو ان رياض المالكي خسر المئات من اصوات الناخبات وكان من المدهش حقا ان تغفل من قوائم الانتخاب اسماء عدد كبير من المديرات والمعلمات والمثقفات المعروفات وقد ذهب اعتراضهن واعتصامهن في امانة العاصمة واحتجاجهن لدى رئيس الوزراء عبثا.

ومن الطريف حقا كان جواب امين العاصمة بشير القضماني ان القوائم الانتخابية قد نظرت بعين الاعتبار الى الشهادة الابتدائية كما يقضي قانون الانتخاب وان بعض جداول اسماء

الحائزات على الشهادة الابتدائية قد تلفت في وزارة التربية ولذلك فقدن حقهن بالانتخاب.

ولاول مرة نزلت نساء الطبقة الدمشقية الارستقراطية من عائلات العظم ومردم والقوتلي والايوبي وغيرها الى ساحة المعركة فتولين الوكالة عن الشيخ السباعي والدعاية له، وبالمقابل فقد تجند الفرع النسائي في الحزب والاحزاب التقدمية الاخرى لصالح الاستاذ المالكي، وقد تجلى عنف المعركة الانتخابية في المركز النسائي حيث شوهدت السيدة اسماء الخوري زوجة فارس الخوري وهي تحمل بيدها عددا كبيرا من هويات الناخبات بينما كانت المئات من نصيرات المالكي محرومات من الادلاء بأصواتهن لعدم ورود اسمائهن في جداول الانتخابات مما ادى الى مشادات عنيفة في المركز النسائي، والى تدخل رجال الامن وحماية وكيلات الشيخ مصطفى السباعي بسبب النقمة الجارفة، وقد ادى حذف مئات الاصوات من قوائم الانتخاب الى زيادة طفيفة في الاصوات التي نالها الشيخ مصطفى في مركز الانتخاب النسائي.

كانت دمشق في الايام السابقة للانتخابات في مهرجانات انتخابية مستمرة، وقد لعبت شخصية رياض المالكي وطيبته واخلاقيته دورا مهما في هذه المعركة، كما انه من اسرة دمشقية عريقة، وقد عرف بنضاله الصارم الحاد ايام ديكتاتورية اديب الشيشكلي، وبالاضافة الى ذلك كله فهو شقيق الشهيد عدنان المالكي، وفيما يلي نموذج من اللغة التي كان المالكي يخاطب بها ضمير ووطنية الناخبين:

"ايها المواطنون: انتم اليوم على ابواب معركة انتخابية تدور بين مرشحين اثنين عليكم اختيار واحد منهما لتمثيلكم تحت قبة البرلمان، فان اردتم خطيبا مصقعا ومتكلما مفوها فعليكم باختيار منافسي الدكتور مصطفى السباعي لانني لا استطيع مجاراته في هذا المجال، واذا اردتم رجلا واسع الثقافة غزير المعرفة اخطب واعلم مني ومن الدكتور السباعي فما عليكم الا ان تتجهوا الى السجن وتحطموا بابه بقوة سواعدكم وتفكوا اسر نزيله الدكتور منير العجلاني لانه بهذا المقباس اجدر من سواه بالنيابة التي عقدتم لواءها له

في الانتخابات السابقة، اما اذا اردتم انسانا حرا ومواطنا صادقا يسير معكم في طريق كفاحكم من اجل حرية وطنكم ووحدته وتطوره وتقدمه فها انا ذا امامكم اعاهدكم على ان اتابع معكم السير على هذا الطريق وكلي امل في ان اكون عند حسن ظنكم متمتعا بثقتكم التي هي الدعامة الاساسية لاي نائب يتصدى لتمثيل الشعب" (مذكرات رياض المالكي - ذكريات على درب الكفاح والهزيمة - ص207- الطبعة الاولى - دمشق)

ولاعطاء الصورة الحقيقية عن ابعاد المعركة التي خاضتها القوى التقدمية في دمشق لا بد ان نذكر شيئا عن الشيخ مصطفى السباعي فقد كان خطيبا مفوها وقد فاز بالنيابة سابقا عن دمشق فوزا ساحقا وكان يتمتع على الصعيد الشعبي بمركز لا يتمتع به احد من علمائها وقادتها. كان السباعي من اسرة حمصية ولكن مصاهرته لعائلة الطباع الاسرة المعروفة في الطبقة التجارية والدينية قد سهلت امامه فتح الابواب في احياء دمشق. كان يتمتع بمكانة علمية ودينية مرموقة وكان معروفا ومشهورا باتصالاته الواسعة وعلاقاته المتشعبة بصفته مراقبا عاما للاخوان المسلمين بصورة مستمرة، وكانت تسعفه في احاديثه وخطبه عاطفة جياشة وحماسة متأججة ولا اشك في انه كان من اكثر من عرفت من رجال الدين صدقا في عقيدته.

كان نجاح السباعي في نظر اليمين داخليا وعربيا مضمونا ضمانا اكيدا اذ من يصدق بأن الشيخ مصطفى نال من اصوات الناخبين في حي القصاع المسيحي اكثر مما ناله الاستاذ رياض المالكي؟

إن الاستاذ صلاح البيطار لم يقبل بترشيح رياض باسم الحزب الا راغما، ولعله كان يتمنى في قرارة نفسه اخفاقه في هذه المعركة، ولا اريد ان اذهب الى ابعد من هذا فاتهم الاستاذ صلاح بأنه كان يوجه انصاره سرا ضد مصلحة رياض المالكي، ولم يكن موقف قيادات الحزب الاخرى نشيطا بالنسبة لاهمية هذه المعركة، ولا اقصد كوادر الحزب من الشباب الذين اندفعوا بكل اخلاص وانما اقصد الكبار منهم ما عدا الاستاذ عبد الكريم زهور الذي اندفع بكل حماسة لتأييد رياض تسعفه قدرة خطابية وشعور

بالمسؤولية ووعي لاهمية المعركة وانعكاس نتائجها على الوضع في سورية.

لقد اثرت شخصية رياض المالكي المتواضعة الطيبة في جمهور دمشق تأثيرا كبيرا، بينما كان مصطفى السباعي يخطب بالجماهير قائلا:

"كنت انتظر ان يقبل الناس يدي لاكون نائبا عنهم، ولكن موجة الالحاد التي عمت دمشق والعياذ بالله قد جعلتني مضطرا لان اطرق بيوت الناخبين"

لا عجب اذن ان يفوز مرشحو الجبهة القومية على خصومهم فوزا ساحقا فقد زادت الاصوات التي نالها المالكي عن الاصوات التي نالها السباعي بـ 2447 صوتا.

كما فاز كمال كلاليب على خصمه بزيادة 4488 صوتا وفاز زعار هلال الجمعة عن بادية السويداء بثلاثة ارباع الاصوات، وفاز صياح ابو عسلي عن السويداء بزيادة 1532 صوتا، وقد ذهلت الدوائر المعادية من هذه النتائج التي لم تكن تنتظرها، **ولو قدر للانتخابات العامة ان تجري في موعدها عند انتهاء مدة هذا المجلس، وهي الانتخابات التي حال دون اجرائها قيام الوحدة بين سورية ومصر، لاحتل حزب البعث العربي الاشتراكي بالدرجة الاولى والقوى التقدمة الاخرى معظم المقاعد في المجلس النيابي السوري، ولشهد العالم آنذاك قيام التجربة الرائدة في العالم العربي التي يحقق فيها الشعب العربي في سورية مطامحه بالديموقراطية السياسية والديموقراطية الاجتماعية كأساس لبناء الانسان والمجتمع.**

التهديد بالاعتداءات الاسرائيلية والحشود التركية العراقية

في هذه الفترة قامت تركيا بتحشيدات واسعة على حدود سورية الشمالية الغربية تحت ستار اجراء مناورات موسمية وقد صرح مصدر رسمي سوري:

"ان الحكومة السورية اهتمت بموضوع التحشيدات التركية واجرت اتصالات بالسلطات التركية وابلغتها استياءها من هذا الحشد الذي يشكل عداء سافرا لسورية" وقال: "اذا كانت الدول الاستعمارية تنوي سوء لسورية فان الامر ليس بيدها وحدها، وستجر القضية الى عواقب وخيمة على المعتدين" (الرأي العام 1957/5/10)

كما رددت مصادر الدعاية الاستعمارية في بيروت ان عبد الاله الوصي على عرش العراق تفقد القوات العراقية المحتشدة في المحطة الثالثة على الحدود السعودية العراقية اثر عودته من تركية...

وقد كررت تركية افتعال حوادث الحدود، كما تكرر تحليق الطائرات فوق الحدود السورية وكشفت الصحف الاميركية الغاية من هذه التحشدات والاعتداءات عندما كتبت النيويورك تايمس تعليقا حول هذا الموضوع يفهم منه ان الحشد التركي على الحدود السورية انما جاء متمما للغاية التي ارسل من اجلها الاسطول السادس الى مياه شرق البحر الابيض المتوسط.

وفي الوقت نفسه بدأت اسرائيل بتشييد جسر لقواتها العسكرية فوق احد الاقنية في منطقة الحولة في المنطقة المجردة، "وقد وجدت الحكومة السورية ان شكواها لرئاسة مجلس الهدنة المشتركة لم تؤد الى ردع الاسرائيليين عن القيام ببناء الجسر فقررت تقديم شكوى الى مجلس الامن" (تصريح الناطق الرسمي لوزارة الخارجية السورية 13-5-67)

وقد ظهر في العديد من وثائق حلف بغداد ولا سيما في وثائق هذه الفترة المبالغ الكبيرة التي كان يدفها حلف بغداد والولايات المتحدة باستمرار للحزب السوري القومي كنفقات لمليشيا الحزب المحتشدة في المعسكرات التي اصبحت على الحدود السورية اللبنانية في منطقة بعلبك والهرمل منذ اغتيال

الشهيد عدنان المالكي، ثم تعاظم امرها وتفاقم خطرها خلال عامين من جمع المرتزقة وتدريبهم تحت رعاية رئيس جمهورية لبنان كميل شمعون.

1957: اعتداءات وفتن داخلية مترافقة مع الحشود التركية والحملة الاعلامية الغربية على الوضع الديموقراطي التحرري في سورية.

في جلسة 1957/5/15 افتتح مناقشات مجلس النواب النائب حسين مريود بسؤال الحكومة عما اذا كانت على علم بالاضطهاد الذي يلقاه السوريون في لبنان، وروى قصة شابين من صافيتا اختطفا واودعا مكانا مظلما كالقبر مدة خمسة عشر يوما لقيا فيه كل انواع العذاب وطالب الحكومة ان تقف موقفا يحمي ارواح المواطنين وكرامتهم في لبنان.

كان عزيز عباد في جلسات سابقة قد اخفق في اثارة عطف المجلس النيابي على القتلة من اتباع "الرب" سليمان المرشد الذين حاولوا اثارة الفتن والاضطراب في منطقة الحفة، فعاود اليازجي من حزب الشعب، وعزيز عباد اثارة الموضوع في جلستي 15،16 مايس تشجيعا للقتلة في تماديهم وحماية لهم من حكم القانون وعقابه، فتصدى له الدكتور وهيب الغانم قائلا:

"ان الموضوع رهيب وخطر، وموجة الاغتيالات بدأت عندما اجتمع المرشديون بابن المرشد الذي قال لهم: "ان موعد قيام دولتهم قد حان" وقال ايضا: "ان على الحكومة ان تضرب هؤلاء بيد من حديد والا تطور الوضع بشكل خطير" ثم تبعه النائب محيي الدين مرهج فقال انه لا يلوم اليازجي في دفاعه عن آل المرشد لانه وكيل اعمالهم وخاطب اليازجي قائلا:

"اذا كنت انت بعيدا عن المنطقة فنحن قريبون نسمع الدعايات المنافية للعروبة والاسلام في قضاء الحفة، ثم تكلم عن النشاط التخريبي الذي يقوم به المرشديون والسوريون القوميون وطالب الحكومة بوضع حدا للمأساة.

ولم تقف القضية عند هذا الحد لان المطلوب استغلالها طائفيا وخلق جو من التوتر، فعاد عزيز عباد الى موضوع المرشديين فتعرض للدكتور وهيب الغانم وشتمه، فلم يتحرك

رئيس المجلس ناظم القدسي لمنعه من الشتائم، بل صور القضية كأنها خلاف حزبي بيننا وبين آل المرشد يقضي بارسال لجنة للتحقيق فشكرت رئيس المجلس مستهزئا "على سماحة بجعل منبر المجلس مكانا لشتم حزب عقائدي وللتهجم على قادته وتمجيد الدعوة المرشدية وترديد الوقائع الكاذبة والافتراءات" فاعترض القدسي وقال انه حاول منع عزيز عباد من الكلام فتابعت كلامي طالبا من الحكومة ان تقف بحزم تجاه هذه الفئة التي تهاجم المخافر وتسفك الدماء وانتهت المناقشات بتشكيل لجنة برلمانية للتحقيق بالنشاط المرشدي في محافظة اللاذقية، وقد قدمت مديرية المعارف في اللاذقية تقريرا الى اللجنة عن الحركة المرشدية جديرا بالاطلاع عليه، وفيما يلي نص هذا التقرير الذي نشرته الرأي العام بتاريخ 1957/5/31.

بعض ما جاء في تقرير مديرية معارف اللاذقية عن تاريخ الحركة المرشدية ووسائل معالجتها:

يبدأ التاريخ الفعلي للحركة المرشدية منذ قرر المستعمرون الفرنسيون [1] نقض عهودهم ابان العهد الاستقلالي الاول عام 1936 والاطاحة بالمعاهدة السورية الفرنسية واظهار الشعب السوري امام انظار الرأي العام العالمي كشعب متباين الغايات والاهداف لا يؤيد بصورة عامة فكرة التخلي عن الانتداب الفرنسي ولا يؤمن بفكرة توحيد الدويلات المستقلة التي خلفها في جبل العلويين كما كان يسمى انذاك وفي جبل الدروز ايضا.

ولم تكن فكرة خلق اله في جبل العلويين فكرة حديثة ابتدعتها مخيلة المستعمر، وانما كانت حصيلة دراسة تاريخية عميقة لتقاليد السكان ومذاهبهم واعتقاداتهم وسرعان ما وجدوا ضالتهم في شخص سليمان المرشد الذي اصبح الة طيعة ينفذ لهم مآربهم ويتقاضى لقاءها تأييدا تاما من السلطات الحاكمة ودعما مكينا لالوهيته وسعيا حثيثا في تثبيت البدعة المختلقة في عقول السذج البسطاء الذين يعيشون في هذه البقعة، وقد بلغ من تشجيعهم وترويجهم لهذه الفكرة ان كثيرا من ضباط الاستخبارات الفرنسيين كانوا يقدمون فروض الولاء والطاعة لسليمان المرشد على مرأى

(1) يعترف المفوض السامي (بيو) صراحة في مذكراته بأن "الرب" سليمان المرشد كان عميلا للفرنسيين والعوبة بيد مخابراتهم.

من اتباعه ولم يتورع البعض منهم زيادة في التدجيل من تقبيل يد الاله المزعوم.

ويجنح البعض الى الاعتقاد ان هذه البدعة قد خلقها الفرنسيون بعد ان مهدوا لها باعلان هذه المنطقة مفتوحة امام التبشير الديني، فأغار عليها بادىء ذي بدء المبشرون اليسوعيون ثم تبعهم المبشرون البروتستانت، وقد حاول هؤلاء المبشرون ان يدخلوا في روع الاهليين ان الدول الاجنبية هي الوحيدة القادرة على حمايتهم ورعاية مصالحهم وتأمين معاشهم بعد ان ذاقوا الامرين من طغيان السلطات الحاكمة اثناء العهد العثماني، ولا يمكن القول ان الحركة التبشيرية فشلت فشلا تاما في اوساط الاهلين لانها في الواقع اصابت بعض النجاح واستطاعت ان تستميل اليها بعض الافراد كما تشهد بذلك دوائر النفوس، الا انها استطاعت ان تظفر بنتائج اكثر خطورة وهي زعزعة عقيدتهم ومقدساتهم بشكل ادى الى تقبلهم هذه البدعة الجديدة.

ولعل من العوامل التي ساعدت على ترويج هذه البدعة التكتلات العشائرية التي ما زالت حتى الان ذات اثر كبير في محافظة اللاذقية مع العلم بأن البدعة لم تنتشر بين مختلف عشائر العلويين بل اقتصرت على فخذ هو (العمامرة) من عشيرة كبرى هي عشيرة الحيدريين، ويبدو ان المستعمرين عندما ارادوا اتخاذ بعض الفئات مخالب قط في وجه المعاهدة السورية توجسوا خيفة من الاستعانة بالمبشرين الاجانب مخافة افتضاح امرهم امام الرأي العام فكان لا بد ازاء هذا التفكير من الاعتماد على عناصر محلية تستوحي الرأي ظاهريا من الزعماء المحليين وتنفذ في الباطن رغبات المستعمرين.

وهكذا عمد الفرنسيون الى سليمان المرشد الذي سبق لهم ان اضطهدوه من قبل فنصبوه زعيما روحيا ثم الها تجب عبادته ومكنوا له بمساعدتهم من القيام ببعض الشعوذات التي كان يعتبرها السذج من اتباعه بمثابة المعجزات.

وعندما عزم الفرنسيون على وضع تدابيرهم في نقض المعاهدة موضع التنفيذ اوعزوا الى سليمان المرشد بخلق الفتن والاضطرابات، وزودوه بالاسلحة والمعدات وافسحوا له مجال اغتصاب الاراضي واغلقوا ابواب المحاكم في وجه كل دعوى تقام ضده، وقد كان سليمان المرشد امينا في

تنفيذ التعليمات فعمل على اضطراب حبل الامن وبسط يده على معظم القرى في المنطقة وامتد نشاطه من اواسط الجبل حتى القرى المحيطة بمدينة اللاذقية.

ولما كانت الحرية وكان الاستقلال عام 1943 وشاهد سلمان المرشد بام عينيه تقلص النفوذ الفرنسي واشتداد ساعد الزعماء السوريين وتدخل النفوذ البريطاني اعلن ولاءه للحكومة السورية ووضع كل امكانياته بتصرفها، ولم تكن هذه الظاهرة من قبله لتخدع احدا في محافظة اللاذقية لان الموما اليه لم يقطع صلاته البتة مع الاستخبارات الفرنسية وان كان الاتصال في الغالب الاعم يتم في الخفاء، ويفكر الفرنسيون من جديد (عقب تراجع دول المحور في الحرب العالمية الثانية) في نقض العهد مرة اخرى فيلجؤون الى ركائزهم السابقة وفي الطليعة سليمان المرشد، وتبدأ الحركة في لبنان عندما تعتقل السلطات الفرنسية رئيس جمهورية لبنان واركان وزارته وتحرك الخيوط في سورية لتمثل المسرحية نفسها، ويوعز الى سليمان المرشد بالتحرك، وتشعر الحكومة السورية بخطورة الحالة، ولا سيما محافظ اللاذقية آنذاك المرحوم عادل العظمة الذي استطاع التزود بصلاحيات واسعة للقضاء على الحركة كان من نتيجتها اعتقال الرب المزعوم سليمان المرشد وسوقه امام المجلس العدلي الذي الف خصيصا لمحاكمته ومحاكمة اتباعه، وانتهت المحكمة بفرض عقوبة الاعدام عليه، وبعقوبات على كثير من اتباعه كالسجن والابعاد، ونفذ حكم الاعدام شنقا في ساحة المرجة بدمشق.

وهكذا نامت الحركة المرشدية الى حين، وقابلها من سلطات الدولة نشاط ملحوظ يتميز اكثر ما يتميز بنشاط دوائر التربية والتعليم التي عملت على تشييد بعض الابنية المدرسية النموذجية في نطاق موازنة خاصة مستقلة، وعلى افتتاح عدد كبير من المدارس الى جانب تقديم الملابس ومواد الاعاشة من قبل دوائر التموين.

ولئن سجن او ابعد القسم الاكبر من ابناء المرشد ومن اتباعه الكبار، فان صلة هؤلاء في سجنهم او منفاهم لم تنقطع وعززوا البدعة المرشدية من جديد عن طريق ايهام الاتباع ان سليمان المرشد قد رفع الى السماء وان الالوهية قد حلت في روح ابنه الطفل مجيب، ولعل ما دعاهم الى تجسيد الالوهية في مجيب بدلا من غيره من الابناء هو اقامته في المنطقة الامر الذي يسهل امام الاتباع الدعاية له.

ويبدو ان المسؤولين اقتنعوا الى حد ما بأن البدعة المرشدية آخذة بالتلاشي وان الواجب القومي يقضي بالعطف على هؤلاء المواطنين ومعاملتهم بالحسنى واستمالتهم الى حظيرة المعركة القومية، فاغتنمها الاتباع فرصة للترويج من جديد لبدعتهم فأصابوا كثيرا من النجاح، ولا يستطيع المرء الجزم بتحديد المراجع التي كانت تناصر هؤلاء الاتباع وتسهل لهم سبيل القيام بنشاطهم الا انه من المرجح ان انتقال هؤلاء الاتباع بين قرى المنطقة والعاصمة افسح المجال امام العناصر التي لا يمكن القول انها وطنية بحتة للاتصال بهم، وربما لتزويدهم بالامكانات التي يحتاجون اليها في دعوتهم، ولا نجافي الحقيقة اذا ما جنحنا الى الظن بأن اعدام المرشد ترك فراغا في زعامة هذا الفخد من العشيرة، هذا الفراغ الذي كان مطمعا لبعض طلاب النفوذ فتصدر بعضهم للدفاع عن مصالح هؤلاء املا في كسبهم الى جانبه في الانتخابات.

ولم يكن هذا النشاط خافيا على دوائر الدولة وفي جملتها مديرية المعارف التي لم ينقطع معين مساعدتها لقرى هذه المنطقة واستطاعت بعد اتصالات عديدة مع وزارة التربية والتعليم التي استشعرت بدورها خطورة الوضع ان تحظى بمخصصات اضافية من وظائف المعلمين ساعدت على ضآلتها في الاستزادة من احداث المدارس، الى جانب تزويد طلابها بالكتب المدرسية بصورة مجانية، وتزويد الابنية المدرسية بكل ما تحتاج اليه من اثاث، دون تكليف الاهلين بأي عبء اللهم الا تأمين احدى غرف القرية لتكون مقرا للمدرسة.

ولئن كان هذا المجهود يبدو صحيحا بالنسبة للمناطق الاخرى في المحافظة وكفيلا بتحقيق نتائج باهرة ولا سيما ان مديرية المعارف تنتقي معظم المعلمين في مدارس المنطقة من ذوي الكفاءات المسلكية فان موقف المرشديين كان سلبيا اذ لم يبدوا كبير رغبة في الاستجابة لنشاط المعارف، فأمسك بعض الاهلين عن ارسال اولادهم الى المدارس الامر الذي دعا هذه المديرية الى الاقتراح على المحافظة باصدار قرار يلزم اولياء كل الاطفال الذين هم في سن التعليم الى المدارس تمشيا مع احكام الدستور الذي جعل التعليم الابتدائي الزاميا ومجانيا.

ولم تقتصر سلبيتهم على هذه الناحية فحسب، بل شرع البعض في عدة قرى الى بخلق المتاعب في وجه المعلمين سواء من ناحية السكن او

المعيشة، وزادوا على ذلك فقاموا بحركات ارهاب صبيانية الغاية منها تخويف المعلم وحمله على مغادرة القرية او مسايرة رغباتهم.

ولم تكن هذه النتيجة مستغربة الى حد كبير وكان ذلك بديهيا ايضا، اذ من غير الممكن ان يكتب النجاح للنشاط الذي تبديه دائرة ما اذا لم تتضافر الجهود والقوى من سائر دوائر الدولة الاخرى، فثمة تصرفات لبعض الموظفين عن قصد نفرت الاهليين وقضت على مشاعر الاطمئنان وجعلتهم يمضون في غيهم وضلالهم، وحملت البعض منهم على الجهر امام الدوائر القضائية بصورة سافرة انه يعبد مجيب المرشد وانه لا اله الا هو، وان سلطات اليهود في اسرائيل افضل من رجال الحكومة السورية، ولئن كان هذا دليلا على التصرفات الشاذة التي قام بها بعض الموظفين من جهة، فلعله يدل على آثار دعاوة استعمارية بدأت تتسرب الى عقولهم من جهة اخرى.

ولعل من مظاهر هذه الدعاوة نشاط الحركة التبشيرية البروتستانتية التي ترعاها بعض الجمعيات الاميركية، هذا النشاط الذي بدأ يستغل اهتمام الحكومة بأوضاع المنطقة، وبعزمها على مكافحة هذه البدعة، فأوهم المبشرون الاهلين بالتعاون مع عملائهم من ذوي النفوذ بأن الحكومة السورية ستقاوم حركتهم وستنكل بهم، وان ليس امامهم طريق للخلاص الا اعتناق مذهب ديني يجعلهم فئة قد تتذرع في سبيل حماية نفسها فتطالب بالعون من دولة اجنبية.

وان هذه الاساليب نفسها تتوسل بها في الوقت الحاضر دوائر التبشير اليسوعية في مناطق اخرى من محافظة اللاذقية وهي اساليب لا تقل خطورة عن الاساليب المتبعة في المنطقة المرشدية.

تلكم هي بايجاز نبذة عن تاريخ البدعة المرشدية، وعن تطورها وعن اسباب نموها او فشلها، وعن التجارب التي اضطلعت بها دوائر الدولة للاسهام في رفع مستوى هذه المنطقة والقضاء على هذه الشعوذات، واذا كانت هذه التجارب لم تصل الى النتائج المتوخاة فان من الضروري الاستفادة منها في رسم الخطة الواجب اتباعها لمعالجة هذا الوضع الخطير.

واننا نقدم لكم فيما يلي على سبيل العرض لا الحصر ومن وجهة نظر دائرة المعارف الخطوط العريضة التي يحسن سلوكها لاستئصال شأفة الجهل والدجل والاخذ بيد هؤلاء السذج في مضمار العلم والمعرفة.

ان الوضع كما اسلفنا خطير للغاية، والامور فيها تجري مسرعة، والواجب القومي يقضي باتخاذ خطوات اكثر فعالية من الخطوات التي اتخذت من قبل، ونعتقد ان مثل هذه الخطوات السريعة المقترحة لا يمكن ان يكتب لها الظفر اذا لم تتحلل الحكومة من قيود الروتين، لنستطيع ان نلاحق الاحداث، وفي رأينا ان خير مشرف على تنفيذ اعمال الاصلاح هو لجنة اقليمية تمثل جميع دوائر الدولة ويكون مركزها في اللاذقية، توضع تحت تصرفها مبالغ كبيرة تلحظ في موازنة استثنائية او ملحقة لتنفذ بواسطتها عمليات الاصلاح، على ان تزود بصلاحيات واسعة اهمها صلاحية التنفيذ المباشر دون التقيد بكثير من قواعد الروتين، ويمكن ان تنطلق الاعمال الاصلاحية من النواحي الاتية:

1- **الخلايا الاجتماعية**: من الممكن جدا في بادىء الامر اتخاذ المدارس النموذجية التي انشأتها الدولة على حسابها في بعض القرى مركزا لنشاط واسع تتضافر فيه جهود المعلم والمرشدون الزراعيون والصحيون والاجتماعيون، ونعتقد ان اهم الفوائد التي يمكن ان نجتنيها من جهود هذه الخلايا هي:

أ- دراسة الاوضاع المحلية المحيطة بمنطقة العمل وتقديم الاقتراحات الى اللجنة الاقليمية.

ب- مباشرة توصيات اللجنة الاقليمية وتنفيذ خططها.

جـ- على مقدار اخلاص القائمين على هذه الخلية يمكن ان تتحول الى مركز استشاري لاهل المنطقة توجههم وترشدهم في مختلف الشؤون.

2- **طرق المواصلات**: ان قرى المنطقة المرشدية تقوم في قضاء الحفة في منطقة جبلية وعرة المسالك يصعب معها تنفيذ الاعمال والارشادات سريعا، وتبقي هؤلاء المواطنين في شبه عزلة عن معالم الحضارة والتمدن، ولذلك فان الحاجة ملحة هنا الى شبكة من طرق المواصلات ذات غاية مزدوجة: الاولى تسهيل اتصال الاهليين بالعالم المتمدن، والاخرى تشغيل اليد العاملة لنيف وثلاثين الفا من السكان يشكون فقرا مدقعا، وذوي اليسار منهم من يقارب دخله السنوي المئة ليرة سورية، باستثناء ذوي النفوذ من المستغلين، وان تعميم شبكة المواصلات هذه

سيكون عاملا على تنشيط حركة الاصطياف في هذا الجبل، وبالتالي على انعاش موارد الاهليين وتسهيل احتكاكهم بسكان المدن.

3- **الصحة العامة**: ان العزلة التي ذكرناها والفقر المدقع الذي صورنا بعض مظاهره، والجهل المطبق الملحوظ، كل ذلك ولا ريب يجعل المنطقة ارضا خصبة للامراض، فالعناية بالصحة العامة اذن عامل على رفع مستوى هذه المنطقة ومدعاة الى خير الاهلين، ولئن كان عسيرا في بادىء الامر انشاء المستوصفات الصحية بصورة دائمة في هذه القرى، فلا اقل من ايجاد مستوصفات سيارة تنتقل بين ارجاء هذه المنطقة بصورة دورية تكفل الى حد ما العناية بالصحة العامة، على نحو ما كانت تلجأ اليه السلطات الانكليزية خلال الحرب العالمية الثانية، وان هذه المستوصفات تشكل جانبا هاما من اعمال الخلية الاجتماعية.

4- **الاحوال الزراعية**: تعتمد هذه المنطقة في زراعتها بالدرجة الاولى على محصول الدخان الى جانب زراعة ضئيلة جدا لمختلف انواع الحبوب، وبما ان هذه المنطقة في غالبها منطقة جبلية تقل فيها مساحات الاراضي للزراعة، فقد يكون من المستحسن بعد دراسة وافية تقوم بها ادارة الحصر زيادة رخص الدخان زيادة كفيلة بزيادة موارد المعيشة على ان تسير هذه الزيادة جنبا الى جنب مع توصيات الى موظفي ادارة الحصر بعدم التشديد والتزام جانب العطف والمعاملة الحسنة للاهلين.

اما بقية نواحي النشاط الزراعي فنعتقد ان هذه المنطقة اكثر ما تكون صلاحا لزراعة الاشجار المثمرة ولا سيما اشجار التفاح ونعتقد ان توجيه الاهلين في هذه المضمار يزيد في ثروة البلاد من ناحية الانتاج كما يساهم في رفع مستوى المعيشة، ولا نرى بأسا من تقديم الحكومة الاغراس الصالحة بصورة مجانية على نحو ما فعلت في الماضي بمنطقة حوران عندما زودت الفلاحين باغراس الزيتون مجانا.

ان مشروع زراعة الاشجار المثمرة عمل ضخم ينتظر المرشد الزراعي في الخلية الاجتماعية، وقد يقال ان هذا العمل الضخم ينوء به المرشد، ولكن لا بد لهذا العمل من تعزيز دوائر الارشاد الصحي والزراعي في مركز المحافظة او في دوائر العاصمة عن طريق تزويد هذه الخلايا تزويدا مستمرا ومنظما بالافلام الزراعية والصحية التي يطلع الاهلون بواسطتها

على طرق الزراعة الفنية وطرق المكافحة الحديثة ويتلمسون اثر هذه الطرق في تحسين الانتاج الزراعي.

5- **الثروة الحيوانية:** تكاد ثروة هذه المنطقة من المواشي والدواجن شبه معدومة شأنها في ذلك شأن سائر المناطق الجبلية التي قضت على مواشيها بعض الاحكام القاسية في قانون الحراج وسوء تطبيق البعض لهذه الاحكام، ولئن كنا نؤمن بضرورة حماية الاحراج حماية كافية، فاننا نؤمن ايضا في الوقت ذاته بضرورة ايجاد المراعي الكافية للمواشي ضمن المناطق الحرجية، لذلك نرى ضرورة دراسة هذا الموضوع دراسة جدية وعملية من قبل دوائر الاحراج بغية توفير هذه المراعي بالطرق المناسبة مع المحافظة على ثروتنا الحراجية.

اما تربية الدواجن التي تشكل جانبا مهما من دخل الفلاح في ريفنا فموضوع لا ينبغي اغفاله، ولعل تربية المواشي وما يستتبعها من صناعات، وتربية الدواجن بصورة عامة جانب هام من مشاريع الاصلاح التي سيضطلع بها المرشد في الخلية، وسوف لا يستطيع هذا المرشد ان يصيب كبير نجاح اذا لم يوضع بتصرفه حقل تجارب يشاهد فيه الأهلون بأعنيهم فوائد استعمال الطرق الحديثة وقد تكون حقول التجارب عنوانا لمشروع جديد ضخم الا انه من الممكن البدء به عن طريق تحويل بعض المدارس الى مدارس ريفية تعزز موازناتها بالشكل الذي يكفل احداث حديقة التجارب وفق الاصول.

6- **شؤون التربية والتعليم:** لا ريب في ان العلم والمعرفة اول طريق الاصلاح وينتظر دوائر المعارف في هذه المنطقة دور كبير على جانب عظيم من الاهمية، واذا كانت ثمرة الاصلاح لا يمكن ان تقطف رطبة جنية الا بتضافر جهود المسؤولين في مختلف دوائر الدولة، فان مهمة دوائر التربية والتعليم تشكل في الواقع المحور الاساسي لجميع اوجه النشاط، لذلك فاعمال المدرسين غير محددة الغاية والاساليب مع الخلية الاجتماعية، ولئن كانت وزارة التربية والتعليم تخصص كل عام عددا من الوظائف لاحداث المدارس في المنطقة المرشدية، فان هذه المدارس ما زالت من المدارس ذات المعلم الوحيد، وقد يكون ذلك من اسباب فشلها في اداء المهمة على وجهها الاكمل.

وعلى هذا فاننا نميل الى الاعتقاد بأن ثمة مشاريع ضرورية يمكن ان يؤدي تنفيذها الى تحقيق الاهداف المتوخاة وفي جملتها:

أ- المدرسة الابتدائية الداخلية فمن المعلوم ان نجاح العمل المدرسي رهن بالتجاوب السليم بين اسرة التعليم واسرة الطالب، والوضع في المنطقة المرشدية لا يساعد البتة كما بينا أنفا على الاعتماد على الاسرة في البيت، ان لم يكن عاملا في كثير من الاحيان على تقويض الاسس التي بنتها المدرسة، لذلك كان من الضروري العمل على ابعاد هؤلاء التلاميذ عن بيئتهم البيتية بالقدر الذي يوجب تزويدهم بالعلوم والتوجيه الصحيح.

واننا نرى تحقيقا لهذه الفكرة السعي في احداث مدرسة ابتدائية داخلية تقوم في قلب المنطقة ويختلف اليها التلاميذ في سن التعليم حيث يقدم لهم الطعام والمبيت والتعليم تحت اشراف مربين يقدرون تماما المهام الموكولة اليهم، وليس يعني ذلك عزلة التلاميذ عن آبائهم واوليائهم، فقد لا يخلو ذلك من محاذير الا انه من الممكن توجيه هذا الاتصال عن طريق دعوة الاباء الى حفلات مدرسية يشاهدون فيها ابناءهم وقد خرجوا الى حياة افضل.

ب- **توسع المدرسة المتوسطة**: كان من جملة الاعمال المفيدة التي نفذتها مديرية المعارف في مستهل العام الحالي 1956-1957 احداث صف سادس متوسط في قرية الفاخورة، سيتبعه حتما في السنوات المقبلة احداث بقية صفوف الحلقة المتوسطة، ويعتقد ان العمل التوجيهي في المدرسة الابتدائية الداخلية التي المعنا اليها آنفا يصاب بالانتكاس ما لم تظل هذه الرعاية في مرحلة التعليم الثانوي، ولعل ذلك ميسور اذا وسعت مدرسة الفاخورة وجعلت مدرسة داخلية ايضا، يسير فيها العمل وفق الاسس والقواعد التي اشرنا اليها في الحديث عن المدرسة الابتدائية.

جـ- **مكافحة الامية**: كل ما تقدم من شؤون التربية والتعليم هو عناية بالجيل الصاعد فقط، ومن الضروري بذل بعض العناية بمن تخلفوا عن ركب المعرفة، لذلك فان عمل المعلم سوف لا يقتصر على عمله النهاري في المدرسة او الخلية الاجتماعية، فثمة عمل هام ينبغي ان يؤديه خلال اوقات المساء للراشدين من السكان بالتعاون مع المرشدين

القائمين بالعمل في الخلية الاجتماعية هو مكافحة الامية بتلقين مبادىء القراءة والكتابة والحساب لهؤلاء الراشدين.

د- **مخيمات الشباب والمعلمين:** من المفيد جدا تشجيع اقامة مخيمات المعلمين والشباب في ارجاء المنطقة خلال العطلة الصيفية على الا يكونوا مطلقا عالة على الاهلين، فيعملون على الاتصال بالسكان، وعلى ارشادهم وعرض بعض الافلام عليهم، وعلى تقديم بعض المعونات الصحية لهم.

وقد جربت هيئة التعليم الابتدائي هذه التجربة على نطاق ضيق ومحدود في مصيف صلنفة، وكانت التباشير على ضآلتها تنبىء عن امكانية الوصول الى نتائج باهرة.

هـ- **اداة التنفيذ:** اشرنا قبلا الى ضرورة انتقاء افراد الجهاز التعليمي الذي سيساهم في عمل الخلايا الاجتماعية ويضطلع بمهام التوجيه والارشاد في المدارس الداخلية، ولئن كان كثير من المعلمين يستجمع المؤهلات الكافية لتنفيذ الرسالة القومية في هذه المنطقة، فان مهمة هؤلاء شاقة جدا وعسيرة جدا لن يخفف من وقعها الا الاخلاص المتفاني والا الاحساس العميق بالواجب القومي يعززها تقدير من جانب الدولة يمكن ان يبرز في المظاهر التالية:

1- **منح تحسين الاحوال المادية:** سبق للدولة ان منحت الموظفين الذين يؤدون وظائفهم في محافظتي الجزيرة والفرات بعض الامتيازات عندما ارادت النهوض بمستوى هاتين المحافظتين، ونرى انه من المفيد النسج على هذا القرار فيما يتعلق بالمنطقة المرشدية، فيمنح المعلمون القائمون بالعمل في مدارسها الامتيازات نفسها.

وبعد اقتراح عدد من التدابير يقول التقرير متوجها الى اللجنة البرلمانية:

وفي الختام نود ان نعطف النظر الى ان الثقة كبيرة بالنتائج التي ستنتهي اليها لجنتكم الموقرة، والى ان الامال معقودة بتصفية هذه القضية تصفية تامة على مدى تفهمكم للاوضاع الخطيرة القائمة، والى ان هذه النتائج ستعود بعواقب سيئة ان لم تكن سريعة وعملية وناجعة، لعل اهمها تسرب بعض اسباب اليأس الى نفوس المهتمين بهذه القضية، وتولد الاحساس لدى المرشديين بأنهم اصبحوا قوى لا غالب لها في هذه الدولة.

1957: ازدياد التطويق الاستعماري على سورية - تقارب سعودي عراقي ضد الاتجاه التقدمي في سورية والسعودية ترسل رجالها الى سورية- ايزنهاور ينذر ويغري الاردن - مقال في جريدة البعث توجهت فيه الى اصحاب الرساميل من تجار وصناعيين تجاه الادعاءات بأن سورية تسير في طريق الشيوعية - حزب الشعب يفتعل ازمة في مجلس النواب بعد خطاب لخالد بكداش - مقال في جريدة البعث عنوانه "سورية ليست مزرعة لاحد" بسبب التدخل السعودي بالاوضاع السورية.

كان لنجاح نواب الجبهة القومية وبصورة خاصة نجاح رياض المالكي في دمشق في مواجهة رئيس الاخوان المسلمين مصطفى السباعي تأثيره الكبير داخليا وعربيا ودوليا، فقد بدأت حلقة الحصار السياسي والاقتصادي والاعلامي حول سورية تضيق شيئا فشيئا واشتركت فيه المملكة العربية السعودية بشكل سافر، فأوقفت الاستيراد من سورية واخضعته لاجازة مسبقة، وامتنعت عن منح هذه الاجازات، كما توقفت عن الافراج الا عن جزء ضئيل، من العشرين مليون ليرة المجمدة للسوريين في السعودية.

وفي هذه الفترة روجت الدوائر الغربية لمشروع يقضي ظاهره بالغاء حلف بغداد ولكن هدفه كان احكام الحصار حول سورية وذلك بانشاء حلف جديد بين العراق والسعودية والاردن وكان جوابي عندما سئلت عنه:

"هذه الاعيب لا يمكن ان تخفى علينا اهدافها ومراميها" (الرأي العام 1957/5/10) وبتاريخ 1957/5/17 قام الملك سعود بزيارة رسمية للعراق، واذيع ان المحادثات تستهدف محاربة التغلغل الشيوعي واتخاذ موقف موحد من سورية، وضمان استمرار تدفق النفط العربي الى اوروبا الغربية.

وقد انتهز نوري السعيد فرصة وجود عدد كبير من الصحافيين الاميركيين والبريطانيين بمناسبة الزيارة، فأعرب عن رأيه الغريب في مشكلة الارض والاصلاح الزراعي:

"ان رئيس العشيرة هو الاب لافراد العشيرة كلهم ، وان الحكومة وزعت الاراضي على رؤساء العشائر، اما الملكية الكبيرة فيجري توزيعها على ورثة صاحبها بعد وفاته وهكذا تنعدم الملكيات الكبيرة بمرور الزمن، مع ذلك فان الشيوعية تستغل الفرص لاثارة الناس ضد هذا النظام الذي ساعد على توزيع الانتاج الزراعي في العراق".

ثم تحدث عن الاحكام العرفية فقال: "ان عدد السجناء لا يبلغ العشرة الاف كما يقال"

وقال عن المؤامرة التي دبرتها حكومته ضد سورية: "انها ملفقة وان سفارة موسكو في دمشق هي التي تولت توجيه الدعاية ضد العراق".

وقد صدر بعد زيارة الملك سعود بلاغ مشترك جاء فيه:

"لقد كان اليوم الخامس عشر من صفر سنة 1376 الموافق 1957/5/18 بدء عهد جديد من العلاقات الودية بين جلالة الملكين والاسرتين السعودية والهاشمية اجتمعت فيه آراء الجانبين على ضرورة التمسك بما بين البلدين من عقود نصا وروحا" "وهما مصممان على صون استقلال بلادهما والحفاظ على قيمها الروحية وتراثها الاسلامي والوقوف في وجه كل محاولة للتدخل الاجنبي في شؤون بلادهما من اي مصدر كان واي كان نوعه، وهما يعتبران ان الصهيونية والمبادىء الهدامة والاستعمار كلها خطر على الامة العربية، وعلى الدول والشعوب العربية ان تعمل ما تستطيع لمقاومة هذا الخطر الذي يهدد استقلالها وسيادتها لتوحيد الصف العربي والاسلامي".

وقد علق الحزب ردا على هذا البيان بما يلي:

"ان في هذا البيان تناقضا بين ادعاء التمسك بقرارات مؤتمر باندونغ التي تنص فيما تنص فيما تنص على الحياد ومحاربة المعسكرات، وبين ارتباط حكومة العراق بحلف بغداد... وفي رأينا ان سياسة المملكة السعودية لم تعد حيادية كما كانت من قبل، وان كون العراق مرتبط بحلف بغداد وانحياز السعودية نحو

الغرب، كل هذا يجعل ادعاء محاربة الصهيونية عبارة عن مسايرة للرأي العام فقط لا يرتكز الى الجدية، لان الدول الغربية نفسها هي التي تدعم اسرائيل جهرا وعلانية فكيف نوفق بين ادعاء محاربة الصهيونية واعتبارها الخط الاول وبين هذه التبعية للغرب؟

اما المبادىء الهدامة فاننا اذا رجعنا الى واقع الامور نجد ان مثل هذه الحكومات لا تعني الحركة الشيوعية فحسب بل الحركة القومية نفسها كما هو حاصل في العراق من التنكيل بالشعب باسم مناوءة الحركات الهدامة..."

□

لم يكن مؤتمر نوري السعيد الصحفي وما اعقبه من صدور البلاغ المشترك الا تغطية للاغراض الحقيقية من هذه الزيارة وهي تطويق الوضع القائم في سورية تمهيدا للاطاحة به، هذا الوضع الذي لا يزال مستعصيا على محاولات ومؤامرات حلف بغداد والمخابرات المركزية.

ثم تتابعت محاولات التطويق بالدعوة الى عقد مؤتمر قمة بين الرؤساء والملوك العرب، فقد عقد شارل مالك وزير خارجية لبنان مؤتمرا صحافيا اثر انتهاء المحادثات العراقية السعودية اعلن فيه:

"ان لبنان يسعى لاقناع الدول العربية بعقد مؤتمر للملوك والرؤساء العرب ليتصارحوا فيه ويتشاوروا، وقال ان فكرة المؤتمر جاءت من لدن الملك سعود الذي طلب من كميل شمعون مشاركته في السعي لعقد المؤتمر فقبل لبنان الرسمي المهمة، وبدأ الاتصال بشقيقاته وهو يرجو ان يستطيع اقناع سورية بقبول الفكرة"

في الوقت الذي وصل فيه الشيخ يوسف ياسين وكيل وزارة الخارجية السعودية الى دمشق قادما من بغداد عن طريق بيروت، وقد كتبت الصحف عن مهمته في دمشق بأنها نجمت عن محادثات الملك سعود مع العراقيين، وهي مهمة تنسجم مع السياسة السعودية في الوقت الحاضر.

وفـي تـاريخ 19-5-57 عقـد شــكري القـوتلي فـي القصـر الجمهوري اجتماعا ضم رئـيس الاركـان ومعاونيـه ورؤسـاء الشـعب في الاركان ثم انضم الى الاجتماع صـبري العسـلي رئـيس الـوزراء وصلاح البيطار وزير الخارجية، وقـد حضـر الاجتمـاع الشـيخ يوسـف ياسـين، وكان هم شـكري القـوتلي والشـيخ يوسـف ياسـين اقنـاع المجتمعين بفائدة زيارة الملك سعود للعراق وان البيـان المشـترك السعودي العراقي كـان نصـرا للسياسـة العربيـة التحرريـة ووحـدة الصف العربي.

وقد عـرض الشـيخ يوسـف ياسـين علـى المجتمعـين فكـرة عقد مؤتمر الرؤساء والملوك العرب، الذي كلف بالسعي اليـه ايضـا كميل شـمعون، ولمـا كـان نـوري السـعيد قـد تعـرض فـي مـؤتمره الصحافي الى سورية، فلـم تكـن هـذه الفكـرة مقبولـة، وكـان مـن الممكن نظرا لمساعي القوتلي والسعودية وتأييد الاحزاب الرجعية ان يتم عقده اذا وافق الرئيس جمال عبد الناصـر، الامـر الـذي كـان باسـتطاعة القوتلي ان يتسـلح به ضد معارضي هذا المؤتمر، ولكـن جمال عبد الناصر لم ينطل عليه الامر فقد سبق للملوك والرؤسـاء ان عقـدوا مـؤتمرا فـي بيـروت بعـد العـدوان الثلاثـي علـى مصـر وسجلوا بـراءتهم امـام الـرأي العـام تجـاه سـكوتهم خـلال العـدوان على مصر والامة العربية.

وفيما يتعلق بالصلات الوثيقة جـدا والخاصـة بـين السـعودية والرئيس شـكري القوتلي فان السعودية كانت تتصور ان هدف عبـد الناصر الحقيقي في سورية هو ضمان عدم انحيازهـا للعـراق، وان اسـتمرار رئاسـة القوتلي فـي سـورية كفيـل بطمأنـة الـرئيس عبـد الناصر في حالة انقلاب سعودي على الاتجاه فيها برئاسة شـكري القوتلي.

ارسـل شـكري القوتلي امين عـام القصـر فـؤاد الحلبـي الـى القاهرة يحمل كتابا لجمال عبد الناصر عله يقنعـه بالموافقـة علـى عقد مؤتمر جديد للرؤساء والملوك العرب فأخفق فؤاد الحلبي فـي مهمته ورجع خائبا.

وفي دمشق عقد الشيخ يوسف ياسين اجتماعا ثانيا مع رشدي الكيخيا واحمد قنبر والدكتور عبد الوهاب حومد واركان حزب الشعب وساعده في مهمته اخوه قاسم ياسين قطب حزب الشعب في اللاذقية والدكتور مدحت شيخ الارض الدمشقي الاصل وسفير المملكة السعودية في اسبانية... ولا شك ان زيارة رشدي الكيخيا لمصر واجتماعه مع عبد الناصر كانت بتشجيع من يوسف ياسين ودعما لامين عام القصر في مهمته.

اخفق الشيخ يوسف ياسين في مهمته السياسية كما اخفق ايضا باتصالاته السرية مع العسكريين، وكانت السعودية تأمل باقناع امين النفوري واحمد عبد الكريم وجماعتهم (جماعة اديب الشيشكلي سابقا) بالعمل معها ولكن الامر اختلف تماما فقد التزمت جماعة النفوري بسياسة عفيف البزرة اليسارية، ولم يبق امام الولايات المتحدة والسعودية الا ان تفتش عن ضباط آخرين، كما ورد في وثيقة حلف بغداد، التي اثبت نصها سابقا، ولكن كان من الصعب العثور عليهم.

والامر الذي نجح فيه الشيخ يوسف ياسين في دمشق هو توحيد القوى في الاحزاب والهيئات السياسية وتشجيعها ودفعها للمعركة مع الاتجاه التحرري التقدمي بقيادة حزب البعث تؤازرها الفئات الاقطاعية والرأسمالية، الى حد ان جريدة المنار (الاخوان المسلمون) قد دعت القوتلي الى القيام بانقلاب سافر على الحكم الدستوري الديموقراطي في سورية، كما ان السباعي خطب في الجماهير قائلا:

ان المعركة لم تنته بعد وانها الان بدأت فعلا بعد ان وضح ان في البلاد اتجاهين:

الاول يتبع الايمان والحق وما انزل الله، والثاني يتبع الشيطان والالحاد والفساد، وان على الامة الا تسلم قيادها الى هؤلاء، اما محمد مبارك فقد دعا الى مؤتمر صحافي اتهم فيه البعث العربي الاشتراكي بفتح ابواب سورية امام الغزو الشيوعي.

ايزنهاور يغري وينذر الملك حسين

اعلـن الـرئيس ايزنهـاور ان احـداث الاردن نصـر لسياسـة الولايات المتحدة، وقال عن الوزارت التي تعاقبـت علـى الاردن بـأن كل واحدة كانت اسهل من سابقتها امام التغلغـل الشـيوعي الـى ان عمل الملك حسين بسرعة وحزم، وان النصر الذي احرزه الاردن سيؤول الى الضياع اذا لم تقدم الولايات المتحـدة مسـاعدات الـى الاردن واعلـن ان بعـض هـذه المسـاعدات سـيأتي مـن المملكـة العربية السعودية الا انه لا بد ان تدفع الولايات المتحدة مسـاعدات مباشـرة للاردن (57/5/23 الرأي العام).

كانت الخطوة التالية لـلاردن طلبـه بمـذكرة رسـمية سـحب القوات السورية من اراضيه فأجيب الى طلبه.

اما سورية فقد صـمدت بـالرغم مـن تطويقهـا وضـرب الحصـار عليهـا وتهديـدها بالحشـود التركيـة ومنـاورات الاسـطول السـادس الاميركـي فـي شـرق المتوسـط، ولا شك ان استبسال الشـعب ووعيـه والتفافـه حـول التجمـع القـومي قـد شـد مـن عزيمـة القيـادات التقدميـة، وجعـل الجيش قلعة صامدة متماسكة، ولم يعـد احـد فـي سـورية يهاب كل ما يهدد به من حشود وما يعد من مؤامرات.

وفـي تلـك الفتـرة كتبـت جريـدة جمهوريـت التركيـة شـبه الرسمية:

"ان جلال بايار بعث برسالة خاصة الى الملـك سـعود يـدعوه فيهـا إلـى زيـارة تركية لان الدوائر التركية تتوقع احداثا سياسية هامة ستقع في بلدان الشرق العربي، وتتوقع ان يؤدي التعاون العراقي السعودي الـى قيـام حكومـة جديـدة في سورية تحل محل الحكومـة الحاضـرة" وقالـت ايضـا "ان الـدوائر المسـؤولة فـي بغـداد والريـاض وعمـان ايـدت انبـاء قيـام مسـاع لاقالـة حكومـة صـبري العسلي واجراء انقلاب وزاري، وتـأليف حكومـة جديـدة تتمشـى مـع سياسـة الدول المجاورة على ضوء البلاغ السعودي العراقي".

مخاطبة الضمير القومي

في ابان هـذا التـأزم رأيـت مـن الحكمـة والمصـلحة ان اقـوم بتحديد موقفنا من الرأسمال الوطني في تلـك المرحلـة، وكـان قـد

بدأ يهرب الى لبنان نتيجة تركيز الغرب على سورية واتهامها بالشيوعية، فبدأت بعقد اجتماع مع رشدي الكيخيا العائد من زيارة عبد الناصر ومع علي بوظو وعبد الوهاب حومد واكدت لهم في ذلك الاجتماع اننا ننظر الى هذه المرحلة التي تمر بها البلاد العربية على انها مرحلة تحرر وطني ودفاع عن البقاء تجاه الخطر الصهيوني، وانه ليس صحيحا ما تدعيه الدوائر الغربية من اننا نساعد على انتشار الشيوعية ودللت على ذلك بمواقفنا داخليا وعربيا، كما استعرضت لهم نتائج الانتخابات الفرعية والايدي الغريبة التي كانت واضحة فيها، وقد تظاهروا بتفهم حديثي معهم، ولم يدر بخلدي ان يستغلوا هذا الاجتماع لنشر البلبلة في صف الجبهة الوطنية، وهكذا نفيت نفيا باتا ما اشيع من ان البحث دار بيني وبينهم حول تشكيل وزارة قومية وقلت ان جميع اطراف التجمع مخلصون في التعاون والتضامن ولم يخطر على بال اي طرف موضوع تشكيل وزارة قومية جديدة (الرأي العام 24-5-57).

اصبحت بعد هذا الاجتماع يائسا نهائيا من تليين موقف حزب الشعب فاتجهت الى تطمين الطبقة الصناعية والتجارية التي هي قواعد حزب الشعب والاحزاب اليمينية الاخرى، فكتبت بجريدة البعث (1957/5/23) مقالا تحدثت فيه عن الوضع الاقتصادي مطمئنا رأس المال الوطني، فكان لهذا المقال اثر بعيد في تحقيق الغاية التي قصدتها:

"في شهر تشرين الاول من العام المنصرم وقبيل بضعة ايام من العدوان على مصر، قام عملاء الاستعمار بمحاولة احراق مدينة حلب مستغلين تظاهرات الشعب السلمية احتجاجا على المجازر الدامية التي تقوم بها فرنسا في الجزائر، وكان القصد من ذلك التمهيد للانقلاب الذي هيأه الاستعمار في سورية في موعد العدوان على مصر، واذا كان الانقلاب قد اخفق ونجت مدينة حلب من الاحتراق، كما نجت من مذبحة طائفية هيأ لها الاستعمار فان هذا الحادث قد استغله عملاء الاستعمار في نشر الذعر في نفوس بعض الرأسماليين الذين هربوا رؤوس اموالهم الى لبنان، وكان هذا العمل مترافقا مع خطة اقتصادية كاملة لاحداث ازمة اقتصادية حادة في

سورية، فقد توقفت المصارف الاجنبية عن التسليف ولولا التدابير الحكيمة من قبل الحكومة ومن قبل المصرف المركزي لتوصلوا الى بعض اغراضهم.

والواقع ان العدوان على مصر قد اثر على الاقتصاد السوري وهذا التأثير يعتبر بسيطا بالنسبة للازمة الاقتصادية التي احدثها العدوان في اوروبا خاصة وفي العالم عامة من جراء اغلاق قناة السويس، ولا تخفى الوجائب المالية التي القيت على عاتق سورية اثر هذا العدوان من ضرورة اعلان التعبئة العامة وتقوية الجيش، ومن جراء الوجائب القومية التي كانت نتيجة لالغاء المعاهدة البريطانية الاردنية ومساهمة سورية بدفع المعونة المالية، فلاقت الحكومة القومية السابقة والحكومة الحالية عنتا من جراء توازن الموازنة العادية ومن جراء تنفيذ مشاريع الموازنة الاستثنائية.

لقد قدرت نفقات الموازنة العادية في عهد الحكومة القومية السابقة بـ (500) مليون ليرة سورية اي بزيادة 200 مليون ليرة عن موازنة العام الماضي، ولكن الحكومة الحاضرة قد وقفت الى تقديم الموازنة العادية للمجلس بنفقات تعادل 400 مليون ليرة سورية، وفعلا فقد استقرت الموازنة العامة العادية في لجنة الموازنة بـ 364 مليون ليرة سورية مع تحقيق الموازنة لكثير من المشاريع الانشائية العادية التي قررتها لجنة الموازنة ووضعت اعتماداتها، كما اطلق عقال الموازنة الاستثنائية فشرع بعد توقف بتنفيذ المشاريع الانشائية الكبرى، وجرى كل ذلك دون فرض ضرائب جديدة على المكلف السوري.

وبالرغم من كل هذا فان ابواق الدعاية الاستعمارية كانت ترجف بصورة دائمة، وليس يخفى تأثير العوامل النفسية التي تنشأ من نشر الدعايات الكاذبة المغرضة عن الوضع الاقتصادي والمالي.

ان سورية قد خرجت بوضع اقتصادي ومالي متين بالرغم من انقطاع تدفق البترول، وبالرغم من اغلاق قناة السويس وبالرغم من محاولات الدول الاستعمارية فرض ما يشبه الحصار متحملة الاعباء المالية التي القتها الضرورات القومية على عاتقها، ولا تزال الدعايات المغرضة المشبوهة تنشر بين الاوساط التجارية والرأسمالية الوطنية، وقد بلغت هذه الدعايات بعض اهدافها في حملاتها المستمرة، واكبر دليل على ذلك المعركة الانتخابية الفرعية التي جرت في دمشق مؤخرا، فقد غررت هذه الدعايات ببعض كرام التجار واصحاب رؤوس الاموال الوطنية فنزلوا المعركة الانتخابية الفرعية وهم

يظنون انهم اذ يؤيدون مرشحهم فكأنهم يعملون على بقاء رؤوس اموالهم في ايديهم.

انه لا بد ان نوضح موقف حزبنا بجلاء من الرأس مال الوطني حتى لا يخدع المواطنون بالدعايات الاستعمارية، وحتى لا يصبح كبار التجار واصحاب رؤوس الاموال فريسة في ايدي الاستعمار وعملاء الاستعمار.

ان الاشتراكيين العرب يعتبرون تنمية رؤوس الاموال الوطنية طريقا لتصنيع البلاد، ولا يمكن للبلاد العربية ان تحقق حريتها واستقلالها ووحدتها ما لم تخرج من المرحلة الزراعية المتخلفة الى المرحلة الصناعية، ولذلك كان تشجيع رؤوس الاموال الوطنية هدفا من اهداف الوطنيين العرب.

ان تبني حزبنا لقضايا الفلاحين والعمال ورفع مستواهم المادي والمعنوي بمنع استغلالهم لا يعني مطلقا عداءنا او وقوفنا موقفا سلبيا من تنمية رؤوس الاموال الوطنية في هذه المرحلة من تطور البلاد العربية، فكما ان الدفاع عن الفلاحين ورفع الظلم عنهم وجعلهم يتمتعون بكامل حقوقهم السياسية والقومية، وكذلك الدفاع عن حقوق العمال ورفع الحيف والاستغلال هو واجب قومي، فكذلك تنمية رؤوس الاموال الوطنية لتصنيع البلاد هدف من اهدافنا القومية.

لسنا في مرحلة تطبيق الاشتراكية، وانما نحن في مرحلة تقتضينا تحقيق ما يمكن تحقيقه من العدالة الاجتماعية، ونحن لسنا ماركسيين بل اشتراكيون نفهم تماما المرحلة التي يمر بها شعبنا العربي زراعيا وصناعيا، فكيف يجوز لنا الا نقف موقف المشجع والمنشط لرؤوس الاموال الوطنية اكثر من اصحابها بالذات ونحن نعلم ان العرب في هذا الظرف يخوضون معركة وطنية ضد الاستعمار العربي واسرائيل، اننا واثقون من وطنية التجار والصناعيين في البلاد وواثقون بأنهم لا يخدعون بالدعايات الاستعمارية المغرضة التي يشنها الاستعمار على القومية العربية واذا كان لبعض الرأسماليين وهم قلة لا يتجاوزون اصابع اليد منافع

ومصالح تربطهم مع الدول الاجنبية، فان الكثرة من التجار والصناعيين واصحاب رؤوس الاموال من الوطنيين الذين يفتدون بلادهم بما ملكت ايديهم لانهم يعتبرون معركة العرب مع الغرب واسرائيل معركة مقدسة.

ان بلادنا غنية بمواردها ومنابع ثرواتها، واذا رسمنا خطا بيانيا لتقدمها وازدهارها لرأينا بوضوح كيف يفعل شعبنا بنشاطه العجب العجاب، ففي السنين القليلة المنصرمة حقق تقدما في الميدان الاقتصادي والزراعي والصناعي وفي مختلف مجالات الحياة قل ان يحرز مثله شعب آخر، وان المستقبل سيكون اعظم شأنا واكثر تقدما وازدهارا ولا سيما بعد ان تكون بلادنا قد انهت مشاريعها الانشائية الكبرى ومعظمها في طريق الانجاز وبعضها الاخر قيد الدرس والتنفيذ.

اننا شعب لا يفزعنا التهديد ولا تغرينا الوعود المعسولة الكاذبة دون وصولنا الى اهدافنا القومية والانسانية العليا".

مناقشة تقرير لجنة الموازنة في المجلس النيابي

بدأت مناقشة تقرير لجنة الموازنة في جلسة 57/5/29 وكان ذلك مناسبة لمحاولة خلخلة الحكومة من قبل حزب الشعب تمهيدا لاسقاطها وفرط التجمع القومي، فتولى احمد قنبر (يمين حزب الشعب) وعبد الوهاب حومد (يسار حزب الشعب) قيادة حملة عنيفة ضد مشروع الموازنة كل بأسلوبه الخاص وتبعهما رزق الله سالم ولكن الحملة باءت بالفشل.

وفي هذه الجلسة، وخلال خطابه الذي ناقش به مشروع الموازنة، تعرض خالد بكداش الى رسالة روكفلر السرية التي تسربت الى الصحف الاجنبية والعربية، وكانت غايته التنبيه للاهداف الحقيقية للمساعدات الاميركية وقرأ منها هذه المقاطع:

"والمثال النموذجي للنهج العملي الذي اتحدث عنه قد اعطته التجربة الايرانية التي قيض لي ان اعمل فيها بصورة مباشرة فعن طريق تقديم مساعدة اقتصادية نجحنا في الوصول الى البترول الايراني، وقد وطدنا الان اقدامنا في اقتصاد هذا البلد، وبتعزيز موقفنا الاقتصادي في ايران استطعنا ان

نخضع سياستها الخارجية لاشرافنا وان نجعلها تقرر الانضمام الى ميثاق حلف بغداد، وفي الوقت الحاضر لا يجسر الشاه حتى على اجراء تعديلات ما في وزارته بدون استشارة سفيرنا"

"وعلينا ان نطبق مساعدة اقتصادية واسعة وذكية على البلدان التي نريد اشراكها في حلف معنا، ولكن ينبغي ان نفعل ذلك على نحو اكثر مرونة وحذرا مما فعلنا حتى الان، ففي الماضي علقنا اعطاء مساعدة اقتصادية على طلب الانضمام الى هذا الحلف او ذاك من الاحلاف بصورة بلغت من الفظاظة حدا نفرت منها الكثير من الحلفاء الممكنين، فلا بد لنا من العمل بحذر واناة ومن الاقتصار في المراحل الاولى على الا نطالب لانفسنا غير شروط اقتصادية جد متواضعة مقابل مساعدتنا اقتصاديا، وحتى بدون اي شرط في بعض الحالات، ولكن في مرحلة مقبلة طبعا سيفسح لنا المجال للوصول سواء الى هدفنا السياسي ام الى مطالبنا العسكرية"

وقد علق خالد بكداش على رسالة روكفلر متسائلا:

"الا نفسر بهذا الشكل الحملة الهوجاء في بعض الصحف وبعض الاوساط لخلق جو من الذعر والبلبلة حول الوضع الاقتصادي في سورية؟

لقد حرصنا نحن الشيوعيين العرب الذين نقف في اقصى اليسار من التقدميين بأنه من صلب سياستنا تشجيع رأس المال الوطني، وحتى في المرحلة المقبلة من تطور سورية الاقتصادي، وقد قرأت مؤخرا في جريدة البعث مقالا بقلم الزميل اكرم الحوراني، وهو اكبر سلطة تمثل حزب البعث العربي الاشتراكي، يقول فيه ايضا: ان من صلب سياستهم تشجيع رأس المال الوطني وحمايته، وقد اعلن الزميل الحوراني ذلك في مناسبات عديدة تحت قبة هذا المجلس ايضا".

ويظهر للقارىء انه لم يكن في خطاب خالد بكداش مس مباشر او غير مباشر بحزب الشعب ولكن الحزب كان مصمما على اصطناع ازمة تؤدي الى استقالة الحكومة، فنهض رشدي الكيخيا وهو بادي الانفعال ليرد على خالد بكداش قائلا:

"انه ما من مرة عرضت على هذا المجلس موازنة الدولة من قبل اي حكومة الا وتناولها الزملاء الكرام بالنقد والتجريح ماليا وسياسيا، ولكن لم

يخطر على بال احد منا ان يفسر تلك الاقوال بأنها تخدم الاستعمار وتثير الفزع وتنشر الذعر بين الناس، فأنا ارجو من رئيس المجلس الا يفسح المجال لمثل هذه الاتهامات التي تكال جزافا بمناسبة وبدون مناسبة لانه ما من احد يقبل ان توجه اليه هذه التهم"

لم يخطر على بال احد من اعضاء المجلس ان يخرج رشدي الكيخيا من خطابه بهذه النتيجة:

"فلهذه الاسباب كلها استقيل من النيابة تاركا الامر للمواطنين. ثم تبعه على المنبر احمد قنبر فقال:

"انه ان لنا ان نكفي محطات الاذاعة الاجنبية المؤذية مؤونة ما تقوله عنا وكان يجب ان نقوله نحن حتى نقطع تلك الالسنة، ونقوم ما نرى من اعوجاج، وسأسعى كنائب في هذا المجلس ان اقاوم الحكومة مقاومة لا هوادة فيها وانني اعتقد ان كل يوم تستمر فيه بالحكم انما هو ضرر للبلاد"

قوبلت اقوال قنبر باستنكار شديد من قبل نواب المجلس وحدث هرج ومرج وفي هذه الجو رد عبد الكريم زهور قائلا:

"لحساب من يزعم قنبر ان في البلاد ارهابا واي ارهاب هذا الذي يسمح لقنبر ان يفتري كل هذه المفتريات على البلاد وسمعتها؟ انه من التجني على الوطن الزعم بأن الحريات غير مصانة بينما هو من اكثر بلدان العالم تمتعا بالحريات".

قدم رشدي الكيخيا - لناظم القدسي - استقالته من المجلس النيابي وتضامن معه في هذه الاستقالة نواب حزب الشعب جميعهم.

كانت الخطة المبيته ان يحصر الشعبيون صدامهم مع خالد بكداش النائب الشيوعي ليوهموا الناس بالداخل والخارج ان الشيوعية قد استفحل امرها، وانهم لم يعودوا احرارا في ممارسة حرياتهم الدستورية كوسيلة ضغط وتهديد حتى يتم التغيير الوزاري المطلوب، فما هي الاسباب التي حالت دون نجاح هذه الخطة؟

كان خالد بكداش يرى تأزيم الوضع وقبول استقالة نواب حزب الشعب وإجراء انتخابات فرعية في الدوائر التي ستشغر

باستقالتهم، ولا شك انه في مثل هذه الحال كان من المقدر ان ينجح كل مرشحي التجمع القومي، وكان في تقديري وتقدير الحزب ان الولايات المتحدة وبريطانيا والرجعية الداخلية والعربية ستستغل هذا الوضع وتعرض بلادنا لمخاطر جديدة ومن جهة اخرى فقد شعرت ان الحزب الشيوعي كان يطمع بالمشاركة في الحكم، وكنت دائما وفي كل مناسبة انبه خالد بكداش بصراحة الى العواقب الوخيمة من جراء ذلك الطموح ولا سيما في الظروف الدقيقة والحرجة التي تمر بها البلاد، ثم بدىء بعلاج الازمة على الشكل التالي:

من جهة اعلن الناطق باسم التجمع القومي ان التجمع ينوي قبول استقالة نواب حزب الشعب واجراء انتخابات فرعية في الدوائر التي ستشغر باستقالتهم، ومن جهة اخرى قام حزب البعث ولا سيما في مدينة حلب بحملة واسعة من توقيع العرائض وعقد الاجتماعات لشرح نوايا واغراض نواب حزب الشعب من استقالتهم الجماعية، وقد لاقت دعوة حزبنا في جميع الاوساط الحلبية تجاوبا اكثر مما كنا نقدر، مما جعل الشعبين يشعرون في حلب وهي معقلهم الانتخابي انهم خاسرون كل ما تبقى لهم من رصيد فيما اذا اصروا على الاستقالة.

اما مجلس النواب فقد استمر على عقد جلساته كالمعتاد بعد تأمين النصاب، حتى ان عدد النواب الذين تابعوا مناقشة الموازنة كان اكبر بكثير من المعتاد في جلسات الموازنة السابقة، وقد حاولت في جلسة 6-6-57 التي اعقبت استقالة رشدي الكيخيا والتي امتنع نواب حزب الشعب عن حضورها ان افتح لهم باب العودة للمجلس فقدمت لمناقشة الموازنة - بصفتي رئيسا للجنة الموازنة- بالكلمة التالية:

"ان الموازنة تعتبر دائما مرآة لخطة وسياسة الدولة، لذلك فانه من الطبيعي جدا ان تكون سياسة الدولة مجالا للبحث والمناقشة اثناء دراسة الموازنة، وعرضا لوجهات النظر حول هذه السياسة، ومع ذلك فان الاعتراض على موازنة هذا العام لم يكن عنيفا وانما كان رفيقا، حتى ان بعض الزملاء المعارضين قد دافعوا

عن هذه الموازنة وردوا على زملائهم المعترضين وفندت اكثر الامور التي لا يعتقد انها صائبة، لقد كنا في لجنة الموازنة لا كمؤيدين ولا كمعارضين وانما كنا نقوم بدراستها كمواطنين حريصين على مصلحة الدولة والبلاد،

ان الموازنة كما تعلمون تقوم على مجموعة من القوانين، وهذه القوانين صدرت في اعوام سابقة، وفي عهود مختلفة، لذلك فان لجنة الموازنة لا تبحث بهذه القوانين التي تقوم عليها الموازنة، وانما في الواقع تبحث عن النفقات التي لا تراها ضرورية، وتبحث ايضا في تحويل هذه النفقات غير المنتجة العقيمة الى مشاريع منتجة مثمرة، وتبحث ايضا عن سوء تطبيق الموازنة وحسن تطبيقها تبعا للظروف التي تمر فيها البلاد، وانني بهذه المناسبة اقول:

اننا جد حريصين على عودة زملائنا في المجلس، لان هذا ليس بدعا في الحياة الديموقراطية، فقد سبق لنا ان انسحبنا من المجلس وعدنا اليه، ان وجود المعارضة ولا سيما اثناء بحث الموازنة هو اكبر دليل واكبر مظهر من مظاهر الحياة الديموقراطية، وبحمد الله فان بلدنا يتمتع بوضع ديموقراطي لا يتمتع به اي بلد من بلدان الشرق الاوسط، واننا لنأمل ان يكون الوضع في سورية نموذجا لبقية بلدان الشرق الاوسط، فسورية كانت وما تزال الدماغ المفكر للبلدان العربية، وما تزال ايضا تنتهج النهج الذي نرجو ان تحذو حذوه البلاد العربية الاخرى التي نرجو انشاء الله ان تصل الى هدفها المنشود في الوحدة فيما بينها.

لقد تسرب بالفعل في عهد الحكومة القومية السابقة الى الصحافة بأن موازنة الدولة لا يمكن ان تنقص عن الخمسمائة مليون ليرة سورية وان الحكومة القومية كانت تفكر بايجاد ضرائب جديدة لتسديد هذه النفقات، ونحن لا ندري من هو المسؤول عن تسرب هذه الاخبار، وقد أتت الحكومة الحالية وانقصت ارقام الموازنة التي كانت مقدرة بخمسمائة مليون ليرة الى حدود 390 مليون ليرة، وبالفعل تقدمت الحكومة بهذا الرقم الى المجلس الكريم مع بعض القوانين التي تفرض ضرائب جديدة، ولكن الموازنة خرجت من لجنة الموازنة برقم اجمالي لا يتجاوز 364 مليون وانني اوضح واكرر من

انه بالرغم من ان رقم الموازنة قد أنقص الى 364 فانه لم تفرض ضريبة جديدة في البلاد، وانما مدد المجلس مفعول قانون كان قد صدر في العام الماضي، فاذا الموازنة التي بين ايديكم تبلغ 364 مليون ليرة سورية دون ان تفرض على البلاد اي ضريبة من الضرائب، ومن جهة اخرى فانه بالرغم من ان لجنة الموازنة قد انقصت النفقات من 390 مليون الى 364 مليون ليرة فان لجنة الموازنة قد وفرت لاول مرة في تاريخ الموازنات 18 مليون ليرة يضاف اليها 5 ملايين من الليرات لتغذية الموازنة الاستثنائية، وعلى ذلك فان الموازنة التي هي بين ايديكم قد أنقص رقمها من 390 الى 364 مليون ليرة ومن اصل هذا المبلغ وفر 23 مليون ليرة لتغذية الموازنة الاستثنائية التي عرضت عليكم في العام الماضي، وهذه الموازنة اي الاستثنائية اذا نفذت، وهي في طريق التفيذ، بل هي تنفذ فعلا فانها ستغير معالم هذه البلاد، وتعلمون ان من بين مشاريع هذه الموازنة مشروع مصفاة البترول ومشروع سد يوسف باشا "سد الفرات حاليا" ومشروع الخطوط الحديدية ومشروع الغاب ومشروع المرفأ وسائر المشاريع الانشائية التي سينتهي تنفيذ قسم منه بعد بضعة شهور وقسم اخر بعد اعوام وقسم اخر شرع بتنفيذه، كما لزم درس قسم آخر منها، وانكم ولا شك مطلعون على ذلك ايها السادة، لاول مرة في تاريخ البلاد يسلح الجيش السوري تسليحا ممتازا جدا فقد كان الحلفاء الغربيون يمنعون فيما مضى السلاح عن بلادنا وعن البلاد العربية الاخرى، فكانت بلادنا مضطرة لان تأخذ السلاح العتيق غير الصالح للحروب الحديثة، كانت تأخذ هذا السلاح من فرنسا وبمقادير ليست بمستوى الحروب العصرية وانما هي لحفظ الامن الداخلي فقط، وهكذا تسرب من القطع النادر ومن اموالنا مئات الملايين الى فرنسا ثمنا لهذا السلاح البالي، فلاول مرة في تاريخ بلادنا، وهذه ثمرة من ثمرات الحرية، لاول مرة يسلح الجيش السوري ليس في حدود الكفاية فقط بل اكثر من حدود الكفاية، وعلاوة على ذلك فانه في هذا العام قد بت بأمر المصفاة، ذلك المشروع الذي كنا حين وضعنا اعتماداته في الموازنة الاستثنائية التي تبلغ 80 مليون ليرة كنا نتحرق الى اليوم الذي يصبح فيه هذا المشروع قيد التنفيذ، فانكم تعلمون خطورة وضرورة

كـون المحروقـات بيـد الدولـة حتـى لا تكـون زراعتنـا وحتـى لا يكـون اقتصادنا وحتى لا يكون جيشنا بيد الشركات البترولية الاحتكارية، ولا بد انكم تذكرون كيـف ان هـذه الشـركات قـد منعـت المحروقـات عـن البلاد عام 1948 وتعلمون ما سببه هذا المنع مـن مشـاكل عسـكرية وسياسية وهذا يذكره كذلك كل مواطن في هذه البلاد، وعلاوة على ذلك فان مشاريع الري الكبـرى والمشـاريع الانشـائية الكبـرى ظلـت مستمرة في التنفيذ بالرغم مما قلته لكم من انه لاول مرة في تاريخ البلاد يسلح الجيش السوري هذا التسليح الممتاز.

ايها السادة: كونوا مطمئنين إذن الى ان الموازنة الاسـتثنائية لهـا مـا يغذيها، وهـا ان الموازنـة العاديـة بـين ايـديكم وفيهـا 23 مليـون ليـرة لتغذية تلك الموازنة، وهذا يقع لاول مرة فـي تـاريخ الموازنـات التـي عرضـت علـى المجلـس، لقـد وفـر هـذا المبلـغ تغذيـة الموازنـة الاستثنائية كما قلت، وعلاوة علـى ذلـك اقـول لكـم انكـم لـو جمعـتم جميع ارقام المشـاريع الانشـائية خـلال السـنوات الخمـس الماضـية في موازنة وزارة الاشغال العامة فانكم لن تجدوا رقما يزيد علـى 23 مليون ليرة، هذا الرقم الذي وفرناه في هذه الموازنة لتغذية الموازنة الاستثنائية، وانا اعتقد بـأن ذلـك ظفـر عظـيم حققتـه لجنـة الموازنـة بالتعاون مع الحكومة.

لقد تساءل احد الاخوان وقال: ان لجنة الموازنة قد حذفت مـن بعـض النفقـات وزادت نفقـات اخـرى، وتسـاءل ايـن ذهبـت هـذه المخصصات، وانا اقول له اننا وفرنا علاوة على 23 مليون ليرة سبعة ملايـين مـن الليـرات مـن نفقـات غيـر منتجـة ورصـدناها لمشـاريع لا منـاص عنهـا، واذكـر علـى سـبيل المثـال اعانـة لمنكـوبي المغـرب العربي، وقـد رصـد لهـا خمسـمائة الـف ليـرة وانـا اعتقـد ان الشـعب بأجمعـه يوجـب علينـا ان نقـدم لقمتنـا ومـن دمائنـا معونـة للمغـرب العربي، وانا اخجل ان يذكر هذا المبلـغ البسـيط التافـه واتوجـه الـى الدول العربية، واتوجه الى الشعوب العربية لتضغط على دولهـا كـي تقدم هذه الدول المعونة اللازمة لهذا الشعب المناضل المكافح ليس في سبيل حريـة الجزائـر فقـط بـل فـي سـبيل حريـة العروبـة وفـي سبيل الوحدة العربية، ولكن مـع الاسـف فـان هـذه المجـزرة لـم تهـز

جيدا حتى الان وجدان البلدان العربية لتمد المغرب العربي بالمساعدات الواجبة، وعلى سبيل المثال اذكر ايضا الاعتماد المرصد لاستملاك كلية الهندسة في حلب الذي يقرب من المليون ليرة واعتقد بأن الزملاء يقرون هذا الاعتماد، لانه مع الاسف لا تزال هذه الكلية ملكا للفرنسيين ولا تزال في هذه البلاد املاك للفرنسين، وكلما مضى عام زادت اثمان هذه الاملاك وكان من واجب الحكومات المتعاقبة السابقة ان تتملكها، وكان بامكانها ان تأخذها بأرخص الاسعار ولكن مع الاسف لم تفعل ذلك فأصبح لزاما علينا ان نضع الاعتمادات لاستملاكها، ولا سيما ان كلية الهندسة هي من اهم كليات الجامعة السورية، وانه ليحزنني ايها الزملاء ان يكون عدد المنتسبين للجامعة يزيد على ستة الاف طالب بينما لا يتجاوز عدد طلاب كلية الهندسة المئة وهذا ولا شك مؤسف جدا لاننا بالدرجة الاولى نحتاج الى العلم، وعلى الحكومة ان تركز اهتمامها وعنايتها لرفع مستوى هذه الكلية حتى تصبح كلية للهندسة بالمعنى الصحيح، وكذلك فقد خصصت مئة الف ليرة لاستملاك بناء الشرطة العسكرية في دمشق ومن ثم ضمه للجامعة السورية، كما خصصت اللجنة 225 الف ليرة لاشادة بناء للمصالح العقارية، وانتم تعلمون كم هي ثمينة وكم هي غالية وثائق المصالح العقارية، مما يتوجب معه ان تكون في مكان امين لا سيما وان بلادنا معرضة للاخطار ولذلك فقد رأت لجنة الموازنة حفظا لهذه الوثائق والخرائط التي صرفت عليها الدولة مبالغ طائلة ان ترصد هذه الاعتمادات لاقامة بناء حديث تحفظ فيه تلك الوثائق الهامة، كما خصصت اللجنة مبالغ من المال لعمليات الافراز والتجميل وانتم تعلمون كم هي مهمة هذه العمليات، وانا رأيت بأم العين كيف ان بعض القرى التي جملت كيف زاد انتاجها الى مئة بالمئة وبعضها الى المئتين، عدا ما ازالته هذه العمليات من مشاكل اجتماعية ومن خلافات بين ابناء الريف، فعمليات الافراز والتجميل ليست فقط عمليات تؤدي الى زيادة الانتاج، وانما هي عمليات تحل مشاكل اجتماعية من الدرجة الاولى، لانها تضع حدا لتجاوز المتنفذين على صغار الفلاحين وتجعل المنتج والمالك والفلاح مطمئنا الى ملكه يفلحه ويزرعه بشكل جيد، واما المشاع فانه

وسـيلة للاعتـداء ووسـيلة للاخـتلاف واهمـال الفلاحـين والمنتجـين لاراضيهم وممتلكاتهم..

ومن الامثلة على المشـاريع المنتجـة التـي رصـدت لهـا لجنـة الموازنة الاعتمادات الكافية تكملة بنـاء كليـة التجـارة، وانـا اسـتغرب كيف ان احد الزملاء يركز نظر الحكومة الى ضرورة انشاء هذه الكليـة ورفع مستواها ومن ثم يقول كيف يجوز ان ننقص النفقات فـي وزارة التربيـة والتعلـيم، اننـا يـا سـيدي انقصـنا النفقـات التـي لا لـزوم لهـا ووضعناها لاكمال هذه الكلية، وهكذا يتبين لنا ايها السادة ان اللجنـة بعد ان وفرت 23 مليون ليرة التي حولـت الـى الموازنـة الاسـتثنائية، قد وفرت سبعة ملايين من الليرات من النفقات غير المنتجة وحولتهـا الى نفقات منتجة مثمرة لا غنى عنها.

هذه هي يا سيدي بعض النقاط الواردة في الموازنـة اردت ان اشرحها لكم واننا سنتولى شرح بقية الامـور حـين مناقشـة الابـواب والفصول".

□

جرت مناقشة الموازنة بهدوء وايجابية، وكان اعتراض النـواب ينحصـر بالتسـاؤل والاستفسـار، فمـثلا اعتـرض احـد النـواب علـى تخصـيص مبلـغ مليـون ل.س (المـادة العاشـرة - نفقـات سياسـية تصـرف بقـرار مـن مجلـس الـوزراء) فقـال ان هـذه المـادة لـم تكـن موجودة في موازنات الاعوام السابقة فما هي الغاية من تخصـيص هذا المبلغ؟ فأوضحت له ذلك:

"ان هناك عددا من الاحرار سواء من العـراق او مـن شـرقي الاردن او من المغرب العربي قد لجؤوا الى سورية، ويعلم الزميل انـه مـن الضروري جدا مساعدة هؤلاء ومن جهة اخرى فان قسما مـن هـذا المبلـغ سـينفق للدعايـة العربيـة لان الزميـل يقـدر ان الدعايـة الاستعمارية والصهيونية هي في اوجها في الوقت الحاضـر، لـذلك فـان الموافقـة علـى هـذا الاعتمـاد ضـرورية جـدا سـواء بالنسـبة للدعاية العربيـة او لمسـاعدة اللاجئـين السياسـيين، وقـد تسـاءل النائب حسين مريود فيمـا اذا كانـت اعانـة المغـرب العربـي تـدخل

في هذه المادة فأجبته بأن اعانة المغرب العربي رصد اعتمادها في موازنة وزارة الخارجية.."

□

كان رئيس المجلس قد تلى في مطلع الجلسة نص استقالة رشدي الكيخيا وطلب من المجلس ان يبت بها فرفضت ذلك، وقلت للرئيس انه لم يحدث قط اثناء دراسة الموازنة ان ينتقل المجلس الى دراسة موضوع اخر، وان النظام الداخلي لا يجيز لنا ان نبحث في هذه الاستقالة قبل انجاز الموازنة، فقال رئيس المجلس:

اردت ان تبحث الموازنة في وجود المعارضة لئلا يقال ان الموازنة اقرت في جلستين بغياب المعارضة، فرد عليه النواب:

وما الذي يمنعهم من الحضور؟

ارجىء بحث استقالة الكيخيا الى ما بعد الانتهاء من اقرار الموازنة، وهكذا سجل التجمع نصرا ساحقا على حزب الشعب وانصاره سواء في إقرار الموازنة او في شجب واستنكار الاوساط الشعبية لموقف حزب الشعب، وبعد الانتهاء من بحث الموازنة تليت استقالة الكيخيا فوقف المجلس تجاهها صامتا، فاعتبرها رئيس المجلس غير مقبولة وهكذا انتهت الزوبعة التي اثارها الشعبيون بالخسران كما تلقى حزب الشعب ورؤساء العشائر هزيمة اخرى عندما تلي في المجلس تقرير لجنة التحقيق البرلمانية بشأن اراضي املاك الدولة في منطقة الرد في الجزيرة.

وكانت اللجنة قد شكلت للتحقيق في الشكاوى ضد المقدم مصطفى حمدون عندما قام بتوزيع هذه الاراضي على افراد العشائر، وكان آنئذ ضابطا للعشائر في الجزيرة، فقد اقترحت اللجنة البرلمانية في تقريرها ارسال كتاب شكر وتقدير للمقدم الركن مصطفى حمدون على ما قام به في جنوب منطقة الرد من تسجيل واحصاء وتوزيع وتقسيم حتى يشجع الموظفون المخلصون في الدولة.

مؤتمر صحافي

كان جهاز المخابرات المركزية يوعز لجميع اجهزة الاعلام السائرة معه بالتوجه الى البلد الذي يعد فيها انقلابا او تغييرات، وكان يعتقد على ما يظهر ان نشاط الملك سعود سيقترن بتغييرات سياسية في سورية، وفيما يلي بعض ما ورد الاجوبة على الاسئلة التي طرحها علي المراسلون والصحافيون في مؤتمر صحافي (الرأي العام 1957/6/5)

"اننا حزب البعث العربي الاشتراكي نؤيد الحكومة القائمة التي نشترك فيها ونتبنى سياستها الخارجية والعربية، اما السياسة الداخلية فقد رأينا ان نتناسى بعض مطالبنا الداخلية للوصول الى اتفاق مع جميع القوى الوطنية في المعركة التي يخوضها شعبنا ضد اعدائه من المستعمرين وعملائهم، لقد فتشنا مع بقية الاحزاب والهيئات على نقاط الاتفاق فتوصلنا الى تحديد سياسة البلاد الخارجية العربية والداخلية في ميثاق قومي اقرته الاحزاب والكتل المختلفة، وهو يتضمن مطالب البلاد في هذه المرحلة من تاريخها...

اننا كاشتراكيين نرى في الظروف الراهنة التي تجتازها بلادنا في تطورها الصناعي والاقتصادي ان نشجع الرأسمال الوطني وان ندعم الصناعة الوطنية لتستطيع بلادنا ان تتطور بشكل سليم... وهذا موقف لا يتناقض مع الاشتراكية الديموقراطية.

ان الجيش السوري جيش، وهو لا يؤيد حزبا ما بل هو مع الشعب دائما لانه قطعة من الشعب.

ان من اول مبادىء حزبنا الدعوة الى الوحدة العربية الشاملة اما موضوع الاتحاد الفدرالي مع الاردن فانه لم يكن موضوعا في المرحلة الراهنة.

- وفي سؤال عن اتهام الولايات المتحدة للبعثين بأنه لا فرق بينهم وبين الشيوعيين اجبت:

لسنا وحدنا الذين يتهمهم الاميركيون بالشيوعية بل انهم يتهمون بالشيوعية كل من لا يسير في ركابهم.

- وفي سؤال عما اذا كانت سورية ستصبح شيوعية اذا استمر الضغط والتآمر الاستعماري عليها، كان الجواب:

ان الخطر على سورية هو اقل منه في العراق وغيره من البلدان الواقعة تحت سيطرة عملاء الغرب، لان سورية تتمتع بحرية كاملة، والشعب يستطيع التعبير عن نفسه ويستطيع السير وتخطي المصاعب، اما الخطر الحقيقي ففي العراق والدول التي تحكم حكما اوتوقراطيا تعسفيا.

وفي سؤال حول علاقة سورية بالولايات المتحدة كان الجواب:

ان سورية ترحب بالعلاقات النظيفة الطيبة مع اية دولة كانت، ولكنها غير مستعدة للتنازل عن سيادتها والخضوع لاية جهة كانت.

اما العلاقات مع الولايات المتحدة فان من المؤسف ان للصهيونية تأثيرا كبيرا على تخطيط سياسة الولايات المتحدة وهي في اغلب خطوطها ضد المصلحة العربية، ومن جهة المساعدات التي يتحدثون عنها، فانه ليس في الواقع اية مساعدات، فالولايات المتحدة لا تدفع مساعدات، والذي تدفعه لشراء الضمائر والتخريب الداخلي، ومقاومة الديموقراطية والحرية، ولعل الحرية الاميركية الحقيقية هي كما عرضوها على العرب:

شخص واحد يتحكم بشعب بأكمله، فأي شعب يمكن ان يثق بهم ويطمئن للتعاون معهم؟

وعلى سؤال حول قلق الولايات المتحدة من انتشار الشيوعية في الشرق الاوسط، كان الجواب:

غريب امر هذه الحساسية المرهفة لدى الاميركيين بالنسبة للبلاد العربية، لماذا ليس لديهم مثل هذه الحساسية ضد اسرائيل وفيها حزب شيوعي منذ زمن بعيد؟

وعندما قال احد الصحافيين ان الاميركين قد غضبوا كثيرا عندما بلغهم ان حكومة الاردن السابقة كانت قد قررت الاعتراف بالاتحاد السوفيتي، كان الجواب: ان هذا التصرف وهذه الاساليب هي التي تدفع الشعوب الى الشيوعية دفعا.

وعلى سؤال عما اذا كان التقارب بين سورية والاتحاد السوفيتي هو الذي يوجه السياسة الاميركية ضد سورية كان الجواب:

ان سياسة الولايات المتحدة تجاه سورية هي نفسها قبل وبعد ان انشأت سورية علاقات صداقة طيبة مع الاتحاد السوفيتي، اما سياسة الولايات المتحدة تجاه العرب عامة فهي انها تريد سلب ثروتنا والضغط على حريتنا، وهي لا تدفع المساعدات الا للعملاء ولاعمال التخريب.

حلف بغداد "والنشاط الهدام"

قبل ان يقوم الملك سعود بزيارته للاردن بتاريخ 1957/6/8، كان المجلس الوزاري لحلف بغداد في مطلع شهر حزيران يعقد جلساته السرية في كراتشي بحضور نوري السعيد وحسن السهروردي رئيس وزارء باكستان وعلى اقبال رئيس وزراء ايران وعدنان مندريس رئيس وزارء تركيا وسلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وهندرسن ممثل الولايات المتحدة، وبتاريخ 57/5/6 اختتم المجلس اجتماعاته السرية واصدر بيانا اعلن فيه موافقته على توصيات لجنة مقاومة النشاط الهدام والاجراءات الواجب اتخاذها ضد التخريب، وان لجنة التخطيط اصبحت الان في وضع يساعدها على مواصلة اتخاذ الاجراءات بمزيد من التركيز، وتعرض البلاغ للتهديد الشيوعي في الشرق الاوسط واعتبر سورية ومصر مركزين للشيوعية. وعندما انتهت زيارة الملك سعود للاردن بتاريخ 1957/6/13 صدر بلاغ مشترك اعلن فيه الملكان تمسكهما بالسياسة العربية التحررية التي تقررت في اجتماع القاهرة بتاريخ 1957/2/27 فقد نص البيان على الالتزام بسياسة الحياد الايجابي وعدم الدخول في اية احلاف اجنبية "كان ما كان شكلها ومصدرها" وان الدفاع عن البلاد العربية يجب ان يعتمد فيه على الدول العربية نفسها، واعلن الملكان تصميمهما على الدفاع عن استقلال بلديهما والمحافظة على التراث والقيم الروحية للامة الاسلامية، وكان مضمون هذا البلاغ مختلفا عما صدر في بغداد والسبب في ذلك فشل سعود بجعل القوتلي وعبد الناصر ينضمان

لمـؤتمر عربـي ضـد القـوى التقدميـة بحجـة مقاومـة الشـيوعية "والنشاط الهدام"

مظاهرات دامية فـي لبنـان احتجاجـا علـى تزويـر شـمعون الانتخابات النيابية

وكما حاول الملك سعود وحاشـيته بعـد زيـارة العـراق تغييـر الاوضاع في سورية، فانه دعم مع حلـف بغـداد والولايـات المتحـدة كميل شمعون في قمعه المعارضة الوطنية وتزوير الانتخابات.

كانت المعركة الانتخابية في لبنان على اشدها، وقـد دعـت جبهة الاتحاد الوطني اللبناني الى اغلاق المدن والتظاهر لاسقاط الحكومة احتجاجا على سياستها الخارجية والعربية، وتدخلها فـي الانتخابات لمصلحة هذه السياسة، وخلال تظاهر الشعب في كـل احياء بيروت وقعت معارك دامية بين قوات الامن وبين المتظاهرين، كما حصلت الصدامات ذاتها فـي المـدن الاخـرى، وكانـت الحصـيلة عـدد مـن القتلـى والجرحـى ومئـات المعتقلـين فتسـلم الجـيش مسؤولية حفظ الامن، بينما اتهمت الحكومة اللبنانية سورية بهـذه الاحداث... فعقدت جبهة الاتحاد الوطني مؤتمرا صحافيا حضره عبد الله اليافي، فؤاد عمون، نسيم مجـدلاني، صـبري حمـادة، معـروف سعد، هاشـم الحسـيني، كامل الاسـعد، وقـد فنـد الاسـتاذ حميـد فرنجية افتراءات شمعون قائلا:

"ان المعارضة دعت الى التظاهر لتحقيق امر دستوري وهو الطلب مـن رئـيس الجمهوريـة اسـتلام صـلاحياته لاقالـة الحكومـة غيـر الموثوقـة وغيـر النزيهـة، ورد علـى مـزاعم الحكومـة التـي اتهمـت سورية بتدبير مؤامرة على الوضع في لبنان قائلا:

"ان التهويل بالخطر السوري اسلوب بال وطبل مفخـوت، وقـد اصـبح توجيه الاتهامات حجـة واهيـة يمكـن لمكـارثي ان يبنـى عليهـا مجـدا سياسيا في الولايـات المتحـدة ولكـن لـيس لهـا رواج فـي الاسـواق اللبنانية".

وقد استدعى الملك سعود خلال معارك لبنان الدامية الحاج حسين العويني وصائب سـلام وعبـد الله اليـافي الـى عمـان اثنـاء

زيارته لها، وابلغهم انه يهمه ان يعود الصفاء الى لبنان وطلب اليهم مهادنة كميل شمعون في الوقت الحاضر.

هزت وحشية الحكم في قمع المظاهرات الشعبية الوجدان اللبناني وكانت موضع احتجاج شديد سواء من مفتي المسلمين او من قبل بطريرك الموارنة، وقد وقف كلاهما بجانب الشعب ضد حكومة كميل شمعون، وظل لبنان خلال اكثر من عشرين يوما مسرحا لاحداث دامية اثناء تزوير الانتخابات النيابية كان آخرها وقوع 18 قتيلا و25 جريحا في معركة رهيبة بالمدافع الرشاشة في كنيسة مزيارة في منطقة زغرتا استمرت عدة ساعات بين آل فرنجية وآل الدويهي المؤيدين لكميل شمعون وبالرغم من ذلك فقد نجح بالنيابة الاستاذ حميد فرنجية ورنيه معوض وسقط مرشحو الحكومة في زغرتا وطرابلس.

عودة القوتلي الى دمشق

بقي القوتلي في القاهرة بحجة التداوي والفحوص، كما اسلفنا، طيلة وجود الملك سعود في عمان، وقد ابلغ القوتلي الحكومة، قبل سفره للقاهرة انه مزمع على اقناع جمال عبد الناصر بالموافقة على عقد مؤتمر للملوك والرؤساء العرب.

لقد عارضت انعقاد هذا المؤتمر الذي يرمي الى استجرار سورية، وكان خالد العظم واركان التجمع يقفون الى جانبي، وقد اشترطت لقبول انعقاده ان تذاع في نهايته جميع المحادثات والمناقشات التي جرت فيه على الرأي العام العربي، واتصلت بالسفير المصري محمود رياض ونقلت اليه وجهة نظر الحزب والتجمع ونبهته الى خطورة هذا المؤتمر، وكان محمود رياض مقتنعا بوجه نظرنا.

وهكذا ذهب القوتلي الى القاهرة وهو مزود سلفا بالفشل في مهمته مع الرئيس جمال عبد الناصر، ولما عاد الى دمشق حوالي منتصف حزيران 1957 ابلغ الحكومة فشله في مساعيه فأعلنت.

"ان فكرة عقد مؤتمر يضم رؤساء وملوك العرب قد طويت لان عبد الناصر لا يقر عقد مثل هذا الاجتماع الا اذا كانت ظروف سورية القومية تقتضيه ولان الحكومة السورية ترى انها يمكن ان توافق على عقد مثل هذا الاجتماع بشرط مسبق هو اذاعة بيان مفصل على الشعب يوضح فيه ما جرى في المؤتمر من ابحاث بصراحة تامة سواء اكانت سلبية ام ايجابية لان مجرد عقد اجتماع للرؤساء والملوك واذاعة بيان غامض لا يوضح الحقائق للشعب هو الذي يبتغيه الملك سعود لانه يتفق مع المهمة التي تعهد بها للرئيس ايزنهاور".

كانت محاول تطويق الوضع في سورية والاطاحة بحكومة التجمع محكمة وذكية وباستخدام جميع الوسائل. استغلت مثلا بعض دوائر وزارة المالية الغموض في احدى مواد قانون الانتاج الزراعي وامرت جباتها باستيفاء ضريبة الانتاج الزراعي عن مؤونة الفلاحين الفقراء، وقد كانت مؤونة الفلاح دوما معفاة من الضريبة حتى في عهد "الميرة" خلال الحرب العالمية الثانية، فأحدث استيفاؤها ضجة كبرى في اوساط الفلاحين الفقراء، فاضطررت لان ابذل جهدا كبيرا لتوقيف استيفاء هذه الضريبة ريثما يتم تفسير القانون من قبل مجلس النواب، وفي الوقت نفسه كان الاخوان المسلمون والفئات الرجعية يصدرون البيانات والمنشورات ويدعون الى الاضراب والتظاهر في مدينة حماة وغيرها من المدن السورية.

□

بعد ان شعر الملك سعود باخفاق مساعي القوتلي في سورية ومصر، شرعت الحكومة السعودية بافتعال الازمات مع سورية فمنعت دخول السيارات السورية المحملة بالبضائع والخضار الى السعودية رغم وجود اتفاقية تجارية بين البلدين، كما منعت سفر الحجاج السوريين عن طريق العقبة، كما اتخذت من تعليق خالد العظم على البيان السعودي الاردني الذي صدر بعد زيارة الملك سعود الى الاردن بتاريخ 13-6-57 ذريعة لاحداث ازمة حادة مكشوفة مع سورية، فأذاعت السعودية تصريحا لناطق

رسمي قالت فيه ان المصالحة بين الملك سعود وملك العراق اعمت بصيرة خالد العظم لانه يريد ان تظل الدول العربية ممزقة وفقا لشهواته، وان اللغة التي تكلم بها العظم لم يتكلم بها احد قبله ضد الملك سعود الا الشيوعيون وبهذا اثبت انه احد الناطقين بلسان الشيوعية والعاملين لخدمتها في سورية وان خالد العظم قضى سنوات وهو يتسكع على قدمي سعود ويضع نفسه بخدمته.

□

بعد ان بلغت الامور هذا الحد من التأزم بين سورية والسعودية هدد القوتلي بترك البلاد فأذاعت الامانة العامة للقصر الجمهوري ان الرئيس شكري القوتلي سيتوجه الى سويسرا خلال الايام القريبة القادمة اتماما للفحوص والتحاليل التي اجراها في الاسكندرية! ولم تقف الازمة عند هذا الحد فقد طلب الملك سعود من سفيره ان يغادر دمشق فأغلقت السفارة السعودية ابوابها، واشاع السفير السعودي قبل ذهابه ان السعودية تفكر باخراج السوريين من اراضيها، وقد علقت الصحف السورية على ذلك بأنه حلقة جديدة من حلقات الضغط السعودية في محاولاتها لاسقاط حكومة التجمع، ولما فشلت لجأت الى حركة احتجاجية عنيفة لتظهر بمظهر المعتدى عليه، مع ان سورية هي المعتدى عليها بدليل ان موفد الملك سعود الشيخ يوسف ياسين قد جاء الى دمشق ليدبر المؤامرات ويحث على اسقاط الحكومة واقامة حكومة اخرى تتبع السياسة الاميركية، وكان يحرض بعض السوريين للتخلي عن سياسة الحياد الايجابي، ويقول بتأليف كتلة اسلامية تدخلها سورية وغيرها من الدول العربية عدا مصر.

كان موقف الاستاذ صلاح البيطار ضعيفا بينما كان الامر يتطلب موقفا صلبا، وفي ليل 22 حزيران دعاني خالد العظم الى منزله فوجدت عنده الاستاذ صلاح البيطار وبعض الوزراء فأخبروني بأن الشيخ يوسف ياسين وزير الخارجية السعودية بالوكالة ابلغ القائم بأعمال السفارة السورية في مدينة جدة ان المملكة لا ترى حلا للازمة بين البلدين الا اذا رفع مجلس الوزراء السوري الى

الملك سعود اعتذارا رسميا يتضمن ان تصريح خالد العظم الذي علق به على البلاغ السعودي الاردني لا يمثل رأي الحكومة، وان الحكومة السورية واثقة من خدمة الملك سعود للقضايا العربية، كما لمح الشيخ يوسف ياسين الى ضرورة اغلاق بعض الصحف السورية التي انتقدت السياسة السعودية ونصح "شخصيا" بادخال تعديلات على حكومة التجمع القومي.

كان رئيس الجمهورية شكري القوتلي قد عقد قبل ذلك اجتماعا مع الحكومة وفهم من توجهاته المبطنة ضورة القبول بمطالب الملك سعود لحل الازمة مما اثار خالد العظم واعتبر ذلك ماسا بكرامته وطعنا بسمعته. وقد دهشت حقا ان يبلغ استخفاف الملك سعود بالنظام السوري هذا المستوى، **ومن الحق ان نقول ان مسؤولية ذلك لا تقع على عاتق القوتلي وحده بل يشاركه بهذه المسؤولية العديد من الساسة السوريين - في مختلف العهود - الذين كانوا يتلقون عطاءات الملك سعود.**

كان خالد العظم وبعض الوزراء يعتبرون - عن حق - قبول سورية بشروط الملك سعود لا يمس كرامة الحكومة وكرامة البلاد فحسب بل هو انقلاب حقيقي على خط سورية التقدمي ونهجها السياسي الديموقراطي وكانت الجبهة الوطنية المؤتلفة التي اوعز بتشكيلها الشيخ يوسف ياسين من حزب الشعب والكتلة الدستورية وبعض رؤساء العشائر يبالغون ويهولون بالاضرار التي ستلحقها السعودية بالاقتصاد السوري، وهذه الاضرار ليست بحقيقتها كبيرة ولا يمكن ان تكون عامل ضغط سياسي في الاحوال العادية، ولكنها تساهم في حالة الحصار الاقتصادي الذي ضربه الغرب على سورية في تشديد هذا الحصار وهو الامر الذي بدأت السعودية في تنفيذه قبل نشوب الازمة. ومهما يكن الامر فانني ابلغت الحكومة انه لا يمكننا ان نقبل بحال من الاحوال مجرد البحث في شروط الملك سعود، وانه من الواجب ان نرد عليها ردا يليق بكرامة سورية ولكن الحكومة لم تأخذ تماما بموقفي وموقف الحزب بل قررت بضغط من القوتلي وضعف من

الاستاذ صلاح البيطار وبعض الوزراء ان الكتاب الذي سبق للاستاذ العسلي توجيهه للملك سعود يعتبر كافيا بهذا الخصوص، وكان كتاب العسلي السابق للملك لا يخرج عن تمنيات الحكومة السورية ورغبتها في اقامة اوثق العلاقات مع الحكومة السعودية على الاسس التي تخدم القضية العربية.

وقد كتبت في جريدة البعث بتاريخ 28- 657 مقالا بعنوان "سورية ليست مزرعة لاحد" تحدثت فيه عن الدور الذي كانت تقوم به السعودية في سورية والمنطقة العربية وفيما يلي بعض مقاطعه:

"منذ بضعة ايام قال وزير الخارجية السعودي الشيخ يوسف ياسين للقائم بالاعمال السوري في جدة، بمعرض حملته على سورية: "ان بلادكم تمر بأزمة اقتصادية وسيعلم المسؤولون فيها مغبة اعمالهم" مشيرا بذلك الى سعيه الحثيث لقطع العلاقات مع سورية كحلقة من حلقات الضغط الاقتصادي الذي يشنه الاستعمار الاميركي على سورية"

"ان الشيخ يوسف ياسين اخذ حريته التامة في العمل على احداث انقلاب وتبديل الحكم القائم بحكم اخر يتفاهم مع الاستعمار الاميركي ويطبق مبدأ ايزنهاور، ذلك المبدأ الذي يقوم على استعمار البلاد العربية لمصلحة اميركا واسرائيل. وبالرغم من الادب والتهذيب الذي قوبلت به تصرفاته، فانه قد رجع حانقا غاضبا لانه لم يتمكن من تحقيق اغراضه".

"ما كنا في يوم من الايام قساة على تصرفات المملكة العربية السعودية، بل كنا نميل الى جانب التبرير والاشفاق نظرا لاوضاعها الخاصة وبالرغم من تجديد اتفاقية الظهران وقبول المساعدات التي هي انحياز كامل للغرب، فاننا كنا نعتقد بان جلالة الملك سعود سوف لا ينجر في اجتماع واشنطن الى ابعد من هذا الحد:.

"والذي يحزننا بعد عقد معاهدة التضامن العربي، وبعد المؤتمرات التي اعلنت فيها ارادة الشعب العربي في الحرية والوحدة والحياد الايجابي ومقاومة الاستعمار والصهيونية، هو ان يتمكن الاستعمار

الاميركي من تقويض هذه الاتفاقية، ومن العبث بالشعارات العربية التحررية التي غذاها الشعب بدمائه ودموعه، وبالرغم من حزننا العميق هذا نقول واثقين بان ارادة الشعب العربي هي التي ستنتصر في جميع الاقطار العربية، وان الاوضاع الزائفة التي اقامها الاستعمار سوف تنهار بضربات الشعب، واذا كان الاميركيون يظنون ان هذه الاوضاع يمكن تدوم بالرشاوي التي تبذل لافساد الضمير العربي، وبالتهديد والوعيد والضغط الاقتصادي، فانهم قد ضلوا ضلالا بعيدا، واذا كانوا يظنون انهم باسطورة انتشار الشيوعية يجعلون العرب يخضعون للاستعمار الغربي واسرائيل فانهم يكونون ابعد ضلالا واكثر خيالا.

واننا نقولها بصراحة للشيخ يوسف ياسين، ان سورية ليست مزرعة له ولا لاسياده، واننا نعتبر ان مطالبته بتبديل الحكومة بغيرها هي اساءة لكرامة الامة العربية وكرامة سورية لا تتلاءم مع ادنى متطلبات اللباقة الدبلوماسية، وان الشعب العربي في سورية تأبى عليه عروبته وانسانيته ان يتزحزح قيد انملة عن الطريق العربي التحرري السوي، وان انتصاراته القومية ستعم حتما جميع الاقطار العربية التي ما تزال رازحة تحت نير الاستغلال والاستعمار".

1957: صيف حار في سورية والعالم العربي: اندلاع الثورة على بريطانيا في عمان- الاقطاعيون يعتدون على الفلاحين في مدينة المعرة، وتهريب السلاح الى الارهابيين في سورية - ردود الفعل في سورية على سياسة الملك سعود والامير فيصل يعتبر تلك السياسة خروجا على سياسة المملكة التقليدية - سورية تعقد الاتفاقية الاقتصادية والعسكرية مع الاتحاد السوفيتي.

ثورة عمان

تأججت ثورة عمان في شهر تموز 1957 عندما انطلق غالب بن علي شقيق السلطان من السعودية على رأس 150 مقاتلا فاحتل نزوة واضطر السلطان الذي نصبه البريطانيون الى الهرب...

كنت قد شاهدت في السابق التعبئة النفسية والاعلامية في السعودية بالنسبة لقضية البريمي، عندما زرت السعودية عام 1956 مع الوفد السوري البرلماني، كما تعرفت على محمد الحارثي الذي كان مديرا لمكتب امانة عمان في القاهرة.

كان الخلاف بين السعودية وبريطانيا على واحة البريمي خلافا اميركيا بريطانيا على البترول - وبالتالي عربيا - ومع ذلك فقد كنا نعتبر هذا التناقض الاستعماري يفيد قضية التحرر في الخليج العربي.

زارني الحارثي مندوب ثورة عمان في منزلي بدمشق وطلب مني مساعدة الثورة، فأبديت له استعداد سورية لدعم ثورة عمان، فقال اننا بحاجة الى المال والسلاح والاطباء.

كانت السعودية اقدر من سورية ومصر على اسداء هذه المساعدات نظرا لجوارها مع عمان وامكاناتها المادية الواسعة، اما التأييد السياسي والاعلامي فقد كان بالغا اوجه في سورية، ومع ذلك فقد بحثت مع الحكومة هذا الموضوع، وفي مؤتمر صحافي

اعلـن الاســتاذ البيطـار عـن اسـتعداد سـورية لمـد الثـورة بالمـال والسلاح والمساعدات.

ومن الطريف ان اذكر انني سـمعت لاول مـرة فـي المقابلـة مع الحارثي ان شعب عمان من سلالة الخوارج، قال الحارثي ذلـك بتردد، فقلت له ان تراثنا لا يزال يحيا بـين جوانحنـا، وسـررت كثيـرا من هذه المعرفة، فلقد سجل الخـوارج اروع صـفحات البطولـة فـي سبيل المبدأ، وكان من جملة مبادئهم ان **الخلافـة لا بـد ان تـتم عن اختيار حر، وان العمل جزء من الايمان.**

كانت منهم غزالة الحرورية التي "خرجت" مـن الموصـل مـع زوجها على الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان، والتي اشـتهرت بشجاعتها وفصاحتها وبأن الحجاج قد تحصن عندما ارادت بجيشـها ان تدخل مدينة الكوفة فعيره عمران بن حطان بشعره الذي ذهـب بعض ما فيه مثلا:

"هلا بـرزت الـى غزالـة فـي الـوغى؟" "اسـد علـي وفـي الحـروب نعامة؟"

استشـهدت غزالـة علـى ابـواب الكوفـة وهـي تقاتـل وترجـز بشعر احدى الخارجيات:

احمل رأسا قد مللت حمله

وقد مللت دهنه وغسله

الا فتى يحمل عني ثقله؟

□

لعل من اسباب اندفاع الملك سعود في تأييد مبـدأ ايزنهـاور هو اعتقاده بأن ذلك سيضمن له تأييد الولايـات المتحـدة فـي ضـم واحة البريمي الى السعودية، ولكن الواقع كان عكـس ذلـك، اذ ان استسـلام سـعود للولايـات المتحـدة قـد اطلـق يـدها فـي ترتيـب اوضاعها وتنسيقها مع بريطانيا فـي المنطقـة العربيـة، ولا شـك ان الخلاف على واحة البريمي كـان موضـع بحـث فـي مـؤتمر برمـودة بين ماكميلان وايزنهاور، وقد سويت هذه القضية كما سويت جميع

مشـاكل منطقـة الخلـيج العربـي الاخـرى، وعنـدما تقـدمت الـدول العربية بطلب ادراج قضية عمان فـي جـدول اعمـال مجلـس الامـن امتنعـت الولايـات المتحـدة عـن التصـويت (مجاملـة للسـعودية) واوعزت للدول السائرة في فلكها ان تصوت بجانب بريطانيا، وهكـذا سـقطت القضية ولم تعرض امام مجلس الامن..

لقد استخدمت الولايات المتحدة المملكة العربية السـعودية لدعم ثورة عمـان ضـد البريطـانيين وكـان ذلـك مترافقـا مـع الصـراع البريطاني الاميركي على واحة البريمي الغنيـة بـالبترول كمـا كـان ذلك وسيلة لامتداد النفوذ الاميركي الى مشيخات الخليج.

ومـن المفيـد هنـا ادراج بعـض المقـاطع لـرجلين احـدهما بريطاني والاخر اميركي مما يوضح بعض جوانب ثورة عمان:

كتب المعلق الاميركي المشـهور والتـر ليبمـان مقـالا بتـاريخ 24 تموز في جريدة نيويورك هيرالد تربيون جاء فيه:

"انني لا ازال اذكر بوضوح التناقض الشديد الذي بدأ في السـنة الماضـية بـين الاعتدال والهدوء اللذين اتصف بهما بحث الملك سـعود للنـزاع حـول البريمـي، وبين المرارة التي تظهر في بحث الامير فيصل لهذا النـزاع، ولكـن سـواء اكـان للملك سعود ضلع في ازمة عمان منذ بدئها، ام ان ثورة عمان اثيـرت بتحـريض الاخرين، فالحقيقـة هـي ان للملـك ضـلعا فيهـا الان، وامـام عمـان (السـلطان غالب) الذي يقود القبائل الثائرة امضى مدة اقامته في النفي في بلاط الملـك سعود وان الثورة العمانية تعتبر بوجه عام من صنع المملكة العربية السعودية"

وكتب ناتينغ في المجلة ذاتها مقالا حول العدوان البريطـاني على عمان (ناتيغ هو وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية في حكومة ايدن الذي استقال من منصبه ابان العدوان على مصر).

وقد جاء في مقاله ما يلي:

"ان هذا القتال الناشب في عمان يدفع بالملك سعود الى معسكر جمال عبد الناصر، كما انه يسبب حرجا للملـك حسـين ويـوفر سـلاحا للدعايـة المعاديـة للغرب، وهو فوق كل هذا يؤذي اصدقاءنا ويساعد اعداءنا" "لقد قلت مـن قبـل نتيجة لملاحظاتي الشخصية عن كثب ان بريطانيا لا تستطيع ويجب الا تحاول

ان تمارس كل مسؤوليات الدفاع عن مشيخات الخليج (الفارسي) ودعم النظام الذي يعتمد عليه حكام هذه المشيخات.

وليس هناك سوى حل واحد وهو تدويل مسؤولية الدفاع عن الخليج (الفارسي) ودعوة سعود للانضمام، وانني مقتنع نتيجة محادثاتي الطويلة مع الملك سعود في الرباط في شهر نيسان الماضي ان الملك سعود لن يرفض هذه الدعوة، فقد وافقني كل الموافقة اثناء حديثي معه على ان مصلحة المملكة العربية السعودية ومصلحة بريطانيا على السواء ان يسود السلام منطقة الخليج (الفارسي) وان "الشيوعيين" وحدهم الذين يستفيدون من هذا النزاع وكانت شكواه من بريطانيا بسبب البريمي هي ان بريطانيا تصرفت تصرفا تعسفيا استبداديا بطرد المملكة العربية السعودية من البريمي، اذن كيف يرفض الملك سعود الانضمام الى اتفاقية خماسية لضمان السلام في منطقة الخليج (الفارسي) تشترك فيه بريطانيا والولايات المتحدة وايران والعراق؟.

انه لا يمكن القول انه فات اوان السعي لمثل هذه التسوية لهذه المنطقة العظيمة الاهمية لبريطانيا والولايات المتحدة والعالم الغربي بكامله، كما انه لم يفت الاوان لكي تسعى بريطانيا والولايات المتحدة لوضع سياسة تتفق عليها بالنسبة للخليج (الفارسي)، وانني امل وارجو ان تنجح سياسة كهذه في محادثات دالاس ماكميلان"

وقد برر ناتينغ هذا الاتفاق مع الولايات المتحدة امام الرأي العام البريطاني بقبوله:

"في هذا الزمن الذي تزداد فيه قوة القومية العربية بسرعة تفوق سرعة انخفاض موازنة الدفاع البريطانية فهذه اللعبة (يقصد الثورة) لا بد لها ان عاجلا او اجلا، ان تنتهي بفوز اللصوص".

□

بدأ شهر تموز من عام 1957 هادئا نسبيا في سورية الى ان وقعت بعض الحوادث المنذرة بالشر، فقد حدثت فتنة دامية في بلدة المعرة لان الاقطاعي بهجت الحراكي رأى في احدى قراه صورة لي معلقة في دكان انسان شعبي اسمه خالد الحركاوي

فطلب منه ان ينتزعها ولكن الحركاوي رفض ذلك، فذهب الحراكي الى قصره وعاد مسلحا ممتطيا جوادا فأطلق النار على الحركاوي وارداه قتيلا، وعندما حاول عمر جمعه ان يمسك بزمام حصانه عاجلة برصاصة فأرداه قتيلا ايضا، وحاول شقيق القتيل ان يذهب للمعرة لتقديم الشكوى فتصدى له هيثم الحراكي وطعنه بخنجر في ظهره، وقد اثارت جرائم هؤلاء من عائلة الحراكي جماهير الشعب في بلدة المعرة فهاجموا منازل عائلة الحراكي فتدخلت قوى الامن والقت القبض على هيثم الحراكي بينما فر بهجت الحراكي الى جهة غير معلومة.

وفي هذا الشهر ايضا اكتشفت السلطات السورية حركة تهريب للسلاح على نطاق واسع من لبنان الى سورية عن طريق قضاء تلكلخ فألقي القبض على افراد من عشيرة العقيق كما القي القبض على علي حيدر من جماعة الشيشكلي وعلى بعض اعضاء الحزب السوري القومي وهم يتسللون من لبنان الذي اصبح مركزا يتسلل منه الارهابيون الى سورية.

□

احدثت سياسة الملك سعود نحو سورية ردود فعل لم يكن يتوقعها عندما اقدم عليها، فقد اعتبر الامير فيصل تقرب اخيه من حلف بغداد وعدائه لسورية ومصر بهذا الشكل خروجا على سياسة المملكة التقليدية التي ارسى اسسها والده عبد العزيز، وقد كتب جوزيف ألسوب في الهيرالد تريجيون وهو من كبار المعلقين ومن رجال المخابرات الاميركية:

"ان الظروف التي احاطت بالقرار الحاسم الذي اتخذه الملك سعود ما تزال بالرغم من مرور تسعة اشهر محاطة بالغموض ومن المؤكد ان شقيقه وولي عهده فيصل لم يحبذ ذلك التبدل العظيم في السياسة السعودية.

كان من نتيجة هذه المقاومة للسياسة الجديدة ان اضطر الملك سعود، في مطلع شهر حزيران ان يستدعي موفق العلاف القائم بأعمال السفارة السورية وان يظهر له شعوره الطيب نحو

سورية، ويحمله بعض الملاحظات على الرسالة الشفوية التي تلقاها من الحكومة السورية.

عاد الملك سعود من واشنطن، كما ذكرنا سابقا، متحمسا لمبدأ ايزنهاور، يحمل منه تفويضا بزعامة المنطقة بدلا من عبد الناصر، مضافة الى ذلك اغراءات مالية كبيرة، وكان سعود يعاني من ازمة مالية، نظرا لبذخه وانفاقه المال على نزواته وبناء القصور، ولم تكن عائدات المملكة من النفط كافية لسد العجز، كما كان في هاجس من مزاحمة اخيه فيصل على الملك، ولكنه ما ان تورط بتصرفه تجاه الوضع الديموقراطي في سورية حتى انهارت سمعة السعودية انهيارا ذريعا في سورية خاصة والبلاد العربية عامة ولم ينفعه انتقاد دالاس وزير الخارجية الاميركية سورية ومصر لانهما لم تدفعا المعونة المالية للاردن، والثناء على السعودية لانها وفت بالتزاماتها للملك حسين عندما اعلن ان الولايات المتحدة دفعت مجددا 20 مليون دولار تعويضا للاردن عن المساعدة السورية المصرية، وان الولايات المتحدة راغبة في احياء مشروع مياه جونستون لاستثمار مياه نهر الاردن استثمارا مشتركا بين اسرائيل والاردن الذي لم يتحقق.

وكان لخذلان الملك سعود في سورية وتظاهره بالتراجع اثر كبير على اتباعه وجماعته، فتظاهروا هم ايضا بالتراجع عن معارضتهم العنيفة للوضع، وبدأوا شيئا فشيئا يتظاهرون بتأييد السياسة العربية التحررية، وكان لموقف الولايات المتحدة العدائي من القضايا العربية اثر كبير في انهيار نفوذها ونفوذ الغرب، كما كان ذلك دافعا ومثيرا لتأجج الروح الوطنية واندفاعها، وكانت قضايا الجزائر وحرية الملاحة في خليج العقبة وثورة عمان والاتحاد مع مصر موضع تركيز واهتمام القوى الوطنية خلال شهر تموز عام 1957 وهكذا تقدم سفراء الدول العربية في واشنطن في مطلع شهر تموز بمذكرة للحكومة الاميركية يطلبون فيها ارسال لجنة دولية للتحقيق في الفضائح التي ترتكبها القوات الفرنسية في الجزائر، والكف عن تزويد فرنسا بالمساعدات العسكرية، والتوقف عن تأييد اسرائيل في مطامعها في خليج العقبة، فكان جواب

وزارة خارجية الولايات المتحدة على المذكرة العربية انها ستواصل مد فرنسا بالاسلحة باعتبارها عضوا في حلف الاطلسي، وانها لا تزال تعتبر مياه خليج العقبة مياها دولية، وانها ترى وجوب السماح للسفن الاسرائيلية بحرية المرور.

كان هذا الجواب موضع احتجاج الدول العربية ونقمة الشعب العربي في مختلف اقطاره، فقد علق علي صبري مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر على الموقف الاميركي بقوله: "لقد اعترفت اتفاقية القسطنطينية عام 1888 بحق العرب في مياه خليج العقبة وسجل هذا في نصوص الاتفاقية، فالخليج من الناحية الجغرافية مغلق ومياهه الاقليمية خاضعة للسلطان الملاحي للدول العربية الواقعة شواطؤها عليه، وقد نصت المادة العاشرة من اتفاقية القسطنطينية المذكورة على ان احكام هذه المعاهدة لا تسري على البلاد العربية الواقعة على الشاطىء الشرقي من البحر الاحمر الى الحجاز حيث توجد الاماكن الاسلامية المقدسة وذلك لتأمين سلامة البلاد الاسلامية وكفالة حرية المرور لقوافل الحجاج المسلمين في خليج العقبة."

كما علق الاستاذ صلاح البيطار في مؤتمر صحفي قائلا:

"ان قضية خليج العقبة اليوم من اخطر القضايا التي تهدد المصالح العربية تهديدا مباشرا، فاسرائيل تريد وضع العالم امام الامر الواقع بممارستها حق المرور في الخليج، وقد كانت الولايات المتحدة اسرع الحكومات لتأييدها في اعلان الخليج ممرا دوليا متناسية المبادىء الدولية الاساسية التي تثبت ان مياه هذا الخليج مياه اقليمية عربية، ان خليج العقبة هو طريق الحجاج الى مكة المكرمة وسعة الخليج لا تزيد عن تسعة اميال ومداخله خاضعة لحكومتي مصر والمملكة العربية السعودية، والمداخل التي تقل سعتها عن اثنتي عشر ميلا تعتبر مياها اقليمية"

وكنا نعتبر في تلك الظروف ان اغلاق الخليج في وجه الملاحة الاسرائيلية لا يمكن تحقيقه الا بموقف السعودية الصلب تجاه الولايات المتحدة وبالاتفاق مع مصر والدول العربية الاخرى،

ولكن الملك سعود عاد بعد زيارته للولايات المتحدة مبشرا بمبدأ ايزنهاور، بحجة مقاومة الشيوعية، مما فرق وحدة الصف العربي، ومع ان الملك سعود قد عمد في جميع بياناته التي اصدرها الى اثارة موضوع خليج العقبة فقد بدا ذلك يظهر وكأنه تعريض بجمال عبد الناصر.

في الرابع من شهر تموز طار المشير عامر الى المملكة العربية السعودية وقد املت الاوساط العربية خيرا من هذه الرحلة.

"ان الرأي السائد في تفسير هذه الرحلة ان جمال عبد الناصر يريد ان يعرف على الضبط الموقف الحالي للملك سعود من السياسة العربية التحررية، وتعتقد الاوساط العربية ان هنالك اسبابا كثيرة تدعو الملك سعود الى ان يعيد النظر بموقفه، بعد ان رأى رد الفعل العنيف الذي احدثه انحرافه السياسي على سمعة السعودية في البلاد العربية، وشعر ان الحكومة الاميركية قد وجهت اليه لطمة قوية عندما اهملت مذكراته بشأن خليج العقبة وايدت باطل اسرائيل في استخدام مياه الخليج وتهديد الشواطىء السعودية" (الرأي العام 7/5)

ثم صدر البلاغ الرسمي السعودي عن رحلة المشير عامر وجاء فيه:

"ان الملك وافق القائد العام على ما عرضه لانه جاء طبقا لما كان متفقا عليه في مقررات القاهرة والدمام والرياض"

كان مفهوما لدينا ان رحلة المشير عامر كانت حول موضوع حرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة وقد ظهر ذلك في الخطاب الذي القاه الشيخ يوسف ياسين نيابة عن الملك سعود خلال الحج "فأكد فيه على حق العرب بخليج العقبة وتحدث عن التهديد الاسرائيلي لشواطىء السعودية وطريق الحج الاسلامي وطمن المسلمين ان الملك سعود يعالج هذه القضية الان بالوسائل السلمية، وانه اذا لم ينفع الاخذ بالسلم كان لا مناص من دعوة سائر العرب والمسلمين وكل دولة تحب السلم لمساعدة السعودية بدفع هذا الخطر" وقد تحاشى الخطاب ان يذكر مساندة الولايات المتحدة لاسرائيل في تهديد طريق الحج

ولكنه فطن الى تحذير الاخوة المسلمين من دعاة المبادىء الهدامة [1]

وقد اجاب دالس في مؤتمره الصحفي الذي عقد في منتصف شهر تموز حول هذا الموضوع عندما سئل عنه:

"الست خائفا من شحنة الطائرات النفاثة من مصر الى السعودية ومن الدلائل الاخرى التي تشير الى ان مصر تحاول استخدام السعودية ضد اسرائيل بالنسبة لخليج العقبة؟

"ان هذه القضية تستحق امعان النظر، ولكن لا يوجد اي سبب يحملنا على الاعتقاد بأن العلاقات التي اقمناها مع الملك سعود - وخاصة يوم كان هنا - قد تغيرت رغما عن وجود خلاف في الرأي حول الصفة الدولية لخليج العقبة... ان الاقطار العربية تعتقد ان المياه الاقليمية تمتد ستة اميال بدلا من ثلاثة، ونظرا لان مركز اسرائيل في خليج العقبة لم يحدد بأية حدود دائمية فانه لا حق لاسرائيل بالادعاء بحق الدخول الى الخليج وان الدول التي لها حدود دائمة على الخليج هي مصر والسعودية والاردن وهي تعتقد ان لها الحق في اقفاله فيما اذا اتفقت على ذلك، **يوجد هنالك بعض القبول لهذا الادعاء - من وجهة نظر القانون الدولي - وهذ لا يمثل وجهة نظر الولايات المتحدة، ونحن لا نعتقد ان وجود خلافات من هذا النوع سيحدث اي تغيير سياسي في علاقاتنا..."**

وقد كتبت في جريدة البعث بتاريخ 1957/7/5 مقالا حول اهداف الولايات ورد فيه:

استلمت امريكا بصورة تامة زمام المبادهة في التخطيط والتنفيذ للاغراض الاستعمارية الغربية والاسرائيلية في الشرق الاوسط لان بريطانيا تخلت عن الزمام بعد ان منيت بالفشل الذريع لهذه الخطط والاغراض الاستعمارية نتيجة العدوان المثلث على مصر.

---

(1) يظهر من مراسلات ايزنهاور الداخلية مع وزير خارجيته دالس انه لم يعد مستعدا لتلقي اشارات الملك سعود بشأن خليج العقبة فقد كتب ضمن توجيهات رئاسية الى وزير خارجيته:
"ان ما افهمه هو ان ما يهم الملك سعود في القضية برمتها هو موضوع عدم التعرض للحجاج المسلمين من جانب اسرائيل، وهذه مسألة تستطيع ان تقدم فيها للملك سعود كل التطمينات والضمانات وقد حان الوقت لكي يركز سعود كل جهده على خطر الشيوعية الدولية (سنوات الغليان - محمد حسنين هيكل - جريدة القبس العدد 1151 تاريخ1988/10/30)

ان تعبير "الفراغ في الشرق الاوسط" الذي ورد في مبدأ ايزنهاور هو عبارة عن تخلي بريطانيا لزمام التخطيط والتنفيذ للاغراض الاستعمارية الغربية والاسرائيلية واستلام امريكا هذه المهمة بصورة تامة، فما هي اذن الاغراض الاستعمارية الغربية والاسرائيلية في البلاد العربية، التي اصبحت امريكا صاحبة الكلمة الاولى في تحقيقها في وطننا؟

للاجابة على هذا السؤال يجب ان نقرر الحقيقة التالية: ان السياسة الاستعمارية الغربية في الوطن العربي على تعاون لا ينفصل مع اغراض الصهيونية العالمية في البلاد العربية. وان امريكا بصورة خاصة مسخرة بالدرجة الاولى لتحقيق مطامع اسرائيل التوسعية في الوطن العربي وان السياسة الامريكية تجاه البلاد العربية لم تتحفظ ولم تكتم هذه الحقيقة في كل المناسبات، بل انها بمناسبة وغير مناسبة تؤكد دعمها المطلق لمطامع اسرائيل التوسعية في البلاد العربية.

وكان اخر ما اعلنته السياسة الامريكية من دعم كامل لمطالب اسرائيل بعد توقف اطلاق النار في بور سعيد وقبل جلاء القوات الفرنسية والبريطانية عنها ان اعلن الرئيس ايزنهاور تبنيه لمطالب اسرائيل بتحقيق الصلح بينها وبين البلاد العربية وتنفيذ مشروع جونستون وتوطين اللاجئين.

وبعد ان تم جلاء الجيوش المعتدية عن بور سعيد وشبه جزيرة سيناء اكد الرئيس ايزنهاور ووزير خارجيته منذ ذلك الوقت حتى الان وما زالا يؤكدان دعم اسرائيل بمطالبها التوسعية وحرية الملاحة بالمياه الاقليمية المصرية والسعودية في خليج العقبة، وحرية المرور في قناة السويس، بالرغم من ان ذلك يخالف القوانين الدولية ويطعن صميم حقوق العرب ومقدساتهم.

نخلص من كل ذلك الى ان مبدأ ايزنهاور الذي اعلنته امريكا بعد فشل العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر هو قلب الاوضاع في البلاد العربية لتحقق اميركا الصلح مع اسرائيل وتنفيذ مشروع جونستون وتوطين اللاجئين ومنح اسرائيل حق المرور في المياه الاقليمية العربية في خليج العقبة والسويس.

هذا فيما يتعلق بتحقيق مطالب الصهيونية العالمية في البلاد العربية في هذه المرحلة من تكوين مملكة اسرائيل على حساب وجود العرب. اما القصد الثاني من مبدأ ايزنهاور فهو ترسيخ النفوذ الاستعماري الاميركي في

الـوطن العربـي وبوجـه خـاص مـن النـاحيتين البترولية والاسـتراتيجية ودعـم الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية، وقد وضع الكونغرس الاميركي 200 مليون دولار تحت تصرف الرئيس ايزنهـاور كـي تنفـق لتنفيـذ هـذه الخطـة في الشرق الاوسط.

ان امريكا كانت مستعجلة جدا اثـر فشـل العـدوان المثلـث علـى مصـر في تنفيذ ما اسمته مبدأ ايزنهاور، فقـد بـدأت بلبنـان، فشـكل الـرئيس كميـل شمعون حكومة سامي الصلح وسلم شارل مالك اخطـر عميـل اميركـي فـي الشرق الاوسط وزارة الخارجية حيث بدأ فور استلامه المنصب باجراء محادثات الصلح مع اسرائيل فكان بذلك اول مارق ظهـر مـن الصـف العربـي آخـذا علـى عاتقه مهمة تهشـيم اقـدس قضـية قوميـة للعـرب عـن طريـق تزعمـه الـدعوة للصلح مع اسرائيل، كما بدأت حكومة لبنان هذه من جهـة ثانيـة باقامـة حكـم يسميه الاميركيـون بـالحكم القـوي اي الـدكتاتوري وذلـك بكـم الافـواه ومحـق الحرية لتحقيق الاغراض الاستعمارية الغربية الاسرائيلية. وهذا ما كلـف لبنـان الشـقيق الضحايا البريئة في الانتخابات المزورة الاخيرة.

اما في سـورية فقد حاول الاسـتعمار الامريكـي ان يسـتغل الانتخابـات الفرعية وانفق الاموال على نطاق واسع، ولما اخفـق حـاول بواسـطة الشـيخ يوسف ياسين اقتحام الجيش السوري، فارتد خائبا يرافق ذلك حبك المؤامرات والدسائس واستغلال شـبكات التجسـس والدعايـة سـيما مـا يتعلـق بالوضـع الاقتصادي في سوريا والتهويل كذبا وبهتانـا بسـوء هـذه الاوضـاع وترديهـا مـن جراء موقف الاستعمار الغربي من سوريا.

فانا اطرح السؤال التالي على بعض التجـار والاقتصـاديين فـي بلادنـا: هبـوا ان مـا تذيعـه مصـادر الدعايـة الاسـتعمارية الاميركيـة مـن ان الاوضـاع الاقتصادية سيئة نتيجة لموقف الـدول الاسـتعمارية الغربيـة مـن سـوريا، فهـل تكون سورية مسؤولة والعروبة عن سوء هـذه الاوضـاع الاقتصـادية، واذا كانـت الحرية ثمنا لسوء هـذه الاوضـاع العـابرة، فهـل يغنـيكم ايهـا المواطنـون التجـار والاقتصاديون ثرواتكم واموالكم شيئا اذا كانت ستقع لقمة سائغة بيد اسرائيل التي يعمـل الاسـتعمار الامريكـي لتحقيـق اغراضـها التوسـعية علـى حسـاب سوريا والبلاد العربية، ليس على حساب اموالكم وتجارتكم وارزاقكم بل علـى حساب وجودكم ووجود اولادكم واحفادكم من بعدكم؟

وثقوا بأن اميركا ستحقق مشروع الصلح بين العرب واسرائيل فور قلب الاوضاع الديموقراطية في سوريا وسوف تنفذ مشروع جونستون وسوف تحقق لاسرائيل حرية الملاحة في المياه الاقليمية العربية المقدسة، هذه هي مطالب اسرائيل من اميركا الان اما الخطوة التالية التي ستكون سهلة المنال قريبة الاجل فهو الانقضاض كليا لتحقيق مملكة اسرائيل من الفرات الى النيل بعد ان تكون اسرائيل بتحقيق هذه المطالب قد امنت توطين 4 ملايين مهاجر يهودي جديد في فلسطين.

ان امريكا تعمل على تقويض الوضع في سوريا معتمدة

اولا: على وسائل الدعاية وتخويف الاوساط الاقتصادية والتجارية.

ثانيا: اعتمادها على بعض الفئات السياسية.

ثالثا: محاولات حبك المؤامرات لقلب الاوضاع بالقوة والعنف.

ونحن واثقون بأن الشعب مستعد لان يجوع دون ان يستسلم للاستعمار الاميركي واسرائيل وان الفئات التي يعتمد عليها الاستعمار لنشر دعايته واضاليله الكاذبة هي فئات مفضوحة امام الشعب، هذا مع اليقين بأن الجيش السوري حصن للعروبة حصين لا يمكن ان يقتحمه الاستعمار ضد حرية العرب وبقائهم وهو الدرع الحامي لحريتهم ووجودهم، اما استخدام الحكومات العربية السائرة في ركاب الاستعمار الغربي لتقويض الوضع في سوريا فان هذه الحكومات اعجز من ان تكبت ثورة الشعب العربي في الاقطار التي تحكمها بالحديد والنار، وسوف يكشف المستقبل كيف ان الشعب العربي سيقوض اركان الخيانة وعملاء الاستعمار في البلاد التي يحكمها بواسطة مأجوريه ويوجه سياستها ضد القومية العربية.

ان موقف امريكا صريح واضح في التصريحات الاخيرة للرئيس ايزنهاور ووزير خارجيته بتسفيه وطعن المملكة العربية السعودية وبدعم اسرائيل بالبوارج العسكرية لتأمين حرية الملاحة للسفن الاسرائيلية.

وهذا ما يفضح خرافة انتشار الشيوعية التي تضعها امريكا ستارا لتنفيذ اغراضها واغراض اسرائيل الاستعمارية في المنطقة العربية.

البعث العربي الاشتراكي لم يكن كتنظيم حزبي بمستوى الانطلاقة الشعبية وتحقيق اهدافها

في الرابع عشر من تموز عام 1957 اذاع الدكتور مدحت البيطار الامين القطري لحزب البعث البيان التالي:

"في الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء في 9-7-57 انعقد مجلس حزب البعث العربي الاشتراكي للقطر السوري بدعوة من الامين القطري الدكتور مدحت البيطار المنتدب من قبل المكتب السياسي للقيادة القومية، وقد تابع المؤتمر جلساته حتى غاية الجمعة في 12-7-57 فناقش تقرير اللجنة التحضيرية للمؤتمر عن الوضع الداخلي للحزب، واقر الخطوط المبدئية العامة للتنظيم الداخلي، ثم ناقش المؤتمر مشروع النظام الداخلي المقدم من قبل اللجنة التحضيرية واقره بصيغته النهائية، كما اقر الخطوات الانتقالية اللازمة لتطبيق النظام الجديد، وقد حضر الاستاذ ميشيل عفلق والاستاذ اكرم الحوراني عضوا القيادة القومية الجلسات الختامية للمؤتمر وانتخب المجلس اعضاء القيادة القطرية الجديدة: جمال اتاسي، عبد الهادي عباس، فوزي عيون السود، عبد الكريم زهور، منصور الاطرش، ادهم مصطفى، علي عدي، جورج صدقي".

هكذا اذيع البيان، اما الذي جرى اثناء انعقاد مجلس الحزب، والنتائج التي اسفرت عنها اجتماعاته فانها تدل على ان تنظيم الحزب وقياداته لم تكن بمستوى الثورة الحقيقية التي اطلقها حزب البعث العربي الاشتراكي، والاسباب تعود الى العلة الدائمة في تنظيمه الحزبي وهي اقتصار مجلسه على الطلاب والموظفين، مما جعله غير مؤهل لقيادة الانطلاقة الشعبية، بالوقت الذي كان فيه العمال والفقراء والفلاحون يمثلون اغلبية قواعد الحزب وقد تحدثت سابقا كيف حيل بينهم - عن عمد- وبين الانتماء الرسمي للحزب، ولست اقصد بهذا القول منطقة حماة وسورية الوسطى فقط لان حركة الفلاحين اصبحت في عام 1957 تشمل جميع انحاء سورية.

لقد جرى انتخاب القيادة القطرية الانفة الذكر باسلوب ادنى بكثير من انتخابات "وتطبيقات" المجالس النيابية التقليدية، ولعل دعوة مجلس الحزب لم تكن بدافع تنظيمي بحت بل كانت لاقصاء بعض القياديين "الشعبين في جبل العرب" لمصلحة منصور الاطرش.

لقد كان الانقسام والتكتل واضحين وجليين حتى بالنسبة لمقاعد المجتمعين خلال اجتماع مجلس الحزب.

كان الوضع محزنا في وقت تهدد فيه المخاطر من كل جانب الاتجاه التقدمي في البلاد، فقد كان الانقسام في قيادات الحزب وفي مجلسه وفي فروعه بالغا اوجه، وقد قاطعت الاجتماعات، ولا ازال اذكر ان عددا كبيرا من الشباب حاولوا اقناعي بضرورة الاستمرار وقالوا انهم ساعين لتسوية الاوضاع وفعلا فقد تمت التسوية وانتخبت القيادة على الشكل الذي ورد في بيان الامين القطري فتمثل اديب النحوي في القيادة بزميله ادهم مصطفى، كما تمثل جناح "الطرشان" في جبل الدروز بمنصور الاطرش وتمثل الاتاسيون وفريق عبد البر عيون السود في حمص بجمال اتاسي وفوزي عيون السود، كما انتخب جورج صدقي حلا للانقسامات الشخصية والطائفية في محافظة اللاذقية، وانتخب عبد الهادي عباس وعلي عدي وعبد الكريم زهور ممثلين للحركة الشعبية والفلاحية في القيادة القطرية.

كان انتخاب هذه القيادة رغم ما رافقه من ملابسات جيدا، بالنسبة لوضع الحزب بشكل عام فقد حاولت هذه القيادة ان تبذل جهودها في سبيل ارساء التنظيم الحزبي.

الحكومة المصرية تنسى دعوة مجلس النواب السوري الى حضور افتتاح مجلس الامة المصري الجديد

كان موعد افتتاح مجلس الامة الجديد في مصر مع اعياد ثورة 23 تموز، وقد استغربنا عدم توجيه الدعوة الى المجلس النيابي السوري لارسال وفد ينوب عنه لحضور حفلة افتتاح مجلس الامة الجديد، بينما وجهت مصر الدعوات الى عدد كبير من الدول الصديقة والصحافيين والمراسلين... وقد اعتذرت السفارة المصرية عن هذا التقصير بكثرة عدد المدعويين وهو عذر غير مقبول ولا ادري من هو السبب حتى الان ومع ذلك فقد شعر مجلس النواب السوري بضرورة تمثيله في جلسة الافتتاح، فألف

وفدا يضم جميع احزاب المجلس السوري وكتله غادر دمشق الى القاهرة يوم 21-7-57.

خصص جمال عبد الناصر في خطابه الذي القاه يوم 23 تموز حيزا كبيرا للتحذير من اي عدوان يوجه ضد سورية:

"ان اي هجوم يوجه الى سورية الشقيقة اليوم هو هجوم موجه الى القومية العربية كلها"

"نحن في مصر لا نستطيع ان ننسى ابدا وقفة سورية حكومة وشعبا معنا في معركة العدوان الثلاثي، ولا غرابة في ذلك فان سورية كانت دوما مركز اشعاع للقومية العربية ونقطة بداية للعمل في سبيل الوحدة العربية"

"مصر التي سجلت في المادة الاولى من دستورها انها جزء من الامة العربية لا يمكن الا ان تتجاوب مع سورية، وترحب بكل مسعى يقرب من هدف الوحدة المنشود"

"يجب ان ندرك ان القومية العربية هي امضى اسلحتنا في الدفاع عن وطننا سواء في ذلك حدودنا المصرية الاقليمية او حدودنا العربية"

"ان ما حدث في سورية العظيمة اثناء العدوان لم يكن مجرد مشاركة في المشاعر وتجاوب في الاحاسيس، بل كان اعمالا عسكرية لها حسابها في احتمالات ميادين القتال، كان نسف انابيب البترول عملا عسكريا، وكان حشد القوات السورية على حدود اسرائيل عملا عسكريا، وحتى التعبئة العاطفية في شوارع دمشق وحلب وحمص وحماة كانت طاقات لها تأثيرها العسكري في ميدان القتال"

كان التناقض يبدو جليا بين اغفال دعوى سورية لحفلة افتتاح مجلس الامة وبين ما ورد من تمجيد لسورية في هذا الخطاب.

كنت متفائلا من انعقاد المجلس الجديد وعودة الديموقراطية الى مصر فصرحت للصحف:

"ان وجود مجلس الامة في مصر سيدخل مشروع الاتحاد المصري السوري في مرحلة التحقيق الفعلي، كما سيضمن للثورة العربية في مصر الرسوخ والديمومة" وقلت:

"ان القضية العربية والوحدة العربية اصبحت قدرا مقدورا ولا مناص للقوى الاستعمارية من التسليم بها، وان العرب يخوضون فعلا اعظم معركة تحررية ضد الاستعمار والصهيونية وان انتصار العرب النهائي سيكون بلا شك انتصارا للحضارة والقيم الانسانية".

□

احتفى الرئيس عبد الناصر بالوفد البرلماني السوري احتفاء كبيرا، فدعى اعضاءه الى وليمة عشاء في داره في الاسكندرية واكد لهم ضرورة قيام الاتحاد كخطوة اولى في سبيل قيام الوحدة العربية وقال:

ان المعركة ما زالت مستمرة في مصر وسورية ضد الاستعمار، وان الاتحاد هو السلاح الذي يمكن البلدين من الصمود في المعركة، ولكن الاتحاد لا يمكن ان يبنى على العاطفة وحدها بل لا بد له ان يقوم على اسس وقواعد متينة وذلك باتخاذ الخطوات العملية لتحقيقه في مختلف النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، وان الحكومة المصرية على استعداد للقيام بالمفاوضات والمباحثات مع الحكومة السورية".

(من تصريح لرياض المالكي بعد عودته من القاهرة وكان ضمن اعضاء الوفد)

وفي تلك الفترة نشرت الصحف المصرية ان مجلس الامة المصري قرر في اول جلسة عقدها بعد جلسة الافتتاح الرسمية (5-8-57) دعوة معروف الدواليبي وعلي بوظو لحضور جلسات المجلس وطلب منهما الاشتراك بالكلام.

كان الوفد البرلماني السوري قد ابدى مثل هذه الرغبة عند وصوله للقاهرة وعندما لم تلب رغبته عاد اعضاؤه من القاهرة بتاريخ 21-7-57 وتخلف عن العودة معروف الدوليبي وعلي بوظو.

كان هذا التصرف البادرة الثانية لعبد الناصر في التقرب من حزب الشعب، وكانت الاولى دعوة رشدي الكيخيا لزيارة القاهرة في المرة السابقة... وقد عللنا آنذاك هذا الموقف تعليلا فيه الكثير من السذاجة وحسن النية فقلنا ان عبد الناصر يحاول ان يجذب حزب الشعب في سورية لفكرة الاتحاد مع مصر، ولم يخطر في بالنا آنذاك، كما ظهر بعد قيام الوحدة، ان ذلك كان استراتيجية لعبد الناصر، ولم يكن تصرفا تكتيكيا عابرا، وقد تجلى ذلك في محاولة القضاء على حزب البعث والقوى الديموقراطية في سورية، الامر الذي ادى الى انهيار الوحدة مما سأعرض تفاصيله في حنيه.

كان عبد الناصر قبل ذلك يؤجل باستمرار البحث الجدي في قيام الاتحاد بين البلدين، وقد استبشرت سورية حكومة ومجلسا وشعبا بحديث عبد الناصر للوفد عن استعداد مصر للدخول بمفاوضات لتحقيق الاتحاد بخطوات متناسقة ومدروسة في المجال السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي، ولكن الامور لم تجر على هذا النحو بل جرت على خلاف ذلك كما سيرد تفاصيله فيما بعد.

الاتفاقيات السورية السوفيتية

انتهت المباحثات السورية السوفيتية في حفل كبير اقامته الحكومة السوفيتية على شرف اعضاء الوفد السوري واذيع البلاغ المشترك التالي:

"من الرابع والعشرين من تموز حتى السابع من آب سنة 1957 زار الاتحاد السوفيتي وفد من الحكومة السورية يرأسه وزير الدولة ووزير الدفاع الوطني في سورية السيد خالد العظم، وفي اثناء اقامة الوفد في الاتحاد السوفيتي استقبله عضو رئاسة مجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفيتي خروشوف ورئيس مجلس وزارء الاتحاد السوفيتي بولغانين، ووزير دفاع الاتحاد السوفيتي جوكوف.

وقد اشترك في المفاوضات عن الجانب السوفيتي نائب رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي كوزمين ونائب رئيس مجلس الدولة للعلاقات

الاقتصادية الخارجية لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي، ونائب وزير المالية في الاتحاد السوفيتي كوسكونوف، ونائب وزير خارجية الاتحاد السوفيتي سيمونوف، ونائب وزير التجارة الخارجية في الاتحاد السوفيتي، ورئيس هيئة الاركان العامة للجيش السوفيتي والاسطول البحري الحربي مارشال الاتحاد السوفيتي سوكولوف، واشترك فيها عن الجانب السوري وزير الدولة وزير الدفاع الوطني السيد خالد العظم، ووزير الاشغال العامة السيد فاخر الكيالي، ورئيس هيئة الاركان العامة اللواء توفيق نظام الدين، ورئيس الشعبة الثالثة لهيئة الاركان العامة العقيد امين نفوري وكذلك سفير الجمهورية السورية في الاتحاد السوفيتي السيد جمال الدين الفرا، وقد جرت المفاوضات في جو من الود والصداقة تبادل خلالها الطرفان بصراحة وبصورة واسعة الاراء حول المسائل التي تهم الاتحاد السوفيتي وسورية، وذلك بروح العلاقات الطيبة الودية القائمة بين الاتحاد السوفيتي وسورية، ووفقا لما يرغب فيه البلدان من توطيد السلام والامن في الشرقين الادنى والاوسط، وقد بحثت اثناء المفاوضات من كل النواحي قضية توسيع وتطوير التعاون الاقتصادي بين البلدين في المستقبل، واتضح ان الحكومة السوفيتية تنظر بتفهم مخلص الى ما تبذله الحكومة السورية من جهود تستهدف تعزيز استقلال بلادها سياسيا واقتصاديا والتغلب بأسرع وقت على مخلفات عهد الاستعمار.

وقد صرح الوفد السوفيتي ان الحكومة السوفيتية رغبة منها في مؤازرة تطوير الاقتصاد السوري وتلبية لرغبات الحكومة السورية، مستعدة للتعاون مع حكومة سورية فيما يتعلق بانشاء سكك حديدية وطرق ومنشآت للري ومحطات كهربائية وبناء مؤسسات صناعية وغيرها من المشاريع وقد تقبل الوفد السوري ذلك بالارتياح واتفق الطرفان على ان يشمل هذا التعاون اجراء اعمال الدراسات الجيولوجية والتحريات والتنقيب ووضع التصاميم وبناء المؤسسات الصناعية وغيرها، وان توفد الهيئة السوفيتية لاجل ذلك الى سورية خبراءها وترسل اليها الاجهزة والمواد غير الموجودة في سورية.

كما اتفق الطرفان على انه في سبيل تحقيق الاتفاق الذي تم فيما بينهما حول التعاون الاقتصادي سيتوجه الى سورية في اقرب وقت وفد اقتصادي من الاتحاد السوفيتي يضم خبراء في الميادين المعنية.

وقد تقرر انه بنتيجة زيارة هذا الوفد سيوقع على الاتفاقية المناسبة بشأن التفصيلات التطبيقية الخاصة بالتعاون الاقتصادي بين الاتحاد السوفيتي وسورية.

وقد وافقت حكومة الاتحاد السوفيتي على ان تنظر بصورة ايجابية في مسألة امكان تقديم اعتماد الى حكومة جمهورية سورية لدفع قيمة اعمال التصاميم والتحريات وقيمة التجهيزات ونفقات الاخصائيين وغير ذلك من انواع المؤازرة الفنية، واما مدى المؤازرة الفنية وانواعها، وكذلك مقدار الاعتماد والشروط التي سيتقدم بها فانه سيحدد بعد ان يهيء خبراء الفريقين التوصيات بشأنها.

واعلن الجانب السوفيتي ان هذا التعاون الاقتصادي والفني سيحقق بدون اية شروط سياسية او ما يماثلها على اساس المساواة وتبادل المنافع وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والاحترام التام للكرامة الوطنية ولسيادة الجمهورية السورية.

وفي سير المفاوضات لمس الطرفان بارتياح ان الاتفاقية بشأن التبادل التجاري والمدفوعات المعقودة بين الاتحاد السوفيتي وسورية في اواخر سنة 1955 قد ساعدت على توسيع العلاقات التجارية القائمة على تبادل المنفعة بين البلدين، كما لاحظ الطرفان ان الحجم الحالي للتبادل التجاري بين الاتحاد السوفيتي وسورية لم يبلغ بعد حد الامكانيات الموجودة بهذا الخصوص.

واقر الطرفان بضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لتوسيع مدى التجارة بينها باعتبار ان ذلك يتفق ومصالح البلدين، وعلى ذلك اتفق الجانبان على اجراء مفاوضات في اقرب وقت في موسكو بين مندوبين وذوي صلاحية من الحكومتين حول مسألة زيادة حجم تبادل البضائع.

ووفقا لرغبة الجانب السوري ستنظر الهيئات السوفيتية ذات الاختصاص بصورة ايجابية فيما يتعلق ببيع ما تحتاجه سورية من الماكينات والاجهزة والمواد وغيرها من البضائع، وكذلك ما يتعلق بشراء الاتحاد السوفيتي الحبوب من سورية من محصول السنة الجارية وزيادة ما يشتريه منها من القطن والبضائع الاخرى وستبحث هذه المسائل بصورة مفصلة اثناء المفاوضات التي تقرر اجراؤها.

وقد تناولت المفاوضات مسألة دفع البضائع التي ارسلت من قبل.

وزير الدولة ووزير الدفاع الوطني في جمهورية سورية: خالد العظم

نائب رئيس مجلس وزراء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية: كوزمين.

كان مجلس الوزراء السوري قد اتخذ قرارا بتاريخ 3-6-57 بعقد اتفاقات اقتصادية وعسكرية لتزويد الجيش السوري بالاسلحة والمعدات من الاتحاد السوفيتي وقبل ان يفوض الوفد السوري بالسفر واجراء المفاوضات والتوقيع على الاتفاقيات كلف خالد العظم وزير الدفاع بمفاتحة سفير الاتحاد السوفيتي بدمشق لاخذ رأي حكومته بالموضوع فجاء الجواب بالقبول والترحيب فحدد الاسبوع الاخير من شهر تموز موعدا لسفر الوفد الى موسكو برئاسة خالد العظم بصفته وزيرا للدفاع من جهة، ولانه اوسع اعضاء مجلس الوزراء اطلاعا على شؤون سورية الاقتصادية والمالية.

وفي الحقيقية كان لخالد العظم فضل المبادهة في هذه الخطوة الجريئة معتمدا على دعمنا ودعم الجيش، ولعدم وجود معارضة لذلك في وسط الجبهة الوطنية، ولان الميثاق القومي نص على قبول المساعدات غير المشروطة من اي جهة كانت.

كان السبب المباشر لهذه الخطوة الجريئة تزويد الجيش السوري بالاسلحة والمعدات العسكرية لمجابهة اسرائيل التي تفاقم خطرها على سورية بعد رفضها مبدأ ايزنهاور، ولا سيما وان سورية كانت تنفق - كما ذكرنا سابقا- اكثر من نصف وارداتها منذ نكبة فلسطين على شؤون الدفاع ثمنا للاسلحة التي كانت تزودنا بها فرنسا بمقادير محدودة وبأنواع رديئة وباسعار باهظة تستنزف القسم الاعظم من القطع الاجنبي النادر.

ثم تمكنت سورية من كسر الطوق لاحتكار بيع السلاح المفروض من قبل الغرب وتعاقدت مع تشيكوسلوفاكيا على صفقات من السلاح، ولكن سورية لم تكن قادرة ماديا ان تتزود بالمقادير والكميات الضرورية.

اذن كان لا بد لشعب سورية الباسل من ان يقوم بهذه الخطوة الجرئية في ظروف كانت فيها الولايات المتحدة تهيمن على الدول الغربية هيمنة تامة، وقد بلغت على ما اذكر قيمة الاسلحة التي تم التعاقد عليها مع الاتحاد السوفيتي بما يقارب 800 مليون ليرة سورية مقسطة على آجال طويلة، فمن هذه الجهة حقق الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي نجاحا كبيرا في تلك الظروف لان الجيش السوري تزود بنوعية وكمية من الاسلحة متقدمة كالغواصات والطائرات والمدفعية، وهكذا ارتفعت كفاءة الجيش السوري القتالية واصبح واثقا من قدرته على الدفاع.

اما مشاريع سورية الانمائية فقد كانت تسير ببطء ولكن بخطى ثابتة بالرغم من ان سورية لم تتلق اي معونات او مساعدات او قروض من الخارج، وقد كانت اميركا والصهيونية وراء الغرب في شروطه التعجيزية التي كان يشترطها لقاء ما يعرضه من قروض ومساعدات كان آخرها محاول سورية فاشلة للاقتراض من البنك الدولي.

كنا نؤمن بأن الاسراع في تنفيذ برامج التنمية سيزيد في قوة سورية الاقتصادية اضعافا، كما كنا نؤمن بأن قوتنا العسكرية مرتبطة بقدراتنا الاقتصادية، وهكذا ارتبطت فكرة تزويد جيشنا بالسلاح الروسي مع فكرة عقد اتفاقيات تجارية واقتصادية مع الاتحاد السوفيتي، وقد كان وزير الخارجية السوفيتي شبيلوف قد اظهر استعداد الاتحاد السوفيتي لعقد اتفاقات اقتصادية وتجارية وثقافية اثناء زيارته لسورية، وسنعرض بالتفصيل وفي حينه ما اعترى تنفيذ هذه الاتفاقيات من اضطراب وتأخير حسب مختلف المراحل السياسية التي مرت بها البلاد.

الاثار التي ترتبت على عقد الاتفاقات مع الاتحاد السوفيتي على المستوى الداخلي والعربي والدولي.

كان شكري القوتلي ممتعضا جدا من رحلة خالد العظم للاتحاد السوفيتي ومن نجاحه في عقد هذه الصفقة، فقد شعر القوتلي ان نجم خالد العظم اخذ بالصعود، ولكن لم يكن بوسعه ان يعارض تلك السياسة التي كانت البلاد مجمعة عليها، ولذلك تظاهر بالمرض وامضى معظم تلك الفترة خارج البلاد بين مصر وسويسرا منذ ان ساءت العلاقات مع الملك سعود واتجهت سورية في برنامجها الانمائي وفي تسلحها نحو الاتحاد السوفيتي، ولم يعد من سويسرا الى دمشق الا في 1957/8/7 وقد دأبت مصادر الدعاية الغربية في الخارج وفي البلاد العربية على الترويج لانباء حرد القوتلي واستقالته من الرئاسة احتجاجا على سياسة الحكومة، وان تمارضه هو فرار من ارهاب الجيش وازدواجية الحكم، وكان القوتلي في معظم الاحيان يلوذ بالصمت ثم وضعت عودة القوتلي لسورية حدا لشائعات الطابور الخامس التي كانت تتردد باشكال مختلفة واساليب متعددة.

كان القوتلي حذرا من مطامع خالد العظم وهو طبعا لا يزال يتذكر اقواله في الجلسة السرية التي عقدها المجلس النيابي بعد رجوعنا من مصر اثر توقف العدوان عندما طلب عقد معاهدة امن متبادل بين سورية والاتحاد السوفيتي وقد تصديت لخالد العظم انذاك في تلك الجلسة وعارضته في رأيه هذا، كما ان الهالة التي احاطه بها الاتحاد السوفيتي عند توقيعه الاتفاقية لم تكن امرا طبيعيا، ولا سيما ان خالد العظم كان يطمح للوصول الى رئاسة الجمهورية التي حال الغرب والحكومات العربية دون وصوله اليها في السابق، ولكن القوتلي لم يجد امامه اخيرا الا ان يعود الى سورية وان يزاود على خالد العظم وان يوثق علاقاته بجمال عبد الناصر الذي كان يكره خالد العظم، وان يتظاهر بالحماسة والتأييد للسياسة التي تسير عليها حكومة التجمع القومي، وهكذا بدا القوتلي في مواقفه المتناقضة وسياسته المزدوجة بحالة يرثى لها.

قابل الرأي العام عقد هذه الاتفاقات بحماسة وثقة عظيمتين سواء من نواحيها العسكرية او الاقتصادية وقد اراد حزب الشعب ان يتسلق هذا الانتصار للوصول الى الحكم عن طريق التفاهم، بعد ان يئس من الوصول اليه عن طريق المعارضة.

قال لي ناظم القدسي رئيس المجلس بحضور عدد من النواب:

ما دام الوفد السوري قد ظفر بعقد هذه الاتفاقيات مع الاتحاد السوفيتي فتعالوا نعد النظر بتأليف الوزارة الحالية لنقيم بدلا عنها حكومة قومية تتولى تنفيذها، فقلت له:

ولكن حزب الشعب عارض في الوزارة القومية السابقة عقد مثل هذه الاتفاقيات وهدد بعض اعضائه بالاستقالة اذا ما اتخذ مجلس الوزراء قرارا بذلك، فلما تظاهر ناظم القدسي باستهجان موقف وزراء حزب الشعب، قلت له:

لقد بلغ الامر بوزرائكم في الحكومة القومية ان اصروا على ان يرافق رشاد جبري رئيس الجمهورية عندما قام بزيارته للاتحاد السوفيتي ليكون رقيبا عتيدا على هذه الزيارة..

لم يقتصر دعم الاتحاد السوفيتي لسورية اعلاميا وسياسيا واقتصاديا وفي تزويده للجيش السوري بالسلاح، بل ان الاتحاد السوفيتي اظهر استعداده للوقوف بجانب سورية لصد اي عدوان خارجي تتعرض له فقد خاطب خروشوف الشعب السوري بعد عقد هذه الاتفاقات بقوله:

"ان الاتحاد السوفيتي سيساعد سورية ضد اي عدوان يقع عليها، لان العدوان يجب ان يحبط ويجب الا يبلغ اهدافه، وان سورية تستطيع ان تعتمد في ضمان امنها وسلامتها على شعوب العالم التي تريد السلام".

وقال:

"ان الاتحاد السوفيتي قادر على ايقاف كل عدوان كما يعرف ذلك المستعمرون، كما ان اسرائيل تعرض كيانها كدولة للخطر اذا ما تابعت اعتداءاتها" وقال:

"ان الاستعماريين الاميركيين يدفعون عملاءهم ليحاولوا اكراه سورية على تبديل السياسة التحررية التي تنتهجها، ولكن نضال الشعب السوري الذي تدعمه الشعوب المحبة للسلام كفيل باحباط هذه المؤامرة وضمان امن سورية وسلامتها". وقال:

"ان نضال العرب ضد الاستعمار انما هو نضال في سبيل الحرية والاستقلال والسلام لجميع شعوب العالم" وقال:

"ان المفاوضات السوفيتية السورية التي تكللت بالنجاح تعتبر نموذجا للتعاون غير المقيد بشروط، فقد اعطت الحكومة السوفيتية لسورية كل ما طلبه وفدها المفاوض دون ان تطلب من سورية اي شيء يمس سيادتها واستقلالها" وقال:

"ان العرب في نضالهم يجب ان يعتمدوا على انفسهم اولا وعلى اصدقائهم ثانيا، وان قضية فلسطين يمكن حلها كما تريد شعوب المنطقة فيما اذا اقصي النفوذ الاجنبي عن فرض حل لها"

كان القادة العسكريون السوفييت اكثر حماسة واندفاعا في دعم سورية وتأييدها من قادتها السياسيين، فقد حدثني احد ضباط الجيش السوري الذي كان عضوا في الوفد السوري بأن جوكوف بطل الاتحاد السوفيتي قال لاعضاء الوفد العسكري:

"اننا مستعدون لتزويدكم بالسلاح الذي تطلبونه، ولا يمكن ان نحجب عنكم اي نوع من انواع الاسلحة، وما علينا الا تقديم النصح لكم بانواع الاسلحة التي يمكن ان يستوعبها جيشكم، ولكن وحدكم حق الخيار:

وبالفعل فقد كانت كلمات جوكوف وخطبه بالوفد السوري تنضح بالحماسة والحرارة في تأييد سورية، واعتقد ان مشاعر جوكوف ورفاقه من قادة السوفيت كانت مخلصة وامينة، فقد كان عجيبا آنذاك ان يصمد شعب

صغير لا يتجاوز تعداده الثلاثة ملايين ونصف امام قوى الاستعمار الغربي الصهيوني وان يحافظ على استقلاله وسيادته وان يهدد النفوذ الغربي في المنطقة العربية كلها التي هي من اكثر مناطق العامل اهمية... لذلك استحقت سورية عن جدارة لقب "سورية الشجاعة" وهو اللقب الذي اطلقه عليها صحف عديدة في جميع انحاء المعسكر الشرقي وفي دول عدم الانحياز.

□

بعد ما يقرب من ثلاثين عاما من هذه الاحداث، وفي باريس حيث كنت اتابع سنوات المنفى، تساءل الصحافي والمعلق في جريدة اللوموند اريك رولو خلال مقابلة بيننا:

ما الذي غير سورية فأخمد جذوة شعبها التحررية الديموقراطية التي كانت موضع الاعجاب؟

لم ينتظر رولو ان اجيبه وانما اجاب بنفسه:

انها اموال البترول.

□

135

1957: مـؤامرة هيـوارد سـتون الاميركيـة للاطاحـة بالانطلاقة الشعبية القومية الديموقراطية التقدميـة في سورية - البيان الرسـمي السـوري بعـد كشـف المـؤامرة - الشيشـكلي وابـراهيم الحسـيني فـي دمشـق - تشـكيل مجلـس قيـادة عسـكري اثـر انكشاف المؤامرة - موقف الادارة الاميركية.

اجتمعت بالمقدم خطار حمزة بنـاء علـى طلبـه فـي العشـر الاول من شـهر تموز 1957 على ما اذكر، في منزل منصور الاطرش بعد فترة طويلة لم اره فيها فأسر لـي علـى انفـراد تفاصـيل لقائـه الاول مع احد موظفي السفارة الاميركية وسألني عما يفعل؟ هـل ينقطـع عـن متابعـة الاتصـال بـالاميركيين ام يتـابع اتصـالاته حتـى تتكشـف التفاصيل؟

قلت له:

هذه القضية ليست من اختصاصي ومـا عليـك الا ان تخبـر المقـدم عبد الحميد السراج وهو يرشدك الى ما يجب ان تفعله، فقال:

انني لا احب المقدم السراج فأجبته لـيس امامنـا طريـق آخـر لانـه هو المسؤول عن هذه القضايا، قال خطار:

هل اخبر المقدم سراج انني اطلعتك على الموضوع؟

قلت له: انني اترك هذا الامر لتقديرك الشخصـي، فقـد كنـا نشـعر بانزعاج المقدم سراج، عندما نشير الى بعض الامور التي تساعده في كشف ما يبيت للبلاد.

وبعـد مضـي مـا يزيـد علـى الشـهر تقريبـا اذاعـت محطـة دمشق بتاريخ 12-8-57 بيانـا رسـميا عـن كشـف مـؤامرة اميركيـة وهذا نصه:

"لم يرق للاستعمار الاميركي ان تظل سورية حـرة طليقـة تتمتـع بمـا حققتـه من خطوات موفقة في حياتها الاسـتقلالية، فسـعت الولايـات المتحـدة مـرات

عديدة الى قلب نظام الحكم في سورية ليحل محله حكم يستند الى حراب الاجنبي ومساعدته، ولينكل بأفراد الشعب ويكيد لهم، ويمتص خيرات ارضهم.

على ان هذه المؤامرات فشلت كلها بفضل وعي الرأي العام السوري ويقظة الجيش الباسل وصدرت احكام القضاء السوري في آخر هذه المؤامرات على عدد من اصحاب النفوس الدنيئة الذين باعو بلادهم للمستعمر، ولكن الدوائر الاستعمارية الاميركية لم تقنع بالهزيمة وتابعت دون توقف حملتها المغرضة على سورية، واحاطتها بجو من التشويه والتمويه، ولم تتوان عن اعلان موقفها هذا عن طريق التصريحات الرسمية والصحافية.

وكانت هذه الاوساط تهاجم باستمرار الاوضاع في سورية مبدية عدم رضائها عنها، عاملة على الاتصال بالعملاء والمأجورين والخونة لنشر الاخبار الكاذبة وترويج الاشاعات الملفقة التي يقصد منها الاساءة الى سمعة سورية وتهيئة الجو الدولي لعدوان ممكن ضدها، فكان ان ارسلوا امهر خبرائهم في التآمر وهو المدعو هوارد ستون، وقد سبق لستون هذا ان حاك مؤامرة ضد سلامة السودان، ونظم مؤامرة اخرى للنيل من امانى الشعب الايراني، وكان من وراء الانقلاب الذي قامت به الولايات المتحدة في غواتيمالا، وقد تسلم ستون ادارة دفة التآمر فأحيط علما بجميع ما يحتاج اليه من معلومات عن الاوضاع في سورية، وطلب من عملاء الاستعمار وضع خدماتهم تحت تصرفه... وقد سارعت السفارة الاميركية فجندت لخبيرها موظفيها وسياراتها ومنازل موظفيها وامكاناتها المالية الضخمة.

بدأ نشاط الخبير باجراء اتصالات واسعة النطاق شملت اولا عصابة القوميين ثم تجاوزتها الى محاولات متتابعة للاحتكاك بضباط الجيش السوري... وجرت فعلا اتصالات كثيرة مع عدد من الضباط السوريين، كما عقدت اجتماعات متتابعة، على ان الضباط السوريين الشرفاء لم يقعوا في فخ المستعمر المتآمر، فبلغوا المراجع المختصة تفاصيل المؤامرة، كما تابعوا اتصالاتهم بالمتآمرين ليكشفوا عما خفي من الامر، فتأكد لهم أن اهداف المؤامرة تبديل الاوضاع في سورية، ومتابعة المؤامرات الواحدة اثر الاخرى الى ان تنجح احداها، وقد عرض المتآمرون على الضباط الشرفاء مبالغ طائلة من المال سلمها هؤلاء حالا الى المراجع المختصة، واعطيت التعليمات للضباط بالعمل على معرفة رؤوس العصابة وقادة المؤامرة.

سارت الاتصالات خطوات جديدة الى الامام، وتظاهر الضباط بقبولهم التام للنظريات المعروضة عليهم، ومنها القبول باسرائيل والاعتراف بوجود الخطر الشيوعي. ثم تم الاتفاق على موعد الاجتماع بقادة المؤامرة في اجتماع عام، ولكن ذلك لم يلبث ان بدل، وتقرر ان يجرى الاجتماع بالضباط منفردين، وقد سبق احد الاجتماعات 45 دقيقة زيادة في الحيطة، وكان الاميركيون يفسرون هذه التبدلات في المواعيد بقولهم: ان وقت زعماء الحركة ضيق جدا وثمين، وانهم لا يستطيعون ان يضحوا بدقيقة واحدة دون سبب، ولم تأل السلطات العسكرية جهدا في كل مراحل المؤامرة لاتخاذ الاحتياطات اللازمة لاكتشاف تفاصيل ما يدور في الخفاء والقاء القبض على المتآمرين في الوقت المناسب. لقد رافقت هذه السلطات الضباط بمدني عهدت اليه بمهمة الترجمة، وكان من المنتظر في هذا المدني ان يخبر المسؤولين بأي تبديل يطرأ على موعد ومكان الاجتماع وتم اخيرا الاتفاق على موعد للاجتماع بزعماء المؤامرة مساء يوم الاحد الواقع في 11-8-57 ... وطلب من احد الضباط الشرفاء ان يقصد مكانا معينا في شارع الروضة، فذهب الضابط الى المكان المذكور في الوقت المحدد وبرفقته المدني، فوجد سيارة من طراز فورد تحمل رقم 7175 ويملكها اميركي، وقد قاد السيارة ستون بنفسه، وتعمد التجول في شوارع المدينة مدة نصف ساعة، ثم توقفت السيارة فجأة امام منزل في شارع ابي رمانة، ظهر فيما بعد انه يعود لاحد موظفي السفارة الاميركية، وقد طلب من الضابط ان يهبط من السيارة، واحتجز المدني فيها ولم يسمح له بمغادرتها الا بعد انهاء الاجتماع.

دخل الضابط المنزل وهو منزل علم فيما بعد انه يخص احد الاميركيين، ثم ادخل الضابط الى غرفة منفردة وبعد مرور دقيقة فوجىء بدخول العقيد ابراهيم الحسيني الملحق العسكري في السفارة السورية في روما وكان يحمل في يده قبعة من القش تحوي على لحية وشاربين مستعارة.

بادر الضابط العقيد بالتحية العسكرية فعانقه العقيد الحسيني وبادره بحديث خلاصته انه اتفق مع السلطات الاميركية المختصة على الحصول على معونة مالية لسورية تتراوح بين 300-400 مليون دولار وذلك لقاء تصفية الاوضاع الحالية في سورية وعقد الصلح مع اسرائيل، واضاف الحسيني بأن اميركا قد وافقت على ان تهاجم سورية لبنان وتحتله، ثم ينظر في امر الاردن ثم في امر العراق، وقد

تهجم الحسيني على الاوضاع في سورية، وعلى الاركان العامة في الجيش السوري واخيرا اخرج مصحفا من جيبه وطلب منه ان يقسم على ان لا يبوح بشيء من هذا الحديث وان لا يفشي ان اسم من اسماء المتآمرين، ولخص الحسيني خطته بقوله:

انه يطلب من الضابط ان يتعاون مع بعض القطعات على القيام بانقلاب عسكري، وعندما تدبر جميع الامور عليه ان يعلمه باشارة رمزية ليجري تحديد التاريخ لتنفيذ المؤامرة.

ان هذا الضابط ثمين في نظر العقيد ونظر الاميركين لما له من النفوذ الفعلي في القطعة التي ينتمي اليها، وقبل ان يودع الحسيني الضابط، اشار الى انه سيسعى مع الاميركين الذين يتعاون معهم لكي يدبروا اغتيال بعض الضباط الذين يحولون دون تنفيذ رغبات الاستعمار، ولكي يعملوا على تعريفه على بعض المشتركين بالمؤامرة، كما الح الحسيني على الضابط بضرورة اغتيال آمر قطعته.

بعد ان ودع العقيد الحسيني الضابط دخل شخص اميركي اسمه (جاتين) الغرفة وطلب منه البقاء في الغرفة، واغلق عليه الباب مدة 65 دقيقة ثم عاد اليه بعد ذلك وابلغه ان الحسيني استقل الطائرة في طريقه الى روما وسمح له بعد ذلك بمغادرة المنزل، وما كاد الضابط ينصرف حتى سارع بابلاغ ما جرى له فاتخذت جميع الاحتياطات الضرورية، وفي الوقت نفسه تقريبا كان ضابط آخر على موعد في منزل معين للاجتماع بمسؤول عن المؤامرة، وكانت كافة الاحتياطات قد اتخذت لالقاء القبض على المتآمرين بالجرم المشهود، ولكن مكان الاجتماع بدل في اللحظة الاخيرة، واقتيد الضابط الى منزل اتضح فيما بعد انه يعود لاحد الاميريكيين ايضا، وعندما دخل الضابط احدى غرف المنزل فوجىء بوجود المتهم اديب الشيشكلي جالسا وحوله ثلاث سيدات اميركيات، وقد غادرت السيدات الغرفة اثر وصول الضابط، وسارع الشيشكلي الى معانقة الضابط ثم قال له:

لقد جئت الى هنا مغامرا بدمي، ولن اعود الا بعد ان اصفي الاوضاع في سورية، ثم اضاف الى ذلك قائلا:

ان طابع حركتنا هو السرعة، وستكون سعيدا في حياتك المقبلة من جراء مساهمتك بهذه الحركة، ثم طلب اليه ان يحاول شراء ضمائر بعض الضباط وان يعدهم باغداق المال عليهم، وقال اذا نجحت بتدبير الضباط فعليك باعلامنا لنستعد للعمل وننسقه، واخيرا ودعه وطلب اليه ان يبلغ ما يتصل بنشاطه للعناصر الاميركية التي يتعاون معها، وقد احتجز الضابط في غرفة منفردة ساعة ونصف الساعة تقريبا، ثم حضرت بعد ذلك امرأة طلبت منه الخروج.

ايها الشعب هذا جزء من مؤامرة استعمارية حقيرة حيكت في الظلام ضد حريتك واستقلالك وقد سبق ان حدث اجتماع في بيروت ضم اديب الشيشكلي وابراهيم الحسيني والسفير الفرنسي والملحقين العسكريين الفرنسي والاميركي، وقد تبادل المجتمعون بالبحث المؤامرة على سلامة سورية وقلب الاوضاع فيها.

□

لقد رافق تلك الاحداث استدعاء سمير الرفاعي وزير خارجية الاردن القائم باعمال السفارة السورية بعمان بتاريخ 1957/7/31، وتكليفه ابلاغ الحكومة السورية الانذار التالي:

اذا لم تكف الصحف السورية عن الحملة التي تشنها على حكومة الاردن، فان الحكومة تحتفظ لنفسها بحق اتخاذ اي تدبير تراه، وقال ان هذا التدبير لن يقف عند حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، بل اننا سنلجأ الى اية وسيلة اخرى ومنها الاشتباك المسلح، ولما نبهه القائم بالاعمال الى خطورة اقواله اجابه بأنه مدرك تماما لما يقول، وانه ينتظر جواب الحكومة السورية حتى يوم 1957/8/4 على ابعد تقدير.

كان نتيجة لمحاولة التآمر الفاشلة التي دبرتها المخابرات المركزية ان طلبت الحكومة السورية من القائم بالاعمال الاميركي ان يغادر سورية خلال اربع وعشرين ساعة مع كل من هيوارد ستون وفرانك جيتون والكولونيل مولوي الملحق العسكري.

فكان رد فعل الولايات المتحدة على كشف المؤامرة وطراد دبلوماسييها ان اصدرت بيانا اعتبرت فيه سفير سورية في واشنطن السيد فريد زين الدين غير مرغوب فيه، كما اعلنت ان

سفيرها في سورية جيمس موس الذي كان موجودا في واشنطن لن يعود الى سورية واحتجت على ما اسمته "حملة افتراءات"

ويشير ولبر كراين ايفلاند مسؤول المخابرات المركزية في كتابه حبال من رمل صراحة الى هذه المؤامرة:

"علمت ان كاسن في فرع دمشق لادارة المخابرات المركزية يتحرك نحو الامام في سبيل تنفيذ عملية انقلاب، وقد جاء الى بيروت وشرح لنا خطته وقال انها ستكون عملية محترفين وان كيم روزفلت قد رتب تعيين ستون في دمشق بدلا من الخرطوم ليتأكد ان "الهندسة" سيقوم بها رجال محترفون ... ان ستون اشبه بالاسطورة فهو الذي ساعد كيم رزفلت في عزل الرئيس مصدق عام 1953"

"ان المخابرات المركزية تتصل مع الرئيس السوري السابق اديب الشيشكلي، وهي التي اعطت العقيد ابراهيم الحسيني جواز سفر مزور لكي يدخل لبنان، وكان على السفارة نقل الحسيني الى سورية (وهو رجل ضخم كالثور) في داخل مكان الامتعة في سيارة السفارة، وفي سورية سيجتمع مع عدد كبير من العملاء السوريين المتعاملين مع كاسن لاعداد العدة لعودة الشيشكلي بمجرد نجاح الانقلاب والاطاحة بالحكومة.

لكن الذي حدث هذه المرة هو انكشاف الانقلاب قبل ان يبدأ، فقد توجه ضباط الجيش السوري الموكول اليهم الادوار الرئيسية نحو الشعبة الثانية، ودخلوا بكل بساطة الى مكتب العقيد السراج وارجعوا اموالهم، وذكروا اسماء ضباط المخابرات المركزية الذين دفعوا لهم الاموال، ومع ان كاسن وكلوز ومعظم موظفي الفرع كانوا محميين بواسطة الوسطاء الذين كانوا يؤمنون الاتصال، فان ستون وضابط مخابرات مركزية اخر هو فرانك جيتون قد قبض عليهما بالجرم المشهود واعلن انهما غير مرغوب بهما في سورية وشمل امر الطرد ايضا العقيد بوب مولوي الملحق العسكري الذي كان يريد دائما بعض المؤامرات" (ص449-450)

ردود فعل كشف المؤامرة داخليا

تلقت الحكومة ورئاسة الجمهورية الوف البرقيات من مختلف انحاء البلاد تطالب كلها برؤوس المتآمرين وتطهير الجيش وجهاز الدولة وفرض الاحكام العرفية، وكان تعليقي للصحف على كشف المؤامرة.

"ان بها دلالة جديدة على ان الاستعمار الذي فشل في معركة اخضاعنا بالغزو، يحاول ان يهدمنا من الداخل لمصلحته ومصلحة اسرائيل، غير ان اليقظة القومية في سورية ستحبط هذه المؤامرات وسوف يكون نصيبها الفشل، كما ستكون مبعث تماسك الشعب وايقاظ وعيه السياسي والقومي، اما فيما يتعلق باعادة الاحكام العرفية فاني ارى ان يترك امرها للحكومة لتدرسها على ضوء الاوضاع الراهنة"

كان وضعنا مع رئيس الجمهورية شكري القوتلي ووضعه معنا حرجا للغاية، ففي الوقت الذي كنا نحرص فيه على بقائه في رئاسة الجمهورية، كان هو منزعجا جدا من كشف المؤامرة، ومن اجماع المواطنين على المطالبة بتطهير جهاز الدولة والجيش من الذين يعتبرهم هو ويعتبرهم الرأي العام من انصاره، ولا سيما بعد ان اشار اليهم ستون في حديثه بأنهم موافقون على المؤامرة وعلى تسلم الحكم في البلاد بعد نجاحها، ولكن القوتلي لم يسعه - بعد ابداء انزعاجه وترددة- الا ان يوقع اخيرا على قرارات الحكومة التي قضت بتنقلات واسعة في قيادات الجيش وقوى الامن الداخلي وفي المناصب الادارية الاخرى.

كان في نية الولايات التحدة بعد نجاح المؤامرة تعيين اللواء توفيق نظام الدين - وكان رئيسا للاركان - وزيرا للدفاع واللواء طالب الداغستاني رئيسا للاركان، واللواء عزيز عبد الكريم معاونا له وتسليم شعب الاركان للضباط هشام السمان وبديع بشور وسهيل عشي، كما ظهر من وقائع التحقيق، ومن هنا تكونت القناعة لدى الحكومة والجيش والمواطنين جميعا بضرورة اعادة النظر بقيادة الجيش ورؤساء الشعب في الاركان وفي قيادة قوى

الامن الداخلي، وفي الاجتماعات التي جرت في قطعات الجيش بعد كشف المؤامرات رشح جماعة النفوري عفيف البزرة لوزارة الدفاع وامين النفوري لرئاسة الاركان، **فأصر الموالون لنا في الجيش ان يتسلم عفيف البزرة قيادة الجيش ورئاسة الاركان العامة بدلا من امين النفوري الذي اصبح معاونا لرئيس الاركان، وقد كانوا يخشون من استلام النفوري رئاسة الاركان مما يقتضي ترفيعه الى رتبة اعلى تزيد من نفوذه ونفوذ من يلتف حوله من جماعة الشيشكلي في الجيش، اما عفيف البزرة فلم يكن له مثل هذا الوضع في الجيش**، كما اصروا ان يستلم مصطفى حمدون الشعبة الاولى التي يعود اليها تعيين الضباط وتنقلاتهم وتسريحهم، وان يعين احمد عبد الكريم في الشعبة الثالثة، كما تقرر تسريح بعض الضباط الذين اشار ستون والمتآمرون الى انهم كانوا على اتصال معهم، وكان من الطبيعي الا يوافق توفيق نظام الدين الذي ورد اسمه معهم على هذه التنقلات والتسريحات فطلب احالته على التقاعد فأصدرت الحكومة مرسوما بتاريخ 17-7-57 باحالته على التقاعد وتعيين اللواء عفيف البزرة قائدا عاما للجيش والقوى المسلحة ورئيسا للاركان العامة وترفيعه الى رتبة فريق، واصدرت مرسوما آخر بتعيين الزعيم الركن امين النفوري معاونا لقائد الجيش والقوات المسلحة، كما عين المقترحون من قبل قيادات الجيش رؤساء للشعب في الاركان، واتخذت الحكومة قرارا باحالة قائد الدرك العام محمد علي اسماعيل على الاستيداع وتعيين الزعيم جمال فيصل قائدا عاما للدرك بالوكالة وتعيين المقدم محمد الجراح معاونا له، ونقل شاكر الانطاكي الى مديرية مكتب الحبوب، وسمى المقدم عبد الله جسومة مديرا عاما للشرطة بالوكالة، وقد اقر رئيس الجمهورية بعد تردد هذه التشكيلات الجديدة، ثم سافر الى القاهرة وسط الشائعات التي اطلقتها ابواق الغرب بأنه قدم استقالته وانه لن يعود الى دمشق، اما موقفنا السياسي من المؤامرة وضرورة الاستفادة من كشفها فقد تحدثت عنه في افتتاحية البعث بتاريخ 1957/8/17 وكانت تحت

عنوان "متانة الوضع الداخلي ضمانة لاحباط المؤامرات) وفيما يلي نصه:

لقد انكشفت هذه المؤامرة الاستعمارية الكبرى الجديدة على سورية ولما تكد تنقضي غير شهور قليلة على محاكمات المؤامرة الاخيرة، ولئن كان حلف بغداد مع عملائه من المجرمين والخونة والسياسيين المأجورين هو الذي دبر المؤامرة السابقة ولعب فيها الدور الرئيسي، فان هذه المؤامرة الجديدة من تصميم وتنفيذ الولايات المتحدة الاميركية بواسطة سفارتها بدمشق، بعد ان استلمت اميركا زمام التخطيط والتنفيذ للاستعمار الغربي واسرائيل في الشرق الاوسط بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر واعلان مبدأ ايزنهاور.

هذا التصميم الراسخ الذي تجلى في المؤامرتين من قبل السياسة الغربية والصهيونية العالمية على اخضاع سورية والحاقها بمخططاتها ومشاريعها الاستعمارية، ليس بالامر الجديد، ان تاريخ سورية الحديث منذ جلاء الجيوش الاجنبية عنها الى الان، سلسلة من المعارك الضارية المتصلة ضد سلسلة من المؤامرات التي يحيكها الاستعمار للقضاء على هذه الانطلاقة التحررية التي بدأت تتحقق في هذه البقعة من الوطن العربي، ذلك لانه يعلم ان جميع مخططاته ومشاريعه في الهلال الخصيب والجزيرة العربية مهددة دوما بالفشل والانهيار اذا ظلت هذه الرقعة من ارض العرب حرة يذكي تحررها واستقلالها جذوة النضال في الشعب العربي بأسره في هذه المنطقة، ويقف سدا منيعا في وجه اسرائيل واهدافها في التوسع وتصفية قضية فلسطين.

هكذا كانت سورية منذ بداية عهدها بالتحرر والاستقلال هدفا رئيسيا من اهداف الاستعمار الغربي واسرائيل في الشرق الاوسط ركز عليه هجومه واخذ يزرع فيه باستمرار بمؤامراته ومناوراته ومشاريعه المختلفة جميع انواع القلق والاضطراب وعدم الاستقرار، غير ان الوعي المتزايد الذي عبر عنه الشعب العربي فيها، والنضال المتصل الذي ما انفك يحارب به هذه المؤامرات والمناورات والمشاريع الاستعمارية، كل هذا اتاح له ليس فقط ان يحافظ على استقلاله طوال هذه الفترة وانما ان يخطو الى الامام خطوات ايجابية لتدعيم هذا الاستقلال.

هكذا كانت السياسة العربية التحررية ثمرة من ثمرات كفاح الشعب العربي في سورية للمحافظة على استقلاله ولشق الطريق نحو تحرير الوطن العربي وتوحيده.

غير انه بالمقدار الذي كانت سورية تحبط فيه المؤامرات وتحقق مزيدا من الخطوات في تدعيم السياسة العربية التحررية، كان الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية يزدادان عليها تكالبا وضراوة، ولقد جاء تسليح سورية لجيشها تسليحا حرا غير مشروط، وهذه الخطوة الاخيرة التي خطتها نحو تحرير اقتصادها من التبعية في المباحثات التي دارت مع الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية وذلك بتطوير هذا الاقتصاد وتصنيع البلاد واستثمار مرافقها، كل هذا جاء ليجعل الاستعمار والصهيونية يجن جنونهما فيقدمان على محاولات وحشية ضارية للقضاء على استقلالها.

من هنا انبثقت هذه المؤامرة الاميركية على سورية التي انكشفت اليوم، وهذا هو السبب الذي سيجعل سيل المؤامرات لا ينقطع بعد اليوم. وكما جعل حلف بغداد من حكام العراق وارضه قواعد لانطلاق هجومه على سورية، كذلك جعل الاستعمار الاميركي ومبدأ ايزنهاور من حكام لبنان والاردن وأرضهما وكرا للتآمر يدرب فيها الخونة والجواسيس ويعدون اعدادا اجراميا لعمليات التخريب في سورية.

بل ان الاستعمار الاميركي جعل من ارض سورية نفسها مركزا لتآمره في دور سفارته التي حشد فيها اكثر من ثلاثمائة موظف وراءهم أعداد من الخونة والجواسيس.

غير ان الاستعمار الاميركي جاء متأخرا، فالشعب العربي في سورية الذي ناضل سنين طويلة وبذل التضحيات بالمال والرجال وحقق هذه الانتصارات لن يتراجع عن خطوات التقدم التي احرزها ولن يفرط في حريته واستقلاله وامانيه التي هي امانى الامة العربية بأسرها.

غير ان هذا التصميم عند الشعب العربي في سورية على المحافظة على استقلاله وسلامة الحكم واتجاهه في دولته يجب ان يقابله تصميم مماثل على اقامة حكم على مستوى ضراوة الهجمة الاستعمارية وشدتها، ولا يتحقق ذلك الا بالامور التالية:

1- القضاء على ميوعة الحكم. ذلك ان تراخي الحكم وترديه، فضلا عن انه يبعثر قوى الشعب والدولة، يفتح ثغرات تساعد الاستعمار على تنفيذ مؤامراته. فالدعاية التي هي سلاح فتاك من اسلحة المعركة لم تنظم، بل ان الاستعمار استطاع ان يتسلل الى وسائل دعايتنا نفسها ويستخدمها سلاحا ضدنا، لهذا لا بد من تنظيم الدعاية والنشر بشكل يجعلها بيد الشعب ولخدمة الشعب وحده.

اما قوى الامن الداخلي فقد ظلت حتى الان مشلولة غير فعالة، الامر الذي القى عبء مكافحة التآمر على الشعبة الثانية في الجيش وحدها، ان الاخطار الداهمة التي تتعرض لها البلاد والمؤامرات المتلاحقة، وحشود العملاء والخونة والجواسيس تجعل الشعبة الثانية غير قادرة وحدها على مراقبة نشاط الاجانب والمشبوهين بجيشهم الجرار، لذلك لا بد من تركيز جهاز الامن الداخلي وجعله قويا فعالا قادرا على القيام بواجبه الوطني في حفظ السلامة العامة خاصة في هذه الظروف الحاسمة.

2- تطهير الجهاز السياسي، لقد دلت المؤامرات التي كشفت وحوكم اصحابها ان الجهاز السياسي في سورية مشبوه اندست فيه عناصر سائرة في ركاب الاستعمار، وكل تهاون في امر هذه العناصر الخائنة يشكل خطرا مميتا، ذلك لان الجهاز السياسي هو الجهاز القائد للشعب، ووصول الخونة الى مراكز قيادية، لا يتيح للاستعمار ان يفسد جهاز الدولة ويضلل الشعب فحسب، وانما يؤدي الى تسرب اسرار الدولة ونقل المعلومات الى الدوائر الاستعمارية مما يسهل تنظيم المؤامرات وتنفيذها. ان نقطة الضعف الرئيسية التي كان الاستعمار ولا يزال يوجه منها ضربته الى نضال الشعب في الدول العربية هو الجهاز السياسي الموبوء بالخونة وعملاء الاستعمار فيها والثورات التي نشبت في الدول العربية ضد الاستعمار كانت تتجه قبل كل شيء للخلاص من القيادات الخائنة.

3- المقاومة الشعبية والعناية بها. ان قوى الاستعمار الكبيرة التي تخاصم اليوم القضية العربية وتقف على قدم الاستعداد لتوجيه ضربتها للشعب العربي لا يمكن ان يتكافأ معها الا صمود شعبي شامل من سائر فئات المواطنين في وجهها، صمود مسلح قوي يضع شعبا بأكمله امامها

ويجعلها تحسب لمقاومته الف حساب، ولا يتهيأ هذا الا بتنظيم المقاومة الشعبية تنظيما جديا مثمرا تجعل الى جانب الجيش النظامي جيشا شعبيا دائما، وهذه القوى الشعبية التي يجب ان تنشأ لا تعطي الثمار المطلوبة بالاقتصار على التدريب وحمل السلاح وحده، بل ان التوجيه فيها سلاح امضى من سلاح الحديد والنار.

4- رقابة الشعب على النشاط الهدام. ان من واجب الدولة ان تجعل وسائل الدعاية والاذاعة والتوجيه فيها من كل مواطن رقيبا على النشاط الهدام والمؤامرات التي استشرت وستستشري اكثر فأكثر كلما خطت سورية الى الامام، وليس بامكان قوى الامن ان تكون وحدها العين الساهرة على سلامة الوطن، ومن الممكن، بل من الضروري ان يكون الشعب كله عينا ساهرة ذلك ان تقديم المعلومات عن النشاط المعادي للمراجع الرسمية هوابسط واجب يقوم به المواطن الذي برهن دوما انه على استعداد لتقديم اعظم التضحيات.

اخيرا ان هذه المؤامرة الجديدة وما سبقها من مؤامرات قد برهنت بما لا يدع مجالا للشك ان شق سورية طريقها في الميدان السياسي والاقتصادي والانشائي متوقف على قوة الحكم وتماسكه ونقائه ووعيه، وان الامر قد بلغ من الخطورة حدا لا يحتمل التساهل والتراخي، والمستقبل سيكشف ان الاستعمار سيحاول القيام باعمال جنونية مفرطة في الوحشية والشراسة، بعد ان غدت سورية منطلقا لاماني الشعب العربي في القضاء على الاستعمار وتحرير الوطن العربي وتوحيده وتحطيم احلام الصهيونية العالمية، ان المعركة القائمة في سورية هي في الحقيقة معركة العروبة وعلى هذا المستوى يجب ان نخوضها يقظين مستبسلين.

ملاحظات على قرار قاضي التحقيق ووقائع المحاكمة

من التمعن بقرار قاضي التحقيق الذي اذيع بتاريخ 1957/9/10، ومن تتبع وقائع محاكمة المتآمرين التي جرت من قبل المحكمة العسكرية برئاسة الزعيم جمال فيصل وعضوية العقيدين بشير المالح وراشد الكيلاني وممثل النيابة العامة محمد الجراح ابتداء من 1957/12/12 حتى صدور الحكم على المتهمين بتاريخ 1958/2/14 يمكن الاشارة الى الملاحظات التالية:

1- قام دبلوماسيون اميركيون بأنفسهم بتدبر هذه المؤامرة مستعينين بالسوريين القوميين في لبنان بزعامة اسد الاشقر وسامي الخوري (المحكوم الفار بجريمة اغتيال العقيد عدنان المالكي) بمعزل عن حكومة العراق.

2- بدأ ستون بالتحضير للمؤامرة في دمشق بمساعدة الملحق العسكري وموظفي السفارة الاميركية محتمين بالحصانة الدبلوماسية بشكل منسجم مع الاتصالات التي كان يجريها في بيروت فضل الله ابو منصور السوري القومي المحكوم مع بعض الضباط المسرحين ومع الضابط العامل فرحان الجرمقاني.

3- كان العميلان نديم الجعفري ومحمود نعمة واسطة الاتصال بالضابطين خطار حمزة وعبد الله الشيخ عطية.

4- ان الضباط الثلاثة العاملين الذين جرى الاتصال بهم قد اخبروا فورا الشعبة الثانية.

5- اضطر ستون للاتيان بأديب الشيشكلي وابراهيم الحسيني الى دمشق اثناء اتصاله بالضابطين المذكورين لان كبار الضباط الذي قال ستون انه اتصل بهم قد جبنوا وترددوا، ولكنهم وعدوا بالتعاون مع الوضع الجديد بعد نجاح المؤامرة، وهو قول قد يكون كاذبا من هيوارد ستون، ولكن الاميركيين قدروا ان كبار الضباط من كتلة الشوام يمكن ان يؤيدوا الوضع الجديد في حال اقصاء البعث العربي الاشتراكي واليساريين عن السلطة، وابقاء الاوضاع برئاسة القوتلي فيتولوا هم قيادة الجيش، وان هذا الوضع في حال نجاح المؤامرة سيؤيده حزب الشعب والاخوان المسلمون والمنشقون عن الحزب الوطني وبقايا حزب التحرير (حزب الشيشكلي) وجماعة فيصل العسلي.

ومن الانصاف القول انه لم يقم اي دليل يؤيد اتصال الاميركيين بكبار الضباط الشوام او بالاحزاب والكتل السياسية.

6- كان ستون حريصا جدا على وصول اي قوى عسكرية الى دمشق، وذلك لحماية السوريين القوميين الذين تدربوا في الاردن ولبنان والذين سيتسربون الى سورية للقيام باغتيال بعض القيادات التقدمية المدنية والعسكرية وقد ذكر ستون اسماءهم بالتحديد للمتآمرين وهم اكرم الحوراني، مصطفى حمدون، عفيف البزرة، خالد بكداش عبد الحميد السراج.

وكان الاميركيون يتصورون ان هذه الاغتيالات ستتيح للقوتلي وللاحزاب اليمينية تحويل سياسة سورية لصالح الولايات المتحدة والغرب، ولا شك ان ذلك كان تصورا بعيدا عن فهم الاوضاع في سورية وعن الاستفادة من تجارب الماضي، وانه على فرض نجاح خطة اثارة الفتنة والاغتيالات - وهذا ما كان تحقيقه صعبا جدا في تلك الظروف ما لم يضمنوا تأييد بعض قطعات الجيش القريبة من دمشق - فان الامر سينقلب الى العكس واكبر دليل على ذلك ما احدثه اغتيال عدنان المالكي من ردود فعل على الغرب وخاصة على الولايات المتحدة. والظاهر ان المخابرات المركزية كانت تعتقد من خلال تصرفاتها (وهذا حتى الان) ان المال يمكن ان يفعل كل شيء في كل مكان في مختلف الظروف نظرا للنجاح الذي حققته في ضرب الحركات القومية والتقدمية في انحاء كثيرة من العالم.

7- كان ستون في حديثه مع الضباط غاية في البلادة وسوء فهم ما يجري في البلاد العربية، عندما قال للضباط ان اسرائيل وجدت لتبقى، وعندما برر ضرورة قلب الاوضاع بسوء الاحوال الاقتصادية التي عزا سببها الى السياسة العربية التحررية التي تنتهجها سورية والى عقد الاتفاقات مع الاتحاد السوفيتي.

8- لم يكن من رأيي هذا التسرع في كشف المؤامرة، وكنت ارى من المفيد ارجاء كشفها حتى نتمكن من الاطلاع بدقة على الاتصالات التي اجراها الاميركيون - كما كانوا يدعون - مع كبار الضباط ومع بعض الاحزاب السياسية، ولم اتلق جوابا مقنعا آنذاك لمبررات هذا التسرع سوى الخوف الذي لا مبرر له.

كان هذا التسرع في كشف المؤامرة قبل ان تتضح كل معالمها دعما كبيرا لمركز عفيف البزرة بما القته من ظلال الشك والاتهام على كبار ضباط الجيش، فقد كانت خطة البزرة منذ عصيان قطنا تهدف الى تمتين تحالفه مع جماعة الشيشكلي على حساب اقصاء الضباط الشوام الذين ينافسونه برتبهم الكبيرة، وكان الموالون للبعث العربي الاشتراكي على كثرة عددهم من ذوي الرتب الصغيرة في الجيش، وقد حاول البزرة كما ذكرت سابقا خلال عصيان معسكرات قطنا ان يتفق معهم على حساب اقصاء كبار الضباط الشوام، فلما انكشفت مؤامرة ستون بهذا الشكل اصبح لا مناص من تسريح عدد من الضباط الكبار الذين وردت اسماؤهم في المؤامرة، وكان لا مناص من ان يحتل عفيف البزرة والنفوري بحكم رتبهم العالية المراكز الهامة في الجيش، **ولم يحقق الموالون للبعث الا كسبا واحدا هو تعيين المقدم مصطفى حمدون في الشعبة الاولى ودخول عدد منهم في مجلس القيادة الذي تشكل اثر انكشاف المؤامرة من الضباط الاتية اسماؤهم:**

احمد عبد الكريم، امين النفوري، طعمة العودة الله، احمد حنيدي، عبد الغني قنوت، مصطفى حمدون، حسين حدة، غالب شقفة، ياسين فرجاني، عبد الحميد السراج، مصطفى رام حمداني، وهكذا ظل نفوذ عفيف البزرة، وامين النفوري في مجلس القيادة بالرغم من ان حسين حدة ورفاقه كانوا اقرب لحزب البعث منهم لكتلة البزرة - نفوري - احمد عبد الكريم، وبالرغم من ان عبد الحميد سراج كان يتظاهر بالحياد بين الكتلتين.

ثم اضيف الى مجلس القيادة بضغط من انصار الحزب في الجيش الضباط:

جمال الصوفي، امين الحافظ، اكرم الديري، عبد الله جسومة، محمد النسر، بشير صادق.

لم يكن كشف المؤامرة، كما قد يتوقع البعض، عاملا في توثيق العلاقة بين كتلة البزرة - نفوري - عبد الكريم وبين انصار حزب البعث في الجيش، وانما زاد من حدة الخلافات والشكوك بينهما، ويعود ذلك لسببين:

1- السياسة الجديدة التي انتهجها الاتحاد السوفيتي في سورية بعد رحلة خالد العظم لموسكو، فقد اصبح خالد العظم وعفيف البزرة داعين مؤيدين للحزب الشيوعي للوقوف في وجه تعاظم نفوذ حزب البعث العربي الاشتراكي سواء في اوساط الجيش او الشعب.
2- اصبح انصار حزب البعث في الجيش يعتقدون بعد كشف المؤامرة بأن جماعة الشيشكلي كانوا بالفعل متواطئين مع اديب الشيشكلي على اجراء انقلاب يطيح بحزب البعث العربي الاشتراكي، وكانوا يعتقدون بأن عبد الله الشيخ عطية وطعمة العودة الله لم يخبرا المكتب الثاني بالمؤامرة الا بعد ان كشفها خطار حمزة فحاولوا بعد ذلك أن يكون كشفها لمصلحتهم وزيادة نفوذهم وتحسين مراكزهم في الجيش، حتى ان امين الحافظ لما دعي للانضمام الى مجلس القيادة تساءل امامهم قائلا:

لماذا دعوتموني للانضمام الى مجلس القيادة؟ انني لا ازال اعتقد ان في مجلسكم من يستحق القاء القبض عليه والتحقيق معه في مؤامرة ستون، وقد احدث كلامه هذا ازمة في مجلس القيادة، ولكنه مع ذلك رفض ان يعتذر عن اقواله التي كان مؤمنا بها، وكان يشاركه في شكوكه عدد كبير من الضباط الموالين لحزب البعث العربي الاشتراكي، وهكذا كان التناقض يزداد شيئا فشيئا حدة واتساعا بين جماعة البزرة - نفوري وخالد العظم والحزب الشيوعي وبين حزب البعث العربي الاشتراكي في اوساط الشعب والجيش، وقد استمر هذا الصراع الصامت الخفي حتى قيام الوحدة بين سورية ومصر وعكس اثارا سلبية عليها.

كنت ارى بعد المؤامرة ضرورة قيام تحالف حقيقي بين الموالين للبعث وبين جماعة امين النفوري - احمد عبد الكريم في الجيش، ولا سيما ان بعضهم كان بعثيا في السابق كاحمد عبد الكريم وحسين حدة، وكان ذلك يتوقف على اقناع النفوري واحمد عبد الكريم بأننا لا نكن لهما اي عداء وانهما اقرب الينا من قربهم للشيوعيين واننا لسنا كما يتوهمون نحاول التخلص منهم واقصاءهم، وبالفعل فقد حاولت الاجتماع بأحمد عبد الكريم والنفوري وكان وسيلة الاتصال حسين حدة وجماعته في الجيش، ولكنه لم يكتب لهذه المحاولة النجاح نظرا لما كان يقوم به عفيف البزرة والحزب الشيوعي وخالد العظم من تحريضهم واستغلال طموحهم.

الاتحاد السوفيتي وكشف المؤامرة

شعرت بتغيير سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه حزب البعث في سورية عندما ابلغني السكرتير الاول في السفارة السوفيتية السيد (نيدوسيكين) امر انتقاله الى وزارة الخارجية السوفيتية، وقد كان السيد نيدوسيكين واسطتنا الامنية والصادقة مع السيد نيكيتا خروشوف، كما ذكرت سابقا، وقد اقيمت له حفلة وداع في فندق سمير اميس وكان ظاهرا مراقبة الحفلة ومدعويها من قبل الصحفيين الاميركيين نزلاء الفندق.

ارسل الاتحاد السوفيتي بدلا عن نيدوسيكين حزبيا متعصبا ضيق التفكير كان اقرب في عقليته الى رجال المخابرات منه الى عقلية الدبلوماسي، ولا شك ان هذا التطور في سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه سورية كان عائدا لسببين اثنين:

1- ظن الحزب الشيوعي وخالد العظم وعفيف البزرة ان كشف المؤامرة كان لصالح الاتحاد السوفيتي اكثر منه لمصلحة الحركة التقدمية التي يقودها حزب البعث، وقد خدعهم في ذلك التحول الكبير الذي بدأ يظهر في اوساط البورجوازية السورية نحو الاتحاد السوفيتي، ومحاولة ربط مصلحتها

بمصالحه على الاسس نفسها التي كانت بينها وبين الغرب، فقد بدأ اصحاب الشركة الخماسية وبعض الشركات الاخرى يقيمون علاقات تجارية وثيقة ومباشرة مع الاتحاد السوفيتي عدا عن تحول عدد كبير من الانتهازيين ومن عملاء الغرب الى الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي بمختلف الوسائل والاساليب (زيارات - رحلات - حفلات - تمويل بعض الصحف - انتسابات للحزب الشيوعي) وكان الحزب الشيوعي قد فتح ابوابه على مصاريعها لمختلف هذه الفئات، واعتبره انتصارا لم يكن يحلم به، وتم ذلك بمساعدة خالد العظم وجماعته في السلطة واوساط الشعب، وبمساعدة عفيف البزرة في الجيش.

2- النجاح العلمي الذي اعلنه الاتحاد السوفيتي والذي لم يكن الغرب ينتظره مما احدث خللا في ميزان القوى بين المعسكرين لمصلحة الاتحاد السوفيتي، فقد اذاعت وكالة تاس وراديو موسكو اواخر آب 1957 ان الاتحاد السوفيتي قد نجح في تجربة قذيفة صاروخية عابرة للقارات ووصفت هذه القذيفة بأنها يمكن توجيهها الى أي مكان في العالم فأثار ذلك موجة ذعر في الغرب، وقال دالس:

"ان اعلان السوفيت المفاجىء لنجاح تجربتهم الصاروخية في هذا الوقت بالذات قد يكون له اعتبارات سياسية مثل التطورات الاخيرة في سورية ومحادثات نزع السلاح".

الادارة الاميركية بعد كشف المؤامرة.

كان رد فعل الحكومة السورية على كشف المؤامرة الاميركية طرد الموظفين الاميركيين المتآمرين وطلب الحكومة الى وفدها الدائم لهيئة الامم المتحدة ان يقدم كتابا الى رئيس مجلس الامن يتضمن تفاصيل المؤامرة والنتائج الخطيرة التي تمس السلم في منطقة الشرق الاوسط استنادا الى المادتين الرابعة والخامسة والثلاثين من ميثاق الامم المتحدة ليوزع على اعضاء الهيئة، ولكن الولايات المتحدة والدول الغربية فقدت اعصابها

ليس من كشف المؤامرة فحسب، بل من التنقلات التي جرت في قيادة الجيش، فتحدثت جميع صحف الغرب واجهزة الاعلام عن خطورة هذه التنقلات، كما حفلت بشتى الاكاذيب والافتراءات عن انهيار الوضع في سورية ووقوعه في قبضة الشيوعية الدولية، ولم يعد للغرب وللادارة الاميركية واجهزة الاعلام من شاغل الا مهاجمة الوضع الديموقراطي في سورية ونشر الافتراءات... وكان موقفنا من هذه الحملات الهستيرية كما عبرنا عنه فيما يلي:

"اذا كانت الحكومات الاستعمارية في مشاوراتها السياسية وتهويشاتها تقصد ارغام سورية على عدم فضح المؤامرة الاميركية فهذا امر غريب للغاية لاننا لو فعلنا ذلك لشجع هذا السكوت الولايات المتحدة على طبخ مؤامرات اجرامية جديدة" "يزعمون ان الوضع اصبح خطيرا في سورية فاذا تتبعت انباءهم واذاعاتهم وجدت ان حديثهم عن هذه الخطورة يركزونه على اساس تعيين اللواء البزرة قائدا عاما للجيش السوري... ماذا تراهم يريدون منا؟ هل كان على سورية ان تستشيرهم بقبول طلب اللواء توفيق نظام الدين احالته على التقاعد، ونستشيرهم ايضا في من يجب ان تعينه الحكومة السورية قائدا عاما لجيشها، فاذا كان هذا ما يريدونه فانه بالضبط ما يقاومه كل عربي يحرص على استقلال سورية، ولذلك فلندع الاستعمار يكذب كما يريد، ولنطمئن الى ان اللواء عفيف البزرة هو من ضباطنا الوطنيين الاكفاء... ولنطمئن الى انه اصبح من المستحيل على الاستعمار ان ينجح في طبخ اية مؤامرة جديدة في الجيش السوري (الرأي العام 21 آب 1957)

وبتاريخ 21-8-57 عقد الرئيس ايزنهاور مؤتمرا صحافيا اعلن فيه ان الموقف في سورية في الوقت الحاضر لا يبرر اي تدخل عسكري تقوم به الولايات المتحدة بموجب مبدأ ايزنهاور الذي سماه مبدأ الشرق الاوسط، ووصف الاتهامات السورية المتكررة بتدخل الولايات المتحدة وتآمرها لقلب نظام الحكم في سورية "بأنها ستار من الدخان يستهدف اخفاء استيلاء اليساريين على السلطة" وعندما نفى ايزنهاور بشدة احتمال اقدام الولايات المتحدة على التدخل العسكري في سورية سئل عما ستفعله الولايات

المتحدة حيال سرعة اتجاه سورية الى ما سماه احد الصحافيين بالفلك الروسي قال:

"انه موقف عسير لان هناك حدودا لما تستطيع الولايات المتحدة ان تفعله في الشؤون الداخلية لدولة اخرى" وقال:

ان للاتحاد السوفيتي خطة قديمة يقدم بموجبها مساعدة اقتصادية وعسكرية يتغلغل بموجبها في البلد الذي يتلقى هذه المساعدة" وقال:

"انه لم يتضح بعد في سورية الى اي حد بلغه تقدم تنفيذ هذه الخطة واعتذر عن ضعف معلوماته عن الوضع في سورية وقال انه يجب التزام جانب الحذر وجمع المزيد من المعلومات قبل اتخاذ قرار نهائي بشأن الموقف في الشرق الاوسط". وقال:

"انه حتى السفارة الاميركية تبدو غير عارفة تماما بما يحدث في دمشق بسبب الرقابة" وقد تجاهل ايزنهاور بذلك تجاهلا تاما حرية تنقل عدد كبير من الصحافيين وارسال برقياتهم من سورية ثم سئل عما اذا كانت السفارة الاميركية قد تعرضت لقيود دبلوماسية، فأجاب بالنفي، ولكنه قال:

"ان هناك مصاعب في الاطلاع على ما يجري في سورية" ورفض ايزنهاور ان يصف الضباط الذين تولوا قيادة الجيش السوري بأنهم شيوعيون او حتى موالون للشيوعية عندما قال:

"ان هؤلاء الضباط من العناصر اليسارية التي تقوم دعوتها للجماهير على اساس الدعوة القومية" وعندما احتج احد الصحافيين على عدم وصف الضباط السوريين بأنهم شيوعيون اجاب الرئيس ايزنهاور "ان هنالك امرا اساسيا في شن المعركة هو ان تعطي عدوك دائما خطا للتراجع" واختتم تصريحه بقوله:

"ان على العالم الحر كله ان يراقب الوضع في سورية عن كثب حتى لا يصل الى حد لا يعود معه باستطاعة جميع الدول غير الشيوعية تحمله"

وتعليقا على خطاب الرئيس الاميركي كتبت في جريدة البعث بتاريخ 57/8/23 مقالا بعنوان: "ستار الدخان في اقوال الرئيس الاميركي" هذا نصه:

"الذي يستمع من خارج سورية الى تصريح الرئيس ايزنهاور في مؤتمره الصحفي الاخير يقفز الى ذهنه فورا ان ثمة انقلابا قد حدث فيها سيما عندما

يقول ان الاتهامات السورية المتكررة بتدخل الولايات المتحدة وتآمرها لقلب نظام الحكم في سورية انما هي ستار من دخان يرمي الى اخفاء استيلاء اليساريين عن السلطة، وهذا كلام لا يعني الا ان اليساريين قد استولوا على السلطة بعد اكتشاف المؤامرة على سورية، ولنا ان نتساءل في سورية:

من هم اليساريون الذين استولوا على السلطة بعد اكتشاف المؤامرة؟ انه لم يحدث اي تغيير او تبديل في السلطات المدنية، فالاوضاع الدستورية ما زالت قائمة بكاملها، المقصود اذن من تصريح الرئيس ايزنهاور ان هذا الاستيلاء على السلطة في سورية قد جرى في الجيش، والواقع انه لم يحدث اي استيلاء على السلطة في الجيش نفسه، فالاركان وشعبها مشغولة منذ زمن طويل بالاشخاص انفسهم القائمين على قيادة الجيش الان، ولم يحدث تغيير سوى ان رئيس الاركان السابق قد قدم للمراجع المسؤولة طلب احالته على التقاعد فقبل وحل محله من كان في رئاسة شعب الاركان العامة، وقد سبق ان تقدم بعض رؤساء الاركان في الماضي بطلب احالتهم على التقاعد فأجيبوا الى طلبهم دون ان يعتبر ذلك امرا خطيرا يهدد العالم الحر" ويقلق بال الرئيس الاميركي ايزنهاور.

اذن لم يجر اي تبديل او تغيير بالاوضاع في سورية، لا في الجهاز السياسي والاداري ولا في الجهاز العسكري، والغريب ان يطلب من سورية ان تستأذن الولايات المتحدة بقبول استقالة موظف سواء اكان مدنيا ام عسكريا، والاغرب من ذلك ان تكون سورية ملزمة بجهازها المدني والعسكري ان تستحصل من الولايات المتحدة على شهادات حسن سلوك بحق موظفيها، ولا اظن ان الهستريا تصل بالسياسة الاميركية الى هذا الحد الا اذا اعتبرت سورية بلدا محتلا مستعمرا لا يتمتع بأي مظهر من مظاهر الاستقلال والسيادة، والامر عندما يبلغ هذا المبلغ، فخير لسورية الاحتلال المكشوف والاستعمار السافر عن الاستعمار الخفي والاحتلال بدون جيوش.

لقد قاومت سورية الاستعمار الفرنسي وقضت عليه ونالت استقلالها عن جدارة واستحقاق اذ صبغت كل شبر من اراضيها بدماء الضحايا والشهداء وقد كانت فرنسا آنذاك، اي قبل الحرب العالمية الثانية، في طليعة الدول الاستعمارية الكبرى في العالم، ومع ذلك فان سورية الصغيرة العزلاء استطاعت ان تقف في وجهها وتكافح لنيل استقلالها وحريتها وقدمت من الاضاحي ما لم يقدمه شعب صغير في العالم، كان هذا في الوقت الذي لم

تكن فيه اسرائيل قد قامت بعد تهدد الوجود العربي، فكيف بنا الان ونحن نعتبر ان معركة الحرية بيننا وبين اميركا هي بالفعل معركة بيننا وبين اسرائيل، وبالتالي فهي معركة بقاء ووجود بالنسبة الى العرب لا معركة حرية واستقلال فحسب، ومهما يكن من امر فان سورية في هذه المعركة لن تكون وحيدة في الميدان بل سيكون الشعب العربي بأسره الى جانبها، كما ستكون بجانبها ايضا جميع الدول الحرة والمحبة للسلام في العالم ولو ادى ذلك الى نشوب حرب عالمية جديدة.

لا اعتقد ان الرئيس الاميركي يمكن ان يصل الى هذا الحد، ان ذلك يعني سيادة شريعة الغاب في العالم، والقضاء المبرم عن السلم، بل والقضاء على الحضارة الانسانية وتدمير المدنية.

ان الرئيس الاميركي كان يجول في خاطره في مؤتمره الصحفي معنى لم يجرؤ على الافصاح عنه:

اليساريون في سورية لم يستولوا على السلطات المدنية ولا العسكرية - كما زعم - وانما الذي حدث هو افتضاح المؤامرات التي دبرتها حكومته على يد سفارتها في دمشق لقلب نظام الحكم في سورية.

ان كلام الرئيس الاميركي يمكن ان يعني شيئا لو ان هؤلاء المتآمرين كاوا مسؤولين على زمام السلطة في سورية، وفي مثل هذه الحال لا داعي للتآمر الاميركي لقلب نظام الحكم، ان الاسماء التي دارت حولها تهمة التآمر حتى الان، لم يكن اي واحد منها مستلما للسلطة الفعلية في الجيش، ان الرأس الاول للمؤامرة هو اديب الشيشكلي وهو فار من البلاد ومحكوم بالاشغال الشاقة المؤبدة، والرأس الثاني هو العقيد ابراهيم الحسيني، ملحق عسكري في روما منذ عهد بعيد، وقسم من المتآمرين من الذين سرحوا من الجيش منذ زمن طويل.

اذن ليست اتهامات الحكومة السورية الولايات المتحدة لتآمرها على الوضع القائم في سورية هي التي تشكل ستارا من الدخان لاخفاء تسلط اليساريين على الحكم كما قال الرئيس الاميركي، وانما مزاعم الرئيس الاميركي نفسه هي ستار الدخان الحقيقي الذي اراد به اخفاء غضبة حكومته من اخفاق موظفيها في سورية بجعل عملاء امريكا يتوصلون الى

الاستيلاء على الحكم وقلب الاوضاع الدستورية القائمة فيها لمصلحة الاستعمار الغربي واسرائيل.

ويبدو ان الحكومة الاميركية على ما يظن تعتبر اخفاق مؤامرتها لقلب نظام الحكم تسربا شيوعيا... والا فما الداعي في هذا الصدد، لقول الرئيس ايزنهاور ان تلك خطة سوفياتية قديمة للاستيلاء على البلد الذي تقدم له مساعدات اقتصادية وعسكرية، فهل يعني الرئيس ان عملية شراء المواد اللازمة لسورية بالتقسيط لاجال، وعملية شراء السلاح هي تسرب شيوعي؟ ما هو موقف الرئيس الاميركي من حليفته تركيا بعد علاقاتها التجارية الجديدة مع الاتحاد السوفيتي؟ وبماذا يفسر الرئيس الاميريكي شراء بولونيا للقمح من اميريكا مقسطة اثمانه الى آجال، هل هو تسرب للنفوذ الاميركي الى بولونيا؟

وقصارى القول ان اعجب ما في تصريح الرئيس ايزنهاور في مؤتمره الصحفي هو نفيه للمؤامرة الاميركية لقلب نظام الحكم في سورية، ان المرء يمكن ان يقبل هذا الكذب المفضوح من السفارة الاميركية ومن وزارة الخارجية الاميركية، اما ان يرتكب هذا الاثم الرئيس الاميركي بالذات، فهذا غير مقبول ولا معقول، واذا كانت السفارة الاميركية او الحكومة الامركية تخفي عن ايزنهاور حقيقة ما قامت به في سورية فالامر ادعى الى العجب والاستغراب، ولعل في رفع قضية المؤامرة الى مجلس الامن ما قد يقنع الرئيس الاميركي بصدق الحكومة السورية وكذب المخابرات المركزية.

ليست هذه هي المرة الاولى التي تشترك فيها حكومة الولايات المتحدة في التآمر على الاوضاع الدستورية في سورية اذ سبق ان كشفت المحاكمات التي جرت لقتلة الشهيد عدنان المالكي بما ظهر فيها من وثائق ومستندات ان للولايات المتحدة فيها باعا طويلة، وكذلك لم تكن الحكومة الاميركية في منأى عن المؤامرة الاخيرة على سورية اثناء العدوان الثلاثي على مصر، وقد تمكنت سورية بوعيها وصمودها من احباط هذه المؤامرات كافة، وكانت كل مؤامرة تحبط تزيدها تماسكا وقوة، وتجعلها اكثر ايمانا بصحة السياسة الاستقلالية العربية التي تنتهجها.

مشاروات في اسطنبول يحضرها عبد الاله وفاضل الجمالي والملك حسين وعدنان مندريس حول تطورات الوضع في سورية، والولايات المتحدة ترسل وكيل وزارة الخارجية هندرسون للتشاور معهم- اعداد الشعب في سورية للمقاومة- أصبح مألوفا ان نرى السلاح في أيدي النساء المحجبات اللواتي كن قابعات في أعماق الأحياء الشعبية - مقاومة الاستعمار وتحديه وإرادة العيش ضمن النظام الديموقراطي والكرامة الوطنية قد صهرت بنارها المقدسة شعب سورية العظيم- تراجع الولايات المتحدة وحلف بغداد وموقف سورية يحرك اعماق الضمير العربي- انتخابي رئيسا لمجلس النواب.

بعد انكشاف مؤامرة ستون الاميركية - بدأ الغرب بقيادة اميركا يفكر جديا بطريقة ما لغزو سورية من قبل جيرانها في حلف بغداد بالتواطؤ من حكام المنطقة وهذا ما كان يوجب على الحكم في سورية أن يرتفع الى مستوى هذه المسؤولية الخطيرة ولذلك تابعت الكتابة فيما يتوجب على الحكومة القومية ان تقدم من اصلاحات جذرية في الحقل الداخلي فكتبت بتاريخ 30 آب 1957 مقالا وقعته باسم البعث تحت عنوان: لا بد للحكم أن يرتفع الى مستوى مسؤولياته.

في الوقت الذي تطرح فيه قضية سورية في حدة وخطورة على الصعيد الدولي بعد افتضاح المؤامرة الاستعمارية الاميركية الاخيرة. فتعقد المؤتمرات الدولية ويرسل دالاس مبعوثه هندرسون الى الشرق الأوسط يزداد الشعب العربي في سورية يقينا في كل يوم بصحة سياسته الخارجية والعربية وبعدالة قضيته، وبان كل تآمر الاستعمار وضغطه لن يستطيعا تبديل هذه السياسة ولن يوقفا تطور الشعب العربي الصاعد في طريق التحرر والوحدة.

ان صمود سورية قد أحرج الاستعمار واضطر ايزنهاور للكشف عن عجز الاستعمار عن التدخل المباشر في سورية بعد فشله في مؤامراته المتعاقبة وفي محاولات التسرب والغدر اذ اصبح مطروحا على الولايات المتحدة الاميركية ومن يدور في فلكها من الدول الاستعمارية؛ إما ان تبدل نهج سياستها من سورية بل من الشرق الاوسط كله، واما ان تدخل في مغامرة جديدة، لن تعود عليها وعلى الاستعمار العالمي كله الا بالخراب والدمار.

فسياسة سورية الخارجية قد ظفرت بان تجعل من قضية تحررنا قضية عالمية تؤثر في مصير العالم وفي سياسة دوله الكبرى. ولكن هذه الانتصارات الكبرى التي سجلتها سورية في فضح التآمر وخنق المؤامرات، وفي رد كيد الاستعمار والصمود في وجه ضغطه السياسي والاقتصادي، هذه الانتصارات التي سجلتها سورية في سياستها الخارجية والعربية، تبقى مفرغة من محتواها ومجردة عن اهدافها العميقة اذا لم ترس قواعد للسياسة الداخلية قوية متينة ترتفع بالحكم الى مستوى قضية البلاد وحاجاتها. واذا لم تتبع هذه الخطوات في السياسة الدولية، بخطوات مباشرة في الداخل باجراء اصلاحات اقتصادية واجتماعية واسعة، تحرر البلاد من العجز والتردد والفوضى وتحرر الشعب من الخوف والقلق والشك.

لقد عاش شعبنا العربي في سورية، طيلة السنوات الثلاثة الماضية في جو من الضيق والقلق، يسكت كل حاجة من حاجاته وكل مطلب من مطالب الاصلاح في الداخل ليقف صفا واحدا في وجه الاستعمار والرجعية والتآمرٍ. كان الشعب يعيش كل يوم بيومه، ويدفع الحكم بكل قواه لضمان سيره في سياسة خارجية سليمة. واليوم، ولا نقول ان تآمر الاستعمار قد انتهى، ولا نتوقف عن تعبئة كل قوى الشعب المادية والمعنوية لمجابهة كل طاريء ولحماية هذه الخطوات والانتصارات التي ذكرناها ودعمها ولكن الضمانة الاساسية اصبحت في الالتفات الى تثبيت وضع سليم قوي في الداخل، بل ان كل هذه الانتصارات تبقى عرضة للضياع وللانحراف اذا لم تقم سياسة الحكم الداخلية على فكرة انشائية للدولة في الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي.

لقد وضعت البذور الاولى لهذه السياسة الانشائية في الموازنة الاستثنائية للدولة، وقد أتت الاتفاقيات الاقتصادية الاخيرة مع الاتحاد السوفياتي دعامة كبيرة للسير في تنفيذ هذه المشاريع، وللخروج بسورية

من وضع البلد المتخلف، الى وضع متطور يسير في طريق الاصلاح الزراعي والتصنيع والانماء الاقتصادي.

واذا كانت البلاد المتطورة المتقدمة المصنعة، لا تستطيع ان تقيم بنيان دولتها الا على منهج اقتصادي موجه، فمن البديهي اذن بالنسبة الى البلد المتخلف الذي هو احوج ما يكون الى خطوات سريعة كبيرة، انه لا يمكن ان يشق طريق التطور والتقدم الا بسياسة اقتصادية موجهة، ولا يمكن ان يصنع وان يقيم علاقاته التجارية وان يحفظ ثروته القومية وأن يدعم رأسماله الوطني الا باقتصاد موجه وبخطة واضحة للدولة وبمناهج دقيقة مرسومة الخطوات والهدف.

يجب ان يكون للدولة سياسة واضحة في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يطرحها تطور البلاد في كل يوم : الاصلاح الزراعي وقضايا الفلاحين. التطور الصناعي وقضايا العمل. الثروة الوطنية والقضايا المالية، وهذا ما يتطلب قبل كل شيء ان يكون عند الساسة المسؤولين ورجال الحكم فكرة انشائية للدولة وعقلية متحررة وعلمية.

وامام هذه المطالب والحاجات الملحة، كم نرى هذا الحكم متكلا ومقصرا، وكم نرى جهاز هذه الدولة ضعيفا وعاجزا بل وموبوءا. ان مطالب التطهير والاصلاح يلهج بها كل فرد من الشعب، ونقائص اجهزة الدولة وفوضى الادارة، وتفشي الفساد فيها، اصبحت شائعة ومعروفة، والمسؤولون كلهم من ساسة ونواب ووزراء لا يفتأون يرددون هذه الحاجات للتطهير والاصلاح، دون أن يلمس الشعب أية خطوة جدية في هذا السبيل، وكأن الامر مجرد آمال وتمنيات.

ان دعائم السياسة الانشائية والاقتصادية الداخلية لا يمكن ان تقوم الا على جهاز للدولة قادر على تحقيق اغراض هذه السياسة. لذلك فان التطهير السريع والحاسم للجهاز الحكومي هو أول الخطوات التي لا يمكن بدونها ضمان تنفيذ اية خطوة سياسية من هذه الخطوات التي يتطلبها تحرر البلاد وتطوير اقتصادها وتصنيعها. فلا بد للحكم اذن من اجراء اصلاح جذري في اجهزته الادارية كافة وفي اساليبها في العمل ولا بد من تطهير كافة دوائر الدولة من العملاء والفاسدين والعجزة المتسكعين، ولا بد ان تحل الاخلاق والكفاءة والاختصاص محل الوجاهة والنفوذ والمحسوبية، ولا بد من دعم

اجهزة الدولة بالمخلصين العاملين وبالاخصائيين من اصحاب الكفاءات وبالرجال المؤمنين بالسياسة التحررية لهذه البلاد وبمستقبلها.

ان مفاسد هذه الدولة اكثر من ان تحصى، ولو جئنا بمثال على ذلك احدى مصالح الدولة الكبرى، التي تقتضي طبيعة العمل فيها ان يكون اكثر موظفيها في الارياف، وتضم هذه المصلحة 400 موظف، لوجدنا ان منهم في دمشق وحدها 300 موظف واكثر من خمسين منهم يتقاضون رواتبهم دون ان يداوموا على اعمالهم، واذا ذكرنا ان عمليات حفر الآبار قد توقفت كما توقف جر المياه للقرى العطشى لتتلهى الحكومة والمجلس بقضايا رفع رواتب ورتب الموظفين بعد أن كلف رفع رواتبهم 54 مليون ليرة للدولة دون أن يأتوا بأي مردود جديد سوى تدني مستوى العمل والانتاج في اجهزة الدولة، واذا ذكرنا ان مسألة عائدات البترول من التابلاين ما زالت معلقة من اكثر من عامين دون ان تحل، واذا ذكرنا الى جانب ذلك ما يلاقيه كل مشروع انشائي وكل قضية من تعثر واعاقة في دوائر الدولة، عرفنا الى اي حد وصل عجز الجهاز القائم للحكم عن النهوض باعباء أية خطوة انشائية او تقدمية جدية.

ان كل هذا يضع الحكومة القائمة، واشخاصها والاحزاب والكتل التي تدعمها، امام مسؤولياتها الكبرى. لقد اكتفت حتى اليوم بنجاحاتها في سياستها الخارجية والعربية، ولا يمكن ان تسير البلاد في الطريق الانشائي المنتج، اذا لم تنفذ بروح جديدة وبسياسة داخلية اصلاحية واسعة وهذا ما يتطلب من الساسة قدرا كبيرا من التحرر من المصالح الشخصية والطبقية ومن عقلية التنفذ والمحسوبية، اي لا بد لهذه الحكومة من ان تتجاوز نفسها في نهج جديد لسياسة داخلية جديدة، واذا لم تستطع ان تبرهن على قدرتها على التحرر بالمقدار الكافي الذي يسمح بالسير بالبلاد في طريق الاصلاح الجذري، فلا بد من اعادة النظر فيها، لتتشكل حكومة قادرة على الاضطلاع بالمسؤوليات وعلى حمل عقلية انشائية للدولة وبرامج اصلاحية واضحة لها.

الصهيونية وبريطانيا تحرضان الولايات المتحدة على عزل سورية.

لم ير ايزنهاور بدا من القول في مؤتمر صحافي في شهر آب 1957، عندما حرضه صحافي يهودي على سورية :

"إن هنالك حدودا لما تستطيع أن تفعله الولايات المتحدة حين يتعلق الأمر بالشؤون الداخلية لدولة أخرى". ولكن الدبلوماسية البريطانية تحركت محرضة فأعربت عن خيبة أملها "لأن مشروع ايزنهاور قد أثبت عجزه عن مواجهة الموقف في الشرق الأوسط" وذكرت وكالة اليونايتد برس "ان سفير بريطانيا في واشنطن سيجري مع دلس سلسلة من المباحثات لتأكيد ما تشعر به بريطانيا من قلق بسبب الوضع في سورية، وان ثمة فكرة يجري الآن بحثها وهي دعوة دول حلف بغداد الخمس الى عقد جلسة طارئة لمناقشة ما يتخذ من تدابير مضادة لمواجهة هجوم الاتحاد السوفيتي الدبلوماسي والاستراتيجي على دول الحلف". في هذا الوقت كان الملك فيصل والامير عبدالاله يجتمعان في اسطنبول مع عدنان مندريس رئيس الوزارة التركية للتشاور حول "تطورات الوضع في سورية" وقد صرح فاضل الجمالي لرجال الصحافة التركية قائلا : "انني كقومي عربي اشعر بالقلق الشديد لما حدث في سورية، وأستطيع أن أقطع بأن غالبية الشعب السوري لا تريد أن تكون شيوعية". كما انضم الملك حسين للمتشاورين في اسطنبول، ولكنه صرح قبل سفره إليها بأنه ليس لسفره أية علاقة بالخطط الغربية تجاه سورية.

وبتاريخ 24-8-57 وصل (لوى هندرسون) وكيل وزارة الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الأوسط الى أنقرة "لبحث الموقف في سورية" وقالت اليونايتد بريس :

"ان الدوائر السياسية في واشنطن تتحدث عن امكان تكتيل دول حلف بغداد المجاورة لسورية والموالية للغرب لعزل سورية سياسيا، كما أن هذه الدوائر تبحث اتخاذ اجراء لمعالجة الموقف في سورية عن طريق لجنة مقاومة النشاط الهدام التابعة لحلف بغداد، وتذكر الوكالة أن أخبارا وردت من بيروت تقول أن البعثات الديبلوماسية الاميركية والبريطانية والفرنسية والكندية نصحت رعاياها بعدم السفر الى سورية خلال العشرين يوما القادمة لانها لا

تستطيع أن تضمن سلامتهم ولأنها لا تعرف ماذا ستفعل الدول[1] المحيطة بسورية خلال هذه الفترة".

عقد هندرسون في تركية عدة اجتماعات مع جلال بايار رئيس الجمهورية وعدنان مندريس رئيس الوزراء والملك حسين والملك فيصل والامير عبد الاله لبحث "التطورات الاخيرة في سورية" وتوافقت هذه الاجتماعات مع تطور واضح في موقف الادارة الاميركية نحو سورية إذ عقد الرئيس ايزنهاور عدة اجتماعات مع زعماء الكونغرس الجهوريين صرح على اثرها الشيخ (نولاند) عضو مجلس الشيوخ: "إن الموقف الناشيء عن تطور الأوضاع في سورية بالنسبة للشرق الأوسط خطير جدا" وقال دالس في مؤتمر صحفي : "ان تدفق الاسلحة السوفيتية على سورية يشكل خطرا على جيرانها لأن الذين يسيطرون على هذه الاسلحة متأثرون بالشيوعية الدولية.." كما ألغت البحرية الاميركية زيارة الاسطول السادس للمواني‌ء الفرنسية وأمرته بالبقاء في الشرق المتوسط... وقد نشرت وكالة الشرق الأوسط أن محمد علي حمادة سفير لبنان في تركية أرسل الى حكومته تقريرا عن تفاصيل محادثات هندرسون في انقرة جاء فيه "إن الحكومة التركية نصحت هندرسون باتخاذ تدابير عسكرية عاجلة ضد سورية على اسلوب حرب الصاعقة لئلا يخسر الغرب معركة سورية كما خسر معركة القناة".

وفي تاريخ 29-8-57 وصل هندرسون الى بيروت، وعقد اجتماعات عديدة مع رئيس الجمهورية كميل شمعون ووزير الخارجية شارل مالك ورئيس الوزارة سامي الصلح، كما اجتمع بسفراء الولايات المتحدة في كل من بيروت وعمان وبغداد وطهران، ومع سترونغ القائم بأعمال السفارة الاميركية في دمشق والموظفين الاميركيين الثلاثة الذين طردوا من سورية ... وفي تلك الفترة أيضا اجتمع التلهوني وممتاز الدفتري وزير خارجية

(1) كانت احداث هذه الفترة المحاولة الغربية الاولى لجعل العرب يقتتلون فيما بينهم، ولكن الظروف الدولية آنذاك بالاضافة الى الوضع الشعبي في سورية والعالم العربي قد افشلت هذه المحاولة التي نجحت فيما بعد خلال حرب الخليج عام 1991.

العراق الى شمعون وتقرر أن يقابل الدفتري هندرسون، ولكن سافر فجأة الى بغداد بناء على استدعاء حكومته، وأشاعت المصادر الاميركية في بيروت بأن فاضل الجمالي هو المرشح لتأليف حكومة عراقية جديدة تحل محل حكومة الأيوبي لأنها غير متحمسة لفكرة اتخاذ أي تدابير ضد سورية، وان ممتاز الدفتري كان سيستنكر علنا أثناء وجوده في بيروت أي تدخل اجنبي في شؤون سورية.

أجل هندرسون فجأة سفره من بيروت الى واشنطن، وقيل انه سافر سرا الى السعودية وقيل انه سافر الى اسرائيل، وبعد عودته الى بيروت سافر ثانية الى اسطنبول حيث اجتمع من جديد مع ولي عهد العراق عبدالاله ورئيس الأركان العراقي بينما كان الاسطول الأميركي يجري مناورات في المتوسط قيل ان هدفها هو تجربة الدفاع عن السواحل التركية وبينما كانت مجموعة من القطع البحرية السوفيتية تدخل الى البحر الابيض المتوسط.

عاد هندرسون الى واشنطن بتاريخ 4-9-57 وصرح للصحافيين في المطار:

"إن الوضع السوري بالغ الخطورة وانه لا يهدد الشرق الاوسط فحسب بل قد يؤثر تأثيرا خطيرا على العالم الحر بأسره" وقال "ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تعمل الكثير لتحويل التيار الوطني في سورية وأنه يجب على الولايات المتحدة ان تقدم المزيد من المساعدات الى الدول المجاورة لسورية وخصوصا الأردن لحمايتها من الخطر الشيوعي". وقد علقت على رحلة هندرسون بالمقال التالي الذي كان افتتاحية البعث بتاريخ 6 ايلول 1957 تحت عنوان [معركة الخلاص] وهذا نصه:

قبل اسبوعين دشن الرئيس الاميركي ايزنهاور بالذات حملة تضليل الرأي العام العالمي عن حقيقة الاوضاع القائمة في سورية. وقد كان واضحا من هذه الحملة التي جاءت عقب كشف المؤامرة الاميركية على استقلال سورية واتجاهها السياسي التحرري، انها كانت ستارا لتحويل انظار الراي العام العالمي عن النشاط الهدام الذي تمارسه الولايات المتحدة في سورية

للنيل من استقلالها وتعريض سلامتها وأمنها للفوضى والتخريب واراقة دماء الآمنين والابرياء.

غير ان الاتصالات والمباحثات التي تمت اثر ذلك بين الدول الغربية اكدت ان الاستعمار الغربي وعلى راسه اميركا يريد أن يذهب بحملة التضليل ابعد من ذلك. لقد اراد ان يجعل من كشف المؤامرة المجرمة على سورية نقطة انطلاق لتحقيق ما فشلت المؤامرة في تحقيقه، ألا وهو القضاء على استقلالها والحاقها بالسياسة الغربية الاستعمارية الصهيونية.

لهذا السبب جاء هندرسن مبعوث وزارة الخارجية الاميركية الى الشرق الاوسط، ولهذا السبب نفسه قام باتصالاته المعروفة في استانبول باقطاب حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور ذلك لان الذين اتصل بهم المبعوث المذكور هم آخر من يمكن ان يعرف المسؤولين الاميركان بحقيقة الاوضاع القائمة في سورية اذا كانت وزارة الخارجية الاميركية تجهل هذه الحقيقة، ولأن سجل المؤامرات الاميركية المفتوح في سورية منذ ان بدأت تمارس استقلالها بجرأة يجعل من المستحيل على احد أن يصدق ان اميركا تريد حقا معرفة حقيقة الاوضاع. بل ان معرفتها الحقيقة لهذه السياسة الاستقلالية التحررية التي تمارسها سورية هي التي جعلتها تحيك كل يوم مؤامرة فاشلة اثر مؤامرة فاشلة اخرى.

على ان زيارة هندرسن ان كانت قد دلت على شيء فانما تدل على ان الحكام العرب اتباع حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور انما يزدادون انفضاحا، ويكشفون في كل حركة من حركاتهم وسكناتهم عن تهافت منطقهم... والا فكيف يمكننا ان نفسر اجتماعهم بالمبعوث الاميركي وتداولهم في اوضاع هي بالنسبة الى سورية من صميم الشؤون الداخلية.. هذه الشؤون التي كانوا يتذرعون بها هم انفسهم للتنكيل بشعبهم في الداخل عندما يتعرض حكمهم الاستعماري لانتفاض الشعب عليه؟

وهل ثمة دليل ابلغ على خدمة هؤلاء الحكام العرب لمصالح اسرائيل والصهيونية من قيام هندرسن بدور الوسيط بينهم وبين اسرائيل في احكام حلقة المؤامرة العدوانية التي تدبر على سورية؟

ان قيام هندرسن باتصالاته المريبة وبمباحثاته المشبوهة في استانبول وبيروت وتل ابيب، وتصريحه في الولايات المتحدة عقب نزوله من

سلم الطائرة ان الحالة في سورية "بالغة الخطورة" واتجاهه مباشرة لمقابلة "دالس" لا يمكن ان يكون لهذا كله غير تفسير واحد هو أن ثمة مؤامرة اميركية في طريق الاعداد والتنفيذ ضد سورية المستقلة المؤمنة بحيادها والعاملة بصدق وعزم على استكمال اسباب هذا الاستقلال في الميدانين السياسي والاقتصادي.

هذه المؤامرة الاميركية الجديدة هي التي يتوجب ان تتجه اليها انظار الحكومة السورية اليوم لتتحمل مسؤولياتها وتقوم بواجباتها تجاه هذه الاخطار المحدقة بالشعب العربي في سورية، وبالعرب كلهم الذين يؤلف كفاح سورية في سبيل استقلالها في نظرهم طليعة كفاح الشعب العربي كله في سبيل التحرر والوحدة والحياد الايجابي والتعايش السلمي.

ان أول هذه الواجبات هي ان تقوم فورا وعلى الصعيد الداخلي باتخاذ جميع الاجراءات الكفيلة باحباط اي مؤامرة قد تنفذ أو عدوان محتمل الوقوع قد تتعرض له من اسرائيل والدول المجاورة وذلك باعداد الشعب والجيش لخوض المعركة صفا واحدا عندما تدق ساعة الخطر.

كما أن عليها في الوقت نفسه أن تنبه الرأي العام العالمي الى ما يحاك ضدها بين الولايات المتحدة وتركيا واسرائيل والحكام العرب في لبنان والاردن والعراق تحت ستار رحلة هندرسن "الاستطلاعية" الى الشرق الأوسط، وذلك عن طريق المؤسسات الدولية كمجلس الامن وهيئة الامم المتحدة، وعن طريق الاتصال المباشر بجميع الدول وخاصة الدول الحرة الصديقة في آسيا وافريقيا ودول الكتلة الشرقية حتى لا يؤخذ الرأي العام العالمي على حين غرة، وكي يتاح له أن يساندها حق المساندة في المؤسسات الدولية وعن طريق المساعدات المباشرة المختلفة.

ان سورية في موقفها الصامد امام المؤامرات العدوانية لم تكن جاهلة حقيقة القوى الاستعمارية التي تهاجمها، ولا غير مقدرة لما يمكن ان يقوم به الاستعمار الذي جن جنونه بقيادة "دالس" من مغامرات حربية ضدها خاصة بعد العدوان الثلاثي الاخير. لقد كانت تعلم هذا كله عندما عقدت العزم على ممارسة استقلالها بجرأة. ولقد اقدمت عليه رغم انف الطغيان الاستعماري الهمجي الذي يريد ان يرد العالم الى أظلم عصور التاريخ ويعرضه الى اخطار الدمار والفناء. وهي في خطواتها التي تخطوها الى الامام نحو التحرر

والاستقلال كانت مصممة دوما على أن تدفع الثمن غاليا مهما كلف من تضحيات. وكان مشجعها في كل خطوة علمها اليقين ان صمودها لن يتيح لها ان تحافظ على حريتها فحسب بل انه سيهيب بالشعب العربي في اقطاره الاخرى التي استطاع الاستعمار ان يفرض عليها عبودية احلافه ومبادئه الآثمة القذرة الى الاطاحة بالنظم الرجعية القائمة فيها والقضاء على السياسات المفروضة عليها ويقربها من الوحدة العربية، ولقد كان يحفزها دوما الى الاستبسال في المقاومة يقينها ان شعوب العالم التي ارهقتها مئات السنين من تحكم الاستعمار واستغلاله واستثماره والتي استفاقت على جرائمه وزحزحته عن مواقعه بنضالها الدائب قد اصبحت من القوة بحيث لا تستطيع أية نكسة استعمارية همجية تثيرها حتى حرب شاملة مدمرة ان ترد العالم الى الوراء وتعيد الشعوب الآخذة في التحرر الى ربقة الاستعمار واغلال العبودية.

هذه الشعوب كلها وفي طليعتها الشعب العربي اصبحت السد الذي تتحطم عليه كل مغامرة لزج العالم في اتون الحرب، وان شعوب الدول الاستعمارية نفسها التي ذاقت ويلات الحروب العالمية والتي اخذت تعلن جهرا رفضها لخوض حروب جديدة لن تقبل ان تساق الى المجزرة بسهولة وستتمرد على حكامها الاستعماريين وتقف الى جانب بقية شعوب العالم المكافحة.

ثمة معركة فاصلة دوما في حياة الشعب بين الحرية والعبودية. ولئن أراد الاستعمار الغربي والصهيونية ان يقرب أجلها في عدوان يشن على سورية، فان الشعب العربي باسره سيخوضها ببسالة واقدام لانه يعلم حق العلم انها طريقة للتحرر النهائي من الاستعمار والقضاء على اسرائيل.

الآن وفي قلب هذه المعركة الفاصلة التي تقف فيها سورية وجها لوجه امام المؤامرات الاميركية المتصلة، ممثلة في وقفتها هذه يقظة الشعب العربي وطموحه الى التحرر وصموده في وجه الاستعمار الغربي واسرائيل، تقضي مصلحة القضية العربية ان يكشف بجلاء عن حقيقة موقف لبنان الرسمي والدور الذي يلعبه "حكماؤه" لمصلحة اعداء الشعب العربي.

ان ظهور السياسة العربية التحررية كنتيجة طبيعية لتزايد وعي الشعب العربي وكفاحه المستمر في سبيل تحقيق اهدافه القومية في

التحرر والوحدة واقامة مجتمع عربي تقدمي وتمثيل مصر وسورية لهذه السياسة وتمسكها بها ودفاعها عنها، كل هذا لم يكن ليستثير فقط الاستعمار الغربي واسرائيل، فيجن جنونهما. بل استثار ايضا الرجعية العربية الحاكمة وبصورة خاصة حكام لبنان.

ذلك ان حكام لبنان الى جانب خوفهم على مصالحهم من يقظة الشعب العربي شأن بقية الرجعيين من الحكام العرب، كانوا مسوقين الى محاربة هذه السياسة العربية التحررية التي تمثلت فيها القضية العربية بدوافع اخرى، هذه الدوافع هي حقد دفين على القضية العربية خلقه تفكير رجعي ذميم استطاعت سنون طويلة من السيطرة الاستعمارية ان تزرعه وتستثمره لحسابها لتحارب القضية العربية بابنائها انفسهم. هذه الدعاية الاستعمارية التي حاولت تشويه القضية العربية بأن افرغتها من مضمونها التقدمي لتطمس وجه لبنان العربي الذي كان سباقا الى تحقيق النهضة العربية هي الحقيقة الاولى التي تملي اليوم على حكام لبنان موقفهم الحالي في صف الاستعمار الغربي والصهيونية.

اما الحقيقة الثانية، فهي صلة حكام لبنان الحاليين باسرائيل. فالمراسلات المتبادلة بين شارل مالك وحكام اسرائيل صحيحة. وتكذيب شارل مالك يؤكدها ولا ينفيها. وصلة كبار المسؤولين في لبنان بالصهيونية حقيقة واقعة مدعومة بالوثائق وترجع الى ما قبل قيام اسرائيل. من هاتين الحقيقتين انبثق دور لبنان الرسمي منذ قيام حلف بغداد الى الآن. ويمكننا ان نؤكد ان هذا الحلف لم يكن ليولد لولا تعهد المسؤولين في لبنان بالقيام بدورهم فيه. ففي لبنان اقام الاستعمار اجهزته للدعاية ضد السياسة العربية التحررية وفيه تلفق جميع الاخبار والاكاذيب عن حقيقة الاوضاع في سورية التي تتناقلها وكالات الانباء العالمية والصحف الاجنبية. وفي لبنان اقام الاستعمار اجهزة التجسس والتخريب التي اعدها للتآمر على استقلال سورية، واليه يلجأ المتآمرون والمتجسسون كلما انفضح امرهم واخفقت خططهم. وفيه يلقون العون والمساعدة لمتابعة نشاطهم الهدام من جديد، بل ان لبنان الرسمي كان محرضا للدول الاستعمارية واسرائيل على شن عدوانهم الثلاثي على مصر وشريكا رسميا في المؤامرة على استقلال سورية التي نسجت على ارضه وتعهدها المسؤولون وسمحوا لعصابات

التخريب والاجرام ان تتدرب فيه، تشهد على ذلك المحاكمات الاخيرة التي جرت في الربيع الماضي.

ولم يكد يخفق العدوان وتخرج مصر ظافرة من المعركة وتنجو سورية من المؤامرة الهدامة ويظهر مبدأ ايزنهاور الذي استلم زمام التخطيط والتنفيذ للاستعمار الغربي واسرائيل في الشرق الأوسط حتى كان حكام لبنان أول من سارع الى قبوله. بل يمكن القول أن حكام لبنان المعروفين بصلاتهم المفضوحة بالاستعمار والصهيونية لم يكونوا فقط قابلين للمبدأ الاستعماري وانما المحرضين على ظهوره. هكذا لم يكن لبنان في هذه المرحلة مقرا للاستعمار فحسب وانما دافعا ومحرضا للمستعمرين وممرا لهم الى سورية خاصة والبلاد العربية عامة.

واليوم وفي هذه المعركة الفاصلة التي تشن على سورية بعد انفضاح المؤامرة الاميركية، فتح حكام لبنان ابوابه لهندرسون مبعوث وزارة الخارجية الاميركية وجعلوا من بيروت ملتقى لمؤامرات الحكام العرب على سورية، ولم يكتفوا بذلك بل انهم حرضوا الولايات المتحدة على العدوان وقدموا لها كل مبررات ذلك عندما زعموا ان سورية تحاول القيام بثورة مسلحة في لبنان لقلب الاوضاع الدستورية فيه باعتبارها دولة خاضعة للشيوعية الدولية، وان الفقرة التي وردت في تصريح ايزنهاور والتي تشير فيها الى حوادث الحدود، انما كانت استنادا الى المزاعم التي صدرت من حكام لبنان وكذلك ايضا ما اعلنته وزارة الخارجية الاميركية والرئيس ايزنهاور عن قلق الدول المجاورة لسورية عن الوضع الخطير فيها.

لذا فان المغامرة الجنونية التي كادت اميركا ان تقدم عليها ضد سورية، قد لعب فيها حكام لبنان الدور الأول ولم يكتف حكام لبنان بلعب هذا الدور على الصعيد الدولي في صف الدول الاستعمارية، بل ان دورهم الذي لعبوه على الصعيد العربي اشد اذى. لقد كانوا الاداة التي استعملها الاستعمار لجر الدول العربية الاخرى الى صفة وصف اسرائيل، واذا كانت السياسة الاميركية الاستعمارية قد وجدت بعض الصعوبة في دفع الملوك والرؤساء من الساسة والحكام العرب الى تحدي القضية العربية صراحة فانها استطاعت بواسطة حكام لبنان باعتبارهم عربا ان تدفع هؤلاء الى تحقيق مطامع الاستعمار واسرائيل، بالوساوس والدسائس التي استخدمها المسؤولون اللبنانيون وهكذا فان ما يعجز عن تحقيقه بن غوريون، وما يعجز

عن تحقيقه دالس وايزنهاور وبينو وسلوين لويد تحققه الفئة الحاكمة في لبنان.

كل هذا جرى ويجري الآن ولبنان الرسمي مستمر في تآمره على سو رية، وهو في كل يوم يقدم دليلا جديدا على استرساله في حقده الاعمى على القضية العربية، واننا اذ نعلن هذه الحقائق نود أن نصل الى النقاط التالية :

1- لقد اصبح من واجب سورية ان تنبه الشعب العربي كله الى هذا الدور المتآمر الهدام الذي يقوم به لبنان الرسمي. وأن كل تغاض او سكوت مهما كانت دوافعه شريفة طيبة اصبح ضربة قاتلة للقضية العربية، فضلا عن ان من واجبها ان تطلع رسميا جميع الدول العربية بجميع الوسائل المباشرة وغيرالمباشرة، عن طريق الجامعة العربية أو عن طريق المذكرات الرسمية أو غيرها من الوسائل.

2- يجب ان تمتنع سورية عن تقديم اية تضحية اقتصادية في سبيل لبنان. لذلك يجب ان يعاد النظر في جميع علاقاتها الاقتصادية به ويوضع حد للمائة وخمسين مليون ليرة التي تخسرها نتيجة لحرية انتقال الاشخاص اليه، عدا ما تلحقه هذه الحرية من اضرار بالتجارة والتجار السوريين.

3- ان اي تخطيط للسياسة الاقتصادية يجب ان يقوم على اساس انهاء هذه التضحيات مع لبنان، سيما وان سورية مقبلة على تحقيق خطوة جديدة في حياتها الاقتصادية.

ان سورية التي تخوض اليوم معركة قاسية ضد الاستعمار الغربي والصهيونية دفاعا عن القضية العربية كلها تجد نفسها في هذه المعركة التي لا هوادة فيها مضطرة الى اتخاذ جميع الاجراءات التي تكفل لها الدفاع عن سلامتها وسلامة القضية العربية كلها. وهي في دفاعها هذا عن نفسها لا تحمي شعب سورية وحده وانما الشعب العربي كله ومنه شعب لبنان. وهي في موقفها الصلب هذا من لبنان الرسمي تعلم حق العلم أنها لا تعبر عن ارادة شعب سورية فحسب وانما عن ارادة اكثرية الشعب العربي في لبنان. وان احرار لبنان وفئاته التقدمية الواعية لا يمكن ان تجد في كل صلابة تبديها

سورية الا عونا على قيام حكم عربي تقدمي فيه يعيده الى الحظيرة العربية التي أخرجته منها سياسة حكامه السائرين في ركب اعدائه واعداء العروبة.

□

عند عودة هندرسون الى الولايات المتحدة، قطع الرئيس ايزنهاور اجازته السنوية وعقد اجتماعا حضره وزير خارجيته دالس ومبعوثه هندرسون وبعد الاجتماع تلا دالس بيانا مكتوبا قال فيه :

إن هندرسون قدم الى الرئيس ايزنهاور تقريرا عن رحلته الى الشرق الأوسط التي استغرقت اسبوعين أجرى خلالهما مشاورات مع زعماء الدول العربية، وانه أبلغ الرئيس ايزنهاور "القلق الشديد الذي لمسه في الشرق الأوسط حول الموقف في سورية وما يبدو من تزايد سيطرة السوفييت فيها، وكذلك من تراكم الأسلحة الواردة اليها من دول الكتلة السوفيتية التي لا يمكن تبرير وجودها بمجرد الاحتياجات الدفاعية الخالصة" كما قال : "ان هندرسون أبلغ الرئيس ايزنهاور قلق الدول المجاورة لسورية من حوادث الحدود، ومن الدعاية والاعمال الهدامة الموجهة لقلب الحكومات في الدول العربية المجاورة. وأن هندرسون ضمن تقريره بعض حوادث الحدود التي قامت بها سورية ضد جيرانها!". وقال دالس : "ان الرئيس ايزنهاور ابدى اهتمامه العميق لما ورد في تقرير هندرسون والتقارير الأخرى التي تلقتها وزارة الخارجية الاميركية من سفراء الولايات المتحدة في تلك المنطقة، آخذا الوضع هناك بمنظور ميثاق الأمم المتحدة الذي لا يبيح لسورية حق استخدام القوة الا في حالة الدفاع عن النفس" وقال: "ان الرئيس ايزنهاور أكد بعد سماع تقرير هندرسون ان الكونغرس خوله سلطة مساعدة دول الشرق الأوسط للدفاع عن نفسها ضد التوغل الشيوعي وأن الرئيس عقد العزم على تنفيذ السياسة القومية الاميركية في معارضة النشاط السوفيتي، وأنه أمر بالاسراع في تقديم العون الاقتصادي والدفاعي الموضوع في برنامج مساعدات دول تلك المنطقة بأقصى ما يمكن من السرعة، وأعرب عن أمله في ألا يعمد الشيوعيون الدوليون الى دفع سورية

للقيام بأعمال عدوانية ضد جاراتها وأن يعمل الشعب السوري على تخفيف حدة القلق الذي سببته الأحداث الأخيرة".

بعد هذا البيان أصبح احتمال العدوان المسلح على سورية اكبر مما كان عليه في السابق فعلقت عليه بأنه بيان مليء بالمغالطات والاختلاقات ومشبع بروح عدائية وهو يدعو للحذر واليقظة والاستعداد لمجابهة اي مغامرة قد يقدم عليها الاميركيون وقلت :

"إن الاتهامات التي وجهها ايزنهاور الى سورية مختلقة وكاذبة، فسورية لم تعتد على أحد ولم ترتكب حوادث حدود، ولم تتآمر على الحكومات المجاورة في حين أن الذي اعتدى على حدود الأردن هو اسرائيل والذي تآمر على قلب الأوضاع الدستورية الديموقراطية هو الولايات المتحدة".

كانت الشكوك التي يثيرها عملاء حلف بغداد حول صحة المؤامرات على الاتجاه الوطني الديموقراطي تساور بعض الناس وتجعلهم يخشون أن تكون موجة الدعاية السوفيتية قد جرفت سورية بعيدا، ولكن هذه الشكوك زالت بعد نشر وثائق حلف بغداد التي أظهرت صحة موقف الشعب السوري بقيادة الحزب وصحة موقف الاتحاد السوفيتي، وفيما يلي نص الوثيقة التي وجدت مكتوبة بخط رفيق عارف رئيس أركان الجيش العراقي الذي حضر مع عبد الإله اجتماعه في اسطنبول مع هندرسون، وقد تليت خلال محاكمته ، وهي قسم من محضر الاجتماع :

بعد قبول الطلب المشترك من تركيا والعراق ولبنان والاردن تكلم هندرسون وقال:

إن امريكا راغبة بقوة لاعطاء الفرصة لعمل يقوم به العراق والاردن مسندا من قبل تركيا مع تحمل اي ملابسات واتخاذ كل الوسائل لمنع مداخلة مصر وروسيا واسرائيل.

ثم قال هندرسن : وتكلمت مع دالس وايزنهاور ويعتبرون الموقف مخطر وهم حاضرون لاسناد اي مداخلة من العراق والاردن ويتخذون كل

الوسائل لمنع مداخلة روسيا ومصر واسرائيل وهم يرغبون لاعادة حرمتهم بالمنطقة ويسندون الموقف في الامم المتحدة.

وفي وقت مبكر من هذا الاسبوع جاءت برقيات الى الخارجية والبيت الابيض توضح الاهتمام في التطورات بسوريا. سفراؤنا في لبنان والعراق وعمان ارسلوا برقيات بان حكوماتهم اثار قلقها الوضع في سوريا وسألوا عن رأينا وما نفعله وجاءت برقية مشتركة بواسطة سفيرنا وردت عن العراق وتركيا من اسطنبول عن رأي امريكا وامكان اسناد امريكا في اي عمل ممكن.

ثم قال هندرسن :

نحن حللنا الموقف وفي رأينا :

1- الموقف الحالي في سوريا يقصد اعطاء سوريا الى روسيا تدريجيا وصلة وصلة (أي قطعة قطعة باللجهة العراقية).

2- اثارة الوطنية العربية والتقدم في الاقطار العربية.

3- الحياد ونحن نعتقد بأن في خلال شهور قلائل وراء هذا الحياد المفروض سيأتي سلاح كثير من روسيا واخصائيون وتدريجيا تصبح سوريا معسكر روسي وبعد ذلك يعقبه معاهدات متصلة بين سوريا وروسيا تجعل التدخل في سوريا يورط روسيا بحرب. نحن نشعر بان سوريا ستكون جهاز رادار في الشرق الأوسط للتأثير السياسي وان ذلك الخطر نلاحظه باهتمام واحسن طريقة للاجابة على هذه الاسئلة هو مجيئي الى هنا لاتذاكر معكم راسا حول الموضوع.

ثم قال : لم أت هنا لالح على تركيا أو على أي قطر لاتخاذ أي موقف أو أي خطة ولكن نعطيكم افكارنا ونعاونكم للعمل. القرار يعود لكم وإن اردتم العمل قولوا لنا نحن نستطيع ان نمنع اسرائيل من التدخل فاذا رفضت اصبع واحد يكون فناؤها وهي تفهم ذلك.

هذه النقطة الأولى اما النقطة الثانية فسوريا طفل مدلل لروسيا ونتأمل بان القضية تحل قبل ان تصبح لروسيا حرية كبيرة في الشرق الأوسط يمكن ان يتدخلوا او يؤيدوا. وحكومتي تعتقد بأن الامن في المنطقة يتطلب ان نعمل كما تعمل روسيا، فاذا هددت روسيا فنقوم بنفس الشيء ونعمل على ايقاف تدخلها. اذا جرى عمل مسلح فيجب أن يجري قبل الأوان ترتيب اسباب

تجعل من الممكن الدفاع عن ذلك في هيئة الامم المتحدة على اساس دفاع مسلح والتخلص من هذا الوضع، ويجب ايضاح القضية بشكل يطمن باقي الدول العربية بان العمل ضد وضع قائم وليس حرب مع سوريا وان الشيوعية هي ضد الاسلام كما انها ضد المسيحية.

حكومتي تعتقد بان هناك ضرورة لوجود هدف واحد لاي حرب مسلحة ويجب ان لا تكون هنالك اغراض. السعودية تشك بنوايا العراق ضد سوريا، الان الوضع احسن. ان الحركة يجب ان لا تستهدف توحيد سوريا والعراق وهذا ليس معناه انه يمكن ان يجري في المستقبل ولكن يجب ان يكون واضحا بان ذلك ليس غرضا ثم قال:

مهم جدا ان الهدف يجب ان يكون واضحا لمنع الافكار من قبل الباقين خاصة ابن سعود حول الوحدة بين سوريا والعراق والغاية هي اعادة الحكم في سوريا مستقلا بدون اي خطوط.

قال الامير عبد الاله :

ان حكومة العراق قالت هذه سياستنا دوما وقلت انني ذاهب الى بغداد ومستعد للذهاب الى سعود لايضاح ذلك له (هذا قول عبدالاله) يوسف ياسين قال لسفيرنا بان فكرة الملك هو ان نكون هادئين تجاه الوضع ونعامل الحكومة الحالية في سوريا بود واعادة الامور الى مجاريها وهو يعتقد بأن ذلك ليس برأي الملك بل رأي يوسف ياسين نفسه وسفيرنا سيواجه الملك ليوضح له الوضع رأسا، وتعلمون ان يوسف ياسين كان في سوريا وهو تحت ضغط السوريين.

وقلنا لهندرسون:

هل ينوي الذهاب الى بغداد أو الى السعودية قال انه لا ينوي الذهاب الى بغداد لانه لا يريد أن تكون امريكا هي الدافعة أو المثيرة للعراق في هذا الموضوع ولكنه لا يريد اثارة باقي البلاد العربية بالذهاب الى العراق لانه كل عمل يقوم به العراق سيفسر بصورة واضحة بأنه مدفوع من قبل امريكا وعليه يريد تجنب الذهاب وقد سر هندرسن لانه وجد هنا محيطا ذا قرار مشترك موضوع.

ملك الاردن قال انه غير متهيء ويمكن دراسة الموضوع مع حكومته، قالوا له ان الموقف مستعجل وخطر وكل تأخير يجب تجنبه مثلا اجتماع رؤساء الدول والتأخير يوطد موقف روسيا في سوريا ويثبت اقدامها.

ثم قال هندرسون أؤكد بأن العمل يجب أن يكون ناجحا مائة بالمائة عندما تقررون ذلك. شعورنا بانه اذا كان هنالك عمل فيجب ان يجري بصورة رئيسية واذا ضروري فيمكن دعوة تركيا للمعاونة اذا حدث اي شيء يؤخر النجاح. (كتاب محكمة الشعب ص 1516 ج4)

□

سورية الشجاعة .

قابل الشعب في سورية تهديدات حلف بغداد وتصريحات أقطابه، وتحشدات الجيوش التركية على حدوده، ومناورات الاسطول السادس في المتوسط، والحملة ضده في الولايات المتحدة بأعصاب هادئة وثقة بالنفس، وبقيت الأمور تسير في سورية سيرا طبيعيا، فقد وصل القيسوني وزير الاقتصاد المصري الى دمشق ليدرس مع زميله السوري خليل الكلاس عددا من المشاريع تمهيدا لتطبيق اتفاق الوحدة الاقتصادية بين سورية ومصر، منها تعديل الاتفاق التجاري وتوسيع نطاقه الى أقصى حد مستطاع، وتقديم التسهيلات لتنمية التبادل التجاري وانشاء شركات استثمارية مشتركة للنقل الجوي والتأمين والاستثمار الزراعي والتجارة الخارجية، كما تناولت الابحاث انشاء مصرف صناعي وتجاري، بينما كانت محطة موسكو تذيع نص البلاغ الرسمي الذي صدر اثر المباحثات التي أجراها الوفد السوري في موسكو ابتداء من 1957/8/28 برئاسة السيد حسن جبارة رئيس مجلس الانماء الاقتصادي لتنفيذ البلاغ السوفيتي السوري المؤرخ في 1957/8/6 والمتعلق ببناء السكك الحديدية وتعبيد الطرق ومنشآت الري والمحطات الكهربائية والمصانع والتنقيب عن الثروات الطبيعية الخ...

القطع البحرية الأميركية تقترب من السواحل السورية مع تحرشات عسكرية اسرائيلية :

بتاريخ 1957/9/9 صرح ناطق عسكري سوري بما يلي :

لم يكد يذاع بيان السيد دالس وزير خارجية الولايات المتحدة حتى بدأت عمليات التحرش والاثارة بقصد دفع سورية الى القيام باجراءات تتخذ ذريعة للعدوان عليها. فقد اقتربت بالأمس خمس قطعات بحرية حربية أميركية من الشاطيء السوري، مما يتضمن تحديا سافرا لا يتفق مع قواعد البروتوكول الدولية المتعارف عليها، كما حلقت في سماء اللاذقية وعلى ارتفاع شاهق طائرتان مجهولتان..

وجاء في تصريح آخر للناطق العسكري انه بتاريخ 1957/9/10 أخذت أربع جرارات اسرائيلية تعمل في مرتفع تل شطحة الواقع شمال قرية التوافيق ضمن الأراضي العربية المجردة من السلاح، وكان العمل يجري تحت حماية ثلاث سيارات مصفحة، وما لبثت هذه القوة أن فتحت النار على سكان المنطقة، وفي الوقت نفسه حلقت طائرتان يهوديتان فوق الأراضي السورية لمدة خمس دقائق.. كان ذلك انذارا من الولايات المتحدة بأن غزو سورية أصبح أمرا محتملا، ولم يربكنا كثيرا ان يكون هذا من قبيل حرب الاعصاب والتهديد بالحرب، أو انذارا بحرب فعلية.

ان اي انسان يتمتع بحد أدنى من الشعور بالمسؤولية عليه أن يعد للحرب اعدادا كاملا وكأنها واقعة مهما كانت احتمالات وقوعها ضئيلة وحتى لو افترضنا ان الولايات المتحدة والدول الرجعية العربية تشن علينا حرب اعصاب بقصد استسلامنا وركوعنا، فلا يسعنا إلا أن يكون جوابنا هو استعدادنا الفعلي بكل ما نملك من قوة مع تقدير صحيح للموقف. وكان أهم شيء صحة تقدير موقف الاتحاد السوفيتي في حال تعرض سورية للغزو.

لقد تراوحت تقديرات غزو سورية بين حالات ثلاث :

أولها استخدام تركية من قبل الولايات المتحدة لغزو سورية وكان هذا اكثر الاحتمالات سوء، لأن تركيا كانت لا تزال تطمع

بـأجزاء مـن سـورية ولأنهـا تملـك قـوة عسـكرية ونظامـا سياسـيا راسـخا ولـم نكـن نملـك لـدرء هـذا الخطـر الا مسـاعدة الاتحـاد السوفيتي لنا عسكريا اذا ساعدنا أنفسنا.

كانت إنذارات بولغانين خلال العدوان الثلاثي علـى مصـر قـد سـاهمت فـي ايقـاف العـدوان، ورفعـت كثيـرا مـن سـمعة الاتحـاد السوفيتي، وزادت من ثقتنا بوقوفه الى جانبنـا، وفعـلا فـإن اندريـه غروميكـو وزيـر خارجيـة الاتحـاد السـوفيتي قـد أعلـن بتـاريخ 1957/9/10 ما يلي :

ان الاتحـاد السـوفيتي يطالـب بوضـع حـد للمحـاولات الاسـتعمارية المناهضة لاستقلال بلدان الشرق الأوسط ولن يسمح بقيام حـرب فـي هـذه المنطقة، وانه ينبغي على الذين يتدخلون في شؤون سـورية ألا ينسـوا درس العدوان الغاشم على مصر، وان الاتحاد السوفيتي لا يستطيع تجاهل التهديـد الذي يتعرض له السلام العالمي في الشرق الأوسط. وقال :

"إن استخدام الاسلحة الحديثة يزيد من خطر تحويل أي نزاع عسكري محلي الى صراع هائل على نطاق أوسع" ثم حذر تركية من عاقبـة الانجـراف مع الولايات المتحدة في مغامرة على سـورية، وقـال ان الاتحـاد السـوفيتي لا يستطيع أن يقف موقف المتفرج من هذه المغامرة العدوانية".

كنا نقدر ان تركية التي تقع علـى حـدود الاتحـاد السـوفيتي ستحذر كثيرا من نتائج هذا الغزو، وقد ظهر من وثـائق حلـف بغـداد ان هذا التقدير كان صـحيحا، وحتـى قبـل توجيـه الانـذار الروسـي، وفي اكثر الاحتمالات سوء فـإن المقاومـة الباسـلة بواسـطة حـرب التحريـر الشـعبية، ستفسـح المجـال، بـدون شـك أمـام الاتحـاد السـوفيتي ودول العـالم علـى إرغـام تركيـة علـى الانسـحاب مـن سورية، وفيما يلي إحدى تلـك الوثـائق وقـد تليـت خـلال محاكمـة أحمد مختار بابان(ص1520- كتاب محكمة الشعب ج4).

برقية واردة من اليخت الملكي في اسطنبول.

في 19-8-1957

ما يلي من وزير الدفاع

الى رئيس الوزراء.

اثناء وليمة الغذاء التي أقامها اليوم عدنان مندرس لصاحب السمو ولي العهد المعظم اثيرت التطورات الأخيرة في سوريا وبرزت خلال الحديث النقاط التالية:

1- ضرورة تفهيم السعودية والاردن ولبنان وحتى عبد الناصر اذا اقتضى الأمر بخطورة الامر في سوريا وخطورة انتشار الشيوعية بها وخطر تسربها الى البلاد العربية والدول المجاورة.

2- روسيا اصبحت طرفا في النزاع وهي الجهة التي تدخل مباشرة في قضية سوريا.

3- سيقدم الاتراك مذكرة الى امريكا لتوضيح خطورة الوضع في سوريا ولايضاح عدم استطاعة الدول العربية أو تركيا بمفردها ان تفعل شيئا بالنظر للتدخل الروسي. ستفهم انكلترا بذلك ايضا كما سيطلب من امريكا ايضاح موقفها من المسألة.

4- يفضل ان يقوم العراق بعمليات مع امريكا وانكلترا.

5- ليس لدى الحكومة التركية نية التدخل العسكري في سوريا، والاتراك يطلبون من العراق تولي مسؤولية التفاهم مع امريكا وانكلترا بشأن الوضع في سوريا.

6- تعهد عدنان مندرس بعدم تعامل تركيا مع اسرائيل ووعد بأن يطلب من امريكا التوقف عن مساعدتها.

سآتيكم بالتفاصيل عند حضوري في بغداد ...

□

كان الاحتمال الثاني هو استخدام الولايات المتحدة اسرائيل في غزو سورية:

لقد اصبح هذا الاحتمال ضعيفا وغير مخيف بالنسبة لسورية بعد أن أصبح السلاح على مختلف أنواعه موفورا، وكنت قد ذكرت سابقا أن موازنة التسلح الاستثنائية قد بلغت ثمانمائة مليون ليرة

سورية، بالاضافة الى موازنة الدفاع العادية حيث أصبح ما خصص للتسلح في ذلك العام مليار ومائة وخمسين مليون ليرة سورية.

ومع ذلك كان التأكد من موقف مصر تجاه عدوان محتمل على سورية ولا سيما من قبل اسرائيل أمرا مهما للغاية، وكان جمال عبد الناصر قد أدلى لجريدة الأهرام بتاريخ 1957/9/9 بالتصريح التالي :

"إن السياسة الاميركية الآن تذهب الى حد محاولة بذر الشكوك بين مصر وسورية فهي تحاول أن تظهر مصر بمظهر غير الراضي عما بدا في رأي السياسة الاميركية من أنه انحياز سوري الى المعسكر الشيوعي، ولقد قرأت في الأيام الأخيرة في صحف الولايات المتحدة مقالات حملت المديح لي لأول مرة منذ زمن طويل على أساس أنني ابديت عدم الرضى عما يجري في دمشق، والحيلة قديمة وأنا اعرفها وما أظنها تجوز علي" وختم تصريحه بقوله: "أريد أن أعود فأوكد ان مصر ستقف بجانب سورية الى آخر حد وبدون أي قيد أو شرط، ومهما تكن تطورات الضغط على سورية فإن شيئا واحدا يجب ألا يغيب عن الأذهان ذلك أن جميع امكانيات مصر السياسية والاقتصادية والعسكرية تسند سورية في معركتها بل معركتنا نحن التي هي معركة القومية العربية".

أما الاحتمال الثالث فكان استخدام العراق أو الأردن أو كليهما من قبل الولايات المتحدة لغزو سورية ولم نكن نخشى مثل هذا الاحتمال، بل كنا نرحب به، لأن النظامين سيتعرضان في هذه الحالة للسقوط الحتمي فقد كان كلاهما على فوهة بركان وكنا نقدر أن الجيش العراقي سينضم للقوات السورية، وكانت معلوماتنا ان الجيش العراقي لم يكن في اكثر الحالات يزود بالذخيرة خوفا من الانقضاض على النظام والاطاحة بالحلف.

ولا أدل على مدى وهن وضعف هذه الانظمة تجاه التيار الشعبي من ان بعض الصحف العراقية قد نددت بالمحاولات الرامية الى تطويق سورية وغزوها رغم قسوة النظام وبطشه وقد نشرت جريدة البلاد العراقية ما يلي :

"إن الشعب السوري ومن ورائه جميع الشعوب العربية سيقف بالمرصاد لتهديدات امريكا الجوفاء، وإن اتهام سورية وقبلها مصر بالشيوعية سياسة عتيقة، وستار مهلهل يكشف عما تحته من الدسائس الاستعمارية".

وقالت صحيفة الحرية العراقية: "إن الولايات المتحدة تخطيء إذا ما اعتقدت أن الدول العربية ستحرك جيوشها للقضاء على ما سمته الوضع الشيوعي القائم في سورية، وان السلاح الذي حصلت عليه سورية من الكتلة الشيوعية، والسلاح الذي يحصل عليه الأردن من الغرب سيلتقيان حتما للقضاء على اسرائيل ربيبة أمريكا".

وفي أواخر شهر آب كتبت جريدة اليقظة العراقية "إن عددا كبيرا من شباب بغداد قدموا مذكرة للمفوضية السورية يبدون فيها استعدادهم للالتحاق بفرق المقاومة الشعبية لحمل السلاح جنبا الى جنب مع إخوانهم السوريين للوقوف بوجه جميع المحاولات للاعتداء على سورية".

كما تواترت الانباء حول الاختلافات بين عبدالاله وبعض اعضاء حكومة الأيوبي وانها بلغت حدا جعل القصر الملكي يفكر بتبديل الوزارة.

هذه كانت رؤيتنا للاوضاع الدولية والعربية والداخلية تجاه احتمالات العدوان، وكانت رؤية مستمدة من تيار شعبي تقدمي جارف عبر في جو من الديمقراطية والحرية عن تصميمه على الوقوف بحزم في وجه كل المحاولات الاستعمارية الرامية الى النيل من استقلاله وحقه في الحياة الافضل.

□

في هذا الجو المحموم بالتحرشات والمؤامرات والتصريحات العدوانية، ابتدأت سورية فورا بمتابعة ما بدأت فيه عام 1956 خلال العدوان على مصر من إعداد الشعب نفسيا وماديا لخوض أية معركة يفرضها عليه الاستعمار، وذلك بالعمل على تنظيم الشعب رجالا ونساء، وتدريبه على حرب التحرير، وتسليحه تسليحا شاملا بقطع النظر عن الانتماءات الحزبية.

وهكـذا قـررت قيـادة الجـيش اسـتئناف التـدريب لجميـع الاشـخاص الـذين تتـراوح أعمـارهم بـين 40 -80 سـنة ابتـداء مـن 1957/8/29.

كان اقبال الشعب السـوري علـى التطـوع فـي فـرق المقاومـة الشـعبية إقبـالا يفـوق التصـور، كانـت أفـواج المتطـوعين، رجـالا ونسـاء، تهـرع مـع الفجـر الـى سـاحات التـدريب وبيـد كـل واحـد رشاشـه، وأصـبح مألوفـا أن نـرى السلاح في أيـدي النسـاء المحجبـات اللـواتي كـن قابعـات في أعماق الاحياء الشعبية.

لم يكن هنالك خوف من وضع السلاح بيد الجميع، لأن مقاومـة الاسـتعمار وتحديـه وإرادة العـيش ضـمن النظـام الـديموقراطي والكرامـة الوطنيـة قـد صـهرت فـي نارهـا المقدسة شعب سورية العظيم.

ومـن خـلال هـذا التصـميم أدليـت للصـحف بتـاريخ 1957/9/10 بما يلي:

"إن سـورية قويـة، وأقـوى بكثيـر ممـا يتخيـل المسـتعمرون وعملاؤهـم قـادرة علـى رد كـل عـدوان، وقهـر كـل معتـد، وحمايـة السياسـة المتحـررة التـي ارتضـتها لنفسـها، وان اي عـدوان علـى سورية لن يبلـغ غايتـه، وسيفشـل فشـلا ذريعـا كمـا فشـل العـدوان الثلاثي الآثم على مصر.

ان سر قوة سورية هو التفاف الشـعب حـول السياسـة التـي ارتضاها لنفسـه واسـتعداده الـدائم للـدفاع عنهـا والتضـحية لحمايـة الوطن بقوة وتصميم وشجاعة، وكذلك الاتحاد والتلاحم بـين الشـعب والحكومة والجيش.

انه ما مـن دليـل علـى مـدى التفـاهم والتعـاون بـين الحكومـة والشـعب مـن أن المسـؤولين السـوريين يصـارحون الشـعب بجميـع الحقائق حتى ولو كانت خطيرة، أو توحي للغرباء بأنها قد تثيـر الـذعر في صفوف الشعب، فالحكومة مؤمنة بأن الشـعب يقـف الـى جانـب سياستها ويدافع عنها ويضحي مـن أجلهـا ومسـتعد دائمـا لافتـدائها،

لذلك فهي تضع أمامه جميع الحقائق مهما كانت درجة خطورتها لتكون قضية الشعب في يد الشعب، أي في اليد القوية المؤمنة التي تستطيع وحدها حمايتها والدفاع عنها.

انه ما من قوة تستطيع أن تحول هذا البلد عن السياسة التي رسمها الشعب طالما ان الشعب يمسك قضيته بيده ويعرف جميع الحقائق، ولو كانت هذه القوة اسطولا ضخما، أو طابورا من الخونه، أو حشودا من جيوش الاحلاف الاستعمارية، أو تهديدات من حكام بعض الدول الكبرى.

ان الشعب العربي في سورية يؤمن بأن أي عدوان يقع عليها ستكون نتائجه خيرا على القضية العربية، لأن الشعب العربي في جميع أقطاره سيقف إلى جانب سورية، وسيطيح بالأوضاع المصطنعة التي أقامها الاستعمار بالحديد والنار... كما سيكون من نتائج هذا العدوان ايضا القضاء على الاستعمار في العالم، لأن جميع الشعوب الحرة وخاصة في آسيا وافريقيا ستقف الى جانب العرب في معركة الحرية.. "انه على المستعمرين وعملائهم في بعض الأقطار العربية والاقطار المجاورة أن يتفهموا الاوضاع في سورية على حقيقتها، وان يدركوا ان سياسة التآمر والاستفزاز والعدوان هي سياسة فاشلة لا يمكن أن ترهب شعبا مؤمنا بقضيته مؤيدا من أمة بكاملها ومن جميع الشعوب الحرة في العالم.

انه على المحبين للحرية والسلام في العالم أن يعملوا بحزم ونشاط لمنع المستعمرين من القيام بأية مغامرة جنونية، لأن مثل هذه المغامرة ستهدد السلام في العالم أجمع وستكون خطرا مباشرا على حياة الشعوب.

ان تصريح السيد غروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي يعتبر موقفا صريحا واضحا من قبل الاتحاد السوفيتي في جانب سورية إذا وقع أي عدوان عليها.. وان الشعب العربي في جميع اقطاره ليقدر تمام التقدير موقف الاتحاد السوفيتي من العدوان الثلاثي على مصر، كما أنه لن ينسى مواقف الاتحاد السوفيتي المشرفة من القضية العربية، وأن الشعب العربي اليوم ليسجل بامتنان موقف

الاتحاد السوفيتي الحاسم من المؤامرات التي تبنتها الولايات المتحدة والصهيونية العالمية ضد سورية.

إن شعبنا مصمم على الدفاع عن حريته واستقلاله وأرض وطنه مهما كان الثمن حتى ولو كان وحيدا في المعركة، فكيف به اليوم وقد جاءه تأييد الشعب العربي في جميع اقطاره وتصريح الرئيس عبد الناصر، ودعم الاتحاد السوفيتي ومناصرة شعوب آسيا وافريقيا.

ان الاستعمار إذا لم يستطع تفهم الوضع على حقيقته وإذا ركب رأسه وغامر بالعدوان فإن سورية ستكون مقبرة الاستعمار العالمي والمنارة التي سيشع منها النور على جميع الشعوب المغلوبة على أمرها في العالم..."

أيامنا الغر :

"أبيع العمر كله بيوم واحد من أيامنا هذه، إذ نحن قبلة أنظار الدنيا وموضع الحب والاحترام في كل قلب يقدر الشجاعة قدرها.

نحن في وطن نحسه كله يتحرك وينفعل وتتولد في أرضه قوى سليمة معافاة تشق باليدين طريق الفوز والحياة.

أيامنا هذه أيام عربية، أيام شعب أدرك ذاته وقدر قواه فألقى في وجه الطامعين قفاز التحدي".

"تصوروا سورية بلا ميسلون، وخمسا وعشرين سنة من الانتداب بلا هنانو وصالح العلي وحسن الخراط، والجيوش الاجنبية بلا دم زكي يغسل الأرض من رجس احتلالها".

"يا أخي العربي.. خل هذه الأيام في ذاكرتك، وخل معها شجاعة الشعب العربي في سورية وكفاءة رجاله، وإذا أرخت للظفر فقل انه منذ استهنا بالخطر"(الرأي العام 1957/9/12).

إنها مقاطع من افتتاحية سياسية وليست كلاما من قبيل الشعر، كان ذلك واقعا يعبر عن شعور السوريين جميعا، إنه مناخ الثورة الذي تحياه الشعوب في الفترات الحاسمة من مسيرتها التاريخية.

كان لهذا التصميم وللإنذار السوفيتي الحاسم بأن العدوان على سورية يعني حربا عالمية ثالثة أثرهما الحاسم في إرباك وفشل خطة الولايات المتحدة العدوانية، وبدا هذا الارتباك والتحول في التوجيه الأميركي الاعلامي الجديد الذي ظهر في تصريحات المسؤولين والناطقين الرسميين والذي يمكن تلخيصه بما يلي :

"إن الولايات المتحدة وضعت قوتها السياسية والعسكرية ضمن سياسة تقوم على أساس اللين بالكلام والتلويح بالعصا، لأن هنالك أسبابا ستراتيجية تفرض على الولايات المتحدة اتباع سياسة تهدئة الازمة السورية واستغلال عامل الزمن لتحقيق الأمور التالية :

1- ان يظل الموقف السوري مرنا وذلك عن طريق عدم اعتبار سورية رسميا كدولة خاضعة للنفوذ السوفيتي، وهذا ما يتيح لسورية إذا شاءت أن تخفف من روابطها التي تزداد متانة مع موسكو.
2- ان تتجنب سورية أي عمل قد يكون من نتائجه الضغط على الولايات المتحدة للتدخل بقوة السلاح في سورية.
3- قطع الطريق على الدعاية السوفيتية التي تتهم الولايات المتحدة بإعداد خطط عسكرية ضد سورية.
4- تطمين اسرائيل الى أن التعجيل بإرسال الاسلحة (المقررة سابقا) لكل من الأردن والسعودية ولبنان والعراق لن تعرض امن اسرائيل للخطر.

كانت هذه التوجيهات الاعلامية الأميركية الجديدة تناقض تماما السياسة التي اتبعتها قبل فترة وجيزة حكومة الولايات المتحدة والتي تمثلت في تصريحات ايزنهاور ودلس، وكان لموقف

سورية الصلب الشجاع أثر كبير في وقف التهديدات الأميركية وفي جعل كل الأطراف تصرف النظر عن التورط في العدوان العسكري المباشر.

أما نحن فكانت خطتنا ان نثابر على انتهاج سياستنا القومية المستقلة دون أن نتراجع عنها مهما كلفنا ذلك من تضحيات، مع تجنب كل عوامل الاثارة والاستفزاز، وبوحي من هذه السياسة، التي لم يكن الحزب الشيوعي ملتزما بها تماما، قررنا في لجنة الشؤون الخارجية البرلمانية بتاريخ 1957/9/11 ارجاء سفر وفد اللجنة الى الاتحاد السوفيتي حتى الخامس عشر من شهر نيسان المقبل، واتخذنا هذا القرار بوحي من تلك الظروف التي كانت تمر بها البلاد، ومنها ضرورة بقاء اللجنة على مقربة من الحكومة للتشاور في كل ما يجد على الوضع، ولهذه الاعتبارات أيضا فقد اعتذرت أيضا عن الدعوة التي وجهت إلي لزيارة الاتحاد السوفيتي ضمن وفد اختاره من قيادات الحزب.

□

كان صمود سورية البطولي بالنسبة لحكام الدول الضالعة مع الولايات المتحدة بمحاولة القضاء على الوضع الديموقراطي الشعبي التقدمي فيها، عامل تهديد لأنظمتهم بالانهيار، وهذا ما جعلهم يتراجعون عن مواقفهم السابقة، فقد زار الملك سعود لبنان واجتمع الى كميل شمعون، وأوعز الى سفيره في دمشق عبد العزيز بن زيد أن يخبر القوتلي بأنه دعم سورية في محادثاته مع كميل شمعون دعما قويا، وأظهر رغبته في الكف عن السياسة التي ينتهجها لبنان بايواء العناصر المتآمرة على سورية وإبعادها، وكان السبب المباشر لزيارة الملك سعود بيروت هو ما كان يشعر به من قلق بسبب اتفاق هندرسون مع فيصل والحسين وعبد الاله ومن احتمال عودة مشروع الهلال الخصيب الى الوجود من جديد، فحذر شمعون وشارل مالك عند اجتماعه بهما من عاقبة ذلك، وقد أكدت الاذاعة السعودية ان الملك بعث برسالة سرية الى الرئيس ايزنهور كانت نقطة التحول في سياسة الولايات المتحدة تجاه سورية، فكذب لنكولن وايت الناطق باسم

وزارة الخارجيـة ورود اي رسـالة مـن هـذا النـوع مـن قبـل الملـك سعود.

□

وفي العراق اجتمع علي جودت الأيوبي رئيس الوزراء بحيـدر مردم وزير سورية المفوض في بغداد، وأظهر له مـا يحملـه العـراق من مشاعر الود تجاه سورية، وانه لا يمكن ان يكون العـراق - كمـا يقال - مصـدر عـدوان عليهـا، فـأبلغ مـردم هـذه الرسـالة للحكومـة السـورية معقبـا عليهـا بـأن الحـاكم الحقيقـي - مـع الاسـف- فـي العراق ليس علي جـودت الأيـوبي وانمـا هـو نـوري السـعيد وعبـد الاله اللذان لا يمكن ضمانهما.

وقد دفعت هـذه العواطـف الفجائيـة الحكومـة السـورية الـى إرسـال مـذكرات الـى حكومـات العـراق ولبنـان والأردن تلفـت فيهـا النظر الى بيانات دالس وزير خارجية الولايات المتحدة وما جاء فيهـا من أن الدول المجاورة لسورية قد أبلغـت الولايـات المتحـدة قلقهـا من تسلح سورية بالأسلحة السوفيتية، وطالبت المـذكرة بالاجابـة فيما إذا كانت هذه الحكومات قلقة حقا من تسـلح سـورية، وفيمـا إذا كانت قد أبلغت قلقها الى الولايات المتحدة.

وفيمـا يلـي نـص المـذكرة السـورية مـع جـواب الحكومـة العراقية، بالاضافة الى ترجمـة البيـان الأميركـي الـذي تـلا اجتمـاع اسطنبول :

الموضوع - مذكرة سوريا

الى رئاسة الديوان الملكي

رئاسة ديوان مجلس الوزراء

(سري) التاريخ 1957/9/22

نرسل اليكم طيا صورة من مذكرة وزارة الخارجية السورية المرقمة 26 والمؤرخة 1957/9/14 المسلمة من قبل وزير الخارجية السـورية لـوزير العـراق المفوض في دمشق وجواب الحكومة العراقية عليها الـذي أبلـغ الـى كـل مـن

وزير سوريا المفوض في بغداد ووزير الخارجية السورية بواسطة المفوضية العراقية في دمشق كما نرفق ترجمة البيان الامريكي موضوع البحث.

بيان المستر دالس وزير الخارجية الامريكية حول موضوع هندرسون الصادر بتاريخ 7 ايلول 1957. في اجتماع جرى بين المستر لوي هندرسون والمستر وليم رونتري وبيني مع الرئيس ايزنهاور عرض المستر هندرسون عرضا وافيا تبادل وجهات النظر التي أجراها في الشرق الأوسط مع موظفين كبار من تركيا والعراق والأردن ولبنان. وقد بين المستر هندرسون بأنه وجد في الشرق الأوسط اهتماما بالغا لازدياد التسلط السوفياتي الواضح على سوريا وتكدس اسلحة دول الكتلة الشيوعية فيها. ذلك التكدس الذي لا تبرره أي مقتضيات دفاعية صرفة وهنالك وضع خاص بسبب حوادث الحدود وبسبب الدعاية الواسعة وفعاليات النشاط الهدام التي ترمي الى قلب الحكومات التي تألفت حديثا في الدول العربية المجاورة لسوريا.

لقد أولى الرئيس تقرير المستر هندرسون وكذلك التقارير لوزارة الخارجية الامريكية من سفراء الولايات المتحدة في المنطقة تمعنا دقيقا وقد قدر الرئيس الوضع على ضوء ميثاق الامم المتحدة الذي ينكر على سوريا حق استخدام القوة الا لغرض الدفاع عن النفس **وقد استعاد الرئيس رسالته الموجهة لمجلس الكونغرس بتاريخ 5 كانون الثاني 1957 التي طلب فيها تخويله الصلاحية لمساعدة شعوب المنطقة للذود عن استقلالها،** وبعد أن شرح اطماع روسيا الطويلة الامد للاستيلاء على الشرق الأوسط وما تقوم به الشيوعية الدولية حاليا من فعاليات هناك.

وقد أكد الرئيس عزمه على تنفيذ السياسة الوطنية التي تضمنها القرار الذي اتخذه الكونغرس عن الشرق الأوسط كما أكد الرئيس عزمه على استخدام الصلاحية المناطة به متى ما أقتضت الحاجة لذلك، وبهذا الصدد فقد أصدر الرئيس تخويلا للاسراع بتسليم دول المنطقة المواد الاقتصادية والمواد الدفاعية الاخرى التي خصصت لاستعمال تلك الدول (ص 1531- كتاب محكمة الشعب).

المذكرة السورية (ص 1526 - كتاب محكمة الشعب)

وجهة نظر الحكومة السورية حول بيان المستر دالس الخاص باجتماع هندرسون:

تهدي وزارة الخارجية السورية أطيب تحياتنا الى المفوضية الملكية العراقية وتتشرف بان تلفت نظرها الى النقاط التالية التي وردت في بيان اذاعته في يوم السبت الواقع في 7 ايلول 1957 حكومة الولايات المتحدة الامريكية :

1- ذكر البيان انه جرى تبادل وجهات النظر بين السيد لوي هندرسون وكبار المسؤولين العراقيين وأن السيد هندرسون لمس في الشرق الأدنى قلقا بسبب تغلغل النفوذ الشيوعي في سوريا مما يوحي ان هذا القلق موجود لدى المسؤولين في العراق.

ان الحكومة السورية التي لم تتبين من اتصالاتها المستمرة مع الحكومة العراقية ما يدل على وجود قلق لدى حكومة العراق بالنسبة للاوضاع في سوريا لترجو من المفوضية الملكية العراقية ان توضح لها ما يقلق حكومتها لتقوم وزارة الخارجية بدرس وجهة نظر الحكومة العراقية والعمل على تبديد الشكوك التي اثارتها الاهواء المغرضة.

ان وجهة النظر الامريكية التي تسود الان هي خلق اخطار مصطنعة لا وجود لها ولا يقصد منها سوى تفكيك الإجماع العربي وبعثرة قواه وتحويله من كتلة وحدة قوية صامدة امام الخطر الاسرائيلي الى كتل صغيرة تحارب بعضها بعضا وتنحاز اسرائيل الى بعض الكتل وتخرج عن كونها خصما لمجموع العرب والقومية فتصبح خصما لبعضهم حليفا أو ناصرا للبعض الآخر.

وسوريا التي تحرص حرصا اكيدا على نظامها الديموقراطي البرلماني تحرص ايضا حرصا تاما على احترام النظام الديموقراطي البرلماني في العراق الشقيق.

ان المفوضية الملكية العراقية تعلم حق العلم انه لا يدور في خلد اي انسان ان تقوم سوريا بعمل عدواني ضد اية دولة عربية. ان سوريا لا تنوي ولا يمكن ان تنوي التحرش بالعراق الشقيق أو بأي دولة عربية شقيقة والعراق العربي يعرف ذلك حق المعرفة.

ان الحكومة السورية الحريصة على علاقاتها الاخوية مع الحكومة العراقية الشقيقة تأمل ان لا يفسح المجال لأي دولة اجنبية لتعكير صفو هذه العلاقات المستمدة من الاخوة العربية والروابط التاريخية والقومية والاقتصادية

التي تربط العراق بسوريا وانها لا تشك بان الحكومة العراقية تشاطرها هذا الرأي.

تنتهز وزارة الخارجية هذه الفرصة لتعرب للمفوضية الكريمة عن فائق احترامها.

جواب الحكومة العراقية على المذكرة السورية (1528-كتاب محكمة الشعب)

من وزارة الخارجية الى السفارة العراقية في دمشق.

يرجى مقابلة وزير الخارجية السورية وابلاغه بما يلي جوابا على المذكرة السورية المؤرخة في 14 الجاري والتي تلقيناها بتاريخ 20 الجاري.

1- لم يقم المستر لوي هندرسون مساعد وكيل وزارة الخارجية الامريكية بزيارة العراق اثناء جولته الاخيرة في الشرق الأوسط ولم تجر بينه وبين الحكومة العراقية المذاكرات التي أشارت اليها المذكرة السورية.

ان المذكرة السورية نفسها قد أجابت على الاستفسار الموجه للعراق فذكرت بأن الحكومة السورية لم تلمس ما يدل على وجود القلق لدى الحكومة العراقية وتلك هي بلا شك قناعة الحكومة السورية، ولو كان الامر كذلك لما كان لزاما لتوجيه مذكرة رسمية للاستفسار من العراق عن ذلك.

لم يصل الى الحكومة العراقية اي شيء رسمي من الحكومة الامريكية عن البيان الامريكي الذي تشير اليه المذكرة السورية، فان كان لدى الحكومة السورية معلومات تلقتها من مصادر مختلفة فان العراق لم يتلق اي طلب رسمي من الحكومة الامريكية للمداولة حول الموضوع في سوريا.

ان ما يدور بخلد الحكومة السورية هو عين ما يدور في خلد الحكومة العراقية التي لم تفكر يوما بأن دولة عربية شقيقة ستقوم بعمل عدواني ضد اية دولة عربية وان سياسة العراق مع شقيقاته واضحة واقد أعلن عنها بعدة مناسبات وهو متمسك بميثاق الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعي العربي وهو على أتم استعداد للتعاون مع شقيقاته الدول العربية لمصلحة الامة العربية.

تؤكد الحكومة العراقية للحكومة السورية الشقيقة رغبتها الصادقة للتشاور والتعاون معها بروح الثقة والاخوة حول كل ما تمليه عليهما مصلحتهما المشتركة بصورة خاصة والامة العربية بصورة عامة.

وقد تليت هذه الوثائق خلال محاكمة احمد مختار بابان الذي كان حاضرا الاجتماع مع هندرسون بصفته وزيرا للخارجية العراقية.

اما في لبنان فقد تنصل شارل مالك عندما تسلم المذكرة السورية من تهمة تحريض الولايات المتحدة ومبعوثها أندرسون على شن عدوان على سورية، وقال لأمين وزارة الخارجية السورية صلاح الطرزي :

"إن كل ما تقرر ضد سورية، انما تقرر في اجتماعات اسطنبول التي اشترك فيها الملكان فيصل والحسين وعبدالاله، وان الخطة التي اقترحها هندرسون على حكومته انما وضعت خطوطها هناك، وان اندرسون عندما جاء الى بيروت كان "معبأ" بحيث لم يكن زيادة لمستزيد، ثم أظهر مالك استعداد لبنان للتوسط بين الولايات المتحدة وسورية".

□

بعد الانفراج النسبي الذي حصل، كانت الحشود التركية ما تزال مستمرة على الحدود السورية، وكان السوريون القوميون والفارون من سورية أمثال حسني البرازي وميخائيل ليان وفيصل العسلي وآخرون غيرهم يتجمعون في تركيا لتشكيل حكومة "في المنفى". ولكن رسالة بولغالين التي سلمها سفير الاتحاد السوفيتي الى رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس قد دعت وزارة الدفاع التركية الى اصدار بيان نفت فيه ما نشرته بعض الصحف ووكالات الأنباء حول المناورات التي يقوم بها الجيش التركي على الحدود السورية وقالت "أنها شائعات ترمي الى اظهار تركيا كقوة عدوانية". وفيما يلي بعض مقاطع من رسالة رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي بولغالين:

لا يمكن للحكومة السوفياتية ان تخفي عن الحكومة التركية انشغال بالها ازاء الوضع الناشيء الان في هذه المنطقة وبالدرجة الأولى حول سورية. فمن المعلوم ان سورية ومصر. اذ تحافظان على سياستهما الوطنية المستقلة، تتعرضان منذ وقت بعيد لضغط شرس، سياسي واقتصادي

وعسكري من الخارج. وفي الاسابيع الاخيرة اشتد الضغط على سورية الى درجة اصبح معها خطرا".

"إن رحلة المبعوث الاميركي هندرسون التي حدثت في الايام الاخيرة الى بلدان الشرقين الادنى والاوسط قد أملاها بجلاء النزوع الى تنظيم تدخل مسلح خارجي في شؤون سورية الداخلية وكانت مهمة هندرسون كما هو معلوم حبك مؤامرة على سوريا والبحث عن وسائل للتوصل الى قلب الحكومة الوطنية في سوريا وتبديل كل الوضع في البلاد ارضاء للاحتكارات الاميركية الكبرى ووفقا لمصالح الدول الاستعمارية الكبرى.

ومن أجل عدوان مسلح على سوريا تود بعض الاوساط في الولايات المتحدة أن تستخدم بلدان الشرقين الادنى والاوسط مثل الاردن والعراق وربما بعض البلدان الاخرى ايضا. الا انهم مضطرون لان يأخذوا بالحسبان واقع ان شعوب جميع البلدان العربية بدون استثناء لا تشعر بتعلق بحلف بغداد العسكري ولا تريد أن تخدم المستعمرين في طواعية واستخذاء فعل بعض حكومات هذه البلدان، وان شعوب هذه البلدان لتسعى، كما هو جلي للجميع، للانعتاق من الاستعمار ولصيانة وتوطيد استقلالها وسيادتها.

وفي هذا الصدد، كما يعلنون على نحو سافر، يخصص لتركيا دور معين في مشاريع شن عمليات حربية ضد سورية. وطبيعي اننا لا نريد تصديق ذلك، ولكن الامر من الخطورة بحيث وجدنا أن من الممكن مخاطبة الحكومة التركية حول هذه المسألة لاطلاعها على بعض الاراء فنحن متأثرون عميق التأثر من واقع ان ثمة علائم تدل على أن الشخصيات القائدة في تركيا ميالة على ما يبدو الى مماشاة هذه المشاريع.

ولسنا نخفي اننا قد تلقينا بتخوف كبير نبأ حشد قوات تركية على حدود سوريا وكذلك نبأ ارسال اسلحة اميركية الى الاراضي التركية من أجل تنظيم هجوم على سوريا. فهل يصعب فهم الهدف الذي من أجله تحشد القوات حين يكون البلد الصغير الذي تحشد على حدوده هذه القوات موضعا لحملة جامحة من الافتراءات، زاخرة بالاختلافات والنداءات الاستفزازية.

اننا مقتنعون، أيها السيد رئيس الوزراء، بانكم تدركون ان الاتحاد السوفياتي لا يمكن أن ينظر الى جميع هذه الاحداث نظرة اللامبالاة. والاتحاد السوفياتي، اذ يأخذ بعين الاعتبار قرب منطقة الشرقين الأدنى والاوسط من

الحدود السوفياتية واذ يأخذ بالحسبان مصالح أمن دولته، لا يمكن بالتأكيد ان يغمض العين عن الاحداث التي قد تؤدي الى نزاع مسلح في هذه المنطقة، لا سيما وانتهاك السلام ليس من شأنه البتة ان يبقى منحصرا في هذه المنطقة.

وترى الحكومة السوفياتية ان من واجب جميع الدول الشغوفة بالسلام تفادي هذا التطور الخطر للاحداث. فهي اذ تود ان تخاطب الحكومة التركية بصورة ودية لتدعوها باسم الحفاظ على السلام في الشرقين الأدنى والأوسط وعلى السلام في العالم، الى عدم الاشتراك في أمر الاسهام في تفادي تطور الاحداث في الشرقين الادنى والاوسط في اتجاه غير مؤات وفي تفادي نشوب نزاع مسلح في هذه المنطقة. فليس الاتحاد السوفياتي وحده، بل أن العديدين من البلدان الاخرى ايضا، قلقة الان قلقا جديا من الوضع الخطير الذي نشأ اليوم حول سوريا.

وحين ترد الانباء عن حشد القوات التركية على الحدود التركية - السورية يتبادر إلى الذهن بصورة جد طبيعية هذا السؤال:

ترى ماذا يكون شعور الاتراك اذا ما احتشدت على حدودهم قوات اجنبية؟

اننا مقتنعون عميق الاقتناع بان تركيا لن تستطيع الا جر ويلات كبرى على نفسها اذا هي اتبعت نصائح الاوساط الاجنبية التي لا مصلحة لها البتة في صيانة السلام في الشرقين الادنى والأوسط والتي لا تفكر الا بالارباح التي تجنيها من استثمار الثروات الطبيعية في هذه المنطقة. ونحن موقنون بانه اذا انفجرت اعمال قتال ضد سورية واذا نشبت الحرب في الشرقين الادنى والاوسط فلن يكون في وسع تركيا غير الخسران نتيجة لاشتراكها في مثل هذا العدوان في حين ان مواقعها في هذه المنطقة ستتعرض للخطر لا محالة. وليس يمكن ايضا ان لا تؤخذ بالحسبان الظروف الجغرافية التي ينفجر فيها مثل هذا النزاع مع اشتراك تركيا.

وفي رأينا ان الحسابات القائلة بأن في الوسع حصر المغامرة الحربية ضد سورية في نطاق محلي، انما هي حسابات خطرة. فالتاريخ يعرف العديد من الامثلة التي كان فيها المعتدون يبدأون حربا بأمل التغلب بسهولة ويأملون بحصر توسعها ضمن بعض الحدود، الا ان مثل هذه الخطط لم تكن قط

لتتحقق. فالحرب العالمية الاولى وكذلك الحرب العالمية الثانية قد بدأتا باعمال عسكرية ذات نطاق محلي من قبل المعتدين. ولكن الجميع يعلمون ما كان لهاتين الحربين من عواقب رهيبة سواء على المعتدين أم على الانسانية جمعاء".

لم يخدعنا ما طرأ على الموقف من تحسن قد يكون عارضا فأدليت للصحف بتصريح قلت فيه :

"ان دلائل كثيرة توحي بأن الموقف سائر في طريق التحسن لمصلحة سورية، لأن تصميمها على النضال والدفاع عن حريتها واستقلالها وأرضها كان عاملا رئيسيا وسيبقى في تحسين الموقف، وان ثبات سورية الرائع وتضامن العرب معها وتأييد الدول المحبة للسلام سيحبط جميع المؤامرات الاستعمارية.. ثم حذرت من أن يكون الهدوء الظاهر في الموقف داعيا الى الدعة والاستسلام فاليقظة الدائمة ضرورية لضمان النصر الاكيد وقطع الطريق على المفاجآت المحتملة" (الرأي العام 57/9/16).

الوفد الاقتصادي السوفيتي

وصل إلى دمشق في 18-9-67 الوفد الاقتصادي السوفيتي برئاسة (نيكيتين) رئيس لجنة العلاقات الاقتصادية في الخارج وكان الوفد مؤلفا من (19) خبيرا في شؤون التخطيط الاقتصادي والري والصناعة والكهرباء والمعادن والمالية، وقد قابلت الحكومة السورية هذا الوفد بحفاوة بالغة، وصرح نيكيتين أن الوفد قد منح كامل الصلاحيات لتنفيذ مهمته والبت في المواضيع التي ستتناولها الابحاث دون الرجوع الى حكومته وأبدى حرص الوفد على انجاز مهمته والخروج بالمشاريع من حدود المخططات الى حيز التنفيذ والعمل وقال بان الاتحاد السوفيتي الذي يلبي طلبات سورية في التسلح دون إبطاء سيبدأ بإرسال الادوات والمعدات والآلات لتنفيذ المشاريع الانمائية في سورية.

وقد رحبت بمجيئ الخبراء السوفييت الى سورية بالمقال الذي نشرته بجريدة البعث بتاريخ 1957/9/20 تحت عنوان : الصهيونية توجه السياسة الاميركية ضد العرب.

"اننا اذ نرحب بالخبراء السوفييت الذين قدموا الى سورية لدراسة المشاريع الانشائية من خطوط حديدية ومشاريع الري والكهرباء والجسور وشبكات الطرق والمعامل وغيرها ليجري تنفيذها فورا بمساعدة الحكومة السوفيتية بتقديم جميع المواد والاوائل والمعدات اللازمة للتنفيذ باسعار متهاودة وبفائدة لا تزيد على 2 بالمائة مقسطة لآجال تسمح لسورية بتأديتها دون أن تربك وضعها المالي، لا بد لنا في هذه المناسبة من أن نتذكر ان حكومة سعيد الغزي منذ اكثر من عام ونصف قررت قبول عرض تقدم به ممثل اتحاد بنوك المانيا الغربية باقراض سورية ما قيمته ثمانون مليون دولار بفائدة 3.5 بالمائة منجمة على اقساط طويلة ثمن آلات وأدوات ومعدات وخلافها لتحقيق المشاريع الانشائية في سورية.

وبعد ان قررت حكومة سعيد الغزي قبول هذا العرض تقدم ممثل اتحاد بنوك المانيا الغربية باعتذاره قائلا ان الحكومة الاميركية لم توافق على اقراض سورية هذا المبلغ. ان هذا الموقف من اميركا ليذكرنا ايضا بان اميركا نفسها اجبرت حكومة المانيا الغربية منذ بضع سنوات على منح اسرائيل ما قيمته عشرات المليارات من الماركات من الاوائل والمعدات والمعامل والبضائع باسم التعويضات عن الاضرار التي الحقتها الحكومة النازية باليهود في المانيا.

ان اميركا قد اتهمت سورية بانها اصبحت شيوعية بقبولها العرض السوفياتي، وهي لا تفتأ تتآمر على سورية وتلوح بالعدوان المسلح عليها لقبولها هذا العرض، فلو كانت الحكومة الاميركية تخشى فعلا من انتشار الشيوعية في سورية فما الذي دعاها لمنع المانيا الغربية من اعطائها قرضا الى سورية؟ واننا لنتساءل عن المصلحة الاميركية بمنع المانيا الغربية من اقراض سورية. وهل يهدد هذا القرض المصالح البترولية والاستراتيجية الغربية في الشرق الأوسط؟ ليست هناك اية مصلحة بمنع سورية من التعامل الاقتصادي والتجاري مع اميركا ودول المعسكر الغربي، بل على العكس. لقد كان من الطبيعي ان ترحب اميركا بقبول سورية لعرض المانيا الغربية ولكنها لم تفعل لانه ليس في مصلحة اسرائيل والصهيونية العالمية. وهذا هو الذي دعا الحكومة الاميركية لاتخاذ هذا الموقف ولاجبار المانيا الغربية على دفع عشرات المليارات من الماركات لاسرائيل باسم التعويضات. وهذا هو الموقف الذي جعل اميركا تمد اسرائيل بشتى أنواع المساعدات الاميركية التي بلغت حسب اعتراف المصادر الاميركية ستة مليارات من الدولارات منذ قيام

اسرائيل حتى الآن. كما ان هذا هو الذي يفسر دعم اميركا لمطالب اسـرائيل التوسعية دوما، وهـو الـذي يجعلهـا تسـتهر بمصـالحها البترولية مـع المملكـة السعودية فتكافيء اسرائيل على عدوانها ضد مصر بتأييـدها الاسـتيلاء علـى خليج العقبة مخالفة بذلك القانون الدولي وموجهة الطعنة الى الشعور العربي والاسلامي بتأييـدها لاسـرائيل فـي حريـة المـرور فـي خلـيج العقبـة والميـاه الاقليمية المقدسة التي لا تبتعد عن مكة المكرمة وعن الحرم النبوي الا كيلو مترات معدودة.

ان السياسـة الاميركيـة فـي الـبلاد العربيـة مسـخرة تمامـا لمصـلحة اسرائيل والصهيونية العالمية وهـذه السياسـة تـتلخص بمـد اسـرائيل بجميـع انواع المساعدات المادية والمعنوية بحيث تصبح قوتهـا الاقتصـادية اعظـم مـن جميع قوى البلاد العربية الاقتصادية، وقوتهـا العسـكرية اكثـر مـن جميـع قـوى العرب العسكرية. وما خديعة البيان الثلاثي الصادر عن اميركا وبريطانيا وفرنسا للمحافظة على الحالة الراهنة في الشرق الأوسط، الذي كان موقعوه اول من خرقه بالاشتراك مع اسرائيل في الاعتداء المثلث على مصر، ومـا مبـدأ تـوازن القوى مع اسرائيل والبلاد العربية الذي نادى بـه الاسـتعمار الغربـي كـل هـذا ليس الا تأييدا لرجحان قوى اسـرائيل العسـكرية علـى مجمـوع الـبلاد العربيـة العسكرية، اي جعل اسرائيل معسكر عدوان ينقض على البلاد العربية ويحقق مملكة اسرائيل، ويجعل من العرب لاجئين في انحاء الارض كما فعل من عـرب فلسطين لاجئين في البلاد العربية، هؤلاء اللاجئون الذين لم تفعـل اميركـا ولا الدول الغربية شيئا في سبيل ارجاعهم الى ديارهم ورد ممتلكاتهم اليهم؛ بل كانت سياسة اميركـا والغـرب تـوطينهم فـي الـبلاد العربيـة وعقـد الصـلح مـع اسرائيل وهدر حقـوقهم فـي فلسـطين تمهيـدا لعـدوان جديـد وغـزو تقـوم بـه اسرائيل على حساب البلاد العربية.

ولهذا اصبح كل عربي مقتنعا قناعة تامة ان دول الاسـتعمار الغربـي لا تعمل في سبيل مصالحها الاستعمارية في الـبلاد العربيـة فحسـب، بـل هـي تعمل ايضا في سبيل تحقيق مطامع اسرائيل التوسعية وهذا ما يفسر الضجة المصطنعة التي قامت بها الدول الغربية اثر شـراء مصـر وسـورية السـلاح مـن دول الكتلة الشرقية بعد امتناع الدول الغربية عن امداد العـرب بـه للـدفاع عـن بلادهم وحريتهم واعراضهم.

اننا اذا اردنا ان نذكر مواقف اميركا ودول الاستعمار الغربي من سورية خاصة والبلاد العربية عامة نجد أن سياستها لم تكن تهتم الا بمنع كل تطور على البلاد العربية والمجتمع العربي في جميع نواحي الحياة. لقد كان الهم الاول والاخير للدبلوماسية الاميركية ودول الاستعمار الغربي في البلاد العربية هو اولا ابقاء الشعب العربي على تخلفه ومنع تطوره وتقدمه واتهام كل من يعمل على تطوير المجتمع العربي بالشيوعية.

ثانيا: العدوان المسلح وابادة العرب عند مطالبتهم بحريتهم وسعيهم لتحسين اوضاعهم. تشهد على ذلك عملية ابادة الجنس التي ارتكبتها وترتكبها اميركا وفرنسا وبريطانيا في فلسطين والجزائر وجنوبي الجزيرة العربية والسعي لمحق فكرة الحرية والاستقلال والنزعة التقدمية في كل قطر عربي. ان اقامة الاحلاف العسكرية في البلاد العربية انما هي موجهة ضد حرية الشعب العربي وتقدمه ووحدته، قبل ان تكون ضد الاتحاد السوفياتي، وكذلك مبدا ايزنهاور بعد اخفاق الاحلاف العسكرية.

لقد تقدم المصرف الدولي منذ عامين ملتجا على اقراض سورية 25 مليونا من الدولارات في سبيل مشاريعها الانشائية. وقد اقرت لجنة الموازنة والمجلس النيابي قبول هذا القرض ورصد هذا المبلغ في الموازنة الاستثنائية للمشاريع الانشائية. وعندما ذهب الوفد السوري المفاوض الى المصرف الدولي قلب له ظهر المجن وا نزل اولا هذا المبلغ من 25 مليونا الى 18 مليونا، واشترط ثانيا الا ينفق هذا الا على المشاريع التي يوافق عليها هو، وطلب المصرف الدولي ثالثا ان يكون له الاشراف المالي والاقتصادي على سورية بحجة هذه القروض وأن لا تقوم الحكومة السورية بتلزيم مشاريعها الا للشركات التي يوافق عليها المصرف وقد تجاوزت فائدة هذا القرض الخمسة بالمائة والى ما هنالك من الشروط التي يعلم المصرف الدولي بتوجيه من اميركا انها شروط لا يمكن ان تقبل بها دولة في العالم. يضاف الى ذلك انه لم يكن للدبلوماسية الاميركية من عمل الا الاحتجاج المباشر وغير مباشر على كل مشروع انشائي تقوم به سورية. ان الشعب العربي في سورية ليذكر ان قضية انشاء مصفاة ظلت اكثر من عامين بين أخذ ورد وأطاحت بحكومتين. وتوسطت بعض الحكومات العربية بدافع من اميركا لعدم تنفيذ هذا المشروع. كما أن بناء مستودعات الحبوب في اللاذقية كانت موضع غضب الدبلوماسية الاميركية لانه جرى التزامها من قبل شركة بلغارية كان عرضها بمناقصة

عالمية اقل العروض بما يقارب مليون ونصف المليون ليرة سورية، وهكذا ايضا شأن الخارطة الجيولوجية لسورية وغيرها من المشاريع.

أفبعد هذا يمكن لسورية أن تخضع للتهديد والوعيد ولو أدى الى العدوان فعلا؟ اليس من الخير للعرب ان يموتوا مدافعين عن حريتهم واستقلالهم من أن يستسلموا للموت المحقق على يد الاستعمار الغربي واسرائيل؟ ان المعركة التي يقودها العرب هي بالنسبة اليهم معركة بقاء أو فناء، ولا بد لنا من ان نعلن بكل صراحة ووضوح ان المعركة معركة البقاء والحرية، ليست بيننا وبين الاستعمار الغربي فحسب اذ لولا الاستعمار الغربي اي لولا بريطانيا وفرنسا واميركا لما قامت اسرائيل، ولولا امداد الاستعمار الغربي وتقديمه جميع انواع المساعدات لها لما بقيت لانها لا تملك مقومات البقاء، ان كل مسؤول غربي من ايزنهاور الى دالس الى ايدن الى سلوين لويد الى بينو، وجميع من تعاقب على الحكم في دول الاستعمار الغربي كانوا يعلنون بملء اشداقهم ان اسرائيل وجدت لتبقى، ومعلوم ان بقاءها لا يتم الا اذا حازت على مقومات البقاء، مقومات الدولة، وهذا يقتضي بالفعل تقويتها لتقوم بعدوان على البلاد العربية تحقق به مملكة اسرائيل من الفرات الى النيل ان اسرائيل ركيزة الاستعمار الغربي واحدى ادواته وقواعده للقضاء على العرب".

بارومتر الحرب الباردة يتصاعد من جديد. خطاب دالس في الجمعية العمومية.

كانت الولايات المتحدة تعتبر أن نمو قوى سورية العسكرية والاقتصادية خطر على مصالحها البترولية وعلى اسرائيل المخفر الاميركي الامامي الحارس لهذه المصالح في المنطقة العربية، لذلك فقد شغل هذا الموضوع القسم المهم من خطاب دالس في الجمعية العمومية التي افتتحت دورتها في تلك الفترة وقد ورد فيه ما يلي :

"شرع الحكام السوفييت في عام 1955 بشن حملة دعائية مركزة ترمي إلى حمل الدول العربية على الاعتقاد بأنها تستطيع بواسطة الاسلحة السوفيتية والخبراء السوفييت ومساندة الاتحاد السوفيتي ان تحقق اقصى مطامعها الوطنية، وقد احرزت هذه المساعي السوفيتية معظم نجاحها في

سـورية حيـث اسـتلمت الاسـلحة الـواردة بحماسـة وانـدفاع وحيـث أخـذت السلطة السياسية تنتقل اكثر فأكثر الى أيـدي مـن يعتمـدون علـى موسـكو. وأن احـدى النتـائج التـي نجمـت عـن ذلـك هـي أن تركيـا تشـاهد الآن خطـرا عسكريا متزايدا من جراء تكدس الأسلحة السوفيتية في سورية علـى حـدود تركية وتعزيز القوات السوفيتية العسكرية على حـدود تركيـة الشـمالية. وفـي الاسبوع الماضي حاول الاتحاد السوفياتي ان يرهب تركية، ويمنعها في توزيع قواتها في الداخل على وجه يحميها من الوقـوع فـي حركـة سـوفيتية ممكنـة هي أشبه مما تكون بحركة الكماشة..."

"اننـا نعتقـد أن أعمـال السـوفييت هـذه -ربمـا بـلا وعـي- قـد تحمـل متسلمي الاسلحة الروسية على أعمال من العـدوان المباشـر، اولئـك الـذين يشعرون شعورا غير طبيعي بالسلطة نتيجة وضـع كميـات كبيـرة مـن أسـلحة الكتلة السوفيتية بين أيديهم، ومؤخرا تجري إثارتهم بدعاية عنيفة".

"عندما ينشأ وضع خطيـر مثـل الوضـع الـذي يقـوم حاليـا فـي الشـرق الأوسط فإن من أقل واجبات الجمعية العمومية أن تنظر فيه وتناقشه، ولذا فإن الولايات المتحدة تحتفظ بحقها في أن تتقدم باقتراحات عملية على ضوء مثـل تلك المناقشة".

كان خطاب دالس يحوي في حواشـيه نوايـا عدوانيـة واتخاذ تركية مخلب القـط فـي هـذا العـدوان، لـذلك علقـت عليه بمقال نشرته فـي جريـدة البعـث بتـاريخ 1957/9/28 وتحـت عنـوان: تركيـا واسـرائيل ركيزتـان للاسـتعمار ضـد العرب.

عندما استجاب الاستعمار الغربي لمطامع الصهوينة العالمية بغزو ارض فلسـطين العربيـة وشـجع هجـرة اليهـود اليهـا واقـام اسـرائيل واخـذ يمـدها بمختلف انـواع المسـاعدات الماليـة الاقتصـادية والعسـكرية ويمنحهـا مختلـف اشكال الدعم والتأييد، لا لتبقى فحسب وانما لتتقوى وتتوسـع علـى حسـاب العرب، فانه انما كان الى جانب تحقيق الاحلام الآثمـة التـي دارت فـي رؤوس زعمـاء الصـهيونية المعتديـة. ولينشـئ لنفسـه فـي الـوطن العربـي قاعـدة يستطيع ان يرتكز عليها دوما للقيام بعدوان مباشر علـى الـدول العربيـة، ذلـك لأنه كان يعلم انه سيضطر عاجلا أو آجلا للجلاء عن ارض العـرب، وان لا بـد لـه

من رقبة جسر تمكنه من محاولة اعادة بسط سيطرته ونفوذه على الشرق العربي، ورقبة الجسر هذه كانت اسرائيل. على هذا النحو ارتبطت مصالح الاستعمار في استعباد العرب ونهب ثروات بلادهم بمطامع الصهيونية العالمية في سلب أرضهم وتشريدهم وافنائهم، كما ارتبط من جهة أخرى كفاح العرب ضد الاستعمار للتحرر والتقدم ووحدة كيانهم القومي بنضالهم الدامي ضد الصهيونية الغازية.

ولقد قضى العرب سنين طويلة وهم يحاولون افهام العالم هذه الصفة العدوانية التي يتسم بها وجود اسرائيل وهذا الارتباط الوثيق بين مصالح الاستعمار ومطامع الصهيونية العالمية واسرائيل، حتى جاء العدوان المثلث الاخير على مصر فأكد بوضوح هذه الحقيقة التي طالما نبه العرب العالم اليها، وبرهن بجلاء لا مزيد عليه ان اسرائيل انما وجدت لتبقى المصالح الاستعمارية قائمة في البلاد العربية.

واليوم بعد ان حطمت سورية الطوق الذي ضربه الاستعمار حولها واتبعت طريق الحياد الايجابي واخذت تسعى جاهدة لالتماس اسباب القوة للدفاع عن استقلالها، ولاستكمال سيادتها بتحرير اقتصادها من التأثير الاستعماري وتصنيع البلاد وتحقيق المشاريع الانشائية الكبرى، ونجحت في احباط المؤامرات الاستعمارية الداخلية المتتالية للنيل من استقلالها والقضاء على السياسة التحررية التي انتهجتها، ومني الحصار الاقتصادي الذي فرض عليها بالفشل الذريع، يتجه الاستعمار نحو تركيا ليتخذ منها ركيزة للعدوان على سورية بعد ان انكشفت ركيزته الاولى الا وهي اسرائيل ، ويندفيع الحكام الاتراك الذين أسلموا زمام بلادهم للاستعمار ليلعبوا دورا في مخطط السياسة الاستعمارية. على هذا النحو يقوم عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا بدوره في حملة التضليل ضد سورية عندما يزعم انها اصبحت مستودعا للاسلحة السوفياتية متمما بذلك اتهامات دالس لها في خطابه في هيئة الامم المتحدة. لقد أراد الاستعمار ان يتخذ من سعي سورية للحصول على السلاح للدفاع عن نفسها ضد عدوان الاستعمار الغربي واسرائيل ذريعة لشن عدوان عليها بعد ان اخفقت مؤامراته المتوالية في اخضاعها. وذريعة من هذا النوع لا يمكن الا ان تكون مفضوحة في نظر الراي العام العالمي لذلك اصبحت الحجة هي أن هذه الاسلحة الموجودة في سورية ستستخدم من قبل السوفييت!

هكذا في الوقت الذي تتدفق فيه الاسلحة منذ سنوات على اسرائيل ويقوم فيها التسلح والاستعداد للحرب على قدم وساق وتتخذ قاعدة ترابط فيها القوات الاستعمارية، وفي الوقت الذي تتدفق فيه الاسلحة على تركيا وتجري فيها المناورات البرية والبحرية، يزعم دالس ومندريس ان سورية هي التي تشكل "خطرا" على جاراتها وأن الاسلحة تتكدس فيها!

ان سورية ترحب بلجنة تحقيق دولية محايدة ليعرف العالم كله اين تتكدس الاسلحة ومن أين يأتي العدوان، ان هذا الستار من الدخان لتضليل الرأي العام العالمي واخفاء نوايا العدوان المبيتة للقضاء على استقلال سورية لم يعد يخدع احدا، وأن هبوط حكام تركيا ببلادهم الى درك اسرائيل وجعلهم اياها ركيزة للاستعمار مثلها وتسخيرهم شعبها ومصالحها لخدمة المشاريع الاستعمارية لا يمكن الا ان يعود بأسوا العواقب عليها.

ثمة حقائق عدة ادخلها الشعب العربي في سورية في حسابه عندما عقد العزم على ممارسة استقلاله بحزم وجرأة وعلى الوقوف في وجه الاستعمار ومؤامراته ومناوراته والنهوض بسورية في مختلف الميادين.

أولى هذه الحقائق أنه بعد ان كشف العملاء والخونه والانهزاميين والمأجورين قد وحد صفوفه في الداخل وعقد العزم على الدفاع عن استقلال وطنه وحريته حتى الرمق الاخير.

ومن هذه الحقائق ان شعب سورية ليس شعبا صغيرا معزولا. انه جزء من الشعب العربي الكبير، وهو في كفاحه الرهيب ضد الاستعمار يمثل اماني هذا الشعب كله في التحرر والوحدة والتقدم. لهذا فان أي عدوان عليه سيثير الشعب العربي باسره وان اي تلكؤ من الحكام العرب في الاقطار الاخرى في الوقوف الى جانبه سيجعل كراسي حكم كثيرة في البلاد العربية تتهاوى عند تحرك الشعب فيها لنجدة سورية.

ومن هذه الحقائق ايضا ان المعركة ضد الاستعمار لم تعد جزئية محلية، بل عامة شاملة. فالاستعمار الذي وحد عدوانه على قوى الاستقلال والتحرر والتقدم في العالم كله على اختلاف الدول التي تجمعها والانظمة التي تسود فيها، قد جعل من قوى التحرر هذه موحدة في دفع خطر عدوانه، وربط بينها برباط وحدة معركة التحرر للخلاص من الاستعمار في العالم كله، وان اي عدوان سيستثير قواها كلها.

هذه الحقائق كلها قد لا تثني الاستعمار عن ركوب رأسه والمجازفة بزج الشرق الأوسط والعالم كله في اتون الحرب والدمار، ولكنها تكفي الشعب العربي في سورية ليؤكد تصميمه على الدفاع عن حريته وحرية العرب وحرية العالم ضد وحش الاستعمار الضاري، وليزداد وثوقا ان لا بد لوحدة الامة العربية وحريتها وتقدمها من ثمن، وأن لا بد من النصر اذا دفع الثمن، وان النصر عند العرب أغلى من الثمن مهما عظم وأعظم من التضحيات مهما غلت.

الحزب يقرر تقديم الشكوى الى هيئة الأمم المتحدة.

كان خطاب دالس مليئا بالافتراءات والمغالطات وتشويه الحقائق وتجاوز صلاحيات الأمم المتحدة، وفيه كثير من الأمور التي تدعو إلى مزيد من الحذر واليقظة، وكان أخطر ما فيه أنه حاول أن يقلب الأوضاع بنظر العالم فجعل الولايات المتحدة وتركيا شاكيتين وجعل من سورية الضحية موضع الشكوى، وهذا ما كنا نخشاه ونحذر الاستاذ صلاح منه ونحاول بشتى الوسائل اقناعه والضغط عليه لتقديم شكوى الى هيئة الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن ضد تدخل الولايات المتحدة وتركيا مما يعرض الأمن والسلام العالمي للخطر، ولكن الاستاذ صلاح لم يأبه لتحذيرات الحزب وضغوطه وانتقادات الأحزاب الأخرى وبقي على جموده، وكان على ما يبدو غارقا حتى ذقنه بأعمال وزارة الخارجية الروتينية التي هي من صلاحيات الأمين العام أو من هو أدنى منه مرتبة، وكنا نعلل تقاعس الاستاذ صلاح بالعجز ولكن الشيوعيين كانوا يعللون ذلك بسوء النية.

وقبل أن يغادر الاستاذ صلاح دمشق الى نيويورك بتاريخ 1957/9/20 عقدت قيادة الحزب القومية والقطرية اجتماعا في منزل الامين القطري الدكتور مدحت البيطار حضره أعضاء القيادتين، وقد حملت في هذا الاجتماع على صلاح البيطار حملة قاسية بلغت حدود الاتهام، وكان الاستاذ ميشيل والاعضاء المجتمعون يشاركونني هذه الحملة ولكن الاستاذ صلاح لم يقدم مبررات مقنعة لموقفه السلبي، فقرر المجتمعون ان يسلموا

الاستاذ صلاح قرارا مكتوبا يكلف بموجبه الاسراع بالذهاب الى نيويورك وتقديم الشكوى الى هيئة الأمم المتحدة.

كنا نعيش في تلك الظروف على اعصابنا، فقد كانت الصحف ووكالات الانباء على مختلف مصادرها مجمعة على ان الولايات المتحدة وتركية تعدان مغامرة عسكرية ضد سورية، وقد نشرت جريدة الواشنطن بوست ان تركيا وجهت بتاريخ 1957/9/19طلبا الى الولايات المتحدة لتأييدها بعمل عسكري ضد سورية وأن هذا الطلب قد نقله السفير التركي لكبار ممثلي وزارة الخارجية الاميركية.

وفي تلك الفترة وصل نوري السعيد الى اسطنبول قادما من لندن، كما ذكرت الانباء ان اللواء رفيق عارف رئيس أركان الجيش العراقي قد زار اسطنبول ايضا وقام خلال زيارته ببعض المباحثات مع القادة العسكريين الاتراك.

ان هذا الوضع المتوتر قد اضطر الجيش السوري للتحرك وتوزيع قواته بين شمال سورية وجنوبها ففي تاريخ 1957/9/21 صدر بلاغ جاء فيه:

"بمناسبة قيام الجيش السوري بتحركات ومناورات عامة يمنع سير الآليات المدنية على الطرق الآتية: دمشق-حمص، حماه-حلب، حمص-اللاذقية من الساعة الواحدة والعشرين حتى الخامسة صباحا من تاريخ 9/21 حتى اشعار آخر.

مؤتمر المحامين العرب

افتتح بتاريخ 57/9/21 على مسرح معرض دمشق الدولي المؤتمر الثالث للمحامين العرب الذي انقلب الى مظاهرة قومية تأييدا لسورية في كفاحها ضد الاستعمار وحلفائه وعملائه، وقد ألقى رئيس الجمهورية في حفلة افتتاحه خطابا فضح فيه مكائد الاستعمار ومؤامراته على حرية العرب واستقلالهم وسياستهم التحررية وأعلن تصميم سورية على الوقوف حتى النهاية في وجه المؤامرات والتهديد. وقد أيد جميع ممثلي البلاد العربية نضال سورية وحيوا موقفها، واعلنوا وقوف الأمة العربية الى جانبها

وحانب مصر في سياستهما المتحررة ونضالهما العنيد ضد الاستعمار وكان من أهم القرارات التي خرج بها مؤتمر المحامين العرب والتي كانت تعبيرا عما يجيش في نفسية جماهير الامة العربية هو رفع شعار الاتحاد بين مصر وسورية:

"ان تحقيق الوحدة العربية هو أعظم اهداف الأمة العربية، والطريق الوحيد لدرء الاخطار الاستعمارية وحربة الاستعمار المسمومة اسرائيل، ولذلك فإن المؤتمر يطالب حكومتي مصر وسورية بالمبادرة سريعا الى تحقيق اتحاد فدرالي بينهما على أن يكون مفتوحا لكل دولة عربية تتوفى فيها مقومات التحرر".

لقد حرك موقف سورية البطولي التي كانت تتقد كالشعلة في ظلمات المنطقة أعماق الضمير العربي، ولا أدل على ذلك من سيل المتظاهرين الدافق الذي زحف من لبنان متوجها بأهازيجه وأعلامه العربية نحو القصر الجمهوري والمجلس النيابي ودار الحكومة ليعلن تأييده المطلق لموقف سورية، وقد ألقى أحد أعضائه كلمة جاء فيها :

"إننا نمثل لبنان من شماله إلى جنوبه وإننا، صفا واحدا، جئنا لنقول لكم: نحن الذين نمثل شعب لبنان وليست حكومتنا، وإننا لم نأت إلى دمشق كحزب وانما أتينا من مختلف الفئات وقد اتفقت على شيء واحد هو وحدة الصف ووحدة الكلمة، ولن تستطيع الدولارات ولا الأساطيل أن تقف في وجه مسيرتنا للوصول إلى أهدافنا القومية، إننا نطلب منكم أن تنسوا موقف حكومتنا وأن تتذكروا دائما موقف شعبنا."

لقد أصبحت سورية قبلة أحرار العرب ومناضليهم، وننشر فيما يلي بعض المقاطع من مقال كتبته جريدة اليقظة العراقية وأدى الى تعطيلها عن الصدور مدة عام كامل:

"تحتضن سورية اليوم عددا كبيرا من أبناء العروبة في شتى أقطارهم عراقيين واردنيين وسعوديين ومغاربه وغيرهم وجميع هؤلاء يتمتعون بحقوق المواطنة الكريمة،

فحملة الشهادات منهم يوظفون اساتذة أو في دوائر الحكومة، والطلاب تهيأت لهم معاهد العلم ومحلات السكنى والمخصصات الضرورية، واللاجئون السياسيون تشملهم الرعاية والعناية، ولا عجب فإن سورية المؤمنة بالوحدة العربية تعتبر كل عربي فيها واحدا من أبنائها، وهذا تطبيق عملي لمعاني الوحدة، وهو في الوقت نفسه درس بليغ تلقيه سورية على بعض الدول العربية التي يضيق صدرها بأبنائها فضلا عن أشقائهم".

لجنة الاتصال للمؤتمر الشعبي العربي :

بتاريخ 1957/7/19 أصدرت هذه اللجنة بيانا موقعا من حسسين جميل (العراق) أكرم الحوراني، علي بوظو، ظافر القاسمي، معروف الدواليبي، ميشيل عفلق، يوسف الرويسي (تونس)، عبدالله الريماوي، شفيق رشيدات (الأردن)، فؤاد جلال(مصر) يستنكر الضغوط التي تمارس على سورية، ثم استأنفت اللجنة نشاطها بصورة منتظمة بعد أن افتتحت مكتبها بدمشق فتوالت اجتماعاتها منذ 9/27 الى 9/30 برئاسة حميد فرنجية(لبنان) وعضوية كل من جابر العمر، صديق شنشل، فائق السامرائي(العراق) ظافر القاسمي، علي بوظو، معروف الدواليبي، ميشيل عفلق، اكرم الحوراني، علي بزي (لبنان) يوسف الرويسي وفؤاد جلال، وقد قررت أن تذيع بيانا على ضوء الأحداث التي مرت بالوطن العربي خلال العام وقد دعا البيان العرب إلى جمع قواهم وتوحيد نضالهم والوقوف من الأحداث التي تمر بسورية كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، والتنبيه الى ما يحاك من مؤامرات، وأن يكون العرب على استعداد في أية لحظة لجابهتها واحباطها بكل سلاح ولا سيما سلاح الايمان بعدالة قضية الامة العربية، كما تعرض البيان للمؤامرات الاستعمارية الاميركية ضد سورية ومصر والقومية العربية. (الراي العام تاريخ 2-10-57).

وقد كلف الاستاذ فؤاد جلال بصوغ هذا البيان وقد لفت نظري أن معظم ما جاء فيه كان يتحدث عن مصر، مع أن المناسبة كانت تأييد سورية في كفاحها ضد المؤامرات الاميركية، ومما زاد

فـي دهشــتي امتنـاع فـؤاد جـلال عـن توقيعـه مثـل بقيـة اعضـاء اللجنة، وقد برر امتناعه عن التوقيـع بأنـه لا يريـد أن يقـال أن مصـر وراء نشاط اللجنة مع أنه كان يشارك سابقا بتوقيع كل ما صدر عن اللجنة من بيانات، فقلت له أن مـن المصـلحة أن توقـع هـذا البيـان بالذات لكي يظهر واضحا تأييد مصر لسـورية فـي موقفهـا الـراهن، ولكنه لم يقتنع، فقدرت ان موقفه كان نابعا من تصريح جمـال عبـد الناصر عبد الناصر لصحفي أمريكي بأن مصر ترى من قبيل التكتيك أن تخفف من حدة الموقف الاميركـي واندفاعـه العـدائي فـي تلـك الظروف.

□

فـي هـذه الفتـرة دعـت الحكومـة السـورية الاميـرال كوتـوف نائـب القائـد الاعلـى للاسـطول السـوفيتي لزيـارة وديـة لمينـاء اللاذقيـة بمناسـبة وجـوده فـي المتوسـط وقـد هرعـت جمـاهير اللاذقية للوقوف على طول الشواطيء المطلة على المرفأ لتحيي قطع الاسطول وتهتف للصداقة العربية السـوفيتية، ثـم ذهـب وفـد حكومي مؤلف من وزراء الـدفاع والاشـغال والصـحة وقـادة الجـيش لزيارة السفن الحربية السوفيتية والترحيب بها.

□

المعسكران العربيان في دمشق :

كان الوضع في سورية مخيفا فعـلا للأنظمـة العربيـة المجـاورة للأسباب التالية:

1- أصـبح واضـحا أن ضـغط الولايـات المتحـدة علـى سـورية كـان يدفعها اكثر فـأكثر للاتحـاد مـع مصـر الأمـر الـذي أصـبح مطلبـا شعبيا في مختلف الاقطار العربيـة وقـد عبـر عـن ذلـك مـؤتمر المحامين في أحد قراراته كما مر آنفا.

2- بـدأت الحكومـات العربيـة تشـعر بـأن القضـية ليسـت قضـية انحـراف سـورية نحـو الشـيوعية، لأن اليمـين الوطني أيضا قد حدد موقفه نهائيا الى جانـب الشـعب

بفضل التهديد الاميركي والتركي لسورية، وقد عبر شكري القوتلي عن مواقف هذه الطبقة الى جانب الشعب، ولم تعد القضية قضية حزب البعث العربي الاشتراكي، أو قضية اليسار في سورية، بل أصبحت قضية الشعب بكامله، فتوحد الصف الوطني بحماسة واندفاع ووعي يفوق كثيرا ما كان عليه في عهد الانتداب الفرنسي، وبدأ إشعاع هذه القضية يعم المنطقة ويهز الوجدان القومي هزأ عنيفا، فلم تر الحكومات العربية اسلوبا لمعالجة هذا الموقف إلا الازدواجية في مواقفها السياسية فوجه للولايات المتحدة ووجه آخر للأمة العربية، وهكذا استقبلت دمشق في العشر الأخير من ايلول عام 1957 في آن واحد الملك سعود وعلي جودت الأيوبي رئيس الوزارة العراقية وقد اصدر الملك سعود في نهاية زيارته بيانا جاء فيه :

انه سيقاوم كل اعتداء على سورية، وان العرب يدافعون عن كيانهم واستقلالهم، وان تضامن العرب يضمن قوتهم وسلامتهم، وأن علاقات سورية الدولية والعربية سليمة وأنها لا تهدد أحدا.

كما أصدر علي جودت الأيوبي البيان التالي ، وكان ذلك مخالفا لتوجهات الحكم في العراق مما أدى لاستقالته فيما بعد :

"للعراق منذ أن شيد جلالة الملك فيصل بنيانه وأقام كيانه سياسة تقليدية في علاقاته بالبلاد العربية، وهي مشتقة من شعوره القومي الصميم، وفضلا عن ذلك ودعما له فإن العراق مرتبط بميثاق الجامعة العربية والضمان الجماعي.

وانني اصرح بأننا نحترم هذين الميثاقين وندين لهما بالولاء، ولذلك فإن الاعتداء على سورية أو أي بلد عربي آخر يعتبر اعتداء على العراق وعلى البلاد العربية جميعا، ولا أعتقد أن أي عربي يقف مكتوف اليدين من أي عدوان يقع على سورية أو على أي بلد عربي آخر. وهذا موقف تمليه دواعي الأخوة والقومية العربية التي نؤمن بها والتي عملنا في سبيلها منذ نشأتنا، واني

اعتقد أن الأحداث لا تقوى على فصم عرى القومية بين العراق وسورية وأي بلد عربي آخر".

صلاح البيطار في نيويورك.

بينما كانت هذه الاحداث تجري في سورية كان الاستاذ صلاح البيطار ملتزما الصمت في نيويورك ما عدا تصريح ضعيف أدلى به في مؤتمر صحفي عقده بعد وصوله إليها ردا على حملات دالاس وسلفين لويد ووزير خارجية استراليا الجائرة ضد سورية. (الرأي العام 22-9-57).

تولى الاستاذ خليل كلاس وزارة الخارجية نيابة عن الاستاذ صلاح خلال غيابه، وكان على اتصال مستمر معه بنيويورك يحثه علىالاسراع بتقديم الشكوى السورية، ولكنه لم يبادر الى تقديمها بينما كانت وكالة الاسوشيتد بريس تذيع بتاريخ 9/26 بأن دالس عرض على الاستاذ صلاح أن يجتمع به فيما إذا طلب ذلك، كما أعلن بعد ذلك رئيس الوفد الاميركي في الأمم المتحدة كابوت لودج انه يسره أن يجتمع الى صلاح البيطار لبحث الموقف في الشرق الأوسط أو أي موضوع آخر يريد بحثه.

أمام هذا الوضع رأيت ضروريا أن أقترح على الحكومة أن تطلب من الأمم المتحدة تشكيل لجنة دولية للتحقيق في الاتهامات التي وجهتها الولايات المتحدة وتركيا وبريطانيا واستراليا إلى سورية من أنها أصبحت مستودعا للأسلحة وخطرا يهدد الجيران ومركزا للنوايا العدوانية على أن يشمل مهمة اللجنة سورية وتركية واسرائيل، وفيما يلي نص هذا الاقتراح:

سأل مندوب الرأي العام السيد أكرم الحوراني عن الغاية من تقديم اقتراحه فأجاب :

لقد وقف دالس وزير الخارجية الاميركية على منبر الأمم المتحدة يفتري ويتجنى على سورية ويتهمها بأنها تهدد جيرانها، وأن الاسلحة التي اشترتها تفيض عن حاجتها، وتبع سلفين لويد زميله دالس فاتهم سورية بأنها اصبحت قاعدة سوفياتية أمامية ومستودعا للاسلحة الشيوعية التي ستستخدم عند الحاجة، واقتفت تركيا أثر الولايات المتحدة وبريطانيا فأعربت

عن قلقها من تكديس الاسلحة السوفياتية في سورية وزاد وزير خارجية استراليا في طنبور الجوقة الاستعمارية نغما يوم أمس.

ولفضح حملة التهويش الافتراء والاتهام هذه، يجب على سورية أن تقوم بعمل ايجابي يكشف اكاذيب المستعمرين وافتراءاتهم، وقد اقترحت على الحكومة السورية أن ترفع أمر هذه الاتهامات الى الأمم المتحدة التي ألقيت التهم من على منبرها، وتطلب منها تشكيل لجنة للتحقيق في هذه الاتهامات الخطيرة على ان تشمل مهمتها سورية وتركيا واسرائيل، ليعرف العالم أي من البلدان الثلاثة هو الذي أصبح مستودعا للاسلحة الفائضة عن حاجته الدفاعية والمعدة للاستخدام في العدوان، وإن سورية مفتوحة دائما أمام أية لجنة تشكلها الأمم المتحدة للتحقق من:

1- سورية ليست مستودعا للاسلحة الفائضة عن حاجتها والمعدة للاستخدام ضد سواها.

2- ان السلاح الموجود لدى سورية لا يفيض ابدا عن حاجتها الدفاعية.

3- ان سورية لا تضمر أية نوايا عدونية ضد جيرانها.

وإن الامم المتحدة إذا وافقت على تشكيل هذه اللجنة فإن العالم كله سيكون متأكدا من أن سورية بلد مسالم لا يهدد أحدا ولا يقتني سلاحا يفيض عن حاجة دفاعه ، كما سينكشف للعالم أجمع أن الاستعمار الذي يفترى على سورية قد حول تركية الى مستودع كبير للسلاح وإلى برميل للبارود يهدد السلام في الشرق الأوسط وفي العالم كله بخطر كبير دائم، وستتأكد دول العالم أجمع من أن الدول الغربية قد جعلت اسرائيل كلها ثكنة لقوى العدوان ولقوات اجنبية فرنسية واميركية تتربص بالدول العربية المسالمة الدوائر لتعتدي عليها كما اعتدت على مصر في تشرين الأول الماضي. واضفت الى ذلك قولي :

"وإني اعتقد أن اقدام الحكومة السورية على إثارة موضوع الاتهامات الاستعمارية أمام الأمم المتحدة وطلب تأليف لجنة دولية للتحقيق فيها وتفتيش سورية وتركية واسرائيل ستكون ضربة دبلوماسية قاسية للخطط الاستعمارية التي تحاول إيهام العالم أن سورية، هذا البلد الصغير المسالم، قد انقلب الى قوة رهيبة تهدد جيرانها بالعدوان والعالم كله بحرب" (صحف أواخر أيلول 1957).

كان هدفي من تقديم هذا الاقتراح في ذلك الوقت بالذات شرح موقف الحزب الحقيقي أمام الرأي العام من جهة، وتذكيرا علنيا للاستاذ صلاح بالقرار الذي اتخذه الحزب قبل سفره الى نيويورك من جهة أخرى.

وقد لعب "الأمير" فيصل دورا هاما في عقد اجتماع بين صلاح البيطار ودالس بعد أن نصح فيصل وزير الخارجية الاميركية بانتهاج سياسة الاعتدال نحو سورية.

وأخيرا تكلم الاستاذ صلاح في هيئة الأمم المتحدة ولكنه لم يتعرض لموضوع الشكوى التي قررها الحزب.

كانت سياسة الولايات المتحدة تهدد سورية بالعصا الغليظة من جهة وتوسط الحكومات العربية لاقناع سورية بالتراجع عن سياستها التحررية من جهة أخرى... وفيما يلي بعض ما جاء في حديث لعبد الناصر مع صحافي اسمه (هانجن):

س : هل يظل تأييدكم لسورية الى هذا الحد المطلق ولو أصبح هذا البلد تحت السيطرة الشيوعية؟

ج : أنا أعرف شخصيا زعماء سورية كما أعرف قادة الجيش وأنا واثق انه لا يوجد بينهم شيوعي واحد وانما هم جميعا من أصدق الوطنيين.

س : هل ترون أن مصر تستطيع التوسط بين سورية والولايات المتحدة..

ج : لا أومن بالوساطات، وكان أفضل لو أن حكومة الولايات المتحدة الاميركية اتجهت مباشرة الى زعماء سورية الوطنيين لتعرف منهم ما تريد معرفته عن بلادهم، ولست أفهم حتى الآن لماذا توفد الولايات المتحدة مبعوثيها لكي يدوروا حول سورية يتسقطون أخبارها من العواصم المحيطة بها ولا يحاولون أن يسلكوا الطريق الطبيعي الوحيد وهو الاتجاه الى سورية نفسها.

ولم يفت الصحفي الاميركي في هذا الاستجواب الطويل التلويح لعبد الناصر بالمساعدات الاقتصادية وبمقابلة الرئيس ايزنهاور لبحث مشاكل الشرق الأوسط وكان رد عبد الناصر على هذين الاغرائين ايجابيا(الراي العام 1957/9/29).

التجمع القومي يخوض الانتخابات الفرعية للمقاعد التي شغرت بالحكم على النواب المشتركين بمؤامرة 1956م.

تم الاتفاق بيسر وسهولة على ترشيح سلمان هنيدي البعثي الاشتراكي عن جبل الدروز باسم التجمع القومي بعد أن اصبح الحكم علي حسن الاطرش بمؤامرة عام 1956 حكما قطعيا، كما تم الاتفاق على تسمية أنطوان حامض من الحزب الوطني مرشحا لمقعد حلب النيابي الذي شغر باكتساب الحكم على ميخائيل ليان الدرجة القطعية، وقد تعاون عبد الرحمن الكيالي مع فرع الحزب في حلب على اقناع المرشحين الآخرين بسحب ترشيحهم.

أما الاتفاق على إجراء الانتخابات البلدية الذي عين موعدها 14-11-57 فقد ارتطم بعقبات أولها الاتفاق على إجرائها في موعدها المقرر لأن حزب الشعب أظهر منذ البداية رغبة بتأجيل الانتخابات البلدية، وكان ذلك نتيجة طبيعية لشعوره بالفشل، فقد كانوا يعرفون بأن التجمع سيفوز بالانتخابات البلدية في حلب إذا خاض المعركة متحدا، ولما رفض التجمع إرجاءها أصدر حزب الشعب بيانا بمقاطعتها وكانت مقاطعته للانتخابات البلدية تسيء لسمعة الوضع الديموقراطي، ومع ذلك لم تكن العقبة التي لا يمكن تجاوزها وانما كانت العقبة هي الاتفاق مع الشيوعيين على القوائم الموحدة للتجمع القومي وهذا ما سنعود الى بحث تطوراته بالتفصيل.

نشاط حزب البعث ومهرجان الشيخ بدر.

وبالرغم من الاختلافات التي جرت في انتخابات القيادة القطرية الجديدة لحزب البعث العربي الاشتراكي فإن هذه القيادة أرادت أن تثبت جدارتها وتتحمل مسؤوليتها فقامت بعد انتخابها بجولة في المحافظات الشمالية: حلب ودير الزور والجزيرة، اطلعت فيها على نشاط الفروع وسير التنظيم فعقدت ندوات واجتماعات، شرحت فيها المؤامرات الاستعمارية ودعت البالالتفاف حول حزب البعث والقيادات الوطنية، وكان لهذا النشاط أثر طيب في حل

مشـاكل الفـروع التنظيميـة، وقـام بهـذه الجولـة الأمـين القطـري مدحت البيطار وفوزي عيون السود.

أما بالنسبة لمحافظة اللاذقية فقد أقيم في بلدة الشيخ بدر مهرجان حزبي كان مـن أكبـر التجمعـات فـي تـاريخ الحـزب. وبلـدة الشيخ بدر تقع شمال شرق طرطوس على الطريق الموصـل الـى حماه شرقا، مرورا بـوادي العيـون ومصـياف، **وعـن هـذا الطريـق القـديم كانـت حكومـة الملـك فيصـل فـي دمشـق تتصـل بأنصارها من ابنـاء الجبـل والسـاحل عبـر بلـدة الشـيخ بـدر قاعدة الثائر الشيخ صـالح العلـي الـذي أعلـن الثـورة علـى الاحتلال الفرنسـي قبل معركة ميسلون.**

كـان مهرجـان الفلاحـين فـي منطقـة الشـيخ بـدر ردا علـى الأوهام التي روجها الاستعمار عن الوضع فـي سـورية، فقـد زحـف عشرات الألوف من الفلاحـين مـن مختلـف منـاطق الجبـل يعلنـون تأييــدهم للسياســة العربيــة التحرريــة واســتنكارهم لمــؤامرات المستعمرين ومحاولات التفرقة الطائفية معربين عن ثقتهم بحـزب البعث العربي الاشتراكي وقادته، أما عدم حضوري هـذا المهرجـان الفلاحي الكبير مما كان موضـع تسـاؤل آنـذاك فيشـير الـى سـببه السيد منذر الموصلي الذي أرخ لمهرجان الشيخ بدر فـي صـحيفة العربي الاشتراكي (حزيران 1985)[1] :

"في دمشق قابلت الاستاذ اكـرم وأخبرتـه بمـا اتفقنـا عليـه بعـدم حضـوره شخصـيا المهرجـان فقـد كنـا نملـك معلومـات بـأن القوميين السوريين قد يتعرضون لحياته، فقال أنـا موافـق لاننـي لا اريد أن أعرض البلاد لمشاكل، وليس خوفـا علـى نفسـي" ويصـف الموصلي المهرجان :

"مـن الشـرق والغـرب والشـمال والجنـوب، مـن كـل الجهات المحيطة بالشيخ بدر بدأت تفد وفود قرى المنطقـة في صـفوف تتقـدمها أعـلام الحـزب مـع لافتـة تحمـل اسـم

(1) صحيفة الجناح المتعاون مع نظام حافظ أسد، وقد صدرت منها أعداد قليلة وبشكل متقطع وغير رسمي.

القرية وما يعبر عن فرحها وتأييدها، فكأنها فرق تتلقى أوامر بالحضور وليست جماعات فلاحية جاءت تحمل قضايا بؤسها وتخلفها وحرمانها الطويل لتضعها أمانة في أعناق الحزب وقيادته وقواعده، جماهير مؤمنة ملتفة مؤيدة، حتى لم نعد ندري فيما بعد هل هي التي انكفأت أم حزبها العظيم؟ هل هو الذي تخلى عنها أم هي؟ ذلك ما يقرره التاريخ لأنه تدخل تحت هذا العنوان الكبير أحداث كبرى تبدأ منذ حل الحزب" كما يقول :

"كان مشهد وفود الريف لا ينسى أبدا، ولم يتكرر أيضا لأنه لو تكرر وبهذا النسق والاندماج والدوافع لكانت الأمور قد اتجهت وجهة أخرى"

مهرجان أحزاب التجمع حلب.

كان أهم ما بلغناه من إقامة هذا المهرجان في منطقة الشيخ بدر أعداد الشعب نفسيا لانخراطه في المقاومة الشعبية في تلك المناطق الجبلية الحصينة، هذا بالوقت الذي كان فيه رئيس الجمهورية شكري القوتلي يقوم بزيارة حلب ويدعو الشعب للانخراط في المقاومة الشعبية.

وإذا كان مهرجان الشيخ بدر مهرجانا بعثيا فإن احزاب التجمع (حزب البعث، الحزب الشيوعي، الحزب الوطني) أعدت لمهرجان حلب، الذي لم تر المدينة له مثيلا فقد خرج حوالي ربع مليون مواطن ليعلنوا تعلقهم بالسياسة العربية التحررية وقادتها، وفي ذلك الاجتماع تحدث رئيس الجمهورية عن الضغوط الاستعمارية على سورية، فأكد أن مصيرها الفشل، وقال أن سورية هي آمن بقعة في العالم وانه لا خوف على رؤوس الأموال والملكيات والحريات والمقدسات، وأهاب بالمواطنين أن يزيدوا من إقامة المصانع وتوسيع الزراعة والتجارة، وطمأن المنتجين الى تصريف الفائض من انتاجهم وقال :

"إننا لن نقصر تعاملنا على الشرق وحده ولا على الغرب وحده، واننا نتعامل مع كل بلد يدفع ثمن منتجاتنا، وأن سورية

ستكسر طوق الحصار الاقتصادي كما كسرت طوق الحصار السياسي، ولن ترهبها التحشدات على حدودها ولا الاساطيل قرب شواطئها لأنها تدافع عن قضية عادلة تساندها كل قوى الخير في العالم" ثم دعا الى حركة المقاومة الشعبية قائلا : "إن الأموال والأرواح والحريات والمقدسات لا تصان الا عندما يحافظ الشعب على سيادته واستقلاله".

بعد الاستقبال المشجع للقوتلي في حلب، قام بزيارة أخرى لمحافظة السويداء وقد خطب في الجموع الحاشدة في شهبا فدعاهم للانخراط في المقاومة الشعبية "ليكون كل فرد من ابناء هذا الوطن الجندي الذي يدافع عن سلامة هذا الوطن واستقلاله" وقال "سنثبت للدنيا اننا حراس أشداء ندافع عن حدود الوطن لا يغرينا اغراء ولا يرهبنا تهديد ولا وعيد" وقال: "ان هدفنا في هذه المرحلة وضع نواة الوحدة العربية الشاملة".. ثم زار منزل سلطان الاطرش في (القرية) وخطب قائلا:

"إن هذا البيت مكان مقدس وهو ليس قبلة بني معروف فحسب بل قبلة كل من جاهد في هذا الوطن لرفع رايته عالية" وقد تعرض في خطابه لوقائع الثورة السورية عام 1925 التي كان من رجالها هو وصبري العسلي.

لقد مررت بهذه التفاصيل لكي أبين كيف يلتقي في مناخ الثورة اليمين الوطني مع اليسار في معركة التحرر وكيف ان الشعوب عندما يتهدد استقلالها تعود إلى اجواء ثوراتها التاريخية المجيدة، فقد هرعت قيادات الحركة الوطنية بشكل عفوي الى (القرية) التي انطلقت منها الرصاصة الاولى في ثورة عام 1925 والى الشيخ بدر التي انطلقت منها ثورة الشيخ صالح العلي، والى حلب الشهباء التي انطلقت منها ثورة هنانو.

سورية حققت المعجزات

لم تكن ثقة سورية بنفسها ووقوفها بصلابة في وجه الضغوط السياسية والحصار الاقتصادي موقفا عاطفيا لا يستند إلى

واقـع تطورهـا المـادي، فقـد سـجلت فـي مختلـف أوجـه التطـور الاقتصادي أرقاما قياسية خلال العشر سنوات التي انقضت علـى الاستقلال، وقد خطب وزير الزراعـة حامـد الخوجـة فـي مهرجانـات القطن في حلب يومذاك ذاكرا ما حققته سورية من تقدم منذ فجر استقلال عام 1945 الى عام 1957 في الميدان الزراعي فقال :

"لم يكن انتاجنا من الحبوب قبل الاستقلال ليسد اسـتهلاكنا المحلـي لذلك كنا نستورد بعض ما نحتـاج اليـه مـن طحـين لتـأمين خبزنـا اليـومي، أمـا اليـوم وبعـد 12 عامـا علـى الاسـتقلال فقـد تنوعـت حاصـلاتنا الزراعيـة وزادت كميات انتاجنا، وأصبح شعبنا يصدر الكثير من خيـرات الـوطن. قبـل الاسـتقلال كان معدل محصولنا من القمح كل عام أقل من نصف مليون طـن، فأصـبح الآن مليون طن، وكان معدل محصولنا من الـشعير 250 أ لف طن فأ صبح الآن 500 ألف طن، كان محصولنا من القطن سنويا 3 آلاف طن فأصبح محصولنا السنوي من القطن المملوح 110 آلاف طن فزاد زهـاء سـبع وثلاثـين مـرة خـلال اثنتـي عشر عاما.

لم يكن في سورية كلها عندما نالت اسـتقلالها اكثـر مـن 200 تراكتـور فأصـبح عـددها الآن 2074 تراكتـورا، لـم يكـن فـي سـورية مـن الحاصـدات والدراسات اكثر من مئة اما الآن فاصبح عددها يربـو علـى 786، كانـت اراضـينا المروية بمشاريع الري لا تزيد مسـاحتها عـن 50 ألـف هكتـار قبـل الاسـتقلال فأصبحت مساحتها 400 ألف هكتار. لم يكن عدد مضخات الري قبل الاستقلال يتجاوز الألف أما الآن فبلغ عددها 15824.

لقد أصبح همنا الآن تنفيذ مشروع سد يوسف باشا على نهـر الفـرات (سد الفرات الحالي) ليـروى مـا مسـاحته 400 ألـف هكتـار مـن سـهول الرقـة والرصافة وأسفل وادي الفرات، وأملنا الآن هو الوصول الى ري مساحة اضافية مـن الاراضـي الزراعيـة تبلـغ 400 الـف هكتـار فـي عـام 1960 أي مـا يعـادل المسـاحة الحاليـة للأراضـي المرويـة ثـم تزيـد هـذه المسـاحة مـرة أخـرى عام1965.

بدء الخلاف بين حزب البعث والحزب الشيوعي.

كـان المرحـوم السـيد أحمـد علـوش بعـد أن أصـدر جريـدة الصرخة قد رجاني أن أمدها بالأخبار وقال :

اننـي أقـرب إلـيكم مـن جريـدة الـرأي العـام التـي تمـدونها بالأخبـار والمعلومـات فأصـبحت بفضـل ذلـك الصـحيفة الأولـى فـي سورية، قلت له :

لسـت مصيبا تماما في تقديرك، فلا شـك أن أحد أسباب قوة الراي العام وانتشارها يعود لقربها منا ولإمدادها مـن قبلنـا بشـكل طبيعـي بالأخبـار والمعلومـات والتوجيهـات، ولكـن هنالـك صـحف عديدة أخرى أقرب الينا من الرأي العام ومع ذلك لم تبلغ مـا بلغتـه الـراي العـام مـن قـوة الانتشـار وسـعته، اننـي سأسـاعدك كـأخ وصـديق بكـل مـا تطلـب وعليـك أنـت بالدرجـة الأولـى أن تسـاعد نفسك.

لم يكن الاستاذ أحمد علوش ولا جريدته يتمتعان بالامكانـات والقدرات التي تتمتع بها صحيفة الراي العام، وهذا ما كان يحز في نفسه باستمرار دون أن تكون لنا حيلة تجاه هذا الموضوع.

اسـتغل الشـيوعيون هـذا الوضـع فأمـدوا جريـدة الصـرخة بالمحررين والكتاب ليجعلوا منها وسيلة الهجوم علـى الحـزب دون أن يتحملوا المسؤولية ولا سيما أن صاحبها كان معروفـا بقربـه لنـا وصلته بنا.

كانت سياسة الحزب الشيوعي تجاه حزب البعـث قـد بـدأت تتغير شيئا فشيئا، ولا سيما بعد عـودة خالـد العظـم مـن موسـكو في مطلـع شـهر تشـرين الاول، فقـد بـدأت جريـدة الصـرخة بشـن هجوم جائر على الحـزب وعلـى بعـض قادتـه، وأصـبح الشـيوعيون يقفـون بالمرصـاد لكـل عـدد يصـدر مـن جريـدة البعـث، فقـد كتبـت الصـرخة تعليقـا علـى مقـال نشـرته البعـث مترجمـا عـن مجلـة (اسبري) الفنرسية بعنـوان الماركسـية وثوريـة المسـتعمرات "انـه مقال لا يشرف الجريدة الناقلة لأن المستعمرين لا يريدون اكثر من نشر هذه الأفكار".

كانت ردود الفعل لهذا الهجوم تعميق التناقض بين حزب البعث والحزب الشيوعي لدرجة أن جريدة البعث قد أغفلت عمدا خبر إطلاق الاتحاد السوفيتي القمر الصناعي وانتصاره في غزو الفضاء بتاريخ 57/10/5، وكان أول قمر صناعي يدور حول الأرض مما استحق عليه الاتحاد السوفيتي تهنئة العالم أجمع وتهنئة الرئيس ايزنهاور، وكتبت بعض الصحف الغربية بأن تفوق الاتحاد السوفيتي العلمي واطلاقه القمر الصناعي سيؤثر في ميزان القوى وسيزيد في عدد الدول المحايدة في العالم.

انتخاب هيئة مكتب مجلس النواب.

كان الرابع عشر من شهر تشرين الأول موعدا لانتخاب رئيس مجلس النواب وهيئة المكتب، وكانت قيادة التجمع والحكومة متحمسة جدا لخوض معركة رئاسة المجلس وقد استعرضت في أول اجتماع عقد لهذا الغرض في منزل صبري العسلي أسماء المرشحين وهم أكرم الحوراني، صبري العسلي، خالد العظم، فآثر المجتمعون أن يبقى العسلي في رئاسة الوزارة لتجنب إحداث أي تبديل في لون الحكم، كما اعتذر خالد العظم للأسباب ذاتها، فقرروا ترشيحي للرئاسة الثانية ولكنني اعتذرت ورشحت لهم سعيد الغزي بدلا عني.

كنت مقتنعا بحجة اركان التجمع حول ضرورة استبدال ناظم القدسي بشخص آخر من أعضاء التجمع أو بشخص حيادي على أقل تقدير، إذ لا يجوز أن يكون للتجمع الاكثرية العددية في المجلس النيابي ويبقى رئيس المجلس من حزب الشعب. فقد ظل ناظم القدسي يأمر بصرف رواتب النواب الفارين والمحكومين غيابيا الذين لجؤوا الى تركيا لتشكيل حكومة منفى بالرغم من الاحتجاجات المستمرة من قبل النواب والاحزاب والشعب على هذا التصرف.

كنت أفضل بقائي حرا من قيود الرئاسة ورسمياتها فقد كنت "استوحش" من الحفلات الرسمية، وأخجل من حضور المواكب والاحتفالات ولا أستطيع تحمل هذه

المظاهر، وكان ذلك ضعفا اجتماعيا وسياسيا. كنت أشعر بحكم طبعي ومزاجي أن مكاني الطبيعي هو بين الناس أستمع اليهم وأساعدهم على حل مشاكلهم، وكان أكثر ما يمتعني أن أجلس مع فلاح بسيط من ريف سورية استمع منه إلى أخبار المواسم والامطار وازدياد المساحات المزروعة.

حاول اقطاب التجمع وعلى رأسهم خالد العظم وصبري العسلي، وخالد بكداش اقناعي بقبول ترشيحي لرئاسة المجلس بداعي أنه لا يوجد أحد غيري - في ذلك الظرف- قادر على تأمين الانسجام بين الحكومة والمجلس وحائز على ثقة المجلس والبلاد.

استمرت الاجتماعات ومحاولات الاقناع عدة ايام، إلى أن اجتمع بي الاستاذ ميشل عفلق وحاول اقناعي - بشكل رفاقي- فقدرت أن اعتذاري يحملني مسؤولية كبيرة فوعدته بالقبول.

كان للحزب الشيوعي موقف آخر من ترشيحي لرئاسة المجلس يختلف عن موقفه المعلن فقد كتبت جريدة الصرخة "أن المصلحة تقضي ببقاء ناظم القدسي رئيسا للمجلس" وكنت مقتنعا أن احمد علوش لا يمكن أن يكتب ذلك ألا بضغط من الحزب الشيوعي.

أما حزب الشعب فقد بذل أنصاره كل ما يستطيعون من جهد لانجاح مرشحهم ناظم القدسي - لا حرصا على بقائه شخصيا - بل لاقتناعهم أن فشلي سيلزم حكومة التجمع بتقديم استقالتها حالا الى رئيس الجمهورية باعتبار أن الأكثرية البرلمانية قد اصبحت الى جانبهم.

ومما شجعهم على ذلك أن عددا كبيرا من النواب الاقطاعيين يعتبرون نجاحي لرئاسة المجلس تهديدا لمصالحهم، وقد قال لي بعضهم صراحة أن ضميرهم بجانبي ولكن أصواتهم ستكون بجانب ناظم القدسي.

كان الشعبيون يأملون أن تمتنع الكتلة الديموقراطية وبعض الوزراء من الاقتراع بجانبي، وفي ليلة 57/10/14 عقدنا اجتماعا في منزل صبري العسلي حضره الوزراء الثلاثة اسعد هارون وصالح عقيل ومأمون الكزبري وكان قد أشيع أنهم استقالوا بسبب ترشيحي لرئاسة المجلس، كما حضر الاجتماع اعضاء الكتلة الديموقراطية فكذبوا ما روج على لسان بعضهم بشأن بعض المطالب، وفي ذلك الاجتماع قال صبري العسلي:

"أكرم الحوراني دعم كبير للسياسية العربية التحررية التي ارتضتها سورية وحققت لها الكثير من العزة والقوة وأن الاستعمار يفرحه كثيرا ألا ينجح أكرم الحوراني بهذه المعركة لتبديل حكومة التجمع القومي بحكومة أخرى تسايره ويرضى عنها".. كما قال خالد العظم للمجتمعين:

"انكم سوف تدعون غدا لا للاقتراع بين الاشتراكية وغير الاشتراكية بل للاختيار بين السياسة العربية التحررية والسياسة المشبوهة".

لم يخامرني اي قلق بالنسبة لنجاحي في المعركة أو فشلي فيها لأنني في الحقيقة كنت مكرها على خوضها. وفي جو لم يشهد له المجلس نظيرا من القلق والتوتر انعقدت جلسة مجلس النواب في صباح 14-10-57 وكانت شرفات المجلس تغص بالحاضرين والمشاهدين.

نلت في الاقتراع الأول 61 صوتا ونال ناظم القدسي 58 فأعيد التصويت ثانية لعدم نوالي الأكثرية المطلقة فنلت 63 صوتا ونال القدسي 57 صوتا، فثارت عاصفة من التصفيق اشترك بها النواب مع النظارة ووسط هذه العاصفة التي ما كانت تهدأ حتى تثور من جديد صافحني ناظم القدسي وهنأني بالفوز والنجاح، وبعد الاستراحة انعقد المجلس برئاستي فدوت القاعة من جديد بالتصفيق المتواصل الذي قطعته بالقاء الكلمة الموجزة الآتية:

إنني أشكركم جميعا على ثقتكم الغالية وأرجو أن أكون عند حسن ظنكم بالحياد والتجرد التام. وأسأل الله أن يوفقنا جميعا ويسدد خطانا لنحقق لأمتنا ما نصبو اليه من حرية ووحدة وتقدم وازدهار.

يسعدني أيها الزملاء جميعا أن نستقبل في عامنا النيابي الجديد يوما تاريخيا يلتقي فيه الجيشان، الجيش العربي المصري والجيش العربي السوري على ارض سورية العربية، لا شك أنه يوم تاريخي عظيم نحيا فيه أحلامنا التاريخية وآمالنا القومية واني لأرجو الله بجهود الأمة وجهود مجلسكم الكريم أن يحقق قريبا التقاء جميع الجيوش العربية تحت قيادة موحدة وعلى أرض الوطن الواحد، وهذا الالتقاء لن يكون لشن عدوان بل لرد العدوان وحماية الحرية وإقرار السلام في العالم".

وكانت قد وصلت مساء ذلك اليوم الى ميناء اللاذقية بعض القوات المصرية تحرسها قطع بحرية وجوية سورية ومصرية فاستقبلت استقبالا شعبيا منقطع النظير.

□

بدأت الوفود الشعبية منذ اليوم الأول لانتخابي رئيسا لمجلس النواب تزحف الى المجلس من جميع أحياء دمشق، ولا أكون مبالغا إذا قلت أن دمشق قد فتحت لأول مرة جميع مغاليقها -بدون استثناء- أمام حركة البعث العربي الاشتراكي، ولم يكن الريف والمدن السورية الأخرى أقل فرحا وحماسة واستبشارا فقد عبرت دمشق عن فرحتها بالبرقيات والوفود، كما أقيمت المهرجانات وانعقدت حلقات الدبكة في مختلف قطعات الجيش ابتهاجا بهذا النجاح، وقد لعب الضغط الاستعماري دورا كبيرا في بعث هذا الجو الشعبي اللاهب الجارف في سورية إذ رافق معركة الرئاسة اكتشاف فجائي لمختلف أنواع الأسلحة بأعداد كبيرة مع عشرات ألوف الطلقات التي هربت من لبنان برا وبحرا الى منطقة اللاذقية ليتسلمها الاشخاص الذين جرى تدريبهم في لبنان.

وقد استقبل اليسار في مصر نجاحي برئاسة المجلس باستبشار، فقد كتب السيد خالد محيي الدين مقالا افتتاحيا في جريدة المساء المصرية نقلت منه جريدة البعث المقاطع التالية :

"في 13 اكتوبر وصلت القوات المصرية المسلحة الى سورية لتقف بجوار الشقيقة العربية سورية في حالة الاعتداء عليها، واليوم أفادت الانباء عن انتخاب الاستاذ اكرم الحوراني أحد أقطاب الحزب العربي الاشتراكي رئيسا لمجلس النواب السوري خلفا للدكتور ناظم القدسي، والخبران السابقان يؤكدان أن الوحدة العربية بين مصر وسورية في طريقها لتأخذ شكلها النهائي وان الخطوات العملية ستكون طابع العلاقات السورية المصرية بعد الآن.

ان وصول القوات المسلحة المصرية الى سورية يعني أن الجيش العربي الموحد قد أرسيت قواعده، واننا في الطريق نحو هذه الغاية العظيمة وانتخاب الاستاذ الحوراني تأكيد ودعم للوحدة السورية المصرية فالرئيس الجديد هو أحد انصار الوحدة الشاملة بين مصر وسورية، وزعيم وطني مكافح حمل لواء الدعوة ضد الاستعمار بعنف وقسوة، ولأول مرة في تاريخ سورية ينتخب مجلس النواب رئيسا له من الرجال المنتمين الى حزب البعث العربي الاشتراكي وهو حزب الوحدة العربية وحزب الديمقراطية الاشتراكية وحزب الحياد الايجابي.

ان انتخاب الحوراني هو تتمه للخطوات الوطنية الاستقلالية التي سارت عليها سورية حتى الآن، هو انتصار تحتمي به الانتصارات السابقة في الميادين العسكرية والاقتصادية بعد أن استطاعت سورية أن تحل مشكلة السلاح واستطاعت أن تحل مشكلة الفائض من المحاصيل السورية.

ان انتخاب الحوراني ووصول القوات المسلحة المصرية للدفاع عن الشقيقة سورية هما من فضائل سياسة الحياد الايجابي والسياسة العربية التحررية".

□

منذ اللحظة الأولى لنجاحي في معركة رئاسة مجلس النواب كنت أفكر بجعله وسيلة لدفع عجلة التحرر والوحدة خطوات الى الأمام:

"تتابعت وفود كثيرة أمس إلى مجلس النواب مهنئة أكرم الحوراني على فوزه بمنصب الرئاسة الثانية في الدولة، بينما كانت تنهمر عليه البرقيات والوفود من مدن سورية وقراها تعبر عن فرحها وآمالها بحاضر سورية ومستقبلها بعد أن انسجمت أوضاع الرئاسات الثلاث في الدولة لخدمة أهداف السياسة العربية التحررية. ورغم أن زيارات التهاني كانت تستغرق وقت أكرم الحوراني فقد درس مع ذلك فكرة دعوة وفد برلماني مصري لزيارة سورية قبل حلول الشتاء ليعرف نواب مجلس الامة المصري كل ما يلزم عن سورية وإمكاناتها للاسراع بتحقيق مشروع الاتحاد بين البلدين. كما درس فكرة احياء الاتحاد العربي البرلماني باعتباره خطوة أساسية تساعد على الوصول إلى الوحدة العربية الشاملة المتحررة"(الرأي العام 16-10-57).

ومن جهة أخرى فقد أثمرت جهودي لحث الحكومة على الاسراع بتقديم شكوى من الحشد التركي على الحدود السورية والتهديد بالعدوان الى هيئة الأمم المتحدة:

"كان الاستاذ خليل كلاس على اتصال دائم أمس بصلاح البيطار في نيويورك لتحضير عرض الشكوى من الحشود التركية في الجمعية العمومية للأمم المتحدة بعد أن استقر رأي الحكومة على ذلك. ولهذا فإن صلاح البيطار سيضطر لتأجيل عودته الى دمشق لأن تقديم الشكوى يقتضي بقاءه في الأمم المتحدة".(الرأي العام 16-20-57)

وبالفعل فقد قدم الاستاذ صلاح بتاريخ 15-10-57 كتابا إلى رئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة طلب فيه إدراج الشكوى السورية من الحشود التركية في جدول أعمال الجمعية العمومية. وقد أيد أندريه غروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفييتي في كتاب وجهه الى رئيس الجمعية العامة الشكوى السورية، وطلب فيه عقد اجتماع عاجل للهيئة العامة لبحث الشكوى واجراء التحقيق في الموقف على الحدود بين سورية وتركية من قبل اللجنة المقترحة لتقدم تقريرا الى مجلس الأمن والجمعية العامة.

الجلسة الأولى برئاستي.

حاولت أن تكون الجلسة الأولى للمجلس النيابي التي انعقدت برئاستي بتاريخ 19-10-57 جلسة قومية تعلن فيها جميع الاحزاب والكتل البرلمانية تجنيد الوطن كله لهدف واحد هو إحباط كل عدوان ومنازلة المعتدين شبرا شبرا في كل مدينة وقرية ومنزل، وقد أجمعت خطب النواب على هذه المعاني فاختتمت المناقشة بالكلمة التالية:

"ولقد ظهر في أقوال الخطباء ومواقف التهنئات والأحزاب والكتل والجماعات أن البلاد حكومة ومجلسا وأحزابا وجيشا وحدة في الرأي والموقف وكتلة متماسكة في وجه المستعمرين وأتباعهم وأنهم جميعا يقفون الى جانب الحكومة ويؤيدون سياستها الخارجية والعربية".

ثم أطلعت المجلس انني وجهت الدعوة الى وفد برلماني مصري لزيارة سورية، وأن مكتب المجلس قرر وقف صرف تعويضات النواب المحكومين والفارين من البلاد، وقد حمل كتاب الدعوة الى مجلس النواب المصري علي بوظو الذي كان مزمعا يومذاك على السفر إلى القاهرة لحضور اجتماع اللجنة التحضيرية للمؤتمر الشعبي الآسيوي الافريقي.

الحشود التركية.

كانت الحشود التركية بازدياد مستمر على حدود سورية وكانت انتهاكات الحدود مستمرة أيضا، وقد رأيت من المفيد بعد تقديم الشكوى السورية الى هيئة الأمم المتحدة أن أوضح موقفنا بشكل بعيد عن الانفعال فأدليت بأول تصريح صحافي بعد انتخابي لرئاسة المجلس لوكالة انباء الشرق الأوسط (الرأي العام 21-10-57):

وجهت وكالة انباء الشرق الأوسط للسيد أكرم الحوراني سؤالا عن رأيه في استمرار الحشود التركية على الحدود السورية فأجاب:

إن استمرار الحشود هو انتهاك صريح لحرمة الجوار التي حرصت سورية دائما على احترامها بعلاقاتها مع تركيا، وهو أيضا تهديد خطير للسلم في العالم،

فقد أصبح واضحا أن حربا يشنها المعتدون هي جناية على المعتدي والمعتدى عليه والانسانية جميعا.

وعندما سئل عن توقع العدوان والعوامل الداخلية والخارجية التي تمكن سورية من رده أجاب :

انني ما زلت استبعد أن تقدم تركية على هذا الجنون، ولكن العدوان مع ذلك محتمل الوقوع، ونحن نعتمد في رده على عوامل كثيرة داخلية وعربية ودولية، ففي الداخل نعتمد على الوحدة الرائعة التي تضم الشعب كله في معركته ضد الاستعمار، وعلى القوة النامية للجيش والأخوة القائمة بينه وبين الشعب، وفي النطاق العربي نعتمد على امتنا العربية التي تقف بجانبنا وبخاصة مصر شقيقتنا الكبرى، وفي النطاق الدوليي نعتمد على الرأي العام العالمي والأمم المتحدة والشعوب الصديقة التي تدرك أن اغتيال حرية شعب هو اغتيال لحرية جميع الشعوب.

ان هذه كلها عوامل لا يستطيع من يفكر بالعدوان إلا أن يضعها في حساب المعركة، ولهذا قلت انني استبعد العدوان، إلا أن واجبنا أن نستعد له وكأنه واقع غدا فكثيرا ما يمنع الاستعداد لرد العدوان وقوع العدوان.

وردا على سؤال عما إذا كان بالامكان أن تقوم علاقات طيبة بين سورية وتركية وعلى اسس أجاب :

ان سورية دولة مستقلة وهي تنتهج سياسة مستمدة من مصالح شعبها المشروعة ومعبرة عن إرادته، فكل محاولة لتغيير هذه السياسة هي اعتداء على سيادة شعبنا وحقه في تقدير مصلحته والعمل على تحقيقها واننا نقاومها بكل ما نملك، وأن احترام السيادة المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية يعتبر أساسا لعلاقات طيبة بين سورية وتركية وكل الدول الأخرى.

وحول وصول القوات المصرية الى سورية أجاب:

ان وصول القوات المصرية لسورية كان بلا شك حدثا تاريخيا تلقاه الشعب العربي في كل أقطاره بالفرح والتأييد، وقد ثبت أن طريق الوحدة

العربية هو في انتهاج سياسة مستقلة متحررة، وأنها بغير هذه السياسة لا يمكن أن تتحقق ويصبح الحديث عن الوحدة تضليلا للشعب العربي وتثبيتا للتجزئة.

لقد وضعت مصر وسورية بسياستهما المستقلة المتحررة الأساس المتين للوحدة العربية، ولو لم يستند الاتفاق العسكري بينهما إلى هذه السياسة لما استطاع البلدان تنفيذه، لأن النفوذ الاجنبي والسياسة الممالئة للاستعمار لا يمكن أن يحققا آمال الشعب ولا أن يسمحا بانتهاج سياسة قومية صحيحة، ولذا كان يوم وصول القوات المصرية لسورية يوما من أشرق أيام الأمة العربية وأكثرها تعبيرا عن إرادتها بتحرير نفسها وتحقيق وحدتها، وأن اشتراك القوات المصرية بالدفاع عن سورية يعني أن سورية ليست وحدها، وأن العدوان عليها سيكون عدوانا على الشقيقة الكبرى مصر، وأن الأمة العربية بجميع اقطارها ستشترك برده والقضاء عليه.

الملك سعود يحاول أن تتحول الشكوى السورية على تركيا، الى وساطة بين سورية وتركيا.

قام الملك سعود بزيارة رسمية للبنان امتدت منذ 10-10-57 الى 19-10-57 وقد اختتم زيارته ببيان سعودي لبناني مشترك جاء فيه :

ان الملك وشمعون "بحثا التطورات السورية الأخيرة وهما يعلنان مجددا تضامنهما التام مع الدول العربية واعتبار أي عدوان على سورية الشقيقة وعلى أية دولة عربية ومن أي جهة كانت عدوانا على كل منهما، ويرى الفريقان أن احترام استقلال الدول العربية وسيادتها وسلامتها وتجنب التدخل في شؤونها الداخلية من المستلزمات لتوطيد أمن الشرق الأوسط واستبعاد التوتر في علاقات دوله ولصون سلام العالم، وهما يعلنان عزمهما على مواصلة الجهود لتوحيد موقف العرب".

لم يدر ببال أحد أن يعقب هذه الزيارة اعلان الملك سعود توسطه بين تركية وسورية. فقد صدر بتاريخ 20-10-57 بلاغ سعودي جاء فيه: "ان الملك سعود عرض التوسط بين سورية وتركية وان الحكومتين السورية والتركية قد قبلتا هذا العرض وانه

ينتظر أن يصل مندوبون رسميون من البلدين الى المملكة العربية السعودية بعد وقت قصير".

انقض هذا البيان السعودي على رؤوس الناس كالصاعقة، لأنه يعني كما هو واضح إلغاء الشكوى السورية لهيئة الأمم، ولأن الوساطة تعني تسوية أمر متنازع عليه بين فريقين مع أن القضية ليست إلا شكوى من الحشود التركية والتهديدات المستمرة بالعدوان، فإذا انقلبت الشكوى إلى وساطة فإن ذلك يعني بصريح العبارة استسلام سورية أمام الضغوط الاميركية والتركية وهو ما عجزتا عن بلوغه بالحشود والتهديد بالعدوان المسلح.

أصدرت الحكومة السورية بلاغا عرضته على رئيس الجمهورية قبل نشرة نفت فيه نبأ الوساطة بأسلوب تجنبت فيه المس بالمملكة العربية السعودية هذا نصه:

"أصدرت إحدى الصحف مساء هذا اليوم ملحقا زعمت فيه أن حكومة سورية أبلغت الملك سعود موافقتها على وساطة جلالته في النزاع القائم بين سورية وتركية، وسرت إشاعة بأن وفدا سوريا سيتوجه إلى المملكة السعودية للبحث في هذا الأمر، إن وزارة الخارجية السورية تنفي هذين الخبرين نفيا قاطعا وتؤكد عزم سورية على متابعة شكواها لدى الأمم المتحدة في هذا الشأن." ولكن المملكة العربية السعودية كذبت على لسان المديرية العامة للاذاعة والنشر السعودية البيان السوري، كما أصدرت السفارة السعودية في واشنطن بلاغا أكدت فيه نبأ وساطة الملك سعود وان سورية قبلت الوساطة كما قبلتها تركية، فاضطر الوفد السوري لدى الأمم المتحدة أن يصدر بلاغا يكذب فيه نبأ الوساطة:

"إن الانباء التي أذيعت أمس وترددت اليوم حول وجود وساطة بين سورية وتركية لا تتفق والحقائق" وكنتيجة لتشبث الملك سعود بالوساطة اضطرت وزارة الخارجية السورية أن تصدر بيانا فيما يلي بعض فقراته:

"في مساء يوم الخميس 17-10-57 حمل سعادة السفير السعودي في دمشق رسالة من جلالة الملك سعود إلى فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية يقول فيها جلالته أن استعداد سورية

لمواجهة اسرائيل- وهذا واجب محتم- فتح الباب للتوهم لدى الاتراك، كما يدعون،فقاموا بحشد قواهم على الحدود السورية، وأن جلالته تلقى رسالة من رئيس الجمهورية التركية يبدي فيها مخاوفه من سورية، ويطلب من جلالته السعي لما يزيل هذه المخاوف، ويقول جلالته انه أحب إحاطة فخامة الرئيس علما بذلك، وأنه مستعد لبذل النفس والنفيس، والقيام بأي عمل يزيل هذه الغمة، ويجنب الأمة العربية هذه الكارثة" وانه على أتم الاستعداد ليبذل كل ما يستطيعه في هذا السبيل، كما يؤيد جلالته موقفه الذي وقفه دائما، وهو أنه مع سورية ضد أي عدوان علينا أيا كان المعتدي.

"وكان جواب فخامة الرئيس لجلالة الملك ان سورية بجميع هيئاتها وأحزابها، تعتبر أن العدو الذي يتربص بها وبالعرب جميعا هو الاستعمار والصهيونية، ولئن كانت سورية عاجزة عن جعل قواها العسكرية قادرة على مجابهة قوى الاستعمار الكبيرة، فهي عاملة على زيادة قوة جيشها ليستطيع مع الجيوش العربية الصمود تجاه أي عدوان صهيوني اعتدنا على مجابهته منذ عشر سنين مرارا وتكرارا... كما أكد فخامته أن مساعي سورية لتقوية جيشها لا تهدف سوى مجابهة هذا الاحتمال وحده وانه لا يدخل في تفكيرها مطلقا التحرش بالأتراك واثارة خلاف بينها وبينهم، ولذلك فإن كل ادعاء من قبل زعماء الأتراك بالتخوف من سورية غير مؤيد بأي دليل" "وقال فخامة الرئيس القوتلي في جوابه انه بالرغم من استمرار الحشود التركية على حدودنا فقد اكتفينا بتقديم الشكوى للأمم المتحدة واننا لم نقابل الحشود التركية بحشود مماثلة، وذلك رغبة منا في عدم ترك مجال لأحد أن يدعي بأننا القائمون بالتحشيدات أو العاملون عن التحرش وتسبب الانفجار"، "ولا أدل على حسن نوايا سورية من طلبها الى الأمم المتحدة تأليف لجنة دولية تضم الولايات المتحدة نفسها، وتكون مهمتها التحقيق في التحشيدات العسكرية على الحدود السورية التركية من الجانبين من هذه الحدود وذلك ليتضح بشكل جلي من هي الدولة التي يمكن اعتبارها تشكل تهديدا لسلامة البلد الآخر".

وقد رأيت من الضروري بعد محاولة الملك سعود اجهاض الشكوى السورية أن أدلي بتصريح لوكالة اليونايتد بريس وفيما يلي بعض نقاطه كما وردت في جريدة الرأي العام (23-10-57).

"دعا الاستاذ أكرم الحوراني في تصريح أدلى به الى وكالة اليونايتد بريس الأمم المتحدة الى ايفاد أمينها العام المستر هامر شولد الى الشرق الأوسط ليعرف بنفسه من هم الذين يمهدون للحرب، وقال ان أية لجنة تحقيق للأمم المتحدة يرأسها أو يرافقها همرشولد تستطيع أن تزور أي مكان في سورية على شرط أن تذهب أيضا الى تركية واسرائيل فليس لدى سورية ما تخفيه، وقد اقترحت سورية ايفاد لجنة تابعة للأمم المتحدة للتحقيق فيما إذا كانت سورية قد تحولت فعلا الى قاعدة مسلحة، بشرط أن تزور هذه اللجنة كل من تركيا واسرائيل حيث يجري حشد القوات العسكرية، وستسمح سورية لهذه اللجنة بالذهاب إلى أي مكان في أراضيها. إننا نعتقد بأن همرشولد رجل محايد لذلك نقترح أن يرأس اللجنة أو يرافق اعضاء ممثلي الدول المحايدة لزيارة سورية وتركية واسرائيل ونحن نصر على أن تقوم اللجنة بزيارة تركية واسرائيل بالاضافة إلى سورية، وستجد أن سورية ليست مستودعا للأسلحة، وانه ليس فيها ثلاثة آلاف من الخبراء السوفييت، ولكن سيجد الخبراء الغربيين في كل من تركية واسرائيل، ان الولايات المتحدة هي العقل المدبر للمؤامرة التركية الاسرائيلية المشتركة على سورية، وهي التي تشيع في العالم أن سورية تحولت إلى مستودع للأسلحة السوفيتية لاستخدامها من قبل الاتحاد السوفيتي في مهاجمة تركية. ومن ناحية ثانية فإن الاتحاد السوفيتي ليس بحاجة إلى سورية كمستودع للأسلحة، وكما يعلم الجميع هنالك حدود مباشرة بين الاتحاد السوفيتي وتركية وليس منطقيا الاعتقاد بأن سورية العربية قاعدة سوفيتية، ان سورية لم تشتر من الاسلحة بعد ما يكفي احتياجاتها الدفاعية وهي لا تشتري سلاحا الا ضمن امكاناتها المالية ولن تشتري ما يزيد عن حاجتها، أما أسباب حاجتنا للاسلحة فهي أعمال اسرائيل العدوانية المستمرة على حدودنا.

ان سورية لا تستطيع الوقوف في وجه تركية والولايات المتحدة الاميركية إذا ما نشبت الحرب، غير أن السوريين سيقاتلون حتى الرجل الأخير، وسنقبل المساعدة من جميع الأمم ولن نكون لقمة سائغة، ان الحشود التركية على الحدود السورية كانت بعد زيارة هندرسون لأنقرة وبعد رفض سورية مشروع ايزنهاور، إن سورية لا ترغب في أي شيء يمكن أن يسبب مشاكل بينها وبين تركية، بل على العكس تريد أن تعيش بسلام مع جاراتها، ولم تقم

سورية العربية بأي عمل يمكن أن يلحق الأذى بتركية، ولن تفعل ذلك في المستقبل، وانها في الوقت ذاته لن تسمح لأي دولة سواء أكانت تركية أو غيرها بالتدخل في شؤونها الداخلية.

ان الولايات المتحدة تستطيع أن تستعيد صداقة العرب إذا ما توقفت عن القيام بالمؤامرات وعن اصرارها على قبولنا بمبدأ ايزنهاور وانضمامنا إلى الاحلاف العسكرية، ولكن سياسة الولايات المتحدة خاضعة لنفوذ الصهيونية، اذا لم تكن موجهة من قبلهم مباشرة".

مناقشة الشكوى السورية في الجمعية العمومية.

بينما كانت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة تناقش الشكوى السورية بتاريخ 22-10-57 كانت طائرة تركية تغادر مطار اسطنبول في طريقها للرياض حاملة فطين - زورلو وزير الدولة التركي ومعه رسالتان من رئيس الجمهورية التركية ورئيس وزرائها يطلبان فيهما من الملك سعود أن يضغط على سورية للقبول بالوساطة، هذا بينما كان السفير السعودي في واشنطن يجتمع بدالس اجتماعا طويلا ثم يصرح اثر هذا الاجتماع "بأن مليكه سيواصل سعيه ليجد حلا للنزاع التركي وانه بالرغم من رفض سورية عرض الملك سعود بالتوسط فإن هذا العرض السعودي ما يزال قائما. وقد نشرت صحيفة نيويورك تايمس بأن الرئيس ايزنهاور قد حث الملك سعود برسالة خاصة ليقوم بهذه الوساطة.

فشلت تركية في تأجيل مناقشة الشكوى السورية بحجة الوساطة السعودية المزعومة التي اتخذتها الولايات المتحدة وسيلة لعدم اجراء التحقيق ولاظهار البلاد العربية بمظهر المختلفة فيما بينها، ولكن الجمعية العمومية قررت المضي في المناقشة فعقدت عدة اجتماعات تولى فيها بعض اعضاء الدول العربية كمصر والسودان ودول المعسكر الاشتراكي وبعض دول عدم الانحياز تأييد الشكوى السورية وفضحوا المؤامرة الاميركية العدوانية على سورية بعد أن القى الاستاذ صلاح البيطار خطابا عرض فيه الشكوى السورية.

وفي الجلسة التي عقدتها الهيئة العامة للأمم المتحدة بتاريخ 30-10-57 وزع الوفد السوري على وفود الدول الاعضاء مشروع قرار يدعو لتشكيل لجنة للتحقيق بالشكوى السورية ورد فيه :

"أولا: تشكيل لجنة تحقيق تضم سبعة من الدول الاعضاء في الأمم المتحدة للقيام بالتحقيق على كل من حانبي الحدود السورية التركية.

ثانيا: تختار سورية عضوين من اعضاء اللجنة وتختار تركية عضوين آخرين ويتم اختيار الاعضاء الثلاثة الآخرين بالاتفاق بين الحكومتين السورية والتركية.

ثالثا: تقدم هذه اللجنة تقريرا مبدئيا عن اعمالها الى الجمعية العمومية ومجلس الأمن الدولي في بحر اسبوعين.

رابعا: يقوم همرشولد السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة بتوفير الموظفين وغير ذلك من التسهيلات.

تقدمت الولايات المتحدة بمشروع مقابل يقضي بتكليف همرشولد بحل المشكلة دون إجراء تحقيق، وقد انهت الجمعية العمومية مناقشتها للشكوى السورية بعد أن وافقت سورية الدول الغربية علىاقفال باب المناقشة وعدم الاقتراع على اي من المشروعين السوري أو الغربي، وعلل الاستاذ صلاح البيطار الاسباب التي حملت سورية على قبول التسوية عدم وجود أية امكانية لتأمين الاكثرية لاي من المشروعين، ولأن هذه التسوية تبقي الشكوى السورية في جدول أعمال الجمعية العمومية. وقال غروميكو: أن مناقشة الجمعية العمومية للشكوى السورية قد نجحت في كشف الستار عن المؤامرة وأفهمت الجميع انه من الخطر المساس بشعرة واحدة من استقلال سورية.

اثناء ذلك كانت قوات حلف شمالي الاطلسي قد اتمت مناوراتها على مقربة من الشواطيء التركية المجاورة للساحل السوري والتي اشترك فيها الاسطول السادس الاميركي والقوات التركية البرية على مقربة من الحدود الجنوبية الشرقية المحاذية لسورية.

وقـد أشــارت الصـحف الاميركيــة والغربيــة إلــى أن الضـغط العسكري التركـي والاميركـي يسـتهدف التمهيـد لاحـداث انقـلاب في سورية لايصال العناصر التـي يرضـى عنهـا الغـرب للحكـم وقـد علقت على ذلك قائلا :

"جربوا كثيرا ففشلوا، وأنـا واثـق انهـم سيفشـلون مجـددا هـذه المـرة وفي كل مـرة قادمـة، وان الولايـات المتحـدة بسياسـتها التـي تنتهجهـا تجـاه سورية تغامر بمستقبل مصـالحها فـي الـبلاد العربيـة دفعـة واحـدة، وان هـذه المغامرة لن تكون في النهاية الا لصالح القومية العربيـة التـي يشـد سـاعدها الضغط المتواصل لأنها حركة أصـيلة، خلافـا لمـا يتـوهم الاسـتعماريون"(الـراي العام 27-10-57).

الجيش الشعبي.

اسـتمرت الحشـود التركيـة علـى حـدودنا الشـمالية رغـم اتفاقية الجنتلمن التي أجراها صلاح البيطـار بعـدم التصـويت علـى الاقتـراحين السـوري والغربـي بشـأن الشـكوى السـورية، كمـا اسـتمرت حـوادث الاعتـداءات التركيـة والاسـرائيلية علـى حـدود سـورية الشـمالية والجنوبيـة واختـراق الطـائرات التركيـة للأجـواء السورية مما اضطر المدافع المضادة في أوائل تشرين الثاني الـى التصـدي لهـا واصـابة احـداها.. وبـين فتـرة واخـرى كـان النـاطق العسكري يصدر البلاغـات عـن هـذه الاعتـداءات والتحرشـات، ممـا دفـع الشـعب للانخـراط فـي صـفوف المقاومـة الشـعبية فـي كـل مدينـة وقريـة والتـدرب علـى اسـتعمال السـلاح وتنظـيم شـؤون الدفاع.

وكـان ضـباط الجـيش يـدربون الشـعب فـي الشـوارع وفي مختلف الامكنة على استعمال السلاح وكثيرا ما كنت ترى حلاقـا أو صـاحب دكـان يقـوم بعملـه وبندقيتـه بجانبـه وهذا ما جعل كابوت لـودج منـدوب الولايـات المتحـدة يقـول أمام الجمعية العموميـة للأمـم المتحـدة: "ان قيـام سـورية بتسليح الشعب السوري ليس من شأنه اقرار السلام في الشرق الأوسط".

كانت قيادة الجيش وقيادات الاحزاب الوطنية تؤمن بحرب التحرير الشعبية مما أدى الى تنظيم مئات الالوف في جميع انحاء سورية، ومما جعل المقاومة الشعبية وجيش التحرير حقيقية واقعه، وقد لعب حزب البعث بصورة خاصة والاحزاب الاخرى عامة دورا مهما في ذلك، ولا بد لي في هذه المناسبة من ذكر حادثة تكشف عن المستوى الرفيع من الشعور بالمسؤولية لدى افراد المقاومة الشعبية:

كانت قرية قمحانة التابعة لحماه منقسمة الى فئتين: الكبرى منتسبة إلى حزب البعث العربي الاشتراكي والثانية كانت تابعة لآل العظم وقد تسلح الجانبان وانخرطا في صفوف المقاومة الشعبية، **كانت ارشادات الحزب وتعليماته لأفراد القاومة أن سلاح المقاومة يجب ألا يستعمل إلا عندما تتعرض سورية للعدوان وانه من الخيانة أن يستعمل خلاف ذلك مهما كانت الدوعي والاسباب مبررة ومشروعة.** وبتحريض من آل العظم اعتدى أزلامم على البعثيين الاشتراكيين وفاجؤوهم بهجوم غادر ذهب ضحيته عدد من القتلى والجرحى، ومع ذلك لم يشهر الفلاحون الاشتراكيون سلاح المقاومة، وقد ثبت ذلك من التحقيقات القضائية التي جرت في هذه الحادثة. و**يمكنني أن أؤكد انه بالرغم من توزيع مئات آلاف قطع السلاح على افراد المقاومة انه لم يحدث من توزيعه أية حوادث جرمية،** وقد تولى الجيش مع أفراد المقاومة الشعبية في كل مكان تحصين المدن والقرى وتنظيم شؤون الدفاع المدني، ورأت الحكومة أن تفتتح ابتداء من يوم 1-11-57 اسبوع التحصين وهكذا خرجت بصحبة شكري القوتلي وصبري العسلي وعفيف البزره إلى المواقع المحددة قرب دمشق لنفتتح اسبوع التحصين ونشارك الشعب في حفر الخنادق والتحكيمات.

الوفود والمؤتمرات

كان المناخ الثوري في سورية يعكس آثاره المعنوية على الاقطار العربية الأخرى فكانت الوفود الشعبية من مختلف انحاء لبنان لا تنقطع عن التطواف في شوارع دمشق لتشارك الشعب

السوري موقفه الشجاع، وهذا ما حدا بي لأن أخاطب اقطاب المعارضة اللبنانية عندما زاروني في المجلس النيابي مهنئين ومعربين عن وقوف شعب لبنان الى جانب سورية: "اننا لا نشك مطلقا بأن الشعب العربي في لبنان سيقف الى جانب سورية مثل كل شعب عربي آخر في الوطن العربي، ولكن الذي استطيع أن أوكده لكم أنه إذا وقع عدوان على سورية فان شعبنا سيقاتل العدو في كل شبر من الأرض ولن يستطيع العدو أن يتقدم خطوة واحدة قبل أن يدفع ثمنا غاليا.

ثقوا أن الشعب هو جيش سورية الحقيقي، وأن جيشها النظامي هو القوة المنظمة للمقاومة الشعبية والمشرف الموجه لقتال الأنصار، ونحن واثقون أن العدو سيفكر طويلا قبل أن يجازف بالعدوان بعد أن بلغ تصميم الشعب حد الاستشهاد دفاعا عن وطنه ومقدساته وحرماته".

1957: الاتفاقية الاقتصادية السورية السوفيتية - الشيوعيون ينتهزون فرصة تنامي العلاقات السورية السوفيتية فيطالبون في الانتخابات البلدية بمقاعد تفوق حجمهم الانتخابي - المباراة الديموقراطية بين حزب البعث والحزب الشيوعي في الانتخابات الفرعية بمدينة مصياف، وفي انتخابات نقابة المعلمين في حمص اشارت الى الحجم الحقيقي للحزب الشيوعي في سورية - المجلس النيابي السوري برئاستي يوجه دعوة لوفد نيابي مصري للبدء بعملية الاتحاد بين سورية ومصر - قرار الاتحاد داخليا وعربيا ودوليا.

الاتحاد السوفيتي يطلق قمرا صناعيا جديدا

احدث اطلاق القمر الصناعي السوفيتي الثاني، وكان يحمل كلبا الى ارتفاع 1500كم، اثرا عالميا كبيرا فاعترف وزير خارجية الولايات المتحدة دالس في مؤتمر صحافي: "ان الروس اصبحوا قادرين على اطلاق الصواريخ العابرة للقارات واعترف انهم متفوقون على الولايات المتحدة في مضمار الصواريخ، وان الولايات المتحدة ستعيد النظر ببرنامج صواريخها وانها تأمل ان تلحق بالروس"

كان لهذا النجاح العلمي اثر نفسي كبير على حركات التحرر العربية والعالمية وتجلى ذلك في الحفل الذي اقامته السفارة السوفيتية في دمشق بمناسبة العيد الاربعين للثورة الاشتراكية، اذ كانت دمشق ممثلة في هذا الحفل بأحزابها ومجلسها وحكومتها وجامعتها وهيئاتها النسائية ومؤسساتها الاقتصادية والمالية ونقاباتها العمالية وكان الجميع يتحدثون الى اعضاء السفارة السوفيتية مهنئين بالنصر العلمي الذي حققه الاتحاد السوفيتي.

الاتفاقية الاقتصادية السورية السوفيتية

ذكرنا سابقا ان وفدا اقتصاديا سوفيتيا برئاسة (نيكتين) قد وصل الى دمشق بتاريخ 18-9-57 للبت في جميع المواضيع التي تناولها البلاغ الصادر في موسكو اثر زيارة خالد العظم لها سابقا، وبقي الوفد في سورية يدرس ويبحث اكثر من اسبوعين وفي نهايتها اقام وزير الزراعة حامد الخوجة حفلة عشاء على شرف الخبراء السوفيت بمناسبة انجاز دراسة تنمية الاقتصاد السوري صرح فيها نيكيتين ان مشاريع الري الجديدة التي ستحققها سورية بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي، ولا سيما مشروع سد الفرات، ستزيد مساحة الارض المروية في سورية زهاء سبع ملايين فدان مما يتطلب زيادة في عدد السكان تبلغ مليون نسمة على الاقل خلال السبع سنوات القادمة، وعندما تساءل الحاضرون عن وسيلة هذه الزيادة التي تفوق نسبة ازدياد السكان قال خالد العظم مازحا:

علينا ان نطبق احكام الشريعة ونشجع المواطنين على الزواج بأكثر من زوجة، ولكي نعطي القدوة الصالحة فعلى كل وزير ان يتزوج بامرأتين، اما رئيس الوزراء - وكان غير متزوج - فيتزوج ثلاثا، قلت لهم:

"ان الاتحاد السوري المصري سيتحقق قبل تنفيذ هذه المشاريع، ومصر تعاني كثافة السكان، لذلك لا حاجة لزواج المواطنين السوريين بأكثر من امرأة واحدة، وكان سفير مصر محمود رياض حاضر فثنى على كلامي.

وفي تاريخ 28-10-57 اقرت الحكومة اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بين سورية والاتحاد السوفيتي، وكان الوفد مخولا بالتوقيع، وعندما احالتها الحكومة الى المجلس دعوت اللجان الثلاث: الخارجية والمالية والاقتصاد الوطني لاجتماعات مشتركة برئاستي لدراستها، وبعد عدة اجتماعات انتهت بموافقة اللجان الثلاث على اقرارها، ادرجتها في جداول اعمال المجلس في الجلسة التي عقدها بتاريخ 6-11-1957.

لـم يكـن منتظـرا بالاسـاس ان تواجـه هـذه الاتفاقيـة فـي المجلـس النيـابي معارضـة قويـة، ولكنـه لـم يكـن منتظـرا ايضـا ان تلقى حماسة وتأييـدا مثـل الـذي واجهتـه مـن الاحـزاب والتكـتلات اليمينية المعارضة، وقد تولى بعضـهم فضـح مـا لاقتـه سـورية مـن الولايات المتحدة واسـرائيل خاصة والدول الغربية عامة مـن تعطيـل لمشاريع سورية الانمائية بالخداع والمراوغة والكذب والتضليل:

قال عبد الوهاب حومد (من حزب الشعب) في هذه الجلسـة فـي معرض تأييده للاتفاقية:

"اريد ان اعيد للذاكرة عرضا كانت المصارف الالمانية الغربيـة تقـدمت به عام 1955، وكنـت آنـذاك وزيـرا للماليـة فـي الحكومـة التـي كـان يرئسها الاستاذ سعيد الغزي، جاءني شخص قدم نفسـه بأنـه يمثـل اتحاد مصارف المانيا الغربية، وانه جاء ليقدم قرضا للحكومة السورية وقال ان حكومة المانيا الغربية قد ارغمت من قبل الاميركيين واليهود علـى مـنح اسـرائيل تعويضـات ماليـة ضـخمة هـي الان عمـاد حيـاة اســرائيل، او انهــا مــن الامــور الاساســية فــي عمودهــا الفقــري الاقتصادي، وقال بأن المانيا تريد ان تحتفظ بعلاقات ودية مـع العـرب، وتريد ان تكفر عن بعـض اخطائهـا بتقـديم قـرض للحكومـة السـورية وحدد فائدة القرض بـ 3.5%، والقرض فيما اذكر يبلغ 80 مليون دولار وهو على الضبط المبلغ الذي كنا نطلبه مـن المصـرف الـدولي الـذي اشــار اليــه معــالي وزيــر الاشــغال العامــة فــاخر الكيــالي وقــال ان المفاوضات بشأنه جرت مع البنك الدولي واستمرت طويلا وكان يتلكأ ويتعلل، وقد اثار البنك الدولي في نهاية المفاوضات قضايا سياسـية ليســت مــن حقــه، بــل لا يعقــل ان يــدخل اي مفــاوض ســوري علــى اساسها مع ذلك المصرف.

ولقد طلب مني رئيس اتحاد مصارف المانيا الغربية ان اعـرض امر القرض على الحكومة، فشاءت الصدف ان يكـون مجلـس الـوزراء منعقدا في ذلك الحين فاتخذ قرارا يرحب فيه بذلك العرض فسارعت وابلغت مندوب المصارف الالمانية النتيجة علـى الفـور، وقلـت لـه ان الحكومة السورية تشكر الحكومة الالمانية على هذه العرض، وتكون ممتنة لو بدأنا بوضعه موضع التنفيذ فور اقـراره، فـذهب الرجـل الـى

المانيا ثم عاد بعد اسبوعين معتذرا ساحبا العرض، وصرح لي بأن اليهود والولايات المتحدة قد ضغطا على الحكومة الالمانية كي لا تتم اتفاقية هذا القرض".

كان السياسيون لا يجرؤون في الماضي على مكاشفة الشعب بحقيقة الحصار الذي يفرضه الغرب على سورية وتعطيل تنفيذ برامجها الانمائية وبناء قوتها العسكرية، اما الان وبعد ان تعدل ميزان القوى لمصلحة حركة القرار العربي فقد تشجعوا في رواية ما لاقوه من مكائد الغرب والصهيونية، فقد روى رشاد برمدا في كواليس البرلمان قبل انعقاد الجلسة انه حاول كثيرا عندما كان وزيرا للدفاع اقناع السفير الاميركي بالموافقة على شراء ما يحتاجه الجيش السوري، وبعد مباحثات دامت ثلاثة اشهر ابلغه السفير الاميركي انهم يوافقون على بيع ثلاثمائة سيارة عسكرية، فلما اقرت الحكومة السورية المبدأ والسعر جاءه السفير الاميركي وهو يحمل معه اتفاقية امن متبادل وطلب اليه توقيعها ثم قال:

"حاولنا ايضا شراء بعض الاسلحة الصغيرة من الدول المحايدة فاتفقنا مع سويسرا على شراء بعض الرشيشات وفتحنا الاعتماد بأثمانها وانتظرنا اشهرا لتسلمنا اياها، ولكنها امتنعت بسبب الضغط الاميركي وعندها لجأت وزارة الدفاع الى تشيكوسلوفاكيا فوافقت على الصفقة بشروط افضل، ونقلت الينا السلاح المطلوب بالطائرات حالا"

وافق المجلس النيابي على الاتفاقية السورية السوفيتية بالاجماع فوجهت الى الحكومة والنواب بعد التصويت عليها الكلمة التالية:

"ان اقرار اتفاقية التعاون الفني والاقتصادي بين سورية والاتحاد السوفيتي صك يدل على حسن نوايا الاتحاد السوفيتي وصداقته لنا، وبعد اقرار هذه الاتفاقية الان يمكن القول ان الاتفاقية اصبحت قيد التنفيذ، ولذلك ارجو ان تتآزر جهود مجلس النواب والحكومة على تنفيذ مشاريع هذه الاتفاقية التي ستدفع سورية

خمسين عاما الى الامام وتزيد امكانياتها الاقتصادية والمالية والدفاعية ولرفع مستوى شعبنا المعاشي"

ويجد القارىء نص هذه الاتفاقية في ضبط المجلس النيابي بتاريخ 6-11-57، كما سيطلع في الاتي على الاسباب التي حالت دون تنفيذها.

الانتخابات البلدية

كنا نطمح ونسعى منذ فجر الاستقلال لسن تشريع جديد للبلديات والمخاتير يحل محل التشاريع الموضوعة في العهدين العثماني والاستعمار الفرنسي، تشريع يقوم على اساس الانتخابات الديموقراطية بدلا من التعيين، باعتبار ان هذا التشريع هو قاعدة الحياة الديموقراطية البرلمانية، وكانت القوى الرجعية تماطل وتراوغ وترجىء ذلك لان القوانين السابقة كانت توافق مصالحها الطبقية ونفوذها السياسي، ولطالما شهدت المجالس النيابية المتعاقبة الصراع المستمر لاجل اقرار هذا التشريع ووضعه موضع التنفيذ، ولما تمكن المجلس النيابي من اقرار قانون البلديات، ارجىء مرارا عديدة اجراء انتخابات مجالسها.

وقد جاء في القانون الذي صدر بتاريخ 57/3/11 ما يلي:

"قبل موعد انتخابات المجالس البلدية الاول بشهرين على الاقل يتخذ مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الداخلية قرارا يحدد فيه الفترة التي تجري خلالها الانتخابات المذكورة، وتحدد مواعيد هذه الانتخابات وفقا للمادة 31 من قانون البلديات في موعد لا يتجاوز نهاية عام 1957"

وقبل انقضاء المدة القانونية اتخذت حكومة التجمع قرارا حددت فيه موعد اجراء انتخابات مجلس البلديات بتاريخ 15-11-57، **ومنذ صدور هذه القرار جرت عدة اجتماعات ولقاءات بيني وبين خالد بكداش للاتفاق على قوائم موحدة نخوض بها مع اطراف التجمع الاخرى انتخابات مجالس البلديات، ولكننا لم نتمكن من الاتفاق، فقد لاحظت ان الشيوعيين يطمعون بمقاعد اكبر من حجمهم الانتخابي والسياسي،**

وكنت ارى الا يزيد تمثيلهم في مجلس البلديات عن حجمهم الحقيقي لسببين اثنين:

اولا: لم يكن من مصلحة الاتجاه الذي يمثله حزبنا ان يكون الحزب سلما يتسلقه الحزب الشيوعي للوصول الى ممثلين في المجالس البلدية اكثر من حجمهم الحقيقي باعتبار ان نتائج انتخابات المجالس البلدية مؤشر مؤثر على انتخابات المجلس النيابي الذي اصبح وشيكا.

ثانيا: ان هذا التزييف للقيمة الحقيقية لحجم الحزب الشيوعي يعطي الغرب واسرائيل حجة في الحرب الباردة التي تشن ضد سورية والتي كادت تبلغ بها حافة الهاوية.

كانت الاحداث التي مرت على البلاد خلال شهري ايلول وتشرين اول من عام 1957 قد شغلتنا عن متابعة البحث والحوار مع الحزب الشيوعي حول هذا الموضوع، ولا سيما ان الخلاف الذي اشرت اليه آنفا بين حزب البعث العربي الاشتراكي وبين الحزب الشيوعي بدأ خلال هذه الفترة يظهر علنا على صفحات البعث وجريدة الصرخة، وفي مطلع شهر تشرين الثاني وجد اطراف التجمع انفسهم وسط معركة الانتخابات البلدية دون ان يتم الاتفاق على القوائم الموحدة او الامل بتوحيدها سواء على مستوى التجمع او على مستوى كل بلدة، وكان الناس بسبب انصرافهم للتدرب على السلاح ضمن فرق المقاومة الشعبية كارهين لاجراء الانتخابات البلدية، بل كانوا يرون ان اجراءها في تلك الظروف يثير التناقضات ويهدد الوحدة الوطنية.

قام نواب التجمع الذين كان عددهم يزداد يوما بعد يوم حتى اصبحوا الاكثرية الساحقة - بمراجعة حكومة صبري العسلي طالبين اليها تأجيل الانتخابات لموعد آخر وخرج نشاط بعضهم من المساعي المكتومة الى حيز التصريحات العلنية، بينما كان الحزب الشيوعي وخالد العظم يصران على اجرائها في موعدها المقرر، فعقد نواب التجمع القومي مع الحكومة اجتماعات متتالية دون الوصول الى نتيجة بينما هدد خالد العظم بالاستقالة واظهر حرده

وغضبه، وقد انتهت اجتماعات الهيئة العامة للتجمع القومي، بحضوري وحضور الوزراء ما عدا خالد العظم، باقرار اقتراح تقدم به احسان الجابري يقضي برفع الالزام الذي تتقيد به الحكومة باجراء الانتخابات قبل انتهاء عام 1957، وترك الحرية لاجرائها في الوقت الذي تراه مناسبا، وقد قبل خالد العظم هذا الاقتراح على امل ان يفرض رأيه على مجلس الوزراء الضعيف عندما اخفق في فرض رأيه على نواب التجمع ليقرر اجراءها في محافظتي دمشق وحلب ويرجئها في المحافظات الاخرى.

وبتاريخ 57/11/9 اقر المجلس النيابي بالاجماع قانونا فوض فيه الحكومة بتحديد موعد اجراء الانتخابات البلدية بالصورة والموعد الذي تراه مناسبا، بينما انتقد حزب الشعب في هذه الجلسة نية الحكومة بتجزئة الانتخابات البلدية ولكن صبري العسلي بادر بالاتفاق مع خالد العظم فأذاع على المواطنين قرارا بارجاء الانتخابات البلدية في بلديات الدرجة الثانية والثالثة والرابعة واجرائها في بلديات الدرجة الاولى في دمشق وحلب في موعدها المحدد بتاريخ 15-11-57 دون ان يتخذ مجلس الوزراء قرارا بذلك.

□

كان التحالف الثلاثي بين خالد العظم وخالد بكداش وعفيف البزرة يرى ان الفرصة اصبحت سانحة لتسجيل ظفر سياسي كبير على حزب البعث العربي الاشتراكي في انتخابات محافظتي حلب ودمشق اللتين تشكلان مركز الثقل السياسي والنيابي بالنسبة لسورية وكان هذا التحالف يعتقد ان الظرف اصبح مواتيا بعد اطلاق القمر السوفيتي وما قوبل به من ترحيب من قبل الشعب السوري لما بدا انه رجحان في التوازن الدولي لجانب الاتحاد السوفيتي المؤيد لسورية.

وكان هم خالد العظم ان يؤمن بتأييد من الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي الاكثرية النيابية في المجلس القادم ليفوز برئاسة الجمهورية.

لم يكن حزب البعث العربي الاشتراكي خصما لوصول خالد العظم للرئاسة الاولى وهو الذي دعمه وايده في معركة الرئاسة الماضية التي خاضها ضد شكري القوتلي والغرب والانظمة العربية جميعها، ولكن خالد العظم الذي اخفق في الوصول للرئاسة الاولى بتأييد حزب البعث قرر ان يفترق عنه ليضمن تحالفه مع الحزب الشيوعي وعفيف البزرة وتأييد الاتحاد السوفيتي، وفي هذا ما فيه من جنوح خطير عن استراتيجية الحياد الايجابي التي تنتهجها السياسة العربية التحررية ومغامرة خطيرة لا يمكن للانسان ان يقدر مداها.

كان لا بد لحزبنا من موقف حازم دون ان يدخل في معركة مع حلفائه يستغلها الاستعمار والرجعية للاطاحة بالحكم الوطني الديموقراطي، وقد زارني عفيف البزرة في منزلي اثر القرار الذي امر العسلي باذاعته عن موعد اجراء الانتخابات البلدية في دمشق وحلب وهو يعتقد ان الامر قد انتهى لمصلحتهم، فبدأ الجلسة بالحديث عن شأن خالد العظم وان العظم حسن النية تجاهنا، وانه حريص على الوحدة الوطنية، فلم ادعه يتم كلامه، وانما انفجرت بوجهه بكلام لا اريد تكراره هنا، وقلت له ان خالد العظم يستمد قوته ومركزه من حزب البعث العربي الاشتراكي، وان الحزب هو القوة الاساسية التي يقوم عليها الوضع، واستعملت عبارات لا تخلو من القسوة والتهديد والحسم.

وبعد انصراف عفيف البزرة من هذه الزيارة غير السارة قررت في نفسي امرا قدرت انه سيحظى بموافقة الحزب واستحسانه، فصرحت في اليوم الثاني بما يلي:

"ان حزب البعث العربي الاشتراكي لا يفتش مطلقا عن اي مكسب حزبي من وراء الانتخابات البلدية وهو لا يمانع ابدا بعدم تقديم اي مرشح حزبي لهذه الانتخابات اذا وافقت الاحزاب الاخرى على مثل ذلك ايضا لكي يتم الاتفاق على انتخاب الافضل من المرشحين للمجالس البلدية، وانه ليس المهم بنظرنا اجراء الانتخابات البلدية او عدم اجرائها في هذه الظروف وانما المهم ان تبقى الحكومة متصلة

اتصالا وثيقا بالشعب وحسه السليم، ومتى استلهمت الحكومة رغبات الشعب امكنها ان تتجنب الاخطاء"

كان لهذا التصريح صدى استحسان كبير: اولا في اوساط الشعب الذي كان يخشى على الوحدة الوطنية من الانفراط.

ثانيا في اوساط المثقفين واصحاب الاختصاص والمستقلين بشكل عام. ثالثا في اوساط نواب المجلس عامة الذين صوتوا بجانب التأجيل، رابعا في اوساط الاحزاب اليمينية التي كانت تخشى ان يصل بعض الشيوعيين بواسطة التجمع الى المجالس البلدية.

والاهم من هذا كله ان الشعب بصورة عامة كان يرى ارجاء تحديد الموقف من الحزب الشيوعي وخالد العظم في تلك الظروف الحرجة، ولذلك كان الارتياح كبيرا لهذا النداء، بالاضافة الى القناعة التي ولدها هذا الموقف في نفوس الناس من ان حزب البعث العربي الاشتراكي قد اظهر ترفعا عن تحقيق مكاسب حزبية على حساب المصلحة العامة.

ظل خالد العظم والحزب الشيوعي يعدان للمعركة بكل حماسة واندفاع وقد اوكل خالد العظم لاحد انصاره من التجار (نظمي الغراوي) ادارة المعركة، كما حاولت احزاب التجمع في حلب الاتفاق على قائمة موحدة وذهب احسان الجابري خصيصا لتحقيق هذا الهدف، ولكنه ما لبث ان وجه الي والى رئاسة الحكومة والحزب الوطني (صبري العسلي) البرقية التالية:

"بعد ان فشلت الجهود التي بذلتها للتوفيق بين الاحزاب وبعد ان ظهرت علائم التصدع في الوحدة الوطنية، ارجو مخلصا امام الحشود المتزايدة على الحدود والمخاطر الاكيدة ان تعملوا باسم الكثرة الكاثرة من الشعب الحلبي على تأجيل الانتخابات البلدية خدمة لمصلحة الوطن".

كانت برقية احسان الجابري صادرة فعلا باسم الشعب في حلب الذي كان يعيش على اعصابه ففي الليلة السابقة لارسال هذه البرقية اي بتاريخ 11-11-57 استنفر الجيش رجال المقاومة

الشعبية بحلب، واصدرت مديرية الدفاع المدني بلاغا بعد منتصف تلك الليلة طلبت فيه من جميع متطوعي ومتطوعات الدفاع المدني الالتحاق بمراكزهم فورا، كما استنفر الاطباء والممرضات وظل الاستنفار قائما حتى الصباح، وقد صرح ناطق عسكري بما يلي:

"جرت طوال ليلة امس (تاريخ 7-11-57) تحركات عسكرية تركية كبيرة غير عادية وبشكل لم يحدث من قبل على طول الحدود السورية وقد اتخذت كافة الاحتياطات اللازمة".

رأيت في هذا الجو ان اللحظة قد حانت لتنفيذ ما كنت قد أضمرته من قبل فعرضت على قيادة الحزب اقتراحي بانسحاب مرشحي الحزب من الانتخابات البلدية في دمشق وحلب فأقرت قيادة الحزب الاقتراح دون تردد واذاعت بتاريخ 11-11-57 البيان التالي:

"نظرا لما ابداه جميع المرشحين الحزبين للانتخابات البلدية في محافظتي دمشق وحلب من عدم استعدادهم النفسي لخوض المعركة الانتخابية في مثل هذه الظروف الدقيقة، وبعد ان تبين للحزب ان احتمال العدوان لا يزال قائما، وان الوضع يتطلب كل حيطة وحذر، وبالنظر لانصراف الشعب بمجموعه للاستعداد والتأهب، فقد قررت قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر السوري سحب جميع المرشحين الحزبيين للانتخابات البلدية في دمشق وحلب على الا يمنع ذلك الاعضاء الحزبيين جميعا من ممارسة حقهم الانتخابي الى جانب مرشحي التجمع القومي"

وقد عللت في الصحف اسباب هذا الانسحاب بما يلي:

"لم تتخذ قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي قرارها بسحب مرشحيها من انتخابات دمشق وحلب البلدية الا بعد ان اجرت اتصالات واسعة في صفوف الحزبيين والمستقلين مع عامة الشعب ورأت انهم يقولون معها بضرورة تجنيب البلاد اخطار معركة انتخابية في مثل هذه الظروف الدقيقة واطلعت على تفاصيل الاوضاع على الحدود"

هكذا برأ البعثيون الاشتراكيون انفسهم من اوزار زج البلاد في الانتخابات في تلك الظروف الحرجة وقالوا علنا للشعب انهم

من القائلين بأن الضرورات القومية تفرض التأجيل، ولكنهم رغم ذلك لا يقاطعون الانتخابات اذا اجرتها الحكومة.

وكنت اتمنى ان يستمر خالد العظم والحزب الشيوعي وحلفاؤهم بخوض معركة الانتخابات البلدية - بعد ان خلا لهم الجو - ليقدروا وزنهم الحقيقي وليلمسوا بأيديهم مدى ثقة الشعب بهم.

حاول الحزب الشيوعي على الفور ان يقوم بمناورة سياسية لدعم موقف خالد العظم الذي اصر على اجراء الانتخابات في موعدها رغم انسحاب حزب البعث، فأعلن الشيوعيون الاكتفاء بثلاثة مرشحين عن دمشق وانسحاب مرشحيه الاخرين، ولكن هذه المناورة وتهديد خالد العظم بالاستقالة لم تجد نفعا فقد كان الشيوعيون في واد والشعب في واد اخر.

عشرات الالوف تتظاهر في شوارع دمشق.

كان الشعب منصرفا للدفاع عن الوطن تجاه الحشود التركية والاعتداءات الاسرائيلية وتجاه ممارسات الانظمة العربية المجاورة.

وعندما اعلن حزب البعث العربي الاشتراكي انسحابه من المعركة تجنبا لحدوث اي انشقاق في الصف الوطني وازمة الانتخابات البلدية في ابانها - كانت عشرات الالوف تتظاهر في شوراع دمشق استنكارا لما اشيع بأن مفاوضات تجري بين الولايات المتحدة وبين الاردن لنقل اللاجئين الفلسطينيين الى العراق، واتجهت هذه المظاهرة الضخمة الى المجلس النيابي وظلت تهتف حتى خرجت اليها والقيت الكلمة التالية:

"يا اخواني عرب فلسطين، ليست قضية فلسطين قضيتكم وحدكم انها قضية العرب في مختلف اقطارهم، انها قضية موت او بقاء بالنسبة للشعب العربي في مختلف اقطاره، وتأكدوا ايها الاخوان ان هدف السياسة العربية التحررية هو استرداد حقوق العرب في فلسطين، هو عودتكم الى دياركم ووطنكم..

ان مؤامرة عام 1948 الاستعمارية الكبرى التي سببت خروجكم من دياركم لن تتكرر وانكم بعون الله راجعون. ان مثل هذه الجريمة والمؤامرة لن تمثل من جديد على مسرح البلاد العربية وان اليد التي ستمتد لعقد صلح مع اسرائيل سوف تبتر، وسوف يقضى على مرتكبيها، لا صلح مع اسرائيل وسوف يعود العرب الى اوطانهم والى ممتلكاتهم ظافرين." (الرأي العام 12-11-57)

رحلة الى الغاب

في اليوم التالي لاعلان الحزب انسحابه مع معركة الانتخابات البلدية قمت بزيارة لمشروع الغاب يرافقني محمود رياض سفير مصر ووزير الصحة اسعد هارون وعبد الفتاح الزلط واحمد عسة صاحب جريدة الرأي العام، وقد اجتزنا ليلا نهر العاصي الى الجهة المقابلة حيث تتولى شركة المانية فتح القناة الرئيسية لتجفيف سهل الغاب، وبعد ان بتنا ليلة باردة في احد بيوت المتعهدين الجاهزة، قضينا نهارا ممتعا ونحن نطلع على مراحل تنفيذ المشروع، وكان رائعا منظر جبال اللاذقية وهي تطل على سهل الغاب وتنحدر على اطرافه تغطيها اشجار الصنوبر والارز، وقد كتبت جريدة الرأي العام بتاريخ 57/11/14 ما يلي:

قال اكرم الحوراني بعد ان عاد من زيارة الغاب ان هذا المشروع من انجح المشاريع الانمائية التي نفذتها سورية منذ ان نالت استقلالها ورغم المبالغ القليلة التي انفقت عليه نسبيا فقد بدأ قبل اتمام تنفيذه باعطاء نتائج اقتصادية ومالية واجتماعية كبيرة لم يسبق ان اعطاها اي مشروع للتنمية حتى الان، ولاحظ اكرم الحوراني الذي كان اول نائب نادى بضرورة تجفيف الغاب واروائه منذ ان انتخب نائبا عن حماة قبل اربعة عشر عاما واستمر بالالحاح على تنفيذه انه لا بد من اقامة ادارة عامة لاستثمار هذا المشروع الذي تقدر قيمة اراضي الدولة فيه بما لا يقل عن 150 مليون ليرة لانه لم توضع حتى الان مع الاسف اية دراسة جديدة تحسن استثماره والح على ضرورة الافادة من احواضه لتربية الاسماك التي ستشكل ثروة كبيرة، كما نادى باقامة السدود على العاصي المتممة لهذا المشروع.

الحكومة تتخذ قرارا بتأجيل الانتخابات البلدية.

التأجيل كان صدمة للحزب الشيوعي.

بعد عودتنا من الغاب عقدت الوزارة اجتماعا اصدرت على اثره البلاغ التالي: "بناء على قرار مجلس الوزراء المنعقد مساء الاربعاء الواقع 13-11-27 اصدر وزير الداخلية قرارا بتأجيل الانتخابات البلدية في دمشق وحلب الى اجل يحدد فيما بعد، واما الاسباب الموجبة لاصدار هذا القرار فهي الوضع الذي لمسه مجلس الوزراء والقاضي باجراء الانتخابات في جو وظروف غير الجو والظروف الحالية"

كان خالد بكداش قد سافر الى موسكو وهو يعلم ان الانتخابات ستجري في موعدها المقرر، وربما اراد ان يبتعد عن البلاد ليترك لخالد العظم الحرية في ادارة المعركة الانتخابية، وكان التأجيل صدمة اليمة للحزب الشيوعي اخرجته عن توازنه اذ شنت جريدة الصرخة على حزب البعث والتجمع القومي هجوما مقذعا، وهذه بعض النماذج:

"نعم لقد ربحنا المعركة، ولو لم تجر انتخابات البلدية لاننا عرفنا ان اتجاه بعض العقائديين لا يختلف عن اتجاه سهيل الخوري مثلا" "اننا لم نر في حياتنا فئة سياسية اساءت الى نفسها وطعنت مبادئها كما فعل التجمع" واخطر ما كتبه الشيوعيون من اتهامات قولهم: "بعد ان اجلت الانتخابات البلدية يهمنا هنا ان نسجل امرا خطيرا جدا وهو ان هذا التأجيل مقدمة لاشياء سياسية اذا نجح بعض حكام سورية في فرضها بعد ان نجحوا في لعبة الانتخابات ولكننا نتوقع لهم الفشل سلفا وان ما نشرته احدى صحب الصباح من الصفاء والوفاق بين اعضاء الحكومة امر لا وجود له، كما ان الصفاء والوفاق بين بعض اعضاء الحكومة وبعض نواب التجمع امر لم يعد له وجود على الاطلاق، وستظهر بوادر هذا الشعور بعد انتهاء زيارة الوفد البرلماني المصري لسورية" (الصرخة 16-11-57)

صلاح البيطار يصل اخيرا الى دمشق

وصل صلاح البيطار الى دمشق بتاريخ 1957/11/12 بعد غيبة طويلة استمرت خمسين يوما في الولايات المتحدة، ولست اعلم من هيأ له استقبالا مصطنعا بمشاركة بعض الحزبيين رغم

موقفه الضعيف في هيئة الامم المتحدة وتأخره الطويل بتقديم الشكوى السورية واقتصارها على تركية دون الولايات المتحدة، ثم تجميدها مخالفا بذلك قرار الحزب الذي سلمه قرارا مكتوبا قبل سفره بوجوب رفع الدعوى.

ويوم وصوله الى دمشق صرح الناطق بلسان خارجية الولايات المتحدة لنكولن وايت:

ان المستر وليم رونتري مساعد وزير الخارجية في شؤون الشرق الادنى قد تباحث مع السيد البيطار يوم الخميس الماضي، وقال ان هذه المباحثات تناولت القضايا ذات المصلحة المتبادلة... ولما سئل عن امكانية اقامة سفيرين في دمشق وواشنطن اجاب: ان هذا الامر يمكن ان يحصل بصورة معقولة في المستقبل.

وقد ربط العظم والشيوعيون بين تفشيلهم في استغلال الانتخابات البلدية وبين المباحثات التي اجراها صلاح البيطار مع راونتري، بينما كنت اقدر ان الرئيس عبد الناصر كان وراء هذه المصالحة قاصدا تخفيف حدة الحرب الباردة لانه دعا المسؤولين الاميركيين الى الاتصال مباشرة بالقادة السوريين، كما كانت مواقف محمود فوزي في هيئة الامم المتحدة توصي بذلك، وقد لاحظت ان الاستاذ صلاح البيطار بعد عودته كان يخفي علينا حقيقة المحادثات التي اجراها مع الاميركيين وانه اصبح مزهوا ومستقلا في سياسته عن الحزب، وبدأ الشيوعيون يتهمون الاستاذ صلاح - همسا - بالانحراف والتواطؤ مع امريكا، وقد ساءهم ان يختم صلاح البيطار بيانه الذي اصدره بعد عودته والذي تحدث فيه عن نتائج رحلته واتصالاته بالمسؤولين الاميركان بما يلي:

"ان شعوري من جراء مقابلاتي للسياسيين الاميركيين بأن ثمة تيارا جديدا قويا اصبح يشير بعقم السياسة الاميركية المتبعة حيالنا، واصبح يرى ويعمل على تغييرها، ولكن هذا لا يعني ان السياسة الاميركية ستتغير عن قريب فهناك ايضا تيار معاكس مستمر في تأييد سياسة الاحلاف ومساندة الدول التي تقاوم سورية وسياستها الحيادية" "ان الشعب الاميركي شعب طيب

القلب منفتح الذهن ولقد استغل الاميركيون هذه الروح الايجابية عنده، ولكن امكانيات العرب كبيرة في افهامه حقيقة قضاياهم ولا سيما في هذا الوقت بالذات الذي تشغل القضية العربية وقضايا الشرق الاوسط اذهان الناس في الولايات المتحدة وفي جميع انحاء العالم" (14-11-57)

الحزب بين المطرقة والسندان.

بدأت الدسائس تلف الحزب عن يمينه ويساره من قبل اجهزة الاعلام:

سافر الاستاذ ميشيل عفلق خلال هذه الفترة الى اليونان على رأس وفد حزبي للاشتراك في مؤتمر مقاومة الاستعمار الذي حضره ايضا احمد بهاء الدين فكتب بعد عودته في مجلة روز اليوسف يقول: "ان ميشيل عفلق عارض اقتراحا تقدم به عضوان من اعضاء الوفد البريطاني لانه ينص على استنكار تدخل الدول الكبرى في الشرق الاوسط" وكان الاستاذ احمد بهاء الدين يتمتع بثقة كبيرة، فأحدثت كتابته بلبلة في اوساط الحزب، كما كانت موضع استغلال واسع من قبل الشيوعيين حتى اوضح ميشيل عفلق اسباب معارضته لهذا الاقتراح لانه يدين دول الغرب كما يدين روسيا ويضعهما على قدم المساواة في العدوان على الشرق الاوسط"

كما كتب صالح جودة في جريدة المصور في العدد الصادر بتاريخ 15-11-57 حديثا نسبه للاستاذ ميشيل عفلق عندما كان في زيارة يوغوسلافيا قصد فيه فصم وحدة الحزب وبذر الشقاق بين صفوفه والاساءة الى الصداقة العربية السوفيتية مما احدث استياء كبيرا، فاضطرت قيادة الحزب الى اصدار بيان كذبت فيه هذا الحديث تكذيبا قاطعا، ولم يخطر ببالنا آنذاك انه قد يكون لعبد الناصر اية علاقة بهذه الحملة الاعلامية.

دعوة الوفد البرلماني المصري لزيارة سورية

تلقيت من السيد عبد اللطيف البغدادي رئيس مجلس الامة في اواخر تشرين الاول عام 1957 جوابا على الدعوة التي وجهتها

باسم مجلس النواب السوري الى مجلس الامة المصري لارسال وفد برلماني لزيارة سورية لوضع اسس الاتحاد بين البلدين:

"ان هذه الدعوة ستلقى تجاوبا كبيرا من نواب مصر وستقابل بالشكر والامتنان، لان هذه الزيارة المفتوحة من شأنها ان توطد الاخوة بين البلدين، وان تتيح لممثلي الشعبين الاطلاع على الاوضاع وتحقيق المزيد من التفاهم والانصهار في الفكرة الواحدة نتيجة للاتصالات والمشاهدات المباشرة، وان مجلس الامة المصري سيدرس الدعوة الموجهة اليه في اول جلسة يعقدها في الرابع من شهر تشرين الثاني الحالي، ثم يؤلف الوفد الذي يرجح ان يزور سورية برئاسة السيد عبد اللطيف البغدادي في النصف الاول من الشهر المقبل".

وقد اذيع بتاريخ 1957/11/5 من القاهرة: "ان مجلس الامة وافق في جلسته مساء امس على قبول الدعوة الموجهة من السيد اكرم الحوراني رئيس مجلس النواب السوري لاعضاء مجلس الامة لزيارة سورية لبحث خطوات الاتحاد بين القطرين الشقيقين وتدارس شتى المسائل، كما وافق المجلس على تأليف الوفد المصري من اربعين عضوا برئاسة السيد انور السادات وكيل مجلس الامة"

رئيس الاركان عفيف البزرة والعقيد امين النفوري يزوران المجلس النيابي

كان عناد خالد العظم واستبداد اهوائه به وطموحه للجاه والسلطة الذي حرضه واثاره الاتحاد السوفيتي، ومطامع الحزب الشيوعي بالمشاركة في الحكم امرا يهدد بتشويه المناخ الثوري الطاهر الذي عاشته سورية في تلك الفترة، ولكن بادرتي امل لاحتا تبشران بعودة الوحدة الوطنية وبقيام الاتحاد بين سورية ومصر:

زارني في مكتبي في المجلس النيابي اللواء عفيف البزرة والزعيم امين النفوري بتاريخ 12-11-57 وقدما الي بندقية من البنادق السوفيتية الحديثة التي وصلت الى الجيش السوري مع

مختلف انواع السلاح الأخرى وقال عفيف البزرة: "انني باسم الجيش اقدم اليك هذه البندقية رمزا لنضالك وجهادك الى جانب الشعب منذ ان بدأت تعمل في الحقل العام" فشكرت للجيش هديته وابديت اعجابي بما يرد الى جيشنا من اسلحة حديثة من الاتحاد السوفيتي وقلت له:

"لقد اشهرت السلاح في وجه المستعمرين منذ ان اصبحت قادرا على حمله، وانني اعاهد الله والشعب ان امضي بالكفاح وحمل السلاح حتى يتم تحرير الوطن ويعود اليه ما اغتصب من اجزائه بالغزو والعدوان".

وعندما خرج القائدان، غرقت في تأملاتي:

لقد غسلت هذه الهدية ما علق في نفسي من بقع سواداء تركتها خلافاتنا المستمرة معهما، وتمنيت لو اطلعوا على ما في قلبي من محبة عميقة لكل ابناء شعبنا، وقلت في نفسي:

متى نرتقي بخلافاتنا السياسية افرادا وجماعات الى مستوى حكمة الشاعر شوقي:

"ان اختلاف الرأي لا يفسد بالود قضية"

دمشق تستقبل الوفد البرلماني المصري

تلقيت اشعارا رسميا بأن الوفد البرلماني سيصل مطار دمشق يوم السبت 16-11-57 ، فأذعت برنامج استقبال النواب وزيارتهم لسورية خلال الايام الستة التي سيقيمون فيها وحددت يوم الاثنين موعدا لمشاهدة مناورة يجريها الجيش صباحا، على ان يعقد المجلس النيابي في المساء جلسة يشترك فيها اعضاء الوفد البرلماني المصري، ثم يقوم الوفد خلال ايام الثلاثاء والاربعاء والخميس بزيارة حمص وحماة وحلب وتتخلل هذا البرنامج دعوات وحفلات وزيارات المعامل والمتاحف والاماكن الاثرية.

كنت اهدف من وضع برنامج الزيارة على هذا النحو ان يلمس اعضاء الوفد بصورة واقعية مشاعر سورية تجاه الاتحاد مع مصر بحكومتها ومجلسها النيابي وجيشها وشعبها.

خرج الى مطـار المـزة عشـرات الـوف المـواطنين لاسـتقبال الوفد، ولم يحل هطول الامطار دون روعة الاسـتقبال، وكـان منظـرا مثيرا ان يخرج افراد المقاومة الشعبية وهم يحملـون الاف البنـادق والرشاشات بينما كانت الدهشـة باديـة علـى وجـوه اعضـاء الوفـد لانهم لم يـألفوا مثـل هـذه المهرجانـات الشـعبية المسـلحة، وقـد حمل المتظاهرون انور السادات واعضاء الوفد على الاعناق ورفعت الجمـاهير اللافتـات التـي اعـد شـعاراتها حـزب البعـث العربـي الاشتراكي:

عاش ممثلو الشعب المصري - عاشت وحدة مصر وسـورية - وحـدة الجيشـين حصـن الوحـدة العربيـة - لا حيـاة للعـرب الا بوحدتهم - عاش نضال الشعب العربي في سبيل الوحـدة والتحـرر - وحدة مصر وسـورية جسـر الوحـدة الشـاملة...الـخ وقـد حملـت بعض الافتات شعارات القوميين العرب: عاش نضال الشعب العربي في سـبيل الوحـدة والتحـرر والثـأر وقـد علقـت علـى هـذه الزيـارة للصحف بقولي:

"اذا كـان مجـيء قـوات مـن الجـيش المصـري لنجـدة سـورية يعتبـر تحقيقا فعليا للاتحاد بين القطرين العربيين الشقيقين، فان زيارة وفـد نواب الشعب العربي المصـري لسـورية يعتبـر خطـوة جديـدة اخـرى في تحقيق هذا الاتحاد"

"اننا نعتبر نواب الشعب العربي في مصـر هـم نـواب الشـعب في سورية، وقد نص دستورنا على ان سورية جزء من الامة العربية ولذلك فاننا سندعوهم لحضور جلسـات مجلسـنا النيـابي ليشـاركونا بالبحث والمناقشة والتصويت" "ان الامة العربية تتطلـع الـى الاتحـاد العربي الشامل وتناضل في سبيله: وقيام الاتحاد بين مصر وسورية سـيكون نـواة الاتحـاد العربـي الشـامل الـذي سيسـهم فـي حفـظ السلام ويدخل العرب من جديد في محراب الحضارات الانسانية".

□

وضعت بعد وصول الوفـد برنامجـا لجلسـة المجلـس النيـابي المشـتركة مـع رئـيس الوفـد السـيد انـور السـادات يقضـي بعقـد

اجتماع مشترك بين لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب السوري ولجنة الشؤون العربية في مجلس الامة المصري، لوضع صيغة اقتراح يتضمن تكليف الحكومتين السورية والمصرية بالدخول في مباحثات فورية لتحقيق الاتحاد الشامل بين سورية ومصر، ثم يحال هذا الاقتراح على المجلس النيابي في الجلسة المشتركة التي سيعقدها يوم الاثنين، ثم اتناوب مع السيد انور السادات على رئاسة هذه الجلسة لبحث اقتراح الاتحاد بين سورية ومصر ومناقشته والتصويت عليه من قبل النواب المصريين والسوريين.

وكانت تلك الجلسة أول جلسة في تاريخ مجلس النواب السوري، بل في تاريخ المجالس العربية، التي يشترك فيها النواب العرب بالتصويت، بينما كان الامر في السابق مقتصرا على الاشتراك في جلسات المجلس والمشاركة في المناقشات.

وفي صباح يوم الاثنين 18-11-57 ذهبت بصحبة وفد مجلس الامة المصري الى معسكرات قطنا حيث استقبلنا اللواء عفيف البزرة القائد العام للجيش والقوى المسلحة وفريق من النواب وعدد من ضباط القيادة المشتركة فشاهدنا مناورة عسكرية بالذخيرة الحية اشتركت فيها القوات السورية والمصرية، وبعد انتهاء المناورة القى اللواء عفيف البزرة كلمة اشاد فيها بالقطعات العسكرية المشتركة بهذه المناورة ثم القيت الكلمة المقتضبة التالية:

ايها الاخوان... ايها الجنود والضباط والقادة المصريون والسوريون العرب: انه لا يسع العربي عندما يشاهد هذه المناورة العسكرية المشتركة الا ان تغرورق عيناه بالدموع، فمنذ مئات الاعوام لم يلتق جيش عربي مع جيش عربي آخر ولاول مرة منذ سبعمائة عام يلتقي الجيشان السوري والمصري على ارض عربية.

يا اخواني، انني اذكركم بأنه لم يشترك الجيش المصري والجيش السوري في الماضي، في معركة لصد المعتدين الا وكان النصر حليفكم وانني مؤمن بأن بناء الجيش العربي الموحد سيكون بدء

تحول في تاريخ الشرق العربي وان اتحادكم سيضع حدا للغزاة المستعمرين.

على اتحادكم سيبنى الاتحاد العربي الشامل في المستقبل وانكم باتحادكم لا تضعون الاسس لبناء الحضارة العربية من جديد، بل انكم ستساهمون في اكمال بناء الحضارة الانسانية وفي تحرير الشعوب".

بعد انتهاء المناورة قام عفيف البزرة بعملية رمزية. فقد جمع عددا من الجنود المصريين والسوريين وطلب منا ان نميز بينهم فلم نستطع ان نتبين من هو المصري ومن هو السوري، رجعت من هذه المناورة متأثرا جدا وتمنيت لو شاهدها كل فرد من افراد الشعب فأحببت ان اطلع الجميع على هذه الصورة الرائعة.

"ان وفد مجلس الامة المصري وكذلك من رافقهم من نواب سورية امس بكوا من الفرح والتأثر عندما شهدوا المناورة العسكرية التي جرت في مكان ما من الاراضي السورية ورأوا ضباط الجيش السوري والمصري وجنودهم يقومون بهذه المناورة وكأنهم افراد جيش واحد... لقد كان التفاهم المتبادل والحب الوثيق بين افراد الجيشين يفوق الوصف والتصور"

وفي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم عقد مجلس النواب السوري جلسته التاريخية التي شارك فيها وفد مجلس الامة المصري بالنقاش والاقتراع فجلس النواب المصريون بين اخوانهم اعضاء المجلس النيابي السوري، واستبدل احد العلمين السوريين المرفوعين فوق سدة الرئاسة بعلم الجمهورية المصرية، ثم افتتحت الجلسة بخطاب مكتوب وبعد ذلك قدمت انور السادات وطلبت منه ان يحل محلي بترؤس الجلسة.

القى انور السادات خطابا مرتجلا ثم تكلم على التوالي: صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء، وعبد الحليم قدور (حزب البعث) وعلي بوظو (حزب الشعب) وتكلم عن اعضاء الوفد المصري فتحي الشرقاوي وكمال الدين الحناوي، وبعد ذلك تلي التقرير ومشروع القرار اللذان وضعتهما اللجنتان البرلمانيتان: لجنة

الشؤون الخارجية السورية ولجنة الشؤون العربية في مجلس الامة المصري، ويقضي مشروع القرار بالزام الحكومتين بالدخول فورا في المباحثات لاستكمال اسباب تنفيذ اتحاد البلدين فأقره المجلس بالاجماع.

وقد حرص رجال السلك الدبلوماسي على حضور هذه الجلسة وتتبع كل كلمة قيلت فيها، كما حضرها قادة الجيش وكبار رجال الدولة، وأحرار الاردن من وزراء ونواب، واللاجئون الاحرار من مختلف الاقطار العربية واعضاء لجنة الاتصال في المؤتمر الشعبي العربي والاتحاد النسائي وجماهير غفيرة لم تستوعبها شرفات النظارة، فأحاط اكثرها بالمجلس النيابي ليستمع الى وقائع الجلسة من مكبرات الصوت.

وفي اليوم الثاني اقر مجلس الامة المصري في القاهرة بالاجماع قرار الاتحاد الذي اقره مجلس النواب السوري.

وفيما يلي نص كلمتي وكلمة انور السادات ونص قرار الاتحاد الفدرالي:

ايها الاخوان الاعزاء... تجلت ارادة شعبنا الابي في مصر وسورية في التعبير عن حقيقته القومية حين اعلن في صلب الدستورين المصري والسوري بأن الشعب العربي في مصر وسورية جزء من الامة العربية، وبما ان الدستورين المصري والسوري قد اقرا بأن النائب انما يمثل الشعب جميعه وان وكالته لا تحد بقيد او شرط، لذلك فانني حين ارحب باخواني الاكارم نواب القطر المصري واقول لهم بأنكم هنا في مجلسكم، وان نيابتكم تشمل ايضا تمثيل الشعب العربي في سورية، فلا اقول ذلك مدفوعا بعواطف الاخوة فحسب، وانما اقولها نزولا عند ارادة شعبنا العربي في مصر وسورية وتنفيذا لاحكام دستوري القطرين العربيين الشقيقين معا، فأهلا بنواب الامة العربية يجتمعون لاول مرة في التاريخ ليعلنوا على العالم كله ارادة الامة في تحقيق الوحدة العربية.

ايها الاخوان الاعزاء

لا عجب ان تكون اليوم سورية، بيت العروبة العتيق، في عرس يقام في قلب كل عربي من ابنائها، وفي كل بيت من بيوتها، في بلدانها واريافها

وما اظلته سماؤها، نعم لا عجب في ذلك، انما العجب كل العجب ان يبقى على وجه البسيطة مكابر يماري في الحق فيدعي بأن سورية قد اصبحت ملعبا للشيوعية الدولية او قاعدة للاتحاد السوفيتي، الا ليطلعوا علينا اليوم اذا شاؤوا ونحن في هذا العرس القومي العظيم نستقبل اخوتنا رسل الوحدة، ترى هل تكفيهم هذه الفرحة الكبرى تعم الشعب والحكومة والجيش معا، هل تكفيهم هذه الحماسة العارمة تجتاح المدن والقرى، البيوت والاكواخ، هل يكفيهم ذلك كله ليقتنعوا - ان كانوا ينشدون الاقتناع- بأن سورية ما كانت في ماضيها وليست هي في يومها، ولن تكون في مستقبلها الا قاعدة للقومية العربية وملعبا للمناضلين العرب ومنطلقا مبدعا خلاقا للامة العربية.

انهم ايها الاخوة ما سعوا في يوم من الايام ولن يسعوا وراء الاقتناع في فهم حقيقة اوضاعنا لانهم مستعمرون وما كان الاستعمار - في تاريخه - حريصا على كشف حقائق ضحاياه، وانما يقضي المنطق الاستعماري دوما بأن تطمس الحقائق بجميع الوسائل ومختلف الاساليب، ليظهرها هو امام الرأي العام العالمي مزيفة مشوهة على ابشع ما يكون التزييف والتشويه، ليستعين بهذا المظهر المزور على تبرير جرائمه ومؤامراته التي يندى لها جبين الانسانية خزيا وعارا.

انه لم يغب عن ذهن الاستعمار لحظة واحدة، بأن قوميتنا العربية اذا ما قدر لها ان تستيقظ وتنطلق، فسوف تسد عليه في الافق العربي كل فراغ وسوف تجتث بالتالي شأفته وجذوره من الخليج العربي حتى المحيط الاطلسي، لذلك فقد عمل جاهدا، مستعينا بجميع ما توصل اليه عقله من وسائل الاحتيال والتهديم ليحول دون يقظتنا وتحررنا.

لقد بدأ الاستعمار علاقته معنا بالخيانة والغدر ففي اللحظة التي كان فيها ابطالنا يريقون دماءهم بلا حساب في مكافحة عدوه، كان يتآمر مع الصهيونية العالمية على اقدس مقدسات العرب، ويعطي اليهود في الخفاء الوعود والعهود في اقامة وطن قومي لهم في قلب الوطن العربي، ومضى المستعمرون فمزقوا الوطن العربي كله متخذين من اسرائيل رأسا لحربتهم يغرسونها في ضلوع الاقطار العربية كلما لاحت في افقها بوادر تحرر او تمرد، ولتكون لهم جسرا ذلولا تطأه جحافلهم وعساكرهم الى هذه الاقطار كلما استعصى على ربيبتهم اسرائيل قضاء حاجتهم وارواء غلتهم.

ولكن شعبنا العربي الابي في كل مكان لم ينم يوما واحدا على الذل ولم يدع الاستعمار ينام يوما واحدا على الظفر بل توالى النضال الباسل خلال نصف قرن في مختلف اقطار العروبة بلا انقطاع، قدم العرب خلاله من الشهداء والاضاحي ما لم يقدمه شعب في التاريخ لحريته وقوميته ووحدته، حتى انتزع العرب في مصر وسورية حريتهم واستقلالهم من مخالب الاستعمار انتزاعا ولا زالوا يوالون المعركة معه بكل ضراوة واستبسال في بقية الاقطار، والاستعمار بدوره الذي اندحر في بلدينا راح يعمل بكل ما اوتي من قوة وبأس لوضع خطة للانقضاض علينا من جديد، لانه لا يريد الاذعان لحقنا الطبيعي في الحرية والسيادة والحياة، ولانه بات يخشى امتداد لهيب التحرر المخيف اليه في بقية اقطار العروبة التي لا زالت تكافح بين براثنه ونيوبه.

وعلى هذا بدأ يقذفنا كل يوم بمشروع من مشاريعه الاستعمارية، ويحيك لنا في كل يوم مؤامرة اجرامية، فمن معاهدة الدفاع المشترك، الى الاتفاقيات الثنائية، الى معاهدات الامن المتبادل، الى الاتفاقيات الثنائية العسكرية، الى مشروع جونستون، الى حلف بغداد، الى مؤامرة اغتيال العقيد الشهيد عدنان المالكي في سورية، الى مؤامرات قلب نظام الحكم في مصر وسورية معا.

ورغم ان الاستعمار كان يجهد نفسه دوما في تمويه مشاريعه، ويتفنن في عرضها، الا انه لم يستطع ان يخفي عنا لحظة محتواها الخبيث المشترك، كانت كلها تنص على تمكينه من جديد للقبض على حريتنا ومقدراتنا بيد حديدية، وعلى التخطيط النهائي لعزل مصر الثورة، كبرى الشقيقات العربيات عزلا نهائيا عن المجموعة العربية وبالتالي املاء الصلح على العرب مع اسرائيل، وتكبيل الشعب العربي امام حملات الغزو الاستعمارية الصهيونية، حملات المحق والابادة، التي أعدها للخلاص خلاصا نهائيا من شبح القومية العربية الرهيب، الذي باتوا يرتعدون منه هلعا على اطماعهم ومغانمهم في الشرق العربي حين احبط نضال الشعب العربي في مصر وسورية مشاريع الاستعمار وفل مكائده ومؤامراته وراح يكيل له الضربة تلو الضربة، حين حطم الطوق الحديدي الذي لفه به الغرب وانطلق ينشد السلاح والتصنيع والعون على اقامة مشاريعه الانتاجية الكبرى من اية جهة من العالم، وبوجه خاص من الاتحاد السوفيتي. حينذاك جن جنون الاستعمار

فألقى بأوراقه الاخيرة في عدوانه الاجرامي الاثم على مصر ظنا منه ان الشعب العربي فيها سوف يستسلم له طائعا ذلولا اثر الضربات الاولى.

ولكن مصر الثورة مصر العروبة، بشعبها العربي الباسل وجيشها المغوار ورئيسها العظيم جمال عبد الناصر، خاضت المعركة منذ الوهلة الاولى لا على انها معركة القومية العربية وحمايتها من المحق والابادة فحسب، وانما على انها ايضا معركة القومية العربية وحمايتها من المحق والابادة، وعلى هذا صمدت مصر للغزو الاستعماري الصهيوني واستبسلت في مكافحة الغزاة حتى انتزعت دماء الالاف من شهداء العرب في بورسعيد الخالدة حق القومية العربية في البقاء انتزاعا وعقدت لواء الظفر الاخير لمصر الثورة على الاستعمار ووطدت لمعركة حرية العرب ووحدتهم في كل مكان.

وكذلك لم يكتف الاستعمار بهذا الدرس البليغ الذي لقنته اياه دماء الشهداء العرب في مصر، بل عمل وهو في ابان هزيمته المنكرة على ان يلقي باحتياطه الاخير فخرجت اميركا من وراء الستار وتسلمت من بريطانيا وفرنسا زمام المبادهة وطرحت علينا مشروعها الاستعماري (مبدأ ايزنهاور) وارادتنا ان نستسلم له، وسلطت علينا كل ما تملكه من وسائل الضغط والاكراه المادية والادبية فحاربتنا في اقتصادياتنا وهددتنا بتحركات اساطيلها، وشنت علينا حربا من الدعاية والتضليل ليس لها مثيل في تاريخ العالم، ولكننا صمدنا امام ذلك كله لاننا كنا موقنين ايضا بأننا اذ نصمد، فليس للحفاظ على حريتنا واستقلالنا وسيادتنا فحسب وانما ايضا لحماية القومية العربية من الفناء والابادة.

وحين يئس الاستعمار من تحطيم اعصابنا عمد الى القوة، فحشدت تركيا على حدودنا الشمالية جيوشها، وجرت اميركا الى القرب من سواحلنا اساطيلها، وبدأت التحرشات تترى، وبتنا نرقب العدوان بيقظة واستعداد لحظة فلحظة، وجاء جواب القومية العربية الاول على لسان الشقيقة العظيمة مصر اذ سارعت بارسال قواتها العسكرية الى سورية ليشترك الجندي العربي من مصر مع الجندي العربي من سورية في الذود عن الحدود الشمالية للوطن العربي وفي حماية القومية العربية مما يريده لها الغزاة، وكان في مظاهر الاستقبال العظيمة التي استقبلت بها سورية قوات الشقيقة ابلغ قرار في اعلان الاتحاد العام الشامل بين القطرين العربيين مصر وسورية.

ولا بد لنا هنا الا ان نذكر مع عميق الشكر والتقدير موقف اصدقائنا في العالم، وفي طليعتهم الاتحاد السوفيتي العظيم، اذا ظهروا جميعا انهم حراس مخلصون لميثاق هيئة الامم المتحدة ومؤتمر باندونغ وشعارهما في الحرية والعدالة والسلام.

ايها الاخوة، يا نواب العروبة، ان معركتنا مع الاستعمار والصهيونية لم تنته بعد ولن يقدر لها ان تنتهي ما دامت بلادنا ممزقة، وجهود امتنا مبعثرة والاستعمار والصهيونية يتآمران علينا صباح مساء.

ولئن كانت بيننا وبين الاساس المتين للوحدة في الماضي بعض الصعاب والعقبات فان الظرف التاريخي الذي نمر به اليوم يسمح لنا بل يوجب علينا بأن نعمل فورا على وضع الحجر الاساسي لوحدة العرب، هذا الحجر الذي لا يمكن تجسيده بشكل عملي الا باتحاد القطرين العربيين الشقيقين مصر وسورية.

ويجب الا يغيب عنا لحظة ان طبيعة العمل للوحدة العربية طبيعة ثورية، ثورة على الاغلال والقيود الداخلية والنظم المهترئة الفاسدة التي تنخر مجتمعنا وتعذب شعبنا وثورة على الاستعمار ومخلفاته وعملائه ومدارسه، وعمل هذه طبيعته لا يمكن تحقيقه الا من خلال المعارك الدامية والنضال المتواصل.

ان العمل للوحدة العربية ليس من اجل التحرر من الاستعمار وانتزاع مكاننا تحت الشمس ومساهمتنا في بناء الحضارة الانسانية وخدمة الحرية والسلام في العالم فحسب وانما هو ايضا لحماية وجودنا وبقائنا من الغزو الصهيوني الغربي الذي يهدد فعليا وجودنا وبقاءنا وقوميتنا.

ان الشعب يريدها وحدة عربية شاملة في وطن عربي واحد، ويريدها نظاما اشتراكيا عادلا لا يتحقق الا بها ولا تتوطد اركانها الا به يريد لها نظاما يعمل باخلاص على انتشال الشعب العربي من الحرمان التاريخي والظلم الطويل الذين احاقا به، يريدها وحدة صميمة في وطن واحد تتوزع خيراته على الامة كلها بانصاف وعدل بحيث لا نجد بين ظهرانينا هلالا خصيبا يغص بالخيرات والكنوز ولا نجد فيه من يستثمر هذه الخيرات او يفجر تلك الكنوز بينما نرى كنانة يتزاحم فيها العرب من اخواننا بالمناكب.

انني باسم هذا المجلس الكريم الذي قلده الشعب العربي في سورية شرف تمثيله ووضع في عنقه امانته الغالية، وباسم العرب المناضلين في كل مكان، في العراق والاردن وعمان واليمن والجزائر المجاهدة وغيرها من الاقطار العربية وباسم ارتال اخواننا اللاجئين الذين يرون ارضهم المقدسة من خلال الوحدة انهم جميعا يدعوننا لاعلان ارادة الشعب اتحاد القطرين الشقيقين مصر وسورية ليكون هذا الاتحاد نواة طيبة خيرة للوحدة العربية المنشودة..

كلمة السيد انور السادات:

سيدي الرئيس، ايها الاخوة الزملاء:

احييكم تحية عربية صافية ومن مجلس مصر ومن شعب مصر، احمل اليكم من بلدكم الاخر تحية وشكرا من رئيس مصر، احمل لكم تحية وشكرا من كل من يعيش في مصر، فأنتم الاخوة الذين وقفتم الى جانب مصر في ساعة الشدة، وبذلتم ما بذلتم، وانتم الذين دويتم عاليا في العالم العربي بأجمعه وفي العالم باسره صرخة كان لها دوي ورجع وكان لها في مصر شفاء وبلسم.

حين وقفت لاتحدث اليكم اليوم كان ينتابني الكثير من المشاعر، ففي صباح هذا اليوم انطلقنا الى حيث شاهدنا جنود سورية وجنود مصر يعملون جنبا الى جنب، واؤكد لكم أنني لم استطع ان اكتم مشاعري وانا ارى هذه الزمالة النبيلة، رأيتها فسعدت بها وأردت ان احدثكم عنها، وطاف بي طائف اخر فنحن اليوم نجلس في مكان كان هدفا لقنابل الاستعمار وكان هدفا لطغيان فرنسا 1945 وكنت اود ان احكي لكم عن مشاعري ومشاعر اخوتكم في مصر فلم تتح لنا الفرصة من ذلك الوقت لكي نحكي عما احسسناه وما نحسه على الدوام.

وأمر ثان، تلك هي المعركة التي تخوضها اليوم سورية، تخوضها سورية ليس لسورية فقط، وانما تخوضها سورية باسم القومية العربية وباسم كل الشعوب العربية، تخوضها سورية من اجل كل القيم البشرية التي تعارف عليها الانسان منذ ان قامت الخليقة ويريد الاستعمار اليوم ان يجعل منها ظلاما واجراما وتعسفا وظلما.

احترت حقيقة بما اتحدث اليكم، هل احكي لكم عما رأيته اليوم وعن زمالة السلاح التي شاهدناها وسعدنا بها ويسعد بها قومنا في مصر؟ ان

التاريخ يحكي انه منذ قديم الازل وسورية ومصر وطن واحد وشعب واحد، والتاريخ يحكي ايضا انه ما من مرة وما من فترة انعزلت فيها سورية عن مصر او انعزلت فيها مصر عن سورية الا وحاق بالعرب الكوارث والنكبات، وما من مرة اجتمع فيها شمل الوطن الواحد في سورية ومصر الا انتصر العرب والا طرد العرب كل تلك القوى التي جاءت الى ارض العرب لكي تفرض عليهم استعمارا او سيطرة او اذلالا.

هذه هي حكاية التاريخ، وفي الشعبين اواصر اخرى، وصلات اخرى لا تنفصم ابدا، ولن تنفصم ابدا فاذا ما دعونا اليوم الى اتحاد بين سورية ومصر فنحن انما نصحح الوقائع ونحن انما نقول المنطق ونحكي عن التاريخ ونصل الماضي بالحاضر.

نحن لا نريد اتحاد مصر وسورية من اجل الاعتداء على احد، ونحن لا نريد اتحاد مصر وسورية من اجل الاستيلاء على ارض احد، على العكس من ذلك، نحن نريد اتحاد مصر وسورية من اجل حرية العرب اجمعين ومن اجل المثل العليا، من اجل القومية العربية التي طالما كافح آباؤنا واجدادنا وبذلوا دماءهم في سبيل تحقيقها، نحن نريد اتحاد مصر وسورية من اجل الحفاظ على معاني الكرامة التي يريد الاستعمار اليوم ان يدوس عليها او ان يضلل فيها او ان يشكك في امرها، نحن نريد الاتحاد بين مصر وسورية لكي نحافظ على سلامة العالم اجمع.

نحن لسنا مع كتلة من الكتل ضد كتلة من الكتل، وانما نحن قوميون ونحن عرب ونحن نريد الاتحاد بين مصر وسورية من اجل المعاني السامية التي يراد لها ان تنطمس اليوم بواسطة تلك القوى الاستعمارية التي عادت لا تعرف الخلق ولا تعرف الضمير ولا تعرف الذمة.

اما حديث هذا المكان الذي نجلس فيه اليوم، وحديث ذكراه منذ سنة 1945 حين اعتدت عليه فرنسا فانني اكاد ارى المعركة مستمرة منذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا. في سنة 1945 كانوا يريدون ان يكون استقلال سورية حبرا على ورق، وابى الشعب السوري ذلك وقامت المعركة وهدم الفرنسيون هذا المكان وقتلوا من اخوتنا السوريين وذبحوا منهم، ولم يستسلم الشعب السوري، وصمم شعب سورية على ان ينال استقلاله كاملا غير منقوص وصمم شعب سورية على ان يحقق سيادته كاملة، وعلى ان يطرد السيطرة

الاجنبية بكل الوانها ومعانيها... وما اشبه الليلة بالبارحة، انهم اليوم، وفي سنة 1957 يشنون على سورية معركة من نفس ذلك الطراز، عن طريق التخويف او التهديد وعن طريق الحشود التي يقوم بها اذيالهم يريدون عن طريق كل هذا ان يرهبوا سورية لكي تتنازل عن شيء من حريتها او تتنازل عن شيء من استقلالها، او ان تقبل السيطرة الاجنبية من جديد ولكن شعب سورية، والحكام في سورية وقد اتحدت ارادتهم رفضوا هذا اليوم كما رفضوه بالامس، ووقفت جميع الشعوب العربية، ووقفت القومية العربية، ووقفت شعوب كثيرة من الشعوب المحبة للسلام في جميع انحاء هذا العالم لكي تؤيد سورية، ولكي تحقق مع سورية انتصارا على قوى الظلم والبغي والطغيان.

ايها الاخوة ، ايها الزملاء

اننا نسعد اليوم بهذا اللقاء الحبيب الى نفوسنا والى نفس كل عربي ونحمد الله سبحانه وتعالى على ان هيأ للامة العربية، وهيأ لنا فرصة لكي نجتمع مثل هذا الاجتماع ولكي نتحدث مثل هذا الحديث مؤيدين بارادة شعوبنا، ومؤيدين بارادة الشعوب العربية جمعاء، وحين احمل اليكم تحية مصر، وسلام مصر ومن في مصر وما في مصر احمل لكم ايضا تأييدا مطلقا الى غير حد في كل قضاياكم، احمل لكم ايضا مشاركة فعلية في السراء والضراء، احمل لكم ايضا امانينا في ان تحقق للقومية العربية ما اراده لها اباؤنا والاجداد.

ايها الاخوة ... ايها الزملاء: شكرا لكم واسال الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا فيما نحن مقدمون عليه، فهو يعلم سرنا وجهرنا، الكفيل بنصرنا وعزتنا ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله..

التقرير المشترك للجنتي الشؤون العربية المصرية والخارجية السورية وقد اقر بالاجماع وهذا نصه:

"عقدت اللجنتان: لجنة الشؤون العربية في مجلس الامة المصري ولجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب السوري اجتماعا مشتركا في الساعة

التاسعة والنصف من بعد ظهر يوم الاحد الواقع في 23ربيع الثاني 1377 الموافق 17-11-57 برئاسة دولة السيد اكرم الحوراني، وشهد الاجتماع معالي وزير الخارجية ووزير الزراعة وعدد من حضرات السادة المحترمين من المجلسين، وبعد ان استعرض الاعضاء الخطوات التي تمت في سبيل تحقيق اتحاد القطرين العربيين الشقيقين مصر وسورية والخطوات التي يجب ان تستكمل في الشؤون التي تجري المفاوضات بشأنها بين الحكومتين، والطريقة الواجب اتباعها للدخول في مراحل التنفيذ، خلصت اللجنتان الى اتخاذ مشروع القرار المرفق بغية عرضه في الجلسة المشتركة لاخذ الرأي عليه... وتفضلوا بقبول فائق الاحترام...

دمشق - 17-11-57

مشروع القرار:

استجابة لرغبة الشعب العربي في دنيا العرب، وتحقيقا لمبادىء الدستورين المصري والسوري بأن شعبهما انما هو جزء من الامة العربية، ولما كانت وحدة الاقطار العربية امنية الامة الغالية، وكان العمل لتحقيق هذا الهدف السامي المقدس واجبا قوميا على كل عربي وامانة في عنق نواب الشعب العربي... وكان الاستعمار يقف عقبة كأداء في سبيل تحقيق هذه الوحدة ويعمل جاهدا على ابقاء الامة العربية مجزأة مشتتة الشمل بما يحيك لها من مؤامرات ويصطنع لها من احداث ليمنع عليها الاتحاد والتحرر، وكانت مصر وسورية الشقيقتان قد كافحتا الاستعمار فانتزعتا استقلالهما، ووطدا سيادتهما وانتهجتا في سياستهما الخارجية نهجا حياديا مستقلا بين القوى المتصارعة مستوحى من مصالحهما القومية واهدافهما المشتركة وامانيهما المتبادلة فحققا نصرا حاسما في مضمار التحرر بفضل وعي ونضال الشعب العربي الموحد وكان تحقيق ما تم بين البلدين حتى اليوم ليعتبر بمثابة الحجر الاساسي في اقامة اتحاد عربي بينهما، سواء كان ذلك بالميدان العسكري حيث تحقق توحيد الجيشين واخذت القوات المصرية والسورية تعمل تحت قيادة موحدة واصبح اتحاد الجيشين المصري والسوري نواة الجيش العربي الموحد، ام كان ذلك في المضمار الثقافي الذي وضعت الدولتان اسسه المتينة وكانت المباحثات دائرة بين القطرين لوضع نظام اقتصادي موجه متكامل وموحد وهي في طريقها الى الاقرار بعد استكمال وضع اسس هذه السياسة الاقتصادية والعمل على تنفيذها.

وقد كانت الظروف الداخلية والاحداث الخارجية التي تعصف بالعالم العربي تفرض عليه ان يحث الخطى لاقامة هذا الاتحاد حفظا لكيانه وتوطيدا لاستقلاله، وتثبيتا لحريته، وتعزيزا لكرامته، وللمساهمة في انتزاع حرية وسيادة واستقلال الشعب العربي الذي ما زال يناضل المستعمرين ويكافح الغاصبين وللنضال الدائب لاحباط مؤامرات الصهيونية العالمية التي ما زالت تكيد للشعب العربي وتعمل على تفكيك اواصره وبذر الخلافات بينه وتؤلب عليه قوى العدوان الغاشمة وبالنظر الى ان هذا الاتحاد سوف يحمي القومية العربية ويقيم جبهة عربية متينة في وجه الاطماع الاستعمارية.

لهذه الاسباب مجتمعة فان اعضاء وفد مجلس الامة المصري واعضاء لجنة الشؤون الخارجية المجتمعين معا في دمشق بجلسة مشتركة بتاريخ 23 ربيع ثاني 1977 و17 تشرين ثاني (نوفمبر) 1957، وبعد اطلاعهما على الخطوات والاتفاقات التي عقدت بين القطرين في النواحي الثقافية والعسكرية وبعد استعراضهم اسس سياسة القطرين الخارجية يقترحون الاقتراع على القرار التالي:

ان نواب المجلسين المجتمعين إذ يعلنون رغبة الشعب العربي في مصر وسورية باقامة اتحاد فيدرالي بين القطرين يباركون الخطوات العملية التي اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية في سبيل تحقيق هذا الاتحاد ويدعون حكومتي مصر وسورية للدخول فورا في مباحثات مشتركة بغية استكمال اسباب تنفيذ هذا الاتحاد...

في اليوم الثاني لانعقاد الجلسة المشتركة وصدور قرار الاتحاد بين مصر وسورية سافر الوفد البرلماني المصري، حسب البرنامج الموضوع لزيارة المدن السورية، وعلى طول الطريق من دمشق الى حمص وحماة وحلب خرج عشرات الالوف من السوريين في الارياف والمدن لاستقبال رسل الوحدة.

كان الشعب مسلحا بمجموعة، كانت الفرق التي نظمتها قيادات المقاومة الشعبية تستقبل الوفد باطلاق الرصاص

والاهازيج، مما لم يسبق له مثيل، ولم تقع خلال تلك الاستقبالات حادثة واحدة سواء خطأ او عن عمد.

اراد رئيس الوفد انوار السادات ان اصطحبه في هذه الرحلة، ولكنني قلت له:

اريد ان ادعكم وحدكم مع الشعب. لقد اردت للاستقبال ان يكون خاصا باعضاء الوفد المصري، وتولت فروع حزب البعث العربي الاشتراكي تنظيم الاستقبال والاحتفاء بالوفد في كل قرية ومدينة، ولم يكن للاحزاب الاخرى وزن او وجود في هذه الاحتفالات.. وقد شعر الحزب الشيوعي وخالد العظم خلال هذه الاستقبالات بحالة من انعدام الوزن واصبحا يشعران بالخوف ويتوهمان بان الدعوة للاتحاد مع مصر ان هي الا دعوة موجهة لمسح وجودهما ونفوذهما السياسي في سورية...

كان خالد العظم قد وقت سفره الى موسكو بتاريخ 14-11-57 لذلك لم يحضر الجلسة النيابية المشتركة، ولم يصوت بالطبع على قرار الاتحاد، وكان سفره كما قيل تلبية لدعوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي للاشتراك في احتفالات الذكرى الاربعين لثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى وقد بقي في موسكو ولم يعد منها الى دمشق الا بعد انتهاء زيارة وفد مجلس النواب المصري.

ردود الفعل الاولى على اعلان قرار الاتحاد بين مصر وسورية.

تلقيت عدة مئات من البرقيات من جميع احرار العرب في مختلف الاقطار العربية يباركون فيها قرار الاتحاد الفدرالي بين القطرين الشقيقين الذي اتخذه مجلسا النواب السوري والمصري، وقد اصبح قيام هذا الاتحاد واعلان دستوره بنظر الرأي العام عاملا فعالا للنضال العربي التحرري وحافزا للجماهير الشعبية العربية للحاق بقافلة الاتحاد العربي (تليت نصوص بعض هذه البرقيات في جلسة المجلس النيابي بتاريخ 1957/11/30)

موقف الاحزاب والكتل السياسية السورية

لم يجرؤ احد من الاحزاب والكتل والشخصيات السياسية ان يعترض هذا التيار الشعبي العارم الذي فجره حزب البعث العربي الاشتراكي، اما خالد العظم فكان اكثرهم جرأة في اظهار خوفه وامتعاضه باسلوب ملتو، فقد اعلن بتاريخ 21-11-57 عن محاولاته لتأليف حزب جديد وصرح بما يلي: "اتصلت بي شخصيات عديدة نيابية وغير نيابية وبحثت معي امر تأليف حزب جديد يعمل في الحقل الوطني الى جانب الاحزاب الوطنية التحررية" كما اعلن "ان هذا الحزب اذا الف سيكون دعما للسياسة الواضحة التي اسير عليها وابذل جهدي لانجاحها نائبا ووزيرا، ولا شك لدي ان العناصر الوطنية التي تثق بي كعامل مخلص في سبيل تحقيق اهداف هذه السياسة العليا ستستمر على منح ثقتها الغالية سواء اكان عملي ضمن اطار حزبي ام لا".

كان معروفا لدى الجميع ان هذا الحزب سيضم بعض النواب وسيكون حزبا اقليميا وتابعا للحزب الشيوعي ومعاديا لحزب البعث العربي الاشتراكي، والمهم في الامر ان نذكر ان خالد العظم والحزب الشيوعي اصبحا يعارضان سرا وعلنا، قولا وفعلا، سياسة حزب البعث العربي الاشتراكي.

كان حزب الشعب في تلك الفترة شبه منحل تقريبا، فقد انسحب منه عدد من اركانه احتجاجا على سياسته، وكان رشدي الكيخيا منقطعا عن حضور جلسات المجلس النيابي ويعلن انه لن يرشح نفسه في الانتخابات القادمة، كما كان زميله ناظم القدسي يعلن انه ينوي الابتعاد عن الحياة النيابية عندما تنتهي مدة مجلس النواب.

اما بعض قيادات حزب الشعب كمعروف الدواليبي وعلي بوظو وعبد الوهاب حومد واحمد قنبر فأنها اصبحت تزاود على حزب البعث في الدعوة للاتحاد مع مصر وقد صرح معروف الدواليبي "لقد اصبحت المدة الباقية للانتخابات النيابية السورية كافية لاعلان الاتحاد واجراء انتخابات نيابية على اساسه، وكل

تفكير بالانتخابات القادمة معناه صرف النظر في هذه السنة عن تحقيق الاتحاد"

كما اتهم احمد قنبر حكومة التجمع بالمماطلة في اقامة الاتحاد مع مصر واتهمها بالتصريحات الهزيلة وقال: "ان سنتين قد انقضتا دون ان يخطو المسؤولون خطوة واحدة في طريق الاتحاد"، وكان هؤلاء يلقون عطفا وتشجيعا من نظام عبد الناصر بينما كان عبد الحميد سراج وعفيف البزرة يحملان مسؤولية هذه السياسة لمحمود رياض واركان السفارة المصرية ويتهمونهم بالرجعية.

بالاضافة الى هذه المزاودة السياسية، كان الخط الاخر لسياسة حزب الشعب هو معارضته حكومة التجمع بدون تورع عن توجيه التهم والافتراءات، ولكنه كان يخرج من جميع المعارك التي يثيرها خاسرا وفيما يلي بعض الامثلة:

عندما ناقش المجلس النيابي في الجلسة التي عقدها بتاريخ 19-12-57 تقرير لجنة الموازنة لاجراء مناقلة تتمكن وزارة الاشغال بموجبها من دفع مبلغ مليون وستمائة الف ليرة لشركة خط حديد الشام حماة وتمديداته تعويضا لاصحاب الاسهم بعد تأميمها، تصدى احمد قنبر وعلي بوظو ورشاد برمدا وعبد الوهاب حومد لمعارضة هذا المشروع، فذكرهم صبري العسلي بأنهم هم الذين وقعوا هذه الاتفاقية مع الشركة في عهد حكومة سعيد الغزي، وانهم هم المسؤولون وحدهم اذا كان فيها اي تفريط بحق الدولة، ولكن علي بوظو ادعى بأن مكتب احد المحامين في دمشق قد قبض مبلغ 300 الف ل. س لقاء عقد هذه الاتفاقية مع الشركة فطلبت منه ان يذكر اسم هذا المحامي لئلا يظل هذا الاتهام غامضا وقلت:

"ان هذا الموضوع خطير وعلى الذين يعرفونه ان يقدموا استجوابات للحكومة بهذا الشأن لان السكوت عنه جريمة، ولا يجوز لنائب يعتقد بصحة معلوماته ان يكتمها ونحن نريد ان نسمع منك ما عندك"

وما زلت به حتى وعدني ان يذكر لي الاسم على انفراد، وفي نهاية الجلسة ذكر لي اسم احد المحامين في دمشق، فطلبت منه ان يعلن حقيقة الامر نفيا لكل اشتباه فأعلن لرجال الصحافة "انه ابلغ اكرم الحوراني بوصفه رئيسا للمجلس النيابي اسم المحامي الذي قبض 300 الف ل.س من شركتي الكهرباء في دمشق وحلب لقاء حصولهما على التعويضات، وذكر ان هذا المحامي لا ينتسب لاي حزب او هيئة سياسية، وقال ان الذي دفعه لذكر ما اتصل به عن هذه القضية القديمة حرصه الا تعمد شركة الخطوط الحديدية لاتباع الاسلوب الذي اتبعته شركتا كهرباء دمشق وحلب.

بعد هذا التصريح احلت القضية الى مكتب تفتيش الدولة فنفى التحقيق صحة ادعاء علي بوظو الذي لو ثبت لحمل وزراء حزب الشعب كامل المسؤولية في هذه القضية.

وفي الجلسة المنعقدة بتاريخ 18-12-57 استغل عادل الكيخيا وهو من الشعبيين احدى البرقيات الواردة للجنة العرائض من ممثل شركة النيل بدمشق، وفيها يحتج على وزارة الاقتصاد لانها سحبت منه ترخيصا باستيراد 20 الف طن من الرز المصري، ولكن وزارة الاقتصاد ردت بأنها وزعت رخصته بين اربع وثمانين تاجرا هم مجموع تجار الرز في سورية كلها، فارتدت التهمة الى عادل الكيخيا المعروف انه تاجر، وتراجع احمد قنبر وقال انه لم يقصد اتهام احد بعينه.

□

بعد عقد الاتفاقية الاقتصادية السورية السوفيتية، وبعد اعلان قرار الاتحاد بين مصر وسورية، عقد الرئيس عبد الناصر اتفاقية اقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتي نتيجة للمباحثات التي جرت بتاريخ 57/11/19 بين الوفد المصري برئاسة المشير عبد الحكيم عامر وبين القادة السوفيت.

وقد شرح المشير في بيان القاه امام مجلس الامة ان الاتحاد السوفيتي سيقدم لمصر قرضا بمبلغ 700 مليون روبل

لتنفيذ برنامج السنوات الخمس، على ان يتم تسديد هذا المبلغ بعد خمس سنوات من بدء انتاج المشروعات على اقساط طويلة الاجل تمتد الى اثنتي عشرة سنة بفائدة 2.5 بالمائة.

وبرر عبد الناصر هذه الاتفاقية قبل عقدها لمراسل صحيفة نيوزويك الاميركية كما يلي:

"انني ابلغت السفير الاميركي انني ارغب في صداقة الولايات المتحدة ولكن النتيجة كانت سلبية، فقد كنتم تتخيلون ان نظام الحكم الحالي في مصر لن يدوم اكثر من ستة اشهر، لقد عرضنا عليكم صداقتنا فرفضتموها" **"ان مستقبل قوة الطوارىء الدولية يتوقف على سياسة مصر وهذه القوة لن تظل طويلا في الشرق الاوسط ومع انه ليست لدي خطة محددة الان ولكنني سأفكر في الامر في المستقبل القريب" "لقد طلبت سورية من الولايات المتحدة وطلبت الى غيرها من الدول تزويدها بالاسلحة وقد طلبت انا نفسي الى (سلوين لويد) وزير خارجية بريطانيا منذ عام مضى ان تقوم بريطانية بتزويد سورية بست طائرات ولكنه رفض، في حين ان اسرائيل تلقت ما تحتاج اليه من سلاح، كذلك سعت سورية الى طلب المعونة من البنك الدولي ولكنها لم تستطع الحصول على المعونة منه بشروط عادلة... ولهذا السبب عملت سورية على توقيع اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي لرفع مستوى المعيشة فيها، وانا شخصيا لن اتردد في انتهاج نفس هذا الاجراء ولن يكون في وسعي ان ابقى صامتا حتى تنتهي امريكا من تحطيم مصر"**

اما على النطاق الدولي فقد توالت تعليقات معظم الصحف على الاوضاع الجديدة في سورية:

كتبت جريدة (لورور) الفرنسية: "ان ضغط القومية العربية النامي جعل كلا من حلف بغداد ومشروع ايزنهاور لا حول لهما ولا قوة" "ان ازمة سورية تركت المسؤولين عن سياسة الغرب في الشرق الاوسط بلا سلاح وان دبلوماسية الحرب التي يتبعها الاسطول الاميركي قد انتهت الى غير نتيجة".

وقالت صحيفة لوموند الفرنسية: "ان سياسة واشنطن ولندن بدلا من ان تتغير تقع مرة اخرى في نفس الاخطاء. وقالت: "ان الغربيين الذين يشعرون

انهم دائما على حق قد تفتق بذهنهم عن مشروع ايزنهاور ظنا منهم ان الدولار الاميركي يمكنه ان يشتري كل شيء حتى الوطنية".

وقالت جريدة الديلي ميرور البريطانية: "واذا ما تحقق الاتحاد الفدرالي بين مصر وسورية فان هذين البلدين العربيين سيشكلان اقوى دولة في العالم الاسلامي".

وكتبت صحيفة التايمز اللندنية: "ان القمر الاصطناعي السوفيتي والازمة التي خلفتها الولايات المتحدة في سورية قد جعلت الحكومة الاميركية اكثر ميلا لاستماع النصح، لان الحكومة الاميركية تنظر نظرة خطرة جدا الى تحطم مبدأ ايزنهاور الذي ولد قبل اقل من عام واحد في دماغ دلس الخصبة".

المباراة الديموقراطية في انتخابات قضاء مصياف

نجحت في انتخابات عام 1954 قائمة حزب البعث العربي الاشتراكي في قضاء مصياف وكانت مؤلفة من عبد الهادي عباس (بعثي اشتراكي) وجهاد الهواش (مستقل) في وجه اقوى الزعامات العشائرية والاقطاعية، ولكن جهاد الهواش كان يفاتحنا باستمرار بعزمه على ترك النيابة والتوظف في وزارة الخارجية، وعبثا حاولنا اقناعه بالبقاء في النيابة حتى نهاية المدة المتبقية للمجلس النيابي، واخيرا عينه صلاح البيطار قائما باعمال المفوضية السورية في انقره فشغر مقعده النيابي في قضاء مصياف، وهكذا طرحت قضية المقعد النيابي الشاغر على التجمع القومي ليختار باسم التجمع مرشحا للقضاء.

كان لحزب البعث العربي الاشتراكي - وحده- ماض نضالي مرير وطويل في مقارعة الاقطاعية والعشائرية في هذا القضاء، وكان موقف جماهيره الواسعة - وكلها من الفلاحين - معتبرا لحساب الحزب وحده دون سائر الاحزاب الاخرى التي لم يكن لها وجود في هذه المنطقة. ولكن النائب رئيف الملقي الذي اصبح من حزب خالد العظم قام بجولة في القضاء بالاتفاق مع الشيوعيين وشجع خمسة لترشيح انفسهم وهم مصطفى

الخش (الحزب الوطني) محمد سليمان العلي (من اصدقاء الحزب السوري القومي) حبيب حسن (شيوعي) محمد الحامد (مستقل) عادل بركات السعود (مستقل) وكل هؤلاء المرشحين من المعارضين لحكومة التجمع.

وقد صرح الملقي بأن ثلاثة من هؤلاء المرشحين وهم مصطفى الخش ومحمد سليمان العلي وعادل بركات السعود سلموه كتاب تنازلهم عن الترشيح - كبرهان على صدق قولهم - ليفوز احد المرشحين بالتزكية للمقعد النيابي الشاغر، ولكنهم يرفضون رفضا قاطعا ان تؤيد الجبهة المرشح قحطان الهواش، وكان هذا يعني بصريح العبارة انهم مستعدون للتنازل عن ترشيح انفسهم لمصلحة مرشح الحزب الشيوعي ضد مرشح حزب البعث العربي الاشتراكي.

كان الحزب قد الف لجنة برئاسة الاستاذ عبد الكريم زهور لدراسة الوضع الانتخابي لقضاء مصياف فوضع تقريرا جاء فيه: ان الظروف تقضي بترشيح قحطان الهواش امام هذا التألب من قوى اليمين واليسار ضد الحزب وان المحامي قحطان الهواش قد وعد بالتزام سياسة الحزب وانه سيكون نصيرا مخلصا من انصاره.

وكانت اللجنة مبالغة بتقديرها لقوة خصوم الحزب، وفي اعتقادي انه كان باستطاعة الحزب ان يرشح احد اعضائه لهذا المقعد النيابي الشاغر على شرط ان اتولى بنفسي قيادة المعركة الانتخابية لكن هذا الامر اصبح غير قابل للتحقيق بعد انتخابي رئيسا للمجلس النيابي فقرر الحزب ترشيح قحطان الهواش.

بدأ الحزب الشيوعي بحملة اعلامية مركزة ضد قحطان الهواش وضد حزب البعث وقيادته:

"بدأت الترشيحات وبرز الى الوجود اسم قحطان الهواش، وبرز حزب البعث العربي الاشتراكي مؤيدا له، ترى على اساس يؤيده حزب البعث؟ ألجهاده؟ ام لتقدميته ام لعبقريته؟ الخبر اليقين عند القيادة، المهم ان هنالك مرشحا معروفا هو الاستاذ مصطفى الحسن وكان باستطاعة حزب البعث ان

يتبنى تأييده" (الصرخة 27-11-57) "كان الاهالي يتوقعون ان يسمي حزب البعث العربي الاشتراكي مرشحا من اعضائه وهو الاستاذ سليمان الخش مدرس اللغة العربية في ثانوية اللاذقية وكان النجاح مضمونا له" (الصرخة 6-12-57)

هذه نماذج من محاولات الايقاع التي مارسها الحزب الشيوعي ولكن حزب البعث لم يقابلها بكلمة واحدة، وفي نهاية هذه المعركة الانتخابية وبعد فرز الاصوات بتاريخ 21-12-57 فاز قحطان الهواش بالنيابة على جميع المرشحين باكثرية (3567) صوتا بينما نال مرشح الشيوعيين حبيب الحسن (546) صوتا وقد علق الشيوعيون بغيظ على فوز مرشح حزب البعث العربي الاشتراكي قحطان الهواش وتوعدوا بانتخابات حمص لنقابة المعلمين "وبالمناسبة علمنا ان النية متجهة (اي نية حزب البعث) الى اقامة مهرجان كبير بحمص ويقال انهم اختاروا حمص لانها البلد الاضعف بالنسبة اليهم" (الصرخة 25-12-57)

وقد امل الشيوعيون ان يستروا هذا الاخفاق الذريع بنجاح ساحق بانتخابات هيئة التعليم الابتدائي بحمص لانهم كانوا يعتبرون ان فرع الحزب الشيوعي في حمص هو اقوى فروعهم في سورية منذ القديم، وكان انتشاره ملحوظا في اوساط معلمي المدارس الابتدائية.

خاض حزب البعث هذه المعركة بقائمة مستقلة بينما خاضها الحزب الشيوعي مرتكزا على اكتاف هاني السباعي الذي اصبح من اعمدة حزب خالد العظم، وكان للسباعي وزن سياسي وعائلي وانتخابي كبير في حمص ولكن النتيجة كانت كما كتبت عنها الصحف:

"خاض البعثيون امس (اي بتاريخ 30-12-57) انتخابات هيئة التعليم الابتدائي بحمص بقائمة خاصة، وخاضها الشيوعيون بقائمة مقابلة بالتعاون مع كتلة هاني السباعي، وتم فرز الاصوات باشراف مدير التربية ومفتش التعليم الابتدائي فأعلن عن فوز

قائمة البعثيين كلها باكثرية ساحقة باستثناء مرشحة واحدة مستقلة.

كنت اعتقد ان المباراة الديموقراطية بيننا وبين الشيوعيين كفيلة بان تقنعهم بحقيقة حجمهم، وبتعبير اخر كنت اعتقد ان هذه المباراة كفيلة باقناعهم بالتسليم الطوعي بأن حزب البعث العربي الاشتراكي ما زال الحزب الاقوى كما كان قبل واثناء وبعد وضع الميثاق وقيام حكومة التجمع القومي، وبأن ضرورات معركة التحرر الوطني التي تخوضها سورية ضد الاستعمار والصهيونية وملابساتها الداخلية والعربية والدولية تقتضي تسليمهم بهذه الحقيقة.

□

اجتمعت بخالد بكداش بمكتبي في المجلس النيابي بعد عودة خالد العظم من موسكو، وقلت له بالحرف الواحد:

"ان العداء الخفي والعلني والسعي المحموم من قبلكم لتاليب خالد العظم وكل من هو على شاكلته، بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ضد حزب البعث العربي الاشتراكي يدل على انكم تطمعون بالاستيلاء على السلطة. وان هذه المغامرة ستؤدي الى ذبحكم وذبح الحركة الوطنية التقدمية وانتصار الاستعمار والرجعية.

انني كما تعلم من اوائل الذين تحملوا المسؤولية وسعو سعيا مخلصا في سبيل اشراك الحزب الشيوعي بالجبهة الوطنية، ولكنني لا اعتقد بأن المرحلة التي تمر بها الامة العربية هي مرحلة مواتية لوصولكم للسلطة كما تتوهمون وانني ارجو مخلصا ان تقنعوني برأيكم اذا كان لكم وجهة نظر اخرى.

صمت خالد بكداش، ولم يحاول ان ينفي التهمة الموجهة للحزب الشيوعي، وكان صمته دليلا انه لا سبيل للحوار والتفاهم وهذا ما دعاني للقيام بجولة الى القلمون وحمص وحماة وحلب واللاذقية للاتصال بفروع الحزب وتمتين ارتباطه بالجماهير

الشعبية، وكان الشيوعيون يلاحقون الحزب في كل تحركاته ويحاولون تشويهها ويتبدى ذلك فيما نشرته جريدة الصرخة:

"ذكرت بعض الاوساط ان دولة الاستاذ الحوراني قد تغذى يوم الاربعاء الماضي في قارة وحاول ازالة الخلاف الناشب بين الاستاذ عبد الحليم قدور وبعض اقربائه وجماعته، ثم ذهب لحلب ليحاول ازالة الخلاف الناشب في فرع الحزب نتيجة تصرفات احد الاعضاء السيئة التي تلوكها الالسنة بشكل رهيب، ويقولون بأن مساعي دولته ذهبت ادراج الرياح" "تستطيع الصرخة ان تؤكد من مصادر موثوقة في حلب ان المفاوضات التي دارت بين حزب البعث العربي الاشتراكي وحزب الطاشناق الارمني - الذي هو سوري قومي - قد تكللت بالنجاح والتعاون في الانتخابات المقبلة ولدينا تفاصيل اكبر من هذه" (1957/12/31/30)

والحقيقة ان وفودا شعبية من مختلف الفئات قد زارتني اثناء زيارتي لهذه المحافظات وخصوصا في حلب وكان بينها وفد ارمني، ولكن لم يجر اي بحث بيني وبين اي وفد حول الانتخابات القادمة، وقد روت مصادر صحفية شيوعية اخرى بصيغة الغيظ والدس فادعت:

"بأن زيارة اكرم الحوراني لحلب اسفرت عن اتفاق مع الحزب الوطني ممثلا برئيسه عبد الرحمن الكيالي وفاخر الكيالي للتعاون معا في الانتخابات النيابية القادمة، وانه يهدف الى ايجاد تكتل سياسي داخل الجبهة بين البعثيين الاشتراكيين والوطنيين" ولكنني نفيت للصحف هذا النبأ وقلت: "نحن نرغب دائما ان تكون علاقاتنا طيبة ووثيقة مع الحزب الوطني على ضوء الالتزام بالسياسة العربية التحررية ولذلك اجتمعنا الى بعض اقطاب الوطنين، اما كيفية دخول الانتخابات النيابية القادمة فلم تكن موضع بحث في اجتماعات حلب لان الموضوع سابق لاوانه الان"

تعاظمت حملات الصحف التي كان يهيمن عليها الشيوعيون والرجعيون في ان معا بمناسبة زيارتي للمحافظات فصرحت بمدينة اللاذقية بتاريخ 3-12-57 للصحف السورية بما يلي:

"ان التجارب التي مررنا بها في الماضي علمتني ان كل مؤامرة على بلادنا يسبقها هجوم مركز على البعثيين الاشتراكيين، فمنذ حوالي عشرين يوما وانا استشف بوادر مؤامرة جديدة، فلما تعاظمت مؤخرا الحملات المركزة على البعثيين الاشتراكيين ربطت ذلك بالمؤامرة المنتظرة"

ارتبك الشوعيون في الرد على هذا التصريح الذي لم اقصد به تهديدهم بل قصدت تنبيه الشعب ووضعهم امامه كمتهمين بالتآمر على الوحدة الوطنية والاتجاه التحرري الديموقراطي الذي كان يقوده حزب البعث، وكانت المرة الاولى التي نشير فيها بشكل مجانب وغامض الى حملاتهم الاعلامية ضد الحزب.

□

لم يكن وضعنا بين اوساط الشعب متينا وساحقا فحسب، بل كان وضعنا في الجيش جيدا ايضا، اذ اصبح الجيش مرآة تنعكس عليها اوضاع الشعب واتجاهاته السياسية، وهذا ما كنا نلمسه بشكل محسوس في كل مناسبة، اما في قيادة الجيش الذي كان الشيوعيون يعتمدون فيه على تأييد عفيف البزرة واستغلال التناقض بيننا وبين جماعة احمد عبد الكريم وامين النفوري، فانه لم يجر اي تصويت في المجلس العسكري الذي شكلته قيادة الجيش الا وكان تصويت الاكثرية لصالحنا ضد اقتراحات عفيف البزرة الذي كان يقصد بها دعم الشيوعيين وتكوين شيء من النفوذ لهم في الجيش، ولهذا السبب كانت الاغلبية الساحقة من المنتسبين للكلية العسكرية من شباب حزب البعث العربي الاشتراكي سابقا..

وبالرغم من وضعنا المتين في الشعب والجيش لم نفكر مطلقا باستخدام العنف ضد الشيوعيين، لاننا كنا نعتقد بأن مثل هذا العنف يؤدي الى انقلاب، والانقلاب يؤدي الى الديكتاتورية، وهي اثمن فرصة نقدمها طوعا للاستعمار والرجعية للقضاء على الحزب وعلى النظام الديموقراطي، اذ لم يكن انضباط حزبنا ولا تماسك بنيته ولا قيمه تسمح بمثل هذا الموقف، وكنا قد رفضنا مثل هذا

العرض من قبل الزعيم شوكت شقير رئيس الاركان ومن عبد الحميد السراج ثم صراحة من الرئيس عبد الناصر خلال عصيان قطنا.

ومن هنا كان ادعاء اجهزة الاعلام الناصرية فيما بعد انها انقذت سورية تارة من الافلاس الاقتصادي واخرى من الشيوعية، كما سيرد فيما بعد، اما الحقيقة فان اي انقلاب من قبل الحزب ضد الشيوعية آنذاك كان سيقابل بالتأييد والحماسة ولكننا كنا اوفياء لقيام اتحاد فدرالي مع مصر على اساس ديموقراطي شكلا وموضوعا.

□

لم يكن عبد الناصر في مصر يشعر بالحرج الذي كنا نشعر به في سورية بالعلاقة مع الاتحاد السوفيتي، لانه اقام علاقته منذ البداية مع الاتحاد السوفيتي على اساس الفصل بين موقفه من الحزب الشيوعي وبين علاقته مع السوفيت، وكان هذا الامر مسلما به من قبل الطرفين، وقائما على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية، ولذلك لم يجد عبد الناصر حرجا في اي وقت من الاوقات باضطهاد الشوعيين في الوقت الذي يقوم فيه بتوثيق علاقاته مع الاتحاد السوفيتي، بل كان يتخذ من اضطهادهم في بعض الاحيان ذريعة لارضاء الولايات المتحدة لنيل المساعدات والمعونات المالية.

اما في سورية فقد كان الامر مختلفا اذ كان النظام فيها نظاما ديموقراطيا قائما على تعدد الاحزاب، وصحيح في تلك الفترة ان الحزب الشيوعي قد اصبحت له مطامعه التي اثارها تحالفه مع خالد العظم ودعم الاتحاد السوفيتي له، ولكن حزب البعث كان قادرا على هزيمته ديموقراطيا كما اثبتت الانتخابات الفرعية، اما اذا سولت له نفسه محاولة الانقلاب بدعم من الاتحاد السوفيتي فان وضعنا في الجيش كان قادرا على سحقه.

لقد اصبحنا في هذه الفترة نخوض المعركة على جبهتين، الاولى مع الاستعمار والرجعية والثانية مع خالد العظم وانصاره من الانتهازيين والشيوعيين الذين يدعمهم الاتحاد السوفيتي.

ولا بد لي من الاشارة هنا الى ان فئة من الصناعيين السوريين كانوا يؤيدون خالد العظم في سياسته باعتبار ان الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الاشتراكية اصبحت سوقا هامة للمنتجات الصناعية السورية ولا سيما النسيجية.

ان هذا الوضع القلق والحرج قد ولد ضغطا واظهر بأن سياسة عبد الناصر الخارجية سواء بالشرق او بالغرب هي علاقات مثالية، وكان احد الاسباب التي جعلت الرأي العام يستعجل قيام الاتحاد السوري المصري.

ولهذا السبب ادعت اجهزة الاعلام الناصرية - بعد الانفصال - ان الوحدة انقذت سورية من الارتماء في احضان الشيوعية الدولية.

لم اكن مقتنعا في ذلك الوقت بأن الامر يستدعي الخوف والخشية، وكنت اعتقد ان لاجهزة الاستعمار ضلعا في حملة التهويل والتخويف كجزء من الحرب الاعلامية والنفسية التي كانت تشن ضد الديموقراطية في سورية، ولم اكن اشك بأن النصر سيكون بجانب حزب البعث العربي الاشتراكي سواء في الجيش او الشعب فيما اذا جرت الانتخابات النيابية في المجلس الجديد في موعدها المحدد.

□

الدبلوماسية الصامتة وحرب المخابرات.

نورمان توماس في مكتب حزب البعث.

بعد ان منيت سياسة الولايات المتحدة الداعية للاحلاف والمشاريع بالهزائم، خفت حدة الحرب الاعلامية والضغوط السياسية وخفت حدة التحرشات التركية على الحدود السورية، ومع ان قيادة الجيش السوري استمرت خلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول باصدار البلاغات، فان هذه البلاغات لم تعد تثير اهتمام الناس كثيرا، وكنت قد ذكرت سابقا كيف بدأت الادارة الاميركية بسياسة التهدئة والاغراء والاسترضاء خلال وجود الاستاذ صلاح البيطار في نيويورك، علها تصل الى ما عجزت عن تحقيقه بالتهديد والوعيد والاساطيل والحشود والحرب الاعلامية والسياسية والحصار الاقتصادي، كما عادت الى اللجوء الى السياسة الصامتة التي تشارك في تخطيطها وتنفيذها اجهزة المخابرات المركزية.

□

بعد عودة الاستاذ صلاح من نيويورك اتصل بي مكتب الحزب واخبرني ان السيد نورمان توماس "زعيم الاشتراكيين الاميركيين وهو في الوقت نفسه صديق العرب" يرغب بمقابلتي فلم ارفض، وانما اجريت المقابلة في مكتبي في المجلس النيابي ولاحظت من طراز الاسئلة والمناقشة ان توماس ليس صحافيا وانما هو مبعوث سياسي، ولكنني لم اكن اتأخر عن التحدث مع هؤلاء ومقابلتهم في معظم الاحيان، وفي اليوم الثاني نشرت الصحف حديثي معه كما اشارت الى الحفلة التي اقامها الاستاذ البيطار على شرفه ووصفه يومذاك:

"انه اقرب كثيرا من غيره من الاميركيين لتفهم اماني العرب القومية وانه حدثه عن تفهمه للاسباب التي تجعل العرب يتمسكون بالحياد الايجابي، وان من بين التطورات الاخيرة التي طرأت على الرأي العام الاميركي اقتناع جزء كبير بأن للعرب الحق ان يختاروا سياسة الحياد بين المعسكرين".

وفيما يلي الحديث الذي جرى بيني وبين توماس وهو يعبر عن منظور الحزب لاهم مشاكلنا وقضايانا القومية، وقد نشرته الرأي العام بتاريخ 1957/11/25 تحت عنوان:

احاديث هامة يتناقلها اكرم الحوراني مع زعيم الاشتراكيين الاميركيين.

توماس يقول: امنت بوجود القومية العربية وكفاح العرب لتحقيق تحررهم.

قال نورمان توماس زعيم الحزب الاشتراكي الاميركي للاستاذ اكرم الحوراني عندما اجتمع اليه امس في مكتب رئاسة المجلس النيابي، لقد زرت معظم البلاد العربية، وانا قانع الان ان الشعب العربي يؤمن بسياسة الحياد ويناضل في سبيل الوحدة العربية، وهو لا يريد الارتباط بالاحلاف الاجنبية كما انه متمسك بسياسة الحياد الايجابي.

وعقب الاستاذ الحوراني على ذلك بقوله: ان اهداف العرب لم تعد خطوطا رئيسية في سياسة ينتهجونها وانما ارتفعت الى مستوى العقيدة، وعقيدتهم هذه ترتكز الى: الحرية والوحدة والاشتراكية والحياد الايجابي، فآمن توماس على ذلك واضاف قائلا:

نعم، لقد لمست هذا حتى عندما كنت في العراق وهو البلد العربي الوحيد الذي قبل الانضمام الى حلف بغداد.

وسأل توماس عما اذا كان هناك مشاكل طائفية في سورية فاجابه الاستاذ الحوراني قائلا:

حاول الاستعماران التركي والفرنسي تحريك هذه القضايا فيما مضى، ولكن عهد الاستقلال حرر مجتمعنا والحمد لله من هذه المشاكل الطارئة، وان التسامح الديني وحرية المعتقد شعاران من شعارات مجتمعنا ونستطيع ان نفخر بأننا قد سبقنا في ذلك الكثير من البلدان الغربية.

وسأل توماس فيما اذا كانت الوحدة العربية تشمل الوحدة الاسلامية فأجابه الاستاذ الحوراني قائلا:

القومية لا تقوم على اساس العامل الديني فقط والدين وحده لا يشكل القومية، ولذلك فإن العرب عندما يناضلون في سبيل اقامة وحدتهم العربية يستجيبون الى دواعي قوميتهم، ولكن هذا لا يعني بحال اننا لا نريد اقامة اوثق الروابط مع الشعوب الاسلامية، ذلك اننا في الحقيقة نريد عقد اوثق التعاون والصلات مع كل بلد اسلامي، ليتعاون العرب والمسلمون في مكافحة

الاستعمار، وليستطيعوا في النهاية ان يلتفتوا الى معالجة مشاكلهم ويرفعوا مستوى حياتهم ويعيشوا متجاورين بسلام، ولاحظ الاستاذ الحوراني:

ان الاستعمار هو الذي اوجد حكومات مصطنعة في بعض الاقطار الاسلامية تعادي فكرة القومية العربية، وتقف من بعض البلدان العربية المتحررة وقفة تخدم مصالح الاستعمار.

واثير بحث مشكلة اللاجئين فقال السيد الحوراني:

انها جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين لا حل لها الا بحل المشكلة الاصلية على اسس من العدالة، ومن الطبيعي ان يعود اللاجئون العرب الى وطنهم الاصلي لان العربي لا يبيع وطنه بالمال.

وقال توماس: ان الرئيس عبد الناصر حدثه عن مشكلة تزايد السكان في مصر ولاحظ له ان بلاد الهلال الخصيب تواجه مشكلة قلة السكان وسأل الاستاذ الحوراني رأيه في ذلك فقال:

ان بلاد العرب يكمل بعضها بعضا في كل شيء وبالفعل فان مشاريع التنمية الاقتصادية في سورية ستؤدي الى حاجة سورية الى سكان اخرين ونحن نرحب ان يكونوا من اخواننا العرب المصريين، ولكن من البديهي ان ذلك كله متوقف على تنفيذ عدة مشاريع انمائية في مقدمتها مشاريع الري الكبرى على نهر الفرات وغيره، ولاحظ الاستاذ الحوراني:

ان عمليات انتقال السكان بين سورية ومصر قديمة وقد سجلتها عصور كثيرة من تاريخ البلدين الشقيقين.

□

عندما كان نورمان توماس في دمشق كان عدد من اعضاء لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الاميركي يزورون مصر باسم بعثة الدراسة الاميركية وقد اجتمعوا مع الرئيس عبد الناصر مدى ساعتين ولم يعلن ما دار من احاديث سوى قول رئيس البعثة:

"ان الرئيس عبد الناصر يرغب بتحسين علاقاته مع الولايات المتحدة"، والظاهر ان ارسال بعثة الدراسة الاميركية الى مصر كان تمهيدا للاجتماع الهام الذي عقده المستر دلس مع الدكتور

محمود فوزي في نيويورك بتاريخ 9-12-57 اذ تم فيه الاتفاق على استئناف المساعدات والقروض الاميركية الى مصر والتسليم بقيام الوحدة بين سورية ومصر، وبالفعل فقد أبدت الولايات المتحدة موافقتها على قيام الوحدة واستأنفت القروض والمساعدات لمصر.

لقد دهشت اشد الدهشة عندما علمت ان نورمن توماس قد حاضر في مكتب حزب البعث دون علمي واطلاعي، وانه استمع الى هذه المحاضرة جمهرة من مثقفي الحزب بحضور الاستاذين صلاح وميشيل، وانه لم يتصد احد من قادة الحزب ولا من المدعوين الى الحديث عما ترتكبه الادارة الاميركية بحق سورية والقضية العربية، ما عدا بعض الاعتراضات الهامشية التي اثيرت بدون اي مناقشة جدية، الامر الذي اساء الى سمعة الحزب وجعل الشيوعيين يتندرون بالحزب الاشتراكي [1] الاميركي الذي لم يسمعوا باسمه من قبل، وبزعيمه الذي اصبح فجأة محاضرا من محاضري حزب البعث وهم يبحثون دون جدوى عن اخبار هذا التيار الاميركي الصديق الذي يتفهم قضايانا

ووصف خالد العظم "الزعيم الاشتراكي نورمان توماس"

"انه شخص لا وزن له ولا لحزبه في الولايات المتحدة، ولقد ارسلوه للتغطية والخداع باعتباره نوعا اخر من المحافظين امثال دالس (الصرخة 1957/12/1) وكان توماس قد زار خالد العظم ومعروف الدواليبي وغيرهم من السياسيين.

وقد كتبت صحيفة الرأي العام (1957/11/28) ما يلي:

ازدحمت مساء امس الاول دار الزميلة البعث بالسياسيين والاساتذة والمثقفين لسماع حديث نورمان توماس الزعيم الاشتراكي الاميركي الذي حضر مع بعض رفاقه، وكان الاستاذ ميشيل عفلق حاضرا، وقد قدم المحاضر الاستاذ صلاح الدين البيطار بقوله:

(1) تأسس هذا الحزب في الولايات المتحدة عام 1898 باسم الحزب الديموقراطي الاشتراكي. ثم اصبح الحزب الاشتراكي عام 1901 وقد تزعمه نورمان توماس عام 1928 (الموسوعة العربية الميسرة ص 714)

"ان في الولايات المتحدة تيارات عديدة وهيآت لها الحرية في ان تقدر المواقف السياسية الخارجية والداخلية كما تريد وان تؤثر في الرأي العام الحزبي الذي يضم الملايين، وان قسما من هذه الجمعيات يهتم منذ اكثر من عشر سنوات بمنطقة الشرق الاوسط، وقد جرى لي اتصال مع بعض هذه الجمعيات ولا شك ان لها تفكيرا غير تفكيرنا، ونحن كعرب نريد ان نفهم وجهة نظرها، كما نريد ان تفهم وجهة نظرنا، وهذا ما حدا بنا الى سماع حديث مستر توماس وهو من الجناح الذي يدعى حرا او ديموقراطيا او اشتراكيا، وفي التعامل مع مثل هذه الجمعيات يمكننا ان نصل لتفهم اعمق لارائها وافهام ارائنا عن طريق حب الفهم والاسئلة الايجابية لا عن طريق الاستفزاز"

□

كانت تلك المحاضرة آخر ما سمعته عن هذا الشخص المدعو نورمان توماس الذي عاد الى سورية بعد سبع سنوات زائرا لي في بيتي.

كان ذلك بعد انقلاب الثامن من آذار عام 1963 عندما فرضت علي الاقامة الاجبارية، وقد عوملت مع عائلتي يومذاك بلؤم وقسوة، اذ ان جميع من في المنزل قد منعوا من مغادرته، كما منعت اي زيارة، وكدنا نبقى بدون حليب لطفلتي الصغيرة لولا جارنا العقيد المسرح سليم ابراهيم الذي امدنا به بواسطة حبل من شرفه منزله في الطابق الذي يلي شقتنا مباشرة.

في هذا الجو من الحصار ادخل المسؤولون عن اقامتي الاجبارية - من عناصر المخابرات - نورمان توماس الى منزلي

كيف ظهر نورمان توماس فجأة في سورية بعد انقلاب الثامن من آذار؟

من هي الجهة التي سمحت له بالدخول الى منزلي دون سائر الناس؟ (كان صلاح البيطار رئيسا للوزارة آنذاك)

هل كان احدى الايدي الخفية التي ساهمت في ذلك الانقلاب فعرف الشعب بعضها وبقي الاخر سرا حتى الان في ضمير التاريخ؟

اسـئلة كثيـرة تتـوارد الـى ذهنـي ولا اجـد لهـا حتـى الان الجـواب الحاسم.

دخل نورمان توماس الى منزلي مصحوبا بترجمـان دون اسـتئذان، وشرع يتكلم - والشـماتة ظـاهرة فـي حديثـه - عـن وضعي وعـن الاشتراكية وانا مذهول مـن شـدة الغضـب والغـيظ، ولـم ار وسـيلة لطـرده مـن منزلـي الا الهجـوم علـى سياسـة الولايـات المتحـدة هجوما جارحا اضطره لانهاء حديثـه بسـرعة، ولكنـه لـم ينس قبـل ذلك ان يتجول فـي منزلـي بحجـة دخـول الحمـام وان يـدخل الـى غرفة الجلوس حيث كان اولادي، وفي تقـديري ان نورمـان تومـاس هذا كـان احـد رجـال المخـابرات المركزيـة الـذين ارسـلوا مـن قبـل الولايات المتحدة لاشعاري انها هي وراء اضطهادي فتلقت الجـواب الذي تستحق.

□

لم يكن لحملة المهادنة التي قام بها الاستاذ صـلاح البيطـار مع الولايـات المتحـدة عـام 1957 مـن نتيجـة عمليـة سـوى عـودة السـفيرين الاميركـي الـى دمشـق والسـوري الـى واشـنطن لممارسة مهماتهما المعتادة، واثارة خوف الشيوعيين واستغلالهم هذا الامر بالقائهم ظلا من الشك والريبـة علـى نوايـا حـزب البعـث العربي الاشـتراكي مـن جهـة ثانيـة، كمـا زادهـم ذلـك قناعـة بـأن تحقيق الوحدة بين سورية ومصر لا يعنـي الا سـحقهم، بينمـا لـم نكن نحن نشاركهم هذا الاعتقاد.

لـم تعـد الادارة الاميركيـة تظهـر عـداءها السـافر كمـا فـي السابق للسياسة العربيـة التحرريـة التـي تنتهجهـا كـل مـن مصـر وسورية، بل تركت لاجهزتهـا مهمـات تنفيـذ سياسـتها عـن طريـق الدس والوقيعة بـدلا مـن سياسـة العـداء السـافر والتهديـد بـالقوة التي باءت بالفشل الذريع.

زار السوب المعلق الاميركي الشهير سورية في اواخر شهر تشرين ثـاني عـام 1957 واجتمـع بالاسـتاذ صـلاح البيطـار فوصـفه

بالسمكة الميتة، بينما اشاد بذكاء ودهاء عبد الحميد السراج فيما كتبه عن سورية بعد عودته منها.

اجتمعت بألسوب فدار الحديث بيني وبينه اولا بهدوء ودون انفعال حول موقف الولايات المتحدة من القضية العربية عامة ومن القضية الفلسطينية بشكل خاص، ولم يكن غرض السوب كما تبدى لي ان يستمع الى آرائي المعروفة لديه ولدى الجميع وانما كان غرضه ان يصل في نهاية حديثه الى ابلاغي بأن كيان سورية سيزول من الوجود خلال شهور، فأجبته عندئذ بانفعال:

اذا كنتم قادرين فما الذي يؤخر تركيا عن احتلال بلادنا؟ قال:

لا اعني الاحتلال التركي، فأدركت انه يعني زوال كيان سورية بالوحدة التي سنقيمها مع مصر فالححت عليه كثيرا ان يقول صراحة ماذا يعني لكنه امتنع لانه ادرك انني احاول توريطه وامساكه بمحاولة الدس والوقيعة.

1957-1958: الوحدة الاندماجية بين سورية ومصر - موقف عبد الناصر المعلن من قضية الوحدة - مواقف الاحزاب السورية - موقف خالد العظم والحزب الشيوعي - وفد عسكري يسافر الى مصر بدون علم الحكومة ورئيس الجمهورية ويقر الوحدة الاندماجية مع مصر - المقدم مصطفى حمدون يتحدث عن كيفية سفر الوفد وما دار في مصر من محادثات - حزب البعث يعد مشروعا للاتحاد الفدرالي - مذكرة الجيش الى رئيس الجمهورية ورئيس المجلس النيابي ووزير الدفاع - وزير الخارجية صلاح البيطار يعمل بمعزل عن الحزب والحكومة.

الوحدة الاندماجية بين سورية ومصر

كان رأي جمال عبد الناصر - دائما - ان الاتحاد يجب ان يتم على مراحل، وقد اعلن عن رأيه هذا بعد اعلان المجلسين المصري والسوري قرار الاتحاد بين البلدين عندما صرح لصحيفة الشعب الكويتية في شهر كانون الاول 1957:

"ان الاجراءات المتعلقة بتحقيق الاتحاد بين سورية ومصر تتخذ صورتها النهائية. وقد كان من رأيي ان ندخل الاتحاد على مراحل كالوحدة العسكرية والوحدة الثقافية وقد قطعت هذه المراحل شوطا بعيدا واتخذت شكلها الايجابي عندما ارسلت مصر قواتها العسكرية الى سورية".

وكان هذا ايضا ما يعلنه اركان السفارة المصرية واجهزتها في سورية، الذين كانوا يبدون حذرا شديدا عند بحث صيغة الاتحاد مع مصر وكانوا يقترحون اضعف صيغ الاتحاد عند بحث هذا الموضوع، ولقد كان رأيهم هذا منسجما مع آراء عبد الناصر المعلنة في جميع المناسبات، ولم يخطر على البال ابدا ان يشترط عبد

الناصر فجأة على الوفد العسكري السوري الوحدة الاندماجية كما سيمر تفصيل ذلك بعد قليل.

كانت الصورة الظاهرية خلال شهر كانون الاول وخلال العشر الاول من شهر كانون الثاني عام 1958 وحتى سفر الوفد العسكري الى القاهرة بتاريخ 12 كانون ثاني عام 1958 ان مصر برئيسها جمال عبد الناصر واركان سفارتها ورسلها في دمشق يدعون لاضعف صيغ الاتحاد، بينما كانت سورية بجميع احزابها وجميع رجالاتها وطبقاتها ومثقفيها ومفكريها تنادي بوحدة اتحادية رئاسية مع مصر، وقد ظهر ذلك بنتيجة الاستفتاءات التي طرحتها الصحافة السورية على الرأي العام انذاك وعلى رجالات مختلف الاحزاب.

"شرح الاستاذ صلاح البيطار مفهوم الاتحاد بين سورية ومصر فدعا لقيام دولة اتحادية واحدة، وهذا يعني بأن اي شكل تأسيسي لوضع هذه الدولة يجب الا يخرج عن اشكال الاتحادات الموجودة في العالم كالاتحاد السوفيتي والاتحاد اليوغوسلافي والولايات المتحدة الاميركية وبعبارة اخرى لا بد من عاصمة واحدة وحكومة مركزية واحدة وجيش واحد وغير ذلك" (الرأي العام 1957/12/13)

وقال علي بوظو باسم حزب الشعب بضرورة تأليف لجنة يتفرغ اشخاصها لوضع مشروع الاتحاد بين سورية ومصر، وحذر من ان يسبق الزمن القادة اذا لم يتجاوبوا مع ارادة شعوبهم، ويسارعوا الى تنفيذ رغباتها دون ابطاء وقال انه "يطلب باسم المعارضة اعتبار موضوع الاتحاد اهم واخطر واعظم مشروع يتحتم تنفيذه ومعالجته، وانه يقترح تجميد نشاط الاحزاب والهيئات السياسية في سورية حتى يتم تنفيذ الاتحاد مع مصر (الرأي العام 2-12-57)

وسئل عبد الوهاب حومد من حزب الشعب عما اذا كان يرى ان يكون هذا النظام الجمهوري الاتحادي رئاسيا فقال:

"لا ارى اي حرج في النظام الرئاسي، وسيان عندي اذا اصبح الشعبان شعبا واحدا له مؤسساته الموحدة ام شكل مجلس

للاتحاد وهيئة اتحادية ورئيس للاتحاد بالتناوب بين الشعبين" (الرأي العام 2-12-57)

وقال معروف الدواليبي: "ان مجرد التفكير في ان يأخذ الاتحاد مع مصر شكل اتحاد دولتين جريمة كبرى بحق الشعب" (الرأي العام 24-12-57)

كما "اقرت اللجنة المركزية للحزب الوطني في اجتماع ترأسه الدكتور عبد الرحمن كيالي قيام دولة اتحادية على ان يكون نظامها رئاسيا" (الرأي العام 24-12-57)

وهكذا كانت الدعوة للوحدة الاتحادية امرا مجمعا عليه في سورية.

اما فيما يتعلق بالحزب الشيوعي وخالد العظم فلم يبد عليهم اهتمام جدي بموضوع الاتحاد في بادىء الامر، نظرا لقناعتهم بأن عبد الناصر لن يأخذ هذا الامر بمأخذ الجد كما دلت عليه تجربة سورية السابقة عام 1955، ولكن الذي اصبح يضايقهم ويزعجهم كثيرا ان هذا التيار الوحدوي كان يمتد ويتعاظم لحساب حركة حزب البعث العربي الاشتراكي حتى اصبح خطرا يشدد الحصار عليهم دون ان يجدوا وسيلة لصده او الوقوف في وجهه.

الوحدة الاتحادية الرئاسية والمصالح الشخصية والطبقية

سيظل الاستعمار والديكتاتورية والرجعية والنعرات الاقليمية والطائفية والمصالح الشخصية عوائق كأداء تحول دون الاهتداء الى وضع الصيغة الصالحة لنظام الوحدة السياسي والاجتماعي.

لقد كان النظام الرئاسي الذي اجمعت عليه معظم الفئات السياسية في سورية عام 1958 امرا مرفوضا عندما وضع دستور عام 1950 رفضه حزب الشعب آنذاك لانه لا ينسجم مع مشروع الاتحاد الهاشمي مع العراق، **ورفضته الفئات الوطنية لان الاتجاه المطلوب كان نحو تقليص سلطات رئيس الجمهورية والسلطة التنفيذية لمصلحة السلطة التشريعية،** اما الان فقد اصبح النظام الرئاسي مقبولا لانه

ينسجم مع نظام عبد الناصر، وهو امر لم يقرره العقل على ضوء التجربة النضالية للشعب السوري، بل طرح في سوق المزايدات التي املتها الاهواء والمصالح الشخصية والطبقية:

اولا: اتخذ جميع المؤيدين لمشاريع الاتحادات البريطانية، وهم كثيرون وموزعون على مختلف الاحزاب والتكتلات والفئات من الوحدة مع مصر والاشادة بجمال عبد الناصر مطهرا لهم، وقد اصبح كل واحد منهم بعد ان بارت تجارتهم واصبحت احزابهم بحكم المنحلة، يفتش عن مكان له في النظام الجديد عن طريق الامعان بالمزاودة والتقرب من مصر ومن جمال عبد الناصر، وكانت اجهزة ناصر تشجعهم وتغريهم وتمنيهم بالوقت الذي كان فيه معظم هؤلاء يائسا من ايجاد مكان له في المجلس النيابي السوري القادم.

ثانيا: فقد الاقطاعيون في سورية سيطرتهم نهائيا على الفلاحين بعد ان منع القانون تهجيرهم، اذ لم يعد هذا القانون ولا غيره من القوانين التي هي في صالح الشعب حبرا على ورق، كما كانت في الماضي، بل اصبح تنفيذها بضمانة الشعب والدولة معا، وفيما يلي مثل على ذلك:

هجر الوجيه والسياسي احمد الرفاعي فلاحي قرى (ام ورثة التحتاني) و (ام ورثة الفوقاني) و (قيرطة) في قضاء جرابلس شمال سورية من قراهم لخلافه معهم على ملكية هذه القرى التي تعود فعلا لاملاك الدولة، فأرسلوا برقية شكوى الى المجلس النيابي فلم يجرؤ اي نائب على الدفاع عن احمد الرفاعي وهكذا اصدر وزير الزراعة حامد الخوجة قرارا بعودتهم فورا الى قراهم (ضبوط المجلس النيابي - صحيفة الرأي العام 57/12/8)

وقد اصبح في تلك الفترة اخراج قانون للاصلاح الزراعي ولحماية الفلاح موضع اهتمامي اليومي، فأصبح الاقطاعيون يرون في نظام عبد الناصر مخرجا لما هم فيه وكان معظمهم يأمل ان تعيد لهم الوحدة بعض نفوذهم وسيطرتهم السابقة على الفلاحين.

كان هذا ايضا شأن الرأسماليين والصناعيين والتجار الذين املوا ان تفتح لهم الوحدة مع مصر ابواب الربح والثراء بالوقت الذي اصبحوا فيه غير مطمئنين للمستقبل في ظل حكم البعث العربي الاشتراكي المنتظر، وكانوا يخشون منه على مصالحهم واستغلالهم.

موقف حزب البعث العربي الاشتراكي

كانت قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي القومية والقطرية عاكفة على دراسة مشروع للاتحاد الفدرالي بين سورية ومصر، وقد اعلن السيد ميشيل عفلق بتاريخ 57/2/9 ان انجاز المشروع سيستغرق اسبوعين.

وفي تلك الفترة كان الاستاذ عبد الله الريماوي مقيما مع بعض الرفاق القياديين من الاردن في دمشق منذ احداث الاردن، وكان من انصار الاتحاد الفدرالي فوضع مشروعا كان موضع دراسة قيادات الحزب ولا سيما الحقوقيين منهم.

لم تكن مشاغلي في رئاسة المجلس النيابي تمكنني من المشاركة في دراسة المشروع ولكنني كنت مطلعا عليه، ولما سئلت عن الاسس التي يجب ان يبنى عليها الاتحاد السوري المصري قلت:

"رئيس واحد للاتحاد، ونائب رئيس، ومجلس اتحادي ومجالس نيابية قطرية، ومجالس مشتركة للامور الاقتصادية والثقافية وتوحيد التمثيل الخارجي والدفاع الوطني... كما اعلنت ان خطوات واسعة قد خطوناها على هذا الطريق فسياسة سورية ومصر الخارجية اصبحت واحدة والشؤون الثقافية واحدة، والشؤون الاقتصادية تسير في طريق التوحيد، اما التفاصيل الاخرى فيمكن الاتفاق عليها." (الرأي العام 57/12/11)

وعندما عقد في القاهرة مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي في اواخر كانون الاول 1957 سلمت السيد احسان الجابري رئيس الوفد السوري لهذا المؤتمر العلم السوري ليرفعه رئيس مجلس

الامة المصري الى جانب العلم المصري كما فعلت في مجلس النواب السوري وقلت:

ان هذه الخطوة الرمزية تدل على ارادة الشعبين العربين في تنفيذ اتحادهما الذي سيخرج قريبا الى حيز الوجود (الرأي العام 24-12-57).

كما حملت السيد احسان الجابري نص الرسالة التالية:

الى السيد عبد اللطيف البغدادي رئيس مجلس الامة المصري.

يسعدني ابلاغكم ان مجلس النواب السوري في جلسته المنعقدة بتاريخ 21-12-57 قد وافق بالاجماع على الاقتراح المقدم من قبل حضرات النواب المحترمين برفع العلم المصري الى جانب العلم السوري في قاعة الاجتماعات العامة لمجلس النواب، تأكيدا للقرار المتخذ باعلان الاتحاد الفدرالي بين مصر وسورية الى ان يتم توحيد البلدين وهذا نص القرار:

يستبدل احد العلمين السوريين الموجودين على جانبي منصة الرئاسة بالعلم المصري ليرفع الى جانب العلم السوري ويقدم العلم السوري الثاني هدية من مجلس النواب السوري الى مجلس الامة المصري.. وانتهز فرصة سفر بعض النواب لحضور اجتماعات مؤتمر الشعوب الاسيوية الافريقية الذي سيعقد في القاهرة لحمل هذه الهدية الى مجلس الامة المصري سائلا العلي القدير ان يوفقنا جميعا لخدمة القومية العربية ونصرتها.

وقد وافق مجلس الامة المصري بالاجماع بتاريخ 30-12-57 على اهداء مجلس النواب السوري علما مصريا ليرفع الى جانب العلم السوري في قاعة الاجتماعات.

□

كان حزب البعث العربي الاشتراكي بقياداته وقواعده وانصاره من المثقفين والطلاب والعسكريين والعمال والفلاحين والموظفين وابناء المدن - مؤمنا بالوحدة وواثقا من قيادة جمال عبد الناصر وكان يرى فيها مع غالبية الجماهير منطلقا لاسترجاع

فلسطين، وهزيمة الاستعمار والصهيونية، مثلما كانت الوحدة مع مصر بقيادة صلاح الدين الايوبي منطلقا لهزيمة الغزاة الصليبين.

وفي هذه الفترة تعاظم نفوذ النظام الناصري في حزب البعث، واذا كنت سأتعرض لبعض التفاصيل فانما للدلالة على ذلك، فخلال شهر كانون الاول 1957 وقبل ذهاب الوفد العسكري الى القاهرة لاقرار الوحدة، دعا الاستاذ ميشيل الى اجتماع مصغر في بيت الدكتور مدحت البيطار الامين القطري للحزب في سورية حضرته مع الاستاذ صلاح البيطار، وقد برر عفلق هذا الاجتماع المصغر بضرورة الكتمان وسرية الموضوع الذي سيطرح للبحث، وقال ان السفير محمود رياض عرض عليه مساعدة مالية للحزب، وذلك دعما لجريدة البعث فحذرت الاستاذ ميشيل من قبولها لان لها تأثيرا على مواقف الحزب في المستقبل، فأجاب بأن الوضع المالي لجريدة البعث سيء، وان الضرورة تقضي بتفريغ بعض القادة للعمل الحزبي، قلت له:

ان تفرغ بعض القيادات للعمل الحزبي امر ضروري، وانه لا بد من دفع رواتب لهم، وهذا يمكننا الحصول عليه بضبط وتنمية موارد الحزب المالية، ولا سيما ان تعاظم انتشار الحزب يساعدنا على ذلك، ولكنه اجابني انه لا يفهم من كلامي سوى انني لا ارغب في بناء حزب بالمعنى الصحيح ولا باصدار جريدة على مستواه، بينما ثنى الدكتور مدحت البيطار وصلاح البيطار على رأي عفلق وكأن القضية مبتوت فيها سلفا فقلت لهم:

اذا كان لا بد من قبول المعونة فلتكن لشراء مطبعة للجريدة على ان تسدد المعونة لمصر من ارباح المطبعة، وبذلك نوفر ايضا تكاليف طباعة الجريدة، وهو اسلوب يجنبنا اي اشكال في المستقبل.

لم يشتر الاستاذ ميشيل المطبعة وانما استأجر مكتبا ثان للحزب في حي الحلبوني ودفع بعض الرواتب للمتفرغين، ثم جرى بعد شهر ونصف حل الحزب.

بعد اشهر من حل الحزب واقامة الوحدة كان بيني وبين عبد الناصر حديث وعتاب حول موقفه المعادي لحزب البعث فأجابني منفعلا:

لقد كنت دائما مناصرا لحزب البعث واكبر دليل على ذلك ما قدمته له من مساعدات مالية قبل قيام الوحدة.

اثر هذا الحديث طلبت من عبد الفتاح زلط ان يتصل بمشيل عفلق لرد المبلغ، فرد ما تبقى منه، وكان مودعا لدى عادل السعدي الذي كان ميشيل عفلق يأتمنه على مالية الحزب، وقد جرى نقاش حول هذا الموضوع خلال محادثات الوحدة الثلاثية اوائل عام 1963 (ص21 - محادثات الوحدة الثلاثية الطبعة الاولى - دار الهلال)

□

كان الضابط زغلول عبد الرحمن [1] ملحقا عسكريا في دمشق قبل مجيء محسن ابو النور وقد استلم الحزب منه وبتعليمات من كمال رفعت نحو سبعين قطعة سلاح وبعض صناديق الذخيرة والقنابل اليدوية، وذلك بعد اكتشاف المؤامرات على الوضع في سورية، وبعد اشتداد ازمة الحشود التركية والاسرائيلية على الحدود الشمالية والجنوبية اواخر عام 1957، وبعد الوحدة مباشرة طلبت اعادة هذا السلاح مع صناديق الذخيرة كاملة الى مصر وطلبت من كمال رفعت ان يرسل مندوبا عنه لاستلامها في دمشق.

ذكرت هاتين الحادثتين لان لهما دلالتهما على مدى الصلات القوية بين نظام عبد الناصر وبين الحزب قبيل اقرار الوحدة الاندماجية، وفي هذا الجو من الامال والثقة بين حزب البعث

(1) هرب زغلول عبد الرحمن من بيروت حيث كان ملحقا عسكريا لمصر الى سورية بعد الانفصال، حيث هاجم نظام عبد الناصر من الاذاعة السورية، ثم غادر سورية الى سويسرا، ويقال ان مخابرات عبد الناصر قد اختطفته من سويسرا وارسلته الى القاهرة معلبا في صندوق حيث سجن هناك... كان زغلول خلال وجوده في سورية ينصح بعض القادة الحزبيين سرا بعدم توريط سورية بالوحدة مع مصر، متحدثا عن سوء النظام في مصر وديكتاتورية عبد الناصر، ناصحا بالحرص على ديموقراطية النظام في سورية، وكان يقدر الانفراط لكل مشروع وحدوي في ظل الاوضاع السائدة في مصر.

ونظام عبد الناصر انصرفت قيادة الحزب بهدوء لدراسة مشروع الاتحاد مع مصر بصورة تراعى فيها وجهة نظر جمال عبد الناصر من جهة، وظروف البلدين من جهة اخرى فقد صرح ناطق بلسان حزب البعث:

"ان اللجنة الملكفة بوضع مشروع دستور الاتحاد الفدرالي بين سورية ومصر قد فرغت من اعداد مسودة المشروع" وقال: "ان مجلس الحزب سيدرس المسودة وسيطرحها بشكل رسمي بعد انجاز دراستها"

كان هذا موقف حزب البعث في 1958/1/12 وهو تاريخ السفر المفاجىء للوفد العسكري السوري الى القاهرة، ولم يكن الغاء الحياة الحزبية في سورية واردا حتى ذلك التاريخ.

□

وقبل ان اودع عام 1957 لا بد لي من اشارة عجلى الى الوضع العربي والدولي قبيل انصرام هذا العام، والى حدث داخلي كان سببا في تسارع احداث عام 1958على صعيد الوحدة مع مصر:

بعد منتصف شهر تشرين الثاني انحسر خطر الغزو الخارجي نهائيا نتيجة صمود سورية، كما انحسرت موجة الحرب الباردة خلال شهر كانون الاول من عام 57 واصبحت الدول العربية المرتبطة بالغرب وحلف بغداد في موقف الدفاع عن نفسها تجاه الوضع في سورية بالرغم من استمرار حوادث الحدود مع تركية التي لم يعد يؤبه لها، وبالرغم من حماسة تركية وتحريضها ضد سورية، في اول جلسات مجلس حلف الاطلسي العلنية بتاريخ 57/12/16 عندما حمل عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا حملة عنيفة على سورية واتهمها "بانها اصبحت تحت سيطرة روسيا وطالب باتخاذ اجراءات ضدها بحجة ان قبول الامر الواقع فيها سيؤدي الى تطويق تركية من جهة ووضع العراق ولبنان والسعودية وحتى ايران في موضع الخطر من جهة اخرى"

كما اشار دالس في هذه الجلسة الى ضرورة اقامة روابط وثيقة بين حلف الاطلسي والمواثيق العسكرية الاقليمية كحلف بغداد وميثاق جنوب شرق آسيا.

اما الحدث الداخلي الذي اشرت اليه والذي كان سببا في سرعة سفر الوفد العسكري المفاجىء الى القاهرة فقد جرى على الصورة التالية:

زارني عبد الحميد السراج في اواخر شهر كانون الاول من عام 1957 في مكتبي في المجلس النيابي زيارة مفاجئة، وقال بخجل واستحياء وتردد انه اتصل به من مصدر موثوق جدا اننا نعد لانقلاب عسكري، واستلام زمام الامور، وان الولايات المتحدة موافقة على الانقلاب.

فار الدم في رأسي وقلت له:

المثلي يقال له هذا الكلام يا ابو حمدو؟

كيف يمكنك ان تصدق ان اكرم الحوراني يقوم بانقلاب يحوز على رضى الولايات المتحدة؟ اما آن لك ان تكشف دسائس الشيوعيين؟ المثل هذا الحد بلغ اسفافهم؟

اخذ عبد الحميد يعتذر كالطفل المرتاع، ويقسم ان الخبر لم يصله عن طريق الشيوعيين، فقلت له:

انني ضد كل انقلاب عسكري، ولكن عند الاضطرار فاننا لا نخاف احدا ولا حاجة بنا لمرضاة الولايات المتحدة.

عاد السراج يعتذر من جديد ثم انصرف خجلا.

فكرت بعد انصرافه طويلا بالموضوع واشتبهت بأن تكون هذه الاشاعة قد وصلت اليه عن طريق الشيوعيين وعفيف البزرة، وربما كان هؤلاء يعدون انقلابا بالخفاء ويريدون تبريره سلفا امام عبد الحميد السراج الذي كانوا حريصين على كسب مودته والتقرب اليه، قلت في نفسي يومذاك: حسنا فليكونوا هم البادئون، اننا اقوياء وقادرون ولن يرتد كيدهم الا الى نحورهم.

وفي اليوم ذاته نقلت للمقدم مصطفى حمدون ما قاله عبد الحميد سراج فقال:

اننا لم نفكر مطلقا بانقلاب عسكري، وكل ما في الامر انني اجتمعت مع عدد من رفاقنا الضباط منهم امين الحافظ ونعسان زكار وبشير صادق وغيرهم وقمنا بتقدير الموقف فيما اذا حاول عفيف البزرة والشيوعيون ان يقوموا بانقلاب عسكري، فتبين لنا ان قمعه والقضاء عليه امر سهل للغاية، وقال ربما كان نعسان زكار الذي كان يعمل مع عبد الحميد السراج في المكتب الثاني - قد نقل اليه عن حسن نية نبأ هذا الاجتماع.

لا شك ان هذا النبأ قد احدث ذعرا لدى خالد العظم وعفيف البزرة وحليفيه امين النفوري واحمد عبد الكريم، لان مثل هذا الانقلاب كان في تلك الفترة امرا مقبولا ومبررا سواء في الجيش او في صفوف الشعب، ولم يكن بمقدور احد منعه او الوقوف بوجهه، فقرروا ان يوطدوا مراكزهم في الجيش والشعب بأن يأخذوا زمام المبادرة من ايدي حزب البعث العربي الاشتراكي بموضوع الوحدة مع مصر مقدرين ان عبد الناصر غير جاد بموضوع تحقيق الوحدة.

وبينما ظل الحزب الشيوعي متجاهلا موضوع الوحدة مع مصر الى ما بعد سفر الوفد العسكري الى القاهرة بتاريخ 58/1/12، شرع خالد العظم وعفيف البزرة وحلفاؤه من العسكريين يزاودون ويطالبون بوحدة اندماجية مع مصر باعتبار ان حزب البعث كان يطالب بالاتحاد الفدرالي، ومن المفارقات ان بعض الصحف السورية واللبنانية نشرت في العشر الاول من عام 1958 تصريحين احدهما لي دعوت فيه للاتحاد الفدرالي مع مصر وتصريح آخر لخالد العظم اصر فيه على الوحدة الاندماجية، وكان معروفا لدى الجميع ان خالد العظم كان يهدف من وراء غلوه ومطالبته بالوحدة الاندماجية اجهاض امكانية قيام اتحاد فدرالي مقدرا ان عبد الناصر سوف يرفض الوحدة الاندماجية.

ومما زاد في موقف عبد الناصر وجعله يتمادى في هذه المناورة ان وفدا عسكريا مصريا كان في سورية آنذاك لبحث امر اتحاد الجيشين فاقتصر بحثه على توحيد المصطلحات العسكرية وغيرها من الشؤون الجانبية، دون ان يتعرض لاسس الاتحاد بين الجيشين، فأخذ خالد العظم وعفيف البزرة يشهرون بالمصريين وبأنهم غير جادين في الموضوع وانهم يراوغون ويتهربون، فأصروا على الوفد المصري ان يبحث في وحدة الجيشين ولكن جواب الوفد ان هذا الامر يقتضي بحثه زمنا طويلا ومراحل لا بد من اجتيازها. ويقول خالد العظم في مذكراته:

"زارني محمود رياض فسألته عن رأيه في موضوع الاتحاد فقال ان الامر يحتاج الى وقت ودراسة، ففي الناحية العسكرية لا يمكن توحيد الجيشين بل يعمد الى زيادة الروابط، اما من الناحية الاقتصادية فالامور والمشاكل صعبة الحل الا تدريجيا وفي وقت طويل، ولم المس عند السفير اي بادرة تدل على انه ينظر للوحدة كأمر مبتوت فيه او كأمر يمكن تحقيقه على الاقل في الوقت الحاضر" ثم يقول:

"كان في دمشق في ذلك الوقت ضابط اظن اسمه اللواء عامر موفد من قبل وزارة الحربية المصرية فاجتمع مع ضباط الاركان اجتماعات عديدة، ثم جاءوا جميعهم - حسب العادة - وهو معهم الى مكتبي في وزارة الدفاع واطلعوني على محاضر اجتماعاتهم وما وصلوا اليه من نتائج، فقرأتها فاذا هي مشروع اتفاق يقترح اضافته الى الاتفاقية العسكرية التي اقرها مجلس النواب، وينص هذا الاتفاق على اضافة القطعات البحرية السورية وبعض وحدات الطيران الى القيادة المشتركة التي يتولاها الفريق عامر وزير الحربية المصرية، فقلت ان سورية ترغب في ان يكون ثمة جيش واحد، وهي لا تعتبر هذا المشروع خطوة كبيرة في هذا السبيل، فبدأ اللواء المصري يبدي ملاحظاته، وخلاصتها انهم بحاجة الى وقت غير قصير لتحضير الانظمة الموحدة وتهيئة الوسائل اللازمة لدمج الجيشين، حتى ان اسماء الرتب العسكرية نفسها ليست متشابهة في كل من القطرين، ثم شرح ما يجب مراعاته من الظروف والحالات التي لا تمكن قادة الجيشين من توحيد قواتهما ودمج وزارتي الحربية والدفاع في وزارة واحدة" (ص 122 الجزء الثالث الطبعة الاولى)

سفر الوفد العسكري المفاجىء الى القاهرة

فـي ليـل الثـاني عشــر مـن كـانون الثـاني 1958 زارنـي مصطفى حمدون وابلغني نبأ اعتزام مجلس القيادة برئاسة عفيف البزرة السفر الى القاهرة ليضغطوا على الرئيس عبد الناصر لاقرار الاتحاد مع سـورية، وقص علينـا مصـطفى حمـدون مـا جـرى فـي مجلـس القيـادة العسـكرية مـن مناقشـات، وكـان الاسـتاذ صـلاح البيطار موجودا في منزلي فأبدى ارتياحه وسروره بهذا النبأ، وأصر على مصطفى حمدون ان يطالبوا بوحدة اندماجية مع مصر فكتمت غيظي وتشاؤمي من ذهاب مجلس القيادة العسكري بمعزل عـن رأي الحزب والحكومة، ولكن لم يعـد بمقـدورنا الحيلولـة دون سـفر الوفد.

كما انني لم أشأ ان ادخل مع صلاح البيطار في نقاش حول هذا الموضوع لان المشروع الذي وضعته لجنة البعث الحزبيـة كـان قائما علـى اسـس فدراليـة مـع مصـر، ولان مجلـس قيـادة الحـزب وقيادته القومية والقطريـة سـتبت فـي هـذا المشـروع بعـد يـوم او يومين على الاكثر وقلت في نفسي:

خير لنا ان تبقى خلافاتنا حول هذا الموضوع ضـمن قيـادات الحـزب التي لها الحق في التقرير.

ومن جهة ثانية قدرت ان ذهاب هذا الوفـد سـيفضـح الاعيـب عفيف البزرة القائمة على المزاودة على رفاقنا الضباط لعزلهم فـي الجيش والشعب واظهارهم بأنهم غيـر متحمسـين لقيـام الوحـدة، ولانني كنت مقتنعا بأن عبد الناصر لـن يقبـل بالوحـدة الاندماجيـة، وهو المتردد في قيام اتحاد فدرالي بين البلدين.

وسأترك الان للمقدم مصطفى حمدون ان يروي ما جرى مع الوفد العسكري في القاهرة ثم اعـود الـى الحـديث عـن التطـورات الهامة فـي سـورية التـي كانـت انعكاسـا لسـفر الوفـد العسـكري المفاجىء الى القاهرة:

يقول مصطفى حمدون

تألف مجلس القيادة في اواخر عـام 1956 وكـان علـى رأس الدافعين الى تأليفه بشكل سري عفيف البزرة حيـث كـان يشـغل

آنذاك منصب رئيس الشعبة الاولى في الاركان العامة لاغراض واهداف بدأت تتضح شيئا فشيئا فيما بعد، وكان اعضاء هذا المجلس هم:

عفيف البزرة، امين النفوري، احمد عبد الكريم، مصطفى حمدون، امين الحافظ، عبد الغني قنوت، طعمة العودة الله، احمد حنيدي، حسين حدة، ياسين الفرجاني، بشير صادق، محمد النسر، مصطفى رام حمداني.

كانت جلسات مجلس القيادة تعقد في البداية بشكل سري في منازل اعضائه الى حين اقالة توفيق نظام الدين وتولي عفيف البزرة رئاسة اركان الجيش بدلا عنه، فأصبحت الجلسات علنية في مبنى رئاسة الاركان وكان عبد المحسن ابو النور (الملحق العسكري في السفارة المصرية في دمشق) يعتبر من بين اعضائه ايضا، لانه قلما انعقدت جلسة من الجلسات ولا يكون حاضرا فيها.

ومن الواضح ايضا ان مصر كانت تسعى للوحدة مع سورية بعد حرب السويس ولكن بشكل غير علني وبستراتيجية النفس الطويل مركزة على الجيش، عاملة على احتوائه ليكون قادرا على تحقيق الوحدة بالشكل الذي يتصوره الرئيس جمال عبد الناصر، نظرا لاختلاف النظامين السياسيين بين البلدين، وقد يكون السراج وحسين حدة وعبد الله جسومة وطعمة العودة الله ومحمد النسر واكرم الديري من الضباط الذين حرص عبد المحسن ابو النور على اقامة علاقة خاصة بهم، حيث كان استعجالهم لاقامة الوحدة العسكرية بين الجيشين ملفتا للنظر.

وحدة الجيشين

في اواخر عام 1957 اصبح موضوع الوحدة بين مصر وسورية حديث الشارع والرأي العام والصحافة، وكان ايضا من الامور اليومية التي تبحث في مجلس القيادة، ولكن من المفيد ان اشير هنا الى ان ايا من اعضائه لم يطرح مشروعا للوحدة بين البلدين ولا

بين الجيشين، وقد انفجر التفكير الى اقامة الوحدة فجأة على الشكل التالي:

في مطلع شهر كانون الثاني عام 1958 طلب مني رئيس الاركان العامة السيد عفيف البزرة الالتحاق الى مكتب السيد خالد العظم، وكان وقتئذ وزيرا للدفاع، فوجدت في مكتبه بوزارة الدفاع اضافة الى السيد عفيف البزرة كلا من عبد الحميد السراج واحمد عبد الكريم وامين النفوري، وكان خالد العظم يتحدث بانفعال ظاهر عن اسفه لموقف مصر من وحدة الجيشين، وكان العظم يعلق على النتائج التي نقلها له عفيف البزرة عن المباحثات التي دارت بين ضباط اركان الجيش والاميرالاي حافظ اسماعيل موفد الرئيس عبد الناصر، وكيف ان حافظ اسماعيل رفض الدخول بتفاصيل توحيد الجيشين واقرار ميزانية خاصة بالجيش الموحد الجديد، وانه ليس مخولا الا بتوحيد بعض المصطلحات العسكرية وتوحيد الرتب وبعض المظاهر العسكرية الخاصة، وخرج خالد العظم باستنتاج ان المصريين لا يريدون الوحدة وانهم يماطلون بذلك وانفض الاجتماع دون اتخاذ اي قرار حول تحقيق وحدة الجيشين.

الاجتماع الحاسم

بعد هذا الاجتماع الذي اشرت اليه آنفا طلب عفيف البزرة عقد جلسة طارئة لمجلس القيادة في مساء اليوم نفسه، وبالفعل فقد عقد الاجتماع بمكتبه في الاركان العامة، وحضره كافة اعضاء مجلس القيادة ما عدا عبد المحسن ابو النور، وكرر عفيف البزرة الاقوال التي رددها خالد العظم واطلع المجلس على نتائج المفاوضات مع حافظ اسماعيل، وكان يشوب حديثه الهزء بموقف مصر وعدم جديتها في اقامة اي نوع من انواع الاتحاد، سواء بين الجيشين او بين البلدين، وهنا انبرى القوميون جدا: حسين حدة، والنسر، وجسومة، والفرجاني، والديري الخ... وطلبوا استدعاء عبد المحسن ابو النور من بيته لتبليغه عزم اعضاء مجلس القيادة على السفر في الحال لاقناع عبد الناصر باقامة الوحدة الفورية بين البلدين.

حضر عبد المحسن ابو النور الى الاجتماع وكانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة ليلا فأخبر بالقرار، وقد حاول ابو النور ارجاء السفر الى اليوم التالي بحجة ابلاغ المسؤولين في مصر واخذ الترتيبات لاستقبالنا، غير انه وافق بعد قليل على القرار.

بعد هذا تم الاتصال بالمطار العسكري، وحجزت طائرة خاصة لتقلع بنا الى مصر في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

ثم جرى استعراض اسماء الذين سيسافرون فأقر المجلس سفر الضباط:

عفيف البزرة امين الحافظ

مصطفى حمدون احمد حنيدي

عبد الغني قنوت ط عمة العودة الله

اكرم الديري ..... الحاج ابراهيم

حسين حدة ياسين فرجاني

جمال الصوفي

بشير صادق

محمد النسر

طلب عفيف من الوفد المسافر البقاء في الاركان العامة حفاظا على سرية الرحلة، وعدم الاتصال حتى بأسرنا، الا انه وافق تحت الحاح الضباط على اعطاء مهلة ساعة واحدة لتدارك امتعة السفر، فأتيح لي في هذه الساعة ان اتوجه الى دار الاستاذ اكرم الحوراني فوجدت عنده الاستاذ صلاح البيطار فأطلعتهم على الامر، وقد حذرني الاستاذان من الاعيب عفيف البزرة المحتملة وخشيتهم من مناوراته من اجل تفشيل الوحدة، واذكر ايضا الحاح الاستاذ صلاح على ضرورة اقامة الوحدة وليس الاتحاد الفدرالي.

مذكرة مجلس القيادة الى الحكومة السورية

وفاتني ان اذكر ان مجلس القيادة بعد اتخاذه القرار بالسفر الى مصر اتفق على مسودة مذكرة سلمت الى السيد امين النفوري ليسلمها بدوره الى رئيس الجمهورية واركان النظام يعلمهم بها بسفر اعضاء مجلس القيادة الى مصر، وليذكر الحكومة بالعهد الذي قطعته على نفسها بالعمل لتحقيق الوحدة بين البلدين، وفيها تحذير واضح بالنتائج التي قد تترتب على الحكومة في حالة تقاعسها او تجاهلها لهذه المذكرة.

توجهنا فور وصولنا الى مطار القاهرة نحو قصر الطاهرة الذي اعد لاقامتنا، فكان اول زائر لنا المشير عبد الحكيم عامر حيث عقدنا اول جلسة حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا.

تحدث عفيف عن المفاوضات مع حافظ اسماعيل وعن النتائج غير السارة التي وصلت اليها، وعن قرار ضباط مجلس القيادة بالتوجه الى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر لبت الامر معه، وقد ادلى كل من الحاضرين بدلوه مؤكدين ضرورة اقامة الوحدة الفورية وانها مطلب سورية الشعبي والعسكري.

تظاهر المشير عبد الحكيم عامر بعدم الاكتراث او على الاقل بعدم التلهف للوحدة، وقال انه شخصيا يفضل تحقيق الوحدة بالتدريج مبتدئين بالقضايا الاقتصادية والعلاقات الخارجية، ومن ثم بشؤون الدفاع، واشار الى ردود فعل المعسكرين الاشتراكي والغربي، وجعل ردود فعلهما متساوية، وقال ان المعسكرين يخشيان وحدة مصر وسورية واشار الى الفروق القائمة بين المجتمعين وبين النظامين السوري والمصري.

امضى المشير معنا قرابة الساعتين واعتذر عن عدم تمكن الرئيس جمال عبد الناصر من الاجتماع بنا قريبا بسبب انشغاله بترتيبات زيارة الرئيس سوكارنو لمصر.

الاجتماع مع الرئيس عبد الناصر

وفي اليوم الثالث او الرابع من وصولنا الى القاهرة ابلغنا بأننا سنجتمع مع الرئيس عبد الناصر في بيته بمنشية البكري

في الساعة الخامسة مساء، وحضر هذا الاجتماع كافة اعضاء الوفد وكان المشير عامر فقط من الجانب المصري مع الرئيس عبد الناصر.

رحب بنا الرئيس ترحيبا طيبا وتعرف علينا واحدا واحدا وعلق بعد التعارف بأنه لم يسبق له ان اجتمع مع اي من اعضاء الوفد، عدا المقدم مصطفى حمدون (حيث كنت في اواخر عام 1954 ومطلع عام 1955 في القاهرة، وكنت قد نقلت تفاصيل هاتين المقابلتين في السابق الى الاستاذ اكرم الحوراني وبعض المسؤولين في الحزب آنذاك)

ابلغنا عبد الناصر بأن المشير عامر نقل اليه الحديث الذي دار بيننا، واعاد تقريبا نفس تعليق المشير عبد الحكيم عامر على مطلبنا بتحقيق الوحدة الفورية وتخوفه من ردود الفعل الخارجية كما اوضح باسهاب ما يلي:

1- ان في سورية احزابا وهذا غير موجود في مصر.
2- ان الجيش السوري مسيس وان هناك عدة تنظيمات فيه لعدة احزاب.
3- انه غير مطلع كفاية على شؤون سورية واحوالها ومجتمعها وشخصياتها السياسية، ثم عاد وركز حديثه على الاحزاب والحزبية ثم وجه الكلام الي مباشرة:

هل تعتقد ان حزب البعث العربي الاشتراكي يرضى بحل نفسه؟؟ ادركت المغزى من توجيه السؤال الي بالذات، فأجبته على الفور: ليس من حقي الاجابة على هذا السؤال لانني عسكري، ويمكن لسيادتك ان تبحث هذا الموضوع مع زعماء الحزب، خاصة وان السيد صلاح البيطار سيأتي الى القاهرة كما علمت.

التزم عفيف البزرة في اقواله جانب الهدوء بشكل ظاهر، ولم يتعد حديثه جانب المجاملة للرئيس المصري ومن اعجاب الضباط السوريين بشخصه، غير ان التأكيد على ضرورة اقامة

الوحدة الفورية كان جماع ما تحدث به بقية اعضاء الوفد كما ردوا على تحفظات الرئيس المصري بوجود الحزبية والاحزاب في سورية بأنها جميعها لا تشكل عائقا امام تحقيق الوحدة، وقالوا اننا نضع انفسنا تحت تصرفك يا سيادة الرئيس ولك ان تتصرف بنا كما تشاء وان بامكانك ان تجري كل التنقلات التي ترتيئها في صفوفنا من فيق الى اسوان (امين الحافظ) وان الاستعمار اقام جدارا بيننا وقد جئنا لنهدم هذا الجدار.

لم يطل النقاش كثيرا اذ ان الرئيس عبد الناصر فاجأنا بموافقته على تحقيق الوحدة بين البلدين واكد على ضرورة الوحدة بالذات وليس الاتحاد او الاتحاد الفدرالي.

لم يكن بين الضباط السوريين من يميز بوعي الفروق الواضحة بين الوحدة والاتحاد الفدرالي او الكونفدرالي، وقد يكون عفيف البزرة الوحيد الذي كان يعي ذلك.

شاع السرور والفرح بين الجميع، وابلغنا الرئيس عبد الناصر بسرور انه في هذه الليلة بالذات سيكمل الاربعين من العمر، وانه لا يدري كيف يفسر هذا التطابق او هذه الصدفة مع القرار باقامة الوحدة بين البلدين.

ترى هل كان يعني تحقيق الرسالة التي نهض بها النبي محمد عند بلوغه سن الاربعين؟ لا ادري، ولكننا هكذا فسرنا ما يعنيه الرئيس عبد الناصر الذي طلب منا كعهد ان نقرأ جميعا الفاتحة وبعدها خرجنا معه الى سلم داره حيث اخذت لنا الصور التذكارية وكان كل ضابط يتناوب الوقوف الى جانبه.

عدنا مرة اخرى للاجتماع فاقترح علينا الرئيس عبد الناصر تشكيل لجنتين عن الجانبين المصري والسوري تتولى وضع الاسس والمبادىء الاولية للوحدة والتفاصيل والقرارات التي يجب ان تتخذ لاعلان الوحدة واقامتها بشكل رسمي، فكان عن الجانب السوري:

عفيف البزرة

بشير صادق

مصطفى حمدون

اكرم الديري

حسين حدة

عبد الغني قنوت

وعن الجانب المصري:

المشير عامر

عبد اللطيف البغدادي

خالد محيي الدين

انور السادات

الخلاف منذ الاجتماع الاول

دب الخلاف بين اللجنتين منذ اول اجتماع حين بدأ عفيف البزرة يعرض مفهومه للوحدة مستعرضا اشكالها التي قامت في سويسرا ويوغسلافيا والاتحاد السوفيتي.

كان واضحا ان عفيف البزرة قد وقع في الفخ الذي نصبه جمال عبد الناصر، فأراد ان ينقذ ما يمكن انقاذه عن طريق طرح اشكال الاتحادات التي مارستها الشعوب الاخرى.

وسيطر جو من الكآبة على الجلسة فاستأذن الجانب المصري بالاتصال مع الرئيس عبد الناصر ليأخذوا رأيه بما اعتبروه جديدا، وبعد قليل ابلغونا بأن الوحدة التامة اقرت مع الرئيس اول البارحة وهذا موقف جديد، ثم توجهوا الى عفيف البزرة قائلين:

ان كنت تريد الاتحاد فهذا موفوض من قبلنا، كما انه لا يجوز لك ان تنفرد بطرح اقتراح الاتحاد، بعد ان اجمع الضباط على الوحدة، وما عليك ان كنت تصر على ذلك الا ان تعود فتجمع كافة اعضاء الوفد من مجلس القيادة لاقرار ذلك، والجدير بالذكر ان معظم الضباط الذين شاركوا بالاجتماع الاول مع الرئيس عبد الناصر

كانوا قد عادوا الى دمشق ولم يبق الا اعضاء اللجنة بالاضافة الى السراج الذي عاد للقاهرة مرة اخرى.

كان لتراجع عفيف البزرة اثر سيء بين اعضاء الجانبين المصري والسوري وعلقت اجتماعات اللجنتين وعاش عفيف البزرة الاربعة ايام التالية في القاهرة في عزلة وشبه مقاطعة من الضباط السوريين.

العودة الى سورية ومحاولات عفيف البزرة

عاد عفيف البزرة الى دمشق ولم يضع الوقت سدى على ما يبدو، فقد اتصل بي النقيب توفيق مخلوف وهو من ضباط الاشارة وأبلغني ان عفيف البزرة استدعاه الى بيته وجس نبضه ليعلم مدى استعداده للمشاركة في حركة عسكرية يطيح بها بالنظام القائم مؤكدا له نجاح هذه العملية، لان عددا كبيرا من العسكريين يشارك بها، ومن بينهم عدد من الضباط الفلسطينين اليساريين، واكد لي بأنه شاهد بأم عينه في بيت عفيف البزرة عددا من ضباط الصف والعرفاء اثناء الحديث، كما اكد لي بأنه نقل هذا الحديث الى عبد الحميد سراج.

اجتمعت في صباح اليوم التالي مع عبد الحميد السراج واستفسرت منه عن الاجراءات التي يمكن ان نقوم بها لافشال هذا المخطط فلم الحظ منه اهتماما كبيرا بهذا الامر، ووعدني بأنه سيتأكد من حقيقة الخبر الذي نقله اليه توفيق مخلوف.

غير ان الامور جرت في اليوم نفسه على شكل لم استطع له تفسيرا ذلك ان عفيف البزرة استدعاني الى مكتبه في الساعة الثانية عشرة وبعد قليل وصل السراج وهو يحمل بيده بعض الملفات، وقبل ان يدعوه عفيف البزرة للجلوس بادره بالسؤال عن نتيجة التحقيق مع توفيق مخلوف، فرد السراج بصوت هادىء:

بسيطة سيدي، هذا رجل غير متزن ولا يستحق الخبر هذا الاهتمام فانفعل عفيف البزرة واجابه بعصبية ملحوظة:

انـك لا تهـتم بـأكثر الامـور التـي اكلفـك بهـا، وليسـت هـذه القضية الوحيدة التي تحاول التهرب من التحقيق فيها، عندئذ رمى السراج الاوراق التي كان يحملها، وبعنف شديد على طاولة رئيس الاركان حتى سقطت على صدره وركبتيه وهو يردد كلمات غير مفهومه.

حدث كل هذا امامي، وكنت تجاه هذا الموقف الحرج انظر تارة الى عفيف وتارة الى السراج... واخذ عفيف يردد:

بسيطة يا ابني بسيطة، انت ولد، الله يسامحك، بينما كانت يداه تلعبان بعصبية بمسبحة سوداء.

طفق السراج يعتذر عن فعلته ويبكي قائلا:

افعل بي ما تريد، واضاف انه على استعداد لتقديم استقالته، وانه على استعداد لتنفيذ اي عقاب يقرر بحقه، وكان عفيف ما يزال يردد: بسيطة يا ابني بسيطة، ما زلت ولدا بسيطة.

في هذا الجو المكفهر دخل امين النفوري فرحب به عفيف كأن شيئا لم يكن، وغير مكان جلسته الى زاوية اخرى من المكتب، وعدت الى غرفتي وانا لا اكاد اصدق ما رأيت.

بعد اجتماعي برفاقي الضباط ومناقشتنا لهذه الحادثة خرجنا جميع بالنتيجة التالية:

ان حديث توفيق مخلوف صحيح وان عفيف البزرة لما علم بافشاء السر وابلاغه الينا والى السراج وخشيته من الفضيحة كلف السراج بالتحقيق لابعاد الشبهة عن نفسه، ولأنه يعلم ان السراج اضعف من ان يصل بالتحقيق الى اتهامه، ومن جهة اخرى فان مصر لم تشأ ان تثير ضجة حول مؤامرة عفيف البزرة من الوحدة لانها تضعف بذلك موقف الرئيس عبد الناصر، وتقوي مراكز البعثيين، ولانها لم تشأ استثارة الاتحاد السوفيتي في ذلك الظرف بالذات، ولكن عبد الناصر اسرها في نفسه وانتقم من عفيف البزرة والضباط الفلسطينين اليساريين بعد قيام الوحدة بأسابيع (انتهى حديث مصطفى حمدون)

العقيد امين النفوري يقدم مذكرة باسم الجيش الى رئاسة الجمهورية ورئاسة المجلس النيابي

في صبيحة اليوم الثاني من سفر الوفد العسكري للقاهرة اي بتاريخ 1958/1/13 زارني في مكتبي في المجلس النيابي الزعيم امين النفوري وبابتسامة غامضة (وقلما يبتسم) سلمني بدون اي مقدمة المذكرة التالية: وقد علمت ان نسخا من هذه المذكرة قد سلمت الى رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء صبري العسلي وخالد العظم وزير الدفاع.

مذكرة القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة بشأن الوحدة مع مصر الاسباب الموجبة

منذ ان عرف التاريخ شعبا باسم "العرب" في "الجزيرة العربية" كان "للعرب" في التاريخ القديم خصائص طبعت مختلف الدول التي تكلمت العربية بطابع واحد هو طابع النضال والتحرر والاستقلال عن نفوذ الامبراطوريات القديمة.

وكانت الدفعة التي خرجت من الجزيرة بعد توحدها بدولة واحدة وعقيدة انسانية واحدة والتي امتدت خلال قرون طويلة عبر الجزيرة العربية واستقرت ما بين الخليج العربي وجبال فارس شرقا والاطلسي غربا وما بين طوروس شمالا والمحيط الهندي جنوبا قد رسخت اصول هذه الامة ترسيخا ابديا وخطت في تاريخ البشرية صحائف بارزة عن حضارة انسانية ابدعتها هذه الامة وقدمتها دانية القطوف لمختلف الشعوب.

وتعاقبت موجات همجية متعددة وتكالبت لتحطيم هذه الحضارة الانسانية وازالة كيانها خلال عشرة قرون، وكان بفعل ذلك ان تمزقت هذه الامة الى دويلات كثيرة مختلفة ولكن بقيت حضارتها في نفس كل فرد من ابنائها على اختلاف سويتهم الفكرية والاجتماعية وبقيت في وجدان كل منهم فكرة ثابتة لا تمحى عن ذاتيتها الماضية وامانيها المقبلة.

وقد كان للنضال والتحرر في تاريخ العرب الحديث اثر فعال في تحقيق هذه الفكرة في نفوس الملايين من العرب. وكان استقلال وتحرر بعض الشعوب العربية تحررا كاملا حافزا لانتفاضات عربية في اماكن اخرى من الوطن العربي وباعثا على النضال لشعوب اخرى تنشد الاستقلال والتحرر تحقيقا لتلك الفكرة المستقرة في وجدان كل عربي.

مما سبق تبين ان الوحدة بين مصر وسورية ان هي الا ضرورة قومية مستمدة من ماضي وحاضر ومستقبل يشترك ما بين افراد امة واحدة وارض واحدة وحضارة عربية تحقيقا لوحدة شاملة واحدة في العصر الحديث ومساهمة في القضاء على الاستعمار في العالم لبناء الانسانية وترسيخا لرسالتها. وقد عبرا عن ارادتهما في الوحدة الكاملة في شتى المناسبات القومية وخاضا في سبيل ذلك معارك ضارية ضد الرجعية الداخلية والاستعمار الخارجي حتى توصلا الى هذه المرحلة التي تمكنا فيها من اعلان ارادتهما رسميا على لسان ممثليهما في كلا القطرين في الجلسة التاريخية المنعقدة في دمشق (18 تشرين الثاني (نوفمبر) 1957).

وكان هذا النصر للقومية العربية بعد صراع رهيب دام مع الاستعمار خاضه الشعب العربي اثناء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 وخلال الحملة الاستعمارية الاميركية التركية الصهيونية على سورية عام 1957.

وقد زلزل هذا القرار التاريخي كيان الاستعمار فأخذ يجمع شمله في مؤتمرات متتابعة عقدها مع احلافه في انقرة وباريس وبغداد وطهران ويجند عملاءه واعوانه ويكتلهم ويضع الخطط لهم للحيلولة دون تنفيذ هذا القرار.

ولما كانت الظروف الحالية التي نشأت من جراء انتصار شعبنا العربي في مصر وسورية قد ربطت بين قضيتنا العربية وبين السلم العالمي الى حد بعيد وافسحت المجال لنا لكي نخطو خطوات ايجابية سريعة تتناسب واهمية انتصاراتنا، ونظرا لاحتمال تغيير هذه الظروف والمناسبات وخاصة اذا تمكن الاستعمار من انهاء استعدادته للمجازفة بخوض حرب شاملة او محلية بسبب تعرض مصالحه التي يعتمد عليها في حياته الاساسية في وطننا العربي الى الزوال، فاننا ندعو الى ضرورة الاسراع باقرار البناء الاساسي للوحدة الشاملة مع مصر والمباشرة بتنفيذه فورا وتخطي جميع العقبات المصطنعة من دستورية او سياسية او اقتصادية، ونحن نعتبر ان كل استمرار للاوضاع

المحلية اصبح امرا غير طبيعي لا يعتمد في بقائه الا على المبررات الاستعمارية الموروثة والامتيازات الرجعية والانتهازية التي التي لا يمكن الاعتراف بها بعد ان اقر الشعب باجمعه الوحدة غير المنقوصة.

شكل الوحدة

من اجل ذلك نرى ان تكون الدولة الموحدة بالخطوط الكبرى التالية:

1- دستور واحد يعلن انشاء الجمهورية العربية الجديدة ويرسم نظام الحكم فيها ويفسح المجال لانضمام بقية الشعوب العربية التي ستتحرر.

2- رئيس دولة واحد.

3- سلطة تشريعية واحدة.

4- سلطة تنفيذية واحدة.

5- سلطة قضائية واحدة.

6- علم واحد وعاصمة واحدة للدولة العربية.

7- تسن القوانين المنظمة لحقوق المواطنين وواجباتهم في الدولة الجديدة استنادا الى هذا الدستور الواحد.

الوحدة الدفاعية

اما فيما يتعلق بالوحدة العسكرية فنرى ان تقوم على الاسس التالية:
- قائد اعلى للقوات المسلحة للدولة العربية الجديدة (رئيس الجمهورية الاتحادية).
- مجلس دفاع اعلى.
- قيادة عامة للقوات المسلحة
- قوات مسلحة (برية - بحرية - جوية) موحدة التنظيم والتسليح والتدريب والتجهيز توزع حسب متطلبات الدفاع والخطط الدفاعية المقررة على مسارح العمليات في اراضي الدولة الاتحادية.
- موازنة واحدة.

والقيادة العامة للجيش والقوى المسلحة شعورا منها بمسؤوليتها القومية ودورنا التاريخي ووفاء منها للشعب العربي في سورية الذي حملها مسؤولية الدفاع عن بقائه وسلامته لتعلن ان كل وحدة لا تبنى على هذه

الاسس المارة الذكر ليست الا تحالفا بين جيشين تابعين لدولتين منفصلتين ذلك لان متطلبات الدفاع وسلامة الامة وحفظ كيانها في عصرنا الحاضر تقتضي دمج الشعوب العربية المتحررة في كيان واحد لتساهم في تحرير بقية الوطن العربي وتقوم بواجباتها لصون السلم العالمي، كما تعلن القيادة العامة باسم جميع القوات المسلحة انها على اتم استعداد لتحمل جميع الواجبات الدفاعية التي تقتضيها الوحدة العربية وتعتبر نفسها منذ الان ملزمة بتنفيذ كل ما تتلقاه من اوامر وتجيهات تعطى اليها من القيادة العامة الموحدة مهما ترتب على هذا التنفيذ.

دمشق في 1958/1/11

اللواء عفيف البزري
القائد العام للجيش والقوى المسلحة

قرأت المذكرة بامعان وامتعاض معا، لان موضوع سفر الوفد العسكري الى القاهرة اصبح مختلفا عما رواه لي مصطفى حمدون قبل سفره اذ لم يعد الامر ان مجلس القيادة قد ذهب الى مصر بنية اقناع جمال عبد الناصر للدخول جديا في مفاوضات الاتحاد مع سورية، بل ان الجيش يحاول فرض مشروع وحدة اندماجية على سورية، دون اخذ رأي الحكومة والاحزاب السياسية والمؤسسات الدستورية.

وكانت الصحف الموالية للرجعيين وللشيوعيين تتهم حزب البعث وحكومة التجمع القومي بأنهم غير جادين في مفاوضات الاتحاد مع مصر، فكانت مبادرة الجيش تعني اخراج امر الاتحاد مع مصر من الهيئات الدستورية في سورية لتضعها في يد المؤسسة العسكرية، وقد ادركت ان رفاقنا الضباط قد تورطوا عن غير وعي، وانساقوا الى موقف لا يقدرون مدى خطورته، ولكن اي قلق لم ينتابني بالنسبة لهم، لانه يمكننا بسهولة توضيح الامور لهم وارجاعهم الى جادة الصواب.

ولكن الصعوبة كانت في انسياق قطاع مهم من الضباط ووقوعهم ضحية لالاعيب عفيف البزرة مثل اكرم الديري وحسين حدة وعبد الله جسومة وسواهم ممن يمثلون تكتلا قوميا عربيا

في الجيش، ولم اكن مطلعا على مدى تغلغل النفوذ الناصري في اوساط هذا التكتل، ولم يخطر على بالي ان يكون لعبد المحسن ابو النور ضلع في سفر مجلس القيادة العسكري دون علم الحكومة.

تلقيت المذكرة من امين النفوري دون اي تعليق عليها، وفي عصر ذلك اليوم تلفن لي الرئيس القوتلي فاجتمعت به في منزله، فسألني اذا كنت قد تسلمت مذكرة من الزعيم امين النفوري فرويت له ما جرى، فقال لي انه تسلم مذكرة مماثلة، وسألني عن رأيي بالاسلوب الذي اتبعه العسكريون في سفرهم الى القاهرة دون اطلاع الحكومة فقلت له:

انها مبادرة خاطئة وغير مشروعة، لانه لا يجوز للعسكريين ان يتصرفوا من انفسهم هذا التصرف، فبدا الارتياح على وجهه وسألني كيف يمكننا ان نعالج الموضوع؟ فقلت له:

ان سبيل معالجته هو اسراع الحكومة بارسال وزير الخارجية فورا الى القاهرة حاملا معه مشروع الحكومة الاتحادي، وهكذا يبدو الامر طبيعيا سواء في سورية او في خارجها، ويظهر الانسجام والتماسك والاتفاق بين الجيش والمؤسسات الدستورية، فثنى القوتلي على اقتراحي وقال بأنه سيوعز للحكومة بتنفيذ هذا الاقتراح فورا.

اجتماع القيادتين القومية والقطرية ومجلس قيادة الحزب

اجتمعت بعد ذلك بقيادة الحزب واخبرتهم بالحديث الذي جرى بيني وبين شكري القوتلي، واقترحت عليهم الاسراع بمناقشة المشروع الاتحادي الذي وضعته لجنة الحزب والبت به فورا.

وفي اليوم الثاني دعا الاستاذ ميشيل الى اجتماع موسع للقيادتين القومية والقطرية ومجلس قيادة الحزب، واتذكر ان اكثر من خمسين شخصا اشتركوا في مناقشة المشروع الذي تولى السيد عبد الله الريماوي تلاوته، اذكر منهم مدحت البيطار، صلاح البيطار، خليل الكلاس، جمال الاتاسي، عبد الكريم زهور، عبد

الفتاح زلط، وجميع نواب الحزب في المجلس النيابي بالاضافة الى هيئات الفروع والى عدد من قياديي الاردن والعراق واساتذة الجامعة الحزبيين.

قبل الشروع في مناقشة مواد المشروع اقترح الاستاذ ميشيل الفصل في الاساس:

هل يقر الحزب الوحدة التامة ام الاتحاد الفدرالي؟ وقد جرت مناقشة طويلة حول هذا الموضوع وكان رأيي يتلخص بما يلي:

ان هدفنا جميعا الوحدة التامة ولكن علينا ان نأخذ بمنتهى الجدية العوامل التالية:

1- الفوارق التي خلفتها التجزئة الطويلة بين القطرين.

2- انه من العسير اذا تعثرت او فشلت الوحدة الاندماجية التراجع عنها الى الاتحاد الفدرالي، اما اذا بدأنا بالاتحاد وعالجنا المشاكل التي سوف تعترضه فانه يمكننا ان ننتقل بالتدريج الى الوحدة التامة.

3- نحن لا نريد ان نحرج جمال عبد الناصر الذي اكد ويؤكد باستمرار تردده وخشيته حتى من الاتحاد الفدرالي، والوحدة كعقد الزواج الذي يقضي قبول الطرفين المتعاقدين ولا يمكن ان يفرض بالاكراه والا اصبح عقدا فاسدا.

احتدم النقاش بيني وبين ميشيل عفلق الذي المح الى ضعف ايماني بالوحدة، فلم ابال بذلك، وانما ظللت مصرا على رأيي بالرغم من ان الاتجاه القوي في سورية نحو الوحدة كان اتجاها عارما لا يستطيع ان يقف في وجهه شيء، ولم اكن لاستغرب هذا الموقف من ميشيل عفلق، فقد ذكرت سابقا ان عفلق كان يعتبر نفسه الامين الوحيد على عقيدة الحزب، وكان يرى ان الاولوية لشعار الوحدة العربية على شعاري الحرية والاشتراكية، بينما كنا نرى انه لا اولوية لاحد من هذه الشعارات على الاخر، وربما كان ميشيل عفلق يعتبر ان اولوية شعار الوحدة يقي الحزب من الانحراف نحو اليسار وقد كان صلاح البيطار من

انصار هذا الاتجاه الذي كانت له نتائجه الهامة على سياسة الحزب واستراتيجيته وبنيته التنظيمية.

وعندما جرى التصويت على المبدأين صوتت غالبية الحاضرين بجانب مشروع الاتحاد الفدرالي، وقد تولى السيد عبد الله الريماوي تلاوة مواد المشروع مادة مادة، فأقر بعد تعديلات طفيفة، واوصى المجتمعون السيدين صلاح البيطار وخليل الكلاس وزيري الحزب ان يعرضاه فورا على الحكومة لاقراره قبل سفر البيطار الى القاهرة.

كان مكتب الحزب يعج بالحزبيين سواء منهم من اشترك بالمناقشة او من الذين ينتظرون النتائج، وقد قوبل اقرار المشروع بترحيب كبير.

ومنذ صدور اول عدد من جريدة البعث (1958/12/17) بعد اقرار مشروع الاتحاد، وقبل ذهاب صلاح البيطار الى القاهرة كتبت في جريدة البعث مقالا عما يجري من مزاودات في قضية الوحدة ولا سيما في اوساط الاحزاب الرجعية وكان المقال تحت العناوين التالية:

فلنبدأ بالاتحاد اولا: الاتحاد عملية ثورية لها نتائجها القومية الكبرى - الشروع باتحاد مصر وسورية مطلب الجماهير العربية، وفيما يلي نصه:

منذ ثلاث سنوات تقريبا اسهم حزب البعث العربي الاشتراكي في حكومة ائتلافية تحت شعار السياسة العربية التحررية والعمل لاتحاد مصر وسوريا، ووقع الميثاق القومي للاحزاب والكتل السياسية للمجلس النيابي وشارك في الحكم الائتلافي الذي قام على اساسها. وهكذا اعتبر حزب البعث العربي الاشتراكي منذ البداية سياسة التحرر والحياد الايجابي والعمل على توحيد مصر وسورية نقطة الالتقاء والتعاون بينه وبين الهيئات والشخصيات السياسية والوطنية في سوريا، ولم يكن هذا الالتقاء والتعاون امرا عارضا او مصطنعا، بل كان تعبيرا عن ارادة الجماهير العربية الواعية لا في سورية وحدها بل في كل قطر عربي في ان ترى جميع قياداتها السياسية

قد وحدت جهودها وقواها لدعم هذه السياسة التي تمثل بالنسبة الى الشعب العربي كله امله في تحقيق اهدافه في الوحدة والتحرر.

ولقد كان طبيعيا ان تتعرض هذه السياسة العربية التحررية للتجربة والاختبار وذلك لانها بمقدار ما كانت تهدد مصالح الاستعمار الغربي واسرائيل، كانت تمثل الاماني الكبيرة بالنسبة الى الشعب العربي، لذلك خاضت هذه السياسة في السنتين الاخيرتين غمار معركة رهيبة خرجت منها ظافرة، اذ صمدت للعدوان المباشر في مصر ووقفت في وجه الضغط المستمر والتآمر المتصل في سورية، ولم يكن هذا الا ليزيد هذه السياسة رسوخا وليزيد الشعب العربي خاصة في مصر وسورية ايمانا بأنه يسير على الطريق السليمة الموصلة الى الغاية التي يطمح اليها، ويدفعه الى مواصلة السير بخطوات اشد جرأة وقوة.

وهكذا تجد هذه السياسة العربية التحررية نفسها اليوم امام الخطوة الطبيعية التي يجب ان تخطوها الا وهي اتحاد مصر وسورية، هذا الاتحاد الذي تحقق فعليا منذ ان ربطت السياسة العربية التحررية بينهما برابطة المصير المشترك، وعلى هذا الاساس يجب ان يعلن الاتحاد فورا، وان نبدأ لا برسم خطواته لان الخطوات الاولى كلها مرسومة، وانما نبدأ التنفيذ، ولنبدأ من هذا الخط الواضح: سياسة واحدة، ودفاع واحد، وتوجيه قومي واحد، ولتأت المجالس والسلطات الاتحادية من بعد ذلك لتخطط للبلدين ولترسم الخطوات التشريعية والاقتصادية لمصلحة هذه الدولة العربية المتحدة.

ان معركة العرب مع الاستعمار الغربي واسرائيل ما تزال قائمة، وبدون تحقيق الاتحاد تبقى المعركة دائرة في جبهاتها الاولى، فالاستعمار اما ان نجليه عن مواقعه في الوطن العربي واما ان يرتد لتقويض الاوضاع السياسية التحررية في مصر وسورية، وهكذا فان الاتحاد عمل دفاعي عن الحركة العربية التحررية... انه هجوم معاكس على الاستعمار لاجلائه عن الاقطار العربية الاخرى وان كل تفكير بتعاظم القوى التحررية في الاقطار العربية الاخرى دون ان نسير في طريق اتحاد مصر وسورية تفكير اخرق لا ينسجم ومنطق التاريخ، بل هو تآمر على قضية التحرر العربي واعطاء الاستعمار فرصة للقضاء على الحركة الاستقلالية للبلاد العربية.

اننا اليوم في ظروف داخلية وخارجية مواتية لم تسنح في اي وقت مضى. وليس ثمة ضمانة في استمرار هذه الظروف امدا طويلا.

فعلينا الان ان نسرع قبل كل شيء بالتنفيذ، لقد نشطت الاحزاب والشخصيات المسؤولة في الاونة الاخيرة لاطلاق شتى الاراء والاقتراحات حول الشروع بالاتحاد بين سورية ومصر، وحول اسس هذا الاتحاد ومقوماته، وكلها تنصب في اتجاه واحد يسير في طريق الاتحاد، واذا ما كنا نؤمن بفائدة طرح هذه الشعارات والمناقشة من حولها، فاننا نريد ان ننبه الى خطورة المرحلة التي يجب ان تنصب فيها كل الجهود على العمل السريع المنتج الحاسم والترفع عن المكاسب العارضة والمزايدات الكلامية.

ان قضية الاتحاد تبدأ من نقطة واحدة هي انها ضرورة تضعنا على مفترق الطريق امام مصيرنا، انها عملية ثورية قررتها القاعدة الشعبية في القطرين. فهي على هذا ليست نهجا حكوميا فحسب، وانما مطلبا جماهيريا، وهذا هو ما يميزها من سائر مشاريع التوحيد الكاذبة التي طرحت في الماضي من قبل الرسميين في مختلف الاقطار العربية، هذه العملية الثورية قد تجاوزت كل الشكليات والنظم والاوضاع الخاصة، وليست ثمة عقبات جدية في وجهها غير جهود الاستعمار وعملائه، بل ان الاتحاد بحد ذاته كاشف لكل اجهزة الاستعمار، وهو الذي سيقضي على جميع خططه ودعاياته وركائزه، وعملائه، هؤلاء العملاء الذين راحوا هم ايضا في الاونة الاخيرة، وبعد فشل كل خطط التآمر يتخذون من شعارات القومية العربية التحررية دريئة وستارا، وسلكوا ايضا سبيل المساومات والمزايدات الكلامية، هؤلاء العملاء الذين قاوموا الاتحاد عند تخطيط الميثاق القومي للاحزاب. قاوموه بالحكم، وتآمروا على السياسة العربية التحررية، هم الان الذين يرفعون عقيرتهم بالنداء ويظهرون الغيرة على الاتحاد، ويحاولون التشكيك به والقاء تبعة عدم تحقيقه على الاخرين لاصطناع معركة مهاترات كلامية وبعثرة القوى والجهود وصرفها عن العمل في سبيله، وهذا ما يجعل مسؤوليتهم مضاعفة، فهم مسؤولون عندما قاوموا الاتحاد وهم أيضا مسؤولون عندما يزايدون بالكلام بقصد التشكيك والاشغال.

لقد اجمعت ارادة الشعب كله في سورية على هذه الخطوة، خطوة الاتحاد، ولن يقف في الصف الاخر سوى الخونة والعملاء، وكل ما يعتبر عائقا في طريق الاتحاد، من اوضاع خاصة في سورية، فان ارادة الشعب مجمعة

على ازالته وتذليله، اننا لا نريد ان تبقى اية صعوبة او اية عقبة في طريق الشروع فورا بالاتحاد، ولا نريد من هذا احراج الحكم في مصر، بل اننا نؤمن ونقرر بأن الاتحاد كل مقوماته الاساسية في صميم الشعب، وان الوضع الدستوري في مصر، وهي القطر الاكبر والاقوى، انما يصح ان يكون اساسا للاتحاد ونقطة البداية فيه، واذا كان عدم تماثل الاوضاع السياسية بين مصر وسورية يعتبر عثرة وعائقا، فاننا اول من يطلب ويعمل لتطبيق ما يحقق تماثل الاوضاع السياسية في القطرين.

ان ما يظن بأنه تضحية في سبيل هذا الهدف العظيم، هو بحقيقته وجوهره كسب عظيم، والشعب العربي في سورية على استعداد لحمل مسؤولية تحقيق كل ما يترتب عليه في هذا السبيل، ان تحقيق هذا الهدف عملية ثورية تتجاوز كل ما يوضع لها من حدود وخطوات، فالاتحاد هو الذي سينسف السياسة الاستعمارية من جذورها، وهو الذي سيفجر الطاقات الثورية الكبرى للامة العربية في مختلف اقطارها، وهو الذي سيقوض كل دعائم التأخر والرجعية ويخطط للمستقبل: مستقبل البعث العربي الجديد.

انه عمل انساني كبير لانه تحقيق للدولة العربية المتحدة.. لانه تعاظم التقدم والحرية والسلام في العالم.

بيان الحزب الشيوعي بشأن الاتحاد مع مصر

بتاريخ 1958/1/16 نشر الحزب الشيوعي بيانا عن اجتماعات اللجنة المركزية للحزب التي انعقدت بتاريخ 13/12/11 كانون ثاني 1958 لبحث المواضيع التالية:

1- الاتحاد بين مصر وسورية.
2- في سبيل توطيد الجبهة الوطنية.
3- الوضع في لبنان.
4- بيان الاحزاب الشيوعية واحزاب العمال في البلدان الاشتراكية.
5- بيان السلام الصادر عن ممثلي الاحزاب الشيوعية واحزاب العمال المنعقد في موسكو بمناسبة الذكرى الاربعين لثورة اكتوبر.

لم يطرح بيان الحزب الشيوعي مشروعا محددا للاتحاد بين مصر وسورية وانما اشار للاسس التي يجب ان يقوم عليها الاتحاد بين البلدين وجاء فيه:

"ان مصر وسورية هما اول بلدين عربيين اتجها نحو اقامة روابط صداقة مع بلدان المعسكر الاشتراكي وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي ومن الواضح ان تحقيق الاتحاد بينهما ينبغي ان يؤدي الى تعزيز هذه الصداقة وتمتين اواصرها" وجاء في مكان اخر:

"ومن الواضح ان الاتحاد بين سورية ومصر ينبغي ان يتحقق على اسس وطنية ديموقراطية يكون من شأنها حماية البلاد من المؤامرات الاستعمارية ومكائد الاستعمار وعملائه.." وجاء فيه ايضا:

"لقد كثرت الاقتراحات وتعددت الاراء حول الاشكال التي يجب ان يتحقق فيها الاتحاد، ولا ريب ان المستعمرين والصهيونيين وجميع عملاء الاستعمار سيبذلون جهدهم لمقاومة الاتحاد وفي العمل على احباطه او اجهاض فكرته في المهد، على انه من الواضح ان المستعمرين وعملاءهم لا يجرؤون ولا يقدرون على الوقوف بشكل سافر في وجه الحماسة الشعبية العارمة في سبيل الاتحاد او اجهاضها من الداخل او تشويهها املا في اقامة الاتحاد على اسس غير طبيعية لا تكفل له البقاء والاستمرار، لذلك فمن اجل اختيار افضل الطرق وانجع السبل لتحقيق الاتحاد وبلوغ هذه الاهداف والامال الكبرى التي تعقدها عليه عشرات الملايين من العرب الذين يشخصون بابصارهم الى القاهرة ودمشق ينبغي ان تبادر الحكومتان السورية والمصرية بدون ابطاء لاقامة اسس متينة واقعية تأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية في كل بلد".

صلاح البيطار يسافر الى القاهرة

بتاريخ 1958/1/18 سافر الاستاذ صلاح البيطار الى القاهرة وبصحبته السفير المصري محمود رياض وقد نشرت الصحف آنذاك ان مجلس الوزراء فوض وزير الخارجية بالسفر الى مصر لمباحثة الحكومة المصرية في موضوع الاتحاد بين البلدين.

وعلى الرغم من ذلك فان جريدة الصرخة الناطقة بلسان خالد العظم والموالية للحزب الشيوعي السوري قد نشرت بتاريخ 58/1/19 تصريحا لخالد العظم جاء فيه ما يلي:

"اننا نريد ان تكون الوحدة بين سورية ومصر وحدة كاملة شاملة، وان تتوحد الدولتان بدولة واحدة، لان هذا النوع من الوحدة صميمي اكثر واشمل من غيره"

كان هذا نموذجا من المزاودة والمناورة رغم ان خالد العظم كان نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للمالية والدفاع في الوزارة التي تبنت المشروع الاتحادي لحزب البعث، ويروي خالد العظم في مذكراته وذلك بعد وصوله مع شكري القوتلي واعضاء الحكومة لاعلان الوحدة في القاهرة ما يلي:

"جاء للسلام على فريق من ابناء عمي، فوجدتهم مستبشرين فرحين لقيام الوحدة بين سورية ومصر ولما سألتهم عن سبب هذا الشعور قالوا:

ان البلاد سوف تتخلص من البعثيين الاشتراكيين ومن التجمع، فقلت لهم انني اشك بامكان ابعاد هؤلاء عن الحكم القادم، وعلى فرض تحقيق ذلك فهل يعادل التخلص من اخصامنا السياسيين زوال دولتنا واستقلالنا وحرياتنا؟

لكن العداء في نفوسهم ضد الاشتراكية كان يحجب عن عيونهم رؤية الحقائق مجردة" (مذكرات خالد العظم - ص144 الجزء الثالث الطبعة الاولى)

هذه هي الصورة التي تحدثت عنها سابقا والتي تعلل حماسة الطبقة الاقطاعية والرأسمالية للوحدة مع مصر، كما كانت املا في نظر التجار لزيادة الارباح، وذلك بحل حزب البعث العربي الاشتراكي واقصائه عن السلطة، وهو الامر الذي كان يعدهم به ويؤكده لهم رجال المخابرات المصرية والمسؤولون في مصر.

اما حماسة الشعب في سورية لتحقيق الوحدة مع مصر فكانت بدوافع قومية وانسانية نبيلة مشرقة، فالوحدة كانت امل

الشعب العربي السوري لحسم الصراع مع اسرائيل وعودة فلسطين عربية، واملا بتحرير الجزائر وشمال افريقيا من الاستعمار الفرنسي، فقد كان جيلنا وجيل تلك الفترة يعتبران عودة الجزائر والمغرب العربي جميعه منتصرا متحررا لدوحة العروبة املا لا يقل اهمية عن عودة فلسطين عربية، وكم كان حزننا عظيما عندما كنا نقرأ عن محق القومية العربية وسحقها في شمال افريقيا ولا سيما في الجزائر حيث لم يبق فيها إلا ذماء عربية يعود الفضل فيها للاسلام الذي ادخل العرب في التاريخ من ابوابه العريضة وحمى العروبة على كر العصور بالرغم مما تعرضت له من نكبات وابادة لمعالم الحضارة العربية.

لقد كان امل انتصار العرب في معاركهم المصيرية في فلسطين والجزائر خاصة وشمال افريقيا عامة سببا في الاندفاع نحو تحقيق الوحدة مع مصر، لا بالنسبة للجماهير العربية في سورية فحسب وانما بالنسبة لجميع العرب، فقد كانت المعركة التي تخوضها الجزائر ضد وحشية الاستعمار الفرنسي المدعوم بحلف الاطلسي في اوج احتدامها وكان انتصار هذه الثورة هما قوميا عربيا واسلاميا لا يدانيه هم سوى تحرير فلسطين، ولا يخفى ان توحيد امكانات البلدين مصر وسورية وقدراتهما كان الوسيلة الوحيدة في نظرنا لانتصار ثورة الجزائر التي كان يتوقف عليها استقلال تونس ومراكش فعليا من السيطرة الاستعمارية.

هذه هي الاسباب القومية والسياسية التي اججت زخم الاندفاع نحو الوحدة مع مصر كمطلب عاجل واجب التحقيق بالنسبة للسوريين خاصة وللعرب عامة، بدون امعان التفكير بالاسلوب او التوقف طويلا امام الصيغ المؤدية الى هذا الهدف.

كان الشعب في سورية يشعر بالعجز - منفردا - امام تحقيق واجباته القومية الثقيلة سواء بالنسبة للاستعمار الصهيوني في فلسطين او بالنسبة للاستعمار الفرنسي في الجزائر وشمالي افريقيا، وكان يجد في الوحدة خشبة الخلاص للامة العربية.

ولاجل ان تكتمل الصورة النفسية للشعب في سورية قبل قيام الوحدة لا بد لي من التعرض لبعض نواحي الوضع الداخلي:

1- كانت نفقات الجيش تستنزف معظم موارد الموازنة العامة، وكانت تشكل ما يقارب 50% من الموازنات منذ عام 1949 وهذا ما لا تتحمله اي دولة في العالم خلال تلك السنوات الطويلة.

كانت هذه النسبة تزداد كلما ازدادت المخاطر على سورية بسبب سياستها التحررية، كما كانت سورية معرضة في معظم السنين للحصار الاقتصادي، وحجب كل انواع القروض والمساعدات، حتى كاد الشعب ان يصبح محروما من الخدمات العامة، ما عدا التعليم الذي لعبت في المدارس الاهلية دورا هاما ومساعدا للدولة في انتشاره نسبيا، كما كانت برامج التنمية تسير ببطء سير السلحفاة، ولولا ذكاء الشعب وقدرته ونشاطه لاعلنت سورية افلاسها منذ السنوات الاولى لاستقلالها ولاضطرت ان تستسلم لمشاريع الغرب الاستعمارية.

كانت الحقيقة الاقتصادية التي تقول ان الشعب هو الثروة الاولى بالنسبة لاي بلد تنطبق اكثر ما تنطبق على شعب سورية في تلك السنوات الصعبة، ولكن لا بد من الاعتراف ايضا ان الشعب السوري كان يشعر بالارهاق والتعب دون ان يظهر تذمره او شكواه في معظم الاحيان، فقد كانت المطامع القومية والسياسية فوق كل اعتبار اخر، ولكن لا بد لنا ان نعترف بأنه ليس بالافكار والطموحات النبيلة وحدها يحيا الانسان، وعندما كان الموظفون يحتجون ويتململون كان احتجاجهم يسوى بزيادات بسيطة وكانوا "يدبرون رؤوسهم" برواتبهم الضئيلة مفضلين الاعتبارات العامة على الاعتبارات الخاصة، مما جعل جهاز الادارة السوري من انظف الاجهزة الادارية واكثرها نشاطا حتى بالقياس الى الدول الديموقراطية المتقدمة.

2- كانت سورية كما رأينا منذ فجر الاستقلال مسرحا للصراع والتنافس الاستعماري في المنطقة العربية، ومع ان الحركة الوطنية التقدمية استفادت بذكاء من هذا التناقض الاستعماري فان الشعب السوري قد ارهق وبلغ منه التعب حد الاعياء، وليتأمل القارىء نفسية شعب صغير كالشعب السوري الذي ما ان خرج من قبضة الاستعمار الفرنسي حتى تعرض لشتى انواع التآمر من قبل الدول الغربية الكبرى وبعض الدول العربية التي كانت تحيط به من كل جهة طيلة ثلاثة عشر عاما حتى بلغ هذا التآمر حد التهديد بالغزو المسلح.

لقد اصبح هذا الشعب يرى بجمال عبد الناصر بعد معركة القنال قائده في تحقيق مطامحه القومية وخطه التحرري، كما كان يرى ان الوحدة مع مصر ليست تجسيدا او تحقيقا لهذه المطامح فحسب، بل هي شاطىء الامان والسلامة وسبيل الاستقرار الذي حرم منه طيلة عهد الاستقلال.

كان اعلام عبد الناصر بارعا ومؤثرا للغاية، كما كانت اجهزة مخابراته منظمة ومنتشرة وكان لديها القدرة على اقناع الناس بأن الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في مصر هو المثال الذي يجب ان يحتذى، وان عبد الناصر ووزراءه واجهزته مجموعة من العباقرة في الحرب والاقتصاد والسياسة والتشريع، حتى اصبح مسلما به كل ما تتحدث عنه اجهزة الاعلام المصرية من الانجازات العظيمة التي تتم في مصر بفضل عبقرية عبد الناصر وجماعته الافذاذ وجهاز دولته الحديث، وفي اعتقادي ان عبد الناصر قد بدأ يخطط للسيطرة على سورية قبل قيام الوحدة.

انني لا املك الدليل على ذلك، ولكن طموح حكام مصر تاريخيا كان يتجه دائما نحو سورية.

ومن الغريب اننا لم نسمع من اليساريين والمثقفين في مصر، ولو سرا، اي تململ من ديكتاتورية عبد الناصر، بل على العكس فقد كانت دعايتهم ايجابية بعد ان احتواهم هذا النظام.

كما انه من الضروري ان نشير هنا الى ان تأثير الاعلام المصري في سورية والبلاد العربية لم يكن يعود لقدرة هذا الاعلام فحسب، وانما لانطلاقه من اكبر بلد عربي له كيانه ومؤسساته كدولة منذ عهد محمد علي، وهذا ما اهله لان يكون منطلقا لعصر النهضة والقائد الثقافي والروحي للمنطقة العربية منذ ذلك الحين.

كانت ثقة الشعب السوري كبيرة بكفاءاته وامكانات بلده، فلم يبق اذن الا توفر القيادة الفذة العبقرية حتى تقود الشعب في البلدين للخلاص من التخلف وبناء القاعدة المادية، حيث تتوفر كل الامكانات المادية والبشرية لبناء اقوى دولة حديثة في منطقة الشرق الاوسط، وهذا ما وفره "القدر" في القطر المناسب بقيادة جمال عبد الناصر وجهازه المنفذ الفذ، وهكذا اشرقت الامال في سورية لتحقيق برامج التنمية السريعة وتوفير الخدمات العامة التي حرم منها الشعب زمنا طويلا.

لقد اقترن كفاح الشعب في سورية وثوراته الدامية طيلة ربع قرن ضد الاستعمار الفرنسي في سبيل الحرية والديموقراطية - كما انبثقت عن مبادىء الثورة الفرنسية - بالشرعية القائمة على الاستفتاء الشعبي والقيم الديموقراطية الدستورية، وقد استمر هذا الكفاح صعودا بعد الاستقلال ضمن هذا الخط ضد الديكتاتورية والرجعية والاقطاع وترسيخ الديموقراطية والاشتراكية.

كيف اذن تنازل الشعب في سورية وبسرعة مذهلة عن الديموقراطية في سبيل تحقيق الوحدة مع نظام جمال عبد الناصر؟

كان الوضع الديموقراطي في سورية وضعا قلقا، فاغلب المؤامرات على البلاد انما حيكت في اروقة المجلس النيابي، كما كانت بعض الصحف السورية مأجورة للدول العربية النفطية، وكان الفساد يعشش في الاحزاب الرجعية، كما لم تكن الاحزاب التقدمية بمستوى القضية التي تحمل اعباءها وعيا وتنظيما،

وهكذا كان ثمن الديموقراطية الذي تدفعه البلاد في ظل حكم رجعي اقطاعي ثمنا باهظا ومرهقا للشعب.

من هنا كان الرأي العام الشعبي مهيأ للتنازل عن الوضع الديموقراطي والحياة الحزبية في سبيل تحقيق الاماني القومية الكبرى وفي سبيل الاستقرار والتقدم والازدهار، في الوقت الذي لم يكن فيه الشعب وقادته على علم بحقيقة نظام عبد الناصر الا ما كان يسمعه من اذاعات القاهرة ومن صحفها ووسائل اعلامها المؤثرة.

ولا بد لنا كتتمة للبحث من التعرض للرؤية الفكرية والسياسية للقيادة السورية حول موضوع الوحدة من ان نعود الى نص تصريحين لي ولخالد العظم نشرتهما وكالة انباء الشرق الاوسط في آن واحد عندما كان الوفد العسكري في طريقه الى القاهرة:

اعلن خالد العظم نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية والدفاع الوطني "ان الحكومة السورية تدرس موضوع الاتحاد مع مصر مع ان الوحدة هي مطلبنا الاساسي وليس الاتحاد، وفرق بين الوحدة والاتحاد لان الوحدة تعني قيام دولة واحدة تمتزج فيها كل مرافق الحياة، في حين ان الاتحاد شكل من العلاقات بين دولتين تتحد فيهما بعض المرافق.." وقال: "انه لا خلاف حول مبدأ الوحدة في سورية، فقد نص دستورنا كما نص الدستور المصري على اننا جزء من الامة العربية، وقد اقسمنا على الدستور وكل ما يخالف ذلك هو خيانة للقسم والدستور وللقومية العربية التي نؤمن بها" وقال خالد العظم: "ان وجود الاحزاب السياسية في سورية وانعدامها في مصر لا يمكن ان يؤثر على الوحدة لان الوحدة تتم مع الشعب لا مع الاحزاب" (جريدة النصر تاريخ 12-1-58 العدد، 389)

اما نص تصريحي فقد جاء فيه:

"اكد السيد اكرم الحوراني لوكالة انباء الشرق الاوسط بأن الوحدة بين سورية ومصر هي الطريقة الوحيدة لحفظ استقلال البلدين والوصول الى تحقيق الوحدة العربية الشاملة.." وقال السيد الحوراني: " ان الاستعمار لا

يزال يتآمر لنسف الحكم الوطني التقدمي في سورية وفي مصر لانه يدرك كما ندرك نحن انه لا تعايش بينه وبين القومية العربية وقد اكدت المؤامرة الاخيرة على مصر والتي كانت تهدف الى اعادة النظام الملكي هذه الحقيقة، كما اكدتها المؤامرات الاميركية المتتابعة على سورية، ولذلك كانت المعركة بيننا وبين الاستعمار مستمرة حتى تتحقق حرية الوطن العربي في كل أجزائه وتتم وحدته الكبرى.

وأكد السيد الحوراني ان شعار هذه المرحلة هو التحرر فهو شرط لتحقيق الوحدة وما لم يتحرر الوطن لا يمكن ان تتم وحدته، وكذلك ما لم تكن الوحدة هدفه فان حريته لا يمكن ان تتحقق، ثم دعا السيد الحوراني الى الاسراع في تحقيق الوحدة بين سورية ومصر وقال: ان اية لجان تؤلف لتحقيق ذلك يجب ان تكون مهمتها ايجاد الطريق وتذليل العقبات، لا دراسة امكانية الاتحاد او عدم امكانيته، لان هذه قضية منتهية اعلن الشعب فيها رأيه صراحة وكذلك مجلساه وحكومتاه.. وقال السيد الحوراني ان رأيه هو اتمام الاتحاد دفعة واحدة"

وتحدث الحوراني عن الوحدة الوطنية التي تنتظم الشعب في الداخل فقال: "ان هذه الوحدة الوطنية هي التي جعلت من سورية جدارا منيعا امام الاستعمار ومؤامراته، ونحن ما نزال وسنبقى بحاجة الى هذه الوحدة وكل ما يؤدي الى تفتيتها يؤدي في الواقع الى ضياع الاستقلال وهو بمثابة الخيانة.. واتهم الحوراني الاستعمار فقال ان له اعوانا يبثهم هنا وهناك لتفتيت هذه الوحدة والتشكيك بالقيادة الوطنية مما يتهدد الانتصارات التي حصلت عليها سورية .. واكد ان الشعب كفيل بالقضاء على هذا الاسلوب الجديد للاستعمار" (كانون ثاني 1958 وكالة ابناء الشرق الاوسط)

وبوضوح يظهر من تصريحات خالد العظم انه يصم بالخيانة كل من لا يطالب بالوحدة الاندماجية كما يظهر من تصريحي ان الوحدة بين البلدين يجب ان تكون اتحادية، وكان هذا هو رأييي الشخصي ورأي الحزب.

كما اكدت في ذلك التصريح على ضرورة الوحدة الوطنية في سورية لان انفصامها سيؤدي الى ضياع استقلال البلاد، وكان في ذلك تنبيه الى الاضرار التي يلحقها الحزب الشيوعي وعفيف البزرة وخالد العظم بالوحدة الوطنية من جراء الطمع بالاستيلاء

على السلطة مما يؤدي الى ضياع الاستقلال وخسارة ما حققه الشعب من انتصارات.

□

مضى على زيارة الوفد العسكري ولحاق الاستاذ صلاح البيطار بهذا الوفد حاملا معه المشروع الاتحادي الذي اقره حزب البعث وتبنته الحكومة عشرة ايام (من 1/12 حتى 1958/1/22) ملأ البيطار خلالها اعمدة الصحف المصرية بتصريحاته عن قيام الدولة العربية الواحدة، وعن حل الاحزاب السياسية في سورية واستعدادها للدخول في الاتحاد القومي الذي ستعبأ به قوى الشعب على غرار الاتحاد القومي المصري، وقبل عودته الى دمشق صرح بتاريخ 58/1/20 ان مباحثاته التي جرت خلال اليومين الماضيين ادتا الى التقاء مصر وسورية التقاء كاملا في الاساس والشكل والخطوات التي يجب اتباعها لتحقيق الوحدة بينهما.

وخلال فترة بقاء الاستاذ صلاح في القاهرة لم يجر اي اتصال مع الحزب، فلم نعد نعلم شيئا عما يجري هنالك بشأن المشروع السوري للاتحاد الذي حمله لجمال عبد الناصر والذي اقره الحزب بعد مناقشات طويلة ثم تبنته الحكومة السورية ايضا.. اما رئيس الجمهورية شكري القوتلي فقد ظل مطمئنا - كما يذكر خالد العظم في مذكراته - على بقائه في كرسي رئاسة الجمهورية طالما ان المشروع الذي حمله البيطار الى عبد الناصر هو مشروع اتحادي.

بينما علقت على تصريحات البيطار بما يلي:

ان اعلان الدستور الموحد اصبح قريبا وهذه بشرى للامة العربية جمعاء فالموضوع اصبح منتهيا، وهذا ما يدعو للاطمئنان والتفاؤل ونستطيع القول ان الاتحاد اصبح حقيقة واقعة (النصر 21-2-58) هكذا فهمت تصريح البيطار وهذا ما فهمه الناس فأعلنوا تأييدهم له واعتبروه جميعا بشرى سارة يزفها البيطار للشعب السوري.

وقد لفتت نظري في تلك الفترة التصريحات العنترية التي كان يطلقها عفيف البزرة خلال وجوده في القاهرة، والتي كان يتهدد بها ويتوعد خصوم الوحدة، وكان التهويل والافتعال والغرور تظهر في تلك التصريحات وكأنه يريد ان يبدو بمظهر حامي الوحدة وصاحبها والحريص الوحيد عليها في سورية ويصح عليه القول: كاد المريب ان يقول خذوني.

ولم يقف البزرة عند هذه الحدود بل اخذ يطلق ارشاداته للاحزاب الوطنية من محطة القاهرة اذ قال:

"نحن على ابواب الوحدة، وان الاحزاب التي تفكر في حل نفسها على حق لانها تنشد الوحدة" ثم استمر بعد عودته الى دمشق على متابعة هذه التصريحات:

"كل من يعرقل الوحدة بالدس والتفرقة يعتبر من متآمري أنقرة، الشعبان المصري والسوري مؤمنان بالوحدة ويرتقبان ساعتها الاتية قريبا وتأخيرها فرحة للمستعمر، وعملاء الاستعمار يعملون اليوم لاثارة المشاكل... الخ" (جريدة النصر 24-1-58)

□

في مساء اليوم نفسه الذي عاد فيه صلاح البيطار الى دمشق انعقد مجلس الوزراء برئاسة شكري القوتلي، وحضرت الاجتماع بصفتي رئيسا لمجلس النواب، وحضره اللواء عفيف البزرة رئيس الاركان ومعاونوه الاربعة امين النفوري، عبد الحميد السراج، احمد عبد الكريم، مصطفى حمدون، وظل هؤلاء الضباط الاربعة صامتين في جميع الاجتماعات التي تتالت في القصر الجمهوري، وكان الناطق باسمهم والمعبر عن آرائهم عفيف البزرة الذي كان يشترك وحده بالمناقشات باسم الجيش.

وكان البيطار قد سلم شكري القوتلي رسالة من الرئيس عبد الناصر قبل الاجتماع واطلعه على ما جرى في القاهرة.

افتتح القوتلي هذا الاجتماع باستعراض طويل لنضاله في سبيل الوحدة العربية بتعابير وجمل كان يستعملها في معظم

خطبه، وكان يبدو عليه عدم الارتياح والكآبة، بالرغم من كل مظاهر الحماسة التي اثارها استعراضه لماضيه الكفاحي الطويل.

كان الحاضرون من الوزراء واجمين جميعا، ما عدا وزيري حزب البعث وكان يبدو على سيماهم الخوف والرهبة من دخول المستقبل المجهول في ظل الوحدة الاندماجية التي اصبحت امرا ملموسا بينما كان تقديرهم خلاف ذلك، وهو ان جمال عبد الناصر لن يقبل الا بالاتحاد الذي سيبقى على حكمهم في ظل رعايته ورضاه، فقبل يومين من هذا الاجتماع اعلن النائب الدكتور جورج شلهوب تشكيل حزب خالد العظم الجديد وبين اعضائه عدد من الوزراء والعديد من النواب ورجال الاعمال الدمشقيين.

اما اللواء عفيف البزرة ومعاونوه الضباط الاربعة الحاضرون فكانوا ينظرون الى رئيس الجمهورية والوزراء بعين الشماته لانهم كانوا يعتقدون في قرارة انفسهم انهم سيحلون محلهم في مناصب الدولة، فالوحدة مع جمال عبد الناصر قد حققت لهم انقلابا عسكريا كانوا عاجزين عن القيام به ليحكموا سورية بدلا من هؤلاء الوزراء والنواب الذين ينظرون اليهم بعين الشك والاستخفاف، كان لسان حالهم يقول:

أرأيتم كيف استخدمنا لعبة الوحدة بذكاء ودهاء اكثر منكم؟؟

ثم ما لبث صلاح البيطار ان تلى على المجتمعين محضر المباحثات التي دارت في القاهرة مع جمال عبد الناصر والاتفاق على الصيغة التالية للوحدة بين القطرين وفيما يلي نصها:

"تم الاتفاق على النقاط التالية خلال الاجتماعات المشتركة التي عقدت بين سيادة الرئيس جمال عبد الناصر وسيادة وزير الخارجية السورية صلاح البيطار والمفوض من قبل الحكومة السورية بموجب قرار متخذ من مجلس الوزراء لبحث توحيد القطرين العربيين مصر وسورية.

اولا: شكل الاتحاد: يكون نظام الحكم في الدولة العربية المتحدة جمهوريا رئاسيا، ويتولى السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء معينون من قبل الرئيس، ويتولى السلطة التشريعية

مجلس تشريعي واحد ينتخب انتخابا حرا مباشرا من قبل الشعب.

ثانيا: المراحل التنفيذية المقترحة لتوحيد البلدين:

المرحلة الاولى

1- يعقد اجتماع بين الرئيسين وممثلين عن الحكومتين لاعلان قيام الدولة العربية المتحدة، واستنادا الى قرارات المجلسين التشريعيين في مصر وسورية، يجتمع المجلسان التشريعيان في وقت واحد في دمشق والقاهرة لاصدار القرارات الاتية:

أ- قيام الدولة العربية المتحدة.

ب- ترشيح رئيس الدولة العربية المتحدة.

جـ- تفويض رئيس الدولة العربية باصدار دستور مؤقت يمارس وفقه سلطاته لحين وضع الدستور الاتحادي الدائم.

2- استفتاء الشعب في مصر وسورية على القرارات التي اصدرتها المجالس التشريعية.

3- على اثر ظهور نتيجة الاستفتاء يعلن الرئيس الدستور المؤقت ويباشر سلطاته فورا.

المرحلة الثانية

1- وضع دستور دائم للدولة العربية المتحدة.

2- تكوين الاتحاد القومي.

3- اجراء انتخابات وفقا للدستور.

4- العمل على توحيد مرافق الدولة.

بعد ان انتهى صلاح البيطار من تلاوة المحضر وافق عليه جميع الحاضرين ما عدا صالح عقيل وهاني السباعي وخالد العظم الذي طلب تأجيل مناقشته لامعان التفكير فيه، وهنا دارت مناقشة حيث كان بعض الحاضرين يصرون على مناقشته فورا، ولكنني اقترحت تأجيل مناقشته لليوم الثاني فقبل الاقتراح.

كتب خالد العظم في مذكراته انه اجتمع بأركان حزبه من الوزراء والنواب قبل الاجتماع الثاني في القصر الجمهوري وعرض عليهم فكرة استقالته من الحكومة، فلم يقروه عليها، ولكنهم اظهروا استعدادهم لتأييد موقفه ودعم آرائه، ولا بد لنا هنا من الاشارة الى ان خالد العظم واركان حزبه الجديد كانوا يعتبرون تحقيق الوحدة مع مصر قضاء مبرما على مستقبلهم السياسي، وهذا كان امرا معروفا لان جمال عبد الناصر ورجاله كانوا يظهرون عداءهم له منذ عام 1955 كما اسلفنا سابقا.

وبالرغم مما ورد في مذكرات خالد العظم من عدم اطلاعه على سفر الوفد العسكري للقاهرة وعدم موافقته على هذا التصرف وتنصله من المسؤولية فانني على شبه يقين ان عفيف البزرة لم يفعل شيئا حتى ذلك التاريخ الا بالاتفاق مع خالد العظم والحزب الشيوعي، ولكنهم قدروا شيئا فجاءت النتيجة شيئا اخر.

الاجتماع الثاني في القصر الجمهوري

استهل خالد العظم هذا الاجتماع مشيدا بقبول مصر مبدأ الوحدة بين القطرين العربيين مصر وسورية وتمنى ان تكون نواة لوحدة عربية شاملة، ثم ابدى ملاحظاته على الاتفاق وكانت في معظمها تنصب على مخالفته للديموقراطية البرلمانية التي يرتكز اليها الدستور السوري.

والحقيقة ان محضر الوحدة الذي جاء به صلاح البيطار من القاهرة هو تفويض مطلق لجمال عبد الناصر بأن يفعل ما يبدو له لوضع صيغة نظام الوحدة، فهو ليس انقلابا على الوضع الدستوري الديموقراطي في سورية بل هو انقلاب ايضا على الوضع الدستوري الذي اقامه جمال عبد الناصر في مصر قبل قيام الوحدة.

وقد ابدى خالد العظم في ذلك الاجتماع شكوكه وارتيابه بتشكيل الاتحاد القومي، واصر على الديموقراطية وعلى ضرورة تعدد الاحزاب في سورية، والذي يفهم من مجمل اعتراضاته ضرورة بقاء النظام الدستوري الديموقراطي في سورية برغم قيام

الوحـدة بـين البلـدين، وقـد اشـار خالـد العظـم بوضـوح الـى تبـاين النظامين السـوري والمصـري وعـزا نجـاح الثـورة فـي مصـر لقيـادة جمال عبد الناصر، اما في سـورية فقـد عـزا نجـاح الحركـة العربيـة التحرريـة للوضـع الدسـتوري الـديموقراطي الـذي حققـه الشـعب السوري بنضاله المتواصل.

لم يكن خالد العظم بسيطا للدرجة التي لا يعلم بها ان بقاء الوضع الديموقراطي البرلماني في سورية لا يمكـن ان يظـل قائمـا في ظل وحدة اندماجيـة مـع مصـر، بـل يمكـن ان يـأتلف مـع قيـام الاتحاد الفدرالي بينهما، وقد كان يقدر كمـا يقـدر المجتمعـون ايضـا ان جمال عبد الناصـر لا يمكـن ان يقبـل حتـى باتحـاد فـدرالي مـع سورية على اساس نظامها الديموقراطي البرلمـاني الـذي يعتبـره خطرا يهدد نظامه في مصر ويفسـد عليه خططـه واسـاليب حكمـه فيها.

والذي يوضح عقلية جمال عبد الناصر والاسباب التي جعلته يصر على الوحدة الاندماجية مـع سـورية وتفويضـه المطلـق بـادارة شؤون البلدين ما حدثني به عام 1959 عن مجلس الامة المصـري السابق الذي اقامه قبل قيام الوحدة، قال:

اجرينا الانتخابات عندنا لمجلس الامـة كمـا تعلـم وفـاز نوابـه "بمساعدتنا" وقد اردنا ان يتمتع هـذا المجلـس بقـدر مـن الحريـة، فتمادى اعضاؤه، وقام فيهم من يطالب بتشـكيل حـزب للفلاحـين، وتعاظمـت معارضـتهم حتـى اصـبحت مقلقـة ومهـددة "بـان تصـبح شؤون البلاد سايبة" ثم قال:

ان قيام الوحدة بـين مصـر وسـورية قـد خلصـنا مـن مجلـس الامة عندنا كما خلصكم انتم من المجلس النيابي عندكم.

كانت اعتراضات خالد العظم على محضر الوحدة مـؤثرة فـي المجتمعين، ولا سيما ما يتعلق منها بالديموقراطيـة وضـرورة تعـدد الاحزاب لان جميع الحاضرين من المدنيين كانوا يشعرون في قرارة نفوسـهم بـالخوف مـن حكـم سـورية حكمـا ديكتاتوريـا فـي ظـل

الوحدة، بالرغم مما كانوا يعلقونه على قيام الوحدة من آمال في تحقيق ما عجزت سورية عن تحقيقه.

كنا نأمل بالاستناد الى وعود جمال عبد الناصر ان يكون الاتحاد القومي حزبا موحدا للقوى التقدمية في الجمهورية العربية المتحدة، وقائما على مبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي، ولكنني لم اكن متيقنا من ذلك في قرارة نفسي، وكانت الشكوك تساورني.. لذلك كان ردي على خالد العظم ردا رفيقا بالرغم من اقتناعي بأنه اتخذ من الشرعية والديموقراطية ذريعة لتعطيل قيام الوحدة، وهو الذي كان لا يرضى قبل يوم واحد عن الوحدة الاندماجية بديلا عندما كان يظن ان عبد الناصر غير راغب فيها.

في هذا الاجتماع قلت لخالد العظم مستفهما بعد ان انتهى من ابداء ملاحظاته واعتراضاته: انك تدافع اليوم عن الاحزاب وانت الذي لم تفكر يوما بالانتماء الى اي حزب، فأجابني مازحا:

انكم لا ترضون ان انتمي الى حزبكم.

اما صبري العسلي فقد انبرى لخالد العظم يذكره بحماسة كيف ان الاحزاب لم تقم بدورها السياسي المطلوب منها، وكيف كانت الحكومات تعاني الصعوبات من الحزبية ومن سيطرة هذه الاحزاب على سياسة الدولة واتجاهاتها، ثم عدد المشكلات التي عانى منها الوزراء من جراء مطالب النواب ورجال الاحزاب التي لا صلة لها بالامر العام، بل كانت ترمي الى غايات خاصة ومنافع شخصية.. "وكان صبري العسلي يتحدث وهو يضرب بيده الغليظة على الطاولة حتى كاد يكسرها وهو يقسم الايمان المغلظة بأن رجالات الاحزاب وهو في مقدمتهم قد اساءوا التصرف بحزبياتهم وان ما تعانيه البلاد وما سوف تعانيه ليس الا نتيجة تلك التصرفات" (مذكرات خالد العظم الجزء الثالث ص141)

كان العسلي يائسا من حزبه (الوطني) الذي تشرذم ولم يعد له وجود يذكر كما اسلفنا سابقا، كما كان يائسا من التفاهم مع ضباط الجيش ولا سيما جماعة عفيف البزرة وامين النفوري وعبد الحميد السراج بصورة خاصة وكان يكرهه ويخشاه، ولطالما

شكا لي من السراج وجسومة قائد الشرطة وغيرهم بسبب تجاوزاتهم، كما كان يمتدح امامي التزام الضباط الموالين للبعث، ولو اتيح للعسلي ان يكون صريحا اكثر في ذلك الاجتماع لشكا من ازدواجية الحكم التي كان يسببها هؤلاء الضباط بتجاوزاتهم مثلما شكا من تجاوزات الاحزاب السياسية.

والحقيقة ان رجال السياسة من شكري القوتلي الى صبري العسلي الى رشدي الكيخيا الى اصغر شخص من الموالين لهم، كانوا يعتقدون ان الحكم سيؤول اما الى حزب البعث واما الى الجيش وان الوحدة مع عبد الناصر هي الحل الوحيد امامهم.

اما خالد العظم فكان امره يختلف عنهم حيث كان على تفاهم تام مع عفيف البزرة وجماعة امين النفوري كما اسلفت.

الاجتماعات الحزبية

بعد عودة البيطار من القاهرة حاملا معه محضر الوحدة بين مصر وسورية، عقد الحزب اجتماعا ضم القيادت القطرية او مندوبين عنها من العراق والاردن ولبنان وقيادات الفروع في سورية وقبل ان يتلو البيطار محضر الوحدة مع مصر سألته عما فعل بالمشروع الاتحادي الذي حمله معه للقاهرة باسم الحزب والحكومة، فأجاب:

انني لم اعرض المشروع ... لان الوفد العسكري اقر الوحدة الاندماجية قبل وصولي للقاهرة لذلك طويته ولم اجد مبررا لعرضه.

كان هذا الجواب مبعث استغرابي ودهشتي اما هو فلم يكن يبدو عليه انه يشعر بأي مسؤولية تجاه ما اوتمن عليه من قبل الحزب والحكومة، بل كان يعتبر ما جرى في القاهرة نجاحا وفوزا عظيما... والحقيقة ان صلاح البيطار لم يجر اي مباحثات بشأن الوحدة مع مصر بل استلم مشروع الوحدة الاندماجية كما وضعه جمال عبد الناصر.

وقد فهم من كلامه ومن كلام جميع من ذهبوا للقاهرة من العسكريين ان جمال عبد الناصر اشترط لقيام الوحدة التامة شرطين:

1- حل التكتلات العسكرية في الجيش السوري وابتعاده عن الحزبية والسياسية وان يضع قادة الجيش انفسهم تحت تصرفه

2- حل الاحزاب السياسية.

وهنا لا بد من هذا التساؤل:

هل كان من المحتمل ان يتراجع جمال عبد الناصر عن محضر الوحدة الاندماجية بالشكل الذي وضعه بحال افتراض معارضة رئيس الجمهورية السورية والحكومة لهذا المحضر؟

الجواب: كلا.

كان عبد الناصر سيوعز للعسكريين ان ينقلبوا على الوضع في سورية، يؤيده في ذلك حزب البعث العربي الاشتراكي والاحزاب الاخرى ومعظم الرأي العام، اما المعارضون فسيعتبرون انفصاليين في احسن الاحوال، ان لم يتهموا بالخيانة والتآمر، لذلك كان من الطبيعي الا يعترض احد من المجتمعين اطلاقا على حل الحزب في سورية تسهيلا لقيام الوحدة، ولم يوجه احد من المجتمعين وعددهم كبير اي لوم للاستاذ صلاح البيطار الذي اعترف امامهم انه لم يخرج المشروع الاتحادي من حقيبته، ولم يطلع احدا عليه وكأنه يحمل قطعة من الحشيش المهرب.

كان المجتمعون موافقين جميعا على حل الحزب، لا استثني منهم احدا، وعلى رأسهم ميشيل عفلق، حتى انني شاهدت بأم عيني بعد انتهاء الاجتماع عبد الكريم زهور يعانق جمال الاتاسي فرحا وسمعت هذه الجملة:

الحمد لله، خلصنا من الحزب.

كما كان ابتهاج عبد الله الريماوي كبيرا لانه تخلص - حسبما توهم - من ميشيل عفلق، واصبح المرشح الوحيد للامانة العامة والمؤهل لقيادة البعث العربي الاشتراكي في الاقطار العربية الاخرى، ولم اسمع في تلك الفترة اي اعتراض على حل الحزب سواء من المدنيين او العسكريين الموالين للحزب.

وفيما يتعلق بحل حزب البعث في سورية يتحدث الدكتور جمال الشاعر البعثي السابق في كتابه "سياسي يتذكر" عن اوضاع الحزب بعد حله وعن مسؤولية هذا الحل بما يلي:

وبينما كان الاستاذان البيطار والحوراني يكتفيان بالنقد ومحاولة انقاذ الوضع (اي وضع الوحدة) اعتكف الاستاذ ميشيل في بيته واستقبل القيادات البعثية السابقة والبعثيين من غير السوريين والمصريين معبرا لهم عن مخاوفه مما يجري، كذلك رأى الاستاذ عفلق في الوضع الجديد الذي قام في العراق (بعد الاطاحة بعبد الكريم قاسم في تموز 1958) فرصة جديدة لاحداث التوازن بين مصر وسورية، على ان يكون اساس ذلك التوازن العودة الى حزب البعث كعمود فقري يساعد الحكم وقيادة عبد الناصر"

ولاجل هذه العودة وتنظيم اوضاع الحزب خارج سورية يقول الدكتور جمال الشاعر:

"عقدت اللجنة التحضيرية اجتماعاتها في شهر شباط عام 1959 لمدة ثلاثة ايام في دمشق، وكانت القيادات الرئيسية جميعها ممثلة في تلك الاجتماعات سواء من العراق او لبنان او الاردن، وتم الاتفاق بالاجماع على عقد المؤتمر القومي شبه التأسيسي الذي يناقش موضوع حل الحزب في مصر وسورية، وعلاقة الحزب بالجمهورية العربية المتحدة وبعبد الناصر، وبما يمكن ان يقوم في الدولة الجديدة من تنظيمات فكرية وشعبية، واخيرا وضع الاستاذ ميشيل عفلق.

وكان اهم ما دار من ابحاث في اجتماعات اللجنة التحضيرية موضوع حل الحزب، فقال الاستاذ ميشيل انه عندما فاجأه عبد الناصر بهذا الموضوع في اواخر مراحل المباحثات عن الوحدة بين مصر وسورية لم يترك له المجال للعودة الى القيادة القومية او المؤتمر القومي عملا بالنظام الداخلي للحزب واضطر ان يعطي الجواب في نفس الجلسة" (ص79 - لندن - دار رياض الريس للكتب والنشر)

بعد ايام من قرار حل الحزب جاءني عدد من الحزبيين وعلى رأسهم على ما اذكر الدكتور مدحت البيطار وقال بأنه لا يجوز ان يصدر قرار بحل الحزب دون توضيح [2] وتبرير مكتوب يعمم على الفروع في سورية وفي الاقطار العربية الاخرى فأجبتهم بالحرف الواحد:

انني وافقت على حل الحزب في سبيل قيام الوحدة، ولكنني لا اتمكن من تقديم اي تبرير مكتوب، وعليكم ان تطلبوا ذلك من الاستاذين ميشيل وصلاح او من عبد الكريم زهور والدكتور جمال الاتاسي او غيرهم من مثقفي الحزب القادرين على وضع التعليلات والتبريرات المقنعة.

وقد علمت ان الاستاذ عبد الكريم زهور قد اعتذر، وان الاستاذ ميشيل عفلق تولى وضع تقرير مكتوب برر فيه حل الحزب وتلاه على عدد من اعضاء الحزب فلم يعترض عليه احد واظن انه عمم على الفروع داخل وخارج سورية.

(2) يقول هاني الفكيكي احد البعثيين العراقيين الذين اعتمد عليهم ميشيل عفلق في اعادة تجميع فلول البعثيين وتنظيمهم بعد المؤثر الخامس وكذلك في الاعداد لانقلاب 63/3/8 ما يلي: "والغريب ان عفلق عندما قرر حل الحزب ووافق على حل الاحزاب في سورية، وذلك بقرار فردي لم يرجع فيه الى البعثيين،كان يعلم ان عبد الناصر سيحكم دولة الوحدة بمؤسساته المعروفة وشعبيته الطاغية، لكن عفلق طمع في ان تكون له حصته كأن يسلم البعثيون مسؤولية حكم سورية وأن تعطى له او لمن يرتئيه رئاسة "الاتحاد القومي"، وهو التبرير الذي لم يكتمه عفلق عند حديثه عن حل الحزب، برغم وجود اسباب اخرى وراء ذلك"
(كتاب اوكار الهزيمة - ص 147 - لندن - 1993- منشورات رياض الريس).

وفي اعتقادي ان الاستاذ ميشيل قد تحمل هذه المسؤولية توكيدا لقيادته للحزب، فقد كان امله ضعيفا في تولي اي مسؤولية رسمية في الجمهورية العربية المتحدة، وكان يأمل ان يبقى قائدا مرموقا في الدولة الجديدة وامينا عاما للحزب في البلاد العربية الاخرى التي ينافسه عليها عبد الله الريماوي، مطمئنا للتوجه المصري الذي بدا نحوه قبيل اعلان الوحدة.

وقد تأخر الاستاذ ميشيل بالاعلان عن اذاعة حل الحزب رسميا الى ما بعد الاستفتاء على الوحدة وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة، فقد نشر في الصحف بتاريخ 23 شباط عام 1958 البيان التالي:

في الساعة السادسة من مساء يوم الاحد 1958/2/23 عقد مجلس حزب البعث العربي الاشتركي بالقطر السوري اجتماعا استمع فيه الى بيان القيادة القومية وقرارها بحل فرع الحزب في الجمهورية العربية المتحدة، وبذلك يعتبر حزب البعث العربي في الجمهورية العربية المتحدة منحلا بكافة منظماته ومؤسساته.

التوقيع ميشيل عفلق الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي.

(نشر هذا البيان في الصحف السورية بتاريخ 1958/2/24)

الاجتماعات تستمر في القصر الجمهوري

واعود الان الى اجتماعات القصر الجمهوري:

اشار الرئيس القوتلي في احد هذه الاجتماعات الى وجوب تدوين محضر بنتيجة المباحثات حول الوحدة فكتبه صبري العسلي ودفع به للتوقيع، فوقعته بعد رئيس الجمهورية، ثم وقعه جميع الوزراء والضباط الخمسة الذين حضروا هذه الاجتماعات وكان تعليق خالد العظم عند التوقيع:

انني اوقعه وأسأل الله ان يبدد تحفظي.

وفي يوم السبت 58/1/25 سافر صلاح البيطار الى القاهرة حاملا معه الى جمال عبد الناصر محضر الوحدة موقعا من رئيس الجمهورية والحكومة دون تعديل او تبديل مع قرار حل الحزب في سورية.

وفي اخر جلسة عقدها القوتلي قال:

لقد ضحيت بمركزي وتنازلت عن رئاسة الجمهورية فأريد منكم هدية مقابل هذا التنازل فاستثار ذلك القول فضولنا، وتسمرت اعيننا عليه لمعرفة تلك الهدية فقال:

زارني اليوم فخامة هاشم الاتاسي فأبكاني حزنه وقلقه على ابنه عدنان (المحكوم عليه بالاعدام والذي استبدل بالاشغال الشاقة المؤبدة) وقد طلب مني ان تكون فاتحة عهد الوحدة صدور قانون للعفو عنه وعن رفاقه.

ولم يترك لنا القوتلي مجالا للتفكير بنتائج هذا العفو وانعكاساته السياسية فبدأ بسؤال المجتمعين واحدا واحدا عن رأيهم.

وفي غمرة من العاطفة وافقت على اقتراحه، وكادت الدموع تنفر من عيني لرجاء هذين الشيخين الجليلين اللذين لهما ماضيهما مهما اختلفت الاراء حولهما، وكنت العن في سري عدنان الاتاسي الذي جر والده وجرنا معه الى هذا الموقف الحرج المأساوي.

انقسم رأي المجتمعين حول اقتراح القوتلي فالضباط المجتمعون خالفوا بالاجماع هذا الاقتراح كما خالفه خليل الكلاس الذي قال:

اذا قررتم العفو فانني ساستقيل من الحكومة منذ هذه اللحظة.

ولكن القوتلي اصر على ضرورة العفو عن المحكومين وقال ان هاشم الاتاسي قدم للبلاد خدمات جلى تؤهله للمطالبة بهذه

المكافأة التي تبرىء جرحه وتزيل حزنه، ولما صمت المجتمعون قال القوتلي:

سأترككم وحدكم تتدارسون الامر وانني في غرفتي منتظر قراركم.

عاد المجتمعون الى مناقشة الموضوع فتحدث المخالفون عن الاثر السيء الذي سيحدثه هذا العفو فضلا عن التفسيرات والتأويلات التي ستدعو للاعتقاد بأن الاتجاه التحرري في سورية سيتبدل بقيام الجمهورية العربية المتحدة، وقد اسهبوا في استخلاص النتائج السيئة لقرار العفو بالنسبة للرأي العام، وكان الكلام مقنعا بعد انحسار موجة العواطف فاعلنت تراجعي وانضمامي لرأيهم، وهكذا قرر المجتمعون بالاجماع رفض طلب شكري القوتلي وكلفت مع خالد العظم وعفيف البزرة ابلاغ الرئيس هذا القرار.

وقبل ان تنتهي هذه الاجتماعات اقترح الرئيس القوتلي ان يذهب جميع الحاضرين الى القاهرة لاعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة، فقال احدهم انه لا يجوز ان تترك البلاد بلا حكومة ومسؤولين **فقلت لهم انني افضل البقاء في سورية** وقال السراج ذلك ايضا فتقرر العمل بهذا الاقتراح وانتظار الموعد الذي تقرره القاهرة.

□

كان يصاحب الاجتماعات التي عقدها رئيس الجمهورية مع الحكومة اجتماعات اخرى على الصعيد البرلماني والجبهوي، وكنت قد افسحت المجال امام مثل هذه الاجتماعات بارجائي اجتماعات المجلس النيابي، وقد عقد اركان الجبهة القومية خلال ذلك عدة اجتماعات اطلعوا فيها على مراحل المفاوضات، وكان جميع النواب يؤيدون ما تم بحماسة منقطعة النظير، ثم وجهت الدعوة للجنة البرلمانية للشؤون الخارجية الى جلسة بتاريخ 1958/1/30 حضرتها مع رئيس الحكومة والوزراء تولى فيها صلاح البيطار الحديث عن المراحل التي قطعتها قضية الوحدة والخطوات

التي تم الاتفاق عليها سياسيا ودستوريا، وكان الخامس من شهر شباط الموعد المحدد للجلسة التاريخية التي تم الاتفاق عليها لاعلان قيام الوحدة دستوريا في القاهرة ودمشق.

في تلك الفترة شرع المواطنون من جميع انحاء سورية بارسال برقيات التأييد الى رئيس الجمهورية والحكومة ومجلس النواب والصحف، كما شرعت جميع الاحزاب والتكتلات وجميع السياسيين القدامى والمحدثين اطلاقا باصدار البيانات والتصريحات وكلها تنبض بحرارة التأييد لهذا الهدف العظيم الذي كان حلما من الاحلام والذي سيصبح الان حقيقة وواقعا ملموسا.

صلاح البيطار يعمل بمعزل عن توجيهات الحزب والحكومة

لا بد لي من قبل الاسترسال في الكيفية التي اخرجت بها الوحدة بين سورية ومصر من الرجوع قليلا الى الوراء لتكتمل الصورة:

لا شك ان عبد الحميد السراج لعب دورا مهما في الضغط على قادة الجيش:

عفيف البزرة، امين النفوري احمد عبد الكريم وايهامهم بأن حزب البعث يعد مؤامرة للاستيلاء على السلطة، مما دفعهم لتشكيل الوفد العسكري من اعضاء مجلس القيادة والسفر الى القاهرة والاتفاق مع عبد الناصر على تحقيق الوحدة بالشكل المعروف.

ولكن الذي نشره احمد عبد الكريم في كتابه (اضواء على تجربة الوحدة) الصادر عام 1962 يدل ان صلاح البيطار كان له دور اكبر من دور عبد الحميد السراج ويقول احمد عبد الكريم:

طلب الي الاستاذ صلاح البيطار الاجتماع معه في مكتبه وكان عائدا من مصر وقال لي:

"ان الرئيس جمال عبد الناصر لا يقبل باتخاذ الاجراءات العملية للوحدة اذا لم يتأكد من موقف الجيش، وقال ان هنالك معلومات لدى الرئيس جمال عبد الناصر تشير ان بعضكم غير موافق على الوحدة مع مصر ومصمم على القيام بانقلاب عسكري واقامة حكم

ديكتاتوري، ولذا فانه لا يمكن ان يوافق على مبدأ الوحدة بين مصر وسورية اذا لم تبد قيادة الجيش رأيها بصراحة في هـذا الموضـوع" ثم يقول احمد عبد الكريم:

"ان حديث الاستاذ صلاح البيطـار والاقـوال التـي نقلهـا عـن لسـان الرئيس جمال عبد الناصر حول موقف قيادة الجـيش، حمـل اعضـاء مجلس القيادة علـى وضـع المـذكرة التاريخيـة المعروفـة وتوقيعهـا وذهاب الوفد العسكري الى القاهرة في نفس الليلة لابلاغها الـى الرئيس جمال عبد الناصر (ص89-90-91 الطبعة الاولى -دمشق)

هكذا يظهر ان الاستاذ صلاح قام بالدور المتمم لدور السـراج من وراء ظهر الحزب الذي كان احـد اعضـاء قيادتـه، ومـن وراء ظهـر الحكومة التي كان وزيرا للخارجية فيها.

لقد استجر صلاح البيطار ضباط الجـيش بالخديعـة والتخويـف لتقدير اخطر الامور التي ليسـت من صلاحيتهم ولا من اختصاصهم.

ويشير صلاح البيطار الى الدور الذي لعبه فـي قيـام الوحـدة بين سورية ومصر خلال المحادثات الثلاثيـة التـي جـرت اوائـل عـام 1963 بين عبد الناصر وبعثي العراق وسورية بما يلي:

السيد البيطار: "الاخوان ... جاءوا ... احسـان الجـابري بالـذات... نقـل حـديث كـان معكـم.. بأنـه.. يستشـم منـه ان مصـر مسـتعدة لتنفيـذ الوحـدة.. وشـفت عبـد المحسـن.. وشـفت محمـود ريـاض.. وفهمـت منهم.. بأنه كان فيه خوف من الجيش ذاته .. كيف تقـيم وحـدة وفـي امكانيات الجيش السوري ان يقوم بانقلابات؟

فانا جمعتهم بالواقع - احمد عبد الكريم وامين النافوري بالذات بينـت لهـم ان الموضـوع .. هـو عـدم ثقـة فـي ضـباط الجـيش ضـمن الوحدة اذا صارت... فاذا حدث هـذا فباعتقـد ان الشـروط بتكـون فـي جانب قيام الوحدة وعلى هذا الاساس اجتمعوا كلهم وجاءوا .. وعلى رأسهم عفيف البزري يريدون وحدة كاملة، بعد ان قدموا مذكرة.. وانـا كنت جايب مشروع وحدة اتحاديـة بالاصـل.. وارادوا ان يقيموهـا فـي 24 ساعة.. وانا جئت يعني انا اللي اوحيت لهم بالذهاب.. والواقع انا في بيت محمود رياض لما جاءه الخبر انه الان بعد ساعة مسـافرين،

وانا كنت مرتاح لسفرهم لانه حل العقدة في الواقع.. مالها عقدة بالنسبة لسوريا وبالنسبة لنا.. لانه فيه حلول كثيرة غير وحدوية من اجل يعني تغيير الوضع..

(ص 56 محادثات الوحدة الثلاثية - الطبعة الاولى - دار الاهرام - 1963)

والى دور العسكر في اقامة الوحدة يشير عبد الناصر في الموضع ذاته:

"الوحدة مين عملها؟ عملوها الضباط قبل الحكومة ما تعرف.. هل شكري القوتلي عمل وحده؟"

فيجيبه ميشيل عفلق: "الحزب هو بالدرجة الاولى عمل الوحدة، والعنصر العسكري نحن وجهناه"

ان قول ميشيل عفلق هذا حول دور الحزب مخالف للحقيقة لان الحزب قد اقر الاتحاد الفدرالي - كما ذكرت سابقا، ووضع مشروعا له تبنته الحكومة وكلفت صلاح البيطار بحمله الى القاهرة.

"بين الرغبة والرهبة"

لا بد لي في هذا المناسبة من ان احدد حقيقة مشاعري وافكاري بالنسبة لما كان بعد ان افلت زمام الامر من ايدينا اثر عودة صلاح البيطار من القاهرة حاملا معه اتفاقية الوحدة الاندماجية، كنت اتساءل بيني وبين نفسي:

الا يمكن ان يكون نظام عبد الناصر صالحا لبلادنا في المستقبل؟

هل الوضع الديموقراطي البرلماني في سورية اصلح من نظام عبد الناصر القائم؟

الا يمكن ان يكون الاتحاد القومي بديلا متقدما على حزب البعث من حيث تنظيمه وشموله واتساع قاعدته الجماهيرية، بديلا قادرا ان يكون اداة التغيير والثورة العربية الشاملة؟

كنت مقتنعا منذ ذلك الوقت وبشكل واضح بأن الوحدة بين قطرين عربيين متحررين من النفوذ الاستعماري - اي تقدميين - هو عمل ثوري بل هو ثورة مستمرة، وان نجاح الوحدة تعود مسؤوليته بالدرجة الاولى الى القيادة الثورية والى التنظيم الشعبي الذي ستقوم عليه الوحدة.

وعلى الرغم من عدم اطلاعنا العميق على خفايا نظام عبد الناصر، فاننا كنا نعلم ان الاتحاد القومي الذي كان موجودا في مصر قبل قيام الوحدة هو جسد من غير روح، بل لم يكن موجودا اصلا، وكان واضحا لدينا ان حزبنا - بالرغم من كل السلبيات والثغرات - كان متجاوزا فكريا وتنظيميا وتجربة نضالية شعبية كل ما افرزه نظام عبد الناصر من افكار ومؤسسات.

ولكننا كنا مخطئين عندما كنا نفرق بين جمال عبد الناصر كقائد ثوري وبين نظامه القائم، ولم نكن نعتبر نظامه معبرا عن طاقته الثورية.

كنا نأمل بأن تدفع ثورة الوحدة جمال عبد الناصر في طريق تبني ايديولوجية حزب البعث واستكمالها، من خلال بناء الاتحاد القومي كتنظيم ثوري وحدوي متقدم على البعث، والذي كان يمدنا بهذه الاحلام ما كنا نعانيه داخل الحزب من مشاكل، وهشاشة الجبهة الوطنية التي تزايدت بعد ان ساءت العلاقة مع الحزب الشيوعي والاتحاد السوفيتي بحيث يبلغ احراجنا حدا لا نرى فيه من مخرج الا الاقدام على انقلاب يتولى فيه حزب البعث العربي الاشتراكي الحكم، ولكن الحزب لم يكن قادرا على تحمل اعباء الحكم بمفرده في سورية، بالاضافة الى ما يؤدي اليه حكم الحزب الواحد من نتائج.

كان املنا هو الانطلاق من نظام عبد الناصر، ضمن وحدة البلدين، وتطوير هذا النظام ليصبح قادرا على القيام بدوره العربي.

ولكن عبد الناصر بعد قيام الوحدة مباشرة، وبدون اي مبرر، هاجم الاحزاب السابقة التي حلت نفسها واظهر عداء خاصا لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي تحمل القسط الاكبر من النضال

لاجل الوحـدة، ولمفاهيمـه الديموقراطيـة والاجتماعيـة والوحدويـة، وكان اعتماده لتدعيم حكمه على مخابراته وعلى جهاز اعلامه.

□

كانـت الافكـار والتحفظـات التـي تراودنـي تمحـي فـي الجـو القومي الوحدوي الكاسح الذي غمرنـا فـي سـورية، وكانـت الثقـة كبيرة بعبد الناصر مؤمم القنال والمعبر بصدق عن عروبة مصر تبـدد كل ما يمكن ان يراود النفس من تحفظات.

كنـت اجـد نفســي احيانـا اردد ابياتـا مـن قصـيدة نشــرتها الصـحف وقالـت انهـا تلحـن لتغنيهـا ام كلثـوم، اثبـت فـي هـذه المذكرات بعض ابياتها لانها تعبير بصدق عـن تلـك الحالـة الصـوفية التي غمرت شـعبنا فـي ايامـه المجيـدة، ومـن اقـدر مـن الشـعراء تعبيرا عن اللحظات الكبرى في تاريخ الشعوب؟

وفـق الله علـى النـور خطانـا والتقت فـي موكـب النصـر يـــــــــــــــــــــدانا

لا تســل عنـا ولا كيـف لقانـا واسأل التاريخ عنا والزمانـا

نحــن كنــا مهجــة واحــدة ودمـا حـرا وروحـا وجنانـا

بــارك الله خطانــا وســرت صيحة الفجر فلبينـا الاذانـا

في صباح الشـرق عـدنا امـة مثلما كنا على الدنيا وكانا

بـردى والنيـل فـي يـوم العـلا وحد الشعبين قلبا ولسـانا

هكـذا كانـت مشـاعري ومشـاعر المـواطنين بـلا اسـتثناء، عشـنا جميعا نشوة صوفية روحية منقطعة النظير.

كنا ننظر الى الوحدة كأنها العلاج السحري الذي سيشـفي جميع جراحاتنا في فلسطين والجزائـر، والسـلاح الـذي سـيرد لنـا

ثرواتنا العربية المنهوبة وكرامتنا المسلوبة ويرد لنا انسـانيتنا التـي ستدخلنا التاريخ الحضاري من جديد.

والحقيقة التي لا يماري فيها احد ممن عاشـوا تلـك الحقبـة الزمنية القصيرة ان سحر الوحـدة قـد حلـق بالنـاس فـوق اهـوائهم وانانياتهم الشخصية وامراضهم الموروثة.

كانت الوحدة مع مصر ثورة بحق.

1958: شكري القوتلي والحكومة السورية في القاهرة - اعلان المبادىء الدستورية لدولة الوحدة - الجلستان التاريخيتان لمجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري - حاضر الوحدة ومستقبلها كما كان ينظر اليها قادة البعث بعد ان تحققت وتبلورت في اطارها السياسي والدستوري - اعياد الوحدة - اعلان الاتحاد بين العراق والاردن - المخابرات المصرية تتدفق على دمشق وتستلم وزارة الداخلية للاشراف على الاستفتاء - جمال عبد الناصر في دمشق - عبد الناصر يجعل من عبد الحميد السراج رئيس المخابرات الرجل الاول في سورية - المحاولة السعودية للاطاحة بالوحدة - تشكيل المجلسين التنفيذين لسورية ومصر واصدار الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة.

شكري القوتلي والحكومة السورية في القاهرة.

بتاريخ 1958/1/31 وفي جو حماسي في سورية منقطع النظير، سافر شكري القوتلي الى القاهرة مع الحكومة السورية ورئيس الاركان عفيف البزرة، حيث كان عبد الناصر في استقبالهم، وقد صلى الرئيسان صلاة الجمعة في الجامع الازهر وسط مظاهرات شعبية ثم عقد الفريقان السوري برئاسة القوتلي والمصري برئاسة ناصر اجتماعا في مقر القبة عرض فيه الجانب المصري المبادىء الدستورية لنظام الدولة الجديدة فصادق عليها الجانبان.

كما اتفق ان يقوم شكري القوتلي يوم 1958/2/5 في مجلس النواب السوري بترشيح جمال عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة، وابلاغ مجلس الامة المصري هذا الترشيح، وان يتلو كل من الرئيسين امام كل من مجلس النواب

السوري ومجلس الامة المصري المبادىء الدستورية التي اتفق عليها.

وبعد انتهاء الاجتماع توجه الفريقان في موكب رسمي الى احد القصور الملكية حيث خطب الرئيسان في الجماهير المحتشدة، ثم كلف رئيس الوزراء صبري العسلي ان يتلو على الجماهير البيان التالي:

في جلسة تاريخية عقدت في قصر القبة في القاهرة في 12 من رجب سنة 1377هـ الموافق اول فبراير سنة 1958م، اجتمع فخامة الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر بممثلي جمهوريتي سوريا ومصر السادة: صبري العسلي، عبد اللطيف البغدادي، خالد العظم، زكريا محيي الدين، حامد الخوجة، حسين الشافعي، مأمون الكزبري، انور السادات، اسعد هارون، عبد الحكيم عامر، صلاح الدين البيطار، كمال الدين حسين، خليل الكلاس، نور الدين طراف، صالح عقيل، فتحي رضوان، عفيف البزري، محمود فوزي، كمال رمزي استينو، علي صبري، عبد الرحمن العظم، محمود رياض.

وكانت غاية هذا الاجتماع ان يتداولوا في الاجراءات النهائية لتحقيق ارادة الشعب العربي ولتنفيذ ما نص عليه دستور الجمهوريتين، من ان شعب كل منهما، جزء من الامة العربية، لذلك تذاكروا ما قرره كل من مجلس الامة المصري، والمجلس النيابي السوري، من الموافقة الاجماعية على قيام الوحدة بين البلدين، كخطوة اولى، نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة، كما تذاكروا ما توالى في السنين الاخيرة من الدلائل القاطعة على ان القومية العربية كانت روحا لتاريخ طويل ساد العرب في مختلف اقطارهم، وحاضرا مشتركا بينهم، ومستقبلا مأمولا من كل فرد من افرادهم.

وانتهوا الى ان هذه الوحدة التي هي ثمرة القومية العربية هي طريق العرب الى الحرية والسيادة، وسبيل الانسانية الى التعاون والسلام، ولذلك فان واجبهم ان يخرجوا بهذه الوحدة من نطاق الاماني الى حيز التنفيذ، في عزم ثابت واصرار قوي، ثم

خلص المجتمعون من هذا كله الى ان عناصر قيام الوحدة بن الجمهوريتين السورية والمصرية واسباب نجاحها قد توافرت بعد ان جمع بينهما في الحقبة الاخيرة كفاح مشترك زاد معنى القومية وضوحا واكد انها حركة تحرير وتعمير وعقيدة تعاون وسلام.

لذلك رأى المجتمعون ان يعلنوا اتفاقهم التام، وايمانهم الكامل، وثقتهم العميقة، في وجوب اتحاد سوريا ومصر، في دولة واحدة، اسمها الجمهورية العربية المتحدة.

كما رأوا ان يعلنوا اتفاقهم الاجماعي على ان يكون نظام الحكم في الجمهورية العربية ديموقراطيا رئاسيا، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم رئيس الدولة، ويكونون مسؤولين امامه.

كما يتولى السلطة التشريعية في هذه الجمهورية مجلس تشريعي واحد، وسيكون لها علم واحد، يظلل شعبا واحدا، وجيشا واحدا، في وحدة يتساوى فيها ابناؤها في الحقوق والواجبات، ويدعون جميعا لحمايتها بالانفس والمهج والارواح، ويتسابقون لتثبيت عزتها وتأكيد منعتها، وسيتقدم كل من فخامة الرئيس شكري القوتلي وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر ببيان الى الشعب يلقى امام المجلس النيابي السوري ومجلس الامة المصري، في الاربعاء 16 من رجب سنة 1377 الموافق 5 من فبراير سنة 1958، يبسطان فيه ما انتهى اليه هذا الاجتماع من قرارات ويشرحان اسس الوحدة التي تقوم عليها دولة العرب الفتية.

كما سيدعى الشعب في مصر وسوريا الى استفتاء خلال ثلاثين يوما على اسس الوحدة وشخص رئيس الدولة.

والمجتمعون، اذ يعلنون قراراتهم هذه، يحسون باعمق السعادة واجمل الوان الفخر، اذ شاركوا في الخطوة الايجابية، في طريق وحدة العرب وتضامنهم، تلك الوحدة التي عاشت تملأ قلوب العرب كأمل مرموق، وهدف عظيم، حقبة بعد حقبة وجيلا بعد جيل، والله نسأل ان يكلأ هذه الخطوة، وما يتلوها من خطوات، بعين

رعايته الساهرة، وبفضل عنايته السابغة، وان يكتب للعرب في ظل الوحدة، العزة والسلام.

القاهرة في 12 رجب سنة 1377هـ الموافق اول فبراير سنة 1958م.

□

بدأت اعياد الشعب منذ اعلان البيان التاريخي المشترك في القاهرة، ففي ليل الاحد 2-2-58 ماجت دمشق "بالعراضات" الزاحفة من الاحياء والضواحي والقرى فكان التهليل في كل شارع وساحة وسوق، واستمر ذلك طيلة الليل، وفي اليوم التالي نظمت دمشق مهرجاناتها فسارت قوات المقاومة الشعبية والفتوة في الشوارع واشتركت في المواكب الوفود الزاحفة من حمص وحماة وحلب واللاذقية وبقية المحافظات السورية، ثم بدأت هذه الجموع التي بلغت عشرات الالوف بالتوجه الى مبنى المجلس النيابي حيث وقفت مع بعض النواب لتحيتها، ثم انضم الينا فخري البارودي والعقيد صلاح البزرة قائد قوات المقاومة الشعبية، ولما عانقني فخري البارودي طفرت الدموع من عيني.

كان فخري البارودي مؤلف النشيد الذي طالما غنيناه ونحن صغار، هذا النشيد الذي انتشر في دنيا العروبة من محيطها الى خليجها:

بلاد العرب اوطاني من الشام لبغدان

ومن نجد الى عدن الى مصر فتطوان

فلا حد يباعدنا ولا دين يفرقنا

لسان الضاد يجمعنا بغسان وعدنان

القيت في تلك الجموع المتماوجة كالبحر كلمة مختصرة جاء فيها:

"ان الجو الذي نعيشه في هذه الساعات التاريخية، وبعد ان دخلنا حرم الوحدة، يشبه جو الصلاة والعبادة، وان تحقيق الوحدة

بين سورية ومصر هو انعطاف تاريخي، وهو من اعظم الانتصارات التي تحققت في هذا العصر وانه الطريق لتحقيق وحدتنا العربية الشاملة وتحرير فلسطين والجزائر وكل ارض عربية من براثن الاستعمار الغربي"

بعد ذلك تفرقت الجموع في الشوارع والساحات حيث عقدت حلقات الدبكة وكانت تردد الاهازيج التي تعبر فيها عن مفاهيمها للوحدة مع مصر والتي كان لحزب البعث اعظم الادوار بالتبشير بها وترسيخها وفيما يلي بعض هذه الاهازيج.

وحدة مصر وسورية

جسر الوحدة العربية

وبدنا وحدة عربية

شوكة بعين الرجعية

وحدة ضد الاستعمار

واحلافه العسكرية

بدنا وحدة عربية

اسلام ومسيحية

حرية وديموقراطية

وعدالة اجتماعية

***

يا لشعب العربي هات هات

حرية وانتصارات

حرية للجزائر

للوطن العربي الثائر

اهل فلسطين تنادي

بدي ارجع لبلادي

يا خويا في بغداد
خلي السلاح ينادي
بين الفرات والوادي
لنحطم الاعادي
***
خاين يا نوري السعيد
شعبنا مثل الحديد
يا خويا في عمان
يا الله انزل على الميدان

ولم يكن هذا الانفجار الشعبي العارم مقتصرا على دمشق وحدها وانما عم جميع مدن وقرى سورية من اقصاها الى اقصاها.

استمرت اعياد الوحدة في سورية اياما عديدة وقد رافقها انفجارات شعبية في لبنان والكويت ولكنها في العراق قمعت قمعا لا رحمة فيه كما عم الاضراب جميع مدن الاردن، لقد احتفل الشعب العربي في مختلف اقطاره من الخليج الى المحيط بقيام الوحدة واعتبرها خشبة الخلاص بالرغم مما كان يعانيه من حكم البطش والارهاب في معظم اقطاره.

الجلسة التمهيدية لمجلس النواب السوري

قبل انعقاد هذه الجلسة احب ان اشير الى الوقائع التالية:

1- نشرت جريدة الاهرام بتاريخ 1958/2/4 نبأ نقلته عنها الصحف السورية:

"لن يطبق تحديد ملكية الارض الزراعية المطبق في مصر على الاقليم السوري وذلك لان الاصلاح الزراعي في سورية لا يتطلب هذا التحديد ففيها 14 مليون فدان لاربعة ملايين نسمة بينما في مصر ستة ملايين فدان لـ (26) مليون نسمة (جريدة النصر العدد 391 تاريخ 58/2/5)

2- اعلن في اليوم نفسه عن وصول فيضي الاتاسي نائب حمص والمتغيب عن البلاد منذ اكثر من عام لانه كان متهما بكتم المعلومات في دعوى المؤامرة الكبرى على سلامة البلاد، كما اعلن انه سيحضر جلسة مجلس النواب التاريخية.

3- قبل ظهر اليوم نفسه اي يوم 4-2-58 زارني خالد بكداش رئيس الحزب الشيوعي في مكتبي برئاسة مجلس النواب السوري، وكانت علائم الاضطراب على وجهه فقال:

اظن ان نهار الغد هو موعد الجلسة التي سيعلن فيها قيام الوحدة، فلما اكدت له ذلك قال:

اتسمح لي ان اوضح في هذه الجلسة رأي الحزب الشيوعي في الوحدة؟

قلت:

او عندك شك في ذلك؟؟ هل تظن انني من الذين يسجلون على انفسهم منع النواب من ابداء آرائهم تحت قبة المجلس؟ ان هذا انحراف وعار لن ارتكبه مهما كانت اقوالك، انت حر بالحضور وحر بابداء رأيك بالاسلوب الذي تختاره، قال بكداش:

اذن سأحضر جلسة الغد.

ولكنه لم يحضر الجلسة، ثم سمعت انه غادر البلاد ولا ادري ما هي الظروف التي احاطت بهذا السفر.

□

عقد المجلس بالاتفاق مع الحكومة في الرابع من شهر شباط اجتماعا تمهيديا حضره النواب ورئيس الحكومة واعضاء الوزارة، كما حضره رشدي الكيخيا الذي كان قد قدم استقالته منذ زمن، كما حضره فيضي الاتاسي الذي كان هاربا، وقد شرح السيد صبري العسلي في هذا الاجتماع التمهيدي ما تم الاتفاق عليه بين الحكومتين في دمشق والقاهرة ولقيام الجمهورية العربية المتحدة، وقد وافق النواب بالاجماع على الخطوات التي تمت، واقترحوا تشكيل لجنة مؤلفة من النواب: رئيف الملقي، عبد الكريم زهور، مظهر الشربجي، عبد الوهاب حومد لوضع صيغة قرار الموافقة على قيام الجمهورية العربية المتحدة، وانتخاب جمال

عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة، كي يتلى نهار الغد، كما اقترحوا اقامة حفلة تكريمية للرئيس شكري القوتلي وتقديم وسامي الشعب لشكري القوتلي وعبد الناصر.

الجلستان التاريخيتان لمجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري بتاريخ 1958/2/5

اقام الجيش بعد ظهر اليوم عرضا عسكريا شاهده اكثر من مائة الف شخص، وقد تمركز على طول الطريق من دار القوتلي الى مكان العرض في ساحة الجلاء ومنه الى مبنى المجلس النيابي سياج شرف من الجيشين السوري والمصري، وعلى باب المجلس استقبلت مع اعضاء مكتب المجلس الرئيس القوتلي ورافقته الى القاعة حيث استقبله النواب بالتصفيق، فتوجه القوتلي الى المكان المعد له في منتصف قاعة المجلس.

وقد افتتحت هذه الجلسة التاريخية بالكلمة التالية:

باسم الله العلي القدير، باسم الشهداء الابرار الذين فاضت ارواحهم في سبيل هذا اليوم، باسم المجاهدين الاحرار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى ومنهم من ينتظر هذه الساعة، باسم كل من اسهم في سبيل هذه الدقيقة، باسم الامة العربية في الوطن العربي الاكبر افتتح هذه الجلسة.

احمد الله ان تكون هذه الحكومة واعضاء هذا المجلس عاملين وشاهدين لهذه الجلسة التاريخية، وان يكون الرئيس القوتلي وهو من زكت نفسه التضحية وملأ قلبه الايمان وتوجت هامه سلسلة الامجاد التاريخية وحمل امالنا في الحرية والكرامة والاستقلال قد جاء اليوم ليحمل امنيتنا في تحقيق وحدتنا، فاللهم اشهد انه حقق الرسالة وادى الامانة فله تقدير الوطن ومشارف المجد وهامات الخلود.

حضرات النواب المحترمين

ان فخامة الرئيس شكري القوتلي سيدلي ببيان امام مجلسكم يبسط فيه ما تم الاتفاق عليه من قرارات في اسس الوحدة التي تقوم عليها دولة العرب، فالكلام الان للمواطن العربي الاول شكري القوتلي.

وقد القى الرئيس القوتلي كلمة مطولة جاء فيها:

"كانت حركة النضال السوري ايها النواب المحترمون، على اتصال مستمر وثيق، جهارا وسرا، بشتى عناصر المقاومة في كل ارض عربية وكنا نعمل ابدا على ان تتواصل حركات المقاومة والجهاد في كل بلد عربي فرضت عليه التجزئة والانتداب او قيود المعاهدات وكثيرا ما التقت التيارات السورية بالروافد العربية هنا وهناك، لاعلان النقمة والثورة، على سلطات الاحتلال والاغتصاب، وكنا نوجه النضال المحلي توجيها قوميا شاملا قناعة منا بأن النجاح معقود على تعاقد الايدي، وتلاقي القوى وليس من سبيل للاعراب عن وحدة الارض، ووحدة الهدف ووحدة المصير الا بوحدة النضال والعمل القومي المشترك".

"واخذت ابواق الاستعمار منذ عام 1945 تقرع نذير الخطر المقبل من العالم العربي متلاقية على هدف واحد في قمع حركة الانطلاق ووضع السدود في طريق الركب المتصاعد، وعبثا كانوا يهولون ويكيدون، وعبثا ما كانوا يضعون في طريقنا من مصاعب وعقبات، فقد شببنا على الطوق، وخرجنا الى النور وعبثا نقبل لحريتنا بديلا.

لقد رفضنا كل مساومة على حريتنا. ونبذنا كل مشروع يمس سيادتنا وكرامتنا. وشعرنا منذ ايام الاستقلال الاولى ان المستعمر ينظر الى بلادنا الحرة، نظرته الى فراغ يطمع به، ويطمح الى ملئه، فوقفنا بوجه المطامع الجديدة وقفة ايمان وعز، وكان جوابنا على محاولة سافرة او مقنعة بأننا لم نجل الغاصبين، ليحل محلهم غاصبون آخرون، مهما كانت ازياء صداقاتهم ومجاملاتهم، بل قد خيل اليهم ان متاعب ايام الاستقلال ستطفيء في صدورنا جذوة الطموح الى استكمال اسباب الحياة الحرة العزيزة فراحوا يترقبون ويتربصون، ثم ادركوا اننا طلاب حرية ووحدة، فلوحوا لنا بمشاريع ذات اشكال خادعة من الاتحاد والوحدة كمشروعي سورية الكبرى والهلال الخصيب، وادركنا بلاوناء، ان هذه المشاريع ليس وراءها سوى سوق استقلالنا الى مزالق النفوذ الاجنبي وربط حريتنا بمعاهدات مفروضة"

ولقد ارادوا لنا الحرية بعد طول المضاء والعناء حرية مغلولة اليد، مشلولة الحركة، ترسف في اغلال الاتفاقيات والاحلاف، وتتوكأ عاجزة على عصي المساعدات والتبرعات فلا تعكس من واقع الحرية سوى ظلاله وابينا الا ان نريدها حرية كاملة شاملة تمثل سيادة امة، وطموح حياة عزيزة كريمة، وكان لا بد لمصر من ان تدخل معركة الحرية الضارية في تأميم قناة السويس، كما دخلت سورية معارك الحرية تتوالى، فاستحق هذان الجزاءان العربيان الغاليان نعمة الحرية الوارفة الظلال بعد ان وضعتهما التجارب على لظى النيران".

"وفي سبيل هذه الحرية والسيادة نادينا بمبادىء الحياد الايجابي وعدم الانحياز لانه من شروط السلامة والسيادة ان نتحرر من سياسة الطامعين، ومضرمي الحروب، فليست ارضنا موطئا لاقدام جيوشهم، ولا ثرواتنا موردا لحروبهم، ولا ابناؤنا، جنودا في معسكراتهم"

"وانه لمن اعز ما نفاخر به اليوم، ونحن مقبلون على حدث الاحداث العربية في القرن العشرين ان السوريين لم يصونوا استقلالهم الا ليدفعوا به الى الامام عجلة الاستقلال العربي كاملا، ولم يحتفظوا لانفسهم بسلامة كيانهم وسيادتهم في ارضهم إلا ليلقوها دعامة راسخة في بناء كيان عربي ذي سيادة، وقد شرفني ان اعرب عن ضمائرهم وشعورهم يوم الجلاء عام 1946 عندما رفعت علم الاستقلال، وقلت لن يرتفع فوقه ان شاء الله الا علم واحد هو علم الوحدة العربية".

"واليكم ايها النواب المحترمون هذه المبادىء التي تم الاتفاق عليها لتكون اساسا في بناء الجمهورية العربية المتحدة، اقدمها لمجلسكم الكريم وفاقا لما تقرر في الجلسة التاريخية المنعقدة في قصر القبة".

اولا: الدولة العربية المتحدة جمهورية ديموقراطية مستقلة ذات سيادة وشعبها جزء من الامة العربية.

ثانيا: تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما مصر وسورية ويكون لكل اقليم مجلس تنفيذي يرأسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ويعاونه وزراء يعنيهم رئيس الجمهورية بناء على اقتراح رئيس المجلس.

ثالثا: الحريات العامة مكفولة في حدود القانون.

رابعا: الانتخاب العام حق للمواطنين في الوجه المبين في القانون ومساهمتهم في الحياة العامة واجب وطني عليهم.

خامسا: يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الامة، ويشترط ان يكون نصف الاعضاء على الاقل من بين اعضاء مجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري.

يحدد عدد اعضاء هذا المجلس ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية.

سادسا: يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية

سابعا: الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقا للقانون.

ثامنا: انشاء الضرائب العامة او تعديلها او الغاؤها لا يكون الا بقانون ولا يعفى احد من ادائها في غير الاحوال المبينة في القانون.

تاسعا: القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون.

عاشرا: كل ما قررته التشريعات المعمول بها في سورية وفي مصر يبقى ساري المفعول في النطاق الاقليمي المقرر له عند اصدارها، ويجوز الغاء هذه التشريعات او تعديلها.

حادي عشر: تبقى احكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سورية ومصر وبين الدول الاخرى سارية المفعول في النطاق الاقليمي المقرر لها عند ابرامها وفقا لقواعد القانون الدولي.

ثاني عشر: تبقى المصالح العامة والنظم الادارية القائمة معمولا بها في كل من سورية ومصر الى ان يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية.

ثالث عشر: يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحي

السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية.

رابع عشر: تتخذ الاجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية.

بعد تلاوة مواد الدستور اعلن القوتلي توجيه الكتاب التالي الذي يتضمن ترشيح جمال عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة:

سيادة رئيس مجلس الامة - القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد انني اذ اعلن لمجلس النواب السوري رسميا مولد الجمهورية العربية المتحدة والميثاق الذي تم الاتفاق عليه بين حكومتي جمهورية مصر والجمهورية السورية في اجتماعات القاهرة في يوم الجمعة الاول من فبراير الى يوم الاحد الثالث منه عام 1958 الموافق للثاني عشر من رجب الى الرابع عشر منه 1377 فيصبح حلم الاجيال العربية حقيقة واقعة تنفيذا لارادة شعب الجزئين العربيين الغاليين، ارى من واجبي ونحن قادمون على الاستفتاء الشعبي المقرر لانتخاب رئيس الجمهورية العربية المتحدة يوم الجمعة 21 فبراير عام 1958م، ان اكون المواطن الاول في الدولة الجديدة الذي يرشح سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا لها، شعورا مني بالواجب تجاه امتي وبلادي، وثقة مني باخلاص هذا الرجل العربي المؤمن، الذي تعقد عليه الامة اكبر الامال، وتقديرا لما يتمتع به من صفات النزاهة والجرأة والاقدام وعلى رأسها تفانيه في خدمة امته العربية.

انني اذ ارشح سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لتسلم هذه الامانة الغالية، اعلن ثقتي واطمئناني الى ان سيادته سيعمل على اعلاء شأن الجمهورية الفتية بكل تجرد وصدق لما فيه عزها ورخاؤها وسعادة مواطنيها، وما فيه خير العرب في جميع ديارهم ومساكنهم والله ولي التوفيق..

شكري القوتلي

الاربعاء الخامس من شباط (فبراير)

1958

ثم انهى القوتلي كلمته قائلا:

بهذا ايها النواب الكرام اتم واجبي، واكون قد اديت الامانة الغالية التي حملتموني اياها تكريما وتشريفا، وانا على اشد ما يكون المواطن مغمورا بشعور الرضى، رضى الله وضميري وامتي.

فالى مجلسكم الكريم رئيسا واعضاء اوجه اجمل التحية والشكر لما نهضتم به من اعباء جسيمة وما انجزتم من تشريعات مفيدة، خلال عهد نيابتكم الزاهر، فمثلتم شعبكم خير تمثيل وتوجتم اعمالكم القومية بقراركم التاريخي في وحدة مصر وسورية.

والى الحكومة المجدة العاملة برئيسها ووزرائها الذين كانوا في ايام الشدائد التي مرت بالبلاد خير من يمثل اباء هذا الشعب وعزته وطموحه واقدامه اجمل التحية والتقدير، لانهم بفضل علمهم واخلاصهم وايمانهم تمكن جهاز الحكم في البلاد من اجتياز ادق المراحل في تاريخها الحديث وقد بلغوا في محادثات الوحدة القومية مع مصر العزيزة اوج التوفيق والنجاح وكتبوا باقلامهم وثيقة الحرية والوحدة.

الى الجيش السوري الفتي بقيادته وضباطه وجنوده اوجه تحيتي وشكري واعجابي، وقد كان الجيش عيننا الساهرة وساعدنا العامل، ودرعنا الواقي، وكان القذى في عيون الاعداء والشوك في مضاجع رقادهم، كما كان في ميدان التعاون العسكري عن طريق القيادة المصرية السورية المشتركة خير عامل من عوامل تحقيق الوحدة القومية بين جيش الجزئين العربين المناضلين.

الى هذا الشعب العربي الحبيب الذي طالما منحني محبته واكرمني بثقته وشجعني بحماسته وايمانه، وملأ قلبي زهوا وفخرا بأمتي وبلادي، الى هذا الشعب الابي المقدام الذي كان وراء كل شجاعة وتضحية وانتصار الى هذا الشعب ارسل تحيتي بوعد:

ووعدي ان اكون ابدا في خدمته، جنديا من جنوده، وعاملا اسعى لخيره واسعاده في ظل عهده الجديد وجمهوريته العربية المتحدة.

وبعد انتهاء القوتلي من خطابه تلا امين السر القرار الذي وضعت صيغته لجنة من النواب في الجلسة الصباحية التمهيدية فوقع عليه جيمع النواب وفيما يلي نصه:

ان مجلس النـواب بعـد ان اسـتمع الـى البيـان التـاريخي الـذي تفضـل فخامة رئيس الجمهوريـة بالقائـه فـي جلسـة يـوم الاربعـاء الموافـق 16 رجـب 1377 و 5 شـباط 1958 شـارحا اسـس الوحـدة بـين الاقليمـين العـربين مصـر وسورية يبـارك الخطـوات التـي قـام بهـا الرئيسـان والحكومتـان لتحقيـق هـذه الامنية القومية العزيزة على قلب كل عربي، ويؤيد المبادىء الدسـتورية التـي اتفق عليها ووردت في البيان للعمل بها خلال الفترة الانتقالية.

وان مجلـس النـواب يـرى مـن واجبـه فـي هـذه اللحظـة المباركـة ان يسـجل بـالفخر والاعتـزاز الموقـف المشـرف للرئيسـين المـؤمنين العظيمـين شـكري القـوتلي وجمـال عبـد الناصـر وجهـدهما الميمـون الـذي حقـق للامـة العربية امنية قدمت في سبيلها تضحيات ودماء، وكانت اخر رؤيا اطبقت عليهـا اعين الشـهداء.

ان المثـل الرائـع الـذي ضـربه فخامـة السـيد شـكري القـوتلي بصـدق جهاده وعميق ايمانه، وعظيم ايثاره، سـيظل الهـدى الـذي تهتـدي بـه اجيـال الامة العربية.

ان اعضاء مجلس النواب بموافقتهم وتأييدهم لما تـم انمـا يعبـرون عـن ارادة الشعب العربي في الاقليم السوري ويؤدون الامانة ويوفون بالعهـد حـين اقسموا اليمين الدستورية على العمل لتحقيق وحدة الاقطار العربية.

ومجلس النواب يـرى فـي ترشـيح سـيادة الـرئيس جمـال عبـد الناصـر لرئاسة الجمهوريـة العربيـة المتحـدة الضـمانة الاكيـدة للسـير بالدولـة العربيـة الفتية نحو تحقيـق اهـداف القوميـة العربيـة، وتوطيـد العدالـة والخيـر والسـلام للعرب والانسانية.

وبقلوب مؤمنة نتجه الى الله العلي القدير ان يرعـى دولتنـا الفتيـة وان يجعلها فاتحة جمع شمل امتنا العربية في دولة واحدة.

دمشـق فـي 16 رجـب 1377 و5 شـباط 1958

ثم ابرقت للسيد عبد اللطيف البغدادي بقرار مجلس النـواب السوري مع كتاب الرئيس القوتلي بترشيح جمال عبد الناصر فتليا

في مجلس الامة المصري الذي كان منعقدا حيث القى عبد الناصر خطابا جاء فيه:

أيها المواطنون اعضاء مجلس الامة:

"في حياة الشعوب اجيال يواعدها القدر ويخصها دون غيرها بأن تشهد نقطة التحول الحاسمة في التاريخ، انه يتيح لها ان تشهد المراحل الفاصلة التي تشبه مهرجان الشروق حين يحدث الانتقال العظيم ساعة الفجر من ظلام الليل الى ضوء النهار، ان هذه الاجيال الموعودة تعيش لحظات رائعة، انها تشهد لحظات انتصار عظيم لم تصنعه وحدها، ولم تحقق نتيجته بمفردها، وانما هي تشهد النتيجة المجيدة لتفاعل عوامل اخرى كثيرة واصلت حركتها في ظلام الليل ووحشته، وعملت وسهرت وظلت تدفع الثواني بعد الثواني الى الانتقال العظيم: ساعة الفجر"

"ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة: لقد كان الكفاح من اجل الوحدة هو بنفسه الكفاح من اجل القوة من اجل الحياة، ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة ابرز معالم تاريخ امتنا فما من مرة تحققت الوحدة الا تبعتها القوة وما من مرة توفرة القوة الا وكانت الوحدة نتيجة طبيعية لها وليس محض صدفة ان اشاعة الفرقة واقامة الحدود والحواجز كان اول ما يفعله كل من يريد ان يتمكن في المنطقة ويسيطر عليها، وكذلك لم يكن محض صدفة ان محاولات الوحدة في المنطقة لم تتوقف منذ اربعة الاف سنة طلبا للقوة بل طلبا كما قلت للحياة.

لقد كان اسلوب السعي الى الوحدة يتشكل بالعصر الذي قد تعيش فيه كل محاولة لتحقيقها ولكن الهدف ظل دائما لا يتغير وبقيت الغاية في كل وقت هي هذه اللحظات التي نعايشها الان.

لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح يوم كان السلاح هو وسيلة التعبير في الطفولة الاولى للبشرية، واتحدت المنطقة بتعيين النبوات حين بدأت رسالات السماء تنزل الى الارض لتهدي الناس، واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات وتقول كلمة الله الاخيرة في دعوة عباده الى الحق، واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة في امة عربية واحدة، واتحدت المنطقة باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان، واتحدت المنطقة

تحت قوة الامة المشتركة يوم واجهت استعمار اوروبا يتقدم منها محاولا ان يرفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية، وكان معنى الوحدة قاطعا في دلالته حين اشتركت المسيحية في المشرق العربي في مقاومة الصليبيين جنبا الى جنب مع جحافل الاسلام حتى النصر، واتحدت المنطقة بالمشاركة في العذاب يوم حلت عليها غارات الغزو العثماني واسدلت من حولها استار الجهل".

"ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة: هكذا ترون الوحدة حقيقة، حقيقة نسعى اليها او حقيقة قائمة بالفعل وهكذا ترون ان الصراع من اجل القوة من اجل الحياة يتم ويتحقق بالوحدة او ترون الوحدة لا تتم ولا تتحقق الا بقوة الحياة، هكذا ترون ان تاريخ القاهرة في خطوطه العريضة هو بنفسه تاريخ دمشق في خطوطه العريضة ولقد تختلف التفاصيل ولكن المعالم البارزة هي نفس المعالم، نفس الدول، نفس الغزاة، نفس الملوك نفس الابطال، ونفس الشهداء.

بل انه لما بدا في بعض الاحيان ان مصر ابتعدت عن الفكرة العربية وقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر ثم تحت حكم اسرة محمد علي لم يكن الامر في باطنه يمثل ما يبدو في ظاهره.

لم يكن البعد الا سطحيا ولم تكن القطيعة الا باللسان اما الشواهد الحقيقية واما الادلة الاصلية فكانت تؤكد ان ما قربه الله لا يمكن ان يبتعد وما وصلته الطبيعة لا يمكن ان ينقطع، ومن بين الشواهد والادلة ان جيش الفلاحين الذي سار تحت قيادة ابراهيم باشا ليحرر سوريا من الظلم العثماني كان يسمي نفسه بالجيش العربي."

"كل ما حدث في سوريا حدث في القاهرة، حدث في مصر وسوريا ذلك الفوران الذي اعقب الحرب العالمية الثانية وبدأت على اثره حركات التحرير الهائلة في افريقيا واسيا حدثت في سوريا ومصر هذه الهزات العنيفة ووراءها جميعا محاولات تغيير الاوضاع الى الافضل والاحسن، حدث في مصر وسوريا ذلك الاندفاع الى حرب فلسطين بالفروسية والايمان ولكن من غير سلاح، ثم كانت في القاهرة ودمشق تلك الاثار التي ترتبت على حرب

فلسطين والتي كان اولها تلك اليقظة التي تشبه انتفاضة من لسعته النار فاستفاق.

ثم في سوريا ومصر نفس المعارك ولو قصرنا الحساب على الشهور الاخيرة فقط لكان مدهشا ان المعارك التي خاضتها دمشق هي نفس المعارك التي خاضتها القاهرة معركة الاحلاف العسكرية، معركة السلاح، معركة عدم الانحياز، معركة المؤامرات، معركة التحرر الاقتصادي، بل ان سوريا خاضت معركة قناة السويس بنفس العنف وبنفس القوة التي خاضت بها بورسعيد معركة قناة السويس، وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة الى سوريا واعصابها كلها في دمشق وامام اعصابها قطعة من جيشها احتل جنودها مراكزهم جنبا الى جنب مع اخوانهم جنود سوريا، ولقد كان ذلك كله مدهشا ولكنه لم يكن من صنع الصدف، لقد مهدت عوامل كثيرة وكبيرة نبيلة وعميقة لهذا الذي ربط بين مصر وسوريا، مهدت الطبيعة ومهد التاريخ، مهد الدم ومهدت اللغة، مهدت الاديان ومهدت العقائدية ومهدت السلامة المشتركة".

"ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة: لقد انتهت محادثاتنا الى اعلان الوحدة رسميا وتوقيع هذا الاعلان في يوم السبت الاول من شباط 1958 وقد اودع هذا الاعلان التاريخي في مكتب مجلسكم وكانت النتيجة الكبرى هي توحيد مصر وسوريا في دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة يكون نظام الحكم فيها ديموقراطيا رئاسيا يتولى فيها السلطة التنفيذية رئيس لدولة يعاونه وزراء يعينهم ويكونوا مسؤولين امامه كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد ويكون لها علم واحد يظل شعبا واحدا في وحدة يتساوى فيها ابناؤها في الحقوق والواجبات ثم كان اتفاقنا بعد ذلك على المبادىء التالية لتقوم عليها الجمهورية في فترة الانتقال"

وبعد ان تلا عبد الناصر المبادىء الدستورية التي ستقوم عليها الجمهورية في فترة الانتقال، والتي تلاها شكري القوتلي في مجلس النواب السوري، اعلن الغاء الدستور المصري وحل مجلس الامة بشكل غير مباشر:

"يا ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة هنا لا بد لي من وقفة اتحدث فيها عن دستور 16 كانون الثاني الذي كان مجلسكم اعظم نتائجه، ان هذا

الدستور خالد ولم يكن معقولا ان الثورة التي وضعته واعلنت قيامه منبثقا من صميم ارادة الشعب وخلاصة تجاربه ترضي لهذا الدستور ان يسقط او يضيع ولكن الدستور كما قلت لحضراتكم يوم كان لي شرف الحديث اليكم هنا في يوم 16 كانون الثاني الماضي ليس مجرد النصوص الجامدة وانما هو الحركة الدائمة اليقظة في اتجاه المستقبل الذي نسعى اليه وهو الاطار الذي ينظم هذه الحركة ويجمع صفوفها ولقد وقعت حركة هائلة جمعت شعبين من امة واحدة في جمهورية متحدة وكان لا بد ان يتسع الاطار لكي يضم النطاق الجديد لذلك كان لا بد لدستور 16 كانون الثاني ان يدخل في تجربة حياة افسح وارحب وكذلك كان لا بد لمجلسكم الذي كان اعظم نتائج دستور 16 كانون الثاني ان يدخل نفس التجربة."

ثم انهى خطابه قائلا:

ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة:

لقد بزغ امل جديد على افق هذا الشرق، ان دولة جديدة تنبعث في قلبه، لقد قامت دولة كبرى في هذا الشرق ليست دخيلة ولا غاصبة، ليست عادية عليه ولا مستعدية، دولة تحمي ولا تهدد، تصون ولا تبدد، تقوي ولا تضعف، لا تتحزب ولا تتعصب، لا تنجرف ولا تنحاز، تؤكد العدل وتدعم السلام، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق.

ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة:

وفقكم الله وبارك لكم وحدتكم وحمى جمهوريتكم العربية المتحدة.

□

يتضح من مقارنة نصوص المبادىء الدستورية الواردة في خطاب الرئيسين ان عددهما كان مختلفا، فبينما كانت اربع عشرة في الدستور الذي تلاه القوتلي اصبحت سبع عشرة في الدستور الذي تلاه ناصر.

فالمادة الثانية في الدستور الذي تلي في مجلس النواب السوري قد وردت في مادتين في الدستور الذي تلاه ناصر هما العاشرة والحادية عشرة مع تقديم وتأخير في ترتيب الجمل اذ وردتا كما يلي:

المادة العاشرة: تتكون الجمهورة العربية المتحدة من اقليمين هما سورية ومصر.

المادة الحادية عشرة: يشكل في كل اقليم مجلس تنفيذي يرئسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية، ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذي.

كما يلاحظ وجود مادتين لم يرد لهما ذكر في خطاب القوتلي وهما:

المادة الثانية عشرة التي وردت كما يلي:

تحدد اختصاصات المجلس التنفيذي بقرار من رئيس الجمهورية.

والمادة السابعة عشرة التي تحدد يوم 58/2/21 موعدا للاستفتاء على الوحدة وعلى رئيس الجمهورية، بينما ورد تحديد هذا التاريخ في كتاب ترشيح ناصر للرئاسة الذي تلاه القوتلي في مجلس النواب السوري.

□

لا شك ان ضغط الرأي العام وضغط الظروف الداخلية والعربية والدولية قد جعل المسؤولين السوريين غير مهتمين اهتماما جديا بالاسس الدستورية التي ستقوم عليها دولة الوحدة، بل فوضوا الامر للرئيس عبد الناصر تفويضا مطلقا كما رغب واراد، فانفرد وحده في دولة الوحدة بجميع الصلاحيات والسلطات التأسيسية والدستورية والتشريعية والتنفيذية، وما كان الاستفتاء الشعبي الذي جرى بتاريخ 2/21 الا استفتاء شكليا للتمويه على هذه الحقيقة.

ولكن هل كان المسؤولون جميعا مضللون او مضللون؟

هل كان الفكر السياسي في سورية ساذجا الى هذه الحدود؟

حاولت في السابق ان اجيب على هذا السؤال والان اعود مرة اخرى فأقول:

ان قضية الوحدة طرحت آنذاك هكذا:

اما الوحدة الفورية وذلك باطلاق يد جمال عبد الناصر بقيادتها واما اضاعة الوقت بالبحث والمناقشة في صيغتها الدستورية والسياسية مما يفوت على الامة العربية فرصة تحقيقها.

كان مجرد قبول عبد الناصر - في نظر الرأي العام - قيام الوحدة مع مصر فرصة العمر، بل هو كليلة القدر خير من الف شهر كما قال رئيس الوزراء صبري العسلي.

ان جو الوحدة الذي سيطر على نفوس الناس لا يمكن وصفه، فانا بالرغم من خشيتي وتحسبي من عثرات تطبيق الوحدة، وهو الامر الذي جعلني افضل ان تكون خطواتها الاولى اتحادية، شعرت في الجلسة التاريخية في الخامس من شهر شباط وكأنني في مسجد للصلاة، واستولى على الشعور الذي كان يستولي على الشعوب عندما كان قادتها يعودون من معاركهم المظفرة فيهرع الناس الى المعابد يؤدون لله الذي من عليهم بالنصر صلاة العرفان والشكر.

لم تكن نشوة صلاة الصبح التي تملكتني في مسجد السلطان في مدينتي حماة فجر ذلك اليوم من عام 1947 بعد اعلان نتائج الانتخابات وفوزي بها فوزا كان غير منتظر تعتبر شيئا بالنسبة لما كنت اشعر به في تلك الجلسة التاريخية من خشوع ومن فرح عميق ومن آمال وأحلام، وكان هذا على ما اعتقد شعور معظم من كانوا في قاعة المجلس من نواب او في شرفاتها من زائرين، ومشاعر عشرات الالوف من ابناء الشعب الذين كانوا يحيطون ببناء مجلس النواب ويهتفون من اعماق قلوبهم وآلامهم وأمالهم للوحدة ولقادتها ولجمال عبد الناصر.

ولكن لماذا تداعى بتلك السرعة بناء الوحدة؟

كـان الشـعب فـي سـورية بقياداتـه واحزابـه وتكتلاتـه السياسية ذا مفاهيم واحدة في نظرته للوحدة من حيث مضمونها القـومي، ولكنـه كـان مختلفـا فـي نظرتـه لمضـمونها الاجتمـاعي والاقتصادي، اما في مصر فقد كان هنالك اختلاف بين مفاهيم عبد الناصـر واجهـزة حكمـه بالنسـبة لمضـمون الوحـدة القـومي وبـين مفاهيمهـا فـي سـورية التـي بـدأت تترسـخ منـذ اواخـر الحكـم العثماني في سورية خاصة وفي المشرق العربي بشكل عام.

ومـن جهـة اخـرى يجـب علينـا ان نعتـرف ان الاحـزاب فـي سورية، ومنها حـزب البعـث، لـم تكـن تملـك رؤيـة واضـحة محـددة للنظام الصالح الذي يجـب ان تقـوم عليـه الوحـدة، ولـم يكـن ذلـك موضـع اعمـال الفكـر والاهتمـام والعنايـة، ولـم يكـن يعتبـر شـرطا اساسيا لنجاحها، وهذا ما اوقع بعض رجال السياسة وبعض القادة فـي احبولـة مشـاريع الاسـتعمار ذات المظهـر الوحـدوي الخـادع كمشـاريع الاتحـاد مـع عـراق حلـف بغـداد ونـوري السـعيد وهـي المشاريع التي سار في ركابها جـلال السـيد، وتـردد فـي رفضـها الاخرون.

اما انا فقد اعتبـرت منـذ البدايـة ان الوحـدة وسـيلة لا غاية، وانه لا يمكن تحقيقها بدون التحرر من الاستعمار وان تحقيـق الوحـدة جزئيـا بـين قطـرين متحـررين هـو تـدعيم لاسـتقلالهما وتحررهمـا وحـافز وعامـل لتحريـر الاقطـار العربية الاخرى.

كان مفهـومي للوحـدة يترافـق بشـكل اساسـي مـع النضال للتحرر من الاستعمار ولقد عبرت عن هـذا المفهـوم بشـكل عملـي عنـدما اتيـت الـى العـراق عـام 1941 مـع مجموعـة مـن الشـباب والضـباط للاشـتراك فـي ثورتهـا التحرريـة ضـد الاسـتعمار البريطـاني، ومـن خـلال هـذا المفهوم ناضلت ضـد مشـاريع الاتحـادات المشـبوهة التـي كـان يطرحهـا عمـلاء الاسـتعمار البريطـاني فـي العـراق واعتبرتها احابيل للاقتناص الاستعماري.

اما بعد ان تحررت مصر نهائيا من الاستعمار اثر معركة قنال السويس، واتجهت اتجاها عربيا تقدميا بقيادة جمال عبد الناصر، فكنت ارى ان الاتحاد الفدرالي هو اطار صالح لبناء الوحدة بين سورية ومصر برغم اختلاف انظمة الحكم فيهما، ولا سيما ان نظامنا الديموقراطي كان صالحا رغم نقائصه لبناء الوحدة والاشتراكية وهو امر اثبته الواقع الذي تجلى في الفوز المتنامي للقوى التقدمية في الانتخابات النيابية المتتابعة. (1)

كان معروفا لدى كل انسان ان ظروف البلدين تختلف بعض الشيء بسبب العوامل التاريخية والجغرافية وكان نظام الاتحاد الفدرالي في نظري مرنا بحيث لا يفسح مجالا للتناقضات القطرية الموروثة ان تؤثر على هذا الاتحاد، وبحيث يجذب اليه الاقطار العربية الاخرى رغم اختلاف انظمتها.

□

لم نكن نطمح ان نفرض على جمال عبد الناصر نظام الحكم السوري، بل كنا بعد معركة السويس، بحكم انبهارنا بهذا الانتصار، نخلق المبررات لنظام ناصر، واصبحنا بعد ذلك بحكم المتاعب التي عانينا منها في سورية - كما اسلفت سابقا - نرى في ذلك النظام نظاما متقدما.

على انني برغم ذلك - بقيت على رأيي السابق في ترجيح الاتحاد الفدرالي على الوحدة الاندماجية لانها طريق مأمونة العواقب، اما بعد ان اشترط عبد الناصر الوحدة الاندماجية وحل الاحزاب فأصبحت ارى ان النظام الصالح للوحدة هو النظام القائم

(1) كان موعد انتخابات المجلس النيابي السوري، بعد انقضاء مدته، قد بات وشيكا عندما قامت الوحدة بين سورية ومصر وكان في تقديرنا - دون مبالغة - ان حزب البعث والقوى التقدمية الاخرى ستفوز بأغلبية المقاعد في المجلس النيابي الجديد، وهذا ما يدعم النظام الديموقراطي الاشتراكي ويزيد من ثقة الشعب به، لانه سيقضي على التناقض الذي كان قائما بين الحكم والاكثرية المجلسية الرجعية من جهة وبين اماني ومطالب الشعب من جهة اخرى، مما اتعب البلاد كثيرا لانه افسح مجالا واسعا للمؤامرات الخارجية التي كانت تحاك، وافسد الاوضاع الداخلية واربك النظام واضعف ثقة الشعب به.

على الحزب الواحد بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر تشاركه قيادات مختارة من حزب البعث العربي الاشتراكي والاحزاب العربية الاخرى في الوطن العربي، وهذا ما يفسح المجال امام وحدة القطرين لان تصبح نواة لتحقيق الوحدة الشاملة.

ربما قيل ان طغيان شخصية جمال عبد الناصر على الجماهير العربية عند قيام الوحدة كان كفيلا بتحطيم كل العوائق التي تعترض تحقيق تصوراته وطموحاته الشخصية بالاضافة الى ما كان يملكه من اجهزة بوليسية واعلامية ولكن اليس من واجبنا ان نعترف بأن حزب البعث قد ساهم في الانحراف عندما انجرف مع تيار فكرة البطل وعبادة الفرد في شخص جمال عبد الناصر؟

□

تعرفت خلال اقامتي منفيا في باريس عام 1964 بالمستشرق الفرنسي السيد جاك برك الذي قال لي في معرض حديثه عن الوحدة مع مصر:

انني احبكم ايها السوريون لانكم كالفرنسيين في شطحاتكم العاطفية "ونتعاتكم" الخيالية.

كان ذلك قولا فيه شيء من عدم التفهم لما هو كامن في اعماق شعبنا العريق.

لم يكن طموحنا واندفاعنا للوحدة شطحة من شطحات الخيال او جموحا في العواطف والمشاعر فحسب، وانما كان هدفا عقلانيا له جذوره المغروسة في اعماق التاريخ، وله اصوله الحضارية والانسانية والاقتصادية والمصلحية والجغرافية.

ونحن العرب مثل كثير من الشعوب الاسيوية لنا ماضينا العريق وحضارتنا المتميزة ببنائها الفكري والمادي، واذا كانت الوحدة السورية المصرية قد فشلت فلأننا ضللنا طريق الوصول.

ان اهم الاسباب لانهيار الوحدة المصرية السورية عام 1962 وللانهيار العاجل للوحدة الثلاثية المصرية السورية العراقية عام 1963 ولانهيار الاتحاد الثلاثي بين مصر وسورية وليبيا بعد

السبعينات ثم انهيار كل المحاولات التي جرت لتحقيق اي نوع من انواع الوحدة او الاتحاد بين الاقطار العربي انما يعود بالدرجة الاولى الى ان انظمة الحكم في البلاد العربية كانت وما تزال اما انظمة فردية او ديكتاتورية عسكرية او طائفية او عشائرية يمارس الاستعمار نفوذه عليها، ان هذه الانظمة عاجزة ومتخلفة تخاف الوحدة وتخشاها لانها تعتبرها خطرا على بقائها ووجودها.

حاضر الوحدة ومسقبلها كما كان ينظر اليها البعث، بعد ان تحققت وتبلورت في اطارها السياسي والدستوري

امامي الان العدد (90) من جريدة البعث بتاريخ 8 شباط 1958 اي بعد قيام الوحدة مع مصر بثلاثة ايام وفيه حديث لي ومقال للاستاذ ميشيل عفلق جاء فيه ما يلي:

"ولئن جاءت هذه الخطوة (اي الوحدة مع مصر) في طريق الوحدة الكبرى فريدة في نوعها من حيث سلامة الشروط وثورية الاتجاه وديموقراطية التحقيق فلأن مفهوم الوحدة الذي قدر له ان ينجح كان نقيضا للمفهوم الجامد المتناقض.."

لم تكن شروط الوحدة سليمة ابدا بالشكل الذي يتحدث عنه الاستاذ ميشيل عفلق فأية شروط لبناء وحدة يتسلم جميع مقدراتها فرد واحد؟ وهل كان اشتراط عبد الناصر حل الاحزاب شرطا سليما؟؟

وهل يعتبر قيام الوحدة التي بت بها في مفاوضات شكلية بينه وبين الوفد العسكري السوري بمعزل عن الاحزاب السياسية والمؤسسات الدستورية والحكومة المدنية وحدة قامت فعلا بشروط سليمة وعن طريق ديموقراطي؟

وجاء في المقطع الثاني للاستاذ ميشيل ما يلي:

"مع هذه الوحدة التي احيت ثقتنا بأنفسنا تبدأ مصالحتنا مع العالم فتذوب بقايا السلبية التي كانت تعكر صفاء نظرتنا وعفوية نزوعنا الى حمل رسالتنا الانسانية".

ان بعض الناس فسروا هذا القول بأنه اتهام للنضال العربي التحرري ووصمه بالسلبية، وهو ان صراعنا الطويل مع الغرب منذ الحروب الصليبية وحتى قيام الوحدة ترك في نفوسنا رسوبات سلبية تجاه العالم وهي رسوبات لا تنسجم مع رسالة العرب الانسانية.

ان هذا القول يتنافى كليا مع الحقيقة والواقع، فالعالم الغربي هو الذي لا يزال حتى الان يحمل شعورا معاديا للعرب، وان هذا العداء جعله يفكر منذ عهد نابليون بالتحالف مع الصهيونية (تعهد نابليون لليهود بالعودة الى فلسطين عندما كان يهيء لحملته على مصر).

لم اقصد بهذه المناسبة تفنيد مقال الاستاذ ميشيل عفلق وانما قصدت ان اشير الى ان تفكيرنا كان بعيدا عند قيام الوحدة وحتى الان عن الاهتمام ببحث مشاكل الوحدة والاسس التي تقوم عليها والمراحل التي ستمر بها والمشاكل التي ستعترضها ووضع الحلول العملية لها، وكان بعضنا ولا يزال حتى الان يعتبر مجرد قيام الوحدة علاجا ناجعا لجميع امراضنا وعللنا الموروثة والمستجدة وهذا التخلف في التفكير كان من اكبر العوامل في اخفاق كل المحاولات الوحدوية ومشاريعها مع اسباب اخرى اشرنا اليها بالتفصيل.

اما حديثي عن الوحدة الذي نشرته جريدة البعث بجانب مقال الاستاذ ميشيل عفلق فهذا نصه:

س: ما هي الخطوات التي تتوقعون ان يقوم بها الاستعمار كرد فعل على وحدة مصر وسورية؟؟

ج: لقد تمت وحدة القطرين الشقيقين بارادة الشعب فيهما واجماعه ولذلك لا نتوقع ان تجرؤ الدول الاخرى على مناهضتها بشكل سافر، ولكن هذا لا يعني ان الاستعمار الغربي والصهيونية سيكفان عن الاستمرار في التآمر عليها والكيد لها بشكل مسعور وهذا يستدعي ان يكون المواطنون اكثر يقظة لمكافحة الدعاية الاستعمارية ومكائدها وحملات التشكيك والتهويش.

س: ما الذي تتوقعون ان يكون موقف الرجعية العربية من هذه الوحدة.

ج: لا شك ان الرجعية العربية في الاقطار الاخرى خاصة ستكون من جديد كما كانت من قبل اداة بيد الاستعمار لمحاربة هذه الوحدة فضلا عن اندحارها المستمر امام يقظة الشعب العربي وكفاحه ضدها، وهذا سيجعلها تلجأ الى المزيد من تحريض الاستعمار واستعدائه على هذه الوحدة، ولا سيما بعد ان فشلت في السنوات الاخيرة جميع مؤامراتها تقريبا ضد السياسة العربية التحررية، هذا ومن المتوقع ان تقوم الرجعية الحاكمة بتشديد قبضتها على الشعب في الداخل وهو ما يتجلى واضحا من الان، فقد حاول الشعب العربي في بعض الاقطار الاعراب عن عواطف الفرح والغبطة لقيام الجمهورية العربية المتحدة فقمع بالقوة في تلك الاقطار.

س: ما هو الدور الذي ترون ان هذه الوحدة ستلعبه بالنسبة للاقطار العربية الاخرى؟

ج: لا ريب ان هذه الخطوة نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة ستزداد رسوخا ليس من الداخل فحسب وانما في انظار العرب جميعا بمقدار ما تكون تقدمية بناءة، وذلك بتطويرها لحياة الشعب العربي من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية ورفع مستوى معيشة المواطنين والقضاء على مختلف مظاهر الفساد، وهذه الوحدة تحمل امكانيات هذا كله لان الظروف التي نشأت وتحققت فيها ظروف تجلت فيها ارادة الجماهير العربية على حقيقتها بأقوى الاشكال، هذه الارادة التي تهدف الى التحرر من الاستعمار وتحقيق الوحدة العربية والتقدم الاجتماعي.

س: ما هي المسؤوليات التي ترون انها تترتب بعد دخول الشعب العربي في القطرين في هذه الوحدة؟

ج: ان هذه الوحدة تلقي على عاتق المسؤولين جميعا اعباء ضخمة لان عملية البناء تتطلب جهودا عظيمة وان الذين سيسهمون في هذا البناء من ابناء سورية خاصة يجب ان يكونوا على مستوى من الايمان والعمل والتجرد وربط مصيرهم بمصير الشعب والقضية العربية، فضلا عن ضرورة تجنيد جميع الكفاءات العلمية التي تملك ضمانات وطنية وخلقية، لان العملية هي بناء ايجابي يجب ان تنصب فيها جميع القوى الوطنية العاملة.

س: ما هو الوضع الراهن للحكومة الحالية في دمشق؟

ج: ان الحكومة الحالية ستظل قائمة تمارس صلاحياتها حتى يتم الاستفتاء في 21 شباط ثم تقدم استقالتها الى رئيس الجمهورية العربية المتحدة ويتم على اثر ذلك تشكيل حكومة جديدة.

س: والمجلس النيابي؟

ج: ليس من المتوقع ان يجتمع المجلس النيابي، ويعتبر منحلا حكما بتأليف المجلس التشريعي الواحد الذي سيضم اعضاء من نواب المجلسين ومن خارجهما من اصحاب الكفاءات التشريعية والسياسية الموجودين في الاقليمين.

س: كم تعتقدون ان المرحلة الانتقالية ستدوم.

ج: ليس المهم طول هذه المرحلة او قصرها وانما المهم هو ان تحقق هذه المرحلة الغاية التي اقيمت من اجلها وتستنفذ اغراضها والغاية من هذه المرحلة تجاوز كل (الروتين) والعقبات الشكلية للاسراع في ارساء قواعد الجمهورية العربية المتحدة على اسس سليمة..

اعياد الوحدة

لقد اشرت آنفا كيف انفجر الشعب كالبركان في اقليمي الجمهورية منذ التصديق على وثيقة اعلان الوحدة في مجلسي الامة والنواب، كأن مسا من الوجد سرى كالكهرباء في نفوس الناس جميعا، وامتد حتى شمل الساحة العربية كلها في تعاظمه دون انقطاع الى ما بعد الاستفتاء وزيارة جمال عبد الناصر لدمشق، وليعذرني القارىء اذا كنت عاجزا عن وصف مشاعر الجماهير فاضطررت ان استعير مقطعا من قصيدة للشاعر سليمان العيسى:

فرحة الشعب، شعبنا وهو يطوي ظلمات العصور والذل طيا

وعنان التاريخ في قبضتيه، يا عناني انطلق ودع قبضتنا

انا في سكرة مع الشارع النشوان ازجي مرنحا قدميا

انا في سكرة دفنت بها الليل ووضعت الصباح في جانحيا

اطفأوا النور الف عام بغي، ولموا الافراح على شفتيا

لا تلمني فلن اعد حياتي في دروب الضياع والذل شيا

منذ يومين قد وجدت، فعمري يوم اعلنت مولدي العربيا.

ولعل القارىء يستغرب او لا يصدق ان المخابرات المصرية منعت سليمان العيسى من دخول القاهرة بعد قيام الوحدة بأشهر لولا تدخل ورجاء معارفه واصدقائه هنالك.

وفيما يلي مقطع آخر من قصيدة للشاعر شوقي البغدادي يصف فيها كيف استقبلت دمشق الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارته بعد الاستفتاء:

آه.. مر الموكب امس

في بلدي سيلا هدار

ومضت مثل الموجة نفسي

عائمة مثل التيار

لم اهتف... لم ارفع صوتا

كنت سعيدا. اين ذهبت؟

كنت افكر ان الشعب

قد سبق الان الشعراء

كنت انادي ملء القلب

ايه يا ربي يا رب

خذني في هذا التيار

قطرة

واقذفني بين الازهار

زهرة

وارفع لي في كل جدار

صخرة

انا لا ادفع نهر التاريخ

لكن اعرف ما فيه

اعرف ان الشعب هو الفاتح كل مجاريه... الخ

واذا كانت نهاية الشاعر سليمان بعد الوحدة ازعاج المخابرات ومراقبتهم له، فقد كانت نهاية الشاعر شوقي البغدادي الفرار من المخابرات الى لبنان بسبب اتهامه بالشيوعية، بينما كان انسانا تقدميا لم يلتزم بالحزب الشيوعي وفي بيروت قضى حياة صعبة، وبعد هذه الخيبة المريرة انقطع البغدادي عن قول الشعر اكثر من عشر سنوات وعندما عاد اليه، عاد متحفظا.

هذا نموذج مما تعرض له اندفاع الشعب وحماسته بعد قيام الوحدة على ايدي المخابرات المصرية والسورية مما آل بالوحدة في ظل الوحدة ان تصبح شيئا فشيئا مجرد شعار يردده الناس كالببغاونات او مجرد لافتات ترفع في المناسبات.

لقد تبدد كل هذا الفيضان الذي لا مثيل له من الحماسة القومية والذي كان بمقدوره ان يصنع المعجزات بقيادة ديموقراطية حكيمة، بينما استطاعت اوروبا بشعوبها المختلفة جنسا ولغة وتاريخا والتي كانت الحروب تحكم العلاقات بين شعوبها مئات السنين ان تسير اشواطا في طريق الاتحاد.

□

ان الحماسة التي اظهرها القوتلي للوحدة جعلتني اعيد النظر في تقييمي له، لذلك اقمت وبعد الجلسة التاريخية لاعلان الوحدة، حفلة تكريمية له في المجلس النيابي، اطلقت فيها عليه لقب المواطن العربي الاول، وقدمت له وللرئيس جمال عبد الناصر ارفع وسام سوري هو وسام الشعب، والقيت في ذلك الاحتفال الكلمة التالية:

سيدي صاحب الفخامة:

"يشرفني ابلاغ فخامتكم ان مجلس النواب تقديرا منه لما كان للرئيسين العظيمين شكري القوتلي وجمال عبد الناصر من

جهد ميمون واخلاص اكيد في سبيل تحقيق وحدة البلدين، قد قرر ان يقدم باسم الشعب في سورية وسام الشعب للمواطن العربي الاول السيد شكري القوتلي ومثله لقائد الثورة العربية جمال عبد الناصر".

وخلال هذه الفترة اقام القوتلي او اقيمت له حفلات تكريمية كانت اولاها الحفلة التي اقمتها له في المجلس النيابي، ثم اقام هو بدوره حفلة تكريمية للجيش السوري أشاد فيها بدوره الوطني واثنى على الضباط الذين ساهموا في الوحدة، كما اشاد بخدماته شخصيا في سبيل بناء الجيش، ثم اقام للصحافيين حفلة تكريمية، كما اقامت له نقابات الاطباء والمحامين والمهندسين وامانة العاصمة والتجار حفلات بمعدل حفلة كل يومين، وكان المحتفلون يشيدون ويبالغون بماضيه الوطني كما كان هو في معظم الاحيان يتعرض للموضوع ذاته بأساليب مختلفة.

لم يعد اسلوب القوتلي هذا مستنكرا كما كان في الماضي من قبل معارضيه، بل كان الجميع يعتقدون بأنه يستحق كل تكريم بعد ان اختتم حياته السياسية مساهما في صنع الوحدة.

ومن الجدير بالذكر ان القوتلي - ولعل ذلك بسبب درايته ومعرفته بنظام عبد الناصر عندما اقام فترة طويلة في مصر - قد سارع في تلك الفترة الى تثبيت لوحات رخامية باسمه على عدد من المنشآت التي شيدت في عهده مع تاريخ تشييدها.

ترى هل كان القوتلي يتوقع ان يأتي عبد الناصر ويحتفل بتدشين سد الرستن الذي كان انشاؤه قد شارف على الانتهاء قبل الوحدة وان يذكر ذلك في خطاب له كأحد منجزات عهده في سورية؟

كان هذا الامر مدعاة لاستغراب الناس وتهكمهم ولا سيما ان عبد الناصر كان يلفظ كلمة "رستن" بصورة خاطئة فيضم التاء والراء بدلا من فتحهما.

اعتقد انه لو خطر ذلك ببال القوتلي لاسرع بتدشين السد قبل مجيء عبد الناصر.

الاتحاد الهاشمي

اعلن رسميا من القدس وبغداد في تلك الفترة قيام اتحاد بين الاردن والعراق ابتداء من تاريخ 14-2-58 وقد جاء في حيثيات قرار الاتحاد انه لما كانت الثورة العربية الكبرى التي قادها الحسين بن علي ايذانا ببزوغ فجر كبير للامة العربية، ولما كانت تلك الثورة قد انبثقت عن ارادة الحرية والوحدة ولما كانت رسالة الثورة العربية قد انتقلت الى الابناء والاحفاد فقد قررت الدولتان الهاشميتان ايجاد اتحاد بينهما على ان يكون هذا الاتحاد مفتوحا للدول العربية الاخرى التي ترغب بالانضمام اليه، وقد احتفظت كل من الدولتين بشخصيتها الدولية ونظام الحكم القائم فيها على ان يتولى شؤون الاتحاد حكومة اتحادية تنبثق من مجلس تشريعي واحد، واتخذ العلم الذي رفعته الثورة العربية عام 1914 كعلم للاتحاد وهو العلم نفسه الذي كان حزب البعث في سورية وفي غيرها يرفعه كعلم له ايضا.

كان تفسير اعلان قيام الاتحاد الهاشمي، في جميع البلاد العربية، على انه رد في الفعل والمحاولة المقابلة لمواجهة النتائج والطاقات التي يحملها ميلاد الجمهورية العربية المتحدة (البعث 21 شباط 1958)

والحقيقة ان قيام الجمهورية العربية المتحدة اثر تأثيرا كبيرا في الانظمة العربية الاخرى، وشرع انصار تلك الانظمة وبعض المسؤولين فيها يعلنون تأييدهم للجمهورية العربية المتحدة، ولا ادل على ذلك من برقية التهنئة التي ارسلت الى رئاسة الجمهورية ورئاسة المجلس والحكومة من عشرات من النواب والوزراء ورؤساء الوزارات ورؤساء الاحزاب والمنظمات السياسية واساتذة الجامعات والمؤسسات العلمية وغرف الصناعة والتجارة ونقابات المحامين والمهندسين والاطباء العراقيين بينما لم تأت اي برقية من حكام العراق، وفيما يلي اسماء موقعي هذه البرقية

التي نشرتها جريدة الصرخة والصحف السورية الاخرى (النصف الثاني من شهر شباط)

مزاحم الامين الباجة جي (رئيس وزراء سابق) ناجي شوكة (رئيس وزراء سابق) محمد رضا الشبيبي (معتمد حزب الجبهة الشعبية المتحدة وعضو مجلس الاعيان الحالي) محمد مهدي كبة (رئيس حزب الاستقلال ووزير سابق) صادق البصام (نائب حالي ووزير سابق) فخر الدين آل جميل (رئيس نواب سابق)، عبد الوهاب محمود (وزير سابق ونائب رئيس حزب الاحرار) محمد حديد (وزير سابق ونائب رئيس الحزب الوطني الديموقراطي) حسين جميل (وزير سابق ونقيب محامين سابق وعضو مؤسس لحزب المؤتمر الوطني) سعد عمر العلوان (وزير سابق ونائب رئيس نقابة المحامين حاليا) تحسين علي (وزير سابق) جمال عمر نظمي (نائب حالي ووزير سابق) علي السافي (وزير سابق) حسن عبد الرحمن (نائب حالي ووزير سابق) اسماعيل صفوة (نائب حالي ونائب رئيس اركان الجيش سابقا) سامي باشعالم (نائب حالي) محمود احمد العمر (نائب حالي) جميل كبة (نائب حالي) محمود رامز (نائب سابق) عارف قفطان (نائب سابق) عبد الحميد الياسري (نائب سابق) رمزي العمري (نائب سابق) فائق السامرائي (نقيب المحامين ونائب سابق) نجيب الصائغ (سكرتير نقابة المحامين ونائب سابق) صديق شنشل (امين سر حزب الاستقلال ونائب سابق) صالح الشالجي (امين صندوق نقابة المحامين) فيصل حبيب الخيزران المحامي، احمد زكي الخياط (محامي ووزير مفوض سابق) قاسم حسن (محامي وسكرتير الحزب الوطني الديموقراطي) زكي جميل حافظ (محامي ومن حزب الاستقلال).

ناجي يوسف (محامي ومن الحزب الوطني الديموقراطي) داوود السعدي محامي، كاظم جعفر محامي، جعفر الشبيبي (رئيس غرفة تجارة بغداد) رجب العقاد (سكرتير غرفة تجارة بغداد) خزعل مكية (عضو غرفة تجارة بغداد) الحاج عبد الامير الازري (عضو غرفة تجارة بغداد) مهدي الرحيم (عضو غرفة تجارة بغداد) موسى مجيد علاوي (عضو غرفة تجارة بغداد) عبد المحسن شنشل (عضو غرفة تجارة بغداد) طالب مشتاق (مدير البنك العربي) نعمان العاني (معاون مدير البنك العربي) عباس كاشف الغطاء (مدير البنك اللبناني المعتمد).

ومن رجال الصناعة والتجارة السادة: نوري فتاح، ابراهيم عطار باشي، خدوري خدوري، محمد الطريحي عبد الرحمن الصفار، محمود الدرة، حاج هاشم حاج يونس، جميل امين، اديب الجادو المهندس، فؤاد الركابي المهندس سلمان صفواني (صاحب جريدة اليقظة المعطلة) عبد الشهيد الباسري (عضو حزب الاستقلال وعضو مؤسس لحزب المؤتمر الوطني) عبد الله الباسري (مزارع) عبد الرحمن البزاز - (عميد كلية الحقوق سابقا) الدكتور مصطفى كامل ياسين (استاذ في كلية الحقوق سابقا) الدكتور عبد الله اسماعيل (استاذ في كلية الحقوق سابقا) الدكتور عباس الصراف (استاذ في كلية الحقوق سابقا) الدكتور طلعت الشيباني (استاذ في كلية التجارة سابقا) الدكتور فيصل الوائلي (استاذ في كلية الاداب والعلوم سابقا) الاستاذ حسن الدجيلي (استاذ في كلية دار المعلمين سابقا) الدكتور احمد الحلبي.

وقد اجبت على هذه التهنئة بالبرقية الاتية:

"نشكر لكم تهنئتكم الصادرة من نفوس اترعت وطنية، وملئت اخلاصا وليست وحدة مصر وسورية بغيتنا وانما وحدتنا العربية الشاملة امنيتنا وهدفنا، وتحقيق وحدتنا الجزئية يحفزنا للعمل في سبيل لم شعث الشعوب العربية للانضواء تحت لواء الوحدة الكاملة، واذ ذاك نأمن غيل الدهر، وضروب الاحداث فلا بقاء لنا الا في وحدتنا، ولا امن لنا الا في دولتنا العربية المتحدة ازاء ما يتهددنا من المطامع الاستعمارية والاطماع الصهيونية التي تعيق تقدمنا وتهدد كياننا وتحول دون بعث قوميتنا.

ان الثورات العربية التحررية التي قام بها الشعب العربي في العراق الشقيق منذ فجر النهضة العربية والدم الذكي الذي اراقه الشهداء الابرار لتحقيق القومية العربية والنضال الدائب الذي يقوم به رجالات العراق واحرارهم للقضاء على قوى الظلم والطغيان، قد اثمر ثمرته المرجوة بين مصر وسورية وسنقطف ثماره اليانعة معا بعون الله فتاريخنا المشترك سيظل ينبوعا ثرا لمتابعة الجهد في سبيل تحقيق الامنية الغالية التي فاضت ارواح الشهداء من اجلها وكانت اخر كلمة انطلق من بين شفاههم الهتاف بها.

اننا معكم في ارض المعركة لمحاربة الاحلاف والتحرير من الظلم والاستعمار واحباط مؤامرات الاستعمار والصهيونية وستظل آلامنا وآمالنا واحدة مشتركة في التاريخ والدم والعقيدة حتى نقطف ثمرات النصر.

وبقلوب ملؤها الاعتزاز بماضينا والثقة بحاضرنا والامل بمستقبلنا نضرع الى الله العلي القدير ان يسدد خطانا للسير بالامة العربية قدما نحو الكرامة والحرية والمجد.

دمشق في 1958/2/13

رئيس مجلس النواب

اكرم الحوارني

□

في هذه الفترة، وفور اعلان الاتحاد الهاشمي، ارسل جمال عبد الناصر برقية تهنئة للملك فيصل هذا نصها:

ان الاتحاد العربي الذي وحد ما بين العراق والاردن خطوة مباركة تتطلع اليها الامة العربية كلها بأمل كبير باعتبارها اتجاها يستمد قوته من اعماق الضمير العربي، واننا لواثقون تمام الثقة بأن الاتحاد العربي سيكون قوة لكل العرب على كل اعداء العرب.

ان الايام التي تعيشها الامة العربية ايام خالدة مجيدة، وما من شك في ان الاحداث التي عاشتها امتنا في الفترة الاخيرة تبشر بأن فجر الوحدة الذي اشرق على كل الافاق هو مطلع تاريخ جديد للامة العربية المناضلة وان القومية العربية لتفتخر وتعتز بالخطوة التي اتخذتموها في عمان اليوم واثقين بأنها تقرب منا يوم الوحدة العظيم، وما من شك في ان شباب جلالتكم وايمانكم وصادق اخلاصكم سوف يكون من القوى الدافعة في سبيل تحقيق حلم العرب الكبير، وانني اذ ابعث لجلالتكم بتحياتي اتمنى من صميم قلبي ان يوفقكم الله وان يسدد خطاكم وان يبارك شعبكم العظيم.

وقد برر البعض ارسال هذه البرقية بأنها تطمين للولايات المتحدة والغرب معا، وكان دلس وزير الخارجية الاميركي قد صرح بما يلي عندما سئل عن موقف الولايات المتحدة تجاه الوحدة:

"ان الولايات المتحدة تعترف بشعور الشعب العربي عموما - ولا سيما في تلك المنطقة - ورغبته في احراز درجة اعظم من الوحدة، ونحن نعطف عطفا عظيما على تلك الرغبة، واعتقد ان ثمة شرطين يجب ان يقترنا بجميع التغيرات الدولية التي تطرأ على تلك

المنطقة: الشرط الاول ان تتجاوب تلك التغيرات مع رغبة الشعوب المعنية هناك، والشرط الثاني هو انها يجب ان تتمشى مع سلام ورفاهية المنطقة كوحدة والا تكون الغاية منها في اية حال من الاحوال تنفيذ تصاميم عدوانية ضد اي من الدول المجاورة، تلك هي المقاييس التي ننظر فيها الى الاندماج بين مصر وسورية".

والذي حز في نفوسنا آنذاك ان يفشل عبد الناصر بعد ارسال هذه البرقية بالحصول على اعتراف صريح من قبل الملك فيصل الثاني بالجمهورية العربية المتحدة في برقيته الجوابية الى عبد الناصر:

"تلقيت ببالغ الغبطة والسرور برقيتكم الرقيقة التي اعربتم فيها عن كريم مشاعركم بمناسبة اعلان الاتحاد بين العراق والاردن، واني ان اعرب لسيادتكم عن عميق شكري وخالص امتناني اود ان اوكد ان هذه الخطوة التي خطتها الدولتان العربيتان الشقيقتان حلقة من سلسلة طويلة من الجهاد بدأت في الثورة العربية الكبرى من اربعين عاما وسنظل نواصلها حتى تنتهي بنا الى تحقيق هدف تلك الثورة الاسمى وهو الوحدة الشاملة... وانني لاشارك سيادتكم الرأي بأن فجر الوحدة الذي اطل على جميع الافاق العربية هو مطلع تاريخ جديد لامة العرب وان العرب بفضل المخلصين من زعمائهم وأبنائهم وبفضل الوعي القومي الذي يسود شعوبهم في شتى اقطارهم لواثقون كل الثقة بأنهم يقتربون الان من يوم الوحدة الكبرى.."

من وثائق حلف بغداد في ما يتعلق باعتراف الاتحاد الهاشمي بالجمهورية العربية المتحدة

برقية

من الخارجية الرقم 173

الى طهران واشنطن. كراجي. انقرة لندن التاريخ 23-2-1958

قابل السفير الايراني وزير الخارجية صباح هذا اليوم وابلغه بأن الحكومة الايرانية وان كانت تؤيد العراق في موقفه الا انها ترى ضررا في تأجيل الاعتراف بسبب اعلان الولايات المتحدة وبعض الدول العربية كالسعودية اعترافها هذا فضلا عن ان ظروف العراق التي تدعوه للتريث انتظارا لتأليف حكومة الاتحاد العربي لا تطبق الا على العراق.

اجاب وزير الخارجية مفصلا الاسباب كما وردت في برقيته المؤرخة 21-2-1958 واضاف بأن الاعتراف من جانب الولايات المتحدة يجب الا يكون له تأثير كبير على اعضاء ميثاق بغداد لان الولايات المتحدة ليست عضوا في الميثاق، اما اعتراف بقية الدول الغربية فأمره يختلف لان ظروف تلك الدول تختلف كثيرا عن ظروف العراق الذي يعتقد ان الاتحاد المصري السوري موجه ضد مصالح العراق وسلامته واهدافه القومية وضد سياسته الخارجية في المنطقة وضد سياسته الخارجية المتمثلة في عضوية ميثاق بغداد لذلك من واجب دول ميثاق بغداد ان تسند العراق لموقفه هذا.

يرجى السعي لدى المسؤولين بصورة فورية وجدية بالتعاون على حمل الدول المترددة من اعضاء ميثاق بغداد على مسايرة العراق في تأجيل الاعتراف على ضوء الحقائق والاسباب المذكورة، قابلوا رئيس الدولة وابلغوه ما يلي:-

لما كانت الحكومة لا تنوي الاعتراف بالوضع الجديد في سوريا ومصر وتحاشيا لاحراج سفيرها في مصر وفي سوريا لتقديم اوراق اعتماد جديدة فانها قد ارتأت استدعاء سفيريها المذكورين الى بغداد في اشغال رسمية على ان لا يعودا الى مقرهما في القاهرة ودمشق في الوقت الحاضر.

ترغب الحكومة العراقية معرفة الاجراءات التي تنوي الحكومتان اللبنانية والاردنية اتخاذها بهذا الشأن. (ص 1384 الجزء الرابع - محكمة الشعب)

بغداد في 21-2-1958

عراقية - الى المؤسسات

الحاقا ببرقيتنا في الشهر الثاني 1958

قررت الحكومة العراقية بالاتفاق مع الحكومة الاردنية تأجيل اعترافها القانوني بالجمهورية العربية المتحدة الى ما بعد تأليف حكومة الاتحاد خلال ثلاثة اشهر كما جاء في الاتفاق الموقع في عمان في 15 شباط وذلك للاسباب التالية:-

1- لكي لا تواجه حكومة الاتحاد العربي الجديدة بقرار سابق من احدى الحكومتين العراقية والاردنية او كليهما قد لا يتفق مع الموقف الذي تراه الحكومة الجديدة ضروريا.

2- يتحتم التريث بالاعتراف بالجمهورية العربية لكي يتضح لنا حسن نواياها تجاه جيرانها ومدى احترامها لالتزاماتها الدولية خاصة بعد حادث الاعتداء المصري الاخير على السودان الذي قد يتكرر بالنسبة للدول المجاورة الاخرى كليبيا والعراق والاردن ولبنان.

3- التريث ضروري لمعرفة مدى ما ستناله الدولة الجديدة من تأييد شعبي داخل سوريا ومصر لا يمكن ان يستدل عليه بمجرد الاستفتاء.

4- ضرورة التأكد من سلامة انابيب النفط

اما الاعتراف الواقعي فلا مناص منه وعليه فستبقى سفارتنا في القاهرة تمارس اعمالها الرسمية بدون ان يقدم السفير العراقي اوراق اعتماد جديدة. خاصة وان الحكومة المصرية قد سبق ان بلغتنا بانها لن تحتم على الممثلين الاجانب تقديم اوراق الاعتماد الجديدة مباشرة بعد الاستفتاء واننا مقابله سوف لا نطالب سفيرهم في العراق بتقديم اوراق جديدة في الوقت الحاضر، يرجى عدم بيان هذه الاساليب عند السؤال عن سبب تأخير الاعتراف والاكتفاء ببيان الحكومة العراقية انها تدرس الموضوع.

يرجى الامتناع عن حضور الحفلات الرسمية التي تقام ابتهاجا بالجمهورية العربية المتحدة.

لا مانع من استعمال عنوان الجمهورية الجديدة في مراسلاتكم الرسمية وغير الرسمية، يضاف الى ممثليتنا في ميثاق بغداد.

استدعى وزير الخارجية صباح اليوم سفراء دول ميثاق بغداد وبضمنها سفير الولايات المتحدة. يرجى السعي بصورة مباشرة وغير مباشرة الى حملهم على اتخاذ نفس الموقف الذي اتخذه العراق وعلى اي حال اقناعهم بعدم اعلان اعترافهم الرسمي قبل اشعار الحكومة العراقية بذلك لمدة كافية.

(برقية الى عراقية عمان - بيروت - جدة - الخرطوم - الرياض - طرابلس - تونس)

يرجى التعاون مع ممثلي حكومات ميثاق بغداد في بيان وجهة نظر العراق بالجهة المسؤولة بطرفكم حول عدم الاعتراف بالوضع الجديد في سوريا ومصر. (ص1385 الجزء الرابع كتاب محكمة الشعب) (تليت هذه الوثائق في محاكمة برهان الدين باش اعيان)

هاتف من شكري القوتلي - القوتلي يحاول اعادة النظر في الوحدة بين سورية ومصر

خلال زحمة الطوفان الشعبي في دمشق، وتدفق الوافدين العرب من مختلف اقطارهم، وفي زحمة حفلات التكريم هتف الي القوتلي طالبا ان اجىء اليه، وفي احدى الغرف الخالية في منزله سألني رأسا بدون مواربة ولا تلميح ولا تطويل:

هل قرأت برقية التهنئة التي ارسلها جمال عبد الناصر للملك فيصل وجواب الملك فيصل عليها؟ قلت له: بلى، فاسترسل عندئذ بسلسلة طويلة من ذكرياته عن مواقف البيت الهاشمي واتفاقه مع البريطانيين ضد استقلال سورية، وكان قد اذيع في هذه الفترة بالذات على لسان الجيش ورئيس الوزراء صبري العسلي اكتشاف مؤامرة جديدة كان يعدها حلف بغداد، كما ان القوتلي كان قد اشار سابقا في احد الاجتماعات التي كان يعقدها في القصر الجمهوري الى برقية جمال عبد الناصر للملك فيصل الثاني فلم يعلق عليها احد من اعضاء الحكومة ولا من قادة الجيش بل التزم الجميع الصمت.

كنت استمع الى القوتلي وهو يتحدث عن البرقية والبيت الهاشمي، وما لبث ان قال:

اننا منذ الان وقبل اجراء الاستفتاء يمكننا ان نعيد النظر بالوحدة مع جمال عبد الناصر اذا كنتم ترغبون!

استغربت هذه النتيجة التي انتهى اليها واجبته بارتباك:

لا شك ان جمال عبد الناصر قد ارتكب خطأ بتسرعه بارسال البرقية للملك فيصل.

فأجاب القوتلي بعد ان فكر طويلا:

ان ما تقوله صحيح

خرجت من لدنه وانا اتساءل:

امن المعقول ان يكون القوتلي بسيطا الى درجة يعتقد فيها ان اتفاقي معه قادر على الوقوف في وجه هذا التيار الوحدوي الجارف؟

في ظني ان القوتلي كان يتوقع نجاح المحاولة الانقلابية التي كان الملك سعود يعدها بواسطة النائب عزيز عباد والتي كشف النقاب عنها جمال عبد الناصر في احدى خطبه بعد تلميعه عبد الحميد السراج وجعله البطل الذي افشل المؤامرة، وقد كنت آنذاك على علم بمؤامرتين كان "المكتب الثاني" واضعا يده عليهما، الاولى مؤامرة الملك سعود والثانية مؤامرة مأمون الكزبري (رئيس حزب التحرير الذي شكله اديب شيشكلي) ورفيقه عبد الكريم الدندشي مع الولايات المتحدة وسترد تفاصيل هاتين القضيتين ضمن التسلسل الزمني.

لقد ندمت بعد اجتماعي مع القوتلي على تسرعي في الاجابة مما جعله يتراجع فورا، اذ كان من المفيد ان اسايره وامد له، حتى اعلم منه حقيقة نواياه تجاه الوحدة التي لم يجف مدادها بعد.

وقبل ان اختتم هذه الواقعة لا بد لي من الاعتراف بأن القوتلي كان عربيا داعيا للوحدة منذ نشأته، ولكن ايمانه بالعروبة والوحدة كان ايمانا لا ينفصل عن مصلحته وزعامته. بالاضافة الى التزامه بسياسة السعودية.

لقد اثار اجتماعي بالقوتلي تشاؤمي فصرت اعد الايام حتى نصل الى الاستفتاء، لا خوفا على الوحدة التي لا يمكن لاي قوة ان تفصمها آنذاك، بل للعلائم السوداء التي اخذت تطفو على امواج هذه الافراح الشعبية التي لا حد لاندفاعها، ففي تلك الفترة اغرق جمال عبد الناصر دمشق برجال مخابراته، باسم وفود الاتحاد القومي، ورجال الصحافة والاعلام، وحتى فرقة اضواء المدينة الموسيقية... الخ.

كنا نسمع بأسماء بعض هؤلاء من قراءة الصحف المصرية كالصحافي مصطفى امين مثلا صاحب اخبار اليوم الذي كان بوقا من ابواق الملك فاروق وكنا نستغرب كيف يحق له ان يتكلم باسم جمال عبد الناصر.

"نقل الاستاذ الكبير مصطفى امين الى دمشق عاطفة الرئيس جمال عبد الناصر وتفكيره بها واهتمامه بما يجب ان يتم عمله لكي تتابع ازدهارها .. الخ" (النصر تاريخ 14-2-58)

ترافق نشاط المخابرات المصرية مع نشاط محموم للاحزاب الرجعية، فتسابقت كلها لاصدار البيانات التي تدعو فيها لتأييد الوحدة وانتخاب الرئيس جمال عبد الناصر، وهي معروفة بأنها لم تقطع علاقاتها بعد مع حلف بغداد والسعودية (اصدر الاخوان المسلمون، وحزب الشعب وحزب التحرير بيانات تؤيد الوحدة وانتخاب جمال عبد الناصر. النصر 19-20- شباط - 1958) كما اصدر الحزب الشيوعي بيانا مماثلا.

اما بالنسبة لحزب البعث فقد أخر الاستاذ ميشيل حله في سورية الى اليوم الثاني للاستفتاء اي الى تاريخ 23-2-58 لكي يتسنى للحزب المساهمة الفعالة في عملية الاستفتاء، وهكذا فعلت جميع الاحزاب الاخرى ما عدا الحزب الشيوعي فلم يعلن

عـن حـل نفسـه، وكانـت اجهـزة المخـابرات المصـرية قـد شـجعت الاحزاب الرجعية والطبقة الاقطاعية ليكـون لهـا دور بـارز فـي صـنع الوحدة بشتى الوعود والمغريات عندما لمحت اجهزة الاعـلام قبـل يوم الاستفتاء الى صدور قانون بالعفو عن المحكومين او المتهمين بالتآمر على الوضع الديموقراطي في سورية (جريـدة النصـر 21-2-58)

□

توجهـت صـبيحة يـوم الاسـتفتاء (الجمعـة 21-2-1958) مـع شكري القوتلي واعضاء الحكومة وكبار ضباط الجيش بموكب حافل شق طريقه بصعوبة وسط الازدحام الجماهيري الى جامع (سيدي هاشم) في حـي الشـاغور لنـؤدي واجبنـا فـي عمليـة الاسـتفتاء الذي جرى على النحو التالي:

كان رئيس المركز يسلم المقترع ورقتـين: احـدهما رسـمت عليهـا يـد تحمـل العلمـين المصـري والسـوري وكتـب تحتهـا: هـل توافق على وحدة سورية ومصر في الجمهوريـة العربيـة المتحـدة؟ وفـي اسـفل الورقـة دائرتـان متسـاويتان احـداهما حمـراء مكتـوب فوقها موافـق، والاخـرى سـوداء مكتـوب فوقهـا غيـر موافـق، وفـي وسط كل مـن هـاتين الـدائرتين فـراغ ابـيض يملـؤه المقتـرع..، امـا الورقة الثانية فقد اسـتبدل فيهـا رسـم اليـد التـي تحمـل العلمـين بصورة لجمال عبـد الناصـر كتـب تحتهـا: هـل توافـق علـى انتخـاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة؟

كانت اجهزة المخابرات المصرية التي اسـتلمت فـورا شـؤون وزارة الداخليـة هـي التـي صـممت هـذا الاسـلوب مـن الاقتـراع العلني، وكان الاقتراع سابقا في سورية يـتم فـي الغرفـة السـرية حيـث يتحـرر المقتـرع مـن اي ضـغط او اكـراه، وهـو مكسـب ديموقراطي حصل عليه الشعب في سـورية نتيجـة نضـال شـعبي وبرلماني.

لم يكن الاستفتاء على الوحدة وعلى رئاسة جمال عبد الناصر بحاجة الى مثل هذا الاسلوب الفج ولكن من يشعر بالاخطاء في غمرة الفرح الاكبر؟

لقد استنفر حزب البعث جميع اعضائه ومناصريه للمشاركة في عملية الاستفتاء واشترك بعضهم مع الموظفين ورؤساء المراكز في ملء صناديق الاقتراع بأسماء الاموات والاحياء الغائبين واسماء اللبنانين الذين اموا دمشق لهذا الغرض وسمح للناخب الواحد ان يقترع مرات عديدة، ولم يكن لارتكاب هذه الاثام اي مبرر عقلي او اخلاقي بعد ان افتى الشعب، للوحدة وللرئيس جمال عبد الناصر بحماسة واندفاع شعبي.

اعلن وزير الداخلية المصري زكريا محيي الدين صباح يوم 22-2-1958 نتائج الاستفتاء في سورية ومصر فكانت نسبة الموافقين في سورية 99.98 وكان عدد المخالفين 139 شخصا وكانت نسبة الموافقين في مصر 99.99 وهنا لا بد لي من ملاحظة:

ان اكبر نسبة للاقبال على الانتخابات عرفتها سورية في اشد معاركها الانتخابية ضراوة لم تتجاوز 70% من مجموع الناخبين، ولم يكن الاقبال على مراكز الاقتراع يفوق هذه النسبة بحال من الاحوال، وكانت مواد آخر مرسوم جمهوري اصدره شكري القوتلي هي التالية:

مادة اولى: تعلن موافقة الناخبين:

أ- على وحدة سورية ومصر في الجمهورية العربية المتحدة بأغلبية 1.312.859 صوتا مقابل 139 صوتا..

ب- على انتخاب السيد جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة بأغلبية 1318808 من الاصوات مقابل 187 صوتا وذلك على التفصيل المبين في الجدول التالي:

مادة ثانية: ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم: دمشق 22-2-1958 بعد اعلان نتيجة الاستفتاء وجهت للرئيس عبد الناصر البرقية التالية:

"ما شهد تاريخنا الحديث انتخابا ولا استفتاء شعبيا اكثر تعبيرا عن ارادة الشعب الحرة في هذا الذي جرى اليوم في كل من مصر وسورية ولا غرو فقد لمس الشعب من جديد في شخصكم تاريخ العرب كله بما فيه من مآثر وبطولات وامجاد وبما تخلله من آمال ونضال، ولو اتيح لصناديق الاقتراع ان تخترق الحدود التي اقامها الاستعمار بين اجزاء وطننا لتطوف على كل مواطن في الاقطار العربية الحبيبة من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي لرأى العالم اجمع ان ما افتى به العرب في مصر وسورية لا يعبر عن امانيهم فقط وانما هو تعبير عن الاماني المقدسة للعرب جميعا ولرأى الاستعمار والصهيونية ان جميع ما اصطنعوه من اكاذيب وما نصبوه من شراك وما حاكوه من مؤامرات لم يزد العرب الا ايمانا بوحدتهم وتعلقا بحريتهم، وان عبد الناصر الذي تجسدت فيه ثورة القومية العربية وتمثلت في شخصه احلام الشعب العربي ومثله العليا لم يكن رائد الجماهير في الاقليمين المصري والسوري فحسب وانما هو رائد العرب اجمعين الخ..

وقد يستهجن القارىء، كما استهجن الان، تلك المبالغات الصبيانية التي املت نص هذه البرقية بما لا يليق صدورها من رجل مسؤول، وانني لاعترف ان هذا الحكم من القارىء هو دليل على تقدم وتطور العقل العربي ونضجه ولكن عذري كان في تلك الفترة التي لا استطيع وصفها، كانت فترة طغى فيها الحلم الكبير على عقلانية الواقع المرير.

جمال عبد الناصر في دمشق

اخبرني الرئيس شكري القوتلي يوم الاثنين 24 شباط ان جمال عبد الناصر موجود عنده، فتوجهت فورا الى منزله حيث التقيت هناك بالرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وانور السادات، وكان عبد الناصر قد وصل الى مطار دمشق فجأة دون ان يعلم احدا بموعد مجيئه، وقد

علمت بعد ذلك، ان اللواء عفيف البزرة والزعيم امين النفوري والقائمقام عبد المحسن ابو النور واعضاء القيادة العسكرية المشتركة وكبار ضباط الجيش كانوا ينتظرون في المطار وصول المشير عبد الحكيم عامر فاذا بهم يفاجأون بقدوم عبد الناصر حيث توجه من هناك الى منزل شكري القوتلي في شارع الجلاء، ولم تمض فترة على انتشار الخبر حتى هب الناس من بيوتهم ومحلات عملهم وتوجهوا جميعا رجالا ونساء واطفالا الى منزل القوتلي كالسيول الهادرة يحيطون به وكان بعضهم ما يزال مرتديا ثياب نومه... كان منظرا رهيبا هذا البحر المتلاطم البشري الذي تجمع بسرعة مذهلة وهو يهتف من اعماقه: "طل علينا يا جمال"

وقد استجاب الرئيس عبد الناصر للنداء فخرج للشرفة، وخرجنا معه حيث قدمه الرئيس القوتلي الى الجماهير بكلمة ترحيبية قصيرة ثم قال لهم:

هذا هو عبد الناصر حامي الديار بينكم يحدثكم.

تكلم عبد الناصر ثم تبعه عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وانور السادات وصبري العسلي وكنت آخر المتكلمين وفيما يلي نص الكلمة التي القيتها على الجماهير:

ايها الاخوان: بفضل جهادكم وتضحياتكم، بفضل دماء الشهداء في كل بقعة من بقاع البلاد العربية، بفضل التضحيات والالام ولدت الجمهورية العربية المتحدة..

ان قيام هذه الجمهورية تحول خطير في مجرى التاريخ لانه يفسح للعرب من جديد مجال الاشتراك في بناء الحضارة الانسانية، الحضارة التي قامت على المثل العليا في الخير والعدل والسلام.

والان ماذا اقول وبطل العروبة وامل الملايين جمال عبد الناصر في دمشق بينكم وبيننا... انه حلم كبير قد تحقق، فأهنئكم واهنىء الثمانين مليون عربي المنتشرين في البقاع العربية، وكلي امل ورجاء ان تنضم الاقطار العربية الواحدة تلو الاخرى الى الجمهورية العربية المتحدة في المستقبل القريب والسلام عليكم".

بعد ذلك ذهبنا جميعا بصحبة الرئيس جمال عبد الناصر الى قصر الضيافة الذي لا يبعد عن منزل القوتلي اكثر من مئة متر فلم تتمكن سياراتنا من بلوغه الا بعد ساعة بسبب ازدحام الجماهير التي قدر عددها بمائة الف نسمه.

وفي الايام التالية للزيارة هرعت الوفود من مختلف انحاء سورية ولبنان والبلاد العربية، وكانت هذه الجماهير تحيط بقصر الضيافة ليلا ونهارا وهي تهتف وتهزج، وانني لعاجز عن وصف الحماسة الشعبية التي قوبلت بها زيارة جمال عبد الناصر الاولى لسورية.

وهنا لا بد لي من التوقف قليلا لتأمل هذه الحماسة وذلك الاندفاع الشعبي وتفسيرها.

هل كان الامر ظاهرة من ظواهر تعلق الجماهير بشخصية البطل كما فسرها عبد الناصر نفسه (كتاب فلسفة الثورة)؟

واذا كان الامر كذلك فلماذا لم تدافع الجماهير عن انفصام الوحدة على يد ضابط صغير من ضباط الجيش؟ بل لقد قامت مظاهرات في شوارع دمشق والمدن الاخرى تهتف ضد عبد الناصر هتافات غير مستحبة، وهل يكابر احد بأن الحماسة الشعبية تجاهه قد بدأت تفتر شيئا فشيئا مع تزايد اخطائه وانحرافاته مما ادى الى الانفصال؟

لقد حاول البعض ان يفسر هذا التحول الشعبي بأن الجماهير (كالببغاء عقلها في اذنيها) ولذلك فان حماستها واندفاعها ما هما الا هياج انفعالي غير واع وليس لهما اي اساس منطقي عقلاني.

كان تعلق الجماهير في الماضي بالابطال - ومعظمهم من ابطال الحروب والمعارك المظفرة - ناتجا عن توهمهم بقدرتهم الخارقة المستمدة من نفحة علوية الهية، وانه ليصبح من الطبيعي عند زوال هذا السحر ان ينقلب عليه الناس بمجرد سقوطه وهزيمته، اما في العصر الحاضر فالتعلق بشخصية البطل

لـم يعـد لـه وجـود عنـد الشـعوب المتقدمـة حيـث انقشـع الـوهم الغيبي وحل محله العقل العلمي.

لا انكر ان الاوهام الغيبية حول شخصية البطـل مـا يـزال لهـا دورهـا فـي بلـدان العـالم الثالـث، وهـي علـى درجـات متفاوتـة بالنسـبة لتقـدم المجتمـع وتخلفـه، وانـه يمكننـا وضـع المجتمـع العربي في سورية في مقدمة هذه المجتمعات رقيا وتقدما، ولقـد كان لنضال الطلائع العربية والاحزاب الوطنيـة منـذ العهـد العثمـاني فضل كبير في رفع مسـتوى الـوعي السياسـي فـي سـورية الـى مستويات عالية قبل الوحـدة، واننـي لا اعتقـد ان الشـعب العربـي في سورية كان مفتونا بشخصية عبد الناصر لانـه بطـل اسـطوري، بل لاعتقاده انـه القائـد العربـي التقـدمي الـذي اظهـر هويـة مصـر العربية بعد ان طمستها الدعايات الاستعمارية، وانـه القائـد الكـفء القادر على تحقيق اماني العرب القومية التقدمية.

قـررت اثنـاء وجـود جمـال عبـد الناصـر فـي دمشـق ان اداوم على مكتبي في المجلس النيابي، والا ازور قصر الضـيافة الا حـين يدعوني لزيارته، لانني شعرت ان المصريين كانوا حريصين على ان يتيحـوا لعبـد الناصـر الاتصـال بجميـع السياسـيين وبجميـع طبقـات الشعب مباشرة.

ولشد ما ازعجنـي بـالرغم مـن مـوقفي المـتحفظ ان تنشـر مجلــة روز اليوســف لمراســلها فــي دمشــق ممــدوح رضــا ان المستوزرين امثال اكرم الحوراني وصبري العسلي وصـلاح البيطـار الخ.. لا يفارقون قصر الضيافة، وكانت الاشارة الى اسـمي بطريقـة فيها كل الوقاحة والعداء وذلك بالرغم من انه لم يكد يمضـي علـى قيام الوحدة ايام معدودات، وبالرغم مـن اننـا كنـا نسـتقبل يومـذاك جمال عبد الناصر استقبال البطل العربـي الـذي علقنـا عليـه آمـال العرب جميعا، ورأينا فيه - او هكذا خيـل لنـا - انـه باعـث امجـادهم وتاريخهم.

والواقع هو انه بعد ان وصل عبد الناصر الى دمشق وبالرغم من الحاحه علي بالاتصال به كل يوم وزيارته لم افعل، وكنت لا اذهب اليه الا بدعوة مباشرة منه، وما ذلك كبرا ولا ترفعا، بل لانني كنت اود ان افسح له مجال الاتصال بسواي من قادة البلاد والتعرف الى آرائهم، فكانت النتيجة ان وصمتنا مجلة روز اليوسف بالاستيزار والتسكع في قصر الضيافة ليل نهار، مع العلم انني كنت آنذاك اشغل رئاسة المجلس النيابي اي رئاسة السلطة التشريعية في البلاد وهي الرئاسة الثانية.

غير ان ايماننا بالرئيس عبد الناصر في ذلك الحين وجهلنا لطبيعة حكمه، جعلني ارد هذه الامور الى الشبكات التي تهدف الى الايقاع منذ الايام الاولى للوحدة.

وقد علمت فيما بعد ان مراسل روز اليوسف، بالرغم من كونه احد المحررين الصغار، كان أثيرا عند عبد الناصر، وكان لا يفارق قصر الضيافة في تلك الفترة.

والذي ازعجني اكثر من هذا ما قاله لي مصطفى امين بأن الرئيس جمال عبد الناصر يطلب مني ان اعد نفسي لتشكيل مجلس الامة الجديد الذي سأتولى رئاسته والذي ستكون القاهرة مركزا له، وان انتقي اسماء الذين سيرشحون لعضويته من اعضاء المجلس النيابي السوري.

كنت اشتبه بمصطفى امين على الرغم من انه كان يكلمني باسم عبد الناصر، وقد رددت عليه بما فيه تعريض به وقلت له:

انني لا انوي ابدا مغادرة سورية لسبب بسيط وهو انها ستكون بعد الوحدة، كما كانت قبلها، مسرحا للصراع ضد الاستعمار والصهيونية واني ارى من واجبي ان اقيم فيها سواء كنت مشتركا بالحكم او غير مشترك به، كما قلت له:

لو انني املك الخيار لاخترت ان اعود مواطنا عاديا في الجمهورية العربية المتحدة.

لـم يـدر بخلـدي ان يكـون مصـطفى امـين مبعوثـا مـن قبـل الرئيس عبد الناصر ليقوم بعملية جس نبضي لاقصائي عن سورية وتصورت ان ذلك اسلوب اعلامي من مصطفى امين ثم اطلعت بعد ذلك على كتاب احمد عبد الكريم اضواء علـى تجربـة الوحـدة وقـد جاء فيه:

"قبل يومين من زيارة الـرئيس جمـال عبـد الناصـر المفاجئـة لدمشق سـافرت للقاهرة مع العميد عبد المحسـن ابو النـور، وكـان آنـذاك ممـثلا للقيـادة المشـتركة فـي سـورية، وفـور وصـولنا الـى المطار ذهبنا مباشرة لمقابلة الرئيس فـي بيتـه حيـث اسـتقبلني بمفـردي، فسـلمته الشـيك الـذي كـان بمبلـغ مليـوني جنيـه اسـترليني واطلعتـه علـى مـؤامرة الملـك سـعود بنـاء علـى قـرار مجلس القيادة الـذي كلفنـي بـذلك، ثـم بـدأ الحـديث عـن سـورية وكـان الـرئيس يسـتمع الـي وهـو يشـجعني علـى الصـراحة المتناهية، وكان الحديث طويلا اذكر منه النقاط التالية:

1- هل من الضروري ذهاب جمال عبد الناصر الـى دمشـق ام لا؟ وكنت مكلفا من اخواني باقناعه بعدم الحضور في تلـك الايـام الى سورية خوفا عليه من مـؤامرات الاسـتعمار وعملائـه مـن الحكام العرب، ولكنـه اصـر هـو علـى زيـارة سـورية والاجتمـاع بالشعب الذي انتخبه رئيسا للجمهورية.

2- كيفيـة تنظـيم الحكـم فـي الجمهوريـة وخاصـة فـي سـورية ومسـألة نيابـة رئاسـة الجمهوريـة فـي الاقلـيم السـوري وصلاحيات نواب الـرئيس والاشـخاص الـذين يمكـن ترشـيحهم لهذا المنصب الخطير في نظره وشعرت بأنـه يخشـى تسـليم الامور في سورية لاكـرم الحـوراني ولا يثـق بصـبري العسـلي كما لا يطمئن الى اجماع الرأي عليـه (اي الحـوراني) وخاصـة في الجيش، وشعرت بأن هذه المسألة تشغل فكره وتسـتأثر بكل اهتمامه، ثـم نـاقش معـي فكـرة تعيـين مصـري لتصـريف شؤون سورية كالبغدادي [2] مثلا او عامر، ولكنني قلت لـه ان

(2) "اصدر سامي جوهر في عام 1975 كتابا بعنوان: الصامتون يتكلمـون حـوى شـهادات وتحقيقـات عن لسان كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي، جاء فيه:

تعيين مصري سيكون له وقع سيء في نفوس المواطنين جميعا وخاصة في نفوس القادة السياسيين الذين عملوا لتحقيق الوحدة والذين يشعرون بأهليتهم وحقهم في هذه المهمة" (ص 105-106)

لم اكن انذاك على علاقة جيدة بأحمد عبد الكريم، فلم اعرف ما دار بينه وبين عبد الناصر من حديث، ولو اتيح لي ذلك لكان سببا ومبررا لاعتذاري عن الاشتراك في مسؤولية الحكم... كنت اشعر بتعب وارهاق وانني بحاجة الى الراحة النفسية، وكنت فعلا اتمنى ان اعتزل العمل السياسي بعد توهمي انني كنت واحدا ممن اوصلوا سورية الى شاطىء السلامة والامان بعد رحلة عاصفة.. كنت اتمنى ذلك ولكنني كنت اخشى ان يقول لي عبد الناصر:

انتم الذين اصررتم على قيام الوحدة فهل يجوز لكم ان تتخلوا عن تحمل مسؤولياتها؟ ولم اكن لاتصور ابدا انه كان يخشى تسليمي الامور وانني كنت موضع همه وقلقه.

وفيما يتعلق بأحمد عبد الكريم فقد حاولت بعد الوحدة ان ازيل كل اثر للخلافات السابقة، ولذلك كنت اتصل بشكل مستمر بالسيدين احمد عبد الكريم وامين النفوري وكان هذا بالذات ما اوصاني به عبد الناصر بعد تشكيل الوزارة.

وبعد شهرين من الوحدة (نيسان 1958) جاءني الطبيب السيد هشام عبد الرزاق، وهو ضابط احتياط في الجيش، يطلب مقابلة مستعجلة وصفها بأنها هامة وخطيرة وانه حصل على مأذونية 24 ساعة وان لديه معلومات جاء فقط ليبلغني اياها

ان عبد الناصر قال لجمال سالم مبررا قبوله الوحدة مع سورية، ان البلد (اي مصر) فيه مليون مشكلة وقبولي للوحدة هو الحل الوحيد لتغطية هذا الفشل.
كما يقول البغدادي لسامي جوهر ان عبد الناصر كلف البغدادي - قبل الاستفتاء - ان يكون حاكما لسورية فاعتذر، فقال له عبد الناصر:
اسمع يا بغدادي قبل ما تتخذ قرار نهائي بالرفض روح شوف مصطفى امين ده لسه راجع من سورية وعنده معلومات كثيرة، اقعد معاه وبعدين قل لي رأيك، ولكن البغدادي ظل مصرا على اعتذاره بعد اجتماعه بمصطفى امين بداعي انه لا يعرف شيئا عن سورية، ولانه يخشى ان يصبح بنظر السوريين كأنه المندوب السامي لمصر في سورية"
(الصامتون يتكلمون - الطبعة الثانية - المكتب المصري الحديث ص 50-51-52)

فبادرني وعلامات التعجب والدهشة والخوف على وجهه: بأن الضباط المصريين في الجيش اجتمعوا به وباخوانه الضباط وقالوا لهم ان اكرم الحوراني قد اتفق مع احمد عبد الكريم وامين النفوري على قلب الاوضاع وفك اقليمي الجمهورية العربية المتحدة بالاتفاق مع الاستعمار، وان اكرم الحوارني الذي كان شريفا ووطنيا، قد غدا متآمرا مع امين النفوري ومع احمد عبد الكريم!.

فسألته هل كان هذا مجرد حديث او توجيهات رسمية فقال: بل كان توجيها رسميا، وقد سمعته بأذني، وانا على استعداد للادلاء بشهادتي امام القيادة.

استدعيت فورا السيد عبد المحسن ابو النور الملحق العسكري المصري قبل الوحدة ومعاون قائد الجيش بعدها، وقلت له: ان الرئيس عبد الناصر طلب الي تمتين علاقاتي بامين النفوري واحمد عبد الكريم، وقد نفذت ما طلب لان ذلك فعلا في مصلحة البلد، فكيف توجهون في الجيش الى انني متآمر مع امين النفوري واحمد عبد الكريم، وانني اخون الوحدة والوطن.. وانني قد انحرفت؟.. وقلت له ان الطبيب الضابط هشام عبد الرزاق سمع هذا باذنه مع رفاقه السوريين من الضباط المصريين، وانه كان توجيها رسميا، وهو مستعد للادلاء بافادته في ذلك.. فهل ما توجهون به هو بأمر من الرئيس عبد الناصر، ام انكم تتآمرون على الرئيس؟

لم ينبس عبد المحسن ابو النور ببنت شفة.. ولم اكتف بذلك بل استدعيت السيد محمود رياض وابلغته الموضوع.

ثم جاء ما يؤكد بعد ذلك ان هذا التوجيه الرسمي في الجيش كان توجيه الرئيس جمال عبد الناصر فقد استمرت اجهزة المخابرات المصرية في نشر الشائعات ومهاجمتي مع عدد من الوزراء - حتى بلغ الامر بعبد المحسن ابو النور نفسه - المفوض السامي والمطلق الصلاحية في سورية! وكان يجلس مع عدد كبير من الناس في فندق بلودان ان قال:

ان مصدر البلبلة والقلق في البلاد هم البعثيون واتهمنا بالكثير، وقد نقل الي الحديث يومذاك السيد بكري المرادي، فاستدعيت عبد المحسن ابو النور وحذرته من الاستمرار في هذه السياسة وهذا الخط، غير ان اجهزة المخابرات المصرية لم تكف لحظة عن الايقاع في صفوف الجيش والشعب وتوزيع الاتهامات والافتراء على لسان مختلف العناصر للايقاع فيما بينها.

وقد علمت فيما بعد من السيد احمد عبد الكريم ان عبد المحسن ابو النور جاء في نفس الفترة التي كنت احاول فيها ان اقيم علاقات طيبة من الصداقة والمحبة بيني وبين الوزراء جميعا وبين الوزراء انفسهم، فقال له بالحرف الواحد: ان اكرم الحوارني قد طالت اظافره ويجب ان نتفق معا لتقليمها، فرد عليه احمد عبد الكريم بقوله: لقد وضعنا مبدأ عدم تدخل الجيش في السياسة، هكذا قال الرئيس، فكيف تجيز لنفسك ان تبحث معي امورا سياسية وتطلب مني ان اشترك في هذه المؤامرات، وانت رجل عسكري؟

عبد الناصر يحمل على حلف بغداد وسقوط حكومة عبد الوهاب مرجان:

مضى الاسبوع الاول على زيارة جمال عبد الناصر لسورية وهي غارقة بأعيادها وافراحها، وقد شاركها شعب لبنان الذي كانت وفوده سيلا لا ينقطع، وكان جمال عبد الناصر يخطب بالجموع الزاحفة مرارا عديدة في اليوم الواحد.

والذي ظهر ان تأييد جمال عبد الناصر الاتحاد بين الاردن والعراق ببرقيته المشهورة لم يفلح في اقناع شعب سورية بمهادنة ذلك الاتحاد، فمنذ ان وطئت قدما ناصر سورية وهو يسمع تنديد الشعب باتحاد الاردن والعراق في ظل حلف بغداد، وفيما يلي نموذج من الاهازيج التي كان الشعب يرددها، وذلك في "القريتين" البلدة الصغيرة التي تقع على حدود الصحراء الشرقية السورية:

وحدة مصر وسورية اساس الوحدة العربية
هلل يا جمهور وكبر للجمهورية العربية
لا استعباد ولا استعمار ولا مشاريع حربية
لا احلاف ولا قيود ولا وحدة تقليدية
وحدة عمان وبغداد ما هية وحدة عربية
وحدتهم ما هي حرة وحدتهم وحدة غربية

(النصر 1958/2/27)

وهكذا عدل عبد الناصر عن موقفه السابق بالنسبة للاتحاد بين الاردن والعراق فجاء في احدى خطبه: "اما الاتحادات الزائفة التي اقاموها في وجه الاتحاد السوري المصري فانها كالهشيم تذروه الرياح" وقال في خطاب آخر:

"ان باش اعيان وفاضل الجمالي وسمير الرفاعي ومن هم ضد جمهوريتنا لهم يوم قريب وستحاسبهم شعوبهم".

لقد بررت اجهزة عبد الناصر هذا الانقلاب السريع في موقف عبد الناصر بقولها:

"حين ابرق الرئيس جمال عبد الناصر للملك فيصل مهنئا باعلان الاتحاد العربي لم يكن سيادته يجهل قواعد هذا الاتحاد وارتباطه واهدافه، ولكنه اراد ان يخلق جوا عربيا طيبا، وكانت مجاملة جديرة بأن تخجل المسؤولين في بغداد وعمان".

لم يفهم الشعب العربي معنى للوحدة السورية المصرية سوى انها وحدة تحرير من الرجعية والاستعمار والصهيونية فكان لذلك اثر كبير في تعلق الشعب به كقائد للثورة العربية حتى اصبح خطاب منه بعد ذلك كفيلا باسقاط وزارة عبد الوهاب مرجان التي اضطرها للاستقالة بتاريخ 58/3/3، فتولى نوري السعيد تشكيل الوزارة الجديدة، ولكن هذه التغيرات كانت بلا جدوى، اذ ان الحملة الاعلامية التي شنها جمال عبد الناصر في دمشق ضد حلف بغداد قد انتهت بعد اربعة اشهر ونصف بثورة الجماهير

العربية في العراق في الرابع من تموز 1958 التي قضي فيها على حلف بغداد وعلى النظام الملكي.

□

كان جمال عبد الناصر يحذر في قرارة نفسه من الشعب، وكانت اجهزة مخابراته تعرف ذلك فكانت تشن عليه باستمرار حربا نفسية عندما تنقل اليه اخبار المؤامرات الكاذبة لاغتياله.

لقد سألني عبد الناصر عندما اعتزم زيارة سورية عام 1959 عن احتمال وجود خطر على حياته فكذبت ما وصل اليه تكذيبا قاطعا، فقال لي:

معك حق، ان حبك مؤامرات الاغتيال يبدأ عندما يبدأ الشعب يشك بوطنية قادته، ومما لا ريب فيه ان محاولة اغتياله من قبل الاخوان المسلمين قد تركت آثارا عميقة في نفسه.

واذكر ان عبد الناصر لم يحافظ خلال زيارته لسورية عام 1959، تلك الزيارة التي اصطحب بها الرئيس تيتو وعقيلته، على اي موعد من مواعيد الاحتفالات الرسمية، بل كان يتأخر مدة قد تصل الى ساعتين كما حصل في العرض العسكري المقام في عيد الوحدة، وذلك مخافة ان تكون قد اعدت مؤامرة لاغتياله او اغتيال الرئيس تيتو الذي كان هو الاخر متوجسا من وجود عدد كبير من اليوغوسلاف المسلمين البوسنة والهرسك في سورية ممن تعاونوا مع الالمان بتأثير من الحاج امين الحسيني الذين غادروها بعد استلام الشيوعيين الحكم.

واذكر ان علائم الانزعاج كانت ظاهرة على وجه تيتو في حفل العشاء المسائي عشية وصوله الى سورية، ولعل ذلك بسبب اقتحام الجماهير صفوف الجيش والامن المتراصة واندفاعها نحو سيارة الرئيسين، وكانت اجهزة المخابرات قد عمدت خلال تلك الزيارة الى حجز كل اليوغوسلاف الموجودين في دمشق وارسلتهم مخفورين الى حمص ريثما تنتهي الزيارة.

□

عبد الناصر يجعل من رئيس المكتب الثاني (المخابرات) الرجل الاول في سورية

شرع جمال عبد الناصر منذ الاسبوع الاول لشهر أذار 1958 بوضع مخططه الذي اعده لسورية موضع التنفيذ، فأعلن الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة كما اعلن تشكيل الحكومتين الاقليميتين (المجلسين التنفيذيين) هذا من الناحية الدستورية والحقوقية، اما من الناحية السياسية فقد كشف في خطابه الذي القاه على الجماهير المحتشدة حول قصر الضيافة بتاريخ 5-3-58 عن محاولة انقلابية كان الملك سعود يعدها لفصل الوحدة.

كان المديح الذي سفحه على عبد الحميد السراج رئيس المكتب الثاني في الجيش السوري (المخابرات) يشير بصورة واضحة الى ان السراج قد اصبح رجله الاول في سورية. وقد تابعت اجهزة الاعلام في تعليقاتها على خطاب عبد الناصر تضخيم حجم السراج، وفيما يلي نموذج عما كتب في افتتاحية لجريدة النصر (6-3-58) تحت عنوان: المواطن العربي الثاني:

"كلنا يعرف المقدم عبد الحميد السراج الضابط الفقير الذي لا يملك منزلا يؤويه، ويعرف انه لو تخاذل لاثرى اعظم الثراء، ولكنه لم يتخاذل لانه صاحب رسالة تقوم على الشرف والوطنية والضمير، ولانه جعل همه في الحياة ان تتابع البلاد انطلاقتها الثورية وان تقطف ثمرات هذه الانطلاقة".

كل ذلك كان يشير الى ان جمال عبد الناصر كان يهدف من وراء هذه الحملة الاعلامية الى اعداد السراج ليكون حاكم سورية مما اثار موجة من الغيرة بين رفاقه ضباط الجيش.

كما كان موضع استغراب من جميع الفئات السياسية، وقد نفذ ناصر مخططه هذا على مراحل فجعل من السراج بعد ان نفخ في حجمه بالاسلوب الذي اشرت اليه حاكما على سورية، ولكنه

ما لبث في اواخر عهد الوحدة ان نفسه مثل البالون عندما عين المشير عبد الحكيم عامر حاكما على سورية بدلا عنه.

وفي الخطاب نفسه، ومقابل مديح السراج وتضخيمه، شن عبد الناصر هجوما قاسيا على الاحزاب السياسية جميعا بدون استثناء واتهمها ضمنا بالتخريب، وجاء في ذلك الخطاب:

"سيحاول الاستعمار ان يفرق بينكم ويخلق الشيع والاحزاب ويخلق الاحقاد والكراهية، ولكننا دائما لا بد ان نذكر ان سبيلنا الى النجاح هو الاتحاد في الداخل، كلنا رجل واحد لا حزبية ولا احزاب ولا هيئات ولا جماعات" وقد كرر هذا المعنى في خطابه بأساليب متعددة ثم اختتم الخطاب بقوله:

"لا حزبية، لا احقاد، لا كراهية، ثقة متبادلة، سياسة واضحة، حياد ايجابي، عدم الانحياز، دعم القومية العربية والعمل من اجل معاونة اخواننا العرب في كل وطن مستعبد الى ان يحصل على حريته"

كنت اقف الى جانب عبد الناصر في شرفة قصر الضيافة كما كان يقف قادة البلاد وكلهم ينتمي الى حزب من الاحزاب، وعمت الدهشة الجميع، فقد كانت الاحزاب السياسية قد اعلنت جميعا حل تنظيماتها السياسية كما رغب واراد، كما انها شاركت على تفاوت في الدرجات في تحقيق الوحدة، فكيف يجوز لعبد الناصر بعد ايام من اعلان الوحدة وفي اول زيارة لسورية أن يقوم بهذه الحملة القاسية التي لا مبرر لها؟

كانت الاحزاب اليمينية بادية الشماتة بعد ان سوى عبد الناصر بينها وبين حزب البعث، وقد شعر التقدميون بخيبة امل كبيرة واحتاروا آنذاك في تفسير هذه الحملة، اما فيما بعد فقد شكلت هذه المساواة بنظرة واحدة لجميع الاحزاب مبدأ اساسيا في تشكيل الاتحاد القومي وهو المبدأ الذي اطلق عليه "تعايش الطبقات"

بعد هذا الخطاب وفي عشية اليوم نفسه، دعا السيد شكري القوتلي الرئيس جمال عبد الناصر الى حفلة عشاء في بيته وكنت جالسا بجانبه فالتفت الي قائلا وبصوت خفيض:

انكم حققتم اعجازا في بلادكم، كنتم محرومين من كل الامكانيات، ولكنكم احبطتم جميع مشاريع الاستعمار ومؤامراته على المنطقة، وانه كلما مر بي يوم جديد في سورية تعترني الدهشة كما يأخذني الاعجاب بالقيادات السياسية التي استطاعت ان تحافظ على حرية سورية واستقلالها وكرامتها، وها هم قادة سورية يتوجون هذا الانتصار الكبير باقامة الوحدة.

شكرت الرئيس على هذا الاطراء ورددت هذا الاعجاز الى خلق شعبنا والى وعيه وايمانه وتمسكه بالمبادىء، فلم تتمكن كل القوى الدولية الضخمة من تبديل خط سيره وقلت في نفسي:

ان هجوم الرئيس على الاحزاب اليوم لم يكن الا خطأ منه وعثرة من عثرات اللسان، واعتبرت حديثه لي على العشاء اعتذارا منه على ذلك الهجوم، ومع ذلك فان شيئا ما قد بدأ يهتز في الصورة التي كانت في خاطري عن عبد الناصر.

قال لي عبد الناصر، ذات مساء قبيل انتهاء زيارته الاولى لسورية، وكنا واقفين على شرفة قصر الضيافة بعد انتهائه من احد خطاباته:

انظر الى الناس كيف ينصرفون الى بيوتهم وهم مرهقون من حماستهم واندفاعهم، ولكن ما جدوى هذه الحماسة والاندفاع؟ اليست هي كالزبد والمحصلة اخيرا لصالح من سيتصل بهم فردا فردا وينظمهم كالحزب الشيوعي مثلا؟

كان في حديث عبد الناصر اعتراف ضمني بأن المحصلة الاخيرة للعمل الشعبي هي التي تكون نتيجة للتنظيم الحزبي، ولقد فوجئت بهذه الاقوال لانها تتناقض مع حملته على الاحزاب التي اصبحت طابعا لخطاباته في زيارته الاولى لسورية والتي كان يعظ بها الجماهير بمناسبة وبلا مناسبة.

قلت له على الفور:

هـذا صـحيح، ان حماسـة الجمـاهير وانـدفاعها كالزبـد سـرعان مـا يزول، وان قوتها في تنظيماتها الحزبية، وهو الاسلوب الوحيد الذي يجعل من ايمانها قوة واعية لا تغلب.

□

واعود الان الى الحديث عن المؤامرة السعودية التي اتخذها عبد الناصر وسيلة لتلميع رئـيس المخـابرات عبـد الحميـد السـراج تمهيدا لجعله حاكم سورية المطلق:

كان المقدم مصـطفى حمـدون قـد اخبرنـي منـذ بدايـة عـام 1958 ان الملك سعود كلف عبد الحميد السراج ليكون وسـيطا لـه لشراء الكتلتـين الرئيسـيتين فـي الجـيش: كتلـة الضـباط البعثيـين وكتلة الضباط المستقلين (عفيف البزرة، امين النفوري، احمد عبـد الكريم، طعمـة العـودة الله، احمـد الحنيـدي)، وان مجلـس القيـادة العسكري كلـف السـراج بـأن يتظـاهر بقبـول عـرض الملـك سـعود لاحداث انقلاب ضد الوحدة المزمع عقدها بـين مصـر وسـورية لقـاء بضـعة ملايـين مـن الجنيهـات، كمـا اخبرنـي مصـطفى حمـدون ان السراج نقل الى مجلس القيادة دهشـة الملـك سـعود واسـتغرابه عند سماعه قبول الضباط البعثيين التآمر على الوحدة وقال:

كنت اعتقد ان البعثيين لا يمكن ان يشتروا بالمال" واعتبر ذلك فوزا كبيرا.

وقد اقترح عبد الحميد السراج على مجلـس القيـادة بعـد ان قـبض مـن الملـك سـعود مبلـغ مليـوني جنيـه ان تبنـى بهـا بيـوت لضباط الجيش ولكن مجلس القيادة رفض هذا الاقتراح.

كان هذا مجمل ما سـمعته عـن المـؤامرة قبـل زيـارة جمـال عبد الناصر الاولـى لسـورية، ولـم اهـتم بتتبـع وقائعهـا طالمـا انهـا اصبحت تحت قبضـة مجلـس القيـادة الـذي قـرر قبـل مجـيء عبـد الناصر الى سورية اطلاعـه علـى تفاصـيل المـؤامرة ووضـع المبلـغ الذي دفعه الملك سعود تحـت تصـرفه وتكليـف احمـد عبـد الكـريم

بالسفر الى القاهرة لتحقيق هذا الغرض، وقد جاء في كتاب احمد عبد الكريم اضواء على تجربة الوحدة (ص 103) ما يلي:

"اكتشفت اوائل عام 1958 مؤامرة جديدة يشرف على تنفيذها الملك سعود الذي ذهل من هول مفاجأة الوحدة، فحاول شراء قادة الجيش وخاصة قادة الكتلتين فيه وهما كتلة المستقلين وكتلة الضباط البعثيين، وخيل اليه ان الفرصة مواتية عندما وقع اختياره على نائب في المجلس السوري آنذاك اسمه عزيز عباد (محامي جماعة سليمان المرشد) يدعي الصداقة مع ضباط القيادة، فوضع تحت تصرفه مليون جنيه استرليني يدفعها لضباط الاركان مقابل حركة عسكرية تقضي على الوحدة، وعندما عرضت علينا في اجتماع القيادة كلفنا السراج بمتابعة المؤامرة ومحاولة الحصول على اكبر مبلغ ممكن من الملك سعود الذي يبدو انه كان مستعدا لدفع مبالغ كبيرة للحيلولة دون وصول نفوذ جمال عبد الناصر الى سورية، وصدق ظننا اذ ما كاد يبلغ سعود ان المليون الاولى لم تكف الضباط وانهم يطلبون المزيد من المال حتى بادر بتحويل شيك اخر على البنك العربي في دمشق بمبلغ مليون جنيه استرليني آخر، وفي اليوم نفسه سجل هذان المبلغان باسم رئيس الشعبة الثانية عبد الحميد سراج بناء على قرار مجلس القيادة للقوات المسلحة، وقد قرر مجلس القيادة وضع هذا المبلغ تحت تصرف جمال عبد الناصر واطلاعه على تفاصيل المؤامرة"

من ذلك يظهر ان دور السراج في المؤامرة كان دور الوسيط لان الملك سعود لم يكن يجهل ان السراج غير قادر على احداث اي انقلاب الا بواسطة الكتلتين المهيمنتين على قيادة الجيش، ولكن خطاب عبد الناصر الذي اشرنا اليه جعل من السراج بطل اكتشاف المؤامرة واحباطها.

ثم جاء دور السراج ليصرح للصحف بتفاصيل المؤامرة مغفلا دور مجلس القيادة العسكري بكتلتيه البعثيين والمستقلين، ولا بد ان عبد الناصر كان متفقا معه على اخراج المؤامرة بالشكل الذي

رسم لها اعلاميا، فقد نشرت جميع صحف الجمهورية العربية المتحدة خطاب جمال عبد الناصر بالعناوين البارزة:

"سعود يدفع مليوني ليرة ثمنا لرأس رئيس جمهوريتنا ويطلب من المقدم سراج ان يحارب شعبا بكامله يريد الوحدة وان يقلب الاوضاع ليلة الاستفاء - مؤامرة خطيرة يكتشفها عبد الحميد السراج (الصحف السورية الصادرة في 1958/3/6/5)

وقال السراج في المؤتمر الصحفي الذي عقده بتاريخ 58/3/5 وحشد فيه عددا كبيرا من المراسلين العرب والاجانب ما ملخصه:

بعد اعلان الوحدة بعث سعود بعمه اسعد ابراهيم والد زوجته ام خالد السورية الاصل (من منطقة اللاذقية) الى المقدم عبد الحميد السراج وطلب منه القيام بانقلاب ضد الوحدة لقاء مبلغ 22 مليون جنيه استرليني يدفع منها مليونين مقدما، وقال السراج انه تلقى شيكا بمليون جنيه استرليني وبعده شيكين الاول بسبعمائة الف جنيه والثاني بمائتين وخمسين الف جنيه وهي محولة على البنك العربي باسمه (وقد نشرت الصحف السورية صور الشيكات الثلاثة) [3] على ان يجري الانقلاب ليلة الاستفتاء مع اعتقال شكري القوتلي ورجال الحكومة السورية وكل من عمل لاجل الوحدة، ويقول السراج انه تظاهر بقبول العرض وتفاوض مع الوسيط وان النائب السوري عزيز عباد حمل الشيك بنفسه الى المقدم السراج على طائرة خاصة وصلت ليلة الاستفتاء، والشيك موقع من مدير البنك العربي في الرياض ومحول على البنك العربي في دمشق.

وقال السراج ايضا ان الرسول اخبره بأن الولايات المتحدة على علم بالموضوع وستضمن اعتراف بقية الدول العربية كما ادعى السراج ان الرسول عرض عليه رئاسة الجمهورية وقال له في بدء

---

[3] الشيكات حولت الى البنك العربي من مصرف

MIDLAND BANK LTD, OVPRSEAS BRANCH
122, OLD BROAD STREET.
LONDON. E.C.2.

وقد سجلت على اسم السراج في البنك العربي وهي مطابقة للمبلغ الذي ذكره السراج في تصريحه الصحافي اي مبلغ 1950.000 جنيه استرليني.

اجتماعاته بأن الملك سعود متضايق من هذه الوحدة الوسخة وهو متعجب لان ضباط الجيش السوري مشهورون بعروبتهم ووطنيتهم فكيف يسلمون امرهم لواحد عسكري، ثم ان الوحدة فيها قضاء على استقلال سورية وسيادتها، وهذا استعمار مصري سيؤول لزوال سورية من عالم الوجود"

ومن جانب آخر عقد النائب عزيز عباد مؤتمرا صحافيا مؤكدا فيه ما قاله السراج ولكنه كان اكثر تحفظا في روايته لاخبار المؤامرة.

تعرض السراج من زملائه الضباط الى حملة اتهامه بالكذب وتحريف انباء المؤامرة وخداع عبد الناصر للظهور امامه بمظهر ذي الشأن الكبير في الجيش مما اضطر عبد الحميد السراج في تصريح آخر ان يذكر مجلس القيادة وان يعطيه دورا اكبر.

كانت المؤامرة بالاسلوب الذي جرت فيه لا تشرف عبد الحميد السراج ولا مجلس القيادة في الجيش السوري، لانها كانت عملية ابتزاز واستدراج لا تقرها الاخلاق، ومما زاد الطن بلة ان عبد الناصر وعبد الحميد السراج قد حرفا وقائع المؤامرة لاغراض لا تشرفهما، ولا شك ان هذه الاساليب اللااخلاقية وضعت الالغام الاولى في بناء الوحدة.

□

في غمرة الدعاية الكبيرة التي افتتحها عبد الناصر وتابعتها اجهزة اعلامه لتلميع عبد الحميد السراج، اصدر جمال عبد الناصر - دون علم او مشاركة احد من رجال السياسة السوريين - قانونا بحل الاحزاب والهيئات السياسية في سورية ومنع النشاط الحزبي وتصفية اموال الاحزاب وتحويلها للاتحاد القومي، وحظر على اعضاء الاحزاب والهيئات السياسية المنحلة والمنتمين اليها القيام بأي نشاط حزبي على اي صورة كانت، كما حظر تقديم اي مساعدة لهؤلاء الاشخاص في سبيل قيامهم بالنشاط الحزبي وفرض عقوبة السجن - دون تحديد المدة- وبغرامة مالية لا تتجاوز

الــ (15) الـف ل.س. او هـاتين العقـوبتين علـى مـن يخـالف نـص القانون.

□

خـلال كشـف المـؤامرة السـعودية والدعايـة العظيمـة لعبـد الحميد السراج وصدور قانون حل الاحزاب السياسية فـي سـورية، وفي غمرة الاحتفالات واستقبال الوفـود التـي كانـت تـؤم دمشـق من الاقطـار العربيـة الاخـرى، كـان عبـد الناصـر يـدعونا بـين الفينـة والاخرى للبحث في تشكيل اول وزارة للجمهورية العربية المتحدة، وكان يجتمع على انفراد بقادة الاحزاب السياسية كحـزب الشـعب (رشـدي الكيخيا وناظم القدسـي ورفاقهم) والحزب الـوطني (فـاخر الكيالي والعسـلي ورفاقهم) كما كان المشير عامر وعبد المحسـن ابو النور يتصلان بضباط الجيش الذين يرغب عبـد الناصـر بالاجتمـاع بهم.

كنا نجهل ما كان يبحثه عبد الناصر وعبد الحكـيم عـامر فـي هذه الاجتماعات والاتصالات المتنوعة، وفـي ليلـة السـابع مـن اذار عام 1958 دعاني جمال عبـد الناصـر ودعـا الاسـتاذ صـلاح البيطـار للاجتماع به بحضور المشير عبد الحكـيم عـامر فـي قصـر الضـيافة ودام الاجتماع حتـى وقـت متـأخر، ولـم يكـن بينـي وبـين الاسـتاذ صلاح اي اتفاق مسبق على خطة تجاه تشكيل الحكومة ولم اكن ادري ما هي افكار الاستاذ صلاح حول ذلك، وقد عرفنا من محمـود رياض في احاديث سابقة ان عبد الناصر ينوي اختيار عدد من قـادة الكتلتين العسكريتين لوزارة الوحدة، وبعـض الخبـراء الفنيـين امثـال شوكت القنواتي وحسـن جبارة ونـور الـدين كحالـة وبعـض الاعضـاء البارزين من حزبي الشعب والوطني امثال صبري العسـلي وفـاخر الكيالي وعبد الوهاب حومد.

قال لنا المشير عامر في هذا الاجتماع انه تقرر تعيين احمـد عبد الكريم وامين النفوري وعبد الحميد السراج ومصطفى حمدون في الوزارة الجديدة، وهنا دار نقاش طويل بيننا وبـين المشـير كـان فيه جمال عبد الناصر مصغيا وحائرا في معظم الاحيـان، وكنـا نصـر

على بقاء مصطفى حمدون في الجيش واذا لم يمكن ذلك فيجب تعيين عفيف البزرة ايضا في الوزارة.

كنا نخشى ان يقوم عفيف البزرة الموالي للشيوعيين مع مؤيديه بانقلاب عسكري، فأردنا ان نتفادى ذلك بالمحافظة على التوازن في الجيش، وهنا قال المشير:

ليس لدي بديل لعفيف البزرة كقائد للجيش في مثل رتبته فقلت له بلى يوجد حياديون من ذوي الرتب العالية يمكن تعيينهم لقيادة الجيش، وعندما سألني عن الاسماء قلت له: على سبيل المثال جمال فيصل، ولم اشأ ان اذكر له اي اسم آخر مثل نبيه صباغ مثلا او غيره من ذوي الرتب الكبيرة لانني اعلم سلفا انه سيرفض ذلك بداعي انهم قريبون من الحزب، قال لي المشير بالحرف الواحد:

(جمال فيصل ده "....." بدور على مين يركبه، عاوز تعينه قائد جيش؟؟ قلت له:

لقد ذكرت جمال فيصل على سبيل المثال ولم اذكر لك اسماء اخرى ذات كفاءة عسكرية عالية لئلا تتهمني بالتحزب، ومن المدهش حقا ان ينحي المشير عفيف البزرة بعد بضعة اشهر عن قيادة الجيش ويعينه موظفا في وزارة التخطيط ثم يعين جمال فيصل قائدا للجيش بدلا عنه.

اما النقطة الثانية التي كانت موضع خلاف فقد كانت طلب الاستاذ صلاح السابق بواسطة محمود رياض ان يتولى وزارة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة بدلا من محمود فوزي، وقد علمت بهذا الامر عن طريق محمود رياض الذي علق عليه آنذاك بقوله:

ان الرئيس جمال عبد الناصر لا يرضى باستبدال محمود فوزي بأي شخص اخر لتولي وزارة الخارجية، لان الرئيس اعتاد عليه وهو يرتاح له وراض عنه، فلم اعلق بشيء على ما قاله محمود رياض لانني شعرت بامتعاض من موقف الاستاذ صلاح ومن طمعه بامر كان لا يزال سابقا لاوانه.

افهم جمال عبد الناصر الاستاذ صلاح البيطار - بأسلوب ملتو - انه لا ينوي تعيينه وزيرا للخارجية وذلك عندما عرض عليه تولي احدى الوزارات الثانوية، فرفض الاستاذ صلاح ذلك بعصبية ظاهرة فلم ار بدا من حل هذا الاشكال فاقترحت تعيين الاستاذ صلاح وزيرا للتربية والتعليم في سورية، ولكن جمال عبد الناصر بالرغم من سكوته وسكوت الاستاذ صلاح، وهو ما اعتبرته قبولا ضمنيا من كليهما لم يأخذ باقتراحي بل عينه وزيرا للدولة، اي وزيرا بلا وزارة.

اما بخصوص مسؤولياتي فلم يجر اي بحث حولها في هذا الاجتماع، وكانت اشاعات قد ترددت قبل ذلك انني مع صبري العسلي سنتولى نيابة الرئاسة بالاضافة الى النائبين المصريين المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي.

زارني في اليوم التالي الاستاذ عبد الكريم زهور في مكتبي في مجلس النواب السوري واقترح علي ان نبحث في امر تشكيل الحكومة ونتذاكر فيها ولكنني اجبته بامتعاض ظاهر:

انكم قد وافقتم على حل الحزب وقد اعلن ذلك قبل اسبوعين ولا يمكننا ان نتراجع وعلينا جميعا ان نعمل جهدنا لانجاح الوحدة بعد ان سلمنا زمام امرنا الى جمال عبد الناصر وليس امامنا ان نسلك غير هذه الطريق، فغادرني عبد الكريم وهو يكظم غيظه والمه، ولم اكن في الحقيقة اريد ايلامه ولكنني تذكرت القبلات التي تبادلها مع رفيقه جمال اتاسي بمناسبة صدور قرار حل الحزب، والان وبعد اقل من اسبوعين يريد ان يعود للحزب، او يعود الحزب عندما شعر ان لا مكان له في الوزارة الجديدة.

لم يكن باستطاعتي آنذاك ان احدثه عن تفاصيل ما جرى وانه لم يعد لنا الامر شيء، وان الامر جميعه قد اصبح بيد جمال عبد الناصر.

□

كنت آمل ان تتابع البلاد مسيرتها عند تشكيل الاتحاد القومي كاطار للقوى السياسية تتابع من خلاله مسيرتها الديموقراطية في بناء الوحدة وترسيخها وشمولها للاقطار العربية الاخرى.

وفي تاريخ 7-3-58 اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتشكيل اول حكومة للجمهورية العربية كما يلي:

عبد اللطيف البغدادي نائبا لرئيس الجمهورية.

المشير عبد الحكيم عامر نائبا لرئيس الجمهورية ووزيرا للدفاع.

اكرم الحوراني نائبا لرئيس الجمهورية

صبري العسلي نائبا لرئيس الجمهورية

زكريا محيي الدين وزيرا للداخلية في الاقليم المصري.

عبد الحميد السراج وزيرا للداخلية في الاقليم السوري

حسين الشافعي وزيرا للتخطيط والشؤون الاجتماعية في الاقليم المصري

حسن جبارة وزيرا للتخطيط في الاقليم السوري

مصطفى حمدون وزيرا للشؤون الاجتماعية في الاقليم السوري

كمال الدين حسين وزيرا للتربية والتعليم في الاقليم المصري

الدكتور نور الدين طراف وزيرا للصحة في الاقليم المصري

الدكتور شوكة القنواتي وزيرا للصحة في الاقليم السوري

احمد حسن وزيرا للعدل في الاقليم المصري

عبد الوهاب حومد وزيرا للعدل في الاقليم السوري

السيد فتحي رضوان وزيرا للارشاد القومي

الدكتور محمود فوزي وزيرا للخارجية

السيد صلاح البيطار وزيرا للدولة

احمد حسن الباقوري وزيرا للاوقاف في الاقليم المصري
احمد الشرباصي وزيرا للاشغال في الاقليم المصري
نور الدين كحالة وزيرا للاشغال في الاقليم السوري
محمد ابو نصير وزيرا للشؤون البلدية والقروية في الاقليم المصري
احمد عبد الكريم وزيرا للشؤون البلدية والقروية في الاقليم السوري
عبد المنعم القيسوني وزيرا للاقتصاد والتجارة في الاقليم المصري
خليل كلاس وزيرا للاقتصاد والتجارة في الاقليم السوري
كمال رمزي ستينو وزيرا للتموين في الاقليم المصري
سيد مرعي وزيرا للزراعة في الاقليم المصري
احمد الحاج يونس وزيرا للزراعة في الاقليم السوري
فاخر الكيالي وزيرا للخزانة في الاقليم السوري
حسن عباس زكي وزيرا للخزانة في الاقليم المصري
علي صبري وزيرا للدولة لشؤون رئاسة الجمهورية
عزيز صدقي وزيرا للصناعة في الاقليم المصري
مصطفى خليل وزيرا للمواصلات في الاقليم المصري
امين النفوري وزيرا للمواصلات في الاقليم السوري
فتحي رزق نائبا لوزير الدفاع

اصدار الدستور المؤقت

عقد جمال عبد الناصر اجتماعا امتد حتى ساعة مبكرة من صباح يوم الاربعاء 1958/3/5 وكان هدف الاجتماع اقرار الدستور المؤقت، وقد حضرت هذا الاجتماع الذي ضم عبد اللطيف البغدادي، انور السادات، محمود رياض، صلاح الدين البيطار، عبد القادر حاتم، المشير عبد الحكيم عامر.

شرع عبد الناصر بتلاوة مواد الدستور مادة مادة، دون ان يمنحنا فرصة لقراءته والتمعن في بنوده، ولم نعترض على هذا الاسلوب لضيق الوقت ولان القناعة العامة كانت تتجه نحو منح رئيس الجمهورية والسلطة التنفيذية صلاحيات واسعة واستثنائية لتوحيد اقليمي الجمهورية ولدفع عجلة التنمية الاقتصادية في الفترة الانتقالية، وهكذا صدر الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة بتاريخ 58/3/5 وفيما يلي نصه كما اذيع رسميا:[4]

الباب الاول

الدولة العربية المتحدة

مادة 1- الدولة العربية المتحدة جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة وشعبها جزء من الامة العربية

مادة 2- الجنسية في الدولة العربية المتحدة يحددها القانون.

ويتمتع بجنسية الدولة العربية المتحدة كل من يحمل الجنسية السورية او المصرية او يستحق ايا منهما بموجب القوانين والاحكام السارية في سورية ومصر عند العمل بهذا الدستور.

الباب الثاني

المقومات الاساسية للمجتمع

مادة 3- التضامن الاجتماعي اساس للمجتمع

مادة 4- ينظم الاقتصاد القومي وفقا لخطط مرسومة تراعى فيها مبادىء العدالة الاجتماعية وتهدف الى تنمية الانتاج ورفع مستوى المعيشة.

مادة 5- الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقا للقانون.

(4) يختلف هذا الدستور في عدد مواده الثلاث وسبعين عن عدد مشروع الدستور ذي الخمسين مادة الذي وزع على الوفد الحكومي السوري الذي اقر الوحدة في القاهرة (بعد اقرارها من قبل الضباط) والذي اثبته خالد العظم في مذكراته (ص145-149 الجزء الثالث) ويقول خالد العظم (ص149):
والقيت نظرة عاجلة ابانت لي ان هذا المشروع يختلف عما جاء في محضر اجتماع عبد الناصر - البيطار، وان فيه كثيرا من الامور التي طلبتها بدلا من المثبتة في ذلك المحضر، فطلبت تأجيل البحث لكي يتسنى لنا دراسة المشروع دراسة مستفيضة، فأجيب طلبي.

مادة 6- العدالة الاجتماعية اساس الضرائب والتكاليف العامة.

الباب الثالث

الحقوق والواجبات العامة

مادة 7- المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس او الاصل او اللغة او الدين او العقيدة.

مادة 8- لا جريمة ولا عقوبة الا بناء على قانون.

ولا عقاب الا على الافعال اللاحقة لصدور القانون الذي ينص عليها.

مادة 9- تسليم اللاجئين السياسيين محظور.

مادة 10- الحريات العامة مكفولة في حدود القانون.

مادة 11- الدفاع عن الوطن واجب مقدس وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين والتجنيد اجباري وفقا للقانون.

الباب الرابع

نظام الحكم

الفصل الاول - رئيس الدولة

مادة 12- رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية ويباشر اختصاصاته على الوجه المبين في الدستور

الفصل الثاني - السلطة التشريعة

مادة 13- يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الامة يحدد أعضاؤه ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ويشترط ان يكون نصفهم على الاقل من بين اعضاء مجلس النواب السوري ومجلس الامة المصري.

مادة 14- يتولى مجلس الامة مراقبة اعمال السلطة التنفيذية على الوجه المبين في هذا الدستور.

مادة 15- يجب الا تقل سن عضو مجلس الامة عن ثلاثين سنة ميلادية.

مادة 16- مقر مجلس الامة مدينة القاهرة، ويجوز دعوته للانعقاد في جهة اخرى بناء على طلب رئيس الجمهورية

مادة 17- يدعو رئيس الجمهورية مجلس الامة للانعقاد ويفض دورته.

مادة 18- لا يجوز ان يجتمع مجلس الامة دون دعوة في غير دور الانعقاد والا كان اجتماعه باطلا وبطلت بحكم القانون القرارات التي تصدر منه.

مادة 19- يقسم عضو مجلس الامة امام المجلس في جلسة علنية، قبل ان يتولى عمله اليمين الاتية:

"اقسم بالله العظيم ان احافظ على الجمهورية العربية المتحدة ونظامها، وان ارعى مصالح الشعب وسلامة الوطن وان احترم الدستور والقانون"

مادة 20- ينتخب مجلس الامة في اول اجتماع عادي له رئيسا ووكيلين

مادة 21- جلسات مجلس الامة علنية ويجوز انعقاده في جلسة سرية بناء على طلب رئيس الجمهورية او عشرين من اعضائه، ثم يقرر المجلس ما اذا كانت المناقشة في الموضوع المطروح امامه تجري في جلسة علنية او سرية؟

مادة 22- لا يصدر قانون الا اذا قرره مجلس الامة. ولا يجوز تقرير مشروع قانون الا بعد اخذ الرأي فيه مادة مادة.

مادة 23- يضع مجلس الامة لائحته الداخلية لتنظيم كيفية ادائه لاعماله.

مادة 24- لكل عضو من اعضاء مجلس الامة ان يوجه الى الوزراء اسئلة او استجوابات وتجري المناقشة في الاستجواب بعد سبعة ايام على الاقل من يوم تقديمه، وذلك في غير حالة الاستعجال وموافقة الوزير.

مادة 25- يجوز لعشرين من اعضاء مجلس الامة ان يطلبوا طرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الحكومة في شأنه وتبادل الرأي فيه.

مادة 26- لمجلس الامة ابداء رغبات او اقتراحات للحكومة في المسائل العامة.

مادة 27- انشاء الضرائب العامة او تعديلها او الغاؤها لا يكون الا بقانون ولا يعفى احد من ادائها في غير الاحوال المبينة في القانون.

ولا يجوز تكليف احد اداء غير ذلك من الضرائب او الرسوم الا في حدود القانون.

مادة 28- ينظم القانون القواعد الاساسية لجباية الاموال العامة واجراءات صرفها.

مادة 29- لا يجوز للحكومة عقد قرض او الارتباط بمشروع يترتب عليه انفاق مبالغ من خزانة الدولة في سنة او سنوات مقبلة الا بموافقة مجلس الامة.

مادة 30- لا يجوز منح احتكار الا بقانون والى زمن محدود.

مادة 31- يعين القانون طريقة اعداد الميزانية وعرضها على مجلس الامة كما يحدد السنة المالية.

مادة 32- يجب عرض مشروع الميزانية العامة للدولة على مجلس الامة قبل انتهاء السنة المالية بثلاثة اشهر على الاقل لبحثه واعتماده وتناقش الميزانية بابا بابا.

ولا يجوز لمجلس الامة اجراء اي تعديل في المشروع الا بموافقة الحكومة.

مادة 33- تجب موافقة مجلس الامة على نقل اي مبلغ من باب الى آخر من ابواب الميزانية وكذلك على كل مصروف غير وارد بها او زائد على تقديراتها.

مادة 34- الميزانات المستقلة والملحقة تجري عليها الاحكام الخاصة بالميزانية العامة.

مادة 35- ينظم القانون الاحكام الخاصة بميزانيات الهيئات العامة الاخرى.

مادة 36- لا يجوز في اثناء دورة انعقاد مجلس الامة وفي غير حالة التلبس بالجريمة ان تتخذ ضد اي عضو من اعضائه اية اجراءات جنائية الا باذن المجلس.

وفي حالة اتخاذ اي من هذه الاجراءات في غياب المجلس يجب اخطاره بها.

مادة 37- لا يجوز اسقاط عضوية احد من اعضاء مجلس الامة الا بقرار من المجلس باغلبية ثلثي اعضائه بناء على اقتراح عشرين من الاعضاء، وذلك اذا فقد الثقة والاعتبار.

مادة 38- لرئيس الجمهورية حق حل مجلس الامة، فاذا حل المجلس وجب تشكيل المجلس الجديد ودعوته للانعقاد خلال ستين يوما من تاريخ الحل.

مادة 39- اذا قـرر مجلـس الامـة عـدم الثقـة باحـد الـوزراء وجـب عليـه اعتـزال الوزارة.

ولا يجوز طلب عدم الثقة بالوزير الا بعد استجواب موجه اليه.

ويكون الطلب بناء على اقتـراح عشـرين عضـوا مـن اعضـاء المجلـس ولا يجـوز للمجلس ان يصدر قراره في الطلب قبل ثلاثة ايام على الاقل من تقديمه.

ويكون سحب الثقة من الوزير باغلبية اعضاء المجلس.

مادة 40- لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الامة وتولي الوظائف العامة.

ويحدد القانون احوال عدم الجمع الاخرى

مادة 41- لا يجوز لاي عضو من اعضاء مجلس الامة ان يعين في مجلـس ادارة شـركة في اثناء مدة عضويته الا في الاحوال التي يحددها القانون.

مادة 42- لا يجوز لاي عضو من اعضاء مجلس الامة في اثناء مـدة عضـويته ان يشـتري او يسـتأجر من اموال الدولة او يؤجرها او يبيعها شيئا مـن امواله او ان يقايضها عليه.

مادة 43- يتقاضى اعضاء مجلس الامة مكافأة يحددها القانون.

الفصل الثالث

السلطة التنفيذية

مادة 44- يتولى رئيس الجمهورية السـلطة التنفيذيـة ويمارسـها علـى الوجـه المبين في الدستور.

مادة 45- لا يجوز لرئيس الجمهورية في اثناء مدة رياسته، ان يزاول مهنة حـرة او عملا تجاريـا او ماليـا او صـناعيا او ان يشـتري او يسـتأجر شـيئا مـن امـوال الدولة او ان يؤجرها او يبيعها شيئا من امواله او ان يقايضها عليه.

مادة 46- لرئيس الجمهورية ان يعين نائبا لـرئيس الجمهوريـة او اكثـر ويعفـيهم من مناصبهم.

مادة 47- يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفـيهم مـن مناصـبهم ويجـوز تعيـين وزراء دولة ونواب للوزراء ويتولى كل وزير الاشـراف علـى شـؤون وزارتـه ويقـوم بتنفيذ هذه السياسة العامة التي يضعها رئيس الجمهورية.

مادة 48- لا يجوز لنائب رئيس الجمهورية او للوزير، في اثناء مدة توليه منصبه، ان يزاول مهنة حرة او عملا تجاريا او ماليا او صناعيا او ان يشتري او يستأجر شيئا من اموال الدولة او ان يؤجرها او يبيعها شيئا من امواله او ان يقايضها عليه.

مادة 49- لرئيس الجمهورية ولمجلس الامة حق احالة الوزير الى المحاكمة عما يقع منه من جرائم أثناء تأديته اعمال وظيفته. ويكون قرار مجلس الامة باتهام الوزير بناء على اقتراح مقدم من خمس اعضائه على الاقل، ولا يصدر قرار الاتهام الا باغلبية ثلثي اعضاء المجلس.

مادة 50- لرئيس الجمهورية حق اقتراح القوانين والاعتراض عليها واصدارها.

مادة 51- اذا اعترض رئيس الجمهورية على مشروع قانون رده الى مجلس الامة في مدى ثلاثين يوما من تاريخ ابلاغ المجلس اياه فاذا لم يرد مشروع القانون في هذا الميعاد اعتبر قانونا واصدر.

مادة 52- اذا رد مشروع القانون في الميعاد المتقدم الى المجلس واقره ثانية بموافقة ثلثي اعضائه اعتبر قانونا واصدر.

مادة 53- لرئيس الجمهورية ان يصدر اي تشريع او قرار مما يدخل اصلا في اختصاص مجلس الامة اذا دعت الضرورة الى اتخاذه في غياب المجلس على ان يعرض عليه فور انعقاده.

مادة 54- يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لترتيب المصالح العامة ويشرف على ادارتها.

مادة 55- رئيس الجمهورية هو القائد الاعلى للقوات المسلحة.

مادة 56- رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات ويبلغها مجلس الامة، وتكون لها قوة القانون بعد ابرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للاوضاع المقررة.

على ان معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التي يترتب عليها تعديل في اراضي الدولة أو التي تتعلق بحقوق السيادة او التي تحمل خزانة الدولة شيئا من النفقات غير الواردة في الميزانية، لا تكون نافذة الا اذا وافق عليها مجلس الامة.

مادة 57- لرئيس الجمهورية اعلان حالة الطوارىء.

مادة 58- تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما مصر وسورية ويشكل لكل منهما مجلس تنفيذي يعين بقرار من رئيس الجمهورية ويختص بدراسة وبحث الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة في الاقليم.

الفصل الرابع

القضاء

مادة 59- القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ولا يجوز لاية سلطة التدخل في القضايا او في شؤون العدالة.

مادة 60- القضاة غير قابلين للعزل وذلك على الوجه المبين بالقانون.

مادة 61- يرتب القانون جهات القضاء ويعين اختصاصها.

مادة 62- جلسات المحاكم علنية الا اذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام او الاداب

مادة 63- تصدر الاحكام وتنفذ باسم الامة

الباب الخامس

احكام عامة

مادة 64- مدينة القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة.

مادة 65- يبين القانون العلم الوطني والاحكام الخاصة به.

مادة 66- لا تسري احكام القانون الا على ما يقع من تاريخ العمل بها ولا يترتب عليها اثر فيما وقع قبلها ومع ذلك يجوز في غير المواد الجنائية النص في القانون على خلاف ذلك بموافقة اغلبية اعضاء مجلس الامة.

مادة 67- تنشر القوانين في الجريدة الرسمية خلال اسبوعين من يوم اصدارها ويعمل بها بعد عشرة ايام من تاريخ نشرها ويجوز مد هذا الميعاد او تقصيره بنص خاص في القانون.

الباب الخامس

احكام انتقالية وختامية

مادة 68- كل ما قررته التشريعات المعمول بها في كل من اقليمي مصر وسورية عند العمل بهذا الدستور تبقى سارية المفعول في النطاق الاقليمي المقرر لها عند اصدارها، ويجوز الغاء هذه التشريعات او تعديلها وفقا للنظام المقرر بهذا الدستور.

مـادة 69- لا يترتـب علـى العمـل بهـذا الدسـتور الاخـلال باحكـام المعاهـدات الدولية المبرمة بين كل مـن سـورية ومصـر وبـين الـدول الاجنبيـة وتظـل هـذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول في النطاق الاقليمـي المقـرر لهـا عنـد ابرامها ووفقا لقواعد القانون الدولي.

مادة 70- الى ان يتم تنفيذ الخطوات النهائية لوضع ميزانيـة واحـدة تصـدر الـى جانب ميزانية الدولة ميزانية خاصة يعمل بهـا فـي كـل مـن النطـاق الاقليمـي الحالي لكل من سورية ومصر.

مادة 71- يستمر ترتيب المصـالح العامـة والـنظم الاداريـة القائمـة عنـد العمـل بهذا الدستور معمـولا بهـا فـي كـل مـن سـورية ومصـر الـى ان يعـاد تنظيمهـا وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية.

مادة 72- يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل علـى تحقيـق الاهـداف القوميـة ولحث الجهود لبنـاء الامـة بنـاء سـليما مـن النـواحي السياسـية والاجتماعيـة والاقتصادية وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية.

مادة 73- يعمل بهذا الدستور المؤقت الى حين اعـلان موافقـة الشـعب علـى الدستور النهائي للجمهورية العربية المتحدة.

صدر في 13 شعبان سنة 1377 الموافق 5 مـارس (آذار) سـنة 1958

جمال عبد الناصر

ملاحظات على الدستور المؤقت

من الملاحظ ان هذا الدستور المؤقت لم يضع اسسا واضحة لنظام حكم الوحدة بل كانت معظم مواده خليطا من دستوري مصر وسـورية السـابقين المـأخوذة فـي الاصـل مـن الدسـاتير الغربيـة الليبرالية، وهكذا نصت مواد الباب الثاني مـن هـذا الدسـتور علـى عبارات عامة عن المقومات الاساسية للمجتمع، فاعتبرت التضامن الاجتماعي اساسا لبناء المجتمع والعدالة الاجتماعية اساسا فـي

فرض الضرائب، كما نص الدستور على تنظيم الاقتصاد القومي وفقا لخطط مدروسة - مستمدة من مبادىء العدالة الاجتماعية ومن الرغبة في تنمية الانتاج ورفع مستوى المعيشة.

اما المادة 72 فقد نصت على تشكيل الاتحاد القومي دون ان تحدد هويته واهدافه بل جاءت هكذا:

يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية" اي ان الدستور قد منح رئيس الدولة حق انشاء الاتحاد القومي كما يرغب ويريد كما منحه السلطات الثلاث الدستورية والتشريعية والتنفيذية بشكل مطلق.

اما المجلس التشريعي الذي نص الدستور المؤقت على تشكيله من المجلسين النيابيين المصري والسوري بقرار من رئيس الجمهورية فان الرئيس جمال عبد الناصر لم يصدر هذا القرار رغم هزال الصلاحيات التشريعية للمجلس المقترح، اما بالنسبة للمجلسين التنفيذيين اللذين نصت المادة 58 على انشائهما:

"ان الجمهورية العربية المتحدة تتكون من اقليمين هما مصر وسورية، ويشكل لكل منهما مجلس تنفيذي يعين بقرار من رئيس الجمهورية ويختص بدراسة وبحث الموضوعات التي تتعلق بتنفيذ السياسة العامة في الاقليم" فقد اصدر عبد الناصر قرارا بتشكيلهما ولكنه لم يعين رئيسيهما كما انه لم يحدد في القرار اختصاصات نواب الرئيس.

كان هذا الغموض في تحديد صلاحيات نواب الرئيس وفي عدم تعيين رؤساء للمجلسين التنفيذيين جزءا من اسلوب عبد الناصر في الحكم، وهو اسلوب يتيح له ان يمنح نوابه ومعاونيه بعض السلطات ساعة يشاء ويسلبها حين يشاء، وهكذا بقي المجلس التنفيذي السوري بدون رئيس بينما تولى هو رئاسة المجلس التنفيذي في مصر، وبعد بضعة ايام من تأليف المجلسين اصدر هذا القانون:

بعد الاطلاع على الدستور المؤقت قرر رئيس الجمهورية القانون التالي:

مادة اولى: يتولى رئيس الجمهورية جميع الاختصاصات التي تعهد بها التشريعات المعمول بها في اقليمي مصر وسورية الى رئيس جمهورية سورية والى رئيس جمهورية مصر او مجلس الوزراء السوري او رئيسه.

مادة ثانية: يصدر رئيس الجمهورية قرارات في المسائل التي تنص التشريعات، او التي جرى العمل في سورية على صدورها بمراسيم تنظيمية او عادية.

وبصدور هذا القانون حصر عبد الناصر بنفسه جميع اختصاصات المجلسين التنفيذيين فأصبحا اسما بلا مسمى.

ولذلك كان الحرج شديدا في الجلسة الاولى التي عقدها المجلس التنفيذي السوري بعد سفر الرئيس جمال عبد الناصر الى القاهرة.

كان مجلسا بدون رئيس يرئسه، لذلك اخذت زمام المبادرة وتوليت رئاسته بنفسي، فقد كنت رئيسا للمجلس النيابي السابق مما يجعلني احق برئاسته من السيد صبري العسلي الذي كان رئيسا للوزارة، ولكنني كنت رئيسا بلا صلاحيات لمجلس لم يكن ايضا يملك اية صلاحيات يقول احمد عبد الكريم في كتابه اضواء على تجربة الوحدة (ص 125) ما يلي:

"لم تطل الفرحة باستلام السيد اكرم الحوراني رئاسة المجلس التنفيذي، اذ ما لبث ان شعر هو وشعر اعضاء المجلس التنفيذي كلهم بأن الصلاحيات التي كان يتصور الحصول عليها كرئيس للمجلس التنفيذي لم تكن الا سرابا، وتكشفت المحاولات العديدة التي جرت لتحديد صلاحيات واضحة لرئيس المجلس التنفيذي على اصرار الرئيس على ابقاء الامور على وضعها الغامض، وابقاء الظروف التي تغذي الصراع بين صبري واكرم من جهة

وبين الوزراء فيما بينهم ورئيس المجلس الواقعي الذي كان يحاول ممارسة بعض الصلاحيات على الوزراء معتمدا على صلاته الخاصة بهم بعد مراوغة الرئيس جمال عبد الناصر في منحه اية اختصاصات واضحة، وبهذا تبلورت اول مشكلة يمكن اعتبارها دستورية تتعلق بجوهر الحكم، الا وهي عدم وضوح اختصاصات المجلس التنفيذي في الاقليم السوري وعلاقاته مع رئيس الجمهورية".

لقد طرحت المشاكل الدستورية والتنظيمية والحقوقية والسياسية نفسها منذ اللحظة الاولى، ولم تكن هذه المشاكل الا نتائج نابعة من طبيعة نظام عبد الناصر الذي كان يمارسه في القطر المصري، ومع ذلك فيجب علينا ان نعترف بأننا لم نكن مطلعين على اسلوب عبد الناصر في ادارة دفة الحكم ولا على طبيعة نظامه، وكان رجاؤنا ان يكون لنا شرف المساهمة في انجاح الوحدة بالمشاركة المخلصة الى ان يئسنا فاستقلنا من الحكم في اواخر 1959.

لقد عزا الكثيرون بعد الانفصال فشل تجربة الوحدة الى الاستعجال وعدم دراسة الاسس السياسية والدستورية والحقوقية لنظام الوحدة فرفع البعثيون بعد الانفصال شعار الوحدة المدروسة مع مصر، وبعد مباحثات مستفيضة للوحدة الثلاثية جرت بعد انقلاب الثامن من آذار 1963، بين سورية والعراق اللذين يحكمهما حزب البعث وبين مصر التي كان يحكمها جمال عبد الناصر، اعلن ميثاق الوحدة الثلاثية بين الاقطار الثلاثة بتاريخ 1963/4/17 ولكن عبد الناصر لم يلبث ان اعلن انسحابه من هذا الميثاق بعد مدة قصيرة، كما ان موقف البعثيين كان موقفا مناورا وغير جدي.

الاتحاد مع اليمن:

القـوتلي يقـول: اصـبحت حـدودنا الان تمتـد الـى المحـيط الهندي

وقع الرئيس جمال عبد الناصر والامير البدر بحضور شكري القـوتلي وحضـور نـواب الـرئيس الاربعـة فـي القصـر الجمهـوري بدمشق ميثاق الاتحاد بين الجمهورية العربيـة المتحـدة والمملكـة المتوكلية اليمنية بتاريخ 8-3-58، وفـي ذلـك الاجتمـاع القـى عبـد الناصر والامير البدر وشكري القـوتلي كلمـات قصـيرة اشـادوا فيهـا بالاتحاد، ووجه عبد الناصر شكره وتقديره "لجلالة الإمام احمد ملك اليمن الذي اخذ زمام المبادرة ودعا للاتحاد وكان له فضل السبق"

وفي اليـوم الثـاني خرجـت الصـحف بعنـاوين كبيـرة: "توقيـع ميثـاق الاتحـاد بـين الجمهوريـة المتحـدة والـيمن، قـوات موحـدة وسياسة خارجية واحدة ونطـاق جمركـي واحـد" "القـوتلي يقـول: اصبحت حدودنا الان تمتد الى المحيط الهندي"

كان ميثاق الاتحاد ينص فعلا على تشكيل مجلـس اتحـادي ومجلـس دفـاع ومجلـس اقتصـادي ومجلـس ثقـافي.. ولكـن هـذا الميثاق بقي حبرا على ورق ولم ينفذ منـه سـوى تعيـين المشـير عبد الحكم عامر - شكليا - قائدا عاما لقوات الاتحاد وتعيين النائـب السوري احسان الجابري عضوا في مجلس الاتحاد وفيما يلي نص ميثاق الاتحاد:

مادة اولى - ينشأ اتحاد يسمى الدول العربية المتحدة يتكـون مـن الجمهوريـة العربيـة المتحـدة والمملكـة المتوكليـة اليمنيـة والـدول العربيـة التـي تقبـل الانضمام الى هذا الاتحاد.

مادة 2- تحتفظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها.

مادة 3- مواطنو الاتحاد متساوون في الحقوق والواجبات العامة.

مادة 4- لكل مواطن في الاتحاد حق العمل وتولي الوظائف العامـة فـي الـبلاد المتحدة دون تفرقة وفي حدود القانون.

مادة 5- حرية التنقل في الاتحاد مكفولة في حدود القانون.

مادة 6- تتبع الدول الاعضاء السياسة الخارجية الموحدة التي يضعها الاتحاد.

مادة 7- يتولى التمثيل السياسي والقنصلي للاتحاد في الخارج هيئة واحدة في الاحوال التي يقرر فيها الاتحاد ذلك.

مادة 8- يكون للاتحاد قوات مسلحة موحدة.

مادة 9- تنظيم الشؤون الاقتصادية في الاتحاد وفقا لخطط مرسومة تهدف الى تنمية الانتاج واستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنسيق النشاط الاقتصادي.

مادة 10- ينظم القانون شؤون النقد في الاتحاد.

مادة 11- ينشأ بين البلاد المتحدة اتحاد جمركي وذلك بالشروط والاوضاع التي يحددها القانون.

مادة 12- ينظم القانون مراحل ووسائل تنسيق التعليم والثقافة في الاتحاد.

الباب الثاني

السلطات

مادة 13- يشرف على شؤون الاتحاد مجلس يسمى المجلس الاعلى يشكل من رؤساء الدول الاعضاء.

مادة 14- يعاون المجلس الاعلى في مباشرة سلطاته مجلس يسمى مجلس الاتحاد.

مادة 15- يشكل مجلس الاتحاد من عدد متساو من ممثلي الدول الاعضاء ويبين القانون عدد اعضاء المجلس ومدة عضويتهم والاحكام الخاصة بهم.

مادة 16- تكون رئاسة مجلس للاتحاد سنويا وبالتناوب بين الدول الاعضاء وترشح الدولة التي تحل نوبتها من يتولى الرئاسة على ان يكون للرئيس نائب او نواب من الدولة او الدول الاعضاء في الاتحاد.

مادة 17- يختص المجلس الاعلى برسم السياسة العليا للاتحاد في المسائل السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية واصدار القوانين اللازمة في هذا الشأن وهو المرجع الاعلى في تحديد الاختصاصات.

مادة 18- يصدر المجلس الاعلى القوانين الاتحادية التي يختص باصدارها وفقا لاحكام هذا الميثاق وذلك بعد موافقة السلطات المختصة في كل دولة.

مادة 19- يعين المجلس الاعلى القائد العام للقوات المسلحة للاتحاد.

مادة 20- تصدر الميزانية العامة للاتحاد بقرار من المجلس الاعلى ويعين القانون مواردها والحصة التي تؤديها كل دولة من الدول الاعضاء.

مادة 21- مجلس الاتحاد هو الهيئة الدائمة للاتحاد ويتولى النظر في الشؤون السياسية ويضع البرنامج السنوي المتضمن النظم والتدابير المؤدية الى تحقيق الوحدة.

مادة 22- تعرض قرارات مجلس الاتحاد والبرنامج السنوي الذي يوضع على مجلس الاتحاد للتصديق عليها ويبت المجلس الاعلى في القرارات التي اصدرها مجلس الاتحاد واعترضت عليها احدى الدولتين او الدول.

مادة 23- يتبع مجلس الاتحاد الهيئات الاتية:

أ- مجلس الدفاع

ب- المجلس الاقتصادي

جـ- المجلس الثقافي

وتعرض قرارات هذه الهيئات على مجلس الاتحاد للتصديق عليها.

مادة 24- يبين القانون طريقة تشكيل الهيئات التابعة لمجلس الاتحاد اختصاصاتها.

الباب الثالث

احكام عامة وانتقالية

مادة 25- يصدر بتعيين المقر الدائم لاتحاد الدول العربية وحدوده قرار من المجلس الاعلى، ويعقد مجلس الاتحاد والهيئات التابعة له جلساته في المدينة التي يحددها بصفة دورية.

مادة 26- يبين القانون القواعد التي تسري على اقليم المقر الدائم للاتحاد

مادة 27- يكون للقوانين الاتحادية قوة الزامية في البلاد المتحدة ويعمل بها بعد خمسة عشر يوما من تاريخ نشرها في الجريدة الرسمية للاتحاد ما لم ينص القانون على غير ذلك.

مادة 28- يعين رئيس كل دولة وزيرا لدى الدول العربية المتحدة ويختص بالاشراف على تنفيذ قرارات الاتحاد في الاقليم الذي يتبعه.

مادة 29- يعين رئيس كل دولة وزيرا نائبا عنه لدى رئيس او رؤساء الدول الاخرى ويكون له صفة الوزراء المحلفين.

مادة 30- يلغي التمثيل السياسي بين الدول اعضاء الاتحاد.

مادة 31- تسري القواعد الجمركية المعمول بها في الدول اعضاء الاتحاد الى ان ينظم الاتحاد الجمركي بينها، وفي خلال ذلك يجوز ان يضع القانون نظاما جمركيا خاصا للعمل به بين الدول الاعضاء.

مادة 32- يعمل بهذا الميثاق من تاريخ الموافقة عليه وذلك الى حين وضع النظام الدائم للاتحاد.

دمشق في 16 شعبان 1377 الموافق 8 مارس - اذار 1958.

□

لم يكن احد من الناس ينتظر ان ينفذ اي بند من بنود هذا الميثاق وكان اول هؤلاء جمال عبد الناصر والامير البدر اللذان وقعا عليه والمشير عبد الحكيم عامر الذي عين قائدا عاما لقواته المسلحة.

كان معروفا لدى الملأ ان الامير البدر لا يملك من الامر شيئا بوجود والده الامام المستبد صاحب العقلية المتحجرة الذي لم يكن اعلان الاتحاد يعني لديه اي شيء سوى انه وسيلة ضغط وانتقام من الملك سعود الذي عجز عن ان يدفع له 5 ملايين ريال بسبب الضيق المالي الذي كانت تعانيه المملكة السعودية من جراء بذخ سعود وانفاقه المتزايد.

وفي عام 1959 عندما سافر الامام احمد الى ايطاليا للتداوي واثناء عودته منها الى اليمن عن طريق قناة السويس، دعاه عبد الناصر لزيارة مصر فاعتذر، وعندما رغب ان يذهب هو لزيارته رفض ان ينزل من الباخرة فأرسل اليه جمال عبد الناصر وفدا لزيارته في الباخرة، وكان على رأس الوفد عبد اللطيف البغدادي وحسين الشافعي، وعندما سألت جمال عبد الناصر عن سبب اعتصام الامام في الباخرة ورفضه النزول اجابني:

"يظن هذا المجنون انني ادبر مؤامرة لاغتياله ليتولى ابنه البدر مكانه.."

ان الاحداث التي تمت في اليمن بتاريخ 28 ايلول 1962 عندما اطاح السلال بالامير البدر بانقلابه العسكري الموالي لعبد الناصر، يدل على ان عبد الناصر لم يكن بعيدا عن هذا التفكير وان الظروف التي لم تتوفر له سابقا بسبب الحذر الشديد الذي اتصف به الامام احمد قد توفرت له عندما تولى الحكم صديقه الامام البدر.

كان اعلان اتحاد الجمهورية العربية المتحدة مع اليمن بداية لتورط جيش مصر فيما بعد في حرب اليمن [5] بالشكل المأساوي الذي جرت فيه، ولم يكن هنالك عمل جاد لتحقيق الاتحاد، بل كان اعلان ميثاق الاتحاد وسيلة للكسب الاعلامي والسياسي ولبسط السيطرة والنفوذ، وهكذا اخفقت ولا تزال تخفق جميع مشاريع الوحدة والاتحاد التي طرحت في الساحة العربية حتى الان.

ويجدد الدنيا نبي اسمر (للشاعر سليمان العيسى)

صلينا الجمعة بتاريخ 58/3/14 بصحبة الرئيس جمال عبد الناصر في الجامع الاموي الكبير، ثم زرنا قبر صلاح الدين الايوبي، وقد تذكرت اثناء وقوفنا امام الضريح زيارة الجنرال غورو للقبر بعد معركة ميسلون وقوله المشهور امام الضريح.

ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين.

رويت لجمال عبد الناصر هذه الحادثة التاريخية كما رويت له ما قاله اللورد اللبنى عندما فتح القدس في الحرب العالمية الاولى: "الان انتهت الحروب الصليبية" وكانت هذه الزيارة عند

(5) لمزيد من المعلومات عن حرب عبد الناصر في اليمن راجع كتاب جندي في خدمة السلام (بيروت دار النهار - 1967) لمؤلفه الضابط السويدي كارل فون هورن الذي كان كبيرا للمراقبين الدوليين في فلسطين ثم في اليمن، وكان من اكثر المراقبين انصافا في فضح مطامع الاسرائيليين ورياءهم وتجاوزاتهم واساليبهم اللااخلاقية.

الجماهير رمز استبشار بعودة القدس وفلسطين في ظل الوحدة السورية المصرية كما اعادها صلاح الدين من قبل.

كان الامل ان يعيد التاريخ نفسه من جديد فيكون الغزو الصهيوني لفسطين خاتمة للغزو الصليبي الغربي، ولكن اجهزة المخابرات والاعلام اتخذت من هذه الزيارة وسيلة لنسج الاساطير وتشجيع الرؤى الغيبية الخرافية، فنشرت الشائعات بأن الشيخ الفلاني قد قرأ في احد الكتب القديمة بأنه سيظهر بطل عربي يدعى الناصر جمال الدين وسيحرر الارض المقدسة من ايدي الصهيونيين كما حررها الناصر [6] صلاح الدين من ايدي الصليبين... وهكذا نشرت جريدة الصرخة الدمشقية ما يلي بتاريخ 58-3-17:

"منذ ايام قليلة رأى سيادة الرئيس عبد الناصر مناما عن اجتماعه بالبطل صلاح الدين الايوبي، وفي الساعة الواحدة ليلا جاء الى الجامع الاموي وطلب من الحارس ان يفتح له باب ضريح صلاح الدين، فامتنع الحارس، وعندما علم ان الزائر هو سيادة الرئيس عبد الناصر فتح له الباب، فجلس عند الضريح عشر دقائق عاهده فيها للمرة الثانية بالسير على منواله، وان سيادة الرئيس بدأ يصلي فجر كل يوم بجامع، وقد صلى في جامع الشيخ محيي الدين منذ يومين وعندما عرفه المصلون غادر الجامع فورا"

هكذا اصبحت الصحافة واجهزة الاعلام ادوات للتضليل ونشر الخرافات وتمجيد عبد الحميد السراج رئيس المخابرات بأسلوب يمجه الذوق ويأباه العقل، وأصبحت تحركات عبد الناصر تتم بارشاد عبد المجيد السراج وتحت اشرافه... وعندما بلغت بوجوب الذهاب الى بلدة (الضمير) بتاريخ 58/3/15 لم اكن اعرف الغاية من ذلك، ولكنني وجدت هنالك جمال عبد الناصر وشكري القوتلي والمشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وعبد القادر حاتم وعبد الحميد السراج وعدد من رجال المخابرات والصحافيين، وهكذا كانت رحلتنا الى حلب محاطة بكتمان شديد لا مبرر له بحجة المحافظة على حياة عبد الناصر، وكان هبوطنا في مطار حلب

(6) كان لقب صلاح الدين الرسمي الذي اطلقه عليه المسلمون (الملك الناصر)

مفاجأة لموظفي المطار الذين ارتبكوا ارتباكا كبيرا، وعندما ازداد تجمع الجماهير حولنا ركبنا جميعا سيارة باص اوصلتنا الى دار محافظ حلب اسماعيل قولي الذي صرح للصحافة ولوكالات الانباء بعد ذلك: "كنت في منزلي لما رن جرس الهاتف فقال لي المتحدث ان الرئيس جمال عبد الناصر وصل الى المدينة، فحسبت ان الامر مداعبة لانني كنت ظهرا قد تكلمت مع وزير الداخلية (عبد الحميد السراج) هاتفيا فلم يخبرني بأن الرئيس سيصل الى حلب.."

كان سبب دهشة المحافظ واستغرابه ان هذا الاساليب الامنية لم تكن معروفة ولا مألوفة في سورية حتى في العهود الديكتاتورية التي مرت عليها.

كانت حماسة جماهير حلب واندفاعها في استقبال عبد الناصر لا يقلان روعة عما جرى في دمشق، بل كانت اهازيجها وشعاراتها المرفوعة والموضوعة بعناية من قبل القادة السابقين لحزب البعث العربي الاشتراكي اكثر جمالا وادق تعبيرا عن آمال الجماهير العربية وتطلعاتها للمستقبل المنشود.

□

اشار عبد الحميد السراج على عبد الناصر ان ينتقل من منزل محافظ حلب الى منزل الحاج عبد القادر شبارق ليستقبل وفود المهنئين حسب البرنامج الذي وضعه، وكان في المقدمة ناظم القدسي ورشدي الكيخيا وعبد الرحمن الكيالي ورشاد برمدا وعبد المجيد رستم وعبد الرحمن الهنيدي وغيرهم من كبار رأسماليي حلب واقطاعييها، بينما لم يفسح المجال لقادة حزب البعث سابقا ولا لغيرهم من قادة المؤسسات الشعبية مكانا محترما في برنامج الاستقبال، بل لم يعترف بوجودهم.

وقد ادعى السراج ان انتقال جمال عبد الناصر الى منزل الحاج عبد القادر شبارق كان بناء على رغبته لانه يوجد امام المنزل فسحة واسعة لاجتماع الجماهير ولكن الحقيقة التي بدأت

تتبدى تدريجيا هي ان سياسة عبد الناصر في سورية كانت تستهدف طمأنة الرجعية واستخدامها ضد الفئات التقدمية.

ومن جديد حمل عبد الناصر من شرفة الحاج عبد القادر شبارق على الحزبية وعلى النعرات الطائفية والاقليمية، كما كان حريصا على ابراز عبد الحميد السراج وزير الداخلية ورئيس المخابرات في كل خطبة [7] .

□

قضيت يومين في حلب اشارك فيها بالنهار جمال عبد الناصر وصحبه باستقبال الجماهير، وابات ليلا في منزل الاستاذ عبد الفتاح الزلط حيث اتيحت لي فرصة الاجتماع بالرفاق، ولم نشأ ان نعلق كبير اهمية على بوادر الانحرافات التي بدأت تظهر آثارها، وانما اعتبرناها امورا تافهة عابرة لا تستحق التعليق امام انجاز الوحدة العظيم.

في زحمة الناس داخل بيت شبارق وخارجه ووسط الصيحات والهتاف الذي كان يشق السماء، وبينما كان عبد الناصر يتكلم بالجموع ولا يمل الكلام، توضأ القوتلي وانتحى جانبا فأدى الصلاة ولما انتهى من صلاته، قال له العسلي:

"اجاك واحد اشطر منك بالتمثيل" مشيرا الى عبد الناصر، فابتسم القوتلي ولم يعلق على كلام صبري العسلي.

□

بعد ان انهى جمال عبد الناصر خطابه غادر الشرفة وتوجه الي قائلا:

هيا بنا نتحدث قليلا، اريد ان اعرف رأيك بموضوع علم الجمهورية العربية المتحدة، فما هي الالوان والشكل الذي تقترحه لهذا العلم؟ قلت له:

---

(7) خطب عبد الناصر التي القيت في حلب بتاريخ 58/3/16

مبدئيا، الالوان هي الوان علم الثورة العربية الكبرى لان هذه الالوان الاربعة هي الوان اعلام الدول العربية في الماضي فقد كان الاخضر علم الخلفاء الراشدين والهاشميين وشعارهم، واللون الاسود علم العباسيين وشعارهم، واللون الابيض علم الامويين وشعارهم، واللون الاحمر هو عادة لون الثورات وشعارها، وان الدول العربية اجمالا قد استعملت هذه الالوان الاربعة في اعلامها، وقد قال الشاعر العربي صفي الدين الحلي:

خضر مرابعنا بيض سرائرنا سود وقائعنا حمر مواضينا

قال عبد الناصر كدة؟؟ ولكن اظن انه ليس جميلا ان نضع هذه الالوان الاربعة فوق بعضها البعض، قلت له:

يمكننا ان نضع وسط اللون الابيض نجوما خضراء بقدر عدد الدول التي تنضم للوحدة وكلما انضمت دولة عربية جديدة اضفنا نجما للعلم ونأمل ان يصبح عدد النجوم بعدد الدول العربية.. قال عبد الناصر:

ولكن النجوم حمراء وليست خضراء.. فقلت له:

ان العرب يعنون بالنجوم نجوم السماء ونجوم الارض وهي نباتات الارض الخضراء.

سكت جمال عبد الناصر برهة ثم قال:

ان الشعب المصري متعلق بعلمه القديم قلت له:

وينطبق ذلك على الشعب في سورية ايضا.. قال

اذن لا بد من وضع علم وشعار موحد للجمهورية المتحدة كما نص على ذلك الدستور المؤقت.

اخذ جمال عبد الناصر باقتراحي هذا فيما بعد، واصدر قانونا حدد فيه الوان العلم الجديد وشكله وشعار الجمهورية ونشيدها، وقد حضرت حفلة رفع علم الجمهورية العربية المتحدة فوق قصر الضيافة في دمشق، بدلا من العلم السابق، وسيرد الحديث عن ذلك فيما بعد.

ومـن المفارقـات الطريفـة والمحزنـة ان شـعار الجمهوريـة الجديد كان نسرا تؤلف اجنحته في اعلاهـا زوايـا قائمـة وكأنهـا قـد كسرت او شدت بقيود غيـر منظـورة، بينمـا كـان شـعار الجمهوريـة السورية السابق نسرا محلقا مفرود الجناحين.

اما النشيد الوطني الموحد للجمهورية الجديدة فكان نشيد: والله زمان يا سلاحي، وقد سألت عبد الناصر مرة لمـاذا لـم يعتمـد نشيد الله اكبر فوق ايدي المعتدي فقال:

لقد ارتأت اللجنة الموسيقية ذلك.

جلسة خاصة في منزل أكرم الحوراني

من اليمين : المحامي رياض المالكي شقيق الشهيد عدنان المالكي ، المحامي أسعد الطباع ،

صهر أكرم الحوراني ، ثم الحوراني

الثاني من اليمين محمود رياض سفير مصر في سورية قبيل إعلان الوحدة ، الوزير فاض الكيالي ، رئيس المجلس أكرم الحوراني ، أمين العاصمة القضماني

في القصر الجمهوري

من اليمين : النائب فاض الكيالي ، النائب مأمون الكزبري ، ثم القوتلي

المقاومة الشعبية في سورية

زوجة أكرم الحوراني في الوسط وإلى يمينها نبيلةالرزاز شقيقة الدكتور منيف الرزاز وإلى يسارها ابنة نائب معرة النعمان منيب اليوسفي

في أحد الاحتفالات

أكرم الحوراني رئيس المجلس يتحدث مع العقيد عفيف البزرة رئيس الأركان

من اليمين : محافظ العاصمة القضحاني ، القوتلي ، الحوراني ، رئيس الأركان عفيف البزرة ، وزير الاقتصاد الكلاس ، ثم رئيس مجلس الوزراء صبري العسلي

من اليمين : حامد الخجة وزير الزراعة ، صبري العسلي رئيس الوزراء ، الرئيس القوتلي ، الحوراني رئيس المجلس ، عفيف البزرة رئيس الأركان

عام ١٩٥٧ يتفقدون مشروع الغاب وسد الرستن

من اليمين : الرفيق المحامي عبد البتاح الزلحط ، أكرم الحواني ، سفير مصر في سورية : محمود ياض

طرف من وفود الفلاحين التي حضرت مهرجان بلدة محردة

مظاهرات حماه خلال استقبال الوفد النيابي المصري الذي دعاه أكرم الحوراني لزيارة سورية
حيث أقر مبدأ الاتحاد الفيدرالي (المقاومة الشعبية بسلاحها)

خلال زيارة الوفد النيابي المصري

من اليمين : أكرم الحوراني رئيس المجلس ، شكري القوتلي رئيس الجمهورية ، السادات رئيس الوفد ، ثم رئيس مجلس الوزراء صبري العسلي

أكرم الحوراني يستقبل أحد الوفود

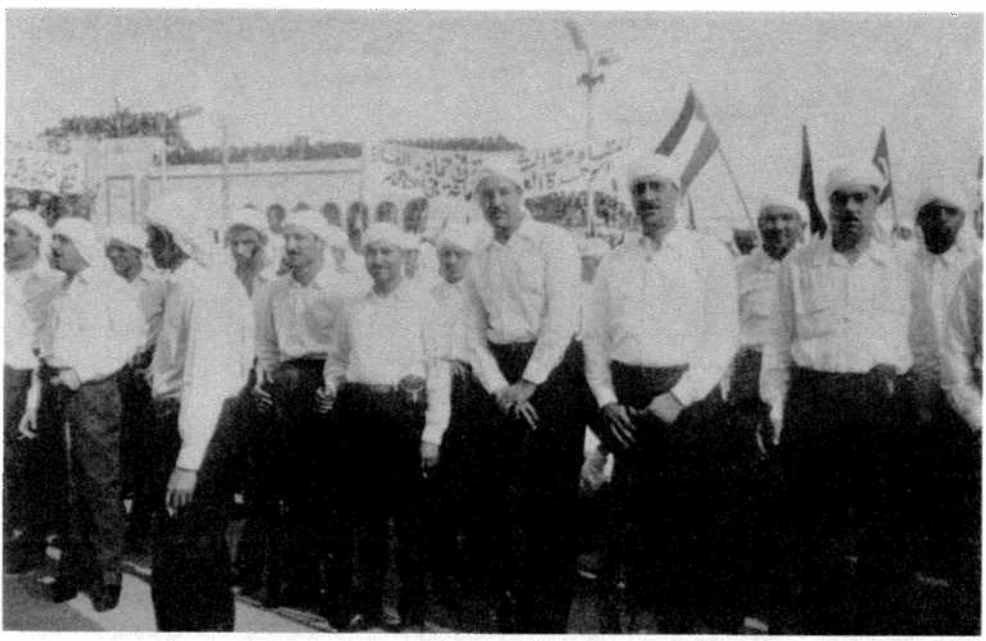

قسم من رجال المقاومة الشعبية في حماه

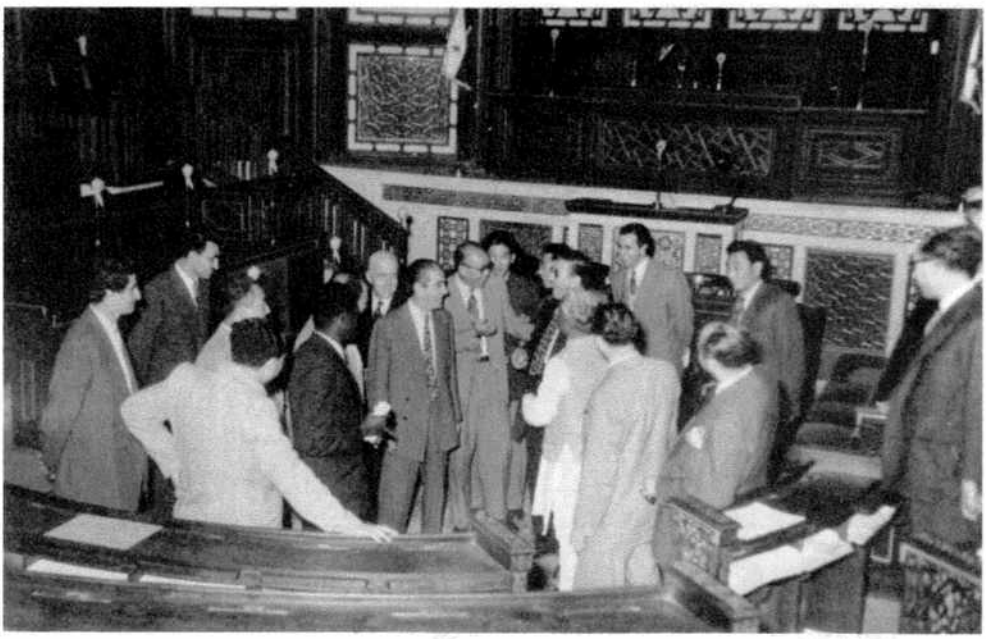

أكرم الحواني في استقبال أحد الوفود

الحياة الاجتماعية في سورية خلال الخمسينات

في قصر العظم ، للاستماع إلى فرقة الفيلهارمونيك الموسيقية النمسوية

الرئيس شكري القوتلي وإلى يمينه زوجة سفير النمسا ، ثم ناظم القدرسي رئيس مجلس النواب ثم رئيس مجلس الوزراء صبري العسلي ، ثم زوجة الحوراني النائب في المجلس وأحد قادة البعث ، ثم البيطار وزوجته

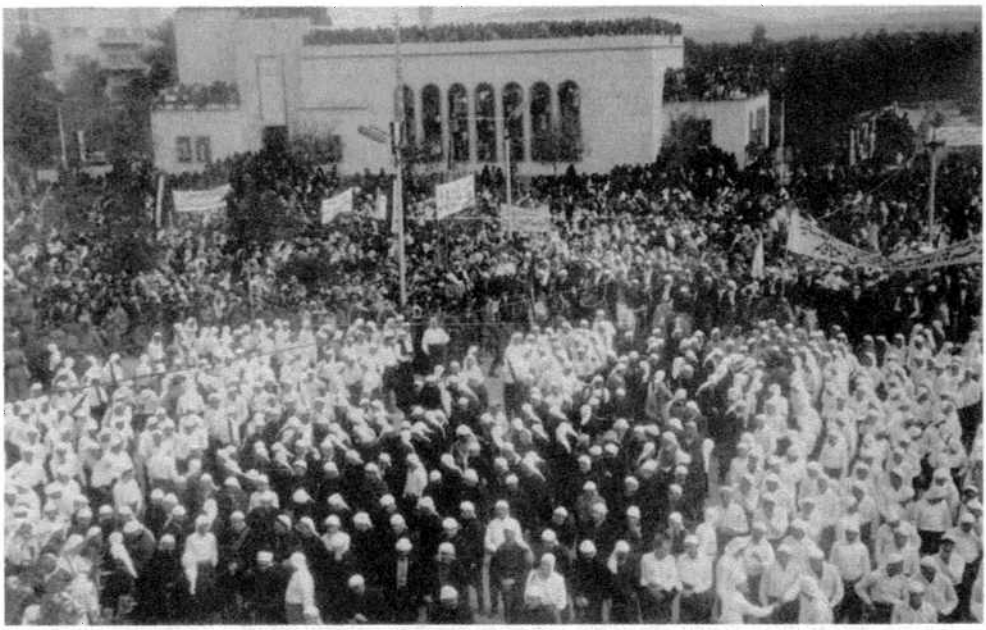

فرق المقامة الشعبية في مدينة حماه

أكرم الحوراني يتفقد مشروع الرستن

إلى اليمين أكرم الحوراني ، سفير مصر في سورية محمود رياض ، وزير الزراعة السوري حامد الخجة ، أحمد العسّة صاحب الرأي العام

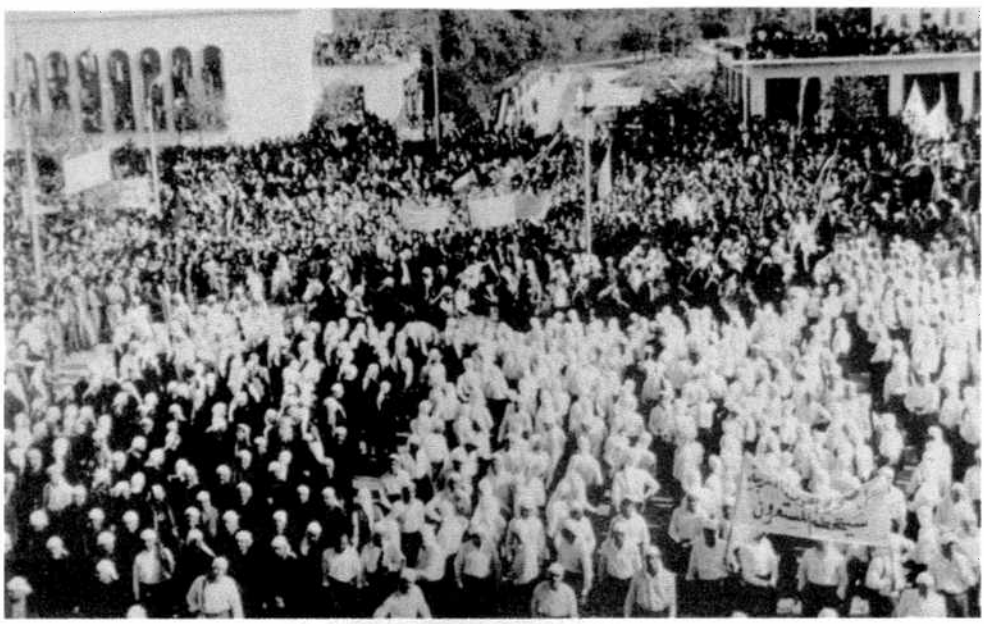

فرق المقاومة الشعبية في مدينة حماه

أبو جهاد رئيسًا للمجلس النيابي

الرئاسات الثلاث في سورية في زيارة للجبهة : القوتلي يصافح أحد الضباط وقد ظهر واءه على التتالي رئيس الشعبة الأولى العقيد أمين النفوري ، ثم ئيس الأركان العقيد عفيف البزرة ، ثم المقدم مصطفى حمدون رئيس الشعبة الثالثة

في القصر الجمهوري

من اليمين : الحوراني رئيس المجلس ، الشيخ فهد السالم الصباح ، ثم الرئيس القوتلي

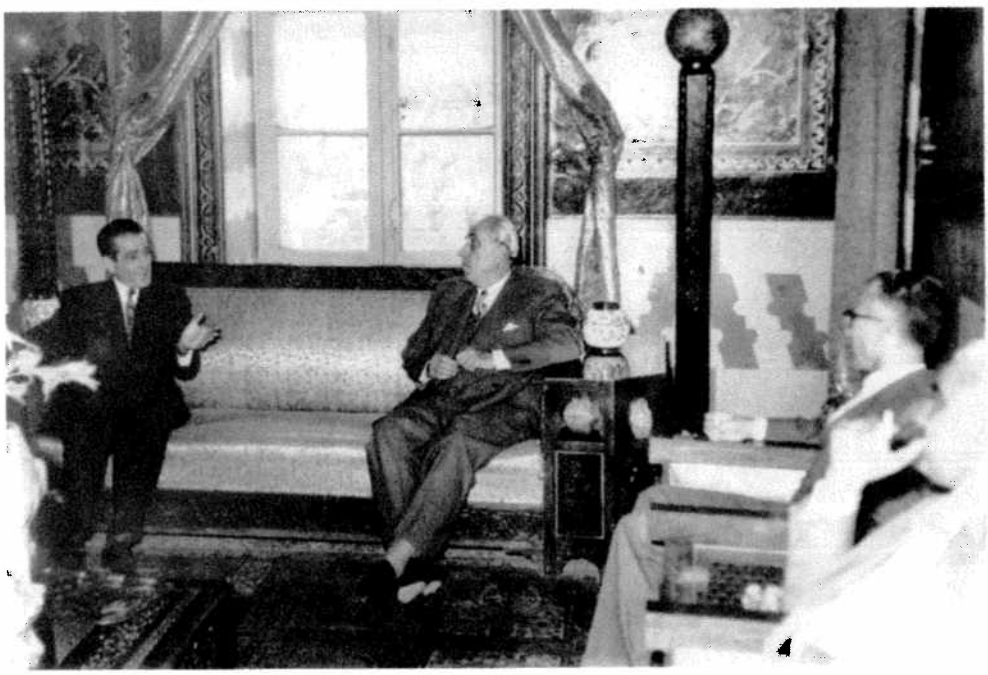

القوتلي في القصر الجمهوري وإلى يمينه رئيس المجلس أكرم الحوراني

المقاومة الشعبية في حماه

أكرم الحواني رئيس المجلس

يصافح رئيس إندونيسيا (سوكارنو) الذي أزاحته أمريكا بانقلاب عسكري

١٩٥٧ حفر الخنادق حول دمشق المهددة من تركيا فى الشمال
وإسرائيل فى الجنوب وحلف بغداد فى العراق ، وشمعون فى لبنان

في القصر الجمهوري

القوتلي يستقبل أحد الوفود ، وفي اليمين رئيس المجلس الحوراني ، وفي أقصى اليسار النائب إحسان الجابري رئيس لجنة الشؤون الخارجية

وليمة من رئيس المجلس الحوراني علي شرف كمال جنبلاط وحميد فرنجية

الرئاسات الثلاث في أحد الاحتفالات

الرئاسات الثلاث في سورية

١٩٥٧ ، أكرم الحوراني رئيسًا للمجلس يستقبل أحد الوفود

المهرجان الفلاحي الكبير الذي أقيم في بلدة محردة القريبة من حماه

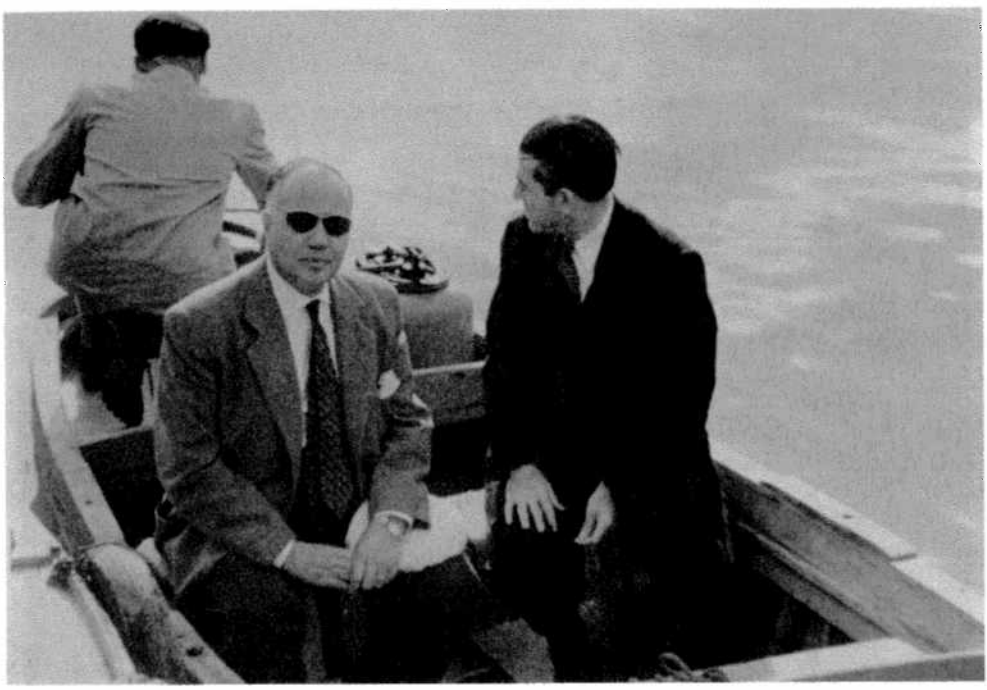

أكرم الحوراني مع وزير الزراعة حامد الخجة : كان أكثر مما يمتع أكرم الحوراني أن يتفقد مراحل إنجاز مشروع تجفيف مستنقعات الغاب وإنجاز سد الرستن علي نهر العاصي وهو المشروع الذي كان أكرم الحوراني أول من تحدث عنه في المجلس النيابي السوري لعام ١٩٤٣ م تابع تنفيذه خطوة خطوة

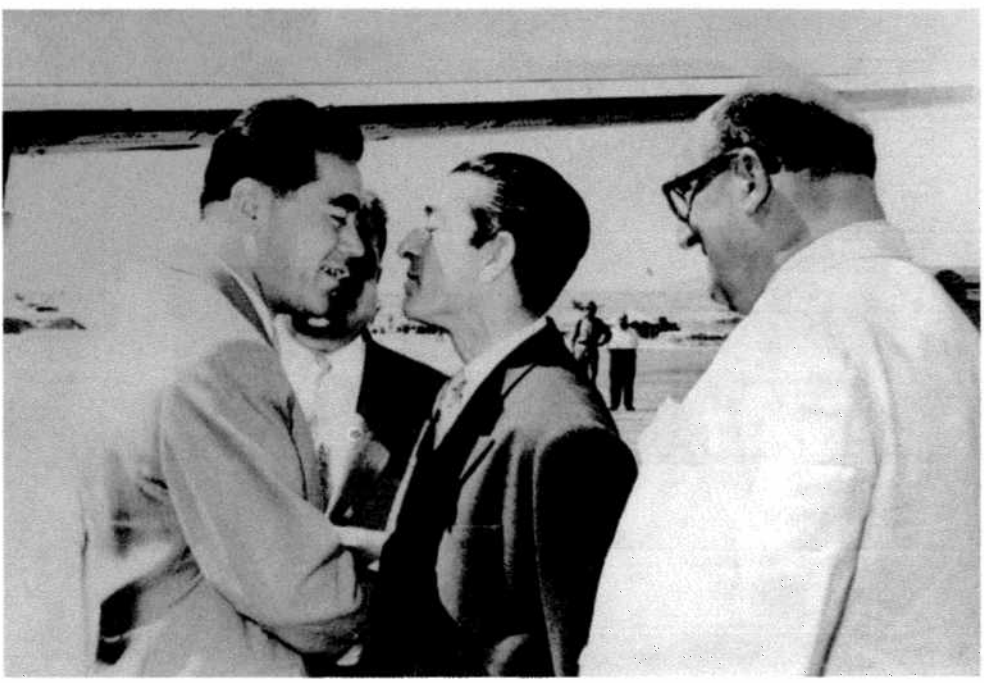

نائبا عبد الناصر في سورية

صبري العسلي ، وأكرم الحوراني يهم بتقبيل السفير الجديد للاتحاد السوفييتي محدينوف

حفلة نسائية أثناء الاحتفالات بالوحدة السورية المصرية

من اليمين : شقيقة نائب الرئيس عبد الناصر صبري العسلي . نزيهة الحماصي زوجة الحوراني ، زوجة شكري القوتلي، رئيسة الاتحاد النسائي السوري السيدة كاملة بيهم الجزائري ، زوجة صلاح البيطار ، ثم زوجة محمود رياض السفير المصري في سورية

ضابط من الجيش السوري يصافح نائب الرئيس عبد الناصر ورئيس المجلس التنفيذي في سورية أكرم الحوراني مستأذنًا إياه ببدء العرض العسكري